بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في مطلع كل شهر عربي

العنوان: إدارة الأزهر بالقاهرة

المحرم ١٤٠٣ هجرية

اكتوبر ١٩٨٢ ميلادية

الجزء الأول

السنة الخامسة والخمسون

كلمة التحرير

كلما دار الزمن دورته ، وابتدأ العام سيرته بدأ شهر المحرم يحمل للمسلمين على امتداد العالم الاسلامى ، ذكرى حادث الهجرة الشريفة من مكة ـ المكرمة ـ الى المدينة ـ المنورة ـ .

وحادث الهجرة : من أخطر الأحداث فى مسار الدعوة الاسلامية ، بل اعظمها شأنا ، اذ كانت الهجرة نقطة بدء فى تحول مسار الدعوة الاسلامية ، وبروزها الى الوجود البشرى فى شكل دولى .

فمن الله استمدت وحيها ، ومن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تم نسجها لتستقر على مدى الزمن مثلا مضروبا لقواد الانسانية يلهمهم الصبر على مكاره الأحداث ، والاستبسال فى مواقف المحنة ، والاستشهاد فى سبيل المبدأ .

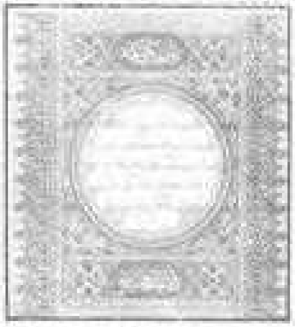
لم تكن الهجرة طلبا لمال ، ولا هربا من أذى ، بل كانت جهادا ومجاهدة لارساء البناء لهذا الدين ، ومنطلقا جديدا للدعوة اليه . ومجالا فسيحا لابلاغها ، تنشر الدين وتثبت اليقين ، وتقوم الخلق .

لقد كانت بخيرها وآثارها بردا وسلاما على الانسانية اخرجتها من ظلمتها ، وانقذتها من وحدتها ، وهدتها من حيرتها ، ودفعت بها الى طريق الخير والصلاح .

ونحن نستقبل عامنا الهجرى الجديد ما احوجنا ان نطالع هذه العبر ، وان نتعرف فيها مواطن العظة والاعتبار .

ما احوجنا الى الاخلاص فى الدعوة ، والصدق فى الكلمة لنشق طريق السابقين بعزائم قوية ، وهمم عالية . فبالصبر والصدق اثمر غرس الدعوة ، وتم نور الله .

التحرير



صورة الغلاف

دراسات قرآنية

« لتدخلن »

المسجد الحرام هو ذلك البيت العظيم الذى أسس على التقوى من أول يوم ، والذى جعله الله مثابة للناس وأمنا وطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود ، والذى كان ولايزال مهوى القلوب وملتقى الشعوب ومنار الهدى والرشاد .

وهو ذلك المسجد التالد الخالد الذى افنى جداره القرون ، وطوت أركانه الليالى والعصور ، والذى حماه الله من أصحاب الفيل بالطير الأبابيل ، وسيظل يحميه ويرعاه ، ويهيىء له من يدافعون عن حرمه وحماه جيلا بعد جيل وقبيلا فى اثر قبيل الى أن تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ويقوم الناس لرب العالمين .

ولقد عاش الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم منذ البعثة النبوية ومعه السابقون الأولون من المسلمين الى جوار المسجد الحرام ثلاثة عشر عاما كاملة بين الظلمات المتكاثفة من أفن الرأى وطغيان الهوى واستبداد الفساد ، وكانت الأصنام والأوثان تحيط به من كل جانب فتحجب النور عن عيون الناس وتحجب الحق عن قلوبهم وجاهد الرسول وأصحابه المؤمنون طويلا وصبروا صبرا جميلا أمام طغيان المشركين وعنتهم وظلمهم حتى اذا لم يبق فى قوس الصبر منزع خرجوا من مكة وهى دارهم ومستقرهم وأحب بلاد الله اليهم بل أحب بلاد الله الى الله . وتركوا المسجد الحرام الذى تمتلىء قلوبهم بحبه وتقديسه الى جو آخر وبلد آخر يمكن أن تنمو فيه بذرة الحق وتترعرع فكانت الهجرة من مكة الى يثرب ليبدأ عهد جديد فى حياة الدعوة الاسلامية .

وكان المسلمون منذ هجرتهم من مكة الى يثرب يحنون الى رؤية وطنهم الذى أخرجوا منه ظلما وبغير حق ويتشوقون لزيارة المسجد الحرام الذى تفيض قلوبهم بتقديسه وتعظيمه وكان الصحابى الجليل بلال بن رباح يتغنى بآثار مكة كلما لج به الشوق اليها ويقول :

> الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
> بفخ وحولى اذخر وجليل
> وهل أردن يوما مياه مجنة
> وهل يبدون لى شامة وطفيل

« وفخ واذخر وجليل وشامة وطفيل أمكنة معروفة فى مكة وحولها » .

فلما سمع الرسول منه هذا الكلام ورأى أثر الحنين الى مكة فى نفوس المسلمين قال « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » .

المسجد الحرام

إن شاء الله آمنين

لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار

وعلى الرغم من الانتصارات التى تمت للمسلمين فى كثير من الغزوات التى خاضوها ضد قريش وغيرها من القبائل . والتى أشعرت المسلمين بعزتهم وكرامتهم وألقت الرعب فى قلوب أعدائهم الا أن قريشا كانت تحول بين المسلمين وبين دخول مكة لزيارة المسجد الحرام لأنها فيما تزعم لاتراهم يستحقون هذا الشرف العظيم ماداموا يجعلون الآلهة الها واحدا ، وماداموا لايؤمنون بهبل واللات والعزى ومناة ، ولأنها تخشى أن يدخل المسلمون مكة فيطيب لهم المقام بها ويصعب اخراجهم منها .. وبينما كان المسلمون مجتمعين فى المسجد النبوى ذات صباح اذ طلع عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وأنبأهم بما رآه فى نومه من أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين.. وأخبرهم أنه يريد أداء العمرة معهم ففرحوا واستبشروا واستعدوا للخروج منتظرين ما يأمرهم به نبيهم الكريم .

ثم شاء الله وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم وفى صحبته المهاجرون والأنصار وكانت عدتهم ألفا وأربعمائة وقد ساقوا الهدى أمامهم ولم يحملوا من السلاح الا السيوف فى أغمادها وذلك لأنهم لايريدون حربا ولا قتالا . وانما يريدون زيارة المسجد الحرام وأداء نسك العمرة وكان ذلك فى أول ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة .. وحينما علمت قريش بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين للعمرة امتلأت نفوسهم بالغيظ والحقد على محمد وداخلهم هم عظيم وخوف شديد لأنهم ظنوا أنها خدعة

دبرها محمد ليتمكن من دخول مكة بعد أن صدهم عن دخول المدينة وصمموا على منعهم والوقوف فى سبيلهم . وجهزوا لذلك جيشا قويا على رأسه خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل .

ولما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك أراد أن يتجنب الشر والخطر . وأن يبعد بالمسلمين عن القتال ماداموا لم يتهيأوا له ولم يخرجوا من أجله ، ودارت بينه وبين قريش مراسلات ومشاورات عانى المسلمون فيها فترة حرجة اختلفت فيها الآراء وتصارعت الافكار والرغبات بين قريش والمسلمين وقد رأى فيها رسل قريش بأعينهم مدى حب المسلمين لنبيهم حتى لقد رجع أحدهم وهو عروة بن مسعود الثقفى مأخوذا بجلال مارأى وقال لقريش : « والله لقد جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى عظمته فما رأيت ملكا فى قومه مثل محمد فى أصحابه . ولقد رأيت قوما لايسلمونه لشىء أبدا فانظروا رأيكم واقبلوا ما عرض عليكم من الصلح والمسالمة وانى لكم ناصح وأخشى ان قاتلتموه ألا تنصروا عليه ، وأما من جانب الرسول وأصحابه فان الرسول استشارهم وانتهى الرأى الى اختيار عثمان ابن عفان رسولا الى قريش ليفصح لهم عن الغرض الذى خرج الرسول من أجله وهو العمرة وزيارة المسجد الحرام . وحينما التقى عثمان بقريش وبلغهم الرسالة التى حملها اليهم رفضوا السماح للرسول بدخول مكة وحبسوا عثمان رضى الله عنه فترة من الزمان فشاع عند المسلمين أن عثمان قد قتل : وحينئذ وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: « لا نبرح حتى نناجزهم الحرب » ، وهنا ظهرت روعة الحق وجلال الايمان وأقبل المسلمون على نبيهم الكريم مهللين مكبرين . وأعلنوا الجهاد فرحين مستبشرين وبسطوا أيديهم يبايعون الرسول مقبلين غير مدبرين ؛ فكانت بيعة الرضوان وهى البيعة الخالدة فى تاريخ الاسلام وقد رضى الله عن هذه البيعة ورضى عن المسلمين الذين قاموا بها وأنزل ذلك فى كتابه الكريم حيث قال : « **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** » . وقد كشفت هذه البيعة بمظهرها المشرق الوضاء ومخبرها الصادق المؤمن عن مدى تضامن المسلمين واخلاصهم وحبهم لنبيهم ، وحسبنا أن نعلم أن هذه الروح القوية المؤمنة قد أفزعت قريشا وألقت الرعب فى قلوبهم فى الوقت الذى لم يكن المسلمون فيه قد حملوا معهم عدة الحرب والقتال التى تكفى لمواجهة قريش وكان من أثر ذلك أن بدأ القرشيون يفكرون من جديد فى طريقة للخلاص من هذا الخطر الذى يهددهم بشر لاريب فيه .

وأمام هذه الظروف العصيبة التى أحاطت بقريش . استطاع المسلمون أن يظفروا بصلح عظيم مبارك هو صلح الحديبية ، وكان هذا الصلح مغنما للمسلمين ونقطة تحول فى حياتهم ومبدأ عهد جديد وضحت فيه قوتهم

إنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ **

اذ أصبحوا يقفون من قريش موقف الند للند واعترفت لهم قريش بذلك اذ التزمت بتأمين من يدخلون فى حماية الرسول وحلفه وبذلك أصبحت القبائل فى سائر الجزيرة العربية لاتتهيب محالفة المسلمين والانضمام اليهم .. أجل : لقد كانت شروط هذا الصلح فى حقيقتها نصرا للمسلمين وفتحا مبينا حتى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : « ماكان فتح فى الاسلام أعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والناس يعجلون ، والله لايعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد » ، وصدق الله العظيم فلقد سمى صلح الحديبية فتحا مبينا . وأنزل فى شأنه سورة الفتح وقال فى أولها : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا . وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا » .

وتساءل المسلمون عن رؤيا رسول الله التى قصها عليهم وهى أنهم سيدخلون المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين لايخافون .. ثم لم يلبث أن وضح أمامهم الجواب بعد تمام هذا الصلح حيث كان من احدى شروطه السماح للمسلمين بالعمرة فى العام القادم وحينئذ عرفوا أن مشيئة الله لهم بدخول المسجد الحرام قد حدد وقتها بعد مرور عام كامل من هذا الصلح ولكل أجل كتاب وقد رجع المسلمون الى المدينة وهم يستعجلون مرور الايام ليعودوا الى مكة بعد تمام هذا العام .. ولما استدار العام بعد صلح الحديبية وأهل شهر ذى القعدة فى العام السابع الهجرى نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين أن يستعدوا لعمرة القضاء فلبى المسلمون النداء وساروا الى مكة يتقدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما سمع أهل مكة بمقدم الرسول وأصحابه ورأوا أنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من مكة ترك الكثير منهم الى التلال والجبال المشرفة عليها وأخذوا ينظرون الى الرسول وأصحابه وهم يحيطون بنبيهم فى اجلال واكبار .

ودخل المسلمون الى مكة وأدوا نسك العمرة وهم فرحون مستبشرون ، وصدق الله رسوله الرؤيا بالحق . وأتم الله النعمة على رسوله والمسلمين بهذا الفتح المبين ، وكان هذا « الفتح المبين » أساسا لفتح مكة بعد عام واحد من هذه العمرة المباركة . وبه زالت دولة الأصنام ، وأعز الله الاسلام ، وانسابت كلمة الحق بين الامم تحيى موات الانفس والارواح والقلوب « وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ » .

هذا ، ومن الله العون وبه التوفيق .

أ . د / محمد الطيب النجار

رئيس جامعة الازهر

دراسات قرآنية

حول

خلق الله الانسان مزودا بطاقات مدركة تعتبر وسائل ادراك أو أدوات ادراك بعضها طاقات لادراك المعنويات والمعقولات والمعتقدات والقيم والامور النظرية الفكرية . وبعضها طاقات لادراك الحسيات من مسموعات ومبصرات ومدركات حسية ومادية . والانسان من حيث هو انسان يمارس هذين النوعين من الادراكات . لكن الانسان الأقل فى درجات الانسانية وسلم الرقى والكمال الانسانى يكون أكثر ممارسة وأكثر انعطافا نحو المدركات الحسية والمادية .

كما أن الانسان الأعلى فى درجات الانسانية وسلم الرقى والكمال الانسانى يكون أكثر ممارسة وأكثر انعطافا نحو المدركات المعنوية والأمور العقلية المجردة عن علائق المحسوسات والماديات ، وذلك راجع الى أن المدركات الحسية لاتحتاج فى ادراكها الى كثير من اعمال الفكر لأنها مشاهدة محسوسة يشترك فى ادراكها الحيوان مع الانسان بعكس الأمور العقلية التى تحتاج الى اعمال فكر ونوع من الصعوبة فى ادراكها والبرهنة عليها والاقتناع بها . الأمر الذى من أجله تشبه المعنويات بالمحسوسات فى ضرب الامثال لالحاق المعنوى الصرف بالمحسوسات ايضاحا للأول بواسطة الثانى . وكان الانسان أكثر نزوعا واستجابة للحسيات والماديات منه الى المعنويات والعقليات لسهولة التوجه الى الأولى وادراكها . وصعوبة التوجه الى الثانية وادراكها وكثيرا ماتكون الاولى صارفة وصادة عن الثانية وملهاة يتلهى بها الانسان ، وقد خلع الفيلسوف اليونانى ديمقريس عينيه ليتفرغ الى ادراك المعنويات الصرفة وليتصرف عن المدركات الحسية . وقد يغمض الانسان عينيه اذا أراد أن يركز على أمور فكرية صرفة وكثيرا ما يحذر القرآن من التلهى بالمحسوسات والماديات والانصراف اليها عن المعنويات والعقليات

فى مثل قوله تعالى

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » ، وقوله « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » وقوله « الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ



القرآن معجزةً وتفسيرًا

للدكتور عبد الغنى الراجحى

رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً » .

فاذا كان ذلك كذلك فقد اقتضت حكمة الحكيم الخبير خالق النفوس والذى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير . أن يرسل رسله الى الناس مبشرين ومنذرين يؤيدهم منذ فجر الخليقة ومنذ بدء الرسالات بمعجزات حسية مادية تلمس وترى وتحس . وتكون أمرا خارقا للعادة يقف الناس حياله مشدوهين متعجبين. ادهاشا بالغرائب واظهارا للعجائب وقلبا لحقائق الأشياء وذلك كما كان الأمر عليه فى معجزات نوح وصالح وابراهيم ويونس وموسى وعيسى وسليمان وداوود . طوفان ولاغرق . ونار ولا تحرق . وناقة تحيل ماء البئر الى لبن يسقى القوم جميعهم . وخروج من بطن الحوت بعد الحياة فيه والتسبيح لله. وانقلاب العصى حية . واليد بيضاء من غير سوء . وضرب البحر بالعصا فكان كل فرق كالطود العظيم . واجتياز البحر ولا بلل وضرب لحجر تنبجس منه اثنتا عشر عينا والريح والعفاريت المسخرة وحديث الطير وتسبيح الجبال والطير وكلام الرضيع فى المهد وابراء الأكمه والأبرص . واحياء الموتى باذن الله وخلق الطير من الطين باذن الله . فلما ان شارفت الانسانية تمام نضجها ومستوى رقيها من رشدها وقطعت أطوارا كثيرة فى مجالات المعجزات الحسية والمادية جاءت أخيرا معجزة خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه المبعوث كافة للعالمين لا رسالة بعد رسالته الى أن يرث الله الارض ومن عليها . معجزة من طراز جديد ونوع جديد معجزة عقلية كلامية فكرية هى القرآن الكريم . للعقل فيها مجال . وللنظر والتدبر فى معانيها ميدان بصريح قوله تعالى « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ » وقوله تعالى « كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ » (١) . وفى هذه المعانى والقاء الأضواء عليها وكشف الخفاء

(١) سورة ص

حول القرآن
معجزة وتفسيرا

فيما نسوق قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه البخارى ومسلم « ما من نبى الا وقد أوتى ما على مثله يؤمن البشر . وانما كان الذى أوتيته وحيا يتلى فأنا أكثرهم تابعا» فقد أشار هذا الحديث الشريف فى جزئه الاول الى أنه جرت عادة الله مع جميع الأنبياء أن يؤيدهم حين يرسلهم الى الناس بمعجزات تدل على صدقهم وتكون بمنزلة قوله تعالى « صدق عبدى فى كل مايبلغ عنى » وأشار فى جزئه الثانى الى أن معجزة خاتم النبيين انما كانت من نمط جديد مخالف فى طبيعته وفى نوعه لما سبقه من المعجزات حيث كانت وحيا يتلى خالدا باقيا محفوظا بعناية من أنزله يستقطب على مر الزمن وطول العصور والدهور قلوب المسلمين الموحدين فى مشارق الارض ومغاربها حتى يصير صلى الله عليه وسلم أكثر اتباعا من سابقيه من اخوانه المرسلين الذين كان يبعث الواحد منهم الى قومه خاصة والى زمن خاص بمعجزة حسية مادية تنقضى بانقضاء وقت حصولها . بينما بعث هو الى الناس كافة لا نبى بعده بمعجزة عقلية باقية بقاء الزمن كله وفيها الهدى والبيان والتشريع لخير البشرية وسعادتها فى الدنيا والآخرة وفى ذلك يقول أمير الشعراء مخاطبا خاتم الانبياء :

جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجئتنا بكتاب غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جلال العتق والقدم

فى منزل الوحى تترى وهى صادقة
فيما تحدث عن عاد وعن ارم

ولقد كان من توابع ذلك أن كانت المعجزة فيما سبق شيئا غير الرسالة فلما كان القرآن كان هو المعجزة وكان فى الوقت نفسه هو الرسالة تبيانا لكل شىء من أصول الدين وفروع التدين . فكما كان خاتم النبيين أعظم الرسل وأعطى مالم يعطه نبى قبله . كان القرآن معجزته أعظم المعجزات وأشدها التصاقا بنفس الرسالة . وكان الاسلام دينه أعظم الاديان **« فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »** « وكانت أمته خير امة أخرجت للناس أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس » .

والقرآن كلام الله المنزل على رسوله محمد للاعجاز والتحدى بأقصر سورة منه والمتعبد بتلاوته والمجموع بين الجلدتين من أول سورة الفاتحة الى آخر سورة الناس تحدى الجن والانس أن يأتوا بمثله فعجزوا . وحكم هو بعجزهم مسبقا قبل أن يحاولوا معارضته فقال **« قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا »** ثم تحدى فصحاء العرب وبلغاءهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا **« أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن**

كُنتُمْ صَادِقِينَ » (١) ثم تنزل معهم الى آخر الشوط فى المساجلة وارخاء العنان تتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله فعجزوا . وحكم هو مسبقا بعجزهم قبل أن يحاولوا معارضته

« وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » سورة البقرة .

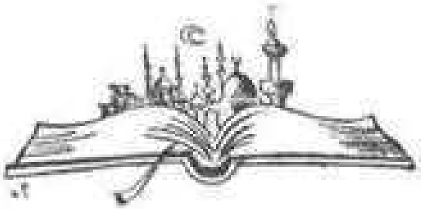
بشهادة الواقع التاريخي وجدوا أن اراقة الدماء واشعال الحروب وتيتم الأطفال وترمل النساء أسهل عليهم من معارضة القرآن التى لم يستطيعوها فكانوا عند نصيحة القائل .

اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع

كانوا بالخيار بين أمرين أحلاهما مر فاختاروا القتال والحرب احساسا منهم بأنهم لاطاقة لهم بمعارضة القرآن والاتيان بمثله فى البلاغة والفصاحة وهم أمراء الكلام وفرسان الفصاحة والبيان . وكانت لهم فى عكاظ والمربد والمجنة وذى المجاز أسواق لعرض الانتاج الأدبي وعقد لواء الزعامة فى الأدب والبلاغة والبيان وتعليق المعلقات بكعبة الله .

فصار عجزهم يعني بالطرق الأولوى الدليل على عجز غيرهم من عرب أو عجم الى أن تقوم الساعة .

والقرآن معجز بكل ماهو به قرآن . معجز بألفاظه ومعانيه معجز ببلاغته وفصاحته وروعة أسلوبه وعظمة بيانه معجز بكل ما تضمنته آياته من عقائد وأحكام وقوانين وتشريعات وسلوك وأخلاق وترغيب وترهيب معجز بما جاء عليه من فنون القول وضروبه وأنواعه . فمن قصص يأخذ بمجامع القلوب الى أمثال بما فيها من تصوير رائع وبيان أخاذ ساحر . الى جدل فيه البراهين والأقيسة بأنواعها التى تلزم الخصم وتقهره الى وصف وبيان لأحوال الآخرة ينقل السامع الى مافيها من شقاء أو نعيم كأنما هو يعانيه ويراه رأى عين الى مواعظ وحكم تخاطب الوجدان وتلهب الشعور وتأخذ النفس البشرية فى رفق وسهولة الى ما يسعدها وينجيها فى دنياها وأخراها من التخلق بالأخلاق الحميدة والتمسك بأهداب الفضائل عن طواعية واقتناع جوانى ونفسانى ومراقبة لله الذى يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وله الحمد فى الاولى والآخرة وهو الحكيم الخبير وصدق الذى قال .



(١) سورة هود ولها نظير فى سورة يونس .

لا تنتهى الأنفس عن غيها
مالم يكن منها لها زواجر

سمعه الجن فقالوا « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » وانطلقوا الى قومهم يقولون « يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ »

وسمعه خبراء البلاغة صناديد أعدائه من كفرة مكة فقالوا ان له لحلاوة . وان عليه لطلاوة . وان أوله لمثمر . وان آخره لمغدق . وانه ليعلو ولايعلى عليه وما هو بقول بشر . وسمعته ملائكة السماء وهو يقرأ فى الارض بعد صلاة الفجر فى بيت الصحابى أسيد بن حضير فتنزلت تنصت اليه يراها الرائى كالقناديل المعلقة بين السماء والارض لم تستتر الا بعد أن كف القارىء عن قراءته خوفا من جموح فرسه التى كانت تضطرب عند ماتدنو الملائكة من القارىء أسيد بن حضير الذى لما أخبر رسول الله بذلك قال له ، تلك السكينة تنزلت لاستماع قرآنك « **ان قرآن الفجر كان مشهودا** » . القصة فى البخارى .

ومنذ فجر نزوله وأعدائه يحاولون الحاق الشبهات والمفتريات فلم ينالوا منه شيئا ولم يثبتوا فيه على مطعن واحد وكانوا معه على حد قول القائل :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنها الوعل

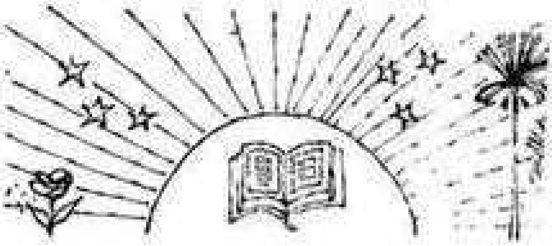
انهم كانوا يسهمون وهم لايشعرون فى توجيه الانظار اليه لتزداد امعانا فيه ودراسة له فتبرز خصائصه وتنمو بين الباحثين كمالاته وعظمته حتى يكون الامر كما قال القائل :

واذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

والدارسون الغربيون من المستشرقين وأشباههم يقررون فى السنوات الاخيرة سنوات الاستشراق والتبشير والاستعمار والهجوم على بلاد الشرق والعرب والمسلمين ثقافيا وعسكريا يقولون فى تقريراتهم عن الاسلام والمسلمين ما نصه « ان الاسلام تتركز مهابته اليوم فى ثلاثة أشياء القرآن . والكعبة . والأزهر » وكأنما أرادوا أن القرآن دستور الاسلام والكعبة قبلة المسلمين والازهر شارح الدستور وحارسه وحاميه والقبلة العلمية للمسلمين فاذا قضى على هذه الثلاثة تقضى على الاسلام والمسلمين . وتارة أخرى يقول بعضهم « لن يذل العرب والمسلمون مادام القرآن فى أيديهم » وتارة ثالثة يقول بعض منصفيهم « كفى هذا القرآن جلالا وعظمة أن الأربعة عشر قرنا التى مرت عليه تستطيع أن تغير ولو بعض الشىء من جدته وحيويته حتى لكأن عهده بالحياة أمس » اننا اذا أدركنا الفرق والبون الشاسع بين ذات الخالق وذات المخلوق وبين علم الخالق وعلم المخلوق

استطعنا أن ندرك ولو اجمالا الفرق الشاسع بين كلام الخالق وكلام المخلوق أين الثرى من الثريا ؟ أين الأرض من السماء ؟ والليل من الضياء ؟ كيف يأتي المخلوق بكلام مثل كلام الخالق في لفظه ومعناه ؟ ان المرحوم مصطفى صادق الرافعي في كتابه اعجاز القرآن يتحدث عن عظمة القرآن والنسبة بين كلام الله وكلام الرسول الذي هو في قمة البلاغة البشرية فيقول « اذا أراك القرآن من نفسه أنه كلام السماء أراك الحديث النبوي أنه كلام الأرض بعد كلام السماء » .

قرآن هذا شأنه وتلك كرامته وقيمته لابد لأمته الاسلامية أن تتلقاه بمزيد من الاعزاز والعناية . يرهفون آذانهم لسماعهم . وتلهج ألسنتهم بتلاوته . وتتفتح عقولهم لفهمه ودراسته . ويجري سلوكهم على وفق مبادئه وتوجيهاته . فهو نصب أعينهم يحلون حلاله . ويحرمون حرامه ويقيمون حدوده . ويحتكمون الى شريعته . ويقيمون صرح حياتهم على ركائز العلم والايمان دون حاجة الى مستوردات عقائدية من شرق أو غرب أو شمال أو جنوب . أن فعلوا ذلك سعدوا وعزوا وسادوا لأنه كما جاء فيه « نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » سورة المائدة . « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا »



ان العناية بالقرآن وتفسيره والاستضاءة بضوئه والاستهداء بهديه أمر جرى عليه [illegible] من الرعيل الاول من الصحابة الى يومنا هذا . فبينما نجد صحابيا جليلا كعبد الله بن مسعود يقول : ما من آية في كتاب الله الا وأنا أعلم أين نزلت ؟ ومتى نزلت ؟ وفيم نزلت ؟ نجد أن الفكر الاسلامي والثقافة الاسلامية والبيئة الاسلامية والحياة الاسلامية يعتمد ذلك كله على القرآن يجعله محور حياته . ومشعل طريقه . ونهاية مطافه . ومطارح نظره . ومرجع أمره كله . فعلماء الصرف واللغة والنحو وعلماء البلاغة ، وعلماء العقيدة . وعلماء الأخلاق . وعلماء الشريعة وفروعها . وعلماء القانون . وعلماء السيرة والتاريخ . وعلماء العقيدة والفلسفة . وعلماء النفس والاجتماع وعلماء الماديات من طبيعة وكيمياء وهندسة وطب وفلك وما شاكل ذلك . كان لكل هؤلاء في أبحاثهم ودراساتهم التفاف حول القرآن

حول القرآن معجزة وتفسيرًا

واحتفاء به وتحكيم له فيما يرونه من القضايا والنتائج التي يتوصلون اليها حول مائدة هذا القرآن يجدون مددا ومادة للبحث والعلم والدرس كلما مر الزمن ظهر فى القرآن جديد واتسع نطاق البحث فيه وازدادت معطياته نماء وثراء وعطاء بازدياد التأمل فيه . والتدبر فى معانيه والتريض فى معانيه . لا تخلق بزته . ولاتبلى جدته . ولا يسأمه سامعه . ولايمله ناظره .

يزيدك وجهه حسنا
اذا ما زدته نظرا

وما ذلك كله الا علم التفسير وقضايا علم التفسير الذى هو البحث عن مراد الله تعالى من خلال كلماته فى القرآن الكريم على قدر الطاقة البشرية . الحرف فى الكلمة . والكلمة فى الجملة والجملة فى الآية . والآية فى السورة والسورة فى القرآن . كل ذلك توجهت اليه عناية المفسرين للقرآن الكريم بحثا ودرسا وتحليلا حتى صارت كتب التفسير تتبوأ فى المكتبة الاسلامية والفكر الاسلامى قمة القمم . يتبع ذلك ويدور فى فلكه حشد من أبحاث علوم القرآن . كالناسخ والمنسوخ . والمكى والمدنى وأسباب النزول . والمحكم والمتشابه . وجدل القرآن . وأقسامه . وقصصه . وترجمته . وقراءاته . ووجوه اعرابه . واعجازه ومجازاته واستعاراته وتشبيهاته . وأمثاله . وماشاكل ذلك من الابحاث التى لايستغنى مفسر القرآن عن دراستها لأنها تعتبر معينة له على التزام الصواب فى تفسيره واستخلاص المعانى المرادة من كلام الله .

على هذا درج عمل الامة الاسلامية منذ فجر وجودها الى يومنا هذا من العناية بالقرآن وتفسيره لاستخلاص معانيه وحكمه واحكامه . وفى هذه النقطة الاخيرة بالذات سوف نوالى اذا أعان الله الكتابة فى بحث قادم عن تفسير القرآن كيف نشأ ؟ كيف تطور ؟ كيف صار اليوم ؟ . وعلى الله قصد السبيل ومنه التوفيق والتسديد .

الدكتور عبد الغنى الراجحى

دراسات قرآنية

من روائع البيان القرآني

للدكتور السيد الجميلي

من أهم ما ورد في البيان القرآني من فلسفة كلامية تلك التي وردت فيها بعض آياته مجملة وبعضها مبينة وهذا من تمام الهندسة اللغوية التي أثرت في أعماق النفوس مما جعل للقرآن حلاوة حسية لا ينضب لها معين .

في ذلك من حسن الفصاحة ما أعجز الأقدمين واللاحقين لاسيما أولو الفصاحة الراقية ، ولكن هل يجوز بقاؤه مجملا أم لا ؟ .

من ذلك أقوال : أصحها لا يبقى المكلف بالعمل به بخلاف غيره وللاجمال أسباب :

أحدها : الاشتراك ونحوه « **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ** » التكوير ١٧ فانه موضوع لأقبل وأدبر .

« **ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** » البقرة ٢٢٨ فإن القرء موضوع للحيض والطهر .

« **أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ** » البقرة ٢٣٧ يحتمل الزوج والولي فإن كلا منهما بيده عقدة النكاح .

وثانيها : الحذف نحو « **وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ** » النساء ١٢٧ يحتمل في وعن .

وثالثها : اختلاف مرجع الضمير نحو « **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** » فاطر ١٠ .

يحتمل عود الضمير على الله في قوله يرفعه واحتمال عوده على العمل قائم كذلك ، والمعنى أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب . ويحتمل عوده على الكلم الطيب ، أي أن

من روائع **البيان القرآني**

الكلم الطيب ــ وهو التوحيد ــ يرفع العمل الصالح لأنه لا يصح العمل الا مع الايمان .

ورابعها : وهو احتمال العطف والاستئناف نحو قوله : ــ

« إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ » آل عمران ٧ .

خامسها : عدم كثرة الاستعمال نحو « يُلْقُونَ السَّمْعَ » الشعراء ٢٢٣ أى يسمعون. « فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ » الكهف ٤٢ أى نادما.

سادسها : غرابة اللفظ نحو « فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ » البقرة ٢٣٢ .

سابعها : التقديم والتأخير نحو « وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى » طه ١٢٨ أى ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما.

ثامنها : قلب المنقول نحو « طُورِ سِينِينَ » التين ٢ أى سيناء .

تاسعها : القاطع لوصل الكلام فى الظاهر نحو « لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ » الأعراف ٧٥ .

وقد يقع التبيين متصلا نحو « مِنَ الْفَجْرِ » البقرة .

بعد قوله « الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ » البقرة ١٨٧ ومنفصلا فى آية أخرى نحو « فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ » البقرة ٢٢٩ ، ٢٣٠ بعد قوله « الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ » فانها بينت أن المراد به الطلاق الذى تملك الرجعة بعده ولولاها لكان الكل منحصرا فى الطلقتين ..

وقد أخرج أحمد وأبو داوود فى ناسخه وسعيد بن منصور وغيرهم عن ابن سعيد الاسدى قال: قال رجل: يارسول الله : الطلاق مرتان فأين الثالثة : قال : أو تسريح باحسان.

وأخرج ابن مردويه عن أنس قال : قال رجل يارسول الله ذكر الله الطلاق مرتين فأين الثالثة ؟ قال : (إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بإحسان) .

وقوله : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) القيامة ٢٢ ، ٢٣ على جواز الرؤية ويفسر أن المراد بقوله : لاتدركه الابصار لا تحيط به دون أن تراه .

وأخرج ابن جرير عن طريق العوفى عن ابن عباس فى قوله : (لا تدركه الأبصار) فقال : ألست ترى السماء أفكلها ترى ؟ .

قال تعالى : (أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ) المائدة ١ .

فسره قوله تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ) المائدة ٣ .

وقوله تعالى : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) الفاتحة ٤ فسره قوله تعالى (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ، يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ) الانفطار ١٧ .

وقوله : (فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ) البقرة ٣٧ فسره قوله : (قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا) الاعراف ٢٣ .

وقوله : (صراط الذين انعمت عليهم) الفاتحة ٧ وضحه . قوله : (فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ...) النساء ٦٩.

واختلف العلماء اختلافا كبيرا فى آيات شتى ... هل هى من قبيل المجاز ؟ أم لا .

منها آية السرقة ، قيل انها مجملة في اليد ، لأنها لا تطلق الا على العضو الى الكوع والى المرفق والى المنكب • وفي القطع لأنه يطلق على الابانة وعلى الجرح ، ولا ظهور لواحد من ذلك وابانة الشارع الى الكوع تبين أن المراد ذلك •

وقيل لا اجمال فيها ، لأن القطع ظاهر في الابانة • ومنها (وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ) المائدة ٦ قيل انها مجملة ، لترددها بين مسح الكل والبعض ، ومسح الشارع الناصية مبين موضح لذلك •

وقيل لا : وانما هي لمطلق المسح الصادق بأقل ما ينطلق عليه الاسم ويفيده • ومنها : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) النساء ٢٣ قيل انها مجملة لأن اسناد التحريم الى العين لا يصح ، لأنه انما يتعلق بالفعل ، فلابد من تقديره وهو محتمل لأمور لا حاجة الى جميعها ولا مرجح لبعضها •

وقيل لا ، لوجود المرجح وهو العرف فانه يقضي بأن المراد بالتحريم بقصد الاستمتاع بالوطء أو نحوه ، ويجري ذلك في كل ما يجري فيه التحريم والتحليل بالاعيان ، ومنها : —

« وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا » البقرة ٢٧٥ قيل أنها مجملة لأن الربا الزيادة ، ومامن بيع الا وفيه زيادة فافتقر الى بيان مايحل ومايحرم •

وقيل لا : لأن البيع منقول شرعا ، فحمل على عمومه ، ما لم يقم دليل التخصيص •

قال الماوردي للشافعي : في هذه الآية أقوال أربعة أحدها أنها عامة •• فان لفظها عموم يتناول كل بيع ويقتضي اباحة جميعها الا ما خصه الدليل • وهذا القول أصحها عند الشافعي وأصحابه لأنه عليه الصلاة والسلام نهى عن بيوع كانوا يعتادونها ولم يبين الجائز ، فدل على أن الآية تناولت اباحة جميع البيوع الا ما خص منها ، فبين صلى الله عليه وسلم المخصوص •

والقرآن الكريم حريص كل الحرص على انتقاء ألفاظه معبرة موصية قوية متماسكة مع بعضها البعض في تمكن ورسوخ وقوة ، لأنه نزل بلسان عربي مبين •

قال تعالى : (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ) الاعراف ١٣٢ •

لم تبدأ الآية الشريفة بكلمة القمل كما لم تنته عندها ، ولم يكن ذلك جزافا ، أو عفو الخاطر ، انما لمقتضى هندسة بيانية ولداعي الذوق البياني الرفيع ، فلو أن الآية ابتدأت بكلمة (القمل) لكانت بداية صعبة تقزز النفس وتؤذي الخاطر ، وتعكر الصفو ، ولو أنه انتهى اليها آخر الآية ، كانت آخر ما يؤثر في السمع فيبقى فيه فترة طويلة ، فيكون ذلك أدعى الى الضيق ، وأقرب الى السآمة •

ولكنه جاء بها وسطا بين كلمتين في الأول وكلمتين في الآخر فكانت هذه الكلمة بوصفها الوسط سريعة المرور على الخاطر ولم تكن لتلبث أكثر من جزء من الثانية ولذلك فمن الممكن توضيحها كالآتي :

فأرسلنا عليهم (الطوفان والجراد) والقمل (والضفادع والدم) ومن الغريب حقا أن عدد

من روائع البيان القرآني

حروف الكلمتين الأول = ١٤ حرفا وعدد حروف الكلمتين الأخريين = ١٤ حرفا أيضا .

أى أن هاتين الكلمتين متوازنتان تماما، ولا يمكن أن نتصور أن فى مقدور بشر أن يأتى بمثل هذا الاعجاز فى روعة دقته ولا فى دقة روعته .

ولم تتوقف البلاغة القرآنية ولا البيان القرآنى عند حد ولم تنته عند خط معين انما انتشرت فى ربوع النفوس وشدت ملكات الخلصاء من كرائم الناس ، ولقد حاكاها القدماء ببيانهم فتخلفوا ، وأعملوا فيها فهمهم فقصر بهم فهمهم رغم ما أوتوا من قوة وفصاحة وبيان .

ومن أجمل ما ورد فى القرآن « الايهام » وهو أن يوحى بشىء ما ويقصد شيئا آخر بعيدا كقوله تعالى فى سورة الرحمن :

(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) الرحمن ٥ ، ٦ .

فالذى يقرأ الآية ويتأملها ويتدبر معانيها يجدها مقسمة مثنى مثنى بأسلوب الازدواج ، وعندما يأتى الى الشمس والقمر يعقب بقوله **والنجم والشجر** .

والذى يتعجل النظر يسبق اليه الايهام فيظن أن النجم هو الذى فى السماء لانه مسبوق بالشمس والقمر وذلك من جراء انشغال البال بالجرمين العلويين فى السماء .

ولما يفطن الى ازدواج النجم والشجر يدرك أن المقصود به النبات الصغير الذى لا سوق له ــ قبل أن تظهر ساقه ــ أول ما ينجم عن الارض .

قال الشاعر القديم يصف رحلته الى محبوبته :

اراعى النجم فى سيرى اليها
ويرعاه من البيدا جوادى

فالشاعر ينظم للنجم الذى فى السماء ، والجواد ينظم للنجم الذى فى الارض فهذا مشدود للاعلى ، النجم العلوى ، وجواده مشدود للادنى ، النجم الارضى .

هذه البلاغة القرآنية لا يستطيع بشر أن يأتى بمثلها مهما أوتى من قوة وعلم وفهم .

لمحة لطيفة أخرى من لمحات القرآن البيانية الطريفة ، قوله تعالى : ــ

(يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)

الحج ٢ .

فالارضاع من خاصية المرأة وليس من خصائص الرجل فكان من الجائز أن يقول (تذهل كل مرضع عما أرضعت) ما أجمل ما احتوى القرآن من ألفاظ وضعها فى أدق موضع معبرة موحية بدلالة فائقة على معنى عميق رصين .

مثلا قوله تعالى :

(قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ؟ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ، وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) القصص ٢٣ .

فان المسرحية الكاملة من ورود الماء فالانتظار وحتى القفول والانقلاب مرة أخرى هذه الحركات كلها عبر عنها القرآن الكريم بكلمة

(يصدر) ولا نعتقد أن ثمة لفظا آخر يستطيع أن يؤدى ما أدته هذه الكلمة من معنى معبر فى قوة ودقة واتقان .

قال تعالى : (**لقد خلقنا الإنسان فى كبد**) . البلد ٤ .

فان كلمة (كبد) الثلاثية على صغرها فيها من المدلول والقوة والايحاء مالا تستطيع أية كلمة عربية أخرى من حروف المعجم أن تؤديه فى مثل هذا الموضع مع سيولة الالفاظ ومرونتها وروعة الموقف عندها .

لم يأت القرآن الكريم على نهج الشعر العربى المعروف والذى بلغ قمة تفوقه فى جزيرة العرب آنذاك ــ وقت نزول القرآن ــ لذلك ورد قوله تعالى : (**وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون**) الحاقة ٤١ .

ونفى الشعر عن القرآن ، من أهم الاشياء حتى لا يتوهم متوهم أنه من قول بشر .

وقد قسم طه حسين أساليب اللغة العربية الى ثلاثة : شعر ونثر وقرآن ، فالقرآن الكريم لم يأت على بحر من بحور الشعر ولم يأت على نهج النثر انما جاء بأسلوب جديد لم يسبق اليه ولم يلحق فيه . وقد احتوى القرآن الكريم كثيرا من البحور الشعرية فى ثنايا كريم آياته مثل قوله تعالى :

«**والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم**» من بحر الكامل وتفعيلاته : (متفاعلن متفاعلن متفاعل) للشطر الواحد وقوله تعالى : ــ (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) من بحر الطويل وتفعيلاته : ــ (فعولن ، مفاعيلن فعولن مفاعيل) للشطر الواحد وقوله تعالى : (**فتعالى الله عما يشركون**) من بحر الوافر وتفعيلاته : (مفاعلتن ــ مفاعلتن مفاعل) للشطر الواحد . ورغم احتواء القرآن الكريم على بحور الشعر وتفاعيله ، الا أنه ليس بقول شاعر ، وهذا من رائع نسقه ، وجميل اتقانه وبديع عظمته وشريف مقاصده .

ومن دقة أداء الاسلوب القرآنى ، الاختلاف بين الفواصل ، فهناك آيات قصيرة الفاصلة سريعة اللهجة قوية التعبير ، وهناك فواصل طويلة ، بعيدة الطرفين متصلة ، مثلا على ذلك قوله تعالى :

« **وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ، ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين** »

يوسف ٢١ ، ٢٢ وهذه الفواصل الطويلة تأتى فى الغالب لبيان مشهد قصصى رائع أو حكم شرعى ذائع .

أما الفواصل القصيرة فتبلغ قمة روعتها فى سورة الفجر ، وسورة البلد وسورة الشمس ، حيث نرى الجمال كله فى سريان الآيات وراء بعضها فى سهولة وروعة واتقان ولهذا مبحث آخر سنتناوله بالتفصيل ان شاء الله .

دكتور السيد الجميلى

دراسات لغوية

بديعيات

عصري المماليك

أجمع مؤرخو الادب على أن العصر العباسي هو العهد الذهبي للأدب العربي ولما أصيب العالم الاسلامي بكارثة التتار واسقاط الخلافة الاسلامية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ حتى أصيب المسلمون بضعف عام في كل جوانب حياتهم .. لولا أن هيأ الله للمسلمين صيحة قطز والسلامة فاندحر التتار .. ولكن جاء بعد هذا صراع بين الفرس والاتراك .. وبرزت الشعوبية بوجهها القبيح .. وتتابعت موجات الحروب الصليبية . فالمغول من الشرق والصليبيون من الغرب .. أضعفوا الأمة عسكريا وثقافيا فظهر التكلف الممجوج في فنون الادب :

ولقد رفض ابن حجة الحموى م سنة ٨٣٧ هـ كثيرا من صور البديع الصناعية المتكلفة وضرب لذلك أمثلة عديدة منها ما سماه أسرى البديع الزائف لا الحقيقي . عتاب المرء نفسه وضرب له مثلا بقوله :

يا نفس توقي عتابي قد دنا أجلي
متى ولم تقطعي آمال وصلهم

قال ابن حجة الحموى رحمه الله تعالى : ان هذا عتاب للنفس .

وان هذا الفن ليس بينه وبين البديع نسبة وقال : ان الذوق السليم أعدل شاهد على ذلك .

ثم قال : انه من المسائل التي انفرد بها ابن المعتز في كتابه البديع .

والواقع أن ابن المعتز . قد سمى هذا الفن — اعنات المرء نفسه في القوافي . ومثل له بهذين البيتين :

عصاني قومي في الرشاد الذي به
أمرت ومن يعص المجرب يندم
فصبرا بني بكر على الموت انني
ارى عارضا ينهل بالموت والدم

وهذا ما سماه أبو العلاء المعرى . بلزوم مالا يلزم .

وأنكر ابن حجة الحموى أيضا عد أساليب القسم من فنون البديع — وفضل المتأخرين عن أسلافهم في فن بديعي يسمى حسن التخلص ومثل له بقوله :

ومن غدا قسم التشبيب في غزل
حسن التخلص بالمختار من قسمي

وراح ابن حجة على عادة أنصار البديع . يتحدث عن فنونه بشعر ليس مقبولا كقوله عن فن بديعي يسمى الاطراد :

للدكتور علي البدري

والأتراك في ميزان البلاغة والنقد

محمد بن التبيحين الامين ابو البتـو
ل خـير نبي في اطـرادهم

وعلى هذا النحو راح يمثل للعكس بقوله :

عين الكمـال كمـال العين رؤيتـه
يا عكس طرف من الكفار عنه عمي

وتحدث عن التكرار على أنه من فنون البديع والحق أنه من فنون علم المعاني لانه أحد فنون الاطناب . ومثل له بقوله :

كررت مدحي حلا في الزائد الكرم
ابن الزائد الكـرم ابن الزائد الكرم

والواقع أن التكرار في هـذا البيت متنافر معيب . لا من المعاني ولا من البديع .

وراح ابن حجة أيضا يتعب نفسه فيمثـل للمذهب الكلامي بقوله :

ومذهبـي في كـلامي ان بعثتـه
لـو لم تكن ما تميزنـا على الامم

واشار الى أن تسمية المـذهب الكلامي منسوبة الى الجاحظ .. ثم عقب على قـول ابن المعتز :

انه لا يعلم له شاهدا في القرآن الكريم .. فقال ابن حجة :

ليس عدم علمه مانعا علم غيره .

وقال : ان أعظم شواهد هذا الفن انما هي في القرآن الكريم : وساق له أمثلة من الكتاب والسنة والادب العربي الرصين شعرا ونثرا .

وتحدث ابن حجة رحمه الله تعالى عمـا سماه المناسبة وقسمها الى مناسبة في المعاني وأخرى في الألفاظ .

ومثل لها بقوله :

فعلمـه وافـر والزهـد ناسبـه
وحلمـه ظـاهر عن كـل مجترم

وهذا ما سمي في مدرسة السكاكي باسـم مراعاة النظير .

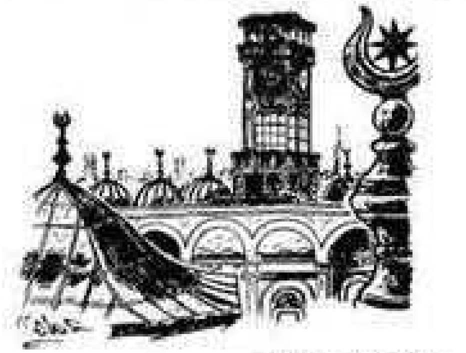
وتحدث ابن حجة عن التوشيع وهو تفسير المثنى والجمع بمفردات على أنه من البـديع والصواب أنه من المعاني ومثل له بقوله :

ووشع الأرض منه العدل فانتشحت
بحلة الامجدين العهـد والـذمم

وتحدث عن التكميل فعده من البديع أيضا وهو أحد فنون الاطناب . فهو من علم المعاني ومثل له بقوله :

آدابـه تمت لا نقص بداخلهـا
والوجـه تكميلـه في غاية العظم

بديعيات عصري المماليك والأتراك



وتحدث عن التفريق ، ومثل له بقوله :

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى
فى ذاك نقص وهـذا كامل الشيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وتحدث عن التشبيه فعده من البديع ، وهذا غير صحيح ، ومثل له بقوله :

والبدر فى التم كالعرجون صار له
فقل لهم يتركوا تشـبيه بدرهم

وعلى هذا الاتجاه تحدث عن تشبيه شيئين بشيئين فمثل له بقوله :

شيئان قد أشبها شيئين فيه لنـا
تبسم وعطـا كالبرق فى الـديم

وتحدث عن الانسجام مثل له بقوله :

له انسـجام دموعى فى مدائحـه
بالله شـنف بها يا طيب النغم

وتحدث عما سماه النوادر فقال : ان قوما سموه الأغراب والطرافة ومثل له بقوله :

نوادر المـدح فى أوصـافه نشقت
منها الصبا فانثنا وهى فى شـمم

وتحدث عن الوان المبالغة على أنها فنـون ثلاثة مستقلة ، مثل للمبالغة بقوله :

بالغ وقل كم جـلا بالنور ليل وغى
والشهب قد رمدت من عثير الدهم

ومثل للاغراق بقوله :

لو شـاء اغـراق من ناواه مدله
فى البر بحـرا بمـوج فيه ملتطم

ومثل للغلو بقوله :

بلا غلو الى السبع الطبـاق سرى
وعـاد والليل لم يجفـل بصبحهم

وأين ما قاله مما قاله البلاغيون : ـــ المبالغة أن يدعى لوصف بلوغه فى الشدة أو فى الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا لئلا يظن أنه غـير متناه فى الشدة أو فى الضعف .

لأن الوصف المدعى ان استحال عقلا وعادة فهو الغلو ، وان استحال عادة لا عقلا فهـو الأغراق ، وان أمكن فيها فهو التبليغ .

ولا شك أن ما قاله البلاغيـون أجـدى وأكثر نفعا مما قاله ابن حجة الحموى ، رحمه الله تعالى .

وتحـدث عن الايغال ، على أنه من البديع ، والصواب أن من علم المعانى ومثل له بقوله :

للجود فى السير ايغال اليـه وكم
حبـا الأنـام بـود غير منصرم

وتحدث عما سماه التهذيب والتأديب ومثل له بقـوله :

تهذيب تاديبـه قـد زاده عظمـا
فى مهده وهـو طفـل غير منفطم

في ميزان البلاغة والنقد

ولا يستحسن من مخلوق أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأنه طفل غير منفطم ، أن التأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتضي عدم وصفه بالطفولة ، وان كان معروفا أنه مر بهذه المرحلة .

وكونه يجعل هذا فنا بديعا انما هو منه جرى وراء الاكثار المملول .

وتحدث عن التورية ، ومثل لها ، وسماها الايهام والتوجيه والتخيير وقال :

أوصافه الغر قد حلت بتورية

جيدي وعقد لساني بعد ذا وفمي

ومثل للمشاكلة بقوله :

من اعتدى فيعدوان يشاكله

لحكمة هو فيها خير منتقم

ومثل للجمع مع التفريق بقوله :

سناه كالبرق وان أبدوا ظلام وغى

والعزم كالبرق في تفريق جمعهم

ومثل للجمع مع التقسيم بقوله :

جمع الاعادي بتقسيم يفرقه

فالحي للأسر والأموات للضرم

وتحدث عن الكناية وهي احدى فنون علم البيان على أنها من البديع فمثل لها بقوله :

قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم

لناره السن تكنى عن الكرم

وقال : انها الأرداف عند علماء البيان .

وتحدث عن الايجاز على أنه من البديع أيضا والصواب انه من علم المعاني ومثل له بقوله :

أوجز وسل أول الابيات عن مدح

فيه وسل مكة يا قاصد الحرم

وتحدث عن الاعتراض على أنه من البديع أيضا والصواب أنه واحد من فنون الاطناب . قال :

فلا اعتراض علينا في محبته

وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم

وتحدث عن الاشتقاق ولو وضعه مع فنون التجنيس لكان أحسن . قال :

محمد أحمد المحمود مبعثه

كل من الحمد تبين اشتقاقهم

وتحدث عما سماه المماثلة . ولو تحدث عنها في التشبيه لكان أحسن . قال :

فالخير ماثله والعفو جاوره

والعدل جانسه في الحكم والحكم

وقال ان المماثلة أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها وزنا لاقافية .

بديعيات عصرى المماليك والأتراك

وتحدث عن التطريز ، فوقع فى التكرار المعيب قال :

شملى بتطريز مدحى فيه منتظم
يا طيب منتظم يا طيب منتظم

ثم عاد فذكر الأرداف وهو ما سماه الخطيب القزينى باسم الكناية قال ابن حجة :

وفى الوغى رادفوا لسن القنا سكنا
من العدا فى محل النطق بالكلم

وتحدث عن الابداع ومثل له بقوله :

واودعوا للثرى ابدانهم فشكت
شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وهو مأخوذ من قول أبى الطيب المتنبى :

ولا تشك الى خلق فتشمتهم
شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وتحدث عن الايضاح ومثل له بقوله :

هذا وتزداد ايضاحا مخافتهم
فى كل معترك من بطش ربهم

ثم قال : انه من مبتكرات ابن أبى الاصبع .

ومثل له بقوله :

وتحدث عن التعطف ، واشترط فيه أن تكون احدى الكلمتين فى مصراع والأخرى فى المصراع الآخر .

ومثل له بقوله :

تعطف الخير كم ابدوا لمذنبهم
والخير مازال فى أبواب صفحهم

وتحدث عما سماه الطاعة والعصيان ومثل له بقوله :

طاعاتهم تقهر العصيان قدرهم
له العلو فجانسه بمدحهم

وتحدث عن المدح فى معرض الذم ، وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم ، قال ابن حجه :

فى معرض الذم ان رمت المديح فقل
لا عيب فيهم سوى اكرام وفدهم

وتحدث عن فن سماه البسط ومثل له بقوله :

هم معشر بسطوا جودا سقاه حيا
فاخضر العيش فى اكناف أرضهم

وتحدث عن الاتساع ومثل له بقوله :

نور القبائل ذو النورين ثالثهم
وللمعالى اتساع فى عليهم

وتحدث عن جمع المؤتلف والمختلف ، ولم أنصف ألحق الأول بمراعاة النظير والثانى بالطباق قال : ــ

جمعت مؤتلفا فيه ومختلفا
مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم

وتحدث ابن حجة عن السجع ، ومثل له بقوله :

سجعى ومنتظمى قد أظهرا حكمى
وصرت كالعلم فى العرب والعجم

وتحدث عما سماه الالتزام ولزوم مالا يلزم والأعنات ، فكرر ما سبق ذكره .

قال :

لان مدح رسول الله ملتزمى
فيه ومدح سواه ليس من لزمى

وتحدث عن المزاوجة فقال : وهى أن يزاوج

في ميزان البلاغة والنقد



المتكلم بين معنيين في شرط وجزاء .

قال البحتري :

اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى
اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر

وقال ابن حجة :

اذا تزاوج ذنبي وانفردت له
بالمدح من ونجاني من النقم

وتحدث عن التجريد فنقل كلام الخطيب القزويني قال :

الى المعاني جنود في البديع وقد
جردت منها لمدحي فيه كل كمي

وتحدث عن الحذف . وجميعه من دراسات علم المعاني ولكنه ذكر بعضه في البديع .

قال :

وقد امنت وزال الخوف منخذفا
نحو العدو ولم احقر ولم اضم

وتحدث عن التدبيج فنحا فيه منحى ابن أبي الأصبع قال :

واخضر اسود عيشي حين دبجه
بياض حظي ومن زرق العداة حمي

وتحدث عن الاقتباس فأخذ كلام من مدرسة السكاكي قال :

وقلت ياليت قومي يعلمون بما
قد نلت كي يلحظوني باقتباسهم

وتحدث عن السهولة وقال انها من باب الظرافة ومثل لها بقوله :

يارب سهل طريقي في زيارته
من قبل أن تعتريني شدة الهرم

وتحدث عن حسن البيان فأخذه عن ابن أبي الاصبع ومثل له بقوله :

حتى بيت بديعي في محاسنه
حسن البيان واشدو في حجازهم

وتحدث عن الاحتراس ، فنهج فيه نهج السابقين قال :

فان أقف غير مطرود بحجرته
لم احترس بعدها من كيد مختصم

وتحدث عن البراعة في الطلب فأشار الى انه أخذه عن الشيخ عز الدين الزنجاني . قال :

وفي براعة ما أرجوه من طلب
ان لم أصرح فلم أحتج الى الكلم

وتحدث عن العقد فقال :

قد صح عقد بياني في مناقبه
وان منه لسحرا في سحرهم

وتحدث عن المساواة فسلك فيها مسالك سابقيه قال :

تمت مساواة انواع البديع به
لكن يزيد على ما ف بديعهم

وتحدث عن حسن الخاتمة فأشار الى أخذه عن ابن ابى الأصبع قال :

حسن ابتدائى وارجو التخلص من
نار الجحيم وهذا حسن مختتمى

هذا وقد فرغ ابن حجة الحموى من شرحه الطويل المملول سنة ست وعشرين وثمانمائة سنة ٨٢٦ هـ وكان كتابه خزانة الأدب حشدا هائلا للبديعيات وتاريخا للأدب فى عصر المماليك فجزاه الله أكرم الجزاء وأوفاه .

وهناك فنون بديعية لم يتحدث عنها ابن حجة فتحدث عنها غيره . منها الاقتضاب وهو عكس حسن التخلص . قال السيوطى :

ان اقتضاب مديح المصطفى اربى
والمدح اولى واغلى بازدواجهم

ومنها الاحتباك . قال السيوطى أيضا :

وخاتم الرسل وهو المبتدا وغدا
خـ النبيين كُطرَّاق احتباكهم

ومنها الطرد والعكس . قال السيوطى أيضا :

لذى البصائر اتيال به سعدوا
والطرد والعكس للثانيه حيث عمى

قال فى عقود الجمان ، نقلا عن الطيبى : الطرد والعكس أن يؤتى بكلامين يقرر الاول بمنطوقه مفهوم الثانى وبالعكس كقوله تعالى:

« لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » .

ومنها الحقيقة وقد نظمها الحميدى فقال :

الله كونه من نوره بشرا
مبشرا لمطيع هاديا لعمى

الى غير ذلك من صور البديع التى وفق ابن حجة الحموى فى بعضها وجانبه الصواب فى البعض الآخر وهى بحاجة ماسة الى دراسة جامعية متخصصة تأخذ منها السمين وتطرح ما سواه .

هذا وقد تابع ابن حجة الحموى فى بديعياته بعض معاصريه ومنهم ابن المقرى، بن على ابن عطية الشاورى اليمنى الشافعى عالم اليمن م سنة ٨٣٧ هـ وقد نظم بديعية على غرار بديعية عز الدين الموصلى . ثم شرحها . والزم نفسه بالتزام توريتين فى كل منها . وسماها « الجواهر اللامعة فى تخميس الفرائد الجامعة للمعانى الرائعة » وأطلق على شرحها اسم (الفريدة الجامعة للمعانى الرائعة) ولا يزال

مخطوطا حتى الآن .

ثم جاء جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ابن محمد الخضيرى السيوطى المولود سنة ٨٤٩ هـ والمتوفى سنة ٩١١ هـ الذى قال عن نفسه ورزقت التبحر فى سبعة علوم . التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان . والبديع . على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة الفلاسفة وله فى البلاغة كتاب عقود الجمان .

ثم عارض بديعية ابن حجه الحموى ببديعية سماها : نظم البديع فى مدح خير شفيع .

وتقع فى مائة وأربعين بيتا مشتملة على مثلها من البديع ومطلعها :

من العقيق ومن تذكار ذى سلم
براعة تستهل الدمع فى العلم

كما نظمت عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر بنت الباعونى المعروفة بالباعونية الدمشقية م سنة ٩٢٥ هـ بديعية عنوانها : الفتح المبين فى مدح الأمين ومطلعها :

فى حسن مطلع أقمار بذى سلم
أصبحت فى زمرة العشاق كالعلم
يا سعد ان ابصرت عيناك كاظمة
وجئت سلعا فسل عن أهلها القدم

وهناك بديعية لابن دقماق الحسينى م سنة ٩٤٠ هـ وهى مخطوطة لم تشرح حتى الآن .

كما كتب الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن على الحميدى المصرى م سنة ١٠٠٥ هـ بديعية حذا فيها حذو صفى الدين الحلى وسماها تمليح البديع بمدح الشفيع . وشرحها شرحا سماه : فتح البديع بشرح تمليح البديع بمدح الشفيع . ثم اختصر شرحه بما سماه (منح السميع بشرح تمليح البديع) .

وقد رماه الحاج عثمان الجليلى م سنة

بديعيات

عصري المماليك والأتراك



١٢٤٥ هـ في كتابه « الحجة — على من زاد على ابن حجة — بالخروج عن الجادة واختيار الأنواع البخسة ».

وللحميدي بديعية أخرى على بحر البسيط ، ورَوِي الكاف في مائة وواحد وعشرين بيتاً ، ومطلعها :

بديع حسنك أبدى من محياك
براعة تستهل البشر للباكي

ثم نظم شمس الدين بن عبد الرحمن الحموي م سنة ١٠١٧ بديعية على روي النون مطلعها :

الوصل لي وعلى الواشي الجفاء وان
اماتني البعد جاء القرب احياني

وروى البيت :

هجري علي ولي وصل باحيان
اماتني الهجر جاء الوصل احياني

وهي من المخطوطات غير المهمة .

كما كتب ابراهيم بن علي بن حسن بن صالح الكفعمي بديعية شرحها تحت عنوان نور حديقة البديع ونور حديقة الربيع — وقيل عنه : أنه اعجوبة الناس في الحفظ والجمع ، وذكر مطلعها ابن معصوم في انوار الربيع وهو :

ان جئت سلمى فسل من في خيامهم
ومن سكن منسكا عن دمعتي ودمي

وتلاحظ التنافر في الشطر الثاني من البيت ، وقد أراد أن يجعله جناسا .

وهناك بديعية أخرى لعبد الله الزفتاوي م سنة ١٠٥٩ هـ وهي مخطوطة بدار الكتب الألمانية في برلين وقد شرحها عبد اللطيف الشماوي بعنوان : حسن الصنيع بشرح نور الربيع .

ونسخته المخطوطة بالمكتبة الأهلية في باريس .

وهناك بديعية لعبد القادر الطبري ومطلعها

حسن ابتداء مديحي حي ذي سلم
ابدى براعة الاستهلال في العلم

ولشهاب الدين العطار بديعية سماها : افتتح الألي في مطارحة الحلي ، وقد أشار اليها صاحب كشف الظنون .

في ميزان البلاغة والنقد

ومن أصحاب البديعيات أبو سعيد محمد بن داود المصري الشاذلي . ومنهم أيضا ابن ناصر ابن رحمة الجوزي . وقد أشار الى ذلك صاحب كشف الظنون م سنة ١٠٦٧ هـ ـ ولابن ناصر هذا بديعية صغيرة في ثمانية وعشرين بيتا مطلعها :

قلبي وطرفك منصوب ومكسور
كلاهما مطلق منا ومأسور
ناديت دمع جفوني كي ترحمه
يا مستغاثي مالي عنك تحذير

ومن الذين اقتفوا أثر ابن حجة نظام الدين ابن معصوم .. ابن مسعود الحسيني م سنة بذكر ١١١٩ هـ فله بديعية مطلعها :

حسن ابتدائي بذكرى جيرة الحرم
له براعة شوق يستهل دمي

ثم شرحها تحت اسم « أنوار الربيع في أنواع البديع » .

ثم كتب عبد الغنى بن اسماعيل النابلسي بديعيتين سمى احداهما : طيب البديع في مدح الشفيع وسمى الأخرى نسمات الأسحار في مدح النبي المختار . وكتاهما في مائة وخمسين بيتا ذكر فيها مثل عددها من المحسنات . وأكثرها متكلف ممجوج .

وقد شرحت الثانية تحت عنوان : نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار . وقد حمل في شرحه هذا على ابن حجة الحموي حملات قاسية .

وكتب أبو الوفا بن عمر العرضي الشافعي بديعية سماها « الطراز البديع في امتداح الشفيع ومطلعها :

براعتي في ابتدا مدحي بذي سلم
قد استهلت لدمع فاض كالعلم

وهناك بديعية لقاسم بن محمد البكره جي م سنة ١١٦٩ هـ بحلب . واسمها « حلة الربيع في مدح النبي الشفيع » وشرحها تحت عنوان « حلية العقد البديع في مدح النبي الشفيع » وصرح بأنه راغب أن يعارض بها بديعية ابن حجة الحموي . ثم تحدث عن البديع والبديعيات .

والاتجاه غير المرغوب فيه نحو البديعيات شجع النصارى على الدخول في هذا الميدان المتكلف . فكتب القسيس نيقولاوس بن الصائغ الكاثوليكي المولود بحلب المتوفى سنة ١١٧٠ هـ بديعية في مدح عيسى والرسل عليهم السلام ومطلعها :

بديع حسن امتداحي رسل ربهم
براعة في امتداحي حمد ربهم

بديعيات عصري المماليك والاتراك في ميزان البلاغة والنقد

وهناك بديعية للقاضي عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن الحسين الخزرجي ومطلعها :

براعـــة راق منها مطلع الكلم
حسن افتتاحي بها في عرب ذي سلم

ولابن يوسف العلوي بديعية مطلعها :

سل ما بسلمى وسل مارية السـلم
وخص طيبة ماوى الطيب والكرم

ومن بديعيات النصارى . ثلاث بديعيـات للقسيس أرسانيوس الفاخوري المتوفى بلبنان سنة ١٣٠١ هـ يمدح فيها عيسى والرسل عليهم السلام . ومطلع الاولى :

براعـة المـدح في نجم ضياه سـمى
تهـدى بمطلعها من عـن سناه عمى

ومطلع الثانية :

نحى حي الجليـل الجامـع العظـم
وبيت لحـم وآلا قد سـمت بهـم

ومطلع الثالثة :

انى لأحكام القضـاء مسـلم
ولســان حالي بالهـوى متكلم

كما كتب العلامة عبد الهادي بن رضــوان نجا الأبياري بديعية طبعت سنة ١٢٨٩هـ وتوفي سنة ١٣٠٥ هـ وكتب السيد عبد القــادر الحسيني الأدهمي الطرابلسي بديعية بعنوان « ترجمان الضمير في مدح الهادي البشير » .

وهناك بديعيات أخرى معظمها يغلب عليـه الاسفاف والتكلف والعبث بالألفـاظ .

وهذه البديعيات قد شغلت علماء المسلمين منذ القرن الثامن الى منتصف القرن الرابـع عشر الهجريين وهام الناس بها غــراما . وتساجلوا فيها أزمانا .

مع أنها للاسف الشديد ضعيفة القيمة علما وفنا . فقد أوقعت في الاذهان أن فنون البديع مضطربة لاتنتهي عند حد . ويشهد لهذا ماكتبه القاضي محمد بن علي الشوكاني وســماه : « الروض الوسيع في الدليل المنيع على عـدم انحصار البديع » .

وهذا نزول بعلم البديع الى مجـال هزلي مضحك عابث ــ لدرجة أن بعضهم اوصلها الى سبعمائة محسن ولو عـرف ابن المعتز والسكاكي . أن المحسـنات البديعية الرائعة ستنتهي الى هذا الوضع المزري لكفا عن التصنيف . والحمد لله تعالى على أن ماتت هذه الفنون الميتـة واتجه الأدباء الى جودة المعاني وحسن تاليفها . مع المحافظة على روح البديع العربي الأصيل . المأخوذ من اسـتقراء كلام العرب ومن روائع البـدائع في النظم القرآني المعجز والحديث النبوي الشريف والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

دكتور علي البدري

ثمرة الإنفاق في سبيل الله

في التشريع الإسلامي

ثمرة الإنفاق

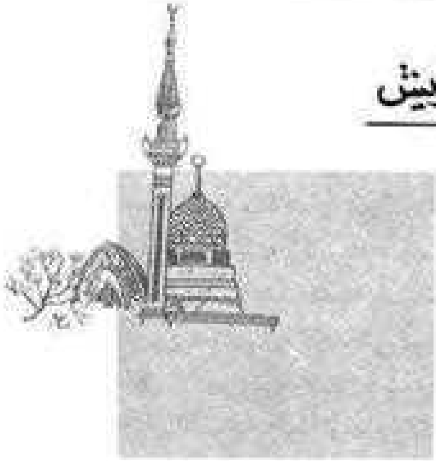
فى سبيل الله

بين الله سبحانه وتعالى فى كثير من آياته الكريمة التى تدعوا المؤمنين الى الانفاق فى سبيل الله وانهم اذا انفقوا فى سبيل الله فان الله تعالى يضاعف لهم من اجر اضعافا مضاعفة الى سبعمائة ضعف كما نهاهم عن ان يتبعوا صدقاتهم بالمن على من انفقوا عليهم او ايذائهم بان يسيئوا اليهم باى نوع من انواع الاساءة فقد قال الله تعالى « وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ، فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ، كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » . كما يبين لهم ان المن والاذى يبطل الصدقة كما تبطلها المراءاة .

ان الله تعالى قد امر اهل البر والاحسان الذين ينفقون اموالهم طلبا لمرضاة الله وهم متثبتون من انفسهم ان عملهم خالص لله هؤلاء مثلهم كمثل جنة فى ارض مستوية ، جيدة التربة ، عظيمة الخصب ، ان اصابها مطر غزير آتت ثمرتها مثلى ما كان يعهد منها ، وان اصابها طل ، وهو الندى او المطر الخفيف ، فانه يكفيها فى ان تثمر وتأتى بالخير ، لحسن موقعها ، وجودة تربتها وقوة انباتها .

والوجه فى هذا التمثيل ان هؤلاء المنفقين الصادقين هم كالجنة النامية الجيدة الخصب فكما انها ان اصابها الوابل ضاعفت الثمرة وان خف المطر آتت اكلها على كل حال ، كذلك هؤلاء المخلصون فى صدقاتهم ان وسع الله عليهم اغدقوا الخير ووسعوا وان اصابهم خير قليل انفقوا بما يتسع اليه حالهم وهم فى صفاء نفوسهم واخلاص قلوبهم لا ينضب معينهم ولا يخيب قاصدهم كهذه الجنة اكلها دائم ولا يخشى عليها التلف .

للأستاذ عبد العزيز حسن قريش



وقد ختم الله الآية بقوله « وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » ليذكرنا بأنه يعلم كل أمورنا لا يخفى عليه شيء من أعمالنا وسيجازى كل عامل بما عمل. وفى هذا تحذير أيضا لأهل الرياء الذين يخشون الناس بظواهرهم ، وتحذير لأهل المن والأذى بأن الله بصير بعملهم الذي لا خير فيه .

وقوله تعالى « أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ » ... الى آخر الآية مثل آخر ضربه الله للمرائين وأهل المن والأذى . والاستفهام فى الآية للانكار والاعصار هو الريح العاصفة التي تستدير فوق الارض ثم تنعكس الى السماء حاملة غبارا فتكون كهيئة العمود ، وهى المسماة بالزوبعة . والمراد بالنار : السموم الشديد الحر الذي يحرق النبات والشجر .

والمعنى : أيود الانسان أن تكون له هذه الجنة وهى جنة فى غاية الحسن شجرها الكرم والنخل ، اللذان هما أجمل الشجر وأنفعه وفيها أنهار تجرى من تحتها تزيدها حسنا وله فيها من كل الثمرات وقد لحقته الشيخوخة وطعن فى السن وذريته صغار لا يقدرون على العمل ثم لم يلبث حتى أصابها اعصار فيه سموم محرقة أتت عليها فأحرقتها فصار فى محنة ملأت نفسه غما وهما وحسرة بما ضاع من الثمرة التي لم يكن له ولذريته معاش سواها ، وأصبح فى أشد الحاجة الى النفقة .

والاستفهام الانكارى فى الآية يعطى معنى النفى ، أى لا يوجد عاقل يود أن يكون صاحب هذه الجنة ويصيبه ما أصاب صاحبها من التجرد من منافعها ، فى وقت هو أشد ما يكون حاجة اليها .

والمقصود من هذا المثل بيان حال المرائين وأصحاب المن والأذى والذين قرنوا صدقاتهم بما يبطلها ويذهب بثوابها وذلك أنهم يجيئون فى الآخرة وهم فى أشد الحاجة الى ثواب ما عطوا فلا يجدونه وفى غاية العجز عن اكتساب ما ينفعهم فيصيبهم من الغم والحسرة والحيرة مالا يعلمه الا الله . فمثلهم مثل ذلك الشيخ الكبير الذى احترقت جنته فى حال حاجته اليها وضرورته الى ثمرها ، وضعفه عن عمارتها ، وفى حال صغر أولاده وعجزهم عن احيائها والقيام عليها .

في التشريع الإسلامي
ثمرة الإنفاق في سبيل الله

وبعد أن بين الله للمؤمنين ما ينبغي أن تكون عليه صدقاتهم ، وذلك بأن تكون خالصة لله لا يشوبها من ولا أذى ولا رياء ، وضرب لهم الأمثال ليعتبروا ، أعقب هذا بقوله « لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » أي أن الله تعالى قد بين لكم حقائق الامور وما فيها من خير وشر بالادلة الواضحة البينة وضرب لكم الامثال لتتفكروا في عاقبة أولئك الذين حادوا عن الطريق السوى ، فتضعوا نفقاتكم في مواضعها التي يرضاها الله .

هذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون من الصفات وقت البذل وهي الاخلاص لله في أداء الصدقه ، وأن يتثبتوا من أنفسهم أن عملهم خالص لله .

أما المال المنفق فقد وصفه الله في قوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » . والطيب : هو الجيد الذي تستطيبه النفس والخبيث : هو الردىء الذي تكرهه . وهذا التفسير هو الذي يتفق مع ما نقل عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والجمهور من أئمة التفسير كما في تفسير الطبري والقرطبي . أما ما نقل عن ابن زيد بن أسلم من أن المراد بالطيب الحلال ، وبالخبيث الحرام ، فلا يظهر وجهه ، لانه لا يتفق مع نظم الآية في قوله « وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ » ولا مع ماورد من الآيات الاخرى مثل قوله تعالى « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ » وقوله : « وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ » ، لان المعنى حينئذ : ويحل لهم الحلال ، ويحرم عليهم الحرام ، وهو من تحصيل الحاصل ، ولا يتفق مع ما ذكره المفسرون في سبب نزول الآية ، وهو أن بعض المسلمين كانوا يأتون بصدقتهم من ردىء التمر .

فقد روى أن بعضهم كان يعزل الردىء من التمر ، حتى اذا جاء صاحب الصدقة أعطاه له فيما عليه من الصدقة فنزلت الآية . ومع هذا فالخطاب للمؤمنين ، والاصل في أموال المؤمنين أن تكون حلالا وهم انما خوطبوا بالانفاق مما في أيديهم .

وقد بين الله في الآية صفة المال المبذول في الصدقة ، وهو أن يكون من طيب ما نكسب بعملنا ككسب العمال والتجار والصناع ونحوهم ، ومن طيب ما تخرجه الارض لنا من الزروع والثمار والمعادن والركاز وغير ذلك مما تحويه الارض .

وقد نهانا الله تعالى في الآية عن أن نعمد الى الردىء من أموالنا فنبذله في الصدقة .

أما المال المتوسط بين الجودة والرداءة فالآية لا تمنع من بذله ، ولكن بذل الجيد أفضل ، لأن الصدقة قربة الى الله وخير ما يتقرب به الى الله أجود الاموال وأفضلها هذا اذا كان بعض المال جيدا وبعضه رديئا فقصد الى الردىء فأخرجه في الصدقة وأبقى الجيد لنفسه ، أما اذا كان كل ماله دون الجيد أو كان الحاضر منه كذلك فتصدق منه كان عمله محمودا عند الله تعالى لانه أنفق مما أعطاه

الله من فضله ولم يبخل .

وفي قوله تعالى : « وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ » ، ما يشعر بالتقريع والتوبيخ لمن يتصدقون من رديء أموالهم . أي كيف تعمدون الى الرديء من أموالكم تتصدقون به وأنتم لا ترضون مثله لأنفسكم في معاملاتكم الا اذا أغضيتم النظر عما فيه من العيب تساهلا منكم .

ثم قال تعالى : « وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » ، أي دعوا هذا المال الخبيث الذي لا خير فيه فالله غني عن صدقاتكم وعن غيرها ، وانما دعاكم الى بذل الصدقة من طيب أموالكم ليغني به عائلكم ويقوى به ضعيفكم ، ويجزل لكم به في الآخرة مثوبتكم ، فهي لخيركم ومصلحتكم ، لا من أجل حاجته اليكم وهو المحمود الواجب شكره على ما هداكم اليه من الخير وعلى ما تفضل وأنعم به عليكم .

ولما رغب الله المؤمنين في أن تكون صدقاتهم على الفقراء وفي سبيل الخير العام من خير ما يملكون ونهاهم عن التصدق بالخبيث لفتهم الى ما يعرض للنفوس من الوساوس التي تخيل لها أن الانفاق يفضي الى ضياع المال وسوء الحال ، وأن الخير في امساكه ليكون عدة المستقبل عند الحاجة اليه ، فقال :

« الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » .

والمعنى أن الشيطان يعدكم الفقر ، أي يخوفكم منه ويخيل اليكم ان الانفاق في سبيل الخير يذهب بالمال فلا تجدونه وقت حاجتكم اليه ومع هذا هو يأمركم بالفحشاء وهي

« لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ »

صدق الله العظيم

المعاصي ويغريكم بالانفاق فيها . أو المعنى أنه يخوفكم من الفقر ويأمركم بالفحشاء أي البخل ، أي ويغريكم اغراء الآمر المأمور . والفاحش عند العرب البخيل ، كما في قول طرفة :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي
عقيلة مال الفاحش المتشدد ..

ويقابل وسوسة الشيطان بالخوف من الفقر والاغراء بالبخل وعدا لله لنا بأن الانفاق في سبيل الله ومواساة الفقراء كل بحسب مقدرته وسعة حاله مع الابتعاد عما يذهب بثمرة الصدقة من المن والأذى والرياء سيكون منه الخير العام في الدنيا والآخرة . ففي الآخرة غفران الذنوب وتكفير الخطايا ، وفي الدنيا ما يخلفه الله علينا من فضله وهو واسع الفضل ، يحقق ما وعدنا به ، وهو عليم بما

ثمرة الإنفاق في سبيل الله

تنفق ، يحصيه ويجزى عليه .

وقد جاء في الكتاب الكريم « وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » ، وفي صحيحي البخاري ومسلم « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان ، يقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا » . أي أذهب ماله الى حيث لا خير فيه فالله تعالى وعد المتصدقين بأنه يخلف عليهم ما تصدقوا به ، ولكن ما يخلفه الله ليس ضروريا أن يكون من نوع ما أنفقوا ، بل قد يكون من الامور المعنوية التي يحبها الانسان ويراها خيرا من كثير من المال وذلك كالذكر الحسن الذي يحصل لأهل البر والاحسان بين مواطنيهم ، أو حب الناس لهم ، وتعلق القلوب بهم وكأن يرزقهم الله ذرية نافعة لخير الدين والدنيا ونحو ذلك من الامور المعنوية التي يحبها الناس وليست بمال .

وقد يكون ما يخلفه الله من الامور المادية وذلك بأن يسهل الله للمنفقين طرق الرزق ويبصرهم بالعمل الذي يدر عليهم المال الذي يخلف الله به ما أنفقوا أو يزيد أو يرزقهم بما لا يكون في الحسبان مما ليس لهم فيه كسب كالمال الذي يجيء من طريق الميراث أو الهبات أو الوصايا أو غير ذلك .

ويدخل في عداد البر والاحسان الذي يخلفه الله على المنفقين ، ما ينبغي أن يقوم به أصحاب الشركات وكبار الملاك من البر والاحسان نحو عمالهم الذين يعملون لهم ، بما يدفع حاجة هؤلاء العمال ويصلح شئونهم المعاشية والصحية والاجتماعية لان انفاقهم في هذا السبيل هو من باب الانفاق في الخير العام للامة ، لان العمال جزء منها ، والامة كل يتكون من عدة أجزاء اذا صلحت الامة كلها .

فلينفقوا وليبروا عمالهم ، فانهم ان فعلوا ذلك حق لهم ما وعدهم الله به من فضله عليهم ، والله ذو الفضل العظيم .

وفضل الله عليهم قد يكون من طريق الارشاد والهداية الى أقوم الطرق وأصلحها للانتاج والنجاح في العمل ، وقد يكون من طريق ربط الاسباب الظاهرة بمسبباتها وهو النظام الذي سنه الله في هذه الحياة وذلك لان اصلاح شأن العمال والاحسان اليهم يغبطهم ويحبب اليهم الملاك ، فينشطون الى العمل بنفس قوية رائدها الاخلاص والانسان عبد الاحسان ، فيكثر الانتاج وتزيد الثروة بما لا يقاس معه المال الذي أنفق في سبيل البر والاحسان الى العمال .

وهذا فضل الله الذي يخلف ما أنفقوه والله واسع الفضل ، عظيم الخير .

هذا وعد الله ، وذلك اغواء الشيطان ، الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا .

قوتان تلمان بالنفس عند نزوعها الى عمل الخير : وسوسة الشيطان وهي قوة الشر التي تخوف من الفقر وتأمر بالفحشاء ، والهامات الرحمن وهي قوة الخير التي تدعو الى الانفاق في سبيل الله ، حيث يكون فضل الله ومغفرته .

وفي صحيح الترمذي عن عبد الله بن مسعود

وَمَا أَنفَقْتُم مِن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

صدق الله العظيم

رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان .

ثم قرأ « الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ » واللمة هي الهمة والخطرة التي تقع في القلب ، فما كان منها من خطرات الخير فهو من الالهامات الالهية ، وما كان منها من خطرات الشر فهو من الوساوس الشيطانية .

فيأيها المؤمنون : اذا ألمت بكم قوة الخير فاحمدوا الله عليها ، واذا ألمت بكم قوة الشر فاستعيذوا بالله من الشيطان ، وتحصنوا بحمى الله منه ، واقدموا على فعل الخير ، وعودوا — أنفسكم عليه ، حتى لا تلم بقلوبكم خطرات الشيطان ولا وساوسه وهواجسه .

وأنتم أيها الباخلون : راجعوا أنفسكم ، وحاسبوها ، وانظروا أين تضعون ثقتكم ، أفي وعد الله تعالى أم في وساوس الشيطان ، وأى الامرين تسكن اليه نفوسكم وتطمئن اليه قلوبكم وعد الله لكم بالخير أو ابعاد الشيطان لكم بالشر وقد ظهر الحق ووضح الطريق .

وقد أرشدنا الله تعالى بقوله « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ » الى ان ما يقع في قلوبنا من الوساوس والهواجس الشيطانية والالهامات الالهية ويشتبه الامر فيه علينا ، انما يتميز بالحكمة التى يوفقنا الله للحصول عليها والحكمة هي العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته وهو العلم الذي يكشف حقائق الاشياء ، ويفرق بين الحق والباطل وبين النافع والضار ويميز الالهامات الالهية من الوساوس الشيطانية ، ومن يؤت هذا العلم النافع الذي تجل فائدته فقد أوتى خيرا كثيرا ، «وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ» الذين فتح الله قلوبهم للتقوى ، وأعدهم لقبول الهداية .

« عبد العزيز حسن قريش »

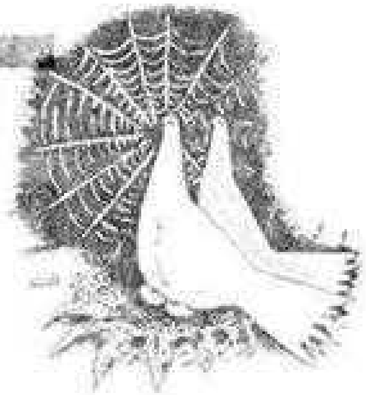
أمين عام جامعة الازهر

من آثار

رؤية جديدة فى الهجرة

ثلاث هجرات

صور مشرفة للمهاجرين



الهجرة بين دلالات ووقائع

البحث عن الأمر

من حضارة الإسلام

الهجـــرة الشريفة

الأولـــين

الألفـــاظ الحـــدث في القـــرآن

من آثار

استتب الأمر لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — بهجرته الى المدينة ، فابتنى عليه الصلاة والسلام . مسجده لتتم فيه معالم الرسالة ، ويسطع منه اشعاعها ، ولقد ساهم — عليه الصلاة والسلام — فى بنائه فكان مسجدا « أسس على التقوى من أول يوم » واجتمع فيه صفوة الله من خلقه الطاهرين المتطهرين ، وعلى رأسهم نبى الله الأمين .

وبالهجرة انفصل المسلمون عن أذى المشركين .

وما تمت الهجرة حتى اتضحت تماما معالم العقيدة ، وظهرت جلية لايختلط أمرها على مسلم بله غيره وبالهجرة زال الأمن عن قريش وأوجسوا من المسلمين خيفة ، فقد زال العهد الذى غرتهم فيه أنفسهم بأنهم يستطيعون أن يفعلوا ما شاءوا بالمسلمين : أحرارا كانوا أم عبيدا .

وبالهجرة اهتزت قيمة القرشيين المشركين فى قلوب العرب ، فقد أصبحوا ، ولأول مرة، خصوما لقرشيين مسلمين ، فضاعت من الأولين المكانة المرموقة التى كانت لهم .

لقد أمدت الهجرة المسلمين بكل شىء :

منحتهم الأمن ، والاستقرار ، وأبرزت الى الوجود التطبيق التشريعى للاسلام ، وأتاحت لهم التزود بالقوة من مختلف مصادرها ، وأعانت أفراد المهاجرين على ممارسة أعمالهم وشيئا فشيئا صاروا قوة مرهوبة فى الداخل والخارج : داخل المدينة بين المنافقين ، وخارجها بين العرب أجمعين .

وأفقدت الهجرة المكيين كل شىء :

فما عادوا مطمئنين على سفر ولا على تجارة ، وأصبح استمدادهم قوة من غيرهم محفوفا بالحذر ، بل مضطربا متورطا بالمؤامرات .

لقد قلبت الهجرة الموازين لتحتفظ بالرجحان للمسلمين .

وامتد الاصلاح داخل المجتمع المدينى ، وفى المقدمة من ذلك — بعد ارساء العقيدة — اصلاح الأسرة فبطل أسلوب الطلاق اللانهائى وانتهى عضل المرأة ، وحرم أن تكون ميراثا ، ورسا حقها المالى وحصن عفافها ، وبر أبناؤها ، وعرف كل ذى حق حقه .

وبرز الاقتصاد الاسلامى ، فقامت سوق اسلامية خاصة ، وهى ، وان كانت من الأسباب التى أشعلت حقد اليهود ، الا أنها كان الميدان الحر للسوق المالية الاسلامية ، حيث : لا غش ولا ربا ، ولا غرر .

وسعى الرسول — صلى الله عليه وسلم

الهجرة

للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات

ـ الى تحقيق كل أمر من شـــأنه أن يزود المسلمين بالقوة ، ولقد كانت مبادرة قـريش بحرب بدر خسارة جسيمة اذ ظنت أنها يمكن أن تبادر بالقضاء على القوة فى ابان نمائها ، فكانت النتيجة ضربة ساحقة أطاحت برءوسهم وعندما أعادوا الكرة فى « أحد » لم يستطيعوا أن ينالوا من « المدينة » أو يرجعـــوا بنصر يحقق لهم هدفا واحدا من أهدافهم •

وتأتى نتائج تلك المواقف متتابعـــــة فى « الحديبية » حيث تسـلم قريش بقـوة « محمد » صلى الله عليه وسلم ، وتعتـرف بالكيان الاسلامى « دولة » لها أن تمد يـدها الى من تشاء بعهد أو حماية ، أو ماتريد •

لقد كان « الداخل » من هذا المجتمـــع المسلم على أروع قوة :

فأفراده متحابون ، بل متآخون •

وقوته ليـــست مستبدة بل مجتمعـــة متراصة حتى حملاتها الحربية لم تكلف تـلك الدولة الناشئة عبئا ماليا ، اذ كان أولئــك الأفراد يجودون لله بما يملكون ، واثقين بما عند الله الذى لايخلف الميعاد •

فالبيت ، والشارع ، والمسجد ، والدولة•• فى ترابط محكم ، واخلاص متين •

ونظرة الى « داخل » المجتمع المكى تسجل العكس :

لقد اختلف الأفراد ، فمنهم من بقى عـلى وثنيته ، ومنهم من تسلل الى رسول اللـــه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلن اسـلامه ، ومنهم من أخفى اسلامه ، وأقام بمكة عينـا للمسلمين •

لقد كان من العسير على هذا المجتمـع أن يكون على حب أو تآخ بله قوة تواجـــه المسلمين وانتثر منهم ـ شيئا فشـــيئا ـ أبطالهم ، فأسلم خالد بن الوليد رضى اللـه عنه ، وأسلم عمرو بن العاص كان يبدو جليا أن المكيين يفقدون كل يوم شيئا •• حتى باتوا ـ يوما ـ لايملكون شـــيئا فلما طوقهم المسلمون كانوا صفرا لايرفع رأسا ، وكانوا ـ من المسلمين ـ هدفا لحكمهم ولقـــد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهـم رءوفا رحيما حيث قال :

اذهبوا فأنتم الطلقاء •

رؤية جديدة

إنها التربية على منهج الإسلام

حول مفهوم الهجرة :

*** تدل كلمة الهجرة ، فيما تدل — على التحول والانتقال ، من مكان الى مكان ، ومن حال الى حال .. كما تدل على ترك الشيء والانصراف عنه الى غيره .. سواء أكان خيرا من سابقه ، أو مثله ، أو دونه .. وغالبا ماتكون الهجرات الى الاصلح أو الاحسن ، وخاصة في هجرة الانسان الذى يسمى بهجرته الى وقاية نفسه وصيانتها مما يضرها ، واستكمال ما ينقصها .**

* وليس من شك في أن انتقال المهاجرين الى الأحسن — انما هو عند ذوى الرأى والبصر والحكمة — هو المستحسن .. وان ترك النقائص والمذمومات ، الى المحامد والكمالات — هو النقلة المحمودة ، والهجرة المشكورة ، فهى التى تحسن عاقبتها ، وتكثر في مجالات النفع ثمراتها ..

*** والأحرار دائما ، لايقبلون الضيم ولا يرضونه ، ولا يستكينون له ، ولا يقيمون** عليه ، ولا يخضعون للذل والمهانة ، وأمامهم فرص العزة والكرامة ، فأرض الله واسعة وصدق الله العظيم : « **أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا** » ؟ .

وانى ليعجبنى في هذا المقام قول القائل

ولا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ به

الا الأذلان : عَيْرُ الحيِّ وَالْوَتِدُ

هذا على الخَسْفِ مربوطٌ برُمَّتِهِ

وَذَا يُشَجُّ فلا يرثى له أَحَدُ

وقول من قال :

اذا نَكِرَتْنِي بلدةٌ او نَكِرْتُهَا

خرجتُ مع البازى علىَّ سوادُ

خير الهجرات :

* وقد وقعت هجرات كثيرة في التاريخ .. ليس هنا مكان سردها ..!

لكن خير الهجرات ، على الاطلاق — هى هجرة المسلمين الأوائل .. الذين شرح الله صدورهم للاسلام ، فأسلموا على يدى خير الأنام ، سيدنا محمد ، عليه الصلاة والسلام

الهجرة الشريفة

للأستاذ عبد الحميد الفضالى
المدير السابق
لمعاهد المعلمين

.. فقد كان اسلامهم أساس البناء فى تشييد صرح الاسلام ، وتحرير الانسان ، ونشر العدل ، واعلاء كلمة الحق !..

* أولئك الذين أسلموا من أهل مكة ، ممن كانوا مشركين .. وأولئك الذين أسلموا من أهل المدينة ، من الأوس والخزرج ، فى مبايعتهم لرسول الله ولقائهم به .. ثم عادوا بعد اسلامهم الى المدينة فى صحبة النقباء .. وكانوا هم واخوانهم فى مكة ، من يوم اسلامهم — مهاجرين الى الله ورسوله ، ملتزمين بمنهج الاسلام ، الداعى الى الأمن والأمان ، والخير والاطمئنان ، ومتمسكين بكل ما يرشدهم اليه ، ويدلهم عليه ، ويعرفهم به — سيدنا رسول الله ، المبعوث رحمة للعالمين .

* وبقى الرسول صلى الله عليه وسلم — مقيما فى (أم القرى) ثلاثة عشر عاما ، بعد بعثته الشريفة — معلما ومربيا وهاديا ، لهؤلاء الذين أسلموا ، وداعيا الى غيرهم ممن لم يسلموا — يعطيهم من نفسه الصافية الشريفة كامل عنايته ، ويمنحهم من روحه الطاهرة المضيئة تمام رعايته ، على هدى من الكتاب والحكمة .. أما المقيمون معه فى مكة المكرمة فكان عطاؤه الكريم لهم عطاء مباشرا .. وأما المقيمون خارج مكة ، فى المدينة المنورة ، فكان العطاء الشريف يصلهم بما يرشدهم اليه ويدلهم عليه ، عن طريق من يختارهم الرسول لتبليغهم ، مع التوصية بالأداء والوفاء بما يرضى الله ورسوله .. وقد كانوا جميعا ، بحسن اسلامهم ، وصدق حبهم لله ولرسوله — مطيعين أوفياء .. « ان المحب لمن يحب مطيع » .

* وقد كان صلى الله عليه وسلم ، فى هذه الفترة المكية ، التى عاشها مع المسلمين ، فى حجرة التربية على منهج الاسلام — يركز على تربية العقيدة ، وترسيخ مدلولها ، وتثبيت مفهومها ، فى نفوس المؤمنين بها .. كما كان

رؤية جديدة فى الهجرة الشريفة

حريصا على أن يتحلى المسلمون بمكارم الاخلاق ، حتى فى تعاملهم مع غير المسلمين من أعدائهم الضالين المضلين — فكل اناء بالذى فيه ينضح .. وكان صلى الله عليه وسلم للمسلمين — خير قدوة فى أقواله وأفعاله ، وعباداته ومعاملاته وصلواته .. فتنافسوا فى اقتدائهم به ومحاكاتهم له ، وسارعوا الى طاعته فى أمره ونهيه وارشاده الى ما فيه خيرهم واسعادهم ، فهو رسول الخير والاسعاد ، وهو رحمة الله للعالمين . والقدوة الصالحة — لها دائما آثارها الطيبة فى مجالات التربية والتعليم .

الى حيث يعيش الانصار

* * فلما استكمل المسلمون هجرتهم التربوية الضرورية ، فى هذه الفترة المكية ، على المنهج القويم ، الذى شاءه الله لتربية المسلمين .. وسرى النور الربانى فى عروقهم ودمائهم ، وتأصلت فى كيانهم أساسيات بنائهم الروحى والنفسى والعقلى والبدنى والسلوكى والدينى بوجه عام .. وصاروا أهلا للجهاد والمجاهدة ، والصبر والمصابرة ، واحتمال مالا يقدر على احتماله الا عظماء الرجال ، وخلاصة الأبطال .. لما صاروا كذلك — أذن الله لرسوله وللمؤمنين معه ، بهجرة الانتقال الى يثرب .. بعد ثلاثة عشر عاما فى مكة ، فى مدرسة الهداية الربانية الاسلامية .. لما تم ذلك الذى أراده الله لهم — كان الاذن بالارتحال الى حيث يعيش الانصار ، بالمدينة المنورة ، ليجتمع شمل المؤمنين فى مكان واحد ينتظم جمعهم ، ويوحد بينهم ، ويحقق الاخاء الأسمى بين المهاجرين والأنصار .. ذلك الاخاء الكريم العظيم الذى لم يعرف التاريخ له مثيلا ، فى الروعة والكمال والحب والايثار .. وما كان ليحدث مثل هذا الاخاء ، فى جلاله وكماله — لولا ما سبقه من التربية الكاملة الصادقة الرائعة ، على خير منهج أخرج للناس ، كتاب الله للمسلمين ، القرآن الكريم ، ومعه هدى رسوله الأمين .. تلك التربية التى أشرقت من خلالها الأضواء المحمدية الكاشفة الهادية الى مسالك الخير .. والحاملة فى طياتها عوامل قوة الاسلام والمسلمين ، فى هداية الخلق ، ونشر كلمة الحق ، واعلا كلمة الله ..!!

* وليس من يجحد أن هجرة الرسول ، ومعه صاحبه الصديق الى المدينة — كان لها هى الأخرى فضلها العظيم ، على الاسلام والمسلمين .. وكانت مع ما صاحبها ، من مؤامرات المشركين ، لقتل الرسول ، ووأد الرسالة — مليئة بالكثير من العطاء الربانى ، والمدد الالهى .. ومليئة بالكثير من العظات والاعتبار ، ومن حسن التدبير ، وسلامة التفكير ، ودقة التخطيط ، والبراعة فى تصريف الأمور ، والروعة فى اختيار الوقت المناسب ، والمكان المناسب ، والطريق المناسب .. الى غير ذلك من التمويه على أعداء الحق ، فى التحرك والسير والاختباء ، وفى حسنات الاختيار لكل من عاون بنفسه ورأيه وفكره ،

فى انجاح الرحلة المباركة الميمونة .. وهى لاشك أمور كثيرة مليئة بالدروس التى تحتذى وينتفع بها ، ويفاد منها ، لتنبيه المسلمين وايقاظهم ، فى كل زمان ومكان ، لما يراد بهم من كيد وايذاء ، ولما يخطط للنيل منهم والاضرار بهم ، من خسيس المؤامرات .. وذلك لاحباطها ، والنجاة منها ومن شرورها .. وان لهم فيما صنعه الرسول وصحابته الكرام — قدوة حسنة ، وتربية قيمة ، فيما ينبغى أن يكونوا عليه ، من حرص واحتراس وكتمان ، واعداد مناسب لكل أمر هام .. فليس يأتى الضرر للمسلمين ، الا من وراء سوء تربيتهم وبعدهم عن منهج الاسلام .. علاوة على مايصيبهم من جراء الفساد والغفلة والانصراف عن أداء الواجبات المفروضة عليهم — الى ما هم عليه ، من انغماس فى الشهوات ، وارتكاس فى المحرمات ، وابتعاد عن العمل بكتاب الله وهدى رسوله الله ، والى ماهم فيه من تخلف وتفرق وتمزق وضعف وضياع .. فاستحقوا بانحرافهم وظلمهم لأنفسهم ولغيرهم — غضب الله ، وما ظلمهم الله ، لأن الله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون .. وليس أبغض الى الله من الظلم ، ولذا فان الله تبارك وتعالى ، رتب عليه خراب الديار والبلدان .. فى قوله سبحانه : « **فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا** » وقوله : « **وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا** » نعوذ بالله أن نكون من الظالمين ..!!

* ولكن مع الاعتراف بما لهجرة الانتقال الى يثرب من خير عميم وفضل عظيم ، وهدى قويم ، ودروس لا يستهان بها فى دنيا الناس والحياة قديمها وحديثها — فستبقى هجرة التربية الاسلامية على منهج الاسلام ، فى الفترة المكية — هى الأساس السليم ، للبناء المستقيم ، والكيان القويم .. وستبقى غاية الغايات ، فى شريف الهجرات .. فالتربية الاسلامية ، على منهج الله — هى التربية الراشدة الواجبة للحياة السعيدة الفاضلة ، لأنها قائمة على ما اختاره الله لعبادة فى تربيتهم ، وهو منهج ينظم أمور الدين والدنيا معا .. وهو الكفيل بتقويتهم فى شتى مناحى القوة التى تجلب لهم العزة والمنعة والسيادة والقيادة ، وتجعلهم خليقين بالانتساب الى اسلامهم العظيم ، الذى هو سلام وأمن وخير ورحمة للناس أجمعين .

هذا ، والتربية الاسلامية ، فى الفترة المكية ستظل هى اللبنة الأولى فى الدعوة الى الحق ، والركيزة الى هداية الخلق .. فهى لب الرسالة وروح الهداية الى معرفة الله وعبادته وحده لا شريك له .. والتى بعث من اجلها محمد رسول الله بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .. وهى التى ينبغى أن يحرص عليها المسلمون ، مادامت على الارض حياة ، فلن يصلح المسلمون فى حاضرهم ومستقبلهم ، الا بما صلح به أولهم .. تربية صالحة قائمة على هدى الكتاب

والسنة .. وعودة الى الحق بعد ما تبين ، والى صراط مستقيم ــ صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ، الا الى الله تصير الأمور ..!!

وبذلك يتحول المسلمون بهجرتهم التربوية الى الله ورسوله ــ الى أحسن حال ، ويصيرون كما كان أسلافهم الأولون ــ فى خير ورضوان ، وفى عزة ومنعة ومجد وسلطان !.

ومن هنا يتضح البيان :

* فالهجرة الشريفة فى حقيقتها وأصالتها ــ ترك لما يغضب الله ورسوله ، من كل مانهى الاسلام عنه ، وحذر منه ، وأنذر بسوء عاقبته .. وهى استجابة مخلصة لدعوة الحق والحرية والعدل ، وطاعة صادقة لما يرضى الله ورسوله، ورحمة شاملة لخلق الله ، كما فعل أسلافنا الأولون من قبلنا ، فكانوا زينة الحياة .

ومفخرة الدنيا .. وكان لهم عند الله الجزاء الأوفى .. « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ».

وحسبنا هنا قول الرسول عليه السلام ، لأم أنس (رضى الله عنها) ، فى وصيته لها : « اهجرى المعاصى فانها أفضل الهجرة ، وحافظى على الفرائض ، فانها أفضل الجهاد ، وأكثرى من ذكر الله ، فانك لاتأتين الله بشىء أحب اليه من كثرة ذكره » .

* ومن هنا كانت الفترة التى عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى (أم القرى) ، كما سبقت الاشارة اليها ــ فترة تربية لهم ، وتزكية لنفوسهم ، وتطهير لقلوبهم ، واصلاح لأحوالهم ، وتعريف بربهم وتثبيت لاعتقادهم ، وتدريب لهم على الطاعة الفائقة ، فى امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه وهجران معاصية ، والتجرد من الفواحش ماظهر منها وما بطن ، والتفهم الصحيح لمعنى وحدانية الله ، وتعميق مفهومها الصادق فى أعماق القلوب ، لتفيض عليهم سلوكا حسنا ، وتطبيقا سليما ، وعملا طيبا ، ومعاملة كريمة

تليق بهذا المفهوم العميق لوحدانية الله ، فلا يشركون معه شيئا فى عبادته ، والاستعانة بقوته ، والعياذ بقدرته ، واللياذ بربوبيته ، والتسليم لمشيئته .. ولايتخذون من دون الله أربابا يقولون فيهم ما قاله الجاهلون من قبلهم: « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ » ، فالله وحده هو الرب ، والله وحده هو الاله المعبود بحق ، والله وحده هو مالك الملك ذو الجلال والاكرام ، والله وحده هو الخلاق الرزاق ذو القوة المتين ، والله وحده ، و المعز المذل السميع البصير ، وهو الفعال لما يريد ، وهو الحكيم العليم ، والله وحده هو الحى القيوم الذى لايموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم وهو الحكم العدل اللطيف الخبير ، وهو وحده الذى يحيى ويميت ، وهو على كل شىء قدير ، وهو وحده الغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ، وهو وحده المسئول لقضاء

الحوائج ، وهو الذى يخاطب رسوله بقـولـه :
« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » •• فلا وساطة لأحد بين "اه وعبـــاده ، وليس بين المؤمن وبين الله حجاب •• ولا كهانة فى الاسلام ••!!

وتلك خطوات تربوية هامة لابد منها عـلى طريق الهجرة الى الله ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن لـه كفوا أحد ••!!

* وقد تبدت هذه المعانى العميقة الفاضلة فى أعمال المؤمنين ومعاملاتهم ، وفى سلوكهـم وعباداتهم لربهم ، كما تجلت واضـــحة فى صلواتهم التى فرضها الله عليهم خمس مرات فى اليوم •• وكانت فرضيتها مبكرة فى مكة ، فى ليلة الاسراء والمعراج ، لتسمو بها أرواح المؤمنين الى الملأ الأعلى ولتكون الصلة الدائمة بين الله ، وبين عباده المؤمنين به الها واحـد لا شريك له •• وستبقى الصلاة الى ما شاء الله رباطا وثيقا ، لا تنفصم عراه ، مادامت الحياة، وما دام الناس على قيد الحياة ـــ صلة باللــه خالق الموت والحياة ، ليبلو عباده أيهم أحسن عملا ، وأكثر ذكرا ، وأشد قربا ، وأصفى نفسا وأخلص نية ، وأصدق تسليما ••!!

لقد كانت الصلاة ، ومازالـــ زادا ضروريا لا غنى عنه ، للذين يقدرون الله حق قدرة •• وقد كان هؤلاء الذين تعهدهم رسول اللـــه وأولاهم كامل رعايته ، من صحابته ، فى مكة و المدينة ـــ صادقين فى صلتهم بربهـــم ، خاشعين مخبتين موحدين ، على ضوء ما أنزل الله ، ومابينه رسول الله •• فكان أثر صلاتهم عظيما ، فى تبديد ظلماتهم ، وتنوير أفئدتهم ، وفى صلاح أمورهم ، وتقـــوى قلوبهم ، ولانتهائهم بحق عن الفحشاء والمنكر والبغى •• وصدق الله « إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ » ••!!

* وقد سبق أن أشرت الى أن المسلمين فى مكة كانوا فى هجرة الى الله ، من قبـــل أن يهاجروا الى المدينة ، وينتقلوا اليها •• وكذلك كان المسلمون المعاصرون لهم فى يثرب ، من الأوس والخزرج ـــ كانوا هم الآخـرون فى هجرة الى الله من قبل أن يهاجر اليهم اخوانهم من (أم القرى) •• فقد عاهدوا الله ورسوله فى بيعتهم على الالتزام بتعاليم الاسلام ، وبما بايعوا عليه رسول الله ، فى حديثه الشريـف الذى رواه الصحابى الجليل عبادة بن الصامت (أحد النقباء الاثنى عشر الذين بايعوا الرسول ليلة العقبة بمنى) ، فقد جاء فى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : « بايعونى عـلى أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا فى معروف •• » فبايعوه على ذلك وكانوا صادقين أوفياء فى تنفيذ مادعت اليه المبايعة •• (رضى اللـه عنهم وأرضاهم) •• !!

رؤيـة جديدة في الهجرة الشريفة

❋ وإن ذلك الحديث الشريف ، ليدل فيما يدل ، على أن من مستلزمات التربية السليمة الراشدة ، ومن ضروريات الإصلاح المنشود ــ العمل الجاد المخلص ، للقضاء على عوامل الفساد والإفساد في الأفراد والجماعات ، وبخاصة أمثال هذه الموبقات التي جاء بها الحديث .. مع العناية في نفس الوقت بغرس عقيدة التوحيد ، وتصحيح مفهومها ، وتثبيت مدلولها في القلوب والعقول ، حتى تتجلى بصورتها الرائعة في العبادات والصلوات والمعاملات ــ كما أشرنا الى ذلك من قبل ..!

❋ وليس أدل على أهمية هذه الأمور ، وعظيم خطرها ، وضرورة تطهير المجتمعات الاسلامية من أدرانها وأقذارها ــ من مجيء القرآن العظيم بها ، في الآية الثانية عشرة ، من سورة الممتحنة ، تأكيدا لورودها في الحديث الشريف ، ولكمال العناية بذكرها مرتين ؛ (في القرآن والسنة) ؛ حتى لايستهان ، بشرورها وأضرارها المدمرة والمنذرة بسوء الخاتمة .. تقول الآية الكريمة مخاطبة نبي الاسلام : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا يَسْرِقْنَ ، وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » .!

❋ ولانكاد نجد فرقا بين حديث البيعة وآية البيعة ، الا أن الآية جاءت خاصة في مبايعة النساء المؤمنات .. وأن الحديث الشريف كان خاصا بمبايعة المؤمنين من الرجال .. وهذا يدل فيما يدل على أن تطهير المجتمع الاسلامي بعنصريه ، من الرجال والنساء من جميع المنكرات والموبقات ــ أمر ضروري واجب التنفيذ والأداء ، وينبغي أن يكون في طليعة كل اصلاح منشود ، وفي مقدمة كل خير مراد .. حتى يقوم البناء الاسلامي العظيم كما قام من قبل ــ على أسس متكاملة في بناء الفرد والمجتمع .. ليكون شامخا راسخا مشرقا وضاء ، ينير جنبات الدنيا ، وينشر الخير في أنحائها للناس أجمعين ..!!

وبغير هذا لا يقوم بناء ، ولا يتحقق اصلاح ولا يكون في دنيا الناس خير ولانجاح ولافلاح ..!!

❋ وإن أية أمة تشيع فيها الفاحشة ، وتحيا فيها الرذائل وتموت الفضائل ، وتنتشر بين ربوعها وفي أنحائها عوامل الفساد والافساد ، والتخريب والهدم ، ومظاهر الخلاعة والاستهتار والمجون ــ مصيرها حتما الى الهلاك والدمار .. « فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا » ، « وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا » ..!!

ولن يبلغ البنيان يوما تمامه
اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

أمور ، وردود :

❋❋ ثم أحب ، استكمالا لموضوع الهجرة الشريفة بوجه عام ــ أن أقول :

ان قول القائلين بأن هجرة المسلمين من مكة الى المدينة ــ كانت خوفا من المشركين ، وهروبا من بطشهم ، وفرارا بدينهم ــ قول باطل لا يستند الى دليل ، ولهذا لا ترتاح اليه نفسي ، ولا أكاد أسيغه ، لأن المؤمن الحق ــ قوى بقوة الله ، مطمئن الى معية الله وعونه حيثما كان ، واثق من تأييد الله له بنصره وحفظه ، مقتدر على احتمال أذى المشركين وتعذيبهم مهما كان ، راغب في أن يقوم صبره واحتماله ــ دليلا على صدق ايمانه .. ومن كان كذلك لايخاف بأسا ولارهقا ، ولايخشى أحدا الا الله وحده لاشريك له ، فهو مؤمن صادق الايمان ، وانه ليرتقب دائما نصر الله

ونصر الله صنعه ، وهو آت لا ريب فيه .. « إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ » .

✽ ثم انه لاخوف على الدين ، فالله حافظه « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » ، «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ » « وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » ، « فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » ..!!

ولاخوف من المشركين ، فالله خاذلهم ، « وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » ، فكيف يخاف المؤمنون من المشركين ؟! وكيف يهربون من بطشهم ، أو يفرون بدينهم ، وهو محفوظ من الله ، ومستقر في قلوبهم ، وممتزج بلحومهم ودمائهم ، لايكاد يفارقهم طرفة عين ، حتى وهم يقومون بأعمالهم لاكتساب ارزاقهم ، في أمور الدنيا ، مخلصين في القيام بها اخلاصهم في عبادة الله ، فالله يحب من

المؤمنين اذا عملوا عملا أن يتقنوه .. وهم مستجيبون دائما لما يحبه الله منهم ، حتى يلاقوا ربهم وهو راض عنهم ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ..!!

✽ وانه لولا عدم الاذن بمقاومة المشركين ومقابلة سيئاتهم بمثلها ــ لولا ذلك لاستطاع المؤمنون في سهولة ويسر قبيل أن يهاجروا الى المدينة ــ أن يفعلوا الكثير من ضروب المقاومة والانتقام من أعدائهم المشركين المعتدين .. لكن الله سبحانه لم يرد ذلك منهم ، ولم يأذن به ، وهم مايزالون في استكمال دراساتهم ، وفي دور تربيتهم واعدادهم وتكوينهم وبنائهم وتقويتهم على مجاهدة أنفسهم والانتصار على شهواتهم ، والتطهر من منكراتهم ، والتسليم المطلق لربهم ، في كل ما يأمر به أو ينهى عنه .. ولو أذن الله قبيل هجرتهم بالرد على العدوان ــ لاستطاعوا أن يرهبوا المشركين ، وأن يقضوا مضاجعهم ، وأن يردوا على قتالهم بقتال ، ولو على طريق الارهاب والفداء ..!! لكنها رسالة الايمان والاصلاح وبناء المصلحين من المؤمنين ..!

✽ ثم انه لحكم كثيرة ــ يعلمها الله ــ قد شاءت ارادته سبحانه الا يأذن للمؤمنين برد

رؤيــة جــديدة فى الهجـرة الشـريفة

العدوان بمثله قبيل أن يهاجروا الى المدينة ..
قد يكون منها أن يتجنب المسلم قتل أخيه ، أو
قتل أمه ، أو قتل أبيه .. فلم يكـن بيت من
بيوت الشرك ــ قبيل الهجرة ــ الا وفيه مسلم
أو مسلمة أو مسلمون يوحدون الله ، ويخفون
اسلامهم ، لظروف خاصة ، ولم تكن ظروفهم
أيامها لتسمح لهم باعلان اسلامهم .. فـلو
قتلهم المسلمون الذين يقوم على تربيتهم سيدنا
رسول الله ، لشاع بين الناس بالباطــل أن

الاسلام يأذن للمسلم بقتل أقرب الناس اليه،
وتكون فتنة ، وينفر ضـــعاف الايمان من
الاسلام الذى هو فى حقيقته دين الســماحة
والسلام والأمن والأمان ، للمؤمنين وغــير
المؤمنين على سواء .. فهو الدين الذى يأمــر
الابن بالاحسان الى أمه وأبيــه حتى ولو كانا
مشركين .. «**وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**» . !

❋ ومن هنا يحق لنا أن نقـــول واثقين
ومطمئنين : ان المسلمين المهاجرين ، لم يهاجروا
من مكة الى المدينة خوفا وهــروبا ونجاة
بأنفسهم وفرارا بدينهم ، لأن المسلمين كانوا
فى واقعهم الايمانى ــ عنوانا على الشجاعة
والبسالة وقوة الارادة ، وعلى الثبات والصبر
والاحتمال ، وعلى ضبط النفس الأمارة بالسوء
وعلى مقابلة الاساءة بالاحسان ، امتثالا لما
يريده الله منهم ، واستعدادا لمونته لهم ورضاه
عنهم .. وكانت لديهم من طاقاتهم الايمانية
ــ شحنات قوية ، لوتفجرت لدمرت ، ولمحت
من الوجود كله ديار الشرك والمشركين .

واذن فلم يكن المؤمنون المهاجرون جبناء ،
ولا خوارى العزائم ، ولاضـــعاف النفوس ،
عند مقابلة الأحداث ، وفى مواجهة أعداء الله.

فهذا عمر بن الخطاب ، يهاجر عـــلانية ،
ويتحدى جموع المشركين بصلاته فى الكعبة ..
ويقول فى مواجهة صناديد الشرك ، وقد صر
بهم شاهرا سيفه ، مدججا بسلاحه : من أراد
أن تثكله أمه ، أو ييتم ولده ، أو ترمل زوجه
فليلقنى وراء هذا الوادى ..!

وهذا عبد الله بن مسعود ، على صغر حجمه
وضعف بدنه ، يتحدى المشركين ، ويرفع صوته
بقراءة القرآن فى الكعبة ، غير مبال بالمشركين
ولا خائف من أذاهم ، بشجاعته النفسية ، وقوته
الايمانية ..!!

❋ ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ــ كان للمسلمين جميعا القدوة الحسنة ، فى
الصبر والعفو والتسامح والاحتمال .. مهما
اشتد به أذى المشركين .. لأن الله أراد منــه
ذلك لحكم كثيرة تقتضيها تربية الله لرسولــه

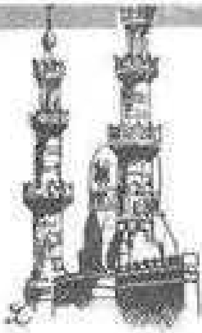
وصنعه على عينه ، وأنه لايتصرف من تلقاء نفسه ، وانما يتصرف على وفق مايريده الله منه ، ويأذن به .. !!

انه صلى الله عليه وسلم ، لما أوذى من سفهاء الطائف بسبة وشتمة ورميه بالحصاء حتى دميت قدماه الشريفتان — لم يشأ الله منه أن يرد على سفاهة السفهاء ، أو يدعو عليهم ، أو يقبل من الملك أن يطبق عليهم الأخشبين ، حين عرض هذا الأمر على رسول الله ، وانما دعا صلى الله عليه وسلم لأهل الطائف بالهداية قائلا : « اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون .. ورجا من الله أن يخرج من ظهورهم من يوحد الله العظيم ، فيكون من المؤمنين .. وقال فيما قال ، وقد أسند ظهره الى حائط ليستريح ، فى مناجاته لربه .. « ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى .. لكن رحمتك أوسع لى » ..!!

وهو صلى الله عليه وسلم ، الذى قال لآل ياسر ، وهم يعذبون حتى الموت : صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة ..

*** لقد كانت الجنة وماتزال — احب الى المؤمنين من الدنيا ومافيها ..!!**

ولذلك حين نجحت هجرة التربية الاسلامية النظيفة، المستمدة من الكتاب والسنة ، وأثمرت ثمارها المباركة فى نفوس المسلمين وقلوبهم ، وفى اعمالهم ومعاملاتهم .. وحين نجحت هجرة الانتقال من مكة المكرمة الى المدينة المنورة .. وحين كملت الأخوة والوحدة



والالفة والمحبة بين صفوف المؤمنين ، والتأم الجمع واجتمع الشمل بالايمان والحب لله ، وفى الله .. وجاء اذن الله بالجهاد فى سبيله ، دفاعا عن النفس ، وحماية لحرية العقيدة ، وردا لعدوان المعتدين — أقول حين تم ذلك كله ... كان المجاهدون يؤثرون أن يموتوا شهداء وهم يجاهدون فى سبيل الله ، منتصرين للحق ، مؤمنين به ، مطيعين لأمر الله ، طامعين فى جنته التى وعد الله بها عباده مطمئنين لرضاء الله عنهم ، ونصره لهم .. « وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » .. لقد كانوا صادقين فى ايمانهم بالله الذى نزَّل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين .. فاللهم وفقنا كما وفقتهم لما فيه رضاك يا ارحم الراحمين ويارب العالمين ..

عبد الحميد الفضالى

ثلاث

دعوة الاسلام الى الهجرة من أرض الكفر .. والفقر ، والذل والاضطهاد .. الى حيث يجد المهاجر أمنه وأمانه ، ويظفر بحريته الدينية والشخصية ، وينعم بكرامته الانسانية .. دعوة أصيلة تستند الى الكتاب والسنة .. عميقة تنبع من أصالة الرأى ، وثمرة الفكر ، وانفتاح الفطرة .

وفى القرآن الكريم توبيخ وتأنيب .. يتبعه انذار بعذاب أليم ، ومصير وخيم .. لكل من استخذى فأقام على الضيم ، واستكان فرضى بالهوان ، وآثر السلامة والعافية فى ظل الصغار والضياع .. يقول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ .. قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ، قَالُوا : كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ، قَالُوا : أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ، وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا .. فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ، وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ، وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) النساء من ٩٦ الى ٩٩ .. والمعنى — كما فى الجلالين — ان الذين أقاموا مع الكفار وتركوا الهجرة .. يقول لهم الملائكة حين تتوفاهم : فى أى شىء كنتم من أمر الدين .. فيقولون معتذرين : كنا عاجزين عن اقامة الدين .. فيردون عليهم موبخين : ألم تكن أرض الله واسعة فتخرجوا اليها من ديار الكفر كما فعل غيركم .. قال الله تعالى : (فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) ، وقد استثنى من هذا المصير المؤلم : المستضعفون من الرجال والنساء والولدان الذين لا قوة لهم على الهجرة ، ولا نفقة لهم على تحمل أعبائها ، ولا يهتدون الى طريق الافلات والخلاص .. فهؤلاء — نظرا لمكان العذر منهم .. ورفع الحرج عنهم — يرجى أن يعمهم الله بعفوه الشامل لأنه كثير العفو .. عظيم المغفرة .. ثم وعد المهاجرين فى سبيل التحرر بالسعة فى الرزق ، والتيسير فى المهجر .. حتى ان من أدركه حتفه فى طريق مهجره ثبت أجره على الله .. كمن أتم هجرته ..

هجرات

بقلم الدكتور محمد محمد الشرقاوى

لأن الله كثير الغفران واسع الرحمة .. وهذه الآيات الكريمة .. وان نزلت فى خاص .. لكنها تعنى العموم والشمول .. وينضوى فى تضاعيفها كل من هاجر انتقالا بدينه وكرامته .. الى حيث يضعها فى مكانها الذى خلقه الله لها .. لأن الله كرم ابن آدم.. وأمره بالبحث والذود عن تلك الكرامة .. كما فى قوله تعالى : (ولقد كرمنا بنى آدم) الاسراء ٧٠ .. روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما : (أن أناسا من المسلمين لم يهاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة حين هاجر اليها .. ورضوا بالاقامة فى دار الكفر مع قريش .. فلما خرج الكفار الى معركة بدر لقتال المسلمين .. خرجوا مع قريش يكثرون جمعهم وسوادهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فاذا رمى المسلمون سهما أصاب منهم فيقتلون رميا أو ضربا .. فأنزل الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ...) الآيات .. وأخرج مثله ابن مردويه وسمى منهم فى روايته : قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبا قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والوليد بن عتبة بن ربيعة ، وعمرو ابن أمية بن سفيان ، وعلى بن أمية بن خلف ، وذكر فى شأنهم : أنهم خرجوا مع قريش الى بدر .. فلما رأوا قلة المسلمين : غر هؤلاء دينهم .. فقتلوا ببدر .. وفى رواية ابن المنذر وابن جرير زيادة : (.. فقال المسلمون : هؤلاء القتلى كانوا مسلمين فأكرهوا على الخروج ، فاستغفروا لهم .. فنزلت : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ...) الآية ، فكتبوا بها الى من بقى بمكة منهم ، وأنه لا عذر لهم .. فاستجابوا وخرجوا مهاجرين .. فلحق بهم المشركون وفتنوهم فرجعوا .. .. فنزل قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) فكتبوا لهم بهذا التنزيل الجديد ، فحزنوا .. فنزل قوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) .. فكتبوا اليهم مرة ثالثة بذلك فخرجوا مهاجرين ..فلحقهم الكفار .. فصمدوا لهم .. فقتل منهم من قتل ، ونجا منهم من نجا) .

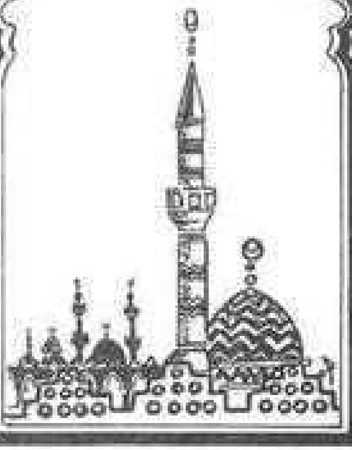
ثلاث هجرات

.. هذا .. وان في مواقف المسلمين الأوائل هجرات وهجرات بعضها .. اتخذت صفة الفردية والشخصية ، والبعض الآخر حمل طابع الجماعة المؤتلفة المتآلفة على حب الله ورسوله ، والفداء لدينه ، والانفتاح على أرض المهجر .. بقلوب مؤمنة ، وعزائم ماضية ، ورغبة صادقة .. فمن الهجرة الفردية : ما جاء في سيرة ابن هشام ج١ ٢٨٩ : (تقول أم مسلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين : ارتحلت ببعيري – أي من مكة الى المدينة – ومعي ابني .. أريد زوجي بالمدينة وما معي من خلق الله .. حتى اذا كنت بالتنعيم – على فرسخين من مكة – لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار فقال : الى أين يا بنت أبي أمية ؟ ، فقلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : لا والله الا الله وبني هذا .. قال : والله مالك من مترك .. فانطلق بها يهوي .. فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه أكرم منه .. فأدخلها الى مأمنها ثم انصرف راجعا الى مكة .

واما الهجرات الجماعية : المشهورة فكانت ثلاثا :

١ – **الهجرة الأولى الى الحبشة** .. خلاصا من أذى المشركين .. حين أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا للمسلمين : (تفرقوا في الأرض فان الله سيجمعكم .. قالوا : الى أين نذهب ؟ .. قال : ههنا) .. وأشار بيده الى جهة أرض الحبشة (السيرة الحلبية ج١ : ٣٢٣) فخرجوا اليها ..منهم من هاجر بزوجته كعثمان بن عفان ومعه زوجه رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان أول خارج .. وكأم سلمة مع زوجها .. ومنهم من هاجر بمفرده كعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون .. وكانوا فوق ثمانين رجلا وامرأة .. خرجوا سرا الى البحر وامتطوا سفينتين تجاريتين ، وذلك في رجب من السنة الخامسة من النبوة .. ونزلوا بأرض الحبشة في خير جوار ومكثوا بقية رجب وشعبان الى رمضان .. ثم أخذوا يعودون في شوال حين نمى لوليهم أن الأحوال قد تحسنت في مكة .. ولكنهم تبينوا كذب هذه الشائعة .. وبعضهم آثر العودة الى الحبشة كابن مسعود رضي الله عنه .. ومن هنا بدأت الهجرة الثانية الى الحبشة .

٢ – **الهجرة الثانية الى الحبشة** .. كان لابد منها استكمالا للهجرة الأولى للحبشة حيث ان سبب الهجرتين مازال قائما لم يبرح أرض مكة .. فقد كان الكفار من قريش سادرين في الحاق الأذى والاضطهاد بالمسلمين .. بل ان هذا الخسف والظلم قد ازداد أواره .. وتفاقمت أخطاره بعد رجوع من رجع من اهل الهجرة الأولى .. فانطلق كثير ممن آمن بالله ورسوله الى الحبشة مرة أخرى حتى التأم شملهم في رحاب النجاشي ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة .. وفيهم جعفر بن أبي طالب وزوجته أسماء بنت عميس ، وعبيد الله بن جحش ومعه زوجه أم حبيبة



بنت أبى سفيان ، وقد تنصر زوجها هناك ومات على نصرانيته ، وبقيت أم حبيبة على اسلامها لا تريم .. وقد تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بعد .. فبعثت قريش فى اثرهم عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد بن المغيرة ومعهما هدايا للنجاشى ولعظماء الحبشة .. واجتمعوا جميعا عند النجاشى ، فقالا : ان نفرا من بنى عمنا نزلوا بارضك .. وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا الى الملك أشراف قومنا لتردوهم علينا .. ودافع المسلمون عن أنفسهم بلسان جعفر بن أبى طالب .. ومما قاله : نحن لا نسجد الا لله عز وجل ، وأن تحية الجنة السلام ، وأن الله أرسل فينا رسولا أمرنا بالصلاة والزكاة ، وأن ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء .. فلما سمع النجاشى ما سمع وناقشهم .. وحاورهم .. وأجابوه كما قال جعفر بما علموا وما أمرهم به رسولهم صلى الله عليه وسلم على مرأى ومسمع من أساقفة النجاشى وقسيسيه ورهبانه قال النجاشى : أشهد أنه رسول الله وأنه الذى بشر به عيسى فى الانجيل ــ ومعنى أنه روح الله أى : حاصل من نفخة جبريل ، ومعنى كونه كلمة الله : أنه قال له : كن فكان .. أى حصل فى حال القول، ثم قال : والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته فأكون أنا الذى احمل نعله وأوضئه .. والتفت الى المسلمين قائلا : انزلوا حيثشئتم ، وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق .. ورد هدايا عمرو ورفيقه قائلا . والله ما أخذ الله تعالى منى الرشوة حين رد على ملكى .. فآخذ الرشوة .. وفى رواية أن جعفر قرأ عليه بعضا من سورة مريم فبكى .. وأقاموا عنده فى ظل من الأمن وحسن الجوار حتى عادوا بعد حصول الأمان بهجرته صلى الله عليه وسلم .

٢ ــ الهجرة الكبرى :وكانت الى المدينة المنورة بعد أن أذن بها الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه الا أبا بكر الذى قال له كلما استأذنه فيها : (لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا) .. ولما أذن للرسول بالهجرة قال ابو بكر : الصحبة يارسول الله ، فقال له : الصحبة وواعده العتمة .. وذهب الرسول الى دار ابى بكر بعد أن خرج من داره بين صفوف المشركين المتربصين لقتله وهم لا يشعرون .. وانطلق الرفيقان الى غار ثور

ثلاث هجرات

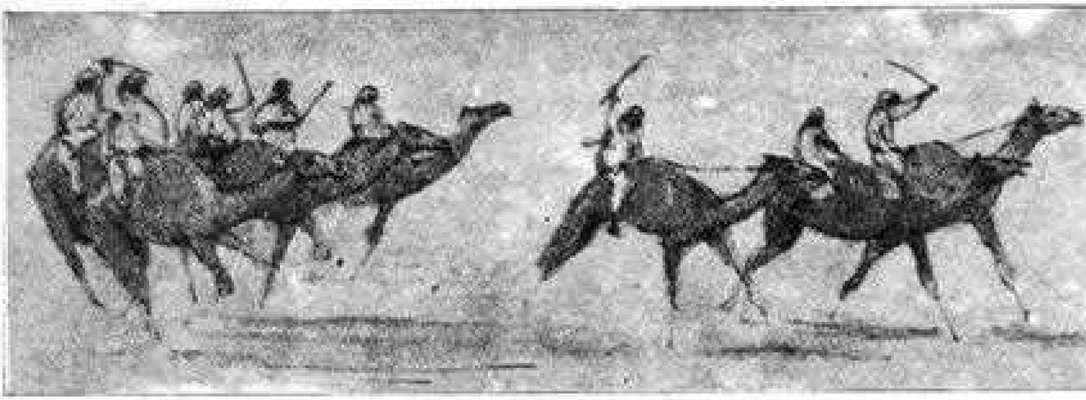
وكمنا فيه ثلاث ليال .. وضلل الله تعالى المطاردين بالعنكبوت الذى نسج خيوطه الكثيفة على فم الغار .. وربضت عنده حمامتان — كما فى رواية أحمد — ثم خرج الرسول وصاحبه ومعهما — عبد الله بن أريقط دليلهما فى الرحلة .. وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر خادمهما فيها .. ومرا بخيمة أم معبد .. وحلب لها عنزة عجفاء فدرت لبنا غزيرا .. ببركته صلى الله عليه وسلم وشرب منه الجميع .. ثم أدركهما سراقة بن مالك فى الطريق طمعا فى الحصول على مائة ناقة جائزة قريش لمن يأتى بالرسول حيا أو ميتا .. ولكن سراقة عثرت به فرسه مرات ، ورأى من الدلائل ما أقنعه بالعدول عن محاولته .. فأخذ من الرسول صكا ، ووعده الرسول بأنه سوف يلبس سوارى كسرى .. وقد لبسهما فى خلافة عمر بعد سقوط دولة كسرى .. وانتهى الرسول بعد حوالى اثنى عشر يوما بين وهاد الصحراء ونجادها ، ولفحها وقيظها .. الى قباء .. فأقام بها أياما أسس فيها المسجد الذى نزل فيه قوله تعالى :

(لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) التوبة / ١٠٨ وهو مسجد قباء كما فى البخارى .. ثم مر ببنى سالم بن عوف وأدركته عندهم صلاة الجمعة ، فصلاها ، وكانت أول جمعة يجمع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة .. ثم دخل المدينة دخول الفاتحين بين أفراح أهلها ونشيد نسوتها

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

دكتور محمد محمد الشرقاوى

صور مشرقة



للمهاجرين الأولين

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

لابد لنا مع مطلع كل عام هجري جديد من وقفة تأمل مع واقعنا الذى يموج بالفتن والاضطرابات ، ونقارن بينه وبين ماضينا المستقر الذى استمد استقراره وأمنه من روح الاسلام وهديه وقيمه .
ولعلنا بمراجعة موضوعية لحالتنا المؤسف نعود الى صفائنا الروحي واستقرارنا النفسي وهدوئنا العقلي .

لابد لنا من استرجاع ذكرياتنا القديمة لا لنعيش على هامشها بل لنستلهم منها العبرة ونأخذ منها الفكرة ونصوغ لأنفسنا من ضوئها حياة أفضل ونستمد من صفائها زادا يعيننا على مسيرة الايام وينقذنا من أوجاع الحياة .

نحن نحتفل بعيد الهجرة كل عام ، ولكن هذا الاحتفال لم يجدد لنا حياتنا كما نريد ، وقصائد الشعر وخطب المحافل لم تفتح لنا الآفاق التى نريد ولم تقدم لنا الجديد .

ذلك أن احتفالنا هو من واقع التقليد لا غير ، وليس من واقع الايمان بالمثل التى يقدمها هذا الحدث الرائع الذى غير مجرى التاريخ ، والذى نقل المسلمين قديما من حال الى حال والذى أضاف الى تراث الانسانية الكثير الطيب .

صور مشرقة

للمهاجرين الأولين

ولقد آن للمسلمين فى حالتهم الراهنة التى أصبحوا فيها كثرة كغثاء السيل ، أن لهم أن يفكروا فى حالهم مليا ، وأن يتفقدوا ما ضاع منهم حتى أصبحوا خواء لا قيمة له ، وهملا لا أثر له ، يقتتلون فيما بينهم ، ويتطاحنون فيما لا طائل تحته ويتنازعون حول تيارات وأفكار حذر الدين منها ، وقد تفرقوا شيعا وأحزابا .

من دروس الهجرة :

ولعل أول ما يطالعنا من دروس الهجرة هو ذلك الاصرار على المبدأ والايمان العميق الذى يهون فى سبيله الاستشهاد والتضحية .

لقد بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وحيدا لا معين له الا الله ، والتفت حوله حفنة من أصحابه الأطهار الذين آمنوا به وصدقوه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ، تحدوا الصعاب اقتحموا العقبات وتعرضوا لأعتى ضروب الامتحان والتعذيب ، لم تهن لهم عزيمة ولم تلن لهم قناة ، والتاريخ يحدثنا عن ذلك كثيرا ، وكيف موقف المشركين من المسلمين ، وكيف حاول أولئك أن يفتنوا هؤلاء عن دينهم ، فلم يجد هؤلاء من الفرار بدينهم خوفا من الفتنة ، فهاجروا الى الحبشة مرتين وهناك وجدوا الأمن والأمان ، ولكن الذين بقوا بمكة ظلوا متعرضين لوحشية التعذيب الذى كان من حلقاته ذلك الحصار الرهيب فى شعب بنى هاشم لمدة ثلاث سنوات طوال قاسى المسلمون الصامدون خلالها الجوع والهلاك .

ومع ذلك أصر المسلمون على موقفهم حتى فتح الله لهم أفقا جديدا وأملا جديدا باسلام من أسلم من الأنصار الذين فتحوا قلوبهم ومدينتهم للمسلمين .

صورة مشرقة فى هجرة أم سلمة :

وغنيت الهجرة بكثير من صور البطولة التى دلت على فدائية واستبسال ، سواء فى ذلك النساء والرجال ، وحسبنا فى ذلك ما يقصه علينا ابن هشام فى هجرة أبى سلمة وأسرته رضى الله عنه .

قال ابن اسحاق : حدثنى أبى اسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن أبى سلمة عن جدته أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة رحل لى بعيره ثم حملنى عليه ، وحمل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج بى يقود بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا اليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده فأخذونى منه .

وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد رهط أبى سلمة قالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا ، قالت : فتجاذبوا ابنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده .

وانطلق به بنو عبد الاسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة الى المدينة .

قالت : ففرق الله بيني وبين زوجي وبين ابني . فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالابطح فما أزال أبكي حتى امسي ، سنة أو قريبا منها ، حتى مربي رجل من بني عمر أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني ، فقال لبني المغيرة ألا تخرجون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها .

فقالوا لي : الحقي بزوجك ان شئت ، ورد بنو عبد الاسد الى عند ذلك ابني .

قالت : فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ؛ وما معي أحد من خلق الله . فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى اقدم على زوجي ، حتى اذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار ، فقال : الى أين يابنت أبي أمية ؟ .

فقلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : لا والله الا الله وبني هذا .

قال : والله ما لك من مترك .

فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوى بي . فوالله ماصحبت رجلا من العرب قط أرى انه كان أكرم منه . كان اذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى اذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة ، ثم تنحى الى الشجرة فاضطجع تحتها ، فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فقدمه فرحله ، ثم استأخر عني فقال : اركبي : فاذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاد بي حتى ينزل بي .

فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة .

فلما نظر الى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال : زوجك في هذه القرية ، وكان أبو سلمة نازلا بها فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا الى مكة .

قال ابن اسحاق . فكانت تقول : والله ما أعلم أهل بيت في الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة وما رأيت صاحبا قط أكرم من عثمان بن طلحة .

هذا ولم يكن عثمان بن طلحة في ذلك الوقت قد أسلم ، ولكن الله سخره ليصحب هذه المسلمة البارة المهاجرة وحدها في رحلتها المخوفة تلك .

لقد أيد الله أهل دينه برجل لم يكن قد دان بعد بهذا الدين ، وفي ذلك يصدق قول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » رواه عمرو بن النعمان ورجاله ثقات ـ من كتاب الجامع الازهر في حديث النبي الأنور للحافظ المناوي ـ الجزء الأول .

للمهاجرين الأولين

وقد أسلم عثمان بن طلحة في هدنة الحديبية ومعه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص الذى التقى معهما عند عودته من الحبشة ، فاصطحبوا حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم : ألقت اليكم مكة أفلاذ أكبادها .

ثم أقام عثمان بالمدينة وعاد مع النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة عام الفتح ودفع اليه مفتاح الكعبة وهو يقول : ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها .

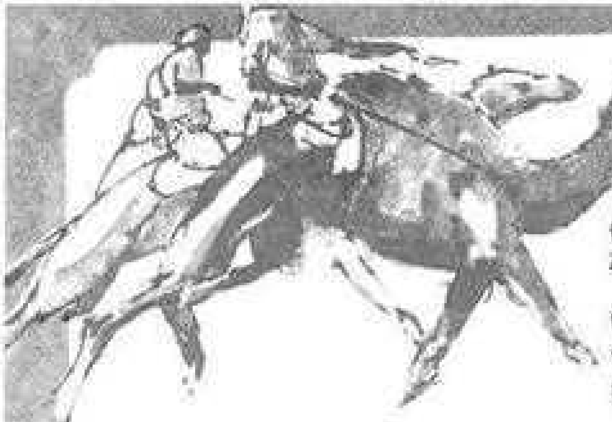
فانظر الى ذلك الايمان العميق والاصرار العجيب الذى أصرت عليه أم سلمة ، فلم يستطع الأهل على الرغم من جبروتهم وقسوتهم وحيلولتهم بينها وبين زوجها أن يصدوها عن دينها وعن التطلع الى الهجرة التى أصبحت هدف كل مسلم وأمل كل مؤمن . فقد أصبحت مكة ليست بدار مقام للمسلمين بعد أن أذن الله لهم فى الهجرة ، وبعد أن فرغت من المسلمين ولم يبق منهم فيها الا المستضعفون أو المغموزون فى دينهم والذين أصبحوا أهلا لأن يحق فيهم قوله تعالى فى سورة النساء « إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » ٩٧ .

لقد كان ايمان أم سلمة مثلا يقتدى به ويستوجب على كل من يحمل شرف الانتماء الى هذا الدين ويحمل اسمه أن يأخذ منه زادا يتعلم منه كيف الجهاد والصبر والتضحية والفداء .

وعبرة أخرى نخرج بها من هجرة أم سلمة رضى الله عنها ، هى أن المهاجرين كانوا يخرجون خفية خشية أن يحال بينهم وبين الهجرة ، فقد كان المشركون يترصدون الطريق عليهم حتى لا ينطلقوا الى جوار آمن يلتقطون فيه أنفاسهم ثم يعودون اليهم أقوياء محاربين ، ولكن أم سلمة جاهرت بهجرتها وخرجت على أسماع قومها وأبصارهم ، فقد كان لاصرارها العظيم على موقفها أثر كبير فى أن ترقق حولها قلوب بعض أهلها فسمحوا لها بالهجرة .

هجرة عمر :

ولم يجهر أحد بهجرته من رجال المسلمين — فيما يحدث الرواة — خلا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، جاء فى أسد الغابة عن على بن أبى طالب : ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهما واختصر عنزته (العَنَزة نوع من السلاح ، واختصرها أمسكها بيده) ومضى قبل الكعبة والملا من قريش بفنائها ،



فطاف بالبيت سبعا متمكنا ، ثم أتى المقام فصلى متمكنا ، ثم وقف على الخلق واحدة واحدة ، وقال لهم : شاهت الوجوه ، لا يرغم الله الا هذه المعاطس ، من أراد أن تثكله أمه ويوتم ولده ويرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي . قال علي : فما تبعه أحد الا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه .

هذه صورة تدلنا على الشجاعة والاقدام وهو جدير بتلقيب النبي صلى الله عليه وسلم اياه بالفاروق لانه فرق بين الحق والباطل ، لقد أبت عليه غيرته على دينه وكرامة دينه عليه أن يمضي خفية كما مضى غيره ، ولكنه أراد أن يلقن قريشا درسا بأن الهجرة لم تكن بسبب الجبن أو الخوف ، ولكنها مرحلة من مراحل الاسلام وخطوة كبرى نحو المستقبل المشرق لهذا الدين الجديد .

اننا نستطيع أن نأخذ من هذه الصورة لأنفسنا اليوم ــ لو أردنا وصح لنا العزم ــ كيف تكون الثقة بالله والتسلح باليقين وأن الله ناصر وليه وخاذل عدوه ، فان قريشا على عنجهيتها وبأسها وجبروتها لم تستطع أن تقف في وجه هذا الشجاع الواثق بربه المتسلح بايمانه المصر على موقفه .

هجرة علي :

وهناك صورة مثلى في الهجرة نلمسها أيضا في الفدائي العظيم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، الذي نام في فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة هجرته وهو يعلم أن العدو محدق بالدار يتحين الفرصة لاقتحامها .

لقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينام في فراشه ويتسجى ببردة الأخضر وأن يتأخر بعده ثلاثا حتى يؤدي الأمانات الى أهلها .

وكان المشركون ينظرون من خصاص الباب فيرون عليا نائما ويظنون أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن النبي كان قد خرج من جهة أخرى وهو يتلو قوله تعالى : « **فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** » .

وحين أصبح المشركون رأوا عليا في الدار فقالوا : لو خرج محمد لخرج بعلي معه ، فحبسهم الله بذلك عن طلب النبي حين رأوا عليا .

وكان هذا تدبيرا حكيما نتعلم منه حسن

صور مشرقة

للمهاجرين الأولين

التخطيط والتدبير وبعد النظر واعداد العدة للأمور قبل تنفيذها .

وتهيأ على للهجرة بعد أن أدى الأمانات التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابها ، وصحبه في هجرته أهل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يمشي بالليل ويكمن بالنهار وهو راجل على قدميه حتى قدم المدينة .

فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قدومه قال : ادعوا لي عليا . قيل يا رسول الله لا يقدر أن يمشي ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه اعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وكانتا تقطران دما . فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في يديه ومسح بهما رجليه ودعا له بالعافية فلم يشتكهما حتى استشهد رضى الله عنه . حدث بذلك ابن الأثير في كتابه القيم أسد الغابة .

لله ما أروع هؤلاء الأبطال الذين قدموا لنا هذا الدين سائغا رائعا جادوا في تقديمه لنا بأرواحهم وأنفسهم وأموالهم . وتلقيناه نحن منهم بدون تعب منا ومع ذلك فرطنا فيه وضيعناه .

لا يستطيع الواحد منا أن يقوم بأدنى ما كانت تقوم به واحدة من المسلمات الأوليات المتبتلات فضلا عن الرجال . ومع ذلك فان الغرور يأخذ منا كل مأخذ ، ويتشدق المتشدقون منا بأننا مثل من تقدموا أو بامكاننا أن نكون مثلهم .

كلا لسنا مثلهم فاننا لا نملك أسلحة الجهاد التي جاهد بها هؤلاء الابطال وفي مقدمتها العزم الأكيد واليقين الصادق والايمان العميق والافق الواسع والمحبة العميقة للمسلمين والاخوة الرحبة التي وسعتهم جميعا لا فرق بين أبيض وأسود وعربي وعجمي ، والروح الفدائي والتضحية بالمال والنفيس وبذل النفس رخيصة في ذات الله والحب الخالص لوجه الله والتغاضي عن الهفوات والتعاون في سبيل الله .

اقولها صادقا .. يوم نملك هذا السلاح نكون قد وضعنا اقدامنا على طريق هؤلاء وسوف نمضي قدما الى الأمام ليصبح المسلمون كثرة قوية لا كثرة مغلوبة مخذولة يقتل بعضها بعضا ويخذل بعضها بعضا ويكفر بعضها بعضا ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .. ومع ذلك لن نفقد الأمل فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون

عبد الحفيظ فرغلي القرني

الهجرة بين دلالات الألفاظ ووقائع الحدث

للأستاذ رشدى محمد ابراهيم

بادىء ذى بدء فان الحديث عن الهجرة يكتنفه احساس بالتبعة عظيم ، وذلك لانه فى كل عام تبادر الاقلام ، ووسائل الاعلام الى المشاركة فى الاحتفاء بذكرى هذا الحدث الجلل ، الذى غير مجرى تاريخ الانسانية ، فبعد ان كانت تهبط فى منحدر الشقاء اخذ بيدها الى معارج الارتقاء ، وسلك بها الجدد فامنت العثار لذلك رايت ان ادير الحديث عن « الهجرة بين دلالات الالفاظ .. ووقائع الحدث » بما نرجو من الله أن يجعل فيه جديدا أو مفيدا .

*** هاجر .. يهاجر .. هجرة**

أول ما يطالعنا ونحن نتأمل حدث الهجرة هو كلمة « الهجرة » .. وهى فى دلالتها اللغوية اسم من الهجر الذى هو ضد الوصل كما قال ابن الاثير .. وعلماء اللغة قالوا : ان الهجرة ــ بكسر الهاء وضمها ــ : الخروج من أرض الى أرض .

والفعل الذى أخذت منه هو الفعل الثلاثى « هجر » بفتح العين ، وبناء (فعل) الثلاثى ــ بفتح العين ــ يأتى لمعان كثيرة منها مايدل على التحول نحو : رحل وذهب ، وما يدل على السير نحو : زمل ومشى .

وقد استخدم للدلالة على حدث الهجرة مقرونا بالزمن الفعل الرباعى ، لا الثلاثى ، فقيل « هاجر ، يهاجر » وكان القياس أن يأتى

الهجرة

بين دلالات الألفاظ .. ووقائع الحدث

الاسم على وزن « مفاعلة » فيقال «مهاجرة» غير أنه عند الاستعمال عدل عن هذا البناء الى « هجرة » فأصبح الاستخدام « هاجر ، يهاجر ، هجرة » .

هنا يتبادر الى الذهن سؤال ، هو .. لم عدل في مادة الفعل عن الثلاثي الى الرباعي ، فقال هاجر ، ولم يقل هجر .. ؟

ولعل السر في ذلك هو أن الفعل الثلاثي هجر يدل على قلى وبغض ، فأنت تقول : « هجرت الشر لسوء عواقبه » فيدل ذلك على كرهك اياه وبعدك عنه . ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين هاجروا معه قالوا : « هجرنا مكة » لدل ذلك على بغض وكراهة لها .. وهذا ما ينفيه قوله صلى الله عليه وسلم مخاطبا مكة : « انك لخير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى الى ولولا أنى أخرجت منك لما خرجت » .

ولعل قائلا يقول : لكن الفعل من الرباعي (فاعل) (هاجر) يدل على المفاعلة التى تقتضى أن يكون هناك اثنان يصلح كل منهما ان يكون فاعلا مثل أن تقول جاذبت محمدا الثوب .. فأنت ومحمد يصلح كل منكما لان يكون فاعل الجذب .. فيترتب على ذلك أن (هاجر) تعنى هجرة من جانب المسلمين ومن جانب المشركين أيضا .

وهذا غير وارد ، لا في واقع الحدث ، ولا في حقيقة الامر .. لان (فاعل) الرباعى قد يأتى ولا يفيد المفاعلة مثل (سافر) ، وفي هذه الحالة يلاحظ أن المصدر منه لا يأتى على مفاعلة ، فلا يقال : سافر مسافرة ، بل يقال ، سافر سفرا كما قيل هاجر هجرة فكأنما عدل في المصدر الى غير المفاعلة ليدل على أن المفاعلة غير واردة .. وكذلك الحال بالنسبة لهاجر يهاجر .. فقيل هجرة .. لا مهاجرة .

ويقال : تهجر فلان أى تشبه بالمهاجرين ، قال عمر بن الخطاب « هاجروا .. ولا تهجروا » أى أخلصوا الهجرة لله ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم .. وهو كقولك فلان يتحلم وليس بحليم أى انه يظهر ذلك وليس فيه .

* تعريف موجز :

ويتحدث العلامة ابن حجر العسقلانى حديثا موجزا عن الهجرة ، فيقول :

« الهجرة : الترك ، والهجرة الى الشيء : الانتقال اليه عن غيره ، وفي الشرع ترك مانهى الله عنه ، وقد وقعت في الاسلام على وجهين: الاول الانتقال من دار الخوف الى دار الامن كما في هجرتى الحبشة وابتداء الهجرة من مكة الى المدينة ، والثانى الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان ، وذلك بعد أن استقر النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهاجر اليه من أمكنة ذلك من المسلمين ، وكانت الهجرة اذ ذاك تختص بالانتقال الى المدينة الى أن تتحت مكة فانقطع الاختصاص وبقى عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقيا» أ ـ هـ.

* لم تكن الهجرة هربا

الذى نعتقده اعتقادا جازما هو أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى

المدينة .. لم يكن هروبا من ساحة المواجهة ، وفرارا من حومة اللقاء ، كما قد يفهم من قول العلامة ابن كثير فى تفسير للآية (٤٠) من سورة التوبة حيث قال : « لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هاربا » .. فان دلالة لفظ « هاربا » توحى بكل ما يوسم به الهاربون من ساحة اللقاء .. انما كان خروجه صلى الله عليه وسلم انتقالا لساحة جديدة يكون معها لون من ألوان المواجهة تتسع فى اطاره دائرة التبليغ عن الله ، وتتسع معها جبهات المواجهة لتنتقل من مواجهة حالة واحدة هى حالة الشرك فى مكة الى مواجهة المشركين والمنافقين واليهود .. ثم تمتد لتنتقل خارج حدود الجزيرة العربية الى بلاد الفرس والروم ومصر والعالم كله من ورائها .. فلم تكن الهجرة عن فرار اذن .. وما أجبرت مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج ولا كانت تلك رغبة المتآمرين فى دار الندوة ، فقد بيتوا الامر بليل على قتله لا على اخراجه .. ولذلك عندما نقرأ لصاحب الاحياء قوله « لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة استقبل الكعبة وقال : انك لخير ارض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى الى ولولا انى أخرجت منك لما خرجت » ... ثم نجد صاحب « المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار » يخرج هذه الرواية ويثبت صحتها .. عندما نقرأ ذلك علينا أن نتأمل دلالة الألفاظ فى اطار الحدث التاريخى .. فقوله صلى الله عليه وسلم « لولا انى أخرجت » ببناء الفعل للمجهول يفسر بأن الذى أخرجه ليس هم زعماء مكة وأهلها ، لان خطتهم كانت تقضى بقتله واهدار دمه بين القبائل .. فالذى أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أمر الوحى الصادر اليه بالخروج .. ومعنى ذلك أنه لو لم يصدر اليه أمر السماء بالخروج ما خرج والتاريخ يروى ما يؤيد هذا المعنى حين استأذن ابوبكر رضى الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الى يثرب فقال له : « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا .. فيطمع ابو بكر أن يكونه وابن هشام فى السيرة يقول بعد أن ذكر خبر المتآمرين فى دار الندوة « فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه » فالذى أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة هو أمر الله اليه بالخروج وليس زعماء مكة ولا العرب منهم ، ولا يتعارض هذا مع قوله تعالى :



الهجرة
بين دلالات الألفاظ ووقائع الحدث

« إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار » حيث اسند الفعل للذين كفروا .. فقد قال العلامة الزمخشري في كشافه « وأسند الاخراج الى الكفار كما أسنده اليهم في قوله ـ من قريتك التي أخرجتك ـ لانهم حين هموا باخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه » .

ولك أن تعترض بما رواه البخاري في صحيحه على لسان ورقة بن نوفل : « ياليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « أو مخرجي هم » قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا » .

ويجاب على ذلك بمثل ما أجاب به الزمخشري على الآية الكريمة .. ولذلك كان الاستفهام من الرسول صلى الله عليه وسلم على غير حقيقته ، وانما المراد به هو الاستبعاد كما يفهم من كلام العلامة ابن حجر في « فتح الباري » حيث يقول : « واستبعد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجوه لانه لم يكن فيه سبب يقتضى الاخراج » .

*** معية الله :**

وفي ذكرى الهجرة نتذكر دلالة قول الرسول صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار « **لا تحزن ان الله معنا** » .. وهي تعني اننا في معية الله ومن ثم فلن يصيبنا ضر من البشر مهما فعلوا ..

وهذا هو منهج الانبياء عند الشدائد فموسى كليم الله ساعة خروجه ببني اسرائيل من مصر كادت جيوش فرعون تدركهم .. فقال للذين خرجوا معه اننا في معية الله .. وقد كانت اجابته اجابة الواثق بنصر الله تعالى « **فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون. قال كلا .. إن معي ربي سيهدين** » (الشعراء/٦١) .

ومعية الله هذه تشمل كل البشر ولذلك يقول الحق تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا » (المجادلة /٧) .

والمؤمن من هذا المنطلق عليه ان يواجه الحياة وهو في كنف معية الله .. عند ذلك لن تقف في وجهه العوائق وان صعبت .. ولن تهنه غربة الاحداث وان ادلهمت .

هذا .. والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

رشدي محمد ابراهيم

البحث عن الأمن في القرآن

عميد شرطة فكري الجوهري

بدأنا في اللقاءات السابقة نحو الطريق الى تنمية الشعور بالأمن داخل النفس البشرية بعد أن تبينت لنا تلك الحدود التي تقف عندها القوانين والتشريعات الوضعية التي تهدف الى تأمين الافراد ضد الحوادث والاعتداءات ... ومدى اختلاف هذه الحدود من فرد الى فرد ومن زمان الى زمان ومن مكان الى آخر .. بالاضافة الى قصور هذه التشريعات في ادخال الشعور بالامن في نفسية الفرد الذى تنتابه نوازل الدهر كالفقر والمرض والموت والمصائب فيضيق صدره ويضطرب قلبه ويظن ان الابواب كلها اغلقت في وجهه فيبحث عن معين يعينه في مصيبته او منقذ ينقذه من محنته .. يريد ملاذا يلوذ اليه فلا يجده ..

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

صدق الله العظيم

البحث عن الأمن في القرآن

ووصلنا في بحثنا الى امكان تنمية الشعور بالامن بعدة وسائل منها الدعاء ومنها الصلاة واليوم نبحث عن وسائل أخري للوصول الى هدفنا في الامن فنجده في القرآن ..

القرآن هو كلام الله ومن يريد أن يتصل بالله فليقرأ قرآنه ... من يريد أن يسمع الله يستمع الي كتابه ... من يريد أن يرعى الله يراه في حديثه الى الناس كافة في كل زمان مضى أو هو آت ... الكتاب شامل جامع لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه محفوظ من كل شر .. بعيد عن كل تحريف .. معصوم من أي تغيير لقوله تعالى :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »

القرآن دستور الدساتير يحوى بين جانبيه أحكام الحياة وأسرارها خيرها وشرها ... يفوق كل التشريعات فهو سهل يسير واضح ، لا يكتنفه غموض القوانين الوضعية وصعوبة تطبيقها وتغيرها وقصورها وجمودها أو عدم اقتناع البعض بفاعليتها وكفايتها لتأمينه وصد العدوان عنه .. مما يجعله يعدو باحثا عن وسائل أخرى يحتمي بها من المظالم والشرور والاهوال ... وقد يجد امنه في الهروب من المجتمع كله والاختفاء وراء السدود والاسوار أو التسلح بأسلحة الفتك والدمار أو الاحتماء بذوى النفوذ والسلطان أو بالاشرار أو الظهور بمظهر الشجاعة والفتوة ليرهب من حوله من منافسين أو أنصار ... هو مع تعدد أوجه الاختيار تراه ضائعا قلقا شاردا يفتقر الى ذرة من أمن أو أمان .. الى أن يهديه الله الى الدستور الأعلى فيقرأ قرآنه وينجلى بيانه فيرى بين سطوره ان الله أكبر من كل جبار وأقوى من كل طاغية ... هو الخالق المعز المذل مالك الملك لاتخفى عنه خافية قادر فوق عباده وهو النافع وهو الضار ...

يبدأ القرآن بفاتحة .. هى أم الكتاب من قرأها انشرح صدره للايمان ... ففيها الحمد والشكر والثناء لله ... وفيها طلب لهدايته وحمايته والبعد عن محارمه ونواهيه ثم يختتم الفاتحة بكلمة آمين ففيها الأمن والامان للقارئين .

من فاتحة الكتاب يستشعر الانسان قواعد الأمن الذى ينشده في الأمن الا استقرار نفس الفرد يطمئنه على حياته ، حاضره ومستقبله هو وأبنائه وذويه يجعله راضيا بقوت يومه وما قدره الله له معتمدا على قوة عظمى تحميه وتدافع عنه : تدرأ عنه النوازل والخطوب ... تقويه وتساعده وتشجعه وترفع من شأنه .

الأمعان فى الكتاب يكشف عن حقيقة الاله الخالق .

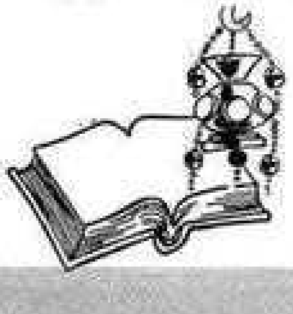
انه الأوحد المنفرد بالخلق ... رب الانس والجن والملائكة له العظمة والمجد .. كل انسان كبر أو صغر .. قوى أو ضعف تعالى أو تواضع .. اظلم أو عدل .. دون الله ولا حول ولا قوة الا بالله ... ومع هذا فهو الرؤوف الرحيم الفضل الكريم وسعت رحمته كل شىء وعم فضله كل الانام ... البداية والنهاية بأمره ... هذا النظام البديع للكون والاجرام السماوية والنهار والليل والسماء والارض من صنعه .. فما أروع قدرته وعظمته ... هل من المعقول بعد هذا أن يعبد سواه أو يطلب من غيره العفو والسماح أو يلجأ الى عبد من عباده لمنح العطاء أو الرجاء أو الهبات ... انه قريب وما هو بالبعيد .. انه أقرب اليك من حبل الوريد ... انه معك فى نومك ويقظتك ... يسير الى جوارك سائرا ويقف ملاصقا لك فى وقفتك ويرقد قريبا منك فى رقدتك .... بقوته يخلقك وبروحه تعيش وبقدرته تسمع وتتكلم ويصح بدنك وينمو جسدك ويحلو بنانك ... هو المسئول عن خلقه لا مسئول سواه ... انه يمنع ويعطى دون طلب الثناء أو الشكر انه يهب الارزاق حتى للكافرين والعاصين ... انه يغدق بالخير على الملحدين والفاسقين ... ينقذهم من المهالك ويستر اسرارهم ويحفظ أموالهم ويمهلهم فى غفلتهم ... فما بال المؤمن القارىء السامع لكلام الله .. الذى يضع الكتاب نصب عينيه ويحفظه فى جانبيه ويقرؤه من فاتحته الى نهاية جزأيه ... الا يشعر بوجود الله الا يسعد بحماية الله ... الا يطمئن بهذه الحراسة الموجودة أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله وفوقه واسفله ليل نهار دون كلل أو تأخر أو اعتذار ... هل بعد هذا يخشى بشرا دون الواحد القهار ... أيدخل فى نفسه وسواس أو يتملك منه القلق أو يبيت ضالا حائرا لايفيق من ضغط هذا المارد الجبار ... الا تدخل السكينة فى نفسه ويطمئن الى يومه وغده ... حاضره ومستقبله .. أنه اذا طلب الخير فالخير كله بيد الله ... اذا نشد الحماية فلا حارس أقدر من الله .... اذا أراد العون فلا معين الا الله ... اذا خشى الجزاء فهو مالك الجزاء والحساب ... انه بعد الايمان بالله لن يهتز لمخلوق سواه ولن تحطمه الاهوال أو الانفعال أو نوازل الدهر .. بل أنه سيقوى قوة الدهر نفسه ..

البحث عن الأمن في القرآن

سيتسلح بسلاح التقوى .. سيرفع في يده كتاب الرحمن يتلو منه قرآنه ويعمل بأحكامه .. انه قوة يحطم بها من يريد ظلمه ويدفع عن نفسه من يريد ابتلاءه .. ويبعد عنه من يريد شقاءه .. لن يتمسك بالحياة للبقاء بل سيشق طريقه بسمو الاشداء السعداء .. انه يعتمد على السماء .

بعد الفاتحة يبحث في الكتاب عن التسلية والتسرية فيجدها .. عن الحكمة والموعظة الحسنة فيصل اليها .. عن الاحكام والشرائع والقضايا فلا يجد خيرا منها .. عن حلول العقد والمشاكل والمصاعب فيتمكن منها .. عن الاطمئنان والصفاء والهناء فيسعد به .. اذا أراد صديقا وجده فيه .. اذا طلب محاميا مدافعا يصل اليه .. اذا ناشد عونا فهو يمينه اذا ضاقت الدنيا ويحث عن الغوث يغيثه .. ففي كل آية من آياته مطلب من مطالب الحياة وفي كل سورة من سوره رجاء ووعود يتمناها كل فرد .. هو معه خير رفيق وأقرب أنيس فهو دواء لكل داء .

ان من يقرأ القرآن يشعر وهو العبد الضعيف الذليل ان الله سبحانه وتعالى يتحدث اليه ويناجيه .. الا يعتبر هذا أعظم



تكريم لعبد أن يكلمه خالقه .. انه شعور لايشعر به الا من قرأ القرآن وأكثر من قراءته وتلاوته وترتيله .. انه يرى النور الالهي الوضاء .. يرى الخفايا والاسرار .. يرى العلوم الكونيه والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية والطبية .. انه خير معلم يعلمه علم الحياة انه خير مرشد يرشده الى منزلته من الله الذى سخر له ما في الارض جميعا وجعله خليفته فيها بعد أن نفخ فيه من روحه سبحانه وتعالى .

« فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ » .

انسان من روح الله .. يكلمه الخالق في كل زمان ومكان يناجيه يواسيه يحرسه ويحميه .. يعيش بأمره ويموت بارادته يد الله في كل حادث يحدث له .. حكم الله في كل قضية تعترضه في حياته .. أليس في الرجوع الى كتابه العظيم والتمسك بآدابه والتسلح بأركانه والاعتماد على منزله ومقرره قوة خارقة يستطيع بها المرء أن يواجه الضلال والاضطهاد والتهديد والتشريد والبغي والهوى .. الا يجعله مطمئنا على نفسه ثابت الخطى واثقا من نصر الله موقنا في كل خطوة يخطوها وعد الله ورحمته وعدله .. لا تتملكه الهواجس والوساوس ولايتمكن منه شيطان ، الم يقرأ قوله تعالى :

« الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ

الشَّيطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالفَحْشَاءِ . وَاللهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنهُ وَفَضْلاً وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ

صدق الله العظيم

وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » .

بقراءة القرآن يتعلم المرء رضا النفس والبعد عن الاعتراض على قضاء الله ومشيئته فلكل أمر حكمته ولكل حدث سببه وكل شيء خلقه بقدر لقوله تعالى :

« وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » .

من أراد الاطلاع على منهج الله وبرنامجه وتخطيطه للكون ففى الكتاب غايته .. ان الله وضع منهجا يناسب كل زمان يصلح فى كل أوان وينطبق فى كل مكان ويشمل ما نعرفه وما لانعرفه من مخلوقات عجيبة وينظم هذا الخليط الرهيب من أمواج متلاطمة الى جبال شاهقة الى سماوات عالية الى نجوم منتشرة الى مناطق قطبية متجمدة ومناطق وغابات حارة كثيفة فى نظام بديع بأشكالها وألوانها ومداراتها وخطوط استوائها ودقة دورانها .. ثم هذا الجمع الكبير من البشر كل منهم وفق طاقته واستعداداته وظروفه وأحواله وصحته وضعفه ومقوماته وفطرته .. لكل منهم أجل وله كتاب يمكنه أن يخطه بنفسه ويحرر مايرغب فى كتابه اذا هو رجع الى الكتاب الاعظم الذى يأخذ منه غايته .. الا هو كتاب الله .. وكلما عاد لقراءة الكتاب كلما اكتشف الجديد والجديد ليتأسى به ويسير على منهاجه فى حياته وله فائدة أخرى أعظم وأبقى وهى ما سيظفر به من جنات النعيم وملك لايبلى .

ان قراءة القرآن عاصم من أفكار الملحدين والطبيعيين الذين يصورون الحياة متعة لكل شيء فى كل وقت لا يعترفون بالفسق او الضلال ويقدسون البهيمية والعدوانية وسوء الخصال .. يسارعون فى الشرور والآثام ظنا منهم الا نشور بعد الموت فيعتزون ثم يسقطون ويتحطمون ويشكو كل منهم أن الحياة تفتقر الى الامن والأمان والاطمئنان .. هذا حالهم بينما من يقرأ القرآن لا يأسف على حياته مهما أعطاه الزمان .. فالعمر أمامه طويل والهدف أمامه واضح

البحث عن الأمن في القرآن



والطريق الى هدفه معروف. انه يغرس زرعه بنفسه ويجني ثمرته في حياته وبعد مماته .. يروى زرعه وينميه بايمانه وتقوى الله .. قد يغمر زرعه بعض الرمال أو تنال منه بعض الآفات أو يغرقه سيل الطوفان ولكنه صامد واثق من قوة غرسه لاتهزه الاعاصير ولا يضعفه البلاء .. انه ملأ حياته بالأمن والأمان .

من يقرأ القرآن يعلم أن لكل داء دواء فالامراض والعلل جميعها نفسية أو اجتماعية أو عضوية لكل منها دواء يناسبها ويمكن الوصول اليه من الكتاب لقوله تعالى :

« وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ » .

ان خير من يصلح الشيء هو صانعه وخير من يعالج المخلوق هو خالقه فهو العالم بعضال دائه وكيفية شفائه لقوله تعالى :

« إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » .

من أراد علاجا ففي القرآن .. من بحث لعلته عن دواء ففي القرآن .. من رغب لنفسيته اطمئنانا ففي القرآن من ناشد لعمره كله امنا وأمانا ففي القرآن .

فكري الجوهري

أعلام الإسلام

بعض آراء
البخاري الفقهية
ورأى الأئمة فيها

أحمد محرم
شاعر الفكرة الإسلامية
في مصر

الإمام
محمد على بن حزم
الأندلسى

شخصية في سطور
أبو عبيدة بن الجراح

البخاري

أمثلة لبعض آراء

● قبول شهادة القاذف والسارق والزاني بعد التوبة

قال الامام البخاري باب شهادة القاذف والسارق والزانى وقول الله تعالى « وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا» الآية .

وجلد عمر أبا بكرة ، وشبل بن معبد ، ونافعا بقذف المغيرة ، ثم استتابهم ، وقال : من تاب قبلت شهادته وأجازه عبد الله بن عتبه ؛ وعمر بن عبد العزيز ، وسعيد ابن جبير ، وطاووس ومجاهد والشعبي وعكرمة ، والزهرى ومحارب بن دثار ، ومعاوية بن قرة ؛ وقال أبو الزناد : « والأمر عندنا بالمدينة ، اذا رجع القاذف عن قوله واستغفر ربه قبلت شهادته » وقال الثورى :

اذا جلد العبد ، ثم أعتق جازت شهادته ، واذا استقضى المحدود فقضاياه جائزة ، وقال بعض الناس ، : لا يجوز شهادة القاذف وان تاب ، ثم قال : لايجوز نكاح بغير شهادتين ، فان تزوج بشهادة محدودين جاز وان تزوج بشهادة عبدين لم يجز ، وأجاز شهادة المحدود والعبد والأمة لرؤية الهلال لرمضان » أقول غرضه من ذلك أن شهادة القاذف مقبولة فى الشرع بعد ما تاب كما ذهب اليه الجمهور لا كما قال به « بعض الناس » انها لاتقبل بعد التوبة أيضا ، واستدل عليه بقوله تعالى :

« وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا »وبتعامل الفقهاء الصحابة « رضوان الله عليهم أجمعين ، مثل عمر رضى الله عنه ، وعمر بن عبد العزيز ، وغيرهم ، من الذين ذكرهم البخارى ، فانهم كانوا أعلم بكتاب الله ، وبمراده تعالى بذلك .

« لا اسقاط للزكاة بالاحتيال »

ومذهب البخارى « رحمه الله » عدم جواز اسقاط الزكاة قبل تمام الحول بالاحتيال ، واحتج فى ذلك بأحاديث ، منها « حديث » (لا يجمع بين المتفرقة ، ولا يفرق بين المجتمعة خشية الصدقة) ومذهب الامام أبى حنيفة فى ذلك أنه لا بأس به ، فلما ثبت عند البخارى أن هذا القول خلاف الأحاديث بينه

الفقهية

مع ذكر آراء الأئمة فيها

لفضيلة الدكتور الحسيني هاشم

الأمين العام
لمجمع البحوث الإسلامية

في كتاب الحيل في « باب الزكاة » بقوله : وقال « بعض الناس » في عشرين ومائة بعير حقتان ، فان أهلكها متعمدا أو وهبها أو احتال فيها فرارا من الزكاة فلا شيء عليه أ ـ هـ .

قال الامام البخاري في صحيحه في كتاب الحيل ـ باب الزكاة ـ « وأن لايفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة» ثم قال بعد نقل الاحاديث الواردة في هذا الباب وقال « بعض الناس » في عشرين ومائة بعير حقتان فان أهلكها متعمدا أو وهبها او احتال فيها فرارا من الزكاة فلا شيء عليه أ ـ هـ .

وغرضه من ذلك التعريض بأبي حنيفة رحمه الله أنه جوز اسقاط الفرض الذي هو من أركان الدين بتجويز الحيلة لسقوطه ، مع أن النبي (صلى الله عليه وسلم) صرح بالنهي بقوله (لايفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة) .

من غصب جارية فهي حق لصاحبها وان دفع الغاصب قيمتها .

قال الامام البخاري رحمه الله في كتاب البيوع من الحيل باب اذا غصب جارية رجل فزعم أنها ماتت فقضى بقيمة الجارية الميتة ، ثم وجدها صاحبها فهي له ، وترد القيمة ولاتكون القيمة ثمنا . أ ـ هـ .

وقال أبو حنيفة : الجارية للغاصب ، والقيمة ثمن ولاترد ، فعرض الامام البخاري وقال : ـ قال « بعض الناس » الجارية للغاصب لأخذه القيمة منه ، وفي هذا احتيال لمن اشتهى جارية رجل لايبيعها فغصبها واعتل بانها ماتت حتى يأخذ ربها قيمتها فتطيب للغاصب جارية غيره وحكم النبي يخالف ذلك ، قال النبي (صلى الله عليه وسلم) « أموالكم عليكم حرام ولكل غادر لواء يوم القيامة » .

الإمام

من أعلام القرن الخامس الهجري

المستشار محمد عزت الطهطاوي

من الائمة القلائل الذين كتبوا في علم الديانات والنحل والعقائد والنبوات والكتب السماوية والرد على منكري الالوهية ومعتنقي الاديان المخالفة لشريعة الاسلام .

يقول عنه المستشرق جب أن ابن حزم كرم في الغرب باعتباره مؤسسا لعلم مقارنة الاديان .

ويصفه (الفريد جاليوم) بقوله ان باحثا مثابرا كابن حزم القرطبي قد استطاع أن يحشد قواه ليؤلف اول موسوعة دينية أوروبية — وليكتب اول دراسة على مستوى عال من النقد والترابط حول العهدين القديم والجديد .

ذلك هو الامام ابو محمد على بن احمد ابن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح ابن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي .

حظى في قرطبة العز والجاه العريض فقد ولي الوزارة لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله الأموي ثم لهشام المعتمد بالله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي واقام في منصب الوزارة الى أن بلغت سنه ستا وعشرين سنة .

وكانت أسرته من كرائم الاسر في قرطبة وبيته من بيوتات العز والشرف فقد كان والده احمد بن سعيد بن حزم من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ومن وزراء ابنه المظفر بعده ومن المديرين لدولتيهما بالاندلس — وجده الأعلى يزيد كان أول من أسلم من اجداده وأصله من بلاد الفرس — أما جده خلف بن معدان فهو أول من دخل بلاد الاندلس من آبائه .

أبو محمد على ابن حزم الأندلسي

محل ميلاده :

ولد ابن حزم بمدينة قرطبة فى الجانب الشرقى من بلاد الاندلس بعد صلاة الصبح من آخر يوم من رمضان سنة ٣٨٤ هـ وكان قد نزح آباؤه اليها من قرية (منت لمنجتم) وهى من أعمال (أونبه) على خليج المحيط الأطلنطى غربى الاندلس .

ولقد غدرت به الأيام زمن الفتنة الاندلسية التى اندلعت فى الربع الاول من القرن الخامس الهجرى فمات أبوه وهدمت ديارهم فانتقلت اسرته الى بيوت عتيقة لهم ثم ماتت زوجته (نعم) التى يصفها بقوله (كانت غاية الحسن خلقا وخلقا) وبعد ذلك مات أخوه الوحيد أبو بكر ثم شرد فى البلاد الاندلسية هربا من موقدى الفتنة الثائرين على كل من له صلة بالخلافة الأموية وخلفائها .

سبب مدارسته للعلم :

حكى عن نفسه فقال (انى بلغت هذه السن وأنا لا أعرف كيف أجبر صلاة من الصلوات) ويرو سبب تعلمه الفقه أنه شاهد جنازة لرجل كبير من أخوان أبيه فدخل المسجد قبل صلاة العصر والحفل فيه فجلس ولم يركع فقال له أستاذه ومربيه باشارة (أن قم فصل تحية المسجد) فلم يفهم - فقال له بعض الجالسين بجواره (أبلغت هذه السن ولم تعلم أن تحية المسجد واجبة ؟) قال فقمت وركعت وفهمت اشارة الأستاذ الى ذلك .

فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة وعدنا فى المسجد مشاركة للأحياء من أقرباء الميت دخلت المسجد فبادرت بالركوع فقيل لى

(اجلس ــ اجلس ليس هذا وقت صلاة) .

فانصرفت عن الميت وقد خزيت ولحقني ماهانت على به نفسي وقلت لاستاذي دلني على دار الشيخ الفقيه المشاور أبي عبد الله ابن دحون فدلني عليه فقصدته من ذلك المشهد واعلمته بما جرى لي فيه وسألته الابتداء بقراءة العلم فدلني على كتاب الموطأ لامام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه فبدأت به قراءة عليه من اليوم التالي لذلك اليوم ــ ثم تتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام .

كيف كان علمه :

بعد ان نبذ الامام ابن حزم طريق الوزارة تفرغ للاستبحار في العلوم والفنون والاشتغال بالتأليف والمناظرة والجدل والرد على مخالفيه في المذهب والعقيدة وعلى اليهود والنصارى وأصحاب الملل والآراء والنحل المختلفة .

كما أقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن ودراسة الفنون والآداب والتوسع في علوم الشريعة ــ والتوفر على البلاغة والخطابة والشعر ومعرفة الانساب والسير والاخبار وعلوم الطب والفلسفة .

ولقد عبرت أفكاره الى أوروبا كما عبرت أفكار ابن رشد والامام الغزالى الا أن الكنيسة في أوروبا رأت أنه من الخطر على رسالتها السماح لفكر ابن حزم بالنزول الى مستوى الدراسة الرسمية أو الشعبية وذلك لأنه ناقش النصرانية بجميع الحجج التي أوردها فيما بعد باحثو القرن الثامن عشر وفي ذلك يقول القسيس بلاسيوث ان ابن حزم كان أول محرك للمدرسة الحديثة الحرة للنقاد البروتستانتيين .

تآليفه ومصنفاته :

من المؤسف بل من المحزن حقا أن كتب الامام بن حزم أضيع أكثرها ودفنت محاسنها بيد معاصريه الذين كادوا له لانه صدع بما عنده من آراء وصارحهم القول في غير تعريض ولا مواربة ولم يتحرج عن استعمال سلاطة لسانه حتى قال فيه أبو العباس بن العريف الاندلسي (كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف الثقفي شقيقين) وكان من نتيجة ذلك أن أثار غيظ قلوب مخالفيه في الرأي وغل صدورهم فأظهروا كوامن حقدهم وحسدهم فتمالئوا على بغضه ورد أقواله وأجمعوا على تضليله وتنفير العامة منه ــ وحذروا سلاطينهم من فتنته كما حذروا ، طلبة العلم من الدنو منه والاخذ عنه ــ وطفق الملوك والحكام يقصونه عن بلادهم ويشردونه عن ممالكهم الى أن استقر به المقام آخر الأمر في قرية آبائه وأجداده (منت لنجتم) التي أشرنا اليها في صدر مقالنا هذا وهي على نصف فرسخ من مدينة (أونبه) على المحيط الاطلنطي ولم يثنه ذلك عن العلم والتحديث والدرس والمواظبة على التأليف والاكثار من التصانيف الى أن توصل أعداؤه الى احراق بعض كتبه (باشبيلية) وتمزيقها علانية فلم يزده ذلك الا عمله على اعادة نشرها ومضيا في الطريق التي رسمها لنفسه ولقد استكثر من علوم الشريعة حتى نال فيها مالم ينله أحد



قبله في بلاد الاندلس وصنف تآليف كثيرة العدد شرعية القصد في أصول الفقه وفروعه على مذهب أهل الظاهر الذي مال اليه « وهو مذهب داوود بن علي بن خلف الاصفهاني ومن قال بقوله من أهل الظاهر ونفاة القياس والتعليل » حتى ليقول ابنه الفضل المكنى أبو رافع ان مبلغ تآليفه في الفقه والاصول والحديث والمسندات والنحل والملل وسائر المصنفات في التاريخ والادب والانساب والرد على المعارض مما اجتمع عنده لابيه نحو اربعمائة مجلد بخطه تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ولقد قيل أن هذا شيء لم يجتمع لأحد ممن كان في دولة الاسلام الا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري وللامام ابن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة وقسم صالح من نظم الشعر وتحرير الخطابة والمناظرة والحوار ـ ذكروا أنه اجتمع يوما مع الفقيه أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد الباجي وجرت بينهما مناظرة فلما انتهت قال ذلك الفقيه (تعذرني فان أكثر مطالعاتي كانت على سرج الحراس قال ابن حزم وتعذرني أيضا فان أكثر مطالعاتي كانت على منائر الذهب والفضة) يريد بذلك أن الغنى أمنع لطلب العلم من الفقر ـ لكن الحقيقة أن هذا كله ليس على اطلاقه فكم من فقير ركب الصعاب حتى استوعب ما يريده لنفسه من علوم ومعرفة وكم من غني لم يحاول أن يفيد نفسه في طلب العلم .. ولا بأس من أن نشير الى بعض من تآليفه وهي على أصناف متنوعة منها .

١ ـ كتاب التقريب لحدود المنطق : استعمل فيه مثلا فقهية وجوامع شرعية وسلك في الاستدلال الفقهي طريقة فريدة لم يسبقه اليها أحد قبله خالف فيها أرسطو واضع هذا الفن مما يدل على مبلغ فهمه لعلوم المنطق وكان شيخه في المنطق محمد بن الحسن المذحجي القرطبي المعروف بابن الكتاني .

٢ ـ أما كتاب الايصال الى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الاسلام في الواجب والحلال والحرام فقد حرره الامام ابن حزم في أربعة وعشرين مجلدا بخط يده أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه والحجة لكل مذهب وعليه .

٣ ـ ومن كتبه أيضا كتاب (الأحكام لأصول الأحكام) وهو في غاية التقصي وايراد الحجج .

٤ ــ ثم كتاب المحلى بالآثار ويقع مخطوطه فى أربعة مجلدات ضخام يحتج فيه لأهــل الظاهر ويرد فيه على الأئمة المجتهدين ويعتبر أول كتاب فى الفقه المقارن .

٥ ــ كتاب فى الاجماع ومسائله على أبواب الفقــه .

٦ ــ كتاب فى مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض .

٧ ــ كتاب فى شرح الموطأ .

٨ ــ كتاب (الجامع فى صحيح الحديث) باختصار الاسانيد والاقتصار على أصحها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها .

٩ ــ كتـــاب (التلخيص والتخليص) فى المسائل النظرية وفروعها مما لا نص عليه فى الكتاب ولا الحديث .

١٠ ــ كتاب (الأمانة والسياسة) فى قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها .

١١ ــ كتاب أخلاق النفس .

١٢ ــ كتاب (كشف الالتباس بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس) .

١٣ ــ كتاب (نقط العروس) وهــو فى الغريب والنوادر .

١٤ ــ كتاب (تبديل اليهود والنصارى للتوراة والانجيل وبيان ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل) .

١٥ ــ كتاب (طوق الحمــامة فى الألفــة والألاف) وتكلم فيه عن الحب والمحبيــن ويحلل العواطف النبيلة من حب وبغض من الجانب النفسى قاصدا تبيان مضار الاختلاط بين الرجال والنساء ويدعو الى الحجــاب والحشمة وفصل الرجال عن النساء والعمل على سد الأبواب والذرائع التى من شأنها أن توجد الاختلاط بين الرجال والنســـاء أو اختلاطهما ببعضهما ثم يستدل على ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم (باعــدوا بين أنفاس الرجال والنساء) .

ثم يقفى ابن حزم عــلى ذلك بشىء من شعره فيقول :

لا تلم من عــرض النفس لمــا
ليس يرضى غــيره عند المحن
لا تقــرب عرفجا من لهــب
ومتى قربتــه قــامت دخــن
لا تصرف ثقـــة فى أحــد
فســد الناس جميعا والــزمن
خــلق النســوان للفحل كمــا
خلق الفحل بلا شــك لهــن
كــل شـــكل يشتهى شــكله
لا تكــن عــن آحد تنفى الظنن

١٦ ــ كتاب (الفصل فى الملل والأهــواء والنحل) وهو يعد من أنفس الكتب وأجمعها للبحث المستقصى فى الديانات والنبـــوات والكتب السماوية وآراء الفلاسفة والخــلاف بينهم وبين المليين ــ والرد على منكــرى الألوهية ــ ومعتنقى الاديان المخالفة لــدين الاسلام وبيان ما طرأ على معتقداتهـــم من زيغ وتضليل ــ وما دخل على كتبهـــم من

تحريف وتبديل مع بيان الأدلة والحجاج العقلية والنقلية التى تثبت بأجلى البراهين وأدمغ الحجج حقية الشريعة المحمدية وصحة الديانة الاسلامية وخلوها من كل شوائب التغيير والفساد ومتانة أصولها وبعدها عن كل ما ينافى التوحيد وعصمة الانبياء وسلامة نصوصها من كيد الكائدين وعبث العابثين وزيغ المضلين .

ولقد حرر الامام ابن حزم كتابه (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) فى أزهى عصر من عصور الاسلام التى قوى فيها نفوذ المسلمين وسلطان عظمتهم التاريخية بما كانت تشرق به شموس علومهم ومعارفهم على بلاد الشرق كما أشرقت به على بلاد الشمال الافريقية وحتى بلاد الأندلس فى الغرب مما أفاد الاوربيين عند صنعهم لحضارتهم .

من اشعار الامام ابن حزم :

كان للامام ابن حزم بديهة سريعة فى قرض الشعر وله اشعار مأثورة فمن شعره يصف ما أحرقه له ابن عباد من كتب قوله :

ان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى
تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى
يسير معى حيث ارتحلت وان اقم
أقام معى حتى اغيب فى قبرى
دعونى من احراق كتب ودونكم
حجاج فنيه كي يرى الناس من يدرى
والا فعودوا للمكاتب بسداة
لادراكما قد فاتكم أول الدهر
ولا تطلبوا من سائر الناس عورة
فكم دون ما تبغون لله من ستر

ومن قوله يصف فجائع الدهر ويذكر المعاد :

هل الدهر الا ما عرفنا وادركنا
فجائعه تبقى ولذاته تفنى
اذا امكنت منه مسرة ساعة
تولت كمر الطيف واستخلفت حزنا
الى تبعات فى المعاد وموقف
تود لديه اننا لم نكن كنا
حصلنا على هم واثم وحسرة
وفات الذى كنا نلذ به غنا
حنين لما ولى وشغل بما اتى
وغم لما يرجى بعيشك لا تهنا
كان الذى كنا نسر بكونه
اذا حققته النفس لفظ بلا معنى

ومن شعره يذكر فيه ما بعد الموت :

عفا الله عنى يوم ارحل ظاعنا
عن الاهل محمولا الى ضيق ملحد
واترك ما قد كنت مغتبطا به
والقى الذى آنست منه بمرصد
فوا راحتى ان كان زادى مقدما
ويانصبى ان كنت لم اتزود

أبو محمد على بن حزم الأندلسى

مساعيه من اجل وحدة المسلمين فى الاندلس :

بذل الامام ابن حزم جهده ليعيد وحدة المسلمين بأرض الاندلس بعد أن ضاعت ويجمع الأمة التى تفرقت فتنقل من بلد الى بلد مناضلا عن الحق داعيا الى وحدة الصفوف — فلما أدركه اليأس لجأ الى ضيعة فى قريته التى على حدود البرتغال وتسمى فى وقتنا الحالى مونتيخا — وهناك انصرف انصرافا تاما الى العلم والتاليف وقضى فيها عشرين سنة فى عزلة وسكون يكتب ويؤلف ويجيب على ما كان يصله من رسائل تحمل استفهامات أو استفتاءات فى شئون الدين والدنيا وكان من عادته أن يجيب على المهم منها اجابات مطولة هى فى الحقيقة أبحاث علمية ووثائق ذات قيمة كبرى فى تاريخنا الفكرى ومجدنا الثقافى واستمر الامام ابن حزم فى محرابه الفكرى حتى وافاه الأجل المحتوم فى ١٥ أغسطس سنة ١٠٦٤ ميلادية الموافق شهر شعبان سنة ٤٥٦ هـ .

ما ينصح به فى طريق التربية :

يرشد الامام ابن حزم الى أقوم طريق فى التربية وهو طريق القدوة الطيبة الحسنة اذ كان يقتدى بأستاذه أبى الحسين بن على القاسى الذى اشتهر بسمو النفس واستقامة الخلق وكان يصفه ابن حزم بقوله (وكان أبو الحسين المذكور عاقلا عاملا عالما ممن تقدم فى الصلاح والنسك الصحيح والزهد فى الدنيا والاجتهاد للآخرة — وما رأيت مثله جملة علما وعملا ودينا وورعا فنفعنى الله به كثيرا وعلمنى موضع الاساءة وقبح المعاصى) .

فمن هذا الشيخ اخذ ابن حزم كل ما عرف عنه من طيب الخلق وصلاح الدين فكان اعجابه به سببا فى أن عزف عن الأهواء والشهوات واخذ نفسه بالتمسك بالخلق الصالح وتعاليم الدين — فهلا اهتم الآباء والمربون بما أرشد به ابن حزم عند تربية أبنائهم وتلاميذهم وجعلوا من انفسهم الامثلة الرفيعة والقدوة الحسنة لهم حتى يقتدوا بهم فى حياتهم فينفعون أنفسهم أولا وأمتهم ثانيا والاسلام ثالثا كما كان ابن حزم رحمه الله .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

٢

أحمد محرم

شاعر الفكرة الإسلامية في مصر

للدكتور محمد رجب البيومي

ـ ٢ ـ

اما شعر محرم الاجتماعى فقد كـان مضمخا بعبير عاطر من التوجيه الدينى والارشاد الخلقى فقد نظر الشـــاعر نظرات صائبة الى الأوبئة الخلقية التى تفتك بالأمم الشرقية فتحصد المروءة ، وتطيح بالشرف ، حيث انســابت افاعى البشرية تنفث سمومها فى الاجســـام الصحيحة .

فاذا المسلم الطاهر يتحول ماردا فاجـرا يعب الخمر فى نهم ، ويريق الدم المصون فى تهتك ، ويلطخ وجهه بآثام فاحشة يندى لها الجبين ،وقد قام محرم بدور الطبيب الحكيم، ففحص الداء فحصا دقيقا ، ثم أخذ يشخص الدواء الناجع ، وكان القرآن الكريم وجهته وقبلته فنادى بالرجوع الى آدابه ، وشهر بمن يجترحون السيئات ، ويقترفون الفـواحش،

وقد اتخذ من الجرائم الخلقية التى يرتكبها الاباحيون وتنشرها الجرائد اليومية ، مـادة دسمة لانتاجه ، وفى الجزء الاول من ديوانه أقاصيص شعرية تجلو هذه الهنات ، وقـــد أحاطها الشاعر بسياج من النصح التوجيهى ، وانك لتلمس حزن الشاعر الكبير حين يتحدث عن شرذمة غاوية التلفت على البغى فهـوت الى حماة الرذيلة تلغ فى أرجاسها النـــائنة غافلة عن عقاب الله نابذة من ورائها عهـود



محمد وزواجر التنزيل فهو يقول :

أسيت لمسرفين أعان كلا
على ادمان لذته أبوه
اذا ماعاقر الفحشاء منهم
أخو النشوات غناه أخوه
لهم فتكات اطلس ما يوارى
دم الهلاك مخلبه وفوه
عليهم من خزاياهم سمات
وما أنفوا الفجار فيجحدوه
اذا ما عن في الظلماء صيد
تداعوا حوله فتصيدوه
تردى بينهم فتعاوروه
الى ان قال قائلهم دعوه
قفا السمار وادلجوا اليه
وأكبر همهم ان يلفوه
ايامرهم بتقوى الله قوم
وما عرفوا الاله فيتقوه
شباب العار ما تركوا رجاء
لنا في مصر الا خيبوه
أناس ربعت الغبراء منهم
وضج العرش مما احدثوه
أتى التنزيل بالمثلات تترى
وبالحق المبين فكذبوه
فوا أسفى لعهد الله فيهم
وعهد محمد اذ ضيعوه !!

وفي ديوان الشاعر من هذا الطراز جذوات مشبوبة تتقد باللوعة فليتها وجدت من يسمع أو يجيب !!

ومع أن محرما قد نادى في صيحاته الاجتماعية بضرورة التعليم كدعامة راسخة يرتكز عليها بناء النهضة ، فقد وجد من الناس من ظن به رغبة عن تعليم الفتاة والنهوض بها الى ذروة الرقي ، رغم ما امتلأ به ديوانه – في الجزء الثاني خاصة – من حث على ثقافة المرأة وايضاح لمركزها الدقيق الذي تحتله في المجتمع ، ولعل هذا الظن الخاطىء قد أتى من مهاجمة الشاعر لدعوة التحرير التي رفع لواءها قاسم أمين ، ونحن اذا نظرنا لهذه الدعوة نجد صاحبها يحث على تعليم المرأة وتهذيبها عن طريق السفور والتحلل من الحجاب ! والشاعر وان كان من المنادين بضرورة تثقيف الفتاة لايوافق على السفور مهما تكاثرت المبررات فاندفع الى مهاجمة قاسم أمين متأثرا بعاطفته الدينية التي تحرم التبرج تحريما قاطعا ، وما كان له أن يحيد عن ذلك وهو يضع كتاب الله نصب عينيه ، ولعله كان ينظر من وراء الغيب الى ما سيجره السفور من فتن فشدد عليه النكير ، فمحرم اذن يكتفي بضرورة تعليم الفتاة دون ما عداه. فليس لها أن ترتع في الاسواق ، وتزاحم الرجال فيما لم تهيأ له من الأعمال ، واستمع حجته في ذلك اذ يقول :

همضا بربات الحجال نريدها
اقاطيع ترعى العيش وهي سوائم
وان امرا يلقى بليل نعاجه
الى حيث تستن الذئاب لظالم
وكل حياة تثلم العرض سبة
ولا كحياة جللتها المآثم

أثاثى الثنـــايا الغـر والطرر العـلا
بمـا عجـــزت عنه اللحى والعمائم
فلا ارتفعت ســفن الجواء بصـاعد
اذا حلقت فـــوق النثور الحمـائم
ســلام على «دحلاق فى الشرق كله
اذا ما اســتبيحت فى الخدور الكرائم
أقاســم لاتقـذف بنفســك تبتغى .
لقومــك والاســلام ما الله عالم
ولـولا اللواتى أنت تبكى مصــابها
لـما قـام للأخـلاق فى مصر قائـم
نبــذت الينـا بالكتــاب كأنمـا
صــحائفه ممـا حملـن ملاحـم
أحاطت بنـا الأســد المغـيرة جهرة
ودبت الينـا فى الظــلام الاراقـم
الا ان بالاســـلام داء مخامــرا
وان كتــاب الله للــداء حاســم

ولنقرن هذه الصيحة الناقمة على دعـاة السفور باحدى صيحات محـــرم فى ضرورة تعليم الفتاة ، لنعلم أن الشاعر لم يحـارب تعليم المرأة فى يوم من الأيام ، وانما احتاط لدينه ومروءته ، وتمسك بكتاب ربه وهـدى نبيه بوحـب الاسلام منه أن يذود عن مبادئه فى قوة ، ويتمسك بحدوده فى ايمان ، قـال محـــرم :

ما أبعـد الخـير والمعروف عن أمم
تعيش فوضى وترضى بالحياة سدى
وجاهل ظـن أن العـلم مفسـدة
للبنت فانتقص التعـليم وانتقـدا
مهـلا فرب فتــاة أهلكت اسرا
بجهلهـا وعجوزا أفسـدت بلـدا



الأم للشـــعب اما رحمـة وهدى
أو نكبـة ما لهـا من دافـع ابـدا
لا يذهب الشـعب فى اخلاقه صببا
والأم تذهب فى أخلاقـــه صـعدا
لاتيأســوا واعدوا الأم صــالحة
فهى السـبيل الى اصـلاح مافسدا

على أن الشاعر لم يهاجم قاسما وحده ، بل كان يهاجم من المسلمين من يرى منـــه نزوعا عن الشريعة ، وكان يتأدب فى هجومه بتوجيه الاسلام ، ويسترشـد بتعاليمه ، فلا يميل الى الاسفاف والمهاترة ، أو يعمـد الى التشهير والتنديد ، بل ان قصائده فى أعداء الاسلام « كهانوتو وكرومر » كانت تخضع الى المنطق المعتدل وتتحاشى ما ينفر منــه الأدب والذوق ، ولله محرم ، فطالما جـادل بالتى هى أحسن ، ودعا الى ســبيل ربـه



أحمد محرم

شاعر الفكرة الإسلامية في مصر

بالحكمة والموعظة الحسنة . مع أن الشعراء يبيحون لأنفسهم من الاقذاع في الهجوم ما ينأى عنه ذو الخلق الكامل والنبل الأصيل !!

بقى أن نتحدث عن الناحية التاريخية في شعر محرم ، وهى ناحية هامة شغلت جانبا كبيرا من اهتمامه ، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من اشارة الى موقف تاريخى طواه الزمن ، فخلده الشاعر ولا جرم فقد كانت ثقافته تاريخية اسلامية ، حيث استوعب ما قدر عليه من الصحائف المجيدة التى تجلو عظمة الفتح الاسلامى وتتحدث عن أبطاله الملهمين ، فكان له من هذا الاستيعاب مادة دسمة اكسبت انتاجه قوة زاخرة وأمدت شعره بأسباب متينة من الروعة والتفوق !! واذا كان الشاعر قوى الايمان بعظمة القادة المبرزين من أعلام الاسلام ، فقد فتحت له عاطفته الدينية أبواب القول فصال وجال في ميدان التاريخ حتى لينفرد وحده بين شعراء العربية بتصوير البطولة الاسلامية تصويرا لايتعلق بغباره متعلق ، مهما حاول التقليد .

لقد نظر محرم الى أعظم أبطال الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم فبهرته عظمته الفائقة ، وأخذته روعته الخارقة ، فنظم الياذة كبيرة تقع في عدة آلاف من الأبيات المختارة يسجل بها تاريخ الرسول الأعظم من ميلاده الى أن جاءه اليقين . وقد قرأت ما وقع من شعر الالياذة وتأكدت أن بلاغة محمد نضحت عليه من بيانها الرائع ، فتطامن له المعنى الجموح ووقعت يده على النادر اليتيم من الاساليب ، وقد رعى أحمد منازع حديثه ، فهو في بدر واحد يجلجل ويهدر حتى ليسمعك الصليل والصهيل ، وقد يعمد الى القافية الشموس في موقفه الحماسى ، فيخضعها لبيانه المشرق .

لم يكن محرم في الياذته صاحب خيال يستوحى الأساطير كما كان « هوميروس » في الياذته ، وكما كان « الفردوسى » في شهنامته وأمثالهما ممن دونوا جانبا من التاريخ المختلط في قصص تروى وأشعار تقال ، فقد أغناه واقع الاسلام الوضىء عن تلفيق الخيال ، والاسترسال مع الوهم الى أبعد مداه ، فأكب على دراسة هذه الحقبة الرائعة من تاريخنا الاول في مصادرها اليقينية المعتمدة ليسلسل روائعها الباهرة في أناشيد تتردد ! وأحمد محرم شاعر محافظ يلتزم الجو التقليدى في نسجه الشعرى فسبيله فيما يتعرض له من أحداث التاريخ سبيل السالفين من شعراء العرب كأبى تمام في فتح عمورية والمتنبى في سيفياته انه يستلهم الواقعة الحية بأحداثها وأبطالها ، ليفصح عن خواطره نحوها في ظل ما أحدثت من نتائج ، وما تضمنت من أحداث تاركا لخياله أن يستلهم الواقع دون أن يطير الى أفق أسطورى ، ولئن جازت الأسطورة في



ملحمة تتحدث عن عنترة العبسي أو المهلهل فلن تجوز في ديوان يسجل مجدا حقيقيا نهض به أعظم داعية أرسله الله ليخرج الناس من الظلمات الى النور ومن هنا بالغ الدكتور شوقي ضيف حين قال عن الياذة محرم :

« وقد نظم أحمد محرم السيرة النبوية وسماها الالياذة الاسلامية وهي مجموعة كبيرة من القصائد لارابطة بينها ولا حياة ولا خيال وهي في الحقيقة ضرب من الشعر التاريخي تسجل فيه حوادث التاريخ أو هي ضرب من الشعر التعليمي الذي ينظم فيه تاريخ العلوم وليس فيها شيء من الشعر القصصي الذي يخلق الخيال فيه مادة الشعر خلقا جديدا » .

فأنت ترى الناقد المتسرع يصف ديوان مجد الاسلام بأنه قصائد لارابط بينها ، وهذا ما يخالفه الواقع لأن الديوان يتحدث عن سيرة مترابطة الأحداث وقد سلسل الشاعر حديثه تسلسلا زمنيا اذ ابتدأ بالحديث عن ايذاء قريش لصاحب الدعوة ثم عن هجرته الكريمة وما تبعها من الغزوات والأحداث والمواقف غزوة غزوة وموقفا موقفا واذا كان الشاعر يسرد تاريخا معينا ترتب زمنه وتسلسلت أحداثه حدثا وراء حدث؟ فأين هو عدم الترابط ؟ ألسنا حين نترجم لانسان فنسرد ما نعرف عن مولده ونشأته وشبابه وكهولته نكون قد مررنا بسلسلة حياته حلقة حلقة ؟ فاذا جاز لأحد أن يقول في هذا التتابع الزمني أنه غير مترابط فليت شعري أي ربط يعنيه ؟ ، فاذا تركنا القول بعدم الترابط الى قول الناقد « ان الديوان قد خلا من الحياة والخيال وانما هو ضرب من الشعر التاريخي تسجل فيه حوادث التاريخ أو ضرب من الشعر التعليمي الذي ينظم فيه تاريخ العلوم » فاننا نعجب لقائل هذا الرأي لأن النظم التعليمي في متونه المشهورة لايمت بسبب قريب أو بعيد الى الياذة محرم ، وقد طبعت أخيرا في أكثر من ربعمائة وخمسين صفحة تسجل أحداث السيرة تسجيل الشاعر المستلهم لا الناظم الجامع ، فلم يكن محرم سائق أحداث تتعاقب كما كانت دون أن يبرزها في مشاهد أخاذة تنقل بها الى عالم الشعر الجائش بصوره وخواطره ومعانيه ! أمامك حديثه عن الغزوات وقد تعددت ، فلتقرأ كل غزوة على حدة لترى كيف اتجه الشاعر في تصويرها ! أنه يتخذ من المادة التاريخية سبيلا الى الحديث الشعري عن انفعاله

أحمد محرم

شاعر الفكرة الاسلامية

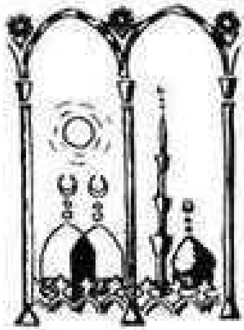
المعجب ، وهيامه المشبوب ، وانطباعه البصير، ولو اقتصر على نظم الوقائع ما كان الشاعر الفحل الذى تقدم الى الميدان عن ايمان واقتدار ، ولكن ناقدى محرم لايريدون أن يفهموا من ديوان مجد الاسلام الا ما فهموه من الياذة «هوميروس» فلابد أن يخلق الشاعر أسطورة وأن يحلق بجناحه الى حيث تتوالى الآلهة والشياطين والشهب والزلازل والخوارق ! وهنا يكون الشاعر ذا خيال . أما أحمد محرم فيتحدث عن بطل مشهور الوقائع لايختلق مع وقائعه أحداثا تضاف اليها بل ليصورها فى جوه الشعرى كما صدرت عن صاحبها العظيم ثم هو بعد أحد شعراء البعث الذين أدوا دورهم القوى فى تجديد الديباجة الشعرية، واعادتها الى بهائها السالف فى عهد الفحول من السابقين ، وصنيعه فى الحديث عن البطولة كصنيع سابقيه من أمثال أبى تمام والمتنبى مع فارق واضح هو أن هؤلاء قد تحدثوا عن المواقع فى ظل المدائح الرسمية ، أما الشاعر فقد تحدث عنها فى ظل ايمانه القوى وصدقه الموقن ، فلئن خالف «هوميروس» ، فما شذ عن سنن شعراء البطولة فى الأدب العربى ، وهم قوم أولو مكانة مرموقة يقدرها الدارسون .

قد يكون من الحق أن محرما قد تعجل فى قليل مما نظم فساقه ساقا قريب التناول حتى ليكاد أن يكون احداثا فحسب ، ولكن هذا القليل اذا جاز له أن يأخذ صفحات متعددة من الديوان فلن يكون وحده موضع الحكم، فالى جواره الكثير الحافل مما ازدهر بروائع الخيال وحفل بأشهى الصور وأصدق الانطباعات ، ولنا بحث مستقل عن الالياذة الاسلامية حافل بالاشهاد .

لقد كنت أقع فى دهشة عجيبة حين أجد الشاعر يتكلم فى الموضوع الواحد مرات متعددة وهو فى كل فريدة من فرائده يطالعك بمعان لم يجش بها خاطره قبل ذلك ، فقد فرض على نفسه أن يحيى رسول الله فى كل عام بقصيدتين فى مناسبتى الهجرة الشريفة والمولد السعيد ، أضف الى ذلك مايعرض من المواسم الاخرى كذكرى غزوة بدر ، وذكرى الفتح ! ثم هو بعد هذا كله يشعر بأنه لم يقل شيئا بجانب ما يليق بعظمة محمد فيقول فى مخاطبته :

عاق النوابغ من لبيب حاذق
الا وأنت ألب منه وأحذق
والقول مستلب المحاسن عاطل
حتى يقول العبقرى المفلق
أنت المجال الرحب تعتصر القوى
فيه وتمتحن الجياد السبق
حسان منبهر ، وكعب عاجز
والنابغ الجعدى عان موثق
أطمعتهم فتجاوزوا فيك المدى
وأبيت فانصرفوا وكل مخفق
لى عذرهم ما أنت من عدة المنى
الا وراء مخيلة ما تصدق

الحق أنه ــ رحمه الله ــ كان يجد من الذكريات الدينية ظلا وارفا يتفيأه فى هجير



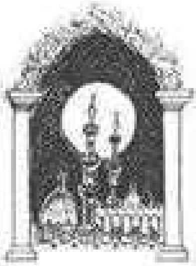
الحياة فهي تتيح له الموازنة بين الحاضر والماضي مما تكلمنا عنه قبل ذلك ، كما تمكنه من اسداء النصائح الصادقة لابناء الدعوى المحمدية في مختلف البقاع وتلك رسالة الشاعر العامل ، اذ يحمل بيده المشعل المضيء فينير السبيل •

واذا تعدينا تاريخ محمد الى غيره من المرسلين فاننا نجد محرما قد اندفع أيضا وراء عاطفته الدينية فنظم في قصص الأنبياء معلقة طويلة القاها في موسم الشعر وقد ابتدأها بقصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة • ثم دلف الى الأنبياء الذين ذكرهم القرآن فروى قصصهم الماضية مبينا جهود كل نبي في دعوته ، وما قابله به قومه من العناد والاستخفاف ، ثم ما كان في النهاية من ظهور الحق وخذلان الباطل ، وان كان هناك فرق شاسع بين حديث الشاعر عن الانبياء في ملحمته الجيدة • وحديثه عن محمد في الياذته العامرة ، حيث كان في الاولى مؤرخا يسجل الحوادث كما حكاها القرآن ، وتناقلها الرواة والمفسرون دون أن تقوم شاعريته كثيرا بتوليد بارع أو ابتكار رائع ، ولكنه في الالياذة قد جمع بين التاريخ والفن ، فهو يبدع في الفكرة والعرض معا كما يرسم صورة للزمان والمكان ، وقد يهتم بالجزئيات الصغيرة فيصوغها في لباقة تحمد للناثر المترسل فما ظنك بالمقيد بقافية ووزن !! ذلك توفيق كبير •

رحم الله محرما فقد اسدى الى العروبة والاسلام يدا بيضاء لم يسلفها شاعر عربي قبله ، ومع ذلك فقد عاش حياته الطويلة في دمنهور كادحا متعبا لايجد الناشر الذى يظهر له ديوانه الرائع في ثوب لائق بمركزه المرموق ، ثم وافاه الاجل المحتوم فسكت الأدباء عنه في قسوة ، غافلين أدبه الحي وفنه الرفيع ، وكأني به في حنادس القبر يردد متأوها نائحا بيته الحزين •

ظمئت وفي فمي الأدب المصفى
وضعت وفي يدى الكنز الثمين

دكتور محمد رجب البيومي



"إن لكل أمة أمينا
وإن أمين هذه الأمة
أبو عبيدة بن الجراح"



أمين

* هو أبو عبيدة .. (عامر بن عبد الله بن الجراح) اسلم في الأيام الأولى للاسلام قبل أن يدخل الرسول دار الأرقم وقد أسلم على يد أبي بكر الصديق ومنذ أن أسلم وبايع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على أن ينفق حياته في سبيل الله وهو لا يرى في نفسه وفي حياته كلها سوى أمانة استودعها الله اياها لينفقها في سبيله وفي مرضاته فلا يجري وراء حظ من حظوظ نفسه .. ولا تصرفه رغبة ولا رهبة عن سبيل الله .

* هاجر أبو عبيدة الى الحبشة في الهجرة الثانية عندما اشتد اضطهاد قريش للمسلمين وحين عاد منها وقف الى جوار رسوله وشهد معه بدر وأحد والمشاهد جميعها وله فيها مواقف أمينة ومجيدة ونذكر منها موقفه مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

* في غزوة أحد احس أبو عبيدة حرص المشركين على اغتيال حياة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم فاتفق مع نفسه على أن يظل مكانه في المعركة قريبا من مكان الرسول ومضى يضرب بسيفه في جيش الوثنية الذي جاء باغيا وعاديا يريد أن يطفئ نور الله .. وكلما استدرجته ضرورات القتال وظروف المعركة أن يكون بعيدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل وعيناه متجهتان الى حيث يقف الرسول ويقاتل .. وعندما تراءى لأبي عبيدة خطر يقترب من النبي .. انخلع من موقفه البعيد وقطع الأرض وثبا حيث يدحض اعداء الله ويردهم على اعقابهم قبل أن ينالوا من الرسول منالا .

* وفي احدى جولاته تلك وقد بلغ القتال ذروته أحاط بأبي عبيدة طائفة من المشركين وكانت عيناه كعين الصقر على موقع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاد أبو عبيدة يفقد صوابه اذ رأى سهما ينطلق من يد

أبو عبيدة بن الجراح

هذه الأمة

بقلم سعيد عبد الحي

مشركة فيصيب النبي ، وعمل سيفه في الذين يحيطون به وكأنه مائة سيف حتى فرقهم عنه وطار صوب الرسول ، فرأى دمه الزكي يسيل على وجهه ، والرسول يمسح الدم بيمينه ويقول (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم) .. ورأى حلقتين من حلق المغفر الذي يضعه الرسول فوق رأسه قد دخلتا في وجنتي النبي ، فلم يطق صبرا واقترب يقبض بثناياه على حلقة منهما حتى نزعها من وجنة الرسول ، فسقطت ثنيته ثم نزع الحلقة الاخرى فسقطت ثنيته الثانية فكان أبو عبيدة بعدها أثرم .

*** أمسك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بيمينه أمين هذه الأمة وقال : (ان لكل أمة أمينا وان أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) وقال عنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يجود بأنفاسه : (لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته فإن سألني ربي عنه قلت : استخلفت أمين الله وأمين رسوله) .**

* جاء وفد نجران من اليمن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين وسألوه أن يبعث معهم من يعلمهم القرآن والسنة والاسلام ، قال لهم الرسول : (لأبعثن معكم رجلا أمينا .. حق أمين . حق أمين .. حق أمين) .. وسمع الصحابة هذا الثناء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمنى كل منهم لو يكون هو الذي يقع عليه اختيار الرسول فتصير هذه الشهادة الصادقة من حظه ونصيبه .

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (ما أحببت الامارة قط ، حبي إياها يومئذ



أبوعبيدة بن الجراح

أمين هذه الأمة

رجاء ان اكون صاحبها فرحت الى الظهر مهجرا ، فلما صلى بنا الرسول صلى الله عليه وسلم الظهر ، سلم ثم نظر عن يمينه وعن يساره فجعلت أتطاول له ليرانى .. فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال : اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه .. فذهب بها أبو عبيدة) .

❋ عاش أبو عبيده مع الرسول صلى الله عليه وسلم أمينا ، عاش بعد وفاة الرسول أمينا .. يحمل مسئولياته فى أمانة تكفى أهل الارض لو اغترفوا منها جميعا .. ولقد سار تحت راية الاسلام أنى سارت .. جنديا ، كأنه بفضله وباقدامه الأمير .. وأميرا كأنه بتواضعه وباخلاصه واحدا من عامة المقاتلين .

❋ ويصبح أبو عبيده أمير الأمراء بالشام .. ويصير تحت امرته أكثر جيوش الاسلام طولا وعرضا .. عتادا وعددا .. فما كان الا واحدا من المقاتلين .. وفردا عاديا من المسلمين .

ويزور أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الشام وأبو عبيدة أميرها ويذهب أمير المؤمنين الى دار أمير الأمراء فلا يجد فيها من الأثاث شيئا .. لايجد الا سيفه وترسه ورحله .

ويسأله عمر وهو يبتسم (الا أخذت لنفسك مثلما يصنع الناس) ؟..

فيجيبه أبو عبيدة (يا أمير المؤمنين ، هذا يبلغنى المقيل) .

هذه هى حياة أمين هذه الأمة وأمير الامراء كان جنديا تحت راية الاسلام لايملك الا نفسه وسيفه .

وقد توفى أبو عبيدة على الأرض التى طهرها من وثنية الفرس واضطهاد الرومان ودفن بها وهى ماتعرف بالاردن الآن .

رحم الله أبا عبيدة ..
أمين هذه الأمة ..

سعيد عبد الحى

التقويم النفسي للأدب عند العرب

دراسة نقدية

بقلم الدكتور عبد الحميد محمد العبيسي

تدور صفحات هذا البحث حول تأكيد المنهج النفسي وترسيخه في تقويم الأدب في إطار المنهج التكاملي للنقد، دعما وإثراء للمنهج العلمي في الدراسة التحليلية التذوقية للأدب، كما يعرض البحث بالنقد والتحليل لتلك الآراء التي نشرها بعض المعاصرين العرب في الدعوة الى تفسير الأدب في ضوء المبادىء النفسية وحدها، ويكشف البحث عن تلك الجهود التي بذلها النقدة العرب الأقدمون في اهتمامهم بالدور النفسي في تفسير الأدب، كما يرفض المحاولات التي يفهم منها غياب الاعتبار النفسي عن ساحة الفن الأدبي ونقده عند العرب قديما .

وتتضح أهمية هذا البحث في ضرورة ابراز الجهد العربي في هـذا الجانب النفسي بجانب التقويم الجمالي، فان وجود التقويم الجمالي والتقويم النفسي معا وفي آن واحد كمعيارين مهمين في تحقيق المنهج المتكامل الأمثل في نقدنا الأدبي الحديث والمعاصر ـ قد بات هـذا الوجود الثنائي مطلبا لا مناص من تحقيقه، اذ الاتجـاه الجمالي أو الخلقي ـ وهما الاتجاهات اللذان سيطرا على النظرة النقدية في القديم لم يصبحا قادرين على تغطية حاجة الفن الأدبي ونقده المعاصرين، وبخاصة بعد ظهور ما عرف بـ (النقد النفسي) .. وهو نقد يعتمد بالدرجة الأولى على مبادىء علم

التقويم النفسى للأدب

عند العرب

النفس وقواعده ، والتحليل النفسى للادب ، حين خرج (فرويد) على الناس بكتابه (تفسير الأحلام) سنة ١٩٠٠ م ، وحذا حذوه تلاميذه ومريدوه من بعد وفاته سنة ١٩٣٩ م ، فرأيناهم ما بين مقلد ، أو مجدد (١) للفرويدية القائمة على تفسير الأدب فى ضوء المبادىء النفسية ، ثم توالى نفرمن النقدة العرب المعاصرين ترديد هذا المنهج النفسى فى الأدب ونقده ، ولقد حاول بعضهم تطبيق ذلك الاتجاه النفسى على نماذج من الأدب العربى والأوربى قديما وحديثا ، تقريرا لصلاحيته فى دنيا النقد والأدب .

ومهما قيل عن هذا المنهج فهو مفيد فى مجموعه ، بيد أن طريقة تناوله وبخاصة فيما يتصل بتقويم البعض منا لموقف النقد العربى القديم من الاتجاه النفسى ــ جعلتنى أشعر بمدى الحيف الذى يصيب تراثنا بين الحين والحين ، فمثلا يقطع بعض النقدة المعاصرين برأى مفاده نفى أى جهد عربى فى هذا المجال من قريب أو من بعيد ، فيقول : « ... فلم يحاول ناقد قديم ــ باستثناء أرسطو ــ أن يشرح تلك العلاقات الحيوية بين الفنان ، والفن ، ومتلقى الفن ، وكان النقد ينصب على العمل الفنى نفسه ، دون النظر الى كيفية انجاز هذا العمل ، ودوافعه ، ودلالاته بالنسبة لصاحبه ، ولمن تلقاه .. (٢) » .

ولا جدال فى أن هذا التعميم الذى استثنى منه أرسطو وحده ــ فيه اغفال لأمثال ابن قتيبة الدينورى ، وابن طباطبا العلوى وغيرهما من النقدة العرب الأقدمين الذين فطنوا لهذا الدور النفسى بالصورة التى سأعرضها فيما بعد ، كما فيه الغاء لأسباب التأثير النفسية ، ودلالاتها التى عالجتها الدراسات البلاغية على نحو أكثر تفصيلا ، مما يجده الدارس للخصائص الأسلوبية ، والخصوصيات التعبيرية ، والألوان التصويرية (٣) .

— ١ —

ان المتأمل فى هذا المنهج الفرويدى يرى أنه يقول بارجاع التقويم الجمالى والأخلاقى معا الى أصل عام أكثر اتساعا ، هو الأصل النفسى ، « فبالرجوع الى هذا الأصل النفسى سنجد التفسير النفسى الذى يخرجنا من ورطة التقويم على أساس الاعتبارات الجمالية أو الأخلاقية » (٤) .. ، و « لسوف يصادف فشلا غير قليل ذلك الناقد الذى يحتفظ

---

(١) هايمن : ستانلى ادغار (النقد الادبى ومدارسه الحديثة) جـ١ ص ٢٨٤ مترجم ط دار الثقافة ((بيروت) .

(٢) اسماعيل : د. عز الدين (التفسير النفسى للادب (بتصرف ص ١٩ ط دار المعارف بمصر) سنة ١٩٦٣ م .

(٣) العبيسى : د. عبد الحميد انظر مثلا : (روائع المعانى ط سنة ١٩٧٣ م) ، و (روائع البيان العربى ط سنة ١٩٧٤ م) ــ ط دار احياء الكتب العربية بمصر .

(٤) اسماعيل : د. عز الدين (التفسير النفسى للادب) ص ١٩ ترجمة للعالم :

بالانتاج الأدبى القديم فى مذكراته المهلهلة المستمدة من (أرسطو) أو (تين) ، والتى لا تحتوى شيئا من (فرويد) أو (يونج) ، وعبثا يحاول الباحث فى دروس النقد الأدبى المعطاة فى معظم الكليات أن يجد ما يدل على أن (فرويد) أو (يونج) قد كتب مرة سطرا له قيمته بالنسبة لتفسير الأدب (٥) » .

ومن عجيب الامر وغريبه أن هذا البعض منا يعترف صراحة فى موضع آخر من كتابه بأن : « تاريخ البلاغة القديمة ليس الا صورة لمحاولة الانسان المتجددة الدائبة فى سبيل تحديد طبيعة هذه العلاقة بين الأدب والنفس ، وقد كان تقدم (أرسطو) بمفهوم التطهير « الكاثرسيز » فى حديثه عن اثر المأساة فى الجمهور أول معلم حقيقى من معالم الطريق الى شرح العلاقة بين الأدب والنفس على أساس من المعرفة شبه العلمية . (حيث أن الفن يخلص الانسان من شوائب الحياة ويعيده الى شخصيته وروحه) (٦) .

والمؤكد أن كثيرا من النقاد والبلاغيين العرب قد لمسوا مظاهر هذه العلاقة على نحو أو آخر ، فانتبهوا الى الظروف التى تواتى النفس فتنشىء الأدب كما أحسوا بتأثير الأدب فى النفس ، واثارة ألوان عدة من المشاعر ، غير أن كتابات هؤلاء لم تتجاوز مرحلة الاحساس المبهم الى الشرح الموضوعى ، فلم يحددوا معالم التجربة الفنية ، كما لم يشرحوا لماذا تتأثر النفس بهذا

(٥) Basler. Opcit., p.. Ray p. Basler

(٦) العبيسى : د. عبد الحميد انظر (فى نقد الأدب) ص ٣٣ .

العمل الأدبى أو ذاك شرحا علميا موضوعيا ؟ ، وربما استثنينا هنا عبد القاهر الجرجانى الذى حاول أن يشرح الدلالات النفسية لأشكال التعبير ، ولكنه فى الحقيقة لم يتجاوز الظواهر الثانوية ، فلم تتجاوز محاولته هذه مرحلة تأكيد الدور الذى تؤديه النفس فى تشكيل العبارة (٧) » .

ومع ايمانى المطلق بالمنهج التكاملى فى مضمار النقد الآن ، هذا المنهج الذى يضم الجوانب الجمالية ، والذوقية ، والنفسية ، والتاريخية ـ فانه يبدو أن الصورة غير واضحة تماما عن جهود النقدة العرب قديما فيما يتصل بوعى العلاقة بين الأدب والنفس . ومن ثم كانت مبادرتى هذه باختيار هذا الموضوع ، طلبا للعدل ، وانصافا للحق ، وانتصارا للحقيقة .

وبدهى أن موضوعنا يدخل فى صميم المناهج النقدية باعتبارها طرقا ووسائل يتوخاها النقدة فى عمليتهم النقدية ، وصولا الى تقويم محدد شامل للنص الأدبى : شعرا أو نثرا ، فيما انتظمه من نبض الفكر ، واحساس النفس ، وتصوير الخيال .

(٧) اسماعيل : د. عز الدين (التفسير النفسى للأدب) ص ١٣ ، ص ١٤ .

التقويم النفسي

للأدب عند العرب

ولقد تنوعت تلك المناهج النقدية نتيجة عوامل أبرزها : تفاوت الحذق الثقافي ، والاقتدار والابداع في صناعة معينة دون غيرها من صناعات الفنون والعلوم .. الخ ، بيد أنه مع تعددها فان الحاجة تبدو ملحة لمراجعتها ، اذ أنها — على التفاوت فيما بينها — تمثل الأساس والمنطلق للنقد الموضوعي الذي اكتملت عناصره ، وتحددت معالمه في ساحة النقد الحديث والمعاصر .

ولامراء في أن تقويم العمل الأدبي قد صار مطلبا أساسيا للفن الأدبي منذ عرفت الانسانية فنا أدبيا ، فان النقد وجد بوجود الأدب ، واليوم يترسخ هذا المطلب ويتأكد ، فانا نرى حركة نشيطة تسعى للنهوض بالأدب على المستوى العالمي ، كما نرقب دعوة قوية على المستوى القومي العربي تحبذ أن يكون للأدب العربي مضمون اجتماعي هادف ، يستوعب قضايا المجتمع ومشكلاته وحلولها ، ويسهم في تقدم المجتمع وتطوره ، كل هذا — بلا شك — يفرض أن تدعم أركان النقد ، وتشيد قواعده ، ويتأكد دوره الخلاق في الرقي بالأدب ، اذ النقد ظل الأدب ، بل هو الوعي به (٨)، والضمان المتجدد لاثرائه ، واطراد رشاده وازدهاره ، ودوام خلوده وبقائه ، ذلك أن النهضات الأدبية لا لمجالها من الزيغ أو الانحراف مالم يواكبها تيار نقدي بناء هادف يرشدها ويوجه حركتها نحو السبيل الأقوم .

ومع تقديري للجهود المبذولة في دنيا النقد المعاصر على الصعيد العربي فانى أسجل عدم تناسب النشاط النقدي مع النشاط الادبي الذي تنوعت صنوفه ، وعظمت أنواعه .

واذا كان عصرنا الحاضر يحبذ المراجعة والتقويم ، كما قال الناقد الكبير الأستاذ العقاد — فان ممارسة العمل النقدي أصدق تعبير عن تلك المراجعة ، وذلك التقويم .

وقد يكون من المفيد أن أعرض في ايجاز لأبرز المناهج النقدية السائدة الآن ، مبينا طبيعة كل منهج في اطار من الشمولية التي تجمع بينها ، دون الغاء أو تغليب منهج معين على حساب منهج آخر .

ان هذه المناهج النقدية قد تحددت الآن بثلاثة هي أهم تلك المناهج :

اولا : المنهج الفني : ويعني بالفكرة والأسلوب ، ونوع العمل الأدبي ، ومطابقته لأصول نوعه وقواعده .

ويتحقق من خلال دراسة فاحصة للعمل الأدبي ، للوقوف على مواطن الجودة أو الرداءة منه ، وأسباب ذلك ، فتبرز هذه الأسباب لتصير قوانين ومقاييس يخضع الفن الأدبي لها ، ويجرى نقده على ضوئها في مراحل متلاحقة ومتباعدة ، ومقاصد متناسبة ومتغايرة .

ثانيا : المنهج النفسي : ويعمد الى بحث

---

(٨) هلال : د. محمد غنيمي (النقد الادبي الحديث) المقدمة .

(٩) العبيسي : د. عبد الحميد (النقد الادبي العربي) ص ٣٤ ط عيسى الحلبي ١٩٧٤ م القاهرة

الدوافع النفسية التى أوحت للأديب بعمله ، والآثار النفسية التى يحدثها نتاجه الأدبي في نفوس قارئيه أو سامعيه .

ثالثا : المنهج التاريخي : وهو يكشف عن العوامل الاجتماعية والعصرية التاريخية التى أثرت في العمل الأدبي وصاحبه ، ويحدد مكانته في المجتمع الذى نشأ فيه ، ويوضح تأثره أو تأثيره .. فهو منهج يتتبع النقد في مراحل نشأته بل ويواكبها مسجلا آراء واتجاهات النقاد فيها ، وكاشفا عن هذه الآراء ، وتلك الاتجاهات ومجليا مناحي التأثير البيئي والثقافي والحضاري في هؤلاء النقاد ، وموضحا المبادىء التى استقرت لديهم ، ومبينا الأسس التى اهتدوا اليها وقيمة هذه المبادىء ، وتلك الأسس .

وهذا الطريق الأخير الذى يسلكه مؤرخ النقد هو الطريق الذى يسير فيه مؤرخ الأدب .

وبالنظر في هذه المناهج الرئيسية نراها لازمة للناقد الموضوعي ، فان المنهج الفني هو نهج البلاغة ، والذوق ، والمعاني الرائقة ، والتعبير الجميل .

وهو يؤدى بنا قطعا الى ذوق الأديب والناقد على السواء ، ومتى وصلنا الى الذوق فقد وصلنا الى (النفسيات) ، ووصلنا قبلها الى (الاجتماعيات) على الاجمال (١٠) .

وعلى هذا فان هناك ارتباطا محكما بين تلك المناهج يأبى ان يكون التقويم أو التحليل النفسى للأدب بديلا عن التقويم الجمالي أو الخلقي له ، كما قد يتبادر الى الذهن من أول وهلة عند نظر الاتجاه النفسى في دراسة الأدب عند الأوربيين حديثا على نحو ما أشرت مقدما ، بل ان هذه الاعتبارات الجمالية والخلقية والتاريخية والنفسية مطلوبة جميعها في وقت واحد ، لتتضافر جهودها من أجل فحص وتقويم الفن الأدبي ، وتحديد درجته جودة أو رداءة أو توسطا . على أنى أعتقد أن الاعتبار النفسي سيفيدنا حتما في جلاء عملية الابداع للأديب ، وكشف ما قد يكتنف تجربته الفنية من غموض الى حد ما ، وبخاصة في فن الشعر الذى تعددت جوانبه كثيرا .

ويدهى أننا حين نستخدم منهج التحليل النفسي في العمل النقدي فانا ندرك تماما الفروق الدقيقة بين علم النفس ، وبين الفن الأدبي ونقده ، ولذلك نرى داعية التفسير النفسي للأدب يقرر صراحة : « ... أن الأدب والفن بعامة له كيانه المستقل وله دوره في الحياة ، وهو الكشف عن مجموعة الحقائق التي تمثل هذه الحياة ، والتي تشكل علاقة

---

(١٠) العقاد : عباس محمود (دراسات في المذاهب الادبية والاجتماعية) ص ١١٢ دار العالم العربي بالقاهرة .

التقويم النفسى للأدب عند العرب

الانسان بها ، وهو فى ذلك كعلم النفس وكغيره من العلوم التى تستهدف نفس الهدف وان اتخذت الى ذلك منهجا مغايرا للمنهج الأدبى ، وأن الأدب وعلم النفس منهجان متوازيان فى ارتياد هذه الحقائق ، وليسا متداخلين ، فنحن اما أن ننشىء أدبا ، أو نكتب علما • وأن الميدان الصحيح الذى يمكن أن تستغل فيه نتائج الدراسات النفسية هو ميدان النقد الأدبى ، مع تحفظ فى تقدير مدى هذه الفائدة (١١) » •

وكذلك نعى البعد الذى يمكن أن يحققه المنهج النفسى للأدب ، ولسنا نبعد فى القول فندعى أن الأدب أو الفن يمكن تفسيره من جميع جوانبه فى ضوء علم النفس ، وانما نستطيع بسهولة أن ندعى أن علم النفس قادر على أن يفسر لنا بعض الجوانب التى ظلت غامضة فى الماضى ، ويجنبنا كثيرا من المشكلات التى جرها منهج التقويم القديم (١٢) •

وانه لمن الخطأ الجلى أن يزعم أحد ما أن نتائج التحليل النفسى للأدب تصلح مادة للعمل الفنى ، فيغدو الأدب هو الصورة الشعبية التى تصاغ فيها حقائق علم النفس ، ولكن نتائج التحليل النفسى تفيد الناقد فائدة محققة فى بيان الدلالات المختلفة التى تكمن وراء الأعمال الفنية ، وفى القاء مزيد من الضوء عليها •

ومن هنا كان محور بحثى هذا هو مضمار النقد باستكشاف الأبعاد الحقيقية للاعتبار النفسى مقرونا بالاعتبار الجمالى ، وليس مفصولا عنه •

— ٢ —

والمتأمل فى مسار حركة النقد العربى خلال القرن الثالث الهجرى يرى اهتمام هذا النقد مبكرا بالحالات النفسية وعلاقتها بالشعر ، ويتجلى ذلك — على سبيل المثال — فى صنيع أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى سنة ٢٧٦ هـ فى كتابه (الشعر والشعراء) ، اذ عرض تلك الحالات النفسية وصلتها بالعمل الشعرى فى ثلاثة جوانب هى :

١ — **الدوافع النفسية** ، كحافز لقول الشعر ، كالطمع ، والشوق ، والطرب ، والغضب ، وما يثير بعض هذه الحوافز كالشراب ، والمناظر الطبيعية الجميلة •

٢ — **الارتباط بين الشاعر والزمن** ، اذ بعض الأوقات له تأثير خاص فى المزاج الشعرى ، كأول الليل قبل تغشى الكرى ، وصدر النهار قبل الغذاء •

---

(١١) اسماعيل : د• عز الدين (التفسير النفسى للادب) ص ٣٦ •

(١٢) المصدر السابق ص ٢٢ «بتصرف» •

ولهذين الجانبين أثر في التفاوت بين شعر الشاعر الواحد ، فبعض الحالات النفسية والجسدية ، كالغم وسوء الغذاء تمنع من قول الشعر ، واختيار وقت من غير الأوقات المشار اليها لا يصلح كذلك ، ولكن الشاعر قد يضطر الى التغاضي عن الحالة الصالحة ، والوقت الصالح فيكون ما ينظمه حينئذ مختلفا متفاوتا ، ولكن الشاعر الذي يقول بحافز الرجاء والوفاء يعتمد التفاوت في شعره على تفاوت قوة الحافزين لديه ، وهذه عندي قصة الكميت في مدحه بني أمية وآل أبي طالب فانه كان يتشيع وينحرف عن بني أمية بالرأي والهوى ، وشعره في بني أمية أجود منه في الطالبيين ، ولا أرى علة لذلك الا قوة أسباب الطمع ، وايثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الآخرة (١٣) » .

٢ ــ مراعاة الحالة النفسية في السامعين ،

ومن ثم كان تعليله لمنهج بناء القصيدة العربية القديمة من استهلالها بالوقوف والبكاء على الرسوم والأطلال ، ثم الانتقال الى وصف الرحلة ، والنسيب ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف اليه الوجوه ، وليستدعي اصغاء الأسماع ، لأن التشبيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ، لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل ، والف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام ، فاذا استوثق من الاصغاء اليه ، والاستماع له عقب بايجاب الحقوق (١٤) .. » .

ولعلك من خلال كلام ابن قتيبة هذا ما يكشف لك عن تعليله النفسي العميق ، وادراكه الدقيق لطبيعة النفس البشرية ، وحرصه على ربط الشاعر الفنان بجمهوره من السامعين والقارئين ، وربطهم هم بعاطفة الشاعر ، مما ــ أراه ــ أبلغ رد عملي قاطع وحاسم على من يزعمون أن هناك فراغا في النقد العربي القديم من الاعتبار النفسي !! .

واذا كان ابن قتيبة قد تناول فيما تناول من مسائل النقد لهذا الجانب النفسي فانه قد افاض في تحليل الجانب الجمالي للأساليب ، وما يحدثه من آثار في النفوس ، ونجد ذلك واضحا في كتابيه : (أدب الكاتب) ، و (تأويل مشكل القرآن) ، ففي كتابه الأول عالج قضية الأساليب التي يتوخاها الأدباء ، فذكر أنواعها وأنماطها ، وحدد عوامل رقيها ، وصور بعض عيوب منشئيها ، مما كان له أثره

---

(١٣) ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم (الشعر والشعراء) ص ٢٤ ط دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦٩ م

(١٤) المصدر السابق : ص ٢٠ .

التقويم النفسي للأدب

عند العرب

الفعال في بناء صرح من المعاني (١٥) ، أو من النظم باجمال .

أما كتابه الثاني الذي جعله لتأكيد قضية (الاعجاز البياني للقرآن) فقد تحدث فيه عن جوانب هذا الاعجاز ووجوهه ، وبخاصة فيما يتصل بالنظم والسبك ، والنغم الموسيقي ، وأثر ذلك في النفوس والأسماع ، ثم تحريك أساليب القرآن للاحساس والمشاعر ، ولم ينس صور المجاز القرآني (١٦) وهو من القائلين بوقوعه في القرآن الكريم ، وقد اعتبر أن هذا المجاز هو السبب المهم الذي مهد لغلط الطاعنين في القرآن ، واختلافهم في فهم النص القرآني ، ومن هنا كان افرادهالحديث عن هذا المجاز في باب خاص من الأبواب الثلاث للكتاب :

١ ــ الحكاية عن الطاعنين .

٢ ــ التناقض المزعوم .

٣ ــ القول في المجاز .

والذي يجب تقريره أن عرض ابن قتيبة للمجاز مسلك متميز ، حيث يذكر صورة المجاز القرآني ، ويعقب عليها بمثيلاتها من كلام العرب : شعره ونثره ، انظر مثلا الى تحليله لقوله تعالى من سورة المدثر « **وثيابك فطهر** » أي طهر نفسك من الذنوب ، فكنى عن الجسم بالثياب ، لأنها تشتمل عليه ، على حد قولهم أي (العرب) :

« قوم لطاف الأزر » أي خماص البطون ، و « فدى لك ازارى » يريدون بدنى ، فتضع العرب الازار موضع النفس .

وعلى الرغممن عدم دقة ابن قتيبة في تحديد المصطلح البياني ، حيث ان اطلاق الثوب على النفس مجاز مرسل علاقته الحالية أو المجاورة ، وأما لطاف الأزر فواضح في الكناية عن الضمور (١٧) ــ فانه يكفى هذا الناقد أنه قد مهد السبيل لمن جاء بعده ، خاصة أن المصطلحات البلاغية كانت آنذاك في دور نموها ، لكنه أدرك مبكرا دور المجاز في تنمية اللغة العربية باعتباره الأداة الكبرى من أدوات التعبير الشعرى ، لأنه أخيلة وصور تعبر عن الحقيقة المجردة بالأشكال المحسوسة ، حتى ساغ لبعض النقدة المعاصرين أن يسمى لغة العرب بأنها لغة المجاز ، لأنها تجاوزت بتعبيرات المجازحدود الصور المحسوسة اليحدود المعانى المجردة (١٨) » .

هذا وقد فطن ابن قتيبة في مقدمة كتابه هذا الى الكيفيات ، والخصوصيات التى تحقق بلاغة التراكيب ، وبراعة الأساليب ، كي تجد حظها

(١٥) العيسوي : د . سيد الحميد (روائع المعاني) ص ١٢٩ .

(١٦) ابن قتيبة : أبو محمد (تأويل مشكل القرآن) ص ٧٦ ، ص ١١٥ ، ص ١٩٩ ط عيسى الحلبي القاهرة ــ أولى .

(١٧) الخولي : د . كامل (اثر القرآن في تطور البلاغة العربية) ط دار الانوار بالقاهرة سنة ١٩٦٢ م .

(١٨) العقاد : عباس محمود (اللغة الشاعرة) ص ٣٧ ط مخيمر بالقاهرة سنة ١٩٦٠ م .

من القبول والتأثير في نفوس المخاطبين من السامعين أو القارئين ، بقوله في باب (ذكر العرب وما خصهم الله به من العارضة والبيان واتساع المجاز) : « فالخطيب من العرب اذا ارتجل كلاما في نكاح أو حمالة ، أوتحضيض ، أو صلح ، أو ما أشبه ذلك ، فلم يأت من واد واحد ، بل يفتن فيختصر تارة ، ارادة للتخفيف، ويطيل تارة ، ارادة للافهام ، ويكرر تارة ، ارادة للتوكيد ، ويخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين ، ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجمين ، ويشير الى الشيء ، ويكني عن الشيء ، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال ، وقدر الحفل ، وكثرة الحشد ، وجلالة المقام ، ... ، ثم لا يأتي بالكلام كله مهذبا كل التهذيب ، ومصفى كل التصفية ، بل تجده يخرج ويشوب ، ليدل بالناقص على الوافر ، وبالغث على السمين ، ولو جعله كله واحدا لبخسه بهاءه ، وسلبه ماءه ... .

فأنت تجد ابن قتيبة يلح على تحقيق المطابقة هي مناط البلاغة وعمادها ، اذ البلاغة مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال (٢٠) .

ولعل ناقدنا قد اثر فيما تأثر بأول وثيقة

(١٩) ابن قتيبة : ص ١١ حمالة : ما يحتمله الانسان عن غيره من دية او غرامة (لسان العرب) .

(٢٠) العبيسي : د. عبد الحميد (المدخل الى بلاغة العرب) ص ٢٩ (محاضرات) .

نقدية موضوعية ، تلك الوثيقة التي بلورها (بشرين المعتمر) سنة ٢١٠ هـ ، فبين فيها أصول الأدب وركائزه ، واقتضاء المعنى الشريف للفظ الشريف ، والبعد عن التعقيد والتقعير ، ومراعاة المقامات والأحوال ، وعلى الأديب أن ينتهز ساعة نشاطه ، وفراغ باله ، وأن يتجنب التكلف في القول ، وان ابتلي بالتكلف فلا يعجل ولا يضجر ، بل يعاود القول عند نشاطه ... » وواضح أن الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ استاذ ابن قتيبة قد تأثر هو الآخر بتلك الوثيقة (٢١) .

ومن خلال ما تقدم يمكننا ان نخلص الى حقيقة مؤداها أن هؤلاء النقدة في القرن الثالث الهجري قد حرصوا على الجانب النفسي مع الجانب الجمالي في وقت واحد .

هذا ما كان في القرن الثالث ، فما دور اعلام القرن الرابع الهجري ؟ ذلك موضوع مقال تال اذا شاء الله تعالى .

د. عبد الحميد العبيسي

(٢١) العبيسي : د. عبد الحميد (النقد الادبي العربي) ص ٣٩ .

طرائف

نعم

قال عمر بن الخطاب ــ رضى الله تعالى عنه ــ أصل الرجل : عقله ٠
وحسبه : دينه ٠
ومروءته : خلقه ٠

لكل شئ آفة

فآفة الحلم : الغضب ، وآفة العقل : العجب وآفة السخاء : المن ، وآفة الكرام : مجاورة اللئام ، وآفة الشجاعة : البغى ، وآفة المال : سوء التدبير ، وآفة الكامل من الرجال العدم : اى الفقر ٠

قالوا .. وحق قولهم

* ان صبرت فانت ماجور ، وان جزعت جرى عليك المقدور وأنت موزور ٠
* شر الاخوان من يحتشم منه ويتكلف له ٠
* لا تعامل من لا تقدر على الانتصاف منه ٠
* الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها ٠
* لا تقل مالا تعلم فتتهم فيما تعلم ٠
* شر الناس من لا يبالى أن تراه مسيئا ٠
* خير من الخير مسديه ٠

المؤمن أمره كله خير

قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : « عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ، ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » ٠

هجاء إبليس

أتى الفرزدق الحسن البصرى ــ رضى الله عنه فقال : انى قد هجوت ابليس فاسمع !!
فقال الحسن : لا حاجة لنا بما تقول !
فقال الفرزدق : لتسمعن او لاخرجن ، فاقول ان الحسن ينهى عن هجاء ابليس !
فقال الحسن : أسكت ، فانك عن لسانه تنطق ٠

لو..

لو صحبنى رجل واحد ، وقال : لا تشترط على الا شرطا واحدا ٠ لقلت : لا تكذبنى !

مواقف

إعداد:
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

جواب مسكت

قيل لعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم ؟

فاجاب : كما يرزقهم على كثرة عددهم .

حقاً

أضعف الناس من ضعف عن كتمان سره .. وأقواهم من قوى على غضبه . وأصبرهم من ستر فاقته .. وأغناهم من قنع بما تيسر له .

اتقوا

صولة الكريم اذا جاع ، واللئيم اذا شبع ! والحليم اذا غضب .

دعائم التوبة

استغفار باللسان ..
ونية بالقلب .
وترك بالجوارح .
وإضمار بعدم العودة .

الفقيه الحق

هو من لم يقنط الناس من رحمة الله ـ تعالى ـ ولا يؤيسهم من روح الله ، ولا يدع القرآن رغبة الى ما سواه .

دعاء

اللهم انى استغفرك لذنبى ، واستهديك لراشد أمرى ، واستجيرك من شر نفسى ، وأتوب اليك فتب على انك أنت ربى .

من نوادر مخطوطات

كتاب شرح ابن بطّال

من كتب الشريعة الاسلامية التي حظيت بالقبول ، ونالت رعاية العلماء واهتمامهم ، كتاب « الجامع الصحيح » للامام البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، فقد اقبل العلماء عليه بالدراسة والكشف والبحث والاستفادة والشرح والتعليق .

وقد شرح جامع البخارى شروحا كثيرة ، بعضها مشهور متداول ، وبعضها عفى عليه الزمن فيما عفى ، ومن أشهر شروحه وأقدمها ، شرح ابن بطال عليه ، وربما كان هذا الشرح أساس شروحه ، فكثيرا ما يعتمد عليه الشارحون وينقلون عنه .

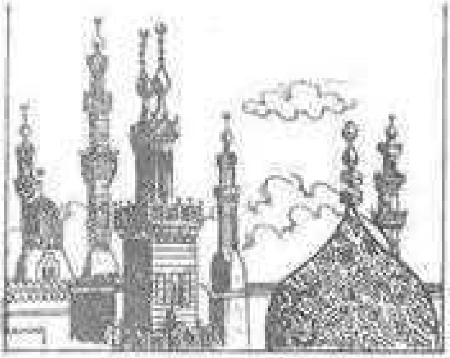
وكان علماء الحديث مشوقين الى معرفته والاطلاع عليه ، والوقوف على طريقة تاليفه ، ومنهاج البحث فيه ، وكان الظن أنه ضاع فيما ضاع من التراث الاسلامى .

ولكن من حسن الحظ أن الله أظفر به مكتبة الأزهر ، فأهدى اليها ضمن مكتبة المغفور له الشيخ محمد الامير غفر الله له وأجزل مثوبته .

وابن بطال هذا هو أبو الحسن على بن خلف ابن عبد الملك بن بطال القرطبى يعرف باللجام، الامام العالم الحافظ المحدث الراوية الفقيه ، روى عن ابن أبى صفره والشغناذى والقاضى يونس وغيرهم ، وأخذ عنه جماعة ، ألف شرحه المعروف على البخارى والاعتصام فى الحديث وتوفى سنة ٤٤٤ هـ أو سنة ٤٤٩ هـ وهذا الشرح يقع فى أربعة مجلدات ، منها ثلاثة فقط بالمكتبة الاول وبآخره نقص ، والمجلدان الثالث والرابع وهما بقلم معتاد وبخط واحد ، هو خط على ابن عمر عبد الله الامام ، فرغ منهما سنة ٧٨٠ هـ .

وعدد أوراق المجلد الاول ٣٥٣ ورقة والثالث ٣٨٧ ورقة ، والرابع ٣٨٧ ورقة ومسطرتها كلها ٢٥ سطرا ، وعدد كلمات كل سطر تتراوح بين ١٥ ، ١٨ كلمة ومقاسها ٢٧ × ٢٠ وعنوان كل جزء بأوله بالمداد الازرق فى حلية ذهبية أنيقة، وعناوين الكتب والابواب فى الكتاب جميعه بالمداد الأحمر والكتاب بحالة جيدة تمكن من الانتفاع به .

ويبتدىء الجزء الأول بأول الشرح وينتهى فى أثناء باب زيارة القبور ، ويبتدىء الثالث بكتاب الأضاحى ، وينتهى بباب الطلاق ، ويبتدىء الرابع بباب ما يكره من الاحتيال فى الفرار من الطاعون وينتهى بآخر الشرح .



على البخارى

للأستاذ محمد عميرة على

وشرح ابن بطال هذا هو شرح موجز عنى فيه صاحبه بالتنبيه أولا على الصحابى راوى الحديث ، وباستنباط الأحكام الفقهية على مذهب الامام مالك ، قال صاحب كشف الظنون : «شرحه البخارى» الامام أبو الحسن وغالبه فى فقه الامام مالك من غير تعرض لموضوع الكتاب .

وأول الشرح : « باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقول الله عز وجل « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ » فيه عمر بن الخطاب قال النبى صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو الى امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليه ».

قال المؤلف قال لى أبو القاسم المهلب بن أبى صفرة رحمه الله معنى هذه الآية :

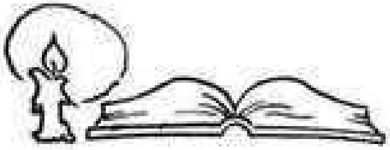
« ان الله تعالى أوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى الى سائر الانبياء قبله عليهم السلام . وحى رسالة لا وحى الهام .. لأن الوحى ينقسم على وجوه : قال وانما قوم البخارى رحمه الله حديث الأعمال بالنيات فى أول كتابه ليعلم أنه قصد فى تأليفه الى وجه الله عز وجل . ففائدة هذا المعنى أن يكون تنبيها لكل من قرأ كتابه أن يقصد به وجه الله تعالى . كما قصده البخارى فى تأليفه وجعل هذا الحديث أول كتابه عوضا عن الخطبة التى يبدأ بها المؤلفون ، ولقد أحسن العوض من عوض من كلامه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ما ينطق عن الهوى .. وقال جماعة من العلماء : ان هذا الحديث ثلث الاسلام وبه خطب النبى صلى الله عليه وسلم حين وصل الى دار الهجرة وشهر الاسلام « وقال أبو عبد الله بن الفخار انما ذكر هذا الحديث فى هذا الباب لأنه متعلق بالآية التى فى الترجمة والمعنى الجامع بينهما أن الله عز وجل أوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم والى الأنبياء قبله أن الاعمال بالنيات والحجة لذلك قول الله عز وجل « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ » .

وينتهى شرحه فى هذا الجزء الى باب زيارة القبور ويبدأ الثالث بكتاب الأضاحى .. وقال

مكتبة الأزهر

في أول شرحه (باب سنة الأضحية وقال ابن عمر هي سنة ومعروف فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان أول ما نبدأ به في يومنا هذا نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعله فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل فانما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء فقام أبو برده بن دينار وقد ذبح فقال ان عندي جذعة . قال اذبحها ولن تجزي عن أحد بعدك .. الخ وينتهي بباب الطلاق .

أما الجزء الرابع فيبدأ بباب ما يكره من الاحتيال في الفرار من الطاعون فقال : فيه عمر بن الخطاب خرج الى الشام فلما جاء شريع بلغه أن الوباء وقع بالشام فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه . واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فرجع عمر من سرغ وفيه أسامة أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الوجع فقال رجسا وعذابا عذب به بعض الأمم ثم بقي منه بقية فيذهب المرة ويأتي الأخرى فمن سمع بأرض فلايقدمن عليه ومن كان بأرض وقع بها فلا يخرج فرارا منه . قال المهلب وغيره لا يجوز الفرار من الطاعون ولا يجوز أن يتحيل بالخروج في تجارة أو زيارة أو شبهها وهو ينوي بذلك الفرار من الطاعون ويبين هذا المعنى قوله عليه السلام الاعمال بالنيات في النهي عن الفرار من الطاعون كأنه يفرض قدر الله وهذا لا سبيل لاحد اليه لان قدر الله لا يغلب وسيأتي الكلام في معنى هذا الحديث في كتاب المرض والطب في باب من خرج من



أرض لا تلائمه فهو موضحه انشاء الله تعالى .

وآخر الشرح : « وقول البخاري ويقال القسط مصدر المقسط فانما أراد المصدر المحذوف الزوائد كالقدر مصدر قدرت اذا حذفت زوائده .

قال الشاعر :

وان يهلك فذلك كان قدري

بمعنى تقديري محذوف زوائده ورده الى الأصل . ومثله كثير . وانما يحذف العرب زوائد المصادر لترد الكلام الى أصله ويدل عليه . ومصدر القسط الجاري على فعله الاقساط .

ومكتبة الازهر يسرها أن تقدم للقراء والباحثين والعلماء نوادر مخطوطاتها لتكون زادا علميا ينتفع به المسلمون في بقاع العالم أجمع وسندا لي ان شاء الله تباعا توضيح ما تحتويه مكتبة الازهر من تراث اسلامي خالد .

محمد عمرة علي

عرض وتقديم حمدي الليثي

الحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي

الحياة الاجتماعية لصيقة بالشعر منذ نشأته بل كانت أهم مجالاته ومصدر عطائه فشعر الامم وثيقتها التاريخية والسياسية والاجتماعية ، حيث يمكن للباحث أن يستخرج منه وصفا كاملا لأحوال المجتمع .

وقد استطاع الباحث أحمد حسن عمارة المدرس المساعد بكلية التربية بطنطا أن يضع وصفا كاملا لأحوال المجتمع الجاهلي من خلال أشعارهم .

وذلك في رسالته للدكتوراه التي تقدم بها لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة وأجازتها لجنة المناقشة والاشراف المكون من الاستاذ الدكتور عبد اللطيف خليف نائب رئيس الجامعة مشرفا والاستاذ الدكتور يوسف خليف رئيس قسم اللغة العربية بآداب القاهرة والاستاذ الدكتور طه أبو كريشة عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة .

وقد استطاع الشاعر الجاهلي أن يصور



هذا العصر تصويرا دقيقا يجعل المتصفح لدواوينه يحس بتطلع الشاعر الجاهلي لعصره وادراكه للانسانية من خلال هذا العصر . فكل قصيدة بما فيها من صور وكلمات وموسيقى وأنغام ليست سوى انعكاس للروح السائدة في هذا العصر ، وبذلك كان الشعر الجاهلي المرآة التي تظهر على صفحتها صورة المجتمع بقيمه وأخلاقه وآماله وآلامه وعاداته ومعتقداته .

ويقرر الباحث حقيقة منطقية فيقول :

على أنه ليس من قبيل الوهم ما يقال من أن الشعر في حقيقة الامر تعبير عن الحياة كما يدركها الانسان من خلال وجدانه وبه تتم معرفة العصور بشكل أعمق من الوسائل الاخرى لأنه تعبير خالص عن الشعب الذي ابتدعه في شمول ودقة . وقد أشار الى هذه الحقيقة أبو هلال العسكري حين قال « لاتعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها الا من جملة أشعارها ، فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علومها » كما أشار اليها الجاحظ في قوله وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى وكان ذلك هو ديوانها .

ولكن ما الحافز الذي دفع الباحث لاختيار هذا الموضوع رغم تشعبه ؟..

يجيب الباحث بمقدمة بحثه عن هذا السؤال فيقول :

ولقد كان حافزي لهذا الموضوع ما وصم به هذا العصر من جانب بعض الباحثين الذين تناولوا الحياة الاجتماعية عند العرب فقد صوروا المجتمع العربي مجتمعا قاتما منحلا من القيم والمبادىء يتسم بالجهالة والهمجية وسوء الأخلاق حتى غدت الصورة التي استقرت في كثير من الأذهان عن العصر الجاهلي فيها كثير من الغلو والبعد عن الصواب فبدا لبعضهم أن الأمة العربية في جاهليتها كانت أمة جهل وعمى قد عزلت عن العالم وعاشت في بحر من البداوة والفوضى والتوحش ، ليس لها ماض مجيد يشدها اليه ولا حاضر قويم يحيي فيها معاني المروءة .

وقد تمكن الباحث من تفنيد هذه المزاعم ورد الحق الى نصابه حتى اتضحت الصورة الأصيلة للعرب من خلال بحثه وكان سنده في هذا كله الشعر الجاهلي الذي صور الحياة الاجتماعية أروع تصوير .

ومن خلال قراءة البحث نلاحظ أن الباحث لم يضف على العرب اكثر مما لديهم ولم يتعرض لمدحهم أو الثناء عليهم فيصفهم بما ليس فيهم أو يبرئهم من العيب والذم .

الشعر الجاهلى..



فهذا فى رأى ضرب من التعصب يخفى الحقائق ويجانب المنهج العلمى السليم •

واحقاقا للحق فقد التزم الباحث المنهج العلمى ببحثه حيث بين أن الأمة العربية شأنها شأن سائر الأمم لها فضائلها ولها نصيب من الحضارة والمعرفة فى عهدها الغابر.

وقد اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة •

ففى المقدمة تحدث الباحث عن أهمية هذا الموضوع وبواعث اختياره وعن أهم مصادر البحث ومراجعه وبين الباحث أنها كانت من الشمول والسعة بحيث لم تقتصر على الشعر وحده بل شملت كذلك الكثير من كتب التاريخ والاجتماع •

وفى الباب الاول فقد أفرده الباحث للحديث عن « التكوين الاجتماعى » وقسمه الى ثلاثة فصول تناول الفصل الاول « القبيلة وحدة الحياة الاجتماعية » وأوضح الباحث فى هذا الفصل أن النظام القبلى كان الصورة المثلى التى تتلاءم وظروف المجتمع فى ذلك الوقت ، وأن ذلك لم يكن خاصا بالعرب وحدهم وانما عرفته سائر الامم فى أطوارها الأولى •

وفى الفصل الثانى تحدث الباحث عن الأسرة التى هى اللبنة الأولى للقبيلة وتعرض فى هذا الفصل لمكانة المرأة وبين أنها كانت تتمتع بمكانة مرموقة ومنزلة عالية •

أما الفصل الثالث فجعله الباحث للحديث عن الأولاد •

أما الباب الثانى فقد تعرض فيه الباحث للحديث عن القيم والعادات والمعتقدات ... وقسمه الى ثلاثة فصول — الفصل الأول خاص بالقيم الخلقية — والثانى خاص بالعادات الاجتماعية ، والثالث خاص بالمعتقدات •

ولن اتعرض للباب الثالث لانه باب اسم لم يوزع الى فصول كما نوهت لجنة المناقشة بذلك وختاما اقول ان مناقشة هذه الرسالة فى مدة زمنية تجاوزت خمس ساعات وايراد بعض الملاحظات على البحث فهذا فى رأى لايقلل من اهمية البحث للمتخصصين وغيرهم وقد اقرت لجنة المناقشة ذلك — واتمنى الا يوضع هذا البحث على الارفف كغيره من البحوث الجامعية وان يكون فى متناول المتخصصين وغيرهم لكى تتضح الصورة امامهم عن الحياة الاجتماعية عند العرب •

حمدى الليثى



في رحاب الجامعة

• رسالة الإذاعة

ان وسيلتى الاذاعة ــ مسموعة ومرئية ــ من اهم الوسائل الاعلامية واخطرها فى تشكيل الوجدان الشعبى والتأثير فيه بالايجاب او السلب .. خاصة فى المجتمعات النامية التى تكون دائمة التشكك فى كل ما هو جديد !.

وللاذاعة والتليفزيون الباع الطويلة والدور الخطير فى حقل خدمة الدعوة الاسلامية اذا أحسن استخدامها واستثمارها فى هذا المجال الذى يفرض علينا عددا من الاسئلة :

* هل تصلح الفلسفة أن تكون مصدرا للتوجيه الاعلامى ..؟!
* هل تصلح الصحافة ووسائل الاعلام الاخرى أن تكون مصدرا اعلاميا .. ؟!
* هل الأدب والفن يصلحان لأن يكونا مصدر توجيه انسانى .. ؟!
* هل تصلح السياسة أن تكون قناة شرعية للتوجيه والدعوة والاعلام .. ؟!

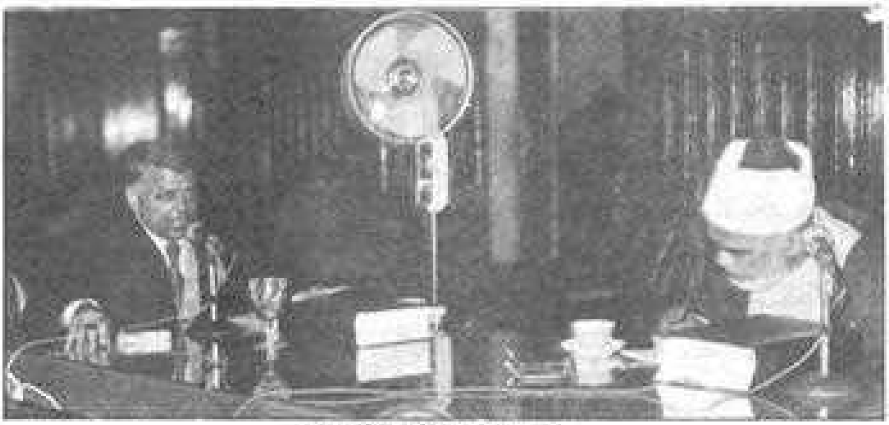
وهنا تبرز الحاجة الملحة الى باحثين متخصصين أصحاب تجربة فى هذا الحقل الاعلامى الهام والحساس للقيام بعمل ابحاث تعلو بهاتين الوسيلتين الى منزلة السمو الاخلاقى .. وليكون ذلك حافزا على تطبيق الشريعة الاسلامية .. واذا بواحد ــ تخرج فى الازهر الشريف وهو ممن يعملون فى هذا الحقل منذ أكثر من خمسة عشر عاما ــ يقوم بعمل دراسة لوضع الاسلوب الامثل والمنهج الصحيح لاستخدام وسيلة الاذاعة ــ المسموعة والمرئية ــ وحتى تحقق الدعوة الاسلامية الفاعلية والايجابية فى مواجهة كافة التيارات الفكرية التى تواجه الأمة الاسلامية .

* لأول مرة *

نوقشت بقاعة الامام محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف ــ ولأول مرة فى تاريخ الجامعات العربية ــ رسالة الدكتوراه التى تقدم بها الباحث الاذاعى عبد الخالق محمد عبد الوهاب مدير عام البرامج باذاعة القرآن الكريم بالقاهرة وموضوعها «الاذاعة المسموعة والمرئية فى مجال الدعوة الاسلامية» تحت اشراف المفكر الاسلامى الراحل الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف وشئون الأزهر سابقا وعضوية كل من : الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر ، والدكتور محمد عبد الغنى أبو شامة رئيس قسم الدعوة والثقافة الاسلامية بكلية أصول الدين بالقاهرة .

دكتوراه :

المسموعة والمرئية في مجال الدعوة الإسلامية



● الباحث عبد الخالق عبد الوهاب

قال الباحث : لقد صحت نيتي وعقدت العزم على تأكيد التجربة التى امتدت أكثر من خمسة عشر عاما فى مجال الدعوة الى الله وهنا أقول لقد أصبح الاعلام عن الاسلام ورسالته ضرورة انسانية بكل الصدق ولاسيما فى هذا العصر ، ولقد أكد ذلك المستشرق الانجليزى المسلم « مارماديوك بكتول » حيث قال : « فى رأيى أن الزمن الذى نحن فيه هو أنسب الازمان وأصلحها لنشر الدعوة الاسلامية فى الارض » .

هنا يجب على الدعاة الى الاسلام أن يستخدموا أحدث الوسائل الاعلامية فى تبليغ الدعوة الى الله بأسلوب موضوعى هادئ ومنظم يضع الأهداف الصحيحة ويرسم الخطط السليمة ويبين الوسائل المجدية المؤدية لتحقيقها بالاسلوب الامثل بالحكمة والموعظة الحسنة وعلى بصيرة من خلال أخطر وسيلة للتأثير والتوجيه فى الاعلام الحديث وهى الاذاعة ــ المسموعة والمرئية ــ .

وأشار الباحث الى أن دعوة الاسلام هى دعوة الى الانسانية فى سلوك الافراد وفى الترابط فيما بينهم ، كما أنها دعوة الى

الاذاعة المسموعة



الانتقال من الانانية والمنفعة المادية الى المعنى الجماعي والمصلحة العامة . حيث قال ابن تيمية في تعريف الدعوة : ان الدعوة الى الله هي الدعوة الى الايمان به ، وبما جاء به رسله ، وتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا .

✽ وسيلتنا الكتاب والسنة ✽

ومن المبادىء الاساسية التي وضعها النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لنشر دين الله ــ أنه لم يقصر الوسائل على نوع واحد وانما استعمل وسيلتي القرآن الكريم والسنة النبوية ومع ذلك دعا أصحابه الى تطبيق أو استعمال وسائل كثيرة كالخطبة وتبليغ الشاهد الغائب وحمل الرسائل .. الخ فكل ذلك يحملنا على استغلال كافة الوسائل الحديثة لتبليغ دعوة الله الى الناس جميعا .

قال الباحث ان الدعاية في المفهوم الديني بمعنى الدعوة كما وضح ذلك جليا في كتاب رسول الله الى هرقل : « أدعوك بدعاية الاسلام » أي بدعوته وهي كلمة الشهادة .

أما أنواع الدعاية فهي :

١ ــ **الدعاية البيضاء** : وهي عبارة عن نشاط علني من أجل هدف معين .

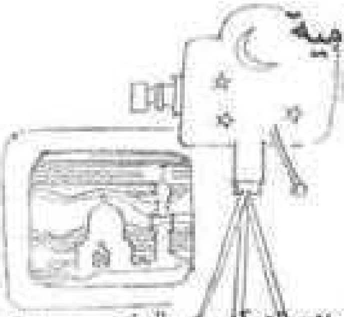
٢ ــ **الدعاية السوداء** : وهي الدعاية المستورة وتقوم عادة على نشاط المخابرات السرية .

٣ ــ **الدعاية الرمادية** : وهي التي لا تخشى من أن يقف الناس على مصادرها الحقيقية ، ولكنها تختفي وراء هدف من الاهداف .

لم يكن الاسلام بحاجة الى « دعاية » بل كان بحاجة الى « اعلام » .. والاعلام هو : اذاعة الحقائق والوقائع كما حدثت بصورتها الحقيقية .. وأما الدعاية فهي : اجتذاب الجماهير ولو كان ذلك عن طريق الباطل في بعض الأحايين .

✽ الاعلام عبر التاريخ ✽

ان الاعلام وجد بوجود هذا العالم ، ولكنه مر بمراحل كثيرة حتى وصل الى الصورة التي هو عليها في وقتنا الحاضر .. فقد كانت وسائل الاعلام قديما « طبولا » تسمع في الادغال ودخانا يصعد في بلاد الهند ونيرانا تسطع في صحراء العرب وحمائم تطلق في عهود الخلفاء والسلاطين وخيلا تسبق الريح في توصيل الانباء الهامة من بلد لآخر .



✽ الاعلام القرآنى ✽

ورد فى كتاب : « من قضايا الاعلام فى القرآن » ان الاعلام القرآنى نابع من عقيدة الوجدانية التى تقرر ربوبية الخالق المطلقة ، وتساوى البشر فى عبوديتهم للخالق جل وعلا .. وهذا يعنى أن الاعلام القرآنى لايهدف الى تحقيق مصلحة فئة معينة من الناس على حساب فئات أخرى لأن المقياس الوحيد الذى يعمل به الاعلام القرآنى هو : انسانية الانسان المتمثلة فى عبوديتها المطلقة للخالق عز وجل ، ولما كانت الرحمة الالهية المتمثلة فى الدعوة الى عبادته مهداة الى البشر جميعا دون استثناء ، .. ولما كانت العلاقات المقررة بين القبائل والشعوب فى العلاقة المبنية على التعارف .. لاتنابذ .. لا معاداة .. ولما كانت الحرية فى الاختيار حقا لكل الناس بحيث لايتمايزون فى العثور على فرص العمل وبذل الجهود المشروعة .. أنظر الآيات التالية :

« وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ »

« وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »

« لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا » .

لهذا كله كان من الطبيعى أن يكون « الاعلام القرآنى » اعلاما موضوعيا يتصف بالصدق ويصدر عن الحق ولايقول غير الحق .. وهنا تميز « الاعلام القرآنى » بالوضوح والصراحة والواقعية دون مراعاة لمصلحة فرد أو فئة من الناس .

✽ الاسلام وتكوين الاحساس الانسانى ✽

وأضاف الباحث قائلا : ان المفكر الاسلامى الكبير الاستاذ الدكتور محمد البهى تناول الدعوة والتوجيه والاعلام تناولا منطقيا أكد أن الاسلام رسالة الله للانسانية يدفع بتعاليمه الى تكوين الاحساس الانسانى الجماعى فى الانسان بدلا من الانانية .. والى توجيه الانسان نحو العلم والتفكير السليم بدلا من الخرافة .. والى العمل على ابعاد الحيوانية وسيطرة الغرائز عن تصرف الانسان وسلوكه لان الانسان تؤثر فيه الغرائز والعقل والارادة والتوجيه .

فالاعلام والدعوة والتوجيه السليم الان ضرورة حتمية للانسان حتى يبلغ مستوى انسانيته فى التفكير والتطبيق .

وأضاف الباحث : أن الفلسفة تدعى أنها مصدر توجيه صحيح منذ نشأتها وحتى الآن كما تدعى سلامتها فى التوجيه وخاصمت فى هذا الادعاء مصادر توجيه أخرى مثل

رجال الدعوة الاسلامية

« الدين » و[illegible] عناصره ، وفي خصومتها الدين وصلت الى أن أنكرت قيمته بعدما تأثرت به ، وبعد أن حافظت على كثير من مبادئه منذ عهد الاغريق حتى فجر النهضة الاوربية .. وفي الاتجاهات المثالية الى الاتجاهات المادية .. حتى الالحادية .

وانتقل الباحث الى الاعلام عند النظامين : الديمقراطى الرأسمالى ، والشيوعى فقال : اذا كانت أجهزة الاعلام في النظام الديمقراطى الرأسمالى ، والشيوعى فقال : تحقيقا لربح أوفر ناسية أو متناسية تقاليد المجتمع ومعاييره الاخلاقية .. فانها فيالنظام الشيوعى تحمل على أهم العناصر التى تكون عادة تقاليد المجتمع ومعاييره الاخلاقية وهو الدين تطبيقا للماركسية ..!

والماركسية هى الفلسفة المادية التى تنادى بأبعاد الدين وتحكم عليه بأنه مادة للتخدير والخداع ..!

ولكننا حينما نرجع الى نظام الاعلام الاسلامى وهو مانسميه « الدعوة » فاننا نجده يختلف كل الاختلاف عن النظامين السابقين في المنطلق والهدف ، ذلك أن الاعلام الاسلامى مصدره ومنطلقه في « التوجيه » الوحى الالهى ، بعكس النظامين السابقين الجاهلين اللذين مصدرهما تصور بشرى ..!

وأضاف الباحث قائلا ان الدكتور البهى يقول : اذا كان توجيه الفلسفة والفكر وتوجيه التربية والتعليم وتوجيه الادب والفن وتوجيه الصحافة والاعلام ولايجمع عناصر الصلاحية العامة للتوجيه الانسانى العام .. فتوجيه السياسة بعيد عن هذه الصلاحية لأن السياسة ليست رسما لتفكير بقدر ما هى تنفيذ لهذا التفكير ، والسياسة في أصلها اشراف على تنفيذ فلسفة معينة .

ذهب فريق كبير من الغيورين على الاسلام والمسلمين الى ضرورة نبذ الاعلام كله على أنه عدو خفى يحارب الدين بالكلمة والصورة الجرارة والجنود الزاحفة ، وينبغى أن يبنى الاعلام الاسلامى على أسسه الحضارية التى تنطلق من أصول « قرآنية » مقدسة ، وتراث نبوى شريف .

وقال الباحث ان عوامل نجاح الداعية « رجل الاعلام القائم بالاتصال » هى :

- **أن يكون متمكنا من حفظ القرآن الكريم والاحاديث النبوية .**
- **أن يحسن توصيل دعوته الى الناس عن طريق اعلام صحيح ومرغوب .**
- **لابد من توافر الايمان اى ايمان الداعية بالدعوة واخلاصه لها وفهمه لعناصرها .**

وقد نال الباحث درجة الدكتوراه بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الاولى.

محمود حبيب

أخبار العالم الإسلامي

مشروعات تقنين الشريعة الإسلامية

القاهرة :

صرح مستشار رئيس مجلس الشعب بان قوانين الشريعة الاسلامية تحت الطبع بالمطبعة الأميرية . ويعقب طبع مشروعات هذه القوانين ترتيب الندوات المفتوحة ولجان الاستماع لاتاحة الفرصة لابداء الأراء في جميع مشروعات تقنين الشريعة الاسلامية .

ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم بالفرنسية

باريس :

قامت الكاتبة الفرنسية « دوتزر ماسون » بترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغة الفرنسية .

وتعتبر هذه الترجمة هي احدث ترجمات معاني القرآن الكريم التي صدرت في باريس ، وذلك لتوزيعها على المسلمين في الدول التي تتحدث باللغة الفرنسية .

القادة العسكريون المسلمون

اسلام اباد :

يعتزم معهد الدراسات الاسلامية التابع للجامعة الاسلامية في اسلام اباد ، جمع المعلومات المتعلقة بمشاهير القادة العسكريين المسلمين وحياتهم وانجازاتهم ، والمعارك الكبرى التي خاضوها .

ويهدف المعهد من وراء ذلك الى اصدار كتاب يحوي كافة المعلومات والتفاصيل عن هؤلاء القادة العسكريين من وجهة النظر التاريخية والعسكرية .

وذكرت مصادر الجامعة الاسلامية في اسلام اباد أن مجلس الجامعة كان قد اتخذ قرارا باصدار هذا الكتاب بعد مناقشات ودراسات مستفيضة حول اهمية هؤلاء القادة في التاريخ العسكري الاسلامي وتضم قائمة مشاهير القادة العسكريين المسلمين الذين سيتناولهم

الكتاب محمد بن القاسم ، وموسى بن نصير ، وابو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن ابى وقاص وغيرهم · وسيكون الكتاب بمثابة تسجيل عسكرى شامل لهؤلاء القادة ·

معهد دينى أزهرى فى استراليا

فيكتوريا :

اعلن رضوان حدارة مدير الجمعية الخيرية الاسلامية فى فيكتوريا باستراليا أنه تم انشاء مسجد عمر بن الخطاب فى ملبورن بالجهود الذاتية للمسلمين فى هذه المنطقة ويبلغ عددهم خمسة وثمانين الف مسلم · كما اعلن انه تم شراء منزلين بجوار المركز الاسلامى هناك لتحويلهما الى معهد دينى أزهرى تكون الدراسة به حسب المناهج الازهرية المصرية ·

معرض للعملات الإسلامية فى ألمانيا الغربية

فرانكفورت

فى مدينة فرانكفورت بالمانيا الغربية اقيم معرض للعملات الاسلامية ضم قطعا من العصور الاسلامية المختلفة ·

والفكرة من وراء هذا المعرض الذى نظمه عدد من أساتذة الجامعات وخبراء المتاحف المهتمون بالحضارة والتاريخ العربى الاسلامى هى استعراض تاريخ العملات الاسلامية وتطورها منذ أول عملة ذهبية تم سكها فى دمشق عام ٧٧ هـ · ويقول الخبراء : ان العملات الاسلامية تعتبر وثائق تعبر عن الفكر السياسى والاتجاهات الاجتماعية والثقافية التى سادت فى عصرها ·

النشاط الاسلامى فى نيجيريا

اعلن الرئيس النيجيرى ونائبه عن تنازلهم بنسبة معينة من مخصصاتهم وكذلك الوزراء والمسئولون وذلك لدعم النشاط الاسلامى فى نيجريا · ونيجريا تشهد صحوة اسلامية واسعة ·

مركز للأبحاث الإسلامية فى أنقرة

تركيا :

وقعت رابطة العالم الاسلامى اتفاقية مع الحكومة التركية لانشاء مركز للتدريب والابحاث الاحصائية والاقتصادية والاجتماعية للأقطار الاسلامية فى انقرة · وسوف يعمل المركز على خدمة المسلمين وتقديم الابحاث والدراسات المثمرة ·

الإسلام فى اليابان

صرح عبد الكريم سينو زعيم المسلمين فى اليابان خلال زيارته للقاهرة بان عشرين يابانيا اعتنقوا الاسلام واعلنوا اسلامهم فى مسجد طوكيو · كما اعلن زعيم المسلمين ان مسلمى اليابان يقدمون المساعدات للمجاهدين فى افغانستان ·

إعداد عبد الرحيم السايح

أخبار الأزهر

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يعود من السعودية

بعد أداء فريضة الحج

* عاد فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الى أرض الوطن بعد أداء فريضة الحج رئيسا لبعثة الحج الرسمية لجمهورية مصر العربية ·

وكان فى استقبال فضيلته بأرض المطار فضيلة الاستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود وكيل الأزهر وفضيلة الدكتور حامد جامع الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر · والأستاذ جابر حمزة المدير العام للاعلام بالأزهر وكبار المسئولين بالأزهر وكان فضيلة الامام الاكبر قد التقى برؤساء بعثات الحج واطمأن على أحوالهم · هذا وقد عاد الى القاهرة كل من بعثة الأزهر للحج برئاسة فضيلة الشيخ عبد الحكيم نفاع المدير العام للمعاهد الأزهرية وبعثة نقابة العاملين بالأزهر ·



مجلس جامعة الأزهر يقرر ندب أعداء جدد للكليات

قرر مجلس جامعة الأزهر برئاسة فضيلة الاستاذ الدكتور الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر ندب عمداء جدد لستة من كليات جامعة الأزهر بالقاهرة والأقاليم وهم : الدكتور محمد الحسينى ابو فرحة عميدا لكلية الدعوة بالقاهرة والدكتور الأحمدى ابو النور عميدا لكلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ·

◄

أخبار الأزهر

والدكتور محمد البحيرى عميدا لكلية أصول الدين باسيوط . والدكتور منصور عبد العاطى عميدا لكلية الشريعة والقانون بدمنهور . والدكتور احمد على ربان عميدا لكلية الشريعة والقانون باسيوط . والدكتور رشدى عزيز عميدا لكلية أصول الدين لفرع الجامعة بالمنصورة .

مركز للخدمة العلمية بطب الأزهر

تم افتتاح مركز الخدمات العلمية بمبنى كلية الطب جامعة الازهر بمدينة نصر تحت اشراف عميد كلية الطب واطباء الدراسات العليا بالكلية ويقوم المركز بطبع الرسائل والمذكرات ونشر الكتب الجامعية باسعار رمزية كما يقيم دورات لتعليم « الكمبيوتر » وتصميم الجداول الاحصائية .

قوافل التوعية الدينية والصحية بالقرى من جامعة الأزهر

صرح فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الازهر بأن جامعة الأزهر سوف تقوم باعداد قوافل للتوعية الدينية والصحية والاجتماعية بقرى المحافظات طول العام الجامعى . وتضم هذه القوافل اساتذة من الكليات ذوى تخصصات مختلفة وعددا كبيرا من الطلاب .

انتظام الدراسة بجامعة الأزهر

بدات الدراسة بجامعة الأزهر بالقاهرة والاقاليم يوم ٢٢ من ذى الحجة ١٤٠٢ الموافق ٩/١٠/١٩٨٢ وانتظم معظم الطلاب والطالبات بالجامعة بكلياتهم .

وصرح فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر بأن الدراسة بدأت هذا العام بكليتين جديدتين : هما كلية اللغة العربية وكلية الشريعة والقانون بدمنهور وقال : ان هناك تعليمات لاستخراج البطاقات للطلاب والطالبات لاثبات شخصية كل منهم . واضاف بانه سيتم قبول حوالي ثمانية آلاف طالب وطالبة بالمدن الجامعية بالأزهر هذا العام .

الدكتوراه الفخرية من الأزهر لرئيس غانا

قررت جامعة الأزهر اهداء الدكتوراه الفخرية في التاريخ الاسلامى للرئيس الغينى احمد سيكوتورى . وسيقام بهذه المناسبة احتفال بقاعة الامام محمد عبده ينتظر ان يحضره كبار المسئولين بالدولة والأزهر . ويسلم فيه الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر الدكتوراه الفخرية للرئيس الغينى .

صرح بذلك فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر .

إعداد الشافعي عبد الراضي

مع القراء

إعداد عبد الفتاح السيد عبد السلام

* كتب الأخ/مصطفى عبد الظاهر – طما

* أرسل هذه الرسالة لأعبر عن اعجابي الشديد لهذه المجلة فانا من قراء هذه المجلة العظيمة ومنذ صدورها وتطويرها وأنا حريص عليها وأنتظرها باشتياق . لما لمست فيها من حرص على مايبغيه كل مسلم . فالأزهر ورسالتها مائدة يجد فيها القارئ، مايشتهيه وما يريده من علم وخير وزاد ينير القلوب ويفتح العقول واني لعلى يقين بأن الازهر الشريف سيظل كما كان دائما منارة للاسلام ومركزا للاشعاع الحضاري . وانني معجب شديد الاعجاب وفخور شديد الفخر بمجلتي (الأزهر) ويزداد اعجابي بها كلما قرأت مقالا من مقالاتها لذلك أتوجه بالشكر العميق والعرفان والثناء الى اخواني (أسرة مجلة الأزهر) وكل من ساهم في تحريرها واخراجها وفقكم الله .

*** نشكر لك هذه الكلمات الصادقة واعجابك بمجلتنا وحرصك عليها . وهذا اول خطاب يصل الينا منك يا أخي ونسال الله أن يوفقنا ويوفقكم لما فيه الخير لخدمة الاسلام والمسلمين .**

*** كتب الأخ – محمد ابراهيم النجدي – دكرنس – دقهلية .**

* انه ليسعدني أن أمسك بالقلم واكتب اليكم هذه الرسالة معبرا عن تقديري العميق لكم وشكري الزائد اليكم على هذا الجهد الرائع الذي تبذلونه في اصدار هذه المجلة الغراء : فان ماتقومون به من عمل في هذه المجلة يعتبر بحق عملا عظيما وهو عمل ينير الطريق لكل مسلم وأخيرا وفقكم الله الى خير الأمة الاسلامية . ورجائي أن تقبلوني صديقا لكم .

*** نشكر لك هذا الشعور الطيب نحو مجلتنا – والمجلة يسعدها ان تكون صديقا لها . ونلتقى دائما بكم على خير .**

*** كتب الاخ محمد محمود السيد – الفيوم ..**

* أبعث اليكم شكري وتحياتي وتقديري لكم على جهودكم العظيمة من أجلنا ومن اجل كل مسلم يريد أن يعرف كثيرا عن دينه فكم وجدت فيها من علم واسع ينير الطريق لكل ضال لأن بها موضوعات قيمة . وتفسير جميل للمعاني الانسانية والاسلامية .. أخيرا ارجو منكم أن تفيدوني عن قيمة الاشتراك في المجلة – والأعداد السابقة التي لم أحصل عليها كيف أحصل عليها ؟

*** نشكر لك هذا الشعور الطيب نحو مجلتنا ومتابعتك لها وبالنسبة لقيمة الاشتراك فهو جنيه وثمانمائة مليم والاشتراكات عن طريق – مؤسسة الاهرام – شارع الجلاء – القاهرة – فاما الأعداد التي لم تحصل عليها – فالرجا الاتصال بادارة التوريدات بمدينة البعوث الاسلامية القاهرة حيث يوجد بها مكان لبيع المجلات السابقة**

مع القراء

ومطبوعات مجمع البحوث الاسلامية .

* كتب الأخ/بشير الهادى احمد ــ السودان ..

* تحية طيبة من السودان الشقيق الى اخوانى فى مصر المشرفين على مجلة الأزهر ورسالتها أدامها الله وجعلها عونا لكل مسلم فى كل زمان ومكان . أدامها الله وجعلها منارة يستضىء بها المسلم فنحن فى أشد الحاجة الى مثل هذه المجلة لكى ترشدنا وتوضح لنا طريق الخير من الشر فى مثل هذا الزمن العصيب . وأرجو من الله أن يوفقكم فى مهمتكم .

* نشكر للصديق الكريم هذا التقدير العظيم لمجلتنا وهذا الشعور الطيب نحو مجلتنا والمجلة يسعدها ان تكون صديقا لها ــ ونلتقى دائما على خير .

ردود خاصة :

* الأخ/عبد المجيد الجدع ــ السعودية ــ الرياض ..

نفيد سيادتكم بان الشيك لم يصل الينا . وعليك مراجعة البنك ونشكر لك هذا الاهتمام بمجلتنا .

* الأخ/محمد محمود الفحام ــ البحيرة ..

احلنا رسالتك الى الاخ محرر باب هكذا يكتب القراء فاذا كانت صالحة للنشر نشرت والمجلة يسعدها ان ترسل لها رسائل أخرى ــ وجزاك الله خيرا .

* الأخ/سيد احمد سيف ــ الفيوم

سنعمل على تزويد عدد صفحات الفتاوى قريبا ان شاء الله والمجلة يسعدها أن تكون صديقا لها وسترى صورتك فى باب التعارف .

هكذا يكتب

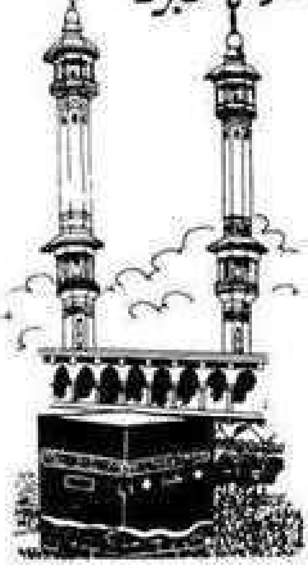
الى العائدين من

* تحت هذا العنوان كتب القارىء عمر على السعيد من محافظة الاسماعيلية رسالة جاء فيها :

مضت الأيام والشهور وأتى علينا موسم الحج وانتهى المسلمون بانتهاء شهر ذى الحجة من أداء مناسك الحج الذى يعتبر بحق أكبر تجمع للمسلمين فى كل عام أو هو المؤتمر العالمى السنوى للمسلمين حيث يلتقى فيه المسلمون من كل دول العالم من مشارق الأرض الى مغاربها أتوا من كل فج عميق كما دعا سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام اتباعا لأمر ربه جل وعلا (وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ) . أتوا تاركين وراء ظهورهم ديارهم وأموالهم وأولادهم فى كنف الله ورعايته وعنايته . كما هم كذلك فى رعاية الله وعنايته قاصدين زيارة بيته الحرام وقبر رسوله عليه الصلاة والسلام داعين ربهم ان يعودوا الى ديارهم وأهلهم كيوم ولدتهم أمهاتهم خالصين من الذنوب متطهرين من

اقرأ

إعداد
عبد العزيز أحمد جبرة



البيت الحرام

الأوزار مستغفرين الله عن كل ما مضى راجين اياه أن يحفظهم من فتن الدنيا وزخرفها حتى لا يحرموا من ثواب الحج .

فالحج أخى المسلم يا من وعدك ربك بأدائه ما هو الا تخليص لنفسك من أوزار وذنوب وآثام ارتكبتها قبل حجك وعندما يأذن الله لك بالحج لابد وأن تعتبر ان هذا الاذن بمثابة الفرصة التى لابد وأن تنتهزها لتطهر نفسك وجسدك وتستغفر ربك وتتوب اليه توبة نصوحا عن كل ما سبق منك فى حق الله وحق عباده .

فانت تعلم أخى المسلم أن الله فرض الحج عند الاستطاعه عليه من مال وصحة وعافية واستعداد لذلك نجده فى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الركن الخامس والأخير من أركان الاسلام وأنت أخى المسلم عندما تبدأ مناسك الحج تجد نفسك مجردا من الملابس وتلبس ملابس الاحرام وهذا اللباس معناه انك تعاهد الله على بداية جديدة لحياة أفضل كلها التزام ديه وقرب منه ولذلك من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه) . أى خاليا من الذنوب والآثام فالمسلم القوى هو الذى يحافظ على هذه البداية وتلك الفرصة لا تغريه الدنيا بزخرفها وزينتها ولا يغتاب أخاه المسلم وأن يبتعد عن القيل والقال وكثرة السؤال التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ولا يشغله عن ذكر الله شاغل ، فان الحجيج فى حقيقة الأمر بأدائهم فريضة الحج قد اكملوا الاركان الخمسة للاسلام ومن حافظ على أركان الاسلام فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد .

وفى نهاية الرسالة يدعو كاتبها لجميع المسلمين أن يمتعهم الله بحج بيته وزيارة قبر رسوله عليه الصلاة والسلام وأن يكون حجا مبرورا وذنبا مغفورا .

شعر

في معرض عبرة



النور عن أم القــرى يتحــولُ ... والرحمــة المهـداة عنها ترحـلُ

يا ويح مكة أى رَوْحٍ أخــرجت ... من بينهــا عَبْرَ الفلاة يهـرول

ويدوس أخطــار المَهَامِهِ في السُّرَى ... ويلوذ بالغــار الرهيب وينزل

اثنان عين الــدهر تنبــذه قريش من حمــاها ٠ هل درت ما تفعل ؟!

ان البصــائر حين تعمى يســتوى الابريز في ادراكهـــا والجنــدل

* *

يا راحــلا عن يربه وديــاره ... فيم الرحيــل وأين أين المنـزل ؟

هل فى رحاب الأرض أطيب منزلا ... واعــز جاها فى القبيل وأصــل ؟

أم ان أمرا فــوق ادراك النُّهَى ... أمسى لقلبك يا محمــد يشغل ؟

فمضــيت تقتحم المخــاطر والمتالف لا تريــم مخــافة أو تجفــل

حسب ابن هاشم من عظائم أنــه ... للعالمين من العنــاية مُرْسَل

ان كانت المشكاة قد ضاقت بنــور اللــه منك وصــد عنه الجهَّــل

فارحل لينتشر الضيــاء على الورى ... ان الكواكب في البــروج تَنَقَّــل

واهجــر جديبا ليس ينبت بــذره ... واقصد خصــيبا فيه غرسك ينسل

* *

الهجرة وعبرة

محمد عبد الرحمن صبان الدين

يا سعدَ يثرب أى فخر وافد ... بل أى مجد طارف تستقبلُ
دقى الدفوف وزغردى ما شئت انك للرسالة والهداية موئل

* *

يايها الثاوى بيثرب والقلوب الى رحابك كل آن ترحلُ
مع نشوة الذكرى أبثك يا رسول الله همًّا مِنْهُ قلبى مُثقَلُ
هذى بلاد المسلمين كئيبة ... فيها أعاصير الشقاء تولول
وتنوشها من كل صوب أسهم ... مسمومة تصمى الصدور وتقتل
افضى اليها الطامعون فذا يجاهر بالعداء وذاك خِبٌّ يختل
والمسلمون من الطوارق والجوائح حائرون كأنهم لم يعقلوا
يا لَلْهوان ويا لَسُخرية الزمان أيُستَذَلُّ ويُستَبَاحُ الأمثل !

* *

فسمعت بالوجدان صوتا صارما ... من بين آفاق الوجود يجلجل
تمضى مقادير السماء بحكمة ... قدسية بين العباد فتعدل
ما هان الا هين فى نفسه ... متواكل فى أمره مستغفل
والمستعز بغير عزة دينه ... يهوى الى الدرك السحيق ويَسفُل
فدع الشكاية والنحيب فإنه ... لا يسترد الحق الا المُنصُل

الفتاوى

في الأموال والفوائد

س : من أحد العمال بشركة الكوك ٠

يقول : تقوم الشركة بانشاء صندوق للتأمين الاجتماعى لتحقيق هدفين اساسيين : تأمين العامل وأسرته عند الشيخوخة اوالعجز أو الوفاة٠٠ وتأمين مكافأة نهاية الخدمة ٠

وهى تقوم بخصم ٢٪ من مرتب المشترك وتدفع له ١٠٪ وتجمع هذه الاموال وتودعها فى حساب خاص بالبنك فما حكم هذا العمل ، وما حكم ايداع هذه الاموال فى البنك ؟

ج : هذا النظام — من حيث جمع الأموال بنسب تتناسب مع مرتب كل واحد من العاملين للانتفاع بما جمع عند الشيخوخة أو الاصابة — جائز شرعا وفقا لما أقره مجمع البحوث الاسلامية من جواز التأمين الاجتماعى والتعاونى ٠

اما من حيث الاستثمار لهذه الاموال فيجب أن يكون عن طريق بنك من البنوك الاسلامية — كبنك ناصر وبنك مصر للمعاملات الاسلامية فرع الحسين وبنك فيصل الاسلامى — لاستثماره فى مشروعات تجارية أو صناعية أو زراعية ٠

أما ايداع هذه الاموال فى بنك من البنوك التجارية لقاء فائدة محدودة فان الفائدة تعد ربا ، والربا حرام شرعا ٠

خروج المرأة للتجارة

س : من السيد / م٠ ف ٠ المحلاوى

ما حكم الدين فى خروج المرأةللتجارة مع ان هذا العمل يضطرها أحيانا لترك بيتها والسفر لأوقات قليلة لا تتعدى الساعات ، علما بأنها تتعامل مع الرجال والنساء ٠٠ وهل يجوز لزوجها أن يمنعها من ذلك ؟

ج : للمرأة فى الاسلام ذمة مستقلة ، تدير على أساسها أموالها ٠ وتحصل ايراداتها ، كما يجوز لها الاتجار من بيع أو شراء ، وذلك كله مشروط بمحافظتها على عدم كشف شىء من عورتها ٠ وعدم خلوتها برجل أجنبى ، بشرط الا يؤدى ذلك الى الاضرار بأولادها أو التقصير فى أداء واجباتها المنزلية ٠

فان أدى عملها خارج منزلها الى شىء من ذلك ، كان من حق الزوج عليها شرعا أن يمنعها من الخروج ، لأنه لا ضرر ولا ضرار ٠

إعداد عبد الحميد السيد شاهين

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

دية القتيل

س : من السيد / جبر السيد خضير
ـ اوقاف مرسى مطروح :
من يستحق الدية في حالة القتل عمدا او خطأ ؟ وكيف توزع بالنسبة لامرأة ماتت مقتولة وتركت .
ثلاثة اولاد ذكور ـ بنتين ـ اب ـ ام ـ زوج .

ج ـ دية القتيل عمدا او خطأ تكون للورثة بنسبة أنصبتهم الشرعية ما عدا القاتل فانه لا يستحق ميراثا في الدية .
وعلى هذا تقسم في هذه المسألة على الوجه الآتي :
للزوج الربع فرضا ، لوجود الفرع الوارث ولكل من الاب والام السدس فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقي للاولاد للذكر ضعف الانثى .

لا يجوز له الزواج

س : من السيدة / مديحة على أحمد .
شاب يريد الزواج من فتاة .. ولكنه رضع من جدة الفتاة خمس رضعات متفرقات متيقنات في زمن الرضاع .. فما الحكم ؟

ج : برضاع الشاب خمس رضعات متفرقات متيقنات في زمن الرضاع من جدة الفتاة صار ابنا للجدة وأخا لجميع أولادها .
وعلى ذلك فلا يجوز لهذا الشاب أن يتزوج من بنات هذه المرضعة ولا من بنات بناتها ، لأن بنات المرضعة صرن اخوة له ، وكذلك بنات بنات المرضعة صرن بنات أخواته من الرضاع والرضاع يحرم ما يحرم من النسب .
والله اعلم .

قالت

ماذا بعد الإعتراف

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ : محمد محمود حافظ مقالا بصحيفة (أخبار العالم الاسلامى) السعودية فى عددها الصادر يوم ٢٠ شوال ١٤٠٢ هـ قال فيه

إن اسرائيل ترفض على لسان بيجن مجرد فكرة المفاوضات مع المنظمة حتى لو اعترف ياسر عرفات باسرائيل .

لقد استعمل الجيش الاسرائيلى القنابل العنقودية والفسفورية المحرمة دوليا ضد الشعبين اللبنانى والفلسطينى فى أرض لبنان وضد مخيمات اللاجئين ، ولقد اعترف الجيش الاسرائيلى بذلك ، ولكن الولايات المتحدة تسعى لايجاد تبرير يخرج الحكومة الامريكية من هذه الورطة التى وضعتها فيها اسرائيل .. وهى ورطة من النوع الثقيل لأنه يشمل الجانبين القانونى والانسانى . فشروط مبيعات الاسلحة لاسرائيل تقول بأنه يجب عدم استعمال هذا النوع من الاسلحة الا فى حالة واحدة وهى حالة الدفاع عن النفس .

ومن ناحية ثانية ، وهى التى تشكل مأزقا حقيقيا لأمريكا هى كيف ستواجه من الرأى العام بعد أن اعترفت اسرائيل صراحة بأنها استعملت هذه القنابل ضد الاطفال والنساء والمنشآت الانسانية فى لبنان . وأنها ضربت بهذه القنابل الامريكية المستشفيات والملاجىء ودور الأيتام .. وكل التجمعات السكنية للشعبين اللبنانى المسلم والفلسطينى الصابر .

القضية حلها يجب أن تكون فى : كيف تزود الولايات المتحدة الامريكية وهى زعيمة للعالم الحر وداعية لحقوق الانسان . كيف تزود اسرائيل بهذه القنابل وهى تعرف خطورتها وبشاعتها ـ الا اذا كانت أمريكا شريكة فعلا فى كل حرب تخوضها اسرائيل ضدنا ؟ وهذا ما فهمته اسرائيل وماهو واضح فى الاتفاق الاستراتيجى للتعاون بين حكومة واشنطن وحكومة بيجن .

ومن هنا أيضا نعرف لماذا تقوم أمريكا باتخاذ هذه المواقف العدوانية ضدنا كعرب فالتعاون الاستراتيجى بين الحكومتين وضع موضع التنفيذ فى هذه الحرب الخامسة والتزمت أمريكا به تماما .

فهل تريد أمريكا اعترافا آخر من اسرائيل بامكانية استخدام القنابل الذرية أيضا ضد الشعوب العربية .

الجواب لدى بنود التعاون الاستراتيجى بينهما .

الصحف

إعداد عاطف زهران

العرب وأمريكا

كتب الدكتور : حسان حتحوت مقالا تحت هذا العنوان بمجلة العربى الكويتية عدد سبتمبر ١٩٨٢ م نقتطف منه مايلى :

قال لصديقه الأمريكي وهو يحاوره : أرأيت قصر نظر سياستكم وساستكم ؟ مصالحكم الكبرى فى البلاد العربية . وفيها أغنى مخزون البترول عصب حياتكم والبلايين من الدولارات تنعش اقتصادكم ، ثم بعد ذلك تنحازون الى اسرائيل كل هذا الانحياز ضد العرب ؟.

فتبسم صديقه الامريكى وقال : دعنى أسألك سؤالا : هل ترى مصالحنا فى بلادكم قد تأثرت بشىء من جراء هذا الموقف الذى دأبنا عليه ؟ اننا بلاشك نعطى مصالح بلادنا الاعتبار الاول .. ولو اقتنعنا أن مصالحنا تضار نتيجة موقف من المواقف لغيرنا هذا الموقف بلا ريب . وما أمر الاعتراف بالصين أو الانسحاب من فيتنام ببعيد . أما فى حالتكم أنتم فماذا فعلتم لاقناعنا أننا نخسر بالانحياز لاسرائيل . وقد عرفنا بطول الخبرة أن قصاراكم هو أن تشجبوا وتحتجوا وأن تملأوا الجمعية العامة للامم المتحدة بخطب نارية لاتحرق أما مصالحنا عندكم فمازالت بخير والحمد لله .

قال الصاحب العربى : أليس لديك حس لنصرة الحق والعدالة ، ورد المغتصبات الى أهلها .

قال : عندى من ذلك الكثير وعند الكثيرين من أفراد الشعب الامريكى ، ولكن هيهات أن يكون لذلك اعتباره فى الواقع السياسى .

ـ مادام بأسكم محصورا بينكم بهذه الدرجة لا يمتد لا الى اسرائيل ولا الى أمريكا ... ومادامت قواتكم لا تظهر ضراوتها الا على شعوبها ، ومادام فقيركم شغله الشاغل ـ لقمة العيش ـ وغنيكم شغله الشاغل أن يزداد غنى . فكيف نتوقع أن نتوجس منكم خيفة أو أن نحس من الضغط بما يجعلنا نجابه الاخطبوط الصهيونى المتغلغل فى مرافقنا واقتصادنا وأعلامنا ومؤسساتنا السياسية ؟

ان مصالحنا فى الحياة مشتبكة مع مصالحكم ولكن أسلوبكم فى الحياة يجعل مصالحنا بمأمن .. نحن نؤمن عمليا ونظريا بقيمة الفرد وحقوقه وحريته ، ونعيش الديمقراطية بما فيها من معارضة ونقد واختلاف فى الرأى .

لاغرو اذن اننا ونحن نتعامل مع منطقتكم لانتبين حياتنا فيكم . بل ربما كانت حياة

في الصحف

أعدائكم فيما بينهم أكثر اقناعا لنا بأنهم من شيعتنا !٠

ولم أتتبع الحوار أكثر من ذلك ٠٠ انه لايخلو من مغالطات ٠ ولكننى أعتقد كذلك انه لايخلو مما هو جدير بالتأمل والتفكير ! ٠

كتب الاستاذ : محمود أحمد غازى مقالا فى افتتاحية مجلة (الدراسات الاسلامية) التى يصدرها مجمع البحوث الاسلامية فى باكستان كل شهرين ٠ فى عدد جمادى الآخرة ١٤٠٢ حول هذا الموضوع نقتطف منه مايلى

ان من الأدواء التى أصابت العالم الاسلامى فى ماض غير بعيد تخاذلا فكريا نرى آثاره فى كل مكان ، واستسلاما حضاريا نشاهد معالمه كل يوم ٠ ومن أهم هذه الآثار والعالم تأثر المسلمين بحركة الاستشراق ٠٠ ذلك الداء الــذى جاء بويلاته الاستعمار الغربى ٠ بل الذى سبقه الى العالم الاسلامى كطليعته ورائده الذى لايكذب أهله ٠ وما أحسن ما قاله أحد العلماء المسلمين عن الاستشراق (أنه وليد غير شرعى لأبوين غير شرعيين ٠ وهما التبشير الذى خطط له ، والاستعمار الذى غذاه ورماه) ٠

ومع أن الاستعمار الغربى بدأ ينهار على المستوى السياسى ولكنه يتواجد فى العالم الاسلامى تواجدا قويا بفكره المسيطر وحضارته القائمة وثقافتــه المنتشرة بين المسلمين ٠ وأدى فكره وحضارته وثقافته فى العالم الاسلامى الى ما أدت اليه هذه العوامل الثلاثة فى الغرب من انحطاط خلقى وانهيار حضارى وفوضى فكرية ، فرمتنا بدائها وانسلت ٠

ولازال المسلمون فى قضية المستشرقين بين طائفتين ، طائفة يبالغون فى تعظيم قدر المستشرقين ٠ وأغلبية هذه الطائفة تحتوى على تلامذة المستشرقين ٠ وطائفة أخرى ليست بأقل بعدا من العدل والانصاف من الطائفة السابقة وهم الذين لايعرفون لذى فضل فضله ،ويرون أن كل من قرأ كتب المستشرقين أوراقه شيء منهم ، فقد خرج من ربقة الاسلام ٠

فالحاجة ماسة الى أن يجتمع رجال من أهل العلم والفكر فى العالم الاسلامى ، ويدرسوا قضية المستشرقين ، وما قاموا به من أعمال علمية ومزاياها وجوانب الضعف فيها لتتبلور وجهة نظر العالم الاسلامى الصحيحة نحو حركة الاستشراق ٠

وليصل المسلمون الى موقف متزن بين طرفين ، وليتراءى لهم الرأى القائم على ميزان العدل والانصاف والتقدير ٠

عاطف زهران

التعارف

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾ .

صدق الله العظيم



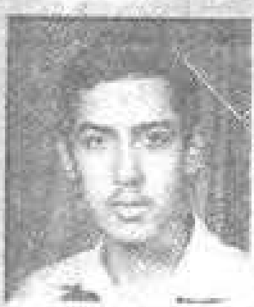
الاسم : محمود محمد سعيد درويش
السن : ١٨ عاما
المهنة : طالب بالمرحلة الثانوى بالازهر
الهواية : الاطلاع على الكتب الاسلامية ـ الشعر
العنوان : قليوبية ـ شبين القناطر ـ المساكن الجديدة بلوك ١٣



الاسم : محمد محمد العربى عبد الحميد
السن ١٧ عاما
المهنة : طالب بمعهد بورسعيد الثانوى الأزهرى ـ الصف الثالث
الهواية : حفظ القرآن الكريم ـ والاناشيد الدينية والمناقشة الدينية
العنوان : بورسعيد ـ مساكن الوكلاء ـ شارع (٢٨) م ٣ لتعمير عمارة رقم ٨٧ شقة ٤ .



الاسم : كمال محمد شحاتة ابو كساب
السن : ٢٢ عاما
المهنة : دبلوم ثلاثة صناعية .
الهواية : الاستماع الى القرآن الكريم والرياضة . ممارسة الكاراتيه
العنوان : قنا مركز فرشوط تل الشيخ ابو هريرة



الاسم : حسام مصطفى
السن : ١٧ عاما
المهنة : طالب بمدرسة جمال عبد الناصر الثانوية ـ بنين دسوق
الهواية : قراءة المجلات الدينية ـ المراسلة
العنوان : كفر الشيخ ـ دسوق حى منصور وله مطلة على بلدية ـ عمارة داود ـ الدور الثالث



الاسم : عاشور سيد صديق محمد
السن : ١٩ عاما
المهنة : طالب بكلية التربية بالفيوم
الهواية : قراءة المجلات الاسلامية
العنوان : محافظة الفيوم ـ حنوة



الاسم : رجب صديق ابو بكر
السن : ١٨ عاما
المهنة : طالب بالمرحلة الثانوية
الهواية : المطالعة الاسلامية ـ المراسلة
العنوان : الجيزة ـ العياط ـ قرية البرغوثى



الاسم : احمد طلعت الدوسانى
السن : ١٦ عاما
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : الاطلاع الدينى ـ الرسم
العنوان : المحلة الكبرى منشأة شارع الدسوقى عمارة الحاج سعد مكى

كوبون التعارف

مجلة الأزهر

الاسم ------------------
السن ------------------
المهنة ------------------
الهواية ------------------
العنوان ------------------

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس العدد

طبع بمطابع روز اليوسف

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

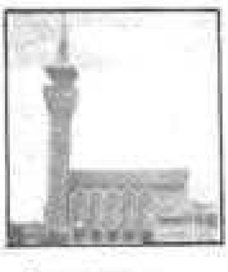
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

السكرتير الفني
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف



صفر ١٤٠٣ هجرية
نوفمبر ١٩٨٢ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

• كلمة التحرير

هذه المجلة

مجلة الأزهر

رسالتها من رسالة الأزهر

هذا الأزهر الشريف ، مفخرة مصر ، الذى بقى وحده من بين آثارها جميعا يحمل صوتها ، على أنقى كمال ، الى كل مكان ، عاملا منتجا مشعا حتى الآن ، والى ما شاء الله .

هذا الأزهر له رسالة معروفة يؤديها لهذا الدين درسا وبحثا ، وللدعوة اليه علما وهديا ، وللغة هذا الدين صيانة ونشرا .

فعاش الأزهر للمسلمين كافة يقدم لهم كتاب الله العزيز ، وتفسير آياته ، وحديث رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وعلم هذا الحديث بكل فنونه ، وفقه هذا الدين من لسان أئمته البررة المتقين .

وحمل الأزهر دعوة الدين الى الناس عن وعى وبصيرة ، علما بحاجتهم ، وهديا الى مطالبهم : من تصحيح خطأ فى الدين ، أو نفع بفقه فيه ، أو اعانة على ازالة عثرة تردى فيها مسلم فى نفسه ، أو أهله أو ولده ، أو ماله ، ونشر لهذه العقيدة السمحة الجلية ليؤمن بها قوم فيكونوا مسلمين « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ » ـ هى

هذه المجلة

مجلة الأزهر رسالتها من رسالة الأزهر

دعوة هدفها اصلاح المدعوين ، وليس اتخاذهم وسيلة الى هدف ليس من هذا الدين فى شىء .

وعلَّم الأزهر لغة هذا الدين أقواما وأجيالا ، فدرسوها بكافة فنونها ، وأحاطوا علما بأدبها ، فلانت بها ألسنتهم ، وشغفت بها قلوبهم ، وانتشرت على أيديهم شرقا وغربا .

تلك هى رسالة الأزهر .

وهى — اذن — رسالة هذه المجلة .

ولقد فتح « الأزهر » أبوابه — داخل مصر لتستقبل أبناء المسلمين من كل مكان .

وطارت « مجلة الأزهر » لتؤدى رسالته فى كل مكان .

فكان من توفيق الله — سبحانه — أن يفتح الأزهر قلبه لهم ويبسط ذراعيه عليهم .

وحفاظا على هذه المنزلة ، والتزاما بتلك الرسالة كان لهذه المجلة منهج خطه السلف الصالح من علمائنا الأفاضل — رحمة الله عليهم — وأبرزه المجاهد العظيم الامام الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ محمد الخضر حسين فى افتتاحية لأول أعدادها « المحرم ١٣٤٩ » .

قال رحمه الله :

« خرجت هذه المجلة ، وهى تحمل سريرة طيبة لا تنوى أن تهاجم دينا بالطعن ، ولا أن تتعرض لرجال الأديان بمكروه من القول ، اذ لا يعزب عنها ما يحدث عن مثل هذا القصد من الفتن وبواعث التفرقة بين سكان الوطن الواحد ، وهم فى حاجة الى السكينة والتعاون على المصالح : فردية كانت أو اجتماعية .

خرجت هذه المجلة بعد أن رسمت لنفسها خطة لا تمس السياسة فى شأن ، وقصارى مجهودها أن تعمل على :

نشر آداب الاسلام ، واظهار حقائقه نقية من كل لبس .

وتكشف عما الحق بالدين من بدع ومحدثات .

وتنبه على مادُسّ في السنة من احاديث موضوعة .

وتدفع الشبه التي يحوم بها مرضى القلوب على أصل من أصول الشريعة .

وتعني — بعد هذا — بسير العظماء من رجال الاسلام ، وان في سيرهم لتذكرة لقوم يفقهون .

ويضاف الى هذا ما تدعو فائدته الى نشره من المباحث القيمة علمية كانت أو ادبية .

وسترى هذه المقاصد — ان شاء الله — مودعة في الأبواب المفصلة على ما يأتي :

التفسير ، السنة ، السيرة النبوية ، أصول الدين ، دفع الشبه ، أصول الفقه ، الفتاوى والاحكام ، العلوم والآداب ، آراء الباحثين ، التاريخ ، السير والتراجم ، أبناء العالم الاسلامي ، الطرف ، الملح .

تتناول المجلة من مباحث هذه العلوم والفنون ما يدعو الحال الى نشره ، ولا تحكى رأيا خارجا عن منهج الصواب الا أن تقرنه بما يكشف عن كنهه ، وستتحرى — بتوفيق الله تعالى ، الطريقة التي تتجلى بها سماحة الدين في بهاء طلعتها وصفاء ديباجتها ، وتراعى في تحريرها الأساليب التي يألفها أذواق القراء ، ويجتلون فيها صور المعاني ماثلة أمامهم لا لبس فيها ولا التواء .

تناقش المجلة الاشخاص أو الجماعات الذين يقولون — في الدين — غير الحق ، مقتد به في مناقشتها بأدب قوله تعالى : « ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » واذا كان هذا أدبها مع قوم هم عن الحق غافلون ، فأحرى بها أن تأخذ به في مناقشة آراء العلماء اذا رأت في بعضها انحرافا عما تقتضيه نصوص الشريعة ، أو أصولها الثابتة الواضحة ، نذكر هذا ليلحظه الذين يرغبون في مراسلة المجلة ببعض منشآتهم الموافقة لمنهجها .

ومن أجل أن يكون جهاد هذه المجلة متصلا بالحركة الفكرية في البلاد الاوربية أنشىء في ادارة المجلة قسم لترجمة ما يجيء في الصحف الاجنبية من مباحث علمية أو مقالات يتحدث فيها عن الاسلام ، غير أننا لا نضع أمام القراء مقالة في الاسلام صدرت من غير منصف الا أن نصلها بما يستبين به خطأ كاتبها ناقلا كان أو مدعيا .

هذا غرض المجلة ، وهو بلا ريب ، غرض نبيل ، وهذه خطتها ، وهي — كما عرفت — خطة من يمشي على سواء السبيل ، وماتوفيقنا الا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

رحم الله الفقيد ، واعاننا على نهجه ، والعمل على دربه .

علي الخطيب

دراسات قرآنية

الحجرات .. ووصاياها العشر

بقلم الدكتور محمد محمد الشرقاوي

سورة الحجرات مدنية ، وعدد آياتها ثمان عشرة آية .. احتلت اثنتا عشرة منها وصايا عشرا .. اشتملت على مكملات الأخلاق الكريمة ، ومدعمات الآداب الشخصية والاجتماعية القويمة . التى تجمع الى حسن التربية ، روية الفهم وأناة التعقل ، كما أنها تعمر المجتمعات الاسلامية بعوامل الصلح والاصلاح .. وبواعث المودة والرحمة ، وتقيه أسباب التروى والكراهية ، والبغضاء والقطيعة وقد تسلسلت تلك الوصايا العشر فى تتابع مؤتلف وتناسق رائع على النحو الآتى :

١ ـ المنهى عن الاعجاب بالرأى . والاعتداد بالذات فى مواجهة ما شرعه الله تعالى فى كتابه وما سنه رسوله صلى الله عليه وسلم فى حياته فعلى كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة .. أن يعرف منزلته من الخالق سبحانه . ثم من رسوله صلى الله عليه وسلم ، فيعرف أنه عبد مأمور سلوكا ومنهجا ، وأن يعتقد فى عقله وفكره ، وفى قوته وحيلته .. القصور والتخلف بالنسبة لما شرعه الله وسنه رسوله .. فلله فيما شرع ، ولرسوله فيما بين .. القيادة المطلقة ، والريادة الشاملة فى كل الأمور : صغيرها وكبيرها ، دينها ودنياها .. بحيث

لا يجوز بحال من الأحوال أن يتقدم انسان برأيه فى أى مشكلة من مشاكل الحياة الدنيا والآخرة .. الا بعد أن يستنفد كل وسيلة ممكنة للتعرف على وجه الصواب فيها على ضوء الكتاب العزيز .. والسنة الصحيحة .. وفى هذا استفتحت السورة بالدعوة الجامعة المانعة الى افساح المجال فى الرأى والعمل لحكم الله ورسوله ، وتقبله بدون حرج فى النفس .. أو برم فى الصدر ، أو ضيق فى القلب (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) النساء — ٦٥ .

فقال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) الحجرات ١ أى لاتتصفوا بصفة التقدم على شريعة الله تعالى وسنة رسوله فى أن هدف تسعون اليه ، والتمسوا منهما أولا التوجيه والارشاد ، والحكم النافذ والقول المطاع ، وقد تعددت أسباب نزول هذه الآية نظرا لكثرة الدواعى اليها .. ولا مانع من نزول آية واحدة لمبررات كثيرة تقتضى نزولها، وبيان ما فيها من حكم وأحكام .

فقد قيل : ان ثلاثة نفر لقوا رجلين من بنى سليم قرب المدينة . فتنكروا لهما فى الانتساب الى غير قبيلتهم .. فقتلوهما وسلبوهما .. انتقاما من قبيلتهم التى سماها زورا .. وكانت قد أساءت الى الاسلام .. ثم ظهر خطؤهم فنزلت .. وقيل : ان مسروقا دخل على عائشة رضى الله عنها فى يوم الشك ، فعرضت عليه شرب العسل فاعتذر بصيامه فأخبرته بالنهى عن صوم الشك فنزلت .. وقيل : ان ناسا تعجلوا ذبح الأضاحى قبل صلاة عيد الأضحى فنزلت وأمرهم الرسول بذبائح أخرى .. وقيل ان الوفود القادمة الى المدينة لاعلان اسلامها أكثرت من المسائل فنهوا عن ذلك حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبتدىء ..

فنزلت .. وعن قتادة : أن ناسا كانوا يقولون : لو أنزل كذا .. لكان كذا فكره الله ذلك منهم ونزلت .. ومهما يكن من أمرفان الآية بعمومها وشمولها مستوعبة لكل ما ذكر من أسباب ولغيره من كل قول أو فعل . وأن الامور كلها يجب أن تكون تابعة ، والكتاب والسنة هما المتبوعان

٢ — النهى عن رفع الأصوات فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم : فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر الكل وأعظم الجميع عند الله تعالى ، وأن خفض الصوت عندمحادثته أو مناجاته انما هو التزام أدبى بالتبعية ، واقرار عملى بالاجلال والتعظيم لمن هو أهل لذلك .. جاء فى الكشاف ج ٢ — ٣٨٩ : **(وأن تغضوا من أصواتكم بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم ، وجهره باهرا لجهركم .. حتى تكون مزيته عليكم لائحة ، وسابقته واضحة،وامتيازه عن جمهوركم كشبه الابلق غير خاف .. لا أن تغمروا صوته بلغطكم،وتبهروا منطقه بصخبكم وأن تتعمدوا فى مخاطبته القول اللين ، القريب من الهمس ، كما تكون مخاطبة المهيب المعظم ، عاملين بقوله تعالى : وتعزروه وتوقروه)** ..

وفى عموم ذلك عدم مخاطبته صلى الله عليه وسلم باسمه المجرد مثل يا محمد .. يا أحمد . كما يفعل بعضكم مع بعض .. بل خاطبوه

الحجرات
ووصاياها العشر

بالنبوة والرسالة .. قال ابن عباس .. رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية .. قال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله ، والله لا أكلمك الا السرار .. أو أخا السرار .. حتى ألقى الله .. وكان عمررضى الله عنه لايكلم الرسول الا كأخى السرار .. لا يسمعه حتى يستفهمه بل ان أبا بكر كان يعلم الوفود كيفية الحديث مع الرسول صلى الله عليه وسلم قبل لقائه ، ويأمرهم بالسكينة والوقار فمجلسه . ويؤخذ من قول صاحب الكشاف : (كما تكون مخاطبة المهيب المعظم) أن ذلك الحكم شامل لكل حال مشابهة بين رئيس ومرءوس ، وكبير وصغير ، وحاكم ومحكوم .. وفى هذا جاء قوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَاتَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ، إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) الحجرات — ٢ ، ٣ .

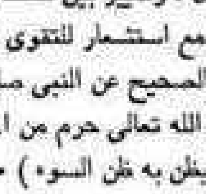
٣ — الدعوة الى الأناة والريث فى تلقى الأنباء كلها ولا سيما ما يتعلق منها بالمخالفات الكبيرة والأخطاء الجسيمة ، وطلب التحقق منها والتثبت من صدقها .. حتى لا يعجل السامع بما يصيب غيره جاهلا بحقيقة الحال ، فيعود على نفسه بالندم والأسى ، ويتمنى أن لو كان صبر وتحقق فى وقت لا ينفع فيه الندم ، وفى هذا نزل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) . الحجرات — ٦ .. وقيل فى سبب نزولها (الكشاف جـ ٢ — ٣٩٣) : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة ليجمع الصدقات من بنى المصطلق ، وكانت بينه وبينهم احنة ، فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له . مرحبين به .. فحسبهممقاتليه فرجع ، وقال للرسول صلى الله عليه وسلم : قد ارتدوا ومنعوا الزكاة ، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يغزوهم .. فبلغهم ذلك فبينوا للرسول صلى الله عليه وسلم واقع الأمر وقالوا : نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، وقرأ ابن مسعود (فتثبتوا) والتثبت والتبين متقاربان معنى وهما طلب الثبات والبيان والتعرف والتثبت فى الحكم على الأخبار المنقولة وكبح الجماح فى رد الفعل .

٤ — الدعوة الى الاصلاح بين طائفتين مسلمتين نشب بينهما أسباب النزاع والقتال ، والوقوف بينهما بالعدل ، واستعمال القوة اذا لزم الأمر لرد المعتدى ، وحماية المظلوم .. باعتبارهما أخوة فى الدين ، ولا ينبغى الافساد

بين الاخوين ، وعن ابن عباس رضى الله عنه : أن عبد الله بن أبى بن سلول زعيم المنافقين .. نشب بينه وبين عبد الله بن رواحة نزاع .. ثم استحال الى سب ومجالدة .. وجاء قوماهما : الأوس والخزرج .. فتجالدوا بالعصى ، وقيل : بالأيدى والنعال والسعف .. فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم فنزل قوله تعالى : (**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ** ..) الآية الحجرات ـ ٩ ، ١٠ .

(٥ ، ٦ ، ٧) **النهى عن السخرية بالناس ، والاستهزاء بأقدارهم رجالا أو نساء .. وعن اللمز** وهو العيب الخفى عن طريق الاشارة لا العبارة ، والتلميح لا التصريح ، وعن التنابز **بالألقاب** ، وهو مناداة بعضهم البعض بأبغض الأسماء اليهم ، وأقبح الألقاب عندهم مثل : يا فاسق .. يا فاجر .. يامنافق .. ونحو ذلك من الأسماء المعيبة ، والعبارات القادحة التى تثير ماضيا بغيضا ، أو تحرك أفكارا مريبة ، أو توغر بمعان خبيثة ، وفى الكشاف جـ ٢ ـ ٣٩٧ : (يجب أن يعتقد الساخر أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر ، لأن الناس لا يطلعون الا على ظواهر الأحوال ، ولا علم لهم بالخفيات ، وانما الذى يزن عند **الله** خلوص الضمائر ، وتقوى القلوب ، والناس من ذلك بمعزل ، فلا يجترىء أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه .. اذا رآه رث الهيئة .. أو ذا عاهة فى بدنه ، أو غير لبق فى **محادثته** ، فلعله أخلص ضميرا ، وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته : فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله ، والاستهانة بمن عظمه الله) .

(٨ ، ٩ ، ١٠) **النهى عن بعض الظنون** .. وذلك البعض كثير . وهو الظن السيىء بانسان بغير دليل مثبت ، أو برهان مدين . يقول الزمخشرى فى كشافه جـ ٢ ـ ٣٩٨ : (ان فى الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ، ولا تعيين .. لئلا يجترىء أحد على ظن الا بعد نظر وتأمل ، وتمييز بين حقه وباطله .. بأمارة بينة ، مع استشعار للتقوى والحذر) . وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم : (ان الله تعالى حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء) .. ومما يدعو اليه الظن السيىء التجسس .. وفى قراءة : (ولا تحسسوا) وهما متقاربان معنى :

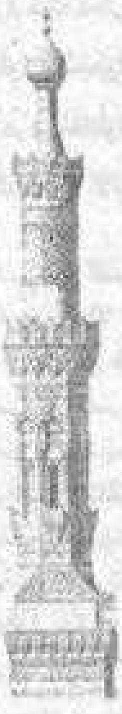


الحجرات

ووصاياها العشر

فالتجسس هو البحث والتطلب عن طريق الأخبار والتعرف ، والتحسس هو البحث والتطلب عن طريق استعمال الحواس .. والمراد كما في الكشاف بالمصدر السابق : النهى عن تتبع عورات الناس ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه ، وعن مجاهد : (**خذوا ما ظهر ، ودعوا ما ستره الله**) وعن النبي صلى الله عليه وسلم (انه خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق في خدورهن .. قال : يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يخلص الايمان الى قلبه .. لا تتبعوا عورات المسلمين ، فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته) .. ومن بواعث سوء الظن بالناس الغيبة : **وهى ذكر العيب في ظهر الغيب** ، فان ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته ، وان ذكرته بما ليس فيه فقد بهته وكذبت عليه وقد مثل وصور ما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه ، وهو أكل لحم أخيه ميتا وجيفة :(**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**) .. الحجرات ــ ١٢ .

الدكتور محمد محمد الشرقاوى



مفاتح الغيب خمس

بقلم عبد المنصف محمود عبد الفتاح
المراقب العام للوعظ بالأزهر

قال الله تعالى : « وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ » الانعام : ٥٩ .

المفاتح : جمع مفتح بفتح الميم : وهو المخزن : أى أن الله تبارك وتعالى عنده مخازن الغيب ، بمعنى أنه جعل للامور الغيبية مخازن تخزن فيها ، على طريق الاستعارة .. أو جمع مفتح بكسر الميم : وهو المفتاح ، بمعنى انه جعل للامور الغيبية : مفاتح ، يتوصل بها : الى ما فى المخازن ، على طريق الاستعارة .

فالله عز وجل : عنده مخازن الغيب ، أو المفاتح التى يتوصل بها الى المخازن .. وانه لا علم لأحد من خلقه بشىء من الامور الغيبية التى استأثر الله بعلمها .. والغيب فى كلام العرب : كل ماغاب عن الانسان وغيره : كالملائكة والجن .. وفى هذه الآية الكريمة : صورة واضحة لعلم الله المحيط الشامل ، فالله سبحانه وتعالى : لايغيب عن علمه شىء: فى الارض ولا فى السماء ، فى البر ولا فى البحر ، فى جوف الأرض ولا فى طباق الجو : من رطب ويابس ، وحى وميت ، فى جميع الأمكنة والأزمنة ، يستوى فى ذلك : الماضى والحاضر والمستقبل .

ان كلمة الغيب فى هذا العصر : ينكرها بشدة أصحاب المذهب المادى .. والقرآن الكريم يقرر : أن هناك غيبا : لايعلم مفاتحه

مفاتيح الغيب خمس ..

الا الله .. ويقرر : أن الانسان لم يؤت من العلم الا القليل ، قال تعالى : « وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » الاسراء ٨٥ ويقرر أيضا : أن الناس لايعلمون فيما وراء العلم الذى اعطاهم الله اياه : الا ظنا ، قال تعالى :

« وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا » النجم : ٢٨ ..

والنبي صلى الله عليه وسلم مع شدة قربه من ربه ، وعظم صلته بخالقه : لا يملك خزائن الغيب ، ليدل اتباعه على ما هو كائن : الا فى حدود ما أطلعه الله عليه ، وأمره بتبليغه ، قال تعالى : « قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ » الانعام : ٥٠ ..

وقال جل شانه : « قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » الاعراف : ١٨٨ .. وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : من زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الفرية « قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ » النمل : ٦٥ ..

وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتح الغيب خمس : لايعلمهن الا الله .. لا يعلم ما فى غد : الا الله ، ولا متى تقوم الساعة الا الله ، ولا ما فى الارحام : ولا متى ينزل الغيث : الا الله ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت : الا الله » .. وأخرج الفريابى وابن جرير وابن ابى حاتم عن مجاهد قال : « جاء رجل من أهل البادية فقال : (يارسول الله) ان امرأتى حبلى ، فأخبرنى ماتلد ؟ وبلادنا مجدبة ، فأخبرنى متى ينزل الغيث ؟ وقد علمت متى ولدت ، فأخبرنى متى أموت ؟

فأنزل الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » لقمان : ٣٤ .

وأخرج ابن المنذر عن عكرمة نحوه وزاد: «وقد علمت ما كسبت اليوم ، فماذا أكسب غدا » وزاد أيضا : انه سأل عن قيام الساعة » .

ولاشك : أن الساعة : من الغيب الذى استأثر الله بعلمه ، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه قال تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ

إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » الاعراف : ١٨٧ ..

لقد تقدم العلم الحديث فى شتى الميادين والمجالات ، واختراع العلماء : الكثير من الاجهزة والآلات ، حتى أمكن للانسان : أن يعلم على وجه التقريب : وقت نزول المطر .. وأمكن للأطباء : تمييز جنس الجنين : وهو فى بطن أمه ، بعد فترة زمنية من الحمل !

ولهذا يحاول أعداء الاسلام : التشكيك فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل « مفاتح الغيب خمس ، لا يعلمهن : الا الله » حيث زعموا : أن الانسان قد علم : بأمور كان الرسول صلى الله عليه وسلم : قد أخبر أن علمها : مما اختص به الله تعالى .

وتلك منهم دعوى باطلة لاتقوم على أساس سليم .

فعلم الساعة : لايزال غيبا مجهولا للانسان وان كان الرسول صلى الله عليه وسلم : قد أخبرنا عن أماراتها وأشراطها .. غير أن وقتها المحدد : سيظل سرا لايعلمه الا الله عز وجل ..

وهو وحده : الذى يعلم علما يقينيا بوقت نزول الغيث ، ومدة نزوله ومقداره ، وما يترتب عليه من آثار .. وهو أيضا لاغيره : الذى يعلم ماذا فى الأرحام : العلم اليقينى التفصيلى .. وقد أثبت العلم : أن الدفقة الواحدة : من ماء الرجل تحتوى على ستين مليونا من الحيوانات المنوية : كلها تدخل فى سباق لتلحق بالبويضة فى رحم المرأة ، ولايعلم أحد : أى الحيوانات الذى سيفوز بالسبق ليقوم بتلقيح البويضة فهو غيب لاعلم للبشرية به بما فيهم الزوج والزوجة : صاحبا الشأن فى هذا الامر ، فى حين أن : « كروموسومات » البويضة كلها مؤنثة : × × اكس .. اكس .. بينما « كروموسومات » الحيوان المنوى : بعضها مذكر ، وبعضها مؤنث : وأى × × اكس .. والتحام الحيوان المنوى بالبويضة : هو الذى يقرر مصير الجنين : ذكرا أو أنثى ، فهو خاضع لقدر الله الغيبى ، قال تعالى :

« اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ » الرعد ٨ ، ٩ .. وقال جل شأنه « لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ . أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ » الشورى : ٤٩ ، ٥٠ .. فالله وحده : هو الذى يعلم ما تحمله كل انثى فى بطنها من علقة أو مضغة ، ذكر أو أنثى ، فرد أو توأم ، جميل أو قبيح ، سعيد أو شقى ، وما هو مودع فى تلك النطفة فى ظلمات الرحم : من مواهب وطاقات ، ويعلم نقص مدة الحمل عن تسعة أشهر أو زيادتها .. وقد يعلم الانسان على

مفاتح الغيب خمس ..

وجه الترجيح أو الظن بعض ما يحصل عليه من رزق غده ، غير أنه لايصل العلم به الى درجة اليقين .. كما يغلب على ظن انسان ما : أنه سيموت فى بلد معين ، أو فى وقت قريب ، غير أن علمه : لايزال ظنا قد يصيب وقد يخطىء .

ولعل فى هذه الاية : أكبر طعنة توجه الى صدور الدجالين : الذين يدعون علم الغيب : من المنجمين والعرافين والكهان والمشعوذين .. والذين يضربون الودع ، والذين يخطون على الرمل : الذين يستغلون عقول البسطاء من الناس لابتزاز أموالهم ، ولو كانوا يعلمون الغيب حقيقة : لكسبوا لأنفسهم الخير الكثير ولدفعوا عن أنفسهم الشرور ، ولكنهم يقعون فى الشدائد والمخاطر كغيرهم ، ويفوتهم كما يفوت غيرهم : الكثير من الخيرات .. وقد شدد النبى صلى الله عليه وسلم فى التحذير من اتيانهم وتصديقهم ، وبين لنا : أن ذلك يتنافى مع الايمان بالله : الايمان الكامل .. أخرج أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول : فقد كفر بما أنزل على محمد » .. وروى مسلم عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أتى عرافا (فسأله عن شىء) لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » .. العراف : هو الحازر والمنجم الذى يدعى علم الغيب .. وهو من العرافة ، وصاحبها عراف : وهو الذى يستدل على الامور : بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها .. واذا كان هؤلاء الكهان وغيرهم : يأتون أحيانا ببعض الحقائق وهى نادرة ، فانما هى من اخبار شياطين الجن لهم ، فيخلطون بالحقيقة مائة كذبة .

وغير خاف على كل ذى لب : أن هؤلاء المتصلين بالشياطين : هم أخبث الناس ، وأشدهم جرأة على الله ، بافترائهم الكذب قال تعالى : «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ، تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ، يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ » الشعراء : ٢٢١ — ٢٢٣ ..

روى البخارى عن أبى الاسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة رضى الله عنها : أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الملائكة تنزل فى العنان ، وهو السحاب ، فتذكر الأمر قضى فى السماء ، فتسرق الشياطين السمع ، فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها : مائة كذبة من عند أنفسهم » ، وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنهما قالت . « سأل أناس النبى صلى الله عليه وسلم عن الكهان ؟ قال : انهم ليسوا بشىء ، قالوا : يارسول الله انهم يحدثون أحيانا بالشىء يكون حقا ؟ قال : تلك الكلمة من الحق : يخطفها الجنى ، فيقذفها فى أذن وليه ، فيخلطون بها : أكثر من مائة كذبة » ..

ان الغيب الذى طولبنا كمسلمين بالايمان به : له منبعان عظيمان ، لا يتطرق اليهما أدنى شك وهما : القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .. فلا يجوز للمسلم أن يتجاوزهما الى غيرهما فيما يتعلق به .

وقد وصف الله المؤمنين فى مواضع كثيرة من القرآن : بأنهم يؤمنون بالغيب ، وبذلك يجعل هذه الصفة : قاعدة أساسية من قواعد الاسلام قال تعالى : « الٓمٓ . ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » البقرة ١ — ٥

فالتصديق بوجود الله : ايمان بالغيب .. لأن ذات الله تعتبر غيبا بالنسبة للبشر ، فاذا آمنوا به ، فانما يؤمنون بغيب : يجدون آثار فعله ، ولايدركون ذاته ، ولا كيفيات أفعاله وتصرفاته .

ان سر الحياة ونشأتها : غيب من غيب الله، كنشأة الكون وحركته ، يقول عالم الاحياء والنبات « رسل تشارلز ارنست » الاستاذ بجامعة فرانكفورت بالمانيا فى كتاب : « الله يتجلى فى عصر العلم » : « لقد وضعت نظريات عديدة ، لكى تفسر نشأة الحياة من عالم الجمادات .. فذهب بعض الباحثين : الى أن الحياة : قد نشأت من : البروتوجين أو من الفيروس .. أو من تجمع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة .. وقد يخيل الى بعض الناس : أن هذه النظريات : قد سدت الفجوة التى تفصل بين عالم الاحياء وعالم الجمادات .. ولكن الواقع : الذى ينبغى أن نسلم به : هو أن جميع الجهود : التى بذلت للحصول على المادة الحية : من غير الحية : قد باءت بفشل وخذلان ذريعين .. ومع ذلك فان من ينكر وجود الله : لايستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع : على أن مجرد تجمع الذرات والجزئيات : عن طريق المصادفة : يمكن أن يؤدى الى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها فى الصورة التى شاهدناها فى الخلايا الحية ، وللشخص مطلق الحرية : فى أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة فهذا شأنه وحده ، ولكنه اذ يفعل ذلك فانما يسلم بأمر هو أشد اعجازا وصعوبة على العقل : من الاعتقاد بوجود الله : الذى خلق الاشياء ودبرها .. اننى أعتقد : أن كل خلية : من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها ، وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الارض تشهد بقدرة الله : شهادة تقوم على الفكر والمنطق ، ولذلك فاننى أومن بوجود الله : ايمانا راسخا » .

والتصديق بوجود الملائكة : هو ايمان بالغيب ، لايعرف البشر عنه شيئا : الا ما يخبرهم الله به على قدر حاجتهم ، قال تعالى:

« آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ

مفاتيح الغيب خمس ..

كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » البقرة : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

والايمان باليوم الآخر : وما يكون فيه من بعث وحشر وثواب وعقاب : ايمان بالغيب ، يؤمن به كل مسلم ومسلمة ، تصديقا لخبر الله ، وبما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم مما لاتهتدى العقول اليه .

والايمان بقدر الله : هو ايمان بالغيب ، لان الانسان لايعلم متى يقع وكيف يقع ، خيرا كان أو شرا . قال الله تعالى : « مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » الحديد : ٢٢ ، ٢٣ .. وفى حديث جبريل عليه السلام الذى رواه البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « .. وأن تؤمن بالقدر : خيره وشره »

ان المسلمين يجمعون بين الاعتقاد بالغيب المكنون : الذى لايعلم مفاتحه الا الله رب العالمين ، وبين الاعتقاد بالسنن الكونية : التى لاتتبدل .. بينما الماديون الملحدون فى هذا الزمان وفى كل زمان : يريدون أن يعودوا بالانسان القهقرى ، فينزلون به الى عالم البهائم الذى لاوجود فيه عندهم لغير المحسوس .. ويتبجحون فيسمون هذا تقدمية .. ويزعمون أن الانسان بعلمه وخبرته .. وحوله وقوته يستطيع أن يقوم وحده بجميع شئونه ، ولم يعد بحاجة الى اله يستمد منه العون !! وصدق الله اذ يقول : « أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » الانعام : ١٢٢ .

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

خلق الإنسان في القرآن

للدكتور محمد محمد خليفة

● آيات خلق الانسان من صلصال :

قال تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ، وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَارِ السَّمُومِ ، وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ، قَالَ لَمْ أَكُن لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) من ٢٦ ــ ٣٣ الحجر .

لقد بين الله فى آيات قدمناها فى مقالات سابقة أنه خلق الانسان من تراب وفى أخرى من ماء وفى ثالثة من الطين وفى هذه الآيات بين أنه خلق الانسان من صلصال من حمأمسنون وفى غيرها من صلصال كالفخار :

نقول : ان الخلق الأول من مادتين : تراب وماء ، اختلطا فكانا طينا ثم تحول الطين الى حمأمسنون ، ثم تحول الى صلصال كالفخار ، فخلق الانسان قد تحول من حالة الى حالة ، ثم كانت عملية التسوية وخلق الأعضاء ، ثم نفخ الله فيه من روحه ، وفى كل ما ذكر من الآيات حول الخلق ذكر لحالة أو أكثر من حالات الخلق والتصوير .

خلق الانسان

في القرآن

والصلصال : الطين اليابس الذى يصلصل هو غير مطبوخ **فاذا طبخ صار فخارا** ، **والحمأ** : الطين الأسود المنتن والمسنون : المتغير أو الطين الرطب أو المصور أو المصبوب .

وقد ذكر الله فى هذه الآيات أنه خلق الانسان من تلك المادة الطينية اليابسة ، وذلك بعد أن جمع المادة الأصلية للانسان من التراب والماء ، ثم خلطهما فكانا طينا ، ثم ترك الطين حتى يبس وتماسكت أجزاؤه ، وبعد حين تحول الطين الى حمأ حيث اسود ونتن ، ثم تغير فكان مسنونا ، ثم صور الله من ذلك الطين الأسود المنتن المتغير صورة الانسان الأول ، بأعضائه وأجهزته فالصلصال الذى خلق منه الانسان يشبه الفخار فى تماسكه وصلابته ثم نفخ فيه من روحه فكان آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

وقوله : والجان خلقناه من قبل من نار السموم يدل على أن الجان كان خلقه قبل الانسان ، والسموم : الريح الحارة التى لها لفح ، ومنها خلق الجان بنص الآية :

واختلف المفسرون فى الجن : هل هم الشياطين أو قسم منهم .

وبعد أن ذكر الله حدوث الانسان ليدلل على قدرته فى خلقه من الصلصال أمر الملائكة بالسجود لذلك الانسان الطينى ، وامتنع ابليس من السجود له مخالفا أمر الله وقد احتج بأنه من الصلصال فكيف يسجد المخلوق من نار السموم للمخلوق من الطين على حين لم يمتنع الملائكة من السجود وهم من نور والنور أعظم وأكثر نفعا من النار وهكذا حكى الله موقف ابليس وحجته فى عدم السجود ، وقد أعلن الله قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم : أنه خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وأنه بعد تسويته له والنفخ فيه من روحه جاء أمره لهم بالسجود له .

والبشر : الجسم الكثيف الذى يباشر غيره **ويلاقيه** . والمراد بالتسوية فى قوله : فاذا سويته) تسوية ذلك البشر وتشكيله فى صورته الانسانية من حيث أجزاء البدن ووضع الطبائع والغرائز فيه وتكوين عقله وحواسه ، والنفخ فيه من روحه وبعد أن تم كل ذلك كان الامر بالسجود واختلف فى هذا السجود فى حقيقته وكيفيته : هل كان تحية اعظام لذلك الانسان وهل كان بوضع الجبهة على الأرض ، أو أن السجود كان لله ، وكان آدم بمنزلة القبلة لذلك السجود ؟

كما اختلف فى المأمور بالسجود : هل هم الملائكة جميعا يدل على ذلك قوله : فسجد الملائكة كلهم أجمعون » أو هم ملائكة الأرض ، كما اختلف فى ابليس هل كان من الملائكة ثم حلت به لعنة الله لمخالفته أمر الله فكان شيطانا ، أو لم يكن من الملائكة وانما كان شيطانا ، والاستثناء اما أن يكون متصلا أو منقطعا والآية تدل على امتناع ابليس عن

السجود وأن الله كلمه فى سؤاله : يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين ؟ وليس فى كلام الله له اكرام واعظام وانما كلمه ليصل الى الجواب الذى يكشف حسد ابليس لآدم ، ثم يكون الحكم : لعنة الله عليه الى يوم الدين ، وكل ما اعتمد عليه ابليس فى تفضيل نفسه على آدم أنه بشر جسمانى من صلصال من حمأمسنون وأن ابليس روحانى من نار السموم فأصله أشرف من أصل الانسان ، وبهذا برر عصيانه لأمر ربه فحلت عليه لعنة الله .

* آيات خلق الانسان من ماء .

قال تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَاءٍ) ٤٥ النور .

الدابة : كل ما يدب من انسان وحيوان وحشرات وزواحف برية وبحرية لأنها تدب فى الماء وطيور : لأنها تدب فى الهواء (ولقد خلق الله كل دابة من الماء لانها متولدة من النطفة) .

وقد يراد بالماء : الماء الذى خلق منه أصل الحيوان والانسان الاول والحشرات والزواحف وغيرها فكل الدواب وان اختلفت صورتها قد خلقت من الماء واختلاف الصورة فسره بقوله : (فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ) وعلى الرغم من ذلك الاختلاف فانها مخلوقة من أصل واحد وهو الماء .

وقال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا) ٥٤ الفرقان .

ذلك الماء الذى خلق الله منه البشر ، اما أن يكون الماء الذى خلق منه أصل الحيوان الذى جاء فى المراد الثانى فى الآية السابقة فى قوله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَاءٍ) واما أن يراد ما قدمناه فى تلك الآية أولا من أن المراد : النطفة وهذا الخلق يعتبر من دلائل قدرة الله الباعثة على توحيده .

وقال تعالى : (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ، إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) من ٢٠ – ٢٣ المرسلات .

لقد هدد الله وتوعد المكذبين بيوم القيامة والبعث ، وكثيرا ما ساق فى هذه السورة بعد كل نعمة قدمها ذلك التهديد : (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) .

وقد بين الله فى هذه الآية خلق الانسان حيث أنعم الله عليه بالخلق والحياة وعبر عنه بضمير المخاطب فى قوله ألم نخلقكم على طريق الاستفهام التقريرى على معنى أقروا انا خلقناكم من ماء مهين ليدرك المعاندون أن خلقهم لم يكن الا من الماء الحقير الذى يجرى فى مجرى البول وقد تدفقه فى رحم المرأة

خلق الانسان في القرآن

حيث التقى ببويضة الانثى في ذلك القرار المكين لان ما يخلق منه الولد يقر في الرحم ويتمكن فيه أما مالا يخلق فانه لا يستقر بل يسقط دما ، وان استقرار ما يثبت انما يكون الى قدر معلوم وهي مدة الحمل وعلمها عند الله ان شاء جعلها سبعة أشهر وان شاء جعلها تسعة أشهر (فقدرنا) على خلقه وتصويره كيف شئنا وأردنا (فنعم القادرون) حيث خلقناه وصورناه ثم أمددناه بالاجهزة التي يحتاجها في الحياة والطبائع والغرائز ثم خلقنا فيه العقل الذي يفكر ويتأمل به عسى يدرك قدرة الله ونعمه فيؤمن به ، والا فويل يومئذ للمكذبين .

وقال تعالى : (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) (من ٥ ـ ٧ الطارق) ان الأمر في قوله : فلينظر للارشاد والتوجيه ليفكر الانسان ويتأمل في خلقه من أي شيء لعل ذلك التأمل يقوده الى الايمان بأن الذي خلقه من ذلك الشيء قادر على أن يجمعه بعد البلى ويعيد اليه الحياة ، ويبعثه كما كان في الدنيا .

وقد بين الله للانسان خلقه من ماء دافق بمعنى : مدفوق ومصبوب يخرج من بين الصلب ، وصلب الرجل ظهره ، والترائب : عظام صدر المرأة حيث تكون القلادة وبهذا يكون الولد متولدا من صلب الرجل وترائب المرأة ، وفي خلق الولد من ماء الرجل وبويضة الانثى ما يدل على قدرة الصانع وذلك الصانع الذي صنع البشر وسواه قادر على اعادته بشرا سويا يوم القيامة .

* آيات خلق الانسان من النطفة :

قال تعالى : (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) ٤ النحل .

بين الله قبل هذه الآية الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بخلق السموات والارض ثم أتبع ذلك بالاستدلال على وجوده بخلق الانسان .

وقد بينا خلال ما قدمنا من الآيات في موضوع خلق الانسان خلقه من سلالات طينية تكونت من التراب والماء فمرجع خلقهم الى الطين على أن المراد : الانسان الاول ، وقد يراد ابناء آدم على أن مرجع تكوينهم الى الغذاء ومرجع الغذاء الى الارض وما نبت منها وما تغذى على ما كان منها .

وفي هذه الآية اقتصر على ذكر النطفة وهي احدى مراحل خلق الانسان مكتفيا بذلك عن التفصيل الذي قدمه في آيات أخرى .

وكان مقتضى خلق الانسان من تلك النطفة أن يدرك ضآلة أصله حيث خلق من ماء مهين وأن يدرك أنه خلق من ضعف ثم صار قوة بدنية وقوة مفكرة حيث وهبه الله العقل والأحاسيس ، وأن يدرك كذلك أن الله نقله من الجهل المفرط في طفولته الى المعرفة والوعي في صباه وشبابه ، ومقتضى كل ذلك أن يؤمن بخالق تلك القوى . وأن يستجيب

الى أمر واهب القوى ، وينتهى عن كل ما نهى عنه صاحب القوى ، ولكنه ما كاد يستمتع بتلك النعم وغيرها حتى انقلب خصما مبينا لربه يجادل وينازع ويفكر ويتساءل : من يحيى العظام وهى رميم وكان الخليق به أن يؤمن بذلك الصانع والا يتمرد عليه أو يلوى وجهه عن أوامره ، ولا ينتهى عن نواهيه .

والخصيم :اما أن يراد به : الخصيم لربه أو الخصيم بمعنى المنطيق المجادل المنازع للخصوم وهكذا تحول ذلك الانسان الذى خلق من نطفة خسيسة الى انسان يخاصم خالقه أو الى انسان منازع مجادل يستخدم قوة فكره وبيان منطقه فى مخاصمة خالقه على وجود صانع القوى وواهبها .

وقال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) ٧٧ يس .

قيل : المراد بالانسان فى الآية : أبى بن خلف حيث نزلت الآية فيه وكان قد جاء بعظم بال الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : انك تقول : ان الهك يحيى العظام وهى رميم فقال له الرسول : نعم ويدخلك جهنم .

والآية وان كانت نزلت فى أبى هذا الا انه يراد بها كل منكر للبعث ، وكأن الله يقول لذلك الانسان المنكر : اذا غاب عنك خلق حيوان من حيوان فكيف يغيب عنك خلق نفسك ؟ أو لم تر أن الله خلقك من نطفة ، وكان أعجب من العجب أن يودع الله النطق والفهم والادراك فى تلك النطفة التى صيرها انسانا ناطقا فاهما مدركا ، وقوله : مبين يشير الى القوة المبينة المفصحة ، والقوة المفكرة العاقلة أسمى ما وصل اليه الانسان من القوى .

وكما أن الله أحدث تغيرات فى الانسان من حيث البدن فحوله من نطفة الى علقة الى مضغة الى غير ذلك حتى جعله انسانا كامل الاجهزة البدنية فكذلك غيره من الجهل المفرط فى طفولته الى الوعى والعقل الكامل فى شبابه حتى أصبح خصيما مبينا ينطق ويعبر عن فهمه وادراكه وانكاره أو خصيما بين الخصومة لربه .

وقال تعالى : (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ) ٤٥/٤٦ النجم .

سبحانه أوجد الضدين : الضحك والبكاء والموت والحياة والذكورة والأنوثة فى شيء واحد هو النطفة وذلك لا يكون الا من قادر ، فالذكورة والانوثة فى الآية من جملة المتضادات التى تتوارد على النطفة ، والله وحده القادر على أن يجعل من النطفة الواحدة ذكرا أو أنثى أو هما معا كتوأم ، يخلق الله ذلك من نطفة (اذا تمنى) من أمنى المنى اذا نزل أو منى يمنى : اذا قدر : منى الله الخير لفلان : اذا قدره له .

وفى هذا تنبيه على قدرته لأن النطفة جسم يخلق الله منه بقدرته الاعضاء والاجهزة والطباع ويمنحه المواهب المختلفة والصفات المتباينة : من الشجاعة والصدق والامانة والجبن والكذب والخيانة وان خلق الذكورة والانوثة منها لا يقدر عليه أحد الا الله .

وقال تعالى : (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) ٥٨ ، ٥٩ الواقعة تقدم الآية دليلا

خلق الانسان في القرآن

على كذب الكفار وصدق الرسل في الحشر .

وقد ساق الله كيفية الحوار مع المنكرين ، وبدأه بقوله نحن خلقناكم فان قالوا : لانشك في أنه خالقنا ، يقال : فهل تصدقون بخلقكم ثانيا ؟ فان من خلقكم أولا لا يعجز عن خلقكم ثانيا ، وان شكوا وقالوا : الخلق لايكون الا من منى ، وبعد الموت لا يوجد منى يمكن أن يخلق الانسان منه ، سئلوا : أانتم تخلقون المنى أم الله ؟ فان اعترفوا بأن الله هو الخالق للمنى الذى خلق منه الانسان لزمهم بذلك أن الخالق للانسان في الحياة الأولى من المنى لا يعجز عن خلق الانسان بعد أن يصير رميما من الأجزاء التى تفتت حيث يجمعها ويعيدها وذلك اهون عليه من الخلق الاول من تلك النطفة التى تمنى .

وقال تعالى : (أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ، أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ، أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ) ٣٦ ـ ٤٠ القيامة .

يسأل الله : أيظن الانسان أن يترك مهملا لا يكلف ولا يؤمر ولا ينهى ولا يحاسب في الآخرة عما يعمل في الدنيا ؛ لأن الله أعطى الانسان العقل ثم كلفه ، والتكليف لا يحسن الا اذا كان هناك دار للجزاء والثواب ولا يكون ذلك الا حيث البعث والقيامة .

وقد دلل على صحة البعث بقوله : ألم يك نطفة من منى يمنى يخرج من بين الصلب والترائب ، وقوله : يمنى أى ينزل من مجرى النجاسة فكيف يتمرد على طاعة الله ، أو يمنى بمعنى يقدر خلق الانسان منه،ثم حولته قدرة الله الى علقة : قطعة من الدم ثم خلقه وسوى أعضاءه ونفخ فيه من روحه فجعل منه انسانا سويا أليس القادر على خلق النطفة وتطويرها الى علقة فمضغة الى غير ذلك من مراحل الخلق قادر على أن يحيى الموتى ويبعثهم الى الحساب ثم العقاب أو الثواب .

وقال تعالى : (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) ٢ الانسان .

لقد خلق الله الانسان من نطفة أمشاج أى أخلاط ، واختلفوا في معنى النطفة المختلطة ، والجمهور على أنها مختلطة من ماء والمرأة الذى يخرج من بين الصلب والترائب ، وقيل : الاختلاط في لون ماء الرجل من حيث البياض ومن ماء المرأة من حيث : الاصفرار ، ومن خلط الماءين بلونيهما تكون الانسان وقيل : الاختلاط في الطبائع : حيث حمل ماء الرجل طبائعه ، وحمل ماء المرأة طبائعها ، فلما اختلطا حملا طبائع الرجل والمرأة ، وقد خلقه الله ذلك الخلق المختلط للامتحان والاختبار وقوله : فجعلناه سميعا بصيرا ، كنايتين عن التمييز والفهم ، وقد يراد بالسميع : المطيع ، وبالبصير: العالم ، وقد يراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان .

وقال تعالى : (**قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ**) من ١٧ ـ ٢٢ عبس .

قيل : نزلت الآيات في عتبة بن أبي لهب ، وقيل : المراد بالانسان : النفر من أغنياء قريش الذين أقبل عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم وترك ابن أم مكتوم ، وقيل : المراد : ذم كل غني ترفع وتعالى على الفقراء وقوله : قتل الانسان ما أكفره دعاء شنيع على ذلك الانسان وقوله : ما أكفره : تعجب منه لافراطه في الكفر بنعمة الله ، وبهذا الاسلوب ، يبين الله أن ذلك الانسان المعنى استحق أعظم العقاب لأنه ارتكب أفظع القبائح .

وقد بين الله مراتب خلق الانسان :

المرتبة الاولى : من أى شيء خلقه ، وهذا استفهام تقريرى للتحقير وأجاب الله على ذلك السؤال ، فبين أنه من نطفة خلقه ، وقد يراد بقوله : قدره : قدر أطواره من نطفة الى علقة الى مضغة ثم خلق من ذلك : الذكورة والانوثة .

وقد يراد بقوله : قدره : سواه .

المرتبة الوسطى : أشار اليها بقوله : **ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ**) أى يسر له الخروج من بطن أمه من ذلك المخرج الضيق أو تيسير السبيل بمعنى أنه جعله متمكنا من سبيل الخير والشر (وهديناه النجدين) .

المرتبة الاخيرة : أشار اليها بقوله : **ثم أماته فاقبره ثم اذا شاء انشره**) وفي هذا ثلاث مراتب الاماتة والاقبار والانشار .

أما الاماتة فهى واسطة بين التكليف والمجازاة وأما الاقبار : فمعناه جعله مقبوراً وأما الانشار : فالمراد منه : الاحياء والبعث .

✽ ايه خلق الانسان من العلق :

قال تعالى : **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ**) ١ ، ٢ ـ العلق .

لقد سمى الله سورة من كتابه الكريم باسم العلق .

وتقدير الآية : اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك ، وفي تفسير الذى خلق خلق الانسان من علق وجوه :

الأول : أنه يقرأ القرآن مستعينا بالله الذى حصل منه الخلق واستأثر به فليس هنالك من خالق سواه .

الثانى : الذى خلق كل شيء .

الثالث : الذى خلق ، فسره بقوله : **خلق الانسان من علق** .

وقال (علق) ولم يقل علقة وهى تلك التى خلق منها كل انسان لأن الانسان في معنى الجمع ، والعلق : الدم وهو أحد مراحل تطور الانسان : من النطفة الى العلقة الى المضغة ، وقد اقتصر على هذه المرحلة في هذا الموضع وفصل المراحل فمواضع أخر واكتفى بالاشارة هنا الى بعض مراحل الخلق من العلق ليفكر الانسان في خلقه من ذلك الشيء الضئيل لعل ذلك يسوقه الى الايمان بالخالق وبقدرته .

دكتور محمد محمد خليفه

الأزهر الشريف

الأمانة العامة للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر

إعلان عن مسابقة بين الكتاب والباحثين بمناسبة الاحتفال بمرور ألف عام على إنشاء الأزهر الشريف

تعلن الأمانة العامة للجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر عن المسابقة بين الكتاب والباحثين من مصر وخارجها للكتابة في الموضوعات الآتية :ـ

١ ـ الأزهر ودوره في الدفاع عن الإسلام .
٢ ـ الأزهر والدعوة الإسلامية في الداخل والخارج .
٣ ـ الأزهر والوحدة الإسلامية .
٤ ـ الأزهر ودوره في حماية المفاهيم الإسلامية من الانحراف والتطرف .
٥ ـ الأزهر ودوره في الحفاظ على اللغة العربية .

بالشروط التالية :

١ ـ (أ) أن يكون البحث في واحد من هذه الموضوعات .
ويجوز لأي باحث أن يتقدم ببحث في أي هذه الموضوعات عن الإسلام أو عن الأزهر وبذات الشروط .
(ب) يجوز للباحث الكتابة في أكثر من موضوع .
(ج) يجوز لأكثر من واحد الكتابة في موضوع واحد .

٢ ـ (أ) أن يكون البحث ذا صبغة علمية ويجب الإشارة في صلب البحث إلى المصادر والمراجع التي استمد منها الباحث .
(ب) أن يكون البحث جديدا لم يسبق نشره ولا تقديمه لإحدى الهيئات العلمية لنتاج علمي ولا في مسابقة أخرى (ويقر الباحث بذلك في طلبه كتابة) .
(ج) يتحمل الباحث شخصيا المسئوليات القانونية قبل الآخرين ودون أدنى مسئولية على الأزهر بشأن أية حقوق يتقاضيه الآخرون عنها .

٣ ـ (أ) لا تقل صفحات البحث الواحد عن ثلاثمائة صفحة من قطع متوسط مكتوبة بالآلة الكاتبة .
(ب) يكتب البحث باللغة العربية الفصحى .
(ج) يقدم الباحث ثلاث نسخ من البحث للسيد الأمين العام للجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر (مكتب فضيلة الأستاذ الدكتور وكيل الأزهر) بإدارة الأزهر بالقاهرة في موعد لا يجاوز يوم ١٤ يناير سنة ١٩٨٣ .

٤ ـ (أ) قيمة المكافأة عن كل موضوع في حدود مبلغ ٣٠٠٠ جنيه (ثلاثة آلاف جنيه مصري) وتوزع المكافأة حسبما تقرره لجان الفحص لباحث واحد أو أكثر ويجوز لهذه اللجان تقرير مكافأة تشجيعية على بعض البحوث ويتم صرف جميع المكافآت بالعملة المصرية .
(ب) يصرف نصف المكافأة بعد صدور قرار لجان الفحص واعتماده من الأمين العام والنصف الباقي بعد انتهاء الأزهر من طبع البحث .
(ج) للباحث الحصول بالمجان على خمس نسخ من بحثه بعد نشره إذا ما طلب ذلك .

٥ ـ (أ) كل بحث له مكافأة أصلية يكون صالحا للنشر ويتولى الأزهر طبعه ونشره ويعتبر تقديم البحث للمسابقة إذنا من الباحث للأزهر بالطبع والنشر ولا يجوز للباحث طبعه أو نشره أو الإفادة منه أو نشره إلا بإذن خاص من الأزهر .
ويجوز أن تنشر البحوث التي لها مكافأة تشجيعية بذات الطريقة .
(ب) للأزهر الحق في نشر البحث كاملا أو تأجيل نشره إلى المدة الزمنية التي يراها .
(ج) للأزهر الحق في نشر البحث مجزءا في الدوريات التي يصدرها أو في غيرها من الدوريات .

أولى
منازل
الآخرة

دراسات في السنة

إعادة البخاري الحديث
في مواضع كتابه

من هدي رسول الله

أول منازل

قال البراء بن عازب — رضي الله عنه :

« خرجنا مع النبي — صلى الله عليه وسلم — في جنازة رجل من الانصار ، فانتهينا الى القبر وَلَمَّا يُلْحَد ، فجلس رسول الله — صلى الله عليه وسلم — (مستقبل القبلة) وجلسنا حوله ، وكأن على رءوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت في الأرض ، فجعل ينظر الى السماء وينظر الى الأرض ، وجعل يرفع بصره ثلاثا ، فقال .

استعيذوا بالله من عذاب القبر ، مرتين او ثلاثا .

ثم قال : اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ، ثلاثا .

ثم قال :

ان العبد المؤمن ، اذا كان في انقطاع من الدنيا ، واقبال من الآخرة ، نزل اليه الملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط (١) من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه — مد البصر — ثم يجيء ملك الموت — عليه السلام — حتى يجلس عند رأسه ، فيقول :

أيتها النفس الطيبة (٢) اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان .

قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في (٣) السقاء ، فيأخذها ، وفي رواية :

حتى اذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء ، وفتحت له أبواب السماء ، ليس من أهل باب الا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قِبَلِهِمْ فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط .

فذلك قوله تعالى :

---

(١) بفتح الحاء المهملة وهو : ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى واجسامهم خاصة .

(٢) وفي رواية : المطمئنة

(٣) اي فم السقاء

الآخرة

بقلم
ع . الخطيب

(توفته رسلنا وهم لا يفرطون) الانعام ٦١ .

ويخرج منها (٤) كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال :

فيصعدون بها فلا يمرون ، يعنى بها ، على ملأ من الملائكة الا قالوا :

ما هذا الروح الطيب ؟

فيقولون : فلان ابن فلان ــ بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا . حتى ينتهوا بهـا الى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها حتى ينتهى به الى السماء السابعة ، فيقول الله ــ عز وجل :

اكتبوا كتاب عبدى فى عليين .

(وما أدراك ما عليون. كتاب مرقوم. يشهده المقربون) المطففين ١٩ ــ ٢١ فيكتب كتابه فى عليين ، ثم يقال :

أعيدوه الى الأرض ، فانى (وعدتهم أنى) منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى .

قال :

فـ (يرد الى الأرض ، و) تعاد روحه فى جسده .

قال : فانه يسمع خفق نعال أصحابه اذا ولوا عنه مدبرين . فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ، ويجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟

فيقول : ربى الله .

فيقولان له : ما دينك ؟

فيقول : دينى الاسلام .

فيقولان له : ماهذا الرجل الذى بعث فيكم ؟

فيقول : هو رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .

فيقولان له : وما عملك ؟

فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت .

فينتهره فيقول : من ربك ؟ ... دينك ؟ . من نبيك ؟ وهى آخر فتنة تعرض على المؤمن ، فذلك حين يقول الله ــ عز وجل .

(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا) ابراهيم ــ ٢٧ .

فيقول : ربى الله ، ودينى الاسلام ، ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم .

(٤) اى يخرج منها عطر كاطيب ... الخ

فينادى مناد فى السماء أن صدق عبدى ، فافرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة .

قال :

فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له فى قبره مد بصره .

قال :

ويأتيه (١) رجل حسن الوجه ، حسن الثياب طيب الريح ، فيقول :

أبشر بالذى يسرك ، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم ، هذا يومك الذى كنت توعد .

فيقول له : وأنت فيبشرك الله بخير ، من أنت ؟ فوجهك الوجه يجىء بالخير .

فيقول : أنا عملك الصالح ، فوالله ما علمتك الا كنت سريعا فى اطاعة الله ، بطيئا فى معصية الله ، فجزاك الله خيرا .

ثم يفتح له باب من الجنة ، وباب من النار فيقال :

هذا منزلك لو عصيت الله ، أبدلك الله به هذا !

فاذا رأى مافى الجنة قال :

رب عجل قيام الساعة كيما أرجع الى أهلى ومالى ، فيقال له :

أسكن .

قال :

وان العبد الكافر (٢) اذا كان فى انقطاع من الدنيا ، واقبال من الآخرة ، نزل اليه من السماء ملائكة غلاظ شداد ، سود الوجوه ، معهم المسوح (٣) من النار ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول :

أيتها النفس الخبيثة ، أخرجى الى سخط من الله وغضب !

قال :

فتفرق فى جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود (٤) الكثير الشعب من الصوف المبلول فتقطع معها العروق والعصب ، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وتغلق أبواب السماء ، ليس من أهل باب الا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم فيأخذها ، فان أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا :

ما هذا الروح الخبيث ؟!

فيقولون : فلان ابن فلان . بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهى به الى السماء الدنيا فيستفتح له ، فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

(لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ) .

الأعراف — ٤٠ .

فيقول الله — عز وجل :

اكتبوا كتابه فى سجين ، فى الأرض السفلى .

ثم يقال :

(١) فى رواية : يمثل له .
(٢) فى رواية : الفاجر .

(٣) جمع المسح وهو مايلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفا .
(٤) اسم للمسمار الطويل الذى يوضع به اللحم لشيه على النار .

أعيدوا عبدى الى الأرض ، فانى دعوتهم انى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى .

فتطرح روحه من السماء طرحا حتى تقع فى جسده ، ثم قرأ :

(وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) الحج – ٣١ .

فتعاد روحه فى جسده .

قال : فانه ليسمع خفق نعال أصحابه اذا ولوا عنه .

ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟

فيقول : هاه ... هاه ... لا أدرى (١) !

فيقولان له : ما دينك ؟

فيقول : هاه ... هاه ... لا أدرى !

فيقولان له : فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟

فلا يهتدى لاسمه ، فيقال : محمد !

فيقول : هاه .. هاه .. لا أدرى ، سمعت الناس يقولون ذاك !

قال :

فيقال : لا دريت ولا تلوت .

فينادى مناد من السماء : أن كذب ، فافرشوا له من النار ، وافتحوا له بابا الى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه (٢) رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسوءك ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول :

وأنت فبشرك الله بالشر ! من أنت ، فوجهك الوجه يجىء بالشر ؟ فيقول : (٣)

أنا عملك الخبيث ، فوالله ما علمت الا كنت بطيئا عن طاعة الله ، سريعا الى معصية الله ، فجزاك الله شرا ، ثم يقيض له أعمى أصم أبكم فى يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابا فيضربه ضربة حتى يصير بها ترابا ، ثم يعيده الله كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شىء الا الثقلين ، ثم يفتح له باب من النار ، ويمهد من فرش النار ، فيقول : « رب لا تقم الساعة » ا هـ .

اخرجه أبو داود (٢ / ٢٨١) والحاكم (١/ ٣٧ – ٤٠) .

والطيالسى رقم (٧٢٣) وأحمد (٤/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦) والسياق له .

والآجرى فى (الشريعة) (٣٦٧ – ٣٧٠) .

وروى النسائى (١/ ٢٨٢) وابن ماجه (١/ ٤٦٩ – ٤٧٠) .

القسم الأول منه الى قوله : (وكأن على رءوسنا الطير) وهو رواية لأبى داود (٢/ ٧٠) بأخصر منه ، وكذا أحمد (٤/ ٢٩٧) .

وقال الحاكم :

« صحيح على شرط الشيخين » وأقره الذهبى ، وهو كما قالا .. وصححه ابن القيم فى (اعلام الموقعين) (١/ ٢١٤) و (تهذيب السنن) (٤/ ٣٣٧) ونقل فى تصحيحه عن أبى نعيم وغيره .

« ع . الخطيب »

---

(١) تقال هذه الكلمة فى مواطن عدة منها التوجع ، ومنها الدهشة التى تحدث عند نزول غير متوقع

(٢) فى رواية : ويمثل له .

(٣) المعنى : ماعلمتك الا .. الخ

من فقه البخاري

إعادة البخاري الحديث في

• قد يكرر البخارى الحديث في مواضعه اللائقة به لأمور هامة تتعلق بالاسناد أو المتن أو هما معا .

من ذلك أنه يخرج الحديث عن صحابى ثم يورده عن صحابى آخر ليخرج به عن حد التَّفرد والغرابة ، وكذلك يفعل فى أهل الطبقة التالية للصحابة فمن بعدهم الى مشايخه ، كما يتضح ذلك فى المتابعات ومن ذلك أحاديث يرويها بعض الرواة تامة ، ويرويها بعضهم مختصرة ، فيوردها كما جاءت تحرِّيًا للدقة وليزيل الشُّبهة عن ناقلها ، وليصل (المنقطع) مُنبِّهًا على أصله فيقوى بعضها بعضا ، ومثال ذلك فى صحيحه .

« بَابٌ » لِيُبَلِّغ العلم الشاهد الغائب . قاله ابن عباس عن النبى (صلى الله عليه وسلم) وهذا تعليق .

ولكنه أسنده فى كتاب الحج ، فى « **باب الخطبة أيام مِنًى** » عن على بن يحيى بن سعيد عن سعيد بن غزوان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خطب الناس يوم النَّحر فقال : أيها الناس ، أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام ، وفى آخره « اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت » قال ابن عباس ، فو الذى نفسى بيده انها كوصية الى أمتى ، فليبلغ الشاهد الغائب » وذكر الحديث (١) .

وأورد فى هذا الباب : حدثنا عبد الله بن يوسف ، قال : حدثنى الليث ، قال : حدثنى سعيد بن أبى شريح ، أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة : ائذن لى أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبى (صلى الله عليه وسلم) الخ .. الحديث ذكره مطولا ، ثم ذكر فى كتاب الحج (٢) «باب فضل الحرم» باسناد مغاير ، ومتن مختصر ، قال :

حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس « رضى الله عنهما » قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم فتح مكة : ان هذا البلد حرمه الله لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا تلتقط لقطته الا من عرفها » وليس فى هذا الحديث الجزء الذى يبوب له فى الباب السابق .

---

(١) كتاب العينى ج ٢ ص ١٣٨ ط المنيرية شرح صحيح البخارى .

« ٢ » صحيح البخارى ج ٢ ص ١٢٣

للدكتور الحسيني هاشم

الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية

مواضع كتابه

ويشير البخاري بذلك الى أن ترك بعض السند أو المتن اختصارا لا يضر ، فيزيل الشبهة عن ناقله بذكر الروايتين .

ومنها أحاديث تعارض فيها الوصل والارسال ورجح عنده الوصل ، واعتمدت ، وأورد الارسال منبها على أنه لا تأثير له ، لأنه عنده في الموصول .

مثال ذلك : ما رواه عن يزيد بن رومان (١) عن صالح بن خوات عمّن صلى مع النبي «صلى الله عليه وسلم» صلاة الخوف ، وأخرجه من حديث شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن صالح بن خوات عن سهل بن أبي حثمة ، وأخرجه من حديث يحيى بن سعيد عن القاسم عن صالح عن سهل موقوفا ، قال ابن حجر : تعارض الرفع والارسال في حديث سهل والرفع مشهور عنه : ومنها أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلا في الاسناد ونقصه بعضهم فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوي سمعه من شيخ حدثه به عن آخر ثم لقي الآخر محدثه به فكان يرويه على الوجهين مثال ذلك :

حدثنا يحيى بن سليمان ، قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثنا يونس عن ابن شهاب عن حمزة بن عبد الله ، أنه أخبره عن أبيه ، قال : لما اشتد برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجعه ، قيل في الصلاة فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، قالت عائشة ، ان أبا بكر رجل رقيق ، اذا قرأ غلبه البكاء ، قال : مروه فيصلي ، فعاودته : قال : فمروه فيصلي ، انكن صواحب يوسف » تابعه الزبيدي ، وابن أخي الزهري ، واسحق بن يحيى الكلبي عن الزهري ، وقال : عقيل ومعمر عن الزهري عن حمزة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وقد يورد الحديث لتسمية راو او التنبيه على زيادة في الرواية ، ويراعي تقديم الحديث الأولى .

(١) — مقدمة الفتح ج ٢ ص ١١٠

التشريع

الصلاة في الإسلام

الأمن في الصلاة

الصلاة واحدة من الشعائر التى عرفتها جميع الديانات السماوية والوضعية ، ولكنها فى الديانات السماوية مناجاة للخالق سبحانه وتضرع اليه وتمجيد لذاته ومثول بين يديه ، وهى ليست كذلك فى الديانات الوضعية والعقائد الوثنية ، ذلك انها فى تلك الديانات لا تتعدى بعض الطقوس التى تباعد بين المرء ومروءته فهى صياح حينا ، ورقص حينا آخر ، وبعض دقات الطبول التى ربما ارتقت فصارت ضروبا من الاناشيد وتبائل من الاغانى والوانا من العزف الموسيقى .

اما الصلاة فى الاسلام فهى شىء مختلف عن ذلك تماما من حيث التكليف والوجوب والاداء والتلاوة والوقار وابداء العبودية كاملة لرب العالمين فى اطار من نظافة البدن ، وصفاء القلب ، وطهارة الروح .

ان الصلاة فى الاسلام هى الركن الثانى للعقيدة بعد التوحيد — أى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله — وهى الفريضة الاولى بين العبادات وتليها الزكاة ثم صيام رمضان ثم حج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

والصلاة فى الاسلام عبادة معلنة ، واذا لم يتح اعلانها بسبب أدائها فى البيت أو محل العمل ، فان اعلانها حتمى يوم الجمعة حين يلتقى المسلمون فى المساجد فى ظل المساواة الكاملة والمودة الصادقة بين جميع المؤمنين ، حيث يقف — جنبا الى جنب فى الصف الواحد — الغنى والفقير ، والوزير والخفير ، والعالم

الصلاة في الإسلام

بقلم الدكتور مصطفى الشكعة

والجاهل ، والقوى والضعيف ، والابيض والاسود ، لا فرق بين واحد منهم وآخر ، فتنمحى الفوارق وتزول الطبقات وتتهدم المراتب ، وتلك مظاهر لا تتوفر فى صلاة الا فى صلاة الاسلام ولا تشاهد فى بيت من بيوت العبادة الا فى المساجد .

نقول ان الصلاة هى العبادة الحتمية الاعلان دون بقية العبادات باستثناء الحج الذى يفرض مرة واحدة فى العمر كله لمستطيع أدائه ومن هنا كان لفريضة الصلاة قيمتها وخطرها، فلقد ورد ذكر لفظة الصلاة فى القرآن الكريم تسعين مرة فى نحو أربعين سورة فى مقام الامر والتكليف وتأكيد الايمان وتثبيت العقيدة ..

ففى مقام الأمر والتكليف يقول الله عز وجل :

(إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) (١) أى فرضا مفروضا .. ويقول أيضا :

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (٢) .. وفى مقام ثبات العقيدة يقول سبحانه وتعالى :

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) (٣) والايمان بالغيب هو الايمان باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب من ثواب وعقاب وجنة ونار ، ومن ثم لا يكون المرء مؤمنا الا

---

(١) سورة النساء الآية ١٠٣
٢ ــ طه ١٣٢
٢ ــ البقرة ٢

الصلاة في الإسلام

اذا كان غيبيًا ، ذلك أن الغيب يقين مادام الله سبحانه قد أخبر عنه . وفي مقام ثبات العقيدة أيضا عند مؤدى الصلاة قول الله عز وجل : (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**) (١) وقوله تعالى : (**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**) (٢) وقوله تعالى (**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ**) (٣) وقوله تعالى على لسان ابراهيم (**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي**) (٤).

الصلاة في الاسلام اذن هي وجه العقيدة المترجم الى فعل ممارس ويقين معلن ، ولذلك فقد احتفل القرآن الكريم بذكرها في مواقف شتى ومناسبات عديدة ، ثم ثنى صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم بتأكيد ما جاء به القرآن متعلقا بأهمية الصلاة في الاسلام فقال (**بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة**) .. واستنادا الى هذا الحديث الشريف فان الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يعد تارك الصلاة كافرا .. ولعله استأنس في حكمه هذا

---

١ — المؤمنون ١ ، ٢
٢ — التوبة ١٨
٣ — الحج ٤١
٤ — ابراهيم ٤٠

أيضا بحكم أبي بكر رضي الله عنه على مانعي الزكاة واعتباره اياهم خارجين على الاسلام ومن ثم أعلن الحرب عليهم حتى أرغمتهم على تأديتها .

والرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد مكانة الصلاة في اطار العقيدة الاسلامية في كثير من أحاديثه وتعاليمه وتوجيهاته ، انه يقول لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله الى اليمن ناصحا موجها : (فليكن أول ماتدعوهم اليه شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة) .. وفي مناسبة أخرى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟) فيقول : بلى يارسول الله ، فيقول صلى الله عليه وسلم : (رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد) .

وفي مقام التأكيد على خطورتها يقول صلى الله عليه وسلم : « ان أول ما افترض الله على الناس من دينهم الصلاة ، وآخر ما يبقى الصلاة ، وأول ما يحاسب به الصلاة » .

لقد فرض الله سبحانه الصلاة على الحر والعبد ، والذكر والأنثى ، والمسافر والمقيم ، والصحيح والمريض ، والغني والفقير ، وليس الأمر كذلك تماما في الزكاة والصوم والحج ، فالزكاة لا يكلف بها الا ذو مال أو متاع ، والصوم يسقط عن المريض الذي لا يرجى برؤه ، والحج لا يفرض الا على المستطيع ، ولكن الأمر مختلف في الصلاة ، فالمرء يصلي جالسا ان لم يستطع الوقوف ، وراقدا في

فراشه ان لم يستطع القعود ، وبتحريك رموش عينيه ان أعيته الحركة واستعصى عليه النطق ، والخلاصة أن الصلاة حتمية الأداء لا سبيل الى تركها أو تجاهلها .

أما والأمر كذلك من أهمية التكليف بالصلاة ومكانتها من الاسلام فما هي فلسفتها وكنهها، وما يتلفظ به فيها من قول ، وما يمارس فيها من حركة ، وما يسبقها من استعداد لها وتأهل لأدائها ؟ .

ان المسلم وهو مقدم على أداء الصلاة يكون فى واقع أمره ساعيا الى المثول بين يدى الخالق الأعظم ، ومن ثم فانه يستعد لها بالتطهر والاغتسال ان كان على جنابة ، وعليه أن يزيل أوضار مخلفات الجسم ، ثم يتوضأ ، والوضوء نظافة عينية لأنه تنظيف بالماء للوجه والساعدين والرأس والقدمين ، وهى المناطق من الجسم الأكثر تعرضا للأتربة والأوساخ ، وبدون الطهارة والوضوء لاتصح صلاة .

وأما الصلاة ذاتها فهى تمجيد للاله الأعظم فى تكبيرة الاحرام وما يليها من تكبيرات الركوع والسجود ، فاذا بدأ المصلى قراءة الفاتحة فانه يزداد اقترابا من خالقه ، ويكون أكثر دنوا من ملك الملوك فاطر السموات والأرض ثم يصير المصلى معنى صافيا من معانى الخضوع وهو يردد (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ثم ينتقل المصلى الى مرحلة الدعاء والابتهال والسؤال ــ سؤال من يقبل الدعاء ــ فيقول : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) فاذا ما هدى المصلى الصراط المستقيم فقد فاز .

ومن أركان الصلاة فى الاسلام الركوع والسجود ، وعلى المصلى أن يكبر وهو راكع « ثم وهو قائم من الركوع » ، وعليه كذلك أن يكبر وهو ساجد ثم وهو قائم من السجود فأما الركوع فى ذاته فهو تطامن للخالق ، واستسلام لعظمته ، وتسليم لمشيئته ، وتمهيد للخضوع الكلى فيما يلى ذلك من سجود ، والسجود هو قمة العبودية لله ، وهو أسمى تعبير عن الخضوع عن الخضوع لذاته ، ومن ثم فهو يمثل عزة المؤمنين ، لأن عزة المؤمن تنبثق من عبوديته لله ، وكلما تعمقت أسباب العبودية لله تسامت مظاهر العزة عند الفرد ، فالذى يكون عبدا لله يرفض أن يكون عبدا لسواه ، وهو ما تترجم عنه الآية الكريمة :

(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) (١) .

والصلاة فى الاسلام تقتضى قراءة التشهد

---

١ ــ المنافقون الآية ٨

الصلاة في الإسلام

حين يكون المصلي جالسا ، والتشهد تجديد لايمان المصلي وتأكيد لعقيدته ، لأنه يقدم التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله ، ثم يعلن السلام على النبي ، وعلى نفسه ، وعلى عباد الله الصالحين ، ثم يتلفظ بالشهادتين — وكأنه يجدد ايمانه — ثم ينهي المصلي صلاته بالسلام لأن الله هو السلام ، ولأن الاسلام هو دين السلام ، ولأن الجنة التي يسعى اليها هي دار السلام .

فالصلاة وتلك حالها تطهير للنفس ، وتنقية للروح ، وتمجيد للخالق ، وتقرب منه ، وتضرع اليه ، وهي خمس مرات كل يوم ، ومن البداهة بمكان أن من يمثل بين يدي الخالق الأعظم هذه المرات الخمس كل يوم يعيش يومه مطهرا ، ويقضي ليله نقيا ، يتجنب اقتراف الذنوب ، ويتحاشى الوقوع في الآثام ، ويعف عن محارم الله ، ويترفع عن الصغائر ، ويسعى الى الخير ويكثر من فعل الطيبات ، ولذلك يقول الله سبحانه : (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ) .

والصلاة في الاسلام على يسرها وسهولة أدائها ، قد زادها الله تيسيرا في حالات السفر والمرض ، وذلك بالجمع والقصر ، أي بجمع كل صلاتين معا في وقت صلاة احداهما ، وبقصر الصلاة ذات الركعات الأربع الى ركعتين اثنتين ، بل انه اذا تعذر التطهر والوضوء لعدم وجود الماء ، فان للمصلي أن يتيمم ، وذلك بمسح وجهه وساعديه بالتراب ، وان هذه الآية من سورة المائدة تبين أحكام التطهر والوضوء والتيمم على هذا النحو المعجز من كلام رب العالمين . يقول جل وعز : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ، وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ، مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ، وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (١) .

ان الصلوات الخمس في الاسلام لا يتعدى أداء الواحدة منها دقائق معدودة ، وهي جميعا تبعا لذلك لا تستغرق من المصلي أكثر من عشرين دقيقة بل أقل من ذلك كل يوم وليلة ، فهل كثير على المخلوق الذي ينعم بآلاء الخالق التي لا حدود لها أن يمثل بين يدي خالقه بضع عشرة أو عشرين دقيقة كل يوم بيدي

١ — المائدة الآية ٦

الضراعة ويجدد اليقين ويسدد الدين ويطهر الروح وينقى القلب ويصرف النفس عن الهوى ؟!!

اللهم ان ذلك ليس بالخير .

بقى في نهاية هذا الحديث أن أذكر حادثة وقعت قبل سنوات ثلاث وقت الافطار في شهر رمضان ، لقد دعيت الى مائدة افطار أقامها صديق كريم في أحد فنادق القاهرة ، ودعا الصديق اليها عددا من العلماء والأدباء ، فلما أذن للمغرب قام عدد من الصائمين لأداء فريضة الصلاة قبل أن يفطروا ، ولكن أحد المدعوين وهو أديب قد ناهز الخامسة والسبعين من عمره واشتهر بالكتابة عن الموسيقى والرحلات البحرية قال بصوت مسموع مستنكرا قيام بعض الحاضرين لأداء الصلاة : هل من المعقول أن يوجد بين الناس من يصلون في الوقت الذى وصلت فيه بعض الدول الى القمر ؟!

انه بغض النظر عن مجانبة هذا القول للياقة ومجافاته للباقة ، فقد كان على الكاتب الشهير أن يراعى أنه مدعو الى مائدة رمضانية يعنى مناسبة دينية ، كانت لباقته تقتضيه الاعتذار عن قبول الدعوة اليها ، أما وقد لبى الدعوة فقد كان عليه أن يحترم مشاعر الحاضرين ، وكانوا جميعا — ما عداه والسيدة زوجته — من الصائمين .

أقول انه على الرغم من مجانبة هذا القول للباقة ، فان واقعة وصول بعض الدول الى القمر تقتضي عكس ما تفوه به الأديب الكاتب انها تقتضى الناس كل الناس أن يصلوا ويزدادوا من الله قربا ، ذلك أن الذى أوصل الانسان الى القمر هو العقل ، والعقل هو نفحة من نفحات الخالق الأعظم خص بها الانسان وأنعم بها عليه دون سائر المخلوقات ، فالذى أوصل الانسان الى القمر هو الله ، فلنصل لله وليصل الناس جميعا لله ، ولو تدبر الكاتب الأمر حق تدبره وتعقله حق تعقله لعلم أن الأمر هو الآخر لله ، ولكن (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (١)

صدق الله العظيم .

دكتور مصطفى الشكعة

---

١ — سورة الحج الآية ٤٦

الأمن

وصلنا في سلسلة مقالاتنا السابقة في مجال الشعور بالأمن والبحث عن وسائل تنمية هذا الشعور داخل النفس البشرية الى أن الشعور بالأمن احساس داخلي لا يشعر به الا الانسان نفسه وان تأثير القوانين والتشريعات يقف عند حد معين لدى كل فرد في اشباع حاجته الضرورية للأمن مما يدعونا الى البحث عن وسائل مساعدة لتنمية هذا الشعور .

وأوضحنا ما للدعاء من أثر فعال في الوصول الى هذا الغرض ، واليوم نبحث عن وسيلة أخرى لها من الأثر المباشر على النفس المطمئنة بقربها من الخالق بالصلاة .. فالفرق بين الشخص الآمن وغير الآمن أن كلاهما يبتلى وكلاهما تنزل عليه نوائب الدهر ومصائب الزمان مما يهزه ويقلق مضجعه انما يكون لدى الأول من القوى المختلفة مايستطيع به أن يقاوم هذه النوازل ويطردها بعيدا عن طريقه بينما الثاني يضعف أمامها وقد يصل الى درجة الانهيار أو الكفر .

الصلاة تقوى الايمان بقوة الخالق وتنمى الرضا بقضائه وحكمه ورزقه وتبعد الشعور باليأس وتقوى العزم وتعلم الصبر عند الشدائد لقوله تعالى :

(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) .

والانسان في بحثه عن القوة العظمى التي تحميه وتشعره بأمنه يريد أن يطمئن الى وسيلة الاتصال بهذه القوة العظمى مصدر القوى فهو في محاولته الاقتراب من الخالق ومناجاته والتودد اليه يلتمس الوسيلة الأقرب والأسرع فيلجأ الى الدعاء، وهو أعظم مظهر من مظاهر العبودية وأقربها بعثا للأمل وشد العزائم والهمم ، ثم يتابع اتصاله بوسيلة الصلاة التي هي ركن من أركان الاسلام تشتمل على نية وقول وعمل ، انه يشعر وهو يؤديها أنه بين يدي المهيمن عليه يركع له ويسجد متجها الى القبلة التي كان يرضاها نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم .. الكعبة المشرفة التي كانت قبلة ابراهيم خليل الرحمن والتي نشأ عندها الرسول صلى الله عليه وسلم يحوطها المسجد الحرام قبلة المساجد كلها ، هذه القبلة التي يعتبر استقبالها فرضا في الصلاة توضح مفهوم النظام العام في اتجاه المسلمين جميعا في صف واحد

في الصلاة

عميد شرطة فكري الجوهري

أو فرادى ، الى اتجاه واحد ونظام أبدى محدد ومع وجود هذا النظام الواحد فانه لا يتصف بالجمود وانما يمكن للمصلى فى أى مكان استقبال اتجاه الكعبة لأن من المتعذر على من هو فى أقاصى الدنيا ضبط عين الكعبة بالدقة والتمام فالله لا يكلف نفسا الا وسعها •

وعلى المصلى ، لكى يقترب بهذه الوسيلة من الله ، الا يشغل نفسه بما حوله وما قد يراه بنظره عند القراءة أو القيام والسجود لهذا عليه النظر الى موضع سجوده ، وفى الركوع عليه النظر الى موضع قدميه ، وفى السجود الى موضع أنفه وفى القعود الى حجره ولكى يعبر عن احترامه وخشوعه واطمئنانه عليه عدم الالتفات أو التحرك كثيرا ويكون قلبه ساكنا وهو فى قراءاته وتسبيحاته كأنه يؤدى الامتحان فيها مع الله موقنا معانيها وألفاظها ومداخلها ومخارجها •

ومن مظاهر اليسر فى استخدام هذه الوسيلة فى الوصول الى الله أراد الا يكون هناك مانعا لاستمرار الرابطة التى تربطه بعبده فمع وجوب الطهارة والوضوء قبل الصلاة أجاز التيمم عند عدم وجود الماء أو عدم القدرة على استعماله • كذلك أباح تقصير الصلاة فى السفر للجهاد أو التجارة أو السياحة أو غير ذلك فيمكن أداء الصلاة الرباعية ركعتين فقط ولا تنقطع هذه الصلاة حتى فى أثناء الهجرة أو السفر أو الحرب •

ان الصلاة لبها الدعاء الذى يعمر داخل النفس بالطمأنينة ، فليس بعد أن يحتمى المرء بربه حماية ، والله أكرم وأجل من أن يخيب رجاء عبده ، كذلك شرع — سبحانه — فى الصلاة — أمنا خارجيا نجده واضحا فى كيفيتها فى (الحرب) : صلاة الخوف • قال تعالى :

(وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا) •

(وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا

الأمن في الصلاة

سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) .

تلك هى الصلاة وموقعها من القلب أمن وسلام حيث كانت ولو أمام العدو فان الله سبحانه كفل لها الأمن حتى تفرغ قلوب المصلين لربهم .

وقد أراد الله أن يستمر عبده فى اتصاله به وطلب حمايته طوال ساعات النهار والليل ، فكتب عليه الصلوات الخمس فرضا ، وله بعد ذلك الاتصال به بالنوافل حتى فى المسجد أراد الله أن يشعر المؤمنين بالأمن فى هذا المكان المختار لهم فخصهم بالرعاية والحماية وحرمها على الكافرين فقال :

(مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ) .

وقد فضل الله الصلاة على البيع والشراء والتجارة وبين فى سورة الجمعة أن الصلاة خير وأفضل لأنها تعود على المصلى بالخيرات والبركات ، ولأن الرزق بيد الله فهو المنعم المتفضل الذى لايخيب أمل سائل ولا يضيع عمل عامل ..

واذا تجاوزنا « الأمن » قليلا ، وجدنا الصلاة وسيلة الى التزود بالآداب الاسلامية والسيرة المحمدية وكم لهما من أثر فى نفس المصلى يزيده قوة الى قوته وصلابة الى صلابته وأمنا الى أمنه .

والمصلى عندما يسلم وجهه لله صار فى حماية ربه .. قال تعالى :

(بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

ان الصلاة صلة العبد بربه ، شرعها الله لذلك ، وأحبها على ذلك ، فالمصلى عبد يحب ربه الواحد الأحد ، فهل يطرح الله ــ سبحانه ــ عليه الا الأمن .

وكفى بالله نصيراً .

اعداد

عميد / فكرى الجوهرى
مديرية أمن السويس

من حضارة الإسلام

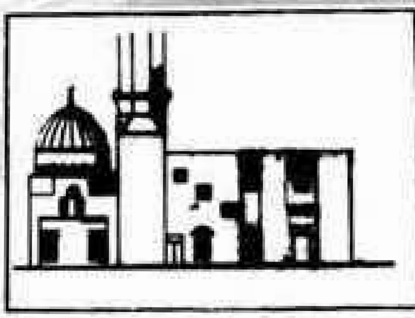
من الحضارة المعمارية فى الإسلام "دراسة أثرية"

الحرب النفسية فى صراعنا الحضارى

من الحضارة

الموقع : تقع هذه المنشأة بشارع ضيق يعرف بحارة المنجلة (١) (شكل ١) ويؤدى اليها حاليا شارعان عموديان على الحارة هما شارع الكتبخانة وشارع جامع البنات (٢) .

مشيد هذه المدرسة الامير فيروز الجركسى أحد امراء المماليك الجراكسة ، عاش فترة طويلة فى الحياة السياسية بلغت اثنتين وأربعين عاما عاصر فيها الكثير من سلاطين مصر ابتداء بالسلطان الناصر فرج بن برقوق (٨٠١/١٤ هـ) حتى عصر السلطان جقمق . (٨٤٢/٨٥٧ هـ) . فقد عمل الأمير فيروز فى خدمة الناصر فرج ساقيا (٣) . وظل فى هذه الوظيفة حتى عصر السلطان برسباى (٨٤٤/٨٤٢ هـ) . حين زاد نفوذه فى بداية



شكل ١ ـــ رسم توضيحى لمكونات الواجهة الشمالية الغربية لمدرسة الامير فيروز الساقى بالقاهرة

---

(١) هذا الشارع اوله من آخر شارع الجودرية وآخره من شارع درب سعادة ، وجاءت التسمية من وجود منجلة لمنجلة القطن والشاى بهذا الشارع (انظر) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٤٤ طبعة بولاق القاهرة .

(٢) مشيد هذا الجامع الأمير عبد الغنى الفخرى احد امراء السلطان المؤيد شيخ (انظر) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ج ١ ص ٢١٥ : ٢٢٠ طبعة دار الكتب .

المعمارية في الإسلام

مدرسة الأمير فيروز الساقي

بالقاهرة

٨٣٠ هـ - ١٤٢٦ / ٢٧ م

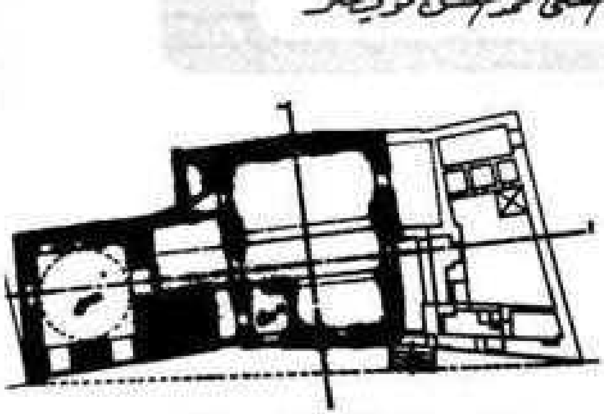
بقلم الدكتور حسني محمد حسن نويصر

حكمه ولكنــه لم يلبث أن غضب عليه وعــزله أكثر من مرة من هذه الوظيفة .

وحينما تولى الســلطان الظاهر سيف الدين جقمق دست الســلطنة عام ٨٤٢ هـ ولى الأمير

---

(٢) الساق : وظيفة ورد اســمها كثيرا على الآثار العربية وكانت تكتب بالخط النسخي المملوكي اويحفر لها «رنكا» او شعارا على هيئة الكاس، ومهمة الساقي في العصر المملوكي : تقديم السماط وتقطيع اللحم وسقي المشروب (انظر) حسن الباشــا (الدكتــور) : الفنون والوظائف ج ٢ ص ٥٧٧ : ٥٨٦ .



شكل ٢ ـ المسقط الافقي لمدرسة الامير فيروز الساقي الطابق الارضي

فيروز زماما (١) وخازندارا (٢) . غير أن الدهر لم يصف لهذا الأمير ودارت عليه الدنيا للمرة الثالثة فعزله السلطان جقمق من منصبه في شوال سنة ٨٤٢ هـ — ١٤٣٨ م وأقام بدلا منه الطواشي جوهر القنقبائي (٣) .

وصف بعض المؤرخين (٤) . الأمير فيروز بأنه كان « رئيسا حشما وعنده مكارم وأدب وفهم وكان في شيبته جميلا ولولا هذه الصفات ما تقلد هذه الوظائف طوال فترة قربت من نصف قرن من الزمان . وقد توفي (٥) . في شهر شعبان سنة ٨٤٨ هـ — ١٤٤٤ م ودفن في مدرسته التي شيدها قبل هذا التاريخ بأربعة عشر عاما حيث يوجد على مدخلها الغربي نص تأسيسي

(١) الزمام : وظيفة من الوظائف الهامة في الدولة المملوكية ، اذ ان الزمام هو الموظف الموكل اليه أمر الحريم السلطاني . واصل الكلمة فارسية من مقطعين هما (زنان) بمعنى النساء ودار بمعنى ممسك فيكون المعنى الاجمالي هو الممسك للنساء او المشرف على امورهن (انظر) حسن الباشا : المرجع السابق ج ٢ ص ٥٦٦ : ٥٧١ .

(٢) الخازندار : من الوظائف الهامة في الدولة المملوكية اذ أن صاحبها موكل اليه خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش (انظر) حسن الباشا : المرجع السابق ج ١ ص ٤٥٣ : ٤٦٠ .

(٣) يوجد لهذا الأمير مدرسة صغيرة ملحقة بالجامع الأزهر الشريف (انظر) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ج ١ ص ٥٨ ، ج ٢ شكل ٢٧

(٤) السخاوي : الضوء اللامع ج ٦ ص ١٧٦

(٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٥٠٧



شكل ٢ — مئذنة مدرسة الامير فيروز الساقي ويبدو الطابق العلوي منها مرمم حديثا

بالخط الثلث المملوكي بالحفر البارز على الحجر وله جوانب مزينة بعقود ذات حليات بصيغة (أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة الجناب الزيني فيروز ساقي الخاص الشريف الملكي الأشرفي بتاريخ سنة ثلاثين وثمانماية)(٦) .

❋ تصميم المدرسة ❋

تتكون المنشأة من مساحة صغيرة جدا (٢٩٧م٢) بالقياس الى مساحة منشآت السلاطين في العصرين البحري والجركسي

(٦) نشر هذا النص من قبل في :

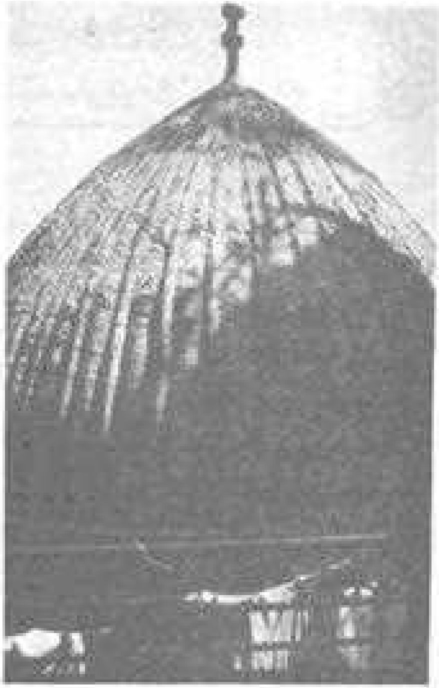
Berchem (Max Van.), Materiaux pour un corpus inscriptionnum Arabicarum, Tome 10, fasc. 2. P. 364, Paris 1876.

وذلك راجع الى كونها منشأة خاصة بأحد السقاة في العصر الجركسي • وهي لا تتبع التخطيط التقليدي المتطور للمدرسة الجركسية (١) • اذ أنها تتكون من ايوان واحد يتقدمه مجاز مغطى وسدلة (٢) • صغيرة مقابلة للايوان (شكل ٢) • وعلى الرغم من صغر حجمها فانها حوت كل ما حوته كبريات مدارس العصرين البحري والجركسي من حيث اشتمالها على ايوان لتدريس مذهب واحد من مذاهب الفقه الاسلامي وسبيل لشرب الناس ومقعد لتعليم أيتام المسلمين القراءة والكتابة وحفظ المصحف الشريف ومنارة للاعلان للأذان وقبة ضريحية لصاحب المنشأة (شكل ٣ ، ٤) هذا الى جانب اشتمالها على العناصر المكملة للعمارة الجركسية من مداخل تذكارية وأسقف مجلدة بالتذهيب والألوان المختلفة والعقود المدببة والأحجار المشهرة (٣) • والمحاريب المكسية بالرخام والكتابات التأسيسية •

(١) Creswell (K.A.C.), Muslim architecture of Egypt (The origin of the cruciform plan of Cairen Madrassas), vol. 2. pp. 104 : 134 Oxford. 1952 : 1960.

(٢) السدلة : جمعها سدلات وهي مساحة صغيرة على هيئة ايون يلحق بايوان كبير وتخصص عادة لراحة شيخ المذهب في المدرسة او لدرس مفرد (انظر) عبد اللطيف ابراهيم (الدكتور) • وثائق عصر الغوري . تحقيق رقم ١٢

(٣) الحجر المشهر : نوع من الحجر الجيري المذهب استعمل في بناء معظم العمائر المملوكية وهو على هيئة مداميك من اللونين الأبيض والأحمر



شكل ٤ ــ خوذة القبة الضريحية للأمير فيروز الساقي بالقاهرة

* ملاحق المدرسة *

اولا : المقعد او الكتاب (شكل ٥) •

الحق الأمير فيروز بالطابق العلوي من هذه المدرسة كتابا لتعليم أيتام المسلمين الكتابة العربية وحفظ المصحف الكريم ، هذا في الوقت الذي كانت فيه المدرسة تقوم بتدريس الفقه الاسلامي للصوفية الراشدين • ويتكون الكتاب من حجرة صغيرة لها واجهة معقودة

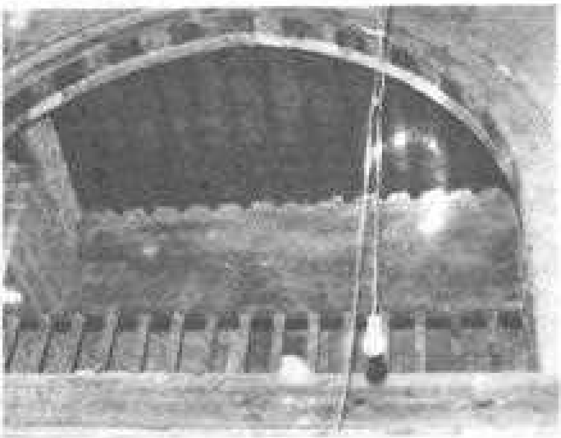
واحيانا الاصفر واذا تعذر ذلك استخدم اللون الأبيض والأصفر والأحمر على الملاط (انظر) عبد اللطيف ابراهيم : المرجع السابق تحقيق رقم ٥٠ وانظر ايضا :
Franz (pascha), Kairo, taf. 52, Leipzig, 1903.

تطل على مجاز المدرسة ويجاورها حجرة صغيرة كانت مخصصة لراحة « مؤدب الأيتام » .

ثانيا : حجرة السبيل (شكل ٦) .

تقع هذه الحجرة بالجهة الشمالية الغربية وتجاور الدّدلة المخصصة لراحة شيخ المذهب . وتخطيط حجرة السبيل عبارة عن مساحة مربعة لها ثلاثة شبابيك مستطيلة عليها مصبعات من البرنز وبأرضيتها خرزة تغطى صهريجا لا يزال به ماء وقد فقدت أحواض التسبيل الخاصة بهذه الحجرة . وللسبيل سقف جميل مكون من براطيم خشبية مستعرضة بقاياها مجلدة بالتذهيب والألوان . ويعتبر سبيل هذه المدرسة أقدم سبيل يشتمل على ثلاثة شبابيك للتسبيل .(١)

وربما يرجع ذلك الى أن منشىء هذه المدرسة كان يشغل وظيفة ساق في أول الأمر وأراد أن يكون له سبيل متفرد عن عصره عظيم في مبناه بقصد تسهيل شرب الماء العذب



شكل ٥ ـ قوصرة (عقد) المقعد المخصص ككتاب لتعليم أيتام المسلمين بمدرسة الأمير فيروز الساقى

على الناس الذين عاش في وسطهم بعد أن عزل من منصبه .

ومما يؤسف له أن هذا السبيل ناله من الخراب والاعتداء ما نال المنشأة كلها ولكن بدراسته وتبين عناصره يمكن أن نتصور تصميمه القديم . فهذا السبيل شأنه شأن سائر الأسبلة في عصر المماليك يشتمل على ثلاث طبقات .

---

(١) تنقسم طرز الاسبلة المملوكة الى أربعة أنواع :

أ ـ طراز السبيل ذى الحجاب ومن أمثلته سبيل الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين وهو مبنى على واجهة مجموعة والده المنصور قلاوون ٧٢٦ هـ ـ ١٣٢٦ م .

ب ـ السبيل ذى الشباك الواحد ومن أمثلته سبيل جمال الدين الاستادار بالجمالية ٨١١ هـ ـ ١٤٠١ م .

ج ـ السبيل ذى الشباكين ومن أمثلته سبيل الناصر فرج بجبانة المماليك ٨٠٣/١٣ هـ ـ ١٤٠٠/١١ م

د ـ السبيل ذى الثلاثة شبابيك . وكان أقدم المعروف منها سبيل السلطان قايتباى (الدارس) بمنطقة « تحت الربع » . غير أن السبيل الملحق بمنشاة الامير فيروز يعد أقدم الاسبلة من هذا النوع . كما يوجد منه مثال جيد بمدرسة الامير خاير بك بباب الوزير (٩٠٨ هـ ـ ١٥٠٢م) ملحق بقبة السلطان الغورى (٩٠٩ هـ ـ ١٥٠٣ م) وظل هذا النوع مستعملا في العصر العثماني مثلما هو الحال في سبيل خسرو باشا بالنحاسين (٩٤٢ هـ ـ ١٥٣٥ م) . انظر حسنى محمد نويصر : سبيل السلطان قايتباى بمدينة القاهرة (دراسة معمارية أثرية) رسالة ماجستير بمكتبة جامعة القاهرة ١٩٧٠ م .

الطبقة الأولى: وتكون فى باطن الأرض وهى الصهريج أو ما يطلق عليه فى عصر المماليك اسم المصنع(1)، وتبنى الصهاريج عادة بالآجر الذى يغطى بطبقة من الملاط . أما داخل الصهريج فيتكون من عقود من الحجر المنحوت يغطيها قباب ضحلة ، وللصهريج فوهه مستديرة تغطى بغطاء من الرخام الصلد كما أن لها منزلا عبارة عن سلم ضيق يعرف فى المصطلح الوثائقى (سلم طرابلسى (2)) .

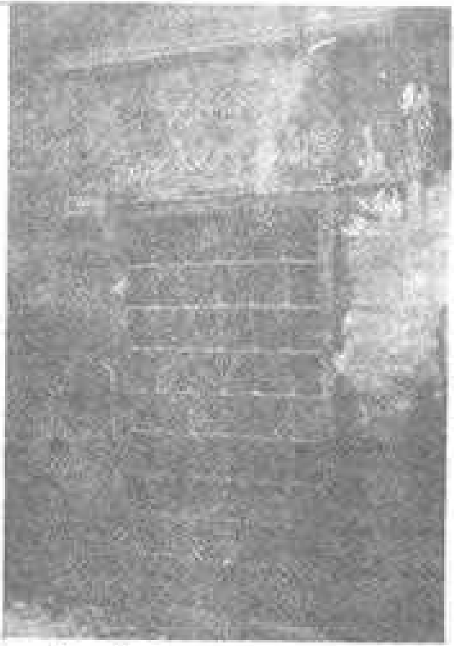
ومما تجدر الاشارة اليه أن الصهريج كان يملأ مرة واحدة (3) . فى وقت يحدده الواقف أو الناظر وذلك بعد أن ينظف الصهريج ويمسح مما علق به .

الطبقة الثانية : وتكون بمستوى الأرض أو فوقه بقليل وتشمل حجرة التسبيل أو تبريد المياه وهى اما مربعة أو مستطيلة المسقط ، بها شباك أو أكثر – حسب نوع السبيل – عليه مصبعات من الحديد أو النحاس أو البرنز

(1) المصنع : حاصل أو حوض معد لخزن المياه (انظر) عبد اللطيف ابراهيم (الدكتور) وثيقة الأمير قراقجا الحسنى ، نسلة من مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة عدد ديسمبر ١٩٥٦ م

(2) السلم الطرابلسى : نوع من السلالم يتكون من قلبة واحدة محصورة بين حائطى المبنى ويغلق بالبلاط الكدان (انظر) عبد اللطيف ابراهيم دراسات فى وثائق عصر الغورى تحقيق رقم ٢٩٤ .

(3) نصت حجة وقف السلطان قايتباى بشأن ملأ الصهاريج بأن يكون ذلك فى شهر طوبة او فى اوان النيروز (انظر) الحجة رقم ٨٨٦ أوقاف ص ١٤٧ ، ١٤٨ .



شكل ٦ – شباك السبيل الشمالى الغربى بمدرسة الأمير فيروز الساقى بالقاهرة .

وفى أرضيتها أحواض الشراب الرخامية (4) . وتكون ملاصقة للشبابيك من الداخل .

ومما يؤسف له أن أحواض التسبيل غير موجودة حاليا فى السبيل نظرا لأعمال التجديد والتغيير التى أدخلت على المبنى كله .

الطبقة الثالثة : تشتمل عادة على حجرة خصصت ككتاب لتعليم أيتام المسلمين وتتبع فى تخطيطها حجرة السبيل بالاضافة الى حجرة صغيرة لراحة المؤدب .

(4) يبدو ان السبيل لم يكن يشتمل على لوح رخامى مائل لتبريد الماء (سلسبيل) بل كان التسبيل يتم فى الأحواض مباشرة .

ثالثا : القبة الضريحة :

ألحق الأمير فيروز بمدرسته قبة ضريحية اتخذت كمقر لثواه الأخير وهى عبارة عن حجرة مربعة بجدارها الجنوبى الغربى باب الدخول اليها وبأرضيتها تركيبه خشبيه فوق قبره ولها شباكان يطلان على الطريق .

*** وظيفة المنشاة ***

تعددت الاراء فى تسمية هذه المنشاة الصغيرة وبالتالى ما تؤديه من وظائف فقد نعتها نصها التأسيسى باسم « مدرسة » . وحينما عاينت لجنة[1] حفظ الآثار العربية هذا المكان عام ١٨٨٧ م نعتته بالزاوية لصغر حجمه ، بينما أطلق عليه على مبارك اسم الجامع) (٢) ، ويعرفه أهل منطقته باسم (ضريح) سيدى فاروز حيث اكتسب هذا الأمير بتقادم الوقت صفة دينية يتبرك بها الناس ويزورون قبره فى المناسبات الدينية .

ومن المعتقد أن انشاء هذه العمارة لم يكن بالدرجة الأولى للتعليم أو لاقامة الشعائر وانما كان لعمل ضريح للمنشيء يكون قريبا من داره وسط الأحياء الاهلة بالسكان بدلا من الدفن فى المقابر . ولتاكيد هذه الظاهرة أو الفكرة نسوق مثالا حيا فى مدرسة المنصور(٣) قلاوون وقبته بالنحاسين (٦٨٣هـ — ١٢٨٤م).

فالناظر الى المدرسة والضريح يعجب كيف يتفنن مهندسو هذا العصر فى زخرفة جدران القبة وتحليتها وكسوتها بالثمين من الرخام والصدف وكذا تجليد الاسقف بالالوان والتذهيب . ولنقارن مثلا بين محراب الضريح (٤) الضخم العالى الذى يكتنفه ثلاثة أزواج من الاعمدة الجرانيتية الوردية وعلى واجهته ثلاثة عقود ويحوى جوفه نماذج رائعة من الزخرفة الهندسية والنباتية ، وبين محراب المدرسة ذاتها المخصصة لتدريس المذاهب الاربعة لندرك مدى العناية بالقبة لأنها خاصة بالسلطان بالنسبة لغيرها ، بل ان الناظر الى المساحة (٥) الكلية للكتلتين يجد أن القبة بمشتملاتها تكاد توازى مساحة المدرسة بمشتملاتها .

واذا كان هذا هو حال السلاطين فان الأمراء[6] اتبعوا نفس المنهج وتخفوا وراء ستار دينى هو انشاء المدارس للتعليم وتدريس

---

(١) كراسات اللجنة تقرير رقم ٣٤٢ لسنة ١٨٨٧ م ص ٧٥

(٢) على باشا مبارك : المرجع السابق ج ٥ ص ٦٨

(٣) Gluck & Diez, die Kunst des Islam, taf. 171, 172. Franz (pascha), Op. Cit., taf. 53.

(٤) Creswell (k.a.c.), Op. Cit., pl. 108.

(٥) Briggs (M.), Muhammadan architecture in Egypt and Palestine, fig. 60, Oxford, 1924.

(٦) نذكر امثلة من بعض الآثار الموجودة بمدينة القاهرة وحدها : —

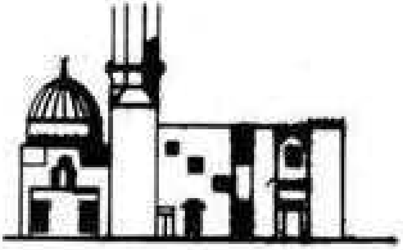
— مدرسة وضريح المنصور قلاوون ٦٨٣هـ ١٢٨٤ م (انظر) كمال الدين سامح (الدكتور) : العمارة الاسلامية فى مصر ش ٧٠

— مدرسة وضريح الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٥/٧٠٣هـ — ١٢٩٥/١٣٠٤ م (انظر)

الفقه الاسلامي وألحقوا بها أضرحة عنوا بعمارتها وزخارفها وكأنهم أرادوا أن تكون أضرحتهم مزارات يزورها الناس ويدعون لأصحابها ، وهذا ما حدث بتقادم العهد .

ومن جهة أخرى تتكون هذه المنشأة من مساحة صغيرة جدا اقتضتها ظروف المكان المتاح في هذه الحارة الضيقة ، وكانت القاهرة قد اختطت منذ العصر الفاطمي وثبت بها تصميم الشوارع والحارات وامتلأت بالمساكن والمنشآت ، واذا كان الغرض الاساسي من هذه المنشأة ان تكون ضريحا في المقام الاول فان منشئها لم يفته ان يلحق بضريحه مدرسة صغيرة لم تكن مصممة وفق التخطيط المعماري للمدرسة الجركسية .

ذلك ان المدرسة الجركسية[1] تتكون من ايوانين كبيرين وآخرين صغيرين حول صحن مكشوف أو (قاعة) مغطاة بـ (شخشيخة) (سقفية) ، غير ان هذه المنشأة بمساحتها الصغيرة لم تتح لمهندسها أن يقسمها التقسيمات التقليدية ، هذا الى جانب الاعتبار الأول لمنشئه في أن تكون له ضريحا .



ومن ثم فقد أثر صغر المساحة على تخطيط هذه المنشأة فجعلت من ايوان واحد يتقدمه مجاز مغطى وسدلة . ويمكن الاستدلال بتأثير صغر المساحة على التخطيط بدراسة نماذج من العمارة المملوكية .

فبينما كانت مدرسة السلطان حسن بالقاهرة (٧٥٧/٧٦٤هـ — ١٣٥٦/١٣٦٢م) هي النموذج المتكامل للتخطيط الرباعي للايوانات ، ظهرت مدارس من نفس العصر تحكمت فيها المساحة المتاحة فبنيت بثلاثة ايوانات فقط مثلما هو الحال في مدرسة تتر الحجازية (٢) بالجمالية (٧٤٨/٧٦ هـ — ١٣٤٨/١٣٦٠ م)

Franz (pascha). Op. Cit., taf. 54.

— خانقاة سنجر وسلار ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م (انظر)

Hautecœur, & Wiet (G.). Mosquees du Caire, pl. 92, Paris, 1932.

— مدرسة سنقر السعدي (حسن صدقة) ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م (انظر)

Ibid, pl. 101.

وغير ذلك الكثير .

(١) سارت المدرسة منذ نشأتها في العصر الأيوبي في مصر وفق تخطيط تتبعه الاثريون فذكروا انها بدأت بصحن وايوانين كما هو الحال في مدرسة الحديث الكاملية ، ثم بصحنين واربعة ايوانات — أي بتكرار شكل المدرسة — كما هو الحال في المدارس الصالحية . وفي عصر المماليك البحرية ظهرت المدرسة المتعامدة التي تتكون من صحن واربعة ايوانات من اقدم امثلتها المدرسة الظاهرية الدارسة بالنحاسين . وفي العصر الجركسي صغر الايوانين الجانبين وغطى الصحن بشخشيخة .

(2) Abd-araziq (A.), Un college feminin dans L'Egypte Mamluk, fig. i.

مدرسة الامير فيروز الساقي

وكذلك الحال في عصر المماليك الجراكسة حين أصبحت المدرسة تتكون من ايوانين كبيرين وآخرين صغيرين ، ظهرت لنا منشآت من ايوان واحد كتلك التي ندرجها وأخرى تعرف بمدرسة قانباي المحمدي (١) (٨١٦هـ/١٤١٣م) أو مدرسة من صحن وايوانين فقط كما هو الحال بمدرسة أبناء الامير قايتباي بجبانة المماليك المعروفة خطا باسم (٢) قبة الكلشني .

والناظر الى واجهة المنشأة يرى بها انكسارا غير ملحوظ يسير مع خط تنظيم الطريق ونستطيع القول ان مهندس هذا البناء قد احترم هذا الخط ولاءم بمهارته الهندسية والمعمارية بين اتجاه القبلة الصحيح وخط سير الطريق وذلك بالتلاعب بسمك الجدران المطلة على الطريق فبدت سميكة من جهة ورقيقة من ناحية أخرى وساعدت هذه الحيلة في الابقاء على الفراغات الداخلية متعامدة الأضلاع .

(١) تقع هذه المدرسة بحارة السماكين المتفرعة من شارع الصليبة بالقاهرة .

(٢) حسني نويصر (الدكتور) منشآت السلطان قايتباي الدينية بمدينة القاهرة ـ دراسة معمارية اثرية

مصادر البحث

أولا : المصادر العربية :

- ابن تغري بردي (جمال الدين ابو المحاسن)
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
  ١٦ جزءا طبعة دار الكتب

احمد السعيد (الدكتور)
- تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة
  جزءان طبعة دار المعارف

السخاوي (شمس الدين محمد)
- الضوء اللامع لاهل القرن التاسع
  ١٢ جزءا طبعة المقدسي

حسن الباشا (الدكتور)
- الفنون والوظائف على الاثار الاسلامية
  ٣ أجزاء طبعة دار النهضة العربية

حسن عبد الوهاب (خبير اثري)
- تاريخ المساجد الاثرية
  جزءان طبعة دار الكتب المصرية
- المصطلحات المعمارية
  فصلة من مجلة المجلة مارس ١٩٥٩ م

حسني نويصر (الدكتور)
- سبل السلطان قايتباي بمدينة القاهرة
  رسالة ماجستير بمكتبة جامعة القاهرة
- منشآت السلطان قايتباي الدينية بالقاهرة
  رسالة دكتوراه بمكتبة جامعة القاهرة
  فصلة من مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة

عبد اللطيف ابراهيم (الدكتور)
- دراسات في وثائق عصر الغوري
  رسالة دكتوراه بمكتبة جامعة القاهرة
- وثيقة الامير قراقجا الحسني
  فصلة من مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة

على (باشا) مبارك
- الخطط التوفيقية
  ٢٠ جزءا طبعة بولاق
- كراسات لجنة حفظ الآثار العربية

كمال الدين سامح (الدكتور)
- العمارة الاسلامية في مصر
  طبعة الكتاب الجامعي ١٩٧٠ م

والحق أن هذه الطريقة لم تكن من ابتكارات عصر الجراكسة بل انها عرفت فى عصر الفاطميين فى مصر (٣٥٨/٥٦٧ ﻫ) فنفذت بها واجهة الجامع الأقمر ثم من بعدهم فى عصر الأيوبيين كما هو الحال فى واجهة مدرسة الحديث الكاملية وواجهة المدارس الصالحية وتلاهم بعد ذلك مهندسو العصر المملوكى بشقيه ، كما هو الحال فى مجموعة المنصور قلاوون وخانقاة الظاهر برقوق .

الدكتور/حسنى محمد حسن نويصر

ثانيا : المصادر الافرنجية :

- Abd-arraziq (A.), Un collège [illegible] dans L'egypte Mamluk (J.I.A.), Cairo Uni., 1973.
- Berchem (Max Van), Materiaux pour un corpus inscriptionum Arabicarum, tom. 10, fasc. 2, Paris, 1876.
- Briggs (M.), Muhammadan architecture in Egypt and Palestine, Oxford, 1924.
- Creswell (K.A.C.), Muslim architecture of Egypt. (The origin of the cruciform plan of Cairen madrassas, Oxford, 1952-1960.
- Franz (pascha), Kairo Leipzing 1903.
- Haut. & Wiet (G.), Mosquees du Caire, Paris 1932.
- Gluck & Diez, Die Kunst des Islam, Berlin 1925.



الحرب النفسية

من حضارة الإسلام

ليس من شك في أن الأمة الاسلامية تواجه اليوم حربا حضارية تستهدف تدمير قواها وفرض التبعية عليها ومنعها من القيام بالنهضة الحضارية التي ترجوها ، واستعادة مكانتها اللائقة بها .

واذا كانت الحرب بالسلاح والغزو العسكري والغارات الخاطفة هي التي تلفت النظر وتستأثر بالاهتمام والانتباه ، لما يصاحبها من ضجيج وقعقعة على الصعيدين المحلي والدولي ، الا أن هناك نوعا من الحروب ، لا يصاحبه ضجيج ولا قعقعة ، لكن خطره على الأمة قد يكون أكبر من الحرب بالسلاح ، فلا ينبغي أن نغفل عنه أو نقلل من شأنه .. ذلك هو سلاح الحرب النفسية .

ومن طبيعة الحرب النفسية « الاستمرار » فاذا كان القتال له نهاية يوما ما ، فان الحرب النفسية عملية ليس لها نهاية ، بل هي مستمرة في السلم والحرب على حد سواء ، ومن هنا يأتي خطرها ، ويضاعف من هذا الخطر ما يتسم به هذا العصر من تقدم مذهل في وسائل الاتصال والنشر والاعلام بحيث يمكن أن يقال : ان الانسان الآن « يتنفس » الحرب النفسية والدعاية كما يتنفس الهواء ، ولكن مع فارق كبير بين العمليتين ، فهو حين يتنفس الهواء يأخذ ما ينفعه (الاكسجين) ويلفظ ما يضره (ثاني أكسيد الكربون) أما حين يتنفس الحرب النفسية والدعاية ، فهو لا يستطيع في أغلب الأحوال أن يفعل مثل ذلك ، وهو معرض للاصابة « بالعلة النفسية » التي قد تدمر فيه الارادة والايجابية وقوته المعنوية تدميرا تاما .

في صراعنا الحضاري

للواء اركان حرب محمد جمال الدين محفوظ

*** الخطر على أغلى ما يملك الانسان :**

واذا كانت « الحرب بالسلاح » تستطيع أن تدمر القوات والمعدات ، واذا كانت « الحرب الاقتصادية » تحرم الخصم من المواد الحيوية ، فان الحرب النفسية تبرد الانسان من أثمن ما لديه وهو « الارادة » .. فهي تستهدف عقل الانسان وتفكيره وقلبه وعواطفه للتأثير على سلوكه .

فارادة القتال والصمود والمقاومة ، والحماسة والايجابية وروح الابداع والابتكار ، وكذا الهزيمة والاستسلام واليأس والسلبية ، كلها « حالات عقلية » تنشأ في عقل الانسان تحت ظروف معينة فتولد لديه « الدوافع النفسية » التى تدفعه الى اتيان السلوك الذى يعبر عن تلك الحالات .

وفي مجال الصراع بين الامم أو بين الجيوش ، فان كل طرف يحرص على أن ينشىء في خصمه « الحالة العقلية » التى تحقق له أهدافه والانتصار عليه ، وقد بلغ من تأثير الحرب النفسية أن كثيرا من الأمم استسلمت لأعدائها قبل أن تطلق جيوشها رصاصة واحدة ، ويقول تشرشل : « كثيرا ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ » .

*** مفهوم الحرب النفسية وأهدافها :**

ومن المفيد أن نتعرف على مفاهيم الحرب النفسية وأهدافها ووسائلها حتى ندرك خطرها ونقي أنفسنا منه .

فالحرب النفسية تعرف بأنها :

الاستخدام المخطط للدعاية أو ما ينتمي اليها من الاجراءات الموجهة الى الدول المعادية أو المحايدة أو الصديقة ، بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول

بما يحقق للدولة (التى توجهها) أهدافها » .

ومن هذا التعريف نلاحظ ما يلى : —

١ — أن الحرب النفسية لا توجه فقط الى الدول المعادية أى لا تنحصر فى نطاق الصراع بين الدول المتحاربة أو المتنافسة ، بل هى تشمل أيضا الدول الصديقة والدول المحايدة ، ولعل هذا هو ما جعل الخبراء يفضلون لفظ « الدعاية » بدلا من الحرب النفسية .

٢ — ولما كانت كل دولة من دول العالم غالبا ما يكون لها أصدقاء وأعداء ودول تقف على الحياد أمام بعض قضاياها ، فانه يمكن أن يقال ان كل دولة هى فى حقيقتها جماع للصفات الثلاث (معادية — محايدة — صديقة) فى العلاقات الدولية ، وأنها — بناء على ذلك — تستقبل الدعاية التى توجهها الدول الأخرى على اختلاف أوضاعها الدولية ، كما أنها تقوم فى الوقت نفسه بتوجيه الدعاية الى الدول الأخرى .

٣ — أن أهداف الدعاية ومحتواها يختلف باختلاف « وضع » الدولة التى توجه اليها كما يلى : —

(أ) فاذا كانت الدولة معادية ، كان الهدف تحطيم الروح المعنوية والارادة القتالية وتوجيهها نحو الهزيمة .

(ب) واذا كانت الدولة محايدة ، كان الهدف توجيهها نحو الانحياز للدولة الموجهة أو التعاطف مع قضيتها ، أو (على الأقل) ابقائها فى وضع الحياد ومنعها من الانحياز الى الجانب الآخر .

(ج) واذا كانت الدولة صديقة ، كان الهدف توجيهها نحو تدعيم أواصر الصداقة مع الدولة الموجهة ونحو المزيد من مؤازرتها ومعاونتها حتى تحقق أهدافها .

❋ مهام الحرب النفسية :

ومع اختلاف الاهداف فان محتويات ومهام الحرب النفسية تختلف ، فمثلا ، لو نظرنا الى مخططى حملات الحرب النفسية لتحطيم ارادة القتال لدى عدوهم ، سوف نراهم يسعون الى تحقيق هذا الهدف من خلال المهام الرئيسية الآتية : —

١ — التشكيك فى سلامة الهدف وعدالة القضية .

٢ — زعزعة الثقة فى القوة (بكافة عناصرها) وفى القدرة على تحقيق النصر ، واقناع الجانب الاخر بعدم جدوى الحرب أو الاستمرار فى القتال أو المقاومة .

٣ — بث الفرقة والشقاق بين الصفوف والجماعات .

٤ — التفريق بين الخصم وحلفائه ودفعهم الى التخلى عن نصرته .

٥ — تحييد القوى الأخرى التى قد يلجأ اليها الخصم لمحالفته أو مناصرته .

والمتأمل فى هذه المهام يلاحظ شمولها واحاطتها بالخصم على نحو لا يستطيع منه فكاكا : —

فتبدأ المهمة الأولى « بالقضية » التى تحارب الدولة من أجلها ، وتتجه المهمة الثانية

نحو « القوة » التى تدافع عن تلك القضية كالجيش مثلا ، وتتجه المهمة الثالثة نحو « الشعب » الذى يقف وراء تلك القوة ، ثم تتجه المهمتان الرابعة والخامسة خارج حدود الخصم حيث « الحلفاء » ومن يقفون « محايدين » !! •

❋ الصور والأساليب :

وثمة عدة صور وأساليب لتحقيق تلك المهام نذكر منها ما يلى : —

١ — الكلمة المسموعة أو المقروءة التى من شأنها التأثير على العقول والعواطف والسلوك ، وفى هذا المجال تتعدد الاشكال والوسائل كالصحيفة والمجلة والكتاب واللافتة والاذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما •

٢ — الشائعات ، وهى أخبار مشكوك فى صحتها ، ويتعذر التحقق من أصلها ، وتتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الموجهة اليهم ، ويؤدى تصديقهم لها أو نشرهم لها (وهذا هو ما يحدث غالبا) الى اضعاف الروح المعنوية •

٣ — التهديد بواسطة القوة (تحريك الأساطيل — اجراء المناورات الحربية قريبا من الحدود — حشد القوات على الحدود — تصريحات الزعماء والقادة — اعلان التعبئة الجزئية •• الخ) •

٤ — الخداع عن طريق الحيل والايهام •

٥ — بث الذعر والتخويف والضغط النفسى •

٦ — الاغراء والتضليل والوعد لاستدراج الجانب الآخر لتغيير موقفه •

❋ الوان الحرب النفسية :

ومن المفيد أن نعرف أن جهد الدعاية يوجه فى ثلاثة ألوان جرى العرف على تسميتها بحسب مصدرها بالأسماء التالية :—

١ — الدعاية البيضاء (الصريحة) :

وهى نشاط الدعاية العلنى غير المستور الذى يحمل اسم الدولة التى توجهه مثل الاذاعة ووكالات الانباء الحكومية والتصريحات الرسمية ، وهى تستخدم أحيانا لكى تعضد مركز الدولة ومكانتها •

٢ — الدعاية الرمادية (غير المحددة) :

وهى الدعاية واضحة المصدر ، ولكنها تخفى اتجاهاتها وأهدافها ، أى التى تعمل وتدعو الى ما تريد بطريق غير مباشر ، كالكتاب الذى يحتوى على قصة أو رواية عادية ، لكنه يدعو — بين السطور — وبطريق غير مباشر الى اعتناق مذهب سياسى معين أو التعاطف معه •

٣ — الدعاية السوداء (المستترة) :

وهى الدعاية التى لا تكشف عن « مصدرها الحقيقى » ، فهى عملية سرية للغاية مثل الاذاعة السرية والمنشورات السرية وتستطيع الدولة التى توجهها أن تنكر علمها بها او مسئوليتها عنها •

❋ الرمادية أخطر الألوان :

وتوضح المقارنة بين هذه الالوان الثلاثة للدعاية أن الدعاية الرمادية هي أخطرها على الاطلاق : فالانسان في وسعه بقليل من الفطنة والوعي أن يكتشف بسرعة ما وراء الدعاية البيضاء والسوداء ، أما الدعاية الرمادية فهو « يتجرعها » قبل أن يكتشف أهدافها أو ضررها ، ويتعرض لتأثيرها دون أن يشعر ، لأنها « تتسلل » الى عقله ووجدانه مستترة وراء شيء ظاهري لا غبار عليه ، أي أنه « يتناول السم في العسل » .

❋ وأوسعها مجالا وانتشارا :

وبالاضافة الى أن الدعاية الرمادية هي أخطر الالوان ، فهي أيضا أوسعها مجالا وانتشارا ، فالواقع أن حملات الدعاية تضم عادة كل الالوان ولا تكتفي بلون واحد منها ، لكن الدعاية الرمادية تحظى بالقسط الأكبر :

فيلم السينما الذي يحكي عن عملية سطو على أحد البنوك تتلوها مطاردة الشرطة للصوص والقبض عليهم والقصاص منهم ، هو لأول وهلة قصة عادية في الظاهر ، بل انه يمكن أن يقال انه يعظ الناس بأن « الجريمة لا تفيد » .

لكن بشيء من الفحص والتأمل نستطيع أن نتصور ردود الفعل التي تنشأ لدى مشاهدي هذا الفيلم وأن ندرك ما ينطوي عليه من سموم تصيب النفوس : —

١ — فهناك من المشاهدين من تشجعه القصة على الجريمة تقليدا لما رآه ، وهو ما أثبتته بحوث علماء النفس والاجتماع .

٢ — وهناك من يصاب بالاحباط بسبب ما رآه من مظاهر التقدم العلمي والتقني لدى الدولة صاحبة الفيلم مثل أساليب الاتصال بكفاءة وبسرعة والحاسبات الالكترونية والطرق السريعة الممهدة والسيارات المجهزة بأحدث الأجهزة ، ووسائل الاسعاف السريعة ، وهو لا يستطيع منع نفسه من المقارنة بين حال دولة وحال تلك الدولة .

وهكذا تتعدد ردود الفعل وتختلف بحسب مستوى ثقافة الناس ووعيهم واهتماماتهم وتركيبهم النفسي الى غير ذلك من العوامل .

❋ فلنأخذ حذرنا :

واذا كانت الدولة تستطيع أن تغلق حدودها وتسد المنافذ التي تؤدي الى داخلها ، واذا كان الانسان يستطيع أن يغلق على نفسه باب داره ونوافذها ، فلا الدولة ولا المواطنون بمستطيعين أن يمنعوا أجواءهم من حمل ونشر ما تبثه موجات الأثير من صور الدعاية المختلفة التي تتسلل الى الوجدان أو يمنعوا الحواس من استقبال ما يلاحقهم في حياتهم اليومية من أشكال الدعاية التي تعز على الحصر

لواء جمال الدين محفوظ

الدعوة إلى التيسير والتبشير

الدعوة

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

الدعوة إلى التيسير

عن ابى موسى الاشعرى (رضى الله عنه) أن النبى (صلى الله عليه وسلم) لما بعثه إلى اليمن ومعه معاذ ، قال لهما : (يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا ، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا) • رواه مسلم والبخارى « رضى الله عنهما » •

لقد خلق الله الانسان وأكرمه ، فأعطاه العقل المفكر ، وَمَنَحهُ القلب النابض ، وَكَرَّمه بالاحساس المرهف ، وَفَضَّله على كثير من خلقه

قال تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَقْنَاهُم مِن الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) ٧٠ — الاسراء

ومن آداب التعليم ومبادئه ، وقيمه الأصيلة التى جاءت بها السنة مراعاة ظروف وأحوال الناس ، ومراعاة الفروق بينهم ، فليس كل ما يصلح لشخص يصلح لآخر وليس كل ما يصلح لزمن يصلح لسائر الأزمنة والعصور •

والمعلم الموفق ، والمربى الناصح ، والداعى الى الله عن فهم ووعى هو الذى يُعْطى كل انسان من العلم والنُّصح ما يلائمه ويصلح له وفى الوقت الذى يَنْتَفِعُ به ، وشأن الداعية مع من يتولى ارشادهم كالطبيب مع المرضى ، يصف لكل مريض من الدواء ما يناسبه •

وعلى الداعية أن يَلْزَم جانب التيسير ، فلا يشق على الناس ، ولا يُكَلِّفَهم فوق مايطيقون، ولهذا أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبا موسى الاشعرى وصاحبه بالتيسير ، وعدم الاتجاه الى التَّعْسِير ، وعلى هذا الهدى النبوى ، لاينبغى أن نأتى للناس بالمعضلات ، ونوقعهم فى المشكلات ونحرك عليهم الشبهات فربما تَعْلَق الشُّبْهةُ بالقلب ، ويعسر على الناس الحل ، فَيَشْقَوْن ، وَتَحْدُثُ بَيْنَهُم فتنة •

يقول ابن مسعود (ما أنت بِمُحَدِّث قومًا (١) لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة) رواه مسلم •

وقد ذكر الغزالى فى احيائه : « أن من وظائف المعلم أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه مالا يبلغه عقله فَيُنَفِّره » •

والرسول (صلى الله عليه وسلم) يأمر بالتبشير وعدم التنفير ، وعلينا أن نقتدى بسيد البشر فى مراعاة الظروف وأحوال الناس ، على أن يكون ذلك فى حدود ما تقتضيه الشريعة ويتمشى مع روح الدين ، وقد كان (صلى الله عليه وسلم) يختلف جوابه عن السؤال الواحد فى القضية الواحدة ، فقد روى الامام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال كنا عند النبى (صلى الله عليه وسلم) ، فجاء شاب ، فقال : يارسول الله ، اقبل وأنا صائم فقال : لا فجاء شيخ فقال : يا رسول الله أقبل وأنا صائم ؟ قال : نعم ، فنظر بعضنا الى بعض ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم

---

(١) المعنى : ما أنت بمحدث قوما حديثا الخ •)

والتبشير

للشيخ محمد صابر البرديسي

قد علمت نظر بعضكم الى بعض ، ان الشيخ يملك نفسه .

وهذا من الأدلة الشرعية لما قرره العلماء من تغيير الفتوى بتغير الأحوال في حدود القواعد الشرعية .

وفي هذا الحديث حث على التيسير ، والنهى عن التعسير ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (من أم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير ، وذا الحاجة) (١) ومن سماحة الاسلام اليسر في أعماله وأحكامه ، فعلى الدعاة أن يتبعوا المنهاج الذى وضعه الله لرسوله ، في قوله (**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) .

وعليهم أن يتجنبوا الخشونة والتعنيف ، ويستعملوا التلطف واللين ، ويتأنوا بالناس في دعوتهم ، حتى لا ينفروا منهم وحتى لاييأسوا من رحمة الله ، والارشاد تعليم وتوجيه وتربية ورعاية .

واهم ما يشترط في الداعية أن يكون متمكنا مما يدعو اليه ، وعنده معرفة كافية بتعاليم الدين مستندا على كتاب الله وسنة نبيه ، والمأثور عن الصحابة ، والمذاهب الفقهية السائدة في المحيط الذى يدعو فيه ، فان الجاهل بذلك يفترى على الله ورسوله الكذب ، ولا يكون ثقة عند الناس ، ويكون سببا في الفتنة والتنافر والاختلاف ، وهذا مما حذر منه الحديث الشريف ، لأنه بجهله قد يحمل الناس حملا على فعل المندوب موهما اياهم أنه واجب ويشتد في الانكار على ما يراه مكروها فيكون بذلك قد ضيق واسعا جعله الله سمة لسماحة الدين ويسره وكَرَّهَ الى الناس الدين ، وهذا أخطر ما يبتلى به الدين ، ممن يجهلون أمره ، ويتطفلون بالدعوة اليه .

ان فائدة الموعظة وقيمتها يكون بالعلم والهدى والكتاب المنير ، ولقد نهى الله عن المجادلة بغير علم ولا هدى ، قال تعالى : (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ**) . فكتاب الله فيه الهدى والعلم ، ويوجه الناس الى الوجهة السليمة .

الاسلام يدعو الى الخلق الكريم والى التيسير والتبشير والى الائتلاف والحب ، ويبغض التشدد والتنافر والاختلاف ولا سعادة للناس ولا اطمئنان لهم الا في ظل تعاليمه القيّمة، وشريعته السمحة التى تهدى الى الخير .

نسأل الله أن يوفق الدعاة الى الله أن يفقهوا دينهم ، ويعرفوا سماحته ، ودعوته الى اليسر والحب والتبشير ، وأن يفطنوا الى ما في ذلك من الخير ، وتمكين الدعاة من تحقيق غايتهم السامية ، وهى نشر تعاليم الاسلام ، ومبادئه السليمة الرشيدة ، ولو فعل الدعاة ذلك لأصبح المسلمون كُلُّهُمْ اخوة ولأصبحت أرض المسلمين كلها جنة .

---

(١) أخرجه عبد الرازق عن أبى مسعود رضى الله عنه .)

الدعوة

من مزاعم المستشرقين

٢ « ميلر »

يرى « ميلر » عقماً في العقلية الاسلامية عن الانتاج الفكرى ، ويرد ذلك العقم الى الايمان بالقضاء والقدر ، فجمود الحياة العقلية عند المسلمين في نظر « ميلر » يرجع الى الموقف السلبي الذى يقفونه من الحياة نتيجة لعقيدة القدر هذه العقيدة التي تقيد الحياة الفكرية — في رأى « ميلر » — بقيود حديدية لم يعد من الممكن أن يتحرر منها المؤمن .. !!

هذا هو باختصار — مضمون هذه الدعوى — حيثيات ونتائج ، ومبناها أن عقيدة القدر تعوق المسلمين عن النظر والفكر كما تعوقهم عن العمل بحجة أن ما قدر سيكون ولابد .

وما دام الامر كذلك ، فلا قيمة للعمل ومنه النظر والفكر . وفي الحق أن هذه دعوى تواكلية ألصقت بهذه العقيدة الايمانية الصاقا وحملت هذه العقيدة نتائجها ظلما وعدوانا . لأن الحقيقة أن هذه العقيدة من كل ذلك براء . وهي دعوى في نفس الوقت لاتلبث بعد التأمل أن تنهار من أساسها ، فيتهاوى سريعا ما أقيم عليها من أحكام ، علاوة على ما لهذه العقيدة نفسها من أثر في اثراء الفكر الاسلامي ، كما سنرى .

وبادىء ذى بدء ، فانا نسلم بأن سوء فهم هذه العقيدة قد يؤدى الى التواكل أحيانا الا أن ذلك لايرجع الى ذات العقيدة وانما يرجع كما قلنا الى سوء الفهم أو سوء القصد المتعمد ، وحتى تلك النتيجة لا تكون الا بين الدهماء من عوام اهل الاسلام . وساحة هذه العقيدة بريئة من ذلك براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

وحقا ، فان ما قد يشوب حياة المسلمين من نقص نتيجة قصور في الفهم أو قصور في الاستنتاج بالنسبة الى بعض عقائد الدين أو قضاياه ، أقول : كل ذلك يجب ألا يحسب على ذات الدين ذلك لأن الدين مبادىء ثابتة بينة بذاتها ولا ينبغى أن يرجع الى سواها فيما يتعلق بالحكم على الدين .

فلا ينبغى أن تكون بعض المظاهر الشاذة النادرة مقياسا للحكم أو قاعدة للانطلاق اليه، وقد أشيع ذلك يوما ما في البيئة الاسلامية

حول الفكر الإسلامي

دراسة ونقد

للدكتور محمود عبد المعطي بركات

مدرس العقيدة بكلية اصول الدين بالقاهرة
والباحث بلجنة العقيدة بمجمع البحوث الاسلامية

وروج له مروجون لدوافع سياسية تتعلق بالحكم والعمل على انقياد الناس لأوامره انطلاقا من أن كل ما يصيبهم منه انما هو قدر مقدر من الله عز وجل .

برزت هذه الظاهرة في عهد بعض خلفاء ابن أمية . وصاحبتها ظاهرة أخرى هي الثورة عليها وتصحيح ما يحيط بالامر من لبس . وحاربها علماء الاسلام وبقايا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والرأى الصواب : أن هذه الظاهرة — مع ندرتها — لا صلة لها بقضية التفكير رغم أنه داخل في دائرة النشاط الانسانى . وذلك من جهة أن الجهود الفكرية منوطة بخواص الناس وهم من منحوا مقدرة على مزاولة التفكير العميق ازاء قضايا الفكر . وهم قطعا ليسوا من الدهماء الذين يمكن أن تشيع بينهم هذه الآثار التواكلية . التى يتحدث عنها « ميلر » وأمثاله .

فليس كل الناس مفكرا أو فيلسوفا بالمعنى الدقيق لهاتين الكلمتين . أعطى ملكة البحث والاستنتاج الفكرى المنظم .

ثم نبحث القضية من زاوية ثانية . وهى — **هل هذه العقيدة حقا تؤدى حتما الى ما يدعيه الرجل ؟ .**

ان التأمل البسيط يؤكد أن الايمان بالقضاء والقدر في معناه الصحيح لا يمنع مطلقا من أن ينطلق الانسان الى بذل أوجه النشاط المختلفة سواء كان هذا النشاط عمليا آليا أو فكريا عقليا .

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

ولكن هذه العقيدة تقف في مكان الظهير المعين لجهود الانسان المتنوعة وهذا هو المراد منها اسلاميا .

هذه العقيدة انما يظهر نفعها بحق حينما تتعثر أقصى الطاقات الانسانية في طريقها الى أهدافها دون أن تعرف لذلك وجها من وجوه التقصير والخطأ فبدلا من ان تتحطم جهود الانسان الفكرية دون الظفر بحقيقة متيقنة ملموسة أو تتردى الأفئدة في وهدة الحيرة والقلق والشك . بَدَلَ ذلك كله .

ينسب الكفر كل ما جاوز طاقته وحده الى القوة التى تجاوز بالفعل كل طاقة وحد

« أفيجد المنصف غاية أبعد من هذا في التحرر والانطلاق وأقرب الى الحق والانصاف من هذه الغاية » .

وحقا فان الايمان بالقضاء والقدر في صورته الصادقة : هو الذى يدفع بالانسان الى ساحات الوغى مستعذبا الموت في سبيل الله ، لقاء ثمن هو الجنة ، ومع ذلك لم يفت من عمره لحظة .

والايمان بالقدر هو الذى يجعل الانسان يستعذب الموت في سبيل فكرة .. مدافعا عن حرية رأيه . وتاريخ الاسلام حافل بذلك .

ارأيت الى اى حد انقلب الموقف وتهدم أساس ميلر في انكاره قدرة المسلمين الابداعية الفكرية ؟

لكن هؤلاء المستشرقين يكيلون الاتهامات دون أن يكلفوا أنفسهم ما يجب أن يكلف به نفسه كل باحث . من البحث عن حقائق الأمور دون التعلق بظواهرها وبعض آثارها السيئة التى ترجع أساسا الى سوء الفهم .

ان النظر في جوهر هذه العقيدة وآثارها الحقة التى ترجع اليها في ذاتها يعطى نقيض ما يهدف اليه الرجل .

ان عقيدة الايمان بالقضاء والقدر ومايترتب عليها قد أثرت الفكر الاسلامى ثراء ملحوظا لا يستطيع أن ينكره منصف . ولقد نتج عنها بحوث رصينة في الألوهية ، والبحث في الجزاء والمسئولية ومناطها .

فلقد كانت فترة النشاط الفكرى الاسلامى مصاحبة للايمان بعقيدة القدر ، ولم يثبت تاريخيا أن هذه العقيدة قد حدت من نشاط علماء العرب والمسلمين أو قللت منه . أو أسهمت في تدهور الحضارة الاسلامية مثلا .

والاحتجاج بالقدر على ترك العمل لم يظهر الا في عصور الضعف عند بعض الناس ، حيث كانت ملاذا للكسالى ، جامدى العقول . أما في عصور الازدهار فكانت عونا أى عون للانسان المسلم . والرسول صلى الله عليه وسلم قد حل المسألة حين قال : « اعملوا فكل ميسر » .

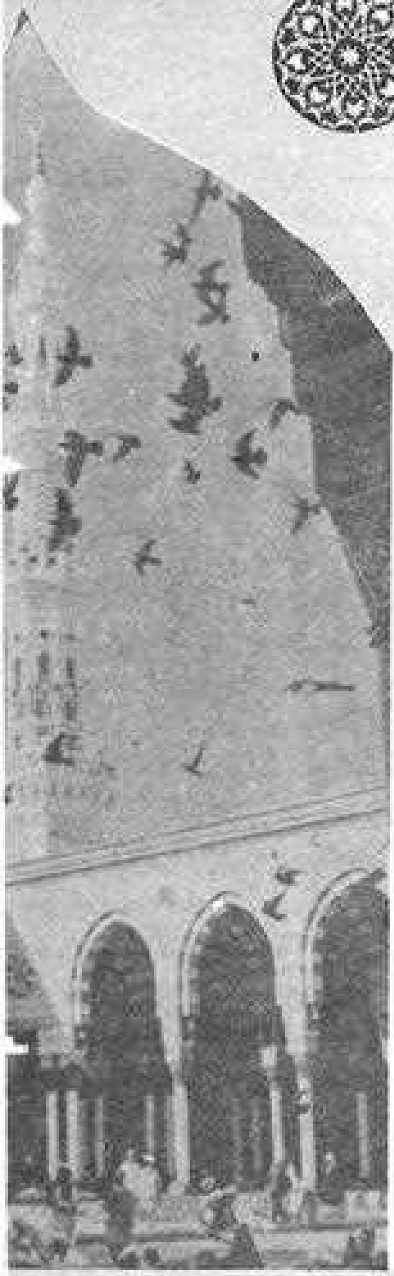
ومن ناحية اثراء هذه العقيدة للفكر الاسلامى ، فان هذه العقيدة نفسها قد كانت

مصدرا لاشتعال حركة فكرية واسعة بين المسلمين فأثارت بينهم من النشاط الفكرى الفلسفى العميق ما يعتبر عملا فكريا رفيعا حتى تعددت فيها المذاهب وتنوعت فيها المواقف كل بسنده العلمى، العقلى، والقرآنى وضمت بحوثها نظرات فى الألوهية ومستلزماتها لا تقل عن بحوث عمالقة فلاسفة اليونان بل لا أغالى اذا قلت أنها تتفوق عليها نتيجة ما قد يظفر من أى منها بسند الهى معصوم .

فمثلا . انطلق المعتزلة الى مذهبهم من ناحية بحثهم ورؤيتهم لعدل الاله سبحانه حسب مفهومهم ، ولبيان مدار المسئولية الانسانية . وكانت لهم دلائلهم التى لا يتسع المقام للاستطراد اليها . فقد تصوروا الكمال فى العدل الالهى ، ألا يتحمل الانسان نتيجة عمل غيره . فأسندوا أعمال العباد اليهم وقالوا بخلقها بقدرة أودعها الله فيه .

ورغم ما تمتع به مذهب الاعتزال من أسانيد عقلية ودعائم فلسفية فقد ثارت عليه اعتراضات لا تخلو من ثراء فكرى . وتأمل عميق فى الالوهية ومستلزماتها وحتى عقيدة الجبر ، أو مذهب الجبرية — كمذهب من المذاهب فى مسألة القدر هذه العقيدة عند أصحابها مبنية على دعائم عقلية او قل فلسفية .. ليست بدعا من الفكر الفلسفى أو التفكير فى الجانب الالهى . ففكرة أصحاب الجبر تبلورت عن نظرة فى الألوهية ومقتضاها عندهم من كمال التأثير الالهى وشموله بحيث لا يبقى معه تأثير لغيره . انطلاقا من فكرة الكمال الالهى كما تصوروها ، والوحدة فى الأفعال بالنسبة لله عز وجل حتى لا تكون هناك ثنائية تعدد أو شرك — فى نظرهم أيضا — مما يتنزه عنه جلال الالوهية .

والشىء المدهش حقا والذى لم يفطن اليه مثل ميلر أن عقيدة الجبر كمذهب ضعيف من المذاهب التى بحثت مسألة القدر أقول ان هذه العقيدة لم تقعد بأصحابها أنفسهم عن العمل . فقد رأينا زعيم الجبرية « الجهم » يخرج للقتال مدافعا ضد الظلم من وجهة نظره . فلم يسقط المسئولية وانما تحملها ويصرف النظر عن تقويم مذهب الجبر أو غيره هنا لأن ذلك ليس لازما لبحثنا فاننى لا أريد مبارحة هذا المكان دون أن أنظر بين **ارسطو** وهذا المذهب الضعيف . فى نظرة كل للكمال الالهى .



من مزاعم المستشرقين

لقد تصور **ارسطو** الكمال فى العزل ـ عزل الاله ـ عن الاتصال بالكون أو ادارة شئونه أو العلم به لانه ناقص فى نظره لا يتسامى الى موضع اهتمام الاله الكامل فهو قد جعل النقص كمالا والكمال نقصا بخلاف نظرة **الجهم** فقد قابل مبالغة **ارسطو** فى العزل • بمبالغة فى التأثير الى الجبر الذى عزل به غيره عن التأثير • وبصرف النظر عما يترتب على مذهب الجهم من آثار جانبية •

فان مذهبه من الناحية الفلسفية البحتة أقرب الى العقل البحت من مذهب **ارسطو** لان المبالغة فى التأثير أقرب الى كمال الاله بين المبالغة فى التنحية بل أقرب الى الحق مما ذهب اليه دعاة الحتمية الطبيعية الآلية فى الفكر الحديث هذه هى حقيقة عقيدة القدر التى يسند اليها **ميلر** ظهره ويطلق مفترياته وأيضا لو كلف نفسه مهمة البحث النزيه • لما تردى فى هذه الوهدة السحيقة التى تنطوى ـ على جهل مطبق بحقيقة الاسلام • ومعانى عقائده وأهدافها وآثارها فوق كونها تلبية لدعوة عبقرية أطلقها الغربيون هنا وهناك ولعل فى هذه العجالة ما يلقى ضوءا على مدى تهافت هذه الأسانيد التى استند اليها **ميلر** شأنه شأن غيره من الحاقدين والله اعلم •

دكتور/محمود عبد المعطى بركات

من السيرة النبوية

قادة النبى

صلى الله عليه وسلم

قادة

قادة النبى صلى الله عليه وسلم من صحبه ، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، أشداء على الكفار رحماء بينهم ، كانوا سيوفا للاسلام ، ورهنا لاشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى غزواته وسراياه (١) •

وكان منهم الشاب ، ومنهم المولى (٢) • يرأس القوة وفيها كبار الصحابة من أمثال عمر بن الخطاب وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم •

رجال أوقفوا حياتهم للاسلام حتى قامت دولته بتقوية شوكته ، وتركوا نظاما وفنا فى الحرب لا يزال غنيا بالعطاء فقدم هؤلاء الرجال حتى يضمهم نسيج من القول يحيط القارىء علما بهم •

لقد عاش الاسلام فى مكة ثلاثة عشر عاما ، استمر فيها ايذاء قريش للمسلمين وانطلق يتزايد حتى نجد سعد بن أبى وقاص — رضى الله عنه — يقول : يا رسول الله ، ايذن لنا بأن نرد الأذى ، فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم (صبرا لم يأمرنى ربى بقتال) !!

وكان صبرا معجزا للبشر هذا الذى تحمله الرسول صلى الله عليه وسلم — وصحبه ، وانتقل الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الى المدينة ، وتكون المجتمع الاسلامى ، نواة الدولة الاسلامية ، ولم تتوقف قريش عن الأذى ، وتضييق سبل الحياة المادية على المهاجرين ، وطلب المهاجرون الاذن من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعترضوا قوافل قريش لعلها تعوضهم عما اغتصبه منهم مشركو مكة ، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم (صبرا لم يأذن لى ربى بقتال) !!

ثم نزل قول الله سبحانه وتعالى : « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » فكان هذا اذنا بالقتال •

وكانت السرايا الأولى كلها من المهاجرين الذين تضرروا من قريش • ثم كانت

---

(١) الغزوة : هى الحملة الحربية تخرج من المدينة وفيها رسول الله صلى الله عليه — وسلم وأطلقت الغزوات أحيانا على بعض الحملات ، ولم يكن بها رسول — صلى الله عليه وسلم •

(٢) يطلق هذا اللفظ على الرقيق اذا صار حرا

النبي صلى الله عليه وسلم

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

غزوة (١) بدر الكبرى واشترك الانصار حماة الاسلام وسيفه فيها .

وتوالت السرايا والغزوات حتى عم الاسلام جزيرة العرب .

ولم يكن الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى كل حروبه بادئا بشر ، بل كان — فى حربه — صلى الله عليه وسلم — يدفع الشر ، قبل أن يجرف الدولة الفتية .. دولة الاسلام الوليدة ، بينما كان المسلمون كجزيرة .. يحيط بها الاعداء ففرض ذلك على المسلمين اليقظة التامة ، فكانوا — باستمرار — على أهبة لمنازلة الشر ودفع الكيد مما جعلهم على تعبئة دائمة ، سريعى التحرك كالفهد ، ينالون عدوهم وحب ، وتركوا لنا من المآثر ، ومن الدروس ما عيينا عن حفظه ، ونحن أولى الى كالصاعقة من حيث لا يحتسب .

ونصر الله أكبر ، قال تعالى :

(إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)

وانتصر المسلمون بنصر الله ، عن اخلاص الاسترشاد به . والانتفاع بثمرته .

ما أحوجنا اليوم الى تعبئة الأمس على مبدأ القوم — رضى الله عنهم :

« احرص على الموت توهب لك الحياة »

وهؤلاء هم القادة الذين اختارهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحسبنا أن يختارهم رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — حتى نعلم أنه الاختيار الموفق ، الأمين .

وهاهم القادة الذين عزّوا بالاسلام ، وعز الاسلام بهم :

١ — أسد الله : حمزة بن عبد المطلب ابن عبد مناف — رضى الله عنه — أسد الله وأسد رسول الله ، عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخوه من الرضاعة ، كان فتى قريش وأقوى شبابها شكيمة .

١ — الغزوة : كل جند للمسلمين خرج من المدينة بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، سواء حدث قتال أو لم يحدث .. واطلقت الغزوة أيضا على « التعبئة الكبيرة » لبعض الحملات ولم يكن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قادة النبي

صلى الله عليه وسلم

ولما بعث الله رسوله ، تأخر حمزة رضي الله عنه في الاسلام ، ولكنه كان يدفع الأذى عن ابن أخيه ، حتى أنه تعرض لأخيه « أبي لهب » ومنعه من ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقصة اسلام حمزه رضي الله عنه مشهورة ، فانه بعد عودة من صيد ، علم أن أبا جهل قد تعرض للرسول صلى الله عليه وسلم ــ بالأذى ــ ، فثارت حميته وذهب الى أبي جهل في منتداه وضربه بالقوس فجرح رأسه جرحا شديدا ، وقال له (أتشتمه ؟ فأنا على دينه أقول ما يقول ، فرد ذلك على ان استطعت) .

وأعز الله الاسلام بحمزه رضي الله عنه .

وأمره الرسول صلى الله عليه وسلم على أول سرية في الاسلام ــ وكان هو وعبيدة ابن الحارث أول من عقد لهما لواء ــ أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى سيف البحر من ناحية العيص (ساحل البحر على طريق القوافل بين جدة وينبع) ، ولقى أبا جهل ومن معه ولم يحدث بينهما قتال .

وكان حمزة رضي الله عنه بطل بدر (١) . بلا منازع (فعل بقريش الأفاعيل) كان يهد الصفوف هدا ، حتى أصبحت كل بطون قريش ذات ثأر عنده ، وتآمرت قريش عليه . فلما كان يوم أحد (٢) ، كان سيفه لا يأتي في رجل الا أرداه أو حجر الا فلقه ، حتى رماه وحشي بحربة عن تآمر ، ومثلت هند بنت عتبه ــ زوج أبي سفيان ــ بجثته ، ولما وقف الرسول صلى الله عليه وسلم على حمزة رضي الله عنه ، ورأى ما أصابه قال صلى الله عليه وسلم **(لن أصاب بمثلك أبدا ، ما وقفت موقفا قط أغيظ الىّ من هذا)** ، ثم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم)** .

فيقول المولى عز وجل : **(وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ)** ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(بل نصبر ونحتسب)** رحم الله أسد الاسلام وأسد رسول الله حمزة بن عبد المطلب

٢ ــ عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف رضي الله عنه هو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكان من أوائل الناس اسلاما (بعد النفر الثمانية (٣) الذين سبقوا بالاسلام) .

عقد له هو وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في وقت واحد تقريبا . واتجه ــ رضي الله عنه ــ يقود ستين أو ثمانين من المهاجرين الى الحجاز ، حتى وصل الى ثنية المرة (٤) حيث التقى بجمع كبير من قريش ، تحاجزوا ، ورمى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بأول

---

١ ــ غزوة بدر سنة ٢ هـ .
٢ ــ غزوة أحد سنة ٣ هـ .

٣ ــ هم ــ علي ــ زيد بن حارثه ــ أبو بكر ــ عثمان ــ الزبير ــ عبد الرحمن بن عوف ــ سعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبد الله .
٤ ــ بطن رابغ ورابغ على الطريق بين مكة والمدينة .

سهم في الاسلام .

وفي غزوة بدر كان عبيدة بن الحارث رضي الله عنه مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما طلب فرسان قريش : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة — المبارزة ، خرج لهم عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب ، وفي المبارزة ، جرح كل من عبيدة رضي الله عنه وعتبة الآخر ومات عبيدة رضي الله عنه متأثرا بجراحه ، وكان أول شهيد من آل الرسول صلى الله عليه وسلم رحم الله عبيدة بن الحارث .

٢ — عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي رضي الله عنه :

وهو من أوائل القرشيين اسلاما ، هاجر الى الحبشة ، ثم هاجر الى المدينة ، وأغلقت ديار بني جحش في مكة ، وكانت هجرتهم لما أصابهم من أذى في سبيل الله .

قاد أول سرية في الاسلام(١) بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم في رجب سنة ٢ هـ ومعه رهط من المهاجرين ، وأمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزل نخله بين مكة والطائف ليترصد أخبار قريش ، ولما نزل نخلة ، وجد عيرا لقريش فيها عمرو بن الحضرمي من كندة ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم ابن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فهاجمهم المسلمون ، وقتل عمرو بن الحضرمي وأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، واستولى المسلمون على العير ، وكان القتال آخر رجب ، وفي الطريق الى المدينة أخرج عبد الله بن جحش رضي الله عنه خمس الغنيمة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان أول من خمس في الاسلام طاعة لله ورسوله ،

قال تعالى :

(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ..) الآية — الانفال — ٤١ .

وهذه السرية هي التي أراد مشركو قريش أن يتخذوا من حوادثها اثارة ضد الاسلام والمسلمين ، فاتهموا المسلمين بأنهم لم يقيموا حرمة لشهر رجب وهو أحد الأشهر الحرم حتى حزن أبطالها أنفسهم من هذه الدعاية الخبيثة ، فما أثلج صدورهم الا نزول الآية الكريمة ، وفيها يقول — عز وجل :

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ » .

فتنفس عبد الله رضي الله عنه ومن معه الصعداء ، وزادهم الله نعمة وسرورا بقوله :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » البقرة ٢١٧ ، ٢١٨ .

حضر عبد الله بن جحش بدرا ، وحضر أحدا واستشهد فيها رضي الله عنه وأرضاه .

للأستاذ/ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

١ — ان السريتان المتقدمتان لم يقع فيهما قتال .

فقيد الأزهر



اختار الله الى جواره فضيلة الشيخ عبد الفتاح عبد الغني القاضي رحمه الله ــ هذا العالم الجليل ، الذي وقف حياته كلها صبيا وشابا وشيخا لخدمة كتاب الله تعالى وطلب العلم وتعليمه ، ومدارسة كتاب الله تعالى حفظا وتجويدا ، وقراءات ، وتوجيهها ، فكان في كل مراحله شعلة ذكاء فيما يطلب ، ومدرة بيان فيما يطلب منه وما يقول .

كان رحمه الله عالما واعيا ، في كل جوانب العلوم ونواحيها ، فقيها اذا إفتى ، عربيا فصيحا اذا تكلم ، خطيبا يهز نفوس السامعين ، ويشد انتباه الغافلين وكان أبرز ما يكون في مجالين من مجالي العلم .

أما أولهما : فتخصصه في التفسير والحديث . وأما ثانيهما ، فعلوم القرآن والقراءات ، وله في هذين المجالين شوط واسع ، وباع طويل على امتداد حياته العلمية والعملية .

وحديثنا عنه في هذين المجالين يقتضي الاشارة العاجلة الى نشأته ، وأطوار حياته .

فقد ولد رحمه الله في مدينة دمنهور عاصمة البحيرة سنة ١٩٠٧ م ــ وكان والده رحمه الله رجلا صالحا متفتحا محبا للعلم والثقافة ، شغوفا بأهل القرآن والعاملين في حقله ، مكرما لهم ، يستقدمهم الى بيته ، ويكرم نزلهم عنده ، وقد سمعت ذلك من غير واحد من القراء حين كانوا يتحدثون مع الشيخ عن طفولته ، في مجالس والده .

وكان من أثر هذا في نفس والده أن وجه أولاده الثلاثة عدا الفقيد : محمود وعبد المنعم ومحمد الى التعليم على الرغم من أن كان من كبار التجار ، وكان معظم أهل دمنهور مشغوفين بالتجارة ، يوجهون أولادهم اليها ، ويؤثرون العمل فيها على كل شيء وأعرف في

بقلم فضيلة الشيخ محمد مرسي عامر

مدير المعاهد الازهرية السابق

هذا تقريبا لنا كان له سبعة أولاد لم يوجه واحدا منهم الى التعليم .

وكان من حظ فضيلة الشيخ عبد الفتاح توجيهه الى حفظ القرآن فحفظه رحمه الله في سن مبكرة لا تسمح بانتسابه الى المعاهد الدينية ، فاستغل والده هذه الفترة ووجهه الى دراسة تجويد القرآن وتعليم القراءات عند فقيه مشهور بذلك في مدينة دمنهور يدعى الشيخ غزال (ان لم تخنى الذاكرة) ولما فرغ من هذه الدراسة ، وسمحت سنه بالانتساب إلى المعاهد ، انتسب الى معهد الاسكندرية ، فدرس فيه علوم القسمين الابتدائى والثانوى ، وحصل منه على الشهادتين الابتدائية والثانوية ، وأعلم أنه اجتزأ بعض سنوات الدراسة ، ولكنى لا أعلم عدد السنين التى اجتزأها ـ وكان هذا نظاما مسموحا به في هذا الزمن ثم التحق بعد حصوله على الشهادة الثانوية بالقسم العالى في الأزهر حتى حصل على الشهادة العالمية ، ثم التحق بقسم التخصص في شعبة التفسير والحديث ، وتخرج فيه سنة ١٩٣٥ م وكان أول الناجحين في هذه الشعبة ، وبهذه الأولية عين مدرسا للتفسير والحديث في معهد القاهرة الثانوى في نفس العام .

وظل رحمه الله يدرس في معهد القاهرة حتى سنة ١٩٤٦ م وكان طوال هذه الفترة المثل الأعلى عند طلابه في دقة فهمه وسعة علمه ، ونصوع بيانه ، وسمو عبارته ، كما كان مثلا عاليا بين اخوانه في دماثة خلقه ، وهدوء طبعه ، وحسن سمته ، وجميل عشرته ووفرة دينه .

ولما انشىء قسم القراءات سنة ١٩٤٥ تحت ادارة كلية اللغة العربية لدراسة علوم القرآن والقراءات اختاره فضيلة المرحوم الشيخ أحمد شريف الذى كان مشرفا على هذا القسم ومدرسا به في سنة ١٩٤٦ ، ومنذ اتصل بهذه الدراسة وقف نفسه وبقية شبابه وشيخوخته على هذه الدراسة ، وانقطع لها مدرسا ، وطالبا فيها حتى بلغ من حرصه على ذلك وشغفه به أن كان يُكَرِّسُ على بعض أهل القراءات بعض الفروع التى لم يدرسها في صغره ، ولم يمنعه من ذلك أنه عالم متخصص ، بل لم يمنعه اختياره مشرفا على المعهد وشيخا له سنة ١٩٤٨ ، من الاستمرار في تلقى هذه الفروع على بعض القراء الذين لم يدرسوا سوى القراءات وظهرت مواهب الشيخ وأينعت ثمراتها ، ودنت قطوفها في هذا المجال الجديد ، فقد بدأ قسم القراءات دراسة جديدة ليس لها مناهج ومعظم مؤلفاتها طلاسم مخطوطة ، وكتب دارسة ، وأكثر المشتغلين بها قراء للقرآن الكريم لا يعرفون منها الا المحاكاة والحفظ فقط ، فعكف رحمه الله تعالى على تنظيم هذه الدراسة وتحقيق بعض كتبها .

والتأليف فيها بما يناسب مناهج التعليم وأساليب الدراسة الواعية . وساعده على ذلك استقلال هذا القسم . وتطويره الى معهد وضمه الى ادارة المعاهد الأزهرية بفضل جهود صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى . وهو مدير للمعاهد الأزهرية .

ولما اتجهت ادارة الأزهر الى مراقبة اصدار المصاحف . وتعهد طبعها ونشرها صونا لها من التحريف اختير فضيلة الشيخ عبد الفتاح أول مراجع للمصاحف وهو مدرس بمعهد القاهرة مع فضيلتي الشيخ محمد علي النجار المدرس بكلية اللغة العربية والشيخ عبد الحليم بسيوني المشرف على مجلة الأزهر . رحمهم الله .

وفي سنة ١٩٥٧ تألفت لجنة مراجعة المصاحف برياسة فضيلته ولا تزال تنهض بهذا العمل حتى الآن .

وقد تدرج فضيلته بعد أن أرسى دعائم الدراسة في معهد القراءات وفي غيره من المعاهد التي أنشئت بعد ذلك لينتفع به في مجال التعليم بعامة والقراءات بخاصة فعين مفتشا للقراءات والعلوم الدينية في إدارة المعاهد الأزهرية . ثم شيخا لمعهد دسوق . ثم شيخا لمعهد دمنهور . ثم مديرا عاما بالمعاهد الأزهرية حتى أحيل إلى التقاعد في سنة ١٩٧٢ .

ولكن رحمه الله تعالى على نهوضه بهذه الأعباء كلها عضوا في لجنة اختبار القراء في الاذاعة وموجها لهم إلى أقوم السبل في أداء القرآن الكريم ومراعاة أحكام التلاوة وإتقانها ومقاومة كل انحراف فيها فكانوا جميعا يدينون بأستاذيته لهم ويعترفون بفضله عليهم على ما كان لهم من شهرة . ولما اتجهت المملكة العربية السعودية الى انشاء كلية للقرآن الكريم في المدينة المنورة رجعوا الى فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير الأزهر آن ذاك لاختيار من ينهض لهم بهذه المهمة فرشح فضيلة الشيخ القاضي لذلك . وأوضح لهم مكانته وآثاره العلمية وشهرته لا في مصر وحدها بل في العالم الاسلامي كله حتى ليكاد يكون هو العالم الاول في هذا المجال . وتكلم مع فضيلته ورجاه في قبول هذا الترشيح خدمة للقرآن الكريم . وجهادا في سبيل إحياء علومه . وبعد مراجعات كثيرة قبل رحمه الله وسافر الى المدينة المنورة سنة ١٩٧٤ وعرف القائمون على الجامعة الاسلامية فضله . وقدروا مكانته وتشبثوا به وحرصوا عليه على الرغم من كبر سنه وضعف صحته وظل يجاهد في سبيل الله وخدمة القرآن حتى ألحت عليه العلة وألجأه المرض الى العودة الى مصر فلم يلبث الا أياما ثم استأثرت به رحمة الله يوم الثلاثاء ١٦ من المحرم الموافق ٢ نوفمبر ١٩٨٢ . هذه اللمسات الخفيفة تصور في وضوح جهاده في ميدان العلم . وبلاءه في نشره والانتفاع المسلمين بآثاره في مصر وفي السعودية وفي غيرها من البلاد الاسلامية التى تقرأ القرآن .

وتحرص على المزيد من دراسة تجويده وقراءاته وعلومه .

ولعل من أهم ما يصدق هذا الحديث ويجسده للسامع والقارئ، ذكر طرف من المؤلفات التى أعرفها لفضيلته .

والى القارئ، ما أذكره منها :

١ — البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة .
٢ — معالم اليسر فى شرح ناظمة الزهر فى آى القرآن الكريم .
٣ — تراجم القراء العشرة ومناهجهم فى القراءة .
٤ — فرائد الحسان فى عد آى القرآن ، ونفائس البيان فى شرح فرائد الحسان .
٥ — النظم الجامع فى قراءة نافع متنا وشرحا .
٦ — الدر المصون فى قراءة قالون متنا وشرحا .
٧ — بشير اليسر فى الفواصل .
٨ — الوافى فى شرح الشاطبية .
٩ — أسباب النزول من أقوال الرسول .
١٠ — معالم الاهتداء فى الوقف والابتداء .
١١ — كتاب الايضاح فى شرح الدرة المضيئة فى القراءات الثلاث المتواترة بعد السبع .
١٢ — شرح عقيلة أتراب القصائد للامام الشاطبى فى رسم القرآن .
١٣ — مباحث فى القراءات وأئمة القراء .
١٤ — شرح متن الجزرية فى تجويد القرآن .
١٥ — تحقيق دليل الحيران فى رسم وضبط القرآن .
١٦ — تحبير التيسير فى القراءات المتواترة .
١٧ — القراءات الشاذة ورواتها .
١٨ — تاريخ المصحف .
١٩ — الرد على المستشرقين فى انكار القراءات .
٢٠ — رسالة فى أصول القراء والقراءات .
٢١ — مقالات فى منبر الاسلام فى توجيه القراءات كان بصدد جمعها وطبعها .
٢٢ — مباحث فى تفسير القرآن لم تطبع .
٢٣ — منظومة فى علم الميراث وشرحها .
٢٤ — رسالة فى الصيام بمجمع البحوث الاسلامية

هذا عدا كتب أخرى لا أذكرها ، وكتابات ومباحث لم تطبع وبعد : فهذه عجالة سريعة عن حياة فقيدنا الكريم الذى فقدناه عالما ، ورعا وباحثا دقيقا ، وقدوة صالحة فى الخلق الكريم ، والنفس السوية الرضية ؛ وفقدنا بفقده موسوعة جامعة فى نواح واسعة من جوانب العلم والمعرفة فى فروع يندر إن لم يكن مستحيلا — أن يكون له فيها بديل ولم يكن كل ذلك فى وظائفه الرسمية ، وأعماله التقليدية فحسب ، بل كان له مثل ذلك وأكثر فى مجالسه وندواته التى كانت تجمع الكثير من فضلاء العلماء ومشاهير القراء فى كل ليلة فى منزله أو منزل صاحب الفضيلة العالم الورع والتقى النقى صهره المرحوم الشيخ محمود دعبيس وهو مدرس فى معهد القاهرة ومعهد القراءات . فقد كانت هذه المجالس مجتمعات علمية وندوات ثقافية لا تسمع فيها الا تحقيقات علمية ، وتوجيهات دينية من الانصاف أن نذكر فضلها علينا وعلى الشاهدين لها .

فجزاه الله عنا وعن العلم والدين خير الجزاء ، وأنزله فى مستقر رحمته وأسكنه فسيح جنته .

محمد مرسى عامر

من سيرة شيخنا :

من أعلام الأزهر

كنت أميل بعد أن التحقت بالأزهر ـ الى دراسة أدب اللغة العربية ، فحضرت ـ من أجل ذلك ـ سنة دراسية فى حلقة الاستاذ الشيخ مصطفى القاياتى ـ رحمه الله ـ ثم أعلن ان القسم العام بالأزهر لن يدرس فيه آداب اللغة العربية ، وانما تدرس بالقسم النظامى ، وقد كنت أمر على الامام المرصفى فى الأزهر ، وهو يدرس كتابه « شرح أسرار الحماسة » وفى درسه بضعة أفراد منا ـ نحن السوريين ـ فسألتهم عن درس الاستاذ فأرى نفسى است أهلا للتلقى عن هذا الامام الجليل مع أنى كنت فى درس الاستاذ القاياتى فى طليعة الطلاب .

ولما ضقت ذرعا بهذا الموضوع عقدت العزم على الذهاب الى جامع محمد بك ابى الذهب لأتلقى الادب عن الامام سيد بن على المرصفى مهما كانت الحال فذهبت وفهمت ان الاستاذ يقرأ العقد الفريد لابن عبد ربه يوما فى الاسبوع وفى اليوم الثانى من الاسبوع يعطى الطلاب موضوعا فى الانشاء وكان موضوعنا يوم ذهبت اليه ، « تعليم البنات » فكتبت وأجهدت نفسى حتى اعتقدت انى لو كنت فى درس القاياتى ما شق غبارى أحد فى هذا الموضوع وكانت حلقة درس الشيخ كبيرة جدا بالنسبة لغيرها من حلقات الازهر ولما ابتدأ الطلاب يعرضون كراساتهم أخذ ينظرها ويلقى بها وعز على أن يفعل بى مثلهم فجئته وقبلت يده وقلت له : أنا طالب متطوع وشغفى بهذا العلم حملنى على حضور درسكم .. ففهم قصدى وضحك فى وجهى وأخذ يقرأ كراستى ثم قال : ليست الكتابة هكذا يابنى اذهب عند هذا الجدار واكتب بصفة كيت وكيت فكتبت وجئته

العلامة سيد بن على المرصفى رحمه الله

بقلم تلميذه

أبى يعلى حافظ حسن

قبل انفضاض الدرس ولما أخذ يقرأ كراستى قال : ليست الكتابة هكذا وأعاد على كيف أكتب ونزلنا من مسجد محمد بك فمشيت معه الى بيته فى درب السماكين وأنا أكاد أطير فرحا بقبولى فى درس الاستاذ .. وفى الاسبوع الثانى عرضت عليه كراستى فقال : هذا كيس . فطلبت منه أن يضع لى درجة فضحك وقال : أنا لا أضع درجات واذا قلت كيس فهو كيس .. ثم استمررت معه على هذه الحال بعد الدرس نجلس فى جامع محمد بك واذا أراد الذهاب ذهبت معه الى البيت وصار يصحح كراستى ونحن فى الطريق أقرأ وهو يستمع فاذا ما عثرت أقال عثارى ، ونمشى حتى نصل بيت محمد بك جمجوم فنجلس عندهم ونشرب القهوة ويصحح كراستى ثم نواصل السير الى بيته .

قال لى يوما انى قد استعرت من دار الكتب كتاب النقائض بين جرير والفرزدق وهو أربعة أجزاء طبع « ليدن » وقد نسختها بخطى وأريد أن تلازمنى لتقرأ وأصححها فسرنى ذلك جدا .

وتبه على ومضى أمرنا على هذا .

وكان يذهب الى دار الكتب الخديوية ساعتين فى يومين يعقب على تحقيق الامام ابن التلاميذ الشنقيطى وأمثاله فأمرنى أن أوافيه فى دار الكتب لأقرأ وهو يحقق واستمر حالنا على ذلك نحو ست سنين كنت أثناءها أذهب له الى منزله فى درب السماكين وأرجو أن يكون له بيت يليق بمكانته . وسألته يوما كيف جاور بالأزهر فقال : كان والدى معلم كتاب وكان رقيق الحال فكنت أحضر دروسى فى الأزهر ثم أخرج من باب زاوية العميان وأتحرى السير فى الأزقة لا فى الشوارع المتسعة ولا أزال أقرأ حتى أصل بيتنا .. وقد حضرت الفلسفة القديمة على الشيخ الشربيني وحضرت الفلسفة الحديثة على الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله . قال : ولا يوجد من كتاب الفسفة القديمة فى القطر المصرى سوى ثلاث نسخ ، واحدة فى دار الكتب والثانية عند الشيخ الشربينى والثالثة عندى فى خزانة كتبى وقد نسختها بيدى وأشار اليها فى الخزانة قلت : ان لك لجلدا

◄

على النسخ يا مولاى فقال : وداعيته الفقر وحب العلم يابنى . ثم قال : بعد أن فرغت من تدريس شرحي للكامل فى الأزهر شرعت فى تدريس « كتاب سيبويه فى النحو » فجاءنى الأستاذ الامام محمد عبده وقال : ما هذا يا شيخ سيد ، أنت تريد أن (تصيبنا) عين فيك اقطع الدرس وخذ لك شهرا استرح فيه من عناء التدريس فقطعت الدرس .

ان طول اتصالى بالامام المرصفى رحمه الله جعلنى أطلع على كثير من أخلاقه وعاداته وسأكتب منها ما دعته الذاكرة متحريا صدق الرواية ففى هذا بيان لحقائق وعبر فمن ذلك :

أمانته العلمية فقد شرح لنا قول أبى ذؤيب الهزلى :

سبقوا هوى واعنقوا لهواهمو
فتخرموا ولكل جنب مصرع

الى أن وصل قوله :

حتى كانى للحوادث مروة
بصفا المشرق كل يوم تقرع

شرحه شرحا لم يعجبنى فلما مرنا فى شارع المنادقية فاتحته فى شرحه للبيت : حتى كأنى .. الخ وانه لم يعجبنى فقال : فما فهمت أنت ؟ فأخبرته بما فهمته فقال : نعم ان هذا هو المعنى المراد يا (واد) .. ثم أخذ ينشدنى قصيدته التى مدح بها محمد نسيم باشا رئيس الوزراء اذ أنعم عليه بكسوة التشريفة وكبار العلماء فى زمنه وكانت قصيدة سينية مشبعة وممتعة فقلت له : ولم لم تكثر من هذا الشعر الاصيل الرصين يا مولاى ؟

قال : «آثرت أن أكون عليما على أن أكون شاعرا » .

وفى اليوم التالى .. قال للطلاب : أنا بالأمس أخطأت فى شرح بيت أبى ذويب : حتى كأنى .. الخ وقد فهم هذا (الواد) الشامى فهما جيدا ، فقم فقل ما فهمت وأشار لى فقمت .. وأنا أكاد أكون منطويا تحت لسانى واكبرت تواضع هذا الامام وعظيم أمانته وتشجيعه العلمى للطلاب .

وكان ــ وهو يستمع لى وأنا أقرأ ــ يقول : ارفع هذه الكلمة أو غيرها بغيرها فانها قلقة فى موضعها لا تمشى مع أحرف الصغير .

وقال لى مرة : ان جعفر ولى باشا وزير الأوقاف أرسل يطلب منى شرح الكامل ليطلع عليه فقلت : ان رأيت أن ترسله يكن حسنا فعسى أن يسعى فى طبعه . فحدجنى بعينه وقال كيف أرسله له وأنا قد « مأنت » عينى فى تأليفه .

ثم بدا للشيخ أن يخلص من بيته فى درب السماكين فاشترى بيته رقم (٢) فى عطفة قاضى البهار بين سراى البكرى وبيت الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية بثمانمائة جنيه وأخذ يرمه ويصلح من شأنه فصار فى عسرة مالية خانقة ، وكان الاستاذ يذهب الى دار الكتب ساعتين فى الاسبوع كما مر يأخذ عنهما عشرة جنيهات فى الشهر ليعقب على الامام الزمخشرى فى كتابه (أساس البلاغة)

فقد اعتزمت دار الكتب طبعه فحقق كراستين كما كان يعقب على الشنقيطى وغيره . أخذت دار الكتب فى طبع الأساس رأى الشيخ البيلاوى ان يثأر من الامام المرصفى فومج الكراستين بدعوى انه لا لزوم لما دبجته براعة المرصفى وشفى وكنت اذا سألته عن عبارة أو كلمة يجيبنى بما يشفى ثم يقول : خذ جزء كذا من كتاب « لسان العرب » وراجع المسألة . فأقول قد اكتفيت . فيقول: التحقيق أن اللغة سماعية وجل من لا يسهو وذهب مرة لزيارة الشيخ محمد بخيت فى بيته وأخذنى معه ولما دخلنا دار المفتى رأينا الشيخ محمدا بك الخضرى واقفا فى المكتبة ولما رآنا قال : قد حضر الامام وأخذ يسأله عن عبارة (عجب عاجب) فأجابه ، وأمضينا كثيرا من الوقت فى هذا البحث .

وقال لى مرة ان بعض المستشرقين قد طلب منه أن يطلعه على رغبة الآمل فقلت : هذا حسن واذا كان بوساطة الدكتور طه حسين يكون أحسن وأكثر رواجا للكتاب خصوصا والدكتور يشيد بذكرك فيقول فى مقدمة كتابه « ذكرى أبى العلاء » ما معناه : (سيد بن على المرصفى سيد من عرفت) فقال : أنا ما علمته ما وقع فيه يابنى وكان الأستاذ أحد أعضاء اللجنة التى ألفتها مشيخة الأزهر لمحاكمته كتاب : الشعر الجاهلى .

وذات يوم طلب منى بعض اخوانى أن أطلب من الأستاذ أن نذهب فى صحبته للتنزه فى حديقة الأورمان بجوار (جنينة الحيوانات) فعرضت الأمر عليه فلبى رغبتنا وخرجنا ونحن نفر كلنا سوريون فينا رجل من حلب صناع ، وأمضينا يومنا فى رحلة ماتعة مفيدة ولما آردنا القفول سألته : كيف كنت تتنزه أيام مجاورتك يامولاى ؟ فضحك وأقسم أنه ما خرج للتنزه فى حياته سوى هذه المرة .. فعجبنا كلنا .

ثم سافرت الى بلدة خان يونس بفلسطين ووظفت معلما للدين واللغة العربية بمدرسة غزة الثانوية وصرت أهبط القاهرة كلما وجدتنى فى سعة من الوقت فأبدأ بزيارته وزيارة أستاذنا الامام السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار . وفى غرة شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٧ كنت عنده فى البيت فأخبرنى أنه يطبع رغبة الآمل وقد تم منه جزءان فأهداهما الى وكتب على أول الجزء الاول هذه العبارة :

« من سيد بن على المرصفى هذا الكتاب هدية الى ولدى الكامل حافظ حسن الشامى نفع الله به » . ومن الغد استصحبت ولده

سيد بن على المرصفى

الشيخ ابراهيم وجـزمين من رغبتـه الأمل وذهبنا الى أستاذنا السـيد رشـيد رضـا وقدمناهما اليه هدية من المؤلف ورجوته أن يكتب عن الكتاب فى مجلة المنار . ثم رجعت الى بلادى ، ولما زرت القاهرة مرة ثانية عرفت أن الامام المرصفى قد لقى الله تعالى وكذلك ولده الشيخ ابراهيم (١) رحمهما الله تعالى ولم يبـق من ذريته الذكور سـوى ولده محمود (المعتوه) .

وولده صديق الموظف ببلدة طـوخ ووجـدت البيت يخيم عليه الحزن .

ونما الى علمى أن كتب الشيخ تبـاع بلا علمولديه ، من بعض من سـكنوا دار الشيخ فأخبرت ولده الشيخ محمود بذلك ثم سألته عن مؤلفات الشيخ فأخبـرتنى أنهـا محفوظة لديهم . وعدت الى بلادى أحمـل الحزن والفجيعة .

رحم الله الشيخ رحمة واسعة .

---

(١) ولده ابراهيم هذا حصل على العـالمية من الازهر .



• إلى السادة كتاب مجـلة الأزهـر

تتقـدم ادارة مجلة الأزهـر الى السادة الذين يتفضلون بامدادها بمقالاتهم بملاحظات تعنيها وتعنيهم سواء ، فمن اليقين ان جميع من يعمل بالمجلة من محررين وكتاب ومطبعـة يهمهم فى المقام الأول صدور المجلة على أنقى مستوى وأرفعه .

وما من شك أن السادة الكتاب يعلمون أن هـذه المجلة مجلة علمية ، فهى — فى المقـام الأول مجلة (مقـال) وليسـت مجلة (خبر) لذلك نرجو أن يتعـاونوا مع ادارة المجلـة بالتزام ما يحقق رسالتها :

(أ) فيذكرون مرجـع ما يختـارون من نصـوص بالتعريف الكامل للنص جـزءا وصفحة ومطبعة وسنة طبع فى حاشية المقـال وفى الصفحة التى ورد بها النص ، فأما اذا كان النص آية كريمـة فيضعون جوار نهايتهـا السورة ورقم الآية بين قوسين مربعين

(ب) عدم الاكتفاء بذكر نحو (قال علماؤنا) أو (يقول أحد مفكرينا) فلابد من نسبة علنية تساعد الباحثين على المراجعة والانتفاع بالمادة المكتوبة ، وذلك بالنص على اسـم العالم أو العلماء فضلا عن ذكر المصدر والتعريف به .

(ج) التوقيع فى ختام المقال .

(د) لابد من تـرك عنـوان الكاتب بادارة المجلة ، وترك رقم (تليفون) أى (تليفون) للاتصال به وقت الحاجة .

نسأل الله ان يسدد خطانا وأن يوفقنا بفضله

ادارة المجلة

دراسات لغوية

البديعيات بين الانصاف والاعتساف

للدكتور علي البدري

راج الاكثار من المحسنات البديعية في طريقة القاضي الفاضل والذين تأثروا به من الكتاب والشعراء . بحيث يمكن القول : ان علم البديع في البلاغة العربية لم يتقدم كثيرا ولم يستفد من مثل هذا الاتجاه . اللهم الا اذا جاءت هذه المحسنات وفق الطبع . وابتعدت عن التكلف المذموم . فالتكلف صناعات جافة . وحرفة مذمومة . وهو من امارات العقم والتحجر والجمود .

ان الاكثار من البديعيات في الشعر كان صناعة عابثة أضعفت الشعر وحدت من قوته . وأوردته موارد التكلف الثقيل . وأصحاب البديعيات قد خلطوا الغث بالسمين من ألوان المحسنات البديعية وربما سقطوا أحيانا في المقبحات لا المحسنات . ولهذا وصلت البديعيات الى حد الاملال وتخبطت في دياجير الحيرة وخيبة المسعى .

ولعل من أوائل الخابطين في هذا المسلك غير المحمود الشاعر صفي الدين الحلي عبدالعزيز ابن سرايا بن علي ابن ابي القاسم الطائي المولود في الحلة (بين الكوفة وبغداد) ٦٧٧ ﻫ والمتوفى ببغداد سنة ٧٥٠ ﻫ فانك تقرأ في ديوانه :

ليت شعري لك علم
من سقامي يا شفائي
لك علم من زفيري
ونحولي وضنائي

البديعيات
بين الإنصاف والاعتساف

من سقامي ونحولي
داوني اذ انت دائي
يا شفائي وضنائي
انت دائي ودوائي

وهذه أبيات يقرأ أى صدر فيها مع أى عجز من أبياتها الاربعة .

وان شئت فتأمل قوله :

قَبِّلْ قَبْلَ أَنْ يَرَاكَ تَرَاكَ
عَبْدٌ عِنْدَ رَخَاكَ رَجَاكَ

ترى صورا شوهاء من الجناس المصحف المحرف . ما دفع اليها الا الكلف بالاغراب . والشغف بما يشد الانتباه . ولقد أمعن صفى الدين الحلى فى هذا الاتجاه فكتب كتابا سماه (الدر النفيس فى أجناس التجنيس) . اخترع فيه نوعا بناه على جعل أركان التجنيس ثلاثة فى صدر البيت وثلاثة فى عجزه وقد نظم منه أبياتا مطلعها :

سَلْ سَلْسَلَ الرِّيقِ لِمْ لَمْ يَرْوِ حَرَّ ظَمَا
بَلْ بَلْبَلَ القَلْبَ لَمَّا زَادَهُ أَلَمَا

وهذا كلام ما أشبهه برقى السحرة وزمزمات الشياطين . ومن ذلك قوله :

إِذَا زَارَ دَارِي زَوْرٌ وَدُودٌ
أَوَدُّ — وَأَوْرَدَهُ — وِرْدُ — وَدٌّ

وقولـه :

سَلْ مُتْلِفِي عَطْفًا يَتَعَطَّفُ
فَلَقَدْ قَسَا قَلْبًا فَمَا يَتَلَطَّفُ

ومن هذا القبيل قصيدة صفى الدين الحلى أيضا التى جعل أبياتها مصغرة ومطلعها :

نُقَيْطٌ فِي مُسَيْكٍ فِي وُرَيْدٍ
خُوَيْلُكَ أَوْ وُسَيْمٌ فِي خُدَيْدِ

يريد ان يقول : نقط من مسك فى ورد خالك هذا أو وسم فى خد . وهى قصيدة طويلة كلها على هذا النحو . وقد تابعه على هذا بعض المتأخرين وسموا هذه القصائد . المصغرة ومنها قصيدة لابن حجه الحموى (١) .

ولكن صفى الدين الحلى هذا . كان اذا جرى مع طبعه السليم وابتعد عن التكلف جاء بشعر رائق استحق به أن يكون شاعر عصره بل خاتمه المجيدين فى زمانه . الا أنه امام البديعيات غير المستحبة كما صرح بذلك النابلسى صاحب « نفحات الازهار على نسمات الاسحار » .

وساعده على ابراز هذا الفن بردة البوصيرى .

ولعل بديعية صفى الدين الحلى المسماة (الكافية البديعية) هى أولى البديعيات فى الشعر العربى ولكن الدكتور زكى مبارك يجزم بأسبقية ابن جابر الاندلسى م سنة ٧٨٠ هـ الى فن البديعيات على الرغم من الفارق الكبير بين سنتى وفاة الشاعرين . فبينهما ثلاثون عاما .

وابن جابر قد نظم (الحلة السيرا فى مدح خير الورى) وهى بديعية على طريقة صفى الدين الحلى وصفى الدين هو امام البديعيات وليس ابن جابر كما يقول الدكتور زكى

---

(١) دائرة معارف وجدى جـ ٥ ص ٥٢٥ كـ ٥٢٦ .

مبارك (١) على ان صفى الدين هذا قد سبق بشاعر مصرى يدعى على ابن عثمان بن على بن سليمان أمين الدين السليمانى الاربلى المتوفى بالفيوم سنة ٦٧٠ هـ وله قصائد فى كل بيت منها محسن بديعى ومنها قوله :

بعض هـذا الدلال والأدلال
حالى الهجر والتجنب حـالى
جزت اذ حزت ربع قلبى واذلا
لى صـبرا كثرت من اذلالى
رق يـا قاسى الفؤاد لاجفـا
ن قصار اسـرى ليـال طـوال

وقد روى منهـا ابن شـاكر الكتبى ستة وثلاثين بيتا . وبجانب كل بيت كتب ما فيـه من المحسنات ومهما يكن من شىء . فالاكثار من البديعيات خروج بالشعر عن الانصاف الى الاعتساف ثم جاء عز الدين الموصلى م٧٨٩ هـ فوصل بالجناس والتورية والبديعيات عامة الى أبعد غايات التكلف والثقل . ويمكن القول أن صفى الدين الحلى وقبله الاربلى م سـنة ٦٧٠ وبعده عز الدين الموصلى هم أئمـة البديعيات المتكلفة .

ولقد دخل شـعراء النصـارى مجـال البديعيات المذمومة حتى يمدحوا عيسى كما يمدح المسلمون نبيهم عليهما الصلاة والسلام.

والبديعيات كثيرة وبعضها مجهول النسب . ويمكننا أن نشير الى أهمها وذلك على النحـو التالى :

(أ) بديعية أمين الدين السليمانى م سنة ٦٧٠ هـ وهى فى ستة وثلاثين بيتا من بحـر الخفيف وعـلى روى اللام المكسـورة وفى مناسبات منها المديح النبوى .

(ب) بديعية صفى الدين الحلى م سـنة ٧٥٠ هـ وقد شرحها شرحا وجيزا . فى ثلاث وسبعين صحيفة وقد ذكر صفى الدين الحـلى فى مقدمة شرحه عرضا لمن ألفوا فى البديع منذ عصر ابن المعتزم سنة ٢٩٦ هـ الى ابن أبـى الاصبع المصرى م سنة ٦٥١ .

ثم قال : انه نظم مائة وخمسين بيتا مـن بحر البسيط فيها مائة وخمسون فنا من فنون البديع . وأنه اهتدى اليها بعد أن قرأ سبعين كتابا أو نحوها . وقال :

وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإِنَّنِي
أَنَا الطَّائِرُ الْحَاكِي وَالآخَرُ الصَّدَا

وعلى الرغم من مديح صفى الدين الحـلى لنفسه كما ترى ففى بديعيته كثير من صـور التكلف ومنها :

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلْ عَنْ جِيـرَةِ العَلَمِ
وَأقْرِ السَّلَامَ عَلَى عُرْبٍ بِذِي سَـلَمِ
فقد ضمنت وجـودَ الدمع مِنْ عـدمٍ
لَهُمْ وَلَمِ أَسْتَطِعْ مَعْ ذَاكَ مَنْـعَ دَمِي
أبيتُ والدمـعُ هـامٍ هَائِم سَـرِبٌ
والجسـمُ فى أَضَمٍ لَحْمًـا عَلَى وَضَمِ

هذا ولـم يعرض صفى الدين الحلى لموقف من مواقف النبى صلى الله عليه وسلم ولـم يشرح مشاهده التاريخية التى حفلت بهـا كتب السيرة .

والحافز الرئيسى وراء هذا النشاط البديعى هو الصنعة لا مدح النبى صلى الله عليه وسلم. فهذا المديح قد جاء تبعا للصنعة فى أكثـر من نصف هذه البديعيات .

ومعظم أصحاب البديعيات . ماعدا ابـن

(٢) المدائح النبوية فى الأدب العربى للدكتور زكى مبارك ص ١٦٩ .

البديعيات

بين الإنصاف والاعتساف

جابر — يعدون بحوث علم البيان مع بحوث البديع فقد خلطها جميعا صفى الدين الحلى تحت اسم البديع .

وبهذا خالف منهج السكاكى م سنة ٦٢٦ هـ والخطيب القزوينى م سنة ٧٣٩ هـ .

كما لم يفصل صفى الدين الحلى بين المحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية .

وعلى هذا درج أصحاب البديعيات من بعده ولا يستثنى منهم الا ابن جابر الاندلسى .

وقد نالت بديعية الصفى شهرة واسعة بين البديعيات المتكاثرة . وقد شرحها الشيخ عبد الغنى الرافعى شرحا سماه « الجوهر السنى فى شرح بديعية الصفى » .

(جـ) بديعية ابن جابر الاندلسى (محمد ابن أحمد بن على بن جابر الاندلسى الهوارى المالكى الاعمى المولود بالمرية سنة ٦٩٨ هـ وقد نظم « الحلة السيرا فى مدح خير الورى » . على قافية الميم وهى على طريقة بديعية الصفى الحلى .

وقد كان ابن جابر شاعرا مجيدا وله قصيدة طويلة استوعبت التورية بسور القرآن الكريم ومنها قوله :

فِي كُلِّ فَاتِحَةٍ لِلْقَوْلِ مُعْتَبَرَةْ
حَقُّ الثَّنَاءِ عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالْبَقَرَةْ
فِي آلِ عِمْرَانَ قِدْمًا شَاعَ مَبْعَثُهُ
رِجَالُهُمْ وَالنِّسَاءُ اسْتَوْضَحُوا خَبَرَهْ
مَنْ مَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ نُعْمَاهُ مَائِدَةً
عَمَّتْ فَلَيْسَتْ عَلَى الْأَنْعَامِ مُقْتَصِرَةْ

وابن جابر قد أحسن حينما ميّز بين المحسنات اللفظية والمعنوية . واقتصر على فنون البديع التي ذكرها الخطيب القزوينى . ولم يخلط بينها وبين بحوث علم البيان — وتقع بديعية ابن جابر هذا فى مائة بيت وسبعة وعشرين بيتا . وصدرها قوله :

بِطَيْبَةَ انْزِلْ وَيَمِّمْ سَيِّدَ الْأُمَمِ
وَانْثُرْ لَهُ الْمَدْحَ وَانْشُرْ طَيِّبَ الْكَلِمِ
وَابْذُلْ دُمُوعَكَ وَاعْذِلْ كُلَّ مُصْطَبِرٍ
وَالْحَقْ بِمَنْ سَارَ وَالْحَظْ مَا عَلَى الْعَلَمِ

وترى فى البيتين براعة الاستهلال . والجناس اللاحق .

ويقول ابن حجة الحموى : ان براعة استهلاله هذه ليس فيها اشارة تشعر بغرض الناظم وقصده . بل نثر المدح ونشر طيب الكلم . واذا بنيت القصيدة على التصريح بالمدح لم يبق لحسن التخلص محل .

وقال : ونظم هذه القصيدة سافل . بالنسبة الى طريق الجماعة . !! وهذا من ابن حجة اسراف لا مبرر له — ولعله أراد أن ينتقص غيره ليعلى من شأن بديعيته .

ولكن العلامة جلال الدين السيوطى م سنة ٩١١ هـ مدح بديعية ابن جابر بأن نظمها عال . ولاعيب فيها الا الاكثار من البديع .

وقد شرح بديعية ابن جابر هذه . رفيقه أحمد بن يوسف الرعينى الاندلسى الغرناطى وسمى شرحه طراز الحلة وشفاء الغلة ثم توفى سنة ٧٧٩ هـ

وقال عن بديعية ابن جابر : انها نادرة فى فنها . فريدة فى حسنها . تجتنى ثمار البلاغة من غصنها .. لم ينسج على منوالها ولم

تسمع قريحة بمثالها . وقد تحدث الشارح عن معنى البديع لغة واصطلاحا .

وفرق بين الفصاحة والبلاغة . وتحدث عن مكان البديع بين أخويه المعاني والبيان .

وقسم الى لفظي ومعنوي . واختص الجناس منها بأربعة وثلاثين بيتا . وتحدث عن صوره (المضارع واللاحق . والتام والناقص . والمحرف والمقلوب . وملحقات الجناس) .

ثم أكثر من التقسيمات حتى أوصلها الى ستين قسما . هذا وفي دار الكتب المصرية شرح وجيز لابن جابر على بديعيته الآنفة الذكر .

(د) هذا وهناك بديعية لعز الدين الموصلي م سنة ٧٨٩ هـ بالموصل . وتقع في مائة وخمسة وأربعين بيتا ومطلعها :

بَرَاعَةُ تَسْتَهِلُّ الدَّمْعَ فِي الْعَلَمِ
عِبَارَةٌ عَنْ نِدَاءِ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ

قال ابن حجة عن الحلي والموصلي :

وبديعية صفي الدين غزلها لاينكر الا انه لم يسم النوع البديعي وأما الموصلي . فانه نحت من الجبال بيوتا .

وقال النابلسي : أن الشيخ عز الدين الموصلي تعسف وتكلف في غالب أبياته .

وقال ابن معصوم . وأول من التزم التورية في البديع عز الدين الموصلي وشرح بديعية الموصلي لايزال مخطوطا حتى الآن . (التوصل بالبديع الى التوسل بالشفيع) .

(هـ) بديعية وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد اليمني م سنة ٨٠٠ هـ وقد شرحها شرحا مرضيا .

(و) بديعية شرف الدين عيسى بن حجاج ابن شداد السعدي الملقب بعويس العالية .

وقد ولد بالقاهرة سنة ٧٣٠ هـ وتوفي بها سنة ٨٠٧ هـ وله ديوان شعر وقد نسب اليه صاحب كشف الظنون بديعية ولم يزد على ذلك .

(ز) بديعية زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثاري القرشي اليمني توفي بمصر سنة ٨٢٨ هـ وقد سمى بديعيته (عين البديع في مدح الشفيع)وقد سلك فيها مسلك صفي الدين الحلبي ومطلعها : **دَعْ عَنْكَ سَلْعاً وَسَلْ عَنْ سَاكِنِ الْحَرَمِ .. الخ .**

ح : بديعية تقي الدين ابي بكر بن علي بن عبد الله بن حجة الحموي المولود بحماه سنة ٧٧٧ هـ المتوفي سنة ٨٣٧ هـ وهي على طريقة شيخه عز الدين الموصلي . وقد شرحها شرحا حافلا .

وابن حجة الحوى أشهر من نار على علم، وله مؤلفات عديدة منها ــ كشف اللثام عن التورية والاستخدام .

ومنها : « قهوة الانشاء » .

ومن أشهر آثاره بديعيته (تقديم ابي بكر) على غرار بديعية عز الدين الموصلي وشرحها الذي سماه (خزانة الأدب وغاية الأرب) .

قال صاحب كشف الظنون : ان ابن حجة شرح بديعيته شرحا مفيدا وهو مجموع أدب قل أن يوجد في غيره . ومن يقتنيه يغنيه عن غيره من الكتب الأدبية .

البديعيات

بين الإنصاف والإعتساف

وقال ابن حجة نفسه : انه نظم على منوال بردة البوصيرى ، وعلل تسميتها (بتقديم أبى بكر) بانه عظم الله شأنه هو الذى أرشده الى هذا الملك ، قال فاقتديت برأبه وسلكه وهل يسلك ابو بكر غير طريق محمد صلى الله عليه وسلم ؟

ولابن حجة فى مدح النبى صلى الله عليه قصيدة مطلعها :

شَدَتْ بِكُمُ العُشَّاقُ لَمَّا تَرَنَّمُوا
فَغَنَّوْا وَقَدْ طَابَ المَقَامُ وَزَمْزَمُ

وقد جمع ابن حجة بين طريقتى الحلى والموصلى وحاول التفوق عليهما بالاجادة والاتقان .

وكان جل عنايته موجها الى البديع لا الى السيرة النبوية .

وهذه البديعيات تشير الى ما أصاب النقد الادبى من ضعف وفتور وجنوح الى عبث الشعر وتفضل غثه على ثمينه — وقد ملأ ابن حجة الحموى شرحه مديحا لنفسه ، اسمع اليه يقول : فكتبت هذا التقريظ الذى صلت البلغاء خلفه فانه للمحاسن جامع ، ويقول ومن ألطف الاشارات قولى :

أَوَرَى بِذِكْرِ البَانِ وَالرَّنْدِ وَالنَّقَا
وَسَفْحِ اللِّوَى وَالجِزْعِ وَالقَصْدُ أَنْتُمُ

وقد تغلبت نزعة العصر على ابن حجة فراح يشيد بالتورية والاستخدام الى أبعد الغايات هذا ، وخزانة الأدب لابن حجة قد مدحها كثير من العلماء ، الا أن النابلسى قد فضل عز الدين الموصلى على ابن حجة الحموى ، وخزانة الأدب أصدق مثل للادب فى عصر المماليك ، وبديعية الحموى هذا قد شرحها عدد من جلة العلماء منهم عبد الحى بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلى الصالحى م سنة ١٠٨٩ صاحب كتاب شذرات الذهب — فى أخبار من ذهب .

كما عارضها السيوطى م سنة ٩١١ هـ ببديعية سماها : « نظم البديع فى مدح خير شفيع » كما شرحها باختصار ، المرحوم حفنى بك ناصف م سنة ١٩١٩ م وسمى شرحه « القطار السريع لعلم البديع » — وقد تعقب ابن حجة فى شرحه الشيخ عبد الغنى النابلسى ونبه على مواطن زلله ، وان لازمه التعصب أحيانا فى احكامه .

كما ألف ابن شهاب الدين العلوى الحسينى الحضرمى كتابا أسماه : اقامة الحجة على التقى ابن حجة ، أبان عن سرقاته وغلطاته ، كما ألف شمس الدين بن الحسن النواجى كتابا اسماه « الحجة فى سرقات ابن حجة » ولكن هذا كله لم يزعزع ثقة الامة الاسلامية فى بديعية ابن حجة الحموى .

فبقيت حتى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ذائعة رائجة وظنى أنها ستبقى كذلك .

وهذه البديعية تقع فى مائة واثنين وأربعين بيتا ، مشتملة على مثل عددها من ألوان البديع وسنشير الى أهمها على النحو التالى :

قوله فى براعة الاستهلال :

لِى فِى ابْتِدَا مَدْحِكُمْ يَا عُرْبَ ذِى سَلَمٍ
بَرَاعَةٌ تَسْتَهِلُّ الدَّمْعَ فِى العَلَمِ

وهو مأخوذ من مطلع عز الدين الموصلي :

بَرَاعَةٌ تَسْتَهِلُّ الدَّمعَ فِي العَلَمِ
عِبَارَةٌ عَنْ نِدَاءِ المُفْرَدِ العَلَمِ

وفي جناس التركيب يقول ابن حجة :

بِاللّهِ سِيرِي نَسِيمِي طَلَّقُوا وَطَنِي
وَرَكَبُوا فِي ضُلُوعِي مُطْلَقَ السَّقَمِ

والجناس يحسن اذا أتى عفوا لاتكلفا وقد تحدث عنه ابن حجة الحموي . فبين المركب وقسمه الى متشابه ومفروق . والمتشابه يتشابه لفظا وخطا . والمفروق يتشابه لفظا لا خطا . وتحدث عن الجناس المرفو الذي يتركب أحد طرفيه من كلمة ، والثاني من كلمة وجزء كلمة .

ثم مثل للجناس الملفق بقوله :

وَرُمْتَ تَلْفِيقَ صَبْرِي كَيْ أَرَى قَدَمِي
يَسْعَى مَعِي فَسَعَى لَكِنْ أَرَاقَ دَمِي

وهو مروق من قول أبي الفتح البستي :

إِلَى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي
أَرَى قَدَمِي أَرَاقَ دَمِي

وعرف الملفق بقوله : أن يكون كل من ركنيه مركبا من كلمتين . وهذا هو الفرق بينه وبين المركب وأكثر البلاغيين لم يفرقوا بين المركب والملفق . الا الحاتمي وابن رشيق .

ومثل ابن حجة للجناس المذيل واللاحق بقوله :

وَزَيَّنَ الهَمُّ هَمْلَ الدَّمْعِ لِي فَجَرَى
كَلَاحِقِ الغَيْثِ حَيْثُ الأَرْضُ فِي ضَرَمِ

وهذا بيت هين المعنى . ومعروف أن الجناس اللاحق يبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه فان كان من مخرجه كان الجناس مضارعا . ثم ساق له أمثلته .

وفي الجناس التام والمطرف مثل له بقوله :

يَا سَعْدُ مَا تَمَّ لِي سَعْدٌ يُطَرِّفُنِي
بِقُرْبِهِمْ وَقَلِيلُ الحَظِّ لَمْ يَلُمِ

وهو مسروق من مطرف صفي الدين الحلي في قوله :

مِنْ شَأْنِهِ حَمْلُ أَعْبَاءِ الهَوَى كَمَدًا
إِذَا هَمَى شَأْنُهُ بِالدَّمْعِ لَمْ يَلُمِ

ثم قال : ان الجناس التام هو ما تماثل ركناه لفظا واختلفا معنى من غير تفاوت في تصحيح تركيبهما واختلاف حركاتهما . سواء كان من اسمين أو فعلين أو اسم وفعل .

ثم قال . فان كان من اسمين سمي مماثلا . وان كان من اسم وفعل سمي مستوفى . ثم ساق الأمثلة . مبينا أن التام هو أفضل صور الجناس .

وتحدث عن الجناس المصحف والمحرف فذكر قوله :

هَلْ مَنْ يَفِي وَيَقِي إِنْ صَحَّفُوا عَذَلِي
وَحَرَّفُوا وَأَتَوْا بِالكَلْمِ فِي الكَلِمِ

ويلاحظ أن ابن حجة قد أخذ محرف صفي الدين الحلي بعينه في قوله :

مَنْ لِي بِكُلِّ غَرِيرٍ مِنْ ظِبَائِهِمِ
عَزِيزُ حُسْنٍ يُدَاوِي الكَلْمَ بِالكَلِمِ

وصحف مصحف الشيخ عز الدين حيث قال :

هَلْ مِنْ تَقِيٍّ نَقِيٍّ حِينَ صَحَّفَ لِي
مُحَرِّفَ القَوْلِ زَانَ الحُكْمَ بِالحِكَمِ

ثم بين أن بين يفي ويقي جناس التصحيف على أن بعضهم يسميه جناس الخط . وهو ما تماثل ركناه خطا واختلفا لفظا .

البديعيات

بين الإنصاف والاعتساف

ثم تحدث عن الجناس اللفظي والمطلوب عند قوله :

قَدْ فَاضَ دَمْعِي وَفَاظَ القَلْبُ إِذْ سَمِعَا
كَلَامَ عَـذْلٍ مَلَا الأَسْمَاعَ بِالأَلَمِ

وقال : ان اللفظي ماتشابه ركناه خطا وخالف أحدهما الاخر بابدال حرف منه فيه مناسبة لفظية كالضاد والظاء . فى فاض وفاظ ، فالأول من فيض الماء والفيظ من التلف وتحدث عن الجناس المعنوى . فأشـار الى انه تجنيس اضمار وتجنيس اشارة .

وقال : ان تجنيس الاشارة هـو تجنيس الكناية قال :

اسْقِنِيهَا يَا سَوَادُ بْنَ عَمْرٍو
إِنَّ جِسمى بعد خلى لَخَلٌّ

والخل هو الرقيق المهزول . فظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران . (فى صهباء وصهباء) وخل وخل وهما فى صـدر البيت وعجزه .

وتحدث ابن حجة الحموى عن الاستخدام فذكر قوله :

وَاسْتَخْدَمُوا العَيْنَ مِنِّى وَهْىَ جَارِيَةٌ
وَقَدْ سَمَحْتُ بِهَا أَيَّامَ عُسْرِهِمُ

وقد استعان ببيت عز الدين الموصـلى فى قـوله :

وَالعَيْنُ قَرَّتْ بِهِمْ لَمَّا بِهَا سَمَحُوا
وَاسْتَخْدَمُوهَا مِنَ الأَعْدَا فَلَمْ تَنَمِ

فالعين الاولى هى الباصرة . والثانية المعنية بالضمير فى قوله واسـتخدموها . وهى ذات الانسان . ومن الواضح أن استخدام ابن حجة للعين فى الذات والباصرة والذهب هى عين استخدامات عز الدين بمعناها وغالب لفظها .

وفى تعريف الاستخدام أشار ابن حجة الى ما ذكره الخطيب القزوينى بأنه اطلاق مشترك بين معنيين ويراد بلفظه أحدهما وبضـميره المعنى الآخر .

وتحدث ابن حجة عن الهزل الذى يراد به الجد فذكر بيته :

وَالبَيْنُ هَازَلَنِى بِالجِدِّ حِينَ رَأَى
دَمْعِى وَقَالَ تَبَرَّدْ أَنْتَ بِالدِّيَمِ

ولئن سلمنا أن البين هازل الناظم بقـوله : تبرد أنت بالديم . فما الجد الذى أريـد من هذه المهازلة ؟ والهزل الذى يراد به الجد أن يقصد المتكلم الى مدح أو ذم فيخـرج ذلك مخرج الهزل والمجون . كما كان يفعل أصحاب النوادر كأبى دلامة . وأبى العيناء . وأشعب ومن سلك مسالكهم وتحدث عن المقابلة . عند قوله :

قَابَلْتُهُمْ بِالرِّضَا وَالسِّلْمِ مُنْشَرِحًا
وَلَّوْا غِضَاباً فَيَا حَـزْنِى لِغَيْظِهِمُ

وقال ان المطابقة جمع بين شىء وضـده . أما المقابلة فهى التنظير بين شيئين وشيئين أو أكثر . وتحدث عن الالتفات عند قوله :

وَمَا أَرَوْنِى التِفَاتاً عِنْدَ نَفْرَتِهِمْ
وَأَنْتَ يَا قَلْبُ أَدْرَى بِالتِفَاتِهِمِ

وأشار الى تعريف قدامة بن جعفر . والى تعريف ابن المعتز . وساق الأمثلة وتحدث عن الافتنان وعرفه بقوله أن يأتى الشاعر بفنين متضادين من فنون الشعر فى بيت واحد مثـل التسيب والحماسة ، والمديح والهجاء . وذكر

من الاول قول عنترة :

إن تغدفي دوني القناع فإنني

طب بأخذ الفارس المستلئم

فأول البيت نسيب وآخره حماسة .

وتحدث عن الاستدراك وقسمه الى قسمين قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم كقول القائل :

وَإِخْوَانٍ حَسِبْتُهُمُ دُرُوعًا

فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلأَعَادِي

وهذا ما سماه الخطيب القول بالموجب .

والثاني كقول زهير :

اخو ثقة لاتُهلِكُ الخَمْرُ ماله

وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ المَالَ نَائِلُهْ

فلو اقتصر زهير على صدر البيت لدل على أن ماله موفور وتلك صفة ذم فاستدرك مايزيل هذا الاحتمال ويخلص الكلام للمدح المحض .

وتحدث عن اللف والنشر فذكر قوله :

وَالطَّيُّ وَالنَّشْرُ وَالتَّقْتِيرُ مَعْ قِصَرٍ

لِلظَّهْرِ وَالعَظْمِ وَالأَحْوَالِ وَالهِمَمِ

وعرفه بقوله : أن تذكر شيئين فصاعدا اما تفصيلا فتنص على كل واحد منهما واما اجمالا فتأتى بلفظ واحد دال على متعدد .

وتحدث عن الطباق . وأشار الى آراء العلماء فيه وأشار الى التدبيج والمقابلة عند قوله :

بِوَحْشَةٍ بَدَّلُوا أُنْسِي وَقَدْ خَفَضُوا

قَدْرِي وَزَادُوا عُلُوًّا فِي طِبَاقِهِمُ

وقد غلبت نزعة العصر على ابن حجة فراح يهون من أمر الطباق وحده ويدعو الى تقويته بغيره من ألوان البديع . وتحدث عما سماه النزاهة . فذكر قوله :

نَزَّهْتُ لَفْظِي عَنْ فُحْشٍ وَقُلْتُ لَهُمْ

عُرْبٌ وَفِي حَيِّهِمْ : يَاغُرْبَةَ الدَّمِ

وأشار الى أنه ناهج فيه نهج صفي الدين الحلي . وأخذ تعريفه عن ابن أبي الاصبع .

وتحدث عن التخيير ونحى فيه منحى ابن أبي الأصبع المصري . وذكر بيته :

تَخَيَّرُوا إِسْمَاعَ العَذْلِ وَانْتَزَعُوا

قَلْبِي وَزَادُوا نُحُولِي مُتُّ مِن سَقَمِي

وتحدث عن الأبهام فذكر قوله :

وَزَادَ إِبْهَامَ عَذْلِي عَاذِلِي وَدَجَا

لَيْلِي فَهَلْ مِنْ بَهِيمٍ يَشْتَفِي أَلَمِي

وذكر قول بشار :

خَاطَ لِي عَمْرٌو قَبَاءً لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءُ

وذلك هو المعروف عند السكاكي باسم التوجيه أو الأبهام . ولكن لفظ البهيم في بيت ابن حجة كل ما فيه اشتراك لفظ البهيم بين العاذل والليل . على زعم الناظم ولا ابهام في ذلك . بين فنين من الكلام . ولاتضاد .

وتحدث عن التهكم . على نحو حديث ابن أبي الاصبع وذكر ابن حجة بيته :

قَلَّ العَذُولُ بِهِمْ وَجْدًا فَقُلْتُ لَهُ

تَهَكُّمًا أَنْتَ ذُو عِزٍّ وَذُو شَمَمِ

وتحدث ابن حجة عن المراجعة فقال :

قَالَ اصْطَبِرْ قُلْتُ صَبْرِي مَا يُرَاجِعُنِي

قَالَ احْتَمِلْ قُلْتُ مَنْ يَقْوَى لِصَدِّهِمُ

وقد تأثر في بيته ببيت صفي الدين الحلي حيث يقول :

قَالُوا اصْطَبِرْ قُلْتُ صَبْرِي غَيْرُ مُتَّبَعِ

قَالُوا اسْلُهُمْ قُلْتُ وُدِّي غَيْرُ مُنْصَرِمِ

ومما يحمد عليه ابن حجة أنه قال : ان هذا لون تافه ليس تحته كبير معنى .

البديعيات
بين الإنصاف والاعتساف

وقال : انه من اختراع ابن ابى الأصبع . وتحدث عن تشابه الأطراف وقال انه كسابقه ليس كبير المعنى ثم ذكر بيته :

تَشَابَهَتْ أَطْرَافُ أَقْوَالِي فَإِنْ أَهِمْ
أَهِمْ إِلَى كُلِّ وَادٍ فِي صِفَاتِهِمُ

وتحدث عن التذييل . الذى هو أحد فنون الاطناب فذكر بيته .

وَاللَّهِ مَا طَالَ تَذْيِيلُ اللِّقَاءِ بِهِمْ
يَاعَاذِلِي وَكَفَى بِاللَّهِ فِي الْقَسَمِ

وتحدث عن الكلام الجامع . الذى احتوى حكمة أو وعظا فذكر بيته :

جَمْعُ الْكَلَامِ إِذْ لَمْ تُغْنِ حِكْمَتُهُ
وَجُودُهُ عِنْدَ أَهْلِ الذَّوْقِ كَالْعَدَمِ

وتحدث عن تجاهل العارف ونبه الى أن هذه من تسميات ابن المعتز وأن السكاكى سماه سوق المعلوم مساق غيره لنكتة كالمبالغة فى التشبيه وذكر بيته :

وَافْتَرَّ عُجْبًا تَجَاهَلْنَا بِمَعْرِفَةٍ
قُلْنَا أَبَرْقٌ بَدَا ام ثَغْرُ مُبْتَسِمِ

وهذا ماسماه السكاكى سوق المعلوم مساق غيره لنكتة كالمبالغة فى التشبيه .

وتحدث عن مراعاة النظير . ونبه على أن هذا الفن يسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والمؤاخاة وذكر ابن حجة بيته :

ذَكَرْتُ نَظْمَ اللآلِي وَالْحَبَابَ لَهُ
رَاعَى النَّظِيرَ بِثَغْرٍ مِنْهُ مُنْتَظِمِ

وتحدث عن التوجيه ولم يفت ابن حجة أن ينبه الى أن تسميته بالأبهام كما قال ابن ابى الأصبع أليق من تسميته بالتوجيه كما قال السكاكى ومتابعوه . ثم قال ابن حجة : وأما التوجيه عند المتأخرين فقد قرروا أن يوجه المتكلم بعض كلامه أو جملته الى أسماء من أسماء الأعلام أو قواعد العلوم أو غير ذلك من أسماء الفنون ونحوها .

ط : هذا ولعائشة الباعونية الدمشقية م سنة ٩٢٢ هـ بديعية فى مائة وثلاثين بيتا مطلعها :

فى حسن مطلع أقمار بذى سلم
أصبحت فى زمرة العشاق كالعلم

وهى على شاكلة بديعية صفى الدين الحلى لم تشر الى أسماء فنون البديع .

ى : وكتب صدر الدين بن معصوم الحسينى المدنى م بحيدر اباد سنة ١١١٧ هـ بديعية مطلعها :

حُسْنُ ابْتِدَائِي بِذِكْرَى جِيرَةِ الْحَرَمِ
لَهُ بَرَاعَةُ شَوْقٍ تَسْتَهِلُّ دَمِي

وكتب عليها شرحا سماه (أنوار الربيع فى أنواع البديع) وهى شبيهة ببديعية ابن حجة وعز الدين الموصلى فقد ذكر أسماء المحسنات.

ك : وكتب عبدالغنى النابلسى م سنة ١١٤٣هـ بديعيتين أولاهما على مثال بديعية صفى الدين الحلى وعائشة الباعونية ومطلعها :

يَامَنْزِلَ الرَّكْبِ بَيْنَ الْبَانِ فَالْعَلَمِ
مِنْ سَفْحِ كَاظِمَةٍ حُيِّيتَ بِالدِّيَمِ

وسماها نسمات الأسحار فى مدح النبى المختار . ووضع لها شرحا سماه (نفحات الازهار) ومطلع البديعية الثانية :

يَا حُسْنَ مَطْلَعِ مَنْ أَهْوَى بِذِي سَلَمِ
بَرَاعَةُ الشَّوْقِ فِي اسْتِهْلَالِهَا أَلَمِي

وهى من طراز بديعيتى عز الدين الموصلى وابن حجة الحموى . من حيث ذكر أسماء المحسنات وهى مليئة بالكلمات غير الفصيحة . مما يجعل قيمة هذه البديعيات فى حكم العدم .

وتلك أهم البديعيات التى كتبت فيما قبل عصرنا هذا .

ثم كتب أحمد البربير البيروتى م سنة ١١٢٦ هـ ، ١٨١١ م بديعية شرحها مصطفى الصلاحى ومن يرجع الى ديوان محمود صفوت الساعاتى م سنة ١٢٩٨ هـ ـــ ١٨٨٠ م يجد فيه بديعية فى مائة واثنين وأربعين بيتا على غرار بديعية ابن حجة الحموى ومطلعها :

سَفْحُ الدُّمُوعِ لِذِكْرِ السَّفْحِ وَالعَـلَمِ
أَبْدَى الْبَرَاعَـةَ فِى اسْـتِهْلَالِهِ بِدَمِ

ولكثير من معاصريه فى البلاد العربية بديعيات . ولعل آخر من أسهم فى هذا الاتجاه غير المحمود الشيخ طاهر الجزائرى م سنة ١٣٤١ هـ ـــ ١٩٢٢ م اذ كتب بديعية وشرحها تحت عنوان : بديع التلخيص وتلخيص البديع .

ان هذه البديعيات كانت رموزا وطلاسم ولذلك كان يعمد صاحبها فور وضعها الى شرحها ولا كذلك يفعل الشعراء المجيدون . وقلما يظفر البديع نفسه بدراسة طيبة غنية أضف الى هذا أن بعض هذه البديعيات ادخلت فنون البيان فى علم البديع كما سبق وهذا الخلط الشديد أحال البديع الى فنون عقيمة غثة ضررها أكثر من نفعها .

لأنها خلطت بين البديع الحقيقى والبديع المزيف . وكان الثانى هو المستأثر باهتمام هذه البديعيات . ولما كان العصر المملوكى يسوده الجمود . فلم يدعهم أحد الى العودة الى أمثال ابن المعتز وقدامة وأئمة البيان الحقيقى .

وكانت اطالة أصحاب البديعيات فى غير طائل فقد ادخلوا فى بديعياتهم كثيرا من مباحث علوم الكلام والفلسفة والمنطق وعلم الاصول وغدا عمل الشراح . تفسير الألفاظ المبهمة فى المتون والبديعيات وتكاثرت الشروح . وأعاد كل شارح جهود سابقيه فى الألفاظ وفى المعانى .

ومعنى هذا أننا منذ القرن الثامن الهجرى دخلنا مرحلة من التحجر والجمود وجنح الكثيرون الى التلخيص الشديد القريب من الطلاسم والألغاز . ثم الاطالة فى غير فائدة . تغنى البلاغة غناء محمودا .

ان المحسنات البديعية فى الكلام كالملح فى الطعام . لاينبغى نبذه ولا الاكثار منه .

ولك أن تتأمل هذا الاكثار المزموم فى قول الحريرى مثلا :

زَيْنَبُ زَيْنَبُ بِقَـدٍّ يَقُـدُّ
وَتَـلَاهُ وَيْـلَاهُ نَهْـدٌ يَهُـدُّ
جُنْدُهَا جِيدُهَا وَظَرْفٌ وَطَرْفٌ
نَاعِسٌ نَاعِسٌ بِكَدٍّ يَجِـدُّ
قَدْرُهَا قَدْ زَهَا وَتَاهَتْ وَبَاهَتْ
وَاعْتَدَتْ وَاعْتَـدَتْ بِخَدٍّ يَخِدُّ

اننا بحاجة الى باحثين بلاغيين يدرسون هذه البديعيات كلا على حدة . لطرح الغث منها والابقاء على السمين فقط . وبذا تستفيد بلاغتنا ويتقدم أدبنا والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الدكتور على البدرى
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر ـــ بالقاهرة

شعر

من رحيق التوحيد

ساقٍ من الخلد روحيٍ من نداماه ... تفوح من عبق الفردوس ريّاهُ

يطوف بالكأس سكرى من أنامله ... ويسكب الراح نشوى من سجاياهُ

دَعْ شارب الاثم مُغْتَرّاً بنشوته ... وخلّ ساقيه مفتونًا بدنياه

صرعى السلافة أشتاتٌ وان ظهروا ... كأنهم من حميّا الراحِ أشباهُ

والحبُّ جمَّعَ أهل العشق في ولهٍ ... وكل ذي صبوةٍ غنّى بليلاهُ

للروحِ خمر وللأجسام خمرتها ... شتان بينهما والكل قد تاهوا

وخمرةُ الروح ثم يرقى بذائقها ... شوق الى سُدّة الرحمن مرقاه

فهاتها يا نديم الروح واسق بها ... من كرمة الله ، وانهل من عطاياه

لم يدرِ الهامَ أهل الحب غير فتىً ... قد ذاق من كأسه يوماً وعاناه

نفسي الفداء لساقٍ كلما ظمئت ... أرواحنا لرحيق الصفو جئناه

يسقي بخمر شهود كلما عَبِقَتْ ... في جَلْوَة القرب لم تخطئه نَدَاماه

ومن يمت بفناء القرب يحي به ... فموته عن حظوظ النفس محياه

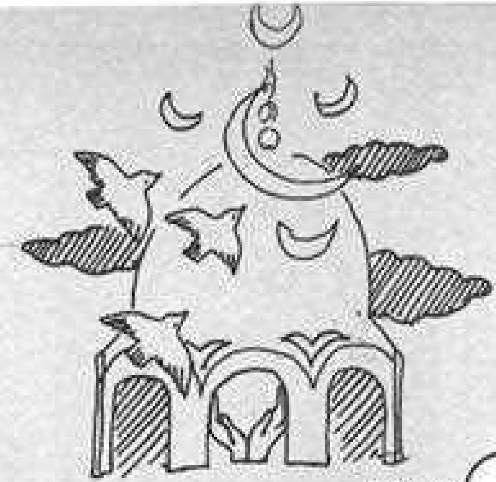
فقل لمن عميتْ جهلاً بصيرتُهُ : ... هنا من النور أهداه واسناه

وقل لمن كدرت بالطين صورته : ... هنا من الروح أنقاه وأصفاه

ثُمّ أيقظ النفس من غافي مشاعرها ... وارهف القلب احساساً بمعناه

لا يسمع الحقَّ من في قلبه صممٌ ... ولا تُسِيغُ نداءَ الروح أُذناه

وليس يبصر نور الله مَنْ غَشِيت ... من ظلمةِ الرِّجس والآثام عيناه



للأستاذ الدكتور حسن جاد

بحر الحقيقة اسرار محجّبة   من خاض لجّته يعرف خفاياه

وكم على الشط من صادٍ لورده   الوَجْدُ أرَّقَهُ والشوق أضناه

تَحرّقتْ روحه اللّهْفَى فراح على   شوق تُلوّح للرُبّان كفّاه

رَبّاه خذ بيدى وارحم ضراعتها   انا الغريب بدنيا الناس ٠٠ ربّاه

رَفّ الشراع على فلك النجاة وقد   سرى وباسمك مجراهُ ومُرساه

فخذ مع الرّكب مشتاقاً لصُحْبتهم   وان تناءت به عنهم خطاياهُ

ان لم يكن بى من جاهٍ ليُلحقنى   بالسالكين ففى حبى لهم جاهُ

او كان لى من ذنوبى ما انوءُ به   فرُبّ ذنبٍ كريمُ الصفح غطّاه

كم معدم من غَنَاء الصالحاتِ اتى   لبحر جودك يا ربى فاغناه

وغارقٍ فى خِضَمٍّ من مآثمه   قد لاذ بالمرفأ الاسنى فنجّاه

وربَّ مستوحشٍ بالبعد منقبضٍ   منحته أُنْسَ بسطٍ منك آنساه

وَفَضًا من الشطة الكبرى تضىء به   نفسى وتعرج روحى فوق مرقاه

وَنَفْحَةً من عبير القدس تَنْفَحُني   فأنتشى وانا بالعطر تيّاه

ورشفةً من رحيق الحبّ تُسْكِرنى   وجداً وتُذْكِرُنى ما كنت انساه

ونبرةً من اغانى الخلد تجطلنى   صدّاحَ ايكٍ على افنان طوباه

يا رب بابك حصنٌ من يلوذُ به   ينجو وتُؤْمَنُ فى الدارين عقباه

الإسلام

مجلة الأزهر

من خمسين عاما

الحمد لله الذى جعل علماء الشريعة الغراء ارفع الناس فى الدارين مكانة ، واختارهم لحفظ فرائض الاسلام وسننه .. ونصلى ونسلم على سيدنا محمد رسوله الامين ، ونبيه الكريم ، وخيرته من خلقه الى يوم الدين .

وبعد :

فانه لما كان من أهداف مجلة الازهر الشريف نشر آداب الاسلام ، واظهار حقائقه ودفع الشبه عنه ، وكان ما كتبه اسلاف علماء الازهر فى هذه المجلة من خمسين عاما أو تزيد من أنصع ما برز فى هذا الميدان وأجلى ما حقق هذه الاهداف رأت ادارة « مجلة الازهر » أن تمد صفحاتها بقبس من هدى هؤلاء العلماء يكون خير زاد لحاضرنا وأقوى هداية على الصراط المستقيم .

وشاء الله أن يقع الاختيار على فضيلة الشيخ احمد حسن جابر رجب لتحرير هذا الباب وتقديمه من خلال عرضه والله ولى التوفيق .

عنى فضيلة الشيخ الجبالى ـ رحمه الله ـ أن يقدم مقالته ، بل بحثه ، فى موضوع « الاسلام دين الفطرة » ليبين فيه ـ عن حكمة ودليل :

(أ) عموم الرحمة فى رسالة المصطفى الامين صلى الله عليه وآله وسلم ، وموافقتها للفطرة ، وارتباطها بأحكام العقول التى سلمت من الهوى وأذعنت للحق .

(ب) وأن مبنى الاسلام أمران : العقائد الدينية .. والاحكام الشرعية وارتباط ذلك بالنفس .. ومسالك التفكير .

(جـ) ثم استقراء الادلة فى جانب العقائد الالهية .. ثم العقائد النبوية ونعرض هنا ما قدمه ـ رحمه الله ـ خاصا بالعقائد الالهية :

« الاسلام دين الفطرة »

قال الله تعالى فى كتابه العزيز مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم فى سورة الروم

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ

دِينُ الفِطرَة

لفضيلة الشيخ
إبراهيم الجبالى

عرض وتقديم فضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب

النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [سورة الروم آية ٣٠].

وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [سورة الأنبياء آية ١٠٧] .

ولقد أردنا بسوق هاتين الآيتين أن نجلو مظهرا من مظاهر عموم الرحمة في رسالته صلى الله عليه وسلم ، وأنها شاملة لجميع العالمين ، وذلك ببيان أن الهداية التي أتت بها هذه الرسالة العظمى مسايرة للغريزة الانسانية موافقة للفطرة السليمة ، فطرة الله التي فطر الناس عليها مستمدة من مواهب الخلق ، منتزعة من قرارة النفس ، ليس حكمها بناب عن مقتضى العقل ، ولا فهمها مرهقا للتصور ، وأي أبواب الرحمة أوسع وأشمل ، وأي مناهج الهدى أوضح من أن يكون رشادك مستمدا من فطرتك ، ودليلك كامنا في خلقتك ، فيوجه نظرك اليه فتلمسه من نفسك ، وتشعر به في وجدانك ، ثم كلما زدته نظرا واعتبارا ازددت فيه يقينا واستبصارا ، اذ كان مع هذا أدلته ناصعة ، وبراهينه قاطعة ، وحججه دامغة ، وآياته بالغة ، فهدى هذه صفته .

(وتلك محجته هل يفوت الا على نفس غلبتها شقوتها ، واستولت عليها شهوتها فانحرفت في مزاجها ، والتوت عن سبل استنتاجها فكانت جنايتها على نفسها شرا من جناية غيرها عليها ؟ لا شك أن هدى على هذا الوجه تشعر النفس بأساسه ، وتقبل العقول فهم تفاصيله ، وتحيط بالمرء أدلته وبراهينه وتطلع أمامه الآيات البينات ثم تكون أحكامه جماع المصالح العامة والخاصة ومستقر النظام لحياة الفرد والمجموع) لهو هدى يقبله العقل وتقر عنده النفس ويطمئن له القلب وينشرح له الصدر :

وإذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

الاسلام فى جملته ــ جاء الدين الاسلامى مشتملا فى جملته على طائفتين عظيمتين من المسائل : الأولى العقائد الدينية ، والثانية : الأحكام العملية ، ولكل منهما تفاصيل كثيرة ومباحث واسعة وقد أفرد لكل من الطائفتين من العلوم ما وفى بالحاجة وزاد ففتح أمام الفكر كل مسلك يمكن أن يخطر بالبال . وانما الذى يعنينا فى هذا المقال هو بيان أن كلا من هذين القسمين : العقائد والأحكام تهدى الفطرة السليمة الى أصوله ويقبل العقل والغريزة فهم تفاصيله بلا ارهاق للنفس ولا اعنات فى القصور ولا قهر للعقل على ما لا يستطيع فهمه أو الاذعان لما يناقض حكمه . وأن العقائد قد جاءت مقرونة ببراهينها القاطعة وأدلتها الساطعة لا تدع للشك لدى النفس مجالا ، ولا للريب عند العقل مدخلا ، وأن الاحكام جاءت متضمنة من المصالح العامة والخاصة ما يكفل تهذيب النفوس وتكميلها واصلاح حال المجتمع وتنظيم علاقاته فى كل أطواره . سواء المجتمع المنزلى أو المدنى أو الانسانى العام على حالة سهلة القبول واضحة النهج نيرة المسلك لاتعقيد فيها ولا موارية .

ولقد جاء الاسلام مخاطب مستنهضا الفكر يحث النفس على النظر فيما حولها والتفكر فيما يحيط بها ، يرشدها الى أن هذا كله قد خلق لها لتستوفى منه حاجتها ولتهتدى بالنظر فيه الى طريق سعادتها ، فقبيح منها اذن أن تفوت على نفسها الانتفاع بذلك وهى فى أشد الحاجة اليه من الناحيتين : ناحية استخدامه فى نيل أغراضها بقدر ما تسمح به قوتها ، وناحية الاسترشاد بالنظر فيه بعقلها وبصيرتها .

ولما كانت مسالك التفكير وطرق البحث العقلى مما تتشعب أمام النفس وقد تخضع لظروف وأحوال قد تحيد بها عن الجادة ، وربما طوحت بها الى مهاوى الضلالة . أخذ الدين يدها ليرشدها من ناحية غريزتها التى ركبت فيها ، ويعصمها بمقتضى سليقته الكامنة فى قرارتها حتى يصل بها الى مستوى سعادتها ويرقيها الى أوج سيادتها فاذا ما أشرق عليها هذا النور الذى هو مطلعه وعليها مداره تفتحت له عيونها وأقبلت عليه بكليتها فجنت ثمرته واستمرأت مذاقه ووجدت حلاوة الايمان به وحينئذ تتمسك به وتحرص عليه بأقصى قوتها حتى تحوز بذلك السعادتين : سعادة هذه الحياة الحاضرة ، والسعادة العظمى الخالدة التى هيئت لها وهى بها جديرة وهنا يحق لنا أن نشرع فى تفصيل ما أجملنا وتوضيح ما ذكرنا فنبين ما فى كلتا الطائفتين العقائد ، والاحكام من مظاهر عموم الرحمة بمسايرة الفطرة ، ليظهر أن من حرم نفسه من الانتفاع بها واجتناء ثمارها فهو كمن (يموت ظمآن وفى البحر فمه) .

العقائد : هذا القسم من الدين الحنيف يتضمن نوعين عظيمين :

الاول العقائد الالهية ويبين فيه ما يوجب الدين اعتقاده فى حق الاله جل جلاله من صفات الكمال والتنزيه عما لايليق بمقام الاله جل شأنه ومستند ذلك وأدلته من العقل الصحيح والنقل الصريح ووجه مجاراته لمقتضى الفطرة الانسانية وكيف اتفق الدين والعقل فى هذا الباب .

والثانى : العقائد النبوية — ويشرح فيه معنى النبوة والوحى وامكانه وكيفيته ومن هم الانبياء وما حججهم وآياتهم الدالة على وجوب صدقهم فى أنهم مبلغون عن ربهم وأنهم تجب طاعتهم فيما يأمرون ويجب تصديقهم فى كل مايخبرون به ، وأنه حقيقة ثابتة (وهذا قسم السمعيات) ومن أول ما يجب تحققه فيما يخبرون الا يناقض صريح حكم العقل ولا يكابر يقينا ثابتا ، فمحال أن يأتوا بما يناقض صريح حكم العقل فانهم بالعقل عرفوا ، عرفت نبوتهم فكان العقل أساس وجوب التصديق بهم والاذعان لحكمهم فلا يصح أن يهدموا أساسا بنى عليه أمرهم والا كانوا هادمين لبنائهم فانه متى اختل الاساس تقوض البناء :

يدعو الدين الاسلامى الى اعتقاد ان لهذا العالم خالقا واحدا وهو واجب الوجود ولايقبل العدم ، ولايحتاج الى شىء وليس كمثله شىء منزه عن كل نقص متصف بصفات الكمال التام والجلال العام فهو حى عليم قدير مدبر حكيم سميع بصير متكلم بكلامه القديم أرسل الرسل بالهدى ودين الحق ليرشد الناس ويخرجهم من الظلمات الى النور .

ولقد ترى جليا أن الاعتقاد بوجود اله لهذا العالم مهيمن عليه عليم بما يجرى فيه قدير على تصريفه حسب مشيئته غالب على أمره يصح أن يأمر فيجب طاعته ، وينهى فلا تجوز مخالفته ، هذا الاعتقاد يجب أن يكون سابقا على النظر فى شريعة بعينها : أصحيحة هى فيذعن لها أم غير صحيحة فيهمل أمرها .

أجل أنه لو لم يسبق الى نفسك الشعور بأن لك خالقا خلقك فسواك وأنعم عليك ورباك ثم تقوم الادلة على أن هذا الذى تشعر به حقيقة لاشك فيها وأمر ثابت لامناص منه ولا مفر ، وأنه اذ قدر على الانعام عليك فهو قادر على السلب منك ، واذ أنعم بالفضل فلا يؤمن منه البطش وأنك بين نعمته وبطشه عبد له وهو سيدك يصح أن يأمرك فيجب عليك أن تطيعه وينهاك فلا يجوز أن تخالفه وأنك بطاعته تستحق رضاه ، وبمعصيته تتعرض لغضبه وأنه مطلع على ما يكون منك وأنه بكل شىء عليم .

نقول : لو لم يسبق الى نفسك هذا الشعور يتلوه الاعتقاد الجازم الذى تتجلى معالمه وتظهر دلائله ما كان لك أن تفكر فى شريعة تجب طاعتها ودين يلزم الاذعان له فما كان لنفس أن تذعن الا لمن تعلم أنه غامرها بنعمته وقاهرها بقدرته فترجو نعمته وتخاف

عذابه من أجل هذا كانت الدعوة الى الشريعة مسبوقة أو مبدوءة بتوجيه النفوس الى الاعتراف بخالقها الذى تشعر به فى وجدانها وتقرير هذه القضية بدليلها وبرهانها .

ومن أجل ذلك ترى الكلام فى اثبات وجود خالق العالم وبيان استناد الى ماق الفطرة الانسانية فطرة الله التى فطر الناس عليها أمرا واجب التقديم على الكلام فى مفصلات الشريعة من عقائد وأحكام وان كان سينجلى لك أن الاصول العامة فى الجميع تساير الفطرة السليمة وتعانق العقل الصحيح .

استقرار الادلة فى فطرة الانسان :

ان الانسان بما ركب فيه من غريزة العقل وقوة التفكير لا يكاد يتجاوز درجات التمييز الأولى ، ويستعد للنظر الصحيح فيما يحيط به ويجرى أمامه من العوالم الثابتة والشئون المتجددة حتى يجد نفسه منساقا الى التساؤل فيما بينه وبين نفسه : ما أصل الوجود الذى أراه ؟ وما منشأ هذا العالم الذى أنا منه ؟ وما مصدر هذه التحولات والتقلبات ؟ شمس وقمر يجريان بحسبان . كواكب وأفلاك لا يختل لها ميزان . جبال ووهاد بحار وأنهار . نبات وحيوان ، وما فيها الا له نظام معلوم وقانون محكم لايختل ولايتحول. فهل هذه العوالم المختلفة ، والكائنات المتباينة التى استوفى كل منها أعظم درجات كماله الخاص فى نظرنا ، واتسمت فى مجموعها بهذا النظام البديع ، فتباينت فى أوضاعها وارتبطت فى جملتها ! هل هذا كله وجد من نفسه فلا صانع أوجده ؟ ولا يد أحكمت تدبيره ؟ أم هل هناك قوة أثرت فيه وأبرزته بعد أن دبرته و أحكمته ؟ فما هى هذه القوة ؟ . وكيف أهتدى لمعرفتها ؟

ولقد تركو هذه الفكرة فى النفس حينا ، وتخمد أحيانا .. ولكن المرء ـ بما هو عرضة له من مفاجأة آلامه ومشاهدة حوادث جسام تدهشه وتبهره ، يرى نفسه مضطرا الى معاودة الفكرة وارجاع النظر والعود الى تلك المسألة : ما أصل هذا الوجود وما منشأ هذه الخليقة وما مصدر هذا العالم ؟ وهكذا لايزال هذا التساؤل ديدن النفس حينا بعد حين .. لا فرق بين الفرد والمجموع ، حتى يرى هذا البحث لبعض النفوس لزاما ويصير شغلها الشاغل فلا تهدأ ولا تطمئن الا اذا تجلى لها الأمر واتضح أمامها سبيل الحق .

ومن هنا يتضح أنه كما أن العقل الذى يفكر به الانسان مركوز فى فطرته كذلك الدواعى التى تحفزه الى البحث والنظر مبثوثة فيما يحيط به مستمدة من تأثير نفسه بما يتصل بها وله علاقة بوجودها . فالأمران مما : العقل الذى به التفكير والبواعث التى تدعو الى النظر مركزان فى فطرتها متصلان أتم اتصال بوجودها . فاذا ما استعملت عقلها فى النظر على الوجه الصحيح السليم من الشوائب فتسير حيث يضىء لها السبيل وتقف حيث يزجرها العقل كانت بذلك متتبعة

لفطرتها مسايرة لغريزتها ، أما اذا لعبت بها الأهواء وتفرقت بها السبل فانحرف مزاجها والتوى منهاجها وفسد استنتاجها فانها تكون فاسدة الفطرة ، قد غلبتها شقوتها ، واستولت عليها شهوتها ، وذلك شر جناية منها على نفسها • ولنعد الى ذلك التساؤل لنصل الى جواب يطمئن له القلب وتذعن له النفس : هاهى أشياء أمامنا نراها وجدت بعد أن لم تكن ثم يلحقها الفناء والعدم كأشخاص النبات والحيوان ، وأشياء أخرى لم نشاهد أول نشأتها ولم نر حالة عدمها كالكواكب والأفلاك •• فما منشأ هذا كله ؟

ولنبدأ بما شاهدنا حدوثه بعد أن لم يكن نبحث حاله لنتبين منشأ وجوده •• أمن نفسه وجد ؟ أم وجوده من غيره ؟ ثم نعود الى القسم الثانى نبحث عما بينه وبين الأول من وجوه المشاركة والمخالفة لنرى أمشتركة كلها فى أنها محتاجة فى وجودها الى سواها ؟ أم يصح لها أو لشىء منها أن يعطى نفسه الوجود ، فنقول هذا الذى وجد بعد أن لم يكن قد وجد على أدق صنع وأبدع وجه فاشتمل على ما يكفل نموه ، ويحفظ شخصه من غوائل وعواد وعلى ما يحفظ نوعه بتجديد مواليده ، ولكل من هذه الأعمال التى يحتاج اليها فى حفظ شخصه ونوعه أجهزة هى غاية فى الاتقان تؤدى أعمالها بلا شعور منه ولا ارادة ، بل ولا دراية له بها حتى اذا كان من أهل الدراية فهو يبحث عن تفاصيلها فلا يصل بعد الجهد الا لمعرفة القليل منها وكلما ازداد تأملا فيها ازداد اعجابا بها واكبارا لها : فبديهة العقل قاضية فى مثل هذا أنها ليست من صنعه اذ كيف يصنع مالا دراية له به بعد وجوده ، وكيف وقد كان عدما صرفا فكيف يقدر حال عدمه على ايجاد مالا يستطيع استبقاءه بعد وجوده والاستبقاء أسهل من الايجاد ، وهو بعد الوجود أقوى بالبداهة منه حال العدم وكذلك لا يقبل أن هذا النظام والاحكام والاتقان الذى لا يختل له ميزان ، يكون قد وجد فى تلك الكائنات بلا موجد مع أن وجودها ليس مقتضى ذاتها والا لم يفارقها فلم يسبقه عدم ولم يلحقه عدم ، والمشاهد خلافه • والعقل يأبى كل الاباء أن يكون الوجود للمتقن المحكم نتيجة المصادفة الصرفة التى لم تسبق بعلم وارادة وتدبير ، فمحال أن تدخل فى عقل ساذج أن هذا القطار البخارى مثلا الذى يشاهد عجائب آثار ، قد وجد من نفسه بلا ايجاد ولا تأثير فكيف بهذه العوالم الحقية النامية • واذا بطل أنه وجد اتفاقا ومصادفة ، وبطل أنه حين كان معدوما منح نفسه هذا الوجود تعين بالبداهة أن وجوده قد جاءه من مؤثر له من القدرة على الابراز والايجاد ، ومن العلم والحكمة

والتدبير ما تشهد به آثاره وينطق به أحكام صنعته وهنا يجد المرء نفسه مضطرا الى الاذعان والاعتراف بأن لهذا الموجود خالقا أبرزه بعد أن حكم تدبيره ، واختار له أدق الانظمة ، وأبدع الكمالات التى تناسبه عن علم واسع الاحاطة وارادة كاملة .

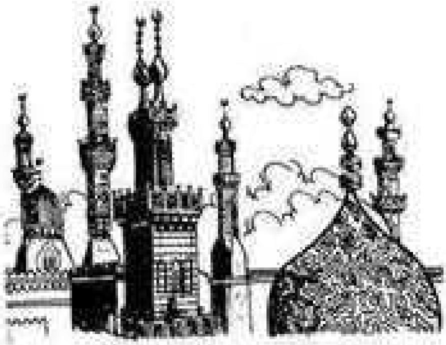
هذا طريق واضح المسالك نير الاعلام لا تجد النفس حيرة اذا سلكته ولا تعترضها عقبة يتعذر ويتعسر اجتيازها ، ولكن النفس البشرية واسعة المجال فى التفكير لا تترك فرضا محتملا الا نظرت فيه حتى تجد ما يصدها عنه ويرجعها الى النهج القويم والطريقة المثلى وان لكل فئة من الناس سلكا فى التفكير يخضع لما يحيط بها ويغلب على مشاعرها فمنها المعوج ومنها المستقيم ، لذلك كان العقل البشرى على ما فيه من هذا الشعور العام الذى شرحناه مختلف المشارب فى تحديد وفهم معنى الخالق الذى يشعر به ولا يراه ، ولكنه مهما اختلف فانه يغلب عليه مبدأ واحد وهو ارجاعه هذه القوة العظمى الى أعظم وأقوى ما يقع عليه حسه وتشاهده خضوعا منه للحس الذى كان أول منفذ لمداركه فترى فئة تتمثل هذه القوة فى الكواكب ، وفئة تزعمها فى حيوان هو أقوى أو أعظم أو أنفع ما رأت ، وفئة تنصب لها تمثالا من صنع يدها تتمثل فيه جلالها والكل يحاول أمرا واحدا هو أن يقرب الى فهمه تلك القوة التى يذعن لها الاذعان الخفى فهو يحاول رؤيتها ولمسها لتطمئن نفسه من حيرتها وترى من الناس فريقا يقول : ان هذه القوة التى نشأ عنها هذا الكون ليست سوى استعدادات كامنة فى مادة الاشياء التى لا تفنى ولا تنعدم .

وقد نسى الفريق الاول ما فى تلك الكائنات التى ظنها المثل الاعلى فى القوة من مظاهر النقص ودلائل الحدوث ، وعلامات الحدوث وعلامات الاحتياج والتعرض للفناء .

وذهل الفريق الثانى عن المادة التى زعمها مركز القوة لا شعور بها ولا ادراك حتى تنظم وتحكم ولا قدرة لها حتى تؤثر وتصنع فهى منفعلة متأثرة دائما أبدا لا فاعلة ولا مؤثرة ثم هى متشابهة الاجزاء فى أصلها قابلة لكل صورة تفاض عليها فلابد لهذا التقسيم والتصوير من مهيمن ذى سلطان قوى واسع وحكمة بالغة وقد قدمنا لك أن العقل لا يقبل ان يكون الصنع المتقن نتيجة المصادفة التى لم تسبق بعلم ولا تدبير هذا اذا نظرنا الى الاشياء التى شاهدنا حدوثها بعد عدمها : فاذا انتقلنا الى الاشياء التى لم نشاهد حدوثها كالكواكب والافلاك وكالمادة التى قالوا فيها : انها لا تفنى ولا تنعدم على ما زعموا تجدها تشارك تلك الاشياء التى شوهد حدوثها فى دليل الحدوث ذلك انها متميزة فى أحيازها تنتقل منها الى أحياز أخرى بحركة متتالية ، والحركة لا شك فى حدوثها فهى وضع مسبوق بوضع آخر ، والاوضاع التى كل واحد منها حادث هى حادثة بالضرورة ، واذا كانت تلك

كائنات متلبسة دائما بحركة حادثة مسبوقة بالعدم ولا يمكن أن تخلو عن الحادث المسبوق بالعدم فهى مسبوقة بالعدم البتة فهى حادثة ضرورة ، واذا فرض أن شيئا منها ساكن أى مختص بحيز لا يفارقه فانه بلا شك قابل لان يأخذ حيزا آخر ويتحرك اليه اذ لا فرق بين حيز وحيز وما أمكن زواله استحال أن يكون قديما فالكل حادث فلابد له من موجد ليس من جنس هذا العالم وليس كمثله شىء وهناك طريق آخر لا بأس بالالمام به بايجاز وهو يحتاج الى مقدمة بسيطة اصطلحوا على أن يبدأوا بها هذه المباحث وهى أن العقل اذا نظر الى أى شىء يتصوره ويخطر بباله ونسب الوجود اليه فانه لا يعدو أن يكون واحدا من ثلاثة أشياء : الواجب . والجائز . والمستحيل .

فالواجب هو مالا يقبل العدم فى نظر العقل . والمستحيل مالا يقبل الوجود . والجائز ما يصح عند العقل ان يوجد ويصح أن يعدم وقد يسمى الجائز بالممكن فيقال الواجب ما كان وجوده مقتضى ذاته لازما لها لا ينفك عنها ولا تحتاج الذات فى وجودها الى غيرها والمستحيل ما كان عدمه مقتضى ذاته كذلك ، والممكن مالا مقتضى ذاته وجودا ولا عدما فهو اذا وجد فوجوده من غيره . واذا عدم فلان غيره لم يوجده . فأما المستحيل فلا صلة له بالوجود ولا سبيل له اليه .وأما الممكن فهاهو ذا نراه ونعلم امكانه اما بتعاقب الوجود أو العدم عليه . واما باحتياجه الى حيز يحويه



أو ينتقل فيه ، والى قوة تحركه أو تبقيه ، والى ما يخصصه بحدوده ونهاياته وأشكاله . وأوضاعه ، ولما كان الممكن لا وجود له من ذاته وهو محتاج فى وجوده الى غيره ليفيض عليه الوجود وما يتبع الوجود من كمال ، كان وجود تلك الممكنات دليلا على أن هناك موجودا لا يحتاج الى شىء ويحتاج اليه كل شىء فوجوده من ذاته وهو يفيض الوجود على غيره ، وذلك هو واجب الوجود وبه تنقطع سلسلة الاحتياج الشاملة لجميع الممكنات ويجب أن يكون من صفاته الغنى المطلق عن كل شىء واستيفاء الكمال فى جميع صفات الوجود فيجب ان يكون هو الحى العليم القدير الحكيم .

هذا وقد يخطر بالبال أن هذه النبذة وما سبقها نبذة فنية وسياق الكلام فى تقرير ان هذا دين الفطرة ، والفطرة أمر عام لا يختص بأهل فن وعلم فنقول : نعم حق ما تقول وما جرنا اليه الا تتبع نزعات لبعض النفوس ونزوات للاهواء لنقضى عليها بلسانها ونردها الى رشدها ونرجعها الى فطرتها ، ببيان أن ما تطوحت اليه وتورطت فيه طريق مسدود

ومسلك لا يوصل وان الجادة المثلى هي في الرجوع الى أبسط قضايا العقل وتأييد الشعور الصادق في النفس وضبطها عن الهرج والمرج وردها الى طريق ليس بذي عوج ذلك هو ما سلكه القرآن الكريم ودعا اليه النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم .

فقد دعا الناس الى النظر السليم بالفكر النير يقرب البعيد ويضيء المظلم ويحل المشكل وأرشده الى أدلة ناصعة وبراهين قاطعة تضيء السبيل وتشفي الغليل لا يحتاج الناظر فيها الى التبحر في صناعة علمية أو ثقافة أدبية بل يكفيه أن يكون من أهل العقل والتمييز فهي كالشمس يستضيء بها العالم والجاهل وكالهواء النقي ينتفع باستنشاقه السليم والمريض وكالماء الزلال يروى كل غلة وكالدواء الشافي يبرىء كل علة اذا سمعه الساذج استفاد منه واذا تأمله الحكيم اهتدى بنوره فزالت عنه كل شبهة وأنقذ من كل ضلالة وحيرة مع سهولة فهم وقرب متناول ، يؤيد الشعور الصادق ، ويقرر الحق الواضح ويزيل الزيغ والريب حتى يبقى اليقين نقيا صافيا ولنسق لك بعض آيات الكتاب الكريم في ذلك قال الله تعالى : (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ • وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ • وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) [من سورة الذاريات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢] .

(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ . أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) [من سورة الواقعة ٥٨ ، ٥٩] لو كنتم تخلقونه لعلمتم تركيبه وتفصيل أجزائه ووظائف أعضائه ومسالك أعصابه ومسالك أعصابه بل لتخيرتم لنسلكم أبدع مايكون ، أو على الاقل لتخيرتم ما تحبون من أن يكون النسل ذكرا أو أنثى .

(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) [سورة الواقعة ٦٣ ، ٦٤] .

فهل تعلمون كيفية امتصاصه غذاءه ومسالك الحياة . وطرق النماء فيه (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) [السجدة ٢٧] (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) [الشعراء ٨] (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) [الرعد ٤] .

وهل يوجد أدل على رد مزاعم الماديين مما اشتملت عليه هذه الآية على وضوح دلائلها وقرب تناولها للفهم وكذلك قوله جل شأنه



(فلينظر الإنسان إلى طعامه • أنا صببنا الماء صبا – ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا • وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم) [عبس الآيات ٢٤ ومابعدها لغاية ٣٢] •

ويقول فى شرح أطوار خلق الانسان

(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين – ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين – ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) [المؤمنون ١٢ ، ١٣ ، ١٤] •

فأى هدى وارشاد وهو أصدق وأثبت مما تنتزعه من قرارة نفسك وتأخذه من متناول حسك ويحيط بك من كل نواحي وجودك ولقد أشار القرآن الكريم الى أن هذا الشعور كامن فى النفس بقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) [الزخرف : ٨٧] •

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) [الزخرف آية ٩] •

ومن هنا أن الدعوة الى الشريعة جاءت من ناحية الشعور الصادق تعززه وتهديه والوجدان الكامن تثيره ثم تشرحه وتوضحه وتقيم البراهين بما تعرفه النفس وينالة الحس ثم تزيل الشبه وتنزه عن النقائص حتى يستقر الايمان فى النفس وتذوق حلاوته ، ثم تدعو الى عبادة وتمجيد من له العظمة والقدرة وكل ذلك فى آيات بينة . وحجج واضحة كان من حق العقل لولا ما يحيط به من عوامل وظروف يؤثر عليه من نزعات ونزوات أن يهتدى اليها بفطرته ويستجليها بقريحته . وفعلا كان ذلك لبعض من استنارت بصائرهم وصفت ضمائرهم أما العامة فهم بحاجة الى هاد منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم •

أفليس فى هذا مقنع بأن الدين الاسلامى جاء فى اثبات الخالق بما يوافق الفطرة السليمة ويقرر ما يقتضيه النظر الصحيح ويهدى العقل اذا ضل حتى تذعن النفس ويطمئن القلب (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) [سورة ق ٣٧] •

الشيخ أحمد حسن جابر رجب

طرائف

حقاً

من نظر الى الطبيعة بعين «البصيرة» كان له فى كل نظرة عبرة ، ومن سمع سماع .. وعى » : كان له فى كل صوت فكرة .

نصيحة

اذا اشتد بك كرب ، فعليك بقول : « لا حول ولاَ قُوة الا بالله » فانها كنز من كنوز الجنة .

وأكثِرْ من قولك :

« لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين » .

فانها دعاء مكروب أنجاه الله ، قالها نبى الله يونس ، اذ التقمه الحوت ، قال تعالى : (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِى الْمُؤْمِنِينَ) .

أربع خصال

اذا غلب على الرجل اربع خصال فقد عطب : الرغبة ، والرهبة ، والشهوة ، والغضب .

إن جاءكم فاسقٌ بنبأ

من لطيف حكمة الله تعالى فى النميمة لِما فيها من شؤم ، واستطارة شر ،ولعموم مضرتها حكم بفسق النمام حتى لا يقبل له قول فيستريح الخلق من شره .

قالوا

* من مدح رجلا بما ليس فيه فقد بالغ فى ذمه .
* اعط من دونك ما تحب ان يعطيك من فوقك .
* احذر ان تجلس مجلسا لا تذكر الله فيه ولا تصلى على النبى — صلى الله عليه وسلم — .
* من بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية مايكره .
* من حسن الجوار الصبر على الأذى .
* ما كرهت أن يراه الناس منك ، فلا تفعله بنفسك اذا خلوت « فان الله يكره اذا خلوت بحرماته أن تنتهكها » .
* جوهر رسالة الاسلام أمران : كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة « الصف » .

ومواقف

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من شــروط الإيمان

توكل المؤمن شرط فى إيمانه ، ومتى انتفى الشرط انتفى المشروط ، فمن لا توكل له على ربه لا إيمان له به .. قال تعالى : « وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ » .

أنا أول من يصحبك

روى أن حكيما سمع رجلا يذم الزمان وأهله ، ويرمى الناس ــ بالفساد واجتناب حسن الصحبة .

فقال له : يا هذا أنت طلبت صاحبا تؤذيه فلا ينتصر ، وتنال منه فلا ينتصف ، وتأكل رحله ولا يرزؤك بشىء ، وتجفو عليه فيحلم ، فلم تنصف فى الطلب ، فلم تجد حاجتك .

ولكن أنا أردت صاحبا يؤذيك فلا تنتصر ، ويجفوك فلا تنتقم ، ويأكل رحْلك فلا تنال منه شيئا ، وجدت أصحابا وإخوانا وخلانا وأنا أول من يصحبك .

أفضل الألوان

سئل بعض الأعراب عن ألوان الثياب فقال : الصفرة أشكل ، والحمرة أجمل والخضرة أنبل ، والسواد أهول،والبياض أفضل .

لم أر

ولم أر فى الخطوب أشد وقعا
واعظم من معاداة الرجال
ولم أر فى عيوب الناس شيئا
كنقص القادرين على الكمال

دعاء

يا عالم السر منا لا تكشف الستر عنا ، عافنا واعف عنا ، وكن لنا حيث كنا .

موكب الذكريات

« موكب الذكريات » عنوان لمجموعة من القصائد الشعرية ، يضمها بين دفتيه ديوان بلغ ٢١٣ صفحة من القطع المتوسط ، وصدر عن دار المعارف بالقاهرة .

وعنوان الديوان هو نفس عنوان قصيدة طويلة فى هذه المجموعة بلغت (٩٧) بيتا . ولكن محتوى الديوان فى أغلبه يتطابق مع هذا العنوان ، فالقصائد صدى لمناسبات عاشها الشاعر ، وتركت فى وجدانه أثرا ، ومن ثم أصبحت هذه القصائد بمناسباتها ذكريات أجازت له أن يطلق عليها هذا العنوان حين أراد نشرها فى ديوان مجموع .

وذكريات الشاعر فى ديوانه ذكريات قديمة وحديثة ، وهى تتنوع بين ذكريات المناسبات الدينية ، وذكريات السياسة فى السلم والحرب ، ثم ذكريات الوجدان الشخصى الخالص .

ففى جانب الذكريات الدينية نجد قصائد تحمل هذه العناوين : كعبة الله — المعجزة الباقية — باب الرسول — ياعظيم الأنبياء — سيد العرب — يثرب — فى ذكرى مولد المسيح عليه السلام .

ومن القصائد المتصلة بجانب السياسة وما جاء تحت عنوان : **بنى النيل — نشيد الحب — سلام الحب يا سادات — ذكرى العبور فى رمضان — نصر رمضان — بعد الصراع الرهيب — السلام العادل .**

ثم يأتى الجانب الثالث ، أعنى جانب الوجدان الخالص ، وفيه يدخل ما تبقى من قصائد الديوان ، والوجدان هنا فيه الحب ، وفيه المدح والرثاء وفيه التأمل فى بعض جوانب الحياة ، ومن العناوين هنا : متى يعود الحب — أيكة الشعراء — الى قبره — ذكرى ميلاد العقاد — نواح السواقى — تحية خليل مطران .. الخ .

وقد أحسن الشاعر صنعا ، اذ أنه الى جانب هذه العناوين التى وضعها لكل قصيدة ، كتب أيضا المناسبة والتاريخ ، وهذا شىء حسن ، يفيد منه الدارسون ، ويفيد فى رصد تطور الفن الشعرى لدى الشاعر .

بقى أن نشير الى أن الشاعر ختم مجموعة قصائده بقصيدة ليست من شعره ، وانما هى قصيدة للشاعر عامر بحيرى أهداها

عرض ونقد

الأستاذ الدكتور طه مصطفى أبو كريشة

عميد اللغة العربية ـ جامعة الأزهر

لصاحب الديوان مُثريا ومقرظا موهبته الشعرية ، وكنا نفضل أن لا يلحقها بديوانه ، ويلتقى بوجودها فى آثار صاحبها .. وهذه هى القصيدة هى التى جاءت تحت عنوان (الربيع الدائم).

ومن نماذج الشعر الدينى قول الشاعر فى قصيدته (كعبة الله) :

كعبـــة اللــه هـا هنـــا
وهنا حوضـــــه الاجـــل
قـــد اطفنـــا بركنهـــا
ولثمنـــــاه فى وجـــل
حجـــــر انت اســـود
مشـــرق يعشـــق القبـــل
فيـــك مـــا يأسر النفـــو
س ومـــا يجـــذب المقـــل
فيـــك ســـر مجنـــح
مـــن قـــديم ولم يـــزل
وكفـــى أن (احمـــدا)
طـــاف بالركـــن واقتبـــل

ومن قصيدة بعنوان (باب الرسول) يقول :

وقفت بالبـــاب ذليـــلا ومـــا
يفتح الا للفـــــؤاد الذليـــــل
أقبـــّل الارض وياحبـــــذا
لثم غبـــار منـــه تحيـــا العقول
والـــزم الصـــمت وفى خافقى
تسمو الاهازيج بمدح الرســـول
انت هنـــا يا ســـيدى ماثل
وافرحتـــاه ، لو لقانا يطـــول

وفى جانب السياسة يحتل نصرنا فى العاشر من رمضان على اسرائيل أكثر من قصـيدة جاء فى واحدة منها بعنوان (نصر رمضان :

الله واكبر هـــذا مـــوقف عجب
الله اكبر قالوها وقـــد وثبـــوا
اللـــه أكبـــر قـــد قيلت بكل فـــم
فحصحص الحق والأعـداء قـد هربوا
هز العدو دعـــاء صـــك مسـمعه
نـــادى به اللـــه والقـــرآن والكتب
لمـــا تعـــالى نـداء الحـق بينهم
خلوا السلاح وطاروا فى الدجى ذهبـوا

وفى أخرى بعنوان (ذكرى العبور فى رمضـــان) يقـــول :

موكب الذكريات

رمضـــان اقبـل بالضــياء
بالخـير موفور العطــاء
قــرآنه هبـــة السماء
وافى لـــزين الأنبيـــاء
والنصر فى يـــوم العبـــور
قــد جـاء فياض الســرور
وبــه تقضى اللــه القــدير
ان ينتهى عهـــد الغــرور

أما نماذج الجانب الثالث المتنوع ، فمنها (موكب الذكريات) :

روضة الشعر كيف ازهارك اليــو
م وكيف الطيــور فى عـــذباتك
كيف حال البحيرة الضحلة المـــا
ء وكيف النخيــل فى جنبـــاتك
كيف دوحاتك البواســـق اسدلـ
ـنَ شـــعورًا وكيف حال مُهاتك
تمتطى الفلك فى البحـــيرة جذلى
وتشـم العبـير من زهــراتك
تبعث الشجو فى الفؤاد بمجـــدا
فِ اذا صـــانع البحـيرة رتّـل
وتغنى فينصت الطـــير فى الدّوْ
ح ويســبى الغنـاء ارخم بلبل
زهرة الروض فى الأصــيل وفى
الفجر وريحــانة الفؤاد المبلبل
طالما صغت فى هواك قصـــيدا
زاهيــا كالورود بل هو اجمــل

وفى قصيدة أخرى بعنوان (نشـــوة الالحــان) يقــول :

يا فتى الشـــعر يا بعيد الأمـــانى
طر عن الأرض واعتصـــم بالغمام
لا ترم نصـــفة من الناس واهــدأ
ان مـــا ترتجيه فوق المـــرام
داعب اللحن فى ضـمرك وابعث
علـوى الأنغـام للأنســـام
بعض هذه الأنغام يسرى الى الرو
ح رخـــاء وبعضـــها كالضراء
ولفيف يشـــع نورا مع اللّيــ
ل ويأتى مع الضـــحى بظـلام
وفـريق يروى حديث الليـــالى
فى قطـوب مستطح وابتســـام

وواضح من هذه النماذج التي سقناها ان الشاعر يؤثر الألفاظ الواضحة السلســة ، وينأى عن الغريب النافــر منها ، ومن هنـــا نقول انه ينتقي ألفاظه انتقاء ويختارها اختيارا يتوافــر فيــه الــوقع الحسن على الأذن والشعور ، فى موســيقية هادئة لا تعــرف الصخب والضجيج ، وان كان ذلك لا يصدق عــلى بعض الالفــاظ التى تسربت الى بعض القصائد مع أنها أصبحت قليلة الاســـتعمال بعد أن بعدت عنها بيئتنا ، ومن ذلك كلمـــة (الطنب) التى جاءت فى قصيدته (تحية الهند : ،

مصر والهنـــد امتان ســـما
فيهمــــا الحب شـامخ الطنب

ومع بعد الكلمة عن البيئة الحاضرة ، فان (الطنب) لا توصف بالشموخ وانما توصف بالقوة والاحكام والثبات عند شد الخيام بهـا .

كذلك فقـــد رأينا الى جانب ذلك تسرب بعض الألفاظ التى تجرى على ألسنة العامة ،

ولا يستعملها الخاصة فى تآليفهم الأدبى ، ومن ذلك كلمة (خلى) بمعنى ترك ، وقد استعملها الشاعر فى قوله ، من قصيدة **(نصر رمضان) :**

لما تعالى نداء الحق بينهم
خلوا السلاح وطاروا فى الدجى ذهبوا

وأسلوب الشاعر فى معظم قصائده أسلوب مباشر سهل ، بعيد عن الغموض والالتواء والتعقيد ، دون جرى وراء تهويمات الخيال وصوره المفتعلة المتكلفة ، وتكثر صور البيان فى قصائده التى صاغها تعبيرا عن مشاعر وجدانية خالصة ، أما غيرها فقد قلت فيها هذه الصور ، والسبب فى ذلك واضح ، لأن القصائد التى تتصل بالمناسبات أقرب الى التقرير ، وأكثر التزاما بالحقائق المجردة ، أما شعر الوجدان الخالص ففيه اتساع للخيال المحلق ، مع الشعور المتدفق والعواطف المشبوبة اليقظة .

أما معانى الشاعر وأفكاره فانها قريبة الغور ، ليس فيها العمق السحيق ، وليست فيها السطحية المنظورة المتكشفة ، ومع هذا القرب المستور ، نرى المعانى تتوالى فى نسق منظوم ، فيه التلاحم والترابط ، وفيه التآخى والتلاؤم ، وقد أعان الشاعر على ذلك وحدة الموضوع فى كل قصيدة ، هذا الى جانب قصر حبل هذه القصائد وعدم امتدادها امتدادا يخل بوحدتها ، أو يوهن شيئا من عرى الوصل بين أجزائها .

وقد عاش الشاعر فى شعره بعاطفة متدفقة ، واحساس يقظ لا جمود فيه ولا فتور ، ولم تتخل عنه تلك العاطفة ، ولا هذا الاحساس الا فى النذر اليسير من قصائد نحس أنه أكره نفسه على صياغتها اكراها ، ومن ثم لا نحس منها هذا التجاوب الروحى بيننا وبين الشاعر ، فالتجاوب يسوقه الصدق ، ويحدوه عدم التكلف والافتعال .

ونحمد للشاعر فى ختام هذا العرض التزامه بموسيقى الشعر العمودى الذى يستصحب ميراثنا فى الوزن والقافية وفى سبيل هذا الالتزام عزف الشاعر فى ديوانه عن تقديم نماذج تجرى على نظام الشعر الحر ، ولم يكن الشاعر جامدا فى هذا الاتجاه ، فقد حاول فى بعض قصائد الديوان أن يكسر ملل النغم الرتيب الذى قد ينجم مع الاستمرار على قافية واحدة ، ومن أجل ذلك لجأ الى تنويع القافية فى هذه القصائد مع التزام تفاعيل البحور والأوزان ، وقد جرى فى ذلك على سنة المجددين المعتدلين فى لشعر الحديث .

وبعد فهذه عجالة سريعة عن الديوان ، فيها شىء من الوصف والتعريف لمن يكتفى بذلك ، لكنها لا تغنى بحال عن الرجوع اليه .

د . طه أبو كريشة

من نوادر مخطوطات مكتبة

الاستدراك النضير على الجامع الصغير

للعلامة
أحمد بن محمد بن أحمد
شهاب الدين المتبولى
الانصارى

هو شرح للعلامة الشيخ أحمد بن محمد ابن أحمد بن عثمان شهاب الدين المتبولى الانصارى الشافعى المصرى الامام المؤلف المحرر المتقن من علماء أواخر القرن العاشر الهجرى ، على الجامع الصغير ـ للجلال السيوطى .

قال القوصونى : هو بركة المسلمين ، ومفيد الطالبين ، شيخنا ، كان ورعا متواضعا ، يجلس للوعظ بالمدرسة المؤيدية ، وكان لا يسمع أصلا ، وكنا نكتب له ما نسأله عنه ، أخذ عن جماعة منهم الشيخ زكريا الانصارى .

وله من المؤلفات : شرح على الجامع الصغير وهو شرح مفيد جامع ومنه كان يستمد الشيخ عبد الرءوف المناوى فى شروحه ، وله مقدمة قبل الشرح المذكور تشتمل على أربعة وعشرين علما .

ولقد منح الله جلال الدين السيوطى بسطة فى العلم ، كذلك منح الله أيضا بعض كتبه شهرة عمت الدنيا وصارت بها فى الآفاق ، ومن الكتب التى كتب الله لها الخلود معجمة فى الحديث : « الجامع الصغير » .

ويمكن أن نقول : ان من أسباب شهرته واحتفاء الناس به ، ذلك الترتيب الذى ابتدعه

الأزهر

الأستاذ محمد عميرة على

السيوطى فيه ، وهو ترتيب ما جمع فيه من الاحاديث على حروف المعجم ، فالسيوطى أول من ابتدع ذلك فى علم الحديث على ما نعلم .
والجامع الصغير مختصر من الجامع الكبير للسيوطى ، ويقول بعض شراحه : « ان السيوطى لم يسبق الى مثاله ، ولم ينسج على منواله ، وانه قد اشتهر ، وعم نفعه وانتشر ، واشتغل به أهل العلم فى مصر والشام والروم واليمن والهند والسودان والحجاز » .

وقد بعثت شهرة الكتاب كثيرا من العلماء الى شرحه ، فشرحه كثيرون شروحا مطولة أو مختصرة ، وأول من انتدب لذلك تلميذ السيوطى العلامة شمس الدين العلقمى أحد العلماء المبرزين بالجامع الازهر ، المتوفى سنة ٩٢٩ هـ ، فشرحه فى مجلدين وسماه « **الكوكب المنير** » ثم قفاه العلامة الشيخ محمد المتبولى الانصارى وشرحه فى كتاب سماه « الاستدراك النضير ، على الجامع الصغير » .

وهذا الكتاب هو موضوع كلامنا ، وقد دعا المؤلف الى شرحه ما رآه فى الجامع الصغير « من ايجاز ، هو كالألغاز » ثم ما رآه فى شرح العلقمى من « أنه ترك أشياء كثيرة لم يوضحها وأحاديث منيرة لم يشرحها ، وأتى بمسائل يتعقب عليه فيها ، واستدل فى مواضع بدلائل لم يحكم مبانيها ، فاحتاج كتابه الى استدراكات والتعقيب عليه بواضح النكات ، والاتيان بما أخل به من شرح الاحاديث المنيرات » « وقد سأله جماعة من أهل العلم أن يعلق عليه تعليقا شريفا صحيحا واضحا ، لا بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ، مستدركا على المؤلف والشارح — رحمهما الله — مايحتاج الى الاستدراك والبيان » ومن هذا يتضح عنوان الكتاب .

وقد وجد الجزء الاول من هذا الشرح بمكتبة العلامة الشيخ مصطفى بن محمد بن أحمد ابن موسى بن داود العروسى شيخ الجامع الازهر المهداه الى المكتبة الازهرية ، وقد جعله المؤلف مقدمة لشرحه « تشتمل على علوم الحديث التى لا يستغنى الطالب عنها » .

وقد نهج فى هذا نهج شراح كتب الحديث فى تقديم مقدمة فى علوم الحديث ، تعين الدارسين على فهم المصطلحات الحديثة التى ترد فى الشرح ، من بيان حال الاحاديث وحال الاسانيد والمسندين وما يتصل بذلك ، كما فعل الحافظ ابن حجر فى شرحه لصحيح البخارى ، حيث قدم له بمقدمته المشهورة . « هدى السارى ، الى شرح صحيح البخارى » .

وأول ما نلاحظه على هذه المقدمة أنها من أجمع ما رأينا فى علوم الحديث ولا نبالغ اذا قلنا : انها موسوعة كاملة تدل على رسوخ قدمه ووفرة اطلاعه ، وتمكنه فى هذه العلوم .. وقد ◄

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

جمع فيها خلاصة ما كتبه قبله أئمة هــذا الفن الى ما أضافه هو اليها .. وحسبنا في الدلالة على ما نقول أن المقدمة تقع في (٨٢٤) صفحة تحتوى على (١٢١) بحثا في بيان حال الاحاديث والمحدثين وما يتعلق بكل منهما ، كما ذكر ترجمة كل صحابى ورد ذكره في الجامع الصغير ، وكم له في الكتاب من حديث صحيح أو حسـن أو ضعيف ، ثم ترجمة كل تابعى فمن بعده كذلك على سبيل الاختصار ، وختمها بتراجم الحفاظ الذين ذكرهم السيوطى ، وكم لكل حـافظ في الكتاب من حديث .

ونلاحظ **ثانيا** قوة أسلوب المؤلف وروحـه الادبية في تآليفه ، ولقد استطاع أن يجمـع في خطبته كثيرا من مصطلحات علوم الحـديث كبراعة استهلال ، فقال : الحمد لله شـارح صدور أهل السنة بتصحيح ضـعيف قلوبهم الحسان ، وفاتح معضلات المشكلات بمرسل ادرج ، وواصل المقطوعين بعلو مقـداره الى حضرات الاحسان ، ومانع من القطع اليه ، ووقف بين يديه وأسند أموره اليه ، وتعلق به وتوكل عليه .. واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ،، شهادة من جعله الله من أهـل التقوى والصواب ، وحفظه من المنكر والتدليس والخطأ والاضطراب ، والشـذوذ ، والتدبيج والغلط والارتيـاب والكذب والتحـريف والتصحيف والنسيان ، واشهد أن سيدنا محمدا صاحب المعجزات الزاكيات والقـرآن ، نبى قوى الله به متن الايمان ، ورفع الله بيعثـه الاسلام ووضع الكفران ، نبى طعن الأعـداء وجرحهم باللسان والحسام والسنان ... أما بعد فان علم الحديث الشريف قد نطقت بشرفه ومحامده شواهد القول وتهذبت بفضله وطيب موارده بصائر العقول ... ألخ .

والجزء الموجود من الكتاب بالمكتبة الأزهرية هو المقدمة ، وقد فرغ المؤلف من تسـويدها بمكة سنة ٩٩١ هـ ، ومن تبييضها بمصر سـنة ٩٩٣ هـ ، والنسخة الموجودة منه وهى نسـخة المكتبة كتبت سنة ٩٩٣ هـ أيضا بعد نسـخة المؤلف بنحو ستة أشهر ، ولعلها أخـذت من نسخة المؤلف ، وهى بخط على بن عبد الكريم العمرى السمنودى ، وتقـع في ٤١٢ ورقة ، وعدد سطور صفحاتها بين ٢٤ ـــ ٢٦ سطرا ، وعدد كلمات كل سطر بين ١٥ ـــ ٢٠ كلمـة ، وورقها جيد ، وخطها واضح يقرأ في يسر ، وبها شطب واصلاح بالصلب والهامش وعلى هوامشها استدراكات وتعليقات لغوية وحديثية وتاريخية وبآخرها مقابلة هـذا نصها بخط المؤلف :

« المقابلة مع الأخ الصالح الفاضل العلامة بقية السلف وبركة الخلف : الشيخ نور الدين على العمرى السمنودى ، نفعنا الله ببركاته وبركات سلفه الكريم في يوم الأربعـاء قبل ظهر ثانى عشر ربيع الآخر عام أربع وتسعين وتسعمائة . كتبه أحمد المتبولى عفا الله عنه » وقد أثبت مثل هذه المقابلة أثنـاء الكتـاب في مواضع عدة بخط المؤلف أيضا .

ويقول فضيلة الأسـتاذ أبو الوفا المراغى رحمه الله في أحـد أبحـاثه : « أنه عثر على الجزء الأول من الشرح والذى يعتبر الجـزء الثانى اذا اعتبرنا المقـدمة هى الجزء الأول

بمكتبة طلعت بدار الكتب برقم ٥٩٧ حديث ، وهي بخط العمري ناسخ الجزء الأول ، وقد فرغ من كتابته سنة ٩٩٨ هـ ، وبآخره مقابلة واجازة من المؤلف الى الناسخ المذكور في عدة مجالس ، ويقع في ٤٥٣ ورقة ، وعدد سطوره ٢٥ سطرا ، وبهامشه تقييدات ، وقد تصفحه فوجد أن المؤلف استغرقه كله في شرح البسملة والخطبة ، وقد استطرد فيه المؤلف الى أكثر العلوم المعروفة ، ولخص أكثر مسائلهـــا ، واستغرق في شرح البسملة فقط (٢٠٥) ورقات منه واستغرق الباقي في شرح الخطبة ، والجزء الثالث بمكتبة باريس بعنوان «المصباح البارع المنير ، والمفتاح للجامع الصغير » ، ولعل اختلاف العنوان من تصرف المترجمين ، وقد فرغ من نسخه سنة ١٠٠٠ هـ ، ويقع في ٤١٣ ورقة ، وسطور صفحاته ٢٥ سطرا ، وذكر فهرس مكتبة باريس أنه ابتداء بحرف الهمزة ، ولم يذكر أكثر من ذلك ، فلا نعلم ما انتهى اليه من الشرح ، وقد أشار « بروكلمان » اليه في فهرسه اشارة موجزة يظهر أنه استمدها من كشف الظنون ، حيث لم يشر الى مكان الكتاب ولا مكان أجزائه على غير عادته فيما يعرض له من الكتب » .

ونحن لم نطلع على الشرح فنستطيع أن نحكم عليه حكما صحيحا بالنسبة لشروح الجامع الصغير ، ولا بالنسبة لشروح الحديث عامة ، واذا صح قياس المادة العلمية للشرح على ما في المقدمة ، كان الشرح مؤلفا له مكانه كتب الحديث الجامعة .

وان هذه الأجزاء المتفرقة لنسخة واحدة من الكتاب وزعتها أيدي القدر ، فخصت مكتبة الأزهر بالجزء الأول وهو المقدمة ، ومكتبة طلعت بدار الكتب بالثاني ، ومكتبة باريس بالثالث ، وهـــو أول الشرح ، ولا نعلم أين استقرت بقية الأجزاء . وعسى أن تجمع الأيام ما تشتت من شمله . على أننا نشك في أن يكون المؤلف قد استكمله ، لأنا نلاحظ أن المؤلف كان يستغرق في تأليف كل جزء مدة تتردد بين سنتين الى خمس سنين ، وهذا يتضـــح من تاريخ الأجزاء الثلاثة ، فاذا كان قد بلغ في تأليف الجزء الثالث نحو ربع الكتـــاب ، فان شرح الكتاب جميعه كان يستغرق نحو ثماني سنين أخرى ، لكن المؤلف توفي سنة ١٠٠٣ هـ أي بعد الفراغ من الجزء الثالث بثلاث سنين، فأغلب الظن أنه لم يتمه ، وقد تشكك هـو في امكان اتمامه لطول العمل فيه ، فقال في خطبته : وأرجو ان تم هذا الشرح أن يستغنى عنه من يكون مثلي بضاعته مزجاة » .

وقصدنا في هذا انارة الطريق وتوضيح السبيل بالكتابة عن نوادر المخطـوطات بمكتبة الأزهـــر لكل من أراد البحث والاســـتقراء وتتبع ما هـــو نفيس وغال وما تحويه المكتبة من تراث اسلامي نادر أفنى فيه علماء المسلمين أعمـارهم يريدون بذلك أن يقدموا زادا للنفـوس والعقول ليصلوا القـديم بالحـديث . جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

محمد عمرة علي
مدير مكتبة الأزهر

مع رسالة جامعية

"النحو والنحاة"

* الرسالة التى بين ايدينا بعنوان « النحو والنحاة فى القرنين الاول والثانى الهجريين » تقدم بها السيد / المهدى ابراهيم عبد العال المعيد بكلية اللغة العربية بالمنصورة لقسم اللغويات بكلية اللغة العربية جامعة الازهر بالقاهرة للحصول على درجة « الماجستير » .

ناقش الرسالة بقاعة الشيخ حمروش صباح آخر أيام ذى الحجة ١٤٠٢ الأساتذة :

الدكتور / طه محمد حسن الزينى رئيس قسم اللغويات بكلية اللغة العربية .

الدكتور / غريب عبد المجيد نافع استاذ اللغويات بكلية اللغة العربية .

الدكتور / محمد كامل أحمد جمعة الاستاذ بكلية الآداب بالقاهرة .

وبعد انتهاء المناقشة قررت اللجنة منح الطالب درجة « الماجستير » بتقدير امتياز .

* والرسالة تشمل تمهيدا وبابين وخاتمة .

جعل الباحث التمهيد مقدمة بين يدى البحث عرض فيها بايجاز حال اللغة العربية بين الجاهلية وصدر الاسلام من حيث : أصالتها ، وأطوار تهذيبها وتفرعها الى لهجات ، وما ترتب عليه من آثار لفظية ومعنوية . ثم انضمام هذه اللهجات لتصب فى معين واحد ، هو اللهجة القرشية ، التى شرفت بنزول القرآن الكريم الذى امتد اثره فى صدر الاسلام الى جميع أركان الجزيرة العربية .

وظهرت ألفاظه واضحة فى ألفاظ العربية ومعانيها .

ثم انتقل الباحث الى بيان مميزات العربية لفظا ومعنى ، شكلا وموضوعا متنها بمدخل الى البحث عن مدى وجود النحو العربى قبل الاسلام ، وفى أعوامه الاولى متبينا وجوده طبعا وسليقه لا قاعدة وقانونا .. وقد خالف الباحث فى ذلك العلامة ابن فارس الذى رأى أن النحو قديم فى العربية أبلته الايام ثم جدده أبو الأسود الدؤلى .

واتجهت الرسالة فى مناقشة قضاياها لتحيط علما بالنحو والنحاة فى القرنين الاول والثانى

عرض وتقديم : حمدى الليثى

فى القرنين الأول والثانى الهجريين »

بحث لنيل درجة «التخصص ـ الماجستير»
فى اللغة العربية
السيد/ المهدى ابراهيم عبد العال
عرض وتقديم حمدى الليثى

الهجريين .. وكانت الرسالة فى بعض فصولها مثار استحسان المناقشين .

وابتدأت بعد التمهيد بمناقشة مشكلة اللحن ثم وضع النحاة .. وابتدأ الباحث ببيان المقصود من سلامة النطق العربى وصوابه متبينا أسبابه فى انعزال العرب وعدم اختلاطهم بحكم موقع بلادهم الجغرافى وما اتصفوا به من كراهة الامتزاج بغيرهم ، وظهور استمرار ذلك حتى منتصف القرن الثانى الهجرى بالنسبة لسكان الحضر وأواخر الرابع الهجرى بالنسبة لسكان البادية .

وانتقل الباحث بعد ذلك الى بداية اللحن فى العربية ، مجهدا له ببحث لغوى فى معانى تلك الكلمة ، مفصلا أهمها بالنسبة لمقصوده وهو الزيغ عن الاعراب ، موسعا هذا المعنى ليشمل كل مخالفة للفصحى ، صورة شكلية أو مفهوما دلاليا ، معطيا الأدلة عليه ، ثم تدرج الباحث الى بيان مبدأ اللحن . فوجد الباحث بشائره على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم متمثلة فى لكنات الاعاجم وبعد الاخطاء الخفيفة التى نبه الرسول صلى الله عليه وسلم الى تقويمها فى حينها .

* ثم اتبع ذلك تطور اللحن حتى ذاع سره واشتهر أمره حتى عد من لا يلحن من الناس لقلتهم واهتدى الباحث فى ذلك بالتدرج الزمنى من عهد النبى صلى الله عليه وسلم حتى نهاية بنى أمية .

ولذيوع اللحن وشهرته عقد الباحث لروايات اللحن فى الزمن الذى يدرسه الباحث مميزا بين أنواعه وضم النظير الى نظيره فأسفر عن الانواع الآتية :

ـ لكنات أعجمية .. وعدها الباحث باكورة اللحن فى العربية .

ـ لحن فى تركيب الكلام وتأليفه ويرى الباحث أنه امتداد للكنات الاعاجم .

ـ لحن فى البناء الداخلى للكلمة وقد عولج هذا النوع بوضع علم الصرف .

ـ لحن فى ضبط أواخر الكلم وهو ما أهم القوم وأقض مضاجعهم فنبهوا عليه ونفروا منه .. وكانت فرصة الخصوم لرمى بعضهم بعضا .. ورد الباحث بذلك فرية اللحن المنسوبة الى الامام الأعظم أبى حنيفة رادا

النحو والنحاة

الاسلوب الذى رمى باللحن فيه الى احدى اللهجات العربية الفصيحة .

ـ لحن فى قراءة بعض القوم للقرآن الكريم وتبين كثرته حتى على ألسنة الفصحاء وفى مقدمتهم الحجاج بن يوسف الثقفى ، فترتب عليه الشك فى عدة ممن لم يلحنوا فى جد ولا هزل ، واقتضى ذلك التفكير فى نقط المصحف نقط الاعراب الذى تصدى للقيام بأعبائه والتشرف بأبهائه أبو الأسود الدؤلى وعد الباحث ذلك ارهاصا بوضع النحو .

ثم تبع ذلك موقف فصحاء العرب والغيرة على اللغة من اللحن ، حيث ظهر انزعاجهم منه واجتنابهم له مبالغين فى ذلك ، حتى أبعدوا اللاحنين عن اعمال الدولة مع ما صاحب ذلك من تقريع اللاحنين وتعزيره الى حد الضرب والاستخفاف به حتى اشتهر بينهم القول « ليس للاحن حرمة » .

وفى الفصل الثانى كان وضع النحو وابتدا الباحث فيه ببيان اسباب مضيفا الى ما سبق من شيوع البحث وكثرة الخوف من تسربه الى القرآن الكريم ، ثم اعتزار العربى بلغته ورغبته فى الابقاء عليها بميزاتها وسماتها ثم حاجة المستعربين ممن دخلوا الاسلام الى معرفة اللغة العربية حتى يستطيعوا فهم دينهم ويرفعوا شأنهم بين العرب ، ثم نمو الثقافة وارتقاءها بحكم تطور الزمن وتأثير هؤلاء الذين دخلوا الاسلام من الامم الاخرى .

وقد ناقش الباحث روايات الاقدمين التى تسند وضع النحو لحادثة معينة من حوادث اللحن . مستبعدا أن تنهض احداها منفردة حافزا لوضعه .. وان لم يمنع الباحث مصادفة وضع النحو احدى هذه الحوادث .

ثم تعرض الباحث لواضع النحو عارضا وجهة الأقدمين ثم المحدثين ثم المستشرقين ومن احتذاهم من علمائنا المعاصرين .

* وقد فند الباحث رأى الدكتور ابراهيم أنيس رحمه الله وقد رأى أن الدكتور ابراهيم أنيس خرج فى رأيه على الأقدمين والمحدثين وبذ المستشرقين فى النيل من النحو العربى حيث جعله أسطورة ما أنزل الله بها من سلطان ، وخيالا لا أصل له فى اللغة ، ولا لوجوده برهان .

* وقد عرض الباحث رأى الدكتور ابراهيم أنيس مفصلا وأفاض فى الرد عليه ببيان فساد أدلته وحمدت له لجنة المناقشة ذلك الرد على لسان الاستاذ الدكتور غريب نافع .

* وتناول الباحث وجهة نظر المستشرقين فرأى غلاتهم يذهبون الى عدم عروبة النحو وقام الباحث بعرض نموذج منهم للاستاذ / فون كرايمر متبعا رأيه بآراء من جاروه من علمائنا كالاستاذ جورجى زيدان والدكتور مصطفى نظيف والدكتور عبد الرحمن أيوب والدكتور ابراهيم بيومى مدكور .

* وقد رأى الباحث أن جميعهم يصدرون عن منابع متشابهة حيث حاولوا اثبات صلة بين النحو العربى والنحو اللاتينى عن طريق الترجمة أو بيئة النحو نفسها مع محاولة بعضهم اثبات صلة بين يعقوب الرهاوى واضع النحو السريانى وأبو الاسود الدؤلى واضع النحو العربى وقد عرض الباحث كل ذلك بالتفصيل حتى وصل الى القول بعروبة النحو مصدرا وموردا مستشهدا فى ذلك بعد تصحيح المفاهيم بآراء معتدلى المستشرقين من أمثال الاستاذ ليتمان ودى بور وبروكلمان ويوهان فك وآدم متز .

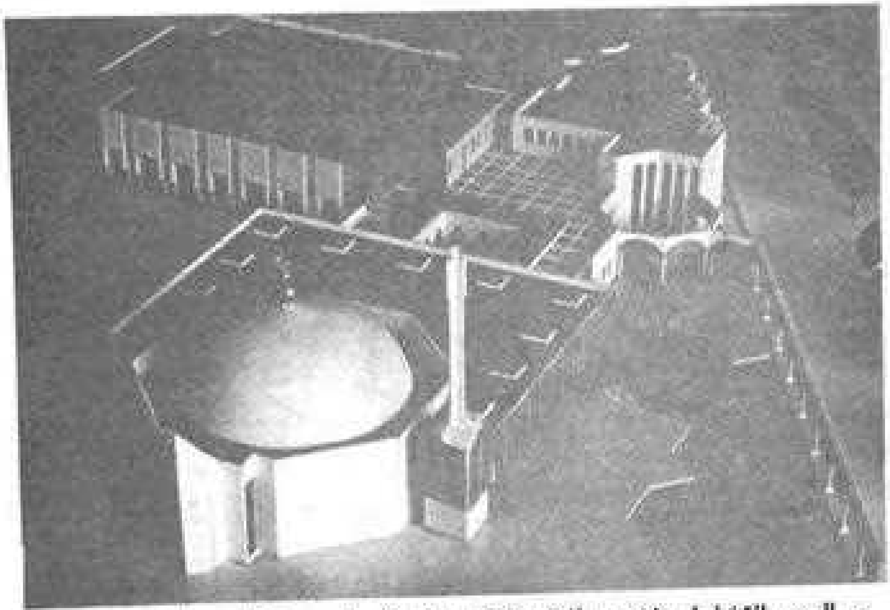
حوار

عن الإسلام والمسلمين

مع الأمين العام للجمعية الثقافية الفرنسية بمدينة ليون

أجرى الحديث
الأستاذ عبد العزيز أحمد جبيره

عن الاسلام في فرنسا عامة وفي مدينة ليون وهي المدينة الثانية بعد باريس خاصة كان لنا هذا الحوار السريع مع الدكتور /محمد صبري قاسم المدرس بقسم الميكروبيولوجي بكلية العلوم جامعة كلودبرنارد بفرنسا والامين العام للجمعية الثقافية الاسلامية الفرنسية ليلقى لنا الضوء عن الاسلام والمسلمين وعن احوالهم والمشاكل التي يعانون منها ومدى الاهتمام بالاسلام واهميته بين الاديان الاخرى كثيرة الانتشار في فرنسا وبدأ حديثه قائلا :



• الرسم التخطيطي لمشروع المركز الثقافي الاسلامي في مدينة ليون والذى يضم المسجد الجامع للصلاة ، ومدرسة عربية ومعهد لغوى وقاعة محاضرات ومكتبة ومغسلة ومكاتب الادارة ومسكن الامام وقاعات ترفيهية وجراج سفلى وعلوى للسيارات .. تتولى الجمعية الثقافية الاسلامية الفرنسية انشاءه .

الاسلام فى فرنسا ومكانته بين الأديان

يحتل الاسلام فى فرنسا المرتبة الثانية بين الأديان الكثيرة الانتشار ويبلغ عدد المسلمين فى فرنسا حوالى خمسة ملايين مسلم منهم حوالى ٠ مليون ونصف المليون من أصل فرنسى والباقى من المغتربين المقيمين بفرنسا من مختلف بلدان العالم وان كان معظمهم من بلاد المغرب العربى (الجزائر – المغرب تونس) .

وعدد المسلمين فى مدينة ليون يجعلها المدينة الثانية فى فرنسا بعد العاصمة باريس اذ يبلغ عددهم حوالى ٣٠٠ ألف مسلم ونظرا لكثرة عدد المسلمين بمدينة ليون وسرعة انتشار الاسلام واهتمام المسلمين انفسهم بالاسلام فقد أنشىء بها أكثر من عشر جمعيات اسلامية الهدف منها جميعا رعاية مصالح المسلمين والاهتمام بأمورهم الدينية والدنيوية أيضا ، وأصبح بالمدينة ما يقرب من ٤٠ مصلى من بين (٣٥٠) مصلى على مستوى فرنسا عامة وهذا حسب آخر احصائية رسمية نشرت قريبا .

وعلى الرغم من كل هذا فان مدينة ليون لاتحظى بمسجد جامع (مسجد كبير) كما يوجد فى مدينتى باريس ومرسيليا ولكن من خلال اهتمام المسلمين انفسهم ومحاولتهم تكملة ما يحتاجونه فقد تم انشاء (الجمعية الثقافية الاسلامية الفرنسية) بمدينة ليون .



● محمد قاسم والقاء درس دينى فى أحـد المصليات (وهو الباسط ذراعيه اثناء شرحه) .

وعن أهداف هذه الجمعية يقول الدكتور/ محمد صبرى محمد شكرى قاسم :

ان أهداف الجمعية تتلخص فى نشر الوعى الاسلامى بين المسلمين : تدريس اللغة العربية للكبار والصغار ـ تحفيظ القرآن الكـريم ـ ربط المسلمين بأوطانهم ـ فتح المصـليات والمساجد ـ تنظيم الاحتفالات الدينيـة ـ احياء المواسم الاسلامية والاعياد ـ العمـل على حل مشاكل المسلمين .

وهناك بعض المشاكل التى تعوقنا عن تنفيذ واتمام هذه الأهداف فى الوقت الحاضر .

*** المركز الثقافى الاسلامى حـــدث عظيم ولكن ؟**

وعن المركز الثقافى الاسلامى المزمع انشاؤه فى مدينة ليون حتى تصبح كباريس ومرسيليا فان بكل مدينة منهما مسجدا كبيرا يقـول الدكتور/ محمد صبرى :

أولا : ان الجمعية الثقافية الاسـلامية الفرنسية هى التى تقوم بمهمة بناء هذا المركز وانشائه .

ثانيا : ان مساحة هذا المركز حوالى (١٠٠٠) متر مربع ، ويتكلف بناؤه على التصـــميم

حوار عن الإسلام والمسلمين

الهندسي المعد له نحو ٨٠٠ مليون فرنك فرنسي وتحاول الجمعية جمع هذا المبلغ من خلال تبرعات المسلمين في فرنسا والدول الاسلامية الاخرى ولاننسى أن فرنسا لاتبخل علينا بتقديم يد العون والمساعدة في افتتاح المساجد والمصليات ولاتعرقل مثل هذه الامور . وقد أعد تصميم المركز الكبير بحيث يضم مسجدا كبيرا لاقامة شعائر الدين ومدرسة لتعليم الصغار اللغة العربية ومعهدا لتعليم الكبار العربية أيضا — ومكتبة اسلامية ومكانا لتجهيز الموتى على الطريقة الشرعية ثم مطعما ومقهى ومايتسع لأنشطة أخرى .

*** اذاعة اسلامية في ليون .**

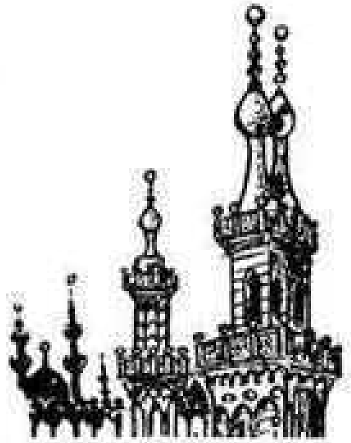
يقول الدكتور/محمد صبري قاسم عن هذه الاذاعة الاولى من نوعها في ليون أنها تسمى باذاعة (ربط الصلة) وهذه الاذاعة تم انشاؤها هذا العام ويملكها عربي من المهاجرين الجزائريين هو الاستاذ (صوسة) وتعتبر هذه الاذاعة حدثا كبيرا في تاريخ ليون والحقيقة أنها تعتبر اذاعة (لحل مشاكل المسلمين) الدينية فمن طريقها أنتهى كثير من المشاكل ومن برامج هذه الاذاعة القرآن الكريم واذاعة الأذان وخاصة آذان المغرب الذى حل مشكلة الافطار في شهر رمضان واذاعة التواشيح الدينية والدروس الاسلامية التي تفيد المسلمين وتصلح من أمور دينهم وتساعدهم على فهم شريعة الاسلام .

*** مشاكل لها حل واخرى تبحث عن الحل .**

وعن المشاكل يحدثنا الدكتور/صبري فيقول: ان هناك من المشاكل ما أمكننا الوصول الى حله ومنها مالم نستطع الوصول الى حله ونحن بصدد طلب العون والمساعدة من أجله .

فمثلا : مشكلة اللغة العربية قد تم افتتاح أكثر من عشرة فصول لتدريسها في مدينة ليون وضواحيها ولكن ينقصنا المدرس المتخصص الذى يمكنه القيام بتدريسها بالفصحى لابالعامية التي نعاني منها مع ان وزارة التعليم بفرنسا قد اهتمت باللغة العربية وجعلتها اختيارية في المرحلة الثانوية من بين اللغات الاجنبية وان كنا نرى بعض القنصليات العربية والاسلامية تنظم دورات لتعليمها وتدريسها ولكن لابناء العاملين بها فقط .

وتقوم رابطة العالم الاسلامي في باريس بامدادنا بالكتب الدراسية والكتب الاسلامية العامة كذلك تقوم بتقديم بعض المساعدات المالية وتجري المسابقات في حفظ القرآن الكريم وتوزع الجوائز على الفائزين في هذه المسابقات وغيرها من المسابقات التي تساعد على نشر الثقافة الاسلامية بين المسلمين ثم هي تقيم دورات تدريبية سنوية لأئمة المساجد والمصليات حتى تصل بهم الى المستوى الذى يمكنهم من أداء هذه المهمة الشاقة .



اجيال المسلمين

ويرى الدكتور / صبرى ان الانتماء الاسلامى التطبيقى فى جيل الاباء على خير ما يكون فهم اشد تمسكا بالدين وأكثر حرصا على أوامره ونواهيه وشغفا بالاطلاع على المسائل لكن جيل الابناء ثم الجيل الذى يليه فى حاجة الى وعى اسلامى فانهم فقراء فى الثقافة الاسلامية وهذه مشكلة من مشاكلنا ومن هنا نرجو الدول الاسلامية كلها وخاصة التى تتحدث بالعربية أن تساعدنا بما تستطيع من مدرسين وكتب وأئمة ووعاظ ومقرئين حتى يمكن انقاذ هذين الجيلين قبل ضياعهما لأنهما فى دهشة بين مايجدونه من عادات وتقاليد بالمنزل وبين مايتلقونه ويدرسونه فى المدرسة خاصة وان هذين الجيلين يفضلان البقاء والمعيشة فى فرنسا عكس جيل الآباء الذى ينتظر الفرصة للعودة الى وطنه .

✽ دور مصر والازهر الشريف ..

والأمل معقود ــ بمشيئة الله ــ على بلدنا الحبيب . مصر حصن الأزهر والعربية أن تمدنا بالمساعدة فترسل الينا البعثات من مدرسين لتعليم اللغة العربية والمواد الشرعية من عبادات ومعاملات وغيرهما ثم الأئمة والوعاظ حتى لايصعد المنبر من لايجيد الحديث عن الاسلام وحتى لايتلقى المسلم فى ليون الفتوى من غير متخصصين فى الدين ثم ارسال الكتب الدينية المقررة لتتسع دائرتنا بالثقافة الاسلامية الأمينة وامدادنا بنسخ المصحف الشريف حتى يمكن لنا وللناطقين بالعربية قراءة القرآن الكريم وأيضا ارسال المقرئين لاحياء المناسبات الاسلامية كشهر رمضان وغيره من المناسبات وأخيرا زيادة المنح الدراسية لأبناء المسلمين بفرنسا للحضور الى الأزهر خاصة وجامعات مصر عامة .

عبد العزيز أحمدجيره

الفتاوى

فى الميراث

س : من السيد/ممدوح محمد حسين سعد .

توفيت عن : زوج، أم ، أب ، أخ شقيق .. ، وتركت منقولات وشبكة ذهبية ، وجهزها والدها وزوجها ووضع لها مبلغ ألف جنيه بالبنك فوق ما جهزه فما حكم المهر والشبكة والمنقولات وللزوجة مؤخر صداق .. ؟

ج : على الزوج أن يدفع مؤخر صداق الزوجة ويضاف الى (الشبكة) والمنقولات والمبلغ الموجود باسمها فى البنك ويعد تركة توزع كالآتى :

للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأم ثلث الباقى بعد نصف الزوج . وللأب الباقى تعصيبا ، ولا شىء للأخ لحجبه بالأب .

فائدة البنك

س : من السيد/محمد ابراهيم النجار وضعت مال طفل يتيم فى البنك .. والبنك يعطى ربحا عن هذا المال فهل هذا الربح حرام أم حلال ؟

ج : القاعدة الشرعية الاسلامية ، أن كل فائدة تعطى للدائن من المدين مشروطة عند العقد لقاء الزمن وليست عوضا عن منفعة تعد ربا حراما .

.. وننصح صاحب المال أن يسحب أصل ماله لوضعه فى أحد البنوك ذات المعاملات الاسلامية أو فى احدى الشركات المساهمة .

تحريم

س : ما حكم اتيان الزوج امرأته فى الدبر ؟ وهل تطلق بعمله هذا معها ؟

ج : اتيان المرأة فى الدبر حرام شرعا ويأثم الزوج بعمله هذا ، وعليه أن يتوب عن هذا العمل ويندم على مافعل ولا يعود الى هذا الاثم أبدا .

أما تطليق المرأة : فيرى الجمهور أن المرأة لا تطلق من زوجها بهذا العمل .

اعداد : عبد الحميد السيد شاهين

وتجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر

ميراث الحفيد

س : من السيد/عوض عويس عبد اللطيف .

توفى المرحوم عبد اللطيف عوض سنة ١٩٥٨ عن اربعة أبناء ذكور ، وابن ابن متوفى قبل والده عام ١٩٤٤ .

فهل لابن الابن هذا حق فى الميراث ؟ وما نصيب كل من الورثة ؟

ج : فى تركة هذا الميت وصية واجبة لابن الابن الذى توفى والده فى عام ١٩٤٤ بمقدار ما كان يستحقه لو كان على قيد الحياة وقت وفاة والده فى حدود الثلث ــ طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ .. فتقسم التركة خمسة أجزاء ، جزء منها وصية واجبة لابن الابن الذى توفى والده عام ١٩٤٤ ، وهو نصيب والده لوكان على قيد الحياة وقت وفاة المورث .. والباقى وهو أربعة أجزاء هو الميراث للابناء الاربعة الذكور الاحياء تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى .

ملحوظة : العبرة هنا بوفاة الجد ، ومعناها: انه اذا توفى الجد بعد عام ١٩٤٦ ، وكان له ابن توفى عام ٢٠ مثلا ، فان أولاد ابنه يستحقون وصية واجبة .

أما اذا توفى الجد قبل عام ١٩٤٦ « قبل صدور القانون » وكان له ابن توفى قبله فان أولاد ابنه لايستحقون وصية واجبة .

والله اعلم

* استقبل فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر العالم المصرى الدكتور فاروق الباز وبرفقته ديلون ريلى مدير معهد نيسونى بالولايات المتحدة الامريكية .

ودار الحديث حول الدور الحضارى لمصر والاسلام ومدى الاستفادة بهذا الدور فى انشاء متاحف تعرض صورا للحضارة الحديثة على غرار المتاحف التى تعرض صورا للحضارات القديمة

وصرح ديلون : عقب المقابلة بانه سعيد جدا بلقاء فضيلة الامام الاكبر .

* استقبل فضيلة الامام الاكبر وفد ماليزيا برئاسة السيد/داتو موسى بن هيتام نائب رئيس الوزراء ووزير الشئون الدينية فى ماليزيا . وعقب اللقاء صرح رئيس الوفد بانه بحث مع فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر أوجه التعاون بين الازهر وماليزيا وتزويد المدارس الاسلامية بماليزيا بالمدرسين والكتب والمناهج الدراسية .

* واستقبل فضيلته الشيخ محمد عبده مفتى الاردن ودار خلال اللقاء بحث اوجه التعاون بين الازهر والاردن وتزويد الاردن بالمدرسين والوعاظ .

فضيلة الإمام الأكبر يرأس اجتماعًا لمجمع البحوث الإسلامية

* عقد مجمع البحوث الاسلامية اجتماعا برئاسة فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر وتم فى هذا الاجتماع النظر فى انجازات الدورة السابقة ووضع جدول أعمال الدورة الحالية لتوزيعه على اللجان المتخصصة المختلفة .

ومن اهم مايتم عرضه ودراسته فى هذه الدورة المعاملات المصرفية وشهادات الاستثمار وتقرير لجنة البحوث الفقهية عنها ومشكلة ذبح الهدى فى موسم الحج .

* أصدر الدكتور احمد فؤاد محيى الدين رئيس مجلس الوزراء قرارا بتعين الدكتور عبد الودود ابراهيم شلبى امينا عاما مساعدا للدعوة والارشاد بمجمع البحوث الاسلامية .

الإسلامي

إعداد

● أحمد عبد الرحيم السايح
● الشافعي عبد الراضي

جهاز متطور لكليات اللغات والترجمة

تلقت كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر جهازا متطورا للوسائل السمعية والبصرية هدية من حكومة ألمانيا الغربية تبلغ قيمته ٣٠ الف جنيه وذلك بمناسبة العيد الألفى للأزهر. صرح بذلك الدكتور محمد ابو حطب عميد الكلية بأن هذه الهدية ستخصص للنهوض بمستوى التدريس بالكلية واستخدامها فى الوسائل السمعية والبصرية المتطورة فى تعليم اللغات الأجنبية بأقسام الكلية .

* وافق الدكتور احمد فؤاد محيى الدين رئيس مجلس الوزراء على اطلاق اسم الامام الراحل الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر السابق على معهد السالمية الابتدائى الاعدادى بمركز فوه التابع لمحافظة كفرالشيخ

كما وافق على اطلاق اسم الشيخ محمد الصادق عرجون على معهد باكوس الابتدائى بالاسكندرية .

* كما وافق الدكتور احمدفؤاد محيى الدين رئيس مجلس الوزراء على انشاء معهدين وضم المبانى المقامة عليهما للأزهر وهما : معهد القناطر الخيرية الابتدائى التابع لمركز القناطر محافظة القليوبية .

ومعهد المنشاة الكبرى الابتدائى التابع لمركز القوصية محافظة اسيوط .

معرض عن الإسلام فى كوريا

* اقيم بقاعة الامام محمد عبده بجامعة الأزهر خلال الاسبوع الماضى معرض خاص بالصور الفوتوغرافية عن الاسلام فى كوريا وقد افتتح المعرض الدكتور أحمد فتحى الزيات نائب رئيس جامعة الأزهر وقد اقيم خلال الحفل عرض لـ (افلام) عدة عن الاسلام فى كوريا .

عام واحد من التجنيد لحفظة القرآن الكريم

القاهرة

تقرر تجنيد حافظي القرآن الكريم من غير حملة المؤهلة العليا لمدة عام واحد فقط .

مصر تمول الدراسات الإسلامية بجامعه أيوا

اعلن الدكتور على الرفاعى مدير المركز الاسلامى بالبرازيل بأن مصر وافقت على تمويل الدراسات الاسلامية والعربية بمعهد الدراسات العربية التابع لجامعة « أيوا » .

الإهتمام بالتربية الدينية

القاهرة :

أكد وزير الدولة للتعليم والبحث العلمى ضرورة الاهتمام بالتربية الدينية الاسلامية فى جميع مراحل التعليم ، وتهيئة المناخ الدينى للطلاب داخل المدارس ، واستخدام الوسائل التعليمية المختلفة لتحقيق ذلك وان تاخذ التربية الاسلامية مكان الصدارة فى البيت والمدرسة

جمعية إسلامية للأفارقة فى باريس

فرنسا :

تم انشاء أول جمعية اسلامية للافارقة فى باريس ، فقد وافقت الحكومة الفرنسية على انشاء « جمعية الصلة الاسلامية » برئاسة الحاج ديوب أبو بكر من السنغال . وقد انضم للجمعية يوم الموافقة على انشائها مائة عضو كلهم من الافارقة وتهدف الجمعية الى تجديد الصلة الاسلامية بين المسلمين ، وتعليم اللغة العربية ، وتحفيظ القرآن الكريم ، وتطبيق الشريعة الاسلامية .

ويتولى الاشراف والتوجيه الدينى بالجمعية المبعوث المصرى الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى .

اللغة العربية لغة أساسية بالباكستان

اللغة العربية لغة أساسية بالباكستان

قرر الرئيس الباكستانى ضياء الحق تدريس اللغة العربية فى جميع المراحل الدراسية بالباكستان . وقال : ان ذلك سيساعد على تيسير قراءة وفهم القرآن الكريم .

إنشاء وزارة للشئون الإسلامية فى سيرى لانكا

اصدر رئيس جمهورية « سيرى لانكا » قرارا بانشاء وزارة للشئون الاسلامية ، تتولى الاشراف على رعاية مصالح المسلمين هناك ٠ تولى الوزارة الاسلامية محمد حنيفة ، بناء على طلب المسلمين الذين يمثلون سبعة فى المائة من عدد السكان البالغ عددهم خمسة عشر مليون نسمة ٠

خمس محطات تليفزيونية للمسلمين فى كندا وأمريكا

اعلن الاتحاد العام للجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا عن انشاء خمس محطات تليفزيونية محلية فى نيويورك ، ولوس انجلوس ، وديترويت ، وشيكاغو ، وتوليدو ٠ ويبلغ قطر ارسال كل محطة منها خمسة وعشرين كيلو مترا فى كل مدينة من المدن الخمس ٠ تقوم بتقديم القرآن الكريم ، والبرامج الاسلامية واللغة العربية ، وبعض البرامج الاخرى الهادفة ٠٠ وتقوم الدول العربية والاسلامية بتزويد هذه المحطات بالبرامج اللازمة وطالب الاتحاد العام للجمعيات الاسلامية هناك ٠ الدول العربية والاسلامية بمساعدة المسلمين للحصول على المزيد من هذه المحطات الاسلامية ، وتزويدهم بالبرامج الدينية اللازمة ٠

موسوعة إسلامية باللغة البنجالية

دكا :

اصدرت المؤسسة الاسلامية فى بنجلادش مؤخرا موسوعة مصغرة عن الاسلام باللغة البنجالية ٠ وتشتمل الموسوعة التى تقع فى مائتين والف صفحة على نبذة عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصحابة ، والتاريخ الاسلامى ، ومكة المكرمة ، والكعبة المشرفة ، والمسجد الاقصى المبارك ٠وتعمل المؤسسة الآن على اصدار موسوعة كبيرة فى عشرين مجلدا باللغة البنغالية كمساعدة للبنغالين على تفهم الاسلام ٠

أول مصرف إسلامى فى لندن

لندن :

بدا اول مصرف اسلامى نشاطه بلندن لخدمة المستثمرين المسلمين فى بريطانيا الذين يبلغ عددهم مليونى مسلم ٠

ويعتبر المصرف الجديد الذى اطلق عليه « بيت المال الاسلامى » احد نتائج النظام المصرفى الاسلامى الذى سجلته مجموعة من رجال المصارف والاقتصاد بالشرق الادنى بلوكسمبرج منذ ثلاث سنوات ٠

ويترأس بيت المال الاسلامى الجديد بلندن عبد الرحمن العتيقى وزير مالية الكويت

السابق ، ومستشار أمير الكويت حاليا كما يقوم الدكتور زكي بدوي بأعمال المستشار الديني لمجلس الادارة .

إتحاد إسلامي إسكندنافي

السويد :

دعت منظمة الطلبة المسلمين في مدينة « مالمو » السويدية الى توحيد وجمع المنظمات والجمعيات الاسلامية العاملة في الدول الاسكندنافية ، في اتحاد يدعى « الاتحاد الاسلامي الاسكندناق » وتكون غايته تحقيق الامور التالية :

– التعارف بين العاملين في الحقل الاسلامي في الدول الاسكندنافية والعالم الاسلامي ، وتوثيق الروابط بينهم .

– العمل على رفع مستوى الثقافة الاسلامية ، وزيادة الوعي الاسلامي ، ورعاية شئون المسلمين في الدول الاسكندنافية ، والدفاع عن قضاياهم ، وحل المشكلات التي تعترضهم .

– تنسيق وتنظيم التعاون بين جميع المنظمات الاسلامية وتبادل الخبرات فيما بينها خاصة في مجال الاسلوب وطرائق العمل الاسلامي .

الكاتب الفرنسي روجيه جارودي يشهر إسلامه

فرنسا :

افادت الأنباء التي وردت مؤخرا ان « روجيه جارودي قد اشهر اسلامه ، واصبح يحمل اسم « رجا جارودي » . وقد كان رجا جارودي عضوا بارزا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي . ولكنه طرد من الحزب الشيوعي بعد أن اتهم بالانحراف عن خط الشيوعية والالحاد . ورغم ذلك فقد ظل يمثل تيارا فكريا قويا في الأوساط الثقافية . وصدر له مؤخرا كتاب بعنوان « مبشرات الاسلام » .

مؤتمر لبحث مشاكل الأسرة المسلمة في بريطانيا

برمنجهام :

عقد مجلس عمل أهل السنة ببريطانيا مؤتمرا حضره سبعة وعشرون عالما يمثلون الجمعيات الاسلامية الكبرى بالمملكة المتحدة ، لبحث ومناقشة مشاكل الاسرة المسلمة في المملكة المتحدة وايرلنده ، ومواد القانون المدني الانجليزي التي تتعارض مع وجهة النظر الشرعية الاسلامية ، وكيفية ايجاد الوسائل الشرعية الكفيلة بالقضاء على هذه المصاعب .

رسائل القراء

إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام

* كتبت القارئة/فاطمة عليش محمد عبد الماجد السودان — بنك الخرطوم — فرع أم درمان — المحطة الوسطى .

قالت بعد التحية — زاد شغفي ورغبتي في دراسة الاقتصاد الاسلامي وذلك لايماني الراسخ والعميق بحاجتنا الماسة والشديدة في تطبيق المنهج الاقتصادي الاسلامي في عالمنا الحاضر — وقد سرني جدا الاعلان الذي وجدته على المجلة عن ملحق (حكم وودائع البنوك) . ولكن بكل أسف لم أتمكن من الحصول عليه — وقد علمت من البائع عدم وصول الملحق الى السودان . ولا أي ملحق آخر للمجلة . لذلك أرجو من سيادتكم أن تمدوني بمثل هذه الملاحق فيما يتعلق بالمشكلات العصرية الحديثة حتى نعلم ونتعلم رأي ديننا الحق فيها — ولكم خالص الشكر .

المجلة : قامت ادارة المجلة بارسال الهدية المطلوبة (حكم ودائع البنوك) على عنوانكم المذكور — وستخطر المجلة ادارة التوزيع الخاصة بتوزيع المجلة بهذه المسالة حتى تجدوا بين ايديكم المجلة وملحقها .

والى الأخ/الين سارب — السنغال — أكار — بارين .

نرسل اليكم أطيب تحية أحبها الله لعباده ، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد . ففيما يختص بالمنحة الدراسية بالازهر — الترشيح على منح الازهر يتم عن طريق سفارتنا بالسنغال — فاكتبوا اليها ذاكرين ما حصلتم عليه من شهادات دراسية وأما عن الاشتراك بالمجلة فاكتبوا برغبتكم على العنوان التالي :

جمهورية مصر العربية — القاهرة — شارع الجلاء — مؤسسة الأهرام قسم الاشتراكات بمجلة الأزهر — موضحين عنوانكم .

كتب السيد/محمود أحمد الرفاعي الغربية — قطور .

الى المجلة مبديا اعجابه الشديد بها متمنيا أن لو كان تعرف عليها من زمن بعيد .

والمجلة لايسعها الا ان تشكر للأخ الفاضل هذا الشعور راجية من الله سبحانه ازجاء التوفيق لكل العاملين بها حتى تضطلع برسالتها على خير الوجوه . والله المستعان .

* **حكمة الصلاة في الصف الأول ..**

تحت هذا العنوان كتب الأخ/ عبد التواب محمد خليل — الطالب بكلية الدراسات الاسلامية — الأزهر .

الصف الأول هو الذي يلي الامام ولو تخللته مقصورة ونحوها ، والصلاة فيه أفضل لأن الله تعالى ينزل رحمته أولا على الصف الأول والملائكة تستغفر لمن فيه ؛ لأنهم حازوا فضيلة السبق والقرب من الامام . وقد ورد في ذلك

رسائل القراء

أحاديث كثيرة منها حديث أبى هريرة رضى الله عنه فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وأما الصف الأول من صفوفهن فانه مظنة المخالطة تعلق قلوبهن بالرجال) (١) .

وحديث أبى أمامة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ان الله وملائكته يصلون على الصف الأول قالوا يارسول الله وعلى الثانى قال ان الله وملائكته يصلون على الصف الاول قالوا يا رسول الله وعلى الثانى ؟ قال وعلى الثانى) الحديث أخرجه أحمد وهذا التكرار للسؤال دليل على مزيد فضل الصف الاول

(١) المجلة : وجدنا الحديث الشريف بسنن النسائى ٢/٩٣ طبع دار احياء التراث . وجاء في الجامع الصحيح للترمذى ١/٤٣٥ طبع مصطفى البابى الحلبى — وسنن ابى داود ١/١٥٦ نفس الطبعة بلفظ (خير الصفوف الرجال اولها وشرها آخرها أو خير صفوف النساء آخرها وشرها اولها) ولم نعثر على الزيادة التى اوردها الاخ الكاتب . لذا نرجو من القارىء — اذا كتب لنا بحديث شريف أن يدون مرجعه بدقة ذاكرا جزاه وصفحته ومطبعته وسنة طبعه فان الحيطة فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة.

(٢) المجلة : اورد الحديث الامام ابو داود في سننه ١/١٥٧ طبع مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٧١ هـ .

(٣) المجلة : لم نعثر على مصدر هذا الحديث .. لذا نكرر ما لفتت المجلة النظر اليه من ضرورة تسجيل المرجع صفحة وجزءا ومطبعة وسنة الطبع .

فليتتبه العاقل وليحرص على تحصيل هذا الفضل الذى يتنافس فيه المتنافسون .

وعن السيدة عائشة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لايزال قوم يتأخرون عن الصف الاول حتى يؤخرهم الله فى النار) (٢) .

تفهم من هذه الأحاديث الحث والترغيب فى المبادرة الى الصف الاول لمافيه من كامل الثواب لكن هذه المبادرة مطلوبة مالم يترتب على الدخول فى الصف الأول ضرر والا فلا ثواب فيه . بل من تأخر عنه خشية الاضرار فله أجر زائد على الصلاة فى الصف الأول لحديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من ترك الصف الأول مخافة أن يؤذى احدا أضعف الله له أجر الصف الأول) (٣) .

*** خطوات الشيطان ..**

تحت هذا العنوان كتب الاخ/محمد السيد على — القاهرة .

لو علم كل منا كيف يمارس الشيطان أساليبه اللئيمة مع ابن آدم ما جعل له سلطانا عليه — يتبع خطواته دون أن يدرى والأمر هين وبين .. ولكن أكثر الناس لايعلمون .

كلنا نعرف أن وعد الله حق .. وكلنا نعرف كيف حذرنا الله سبحانه وتعالى من الشيطان وأساليبه . ولكن خفى على الكثير كيفية هذه الخطوات مع ابن آدم .. والكثير يقع فى

المخالفات والمعاصي ثم يحتج بقـــوله (ان الشيطان شاطر) أو .. يقول : لا أدري كيف فعلت كذا وكذا . ونراه نادما متحسرا عـلى ما بدر منه . أو متماديا فيه .

فما هي حقيقة هذه الخطوات وكيف يتبع الشيطان فريسته أولا حتى اذا ما حاك حولها شباكه . أصبح وقد أمسك بزمام ابن آدم .. لو عدنا الى كتاب الله لوجدنا في قوله تعـالى

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (سورة النور آية ٢١) .

وقال سبحانه : (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (سورة فاطر آية ٦) .

وهو يبدأ مع ابن آدم خطواته .. بخاطـر يخطره .. والخاطر لحظة .. لحظة خاطفـة يخطفها الشيطان من فكر الانسان . ليطرح له خاطرا لئيما قد يكون بداية حلقة من حلقـات ايماءاته الشريرة .. وهو يترقب ابن آدم من بعد . فاذا ما رآه غافلا عن ذكر الله اقتـرب منه ليقذف بالخاطر الذي يزيد من هذه الغفلة حتى يتمكن من فكر الانسان . فاذا استجاب له ابن آدم .. أي استجاب لهذا الخاطر الذي قذف به في روعه . اطمأن الشيطان الى امتلاكه لفكر هذا الانسان وعلم أنه ألقى بســلاحه واستسلم وانقاد وأصبح تابعا لكل خطـــوة يخطوها شيطانه فاذا ما أمره بالتوجـــه الى أماكن اللهو قام مسرعا مغتبطا بذلك وهـــو يضحك فرحا مسرورا .

فيجب علينا أن نعرف عدونا حتى نستطيع أن نرده ولا يغار منا وكلنا نعرف أن الشيطان عدو دائم لابن آدم لن يتركه لحظة مادامت الحياة فيه . كذلك فان الله عز وجل لا يغلق باب رحمته مادامت الحياة في ابن آدم حتى علامات الساعة .. وبالعلم نتعرف على الله .. وبالعلم نعرف طريقه .. وبالعلم نقف في الحيـــاة صامدين عارفين .. صامدين في وجه الشيطان عارفين طريق الله . وصدق اللــــه العظيم اذ يقول (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (سورة البقرة ــ آية ٢٥٧) .


محمد بن ابراهيم الحميدي
تعليم بنات بالمدينة المنورة


سيد احمد سيف ـ جامعة الازهر


عبد الحميد محمد حمزة
طالب


جمال عبد الباعث
طالب بالازهر

لضيق المساحة نعتذر عن تقديم صور القراء .

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس العدد

طبع بمطابع روز اليوسف

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

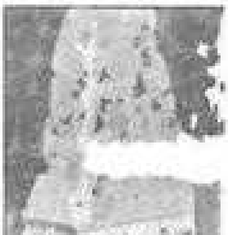
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

السكرتير الفني
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان :
ادارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف
لمسجد النبوي الشريف



ربيع الأول ١٤٠٣ هجرية
ديسمبر ١٩٨٢ ميلادية

ومن كرسول الله صلى الله عليه وسلم

خيار من خيار من خيار

سيد المرسلين ورحمة العالمين .

وخير ولد آدم أجمعين .

من كرسول الله – صلى الله عليه وسلم ؟

حمل من الانسانية أسمى ما تعتز به من صفات .

ومارس من الفضائل أعلى ما في أوجها من أخلاق .

وأدى للخلق أكرم ما يحتاجونه من عطاء .

وأرسى موازين القسط الى يوم الحساب .

كان – صلى الله عليه وسلم – حظنا من النبيين .

وكنا ، نحن المسلمين ، حظه من الأمم

فصرنا – برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالقرآن العظيم – خير أمة أخرجت للناس الى يوم الدين .

ومن كرسول الله – صلى الله عليه وسلم ؟ .

أعطاه الله ليرضى ، فكان رضاه أن تتم رحمة الله فينا

الم يُرْضِكَ الرحمن في سورة الضحى

فحاشاك أن ترضى وفينا مُعَذَّبُ

صلى الله وسلم وبارك على سيدنا رسول الله ...

ما قُرِنَ ميلاده – صلوات الله وسلامه عليه – بخرافة .

وما صُحِبَتْ رسالته – صلى الله عليه وسلم – بفلسفة .

وما حُبِكَتْ حياته – عليه أفضل الصلاة والسلام – بأسطورة .

وعاش – صلى الله عليه وسلم – يمقت الخرافة ، ويدعو للعلم ، وينأى عن الأساطير حتى بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، واختار الرفيق الأعلى سبحانه .

كان – صلوات الله عليه وسلامه وتحياته ورحمته وبركاته – بشرا لكن البشر لم يكونوا مثله ، اذ فاقهم أجمعين .

سيد المرسلين و رحمة العالمين و خير ولد آدم أجمعين

كانوا منه على فارق مثل ما بين الأرض والسموات العلى :

فقد امتاز عن البشر بـ « الرسالة » .

وميزته الرسالة بـ « العصمة »

وأفردته العصمة بـ « الكمال »

فأدى الأمانة وختم النبيين والمرسلين !

فمن كرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ الله له ميثاق النبيين ؟

ومن كرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتم الأنبياء والمرسلين؟

ومن كرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شفيع الناس يوم الدين ؟

ومن كرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حظى من الله بنعمة: « فانك بأعيننا »

ومن كرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسارع له ربه في هواه

هذا هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

وهو ـ بعد ـ مع ما نعلم ، ومع ما لا نعلم ـ عبد الله ورسوله لانغلو فيه ـ صلى الله عليه وسلم .

ولا ندعيه من دون الله فنكفر

ولا مع الله فنشرك

حاشالله .

فهو ـ سبحانه ـ الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، لا اله غيره ، ولا رب سواه ما اتخذ صاحبة ولا ولدا .

بيده الملك .. والخلق .. والأمر .. والخير .. وهو على كل شيء قدير .

نعبده وحده ، ولا نسوى به شيئا أبدا .. فما شيء الا من خلقه .

سبحانه

أراد محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ خير خلقه ، فكان

وأراد فختم المرسلين .. بأيسر شريعة وأقوم دين .

دكتور علي الخطيب

مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم

مسيرة وقيادة

- محمد رسول الله خاتم النبيين
- مولد الرحمة
- نبي الرحمة
- هوامش على المولد الشريف
- قراءات في السيرة العطرة
- ما أنفع طبك يارسول الله
- قادة النبي صلى الله عليه وسلم

محمد رسول الله

بقلم فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

قال تعالى فى سورة الاحزاب : « مَاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » من الآية ٤٠

وقال سبحانه فى سورة البقرة حكاية عن ابراهيم : « رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ » من الآية ١٢٩ ·

وقال جل وعلا حكاية عن عيسى فى سورة الصف : « يَابَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ » من الآية ٦ ·

البيان

فى شهر ربيع الأنور استقبل هذا العالم محيا طفل وسيم ، يشرح مرآة القلوب، ويؤنس محياه الارواح ويقر مقدمه العيون ، ولم يكن فى جملة مستقبليه والده الكريم ، فقد مضى الى ربه وهو فى بطن امه ، فاقبل على دنياه يتيما ، ثم لم تلبث امه الحسيبة النسيبة أن لحقت اباه ، فنشا فاقد الابوين ،ذلك الوليد الذى عنيناه ، هو محمد بن عبد الله ·

خاتم النبيين
ودعوة إبراهيم
وبشرى عيسى

عضو مجمع البحوث الإسلامية

والأيتام في دنيا الناس لايقام لهم وزن ، ولا يحظى لهم بتربية — وبخاصة من لم يرثوا من ذويهم مالا ، فينشئون على أخلاق ليس لها ضابط ، فيتجهون غالبا الى غير السبيل الأقوم ، لحرمانهم عطف الآباء وحسن تربيتهم ، وحنان الأمهات وجميل رعايتهن .

لكن محمدا اليتيم لم يكن على هذا النحو من الضياع والحرمان ، فان العناية القدسية ادخرته أزلا ليكون خاتم النبيين والمرسلين ، وهاديا للعالمين ، وحاملا لواء التوحيد والأخلاق الفاضلة بين الناس أجمعين ، فلذا ربته على أكمل المناهج ، وسلكتبه دربا سويا مستقيما من الأخلاق ، ينتهي به الى تحمل أعظم التبعات ، فنشأ في صباه وفي شبابه على أعلى مستوى من المعايير الخلقية ، في صفاء النفس وطهارة الضمير وعلو الهمة وكمال السلوك ، فما حدثت منه صبوة ، ولا حدثته نفسه بكبوة .

ومع أن بني قومه كانوا يعاقرون الخمر ويرونها مجلبة للكرم والشجاعة والنجدة والمروءة ، فان محمدا حرمها على نفسه في صباه وفي شبابه حتى شرفه الله بالنبوة ، لأنه كان يرى فيها غير ما رأوا ، فقد كان يراها أم الخبائث ، ومفتاح الشر ، ومحطمة العقل والارادة والجسد ، ومفسدة المال .

ومع أن بني قومه كانوا يعكفون على أصنامهم عابدين لاذين ، يحسبونها رمزا للملأ الأعلى ، ومقربة لهم الى الله زلفى ، ومانحة للخير ومانعة من الشر ، فان محمدا لم يذهب في شأنها مذهبهم ، اذ كان يعتقد

محمد رسول الله

أنها مخلوقة لا خالقة ، ومبعدة عن الله لا مقربة اليه ، وأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ، وأن الله تعالى ليس بحاجة الى وسيط يقرب عباده اليه ، وأن عبادتها اهدار للقيم العقليـــة ، واجحاف بحق الربوبية ، فلذا نشأ بعيـدا عن الاعتراف بقدسيتها .

ولقد كانت أبرز صفاته التى عرف بها قبلأن يشرفه الله بالنبوة ، أصالة الرأى ، والصـدق فى القول والأمانة ، فاذا أشكلعليهم أمر لجئوا اليه فهداهم الى مخرج منه ، واذا حـــدثهم حديثا صدقوه ولم يشكوا فيه ، واذا عزت فى الناس الأمانة ، وجدوها كاملة فى رحابه .

هــذا هــو اليتيم الذى لم ينشئه على تلك الفضائل أبوان ، ولم تغرسها فيه بيئته الوثنية، ولم يعلمه مناهجها الكثيرة مدرسة ولا جامعة ، ولكنها عناية الله العلى الكبير ، أعدته هـــذا الاعداد الشريف ، لما ينتظره من أمر خطير ، وما سوف يلقى عليه من قول ثقيـل ، وتكليف واسع عريض .

العالم قبـل البعثة المحمدية

كان العالم قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم مملوءا بالفتن زاخرا بالبلايا والمحن ، تسوده شريعة الغاب وضراوة السباع ، والأمم فيه وقود للحرب بين أمتين عظيمتين تسيطران على شعوبه : الفرس شرقا والرومان غـربا ، وأرزاق النـــاس نهب لأولئك المســيطرين ، وافرادهم عبيد لأولئك الجبارين ، وهــؤلاء الطغاة لا يعرفون الله فيخافوه ، ولا يؤمنــون بيوم الجزاء فيحذروه ، والديانتان السماويتان سخرتهما الشهوات لخدمة الطغاة المتجبرين ، وحرفتهما الأهواء بثمن قليل ، فكان العـــالم بحاجة الى بعثة عامة شاملة ، ترفع المظالم عن كواهل المعذبين ، وتعيد الى الحق قدسـيته ، وتطمئن كل عامل على رزقه ، وتنتشر الطمأنينة وتمكن للاخلاق الفاضلة ، فى ظل عقيدة التوحيد والايمان بيوم الوعيد .

وقد اختار الله لحمل هـذا العبء الثقيل ، سيد أولى العزم من الرسل ، محمدا صـلوات الله وسلامه عليه ، فقام به خير قيام، واستطاع بعون الله أن ينشر السلام على الأرض ، ويعيد الحق الى نصابه ، وينشر الطمأنينة والعـدالة بين الناس أجمعين .

المنهج الالهى فى الرسل والرسالات

كان المنهج الالهى فى ارسال الرسل أن يبعث الله فى كل أمة رسـولا منهم ، يتلو عليهم آياته، ويخرجهم من الظلمات الى النور « وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » .

ثم شاء الحكيم الخبير أن يوحد شريعته فى العالم ، لأن الشريعتين السماويتين الموجودتين شريعتان اقليميتان لا تصلحان للعموم ، ولأنهما



قد مسخت أصولهما وتغيرت نصوصهما ، فلا يعرف فيهما ما هو من كلام الله وما هو من كلام البشر ولما فيهم من نصوص لا يمكن أن تكون من وحى السماء ، كالتى تنسب البنوة لله وهو منها براء ، وكالتى تلوث الأنبياء بالمعاصى ولأن العالم الغارق فى المظالم والفتن والمفاسد بحاجة الى رسالة فتية نقية تصلح لجميع الطبقات وتناسب جميع العصور ، يؤديها رسول قوى أمين ، ويؤيده فيها قوم شداد العزم صلاب الارادة ، فقراء لا يملك قلوبهم وعقولهم المال، ولا يبطرهم الغنى، ولا يستحوذ عليهم الغرور ، ولا يبعثهم على الصلف أنهم من أصلاب أنبياء متتابعين — فى حين أنهم عن سنتهم ناكبون ، وفى غيهم يعمهون •

فلهذا أبعد الله تلك الرسالة عن بنى اسرائيل المتغطرسين ، ومنحها بنى اسماعيل الغر الميامين ، واختار منهم واحدا من أعرق أرومة فيهم ، وأعظم مجد فى أنسابهم ، وأذاقه اليتم فى طفولته ليعظم احساسه بآلام الناس ، فانه لا يعرف الألم الا من ذاق طعمه المرير ، واصطفاه أميا ليكون العلم الذى يجرى على لسانه من آيات نبوته ورسالته ، ولقد صدق البوصيرى اذ يقول :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

وفى خصوص بعثة المرسلين وعموم بعثة محمد — صلوات الله عليهم أجمعين — يقول : صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الناس عامة » أخرجه البخارى فى صحيحه عن جابر — كتاب التيمم•

محمد دعوة ابراهيم عليه السلام

لما رفع ابراهيم واسماعيل القواعد من البيت الحرام ، دعوا الله تعالى قائلين « **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (١) » •

وقد استجاب الله دعاءهما فبعث فى أهل البيت الحرام رسولا من ذريتهما هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم الى الاسلام فأصبحوا بنعمة الله تعالى مسلمين ، وبذلك تحققت دعوتهما بجزأيها • (١) أن يجعل

(١) سورة البقرة : الآيات : ١٢٧ — ١٢٨ — ١٢٩ .

من ذريتهما أمة مسلمة لله ، وأن يبعث فيهم رسولا منهم يكون سببا فى اسلامهم ، بما يتلوه عليهم من آيات الله ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « انى عند الله لخاتم النبيين ، وان آدم لمنجدل فى طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك ، دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى ، ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين يرين » أخرجه الامام أحمد عن العرباض .

والمراد برؤيا أمه ما رأته فى منامها ، من أنها خرج منها نور أضاءت له قصور الشام — كما أخرجه الامام أحمد عن ابى أمامة ، وسنتحدث عن بشرى عيسى بعد توفية الحديث عن دعوة ابراهيم بمشيئة الله تعالى :

فان قيل : ان اسماعيل شارك اباه ابراهيم فى الدعاء ، فلماذا اقتصر صلى الله عليه وسلم على بيان أنه دعوة ابراهيم ، قلنا : لعل الدعاء أصلا كان من ابراهيم ، أما اسماعيل فكان يؤمن على دعاء أبيه عليهما السلام .

واعلم أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم — وان بدأت فى ذرية ابراهيم واسماعيل — فهى عامة للناس جميعا ، قال تعالى فى سورة الجمعة « هو الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) » فالمراد بهؤلاء الآخرين جميع الناس كما قاله مجاهد وغيره ومن أدلة عموم بعثته قوله تعالى « هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ٢ وقوله « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » (٣) .

وكما أن رسالته عامة للانس فانها عامة للجن أيضا ، قال تعالى « وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِىَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِىَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ » .

فانت ترى من هذا العرض : أن الرسالة

---

(١) الآيتين ٢ — ٣

(٢) سورة الفتح : الآيتين ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) سورة الانبياء : الآية ١٠٧ .

المحمديه — مع عمومها — بـدات بلاميين من بنى اسـماعيل ، لكنها انتقلت منهم وبجهـادهم وجهاد من بعـدهم الى غـيرهم ، على سـنه التدرج فى بناء هذه الامة الواسعه النطـاق ، لتقوم على أساس متين •

بشارة عيسى بالنبى صلى الله عليه وسلم

قلنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال « أنا دعوة ابراهيم وبشـارة عيسى » فأمـا أنه دعوة ابراهيم عليـه السـلام فقـد مضى الحديث عنه ، وأما أنه بشارة عيسى ، فقد حكاه الله تعالى بقوله فى سورة الصف « وَإِذْ قَـالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّـوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ •• » (١)

وأحمد من أسمائه صلى الله عليه وسلم ، فقد صح عنه أنه قال « لى خمسـة أسماء — أنا محمد وأحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى تحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب » وفى حديث لمسلم عن أبى موسى الأشعرى قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسمى نفسه أسـماء ، فيقول : أنا محمد وأحمد والمقفى والحـاشر ، ونبى التوبة ونبى الرحمـة » الى غـير ذلك

---

(١) من الآية : ٦ •

بشارة عيسى بالنبى فى الانجيل

مما جاء فى السنة من أسمائه صلى الله عليـه وسلم •

ومما جاء فى انجيل متى قـول يسـوع فى الاصحاح الحـادى والعشرين مخاطبـا بنى اسرائيل : أما قرأتم فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية من قبل الرب — كان هذا وهو عجيب فى أعيننـا لذلك أقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه) •

فالحجر الذى رفضه البنـاءون كنـاية عن سيدنا اسماعيل وأولاده وهم الأمة العربية ، وعلى رأسها سيدنا محمـد صلى الله عليـه وسلم ، اذ أن اسماعيل رفضته سارة امـرأة أبيه ، ويدور الزمان فى نهاية النبوة فى الامـة الاسرائيلية ، ويعود بنو اسماعيل والمسلمون من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينهم الاسـلام ، فيصـيرون هم رأس الزاوية فى الأهمية بالنسبة لدين الله (٢) •

وفى انجيل يوحنا اصحاح ١٤ — عـدد ١٥ (ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصـاياى ، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معـزيا آخـر ليمكث معكم الى الابـد — وفى اللغـة الاجنبيـة

---

(٢) محمد نبى الاسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوى •

الاسلام مؤتلف مع العلم والعقل

(فيعطيكم باركليتوس) ليمكث معكم الى الأبد — روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، لانه لا يراه ولا يعرفه) والمعنى الحرفي لكلمة باركليتوس هو احمد ، وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم (١) .

وقد تحددت البشارة به في انجيل برنابا ، ومن ذلك ما جاء في الفصل السابع عشر (ولكن سيأتي بعدى بهاء كل الأنبياء والأطهار ، فيشرق نورا على كل ظلمات سائر ما قال الانبياء ، لانه رسول الله) ٢٢ ، ٢٣ وفي الفصل التاسع والثلاثين ١٤ ، ١٥ (فلما انتصب آدم على قدميه ، رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس ، نصها لا اله الا الله محمد رسول الله) .

والكلام في هذا المجال يحتاج الى مقال مستقل نتحدث فيه عن بشارات مختلف الاناجيل والعهد القديم ، وحسبنا اليوم ما تقدم .

---

(١) المصدر السابق



ان دين الاسلام صديق للعلم ، وصاحب وفي للعقل ، فلا تنافر بينهما ولا خلاف ، بل مودة وائتلاف وكما ان الاسلام يحض على تعلم العلم ويحترم العقل ، فالعقل يهدى الى الاسلام ، والعلم ربيب آياته ، ودليل على صحة اتجاهاته ، فالحق لا يؤيده اقوى من العلم .

ولهذا كانت عصور العلم في بغداد ودمشق وقرطبة والقاهرة ، هي أزهى عصور الامة الاسلامية ألا وان العقيدة الاسلامية لا تقف عثرة في سبيل الفكر ، وكما أن الاسلام صالح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس ، فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات ، وهو كما ينفعل به الرجل العملي في أسواق (لندن) مثلا — حيث الوقت هناك من ذهب — فانه يأخذ بلب الفيلسوف الروحاني ، وكما يتقبله الشرقي صاحب الخيال الشعري في السماء والماء وضوء القمر وهدوء السحر ، والصحراء والمدر والزرع والشجر ، يأخذ بمجامع الفكر في الغربي الذى عكف على الابداع في الفن ، ورسم الصور الرائعة في الشعر والنثر ، فكم من فيلسوف ومصور وقسيس وشاعر ، وطبيب وصيدلي ومحام وسياسي في الشرق والغرب ، ترجموا عن عن الاسلام فبهرهم رواؤه ، واستحوذ عليهم

تناسبه مع الفطرة ، وجذبتهم اليه عقائده وعباداته ، فآمنوا به راسخين ، لا رغبا ولا رهبا ، بل اقتناعا عميقا وحبا ، فهو الرحيق السائغ والمنطق السليم والمنهج المستقيم ، ولولا ضيق المقام لذكرت أسماء الكثير من الاعلام الذين أسلموا ، وحسبنا في هذا المقام بعد الذي ذكرناه أن نذكر شهادة مسيحي كبير هو (الكونت دى كاسترى) اذ يقول : ان الذين يعتنقون الاسلام في وقتنا هذا (القرن العشرين) من المسيحيين وغيرهم انما هم من الخاصة ، سواء أكانوا من الهيئات الاجتماعية الاوربية أم الامريكيه ، كما ان اخلاصهم في ذلك لا شك فيه ، لانهم ابعد ما يكونون عن الأغراض المادية) •

هدى الله الى الحق كل من حاد عنه ، وبصره بجادته ليستقيم عليها ، فهو الهادى الى سواء السبيل •

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

الأزهر الشريف

الأمانة العامة للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر

إعلان عن مسابقة بين الكتاب والباحثين بمناسبة الاحتفال بمرور ألف عام على إنشاء الأزهر الشريف

تعلن الامانة العامة للجنة العليا للاحتفال بالعيد الالفى للازهر عن المسابقة بين الكتاب والباحثين من مصر وخارجها للكتابة فى الموضوعات الآتيـة :ـ

١ ـ الازهر ودوره فى الدفاع عن الاسلام ·
٢ ـ الازهر والدعوة الاسـلامية فى الداخل والخارج ·
٣ ـ الازهر والوحدة الاسلامية ·
٤ ـ الازهر ودوره فى حماية المفاهيم الاسلامية عن الانحراف والتطرف ·
٥ ـ الازهر ودوره فى الحفاظ على اللغـة العربيـة ·

بالشروط التاليـة

١ ـ (أ) ان يكـون البحث فى واحد من هذه الموضوعات ·

ويجـوز لاى باحث ان يتقـدم ببحث فى غير هذه الموضوعات عن الاسلام او عن الازهر وبـذات الشروط ·

(ب) يجوز للباحث الكتابة فى اكثر مـن موضوع ·

(ج) يجـوز لاكثر من واحـد الكتابة فى موضوع واحد ·

٢ ـ (أ) ان يكون البحث ذا صبغة علمية وتجب الاشارة فى صلب البحث الى المصـادر والمراجع التى استمد منهـا الباحث .

(ب) ان يكون البحث جـديدا لـم يسبق نشره ولا تقديمه لاحدى الهيئات العلمية كنتـاج علمى ولا فى مسـابقة اخـرى (ويقـر الباحث بذلك فى طلبـه كتـابة) .

(ج) يتحمـل الباحث شخصيا المسـئوليات القانونية قبل الآخرين ودون ادنى مسـئولية على الازهر بشأن اية حقوق يتقاضيه الاخرون عنها .

٣ ـ (أ) لا تقل صـفحات البحث الواحد عن ثلثمائة صفحة فولسكاب مضروبة بالآلة الكاتبة ·

(ب) يكتب البحث باللغـة العربية الفصحى ·

(ج) يقدم الباحث ثـلاث نسـخ من كل بحث للسيد الامين العام للجنة العليا للاحتفـال بالعيد الالفـى للازهـر (مكتب فضيلة الاسـتاذ الدكتور وكيل الازهر) بادارة الازهر بالقاهرة فى موعد لايجاوز يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٨٣ ·

٤ ـ (أ) قيمة المكافأة عن كل موضوع فى حدود مبلغ ٣٠٠٠ جنيه (ثلاثة الاف جنيـه مصرى) وتـوزع المكافاة حسـبما تقـرره لجان الفحص لباحث واحد او اكثر ويجوز لهذه اللجان تقـرير مكافاة تشـجيعية عـلى بعض البحوث ويتم صرف جميع المكافات بالعملة المصرية

(ب) يصرف نصف المكافاة بعـد صـدور قـرار لجـان الفحص واعتماده من الامين العام والنصف الباقى بعد انتهاء الازهر من طبع البحث ·

(ج) للبـاحث الحصـول بالمجـان عـلى خمسين نسخة من بحثه بعد نشره اذا ماطلب ذلك ·

٥ ـ (أ) كل بحث له مكافاة أصلية يكون صالحا للنشر ويتولى الازهر طبعـه ونشره ويعتبر تقديم البحث للمسابقـة اذنـا من البـاحث للازهر بالطبع والنشر ولا يجوز للباحث طبعه او اعادة طبعـه او نشره الا باذن خاص مـن الازهر · ويجوز ان تعامل البحوث المقرر لهـا مكافاة تشجيعية ذات المعاملة ·

(ب) للازهر الحق فى نشر البحث فورا او تأجيل نشره الى المدة الزمنية التى يراها ·

(ج) للازهر الحق فى نشر البحث مجـزءا فى الدوريات التى يصدرها او فى غيرها من الدوريات

مولد الرحمة

للأستاذ الدكتور محمد محمد خليفة

بين شراسة الظلم التي سوّلت للانسان أن يئد بناته خيفة الأسر أو الفاقة ، والتي جعلت ألسنة السياط لغة يتخاطب بها السادة مع العبيد ، والتي اتخذت من حد السيف لسانا تتهاوى لمنطقه رقاب المستضعفين استسلاما لجبروت الباطشين .

وبين القسوة التي غشت بها النفوس فصرفتها عن انسانيتها ، وتفجرت فيها نوازع الشر التي حولت الجزيرة العربية الى أتون يحترق في لهيبه أمن الحياة وسكينتها .

بين تلك الشراسة الباغية والقسوة العاتية عاشت البوادي والحواضر قرونا في صراع سحقت طواحينه العزائم والأموال ، وعضت أغلاله أعضاء الضعفاء من الرجال ، ومعاصم الأسيرات من النساء . بين هذه الحياة بشرورها وخطاياها وضلالها شاء الله أن تولد الرحمة في بيت قرشي من بيوت مكة : هو بيت عبد الله بن عبد المطلب ، وأن يكون الوليد محمدا هو الرحمة المهداة لتلك البشرية ، وأن يكون لمرارة اليتيم الذي مني به منذ ولادته وأن يكون لعطف الأهل عليه ولبر بني سعد به حيث استرضع انطباعات ومشاعر عاشت معه حياته تولد في روحه طاقات من الرحمة تمهدها

ربه بالرعاية والتنمية حتى تجسمت فكانت محمدا .

وقد لاحت بشائر الرحمة أول ما لاحت حين فاضت بركتها فى بيت حليمة السعدية تغدق الخير على أهلها ، والناس فى البادية من حولهم يعانون الجدب وجفاف الزرع والضرع الا آل حليمة الذين غمرتهم بركة الرضيع فكان مقامه فيهم الرحمة الدافقة ، والنعمة المغدقة .

وكان فى شبابه المبكر رحمة رحم الله بها قريشا من الهلاك حين انتهت بينها الشحناء ، واحتد التنافس بين بطونها وعشائرها فى أيها الخليق بوضع الحجر الأسود فى موضعه من الكعبة بعد أن تضافرت جهودهم فى تجديد بناء بيت الله المعمور ، وكادوا يحتكمون الى السيوف لتفصل فى ثورة ذلك النزاع لولا أن هتفت بينهم حكمة الشيوخ : اجعلوا الحكم الأول داخل من الباب ، وتعلقت أبصارهم لترقب الحكم الذى تسوقه اليهم دروب مكة ، وما كاد يطلع عليهم محمد أول داخل من ذلك الباب حتى هتفوا جميعا :

« هذا الأمين رضيناه حكما » وهنا تجلت حكمة الأمين التى باركها الله فيه ، فوضع الحجر فى ثوب ، ثم نادى فيهم : لتأخذ كل قبيلة بطرف فرفعوه جميعا ، ثم أخذه بيده ووضعه مكانه ، وبه رحم الله قريشا منخلاف كاد يهدد حياتها فكان محمد بحكمته الرحمة المهداة ، ورحم الله به قريشا فلم يعذبهم حين كذبوه : « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ » الأنفال

وكانت رحمة الله لبنى سعد بمحمد فى طفولته ورحمة لقريش بمحمد فى شبابه ارهاصا بالرحمة العامة بالبشرية التى تتجاوز البادية ومكة بل الجزيرة العربية لتغمر آفاق الدنيا بل تتعداها الى الآخرة ، فقد اجتباه ربه رحمة للعالمين فى الدين والدنيا بل فى الأولى والآخرة ، فبعثه الله رسولا يدعو الى الحق، ويرتفع بالانسانية عن حماقة الوثنية ، وتخبط الكتابية التى انحرفت عن صراط الله فكان بعثه ، وكانت رسالته رحمة لتلك الانسانية بل للعالمين .

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » ١٠٧ ــ الأنبياء .

بعثه رحمة لعقيدة الثقلين :

قال تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » الذاريات ٥٦ .

تبين الآية أن الجن والانس مكلفونبعبادة الله ولهذا بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى عبادته ، وكانت البشرية قبل مبعثه فى عمايات الضلال حيث حرف الكتابيون التوراة والانجيل ، وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارىالمسيح ابن الله ، وتردى العربوغير العرب فىظلمات الأرباب التى عبدوها لذاتها أو زلفى الى الله وما أكثر تلك الأرباب : عبدوا الأصنام التى صنعها لهم المضللون ، وعبدوا الشعرى

وغيرها من الكواكب ، وعبدوا النار وعبدوا الحيوان فأرسل الله محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة بتلك البشرية التائهة فى ضلالاتها لينتشل القلوب من ظلمات ضلت فى أمواجها قرونا ، وعاش ثلاثة عشر عاما فى مكة يصارع الباطل ، ويواجه عناد الوثنية وتحديها ، ثم كانت هجرته الى المدينة ليتخذ منها منارة للعقيدة الصادقة تهدى الحيارى الضاربين فى متاهات الضلال ، ومن المدينة انبعث فجر الايمان الصادق، وتفجرت اشراقاته فأضاءت آفاق الجزيرة العربية ومحا ما ران عليها من رواسب الحمق الجاهلى ثم انطلقت اشعاعاته ، فاجتازت حدود الجزيرة الى بلاد فارس وما وراءها والى بلاد الروم وما خلفها ، ثم غمر ضحاء العالم ليهدى البصائر التى شرح الله أعماقها للاسلام ولم تمت رحمة الله بالبشرية فى عقيدتها بموت محمد صلى الله عليه وسلم بل عاشت العقيدة تهتف فى الاجيال بدعوة الحق التى دعا بها محمد صلى الله عليه وسلم وترك صوتها يؤذن فى الوجود : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام ١٥٣ .

وكما كان بعثه رحمة للانسانية فى عقيدتها كان كذلك رحمة للجن حيث تاهت دنياهم فى الضلال والخطايا ، وقد قص القرآن موقف بعض الجن حين سمعوا القرآن وآمنوا به فى أكثر من موضع من كتابه : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ﴾ الأحقاف ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

فبلغ أولئك النفر الذين حكى الله قصتهم دعوة محمد الى الجن فكانوا رسل رسول الله الى قومهم ، وقد أنزل الله فى كتابه سورة سميت باسمهم : الجن يقول الله فى مطلعها : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ الجن ١ ، ٢ وايمان الجن بالله وبالقرآن وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم كان

رحمة من الله بهم حيث أنقذهم رسول الرحمة من ضلالات وذنوب ترددوا فى حيرتها حقبا من الدهر .

رسالة محمد رحمة للإنسانية فى السلوك والأخلاق

وكان محمد الرسول رحمة للانسانية فى سلوكها حيث كانت حياته سجلا للفضائل ينطق بالخير ، ويحول جذب النفوس الى خصوبة تغير وجه الحياة ، وكان حياته النهر العذب الرقراق يتدفق فى الوجود فتتلقاه أجيال الخير وتخصب به النفوس حتى يجعل منها نفوسا فيها الطهر الملائكى والسلوك المترفع عن طينية الأرض وقد استمر سلوكه الذى أثرى حياته من الأدب القرآنى الذى أوحاه اليه ربه من مثل قوله تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وقوله : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ) وقوله : (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) وقوله : : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) وقوله : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) وقوله : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) وقوله: (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) فالقرآن : كتاب عقيدة وشريعة واجتماع وآداب ؛ وما فرط الله فيه من شىء ، لأنه آخر كتب السماء الى البشرية . ولم يكن رسالة محمد رحمة للمجتمع البشرى وحده ، بل كانت رحمة لكل ماعلى الأرض منحيوانات وزواحف وطيور وحشرات فكم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفق والرحمة حتى بالحيوان الأعجم ، وكم بين للانسان مسئوليته عما تحت يده، وما يرعاه ، ومازالت تحذر النفوس صورة المرأة التى دخلت النار بسبب هرة حبستها فلا هى أطعمتها وسقتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض ، وكأن تلك الصورة عاشت فى الوجود تهتف : خذوا حذركم من القسوة حتى لا يحيق بكم ما حاق بهذه المرأة .

وعاش محمد صلى الله عليه وسلم يتلقى من ربه الأوامر والنواهى والتوجيهات ، ويحمل نفسه على العمل بما جاء، حتى تسامت نفسه بذلك التأديب ، فكانت نورا أشرق فيمن حوله يهدى القلوب ، ويطبعها على النهج الذى أدبه به ربه ، ويرودها على النهج القرآنى حتى استقامت على الطريق فى حمى المكارم التى أقامتها سنة رسول الله

مشاعل على طريق الخير ، وعاشت على الدنيا تزخر بها سيرته من الحلم والعدل والعفة والعفو والسخاء والزهو وصلة الرحم والحياء والايثار والتواضع بكل هذه المكارم وغيرها دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوب الأجيال ، وانعكست سيرته على نفوس المخلصين الصادقين ممن آمنوا به واتبعوا النور الذى أنزل معه ، فكانت سيرته وسيرة أصحابه المرآة التى ترى فيها المجتمعات على اختلاف الزمان والمكان الخير الذى جعله الله رحمة للبشرية حين تسلك مسلكه وتأتسى به

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب ٢١ •

التشريع الذى أُرسل به رحمة

وكان التشريع الذى بعثه الله رحمة للناس حيث أرسله بشريعة الصلاة ليربط العبد بها روحه لحظات من نهاره وليله يرتفع فيها عن أهواء دنياه وهواجس نفسه وخواطره ليسعد روحه بتلك الرحلة التى تخترق فيها أفكاره عوالم الأرض والفضاء يتلمس فيها وفيما وراءهما صنع الله وقدرته ليزداد ايمانابالصانع القادر وليطهر نفسه مرات فى اليوم والليلة مما علق بها من رواسب الدنيا وبذلك يرحم نفسه من دنياها ، وأرسله بشريعة الصوم ليخلق بها فى قلوب الصائمين رحمة ترفعهم عن شهوات الحيوانية واستئثارها وتخلق فيهم الايثار حين يدركون معاناة الجوع والحرمان ، ويدفعهم ذلك الادراك الى تقديم ما يدرأ به المحرومون والجياع غوائل الفاقة والجوع •

وكانت الرحمة رباط الله المتين الذى جمع القلوب فى ظلال البر ، وعاش المسلمون الصادقون حينا من الدهر متراحمين رعاتهم ورعاياهم لا تفرقهم الأثرة ، ولا يمزقهم طغيان التملك •

وكانت شريعة الزكاة التى بعث الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة بالمعسرين ونجاة من عذاب الله ورحمة للموسرين •

وكانت شريعة القصاص رحمة بل جعل

الله فيها الحياة للنفوس التى حرم الله قتلها

وكانت الحدود التى جاءت بها الشريعة

الا بالحق •

الاسلامية رحمة : فحد السرقة رحمة تصون أخلاق المجتمع من الانحراف والتعدى على ملك الغير ، وحد الزنا رحمة للأعراض والأنساب ، وحد الخمر رحمة للعقول والأبدان وحد القذف رحمة للأخلاق •

وكل ما جاءت به شريعة الله التى ضمها كتاب الله رحمة للانسانية : لأفرادها ومجتمعاتها حين يأتمر الناس بما جاء رسول

مولد الرحمة

الرحمة ، وينتهون عما نهى عنه رسول الرحمة .

وما أكثر ما جاء به كتاب الرحمن من أوامر ونواه وتوجيهات ليتراحم البشر ويسيروا على الدرب الذى خطه الرؤوف الرحيم (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) التوبة ١٢٨ .

وقد كان صلى الله عليه وسلم فى حياته الرءوف الرحيم ، وكانت رسالته رأفة ورحمة بالعالمية ، وكما كان رحمة فى حياته كان رحمة بعد موته : فهو فى البرزخ تعرض عليه أعمال أمته فان رأى خيرا حمد الله وان رأى غير ذلك استغفر ربه للعصاة من المسلمين يحدوه الطمع فى رحمة الله والوعد الذى كتبه الله على نفسه حتى للمسرفين فى اقتراف الخطايا (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الزمر ٥٣ .

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ) النساء ٤٨ (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) الاعراف ١٥٦

ان روح رسول الله فى ظلال رحمة الله تستغفر لعصاة المسلمين ثم تستشفع يوم الحشر حين يتأزم الموقف فيدوى فى ساحة الرحمن صوت رسول الله : يارب أمتى .

فليتنا نتراحم لنكون أهلا للرحمة ، وليتنا نتآخى ولا نتعادى ، وليت الحب يعرف طريقه الى القلوب ليستل منها السخائم التى صنعت الحواجز بين الاخوة ، ومزقت أواصر الألفة بين من جمعتهم القبلة التى ولوا قلوبهم ووجوههم نحوها !

وليت المتناحرين من الشعوب الاسلامية يرحمون أنفسهم وأبناءهم بعد أن غرقت بلادهم فى بحار الدم والتهمت ثرواتهم بطون المدافع ، وتاهت مع عواصف الخوف خطاهم!

ولعل الرحمن فى عيد مولد الرحمة يستجيب الى ضراعة الضارعين من المشفقين على مصير أمتنا الاسلامية فيجمع الشمل رحمة بها ، ويؤلف بين القلوب ليستعيدوا العز السليب ، وما ذلك على الرحمن بعزيز .

د . محمد محمد خليفة

قراءات في السيرة العطرة

بقلم الدكتور فؤاد خندرجي العقلي

اجهد المؤرخون وكتاب السيرة المحمدية اقلامهم في التملي ارهاصات وخوارق للعادة سبقت مولد الرسول صلى الله عليه وسلم .

ونقول مع الأستاذ العقاد : ان العلامة الحقة على صدق رسالته صلى الله عليه وسلم ، وهي العلامة التي لا التباس فيها ، ولا سبيل الى انكارها ، هي علامة الكون ، وعلامة التاريخ : « قالت حوادث الكون : لقد كانت الدنيا في حاجة الى رسالة .. وقالت حقائق التاريخ : لقد كان محمد هو صاحب تلك الرسالة .. ولا كلمة لقائل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ » (١) .

واقول اضافة الى ما ذكره العقاد : ان على من يلتمس البرهنة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم في رسالته أن يلتمسها من خلال تصفح سيرته العطرة ، وسيجد البرهان تلو البرهان على صدق هذه الرسالة الخاتمة .

ومن بين العلامات المضيئة بأحرف النور في تلك السيرة الشريفة تبرز صفتا الصدق والأمانة ، فقد أجمعت كل المصادر الموثقة بأوكد أسانيد التاريخ المتواتر أنه صلى الله عليه وسلم ، لم تؤخذ عليه كذبة واحدة في كل حياته منذ مولده الى لحاقه بالرفيق الأعلى ، بل كان صادقا حتى في مزاحه ، يمزح ولا يقول الا حقا ، ولقد كان هذا القياس القائل : ما كان محمد ليدع الكذب على الناس ، ثم يكذب على الله .

من أقوى الأدلة التي هدى الله بها أقواما للدخول في دين الله .

(١) عبقرية محمد : ص ٣٦ طبعة دار الهلال

السيرة العطرة

وقد كان المشركون يعترفون بأنهم لم يجربوا عليه كذبا قط — والحق ما شهدت به الأعداء — كما أن حادث اختلاف قريش في وضع الحجر الأسود حين هدموا الكعبة وأرادوا بناءها من جديد . ولما وصل الأمر الى امتشاق السيوف ، أشار عليهم عقلاؤهم أن يحكموا أول (داخل) من باب البيت ، فكان صلى الله عليه وسلم ، هو ذلك (الداخل) ، ولم يكن جاوز الخامسة والعشرين من عمره ، أى قبل الرسالة بسنوات عديدة ، فرضوا به حكما ، وقالوا : هذا الأمين رضينا به حكما .

كذلك نجد الفقر المادى ، وابعاد الله له عن رفاهة العيش ، حتى لا ينغمس في الترف ، فتخمد فيه روح الجهاد وحتى يتدرب على الزهد في حطام الدنيا ، ويألف خشونة العيش ، فلا يشغله شاغل عن دعوته بكل طاقته ، وعن تمام صلته بربه وكمال أنسه به .

وكانت « الأمية » أبلغ رد على من سيزعم في المستقبل حين يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دين الله ، أنه كتب هذا الكتاب بيده ، أو ألفه وخط عباراته بقلمه !.

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الدولة الاسلامية في المدينة بعد هجرته اليها ومعه المسلمون الأوائل ، فجعل شعارها :

الاخاء الانساني الشامل ، هذا الاخاء الذى جعل ايمان المرء لا يكتمل الا اذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه ، والذى وصل الى كمال البر والرحمة .

سئل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أى الاسلام خير ؟ فقال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » (١) .

— ولم تكن دعوته صلى الله عليه وسلم الى الاخاء قاصرة على القول يوجهه للغير من غير ان يلتزم به هو في سلوكه . كلا . فقد جعل من نفسه صلى الله عليه وسلم المثل الحى ، والقدوة العملية ، فقد اعتبر نفسه أخا لكل مسلم ، فكان جم التواضع روى الترمذى عن أنس : ما كان شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا اذا رأوه لم يقوموا ، لما يعلمون من كراهيته لذلك » (٢) .

وكان صلى الله عليه وسلم يجلس حيث ينتهى به المجلس ، لا يتخذ لنفسه مجلسا متميزا ، وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ، ويحادثهم ، ويداعب صبيانهم ، ويجيب دعوة الحر والعبد والمسكين ، ويعود المرضى في أقصى المدينة ، ويبدأ من يلقاه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة .

— وناهيك بسلوكه الكريم ، ومنتهى تواضعه مع أهل بيته ، كان يشارك أهله في أعمال المنزل ، ويطهر ثوبه بنفسه ، ويحلب شاته ،

---

(١) رواه البخارى : جـ ١ : بشرح فتح البارى — طبعة دار الكتاب الجديد : ص ٥٢ — ٥٣ .

(٢) حديث حسن صحيح : الاحياء : جـ ٦ : ص ١٠٠٨ .

ويخصف نعله ، ويخدم نفسه ، ويأكل مع الخادم ، ويقضي حاجة الضعيف والبائس والمسكين . ويبلغ من طيبة نفسه ورقة قلبه أنه كان يترك بني بناته يداعبونه أثناء صلاته ، بل لقد صلى وهو يحمل (أمامه) ابنة (بنته زينب) ، يحملها على كتفه ، فاذا سجد وضعها ، واذا قام حملها (١) .

ـ كان الاخاء الانساني الشامل هو حجر الأساس الذي قامت عليه الدولة الاسلامية الأولى في المدينة :

آخى بين الأوس والخزرج من الأنصار سكان المدينة الأصليين فجعلهم يتزاورون ويتحابون بعد أن كانت الحروب لا تنقطع بينهم في الجاهلية وآخى بين هؤلاء الأنصار وبين المهاجرين الذين تركوا أموالهم وديارهم في مكة فرارا الى الله بدينهم .

فكان الانصاري يقاسم أخاه المهاجري ماله ، وداره وكان المهاجري كريما على نفسه لا يحمل الأنصاري مالا يطيق .

وظل التوارث بين المهاجرين والأنصار حتى نزل قوله تعالى : « وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ » (٢) .

ـ ثم عقد معاهدة سلام بين المسلمين وبين اليهود في المدينة ومن حولها ... ووفى لهم ما وفوا للمسلمين .

ـ لقد انعقد مؤتمر للأديان الثلاثة في المدينة ، الاسلام ، واليهودية ، والنصرانية ، التي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) رواه مسلم : ج ٥ : ص ٢١ .
(٢) الأحزاب : ٦ .

على أهل الكتاب من اليهود والنصارى بيان الاسلام وهو قول الله ، تبارك وتعالى . :

« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » (٣) .

ان الاحياء الحقيقي لذكرى ميلاده صلى الله عليه وسلم يكون باحياء سنته ، وتطبيق شريعته ، والعمل بما جاء به من عند ربه ، حتى يسره ذلك حين تعرض عليه أعمالنا ، فقد ورد عنه ـ صلى الله عليه وسلم ما معناه : « حياتي خير لكم ، ومماتي خير لكم ، حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، ومماتي خير لكم ، تعرض على أعمالكم فان وجدت خيرا حمدت الله ، وان وجدت غير ذلك استغفرت لكم » (٤) أو كما قال ـ صلى الله عليه وسلم .

دكتور / فؤاد خدرجي العقلي

(٣) آل عمران ـ ٦٤ .
(٤) حديث حياتي خير لكم .. الخ صحيح محتج به ، رواه ابن سعد في الطبقات مرسلا بسند صحيح انظر مجلة نور الاسلام ـ سفر ١٣٥١ ص ١١٦ .

نبي الرحمة

الشجاعة : صفة من أجلّ الصفات الانسانية : التى يتحلى بها أصحاب النفوس الأبية ، والقلوب القوية ، والهمم العلية ، والعزائم الفتية .. وهى وسط بين رذيلتين :احداهما الجبن : وهو الخوف مما لا ينبغى أن يخاف منه .. والأخرى : التهور : وهو الاقدام على مالا ينبغى الاقدام عليه .. ويقال لها الجرأة : وهى غريزة : تحمل صاحبها على مواجهة الأخطار والشدائد بثبات ورباطة جاش .

وهى اما أدبية : وذلك بأن يقول الانسان الحق الذى يعتقده ، ويرى صوابه ، وان كان مرًّا .. أو مادية : كمنازلة الأعداء : فى ميادين القتال والجهاد..

وللشجاعة : أثرها العظيم فى حياة الفرد والجماعة ، والأمم والشعوب ، حيث يترتب عليها : صيانة أعراض الناس وحرماتهم ، وسلامة حياتهم وأموالهم ، والحفاظ على أمنهم وحرياتهم .. كما أنها تحمى الأمة : من كل اعتداء داخلى أو خارجى ..

وقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : المثل الأعلى فى الشجاعة النادرة ، والبطولة الفائقة : يتجلى ذلك : فى ميادين القتال التى خاضها ، مدافعا عن وطنه وعقيدته ودولته ، وكيف قاوم اعتداءات قريش المتكررة وتجمع الاحزاب والقبائل المناوئة ، وكيف انتصر رغم قلة جيشه فى مواقع كثيرة ، ودخل مكة مصدر الهجوم ومنبع المؤامرات فاتحا ، وكيف قضى على اليهود ، وتتبعهم ، حتى تقلَّص نفوذهم نهائيا ، بعدما غدروا كثيرا بمعاهداته ، ولم يكفوا عن المكائد والدسائس — روى مسلم عن انس بن مالك رضى الله عنه قال :

« كان رسول الله : أحسن الناس ، وكان : أجود الناس ، وكان : أشجع الناس .. ولقد فزع أهل المدينه ذات ليله ، فانطلق ناس قِبَل

شجاعته بطولته عظمته

بقلم عبد المنصف محمود عبد الفتاح
المدير العام للوعظ والدعوة الاسلامية بالازهر

الصوت (١) ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا ، وقد سبقهم الى الصوت ، وهو على فرس لابى طلحة عرى (٢) .. فى عنقه السيف ، وهو يقول : لم تراعوا .. لم تراعوا .. قال : وجدناه : بحرا ، او انه لبحر .. قال : وكان فرسا يبطأ » اى أن الفرس : ببركته صلى الله عليه وسلم : صار سريعا واسع الجرى ، بعد ان كان يعرف بالبطء والعجز وسوء السير ، وهو معنى قوله : وجدناه بحرا او انه لبحر ..

(١) كان الصوت لقافلة من التجار قدمت من الشام ، واعتادت ان تعلن من مقدمها بضرب الدف لاعلام اهل المدينة بنزولهم .

(٢) فرس عرى ليس عليه ما يوضع عادة لراحة راكبه .

وليس أدل على شجاعته صلى الله عليه وسلم : من أنه خرج فى ظلام الليل الدامس : يتلمس سبب الفزع ، قبل أن يخرج الناس ، ويواجه ما عساه أن يكون خطرا : بنفسه ، قبل أن يلقاه غيره ، وبعد أن استبرأ الخبر وحققه : رجع اليهم ، يهدئ روعهم ، ويطمئن نفوسهم قائلا لهم : لم تراعوا : أى لا تفزعوا ولا تخافوا ..

وقد تجلت شجاعته وبطولته — صلى الله عليه وسلم — فى أوضح صورها فى حروبه وغزواته .

فكانت بحق مضرب الأمثال .. وهو الذى لم يتعلم : الفنون الحربية ، ولا الهندسة العسكرية فى مدرسة أو كلية ، وانما علمه

نبي الرحمة

ربه الذى أوحى اليه بقوله : « وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » النساء : ١١٣ ..

قال « جان برو » الكاتب الفرنسى يصف خاتم النبيين :

« وقد كان محمد نبيا ومشرعا وسياسيا ، وملكا عظيما ، وخطيبا مفوها ، وقائدا خطيرا ، محنكا ، وان كان لم يدخل جامعة من جامعات الرومان ، ولا مدرسة من مدارس فارس » .

وقال « لامارتين » المؤرخ الفرنسى : « كان محمد حكيما بليغا ، وفيلسوفا خطيبا ، ورسولا معلما ، ومحاربا شجاعا ، ومفكرا عظيما ، مصيبا فى افكاره وتعاليمه : اسس امبراطورية روحية : متحدة قوية ، واذا أردنا أن نبحث عن انسان عظيم ، تتحقق فيه جميع الصفات العظيمة الانسانية : فلن نجد امامنا : سوى محمد الكامل » .

ويقول « لين بول » : « ان محمدا كان يتصف بكثير من الخصال الحميدة : كاللطف والشجاعة ومكارم الاخلاق » ..

ويقول الزعيم الهندى « المهاتما غاندى » : « لقد ذرفت الدموع ، وأنا أقرأ تاريخ ذلك الرجل العظيم ، اذ كيف يستطيع باحث عن الحقيقة مثلى : الا يطأطىء الرأس امام هذه الشخصية التى لم تعمل الا لمصلحة البشرية كلها » ..

وصدق كل منهم فيما قال ..

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم : يعرفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه الشجاعة المنقطعة النظير ، وكان الشجعان والأبطال : هم الذين يجدون من انفسهم الجرأة : على الوقوف بجانبه فى ساحة الحرب ، لما يشاهدونه : من شدة بأسه وقوة صراعه ، فعن البراء بن عازب رضى الله عنه أنه قال : « كنا اذا احمر البأس : نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الشجاع منا : الذى يحاذى به » وعن على كرم الله وجهه أنه قال : « كنا اذا اشتد البأس ، واحمرت الحدق ، ولقى القوم : القوم : اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه » ..

ولم يول رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره ولا مرة واحدة فرارا من أعدائه ، بل الثابت : أنه ضرب أروع الامثال فى الشجاعة ، عندما وقف فى غزوة أحد : يدعو الفارين من أصحابه .... قائلا : الى عباد الله أنا رسول الله ، من يكر فله الجنة » .

وفى هذا يقول الله تعالى : « إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ » آل عمران : ١٥٣ .. اى يدعوكم فى الجماعة المتأخرة : الذين ثبتوا مكانهم ، وظلوا يدافعون عن النبى صلى الله عليه وسلم .. كما أنه وقف فى غزوة حنين بعد ان تفرق عنه

المجاهدون من المسلمين ، وظل ثابتا في مكانه لا يتزحزح ، أمام جيش كثير العدد ، كامل العدة .

روى البخاري عن أبي إسحاق : قال رجل للبراء بن عازب: « أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ .

قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم يفر .. ان هوازن : كانوا قوما رماة ، وانا لما لقيناهم : حملنا عليهم فانهزموا ، فاقبل المسلمون على الغنائم ، واستقبلونا بالسهام ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلم يفر .. فلقد رأيته وانه لعلى بغلته البيضاء ، وان ابا سفيان اخذ بلجامها ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا النبي لا كذب .. أنا ابن عبد المطلب » وبينما كان أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب : آخذا باللجام .. كان العباس : آخذا بالركاب ، وكان جهير الصوت ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم : أن ينادي القوم : يا أصحاب الشجرة فكروا وهم يقولون : لبيك لبيك .

وأخذوا في القتال يتقدمهم قائدهم البطل الشجاع ، وظاهرتهم قوة من الله ، فأنزل جنودا من الملائكة لنجدتهم ، بعد ما تركهم في بادىء المعركة ، لانفسهم وكثرتهم : التي أعجبوا بها ، ونزلت الآيات : تعتب على الفارين ، والهاربين من ميدان القتال ، وتبين لهم : نعم الله عليهم : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ » التوبه : ٢٥ ، ٢٦ .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعلم من فنون الحرب بالالهام ، مالا يعلمه غيره ، بالدرس والمران ، فكان يختار الموقع الاستراتيجي : الذي يمكنه من النصر ، كما عمل بمشورة الحباب بن المنذر في غزوة بدر الكبرى ، ويتفنن في وسائل الدفاع ، كما عمل بمشورة سلمان الفارسي ، وحفر خندقا حول القطاع المكشوف من المدينة .. وكان يبعث عيونه على الاعداء ليعرف قوتهم ، ويبعث السرية بالاوامر المغلقة المختومة .. وكان في معاركه كلها : يمتاز بصفات القيادة العليا ، فضلا عما كان يمازجها : من الرحمة التي لا تعرفها : القيادات العسكرية الاخرى ، نلمس ذلك في موقفه من الأسرى بعد المعركة ، وخاصة : أسرى بدر الكبرى .. لقد كان قلبه ينبض بالعفو والرحمة ، حتى على من كانوا بالأمس يطاردونه ، وينكرون دعوته الانسانية ورسالته العالمية .

فالقيادة المسلمة : مهما اضطرتها ظروف القتال : الى الشدة والبأس : فانها لا تنسى الرحمة في معاملتها لاعدائها ، بعد ان تضع الحرب اوزارها ..

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قائدا اعلى لجيش المسلمين : يرسم الخطط ، دون أن يستبد فيها برأيه ، بل كان يناقش

نبي الرحمة

أصحابه ويشاورهم ، ويبرم الامور بعد اقتناعهم ليعلم كل مقاتل انه يقاتل عن اقتناع ويدافع عن ايمان ، كما كان يقوم بشئون التعبئة ، وتدبير موارد الجيش وتموينه ، وبث الروح المعنوية في صفوف جنده ، واختيار الأوقات المناسبة ، والمواقع الملائمة ..

كما كان يعلم المقاتلين : آداب الحرب ، وأنها قتال المقاتلين ، دون المدنيين ، ودون اسراف أو تمثيل ، فلا يقتل شيخ ولا طفل ولا امرأة .. وآداب الانتصار : فكان يطلب اليهم : الا ينتهكوا الأعراض ، ولا ينتهبوا الاموال ، ولا يستبيحوا حرمات المعابد ..

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حربه وسلمه ، في دعوته وعبادته ، في طفولته وكهولته ، في نومه ويقظته ، في سكونه وحركته ، في اسرته وبين صحابته ، وفي كل مظهر من مظاهر حياته ، مصداقا لقول الله تعالى : « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » القلم : ٤ .

نعم كان صلوات الله وسلامه عليه عظيما في أدبه وبشريته ، وسلوكه وشخصيته ، ولم تكن عظمته من جنس العظمات البشرية الزائفة والمألوفة ، فليست من عظمة الجبارين : الذين يستعذبون أنين البشرية واذلالها في سبيل شهواتهم ، وليست من عظمة القواد : الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، ويسفكون الدماء ، ولا يرون سعادتهم : الا في الفتك بالضعفاء ، والنيل من الابرياء ، والا في الترويع والتخريب والتدمير ، وليست من عظمة الاغنياء المترفين : الذين يستكبرون في الارض بغير الحق ، ويقبضون ايديهم ، وينسون حق الله في أنفسهم ..

أما عظمة نبينا صلى الله عليه وسلم : فهي عظمة عطف ورحمة ، عظمة هداية وارشاد ، عظمة تثقيف وتهذيب ، عظمة اصلاح وتعمير ، عظمة سلم وسلام ، عظمة تهيىء للحياة الفاضلة عدتها وتعبد لها سبيلها ، عظمة تصحح الحقوق وتمنع المظالم ، عظمة تتمثل في تعاليمه : التي استطاعت أن تسوس معظم شعوب الأرض ، وتبني منها أمة ذات شخصية ثابتة على دعائم قوية : من الايمان والعدل والحكمة .. وعلى هدى هذه العظمة : سار أتباعه الأولون : يحققون المعجزات في ميدان النصر .. ففي عشرين عاما استطاعوا أن يحطموا أعظم قوتين ، وأكبر امبراطوريتين مسلطتان على العالم : امبراطورية الفرس في الشرق ، وامبراطورية الروم في الغرب ، وان يقيموا لهم دولة عظيمة ممتدة تشمل : بلاد الشام والعراق ، وفارس ومصر ، وبرقة وطرابلس ، والمغرب .. حتى شاطىء المحيط الأطلسي .. وفي سرعة البرق : أصبحت هذه الدولة : مركز القوة في العالم ، ومحور الثقافة : التي تشع على جميع آفاق الأرض .. ومكن الله لهم : دينهم الذى ارتضى لهم ، وجعلهم سادة قادة ، وأتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ..

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

هوامش على المولد الشريف

للدكتور محمد محمد الشرقاوى

تكاثرت الأقوال والأخبار حول ختان الرسول صلى الله عليه وسلم .. فمن قائل : انه عليه الصلاة والسلام ولد مختونا .. وروى فى ذلك حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه أنس بن مالك رضى الله عنه : (من كرامتى على ربى أنى ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتى) .

ومن قائل : ختنه جده عبد المطلب يوم سابع ولادته .

وتعقب العراقى الخبر الأخير فقال : أن سنده غير صحيح .

كما تعقب الذهبى الخبر الأول الذى رواه الحاكم وادعى تواتره بقوله : ما أعلم صحة ذلك .. فكيف يكون متواترا ؟ .

وقال صاحب السيرة الحلبية : (وقد يجمع بين هذه الأقوال بأنه يجوز أن يكون ولد مختونا غير تام الختان كما هو الغالب فى ذلك .. فتمم جده ختانه) .. ولما كان مقام الرسول صلى الله عليه وسلم أجل وأرفع من أن تتعارض فيه أخبار غير مؤكدة الصحة .. بل غير صحيحة بالمرة كما حققها جهابذة أهل

المولد الشريف

الجرح والتعديل من علماء الحديث .. وخاصة ما يتعلق بذاته الشريفة وما يمس جوانب خاصة منها .. فان الأوفق فى هذا المجال هو ما جاء عن الشيخ جمال الدين بن العديم ردا على ما ذكره الشيخ جمال الدين بن طلحة فى الهدى : (أنه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب) .

قال أبو العباس بن تيمية : (ان اسماعيل عليه السلام ختن لثلاث عشرة سنة .. فصار ذلك سنة فى ولده .. يعنى العرب .. ويؤيده قول ابن عباس رضى الله عنهما : كانوا لا يختنون الغلام حتى يدرك .. لأن الثلاثة عشر هى فطنة الادراك .. ومن ثم لما سئل ابن عباس عن سنه حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وأنا يومئذ مختون .. أى فى أوائل زمن الختان) (السيرة الحلبية جـ١/٥٣ ، ٥٤) الظاهر : أن الختان كان بالآلة المعروفة فى أوساط العرب آنذاك وهى الموسى .. والا لنقلت الينا ان خالفت ما درج عليه أهل البيئة المعاصرة .. لأن ذلك مما تتوافر الدواعى على نقله .

.. كذلك تضاربت الآراء حول زمان ولادته صلى الله عليه وسلم سواء فى الشهر أو فى اليوم .. أو بعض اليوم .. وأحسن ما تطمئن اليه النفوس : انه كان فى شهر ربيع الأول عند منتصف النهار لمضى ثنتى عشرة ليلة منه .. وكان ذلك فى فصل الربيع ، وقد جمع بعض الشعراء بين الثلاثة بقوله :

يقول لنا لسان الحال منه
وقول الحق يعذب للسميع
فوجهى والزمان وشهر وضعى
ربيع فى ربيع فى ربيع

وقد حكى الاجماع على ذلك .. وجرى عليه العمل فى الأمصار حقبا متطاولة .. حتى ان أهل مكة ، وهم ألصق الناس بمكان ولادته كانوا يتحرون زيارة هذا المكان فى ذلك الزمان وقد ذكره ابن اسحاق الذى وثقه أهل السير .. محمد بن اسحاق هو صاحب موسوعة تاريخية فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .. وكان مثله الأعلى فى ذلك الصنيع أبان بن عثمان رضى الله عنه الذى كان أول من اهتم بجمع السيرة وما كتب فيها أو عنها .. وقد رحل ابن اسحاق وراء الحقائق العلمية للسيرة الى الاسكندرية والكوفة والجزيرة والرى وبغداد .. وقد وصل الينا كتابه » مهذبا عن طريق ابن هشام فى كتابه المشهور[1] « السيرة النبوية » الذى لايزال تحيل مكانة المصدر الأول الوثيق لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويكفى أن كثيرا من رواة الحديث الثقات قد رووا عن ابن اسحاق واطمأنوا اليه ، فقد أخرج له مسلم فى المبايعات ، استشهد به البخارى فى مواضع .. روى عنه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه (مقدمة السيرة النبوية لابن هشام (ط سنة ١٩٣٦) ولئن كان ابن اسحاق قد نقل خبره عن سعيد بن المسيب مقطوعا ــ كما قال ابن دحية ــ فان من حق الرواة الثقات أن

(١) عثر بالمغرب على اجزاء من اصل كتاب ابن اسحاق ، وطبع بالمغرب الى غزوة بدر .

يقطعوا السند أحيانا اذا كانوا أهلا لذلك اعتمادا على تحريهم ، واختصارا فى العبارة ٠٠ أما سعيد بن المسيب فهو من سادات التابعين فقها ودينا وورعا وعبادة وفضلا ٠٠ وكان يدعى فقيه الفقهاء فى المدينة عصر التابعين ٠٠ قال فيه الجاحظ : (هل كان فى التابعين أعلم من سعيد ابن المسيب أو أنبل ؟) (تاريخ التشريع الاسلامى /١٨٤) ، وعبارة سعيد بن المسيب التى نقلها عنه ابن اسحاق : (والرسول صلى الله عليه وسلم عند ابهار النهار) أى وسطه ، ويؤيده الحديث الصحيح : (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين ٠٠ فقال : فيه ولدت) واليوم تعبير عن النهار بنص القرآن الكريم : (ثلاثة أيام الا رمزا) وأيضا الصوم لا يكون الا نهارا ٠

ليوم الاثنين ذكر حميد ٠٠ وتاريخ مجيد فى ذكرى المولد الشريف ٠٠ فقد دل الحديث السابق على أن ولادته صلى الله عليه وسلم صادفت ذلك اليوم المبارك ٠٠ وقد عد ابن عباس رضى الله عنه لهذا اليوم مواقف خالدة فى حياة الرسالة وصاحبها ٠٠ واشرك معه شهر ربيع الاول فقد روى عنه : (ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فى ربيع الاول ٠٠ وبعث فيه وهاجر الى المدينة يوم الاثنين فى ربيع الاول ، وانزلت عليه البقرة يوم الاثنين فى ربيع الاول ، وتوفى يوم الاثنين فى ربيع الاول) (السيرة الحلبية جـ١ ٥٨) ٠٠ روى مسلم عن أبى قتادة الانصارى رضى الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عرفة فقال : يكفر السنة الماضية والباقية ، وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال : يكفر السنة الماضية ، وسئل عن صوم يوم الاثنين فقال : ذلك يوم ولدت فيه ، وبعثت فيه ، وأنزل (على فيه) (سبل السلام جـ٢/٢٣٠) وهذا الحديث الصحيح يبين لنا وجها من وجهين فى أفضلية صيام يوم الاثنين من كل اسبوع ٠٠ وأنه اليوم الذى اتفق فيه اتمام نعمة الله تعالى على عبده محمد صلى الله عليه وسلم بافاضة هذا الخير العظيم ، والنفع العميم له ولأمته ٠٠ فاستحق أن يعظم اليوم الموافق لذلك بعبادة الله فيه بالصيام ٠٠ وهذا لا ينافى أن ليوم الاثنين فى الاسلام وجها ثانيا لتعظيمه وأحقيته بعبادة صوم التطوع فيه ، وهو ما ورد فى حديث اسامة فى تعليل صومه صلى الله عليه وسلم يومى الاثنين والخميس (بأنه يوم تعرض فيه الأعمال ، وأنه يحب أن يعرض عمله وهو صائم) وعند الأئمة الأربعة : أن صيام يومى الاثنين والخميس من كل اسبوع من الصيام المندوب ٠

والمحفوظ ــ كما قال ابن حجر ــ أن ولادته صلى الله عليه وسلم كانت عام الفيل ٠٠ مع ورود بعض الروايات أنها كانت فى يوم الفيل) ، وعن قيس بن مخرمة : (ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل فنحن لدان) ٠٠ أى متساويان سنا ، وفى تاريخ ابن حبان : (ولد صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى بعث الله تعالى الطير الابابيل فيه على اصحاب الفيل)٠٠ الا ابن سعد قال : ولد يوم الفيل ٠٠ يعنى عام الفيل) فقسر

هوامش على المولد الشريف



اليوم بالوقت المطلق الصادق بالعام .. وهو ما يميل اليه الحافظ بن حجر متابعة للمحفوظ ، وقد يطلق اليوم على العام كما يقال : يوم الفتح ، ويوم بدر ، ويراد العام الذى حدث فيه ذلك .. قال الحافظ ابن كثير : والمشهور عند الجمهور أنه فى عام الفيل لا فى يوم الفيل ، وقال ابراهيم بن المنذر شيخ البخارى رحمه الله : لايشك فيه احد من العلماء ، ونقل غير واحد من العلماء الاجماع على ذلك وقال : كل قول يخالفه فهو وهم وفى تفسير الجلالين لسورة الفيل : (أن ذلك كان هو العام الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم) .. ولما هلك أبرهة وصحبه عزت قريش ، وهابها الناس ، وقالوا لهم : أهل الله لأن الله كفاهم مؤونة عدوهم الذى لم يكن لسائر العرب بقتاله قدرة ، وغنموا أموال أصحاب الفيل ، وتمزقت الحبشة كل ممزق .. وخرب ما حول الكنيسة ، واستمرت الى زمن السفاح أول خلفاء بنى العباس .. فأخذ خشبها المرصع بالذهب والفضه..وحصل له منها مال عظيم .. ثم عفا اثرها ، واندرس رسمها .

وفى المواهب :

(المشهور أنه صلى الله عليه وسلم ولد بعد حادث الفيل لا قبله .. وأن قصة الفيل تمهيد لنبوته) .. وقد عارضه القاضى البيضاوى وقال : ان وجوده صلى الله عليه وسلم سابق على حادثة الفيل ، لأن الارهاصات .. اى مقدمات النبوة ــ انما تكون بعد وجوده وقبل مبعثه بالرسالة .. لا قبل وجوده بالكلية .. وقد وافقه ابن القيم فى الهدى وقال : **ان مما جرت به عادة الله تعالى أن يقدم بين يدى الأمور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل لها .. فمن ذلك قصة مبعثه صلى الله عليه وسلم حيث تقدمتها قصة الفيل !** .

دكتور محمد محمد الشرقاوى

ما أنفع طبك يا رسول الله

للدكتور السيد الجميلي

لقد نزل القرآن الكريم على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم هداية ورحمة للبشر أجمعين ، عالج أمراض النفوس وداوى أوجاع الأبدان ونقى الأرواح المكدودة من أدران الوثنية .

قال سبحانه وتعالى « وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ » التوبة ١٤ .

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ « عليكم بالشفاءين العسل والقرآن » (١) .

من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة كان المنهج القويم السديد لمعافاة البدن بتنقيته ، واستواء الروح ورياضتها .

قال تعالى : ـ

(قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ) يونس ٥٧ .

وقوله (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) الاسراء ٨٢ .

وقال تعالى : (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) فصلت ٤٤ .

وربما يقول قائل أو يسأل سائل : أنه مريض بمرض عضوى أو بمرض آخر نفسى وما هو يقرأ القرآن فلا يتطبب ولا يبرى .. فما الحكمة فى ذلك ؟؟

نقول له ان القرآن ليشفى مرضى المؤمنين ذلك لأنهم آمنوا به والتزموا بمنهجه وتكليفه

---

(١) المهلة : الحديث رواه ابن ماجه فى كتاب الطب ، باب العسل ، وفى الزوائد : اسناده صحيح ، رجال ثقات .

ما أنفع طبك ...

٥

فلم يرد في النصوص عمومية الشفاء انما هناك قصر على المؤمنين الذين تلهج قلوبهم بالدعاء ويكمن في صدورهم اليقين والايمان بالله وبتنزيله على خير خلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : —

(وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) .

(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) .

(قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) .

اذن فلابد أن نطمئن الى أن الذى ينتفع بالعلاج القرآنى انما هو ذلك المؤمن الذى أسلم وجهه لله ورضى بقضائه والتزم بأوامره وانتهى عن نواهيه وطهر نفسه وبدنه باجتناب المحارم .

وأعطى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من طبه النبوى الشافى بيانا شافيا وعقارا مداويا الى جانب الطب القرآنى فكان كلاهما تذكرة طبية عوفى منها ملايين البشر باذن الله .

« وطب النبى صلى الله عليه وسلم متيقن قطعى لأنه الهى صادر عن الوحى ومشكاة النبوة وكمال العقل . وطب غيره أكثر حدسا ، وظنونا وتجارب ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة ، فانه انما ينتفع به من تلقاه القبول واعتقاد الشفاء به وكمال التلقى له بالايمان والاذعان فهذا القرآن الذى هو شفاء لما فى الصدور ان لم يتلق هذا التلقى لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها . بل لا يزيد المنافقين الا رجسا الى رجسهم ومرضا الى مرضهم » زاد المعاد جـ ٣ ص ٧ .

وفى قوله تعالى : —

(وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) التوبة ١٤ .

وهنا الشفاء معنوى من الجانب النفسى وراحة البال وطمأنينة الضمير . وهذا عام فى المؤمنين كلهم ، وقال مجاهد وعكرمة والسدى فى هذه الآية يقصد ويعنى « خزاعة » وأعاد الضمير فى قوله (ويذهب غيظ قلوبهم) عليهم أيضا (ابن كثير ج ٢ ص ٣٣٩) .

وينصركم عليهم أى يجعلكم جميعا غالبين عليهم أجمعين ولذلك أخر — كما قال بعض المحققين — عن التعذيب والاخزاء . (روح المعانى ج ١٠ ص ٦١) .

وظاهر العطف أن ذهاب الغيظ غير شفاء الصدور ووجه بأن الشفاء هو بقتل الاعداء وخزيهم واذهاب الغيظ بالنصرة عليهم أجمعين .

ولما قال تعالى « **قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** » أى زواجر عن الفواحش وشفاء لما فى الصدور أى من الشبه والشكوك ، وهو ازالة ما فيها من رجس ودنس ، وهدى ورحمة أى يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى ، وانما ذلك للمؤمنين به والمصدقين

المؤمنين بما فيه كقوله تعالي : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) .

(ابن كثير ج ٢ ص ٤٢١) .

(وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلا عليهم من القوارع وايذان بأن جميع ذلك مسوق لصالحهم وهذا وجه الربط بما تقدم .

(روح المعاني ج ١١ ص ١٣٨) .

وقوله تعالى (للمؤمنين) قيد الأمر به ، ويؤيد تقييد الهدى بذلك قوله سبحانه وتعالى (هدى للمتقين) فالقرآن واعظ بما فيه من الترهيب والترغيب أو بما فيه من الزواجر عن المعاصي كيفما كانت المقترن بالتخويف فقط بناء على التفسير الثاني للموعظة وشاف لما في الصدور من الأدواء المفضية الى الهلاك كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها .

(روح المعاني ج ١١ ص ١٣٩) .

وفي قوله تعالى : —

(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) الشعراء ٨٠ .

عطف على (وَيُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ) اذ نظم معهما في سلك الصلة لموصول واحد لما أن الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالبا .

فان الداء أكثره تراه
يكون من الطعام أو الشراب

وقالت الحكماء : لو قيل لأكثر الموتى ما سبب آجالكم (١) لقالوا : التخم .

ونسبته المرض الذى هو نقمة الى نفسه والشفاء الذى هو نعمة من الله جل شأنه لمراعاة حسن الأدب كما قال الخضر عليه السلام (فأردت أن أعيبها) وقوله (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) ولا يراد اسناده الاماتة وهي أشد من المرض اليه عز وجل في قوله (والذى يميتني ثم يحيين) (روح المعاني ج ١٩ ص ٩٦) .

هذا هو الطب القرآني الذى تعهد الجسوم بالبرء والشفاء والمعافاة .

ولقد جاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنته الشريفة المطهرة أيضا حكيما باطنيا ونفسيا وروحيا عالج الأبدان وشفى الأرواح ، بطب علاجي ، وطب وقائي أيضا لا يقل أهمية ولا خطرا عن الطب المعاصر الحديث .

قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان

(١) اى ما سبب موتكم .

مـا أنفـع طـبـك يـا رسـول الـلـه

لابد فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث للنفس (١) .

عرف مكمن الداء وموطن العطب فى الشبكة الحيوية داخل التكوين الآدمى .

وأجمع الطب القديم والطب الحديث متوافقان مع الطب الاسلامى على أن المعدة هى بيت الداء والأزم (٢) دواء وأن لكل بدن ما اعتاد . هذا من ناحية العلاج الوقائى أما من ناحية العلاج الدوائى فانه لا يقل خطرا ولا أهمية .

روى أن رجلا أتى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال له : ان أخى استطلق بطنه ، فقال : اسقه عسلا ، فجاء فى الثانية أو الثالثة فقال : سقيته فلم ينجع ، فقال صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك : « فيه شفاء للناس »

(زاد المعاد ج ٣ ص ٨٢) .

الخمر وهى مصيبة المصائب ومدلهمة المدلهمات وقد حرمها القرآن الكريم بصيغة الاجتناب وهذا أدعى للحذر منها والابتعاد عنها ، لأن الأمر بالاجتناب هو أوجبخلناي عنها تماما ، وجاءت السنة النبوية المطهرة فأكدت هذا وبينته لقوله صلى الله عليه وسلم : — (كل مسكر مر وكل خمر حرام) (٣) وقوله أيضا عليه الصلاة والسلام (ما أسكر كثيره فقليله حرام حتى لو لم يسكر)(٤) وفى محاسن التأويل ورد عن الخمر (أنها تعجل بالفاة فى الأمراض المستعصية وتهيىء الظروف المناسبة للأمراض المعدية(٥) كالدرن ، كما تساعد على الاصابة بضربة الشمس فى الحر .

(ج ٣ ص ٥٥٤) .

وقد حذر الطب الحديث المعاصر من أضرار الخمور والمواد الكحولية اذ تسبب التهابا بالغا وقصورا شديدا فى الخلايا الكبدية، الى جانب التهابات قرحة المعدة والاثنى عشر وضعف الأعصاب والضعف الجنسى ، ولقد رأينا كبار الاطباء الأوربيين الذين ضربوا بسهم سديد فى مضمار السبق الطبى الحديث — رأيناهم يأمرون أكثر مرضاهم باجتناب الخمر والابتعاد عنها تماما ، قلنا لهم : هذا ما سبق فيه القرآن الكريم والطب النبوى وقد حفلت مؤلفاتهم الطبية بالتحذيرات من مغبة وأضرار الخمر .

لا يزال الكثير من أمراض الحميات — على الرغم من اكتشاف العديد من المضادات الحيوية القاتلة المدمرة — محتاجا للطب

---

(١) المجلة : راجع فى الحديث : الجامع الصحيح للترمذى باب الزهد ، وسنن ابن ماجه : الاطعمة ، وسند احمد حديث المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه ٤/١٣٢ والحاكم فى مستدركه ، ورواه النسائى .

(٢) الأزم — بفتحتين : الجوع .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه ابو داود .

(٥) نسبة الى العدوى .

النبوي ، فهو ينفذ تعليمات النبي صلى الله عليه وسلم مثلما يحدث في الالتهابات الرئوية الحادة التي ترتفع فيها درجة حرارة الجسم فوق الأربعين أحيانا فان العلاج النافع يكون بالحمامات الباردة قبل العلاج بالمسكنات ومزيلات الألم وهذا تنفيذ لقوله صلى الله عليه وسلم : ـ (الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء) .

(زاد المعاد جـ ٣ ص ٧٢) .

وقد أشار القرآن الكريم الى اهمية ارضاع الطفل الصغير الوليد ثدي والدته ، فقال سبحانه وتعالى في سورة البقرة : ـ (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) البقرة ـ ٢٣٣ .

وقال سيدنا رسول الله يحث أسماء بنت أبي بكر الصديق على ارضاع عبد الله بن الزبير (أرضعيه ولو بماء عينيك) .

(الجامع الكبير ج ٢ ص ٨٠٩) .

وقد أثبت الطب الحديث أن لبن الوالدة الأم اكثر نفعا من لبن المرضع غير الوالدة ، لان لبن الوالدة يحتوي على كثير من الأجسام المضادة للميكروبات ، وهو يجعل الطفل يشتد ويقوى وينمو باطراد (١) .

ولبن البقر أنفع مما سواه من الألبان ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (عليكم بألبان البقر فانها ترم من كل شجرة) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب اللبن) وكان يقول (من سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فاني لا اعلم ما يجزى عن الطعام والشراب غيره) .

رواه أبو داود والترمذي

وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف كثيرا من الطب السائد في عصره وكان طبا بسيطا لكنه نافع يقوم على المجربات ، وفي سيرته صلى الله عليه وسلم شواهد على ذلك مما أعطانا معينـا لا ينضب من الطب الوقائي والطب العلاجي الذي لم تخرج عنه دساتير الطب الحديث ومراجع الطب المتطور المعاصر .

سبحانك ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاكتبنا مع الشاهدين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والى اللقاء في العدد القادم ان شاء الله ..

د . السيد الجميلي

---

(١) الاعجاز الطبي في القرآن ـ طبعة ثانية للكاتب .

قادة

٤ـ زيد بن حارثة ابن شرحبيل الكلبي رضى الله عنه

* هو مولى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، واول ذكر اسلم بعد على ابن ابى طـالب ، وكان مـولى حـكيم ابن حـزام بن خويلد فوهبـه لعمته خـديجة بنت خـويلد رضى الله عنهـا فوهبته للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقد خيره الرسول صلى الله عايه وسلم فى أن يبقى معه او يرجع لابيه ـ بعـد أن وصـل ابوه اليه ـ فاختـار زيد رضى الله عنه أن يبقى مـع الرسـول صلى الله عليه وسلم ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسـلم : (اشهدوا ان زيدا ابنى أرثه ويرثنى) ، حتى نـزل قول الله تعالى : «ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ..» فرجع الى اسـمه : زيد بن حارثة بدلا من زيد بن محمد .

ولقد زوجه الرسول صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وهى من سادات قريش ، وفيها نزل قول الله تعالى (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ...) .

وقد أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرايا كثيرة ، أرسله فى سرية (القردة) ، والقردة من مياه نجد حيث أصاب تجارة لأبى سفيان ، وأرسله الى قبيلة جزام شمال الجزيرة العربية ـ على الحدود ـ وأرسله الى وادى القرى شمال المدينة ـ قرب خيبر ـ حيث غزا قبيلة فزارة مرتين ، أصيب فى الأولى وخضد شوكتهم فى الثانية ، وأرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى مدين على ساحل البحر الأحمر وفيها أصاب سبيا من أهل ميناء (قرب العقبة) ، وفيها أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم التفريق بين الأسرى .

وأشهر السرايا التى قادها زيد رضى الله عنه سرية (١) مؤتة سنة ٨ هـ ، وجعله الرسول صلى الله عليه وسلم أول قادة ثلاثة ، يليه جعفر بن أبى طالب ثم عبد الله بن رواحة ، وكان عدد الجيش الاسلامى ثلاثة آلاف ، نزلوا مؤتة ـ قرب معان من الأردن الحالية ،

١ ـ ويطلق عليها بعض المؤرخين « غزوة » لكثرة عدد المسلمين ولشدة القتال فيها .

النبي صلى الله عليه وسلم

للأستاذ
إبراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

وقابلهم الروم ومن معهم من عرب الشام حتى بلغوا حوالى ٢٠٠ ألف ، ودارت حرب مريرة بين القلة المؤمنة التى تطلب الشهادة وبين الفئة الباغية واستشهد زيد بن حارثة رضى الله عنه أول القادة الثلاثة رحمه الله ورحم خلفاءه فى القيادة .

٥ - جعفر بن أبي طالب (١) رضى الله عنه

هو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أوائل الذين دخلوا الاسلام ، هاجر الى الحبشة هروبا بدينه من أذى قريش ، وكان المتكلم باسم المسلمين أمام النجاشى ملك الحبشة ، وبقى فى الحبشة ولم يعد منها الا والمسلمون يحاصرون خيبر فى سنة ٧ هـ ، ونزل على الرسول صلى الله عليه وسلم فى خيبر أواخر الفتح ، وروى أن الرسول صلى الله عليه قبل ما بين عينيه . وقال صلى الله عليه وسلم : (ما أدري بأيهما أنا أسر ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر) . وروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال مامعناه: (أنت أشبهنى خلقا وخلقا) ، وفرح جعفر رضى الله عنه حتى أنه أخذ حربة رقص بها من شدة الفرح .

ولم يلبث أن اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ثانى ثلاثة قادوا جيش المسلمين الى مؤتـه .

ولما تولى القيادة قاتل أشد القتال حتى أنه

١ ـ كانت سرية مؤتة أول سرية بقوادها وكتبته فى هذا الترتيب لتكمل غزوة مؤته .

قادة النبي

صلى الله عليه وسلم

نزل عن فرسه وعقرها ، فكان أول من فعل ذلك فى الاسلام .

وتكاثرت عليه جند الأعداء ، وهو يحارب ومضى للقاء ربه شهيدا بعد أن قطعت يداه ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم مامعناه : (ان الله سيبدله بهما جناحين يطير بهما فى الجنة) .

رحم الله جعفر الطيار .

٦- عبدالله بن رواحة الخزرجي

رضي الله عنه

* كان من سادات يثرب ، وكان من أوائل الناس اسلاما ، حضر بيعة العقبة الثانية ، وكان أحد النقباء الاثنى عشر الذين خرجوا كفلاء بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا منكم اثنى عشر نقيبا يكونوا كفلاء ــ أو كما قال ــ فكان رضى الله عنه .

كان سيفا من سيوف الاسلام ، حضر مع الرسول صلى الله عليه وسلم كل غزواته ، وكان ممن شهد بدرا ، وكان لسانا داعيا للاسلام ، مدافعا عنه ، فقد كان شاعرا مقلا مجيدا .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين رجلا الى أسير بن رزام اليهودى ومن معه ، ونصر الله ابن رواحة رضى الله عليهم .

عينه الرسول صلى الله عليه وسلم ثالث ثلاثة لقيادة المسلمين فى مؤتة ، ولما رأى المسلمون كثرة الأعداء هابوهم ، فقال عبدالله ابن رواحة رضى الله عنه : (ياقوم والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون : الشهادة، ومانقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ولا نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به . فانطلقوا ، فانما هى احدى الحسنيين : اما ظهور ، واما شهادة) .

ويتشجع الناس ، ويمضون للجهاد .

ويسبقه زميلاه الى الجنة ، فيحمل اللواء بعدهما ، ويمضى يقاتل كالاعصار ، حتى يكرمه الله بالشهادة .

رحم الله القائد الثالث من قادة غزوة مؤتـه .

٧- سيف الله خالد بن الوليد[1]

رضي الله عنه ■

* خالد بن الوليد المخزومى ، غنى عن التعريف ، كان قائد فرسان قريش فى (أحد) ، وكان سببا من أسباب ايذاء المسلمين فى (أحد)، وكان قائد فرسان قريش حينما تصدت لتمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من دخول مكة ، فى عمرة الحديبية .

ولكن بعد صلح الحديبية ، أمن الناس بعضهم بعضا ، وفكر كل ذى لب فى الاسلام ، دون كراهية أو خوف ، وفكر خالد بن الوليد ، وهداه الله الى الاسلام ، وهاجر الى المدينة

١ ــ لم يكن رضى الله عنه من قادة السرايا الأولى فقد تأخر اسلامه .

وفرح به الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولم يمض على اسلامه شهران حتى كان يغزو في سبيل الله مع جيش : زيد – وجعفر – وعبد الله بن رواحه رضي اللـه عنهم في جيش مؤتـه .

وبعد استشهاد القادة الثلاثة ، اختير قائدا للجيش ، وبقتال شديد حتى تكسرت في يده تسعة سيوف ، وبمعجزة عسكرية ذكية ، أنقذ خـالد بن الوليـد رضي الله عنـه جيش « الكرار »(١) ، وسماه الرسول صـلى الله عليه وسلم سيف الله (... لقد تولى القيادة سيف من سيوف الله) (٢) .

وفي فتح مكة كان خالد رضي الله عنه قائدا لفرقة من فرق المسلمين الأربعة ، وهو صاحب قتال يوم الخندمة . القتال الوحيـد في فتح مكة .

ثم أرسله الرسول صلى الله عليه وسـلم الى بني جذيمة في تهامة قرب مكة ، ليـدعوهم الى الاسلام ، ولكنهم لما رأوا خالدا وجيشـه قالوا : صبأنا . صبأنا ، يقصدون أسلمنا ، ولكن خالدا عرضهم على السيف – أي قتل منهم – ولما علم الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (اللهم اني أبرأ اليك مما صـنع خالد ابن الوليد) . وأرسـل الرسول صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب اليه فدفع لهم الديات حتى أرضاهم .

وفي غزوة حنين كان خـالد رضي الله عنه قائدا للفرسان مقدمة جيش الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي غزوة تبوك أرسله الرسول الى دومة الجندل – احدى مـدن شـمال الجزيرة – فأسر أميرها أكيدر بن عبد الملك .

وأرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى بني الحارث بن كعب بنجران . جنوب الجزيرة وأوصاه أن يدعوهم الى الاسـلام ثلاثة أيام قبل أن يقاتل ، فهداهم الله الى الاسـلام ، وبقي فيهم يفقههم في الدين .

واستمر سيف الله خالد بن الوليد يجـاهد في سبيل الله ، ولكنه يموت على فراشـه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان جل أمله أن يمـوت شهيدا .

يقول : لقد شـهدت مائة زحف أو يزيد ، وما في جسدي موضع الا وفيه ضربة سـيف أو طعنة رمح ، وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير (... فلا نامت أعين الجبناء) .

رحم الله أبا سليمان .

---

١ – عندما رجع جيش مؤتة ، تلقاه المسلمون بقولهم – يا فرار – هربتم من الشـهادة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (ليسوا بفرار .. وسيكونون الكرار باذن الله) .

٢ – كان هذا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابه في المدينة ، فلقد أخبره الله بما حدث فجلس على المنبر يخبرهم ببلاء جيشهم وكان هذا آخر قوله من جيش مؤتة .

قادة النبي

صلى الله عليه وسلم



٨- سعد بن أبي وقاص

رضي الله عنه

● سعد بن أبي وقاص من بني زهرة ، أخوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو من لا ينكر فضله في الاسلام ، فهو من الثمانية الذين كانوا أول من دخلوا الاسلام ، وكان أول من طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم الاذن في القتال ، وكان أول من رمى بسهم في الاسلام — في سرية عبيدة بن الحارث — ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم في سرية الخرار (١) — وادى بالحجاز — يريد عيرا لقريش (٢) فلم يلحق بها .

لم يتخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة من غزواته ، فهو من أهل بدر ، وفي غزوة أحد أبلى بلاء فوق الوصف، جلس أمام الرسول صلى الله عليه وسلم — على ركبتيه — يرمي ، فقد كان راميا . والرسول صلى الله عليه وسلم يناوله النبل ، حتى الذى ليس له نصل ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول له : (ارم فداك ابي وأمي) حتى أنه رمى ألف نبل .

وكان سعد رضي الله عنه يفتخر بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفد أحدا بأبيه وأمه الا هو سعدا رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه مستجاب الدعوة سدد الرمية .

وبعد الرسول صلى الله عليه وسلم استمر سعد رضي الله عنه مجاهدا في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهو بطل معركة القادسية — ببلاد الفرس — وهي المعركة التي فتحت بلاد فارس وعاصمتها أمام المسلمين .

رحم الله أول من رمى بسهم في الاسلام ، بطل القادسية ، سعد بن أبي وقاص ، ورضي الله عنه .

يتبع

ابراهيم عبد الرحمن أبو الفيط

---

(١) من السرايا المتقدمة .

(٢) لاحق المسلمون عير قريش في رحلتي الشتاء والصيف ، يحاربون قريشا في اقتصادها ، كما حاربتهم قريش في دينهم وفي أنفسهم .

دراسات في السنة

- من فقه البخاري

- الأحاديث الضعيفة

من فقه البخاري

ان اقتصار البخاري على بعض المتن في بعض الأحيان مع عدم ذكر الباقي موضع آخر ، لا يقع له ذلك في الغالب الا حيث يكون المحذوف موقوفا على الصحابي ، وفيه شيء قد يحكم برفعه ، فيقتصر على الجملة التي يحكم لها بالرفع ويحذف الباقي لأنه لا تعلق له بموضوع كتابه ، كما وقع له في حديث هزيل بن شرحبيل ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال :

(ان أهل الاسلام لا يسيبون ، وان أهل الجاهلية كانوا يسيبون) .

— هكذا أورده وهو مختصر ، جاء مطولا في حديث موقوف أوله :

(جاء رجل الى عبد الله بن مسعود ، فقال : انى أعتقت عبدا لى سائبة ، فمات وترك مالا ، ولم يدع وارثا فقال عبد الله :

« ان أهل الاسلام لا يسيبون ، وان أهل الجاهلية كانوا يسيبون ، فأنت ولي نعمته فلك ميراثه ، فان تأثمت وتحرجت في شيء فنحن نقبله منك ، ونجعله في بيت المال » .

فاقتصر البخاري على ما يعطي حكم الرفع من هذا الحديث الموقوف ، وهو قوله :

(ان أهل الاسلام لا يسيبون) لأنه يستدعي بعمومه النقل عن صاحب الشرع لذلك .

واختصر الباقي لأنه ليس من موضوع كتابه .

وهذا كما قال ابن حجر من أخفى المواضع التي وقعت له في هذا ، الجنس ، وبذلك يعلم أن البخاري لا يعيد الا هادفا للفائدة ، حتى لو لم تظهر لاعادته فائدة — من جهة الاسناد ولا من جهة المتن لكانت الفائدة لاعادته من أجل مغايرة الحكم التي يشتمل عليه الترجمة الثانية ، موجبا أنه لا يعد مكررا بلا فائدة ، مع أنه على أي حال هو لا يخلو من الفائدة الاسنادية ، وهي تعدد الطرق ، فضلا عن ابراز الاحكام المتعددة .

*** الدافع للبخاري على التزامه هذا المسلك في التراجم .**

ان البخاري رحمه الله قد أورد في كتابه من الأحاديث الجامعة لجل مقاصد العلم ، ومن ذلك العقيدة المتمثلة في « الوحي ، وكتاب الايمان » ، في أول كتابه ، و «كتاب التوحيد» في آخره ، و « التفسير الرائع بالمأثور من صحاح الأحاديث » ، وفتاوى الصحابة والتابعين المتمثل في كثير من أبوابه ، وخاصة في كتاب التفسير في صحيحه .

اقتصارة على بعض المتن في بعض الأحيان

للأستاذ الدكتور
الحسيني هاشم
● الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ●

ومن السيرة العطرة الممثلة فى كتاب المغازى ومن الأدب النبوى الرائع الممثل فى كتاب الأدب ، ومن تعرضه لطرق التلقى فى كتاب العلم وفضله ، واصطلاحات المحدثين الممثلة فى كتاب العلم ، وفيه جاء بصيغ الأداء مثل ، باب قول المحدث : حدثنا أو أخبرنا ، وأنبأنا ، وباب « ما يذكر فى المناولة » ، وكتاب أهل العلم بالعلم ، وباب كتابة العلم ، ويقيمها على أدلة ثابتة من السنة ، وتعرض لمسائل أصولية يقيمها على أساس متين ميسر من السنة ؛ ككتاب ما جاء فى اجازة خبر الواحد ، والى علاقة الكتاب بالسنة ، والدعوة الى التزامها ، وأن على موائدها كل خير ، كما يتمثل ذلك فىكتاب الاعتصام بالكتابوالسنة، ومن مقاصد الفقه وفروعه وغير ذلك من الابواب المثبتة فى صحيحه ، متفرقة ، متعددة عدد فروع العلم الاسلامى .

واستطاع بمهارته أن ينظمها فى دقة وافية ويبرهن على أن المحدث المتمكن من سنة رسول الله ، يجد فيها كل درر العلم ويمكن أن يكون من أقصر الطرق وأوفاها ، مفسرا لكتابالله ، ومؤرخا اسلاميا لسيرة رسولالله صلى الله عليه وسلم ، ومتكلما عن هدى وبصيرة فى العقيدة ، وفقيها قانونيا فى أحكام الدين ، وأخلاقيا مؤدبا بآداب النبوة وأخلاقها . وغير ذلك من فروع العلم التى تشهد أن من الجهل الصريح ان يفهم المحدث المتمكن أنه بمعزل من فروع العلم خاصة عن التفسير الذى هو أساس بيانه ، وكيفتقتصر همته فى شيء ، وهو المتتبع هدى الرسول الداعى الى الله باذنه والسراج المنير ، ومن أجل هذا العموم الجامع فى « صحيح البخارى » كان من شروحه ما وصل الى أكثر من أربعة وعشرين مجلدا كالكرمانى ، ومع ذلك سمى البخارى صحيحه « مختصرا » . والواقع أنه اختصار العارف الموجز فى دقة من غير اخلال ، وأن اختصاره انما هو بالنسبة الى كثرة مقاصده وكيف أورده فىهذا الحجم ، مع أنه موسوعة علمية جامعة مستوفاة . ان الذى ساعده علىذلك، مقدرته وتفننه بمسلكه فى تراجمه . فى اعادة الحديث واختصاره وتقطيعه ، والا لما كفى هذا العدد من الأحاديث التى فيه على كثرتها ، لأنيُوَفَّ هذه الثروة الفريدة العامة الشاملة .

ولو لم ينهج هذا النهج لاحتاج الى

من فقه البخاري

مجلدات لا نهاية لها حتى يوفى هذه الكتب والأبواب .

وقد ألزم نفسه بإخراج الحديث الصحيح لذاته في مسنده ، بل ألزم نفسه ألا يخرج كل صحيح عنده أو عند القوم في صحيحه ، فالتزم بخالص الصحيح لذاته ، وصفوته ، مشددا على نفسه بالشروط وهذا ما جعله امام المحدثين ، والمجتهد الفقيه .

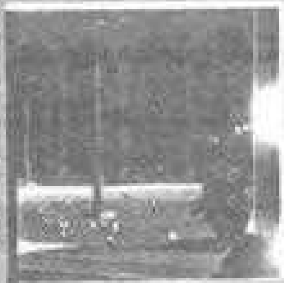
يقول صاحب الفيض (١) : « ثم ان المصنف « رحمه الله » العلامة لما شدد في شروط الأحاديث ، حتى أغمض عما حسبه حسنا ، بل صحيحا أيضا ، قلت ذخيرة الحديث في كتابه ، ثم لما أراد أن يتمسك فيها على جملة أبواب الفقه ، اضطر الى التكرار والتوسع في وجوه الاستدلال ، وذلك من كمال براعته ، ومن لا دراية له بغوامضه ، ولا ذوق له في علوم يتعجب من صحيحه ، ولا يدرى أن التوسع فيه من أجل تضييقه على نفسه في مادة الأحاديث فيستدل بالايماءات ، ويكتفي بالإيماضات .

أعيا فحول العلم حول رموز ما
أبداه في الأبواب من أسرار

د. الحسيني هاشم

---

(١) فيض البارى ج ١ ص ٤٠ .



الأحاديث الضعيفة

أسباب ونتائج وعلاج

للأستاذ محمد أحمد بدوي

لقد كثرت الأحاديث المنسوبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة هائلة وقد أفزعت هذه الكثرة العلماء ، فوضعوا علوم الرواية والدراية لتنقية الأحاديث التي أودعوها مصنفاتهم من الضعيف والمكذوب .

وقد اثيرت في السنين الأخيرة مناقشات حول تضمن الكتب الجامعة للأحاديث النبوية الشريفة ما يستحيل صدوره عن الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم مما وضعت المناهج لرده من علوم الرواية والدراية .

وفي يقيننا ان المناقشات يجب الا تهدأ حتى تنتهي الى الغاية التي يجب أن تنتهي اليها من الاقتصار في الاستدلال والترغيب والترهيب على الصحيح ، واحياء المناهج التي وضعها علماء الحديث لنقده من جهة المتن ، ووضعها موضع التنفيذ . وهذه المناهج لم تؤد وظيفتها كاملة الى الآن ، وكأنها وضعت لتغفل ، وأصلت لتهمل . وبغير اعمال تلك المناهج ستكون العواقب وخيمة .

ان العمل بالأحاديث الضعيفة ، وما جر اليه كان — ولا يزال من أهم الأسباب التي أصابت المسلمين بالتخلف الذي تعاني منه

الأحاديث الضعيفة

اليوم .

قد أحدثت الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وما دخل معها وفى ظلهـا وحمايتهـا آثارها المستهدفة والمخطط لها ــ بخبث ــ فى عقـول المسلمين وحياتهم من الاسهام فى الاختلافات التى سببت الحـروب الطاحنـة بين الفـرق العقدية والسياسية المستمرة وراء العقـائد ، ومن تكفير الأمة بعضها لبعض ، وأخطر هـذه الآثار هو عمل هذه الأحاديث فى عقل المسلم ، اذ يتجاوز عملها فيه مجرد الترغيب والترهيب الى غرس الاتكال فى أعمال الدنيا والآخرة على الجهد القليل وانتظار الناتج الجزيل .

وقد ساعد على وفرة هذه الأحاديث الوضع والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسـلم بأسباب وطرق ليس هنا موضع سردها .

أما الذى ساعد على استمرار وجـودها وتغلغلها فى حياة المسلمين عوامل أخرى منها :

١ ــ السكوت عليها :

٢ ــ لمـا جاءت عصـور التخلف : أصـبحت هـذه الأحـاديث ، ومـا تسرب فى ظلهـا الى الحياة الاسلامية من الحكايات والمنامات والاسرائيليـات هى التـى تشـبع العقـول والوجدانات المتأخرة وتطبعها بما توحى به . ومن المعروف فى علوم الاجتماع أن العقليـات المتخلفة تتكون مما يدغدغ حماقاتها وأهواءها ويبررها ويمد لها فى غيها من مأثوراتها التـى لها صفة قداسـة حقيقيـة أو محسوسـة أكثر مما تكون بالجـاد الـذى يحث على العمـل والاجتهاد .

٣ ــ لم يكن التقدم العلمى قد بلغ ما بلـغ الآن من الاتساع والعمق بحيث يكشف تناقض كثير من الأحاديث الموضوعة مع حقائق العلم الطبيعى والعمرانى .

٤ ــ التفرقة بين الأحاديث المتعلقة بالأحكام وتلك المتعلقة بالأخبار والسير وما تمج به من الخوارق والكرامات ، (فتساهلوا فى قبولها) ، مع أنها أشد تأثيرا فى العقائد وسلامة التفكير المنهج من أحاديث الأحكام .

٥ ــ العمل بالأحاديث الضعيفة فى فضـائل الأعمـال ، ونرد على ذلك بـأن فى القـرآن الكـريم والسـنة الصحيحة ما يكفينـا من العبادات والفضائل .

٦ ــ تغلغلت ــ بطريقة أو بأخرى مقـولة ساذجة قريبة المأتى بعيدة المهوى ، هى قبول الحـديث الضـعيف فى الترهيب والترغيب ، وأدى هذا الباب الى ذهاب « الكرامية » الى جواز وضع الأحـاديث فى الترغيب والترهيب كما حكى النووى فى التقريب .

٧ ــ ربمـا يخـاف بعض الناس من فـوت العمل بما قد يكـون صحيحـا فى ذاتـه من الأحاديث الضعيفة لو تركنا العمل بها كقاعدة.

وقد نعرف أن أحـكام الـدين فى صـدر الاسلام لم تكن مجموعة كمـا هى مجمـوعة الآن مبوبة ومفهرسـة وغارقة فى الاصطلاحات ، فقد كان كثير من الصحابة يجهل كثيرا مما يعلمه

الآخرون ، ويفوته العمل به ، ويعلم كثيرا مما يجهله الآخرون ، ولم يكن ذلك طاعنا فى تدين أحد منهم ، فقد فات عمر أن الاستئذان ثلاث فى قصته مع أبى موسى الأشعرى (١) ، ولم يكن عند عمر شىء فى القدوم على الطاعون حتى جاء عبد الرحمن بن عوف ينبأ عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك (٢) .

٨ ـ رواج مقولة أن تعدد طرق الحديث يقوى بعضها . وردا على هذا قال النووى فى التقريب : اذا روى الحديث من طرق ضعيفة لا يلزم أن حصل من مجموعها حسن .

٩ ـ التسوية الضمنية بين الأحاديث مهما اختلفت درجتها من الصحة ، ومحاولة التوفيق بين المتخالف منها .

١٠ ـ استخدام الحجية الثابتة عقلا وشرعا للسنة الصحيحة كلها بتسليطها على أى حديث

ضعيف لتصير حجية السنة سيف ارهاب مصلت على رقاب من يقترب من رد الحديث لضعفه أو نقده نقدا موضوعيا باستعمال مقاييس العلماء التى أقاموها لذلك .

ان الحجية الثابتة عقلا وشرعا للسنة ليست لكل فردية فيها فقد يكون بعضها ضعيفا ، ويبقى لمناهج التثبت من علوم الروايه والدرايه ان تبين الأفراد التى تثبت لها الحجيه والأفراد التى لا تثبت لها .

العــلاج

لقد أصبحت الحاجة ماسه الى تناول الأسباب التى يرجع اليها تخلف المسلمين بجراة المنقذ .

وان علاج أثر الحديث الضعيف والمكذوب فى عقول المسلمين لمن أول الاجراءات لجعل السنة فى احسن الاوضاع لتصحيح حياه المسلمين .

فى نظرى ان المواجهه تقتضى : ـ

أولا ـ من جهه السند يجب العمل على تيسير عرض الصحيح سندا من الاحاديث بكل سبيل استفادة من المجهودات المضنيه التى بذلها الأئمة .

والصحيح الذى يجب أن توجه اليه العناية مجموعتان :

الأولى : ـ الصحيحان للبخارى ومسلم ، ويتوج مجهودات الامامين أن يجمعا بالمناهج الحديثة المحققه لتوسيع دائرة الاستفادة من اثمن كنوز السنة وجمع الصحيحين بهذا المنهج أول الطريق وآمنه الى تنقية تراثنا اذ يستطيع جميع المسلمين ان يلتقوا فيه على كلمة سواء الى أن ييسر الله ـ سبحانه وتعالى ـ لعلماء الاسلام دخول المرحلة التالية مرحلة نقد الحديث من جهة السند .

الأحاديث الضعيفة

ثانيا ـ من حيث المتن :

لم يمض العلماء بالمناهج التى وضعها علماء المسلمين لنقد الحديث فى ذاته نقدا داخليا من جهة المتن الى اى غاية من غاياته ، وظلت مقاييس السند سائدة الى يوم الناس هذا .

ولعلماء المسلمين مناهج لنقد الحديث بصرف النظر عن السند وصحته او ضعفه وضعت بذورها أيام الصحابة ، فكما وضعوا بذور التثبيت من الرواة وضعوا بذور هذا النقد .

وقد مضى علما السلف رضى الله عنهم بهذا المنهج وأصلوا قواعد نقد الحديث ، ومنها :

١ ـ المخالفة لظاهر القرآن الكريم .

٢ ـ أو السنة المتواترة .

٣ ـ أو الاجماع القطعى .

٤ ـ أو القواعد المقررة فى الشريعة .

٥ ـ أو البرهان العقلى .

٦ ـ او الحس والعيان وسائر اليقينيات .

٨ ـ المجازفات فى الوعد والوعيد والثواب والعقاب .

٩ ـ أو كان باطلا فى نفسه .

١٠ ـ او لا يشبه كلام الانبياء أو كان بكلام الاطباء أشبه .

١١ ـ أو يشتمل على تواريخ الايام المستقبلة .

١٢ ـ أو كان ضد العلم . ويلاحظ أن بعض هذه القواعد فضفاض وقابل للمناقشة .

وقال ابن الجوزى : اذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول ، فاعلم أنه موضوع . وهذا أيضا قابل للمناقشة .

وقال ابن خلدون فى المقدمة : ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر فى نفسه ممكن أو ممتنع . أما اذا كان مستحيلا فلا فائدة فى النظر فى التعديل والتجريح . لاحظ أن ابن خلدون قدم نقد المتن على نقد السند وجعله فيه ، وهذا أيضا قابل للمناقشة .

وفى العصر الحديث كثر العلماء الذين بينوا أضرار العمل بالأحاديث الضعيفة .

وقال الدكتور موسى شاهين لاشين فى برنامج اذاعى من محطة الشعب فى مصر : يعتقد بعض الناس أن الأحاديث الضعيفة فيها ترغيب وترهيب ، لم يستعمد فيه الكذب ويكتبه المؤلف عن حسن قصد . والرد على هذا أن هناك زنادقة وكفرة يكيدون للاسلام تعمدوا وضع الأحاديث . وقد نبهت الى خطورة وجود الضعيف . ولما سئل فضيلته : هل وضعتم برنامجا لتنقية الحديث ؟

قال : انها رسالة صعبة ومهمة شاقة لا يقوم بها واحد ولا عشرة ، ومهمة قسم الحديث فى الكلية (كلية أصول الدين بجامعة الأزهر) أن يحاول خوض المعركة بان جند لها الدراسات العليا فى رسائل الماجستير والدكتوراه لفصل الصحيح من غير الصحيح .

ثم يوضع بعد ذلك الصحيح فى كتاب متداول اقتراح تكوين لجنة من الآن تجمع ما تعطه كلية أصول الدين بالأزهر وكلية البنات الاسلامية بالأزهر وغير هذين من المشتغلين بالسنة وربما يكون من برنامجها تكوين اللجنة التى تتولى نقد الحديث من جهة المتن .

والله الموفق للصواب .

محمد أحمد بدوى

---

* **المجلة :** لجأ الكاتب — سدد الله خطاه — الى الاعتصام بالمنهج العلمى فى معالجة مقاله .

وهو حق محمود ، بل واجب . ومن هذا المنطلق نفسه نجد الأحاديث الضعيفة قسمين :

١ — قسم ثبت وضعه والكذب به على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولا يوجد مسلم يرحب به على وجه من الوجوه .

٢ — وقسم لم يثبت وضعه على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبالعلاج العلمى لبعض هذا النوع من الحديث ارتفع بعضه الى الصحة ، وانظر فى ذلك ما أداه الشيخ شاكر — رحمه الله — لمسند الامام أحمد — رضى الله عنه .

اذن هذا النوع لم يثبت وضعه كيف يجوز لنا أن ننفض اليدين منه بدعوى أنه ضعيف فلا نعمل به ، لأن فى الصحيح غنى عنه ؟

طيب ...

لم لا يزيد الصحيح .. واحتمال أن فى الضعيف هذا ثبيتًا لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — احتمال ثابت هل هذا منهج علمى .

ان منهج الشك فى ذاته ركيزة علمية طيبة لأنه يؤدى الى بيان الصحيح وقد وعد الكاتب أن يقدم بحثا فى « الضعيف » **والمجلة فى الانتظار .**

من
أعلام الأزهر

هذا العلم الأزهرى آخر من ودع الازهر من اعلامه ، مازال جرحه داميا ومأساته ماثلة ، فقد انتقل الى جوار ربه يوم الجمعة ٢٢ من ذى القعدة الموافق العاشر من شهر سبتمبر ١٩٨٢ .

كان فى الدكتور البهى صفات خاصة مميزة له عليها قامت حياته وبسببها اختلف الناس فيه بين مادح وقادح ، وما أظن الجيل الذى عاصره سيقدره تقديرا عادلا ، ولكن الجيل المقبل سيكون أدق حكما عليه وأكثر انصافا له . ويمكن أن أجمل صفاته فى أمرين اثنين أولهما حظ من الذكاء ، وحظ من النشاط والعمل وثانيهما صلابة فى الرأى وطموح لا يقف عند حد .

الدكتور محمد البهى

بقلم الأستاذ الدكتور

عبد الجليل شلبي

أمين عام البحوث الإسلامية السابق



بدا ذكاؤه ونشاطه العقلى منذ حداثتـه اذ كان أول فرقته التعليمية فى الازهر فى أكثـر سنواته الدراسية وحين تفوته الاولية لا يبعد عنها ، وبدت صلابته وطموحه فى الوظـائف الكبيرة التى تولاها ، فكـان فى كل وظائفـه متفانيا دءوبا مجددا فأتعب نفسـه وأتعب الذين عملوا معه ، واشـتط فى عقوباته حتى بدا أمام مرءوسـيه عاتيا عنيفا ، فتبرموا به وضاقوا بما حملهم من الاعمال وأرهقهم بـه من العقوبات ، فذكروا قسوته لـما فيهـا من عقوبات مباشرة ونسوا اصلاحاته ومزاياه لـما فيها من نفع مشاع وغير عاجل .

وبوجه عام كان الدكتور البهى أسبق مـن عصره بين الازهريين فحملهم ماهـو فـوق طاقتهم ، وفاجأهم بكثير مما لم يألفـوه ، والناس أعداء ما جهلوا أحباء ما ألفوا — ولم تكن أعماله مما ألف الازهريون فضاق بـه الكثيرون وفرح به الاقـلون ، وحـين يأتى الجيل الذى لم يشهد عقوباته وشدته سيقدر اصلاحاته ويتمنى وجود مثيل له ، وقد بـدا هذا فى حياته ولكن بعد فوات الأوان .

ولد الدكتور البهى فى قرية صغيرة من قرى مركز شبراخيت أحد مراكز محافظة البحيرة ، وأسرته أسرة متواضعة ولقبها هو « قرقر » ، وهو محمد البهى قرقر — ويبدو أنه ضـاق بهذه الكلمة وضاق بهـا الناس فحذفت مـن اسمه ، وقد ولد فى سنة ١٩٠٥ ، فهو قد مات عن ٧٨ عاما .

وعقب تخرجه سنة ١٩٣١ كـان مجلـس مديرية البحيرة قد فكر فى تخليد ذكرى الشيخ محمد عبده — أنبغ وأبرز من أنجبت هـذه المحافظة — واستقر الرأى على بعث اثنـين من أبناء هذه المديرية للدراسة فى ألمـانيـا ، على نفقة المديرية (المحافظة) ، وسـميت البعثة بعثة الشيخ محمد عبده ، وعهدت الـى الازهر باختيار هذين الطالبين ، اذ كان لابـد أن يكونا من الازهر الذى تعلم الشيخ محمد عبده وعلم فيه .

ووقع اختيار الازهـر على اثنين رؤى اذ ذاك انهما أولى وأحق من يشغل هذه البعثة ،



الدكتور محمد البهي

وكانت البعثات في هذا الوقت عزيزة جداً ، فاختير الدكتور محمد عبد الله ماضي — مد الله في حياته — والدكتور محمد البهي اذ كان أول فرقته في الشهادة العالمية سنة ١٩٢٨ ، وثاني فرقته في التخصص سنة ١٩٣١ .

ويبدو أن الدكتور البهي بذل جهداً كبيراً في بعثته ، فبعد عامين اثنين من نزوله برلين تقدم لامتحان في اللغة الالمانية يسوغ له الالتحاق بجامعتها ، فحصل على دبلوم في اللغة الجرمانية بدرجة امتياز والتحق بالجامعة في العام نفسه ، ولكنه كان يدرس أيضاً في جامعة هامبورج — ولست أعرف بالدقة حقيقة هذا النظام الذي يسمح بالعمل في جامعتين ، أو ربما كان بينهما ارتباط خاص لكن الذي علمته أنه بعد ثلاثة أعوام أخرى حصل على درجة الدكتوراه من جامعتي برلين وهامبرج سنة ١٩٣٦ ، وكان موضوع دراسته هو الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع .. ولم يعمل بعد ذلك لنيل دبلومات أخرى ، أو لعل مجلس « مديرية البحيرة » كان قد اكتفى للبعثة بهذا القدر فعاد الدكتوران معا عام ١٩٣٦

تولى الدكتور البهي عقب عودته تدريس الفلسفة في كلية أصول الدين ، وبدت من أول عمله صفاته التي ذكرنا ، فحصل طلابه دراسة أشق وأوسع ، وبدأ بنشر آراء جريئة في الفلسفة ويذيع محاضرات عن نظريات له ،

وقد اشتبك بسبب هذه الآراء مع علمين من أعلام الفكر الفلسفي في مصر هما المرحومان الاستاذ محمد فريد وجدي ، وكان اذ ذاك مدير مجلة الازهر ، والدكتور محمد غلاب وكان مدرس الفلسفة في أصول الدين أيضا ، وربحت الكلية كثيرا من محاضرات الدكتور رغم ما أثارت من خصومات مع الدكتور غلاب، وربحت مجلة الازهر أكثر من المحاورات التي تصدى لها فريد وجدي ، وكانت المجلة هي التي تنشرها وكانت خصومة الكاتبين هادئة ولكنها كانت عميقة ذات جدوى .

ونقل الدكتور البهي الى ادارة الازهر مديرا لقسم الثقافة الاسلامية . وكان حديث النشأة فوضع له قواعده ، وجعله قسمين : قسما للنشر والترجمة ، وقسما للعلاقات الاسلامية ، وليسد حاجة الازهر الى دعاة يعلمون في البلاد التي لا تتكلم العربية انشأ معهد الاعداد والتوجيه ، وكان ذا فائدة كبيرة اذ تدرب فيه عدد كبير من أبناء الازهر على اللغات الاوربية والشرقية ، ثم الغي هذا المعهد بعد أن ترك الدكتور البهي ادارة الثقافة الاسلامية ولست أدرى لماذا ؟

وعمل بعد ذلك في كلية اللغة العربية أستاذا للفلسفة — ولم يكن عميدها ولكنه ادخل عليها تقسيمات وتخصصات جديدة ، فبعث فيها حياة أنشط ووجهها لدراسات أعمق ثم كان أول مدير لجامعة الازهر ، وقع على

عاتقه عبء تنظيمها وتأسيس هيئة التدريس بها ، ورسم خططها ومناهج دراستها ، ولاتزال تجرى على الأسس التى وضعها .

وفى أوائل الستينيات من هذا القرن عين وزيرا للاوقاف ، فبذل جهدا كبيرا جدا فى اصلاحها أو على الأصح فى وقف تيارات الفساد التى وجدها فيها — وعلى ما حدثنى عنها . كان هذا التيار أقوى من أن يوقفه .

وقد رأى ان يعالج مشاكله عن طريق العقوبات فاشتط فيها ، وكان مع ولاية وزارة الأوقاف وزيرا للازهر فنال الأزهريين من عقوبته ما لم يحتماوه ، وقد كان حقا مخلصا كل الاخلاص فيما فعل للازهر ولوزارة الاوقاف ، ولكن لا استطيع أن أقول انه كان موفقا كل التوفيق ، وقد ضاق به مرءوسوه هنا وهناك ، وتنفسوا الصعداء يوم ترك الوزارة ، ولكنهم بعد قليل عادوا يتمنون منهجه واصلاحاته ، اما هو فاتجه بنشاطه الى جوانب أخرى ، ولم يلزم بيته ليستريح ولكن ليعمل وظل يعمل حتى اللحظة الاخيرة من حياته .

هذه هى حياة الدكتور البهى العامة ، ولا أعرف عن حياته الخاصة كثيرا . أما حياته العلمية فهى التى تستحق الوقوف لديها ، والوقوف لديها يطول ويطول لانها تستدعى استعراض كتبه وتحليل كل كتاب أوكل مجموعة من كتبه التى تدور حول محور فكرى واحد ،

وكتب الدكتور البهى كثيرة ومنوعة ويكفى أن نقول : ان هذه المجموعة من الكتب لم يترك مثلها أزهرى قبله ، وكان اكثر اعتماده فى كتبه وأحاديثه على دراساته الفلسفية وعلى معرفة اللغة الالمانية ، وقد ترك ببيته مكتبة كبيرة بها قسم كبير للكتب الالمانية . وكان على اتصال بالجالية الالمانية وبمدرسة جوته ، وكثيرا ما كنت أجد معه فى بيته بعض الرجال البروتستانت ، وفى اواخر الايام من حياته كان لديه رئيس الجالية البروتستانتية فى القاهرة ، وكان هناك حوار حول ما جاء عن السيد المسيح فى القرآن وفى العهد الجديد ، وقد اقترح يومئذ أن ألقى أنا محاضرة بمدرسة جوته فى هذا الموضوع ، وأن أجيب على الاسئلة التى توجه حول ما ذكر القرآن عن المسيح ولكن هذا لم يتم .

وهناك أمران لا ينبغى أن يغفلهما من يتحدث عن الدكتور البهى :

أولهما : ان الدكتور البهى خدم الأزهر خدمة كبيرة بايفاده عددا من المبعوثين الازهريين للدراسة فى اوروبا وامريكا ، واكثر هؤلاء كان مبعوثا الى المانيا ، فقد كان رحمه

الدكتور محمد البهي



الله يستمنح هيئة الامم ومؤسسة اليونسكو وغيرهما منحا لابناء الأزهر ، ومن هؤلاء المبعوثين من لا يزال في اوروبا وامريكا ، بعد أن حصلوا على درجاتهم العلمية ، ووجودهم هناك كسب للاسلام ، فقد أصبحوا أقدر على التعريف به والدفاع عنه ، أما الذين عادوا الى الأزهر فطبعا عادوا اليه بفكر جديد واطلاع واسع ، وهذا دين على الأزهر له ، أو هو بر منه للمدرسة التى تعلم فيها . ويضخم هذا الدين وهذا البر أن غيره من الأزهريين لم يفعل ذلك ، بل أكثر من هذا أن عرضت هذه المنح على بعض القائمين على الأزهر فرفضها بحجة أن المبعوثين قد يؤثرون الاقامة في أمريكا أو أوروبا ولا يرجعون ، كأن اقامتهم هناك خسارة على الاسلام !!

وثانى هذين الأمرين هو عفة الدكتور البهى ونزاهته ، فقد تولى مناصب كبيرة عديدة فلم تحم مرة حوله شبهة ولم يتهمه أحد بطمع او رغبة في أخذ مال بغير حق أو احتيال لكسبه ، بل انه كان أدنى الى الشذوذ في عفته بقدر ما كان هناك من هم أدنى الى الشذوذ في شرههم على المال ، فهو كان يتورع عن الحلال الخالص والآخرون يلتمسون شبه التحليل للمال الحرام ، اذكر على سبيل المثال انه دعى الى القاء محاضرات على طلاب الدراسات العليا بكلية الدعوة في طنطا ، ولا نحسب غيره كان قادرا على القاء هذه المحاضرات ، فذهب أول العام فالقى محاضرة عامة على الطلبة جميعا ، ثم قابل طلابه الذين يدرسون بهذا القسم ، ثم طلب اليهم ان يحضروا بعد ذلك اليه بالقاهرة ، فكانوا يأتون اليه ، وظلوا على ذلك عامين ، وأبى الدكتور البهى أن يقبل أى مكافأة على هذه المحاضرات .

هذا وقد عاش الدكتور البهى طوال ما عاش وهو يسكن بيتا بالايجار ، ومع مرتبه الكبير ودخله الواسع من كتبه ومقالاته الاذاعية وأسرته الصغيرة التى تتكون من زوجة وابنة متزوجة لم يبن لنفسه بيتا ولم يترك ضيعة ولا ثروة .

رحمه الله وجعل له لسان صدق في الآخرين

عبد الجليل شلبى

- الله .. والكون
- حديقة الذكرى العاطرة

الشعر

- أبو بكر الصديق رضي الله عنه

الله والكون

سبحان من علم الانسان من قدم ... وبثّ في الكون من آياته عبرا

في الأرض آياته للمؤمنين هدى ... وفي السماء براهينٌ لمن نَظَرَا

أخْلِقْ بمن يجتليها أن تعرفه ... بالله لو أنّه في صنعه فَكَرَا

فاعجبْ لمغرور علمٍ ما أفاد به ... فيما يشاهد ايمانا ولا اعتبرا

كم طاف بالارض واجتاز الفضاء على ... نجائب من سفين تبهر النظرا

وطار في ملكوت الله مقتحما ... حتى اذا ما استوى في أفقه كفرا

وعاد يسأل : أين الله ؟ في صلف ... وقد تخايل اعجابا بما ظفرا

اني بحثت فما صادفت من أثر ... تنمُّ عنه ولم اسمع به خبرا

ولم أر المنّ والسلوى كما زعموا ... ولا وجدت من الاقوات مُدَّخرا

يا من يكفُّ غرور العلم ناظرهُ ... عن رؤية الله فكّرْ وارجع البصرا

سبحانه جلّ عن كَيْفٍ وعن جهةٍ ... ولست الا هباءً طار وانتثرا

هل كنت تغزو الفضا الا بقدرته ؟ ... وهل بغير هداه كنت مقتدرا ؟

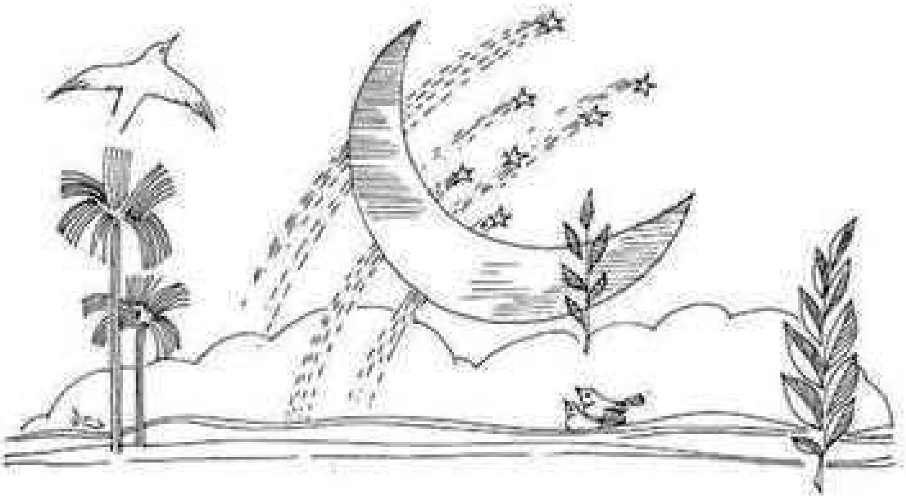
الله سبحانه ملء الوجود رُؤًى ... والله نور بكل الكائنات سرى

في الليل قد سبحتْ في بحر ظلمته ... بيض النجوم وقد نضّتْ به الأُزُرا

في غرة الصبح يجلو من سنائه ... على جبين الضحى في رأده غُرَرا

في الروض طاف به روح الربيع وقد ... مسّتْ أنامله مغناه فازدهرا

بثّ الحياة فأمسى طيره غردًا ... فوق الغصون وأضحى غصنه وَتَرا



في الزهر وشَّاه منظومًا ومنتثرا ... وفي الصبح إذا ما ضاع وانتشرا
في رقَّة النسمة العذراء عابرة ... قد عطَّرتها أزاهير الرُّبى سحرا
في النَّفَسِ وَالنَّفْسُ دنيا من عجائبه ... في الشُّهُب ، في الفلك المشحون حين جرى
في أنَّةِ البائس المكسور خاطره ... إذا استجار به في كسره جَبَرا
في عِبْرَة الدهر في المظلوم أنصفه ... وحَطَّمَ الظالمِ المغرور فانكسرا
في الخَطْب يحمل في أطواءِ محنته ... لطفًا تخفَّى وراء الخطب واستترا
وفي الجمال يجلِّيه لنافتنا ... وفي الطبيعة يجلوها لنا صورا
في كل شيء تجلَّى الله مقتدرًا ... وفي مظاهر هذا الكون قد ظهرا

للدكتور حسن جاد حسن

أبو بكر

هـو الصـديق أخلص فى المـودّه ورافق فى سـبيل الله عبـده

هـو السباق ٠٠ فى الاسـلام فرد وكـل السـابقين هنـاك بعـده

رقيـق القلب ٠٠٠ عنـد الذكر يبكى وعنـد الحـزم كالأطـواد شـده

فكم من مـوقف يفرو الـرؤس تقـدم فيـه كالاعصـار وحـده

وشاب الدهـر وهـو فتى عـلاه تتـوج عهـده مجـدا وحـده

وهـل ينسى له الاسـلام بذلا مضى سـمحا ألى الأمجاد عـده ؟

فكم من سـيد قاسى رقيقـا أتته من الرحيـم القلب نجـده

وكم عـرك الطوى أكبـاد أهـل نتيجـة بذله ٠٠ لم يبق عنـده

وهـل ينسى له دمـع تنـزى فبلّ فى رحـاب الغـار برده ؟

فـكيف وأنت عاطفـة وحس أبا بكر رآك الرشـد رشـده !

بيوم الـروع اذ ذهب المفـدى رفعـت لثامه ولثمت خـده

وقلت : فـدى الحبيب ابى وأمى وفى أحشـاك للأحـزان رعـده !

رآك الناس فى نصـح امينـا كأن [illegible]ـانه يومـا أعـده

حسمت الأمـر وهـو يكاد يمضى بهم [illegible]ـيعا واهـواء بوجده

وأمضـيت الجيوش الى قتـ[illegible] [illegible] عـ[illegible] حليف الشر كيـده

ووجهت الصـواعق كالـ[illegible]ـات لتـ[illegible] [illegible] مأفون وجنـده

نذرت [illegible]ـد والاخلا[illegible]ـدا و[illegible]دق الأمجـاد عهـده





الصديق رضي الله عنه

للأستاذ عبد الغفار الدلاش

فياك من حبيب الحق حتى ... ولو ذهب الوجود هناك ضده
وما كان الجهاد بغير بذل ... وما تعرى من الأشواك ورده
هو الاصلاح للرواد صيد ... فمن فى القاعدين ينال صيده !!
وكم لليل من فرسان ليل ... وفى الاصباح يلقى الصبح أسده
خلود الخالدين بما أقاموا ... وما أقسى البناء وما أشده
وما كانت بطولتهم جزافا ... فكل واهب الأجيال رفده
وزير « محمد » أكرم بمجد ... علوت سنامه ولبست برده
وَعَيْتَ الدرس من وحى مصفى ... فاوردت البقاع هناك ورده
وأكسبت الوجود شذى نديا ... غرست رياضة ورعيت ورده
وانك صحبة أغلى وأسمى ... من الايضاح مهما جد زنده
وما عاب البيان قصور وصف ... لمثلك ان رآك تفوق حده
رآك النبل أكثر منه نبلا ... وخال الزهد أنك صرت زهده
كفانى أننى المحت وصفا ... فكل الوصف أنت هناك بعده
فما فى الاستطاعة أن أوفى ... وكم من راغب ما نال قصده
وما الصديق الا هام مجد ... يراه المجد فى الآفاق مجده

حديقة الذكرى العطرة

شعر : محمد عبد الرحمن صان الدين

تفيأت فيها ندى الظلال ... وعانقت روح النسيم العطر
وجست خلال الخميل الأنيق ... وملّيت عيني بحسن الزهر
وخضت البحار بحار الضياء ... وشمت الكنوز كنوز العبر
ورحت أروّى غليل الفؤاد ... بعذب النمير وحلو الثمر
وأجلو التراث بعين البصير ... كأني أجلو محيّا القمر
عرفت الفضيلة ذات الجلال ... تتوج بالحسن بيض الغرر
وتنثر في الأرض خصب الحياة ... وبذر المحبة بين البشر
وأبصرت بدء الطريق القويم ... وبدء الطريق إلى المنحدر
وكيف يكون سمو النفوس ... وصقل الطباع وجلو البصر

وطافت بي الذكريات العذاب ... بأحناء مكة عبر العصر
فلاح بشعب بني هاشم ... وليد عليه الجلال أغر
وشمتك يا ابن الذبيحين طفلا ... بأفق السماء، تديم النظر
كأنك كنت على موعد ... مع الروح يوحي إليك الخبر
ويكشف سرا بطيّ الغيوب ... تحدّى العقول وأعيا الفكر

فمن أنت يا ذا الوليد اليتيم ... ومن ستكون غداة الكبر ؟
وجزت الكهولة بعد الشباب ... نقي الفؤاد عفيف الأزر
فجاءك وحي السماء بقول ... ثقيل جليل عظيم الأثر
وأفضى إليك بسر الحياة ... ومنهج عيش وحادي القدر
فكنت الرسول إلى الناس طرًّا ... وكنت الصباح الجديد النضر
وكنت - كما شاء ربّ الوجود ... سلام البوادي وأمن الحضر

رسول الهداية إني محب ... حليف الحنين أناجي الصور
بجهد الضعيف أقدم بين ... يديك قصيدا كعزف الوتر
وعذرا إليك، فأي قريض ... يوفّي الثناء ويقضي الوطر
عليك الصلاة، عليك السلام ... عديد الرمال، عديد المطر

- مسجد الكوفة

- وثيقة وقف العلامة سليمان بن على الإبشادى

الحضارة الإسلامية

مسجد الكوفة

اشتهر مسجد الكوفة بحركته العلمية ذات التأثير البعيد فى التشريع الاسلامى لأن عبد الله بن مسعود كان من أنصار الاجتهاد ، وقد أقام بالكوفة أمدا غير قصير معلما دارسا شارحا لكتاب الله ، وإذا كان ابن مسعود قارئا ندى الصوت، حافظا لكتاب الله ، حسن التلاوة ، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطلب منه أن يقرأ القرآن ليسمع ، اذا كان ابن مسعود كذلك ، فانه عمل على احياء مدرسة للقراءة بالكوفة ، تجردت للضبط والاتقان ، وتخصصت فى الترتيل الجيد لهجة ومخرجا ووقفا ، فمن رجال القراءات بالكوفة يحيى بن وثاب ، وعاصم بن أبى النجود ، وسليمان الأعمش ، وحمزة الزيات ، والكسائى ، ومعروف أن ثلاثة منهم ، وهم حمزة وعاصم والكسائى يعدون من أئمة القراء السبعة الذين رزقوا حظوة بين المسلمين ، فاذا استطاع مسجد الكوفة أن يبرز هؤلاء الاعلام فى مجال القراءات فقد وفق الى خير كثير .

أما أثر المسجد الكوفى فى مجال التشريع فأوضح من أن يشار اليه ، لأن مدرسة الرأى التى انتهت زعامتها فيما بعد الى الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان قد نشأت بالكوفة ، وذلك لأن العراق قد ورث حضارة ومدنية ، وانتشر فيه الموالى من سبى فارس ، ولم يكن الفتح الاسلامى سلبا وتدميرا ، ولكنه كان رعاية ومساواة وعدالة ، فواجه المسلمون فيما فتح عليهم من البلاد مسائل جديدة تحتاج الى أحكام فقهية فاستعانوا بالاجتهاد القائم على القياس ، وبذلك كان السبيل ممهدا لأئمة الفقه فى المسجد الكوفى ، وفى مقابلة المسجد الكوفى كان علماء المسجد النبوى يقفون عند ظواهر النصوص بدون بحث فى عللها ، ولهم مع مخالفيهم مناقشات وردود .

تزعم مسجد الكوفة الرأى حتى اشتهر كبير علمائه بربيعة الرأى ، وهو فقيه مشهود له بالاطلاع والدربة ، قال عبد الله بن سوار القاضى : ما رأيت أحدا أعلم من ربيعة بالرأى ، فقيل له : ولا الحسن البصرى ،

وعبد الله بن مسعود

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

وابن سيرين قال : ولا الحسن ولا ابن سيرين .

يقول الأستاذ محمد الخضرى فى كتابه (تاريخ التشريع الاسلامى) (١) .

« كان أهل الحديث يعيبون أهل الرأى بأنهم يتركون بعض الأحاديث لأقيستهم وهذا من الخطأ عليهم ، ولم نر فيهم من يقدم قياسا على سنة ثبتت عنده ، الا أن فيهم من لم يرو له الأثر فى الحادثة ، أو روى له ولم يثق بسنده ، فأفتى بالرأى ، فربما كان ما أفتى به مخالفا لسنة لم تكن بمعلومة له ، أو علمت ولكنه لم يثق بروايتها ، أو عارضها ما هو أقوى فى نظره ، كما روى سفيان بن عيينة قال : اجتمع أبو حنيفة والأوزاعى فى دار الحناطين بمكة ، فقال الأوزاعى لأبى حنيفة : ما بالكم لا ترفعون أيديكم عند الركوع وعند الرفع منه فقال أبو حنيفة : لأجل أنه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شىء ، قال : كيف وقد حدثنى الزهرى عن سالم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يرفع يديه اذا افتتح الصلاة ، وعند الركوع وعند الرفع ، فقال أبو حنيفة حدثنا حماد عن ابراهيم عن علقمة عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يرفع يديه الا عند افتتاح الصلاة ولا يعود الى شىء من ذلك ، فقال الأوزاعى : أحدثك عن الزهرى عن سالم عن أبيه ، وتقول : حدثنى حماد عن ابراهيم ، فقال أبو حنيفة : كان حماد أفقه من الزهرى ، وكان ابراهيم أفقه من سالم ، وعلقمة ليس بدون ابن عمر ، وان كان لابن عمر صحبة أو فضل صحبة فالأسود هو الأسود وعبد الله بن مسعود هو عبد الله ابن مسعود ، فسكت الأوزاعى » .

ننقل هذا الحوار ليفهم القارىء أن الرأى لا يعد تحكما ، وخروجا على النص ، ولكن المسألة تدور حول صحة النص والتيقن من صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان الحديث النبوى صحيح الرواية فلا خلاف !! ولعل الفيصل فى ذلك كله هو قول

(١) تاريخ التشريع الاسلامى ١٤٦ ط ٥ .

الكوفة

وعبد الله بن مسعود

أبى حنيفة رضى الله عنه : « آخذ بكتاب الله ، فما لم أجد بسنة رسول الله ، فما لم أجد فيهما أخذت بقول صحابة رسول الله ، آخذ بقول من شئت منهم وأدع من شئت منهم ، ولا أخرج من قولهم الا قول غيرهم ، فاذا انتهى الامر الى ابراهيم أو الشعبى أو ابن سيرين أو الحسن أو غيرهم فقوم اجتهدوا ، وانى لأجتهد كما اجتهدوا » (١).

فاذا تركنا علوم الشريعة الى علوم العربية فاننا نجد مسجد البصرة قد سبق مسجد الكوفة فى مجال اللغة والنحو ، لأن الكوفة كانت أكثر اهتماما وأولى سبقا فى مجال رواية الشعر والأخبار ، ولعل الذى قعد بالبصرة عن السبق فى رواية الشعر أنها كانت أكثر اختلاطا ، وأشد ازدحاما بالموالى والغرباء ، فكانت الحاجة الى تعلم النحو بها أوجب وأرعى ، وقد قال الأستاذ يوسف خليفة بصدد ذلك (٢) .

« ونستطيع أن نقول ان البصرة كانت مدينة العلم فى حين كانت الكوفة مدينة الفن ، وضعت الأولى قواعد العلم العربى ، ووضعت الأخرى نماذج الفن العربى وكلتا المدينتين لم تكن بمعزل عن الأخرى فى قانون التأثر والتأثير » .

والموازنة بين المدينتين فى مجال السبق الزمنى فقط ، لأن علماء الكوفة قد نشطوا للنحو واللغة ، كما نشط علماء البصرة للأشعار رواية ودراية ، وللأخبار الأدبية نقدا وتسجيلا ، واذا كان عيسى بن عمر الثقفى وأستاذه أبو اسحاق الحضرمى أول نحاة البصرة ، وقد توفى الأول سنة ١٤٩ هـ ، وتوفى الثانى سنة ١١٧هـ ، فمعنى ذلك أن البصرة قد سبقت الكوفة بنحو مائة عام ، حتى نهض بها أبو جعفر الرؤاسى ، وكان معاصرا للخليل ابن أحمد ، فكان رأس المدرسة الكوفية ، ويقول ثعلب الكوفى : أن أبا جعفر كان أول كوفى وضع كتابا فى النحو ، ثم جاء بعد الرؤاسى تلميذاه ، الشهيران الكسائى والفراء وبهما قامت المدرسة النحوية فى هذا المسجد ، وامتد لها من الصيت ما ظل أثره مترددا فى كتب النحو الى اليوم .

وقد أكثر الدارسون من الموازنة بين المدرستين ، حتى ألفت كتب مستقلة فى الموازنة بينهما ، وجاء ابن الأنبارى ليضع كتابه (الانصاف فيما بين البصريين والكوفيين من الخلاف) ليكون أبا الحسن لهذه القضية ، وقد وفق الى اهتداء كبير وان وجد من يعقب عليه تأييدا ونقضا وتلك سنة الباحثين.

ونذكر فى مضمار البحث اللغوى بمسجد الكوفة أبا عمرو الشيبانى ، وابن الأعرابى كما يذكر الكسائى والفراء اذ لم يقتصر على فن واحد من فنون العربية ، وكلهم ثقة فيما كتب الا ما يروى عن أخطاء لابن الأعرابى تحامل عليه فى نقدها بعض المؤرخين ، ولكننا فى مجال الحق نرى أن الخطأ لم يسلم منه

(١) تاريخ بغداد ١٣/٣٦٨ .
(٢) حياة الشعر فى الكوفة ص ٢٦١ .

أحد ، وأن محاولة انتقاص ابن الأعرابي بما وقع فيه من الخطأ ظلم لا مبرر له ، فحسبه أن جاء بصواب كبير •

لقد كان مسجد الكوفة ذا فضل جهير فى نشر الثقافة الاسلامية ، وسنختار عالمه الأول عبد الله بن مسعود مثالا لأحد أساتذته ، لأن ابن مسعود على فضله العلمى قارئا ومفتيا وفقيها لم يجد من يخصه بدراسة متأنية ، فلعل باحثا ينهض لانصافه العلمى محللا آراءه شارحا قضاياه لتعرف من نضاله العظمى ما نعلمه من جهاده الاسلامى بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين •

— ٢ —

رزق عبد الله بن مسعود جرأة وشجاعة ، فحين أشرب قلبه بالايمان ، وكان غلاما رقيق الحال يرعى الغنم لأحد العتاة الباغين من كفرة قريش ، جعل يكثر من الذهاب الى دار الأرقم دون تحرج ، ولم يجعل ايمانه سرا بينه وبين نفسه ، بل أراد أن يتحدى به السادة الكبار وهو ضعيف لا ظهير له ، اجتمع يوما مع صحابة الرسول فأخذوا يقولون : هذا القرآن نتلوه فى دار الأرقم ، وما سمعت به قريش ، فمن منا رجل يسمعه اياهم قال ابن مسعود : أنا ذلك الرجل ! فتعجبوا لما يرون من ضعف حاله وضآلة جسمه ، وقالوا : نخشى الجبارة عليك وما أحد يحميك ، فقال فى ثقة : دعونى فان الله سيمنعنى •

وطلع الصباح ونهضت قريش الى مجلسها من الكعبة فسمعت صوتا مؤمنا ينبعث من مقام ابراهيم • وقد جعل يتلو قول الله :

« الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ » فدهشوا ، وهرعوا الى صاحب الصوت ، فرأوه عبد الله بن مسعود فسألوه متعجبين فأعلمهم أنه قد أسلم ، فاندفعوا يضربونه فى وجهه ، وهو لا يكف عن القراءة حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف الى المسلمين ودمه يصبغ وجهه ، فقالوا له متألمين : هذا ما كنا نخشاه عليك ، فقال فى ثبات : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولو شئتم لغديتهم بمثلها ، فقالوا حسبك لقد أسمعتهم ما يكرهون •

اشتد اتصال ابن مسعود برسول الله فكان لا يفارقه فى منزله أو مسجده ، كان يقوم على خدمته ، يلبسه نعليه ويمشى معه وأمامه ، ويستره اذا اغتسل ، ويوقظه اذا نام ، ويستمع الى حديثه بالمسجد منصتا واعيا حتى صار وعاء ملء علما كما قال عنه عمر بن الخطاب ، وعمر صادق لا يصف أحد بما ليس فيه ، قال أبو موسى الأشعرى ، لقد قدمت أنا وأخى من اليمن ، وما نرى عبد الله ابن مسعود الا رجلا من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، لما نشهد من كثرة دخوله ودخول أمه على رسول الله ! — صلى الله عليه وسلم •

ولما اشتد أذى قريش للمسلمين هاجر ابن مسعود الى الحبشة ورجع منها ليهاجر الى المدينة ، وله موقف رائع فى غزوة بدر لا ينسى ، اذ جاهد مع المجاهدين ، فلما انهزم المشركون جعل يتفقد الجرحى باحثا عن أبى

وعبد الله بن مسعود

جهل استجابة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجده يجود بآخر رمق ، فوضع رجله على عنقه ، فصاح أبو جهل : لقد ارتقيت مرتقى عظيما ياروبعى الغنم ، فأخبرني لمن الدائرة ؟ فقال : لله ورسوله ، وانى لقاتلك ، فقال أبو جهل متحسرا : ان أشد شيء على قتلك اياى ثم جز رأسه ، وجاء الى رسول الله صائحا : هذا رأس عدو الله ، فقال الرسول : (الله الذى لا اله غيره) ، ورددها ثلاثا ، فقال : نعم ، والقى برأسه بين يديه ، فحمد الله شاكرا .

روى الترمذى : عن حذيفة أن اناسا قالوا له : حدثنا بأقرب الناس دلا وهديا من رسول الله ، فقال : لقد علم اصحاب رسول الله ان ابن مسعود من اقربهم الى الله زلفى.

وجاء في الطبقات عن أبى عطية الهمدانى قال : كنت جالسا عن عبد الله بن مسعود فأتاه رجل فسأل عن مسألة ، فقال : هل سألت عنها أحدا غيرى قال : نعم ، سألت أبا موسى الأشعرى ، وأخبره باجابته فخالفها ابن مسعود ، ثم قام فقال أبو موسى : لا تسألونى عن شيء وهذا الحبر بينكم .

وحين أنشئت الكوفة سيره ابن الخطاب مع عمار بن ياسر اليها ، وقال : انهما من النجباء في أصحاب محمد فاقتدوا بهما ، وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : لو كنت مؤمرا أحدا من غير شورى لأمرت ابن أم عبد .

وقد حفظ له التاريخ موقفا رائعا ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « انى أمرت أن أقرأ على الجن الليله فمن يتبعنى ؟ قالها ثلاثا ، فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقد أجاب ، وقد حدث فقال : لم يحضر ليلة الجن أحد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون ، خط لى خطا ، وقال ، لا تخرج منه حتى أعود اليك ، ثم افتتح القرآن لغطا شديدا ، حتى خفت على رسول الله ، وغشيته أسودة كثيرة ، حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته ، ثم مضوا كقطع السحاب ، فقال لى رسول الله : هل رأيت شيئا قلت : نعم ، رجالا سودا يلبسون لباسا ابيض ، فقال : أولئك جن نصيبين » .

أما براعة ابن مسعود في ترتيل القرآن فيخبر عنها ما رواه البخارى عن رسول الله عن ابن مسعود قال : قال لى رسول الله : اقرأ على ، فقلت : كيف أقرأ عليك القرآن ، وعليك نزل قال : انى اشتهى أن أسمعه من غيرى . قال عبد الله : فقرات عليه من سورة النساء حتى اذا بلغت قول الله عز وجل :

حتى اذا بلغت قول الله عز وجل : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا » قال لى : حسبك ، ! فنظرت اليه وقد اغرورقت عينا رسول الله بالدمع ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يقرأ القرآن فليقراه قراءة ابن أم عبد » .

لذلك كان ابن مسعود يتصدر معلما للقراءة

ويقول : « جودوا القرآن » وفى الصحيحين أن رجلا قال له : انى أقرأ المفصل فى ركعة واحدة ، فقال عبد الله : هذا كهذا الشعر ؛ ان قوما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم فلا يقع فى القلب فيرسخ فيه ، لا تنثروه نثر الدقل ، ولا تهذوه هذا الشعر ، قفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكون هم أحدكم آخر السورة » .

ولعمرى لنحن فى حاجة ماسة الى تنفيذ هذه الارشادات ، فأكثرنا يتلو القرآن دون تدبر ، بل يمر به مرا ، وقد قال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ .

اشتهر ابن مسعود بتلاوة الكتاب وحفظه ، وكان الصحابة يسمعون عنه بالمدينة ، فلما انتقل الى الكوفة جعل يقرأ القرآن ويروى العلم ، ويحدث بأنباء رسول الله حتى أنشأ مدرسة فقهية دينية قرآنية تنتهى اليه ، فقد تلقى عنه عاصم ابن ضمرة ، والحارث بن عبد الله ، وزر بن حبيش ، وأبو عمرو سعد الشيبانى ، ومسروق بن الأجدع ، وزيد بن وهب ، وعلقمة بن قيس ، وأبو الأسود الدؤلى ، والى هؤلاء تنتهى قراءة عاصم وحمزة والكسائى من السبعة القراء ، وقراءة خلف من العشرة ، وقراءة الأعمش من الأربعة عشر ، وقد اقتصر على ما وافق الرسم العثمانى من قراءاته ، واشترطوا فى صحة التعبد بالقرآن أن يكون صحيح السند ، وأن يكون موافقا للرسم العثمانى وموافقا للعربية بوجه من الوجوه .

وحين نستعرض تاريخ الحركة العلمية بالكوفة نجد أن ابن مسعود كان رائدها الأول لأن على بن أبى طالب قد شغل بأعباء السياسة فى مدة خلافته بالكوفة ، اذا لم يرتح يوما واحدا من دسائس الوصولية ، واحقاد الجاهلية ، ولو تفرغ لنشر الفقه والتفسير لكان امام الأئمة ذا القول الفصل ، لذلك كان ابن مسعود أكثر من حفظت عنه الفتيا بالكوفة ، وكأنما يشعر شعورا داخليا بواجبه العلمى ، وأنه بعث معلما فقهيا ، فابتنى داره الى جانب المسجد ، ليكون ذا اتصال بالمصلين فى أقرب المناسبات ، ولعل اتجاهه الروحى فى منحاه الفقهى كان أقرب الى عمر بن الخطاب ، اذ كان ابن مسعود ناقلا لارائه محبذا لها . ويذكر ابن القيم أن عبد الله بن مسعود لم يكن ليخالف عمر بن الخطاب فى شىء أو حكم ، واذا كانت ميزة الفاروق رضى الله عنه فى فقهه هى الاجتهاد واستعمال الرأى حيث لا نص من كتاب او حديث موثوق براويه ، فان هذا الاجتهاد الفقهى كان مشرب ابن مسعود ، وعنه انتقل الى تلاميذه بالكوفة مع تشدد كبير فى رواية الحديث ، اذ كان مثل عمر رضى الله عنه لا يقبله من راو واحد حتى يشهد على صحته شاهدان ... وفى بعض ما كتبناه ما يشير الى شيوع هذا الاتجاه فى الفقه الكوفى بتأثير مباشر من أستاذ المسجد عبد الله بن مسعود رحمه الله .

دكتور / محمد رجب البيومى

وثيقة وقف

عرض ودراسة بقلم : دكتور

تعتبر الوثائق من أول المصادر المهمة لدراسة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية لانها تحوى مادة تاريخية تسجل حضارة أصيلة .

ونقصد بالوثائق على وجه الخصوص الاوراق الرسمية كالرسائل والسجلات والمنشورات والاحكام القضائية والنظم المالية والفتاوى الدينية والمعاهدات السياسية والمراسيم وعهود التولية لكبار الموظفين من وزراء وأمراء وولاة وقادة .

ولقد حققت وتحقق ـ دراسة الوثائق والحجج الشرعية فوائد جمة ، حيث أصبحت المصدر الاساسى والاصيل لدراسة التاريخ والحضارة ، ويتمكن المؤرخ بواسطتها من تتبع المسألة الواحدة بداية ونهاية فى منشأة من المنشآت المدنية الدينية أو الحربية للمجلس الكبير أو لقر السلطان أو الملك .. ومن المدينة الكبيرة التى تتلألأ بأضوائها الكثيرة الى القرية الصغيرة النائية فى أعماق الريف القابعة فى الظلام .

ومادة التاريخ هذه كل مافيها له قيمته وأهميته من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والحضارة حيث تتحدث الوثيقة أحيانا عن الاسواق وحركة البيع والشراء وأنواع العملات ومعاصر الزيتون ومصانع الصابون والمطاحن والمخابز والزروع والحدائق والاطيان والعقارات وغير ذلك .

ويرى بعض المتعسفين من المؤرخين الذين يهملون النواحى الحضارية أن كل مالا يمت الى السياسة العليا أو مالم يصدر عن السلاطين أو ممثلى السلاطين والملوك يعد شيئا تافها .

لكن وثيقة من الوثائق تدلنا على أرزاق الجند أو مرتبات الاساتذة والطلاب أو طعامهم ولباسهم وألقابهم وغير ذلك من نظم سير الدراسة وتطورها بالمؤسسة العلمية مثلا لهى وثيقة لها خطرها ، ولا يستطيع باحث فى التاريخ الاسلامى والحضارة السلامية كتابة تاريخ التعليم دون الرجوع الى الحجج الشرعية والوثائق الموجودة بأدارة القيد والحفظ بوزارة الاوقاف أو دار الوثائق القومية بالقلعة أو دار المحفوظات أو المجلس

العلامة سليمان بن علي الأبشادي

مجاهد توفيق الجندي

الاعلى للثقافة أو ادارة الازهر . كما أن التقرير الذى يكتبه مسئول عن مدرسة أو كتاب أو مكتبة أو جامع أو « خانقاه » يوضح لنا أحوالها فى الماضى وسير الدراسة بها وطرق التعليم ومناهجه فيها ، سواء أكان ذلك فى مدينة أو قرية صغيرة لهو أيضا وثيقة لها قيمتها وخطرها فى دراسة تاريخ التعليم .

ولايمكن كتابة التاريخ الصحيح الا بها وبمثيلاتها .

هذه المادة التاريخية من الوثائق العربية ، أغفلها المؤرخين ، ولعل السبب صعوبة الوصول اليها خاصة فى دور الوثائق القومية التى يقع بعضها فى مناطق عسكرية مع أن القائمين على الامر يدركون أهمية الناحية العلمية فييسرون للباحث مهمته .

وان كانت تترصده عقبات أخرى ، تتمثل فى هذا الارتفاع الشاهق للقلعة حيث تقبع تلك المراجع الفريدة فى أماكن قد لا تصلح لحفظها ، حيث تفقد طرق الوقاية الحديثة فصارت فى كثير من الاحوال نهبا للرطوبة والعفن والأرضة .. وغير ذلك .

كذلك تفقد ترتيبها ترتيبا مكتبيا حديثا يجمع الى حسن تنظيمها ضرورة المحافظة عليها ، ولقد أصبحت الاهمية العلمية للوثائق موضوع الاجماع بين الباحثين من المؤرخين وغيرهم ، فهى أولا قطاع لايمكن اغفاله فهى جزء من التراث التاريخى القومى ، وهى ثانيا مصدر أصيل لاستنباط الحقائق التاريخية فى مجالات عديدة بالنسبة لدارسى التاريخ الاقتصادى والتاريخ الاجتماعى وتاريخ الآثار وتاريخ القانون وتاريخ النظم وتاريخ اللغة وغير ذلك

وقد تنبه الى هذه الاهمية منذ وقت مبكر علماء التاريخ والاثار ، وأصبحت الوثائق عنصرا أساسيا هاما فى دراساتهم وبحوثهم ، لما تعطينا من القيمة العلمية وما تمدنا به من الجدة والابتكار ، ولقد أصبحت الدراسة



التاريخية المعتمدة على المصادر الروائية وحدها ، أقل درجة من الدراسات المعتمدة على الوثائق .

والوثائق تحتاج الى الباحث الامين الذى يستطيع بصبره ومثابرته أن يستنطق الوثيقة ليستخرج منها الحقائق ، والذى لايضل فى الجزئيات ، شريطة الا يخفى منها مالا يؤيد نظريته ، ونحن بلا شك فى حاجة ماسة وملحة الى هذا النوع من الباحثين .

ولما كان التاريخ لفترة ما من كل جوانبها : حوادث وحضارة صعبا بل شبه مستحيل اذا لم تتوافر الآثار والوثائق الدالة على أحداثه ووقائعه ، فقد عمد المؤرخون الى مراجعة الوثائق الاصلية ، ومن هنا كانت أهمية الوثائق للتاريخ ، نظرا لان الحوادث التاريخية تخرج عن نطاق التجريب كالعلوم الطبيعية .

وحرى عن البيان أن الوثيقة تؤدى مهمتها على خير وجه اذا عثر عليها تامة ، والا سببت ارتباكا للمؤرخ ورمت به فى مجاهل الاستنتاج والظنون مما يؤثر على التاريخ العلمى الصحيح .

والوثائق أنواع : منها وثائق الوقف ووثائق المقايضة ووثائق الاستبدال .. وغير ذلك .

وثائق الوقف :

يعتبر العصر المملوكى العصر الذهبى لنظام الاوقاف حيث أدى الازدهار الحضارى والعلمى وازدياد الرواج التجارى والمالى الى نشاط كبير فى التصرفات القانونية بكافة أنواعها ، فنشط كل من كان لديه مال ثابت أو منقول أو أطيان أو عقار فى ذلك العصر الى وقف شىء منه اما بسبب الهروب من الضرائب والخراج ، حيث كانت الاملاك الموقوفة معفاة من الضرائب ، واما بسبب مصادرة هذه الاملاك وهو داء انتشر فى ذلك العصر .

واذا كان الوقف لاحد الحكام من السلاطين أو الامراء ، فانه كان يوقف أملاكه بهدف التقرب الى الشعب ، حيث كان يخصص جزءا من ريعها على الخدمات والمرافق العامة من أسبلة ومدارس وكتاتيب ومساجد « ومارستانات » وغيرها .

وقد تطور نظام الوقف فى العصر المملوكى حتى أصبح يقسم الى ، وقف أهلى ووقف خيرى ، أو وقف يجمع بين الاثنين للاستفادة من الوقف (الاهلى) فى حياة الواقف وفى حياة ذريته أو (عتقائه) من بعده الى حين انقراضهم فتئول بعد ذلك لجهات الخيرات والبر والمنتفعين به .

وثائق الاستبدال :

كان من أثر انتشار الوقف فى هذا العصر أن انتشر تصرف آخر مرتبط به وهو الاستبدال والابدال .. والاخير يعنى بيع الارض أو العين الموقوفة لشراء عين أخرى تكون وقفا مكانها ، والبدل هو العين المشتراء لتكون عوضا عن العين الاولى والاستبدال هو أخذ العين الثانية مكان الأولى لأن الاعيان الموقوفة لا تباع ولا تشترى .

وثائق المقايضـــة :

فى أواخر العصر المملوكى انتشر نظام المقايضة فى التجارة الدولية بين سلاطين المماليك وبين جمهوريات ايطاليا ، ومما دعا الى انتشار هذا النظام أزمة الذهب التى ظهرت فى مصر والشام فى أواخر هذا العصر.

وثائق البيـع :

وهذه الوثائق تزخر بما يمكن استنتاجه منها والاستفادة به فى المجالات التاريخية والعلمية ومنها الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والمعمارية والفنية وغيرها . وثمة وثائق لامور أخرى منها : وثائق عتق العبيد ، ومناشير الاقطاع وغير ذلك .

الوثيقة موضع الدراسة :

وهذه صورة عن وثائق العهد تساعدنا فى طرح دراستنا عن وثيقة العلامة الشيخ سليمان بن على بن سليمان الابشادى المالكى الانصارى الحسانى الازهرى والناظر .. من ترجمة الشيخ لنفسه ، أنه ولد بقرية ابشاده (1) احدى قرى المنوفية ، من أصل عربى أنصارى حسانى : ينسب تقريبا — الى حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو أزهرى ينسب الى الجامع الازهر : تلميذا يدرس أو شيخا يدرس ، مالكى المذهب وله طلاب ومريدون أما صلة وثيقته هذه بالازهر، فقد وقف مجموعة من الكتب وأدوات الكتابة وخزانتين وبعض الكراسى على طلاب رواق الريافة بالجامع الازهر ، وقد كتب عن هذه الوثيقة نسختين : احداهما وضعها داخل المكتبة هذه والأخرى داخل محكمة الاحوال الشخصية حيث حفظت داخل الاضبارات ، وهى التى عثرنا عليها بدار الوثائق القومية بالقلعة تحت رقم ٢٧٨ م .

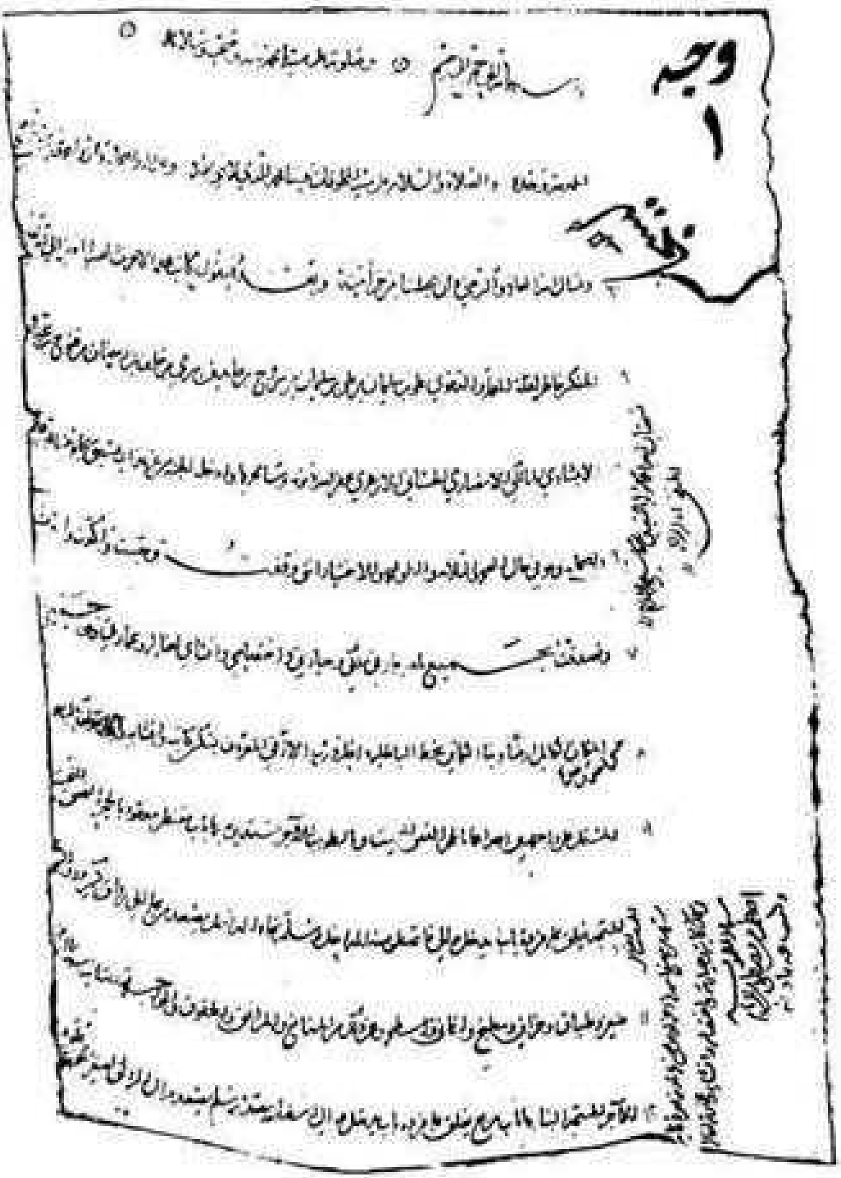
وتحتوى الوثيقة على مجموعة نادرة من المخطوطات شملت تقريبا كل الفنون الموجودة حاليا بمكتبة الازهر المعمور ، ومنها : الربعات والمصاحف والقراءات والتفسير والحديث وأصول الفقه ، وفقه أبى حنيفة وفقه مالك وفقه الشافعى وفقه ابن حنبل والنحو والصرف والبلاغة واللغة والمجاميع المختلفة المحتوى كل منها على فن بداية والتوحيد والمنطق والتاريخ والتصوف والادب والمديح والمواعظ والفضائل ، والاحزاب والاوراد والادعية والفنون المتنوعة والحكمة والفلسفة



(1) ابشادة : احدى قرى الغربية واحدى قرى المنوفية ايضا كما فى كتاب التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية لابن الجيعان وفى ترجمته الضوء اللامع للعلامة السخاوى — لمحمد ابن الشيخ سليمان المنصوص عليه فى تلك الوثيقة والذى سيتولى النظارة على وقف والده بعد بلوغه مبلغ العلماء الفضلاء — ان محمدا هذا ينسب الى ابشادة المنوفية وهى قرية صغيرة تقع تقريبا بالقرب من قرية (دنشواى) الشهيرة الباحث .

وثيقة وقف العلامة سليمان بن على الأبشادى

وجه الوثيقة



والفلك وتقويم البلدان والقوانين واللوائح ، والحساب والطب والمواريث والاخلاق والتربية والاجتماع ، وأدب البحث والعروض والوضع وكتب في اللغات الاجنبيـة والاملاء والخط والرسم ، والكيمياء والطبيعة والجبر والهندسة والزراعة ، وفقه الشيعة ، وعلم الهيئة والفراسة وتعبير الرؤيا والشرائع غير الاسلامية والموسيقى والحروف والرمل وغير ذلك من الفنون .. ومن ثم تتضح أهمية هذه الوثيقة لكل من يدرس تاريخ الجامع الازهر ونظام الدراسة به قديما وحديثا ، حيث كانت علوم كالطب والجبر والهندسة والصيدلة والحساب والفلك وعلم الحيل (الميكانيكا) والموسيقى واللغات الاجنبية وغيرها بالاضافة للعلوم الاسلامية والعربية كانت تدرس بالجامع الازهر ، وفي هذه الوثيقة رد على من تقولوا على الأزهر منكرين دوره الطليعى فى خدمة التراث العالمى والحفاظ عليه عن الضياع في تلك العصور المتقدمة التى يتجلى من خلال فحصها أن دراسة العلوم التجريبية ليست غريبة عن الازهر .

وقد اشتملت الوثيقة على نوعين من الوقف الاول منها ينفق ريعه على الثانى .

وأولهما : المنزل الكائن بدرب الازقى (١) بخط الباطلية ، ويصرف من ريعه على نساخ الكتب لتزويد المكتبة بما تحتاج اليه من مخطوطات لتتمكن من تأدية رسالتها على الوجه الاكمل ، ووقف كذلك خزانتين توضع فيهما الكتب ، صغرى وكبرى ، ودواة للمداد وسكين لبرى الاقلام ومداد لتعمير الدواة وبعض الكراسى التى يجلس عليها نساخ الكتب أثناء النسخ أو الاطلاع .

وثانيهما : الكتب والمخطوطات التى ستوضع داخل الخزانتين ليطلع عليها الطلاب داخل مكتبة الرواق ، وهذه الكتب مذكورة تفصيلا داخل الوثيقة وعددها ثلاثة وثمانون كتابا وبعض هذه الكتب مجلدات عدة أما باقى الكتب التى أضيفت لهذه المكتبة عن طريق النسخ أو الشراء أو الاهداء لتزويد المكتبة فعددها خمسة وستون وخمسمائة كتاب وبذلك يصل عدد الكتب جميعها الى ثمان وأربعين وسبعمائة كتاب بعضها عدة أجزاء بالاضافة الى كتب أخرى زودت بها المكتبة فقد باع ابنه محمد ناظر الوقف جزءا من المنزل واشترى به بعض الكتب بتاريخ ١٨ من ذى الحجة الحرام سنة ٩٢٧ هـ . ونلاحظ أن :

١ ـ كاتب هذه الوثيقة هو الواقف نفسه العلامة سليمان الابشارى كما نص على ذلك وقد استخدم فى كتابته هذه خليطا من أقلام النسخ والثلث والرقعة والفارسى والديوانى ، وبعضها بخط رفيع والآخر بقلم عريض واضح جلى ، ويصعب على الباحث قراءة خطها فى



(١) قمت بالبحث عن درب بهذا الاسم فى خط الباطلية فلم اعثر عليه ولم أجد غير شارع « العزتى » ويبدو انه محرف من الازقى وهو متفرع الآن من شارع الباطلية (الباحث) .



الوجه الأخير للوثيقة

معظمه لتشابكه وتداخل بعض الكلمات فى بعض ، والهمزة محذوفة دائما تقريبا وحذف نقط الشين غالبا ونقط بعض الحروف فى بعض الاحيان ، والكتابة أخذت شكل قوس أفقى حتى لايستطيع أحد تزوير الوثيقة .

٢ ــ الوثيقة عبارة عن دروج أوصال أى ورق وصل ببعضه رأسيا بطريق اللصق ثم يطوى فى النهاية على شكل « رول » ليحفظ بعد ذلك فى اسطوانة من الصفيح حتى لايتعرض للتلف ، وقد كتب عليها من الوجه والظهر كتابات منها :

وقف المنزل والكتب ووصف كل منها وصفا دقيقا مبينا معالمها ، ثم اشهادات الشهود وتوقيعات القضاة على الهامش الايمن ، وفى نهاية الوثيقة ، وعلى ظهرها أيضا اشهادات وتوثيقات وابطالات (١) واضافات ويصعب على الباحث قراءة التوقيعات فمعظمها ملفوف حول بعض بطريقة يصعب على الباحث متابعتها ، ومن ثم يتوقف أمامها مدة طويلة لتحقيقها .

٣ ــ ورق الوثيقة من النوع الجيد الابيض المائل للصفرة .

٤ ــ هامشاها الايمن والأيسر قد ذابا فى أول الوثيقة وباقيها سليم ماعدا بعض القطع البسيطة التى فسدت نتيجة الرطوبة لكنها لاتؤثر فى المادة العلمية فأنها تقرأ بوضوح .

٥ ــ بعض الامضاءات لم أستطع قراءتها حتى بمساعدة الزملاء وكذلك بعض الكلمات التى تحتمل أكثر من قراءة .

٦ ــ عدد سطور الوثيقة فى الوجه ستة وأربعون ومائة سطر ، والمسافة بين السطر والذى يليه ٥ر٣ ثلاثة ونصف سم وماعدا ذلك من بقية السطور تأتى المسافة فيها فى المتوسط ٣ر٢ سم .

٧ ــ لون المداد المكتوب به الوثيقة هو اللون الاسود .

وبعد :

فهذه وثيقة من بين وثائق من أمثالها تبين مدى اهتمام العلماء بالعلم وطلاب العلم فى حياتهم وبعد وفاتهم ايثارا للنفع . نرجو أن نكون قد وفقنا فى عرضها وأشرنا الى ما ينبغى أن يتخذ لها ولامثالها من تراثنا العتيق الكريم والله الموفق .

د . مجاهد توفيق الجندى

---

(١) دائما وأبدا يشترط الواقف لنفسه فقط الادخال والاخراج والزيادة والنقصان والتغيير والتبديل والاستبدال اى ان له وحده ان يدخل فى وقفه ويخرج منه من شاء وان يزيد او ينقص فيه وان يغير أو يبدل او يستبدل فى وقفه دون مسائلة من احد وان يبطل ما يريد ابطاله مثلا له ان يبطل عمل ناظر وقفه اذا خالف شرط الواقف بأن تلاعب فيما تحت يديه وغير ذلك ويغيره بآخر افضل منه وهذا هو معنى الابطال.

المجتمع الإسلامي

- المحافظة على مال اليتيم
- رجم الزانى والزانية
- الإسلام والرياضة
- هل التقى فكر الدكتور شندى والشيخ الشعراوى ؟
- الإغتراب لماذا ؟. والإنتماء .. كيف ؟

المحافظة على مال اليتيم

للشيخ محمد صابر البرديسي

عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : (يَا أَبَا ذَرّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا ، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي ، لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ ، وَلا تَلِيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ) « رواه مسلم » .

المجتمع الاسلامى مجتمع تعاونى ، يتعاون على البر والتقوى ، يشد بعضه بعضا ، فترى القوى يعين الضعيف ، والغنى يعطف على الفقير ، والأبناء الذين شاء الله لهم أن يحرموا عاطفة الأبوة لظروف وحكمة قدرها الله ، لم يترك الله أمرهم بلا رعاية ، بل كان من رحمته بهؤلاء الضعفاء أن أوصى بهم خيرا ، فأوجب على أقاربهم وأوليائهم حسن رعايتهم ، بل أوجب ذلك على المجتمع عامة ، فهم أمانته ، ورعاية الدولة لهم واجبة ، وتربيتهم والعطف عليهم مطلوب شرعا ، والمحافظة على أموالهم ، وتوجيههم الى الخير يحتمه الدين والقانون والعقل السليم ، وقد وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالجزاء الأوفى لمن يسهم فى معاونة اليتيم وكفالته وحفظ ماله .

روى البخارى عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين ، اذا اتقى وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما) فاذا راعى كافل اليتيم الأمانة فيما أسندت اليه ولايته واتقى الله فى كل تصرف يتعلق باليتيم من جهة تنشئته نشأة حسنة ، والحرص على ماله ، وعدم التبذير فيه ، كان جديرا بمنزلة كريمة وخليقا بدرجة رفيعة ، وكان رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة .

ومما لاشك فيه أن لليتامى شأنا خطيرا فى المجتمع ، واصلاحهم أمر يحتاج الى همة عالية ، وحزم قوى ، وقوة وبأس فحرمانهم من عاطفة الأبوة لا يعوضه فرد واحد الا اذا اجتمعت فيه صفات تميزه وتمكنه من القيام بهذه المهمة النبيلة ، ولهذا نجد الرسول « صلى الله عليه وسلم » يقول لأبى ذر : «انى أراك ضعيفا ، وانى أحب لك ما أحب لنفسى » ثم يقول له « لا تلين مال يتيم » .. فمع حب الرسول له ، وثقته فيه ، ومع ورع أبى ذر وتقواه حرص الرسول على أنه « لا يلين مال يتيم » لأن كفالة اليتيم لها شأن خطير ، تحتاج الى مؤهلات ، قد لا تتوافر لدى كثير من الناس .

المحافظة على مال اليتيم

لقد فطنت الحكومات، والجمعيات الخيرية، والهيئات الشعبية الى ما يتطلبه الصالح العام للمجتمع من حسن كفالة اليتيم، ورعايته وتقواه فأنشأت الملاجئ، والمدارس لليتامى، كما سنت من أجلهم التشريعات للمحافظة على أموالهم، وأوضحت ما يجب على الأوصياء نحو المحافظة على هذه الأموال وحسن استثمارها، ولكن هذه القوانين، وتلك التشريعات لا تغني شيئا اذا لم يكن هناك رجال أولو عزيمة قوية، وكفاءة ممتازة، وايمان صادق، ووازع من دينهم، ورقيب من ضميرهم حتى يتمكنوا من كفالة اليتيم ورعايته.

وعلى المسلم الورع أن يترك الولاية اذا كان يحس في نفسه عدم القدرة على رعاية مال اليتيم، والمحافظة عليه ولم تكن لديه الخبرة الكافية في ادارته وحفظه من الضياع، ووجب عليه أن يترك الفرصة لمن عنده الدراية الكافية والخبرة الكاملة، ولمن يستطيع أن يضع المال في الموضع الأحسن.

وعلى المسلم أن لا يعرض نفسه لما ليس له أهلا، ولو كان من أتقى الأتقياء الصالحين، ومن هنا ندرك الحكمة في منع الرسول صلى الله عليه وسلم أبا ذر من توليته مال اليتيم، لأنه رآه ضعيفا لا يقوى على ادارة مال اليتيم.

ولقد عني القرآن بأمر اليتيم، استقصى أحواله، وبين أحكامه، أمر بالاحسان اليه، قال تعالى: «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ».

وأمر باصلاحه، قال تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ».

وحذر من الاقتراب من ماله والأخذ منه والتصرف فيه الا بالمعروف، قال تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً».

وأمر باعطاء اليتامى أموالهم عند بلوغهم سن الرشد، وقدرتهم على التصرف الحسن، وحذر من أكلها فقال تعالى: «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ، وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا».

وأمر بالعدل والقسط ورعاية حقوق يتامى النساء اللاتي يرغب الأوصياء أو أبناؤهم في التزوج منهن طمعا في أموالهم أو رغبة في التخفف من المهر الذي يدفع لمثيلاتهن قال تعالى: «وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً».

وعلى الذين عهد اليهم برعاية شئون اليتامى أن يدركوا أن اليتيم في حاجة الى من يعطف اليه، ويعوضه ما فقده من رعاية وحنان في حاجة الى من يأخذ بيده ويوجهه، ويعنى بشئونه فليقم كل واحد بواجباته، فانها دعوة انسانية وخلقية. انها دعوة الدين الذي يجب أن نستجيب لدعوته، والله ولي التوفيق.

محمد صابر البرديسي

رجم الزانى والزانية

فقد تلقى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف من السيد / صلاح الدين عبد العزيز محمد عبد الكريم من كندا رسالة يجادل فيها حول رجم الزانى والزانية المحصنين فى الشريعة الاسلامية .

للدكتور سيد أحمد المسير

وقد أحيلت الرسالة الى لجنة العقيدة والفلسفة بالمجمع ، تلك اللجنة التى أشرف بالانتساب اليها .

وقد قرأت الرسالة فوجدتها تثير قضايا هامة تحتاج الى وضوح فيها ، واستبصار بها ، وتمكن منها قبل أن نتساءل عن جزئية مثل حكم الرجم أو غيره .

والرسالة تبدأ بنداء الى تحكيم القرآن وجعله دستورا ومرجعا للمسلمين ، ومما لا شك فيه أن قضية اسلام الوجه لله ، وطمأنينة القلب لحكمه ، واستشعار الانسان لجلاله وكماله ـ أمور هى من صميم العقيدة الاسلامية .

ولا خلاف بين المسلمين فى أن القرآن العظيم هو الدستور الذى يحقق للانسانية رشدها الكامل ، وهو النص الوحيد فى العالم أجمع الذى يقرأ بأسلوب الوحى الأول ، وهو هو بعينه الذى نزل به الروح الأمين على قلب محمد الأمين ، وتعهده من بعده أصحابه والمسلمون كافة حتى عرفوا كل شىء عن سوره ، وآياته ومواطن نزوله ، ووجوه قراءاته ، واعراب كلماته .. وصدق الله حيث يقول « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »[1] .

وأيضا من تمام الاسلام ، وجزء العقيدة الذى لا ينفصل ـ أن الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن ربه ، والمبين لوحيه ، والموضح لتفاصيل شرعه ، مصداق قوله تعالى :

« فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (٢) .

(١) سورة الحجر آية ٩ .
(٢) سورة النساء آية ٦٥ .

وقوله سبحانه :

« مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا » (١) .

وقوله جل شأنه :

« وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا » (٢) .

وقوله عز اسمه :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٣) .

وذلك كله لأن الرسول صلى الله عليه وسلم مؤيد بالوحي طيلة حياته رسولا دائما ، وكل ما يصدر عنه في نطاق التشريع والحكم فواجب أن يلتزم به المسلم دينيا .

قال تعالى:

« وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (٤) .

وقال سبحانه :

« وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ » (٥) .

ومن هنا فقول الكاتب في رسالته :

« .. حتى وان قاله وتعارض ذلك مع كلمات الله فأيهم نسمع ونتبع .. الرسول ما هو الا بشر يخطىء ويصيب أما الله فهو منزه عن الخطأ .. » .

هذا الكلام باطل من أساسه ، فمتى صح أن الرسول قال « قولا » فانه لا يمكن ان يتعارض مع كلمات الله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين على وحي ربه لا ينطق عن الهوى انما يبلغ وحي الله الذى لا تخفى عليه خافية .

قال الله جل شأنه :

« وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ » (٦) .

وادعاء أن الرسول بشر ، هذه قضية لكن ما يريد الكاتب في رسالته أن يرتبه عليها من أوهام فهو عين الخطأ ، فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشر يوحى اليه ، وبوصف الوحي والرسالة فهو معصوم في نطاق التشريع والبيان عن الله ، لذا فلا مجال لأن يقال « انه يخطىء ويصيب أما الله فهو منزه عن الخطأ » لأنه لا سبيل لنا للاعتراف بالتلقي عن الله الا عن طريق التبليغ من الرسول .

واذا كان الكاتب يستشهد على حكمه بقضية عبد الله بن أم مكتوم الذى عاتب الله سبحانه فيه رسوله — صلى الله عليه وسلم — فما هو « الوحي » الذى أخطأ فيه رسول الله — صلى الله عليه وسلم .. ؟

(١) سورة النساء آية ٨٠ .
(٢) الأحزاب آية ٣٦ .
(٣) الحشر آية ٧ .
(٤) الشورى آية ٥٢ .
(٥) النجم آية ٣ ، ٤ .

(٦) الحاقة آية ٤٤ — ٤٧ .

ما فحواه ؟

ما مضمونه ؟

ثم ان الكاتب لم يفهم القصة فى واقعها الذى كان ، فالأعمى لم يكن يريد الاسلام ؛ وانما هو مسلم صادق الايمان ، هو عبد الله ابن أم مكتوم وقد أتى الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — ليسترشد من توجيهاته ، وليسترشد بالجديد فى الوحى الذى كان يتنزل على فترات .

ثم فى السورة الكريمة نفسها امتهان للمشركين وزعمائهم اذ حطت من درجتهم ورفعت من مقام عبد الله بن أم مكتوم رضى الله عنه .

وانطلاقا مما تقدم تعتبر السنة النبوية الصحيحة المصدر الثانى للتشريع الاسلامى ، والقول بغير ذلك لا يمثل الاسلام فى شىء فان أركان الاسلام الأساسية لم تفصل فى القرآن ، فكيفية الصلاة من عدد الركعات وهيئاتها وما يقال فيها ، وأحكام الصيام فى تفاصيلها العامة ، ومقادير الزكاة ، ومناسك الحج .. كل ذلك تكفلت به السنة النبوية تفصيلا وايضاحا .

فادعاء الكاتب فى قوله :

« والأحاديث ما هى الا قول بشر نقلوه من فرد الى آخر ، فى حين أن القرآن هو كلام الله ولم يحرف » .

ثم قوله :

« فالله سبحانه وتعالى تعهد بحفظ القرآن من التغيير والتبديل ولم يتعهد بحفظ روايات السيرة من التغيير والتبديل .. وما جاء بروايات السيرة من اجتهادات تحتمل الخطأ والنسيان والاضافة والمبالغة » .

هذه الادعاءات فيها مغالطة واضحة ، فالأحاديث ليست قول بشر مجرد وانما قول بشر رسول كريم مبلغ عن الله ، والقرآن نفسه لم يصلنا الا عن فم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتحمل أصحابه نقل روايته ، فنحن لم نتلق عن الله مشافهة ومباشرة ، وانما طريق وصول القرآن الينا هو نفس طريق وصول الأحاديث .

• ومما لا ريب فيه أن القرآن المجيد قد حفظ بحفظ الله وحفظ المسلمين من التغيير والتحريف .

أما السنة النبوية فقد حفظت أيضا فى أصولها العامة بحفظ الله أيضا وبنص قوله تعالى :

« لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » (١) .

ومن بيان الله للقرآن السنة الصحيحة التى تبين مجمله وتوضح مشكلة وتخصص عامه .

ولدى المسلمين علوم فريدة تختص بدراسة الحديث الشريف مصطلح الحديث وغيره من « علوم الحديث » وهى من خصائص الفكر الاسلامى ؛ فقد اهتم العلماء برواة الحديث

---

(١) سورة القيامة آية ١٦ — ١٩ .

عدالة وضبطا وميزوا بين طبقات الرواة ، وحققوا الأسانيد اتصالا وانقطاعا ، وقارنوا بين الأحاديث ليعرفوا المعل والشاذ ، والناسخ والمنسوخ ، ونظروا فى كيفية الرواية هل هي قراءة أو كتابة أو مناولة أو اجازة .. وتكلموا فى ألفاظ الحديث عن غريبها ومشكلها ومختلفها ومفترقها ثم شرحوا الأحاديث واستنبطوا الأحكام .

كل ذلك فى براعة نادرة واجتهاد مخلص وتحقيق علمى فذ ، فلا يحق لمسلم أن يتطاول على هؤلاء الأعلام الذين حفظوا للمسلمين مصدر تشريعهم الثانى .. فما يقول الكاتب من مثل قوله :

« من هو البخارى حتى يتعارض قوله مع كلام الله ؟

• « فاذا أصر الداعون برجم الزانى والزانية على حسب شريعة البخارى .. » .

هذا القول مردود على صاحبه فليس للبخارى شريعة من نسج خياله ووهمه وليس لبشر أن يعارض كلام الله .

وانما البخارى علم من علماء المسلمين الذين اجتهدوا فى نقل الأحاديث وتنقيتها من الدخيل والموضوع والضعيف ، وقدم لنا سفرا جليلا فى أحاديث الرسول الصحيحة .

واذا كان الكاتب لم يعرف هذا العلم ولم يدرك مدى الاستقراء والتتبع والتنقيب عن الحديث والرحلة فى طلبه لدى المسلمين ، فانى أذكره بالحكمة القائلة :

واذا لم تر الهلال فسلم
لأناس رأوه بالأبصار

ومن جهة أخرى فان رسالة الكاتب الكندى مليئة بالأغاليط والفهم غير الصحيح .. فهو يقول على سبيل المثال :

« ومذكور فى القرآن أن الله لا يفرق بين أحد من رسله أى كلهم لدى الله متساوون ولا يوجد نبى أفضل من الآخر ولا رسول أفضل من الآخر » .

ولو أن الكاتب قرأ القرآن بتأمل وخاصة سورة البقرة التى استشهد ببعض آياتها لوجد النص صريحا فى قوله تعالى :

« تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُم مَن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ»(1) .

ومن عجيب أمر هذا الكاتب أن يستشهد من التوراة والانجيل ثم يفرق بينهما ويقول عن التوراة :

« وانما الرجم كان من الحدود التوراتية ، ونحن لا ندرى هل نزلت هذه العقوبات بالفعل أم أضافها المحرفون » .

فالكاتب هنا يصف التوراة بالتحريف .

ثم يقول عن الانجيل :

« والى هؤلاء الذين سيعترضون على استشهادى بالانجيل انظر سورة البقرة آية رقم ٢٨٥ » .

يريد الكاتب أن يزعم أن القرآن صحح

(1) سورة البقرة آية ٢٥٣ .

الاستشهاد بالانجيل المتداول ، وأن منطق الاسلام أن الأمر بينهما سواء .

والآية (رقم ٢٨٥) التي ساقها الكاتب من سورة البقرة هي قوله تعالى :

« آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ » هذه الآية تعني حتمية الايمان بكل الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله لبني الانسان من غير انكار لأي واحد منهم لأن التفريق بين الأنبياء في الايمان بحيث يؤمن الشخص بالبعثة لبعضهم وينكر البعثة للآخرين ــ هذا التفريق هو عين الكفر بالله الذي بعثهم .

قال الله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا. أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا » (١) .

هذه هي بعض الأصول العامة للفكر الاسلامي الصحيح يجب أن تكون واضحة لدى المفكر المسلم قبل أن يخوض في تفاصيل الأحكام .

وعلى ضوء هذه المعاني يحق لنا أن نتساءل عن حكم الزاني والزانية في الشريعة الاسلامية .

فقد جاء في القرآن المجيد قوله تعالى :

« الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ » (٢) .

واجمع العلماء ان ذلك الحكم خاص بالبكرين اللذين لم يسبق لهما الزواج الشرعي .

أما حكم المحصنين وهما اللذان سبق لهما النكاح الشرعي ثم تمردوا على قدسية الحياة الزوجية ــ فهو الرجم حتى الموت ، وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماعزا والغامدية » ، ورجم الصحابة من بعده وثبت ذلك في احاديث صحيحة موثقة الاتصال بالرسول عليه الصلاة والسلام ، وليس فيها مطعن لعلماء الجرح والتعديل الذين تخصصوا في نقد الأسانيد .

ولا يضير حكم الرجم أنه لم ينص عليه في القرآن نصا صريحا فليست الأحكام الشرعية وقفا على القرآن ، بل ــ كما قلنا : ان السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع .

واذا كان الكاتب الكندي يتحدى أن يثبت في الاسلام حد الرجم فهذا التحدي لا قيمة له ولا وزن فان الاسلام قرآن وسنة .. واذا كان الكاتب مسلما يصلي فمن أين أخذ عدد الركعات لكل فريضة ؟

(١) سورة النساء آية ١٥٠ ، ١٥١ .

(٢) سورة النور آية ٢ .

أما الآية الكريمة التى استشهد بها الكاتب وهى قوله تعالى :

« وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا » فيجب أن يعلم :

أن كلمة « اللاتى » فى اللغة العربية جمع لكلمة « التى » ويخبر بها عن المؤنث خاصة وقوله من نسائكم » الصحيح أن المراد بها جميع النساء وليس المتزوجات فقط ، والحكمة فى ذلك بيان حال المؤمنات وأن الحكم واقع عليهن لخضوعهن للتكليف الشرعى .. فالتخصيص بالتأنيث فى قوله « اللاتى » والتصريح بالاسم الخاص لهن وهو .. من نسائكم » دليل على أن الآية خاصة بالنساء بمعنى أن حكم الامساك فى البيوت وعدم السماح لهن بالخروج كان حكما أوليا فى صدر الاسلام ثم جعل الله لهن سبيلا بالجلد كما فى آية سورة النور وبالرجم كما فعله الرسول .

والتدرج فى التشريع سنة عرفها الاسلام كما فى تشريع تحريم الخمر اذ مر بمراحل هى : قوله تعالى :

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا » (٢) .

(١) سورة النساء آية ١٥ .
(٢) سورة البقرة آية ٢١٩ .

وقوله سبحانه :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ » (٣) .

وقوله جل شأنه :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (٤) .

وما رتبه الكاتب الكندى على حد الرجم من ادعاءات هى من قبيل التهافت الفكرى فمثلا عندما يقول :

وكل من يرجم انسانا فى شرع القرآن فهو مرتكب لجريمة قتل بشعة وتعدى حدود الله ، ولا يمكن أن تعالج جريمة بصنع جريمة أخرى .

قل لى بربك :

ماذا يصنع قانون العقوبات فى أى تشريع وضعى أو سماوى ؟

هل الجرائم التى يرتكبها شواذ المجتمع تترك هكذا بلا تعقيب ولا مسئولية ؟ .

أى عقل هذا الذى يقر هتك الأعراض وقتل النفس واغتصاب المال دون أن يلقى المجرم جزاء عمله ؟

ثم اذا كنت مؤمنا بالقرآن فماذا أنت قائل فى حكم الله عندما قرر : « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٥) ؟

وعندما يتعقب قطاع الطرق بالحكم الالهى :

(٣) سورة النساء آية ٤٣ .
(٤) سورة المائدة آية ٩٠ .
(٥) سورة البقرة آية ١٧٩ .

رجم الزاني والزانية

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (١) .

ثم الم يقرأ الكاتب ختام الآية الثانية من سورة النور :

« وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » .

ان الحياة الزوجية قائمة على كلمة الله وأمانته ، والاعتداء عليها هو اعتداء على اقدس ما في الحياة من قيم .

كذلك من تهافت الفكر ما ذكره الكتاب في قوله :

« كذلك لا يعقل أن الله الذى كتب على نفسه الرحمة يسمح بمثل هذا القتل البطيء » .

بالله عليك اذا كنت مسلما ومعترا بالقرآن كما تزعم الم تقرأ هذه الآية :

« نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ » (٢) .

والم تقرأ قوله تعالى « مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ » (٣) .

يا اخى : ان الله رحمن بعباده رحيم ، ومن رحمته بهم ان شرع الحدود والتعزيرات لهؤلاء الشواذ من البشر الذين تسول لهم انفسهم شرا يهلك الحرث والنسل .. واخيرا نجد الكاتب يتناقض مع نفسه ويقول :

واذا صحت تلك الأحاديث الباطلة فلن تجد من يقبل على الديانة الاسلامية ويعتنقها دينا في الدنيا » .

هنا تناقض فقوله « اذا صحت » كان المفروض ان يقول : اقبلها واعترف بها واذعن لها ..ولكنه يرتب امرا غريبا فيجعل من فرض صحتها تباعد الناس عن الاسلام وفرارهم منه ، وكان الناس يريدون دينا يسول لهم الفاحشة ويساعدهم على هتك الاعراض واستباحة الحرمات .

يا اخى :

ان الاسلام قيم فاضلة ، وحقائق عليا ، ومثل رائدة في حياة المجتمع ، وليس الاسلام شهوة نفس ونزوة شرير .

والاسلام لا يقدم للناس اغراء ماديا او جنسيا حتى يقبلوا عليه ، ولكنه الدين القيم والرسالة الخاتمة والحق الذى يهدى للتى هى أقوم ..

والسلام على من اتبع الهدى ..

دكتور [illegible] المسير

---

(١) سورة المائدة آية ٣٣ .
(٢) سورة الحجر ٤٩ ، ٥٠ .
(٣) سورة فصلت آية ٤٣ .

الإسلام

ان الدين الاسلامي هو دين القوة والمنعة والعزة والغلبة يدعو الى البسالة والبطولة ويحث على الشجاعة وعلى الهمة يشتمل على الاغراض النبيلة ويرمى الى الأهداف السامية ولعل من اخص اهدافه اعداد الشعوب اعدادا كاملا وتدريبهم تدريبا فائقا يقول اصدق القائلين فى كتابه المبين « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ » .

ويقول الرسول الأمين فى سنته النبوية الكريمة :

« المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف . وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » .

وليس من شك فى أن الشباب هم عصب الامم والحياة المتدفقة فى الشعوب والعنصر المتوثب بين الدول .. يحولون الأحلام الى حقائق ويحولون الخيال الى واقع وليس من شك كذلك فى ان ابنائنا أعز شيء لدينا .. لهم قطعة منا .

* وهم كما يقول الشاعر الحكيم : ـ

وان أبنائنا بيننا
اكبادنا تمشى على الأرض

لمس هذه الحقائق الناس قديما وحديثا وأدرك هذه المعاني الامم على اختلاف مللهم ونحلهم وآمن بها الفراعنة والفرس والرومان والعرب فكانت لهم ألعاب رياضية متنوعة . بعضها درس واندثر ولا يزال البعض الآخر ماثلا الى اليوم .

ولما جاء الاسلام اقر كثيرا من العاب العرب ـ سيما ما كان فيها غير مشروط « برهان » وكان لاهل المدينة يومان يلعبون فيهما ، ولعله كان لعبا ولهوا فابدلهما الاسلام يومى الفطر والأضحى وأيام التشريق الثلاثة ـ شاهد صلى الله عليه وسلم فى بعضها من بعض المسلمين ألعابا لا يضيع معها الوقت سدى لأنها كانت تدريبا على الفروسية . ولذلك لم ينكرها عليهم . بل شاركهم فى بعضها كالرمى فكان يرمى بالنبل أو السهام ويقول :

والرياضة

لفضيلة الشيخ ابراهيم باشا أبو سعدة

(ارموا بنى اسماعيل ، فان اباكم كان كان راميا) وليس ثمت شك فى أن أرقى أنواع الرياضة الصلاة (فالصلاة هى الدرس الأول فى الرياضة ففيها تتحرك اليدان والرجلان وفيها يتحرك البطن والرأس وفيها يتحرك اللسان — ورياضة اللسان والكلام) ويتحرك الجنان •

(ورياضة التفكر) وعلى الأجمال يتحرك وينشط كل عضو فى جسم الانسان •

واذا كانت المدارس والجامعات قد وضعت فى جداولها حصة أو حصتين للرياضة فى اليوم فان الاسلام قد وضع فى جدوله خمس حصص للرياضة •

فى صلاة الصبح الا حصة فى الرياضة

وما صلاة الظهر الا درس فى الرياضة •

وما صلاة العصر الا كذلك وصلاة المغرب والعشاء الا درسان نافعان فى التدريب كل أولئك دروس وحصص فى الرياضة قيمة تفيد الجسم والعقل معا •

وتقوى الأرواح والأشباح جميعا •

ومما لا خلاف فيه أن الحج فى جملته رياضة نافعة مثمرة فهل السعى بين الصفا والمروة الا رياضة •• وهل الطواف بالبيت الا رياضة كذلك •• وما الوقوف بعرفة الا رياضة وروح للجسم •• فرحلة الحج فى مجموعها دروس فى الرياضة بليغة والتاريخ الاسلامى حافل بالشواهد زاخر بالحوادث التى تؤيد دعوة الاسلام الصريحة الواضحة الى الرياضة وبا لها من مزايا ومنافع وما فيها من فوائد ونتائج طيبة •

يحدثنا التاريخ الصادق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض الاسلام على (ركانة) الفارس المعروف — فاشترط (ركانة) لقبوله الاسلام أن يصرعه نبى الاسلام وفعلا صارعه النبى صلى الله عليه وسلم فصرعه مع أن

والرياضـــــة

وكانه لم يصرعه احد قبل رسول الله عليه صلوات الله وسلامه عليه فكانت النتيجة ان دخل ركانه في الاسلام ولعل من الطريف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق عائشة فسبقته . ثم سابقها مرة اخرى فسبقها فقال لها (هذه بتلك) وكذلك يحدثنا ان اعرابيا سابق النبي صلى الله عليه وسلم على (قعود) له فسبقه فشق ذلك على المسلمين — وكانت المسابقة على ناقته العضباء التي كانت لا تسبق فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولته البليغة المؤثرة (ان حقا على الله الا يرفع شيئا من هذه الدنيا الا وضعه)

ومن أروع المواقف وأخلدها على الزمن ما كان يوم الخندق من مبارزة (عمرو بن ود) لعلى ابن أبى طالب — وقد سخر الأول من الثانى مستصغرا له — ولما كانت العبرة بالنتائج فقد كانت النتيجة أن قتل على رضى الله عنه عمرو بن ود الذى كان مضرب الأمثال في البطولة والقوة عند العرب .. فكان العمل على هذا من أقوى الأسباب للنصر في يوم (الخندق) ولئن نسينا لا ننسى الموقف المشرف الذى وقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم (حنين) اذ وقف وحده يضرب الاعداء يمنة ويسرة بقوة خارقة وعزيمة صادقة قائلا :

انا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

الأمر الذى يدل على شجاعته وبسالته مما في ذلك شك ويدل على انه رياضي ممتاز مما في ذلك شك ايضا .

وهكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم مؤسس الامة الاسلامية وزعيم نهضتها ورئيس مدرسة هى المدرسة المحمدية التى تخرج فيها الأبطال المغاوير من امثال خالد وعلى وعمرو وسعد وابى عبيدة وغيرهم من الافذاذ الصناديد الذين فتحوا البلاد وثلّوا العروش .

واخضعوا الملوك ولعل من أبرز تلاميذ هذه المدرسة الرجل المجدد والخليفة الحازم — (عمر بن الخطاب) الذى يقول (لا تقصروا اولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) والذى قال بعد معركة (القادسية) علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل — وذلك لما لمس من أهمية السباحة يوم المعركة اذ كانت السبب في نصر المسلمين على جيش الفرس الجرار .

ومن أبرزهم ايضا البطل المظفر والشجاع الرياضى الغالب (على بن أبى طالب) الذى اقتلع باب خيبر وضرب به يهود خيبر فهزمهم شر هزيمة ومزقهم كل ممزق وشردهم شذر مذر — ولما كان الولد سر أبيه فقد ذكر التاريخ أن الحسين بن (على) كان رياضيا من النوع الأول ومازالت ساحة الجهاد تعرفه حتى استشهد في سبيل الله .

ومما يذكر أن الشافعى (رضى الله عنه) كان راميا ماهرا يصيب تسعة في العشرة ويتعمد الخطأ في العاشرة خوفا من العين .

ومن أهم الحوادث التى يرويها التاريخ في عجب ودهشة ما كان من (عبدالرحمن بن معاوية) أو (عبد الرحمن الداخل) الذى كان يدعى

(صقر قريش) حينما طارده العباسيون الى بلاد المغرب وحينما لاحقوه بها وضيقوا عليه الخناق يريدون قتله والتمثيل به فنزل الى البحر سابحا فيه حتى قطع المسافة عائما الى جنوب اوربا (بلاد الاندلس) وهناك اسس الدولة الاموية الثانية او الدولة الاندلسية — التي كانت مهد الحضارة ومهبط المدنية واستاذة اوربا وناشرة الثقافة والمعرفة فيها — ومما هو جدير بالذكر أن الدولة العباسية ابان قوتها وازدهارها كانت تقيم كل عام مباراة لسباحة يقطع فيها السباحون المسافات البعيدة — وعلى يد كل منهم طبق مملوء بالطعام — لا يسقط الطبق ولا يساقط منه شيء مما يدل على البراعة فى السباحة والمهارة فى العوم وكانت الدولة تمنح الفائزين الجوائز السنية والمكافآت السخية وكانت لهم فى ذلك أيام مشهورة ومحافل مشهودة — وقد اشتهر فى الدولة العباسية أيضا نظام (الفروسية) وهو نظام عظيم خرج الزعماء والرؤساء والملوك والنبلاء وغير هؤلاء من أرباب الهمم العالية والنفوس الكبيرة الكريمة من أمثال المتنبى الشاعر الذى يقول :

واذا كانت النفوس كبارا
تعبتْ فى مرادها الأجسام

ويقول : —

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وقد انتقل هذا النظام الى دول أوربا فاعظموا شانه واكبروا قدره وكان له فيهم شان أى شان ومما عرف عند العباسيين كذلك نظام (الشيش) وهو عبارة عن المقارعة بالسيف بحيث لا يمس السيف جسم أى منهم وقد كسبوا بذلك مهارة فى القتال حتى قال فيهم وفى أمثالهم الشاعر العربى : —

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب

وكان من هواية العباسيين أيضا بل من هواية العرب جميعا الصيد والقنص وكان لهما بينهم منزلة لا تعد لها منزلة ٠

أما الرياضة فى العصر الحديث فقد عنيت بها الأمم عناية كبرى ومن بينها (جمهورية مصر العربية) فانشات لها النوادى وهيأت لها الاسباب وتفننت فى الالعاب ونازلت كثيرا من الدول العريقة فى الرياضة وحسب الرياضيين فخرا شفاعة الرياضة فى دخول الجامعات والمعاهد العليا لمن قل مجموع درجاتهم عن المطلوب ٠

وقد قررت مشيخة الأزهر الرياضة وجعلتها اجبارية فى جميع سنى الدراسة متأكدة من نفعها مؤمنة بما لها من فوائد ومزايا يؤيدها الدين تأييدا تاما : ومن قبل ومن بعد ذلك الصلاة ٠

يقولون ان العقل السليم فى الجسم السليم .. وهذا القول على أكبر جانب من الحكمة وغنى عن البيان أن الجسم اذا كان سليما معافى مفتول السواعد متين البنية قوى العضلات كان العقل الذى يحل فيه عقلا ناضجا مفكرا منتجا ٠

أما اذا كان الجسم مريضا معتلا هزيلا فان العقل الذى يحتله ويسكن فيه يكون عقلا مريضا عليلا عقيما غير منتج ٠

وأن الشعوب اذا كانت من النوع الأول

الإسلام والرياضة

كانت أقوى الشعوب حيوية ونشاطا وعملا وانتاجا أما الأمم التى تكون من النوع الآخر فهى الأمم الهزيلة وهى الامم المريضة بل هى الأمم الميتة التى لا حراك لها ولا حياة بها .. ولهذا تدعو الأمم والشعوب الى تعميم الرياضة فى الجامعات والمدارس وبين الجماهير طلبا للاجسام القوية والأرواح العالية لأن هؤلاء يتكون منهم الجيش الثانى أو بعبارة أو يكون خط الدفاع الثانى الذى يسند خط الدفاع الأول ـ أو يحمى ظهره .

ويقول علماء النفس ان اعلاء الغريزة نافع كما أن انعكاسها ضار ومما لا جدال فيه أن الرياضة وسيلة من وسائل تعلية الغريزة وتهذيبها وما نشك فى أن الشباب اذا اشتغل بالألعاب الرياضية على أختلاف أنواعها ــ وخاصة ما يتعلق منها بالرحلات ــ كان ذلك صارفا له عن الجرى فى أعقاب الشهوات وعن ركوب مطايا الهوى والملذات ان الرياضى السليم ينأى بنفسه عن الدنايا وتترفع شخصيته عن السفاسف ويسمو بروحه فوق العاديات ويحلق فى آفاق الشرف والعزة والكرامة ، ويتحلى بقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (ان الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها) ـ وان الشعوب التى تحتوى هذا الصنف من الناس هى الشعوب التى ارتقت أرواحها وتهذبت طباعها وقويت أشباحها وسعدت دينيا وخلقيا وأدبيا واجتماعيا وكانت جديرة بأن تحتل مكانتها تحت الشمس .

أضف الى ذلك أن الرياضة فيها كسب للاصدقاء الذين ينتفع بعضهم من بعض ويستفيد كل من الآخر سواء من الأخلاق الفاضلة أو العادات الكريمة ـ أو التقاليد الطيبة ـ فالمرء على دين خليله والطبع يسرى من حيث لا تدرى .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول **(انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك واما ان تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة)** وصدق الشاعر الذى قال : ـ

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم
ولاتصحب الأردى فتردى مع الردى
عن المرء لا تسال وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارنة يقتدى

سدد الله خطانا وكتب لشبابنا الفوز والتوفيق ..

ابراهيم باشا ابو سعده

هل التقى فكر الدكتور شندى والشيخ الشعراوى ؟

للأستاذ على محمد غانم

ان الحقيقة التى لا يمكن انكارها أن الامم فى منعطفاتها وهى تعيد بناء حضارتها تسترشد بفكر وبصيرة عظمائها المفكرين وهم قلة تضيء بمصابيح الهاماتهم واشراقاتهم الطريق وتقر الامم بفضل هؤلاء المفكرين ويخلدون التاريخ وتذكرهم البشرية على مر العصور ونحن بين ظهرانينا احد هؤلاء وان تاثر بهذه السطور تواضعا وحمدا لله على منته وفضله فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .. ذلكم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى أو هكذا نحبه ولا نزكى على الله أحداهذه تقدمة واجب على كل من تاثر بفكره إن يقررها فقد علمنا الله ان نقر لأهل الفضل والمعرفة بفضلهم فذلك وفاء العلم والعلماء ، والعلماء هم ورثة الأنبياء .

●●●●●●●

وبعد لقد فاجأنا العالم الجليل فى حديثه الأسبوعى فى الاذاعة المرئية (التليفزيون) الجمعة الموافق الخامس من نوفمبر عام ١٩٨٢ بدعوة تمس الكيان الاقتصادى العالمى قبل أن تمس الاقتصاد الاسلامى والعربى بأن يجتمع علماء المسلمين ويحسموا فى اجتماعاتهم قضية النظام الربوى فى الاقتصاد ويقولوا قولة حق فيها وهم الأمناء ورثة الأنبياء أهى حلال أم حرام أم هى من الأمور المتشابهات حتى يريحوا المسلمين من

هل التقى فكر الدكتور شندي والشيخ الشعراوي

قضية بلبلت أفكارهم فلم يعرفوا الحق الفيصل فيها حتى يستبرءوا لدينهم وأموالهم وأعراضهم فى أن تقع فى الحرام فيكونوا فى حمى من أن يقع غضب اله عليهم فى الدنيا وعذابه المحتوم فى الآخرة وأن تكون آراءهم خالصة لوجه الله ويتقى بعد ذلك من بداية لها ما بعدها فى اصلاح مسار اقتصاديات المسلمين وأغلبهم فى دول نامية ومتخلفة ويدعوا الاقتصاديين المسلمين وهم كثرة لكى يقولوا كلمتهم فى تحويل أنظمتهم الربوية وقد فتل هذا الموضوع بحثا وتمحيصا فى مؤلفات قيمة فى كيفية التحول وأنظمته وأسلوبه بما يحقق النماء والرقى الاقتصادى لأمتهم .

هذا هو ملخص ما دعا اليه فضيلة العالم الجليل الشيخ متولى الشعراوى فهل يستجيب علماء المسلمين لهذه الدعوة ؟؟؟ .

نترك هذه الاجابة للزمن .. ونرجو ألا يشتكينا الشيخ الشعراوى لربه يوم اللقاء كما قال النبى الصادق نوح على نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام « قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً. فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً » .. الآيات يرحمكم الله .

ونترك نحن علماءنا الأفاضل فتلك أمانتهم ومسئوليتهم أمام الله والمسلمين .. والتاريخ .. ونستعرض معكم فى ايجاز شديد تحليل وتفسير ما دعا اليه الداعى الكريم فيما يتعلق بالنواحى الاقتصادية التى كثيرا ماتكون (الشماعة) التى يعلق عليها الاصرار على الانماط الجارية والتى يدعوتها النظام الاقتصادى الذى يتحكم فى مقدرات العالم كله .

حين حرم الله الربا (الاقتراض والاقراض بفائدة ثابتة) فى محكم خاتم الرسالات أراد الله أن يحذر البشرية من شر مستطير : —

١ — حرم الله أن يكون لرأس المال عائد من حيث ذاته كمال دون أن ينشط ويتحرك ويتحمل عبء المشاركة فالمال لا يلد مالا الا أن يكون اقراضا بفائدة فهذا الاسلوب فى الاستثمار يولد الاستغلال والركود فاما عن الاستغلال فان صاحب المال يحصل من المقترض المستثمر على نصيبه الثابت سواء حقق المستثمر ربحا أو خسارة أما الركود فانه لا يسعى الى المشاركة فى الاستثمار طالما يحصل على فائدته الثابتة لأمواله . (المشاركة فى التخطيط والتنظيم والادارة) .

٢ ــ منع استثمار الأمــوال عن طــريق لاقراض فى النظام الربوى يفتح المجال الى السعى الى أوجه الاستثمار الحقيقية التــى تحقق نماء اقتصاديا فعليا لمجتمع تجارة ــ صناعة ــ زراعة وكــافة أوجــه النشــاط الاستثمارى الأخرى ٠

٣ ــ اشتراك رأس المال مــع العمــل فى مجالات الاستثمار يحدث تآلفا وتخطيطا علميا لأفضل مجالات الاســـتثمار ممــا يحمــى المشروعات من الخسارة والاستفادة بالخبرة والعلم المتقــدم فى كــل المراحــل من تخطيط وتنظيم وادارة التى يمكن الحصــول عليهــا بامكانيات أجهزة المال من بنــوك وشركــات أموال ٠

٤ ــ اقتصار وظائف البنوك الرئيسية على الاقراض والاقتراض بفائدة ثابتة يؤدى الى تجميد كم هائل من الأموال المجمعــة بهــذه البنوك دون الاســتثمار الأفضل فيؤدى لزيادة حجم السيولة النقــدية دون حجم الانتــاج الفعلى فى المجتمع وبالتالى يساهم فى التضخم (الزيادة المستمرة فى الاسعار) ولــو وجهت هذه الأموال لمجالات الاستثمار المختلفة لزاد الانتاج وهو ما يبتغيه أى مخطط اقتصادى ٠

٥ ــ اضطرار البنوك الى اعادة اســتثمار الأموال الفائضة فى صورة ايداعات فى بنــوك خارجية للحصول على سعر فائدة يحقق عائد يعطى اســعار فائدة للمودعين وفائض محقق يؤدى الى استفادة البنوك الخارجيــة لهــذه الايداعات فى استثماراتها التى تحصل منهــا على عائد استثمار فعلــى يصــل الى ٤٠٪ وتعطى بنوكنا المحلية سعر الفائدة المطلــوب وهو أقل بكثير من عائد الاســـتثمار ٠ وهــو ما يحتاج الى نظر من المخطط الاقتصــــادى لعلاج هذه الحالة (١) ٠

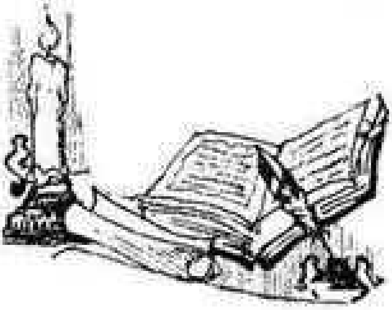
٦ ــ وجود شكل وحيد للاستثمار وهــو الايداع فى البنوك بفائدة ثابتــة يؤدى الــى تكوين مجتمع متراخى غير استثمارى وتصبح من مكوناته الفكرية والسلوكية التى يصــعب تغييرها على مر الزمن ٠

٧ ــ الاستمرار فى أسلوب تشــجيع الاقراض بفائدة ثابتة وهو الطريق الســهل للاستثمار يؤدى بالمستثمر الى تحميل السلعة أعباء التمويل التى تصل الى ١٥٪ هذا العبء الذى يتحمله المستهلك النهائى ممــا يشــجع الاســتمرار فى ارتفاع الأســعار والموجــة التضخمية ٠

ــ كل هذا وغيره اقتنع بــه أخــيرا المخطط الاقتصادى المصرى ونــسمع بــه من وزراء الاقتصاد والاســتثمار فنجد الدكتور وجيــه شندى وهو أحد خبرائنا فى مجالات الاســتثمار وأصبح وزيرا لوزارة الاستثمار والتعــاون الدولى يطرح القضية فى يسر وسهولة فيقول فى عديد من أحاديثه ومؤتمراته الصحفية بأن المستثمر المصرى كان يضع أمواله فى البنــوك بغية الحصول على عائد مجــزى متمثــلا فى

(١) المجلة : وفى هذه العملية ذاتها ربا محرم ٠

هل التقى فكر الدكتور شندى والشيخ الشعراوى ؟



أسعار الفائدة التي توفرها هذه البنوك وكانت في الماضي مرتفعة نسبيا الا أن متغيرات السوق العالمية ادت الى انخفاضها ولم تصبح الصورة المثلى للاستثمار وكان على الفكر الاقتصادى المصرى أن يرتب أوجه استثمار جديدة تشجع كل من لديه فائض مال يرغب في استثماره فيه ولتكن هذه الصورة في شكل شركات مساهمة جديدة تحقق عائدات استثمار اكبر بكثير من معدلات الفائدة الثابتة التى تعطيها البنوك وبدأت الوزارة من أجل ذلك الاسراع في وضع اللائحة التنفيذية لقانون الشركات المساهمة رقم ١٥٩ لسنة ١٩٨١ اى بعد مرور سنة من صدوره .. على كل فقد صدرت اللائحة التنفيذية بما يشجع على تكوين شركات مساهمة تعمل في مجالات الاستثمار بما يحقق وسائل جديدة للاستثمار تحقق العائد المناسب للمستثمر ، وبما يحقق تنمية اقتصادية فعلية للمجتمع .

ويبقى بعد ذلك وهذا ما نتمناه استنباط الوسائل الفعالة لمشاركة البنوك في عملية الاستثمار بمفهومه الواسع الفعال لتحقيق هذه التنمية وهو الأسلوب الصحيح الذى تسير عليه الدولة الآن من أجل اصلاح المسار الاقتصادى (بعيدا عن الربا) .

وأخيرا فليس غريبا اذا ان يلتقى فكر واجتهاد الدكتور وجيه شندى بفكر واجتهاد فضيلة الشيخ متولى الشعراوى فكل قد أخضع فكره للقضية من وجهة نظره ولكن باخلاص وتجرد ، فالدكتور شندى نظر اليها من ناحية الواقعية الاقتصادية فهذا تخصصه ونجح في الوصول الى الهدف وفضيلة الشيخ الشعراوى نظر اليها من وجهة الشريعة الاسلامية وهذا تخصصه فابان واوضح وقال لا تنتظروا التجربة حتى يثبت لكم فاعلية منهج السماء خذوا الأمر من الآمر طالما آمنتم به .. فحمدا لله فقد اثبتت التجربة ولكن بعد العناء والمشقة .. فهل بعد ذلك بلاغ ؟ !!

على محمد غانم

الاغتراب لماذا..

والانتماء.. كيف؟

للدكتور نبيه ابراهيم اسماعيل

ان ما يمر به مجتمعنا اليوم من محاولات لتعديل وتغيير كثير من المسارات ، يدفعنا الى ضرورة اعادة النظر في المناخ الذى ينشأ فيه الانسان المصرى .

ذلك لأن ما نراه من ظواهر نفسية واجتماعية تسود المناخ العام في وطننا لا يساعد على نمو الشخصية نموا سليما ومن بين هذه الظواهر ظاهرة الاحساس بالاغتراب التى أشار « أريك فروم » (١) Froom (١٩٥٥) الى مدى تأثيرها على نمو الشخصية Personality Development وتطورها،حيث يرى أن الاغتراب Alienation يؤدى بالفرد الى حد الاحساس بأنه غريب عن نفسه ، وفى وصول الأفراد الى هذا المستوى من الاحساس بالاغتراب لا يمكننا استثمار ما لدى أفراد المجتمع من قدرات عقلية وابتكارية بل ويحطم ، ويهدم ، هذه القدرات فيما لا يحقق الهدف من اعداد الأجيال لبناء هذا الوطن على أساس سليم ، وهذا يدعونا الى تحمل مهام جسام لاعادة

(١) Froom E. The sane society. N.Y.: Rinehart, 1955

>

الاغتراب .. لماذا

والانتماء .. كيف ؟

بناء الانسان المصرى وتكوين شخصيته تكوينا سويا ، بما يجعله قادرا على الاسهام فى تقدم مجتمعه ورقيه بصدق واخلاص .

وفى مقدمة هذه المهام الجسام التى تساعد على تنشئة الانسان تنشئة سليمة ، بحث مختلف هذه الظواهر النفسية والاجتماعية التى ظهرت فى السنوات الأخيرة ، والتى تعوق مسيرتنا نحو النمو والتطور ، وتقف حائلا دون الوصول الى ماننصبو اليه من أهداف نسعى بكل ما نملك من جهد لتحقيقها ومن بين هذه الظواهر تلك الظاهرة التى أشار اليها « فروم » ، وهى احساس كثير من أفراد المجتمع بالاغتراب والتى تتعمق فى نفوس كثير من أفراد مجتمعنا بمرور الزمن ما دمنا لا ندق الأجراس معلنين خطر تغلغل هذه الظاهرة بين كافة أفراد المجتمع متعلمين منهم وأميين ، لأنها تؤدى الى الشعور بفقدان التعاطف والألفة والمودة بين أفراد المجتمع .

وقبل أن نتحدث عن مظاهر ظاهرة الاغتراب فى مجتمعنا لابد من التعرض لمفهومها كى يستطيع كل انسان منا أن يفهم دلالة هذا المفهوم ويدرك آثارها ونتائجها على وطنه .

يكاد يتفق كل من تناول بالدراسة هذه الظاهرة من الفلاسفة وعلماء النفس على أن الاحساس بالاغتراب يتمثل فى شعور الفرد بالاستياء والتذمر ، والاحساس بالعزلة والوحدة Isolation ، وقد يصل حد العزلة الى انفصام الفرد عن ذاته ، وفقدانه مغزى الحياة ، وانعدام الاحساس بالروابط بين كل من الأشياء والأفراد ، والشعور بالعداء نحوهما ، ومعاملة غيره من الناس كأشياء مستقلة عن ذاته دون النظر الى نوعية العلاقات التى تربطه بهم ، واحساس الفرد بفقدان المعايير الاجتماعية Collective norms التى تضبط السلوك ، وفقدان الاحترام لها ، بما يؤدى الى فقدان سيطرتها على سلوك الأفراد ، هذا ، بالاضافة الى شعور الفرد بوجود فجوة كبيرة بينه وبين أفراد مجتمعه فيصبح بذلك مغتربا عنهم .

ويترتب على احساس الفرد بالاغتراب كثير من النتائج من بينها الاحساس بالقلق والاضطراب والتوتر ، لعدم قدرته على تحقيق الأهداف التى يسعى اليها ، وشعوره بالعجز Powerlessness أمام الصعوبات التى تواجهه أثناء تحقيق أهدافه ، وسطحية الشعور تجاه غيره من الناس ، بما يؤدى الى فقدان التفاعل بينهم والانفصال عن المجتمع وثقافته بما فيه من قيم وعادات وتقاليد ، وخلق الفرص وانتهازها لمصلحته الشخصية دون مراعاة حقوق غيره من الناس بما يؤدى الى انعدام التوافق Correspondence والدفء العاطفى Affective warmth بينه وبين غيره من أفراد مجتمعه ، وانعدام المعايير التى تحكم السلوك الانسانى فى حال التعامل مع غيره منهم ، بما يؤدى الى سيطرة الوهم والخيال على مشاعر الأفراد ، وفقدان الصلة

الوثيقة بين العمل الذى يؤديه الانسان ، بما يجعله يشعر بعدم الشعور بالانتماء اليه والفخر به ، والبحث عن وسائل أخرى أو عمل آخر يثبت به ذاته ويحقق من خلاله وجوده لأن فقداد الصلة والعلاقة بين الفرد ومجتمعه وعمله توجد علاقة يمكن أن نطلق عليها بأنها علاقة مغتربة أو علاقة « غريبة »
Alinated Relationship :

وهذا يؤدى الى تجرده Detachment من أهم خصائص البشرية Species Being ..

وهى نتائج تصل بالانسان الى حالات من المرض النفسى والعقلى وبناء على هذا فان ظاهرة الاغتراب تعد من أخطر الظواهر النفسية على وجود المجتمع الانسانى ذلك لأنها تهدد كيانه عن طريق تفكك الروابط الانسانية بين أفراد المجتمع الواحد وتسعى لهدم المعايير الاجتماعية ، وتحريف القيم وتبديلها بقيم فردية تجعل كل فرد يفعل ما يريد وما يجب دون مراعاة لعادات مجتمعه وتقاليده ، واستحداث قيم جديدة سيئة ، تؤدى الى ما يمكن أن نطلق عليه التحلل الأخلاقى .

ويصبح الانسان المغترب فى هذا العصر خطرا كبيرا لا على نفسه فقط ، انما على مجتمعه الذى يعيش فيه ، حيث ينتزع من داخله الاحساس بالانتماء والولاء له ، نتيجة لفقدان الثقة فى امكانية تحقيق ما يصبو اليه من اشباع لحاجاته أو مكانة اجتماعية .
Social Prestige

بين أرجائه ، رغم ما يبذله من جهد وعناء لاشباع الحاجات عن طريق التفانى فى العمل بهدف الوصول الى درجة من النجاح تعطى له أملا فى تحقيق أهدافه ، وهذا ما دعا « فرانك جونسون » (١) Frank Johnson (١٩٧٣) الى ضرورة التأكيد على أن يحرز الأفراد نجاحا فى مجالات العمل ، واشباعا لحاجاتهم الاستهلاكية ، لأن ذلك يعد من الأسس التى تجنبهم الاحساس بالاغتراب .

كما يشير « قيس النورى » (٢) (١٩٧٩) الى أنه يوجد عدد من العوامل تسبب للانسان الاحساس بالاغتراب وتقلل من درجة الانتماء والولاء للوطن ، وفى مقدمة هذه العوامل عملية الفصل Separation بين الاجراءات والأساليب المستعملة فى التربية والتعليم .. والتعقيدات الكثيرة فى المؤسسات التعليمية ، والأعداد الكبيرة للتلاميذ التى تعطى للعملية التعليمية طبعا غير عائلى .

ويمكن القول بأن ماهتم من فصل بين الأجهزة التشريعية والتنفيذية ، وبين الاجراءات وأساليب التنفيذ ، وبين أجهزة التخطيط وغيرها من الأجهزة التنفيذية ، والذى يظهر فى أن كل منهم يعمل فى واد منفصل تمام الانفصال عن غيره ، دون ادراك ووعى للدائرة التى يعملون فيها جميعا ، واختلاف

---

1 - Johnson F. Alienation: concept, Term and meanings. N.Y.: A subsidiary of Horcourt Brace Jovanovich, 1973.

٢ - قيس النورى : الاغتراب : اصطلاحا ومفهوما وواقعا . عالم الفكر المجلد العاشر . العدد الاول ١٩٧٩ .

الاغتراب لماذا .. والانتماء .. كيف؟

مستويات الحماس من جهاز الى آخر، وتشبث جهاز برأيه دون ان يضع فى الاعتبار رأى الأجهزة الأخرى ، كلها أمور تنعكس بصورة أو بأخرى على أفراد المجتمع . وتسهم بقدر كبير فى تعميق الاحساس بالاغتراب لديهم .

ونتيجة لهذا يظهر فى المجتمعات كثير من مظاهر الاحساس بالاغتراب لدى الأفراد ، ومن بين هذه المظاهر التى بدت جلية واضحة فى سلوك أفراد مجتمعنا . ماتراه من تصرفات الأفراد من أقوال . فترى كثيرا من الناس يرتكبون الأخطاء فى حق غيرهم . وفى حق وطنهم ثم يقف مدافعا عن نفسه ، أو يقف من يدافع عنه معلنا طلب العفو .

هكذا يرتكب كثير من الجرائم الخلقية فى حق أفراد مجتمعنا . وفى حق المجتمع نفسه ، دون ما عقاب رادع . أو موقف حازم من أى فرد من أفراد المجتمع أو من جهة مسئوليته .

ومن المظاهر التى تتمثل فى الأقوال لفظ (أنا مالى) ، حيث نشاهد كثيرا من الأخطاء التى ترتكب فى الطريق العام أو فى المرافق العامة ولا يتحمس أحد لتلقين من يرتكب خطأ أو يفسد مرفقا، دفعا عن القيم والمبادئ، أو محافظة على المرافق العامة التى يستفيد منها الجميع ، انما كل ما يحدث اننا نسمع هذا القول « وأنا مالى » وكأن ما يرتكب من خطأ لا يمسه شخصيا ، وهذا مظهر من مظاهر الاحساس بالاغتراب .

ومن بين المظاهر التى تشير الى اغتراب أفراد المجتمع عن وطنهم ما يظهر من سلوك « اللامبالاة » حيث يصدر الأفراد سلوكهم دون مراعاة قيم وعادات وتقاليد مجتمعه ، بل يصل الامعان فى «اللامبالاة» الى حد عدم الاعتراف بالقوانين التى تنظم السلوك الانسانى داخل المجتمع وتحديها عن طريق الاتيان بسلوك يعاقب عليه القانون دون خوف منه .

ويصل حد الاغتراب عن الوطن الى أن كل فرد من أفراد المجتمع يصبح متمركزا حول ذاته ، بل ومعمنا فى هذا التمركز بحيث لايغضب ولايثار الا لفعل أو سلوك أو قول يمسه شخصيا ، اما اذا حدث سلوك من غيره يهدر القيم ، أو يؤثر على الاتجاهات تأثيرا سالبا . أو يخرب فى المرافق العامة فان ذلك لا يحرك لديه ساكنا لانه بعيد عن الشخصية.

وتتجلى مظاهر الاحساس بالاغتراب عن الوطن بين أفراد مجتمعنا فيما يسعون اليه من محاولة الهروب من البلد وأقول الهروب لا الخروج ، لأن من يهرب يكون قد باع كل شيء ، وفقد الاحساس نحو كل شيء .. وانعدمت ثقته فى معظم الناس ، ولذلك نجد أن من وصل الى هذا المستوى من الاحساس بالاغتراب يسلك شتى السبل ، متخذا جميع الوسائل حتى اذا أدى الأمر الى ارتكاب جريمة التزوير فى الأوراق الرسمية والبطاقة الشخصية وهو يعلم تمام العلم خطورة الاتيان بهذا السلوك كخطوة أساسية تمهد له الطريق للهروب من هذا المكان . ولا أقول

الوطن لأنه لم يعد يعني عنده أكثر من مكان لا صلة . ولا علاقة له به على الاطلاق ، لأنه لو كان له صلة به ما دفع بنفسه في مجال قد يؤدى به الى توقيع العقوبة عليه وهى السجن .. والسجن يعنى فقدان الحرية فالسجن والهروب سواء في نظره ، وأغلى وأثمن من أن يمارس الحرية في مكان لا يعنى بالنسبة اليه شيء .

وتبدو خطورة هذا الاحساس في فقد شخصيات نادرة ، وعقول مفكرة مبتكرة ، وقدوة مفتقدة . اصيبت بهذا الاحساس . كان ينبغى لنا أن نسعى بكل ما نملك من أساليب ووسائل للمحافظة عليهم واشباع حاجاتهم بما يحميهم من الوقوع في هذا الاحساس المدمر للوطن وأهله .

ان القضاء على هذا الاحساس وابداله بالانتماء يتطلب ضمن ما يتطلب الاجراء السريع لتعديل الاتجاهات نحو الوطن وتقوية القيم الروحية التى تحول بين الانسان ووصوله الى الاحساس بالاغتراب ، ثم اجراء عديد من الدراسات على نمط هذه الشخصيات حتى يتاح لنا امكانية التعرف على الأسباب التى أدت بهم الى الوصول الى هذا المستوى من الاحساس بالاغتراب ، والعمل على ابعاد هذه الاسباب عن البيئة التى يعيش فيها الانسان ، وأن تحل محلها العوامل التى تسهم في تنمية الاحساس بالانتماء للوطن .

هذا ، فضلا عن اتخاذ الأساليب العلمية والتربوية السليمة التى تنمى لدى الانسان الاحساس بالانتماء ، وتعمل على تقويته عبر الزمان ، والتصدى لكافة المؤثرات والعوامل التى تدخل الانسان في دائرة هذا الاحساس.

ويمكن الاشارة هنا الى عدد من العوامل التى يمكن أن تسهم بقدر ما في تكوين الشخصية المنتمية لوطنها وأهلها ، علنا عن طريق العمل على تهيئة البيئة بها نستطيع أن تنمى أجيال هذا الوطن بشكل سليم وفي مقدمة هذه العوامل :

ـ اشباع حاجات الأطفال منذ مراحل نموهم الأولى اشباعا يدركون من خلالها قيمة وطنهم الذى مكنهم من اشباع معظم متطلبات حياتهم في مختلف مراحل أعمارهم التى مروا بها .

ـ ممارسة الحرية المنضبطة بشكل يمكنهم من الافصاح عن وجهات نظرهم في كثير من أمور دولتهم ، واحساسهم بأن لهم دورا أساسيا في تنمية وتطور هذا الوطن وتقدمه بحيث يشعر كل فرد في هذا الوطن أنه قد أسهم في بنائه ، وبذل الجهد كل الجهد في سبيل هذا المستوى الذى وصل اليه وطنه من التقدم والرقى .

ـ احساس أفراد المجتمع بالأمن والاطمئنان والعمل على القضاء على كافة العوامل التى تسبب القلق والاضطراب والتوتر لهم ، خوفا على حياتهم ومستقبلهم ، بما يشعرهم بمدى محافظة الوطن عليهم وحبه لهم .

ـ اتاحة ظروف اقتصادية اجتماعية مناسبة لكل أفراد المجتمع بما يجعلهم يشعرون بالاشباع المادى والاجتماعى في كافة أرجاء وطنهم ، وتحمسهم التفانى في خدمة الوطن ورفع شأنه بين الأمم .

— أن يكون هناك توازن بين الاشـــباع المادي والاجتماعي وبين ما يبذله الأفراد مـن جهد فيما يسند اليهم من أعمال أو مهـام ، ذلك لأنه كلما كان هناك توازن بين ما يبذل من جهد وبين اشباع الحاجات كان ذلك ادعى للاحساس بالرضا والارتياح، والأمر يكـون على خلاف هذا اذا لم يحدث التوازن فـان الأفراد يشعرون بالألم وخيبة الأمل .

— الاعتراف بقدرات الموهوبين ، واعطائهم مكـانتهم الاجتماعية بين أفراد مجتمعهم .. بحيث لا يشعر المتفوق أو الموهوب أنه غـير مقدر وأنه غير ذي اهتمام من جانب وطنه .

— تدعيم الروابط الاجتماعية بين أفـراد المجتمع على أســاس من الاهتمام بالجانب الروحي لدى الأفراد بما يجعل لهذه الـروابط قدسية واحترام وتقدير تنعكس في مـدى تفاعل أفراد المجتمع بعضهم مع بعض ، وفي مدى حبهم وتفانيهم في بذل الجهد والعطـاء لبعضهم .

— العمل على تكوين الضمير الانســاني المرتبط بالأرض على أساس من القيم الدينية، واتخاذ مختلف الأساليب لتعميق هذه القـيم في نفوس أفراد المجتمع ، بما يحقق ارتبـاط الانســان بأفـراد مجتمعــه على أساس من الوازع الديني .

— التخطيط الاقتصادي السليم بمـا لــه من قدرة على اشباع حاجات الأفراد بشـكل يحدث التوازن في حياتهم ، ذلك لأن الارتفاع بالمستوى الاقتصادي للأفراد طفرة لا يؤدي الى الاشباع المتوازن الذي يحقق السواء في الشخصية وضبط النفس Self-Control تجاه متطلبات الحياة . وهذا بدوره يدفع الأفراد الى محاولة للوصول الى مزيد من هـــذا المستوى ، واتخاذ شتى الأساليب للحفـــاظ عليه ، وهذا من شأنه أن يدفعهم الى التفكير في ذواتهم أكثر من التفكير في غيرهم من أفراد المجتمع ، ويفقدهم كثيرا من القيم الأخلاقية أمام رغبتهم في تحقيق اشباع مغريات الحياة.

وهذا يعني أن التغير الاقتصـــادي بهـذا الشكل لايمكنهم من الانسجام والاحساس بالرضا عن حالهم — رغم ما وصلوا اليــه من هذا المستوى — وكلها مشاعر تعمل عـلى انسلاخ الانسان عن بيئته ووطنه وتقلل مـن الاحساس بالانتماء للوطـــن .

— أن تتاح لكل انسان يعيش عـلى أرض الوطن فرصة امكانية تحقيق ذاته Self-Actualization والتعبير عن احساسه بوجوده فيه وذلك عن طريق العمل على ازالة كافة العوائق التي تحول بين تحقيق ذاته والتعبـير عـن وجوده ، وهذا من شأنه أن يجعل الانسـان أكثر ارتباطا بهذا الوطن الذي حقق ذاتــه على أرضه ، وشعر بوجوده بين أرجائه .

— أن يلتحق كل فرد من أفراد المجتمـــع بالعمل الذي يتفق وتخصصه الذي تخصص فيه ، لأن ذلك يتيح له امكانية اشباع حاجاته والاحساس بذاته ، والعكس على خلاف هذا

اذا ما أسند للانسان عمل لا يتفق وتخصصه الذى بذل جهده طوال فترة دراسته لكى يحقق من خلاله أهدافه وآماله ــ فانه لا يسهم فى نمو شخصيته بل يعوق هذا النمو ويصل به الى كثير من مشاعر الاغتراب والتى من شأنها الا تحقق أية درجة من درجات الانتماء.

ــ الا يشعر الانسان أثناء ممارسة عمله فى وطنه أنه موضع احتقار ، واستغلال لأن ذلك يعمل على تمزيق أواصر الصلة بينه وبين أفراد مجتمعه ، وبينه وبين المكان الذى شعر فيه بالاحتقار والاستغلال ، وبالتالى يحس بالاغتراب .. ويبتعد عن دائرة الشعور بالانتماء للمكان وأفراده .

ــ أن يتعلم الانسان منذ طفولته الا يشبع حاجاته على حساب اشباع حاجات الآخرين أى أنه يجب أن يراعى حال اشباع متطلباته الا يجور على متطلبات غيره من الناس ، ذلك لأنه مثل هذا الأسلوب فى الاشباع يضعف من الروابط الاجتماعية ، ويهىء مناخا لغيره كى يشعروا بالاغتراب عنه وبالتالى لايستطيع أن يشعر هو باية درجة من درجات الانتماء وسط مجموعة من الأفراد يعيش بينهم .

ــ مراعاة البعد الفردى فى الانسان ، بمعنى الا تكون القيم التى يسعى المجتمع الى اكسابها للفرد مانعة له عن التعبير عن ذاته الفردية ، لأن منع الفرد عن التعبير عن ذاته يؤدى الى كبت كثير من الدوافع لدى الفرد ، وترتبط عملية الكبت هذه بالجماعة أو المكان الذى تسبب فيه ، وهذا من شأنه أن يقلل من درجة الانتماء لكل من الجماعة والمكان .

ــ أن تؤدى عملية التطبيع الاجتماعى Socialization الى احداث التكيف الفعلى بين أفراد المجتمع ، بحيث يشعر كل فرد من خلال ما يصدر عنه من سلوك بأنه موضع حب وتقدير واحترامحقيقى من أفراد مجتمعه وهذا بدوره يحول بين شعور الانسان بالاغتراب ، ويحقق أعلى درجة من الانتماء.

ــ أن ترتبط المشاريع التى تقام على أرض الوطن ، والتى تحمل الخير للناس وتشعرهم بمدى حرص الدولة على تحقيق الرخاء لهم ، والمحافظة على حياتهم ، والعمل على تقدمهم ونموهم باسم مصر لا باسم انسان معين ، لأن هذا من شأنه أن يقوى الاحساس بالانتماء للوطن ، والعكس على خلاف هذا فانه يصبح الانتماء للافراد ، والأفراد زائلون والوطن باق ما بقيت الحياة .

ويمكن أن يتحقق الاحساس بالانتماء عن طريق مراعاة مختلف العوامل السابقة الذكر أثناء اعداد البرامج التربوية والتعليمية ، والترفيهية فى جميع أجهزة الدولة ومؤسساتها المعنية بتربية الأجيال وتنشئتها ، ذلك لأنها تهىء للانسان المناخ النفسى والبيئة الاجتماعية التى تكسب الأجيال حب الوطن ، والاعتزاز به ، والبذلوالتضحية من اجله ، بما يؤدى الى رفع مكانته بين امم العالم .

دكتور نبيه ابراهيم اسماعيل

طرائف

أحق الناس بالرحمة

قيل لاعرابى : من احق الناس بالرحمة ؟
قال : الكريم يسلط عليه اللئيم ، والعاقل يسلط عليه الجاهل .

حسبك

روى الامام احمد بن حنبل فى الزهد « حسبك خيانة ان تكون امينا للخونة » .

فضل الحنكة

قيل لعمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ . ان فلانا لا يعرف الشر . قال : ذلك احرى ان يقع فيه .

وقال عمرو بن العاص : ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر ، انما العاقل من يعرف خير الشرين وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر ابن الخطاب .

فقال : كان والله له فضل يمنعه من ان يخدع ، وعقل يمنعه من ان ينخدع .

وقال اياس : لست بخب والخب لا يخدعنى .

وقال ابو ايوب : من اصحابى من ارتجى بركته ولا اقبل شهادته .

ويقال : حلب فلان الدهر اشطره ، وشرب افاويقه اذا فهم خيره وشره ، فاذا نزل به الغناء عرفه ، واذا نزل به البلاء لم ينكره .

لكل حسنة توأم

* لا ينفع الاجتهاد بغير توفيق . ولا السرور بغير امن ، ولا العقل بغير ورع ، ولا الحظ بغير عمل .

وصية فى القضاء

لعمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه :

اذا تقدم اليك خصمان فعليك بالبينة العادلة ، او اليمين القاطعة .

وَأَدْنِ الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه .

وتعهد الغريب فانك ــ ان لم تتعهده ــ ترك حقه ورجع الى اهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفق به .

وآس بينهم فى لحظك وطرفك .
وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء .

مواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نصيحة

احب رسول الله تحظ بما تشا
فان جميع الخير في ذلك الحب
وكن راضيا بالله مولى وسيدا
واخرج جميع الكائنات من القلب

قالوا

* من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه .
* جرح اللسان كجرح السنان .
* من خانه ثقاته فقد أتى في مأمنه .
* افضل الرجال من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وانصف عن قوة .
* من أعطى الاستغفار أعطي المغفرة .
* العلم وطن في الغربة ، والجهل غربة في الوطن .
* لا تقطع اخاك على ارتياب ، ولا تهجره دون استعتاب .

فضيلة الحياء

روى ابو سلمة عن ابي هريرة — رضي الله عنهما — ان رسول الله — صلى الله عليه عليه وسلم قال : « الحياء من الايمان ، والايمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار » .
صحيح الترمذي — باب البر والصلة
وقال بعض الحكماء : « من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه » .
وقال صالح بن عبد القدوس :

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه اذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك وانما
يدل على فضل الكريم حياؤه

دعاء

الهي منك تكون النعمة ، وعليك تمامها وانت تعين على شكرها ، وعليك ثوابها .

لمـاذا لـم

قال رحمه الله :

« ... سـئل القـرطبى وغيره من المفسرين عن حكمة كفه ــ عليه الصلاة والسلام ــ عن قتل المنافقين مع علمـه باعيان (١) بعضهم ...؟

وذكروا أجوبة عن ذلك :

(أ) منها ما ثبت فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر ، رضى الله عنه :

(أكره أن يتحدث العرب أن محمـدا يقتل أصحابه) .

ومعنى هذا خشية أن يقع بسبب ذلك تنفير لكثير من الأعراب عن الدخول فى الاسـلام ، ولا يعلمون حـكمة قتله لهم ، وأن قتله اياهم انما هو على الكفر ، فانهم (٢) انما يأخـذونه بمجرد ما يظهر لهم ، فيقـولون : ان محمـدا يقتل أصحابه .

قال القرطبى : وهذا قول علمائنا وغيرهم ، كما كان يعطى « المؤلفة » مع علمـه بسـوء اعتقادهم .

قال ابن عطية : وهى طريقة أصحاب مالك . نص عليه محمد بن الجهم ، والقاضى اسماعيل والأبهرى وعن ابن الماجشون :

(ب) ومنها ما قال مالك : انما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن المنافقين ليبين لأمته

---

(١) جمع عين اى ذات ، اى اشخاص .
(٢) اى الأعراب .

من التراث

- لماذا لم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم المنافقين؟
- مجلة الأزهر من خمسين عامًا
- من نوادر المخطوطات

يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم المنافقين ؟

للإمام أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي المتوفى عام ٧٧٤ هـ

أن الحاكم لا يحكم بعلمه .

قال القرطبي : وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمه ، وان اختلفوا في سائر الأحكام .

قال :

(جـ) ومنها ما قال الشافعي :

انما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الاسلام مع العلم بنفاقهم ، لأن ما يظهرونه يجب ما قبله .

ويؤيد هذا قوله — عليه الصلاة والسلام — في الحديث المجمع على صحته في الصحيحين وغيرهما :

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل) .

ومعنى هذا أن من قالها جرت عليه أحكام الاسلام ظاهرا ، فان كان يعتقدها وجد ثواب ذلك في الدار الآخرة ، وان لم يعتقدها لم ينفعه جريان الحكم عليه في الدنيا وكونه كان خليط أهل الايمان :

« يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ » . الآية . فهم يخالطونهم في بعض المحشر ، فاذا حقت المحقوقية تميزوا منهم وتخلفوا بعدهم .

« وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ » ، ولم يمكنهم من أن يسجدوا معهم كما نطقت بذلك الأحاديث .

(د) ومنها ما قاله بعضهم :

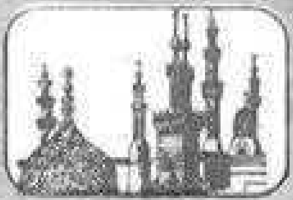
أنه انما لم يقتلهم ، لأنه كان لا يخاف من شرهم مع وجوده — صلى الله عليه وسلم — بين أظهرهم يتلو عليهم آيات الله مبينات ، فاما بعده فيقتلون اذا أظهروا النفاق وعلمه المسلمون .

قال مالك :

المنافق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الزنديق اليوم (١) .

د . ع . خ

(١) انظر تفسير القرآن العظيم — للامام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ج ١ ص ٤٨ ، ٤٩ طبع دار احياء الكتب العربية .



مجلة الأزهر

من خمسين عاماً

للإمام الأكبر

لما كان الاسلام دين الفطرة ، وكان الانحراف عنه شرا مستطيرا على الأمة ومقوماتها ، وتغيير خطر عليها ، ولم يكن هذا الانحراف وليد هذه الأيام التى حيرت الجيل المعاصر بأفكارها واتجاهاتها والكشف عن مصدر خطرها حتى انعكست حيرته على انكاره كل عمل رشيد : فتطاول البعض على رسالة الأزهر يريد أن يهدمها وما هو بمستطيع وأن يمارس عملها وما هو له بأهل وأنكر — على الأزهر — حتى دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة الى التنبيه والتحذير .

لما كان ذلك كله رأينا أن نقدم للقراء شيئا مما سبق لعلماء الأزهر أن تصدوا له أمام مثل هذه الفتن .. وما رأوه من علاج .

وهذه كلمة الامام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين — رحمه الله — بعنوانها المتقدم .

قال — رحمه الله :

بين أيدينا حكم رائعات ، وعظات بالغات ، وتاريخ عظمائنا مملوء بالهمم الكبيرة ، والمساعى الخطيرة ، وقد أتى علينا مع هذا النور الساطع ، والتاريخ المجيد ، حين من الدهر ونحن عن طرق السعادة والمنعة غافلون وعن العمل للحياة نائمون ، جهل بعد علم ، تقاطع بعد ائتلاف ، بطالة بعد نشاط ، صغار بعد شمم ، خمول بعد نباهة شأن ، كذلك كنا !

حتى جاءنا من صروف الليالى ما نبهنا من سباتنا ، فنهضنا نبحث عن وسائل تقدمنا ، ونجارى الأمم العاملة ، والأمل يملأ ما بين جوانحنا ، نهضة مباركة .

ولكن نفوسا خالطها من الانحراف عن سبيل الرشد ما خالطها ، فأصبحنا فى حاجة الى أن نشغل جانبا من أوقاتنا فى تقويمها .

حق علينا أن نبحث عن علل انحراف هذه النفوس ، حتى نعرف طريق علاجها ، فنزيح أو نخفف مرضا لو خلينا سبيله ، لسرى الى نفوس كثيرة ، وعاقنا أن نسير الى السعادة كيف نشاء .(١)

(١) نور الاسلام (مجلة الأزهر) السنة الاولى — العدد الثانى صفر ١٣٤٩ .

الانحراف عن الدين

علله .. آثاره .. دواؤه

الشيخ محمد الخضر حسين

عرض وتقديم : الشيخ احمد حسن جابر رجب

علل الانحراف اجمالا :

النواحي التي يأتي من قبلها هذا الانحراف كثيرة ، وجماعها الجهل ، والدعايات الباطلة.

واليك البيان تفصيلا :

١ — ينحرف الناشىء عن الدين متى شب على الجهل بحقائقه ، ففريق من أبنائنا غير قليل لا يتعرفون الاسلام من وجهه الصحيح وانما ينتزعون صورته من مظاهر يرون عليها طوائف من المسلمين ، ولم تكن هذه المظاهر من الاسلام فى كثير ولا قليل ، فليس ببعيد أن يشهد الشاب شيئا من البدع المزرية كضرب الدفوف فى المساجد ، أو تحت رايات يحملها أحداث باسم الدين لهوا ولعبا ، فيخالها من تعاليم الاسلام ، ويسوء اعتقاده فى هدايته.

ونحن نعلم أن بعض البلاد الداخلة تحت سلطان غير اسلامى قد تقام فيه حفلات مشهودة ، يكلف فيها بعض الجهلة أن يحضروها بأزيائهم الخاصة ، وتقوم كل طائفة بأعمال يمتازون بها عمن سواهم ، وقد يكن فى هذه الأزياء والأعمال ما لا صلة له بالدين ، ولا بما ترضى عنه العقول السليمة ، فتتناولهم — من أجل ذلك — الألسن بازدراء .

ولاشك أن شبابنا كبعض المخالفين الذين يشهدون هذه الحفلات قد يسبق الى أذهانهم أن نسبة ما يعمل باسم الدين الى الدين صحيحة ، فيتجافون عنه وهو منه براء ، فمظاهر البدع والمحدثات من وسائل اضعاف العقيدة فى نفوس أبنائنا ، ومن أصعب الأمور التى تحول بين المخالفين وبين قبولهم — للدين الحق — بسهولة .

٢ — واذا كان فى المتجافين عن الدين من قرأوا جانبا من الكتب المعزوة اليه ، فعلة انحرافهم — فيما يظهر — أنهم لم يدرسوا

تعاليمه خالصة مما أضيف اليها ، من مزاعم وآراء . ولم يبلغوا منقوة العلم أن يفرقوا بين الشرع الخالص ، وما يوضع بجانبه من أشياء لا تدخل فى الصميم .

ونحن نعلم أن فى كثير من المؤلفات أحاديث موضوعة ، وقصصا مزعومة ، وآراء لا تستند الى أصول معقولة .

ومن الذى ينكر أن فى بعض الكتب أحاديث مصنوعة وقصصا مختلقة .

وأن فى مؤلفات بعض أصحاب الأهواء ، والمتشمعين فى العلم آراء سقيمة وأقيسة عقيمة ؟

كان لهذه الكتب أثر سىء فى نفوس بعض نشئنا ، وقد اتخذ بعض من خف فى العلم وزنهم من هذه الكتب — وسيلة الى الطعن فى علماء الاسلام ، فذهبوا يلتقطون هذه الآراء السخيفة — ولا يتقون الله فى نسبتها الى علماء الاسلام — ليضعوا من شأنهم .

مع أن أهل العلم من قبلهم قد نقدوها بأنظار راجحة ، وطرحوها من حساب الشريعة بالحجة الساطعة ، وجعلوا تبعتها على أصحابها وحدهم .

وأى طائفة من طوائف أهل العلم لا يوجد بينهم ذو رأى ضعيف أو ذوق عليل ؟! ، بل العالم الراسخقد تصدر عنه آراء تدفعها أصول العلم الذى رسخت فيه قدمه ! ويردها عليه من هو أقل منه نباهة ، وأدنى فى العلم منزلة !

٣ — أما الفريق الذين ينكرون أشياء من صميم الدين ، فلم يجئهم الجحود من ناحية البحث الدقيق والنظر القائم على قوانين المنطق الصحيح .

وانما سبقت اليهم فى التعليم ، أو فى الجلوس ببعض النوادى — آراء فتقبلوها وترامت لهم شبه فاعتنقوها .

والآراء الفاسدة والشبه اللغوية تربى فى النفوس الضعيفة — أذواقا سقيمة . ويكون لهذه الأذواق الحكم العاجل .

حتى اذا أنكرت حقا خيل الى أصحابها أن انكارهم صادف محزا ، وظلوا فى جهالتهم يتخبطون ، فقطع يد السارق ، أو السارقة مثلا — قد تنازع فى حكمته بعض الأذواق الخاصة .

ولكن الأحكام انما يراعى فيها المصالح العامة . وفى قطع يد هذا الصنفمن المجرمين مصلحة سنأتى على بيانها فى مقام غير هذا .

٤ — ولا ننسى بعد هذا أن ما بلغه الغربيون من التقدم فى العلوم ، والفنون قد جعل لهم فى القلوب اكباراً . ويبلغ هذا الاكبار فى بعض النفوس الصغيرة أن يفوه أحد الغربيين بكلمة يطعن بها فى حقيقة من حقائق الاسلام ، فيتلقوها منه بمتابعة ، ويحسبوها طعنا صائبا ، ولا سيما الكلمات التى تصدر من طائفة يخرجون فى زى الكتاب أو الفلاسفة اذ يقع فى أوهام الغافلين أنه نتيجة نظر لا يعرف غير البحث والدليل . ويفوتهم أن فى هؤلاء الكتاب من لايزال فى أسر تقليده وعواطفه .

الانحراف عن الدين

وفيهم من يكون بارعا فى ناحية من العلم قاصر النظر فى ناحية أخرى .

وهانحن أولاء نقرأ نتائج أبحاثهم فى موضوعات : الهية ، أو تاريخية ، أو اجتماعية أو لغوية . فترى فيهم من يتبع الظن الذى لا يغنى عن الحق شيئا .

وكان على نشئنا أن يعتبروا بالمناقشات التى تدور بين علمائهم أنفسهم ، فانها شاهد صدق على أن من علمائهم أو فلاسفتهم من يعتمد الرأى لمجرد الشبهة ، ولا يبالى أن يسميه علما ، وهو لايرتبط بعد بالحجة ، أو ما يشبه أن يكون حجة .

٥ ــ ومن الطرق المضلة عن السبيل أن بعض الداعين الى غير الاسلام قد وجدوا من موسريهم خزائن مفتحة الأبواب ، وأيديا تفيض عليه الأموال بغير حساب .

ومن الميسور أن يتصل هؤلاء الدعاة ببعض البائسين من نشئنا الذين لم ينفذ الايمان الى سويداء قلوبهم ، فيشترون ضمائرهم أو ألسنتهم ــ بشىء من حطام هذه الحياة .

وربما أتوهم من ناحية الشهوات ففتحوا لهم أبوابها ، وجعلوا ثمن تمكينهم منها الانسلاخ عن الدين ، فلا يبالون أن ينسلخوا منه ، اذ لم يدخل بعد فى قلوبهم حتى يكون أعز عليهم من كل ما تهون أنفسهم .

٦ ــ ومن الذى لا يعلم أن معاهد تقام فى أوطاننا باسم العلم ، أو العطف على الانسانية والغاية منها صدف النفوس عن صراط الله السوى !

دل على هذا كتب يدرسونها فى هذه المعاهد وهى كما قرأنا نبذا منها محشوة بالطعن فى الاسلام والحط من شأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وهذا القس « زويمر » نفسه ينبهنا على أن المدارس التى يقوم بها جماعات التبشير انما تجعل وسيلته الى تحويل المسلمين عن دينهم القويم ، فقال فى مقال تحت عنوان (حركة التبشير فى العالم الاسلامى[1] بعد أن ذكر ما يعترضهم من المصاعب فى داخل افريقية ، ومن المستطاع التغلب على هذه الصعوبة بالالتجاء الى الوسائل المعروفة كالمتاجرة مع الأهالى ، وفتح المدارس لأبنائهم وما ماثل ذلك .

وقد رأينا لهذه المدارس التى تفتح فى سورية ومصر وغيرها من البلاد آثارا محزنة .

فكم من فتى مسلم بعث به اليها فتخرج منها وهو يحمل من التنكر لقومه وشريعتهم مثل ما يحمله خصومهم المحاربون .

٧ ــ ثم ان بعض الناشئين فى مهد اسلامى قد أصيبوا بما يشوه فطرهم ، وأرادوا الا يكون هذا التشويه مقصورا على أنفسهم وحدهم فاجتهدوا فى أن ينقلب الناس منقلبهم ، ويعملوا على شاكلتهم ، فكان لهم فى الاستخفاف بالعقائد الصحيحة والشريعة الحكيمة حركات طائشة .

---

(١) انظر مجلة نور الاسلام ٧٢ ج ١ .

ولولا هداية القرآن ، ووقوف فريق من أهل العلم فى وجوههم لاستدرجوا خلقا كثيرا . ونذكر — بمنتهى الأسف — أن من هــذا الصنف من يقضى نصيبا من حياته فى الدفاع عن الاسلام حتى يتبوأ مقعد الدعاة المصلحين، ثم لا يلبث أن يرى بضاعة الازدراء بالدين نافقة ، فيثور عليها مع الثائرين ، ويسرع الى لمز الرجال الذين رفعوا لواءه . وقد كان يطنب فى تمجيدهم .

وفى أمثال من يكون على هذا النحت خطــر على النشء — كبير ، اذ الثقة التى أحرزهــا من قبل قد تجعلهم يسيغون أقواله بما تحمل من أقذاء وسموم ، فيبلغ مآربه دون أن يفقد مكانته . ثم ان انحرافه عن الدين بعــد أن كان من أنصاره قد يلقى فى نفوس المستضعفين أن هذا الذى قضى زمنا فى مظاهرة الدين لم يتجافى عنه الا بعد أن بصر بالحجة واستبان له أنه كان على غير هدى .

وصغار العقول لا يشعرون بأن فى الناس من يطوى فى نفسه حاجة يستطيع أن يلبس لها ثوب الرياء أمدا غير قصــير ، حتى اذا قضاها فى ذم ما كان يحمد . ومحاربة ما كان ينصر ، وجد فى استعداده ما يساعده على أن يظهر فى أى لباس شاء .

آثار الانحراف :

١ — دلت المشاهدة على أن الناشىء الذى يصاب بمرض الريب ، أو الجحود ، لايمكث أن ينحط فى المآثم ، وينبــذ الأدب الرفيع ، والعمل الرشيد وراء ظهره .

واذا رأيناه يتجنب اثما فبالمقــدار الذى يتقى به لومة لائم ، أو طائلة قانون .

واذا عمل حسنا ، فلينال به مدحا واطراء ، أو ليصل الى عاجل من المنافع المادية أكبر .

٢ وأن ناشئا يعتقد أنه متى استتر عن أعين الناس لم يبق له فيمــا يفعــل من رقيب . ولا يناله على ما يأتى من جزاء لا يتحامى فى غالب أمره أن يعتدى على نفس ، أو عرض ، أو نسب ، أو مال — الاعتداء الذى يستمين وجه المدنية ويحدث فى نظام الجماعة وهنا .

٣ — ودلت التجارب على أن زائغ العقيدة متى ملك جاها ، او سلطة فتن الأمة فى دينها . وانتهك حرمات شريعتها . ولم يخلص النظر فى اصلاح أمــرها ، ولاقى منه المؤمنــــون اضطهادا . والجاحدون وأصحاب الأهواء مناصرة واقبالا .

فيكون داعيا عمليا الى الخروج على الدين، فتموت الفضيلة ، والغيرة على الحقوق العامة وينقطع حبل اتحاد الأمة إربا .

دواء الانحراف :

١ — حتم علينــا أن نسعى الى أن يكون التعليم الدينى شاملا ، فما من ناشىء الا يتلقى منه مقدارا يكفى لاثارة عقله وطمأنينة نفسه، يقبل بعد هــذا على كتب الدراسة فنتخير منها ما هو حسن الوضع ، نقى من كل ما ليس



بشرع .

وبهـــذا نأمن من أن يكون فى نشئنا من ينحرف عن الدين جهلا بحقائقه .

واذا نحن سرنا فى تقرير أصول الدين وأحكامه على طريقة اقامة الحجة ، وبيـــان الحكمة خففنا شر المتنطع الذى ينكر أمورا من الدين ، بعلة أنها لا توافق المعقول أو لا تتحقق بها المصلحة .

٢ ـ وانما يستعان على جعل التعليم عاما بعناية أولى الأمر ، ونصحهم فى تدبير شئون الأمة حيث يقررونه فى ســائر المدارس ، ويقومون عليه ، كما يقــومون على ســائر العلوم .

ومما يسر الأمة أن ترى من ولاة أمورهــا العناية بتعليم الدين الذى هو ملاك ســعادة أبنائها فى الدنيا والآخرة .

٣ ـ ومن واجب أهل العلم بعد هـذا أن يرقبوا حركة الثائرين على الدين ويكونوا على بصيرة مما يكتبونه فى الصحف ، أو يحضرون به فى النوادى ، ليقوموا أوده ، وينبهوا على خطره حتى يستبين أمره ، وتتضـح أمام الناشئين طريقة قرع الشبهة بالحجة . وصرع الباطل بقوة الحق . وكذلك يفعل العلمـــاء الراسخون ، والكتاب المخلصون .

٤ ـ وحق على من يبغى السعادة ، لابنه أو لقريب وكل اليه أمره ألا يلقى به الا حيث يأمن على ايمانه وطهارة نفسه . ولا يذهب به الطمع فى متاع الدنيا الى الاستهانة بأمر العقيدة ، فانها الأساس الذى تقومُ عليه الحياة الطيبة والشرف الأصيل .

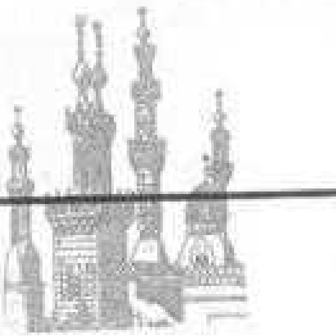
٥ ـ فاذا اشتدت عناية أولى الأمر بالتعليم الدينى فى المدارس على اختلاف أقسامها وفنونها ، وأرهف العلم أقلامهم فى حمـاية الشريعة ممن يتساقطون على الطعن فيهــا ، أو المكر فى تأويلها .. وأخذ الآباء بهدى الله فصانوا أبناءهم عن المدارس المنشأة للصد عن السبيل .. خسرت تجارة الرهط الذين يجهلون على الحق والفضيلة .

وتهيأت لنا أسباب نهضـــة علميـة اجتماعية نجنى ثمرا لذيذا من نتائجهـا وتحمد الأجيال القابلة عاقبتها .

محمد الخضر حسين

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر ...





ممن عنى من العلماء بكتب ابن مالك العلامة عبد الله بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن محمد القرشى الهاشمى ، بهاء الدين بن عقيل . من ائمة النحاة . من نسل عقيل بن ابى طالب مولده ووفاته فى القاهرة . ولد سنة ٦٩٤هـ ـ سنة ١٢٩٤م وتوفى سنة ٧٦٩ هـ ـ سنة ١٣٦٧ م قال ابن حيان : « ما تحت اديم السماء انحى من ابن عقيل . كان مهيبا ، مترفعا عن غشيان الناس ولا يخلو مجلسه من المترددين اليه ، كريما ، كثير العطاء لتلاميذه ، ولى قضاء الديار المصرية مدة قصيرة » . له « شرح الفية ابن مالك فى النحو ، والتعليق الوجيز على الكتاب العزيز ، والمساعد فى شرح التسهيل ، ومؤلفات أخرى (١) .

(١) الاعلام للزركلى جـ ٤ ص ٢٣١ .

ولما كان ابن مالك علم من أعلام العربية ولا شك ، ليس فى النحو فحسب كما يظن كثير من الناس ، وانما هو علمها فى فنون القراءات والأدب ، له فى ذلك آثار خالدة ، ستبقى على مر الأزمان دلائلناطقة بعلمه وفضله . ومؤلفه الأشهر الفية النحو والصرف حسبه أن يضعه على رأس القائمة من العلماء .

ولابن مالك مؤلفات كثيرة ، تناولها العلماء بالبحث والدراسة وظلت العمدة ـ فى فنونها ، وما تناولته من موضوعات لم تقو مؤلفات بعدها ـ على كثرتها وتطاول الزمن عليها ، أن تنسخها أو تزاحمها . وقد حظيت بعض مؤلفات ابن مالك بالقبول والشهرة ، واقبل العلماء والمتعلمون عليها من سائر الأقطار الاسلامية ، يدرسونها وينهلون منها ويلتقطون من دررها .

ومما تميزت به كتب ابن مالك غلبة الروح الأدبية عليها ، يبدو ذلك فيما يختاره من الأمثلة والشواهد لتأصيل الأصول وتقرير القواعد ، وأن هذه الروح تخفف كثيرا من ثقل القواعد وجفافها ، يعرف ذلك من درس ألفيته واطلع على تسهيله .

المساعد لابن عقيل

على تسهيل الفوائد لابن مالك

للأستاذ محمد عميره على

ولذلك فقد عنى ابن عقيل بكتابه (الألفية) فشرحه الشرح المشهور (شرح ابن عقيل) . وشرح ابن عقيل فى نظرنا خير كتاب فى النحو والصرف سيبقى — ما بقيت اللغة العربية — العمدة فى قواعدها ، ولقد كان من حظ اللغة العربية أن يتولى شرح الألفية العلامة ابن عقيل حيث تظاهرت فى خدمتها عبقرية ابن مالك وعبقرية ابن عقيل ، وكان من ثمار هذا التظاهر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ذلك الشرح الذى يغمطه من يحاول أن يصفه ، فالعذب السلسبيل دون عذوبته ، والأدب الرفيع دون أسلوبه ، والسحر الحلال دون اعجازه فى بابه .

تناول ابن عقيل (ألفية ابن مالك) فشرحها الشرح المعروف المتداول ، وكذلك تناول كتابه (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) فعلق عليه تعليقا موجزا رأى من الانصاف والدقة العلمية أن يسميه « المساعد » فلم يزعم أنه شرحه أو أنه حل مشكلاته أو جلا عويصاته ، وما الى ذلك من العبارات التى اعتاد الشارحون أن يتحدثوا بها ، لكن ابن عقيل يرى أن عمله فى شرح التسهيل هو الاعانة فحسب، والاعانة تكون بما قل وكثر وما جل وعظم ، فيقول فى خطبة الكتاب :

« هذا تعليق مختصر جمعته على (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) للعلامة جمال الدين ابن مالك رحمه الله ، يسهل اقتناص شرائده ، ويعين على استخراج فوائده ، ويتكفل بتكميل عوائده وتوضيح مقاصده ، ومزجته بأصله حتى صار ككتاب واحد » .

ولتمام التعريف بالمساعد على التسهيل يحسن أن نذكر كلمة عن التسهيل مستمدة من المراجع التاريخية التى ترجمت لابن مالك وتعرضت لكتابه التسهيل . وموجز ما قيل فيه: انه من كتب ابن مالك التى عرفها العلماء قديما واعتمدوا عليه فى مؤلفاتهم . وهو منثور لأرجوزة له فى النحو تسمى « مجموع الفوائد » ويغلب على الظن ان هذا المجموع كان فى حاجة الى التسهيل والتوضيح فوضع له ذلك ، وانه ليدل باسمه على الغرض منه ، كما يغلب على الظن أن كتاب التسهيل لم يف بالغرض فلم يوضح المجموع تمام التوضيح فشرحه ابن مالك شرحا وصل به الى باب المصادر . ويقال : ان ابنه بدر الدين قد أكمله ، ثم شرحه العلامة ابو حيان الأندلسى ، والعلامة جمال الدين بن هشام الحنبلى ، والعلامة بدر الدين الدماميني وغيرهم ، ثم علق عليه العلامة ابن عقيل بكتابه (المساعد) وقال بعض العلماء : نظم ابن مالك رجزا فى النحو عظيم الفائدة يستعمله المشارقة ثم نثره فى كتاب يسمى (الفوائد النحوية ، والمقاصد المحوية) ، ثم صنف كتابه (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) تسهيلا لذلك الكتاب وتكميلا له وانه لاسم طابق مسماه ، وعلم وافق معناه ، غير أنه فى بعض الابواب يقصر عن معناه ، ويترك مالرتهن فى ايراده ، فسبحان من تفرد بالكمال .

وقال شارحه الدماميني : « ان الكتاب المسمى بـ (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) للامام ابن مالك كتاب جمع الفوائد جمع كثرة، وأفصحت كلماته التى غلت قيمتها ، فكان كل كلمة منه درة ، لا ينازع فى فضله من دخلباب الاشتغال اليه ، واذا كان غيره من الفضلات فلا شك أن العمدة عليه . طالما جاء بالنفع المتعدى فكان شكره لازما ، وعد حازما من كان باسكانه فى منازل التقديم جازما ، جمع من براعة العبارة والتنقيح . واعتنى بالايجاز فاعتنى بالتلويح عن التوضيح ، وحشا أصداف المسامع دررا لا عهد لها بمثله ، فظن بعض الطاعنين أنه سارق صعب الطريق ، وفى الواقع لم يسر الا فى سهلها ، وانما أتى الطاعن من قبل غموض العبارة عن نظرة القاصر ، ومنى بضعف الادراك وفقد الاسناد ، فأصبح لا قوة له ولا ناصر » .

أما (المساعد) الذى هو موضوع كلمتنا فهو من أقدم شروح التسهيل ، فقد فرغ المصنف من تصنيفه سنة ٧٥٨ هـ ، وتوفى ابن مالك سنة ٦٧٢ هـ . وهو شرح موجز أو تعليق مختصر وضعه مؤلفه ليساعد على فهم (التسهيل) لذلك يقتصر فيه على بيان ما يراه غامضا ويتحاشى التطويل والاستطراد الى العلوم الأخرى ، فيجعل كتب النحو للنحو ولا يخلط علما بآخر ككثير من الشراح ، ولا يحاول تعليل مسائله كما يحاول غيره ، وتبدو فى الكتاب روح ابن عقيل العربية والأدبية ، فيستعين بالقرآن والحديث والشعر فى الأمثال والشواهد ، ويرصع تعليقه بكريم

الآيات وعيون الشعر ما وافقه الفرصة •
وتذكر هنا أنموذجا من هذا الشرح لتستبين طريقته فيه ، واضعين الأصل من التسهيل بين قوسين •
فصل (يتعين انفصـــال الضمير ان حصر بانما) كقول الفرزدق :

انا الذائد الحامي الذمار وانمـــا
يدافع عن احسـابهم انا او مثلى

(أو رفع بمصدر مضاف الى المنصـوب) نحو عجبت من ضربك هو ، ومنه قوله :

بنصركم نحن كنتم ظـافرين وقد
اغرى العدى بكم استسلامكم فشلا

(أو بصفة جرت على غير صاحبها) نحـو زيد هند ضاربها هو ، ومنه ،

غيلان مية مشـغوف بها هو قد
بدت له فحجـاه بان او كـربا

(أو أضمر العامل) كقوله :

فان انت لم ينفعك علمك فانتسب
لعلك تهـديك القرون الأوائل

أى فان ضللت لم ينفعك علمك ، فاضمر الفعل لفهم المعنى فانفصل الضمير (أو اخر) كقوله : اياك نعبد (أو كان حرف نفى) كقوله :

ان هـو مسـتوليا على احـد
الا عـلى اضـعف المجـانين

(أو فصله متبوع) نحو : جاء عبـد الله وأنت • ومنه قوله تعالى : « لَقَـدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَـلَالٍ مُّبِينٍ » وقوله تعـــالى : « يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ » •

ويستعين ابن عقيل فى شرحه بآراء ابن مالك فى النحو ، ويتعرض لكثير من مذاهب النحويين ، كما يفعل ذلك فى شرحه على الألفيـة ، الا أنه يتوخى الايجاز عامة فى شرحه على التسهيل •
وتختلف عبارة (المساعد) تبعا للتسهيـــل عما ألفناه فى كتب النحو ، فيقول فى تعـريف الاسم والفعل والحرف : والاسم كلمة يسند ما لمعناها الى نفسها ، والفعل كلمة : تسنـد ابدا ، والحرف كلمة لا تقبل اسنادا وضعيا •
وبالمكتبة الأزهرية نسخة من (المسـاعد) لعلها أقدم النسخ عامة ، فقد فرغ ناسخهـا منها سنة ٧٦٩ هـ وفرغ مصنفها من تصنيفها سنة ٧٥٨ هـ أى أنها كتبت بعد تصنيفها بأحدى عشرة سنة ، وهى بخط عيسى على الشنباطى المعروف بابن الغزولى ، نقلها من نسخـة العلامة أبى عبد الله محمد محمد الغمـارى ، وهى بخط واضح قليل الهنات النسـخية ، وبهامشها تصحيحات وتعليقات كثيرة ، وبخاصة أولها وتقع فى ٣١٧ ورقة ، وعدد سـطور كل صفحة ٢٩ سطرا ، ويميز الاصـل من الشرح دوائر حمراء صغيرة •
هذا ولعل تعريفنا بكتاب (المساعد) يحفز المشتغلين بعلم النحو الى العناية به وبالتسهيل فقد حرم التسهيل — كمـا حرمت شروحه — من الدراسـة والنشر ، مع أنهـا من الكتب الأصول فى النحـو بعد الكتـاب لسيبويه ، ولاتزال حبيسة الخزائن ، ومجهـولة حتى لبعض الخاصة •
والله ولى التوفيق •

محمد عميرة على

دراسة إعلامية

الدوائر المضادة

تمهيد :

من المعروف لدى دارس الاعلام عموما أن الدعاية تتميز بكونها معدومة المصدر .. أى لا يعرف بالضبط من صاحب هذه الدعاية ، وأمثلة ذلك حاليا المحطات الاذاعية السرية أو النشرات والمنشورات التى توزع فى الخفاء والشائعات والاكاذيب .. الخ .

وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن للدعاية المضادة مصدر واحد فقط سواء أكان معروفا أم غير معروف وذلك لأنها حرب بين قوى الخير وقوى الشر — وتجمع قوى الباطل هو الذى يتولى اصدار الدعاية المضادة ومن هنا تعددت مصادر الدعاية المضادة — آنذاك — على كثرة أساليبها وطرائقها ..!

وكان للدعاية المضادة anti – propaganda عدة منابع :

المنبع الأول : —

ويمثل الدعاية الساخرة التى تعلن عن نفسها وهى دعاية المشركين والكفار من أهل الجزيرة عموما ومن أهل مكة خصوصا .. ويلاحظ أنها كانت دعاية مكشوفة تناولت صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وتناولت الرسالة نفسها .. وتعرضت لأقوال وأفعال النبى صلى الله عليه وسلم وتعرضت للمسلمين واتخذت صورا ، وأشكالا شتى ، سوف نتحدث عنها بالتفصيل فى مباحث هذا الفصل .

المنبع الثانى :

ويمثل نوعا خطيرا من الدعاية أكثر من النوع الأول فى مقاومته وطريقة القضاء عليه هذا النوع هو دعاية أهل الكتاب من اليهود ، وهو الذى يقوم فى مظهره على المنطق والمناقشة وفى مضمونه على المخالطات وتزوير الحقائق وتلفيق الأحكام .. أو تحريف الكلام .. ومازالت الدعاية الصهيونية حتى يومنا هذا تستخدم نفس الاسلوب فى الدعاية .. فكان التاريخ يعيد نفسه !

ودعاية أهل الكتاب تناولت قضايا مختلفة تختلف فى موضوعاتها عن دعاية المشركين والكفار فهى : تناقش قضية النبوة والألوهية ، وتشكك فى الأحكام الاسلامية وتشكك فى التشريعات ، وتتخذ من المواقف السياسية والعسكرية فرصة للانقضاض مثل يوم حنين وغزوة الخندق ، والأمثلة كثيرة .

المنبع الثالث :

وهو أشد الدعايات المضادة خطرا ، انه ينبع من بين أوساط المسلمين أنفسهم ، هو دعاية المنافقين — وهو من أخطر أنواع الدعايات



الدعائية للإسلام ومقاومتها

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

للأستاذ حسن على الغُنَيْبسى

وحتى في عصرنا الحاضر تصعب مقاومة الدعاية النابعة من الداخل بينما من السهل مقاومة الدعاية التى من الخارج ولم يفضح القرآن الكريم أحدا مثلما فضح المنافقين حيث أفاض في ذكر أوصافهم وأقوالهم وأفعالهم .

وتأتى خطورة دعاية المنافقين من كونهم على علم بأسرار المسلمين ، ولأنهم يتمتعون بالحماية بإيمانهم اللفظى ، ولأنهم يخفون الكفر ، ومن هنا فانهم يستغلون هذه الحماية التى يوفرها لهم الايمان اللفظى ، ومن خلاله ينفذون خططهم في ترويج الشائعات وبث الأكاذيب ولهذا قلنا : ان هذه الدعاية خطرة لأنها تحتمى برداء الايمان اللفظى .

والأمثلة كثيرة على ما روجه المنافقون من شائعات كادت أن تفصم عرى وحدة المسلمين منها مثلا : شائعات عبد الله بن أبىّ بن سلول في المدينة ، وفي بعض الغزوات مثل تبوك وحنين وسوف نتناول مثل هذه القضايا في الصفحات القادمة لنعرف موقف النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الدعايات ، وكيف واجه القرآن هذه الدعايات المضادة — وفي هذا زاد لرجال الاعلام ، خاصة وأن هذه المنابع الدعائية السابقة الذكر مازالت تبث سمومها في عالمنا الاسلامى في اليوم .

فمثلا تجد الآن ملكية كبريات الصحف العالمية تمتلكها دوائر الاعلام الكتابية بل وأقوى وكالات الأنباء العالمية كذلك ثم انك تجد أن الاتحاد السوفيتى لديه — بدوره — أقوى وسائل الاعلام الدولية ، وكثير من النظم في بعض الدول يترعم دائرة النفاق ، وبهذا يمكن

الدوائر الدعائية المضادة للإسلام

القول أن هذه الدوائر الدعائية هى كما كانت فى عهد النبى بالاضافة الى ما أضيف اليها من تطور تكنولوجى وان تسمت بمسميات مختلفة ، فان الجوهر والمضمون والهدف واحد لهذه المنابع الدعائية المضادة .. ذلك ما نفصله فى المباحث القادمة .

الدائرة الدعائية الأولى دعاية المشركين والكفار

لم يدع الباطل طريقا لفناء الحق الا سلكه ولم يأل جهدا فى استخدام شتى الحيل ليطمس على الحق وليغمطه .. ولقد كان الباطل ، آنذاك عملاقا شرسا ، والحق طفلا صغيرا فى مهده .. حال الدعوة الاسلامية فى فجر النبوة .. ولكن من الذى انتصر فى هذه المعركة ؟ وكيف استطاع ذلك الطفل أن يقصم ظهر هذا العملاق الشرس ؟

وفى هذا الشأن دارت حرب دعائية ضروس بين المسلمين على قلتهم وأهل الباطل على كثرتهم ، ولما كان سلوك الباطل لا يتغير ولما كانت حيل الباطل وحججه كما هى لم تتغير ، بل مازال تستخدم حتى الآن فأجهزتهم الاعلامية وتجمعاتهم الثقافية وان تغيرت طرائق العرض ونوعية الأساليب .

فاننا فى هذا البحث سوف نناقش الأساليب الدعائية للباطل فى دائرة المشركين والكفار ليكون ذلك عونا لنا فى مواجهة الاعلام المضاد بكل اتجاهاته الآن فى القرن العشرين ، ونتناول فى هذا المبحث العناصر التالية :

١ ــ أهداف دعاية المشركين والكفار .

٢ ــ الأساليب الدعائية والمرتكزات المنطقية .

ــ كيف واجه الاعلام الاسلامى هذه الأساليب ، وَفَنَّدَ مرتكزاتهم المنطقية فى ظاهرها .

اولا : الأهداف ..

هناك هدف محورى ترتكز عليه كل الدعايات المضادة للاعلام الاسلامى ، هو « محو هذا الدين من الوجود » ويعتبر هذا الهدف ركنا أساسيا للاستراتيجيات الاعلامية المضادة ؛ ومن هذا الهدف انطلقت عدة أهداف تمثلت فيما يلى :

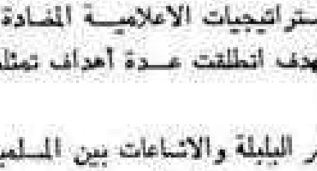
١ ــ نُشر البلبلة والاشاعات بين المسلمين بقصد تشويه صورة الاسلام .

٢ ــ صد من ينوى الاسلام ــ من كبارهم ــ عنه .

٣ ــ تشكيك المسلمين فى رسولهم ورسالتهم .

٤ ــ الوقيعة بين القبائل التى أكرمها الله بالاسلام لتفرقة صفوف المسلمين .

٥ ــ التعذيب العلنى والتصفية الجسدية بضعاف المسلمين .



ثانيا ــ أساليب الاعلام في تحقيق الأهداف السابقة

اعتبر المشركون والكفار والاسلام بمثابة الناعى الذى جاء ينعى آلهتهم ، ولهذا قامت حرب دعائية شرسة كتب فيها البقاء للحق وأنصاره •

ومن الأساليب والاتجاهات الدعائيــة نذكر الآتى :

الأسلوب الأول :

١ ــ اتجاه اتبع الأسلوب التشكيكى فى الرسالة (١) نفسها : وهو من الأساليب الخبيثة أراد أن يطمس على القرآن معالمه ويشوه معانيه ، فاذا ما أحرزوا نجاحا فى دعايتهم بالتشكيك فى الرسالة ، فانه يترتب على ذلك فشل القائم بالاتصال (٢) ، وبالتالى لا تقوم للاسلام قائمة •

ولقد تحدث علماء الاعلام فى هذا الشأن فقالوا : أن العدو حينما يريد التأثير على أعلام ما ، فانه يستخدم التشويش jamming

وتقول الدكتورة جيهان رشتى : أن التشويش قد يكون دلالى وقد يكون حركى «ميكانيكى» •

وبمعنى آخر فان التشويش الدلالى يكون فى معانى الألفاظ والكلمات المستخدمة وهذا ما استخدمته بالفعل كفار مكة ومشركوها

وقد يكون تشويشا ميكانيكيا فى الوسيلة التى تنقل بها الرسالة :

ولمعرفة وسائل التشويش التى استخدمها المشركون ضد القرآن الكريم فعلينا أن نقرأ ما رواه القرآن فى هذا الشأن • قال تعالى:

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ »

ومن هذه الآية الكريمة نجد أن الباطل استخدام أسلوبين فى مقاومة الاعلام القرآنى

الأول : ــ

المقاومة السلبية :

وتتمثل فى التواصى فيما بينهم بعدم التعرض لاستماع القرآن الكريم وهذا مايسميه علماء الاعلام • بالتعرض (٣) الانتقائى ، والادراك الانتقائى ، ولذا تجد أن الآية صريحة حين قالت : **«لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ»**

ولكن هذا الأسلوب فشل •

لأن القوم أهل لسان وبلاغه فكانت تشد آذانهم بلاغة القرآن وسحر بيانه •

الأسلوب الثانى :

« تحويل الانتباه واللغو والتحريف »

ولما لم يجدوا بدا من الاستماع سلكوا طريقا آخر وهو الاستماع الى القرآن ثم

(١) نقصد بالرسالة : القرآن الكريم ، المعروف أن العملية الاتصالية من اهم عناصرها الرسالة، message

(٢) (القائم بالاتصال) فى مصطلح الاعلام : هو المرسل أو صاحب الرسالة •

(٣) مصطلح اعلامى معناه : تخير المتلقى لاستماع جزء من المضمون وتحاشى الباقى •

اللغو فيه وأدخال التحريف فى آياته والتلفيق فى كلماته وبالتالى يسهل الانقضاض على الرسالة القرآنية من هذا المدخل ، ولذلك قال القرآن كاشفا حيلتهم بقوله « ... **والغوا فيه** ــ (أى فى القرآن) **ــ لعلكم تغلبون** » ولكن الله تبارك وتعالى قال لهم : « **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** » .

« أ » تكتيك تحويل الانتباه :

بدأت الدعاية الالحادية تستخدم أسلوبا ايجابيا فى مقاومة الاعلام القرآنى باستخدامهم هذا « التكتيك » (١) لشغل الرأى العام فى مكة عن محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه ، فاذا كان محمد صلى الله عليه وسلم جاءهم بحديث عن عاد وثمود ، وغيرهما من الأمم ، ويقص عليهم أحسن القصص فلماذا ، وهم أصحاب اللسان وأرباب البيان لا يجدون بينهم من يحدثهم حديثا مثل حديث محمد صلى الله عليه وسلم ومن هنا يتحول الناس عن سماع الوحى الى سماع الأساطير والخرافات .

وبالفعل وجدوا ضالتهم فى « النضر بن الحارث بن كلدة » الذى أخذ يبث ارساله القصصى عن ملوك فارس وممالك أخرى ويحكى غرائب القصص ويتحلق حوله الناس حلقا حلقا ، والهدف من وراء ذلك هو تحويل الانتباه .

وسرعان ما أفلس النضر بن الحارث وتحول عنه المستمعون الى سماع الوحى القرآنى كرة أخرى ، لماذا ؟ لأن الاعلام القرآنى ، يحدث الناس عن مشاكلهم وأمور دنياهم وآخرتهم .

فيجد فيه النافع المفيد أى أنه يعيش معهم حياتهم ، أما النضر بن الحارث فانه يسليهم فقط ويشغل وقت الفراغ لديهم ، كما أن المادة التى يحدثهم بها « مضمون حديثه » لا تهمهم كثيرا ولا تغير من واقعهم شيئا ، وفيه نزل قوله تعالى : **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)** .. الآية (لقمان ٦ ، ٧) .

لهذا فانه يمكن القول أن الاعلان الناجح ، وفى القرآن المثل الأعلى ، هو الذى يناقش مشكلات مجتمعه ويطرح الحلول والبدائل ، ولا يقف عند حد التسلية فقط .

(ب) المرتكزات المنطقية للدعاية المضادة فى هجومها على القرآن :

ويتمثل هذا الخط الدعائى فى التشكيك فى القرآن نفسه ، وذلك بعد أن فشلت محاولات الاعراض عنه ، أو « الشوشرة » واللغو فى آياته ، ومحاولات تحويل الانتباه عن مثل طريق النضر بن الحارث .

بعد هذه المحاولات بدأوا يرمون القرآن نفسه بالفرية تلو الأخرى ،، كما يروى القرآن :

« **قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، بَلِ افْتَرَاهُ .. بَلْ هُوَ شَاعِرٌ** .. » (الأنبياء ــ ٥)

---

(١) الطريقة او الاسلوب .



« وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ·· » (الفرقان ــ ٥)
وقالوا«إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ» (النحل ــ ١٠٣)
وقالوا«إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ» (المدثر ــ ٢٤) .
« وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ » (الصافات ــ ١٥) .
« وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ » (فصلت ــ ٥)
« وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ » (يونس ــ ١٥)
« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ » (الفرقان ــ ٤)
وقال : « وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ » (الأحقاف ــ ١١)
وقال : « وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ·· » (الجاثية ــ ٩)

من قراءة الآيات الكريمة السابقة يتضح لنا الى اى مدى كانت ضراوة وشراسة المعركة التى يثيرها اعداء الاسلام ضد القرآن الكريم ، جاهدين للنيل من القرآن ومحوه من الوجود وما اشبه الأمس باليوم ·· فلو قرأنا كتب وآراء المستشرقين الغربيين لوجدنا الاتهامات الموجهة للقرآن هى هى لم تتغير ابدا ·· وان حجج الباطل واحدة !

(يتبع)

حسن على العنيسى

اللغة والأدب والنقد

- **الإســلام**
  إختيارنا المحض

- **الإعلام الاسلامى**
  وتطبيقاته العملية

- **مـع التـرخيم**
  فى بحـث شامل

- **البــلاغـة**
  بين الطبـع والصـنعة

مع الترخيم في بحث شامل

هل تجب إحدى اللغتين ؟

للأستاذ أحمد حسن عبد العواضى
المفتش السابق بالتربية والتعليم

الترخيم من موضوعات النحو الطريفة الشائقة القليلة الذيوع النادرة الاستعمال فى لغة الحياة اليومية حديثا وكتابة والترخيم لغة : الترقيق والتليين والنعومة ، يقال : صوت رخيم ، اى ناعم رقيق باعث على النشوة والطرب ومعناه فى الاصطلاح : حذف بعض الكلمة على وجه مخصوص حين تستوفى شروطا معينة .

وأنواع الترخيم ثلاثة :

١ — ترخيم التصغير : نحو ، حميد فى حامد او حماد بحذف كل الحروف الزائدة من الكلمة ثم تصغيرها باقية على اصولها ، ومثل سويد تصغير اسود ، وأحكام هذا النوع مفصلة فى بابه ، ولذا فهو غير مقصود هنا .

٢ — ترخيم النداء ، وهو حذف آخر المنادى المعرفة حرفا كان أو أكثر ، حسب نوع المنادى .

٣ — ترخيم غير المنادى للضرورة . وهذان النوعان هما المفصلة أحكامهما فى ثنايا هذا البحث .

مزايا الترخيم وثماره :

للترخيم مزايا عدة ، منها :

التخفيف وسهولة النطق بالكلمات بعد ترخيمها وبخاصة بالنسبة لمن أصيبوا بعاهة فى النطق وقصور أو عجز فى حركة اللسان تجعل نطقهم بالكلمات تامة صعبا عسيرا ،

مع الترخيم

فحذف بعض أحرف الكلمة يصغر حجمها ويختصر من طولها فيجعل نطقها سهلا يسيرا .

ومنها أيضا اختصار الوقت ، والاقتصاد في الزمن ، فهو ايجاز بحذف بعض الأحرف من الكلمة مما يجعل النطق بها يتم في وقت أقل نسبيا من نطق الكلمة التامة غير المرخمة .

ومن أجل مزايا الترخيم وأبرزها : نمو اللغة وثراؤها ، فالمرخم لفظ مستحدث يسايره ويعيش معه أصله التام ، ويستطيع ممارس الصناعة أن يستعمل أيا من اللفظين كتابة وحديثا في الموضع المناسب له ، حسبما يدعو اليه الحال ويقتضيه المقام فتكثر ألفاظ اللغة وتتضاعف مفرداتها وبهذا المفهوم يصبح الترخيم وسيلة من وسائل نمو اللغة واتساعها وبعث الحيوية في أوصالها يضاف الى الوسائل الأخرى المعروفة ، كالنحت والاشتقاق والتعريب .

وما اللغة في حقيقة أمرها وواقع حالها الا مجموعة من الألفاظ والمفردات التي تتكون منها العبارات والجمل ، وتبنى الأساليب .

ومن ثمار الترخيم كذلك التزيين والتجميل والملاحة ، فان تخفيف الكلمة بحذف بعض حروفها يضفي عليها الوانا من الرقة والجمال والرشاقة لا تتوفر ببقاء اللفظ تاما مستوفي الحروف وفي تراثنا القديم ما ينهض حجة بالغة ودليلا ناصعا على صدق هذه الدعوى ، وسلامة تلك القضية ، تأمل قول امرىء القيس يخاطب صاحبته :

افاطم مهلا بعض هذا التدلل
وان كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

تلحظ مدى ما فيه من اللين والرقة والنعومة .

أو قول كثير لمعشوقته يعتذر :

وقد زعموا اني تغيرت بعدها
ومن ذا الذي ياعز لا يتغير ؟

تلمح فيه الخفة والرشاقة واضحة بينة ، وهذا شيء ظاهر جلي ، لا يخفى على ذي لب فهما لامراء فيه ، ولا مجال للجدل حوله أن (فاطمة ، وعز) المرخمين ، أرق وأرشق ، وأخف في السمع وعلى اللسان من (فاطمة ، وعزة) التامين ، وما يصدق على هذين المثلين يصدق في غيرهما من كل ما يرخم .

ما يرخم من الأسماء :

١ ــ أولا : يرخم كل منادى أنث بالهاء علما كان أو غير علم ، ثلاثيا أو زائدا على ثلاثة بشرط أن يكون مبنيا بالنداء (علما مفردا أو نكرة مقصودة) فيمتنع ترخيم المعرب من أنواع المنادى ، وهو المضاف والنكرة غير المقصودة على أصح الأقوال ، وأرجح الأسانيد .

٢ ــ ثانيا : يرخم الاسم المجرد من تاء التأنيث اذا استوفى شروطا أربعة : أولها : أن يكون زائدا على ثلاثة أحرف ، فلا يرخم الثلاثي سواء سكن وسطه نحو صقر وبكر وعمرو ، وفضل أو تحرك نحو حكم وحسن وأجاز بعضهم ترخيم الثلاثي المحرك الوسط ،

ويلزم منه بقاء الاسم المتمكن على حرفين في لغة التمام وأما على لغة من ينوى المحذوف فلا يلزم ذلك .

ثانيها : أن يكون علم شخص أو جنس لأن العلم لكثرة ندائه يناسبه التخفيف بالترخيم ، وأجاز بعضهم ترخيم النكرة غير المقصودة نحويا غضنف في ترخيم غضنفر قياسا على قولهم : أطرق كرا ، وياصاح ، ورد بأنهما شاذان لأن كلا اسم جنس خال من التاء فلا يقاس عليهما .

ثالثها : ألا يكون ذا اضافة حقيقية أو حكما فيدخل شبه المضاف فلا يرخم يا طالعا جبلا ويا ساعيا في الخير ، لأن المتضايفين في حكم اللفظ الواحد فالحذف من المضاف حذف من وسط الكلمة لا من آخرها ، والمضاف اليه ليس تاليا لأداة النداء فالحذف منه بمنزلة الحذف من غير منادى .

رابعها : ألا يكون مركبا اسناديا ، وهو المنقول من جملة نحو تأبط شرا ، وبرق نحره فلا يجوز ترخيمه في رأى أكثر النحويين ، وأجازه سيبويه على لغة ضعيفة اذ قال في باب النسب : وتقول في النسب الى تأبط شرا (تأبطى) لأن من العرب من يقول فيه ترخيما يا تأبط لكنه منع ترخيمه في باب الترخيم ، فعلم من هذا أن جواز ترخيمه لغة قليلة .

والمركب المزجى يرخم بحذف عجزه ، وكذا المركب العددى نحو خمسة عشر ، ومنع الفراء ترخيم مركب العدد اذا سمي به ، الا اثنا عشر واثنتا عشرة علمين فيرخمان بحذف العجز مع الألف قبله فتقول فيهما : اثن ، واثنت كما تفعل ذلك لو لم يركبا ، وذلك لأن عجزهما بمنزلة النون من (اثنان واثنتان) المفردتين ولذلك أعربا .

ولم ينقل عن العرب ترخيم المركب المزجى ، وانما أجازه النحويون قياسا على ما فيه تاء التأنيث لأن عجزه يشبه تاء التأنيث من عدة وجوه : فتح ما قبل آخره غالبا ، وحذفه في النسب وتصغير صدره ، وتاء التأنيث يتحقق فيها كل ذلك .

وثمة شروط عامة في كل ما يرخم غير ما تقدم ، ومنها : ألا يكون ملازما للنداء مثل (فل : وفلة)، ألا يكون مستغاثا باللام لعدم ظهور أثر النداء فيه من النصب أو البناء على الضم ، ولا مفتوحا بزيادة الألف في آخره لأن الزيادة تنافي الحذف ، ولا مجردا من اللام والألف الحاقا له بذى اللام والا يكون مندوبا ولو بدون ألف الندبة لأن الأغلب زيادة الألف في آخره اظهارا للتفجع فلا يناسبه الترخيم وزاد السيوطي شرطا آخر ، الا يكون مبنيا أصالة قبل النداء فلا يرخم مثل : حذام ورقاش .

ما يحذف من الاسم المرخم :

يحذف من المرخم ، اما حرف واحد فقط ، واما حرفان ، واما كلمة برأسها ، واما كلمة ومعها حرف .

فما يحذف منه حرف واحد هو المختوم بتاء التأنيث : فمتى حذفت التاء فلا يحذف منه شيء آخر بعدها .

مع الترخيم

وما يحذف منه حرفان هو العلم الزائد على أربعة : فيحذف مع الآخر ما قبله اذا استوفى عدة شروط :

١ ــ أن يكون ما قبل الآخر زائدا مثل سليمان وعدنان ، ومسعود ، فان كان أصليا نحو مختار ومنقاد لم يحذف .

٢ ــ أن يكون ما قبل الآخر حرف لين من أحرف العلة ، وهي الألف والياء والواو ، فان كان صحيحا لم يحذف سواء أكان متحركا نحو سفرجل أو ساكنا نحو قمطر خلافا للفراء في قمطر فانه يجيز يا (قم) بحذف حرفين .

٣ ــ أن يكون ما قبل الآخر ساكنا فلو كان متحركا مثل هبيخ ، وقنور) لم يحذف .

٤ ــ أن يكون رابعا فأكثر فان كان ثالثا لا يحذف كما في (ثمود ، وعماد ، وسعيد) فلا يحذف منها الا الحرف الأخير فقط ، وأجاز الفراء حذف ما قبل الآخر ، وهو الواو في ثمود وحدها فرارا من بقاء آخر الاسم واوا قبلها ضمة ، وهو غير سائغ لعدم النظير .

٥ ــ أن يسبق حرف اللين حركة مجانسة ظاهرة كما في نحو (مروان ، ومنصور ، ومسكين) نقول في ترخيمها (يامرْ ، ويامنصُ ، يامَسْكِ) بفتح الراء في الأول ، وضم الصاد في الثاني . وكسر الكاف في الثالث أو مقدرة كما في (مصطفون ومصطفين) علمين ، نقول فيهما (يا مُصْطَفَ) بحذف الواو والنون من الأول والياء والنون من الثاني اذ أن أصلهما : مصطفيون ، ومصطفيين بضم الياء في الأول ، وكسرها في الثاني لكنها قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين ، ويتعين رد هذه الألف المحذوفة على لغة من لاينوى لانتفاء سبب الحذف وهو التقاء الساكنين لفظا وتقديرا .

أما على لغة من ينتظر ففيه وجهان : الرد ، لانتفاء السبب لفظا ، وعدم الرد لوجوده تقديرا فاذا لم يسبق حرف اللين بحركة مجانسة ظاهرة أو مقدرة كما في نحو (فرعون ، وغرنيق) علمين ، فذهب بعضهم الى جواز حذف الواو ، والياء مع الآخر فيقال (يافرع ، ويا غرن) كالذى قبله حركة مجانسة وآخرون لا يجيزون ذلك لفقدان الحركة المجانسة لفظا وتقديرا .

وما يحذف منه كلمة برأسها فهو المركب المزجى ، وكذا مركب العدد ، والاسناد عند من أجاز ترخيمه فتقول في (معديكرب وحضرموت وبعلبك) ترخيما ، (يامعدى ، وياحضر ، ويابعل) ، وفي خمسة عشر وسبعة عشر ، علمين ، (يا خمسةَ ، وياسبعةَ) ، وتقول في تأبط شرا ، وبَرَقَ نَحْرُه ، (ياتأبط ، ويابَرَقَ) واذا رخم المركب الاسنادى على لغة التمام ، فان كان الباقي بعد حذف العجز جملة كما في تأبط ، حيث الفاعل فيه مستتر قدر الضم في آخره ، أما اذا كان فعلا فارغا من الضمير كما في نحو حضر من قولنا : حضر خالد مثلا اذ لا ضمير فيه بعد حذف الفاعل فيضم آخره ضم اعراب أو بناء ، فان انفصل

الخالي من الضمير اذا سمي به أعرب لفظا ، فاذا نودي ضم لفظا .

وأما مايحذف منه كلمة ومعها حرف فهو العدد اثنا عشر ، واثنتا عشرة ، علمين تقول في ترخيمهما (يا اثن ، ويا اثنت) بحذف عجزهما مع الألف قبله ، لأن العجز بمنزلة النون في اثنين واثنتين ، ولذلك لا يضاف اثنا عشر واثنتا عشرة كما يضاف ثلاثة عشر وأخواته .

كيف يضبط المرخم بعد ترخيمه :

الاسم المرخم له حالتان في ضبط آخره :

١ ـ الأولى : اذا نويت المحذوف للترخيم ، وتسمى هذه لغة من ينوي أو من ينتظر ففي هذه الحالة تبقى آخر الاسم على حركته قبل ترخيمه ، فتقول في ترخيم (حارث ، وجعفر ، ومنصور ، وقمطر) : (يا حار ، وياجعف ، ويا منص ، ويا قمط) بالكسر والفتح والضم والسكون ، ومنع الكوفيون ترخيم نحو قمطر ، وهزبر مما قبل آخره ساكن على هذه اللغة ، لما يلزمه عليه من عدم النظير في رأيهم ، وهو بقاء آخر الاسم المتمكن الصحيح الآخر ساكنا ، وهو غير موجود في لغة العرب ورد البصريون ذلك ، بأن المنوى تقديرا كالثابت لفظا فليس الساكن هو آخر حقيقة ، فان آخره هي الراء المحذوفة للترخيم وهي ثابتة تقديرا ، وكون الساكن آخرا لفظا لا محذور فيه .

ويستثنى من هذا الحكم مسألتان :

الأولى ما كان مدغما في المحذوف تاليا ألفا ، فانه ان كان له حركة أصلية حركته بها نحو (مُضَارٌ ومحاجٌّ) فتحركهما بالكسر ان قدرتهما اسمي فاعل وبالفتح ان قدرتهما اسمي مفعول ، ومثل (تُحاجٌّ) تقول فيه ترخيما : يا تحاج بالضم ، وان كان أصلى السكون مثل (اسحار) بوزن (أفعال) بمثلين مدغمين أولهما : ساكن لا يقبل الحركة حركته بالفتح فاذا رخم على هذه اللغة قيل فيه (أسحار) فتحركه بحركة أقرب متحرك اليه وهو الحاء ، والفتح متعين على هذه اللغة ، واختلف الناقلون عن سيبويه :

فنقل السيرافي عنه حتمية الفتح ، وذكر الشلوبين أنه يرجح الفتح ، ويجيز الكسر ، وروى عن الفراء أنه يكسر على أصل التقاء الساكنين ، ونقل بعضهم عنه أيضا انه يحذف كل ساكن يبقى بعد الآخر حتى يصل الى متحرك ، فعلى هذا يقال (يا أسح) .

المسألة الثانية : ما حذف لأجل واو الجمع نحو قاضون ومصطفون من جموع معتل اللام المنقوص والمقصور اذا سمي بهما فانه يرد ما حذف ، فيقال في ترخم هذا النوع يا قاضى ، ويا مصطفى برد الياء في الأول والألف في الثاني ، لزوال سبب الحذف ، وهو التقاء الساكنين .

الحالة الثانية :

ألاّ تنوى المحذوف من المرخم ، وفي هذه الحالة تجعله كالاسم التام الموضوع ابتداء على هذه الصيغة فيُعْطَى آخرهُ من البناء على الضم ومن الصحة والاعلال ما يستحقه لو كان آخرا بالوضع فتقول في (حارث

مع الترخيم

وجعفر ومنصور وقمطر) ، (يا حارُ ويا جعفُ، ويامنصُ ،وياقمط) وتسمى هذه لغة التمام أو لغة من لا ينتظر .

واذا كان ما قبل المحذوف حرف علة قدرت عليه الضمة على هذه اللغة ، فتقول فى ترخيم ناجته (يا ناجى) بالاسكان اذ هو علامة تقدير الضم ، واذا كان صحيحا مضموما تركت هذا الضم وأتيت بضمة حادثة للبناء غير ضمة الأول ، مثل : (منصُ ، وتحاجُ) .

على ذلك فاذا رَخَّمت (ثمود) علما على لغة من لا ينتظر تقول (ياثمو) بابقاء الواو على صورتها قبل الترخيم من غير ابدال لأنها ليست طرفا فى التقدير ، فان الحرف المحذوف بعدها فى حكم الملفوظ وتقول على لغة التمام أو من لا ينتظر : (ياثمى) بابدال الضمة كسرة والواو ياء لئلا يلزم عدم النظير ، وهو وجود اسم معرب آخره واو لازمة قبلها ضمة ، فخرج بالاسم الفعل نحو يدعو وجعله علما عارض ، وبالمعرب المبنى أصالة نحو (هُوَ وذُو) ، وما تجدد بناؤه بالنداء فى حكم المعرب وبالضم نحو دلو فما قبل الواو ساكن ، وباللزوم نحو ، أبو سعيد وأخو كرم فالواو ليست لازمة فتصير ألفا فى النصب ، وياء فى الجر ، ونحو « هزو » بابدال الهمزة واوا فانه يصح ارجاعها همزة على الأصل فليست الواوفيه لازمة .

وتقول فى ترخيم صـميان وكَرَوان على الوجه الأول (ياصمى ، وياكرو) بفتح الياء والواو لتقديرهما من حشو الكلمة حكما ،

وعلى الوجه الثانى نقول (ياصما ، وياكرا) بقلب الياء والواو ألفا لتحركهما وانفتاح ما قبلهما مع عدم المانع ، وهو وجود ساكن بعدهما .

ونقول فى ترخيم ، سقاية ، وعلاوة على الأول (يا سقايَ ، وياعلاوَ) بفتح الياء والواو فيهما (وعلى الثانى (ياسقاءُ ويا علاءُ) بقلب الياء والواو همزة لتطرفهما اثر ألف زائدة ، كما قلبت الياء والواو همزة فى (رشاء ، وكساء) أصلهما : رشايٌ وكساوٌ .

وتقول فى ترخيم (ذات) علما على الأول (ياذَا) ، وعلى الثانى (ياذَوَا) برد اللام المحذوفة وهى اما ياء أو ، واو على خلاف فى هذا ، وقلبها ألفا ، وارجاع عين الكلمة لأصلها وهو الواو .

وتقول فى ترخيم سفيرج ، تصغير سفرجل (ياسُفَيْرِ) على الأول ، (ويا سُفَيْرُ) على الثانى .

التزام الوجه الأول فى الترخيم وبواعثه

يتعين التزام الوجه الأول ، وهو لغة من ينوى المحذوف ، فى الترخيم ، فى كل ما يوهم تقدير تمامه خلاف المراد ، كتذكير المؤنث أو نداء مذكر غير مرخم ، كما فى (مسلمة وحارثة) لمذكر أو المؤنث ، فلا يجوز ترخيمهما على لغة التمام لايهامه تذكير المؤنث ان كانا لمؤنث أو نداء مذكر دون ترخيم ان كانا لمذكر ، ومثل حفصة علم المؤنث فلا يرخم على لغة التمام لايهام تذكير المؤنث ، وكالمؤنث بالتاء علما المؤنث بالألف المقصورة مثل

(سَلْمَى ، لُبْنى ، سليمى) فيتبين ترخيمها على لغة الانتظار ، تقول (ياسلم ، ويالبن ويا سليم) بفتح الآخر فيها على نية المحذوف ، ولا يجوز ترخيمها على لغة التمام لايهام تذكير المؤنث ، أو نداء مذكر خال من الترخيم ، ويعطى حكم ما سلف في التزام الوجه الأول كل ما كانت التاء فيه للفرق بين المذكر والمؤنث كما مر ، أما ما ليست التاء فيه للفرق مثل (حمزة ، وطلحة وأسامة ، ومسلمة بفتح الميم ، وهمزة) فيجوز فيه الوجهان . فترخم على الأول بفتح الحرف الأخير فيها جميعا ، وعلى التمام بضمه فيها جميعا كذلك .

وكل موضع وجدت قرينة لفظية أو معنوية تزيل اللبس جاز فيه الترخيم على الانتظار . وعلى التمام مثل (سليمان) تقول فيه (يا سليمُ) بحذف الآخر والذى قبله ، اذ استوفى شروط الحذف ، وفتح الميم على لغة الانتظار ، أو ضمها على لغة التمام حيث لا لبس حينئذ .

بخلاف نحو (عُلَيَّان) علم رجل (وَسَعْدَان) كذلك ، فيتعين في ترخيمهما التزام الوجه الأول فتقول فيهما (ياعَلِيَّ) ، (ويا سعدَ) بفتح الآخر فيهما ، ولايصح الترخيم فيهما على لغة التمام بضم الياء ، والدال لايهام نداء علم مفرد لا ترخيم فيه .

وعلى هذا القياس فانه يمتنع الترخيم على الوجهين : الانتظار ، والتمام ، اذا وقع اللبس بكل منهما ، فيمتنع ترخيم نحو فتاة رأسا فانه يلتبس بنداء (فتىً) غير مرخم على كلا الوجهين .

ترخيم غير المنادى

يجوز ترخيم غير المنادى بشروط ثلاثه :

أحدها : أن يكون ذلك في الضرورة فلا يجوز في السعة ثانيها : أن يصلح الأسم المراد ترخيمه لمباشرة حرف النداء نحو أسلم وأكرم وعنتر وصالح وهود فلا يجوز في نحو الصاحب والعالم والامام والأمين من كل ما فيه (أل) لعدم صلاحيته لمباشرة حرف النداء وقد خطىء من جعل من ترخيم الضرورة قوله : أو ألفا مكة من ورق الحمى بفتح الحاء وكسر الميم وأصله الحمام بالتخفيف ، فحذف الميم الثانية ، وكسر الميم الأولى للقافية ، فقلبت الألف باء .

ثالثها : أن يكون اما زائدا على ثلاثة أحرف أو مختوما بتاء التأنيث ، ولا يشترط فيه العلمية ولا خصوص التأنيث بالتاء ، بل الشرط : اما التأنيث بالتاء واما الزيادة على ثلاثة أحرف ولهذا يقع في النكرات ، كقوله : ليس حيٌّ على المنون بِخَالِ ، أى بخالدِ .

وهذا النوع من الترخيم جائز على اللغتين : لغة الانتظار ، ولغة التمام ، وهو على الثانية مجمع عليه مثل قوله :

لنعم الفتى تعشو الى ضوء ناره
طريف بن مالِ ليلة الجوع والخَصَرِ

أراد : طريف بن مالك فحذف الكاف للترخيم وجعل ما بقى من الاسم بمنزلة اسم

تام لم يحذف منه شيء وزنه وأما على لغة من ينتظر فمنعه قوم وأجازه آخرون ، واستدل المجيزون بقوله : ان ابن حارث ان اشتق لرؤيته أمله ابن حارثة ، فرخمه بحذف التاء لضرورة الوزن وأبقى ما قبلها مفتوحا على لغة من ينتظر .

أحكام خاصة بما فيه تاء التأنيث

انفرد المرخم المختوم بتاء التأنيث بعدة أحكام منها :

١ ـ أنه لا يشترط فيه العلمية ، بل مطلق التعريف فيه ولو بالقصد ، ولهذا ساغ ترخيم النكرة المقصودة .

٢ ـ ولا يشترط زيادته على ثلاثة أحرف ، بل متى بلغ الثلاثة فأكثر جاز ترخيمه .

٣ ـ أنه لا يحذف منه شيء بعد حذف التاء ولو زاد على الثلاثة ، لأن تاء التأنيث في حكم كلمة مستقلة منفصلة عما قبلها .

٤ ـ أنه لا يرخم إلا على نية المحذوف غالبا ، خوف اللبس بنداء مذكر أو نداء مذكر لا ترخيم فيه فإذا لم يخش اللبس جاز ترخيمه على لغة التمام ، وهذا يأتي في كل ما كانت التاء فيه ليست فارقا بين المذكر والمؤنث مثل (عُمَرَة ، وسَلَمَة ، وحمزة ، وطلحة وأسامة) تقول في ترخيمها (يا عمرُ ، ويا سَلَمُ ، ويا حمزُ ويا طلحُ ، ويا أسامُ) بالضم فيها جميعا على لغة من لا ينتظر حيث لا لبس حينئذ .

٥ ـ أن نداءه مرخما أكثر من ندائه تاما بغير ترخيم ، وقد شاركه في هذا الحكم الأخير بضع كلمات منها : مالك وعامر وحارث ، لكثرة استعمالها في النداء واختص ما فيه التاء بغلبة ندائه مرخما بأنه لا يتوقف على كثرة الاستعمال ، بل متى نودي مافيه التاء فإنه ينادى مرخما في أكثر الأحوال ، بخلاف مشاركة في حكمه هذا من الألفاظ آنفة الذكر فإن علة علة الترخيم فيها هو كثرة استعمالها في النداء ، وذلك هو الفرق بين النوعين .

أحمد حسن عبد العواض



البلاغة

بين الطبع والصنعة



للدكتور فتحي فريد

الحمد لله الذي علّم بالقلم · علّم الانسان ما لم يعلم · والصلاة والسلام على المؤيّد بالقرآن سيدنا محمد بن عبد الله أفصح الناطقين بلغة القران وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ·

وبعد

فقد تعدّدت اتّجاهات الداعين الى تجديد بلاغتنا العربية وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ، وسلكوا طرائق قددا كان بعضها معقولا وكثيرها متجاوزًا حدّ العقل ·

ونرجو أن تكون هذه الصّفحات فى خدمة بلاغتنا من الصّنف الأوّل الذى لا يبلغ درجة الغُلوّ فى حكمه ، ولا يقضى بسرعة على جهود أعلام وفِكْر أجيال ·

وقد وُضعت تلك الصفحات تحت عنوان : « البلاغة بين الطّبْع والصّنعة » وجاءت فى : تمهيد وأربعة فصول وخاتمة ·

عرض التمهيد لما جاء فى كلام « سعد الدين التفتازانى » من عدم اقتدار كثير من علماء البلاغة على تأليف كلام بليغ محدّدًا عددًا من مكوّنات البلاغة توضّح السبب فى ذلك وهى نشأة البلاغة ، ومنناها ، وأهدافها ، وآلاتها ·

وتحدّث الفصل الأول عن : نشأة البلاغة وتطوّرها وأثر الطّبْع فى مرحلة النضج

البلاغة
بين الطبع والصنعة

والازدهار ، وفى مرحلة القواعد .

وتحدّث الفصل الثانى عن : معنى البلاغة مبينا أن بلاغة الأدباء كانت أقرب ما تكون من معنى البلاغة لاعتمادها على الطَّبْع .

وتحدث الفصل الثالث عن الهدف من دراسة البلاغة الدينى والأدبى والنقدى موضحا أن بلاغة الأدباء التى اعتمدت على الطبع كانت أكثر تحقيقا للأهداف السابقة من بلاغة المتأخرين التى تحقق الهدف الدينى وهو الوقوف على سمات النظم القرآنى وتذوق أسرار بلاغته وبعضا من الهدف النقدى ، وتقصر عن بلوغ الهدف الأدبى .

وتحدث الفصل الرابع عن : آلات البلاغة موضحا أن هناك فرقا كبيرا بين البلاغة ككلام بليغ وبينها كقواعد وضوابط من جهة آلات البلاغة ، حيث تعتمد الأولى على الطبع الموهوب والثقافة المكتسبة ، وتعتمد الثانية على دراسة علوم اللغة مع الذّوق والحسّ .

وتحدثت الخاتمة عن أن بلاغة المتأخّرين تمثل روح عصر وفكر جيل وأنها يمكن أن تنتج أطيب الثمار لو مزجت ببلاغة المتقدمين الأدباء ــ وأن ذلك أفضل سبيل لتجديد البلاغة وإصلاحها ؛ لجمعه بين العلم والفن ، وبين العقل والذوق .

. « وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب » .

تمهيد

يقول « سعد الدين التفتازانى » فى مطوله وفى خاتمة كلامه على الفصاحة والبلاغة :

« فإن قيل : ليست البلاغة سوى المطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة وعلم البلاغة كافل بإتمام هذين الأمرين فمن أتقنه وأحاط به لم لا يجوز له أن يراعيهما حق الرعاية فيأتى بكلام هو فى الطرف الأعلى من البلاغة ولو بمقدار أقصر سورة ؟ قلنا : لايعرف بهذا العلم إلا أن هذه الحال تقتضى ذلك الاعتبار مثلا ، وأما الاطلاع على كمية الأحوال وكيفيتها ورعاية الاعتبارات بحسب المقامات فأمر آخر ، ولو سلم فإمكان الاحاطة بهذا العلم لغير علام الغيوب ممنوع ، وكثيرا من مهرة هذا الفن تراه لا يقتدر على تأليف كلام بليغ فضلا عما هو فى الطرف الأعلى » (1) .

ويمكننا بشىء من التأمل فى جواب « سعد الدين التفتازانى » على السؤال المفترض السابق أن نستخلص عددا من الأحكام منها :

١ ــ أن مسائل البلاغة فى علومها الثلاثة : المعانى والبيان والبديع لا تزيد عن كونها مقاييس يستعين بها الناقد فى أداء مهمته حول النص الأدبى ــ فهذه حال تستدعى التعريف ، وتلك أخرى تستدعى التنكير وهناك

(١) سعد الدين التفتازانى : المطوّل على التلخيص ص : ٢٠ . ط احمد كامل ١٣٣٠ هـ .

ثالثة تستدعي التجرد من التوكيد ، ورابعة يلزمها التوكيد على نحو ما روى الأصمعي :

« كان أبو عمرو بن العلا وخلف الأحمر يأتيان بشارا فيسلمان عليه بغاية الاعظام ، ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدثت ؟

فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له ، حتى يأتي وقت الزوال ، ثم ينصرفان ، فأتياه يوما ، فقالا :

ما هذه القصيدة التي أحدثتها في « ابن قتيبة » ؟ قال : هي التي بلغتكما — قالا : بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب . قال : نعم ، ان « قتيبة » يتباصر بالغريب ، فأحببت أن أورد عليه مالا يعرف ، قالا : فأنشدناها يا أبا معاذ فأنشدهما :

بكّرا صاحِبيّ قبل الهجير
ان ذاك النجاحَ في التّبكير (١)

حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان — ان ذاك النجاح — بكرا فالنجاح ، كان أحسن ، فقال بشار : انما بنيتها أعرابية وحشية — فقلت : ان ذاك النجاح — كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت : بكّرا فالنجاح كان هذا من كلام المولّدين ولا يشبه ذلك الكلام (٢) ،ولا يدخل في معنى القصيدة ، قال : فقام خلف فقبّل بين عينيه » ، وعلّق صاحب الايضاح على

(١) الهجير : من الزوال الى العصر ، أو شدة الحر ، وقد اكد الشطر الثاني بان لتقدم ما يشير اليه في الشطر الأول فنزل غير السائل منزلة السائل وأخرج الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال .

(٢) لأنه ليس فيه من دقة الاشارة الى تنزيل غير السائل بمنزلة السائل كما في قوله : « ان ذاك النجاح » .

ذلك بقوله : « فهل كان ما جَرى بين خلف وبشّار بمحضر من ابى عمرو بن العلاء وهم من فحولة هذا الفن الا للطف المعنى لذلك وخفائه » (٣) .

٢ — أن تأليف كلام يتلاءم مع المقامات المناسبة له تمام الملاءمة بدون زيادة ولا نقصان عمل بالغ الصعوبة ان لم يكن مستحيلا .

٣ — أنه على فرض امكان حصول ما سبق من تأليفكلام بليغ متناسب مع المقام الذى قيل فيه من جميع الوجوه فان البلاغة التي تعد الوجه الأساسي لاعجاز القرآن والسمة العامة المميزة له لا يحيط بها من كل جهاتها ومن جميع جوانبها الا المولى جلّ وعلا .

٤ — ان كثيرا من علماء البلاغة المحيطين بأسرارها لا يستطيعون تأليف كلام يمكن وصفه بالبلاغة .

ويعنينا في مقامنا هذا من الأحكام السابقة التى استخلصناها من مقولة « سعد الدين التفتازاني » الحكم الرابع الذى يؤيده الواقع ويؤكده الحاصل من عدم مشاركة كثير من علماء البلاغة والباحثين فيها والدارسين لها في صنع الأدب وتأليف البليغ من القول شعرا ونثرا كتابة أو حديثا لعدم تمكنهم منذلك — وبالتأمل في الحكم السابق يثور بخاطرنا ذلك السؤال :

لماذا لا يتمكن كثير من علماء البلاغة والباحثين فيها والدارسين لها من الاسهام في مجال الأدب الذي يعد حقل البلاغة وميدانها الذي تروح وتغدو فيه ؟

(٣) عبد المتعال الصعيدي — بغية الايضاح ١ : ٤٨ ، ٤٩ ط سادسة مكتبة الآداب — مصر .

بين الطبع والصنعة

هذا ونستطيع المشور على اجابة ذلك السؤال لو اننا القينا نظرة حول هذه المكونات الأربع لبلاغتنا العربية .

اولا : نشأتها وتطوّرها .

ثانيا : معناها وتعريفاتها .

ثالثا : الهدف من دراستها .

رابعا : آلاتها وسبل تحصيلها .

الفصل الأول
نشأة البلاغة وتطوّرها

لا يوجد اختلاف بين البلاغيين والنقاد على أن البلاغة نشأت أول الأمر فطرية بساذجة لم يدرسها العرب في كتب ولم يتلقوها عن أستاذ ، وانما كانت لهم بفطرتهم الصافية وسليقتهم العربية الخالصة ، وأكد ذلك ما نقلته الينا كتب الأدب والنقد ــ فمن ذلك ما يروى عن طرفة من أنه استمع وهو لا يزال غلاما الى المسيب بن على ينشد احدى قصائده وقد ألم فيها بوصف بعيره على هذا النحو :

وقد أتناسى الهمّ عند ادّكاره
بناجٍ عليه الصيعريّة مكدمِ (١)

فقال طرفة : استنوق الجمل .

وما يروى من أن « النابغة الذبياني » كان يُقوى في شعره (٢) .

وتصادف أن قدم المدينة فعاب أهلها ذلك عليه ، وقالوا لجارية رتلى في قوله :

امن آل ميّة رائحٌ او مغتدِ
عجلان ذا زادٍ وغيرَ مزوّدِ (٣)
زعم البوارحُ أن رحلتنا غدًا
وبذاك خبّرنا الغرابُ الأسودُ (٤)

فلما مدّت صوتها بقافية البيتين أحس ما بهما من نشاذ ، ولم يلبث أن غير الروى المضموم فقال : وبذاك تنعاب الغراب الأسود .

ومن ذلك الأسطورة التى تزعم أن امرأ القيس وعلقمة بن عبدة تنازعا في الشعر أيهما أشعر ، واحتكما الى أم جندب زوجة امرىء القيس ، ولعلها كانت شاعرة ، فقالت : لينظم كل منكما قصيدة يصف فرسه فيها ، ولتلتزما وزنا واحدا وقافية واحدة فصنع كل منهما قصيدة بائية من وزن الطويل ، وأنشداها القصيدتين ، فقالت لزوجها : علقمة أشعر منك ، قال : وكيف ؟ قالت : لأنك قلت :

فللسّوط ألهوبٌ وللسّاق درّةٌ
وللزّجر منه وقعُ أخرج مهذب (٥)

فجهدت فرسك بسوطك في زجرك ومريته فأتعبته بساقك ، وقال علقمة :

فأدركهن ثانيا من عنانه
يمرّ كمرّ الرّائح المتحلّب (٦)

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه لم يضربه بسوط ولم يتعبه (٧) .

---

(١) الناجى : البعير السريع في سيره ــ ومكدم : من الكدمة وهى الوشم والصيعرية : سمة خاصّة بالنوق لا بالجمال ، وتكون في اعناق النوق .

(٢) الاقواء : المخالفة بين حركات الروى في القصيدة .

(٣) اراد النابغة بالزاد هنا : التوديع والتسليم

(٤) البوارح : طيور كانوا يتطيرون بها ، ومثلها الغراب .

(٥) الألهوب : اجتهاد الفرس في عدوه وكذلك الدرة ــ والأخرج : ذكر النعام وهو الظليم ــ ومهذب : مسرع .

(٦) الرائح : سحاب العشى ــ المتحلب : المتساقط .

(٧) د . شوقى ضيف ــ النقد ص : ٢٠،١٩ ط ثانية ــ دار المعارف عام ١٩٦٤ م .

وقريب مما سبق في عدم الاكتفاء بالتأثر استحسانا أو استهجانا وسوق الدليل والعلة على هذا التأثير ما يروى كذلك من أن النابغة كان يجلس في سوق عكاظ يحكم بين الشعراء في قبته الحمراء من الجلد ، فأنشده الأعشى والخنساء وحسان ، فقال للخنساء : لولا أن « أبا بصير — يعني الاعشى أنشدني لقلت : انك أشعر الجن والانس — فالأعشى عند النابغة أشعر — وتليه الخنساء — ثم يليها حسان — ويقال : ان حسانا سأل عما جعله يتخلّف عن الخنساء ، فقال النابغة يعلل هذا — أو قالت الخنساء نقدا لبيته :

لنا الجفنـاتُ الغـرّ يَلْمعن بالضُّحى
وأسـيافنا يقطرن من نجـدة دمـا

قلت : « الجفنات » وهو جمع قلة ، ولو قلت : « الجفان » لكان أفضل — وقلت : « يلمعن » واللمعان يختفي ويظهر ، ولو قلت : « يشرقن » لكان أفضل ، وقلت : « بالضحى » وكل شيء في الضحى يلمع — ولو قلت : « بالدجى » لكان أفضل ، وقلت : « يقطرن » ولو قلت : « يجرين » لكان أفضل (١) .

وتدلنا تلك النماذج على أن البلاغة في ذلك العصر الجاهلي كانت تأخذ مظهرين عامين : مظهرا يشترك فيه العرب جميعا حين يستمعون الى شعر شاعر فيقدرونه ويطربون له ، ويتقدم الشراقهم وأمراؤهم فيجيزون اصحابه وهم في ذلك انما يرجعون الى ذوق أدبي راق ، ومظهرا ثانيا مقصورا على الاخصائيين من الشعراء الذين كانوا لا يكتفون باظهار الاعجاب أو السخط ، وانما يعمدون الى ابداء الملاحظات والاراء على ما يسمعون اما من تلاميذهم ان كانوا معلمين ، واما من عامة الشعراء ان كانوا نقّادًا محكّمين (٢) .

(١) سيد قطب — النقد الادبي اصوله ومناهجه ص : ١١٦ ط رابعة ١٩٦٦ .

(٢) د شوقي ضيف — النقد ص : ٢٢ ط ثانية — ويستشهد بالنماذج السابقة عدد من النقاد والبلاغيين المعاصرين على نشأة النقد الفطرية الساذجة — وعلى امتزاج النقد بالبلاغة عند النشأة — والباحث لا يرى فرقا بين البلاغة والنقد في أي دور من الادوار ولا في اى عصر من عصور ثقافتنا العربية — فقد نشأ معا ، وتطورا معا ، ويضطلعان بمهمة واحدة ، وهى تقويم الاساليب وتقييمها ، والراجح أن ما ذهب اليه بعض النقاد من تحول النقد الى بلاغة في كتاب « الصناعتين » لأبي هلال العسكري ، بالنظر الى ما كان معروفا من وضوح الروح الأدبية في اثار البلاغيين والنقاد المتقدمين ، أو بالحكم على تجربة معينة عاشها النقاد مع الادب الخالص كتجربة كل من الامدى وعلي بن عبد العزيز الجرجاني .

فلما اضمحلت الروح الادبية في كتب البلاغة ، ولم تعد دراسة البلاغة من خلال موقف ادبي معين قيل : ان النقد تحول الى بلاغة .

ويزيدني اقتناعا بعدم الفصل بينهما غير ما سبق ، أن عمل الناقد لا يتميز بشيء يجعله يستاهل ان يكون عملا آخر غير عمل البلاغي ، ويشهد على ذلك تراث البلاغة في كل عصورها حتى في طورها المتأخر الذى قسمت فيه الى علومها الثلاثة — حيث تعد مقاييس البلاغة آلة من الآلات الهامة التى يتعامل بها الناقد مع النص الادبي — وكل من البلاغة والنقد يتعلق بموضوع واحد وهو الادب .

ومن يتأمل مناهج النقد الثلاثة : الفني الذى يعتمد على اللغة : نحوها وصرفها وبلاغتها — والتاريخي الذى يهتم ببحث العلاقة بين الاديب والمجتمع والعصر الذى يعيش فيه وتأثير كل منهما في الآخر — والنفسي الذى يقوم على بحث علاقة النص بنفسية صاحبه وبنفسية المتلقي المهم — من يتأمل الدور الذى تؤديه كل من تلك المناهج لا يحوله ادنى فرق بين البلاغة والنقد . وعلى هذا فان عددا من نظريات نقدنا الحديث يمكن ردها الى اصول لها في بلاغتنا المتقدمة .

راجع ذلك مفصلا في كتابنا : المدخل الى دراسة البلاغة ص : ٥٠ وما بعدها ط اولى ١٩٧٨ م — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة .

البلاغة
بين الطبع والصنعة

ويجيء الاسلام ومعه معجزته الكبرى : القرآن الكريم الذي كان له الأثر الكبير باعجازه اللغوي والبلاغي في تغيير معتقدات الناس وسلوكهم فأقبلوا يعتنقون الدين الجديد ووقفوا ببلاغتهم الفطرية مبهورين امام بلاغة القرآن العالية التي كان مثار دهشتهم لها أنها تألفت من حروف وكلمات اللغة التي استقامت لهم وجرت على ألسنتهم لكن في تراكيب لم يألفوها وأساليب لم يعهدوها ، ويعبر عن هذه الدهشة وذلك الانبهار تعبيرا يعبر في الوقت نفسه عن بلاغة العرب الفطرية التي لم تكن عرفت المصطلحات بعد طريقها اليها قول الوليد بن المغيرة المخزومي لبني مخزوم بعد أن استمع الى آيات من سورة « حم » « فصلت » من الرسول صلى الله عليه وسلم : « والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ، ولا من كلام الجن ، ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق ، وانه يعلو ولا يعلى عليه » (١) ٠

ويذكر الباحثون في تاريخ البلاغة أن كتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المثنى » المتوفى سنة ٢٠٨ هـ يعد أول مؤلف في البلاغة وقد ألفه عقب سؤاله عن سر بلاغي يتحقق بالتحدي آيات القرآن الكريم وهي قوله تعالى : « طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ » (٢) ٠

في تشبيه طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين التي لم يرها الناس قط ، وانما يقع الوعد والايعاد بما عرف مثله ، فذكر « أبو عبيدة » في بيان السر في ذلك : ان الله عز وجل يأتي في هذا بكلامه على طريقة العرب في كلامهم مثل قول امرىء القيس :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ، ولكن لما كان أمر الغول يهولهم أو عدوا به (٣) — ويقول « أبو عبيدة » : « فاستحسن الفضل ذلك (٤) ، واستحسنه السائل ، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتابا في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج اليه من علمه ، فلما رجعت الى البصرة عملت كتابي الذي سميته : المجاز في القرآن » (٥) ٠

(١) محمد عبد الخالق عضيمة — مجلة كلية اللغة العربية بالرياض —
العدد التاسع : ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م — وفي رواية أن « عتبة بن ربيعة » ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ليحدثه فيما جاء به من خلاف قومه ، فتلا عليه الرسول عليه الصلاة والسلام : « حم فصلت » الى قوله تعالى : « صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فأمسك « عتبة » بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف ، وفي رواية : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة فسمع ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما ، حتى انتهى الى السجدة فسجد ، وقام عتبة لا يدري بم يراجعه ، ورجع الى أهله ، ولم يخرج الى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال : والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط ، فما رديت ما أقول له .
انظر : القاضي عياض — اعجاز القرآن ص : ١٢٠ ، ١٢١ ط أولى ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م و — الخطابي : بيان اعجاز القرآن ص : ٩٢ — ٩٤ ط أولى ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م مصر ٠

(٢) سورة الصافات : ٦٥ — الضمير في (طلعها) يعود الى شجرة الزقوم ، والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها — وقد شبه طلع شجرة الزقوم : برءوس الشياطين ، دلالة على تناهيه في الكراهة ،

ولم يكن يقصد « أبو عبيدة » بكلمة « المجاز » في « مجاز القرآن » المعنى البلاغي الذي عرفه علماء البلاغة فيما بعد ، وهو استعمال اللفظ أو التركيب في غير المعنى الذي وضعته له العرب لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الأصلي في المجاز اللغوي ، أو اسناد الشيء الى ما ليس حقه أن يسند اليه في المجاز العقلي أو الاسنادي — بل ان « أبا عبيدة » اطلق لفظ المجاز وأراد به معناه الواسع الذي عرفه من الوضع اللغوي ، وهو المعبر والممر والطريق — فكان معنى « مجاز القرآن » طريق الوصول الى فهم المعاني القرآنية ، يستوي عنده أن يكون طريق ذلك تفسير الكلمات اللغوية التي تحتاج الى تفسير بالجملة الشارحة ، أو بالمرادف المفسر من المفردات ، وما كان عن طريق الحقيقة بمعناها ، أو طريق المجاز بمعناه عند البلاغيين (٦) .

وجاءت مؤلفات العلماء بعد ذلك في اللغة والأدب تحمل في ثناياها أسرارا بلاغية ممتزجة باللغة والأدب كما في « الكتاب لسيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ ، والبيان والتبيين للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، والكامل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ .

واذا كان علماء البلاغة لا يختلفون على أن كتاب « البديع لعبد الله بن المعتز » يمثل أول تأليف مقنن في البلاغة حيث تحدث فيه صاحبه عن سبعة عشر فنا من فنون البلاغة فانهم يتفقون على أن القرن الرابع يعد أزهى فترة في حياة بلاغتنا العربية حيث تناول البلاغة بالتأليف أدباء أصحاب طبع أدبي وحس بلاغي وذوق عربي صاف ، فكانت البلاغة في مؤلفات أعلام هذه الفترة ممتزجة بالأدب وصادرة عن ذوق مما يكسب دارسيها ذوقا بلاغيا وحسا أدبيا ونقديا على نحو ما نقف عليه في « عيار الشعر لابن طباطبا المتوفى سنة ٣٢٢ هـ » ، « ونقد الشعر لقدامة ابن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ هـ » — و « الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي المتوفى سنة ٣٧١ هـ » ، و « الوساطة بين المتنبي وخصومه لعلي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ » ، و « الصناعتين لأبي هلال العسكري المتوفى

وقبح المنظر ، وذلك لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس ، لاعتقادهم انه شر محض لا يخالطه خير .. وهذا التشبيه وهمي ؛ لانه لا وجود لرأس الشيطان الا في الأوهام ، ومن هنا كان معدا غريبا ، الا لاسرية في بُعد الشيء من العيون على أن يكون وجوده معدوما أصلا حتى لا يتصور الا في الوهم . د . أحمد موسى — البلاغة التطبيقية ص : ٥٤ ، ٥٥ ط أولى ١٩٦٢ مطبعة المعرفة .

(٣) شبه السهام ، أو الرماح المسنونة ، بأنياب الأغوال في الحدة ، وهو تشبيه بعيد غريب لأن المشبه به يندر حضوره الى الذهن مطلقا وعلى أي حال ، لانه أمر وهمي « البلاغة التطبيقية ص : ٥٤ .

(٤) هو الفضل بن الربيع وزير الرشيد .

(٥) أحمد مصطفى المراغي — تاريخ علوم البلاغة ص : ٦٣ — ٦٥ ط أولى ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م .

(٦) د . بدوي طبانه — البيان العربي ص : ٢١ ، ٢٢ .
ط خامسة — بيروت ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

البلاغة

بين الطبع والصنعة

سنة ٣٩٥ هـ » .

كما لا يختلف البلاغيون على أن البلاغة بلغت رشدها وحققت أسمى غاياتها في كتابي « عبد القاهر الجرجاني » « دلائل الإعجاز » « وأسرار البلاغة » حيث جمع فيهما بين العلم والذوق واستعان بأحدهما على الآخر ، فهو في تحليله للشواهد والأمثلة إنما يأخذ بأيدينا ليقفنا على الجمال بشعورنا وإحساسنا . ثم يأخذ بأيدينا ثانية ليقنعنا بصدق شعورنا واحساسنا بالجمال ، اقناع العقل والمنطق بعد اقناع الشعور والاحساس ، واطمئنان النفس والقلب (١) .

وحيث بلغت البلاغة قمة ازدهارها على يد « عبد القاهر » أدبا وذوقاً وعلماً ، فإن عهداً من الاضمحلال أخذت تمضي فيه على يد علماء غير أدباء — ركزوا همهم في جمع قواعدها وتحديد مصطلحاتها على حساب النص العربي والذوق الادبي وقد بدأت هذه المرحلة « بنهاية الايجاز في دراية الاعجاز للرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ » ، وبلغت غايتها في « مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ » — الذي جرى الدرس البلاغي في فلكه فترة من الزمن غير قصيرة ، ويصور أحد الباحثين المعاصرين آثار تلك المرحلة على الأذواق والملكات ويواعث ذلك بقوله : « ومضت سنون ، وخلف بعد علماء البلاغة البلغاء خلف أضاعوا الاصالة ، ولم يدركوا مكانة الذوق والحس في البلاغة .. كان معظم هؤلاء من علماء البلاغة ، ولكنهم لم يكونوا بلغاء في أنفسهم ، لم يكونوا متذوقين ولا قادرين على اشعارنا بمواطن الجمال اذا هم تذوقوها ، فجردوا من اثار سلفهم ما يتصل بالأحكام والقواعد ، ثم صنفوا ذلك مستعينين عليه كل بحسب ثقافته بالفلسفة والكلام والمنطق ، وفرعوا وقسموا حتى جاءت البلاغة على أيديهم خالية في معظم الأحيان

(١) د . مازن المبارك — الموجز في تاريخ البلاغة ص : ١٠٢ .
ط ثانية — دار الفكر — دمشق ١٤٠٠ هـ — ١٩٧٩ م — ويحدثنا المرحوم الشيخ احمد مصطفى المراغي عن فضل « عبد القاهر » على البلاغة في كلامه على الطور الثاني منها الذي يمثله : عبد القاهر والزمخشري وابن الاثير فيقول : « يبتدىء هذا الطور بأبي بكر عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ الذي جمع متفرقات هذا العلم ، واقام بناءها على أسس متينة .. وأملى فيه كتابيه « أسرار البلاغة ، دلائل الاعجاز ، — واحكم بناءها بضرب الامثلة والشواهد ، مع التحقيق العلمي البديع الذي حاكه بلسان عربي مبين ، وقرن فيهما بين وضع القواعد الفنية ، وصوغها بالاساليب الادبية ، لجمع بين العلم والعمل ، اذ هو جد عليم بأن مسائل الفنون ان لم تؤيد بالامثلة والشواهد لاتتضح حق الوضوح ، ولا تمثل في الاذهان تمام التمثيل .
وفي الحق ان كتابيه يعدان اول المؤلفات العلمية في هذه الفنون بما اشتملا عليه من تحقيق علمي للمباحث التي عرض لها ، مع اسلوب ادبي لم يمحه ذلك الملح المنطقي الذي خلط به كلامه ، ولم يطغ على اسلوبه كما طغى على اساليب المؤلفين بعده .. كذلك من الحق أن نقول : ان « عبد القاهر » بوضعه هذين الكتابين انشأ منه البيان كاملا ، كما فعل « سيبويه » في الكتاب اذ أوجد به النحو كاملا ، وفعل الخليل من قبل ، اذ اوجد العروض علما تاما ، وكل من جاء بعد عبد القاهر فمن نور علمه قبس ، ومن ينبوع بحره اغترف ، وما زيد بعده من المسائل فقشور لا يضير العالم تركها .
احمد مصطفى المراغي — تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص : ٢٠ ط اولى ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م الحلبي .

مما به كانت بلاغة ــ جاءت مجردة من أسباب الحياة ، جافة لا روح فيها ، معقدة لا بيان يوضحها ، مقيدة بالحدود ، واذا هي غادرتها الى جدل فلسفي لا أثر للبلاغة الحية فيه ، وكان مما زاد في اساءتهم الى البلاغة اسهام أدباء عصورهم بما أمدوهم به من أدب هزيل ، وذوق سقيم ــ كانت البلاغة فنا يدرك بالحس الجمالي ، أو كانت جمالا يدرك بالذوق ، فأصبحت على أيديهم أحكاما أو معارف صاغوها في حدود وتعريفات .. لقد ابتدأ « الفخر الرازي » بتلخيص كتب الجرجاني تلخيصا أخذ يبتعد بالبلاغة عن النصوص ، ويقترب بها من الحدود والقوانين ، والأحكام والقواعد ، ثم استكملت تقعيدها على يد « السكاكي » في كتابه « مفتاح العلوم » ... ولم يكن العلماء الذين جاءوا بعد السكاكي أقل منا شعورا بما في كتابه من تعقيد ، لذلك فقد بادروا اليه يشرحونه ويوضحونه ما استغلق منه ، الا أن هؤلاء العلماء كانوا متأثرين بأصل الكتاب وبمنهج صاحبه كما كان كل منهم متأثرا بثقافته الخاصة وطبيعتها فكان منهم الفقيه ، ومنهم المتكلم ، ومنهم النحوي ، وقد ظهر أثر ذلك كله في شروحهم وتعليقاتهم ، وبقي « مفتاح العلوم » محورا للتأليف البلاغي ، فظهر حوله عدد كبير من كتب الشرح والايضاح والتلخيص والتهذيب » (١) .

وندرك من خلال الجولة السريعة السابقة مع نشأة البلاغة وتطورها أن الطبع يقف وراء وصف كل مرحلة من مراحل البلاغة بما اتصفت به من : الذوق والفطرة مع التعليل أحيانا بعبارات موجزة ــ الى النضج الأدبي والبلاغي في مرحلة الجمع بين العلم والذوق ــ ثم في مرحلة القواعد الخالصة غير المدعّمة بالأدب والذوق .

الفصل الثاني
معنى البلاغة وتعريفاتها

إذا كان الطبع الأدبي والحس البلاغي يمثل المكون الأول لمراحل البلاغة السابقة حضورا وغيبة كما رأينا فانه يعد أيضا مكونا أساسيا في معنى البلاغة وما ذكر من تعريفات لها عند المتقدمين والمتأخرين .

فقد عرفها « أبو هلال العسكري » من المتقدمين بأنها كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن (٢) .

وعرّفها « عبد القاهر » مع الفصاحة والبيان والبراعة وما يشاكلها من ألفاظ مترادفة تدل على معنى واحد بأنها : «وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين ، وآنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس ، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب ، وأولى بأن تطلق لسان الحامد ، وتطيل رغم الحاسد ، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به ، وأكشف عنه ، وأتم له ، وأحرى بأن يكسبه نبلا ، ويظهر فيه مزية » (٢) .

---

(١) د . مازن المبارك ــ الموجز في تاريخ البلاغة ص : ١٠٨ ــ ١١١ .

(٢) أبو هلال العسكري : الصناعتين ص : ١٦ .

(٣) عبد القاهر : دلائل الاعجاز ص : ٣٩ ، ٤٠ ط ثانية تحقيق : أحمد مصطفى المراغي ــ المكتبة المحمودية التجارية .

البلاغة
بين الطبع والصنعة

وعرفها « ابو يعقوب السكاكى » من المتأخرين بأنها : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته (١) .

وهى عند «ابن وهب» من المتأخرين ايضا : « القول المحيط بالمعنى المقصود ، مع اختيار الكلام ، وحسن النظام وفصاحة اللسان » (٢) .

ويتفق مع التعريفات السابقة للبلاغة من حيث المضمون تعريف المتأخرين من البلاغيين لكل من : فصاحة المتكلم وبلاغته — ففصاحة المتكلم : ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح .

وبلاغة المتكلم : ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ (٣) .

وندرك من تعريفات البلاغيين متقدميهم ومتأخرهم لكل من الفصاحة والبلاغة أنها تلتقى حول مضمون واحد وهو صنع الأدب وتأليف الكلام البليغ وان حدث اختلاف بينها من ناحية الشكل .

بل ان من يتأمل فى تعريف الأدب لا يلوح له أدنى فرق بينه وبين البلاغة .

فيقال فى تعريف الأدب : انه المؤلفات التى تكتب لكافة المثقفين لتثير لديهم بفضل خصائص صياغتها صورا خيالية أو انفعالات شعورية أو احساسات فنية (٤) .

وقيل أيضا فى تعريفه انه : التعبير عن تجربة شعورية فى صورة موحية — غايته الأولى : التصوير والتأثير — تصوير المشاعر والأحاسيس والوجدانات التى تخالج نفس الأديب ، والتأثير فيمن يطالعون عمله الأدبى ليشاركوه أحاسيسه ، وتعيد نفوسهم تمثيل التجربة الشعورية التى عاناها (٥)

فلا أرى أن هناك فرقا يذكر بين تعريفات البلاغة والفصاحة وبين تعريفات الأدب من حيث المضمون وان كان بينها اختلاف من ناحية الشكل .

وبعرض تلك التعريفات على مراحل البلاغة السابقة يتبين لنا أيضا أن المرحلة التى تنطبق عليها تلك التعريفات وتنسجم معها هى المرحلة التى امتزجت فيها البلاغة بالأدب وصدرت عن الذوق فى مؤلفات علماء أدباء عالجوا فيها قضايا البلاغة ومسائلها من خلال آثار الأدباء المنظومة والمنثورة .

ونتبين فى الوقت نفسه أيضا أن أبعد مراحل البلاغة السابقة عن التآلف مع تلك التعريفات هى المرحلة التى تحولت فيها البلاغة الى قواعد جافة وقوانين منفصلة عن آثار الأدباء ، ويعنى ذلك أن البلاغة فى هذا الطور وفى تلك المرحلة تمضى فى طريق بعيد عن الطريق الذى يرسمه لها — تعريفها .

(١) السكاكى : مفتاح العلوم .

(٢) ابن وهب : البرهان فى وجوه البيان ص: ١٢٩ تحقيق : د/ حفنى شرف — مكتبة الشباب .

(٣) عبد المتعال الصعيدى : بغية الايضاح ١ : ٢٥ ، ٣١ .

(٤) د . محمد مندور — النقد المنهجى عند العرب ص : ٤ — دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

(٥) احمد احمد بدوى — من بلاغة القرآن ص : ١٠٢ — دار نهضة مصر .

الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية

تأليف د. محيي الدين عبد الحليم

عرض وتعليق أ. د. طه مصطفى أبو كريشة

— ١ —

« الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية » عنوان لكتاب من تأليف الدكتور محيى الدين عبد الحليم ، ومن منشورات مكتبة الخانجي بالقاهرة .

والكتاب محاولة جادة لربط الدراسات الاعلامية الحديثة بأصول الدعوة الاسلامية ، وهي محاولة تكاد تغزو ميدانا بكرا نظرا لقلة المراجع المؤلفة في ذات الموضوع الذي يربط بين الدين والاعلام على هذا النحو ، وان كان لكل منهما — على حدة — الدراسات الكثيرة والمتنوعة ، والهدف الذي ترمى هذه الدراسة اليه هو تزويد الدعاة وتبصيرهم بوسائل العصر في توصيل الدعوة الى الجماهير .. وتزويد رجال الاعلام بزاد اسلامي يجعل لاعلامهم تأثيرا مرجوا في جمهور المتلقين ، لأن هذه الجماهير لن تتأثر الا من خلال عامل الدين ، وهو العامل الذي يسهم بشكل فعال في توجيه المجتمع .

— ٢ —

وقد جاءت دراسة المؤلف لهذا الموضوع في ستة فصول ، يعتبر الأول والثاني منها مقدمة لما جاء بعدها من فصول تمثل جوهر الدراسة .

أما الفصل الأول فكان عن تعريف الاعلام نشأة ومفهوما واهدافا ووظائف ، مع ربطه بوسائل الاتصال الأخرى المتمثلة في الدعاية والاعلان والعلاقات العامة والتعليم ، وبيان أوجه الشبه بينها أو الخلاف معها .

ويتناول الفصل الثاني . الرأى العام الذي يتمثل في ميول الناس ورغباتهم واتجاهاتهم ونفورهم ، وفيه يعرض المؤلف لبيان أهمية الرأى العام بالنسبة للحكومات ، وكيف انها تحفل به كثيرا لأنه من الصعب أن تتجاهل اية حكومة الرأى العام في المجتمع الذي تعمل فيه ، نظرا للقوة الهائلة التي يمثلها .

ثم يأخذ المؤلف في تتبع تطور الرأى العام في العالم قديما وحديثا ، مركزا على بيان أن

الإعلام الإسلامي

الاسلام كان سابقا غيره في الاهتمام بالرأى العام حين وجهه وجهة أخلاقية تستند على المعانى والقيم السامية التى جاء بها القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف .

ويلى ذلك بيان أنواع الرأى العام وتصنيفاته من حيث الزمان والكيف والكم والتعبير والوجود ، ثم يخلص المؤلف الى بيان أهمية قياس الرأى العام بالنسبة للوظيفة الاعلامية ذاتها ، وبالنسبة لمساعدة القيادة والادارة في الحكومة ، ولايجاد التفاهم الدولى ، مع الاشارة الى ما قد يعتور ذلك من مساوىء تتمثل في تضليل الرأى العام نفسه ، أو في شل حركة القيادة واضعافها .

ويأتى الفصل الثالث لتوضيح الأسس العلمية للاعلام الدينى ويقدم لذلك ببيان أهمية الدين في حياة المجتمع البشرى حيث يمثل الدين ضرورة اجتماعية لازمت البشرية بصورة ما .

ثم يعرض المؤلف لبيان مفهوم الاعلام الدينى من خلال خمسة عناصر هي : المرسل والرسالة والوسيلة والمستقبل أو المتلقى ثم التأثير .

ويتمثل المرسل في الداعية الاسلامى الذى يجب أن تتوافر لديه خلفية واسعة في الثقافة الاسلامية المتأنية الواعية التى تجعله أبصر بموضوعه وأهلا للقيام بواجب توصيل الرسالة .

أما الرسالة فتكون اما في موضوع دينى خالص ، واما في موضوع سياسى أو اقتصادى يعالج من خلال منظور دينى .

وأما وسيلة الاعلام فقد تكون وسيلة اعلامية دينية متخصصة مثل خطبة الجمعة والمجلات الدينية ومحطة أذاعة القرآن الكريم وقد تكون الوسيلة وسيلة عامة مثل محطات الاذاعة العامة وقنوات التليفزيون والصحف اليومية .

وفيما يخص مستقبل الرسالة أو المتلقى فقد يكون قاصدا الاستقبال والتلقى ، وقد لا يكون كذلك ، والنوع الأول : يتمثل في المستمعين لخطبة الجمعة والقارئين للصحف الدينية المتخصصة ، وفي الحريصين على متابعة البرامج والموضوعات والفقرات الدينية أما النوع الثانى فهو الذى يتلقى الرسالة الاعلامية الدينية التى تحملها له أحدى وسائل الاعلام بصورة عرضية لا يقصد اليها قصدا .

ومن حيث عنصر التأثير فإن التأثير يتنوع بين تأثير دينى خالص يبرز في الأخلاق والعبادات ، وبين تأثير دنيوى في شئون الحياة العامة وان كان من خلال منظور دينى .

تلك هى العناصر الخمسة التى تكون التعريف التام للاعلام الاسلامى الذى يمكن أن يكون « تزويد الجماهير بحقائق الدين المستمدة من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم من خلال وسيلة اعلامية دينية متخصصة أو عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه ثقافة متخصصة في موضوع الرسالة التى يقدمها ، بغية تكوين رأى عام يعى الحقائق الدينية ويتأثر بها في

معتقداته وعباداته ومعاملاته .

ثم يتطرق المؤلف الى بيان مكانة الاعلام في الاسلام ، فاذا كان الاسلام دعوة الى تكوين خير امة أخرجت للناس ، فان الاعلام أو الابلاغ يمثل ركيزة ودعامة أساسية فيه، وبهذا تختلف الدعوة عن الدعاية بمعناها الحديث ، لأن الدعاية تخاطب العواطف وتستند الى الخيال ، وقد تعمل على تسوية الحقائق ، وفي هذا المجال يستشهد المؤلف بكثير من الآيات القرآنية التي تحض على الدعوة للاسلام ومنها قوله تعالى (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) النحل ١٢٥ .

ثم ينتقل المؤلف في شيء من التفصيل الى بيان أن الاسلام حين جاء أوجد لنفسه وسائل اعلامية خاصة انفردت بها رسالته ، ومن تلك الوسائل خطبة الجمعة وخطبة العيدين ودروس الوعظ والارشاد والأذان للصلاة ثم المكتبات الاسلامية مضافا الى ذلك الاتصال الشخصي والقدوة الحسنة .

ويختم المؤلف هذا الفصل بعرض لموقف الاسلام من فئات المجتمع في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه الفئات تتمثل في المؤمنين والكافرين والمنافقين على النحو الذي يوضحه صدر سورة البقرة .

أما الفصل الرابع فكان عن الاعلام الديني في مصر الاسلامية وفيه عرض المؤلف لدخول الاسلام مصر وانتشاره فيها ، وفيما يتصل بالموضوع فقد اختار الباحث فترة زمنية أقام فيها دراسته وهي الفترة التي تبدأ بدخول الاسلام مصر حتى جلاء الحملة الفرنسية عنها في مطلع العصر الحديث ، وقد وضح المؤلف الأساليب والوسائل الاعلامية الفريدة التي استخدمت في هذه الفترة ، وكان لها أثر في دخول الناس في الدين الاسلامي ، وهي نفسها ذات الوسائل التي اعتمدت عليها الدعوةالاسلامية في كل مكان .

وقد تتبع المؤلف هذه الوسائل في العصر الفاطمي والايوبي والمملوكي والعثماني مشيرا الى الدور الكبير الذي قام به الأزهر الشريف في مختلف هذه العصور .

وفي الفصل الخامس تحدث المؤلف عن أجهزة الاعلام الديني في مصر في العصر الحاضر ، مبينا انها تشتمل على أجهزة اعلامية دينية متخصصة يقوم عليها الأزهر ووزارة الأوقاف ومحطة اذاعة القرآن الكريم والجمعيات الدينية ، والى جانب ذلك الأجهزة الأخرى التي قد تعالج بعض القضايا الدينية ويمثل ذلك الاذاعة العامة والتليفزيون والصحافة اليومية .

وجاء الفصل السادس دراسة ميدانية لأثر الاعلام الاسلامي على الرأي العام في ريف مصر ، وكان أبرز نتائج هذه الدراسة أن البرامج الدينية كانت على رأس جميع البرامج المفضلة في الاذاعة والتليفزيون بصفة عامة ،

الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العمليــة

كذلك كشف الدراسة عن الدور المؤثر الـذى يمكن أن تؤديه خطبة الجمعـة فى معـالجة قضايا العصر وفى محاربة كثير من الخرافـات والمعتقدات الباطلة التى تنتشر بين العامة .

ثم أنهى المؤلف كتابه بتوصيات أكد فيهـا أن الاعلام الدينى يتحمل العبء الأكبـر فى تحقيق أهداف كثيرة تتصل بالجماهير ، ومن ثم اقترح انشاء مجلس أعلى للاعلام الدينى يضم ممثلين عن جميع الجهات التى تـكلف بأعمال الاعلام الدينى بهدف تنسيق العمل فى هذا المجال لتتحقق الفائدة المرجوة على أسس علمية وعملية سليمة .

— ٢ —

وبعد : ففى الكتاب مادة علمية غـنية ، وللمؤلف غيرة اسلامية محمودة ، ولكن نأخـذ على المؤلف تسويته بين مصطلح (دعـوة) ومصطلح (اعلام) فيما يتصل برسـالة الاسلام ، وانه من الممكن أن نطلق أيهما على جوهر الرسالة الاسلامية (راجع التوصيات).

ان مصطلح « دعوة » وثيق الصلة بالاسلام مادة وتاريخا وهـو وثيق الصلة كذلك بعواطف المسلمين ومشاعرهم ، ومن ثم أصبح ثابت الجذور عريق التاريخ ، أما مصطلح (اعلام) بمعناه المتعارف فانه ليس له مثل هذه المنزلة، مادة وتاريخا ، وليس له مثل هذا الارتبـاط الروحى والعاطفى ، ولذلك فانه لا يمكن أن يحل محل مصطلح « دعوة » مهما سـكبنـا عليه من ذوب السكر وقطرات الشهد !

ان العاملين فى حقل الدعوة الاسلاميـة لا يقدم اليهم الكتاب جديدا فيما يتصـل بتاريخ الدعوة لأنهم أعرف به عن قرب . لكن تبقى فائدة هذا الكتاب خالصة لهؤلاء الـذين أصبحوا غرباء عن اسلامهم حين جهلوا مافيه موضوعا ، وقل ارتباطهم به شكلا ، وزهـوا بما وقفوا عليه من علوم الغرب ظانين أنـه العلم الأوحـد .

ثم قبل هذا كله نأخذ على المؤلف ما جاء فى الطباعة من كثرة الأخطاء فى رسم الآيـات القرآنية ، وهو أمر لا يغتفر الا اذا عـاد المؤلف الى تصويبه فى كشف لاحـق أو فى طبعة جديدة ، كذلك يؤخذ عليه عدم تخـريج الأحاديث النبوية .

هذا الى جانب جنوح الأسـلوب وخروجه فى بعض الأحيان عن الصراط السوى المستقيم ، وهو أمر لا يخـلو منه كتاب ، ومن الممكن أيضا تداركه ، والله الهادى الى سواء السبيل .

د . طه مصطفى أبو كريشة
عميد كلية اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر الشريف

بمناسبة العيد الالفى للازهر تعلن الامانة العامة للجنة العليا للاحتفال المشمولة باشراف السيد رئيس الجمهورية عن عزمها اصدار سجل معلومات وتراجم لأعضاء هيئة كبار العلماء واعضاء جماعة كبار العلماء من المصريين أو مواطنى الاقطار الاسلامية الاخرى .

ويرجى كل من لديه بيانات أو تراجم أو مصنفات لأصحاب الفضيلة الاعضاء المشار اليهم الاتصال الشخصى أو عن طريق الكتابة أو البريد بالامانة العامة للجنة العليا للاحتفال (مكتب فضيلة الاستاذ الدكتور وكيل الازهر بالقاهرة) .

وبالله التوفيق ..

تعلن الامانة العامة للجنة العليا للاحتفال بالعيد الالفى للازهر المشمولة باشراف السيد رئيس الجمهورية ان مسابقة الكتابة فى البحوث السابق اعلانها فى جريدة الاهرام بتاريخ ٢٦/١٠/١٩٨٢ وفى جريدة الجمهورية بتاريخ ٢٧/١٠/١٩٨٢ وفى جريدة الاخبار بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٨٢ تأجل موعد تسليمها الى ١٤ فبراير سنة ١٩٨٣ وعلى الراغبين فى المسابقة تسجيل أسمائهم بالأمانة العامة بمكتب وكيل الازهر شخصيا أو بالبريد .

بمناسبة العيد الالفى للازهر تعلن الامانة العامة للجنة العليا للاحتفال المشمولة باشراف السيد رئيس الجمهورية عن عزمها اصدار سجل معلومات وتراجم لمن اصطفاهم الله الى جواره من أعضاء مجمع البحوث الاسلامية من المصريين أو مواطنى الاقطار الاسلامية الاخرى .

ويرجى كل من لديه بيانات أو تراجم أو مصنفات للسادة أعضاء المجمع المشار اليهم الاتصال الشخصى أو ارساله عن طريق الكتابة أو البريد الى السيد الامين العام للجنة العليا للاحتفال بالعيد الالفى للازهر (مكتب فضيلة الاستاذ الدكتور وكيل الازهر بالقاهرة) .

وبالله التوفيق ..



الإسلام

تقديم الأستاذ محمد فتحي أحمد

بالرغم مما حققه الغرب من تقدم علمي هائل استطاع ان يقضى به على الفقر والجهل والمرض مما ادى الى ارتفاع مستوى المعيشة ، وادى الى انجازات رائعة غير ان ذلك كله لم يستطع ان يجلب السعادة والبهجة للنفس البشرية التى ظلت تعانى من اجل الحصول عليها .

وهذا الكتاب الذى نتناوله : (الاسلام بمحض اختيارنا islam our choice يعتبر تسجيلا لاكتشاف الحقيقة التى سعادة النفس وبهجتها فقد ضم بين دفتيه تصويرًا دقيقا لشخصيات عظيمة اكتشفت سعادتها بالاسلام فاعتنقته عن طواعية واختيار زالت بعدهما من نفوسهم عوامل القلق والاضطراب والحيرة والتناقض .

تحدث فى هذا الكتاب اثنتان وأربعون شخصية — من رجال ونساء من مختلف أنحاء العالم ، على ثقافات عالية مختلفة من الباحث الى الطبيب الى العالم فى كافة فروع المعارف الانسانية . نذكر على سبيل المثال :

د. (عمر) رولف بارون استاذ علم السلالات البشرية من النمسا .

د. (حامد) ماركوس وهو عالم ومؤلف وصحفى من المانيا .

(اسماعيل) وسلاو جيزيرسكى عالم فى الاجتماع . من بولندا .

الآنسة (فاطمة) كاظو من اليابان .

والسيدة افيلين (زينب) كوبولد — من انجلترا .

نجد مع كل شخصية تجربة حية ارشدتها الى الاسلام ودفعتها اليه فامتلأت اقتناعا به وصدرت فى أعمالها عنه — ونجد بالكتاب تفصيلا لكل حالة منها .

وهذان نموذجان مختاران من الكتاب :

(١) يتساءل الدكتور ر.ل — طلاما الهولندى يقول .

ما الذى يراوقنى فى الاسلام وما الذى جذبنى لعقيدته ؟ .

سوف أحاول اعطاء اجابة فى ست نقاط .

١ — الاعتراف بالله الواحد الأعلى . عقيدة ايمانية بلا تعقيد ميسرة مقبولة لدى

اختيارنا المحض

ISLAM OUR CHOICE

كل مخلوق عاقل مفكر : فهو الله الذى يتوكل عليه كل شىء لم يلد ، ولم يولد ولم يكن لـه كفوا أحد : له القوة العليا . وسمو الجمال عطفه ورحمته لا حدود لهما .

٢ ـ العلاقة بين خالق الكون ومخلوقاته ، ومنها الانسان علاقة مباشرة فالمسلم لا يحتاج لوسيط فى اتصاله بربه ، وليس فى الاسلام رهبانية ، وعلى المؤمن أن يعد نفسه للحياة الآخرة فهو مسئول عن أعماله ولا يحمل وزر انسان آخر ، كـذلك لا يكلف الله نفسا الا وسعها .

٣ ـ يبدو مبدأ التسامح فى الاسلام واضحا جليا فى الآية المعروفة (لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ) البقرة ـ ٢٥٦ اذن على المسلم أن يبحث عن الحقيقة أينما وجدت ، وأن يقدر المزايا الحسنة فى العقيدة .

٤ ـ مبدأ الأخوة فى الاسلام يمتد فيشمل كل البشر بلا نظر الى لون أو جنس أو عقيدة.

والاسلام هو الدين الوحيد الذى يرجح هذا المبدأ الى عمل .

٥ ـ يتقبل الاسلام المادة والعقل فانهما من القيم الموجودة ، والنمو العقلى فى الانسان لا ينفصل عن احتياجات الجسد والعقل يسود فوق المادة ويتحكم عند العاقل فى الجسد .

٦ ـ مبدأ تحريم المشروبات الكحولية . مبدأ عظيم فعال وهو نقطة احترام فى الاسلام .

وتحدثت السيدة افيلين (زينب) كوبولد عن اعتناقها للاسلام ، وعن تأثير الحج الكبير فى نفسها ، وفائدته للمسلمين ، ورباطه الموثق بينهم ، ومما قالت : ان كلمة اسلام تعنى الخضوع التام لله . وتعنى أيضا السلام فالمسلم انسان فى وفاق دائم مع أوامر خالق الكون . انسان قد جعل حياته سلام مع الله ومخلوقاته .

لقد جذبنى للاسلام حقيقتان جوهريتان :

١ ـ وحدانية الله .

٢ ـ والاخوة فى الاسلام .

فالاسلام ليس دين عقائد نظرية معقدة . وفوق كل ذلك فانه دين يتسم بالايجابية .

حوار مع :

مسلمي كينيا

زار مصر منذ ايام وفد من مسلمي كينيا ، والتقوا بامين عام مجمع البحوث الاسلامية اوائل شهر صفر ١٤٠٣ هـ يعرضون عليه بعض ما يعانون من مشاكل ويطلبون تزويدهم بمطبوعات المجمع ، ولبى فضيلة الدكتور : الحسيني هاشم امنيتهم ومنحهم بعض الكتب في التفسير والحديث وشتى جوانب الفكر الاسلامي



● طلبة مدرسة النور الاسلامية — اسس هذه المدرسة الداعية الاسلامي الكبير الشريف سعيد البيض . ويتعلم الطلبة فيها — بالمجان —

والوفد يمثل مركز النجاح الاسلامي في جمهورية كينيا . ويضم :

السيد : أحمد أحمد بدوي المرشد العام لمركز النجاح الاسلامي .

السيد : سالم أبو بكر باسلامة . سكرتير المركز ومدير مدرسة الهدى .

السيدة : ميمونه عبد الله محمد . زوجة المرشد العام واحدى العاملات في الحقل الاسلامي بين النساء المسلمات في كينيا .

وخلال هذه الزيارة التقينا بهم ، وكانا شغف لمعرفة أحوالهم هناك ، ومعاناتهم ومشكلاتهم وجهودهم في خدمة الدعوة الاسلامية .

وكان لنا معهم هذا الحوار :

التقيت بالمرشد العام لمركز النجاح بكينيا . ودار بيننا الحوار التالي :

✽ سيادة المرشد العام . نود الاحاطة بأحوال المسلمين في بلدكم العزيز . . ؟

قال الأستاذ المرشد :

المسلمون في كينيا يمثلون ثلث سكانها فهم يبلغون حوالي (١٤) مليون نسمة يمثل المسلمون ثلث هذا العدد تقريبا ، ولهم جمعيات كثيرة تعمل في مجال الدعوة الاسلامية ، والحرية مكفولة للجميع ليمارسوا شعائرهم الدينية — مالم يتعرض ذلك بالنواحي الأمنية — ولدينا مدارس اسلامية ومساجد تابعة للجمعيات



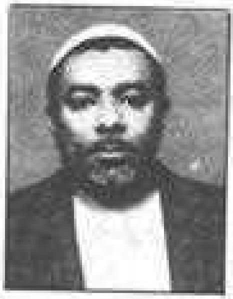
القرآن الكريم والعلوم الاسلامية وتؤمن لهم لسكن وبعض النفقة والطلبة من مختلف جهات شرقي افريقيا .

أجرى الحوار

الاستاذ عاطف زهران



● احمد احمد بدوى مرشد العلم لمركز النجاح الاسلامى .



● سالم ابو بكر

التى تقوم عليها بالانفاق والاشراف والدولة تيسر اقامة هذه المشروعات ، وتعطى الأرض اللازمة لها .

❋ ما البرامج التعليمية لهذه المدارس الاسلامية ؟

أجاب المرشد :

تقوم المدارس الاسلامية بتحفيظ القرآن الكريم ، وتدرس علمى التفسير والتجويد ، الى جانب تعليم اللغة العربية والفقه والتوحيد والحساب .

❋ ما الجهود التى يبذلها المركز للدعوة الاسلامية ؟

أجاب قائلا :

يقوم العاملون بالمركز بدعوة المسلمين فى القرى وفى البلدان للتبرع لبناء المساجد والمدارس . كذلك نقوم بجمع التبرعات من داخل كينيا ومن خارجها لتنشيط الدعوة ضد ماهنالك من تيارات مضادة .

ففى كينيا أديان وفرق ومذاهب متعددة منها النصرانية واليهودية ، والقاديانية والهندوكية وغيرها ، وكلها تعمل فى نشاط ، ولايمكن للمسلمين أن يسكتوا ازاء هذه التيارات .

❋ لاشك ان ثمت عقبات تواجهكم فى عملكم هذا ، فليتكم تحدثوننا عن بعض هذه العقبات؟

مسلمي كينيا

قال الاستاذ : أحمد بدوي :

من العقبات التي تواجهنا ، بل من أخطرها قلة الامكانيات المادية التي تمكننا من الدعوة الاسلامية ، فليس لدينا من الامكانيات ما يساعدنا على مواجهة الارساليات التبشيرية وجهودها في كينيا .

ومن المؤسف حقا أنه لايوجد تنسيق كامل بين الجمعيات الاسلامية ــ على كثرتها ــ حتى الآن ، لاتوجد صحافة اسلامية ولا مواصلات لتنقل الدعاة الى جانب عقبات كثيرة أخرى .

*** ذكرت أن للتبشير جهودا خطيرة في كينيا ونرجو التطرق الى هذا الجانب بذكر أمثلة لما يقوم به المبشرون عندكم ؟**

قال :

ان الأموال تتدفق على الارساليات وعلى الكنائس ، وتمنح الكتب التبشيرية بالمجان لمن شاء ومن لم يشأ ، بلغات متعددة ولهجات محلية .

وكنموذج لذلك . فقد أوفدت الارساليات بعض رجال الفكر في كينيا الى الولايات المتحدة الأمريكية ليقوموا بترجمة الانجيل والكتب التبشيرية الاخرى الى اللغات المحلية وبالخط العربي الذي يقرؤه أكثر المسلمين في كينيا .

وحين تحدث فيضانات في البلاد تقوم هذه الارساليات بمساعدة المنكوبين وامدادهم بالغذاء والكساء والدواء ، وايوائهم في خيام حيث يكون الجو مهيئا للقيام بالتبشير بين هؤلاء الذين أصيبوا من الفيضانات وللأسف أنه من بين هذه الجماعات مسلمون يقعون تحت تأثير هذه الجهود التبشيرية حتى أصبح فهم الدين لدى الكثيرين أنه عطاء مادي .. ولاعجب اذا سمعت من يسألك : ماذا تعطيني حتى أتدين ؟

وقال الرجل في ألم :

وبالطبع نحن لانملك مثل هذه الامكانيات، وليس لدينا ما نعطيه (١) .

مع شدة شوقي لسماع الكثير عن المسلمين في كينيا من المرشد العام لمركز النجاح . الا أنني رأيت أن اترك الفرصة لغيره ليتحدث .

التقيت بالسيد : سالم أبو بكر باسلامه (أمين) مركز النجاح ، ومدير مدرسة الهدى الاسلامية في (نجوميني) ودار معه هذا الحوار .

*** هل لطلبة المدارس الاسلامية في كينيا مشاكل ؟**

قال : انهم فقراء .. ليس لديهم مصاحف يحفظون منها القرآن ، ولا بعض أجزاء المصحف حتى (جزء عم) ليس متوافرا لديهم نتيجة الغلاء الفاحش ، وعدم وجود المطابع العربية ، مما يجعلنا نحفظهم القرآن بكتابته على (السبورة) ولدينا الكتاتيب وهي منتشرة بكثرة في بلادنا ويقوم المركز بدعم عدد كبير منها .

واستطرد قائلا :

---

(١) المجلة : هذا الوضع بذاته مشكلة مشتركة راسخة الوجود في المجتمع الاسلامي لدى الدول النامية ، وما من شك انه يقتضي عملا اسلاميا دوليا يستمد وجوده من مراكزها العليا ومن قبل ذلك يجب ان يكون لدى المسلمين في هذه البلدان خطة في حدود الامكان المتاح لعمل ما ينبغي قدر الطاقة .. واذا لم توجد هذه الخطة فان شيئا ما لن يجدي .



● قبة مسجد الرياض ببلدة سمبروى الذى أسسه الداعية الاسلامى الكبير الشريف سعيد إبن عبد الله البيض ، وبجوار هذا المسجد تقع مدرسة النور الاسلامية كبرى مدارس كينيا وفيها يتعلم الطلبة جميع العلوم الدينية باللغة العربية واللغة السواحلية .

وتطلب من الازهر كتبا دينية فى السنة والتفسير والفكر الاسلامى ، ومجلته مما يصدر عن الازهر وبعض المصاحف التى لابد منها للمسلمين .

وأن يخصص للمركز بعض المنح الدراسية بالازهر ، فالمركز لديه طلبة يحفظون القرآن ويجيدون العربية ويحفظون بعض المتون الفقهية مما يؤهلهم للالتحاق بالمعاهد الدينية التابعة للازهر الشريف (١) .

وانتهزت فرصة وجود احدى المسلمات مع الوفد . لأعرف منها أحوال المسلمات فى كينيا .

وذكرت السيدة : ميمونه عبد الله محمد . زوجة المرشد العام للمركز .

أن غالب النسوة المسلمات يلتزمن باللباس الاسلامى الشرعى للمرأة ، ولا يخرجن إلا متحجبات ، وللفتيات مدارس خاصة بهن ، فلا يختلطن بالصبيان . غير أن الاختلاط موجود بالمدارس الحكومية .

ولكن ينقصنا التعليم الاسلامى بقسط أوفر ، وليت الجهات المختصة فى مصر تساعدنا بإرسال بعض الكتب الدينية التى تفيد المرأة المسلمة فى حياتها .

وتستطرد قائلة :

وأتمنى لو أتيح لى ولغيرى من مسلمات كينيا تلقى العلم فى مصر أو فى غيرها من البلاد الاسلامية .. حتى نتحصن ضد الحملات التبشيرية ، ونقوم بدورنا فى الدعوة الاسلامية بين السيدات .

وفى نهاية الحوار أضاف المرشد العام لمركز النجاح الاسلامى :

---

(١) بشأن الكتب وافق الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية على امدادهم بما يحتاجون اليه من مطبوعات ومجلات شهرية من (مجلة الازهر) وذلك خلال لقائهم بفضيلته .

حوار مع مسلمى كينيا

اننا تعاونا فى تأسيس المدارس والمساجد التابعة للمركز والذى يشرف الآن على أكثر من عشرين مدرسة بها اكثر من الف طالب «ثم ذكر بعض الانجازات .

١ مسجد الحنفاء فى (غرسين) .

٢ ـ مسجد ومدرسة النصر فى (ونجبه) .

٣ ـ مسجد ومدرسة الاخلاص فى (جونجونى) .

وبعض المدارس نتعاون معها مثل مدرسة الهدى ومدرسة الوفاء والنور وغيرها كمسجد ومدرسة التقوى فى (أجارة كينيا) ومعهد الصفا ومعهد الثقافة وجمعية مالندى ومدرسة البشرى .

كما قدمنا بعض مساعدات مالية لبعض المشروعات الاسلامية كمسجد الجامع فى (كيزنغتين) وغيره .

قلت : هذه جهود مشكورة بلا شك . ولكن نريد معرفة بعض هذه الجمعيات والمراكز الاسلامية الاخرى التى تعمل فى كينيا ؟

أجاب المرشد العام لمركز النجاح قائلا :

ـ هناك المجلس الاعلى لمسلمى كينيا وله فروع كثيرة فى الاقاليم ، وهناك المؤسسة الاسلامية وجمعيات التوفيق الاسلامية ، وجمعية أنصار الاسلام وغيرها من الجمعيات التى تعمل فى ميدان الدعوة الاسلامية .

أنباء

* يسافر فضيلة الامام الاكبر فى اواخر ربيع الأول الى المملكة العربية السعودية لحضور « التحكيم » فى جائزة الملك فيصل العالمية .

* أعلن فضيلة الامام الاكبر أن الأزهر يعد خطة لانشاء معهد دينى ابتدائى فى كل قرية على مستوى الجمهورية وذلك لتحفيظ القرآن الكريم واعداد البنين والبنات للالتحاق بجامعة الأزهر .

وقام فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر بافتتاح مبنى المنطقة الأزهرية الجديدة بالمنوفية .

بلغت تكاليف انشائها ١٠٠ الف جنيه . كذلك قام بتوزيع الجوائز على حفظة القرآن الكريم .

شيخ الأزهر يستقبل وفد الصين

* استقبل فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفدا يمثل الجمعية الصينية الاسلامية برئاسة الحاج نعمان ماشيان ، وتم خلال اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأزهر ومسلمى الصين ويقدر عددهم بحوالى ١٣ مليونا .

* اجتمعت اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر برئاسة فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر خلال الشهر الماضى وحضر الاجتماع كلا من الدكتور أحمد فؤاد محيى الدين رئيس مجلس

العالم الإسلامي

تقديم
الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح
والأستاذ الشافعي عبد الرحمن

الوزراء والدكتور مصطفى كمال حلمي نائب رئيس الوزراء للخدمات ووزير التعليم والبحث العلمي وعدد من السادة الوزراء المختصين وكبار المسئولين بالأزهر .

وقد صرح فضيلة الدكتور محمد السعدي فرهود وكيل الأزهر وأمين عام اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر عقب الاجتماع بأنه تقرر أن يبدأ الاحتفال الرسمي بالعيد الألفي للأزهر بصلاة الجمعة في الجامع الأزهر يوم ١١ مارس ١٩٨٣ وهذا الموعد يوافق تاريخ وضع حجر الأساس للجامع الأزهر في سنة ٣٥٩ هـ .

وأضاف بأن اللجنة وافقت على التقرير الفني المقدم من المهندس حسب الله الكفراوي وزير الدولة للاسكان والتعمير بشأن الاصلاح والتعمير في الجامع الأزهر وتتكلف المرحلة الأولى العاجلة ٢٫١٠٠٫٠٠٠ جنيه اعتمد الدكتور فؤاد محيي الدين فورا منها مبلغ مليون جنيه ووعد سيادته بتدبير الاعتمادات المطلوبة لهذه المرحلة وللمراحل التالية التي تتكلف في جملتها ٢٣ مليون جنيه . واستعرضت اللجنة الأنشطة المختلفة التي قامت بها الوزارات والهيئات المشاركة في الاحتفال وأضيف اليها مبلغ ٧٤٫٥٠٠ جنيه لوزارة الأوقاف و ٢٠٠٫٠٠٠ جنيه للمعاهد الأزهرية ٥٠٫٠٠٠ لجامعة الأزهر للمسابقات .

وقد تم تكليف وزارة السياحة باتخاذ اجراءات سفر واقامة السادة المدعوين من الخارج واعتمدت اللجنة لذلك الغرض مبلغ مليون جنيه .

افتتاح اول معهد دينى فى جنوب سيناء

*** قام فضيلة الشيخ محمد السيد مدير الاوقاف بمحافظة جنوب سيناء نيابة عن فضيلة الامام الاكبر بافتتاح اول معهد دينى فى جنوب سيناء ووضع حجر اساس ٣٨ مقرا لتحفيظ القرآن الكريم .**

وقد تم هذا بمناسبة الاحتفالات بالعيد القومى لمحافظة جنوب سيناء ومن المقرر انشاء ٨ مكتبات دينية وثلاثة مراكز اسلامية فى كل من الطور وشرم الشيخ وأبو رديس .

وقد بعث فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر برقية تهنئة للسيد محافظ جنوب سيناء بمناسبة العيد القومى للمحافظة .

دعم العلاقات الثقافية بين مصر ومالى

* تقرر تخصيص منح دراسية لأبناء مالى فى الأزهر تم هذا فى لقاء فضيلة الدكتور الحسينى هاشم أمين عام مجمع البحوث الاسلامية مع السيد زيد درامى منصور القائم بالأعمال بسفارة مالى بالقاهرة ، تناول اللقاء دعم العلاقات الثقافية الاسلامية بين البلدين والاحتفالات بالقرن الخامس عشر الهجرى

التي ستبدأ بجمهورية مالي في يناير القادم .

منح دراسية بالأزهر لأبناء اندونسيا

* تقرر تزويد أندونيسيا بالمنح الدراسية المقدمة لأبنائها من الأزهر الشريف . ومعادلة المؤهلات التي لم تتم معادلتها . تم هذا في لقاء فضيلة الدكتور / محمد السعدي فرهود وكيل الأزهر بالوفد الأندونيسي برئاسة الحاج تيمور وكيل أول وزارة الشئون الدينية للتعليم الاسلامي ، وتم بحث ايفاد أربعة مدرسين جدد لأندونيسيا علاوة على الخمسة عشر مدرسا الذين أوفدوا هذا العام .

معهد للأئمة والدعاة بمكة المكرمة

* افتتح مؤخرا معهد تدريب الائمة والدعاة بمكة المكرمة الذي يهدف الى اعداد الدارسين للعمل في مجال الدعوة الى الله في شتى انحاء العالم وذلك عن طريق الدراسات المكثفة التي سيتلقاها الدارسون في اساليب الدعوه والخطابة وطرق مواجهة الغزو الفكري والمذاهب الهدامة .

وقد أختارت الأمانة العامة للمجلس الأعلى للمساجد خمسين دارسا من أبناء المسلمين والأقليات الاسلامية في انحاء العالم ، ممن يحملون المؤهل الجامعي في الشريعة والدراسات الاسلامية واللغة العربية .

المركز الاسلامي بالخرطوم وائمة المساجد

* أعلن الدكتور الطيب زين العابدين مدير المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم . أن وفدا من مدرسي المركز سافروا الى الدول الافريقية لاختيار الطلبة الذين يدرسون الدعوة الاسلامية بالمركز ، وقد تم اختيار مائة وسبعة عشر طالبا من لوساكا ، ولواندا وبجمبورا ، وعنتيبي ، ونيروبي ، وسالسبوري ، وفيرون ، وكوتونو ، ولومي ، ودوالا ، وبرازفيل ، والجابون ، وكنشاسا ، وموريشيوس ، وجيبوتي .

وأضاف مدير المركز الاسلامي : أن مجلس أمناء المركز قرر أن تعقد الدورة الثامنة عشرة للمجلس في اليوم الثاني من شهر ابريل لسنة ١٩٨٣ م بمدينة الخرطوم برئاسة المملكة العربية السعودية .

مؤتمر اسلامي دولي في كاليفورنيا

* يعقد في هذا الشهر مؤتمر دولي يبحث في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا المؤتمر تقيمه الجمعية الاسلامية بمحافظة (أورانج) في ولاية « كاليفورنيا » الامريكية، ومما يذكر أن عدد المسلمين في محافظة (أورانج) يبلغ نصف مليون مسلم . ويهدف المؤتمر الى تنسيق أمور التربية والدعوة الاسلامية ، وتوثيق الصلات بين هؤلاء المسلمين .

بيان كولومبو عن عالمية الاسلام

* عقدت في كولومبو عاصمة (سيرلانكا) ندوة اسلامية حضرها مائة وفد من دول العالم الاسلامي حيث تمت مناقشة موضوع « عالمية الاسلام » .

وقد دعت الى عقد هذه الندوة منظمة العالم الاسلامي بمناسبة موافقة حكومة « سيرلانكا » على انشاء ادارة اسلامية ترعى شئون المسلمين هناك .

المؤتمر العلمي الخامس لمصر عام ٢٠٠٠

* يعقد في القاهرة المؤتمر العلمي الخامس . وسوف يشترك في المؤتمر الذي تنظمه « جمعية أصدقاء العلماء المصريين بالخارج » أكثر من خمسمائة من علماء مصر القادمين من أمريكا وكندا وأوربا والدول الغربية بالاضافة الى علماء مصريين ، يتولون القيادة والمشاركة في كل مواقع الانتاج والبحث العلمي والتعليم في مصر .

قانون العقوبات وفقا للشريعة الاسلامية

* أعلن في جاكرتا عن تعديل قانون العقوبات الاندونيسي ليساير روح الشريعة الاسلامية ، لأن القانون الذي كان معمولا به يعود الى زمن الاحتلال الهولندي .

جاء في بيان وزارة العدل في اندونيسيا . أن الرغبة كانت شديدة في تغيير هذا القانون ليتمشى مع طبيعة الشعب الأندونيسي المسلم. وقد تمت الموافقة على القانون الاسلامي من جميع الهيئات والمختصين ، وأعلن ان القانون يستهدف حماية حقوق الانسان ، وحماية المتهم بتقديم لجان للدفاع عنه وحقه في طلب التعويض في حالة البراءة . وأن تطبيق الحدود الاسلامية في العقوبات هو أعلى مراتب العدل في حالة ثبوت الجريمة أو اعتراف المتهم .

دول الخليج تحكم بالشريعة الاسلامية

عقد في الرياض يوم الثالث عشر من ديسمبر ١٩٨٢ م اجتماع لوزراء الأوقاف والشئون الاسلامية لدول الخليج ، وذلك لبحث امكانية توحيد الأنظمة والقوانين المعمول بها في دول المجلس الخليجي على أساس من الشريعة الاسلامية .

البنوك الاسلامية في الهند

* افادت الأنباء أن المؤسسات الاقتصادية اللا ربوية في الهند تزيد على مائة وخمسين في الوقت الحاضر . وسوف تنعقد ندوة المجلس الاقتصادي لعموم الهند لترقية هذه المؤسسات وتاسيس مؤسسات جديدة في مديرية « بهرائج » في مارس سنة ١٩٨٣ م .

وقد اسس المجلس الاقتصادي في ١٩٧٨ م لتوحيد اعمال تلك المؤسسات . ومن أهم المؤسسات الاسلامية الاقتصادية ، مؤسسة « ملى » لرفاهية المسلمين في « بهرائج » والصندوق الاسلامي في « ديوبند » .

اكتشاف مخطوطين هامين في الطب الاسلامي

* اكتشف الدكتور هنرى أمين عوض اخصائي الأمراض الجلدية وباحث الآثار الاسلامية مخطوطين هامين في الطب الاسلامي ، أحدهما : « شرح الأسباب والعلامات » للكرماني . وهو من المخطوطات الهامة التي كانت مرجعا للأطباء في القرن الخامس عشر الميلادي ، والمخطوط الآخر هو (مختصر في الطب) الفه عبد السلام بن أحمد الحسيني ، وقدمه الى امير المؤمنين عبد العزيز ابن فارس ، في شمال افريقيا ويعتبر من أندر المخطوطات الاسلامية .

الفتاوى

حكم القرض فى شهادات الاستثمار

س : من احمد ابراهيم الجيلاوى ـ القاهرة .

ما حكم القرض فى شهادات الاستثمار ذات العائد الشهرى مع العلم بان هـذا القرض للاستغلال ؟

ج : الفوائد التى تؤخـذ من البنـوك على مبالغ معينة هى زيادة لأحـد العوضيـن عن الاخر وهذه الزيادة عين الربا ، وقد حرمه الله تبارك وتعالى بالكتاب والسنة سواء كان هذا القرض للاستهلاك أو للاستغلال ، فان التحريم قد نزل والنوعان موجودان حين نزول القرآن .

بناء مقبرة بجوار المسجد

س : من السيد / عبد الستار سيد محمد الصغير ـ القاهرة .

هل يجوز بناء مقبرة بجوار مسـجد وبعيدة عنه وفى غير جهة القبلة ؟

ج : لا مانع شرعا من بناء المقبرة مادامت بعيدة عنه وفى غير جهة القبلة .

زواج من فتاة أجنبية

س : من السـيد / ع.م.م ـ الاسكندرية .

شخص تزوج من فتاة اجنبية بعد أن اعتنقت الاسلام ، وبعـد فتـرة من المعاشرة الزوجية ارتدت هذه الزوجة عن الاسلام وتركت المنزل ، الا أنها عـادت متأسفة على ما حـدث منها ونادمـة ، واعترفت لزوجها انها ارتكبت خطايا ـ ولم تصرح له بها فما حكم عقد الزواج السـابق ؟ وهل له ان يردها ؟

ج : انه مادام لم يطلقها زوجها فهـى على ذمته ، واذا جاءت بأولاد نسـبوا اليـه لأن الولد للفراش (للعقد) .

أما قبول استمرار عقد الزواج بينه وبينهـا .. فـانه يجوز ذلك اذا تابت الـى الله . وأنابت ، وندمت على أخطائهـا السـابقة . وعزمت عزما اكيدا على عدم العودة . ورأى منها ومن سلوكها ما يؤكد هذه التوبة .

أب حـزين

س : من أب حزين .

توفى ابنى وترك زوجته المدخول بها ، وأمه وأباه . واخوة اشقاء والمطلـوب معـرفة الآتى : ما حكم اثاث الشـقة وفيـه ما يخص الـزوج ومـا يخص الزوجة ؟

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين

وتجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

كان قد اشترى شقة تمليك ودفع القسط الأول بمساعدتي . فهل لي أن استرد هذه المساعدة ؟ .

وكيف تقوم الشقة أبثمن الشراء أم بالثمن الحالي ؟ .

وما الحكم بالنسبة للمبلغ المنصرف من جهة العمل او النقابة ؟

ج : الأثاث الخاص بالزوجة هو حقها لا ينازعها أحد فيه ، أما الخاص بالزوج فهو تركة ، وكذلك شقة التمليك تقوم بسعر اليوم ويخصم من الثمن ديون الشركة عليها والباقي تركة ، ولا يصح للوالد أن يسترد ما دفعه مساعدة لابنه .

وتوزع التركة المكونة من : الأثاث الخاص بالزوج ، وما تبقى من ثمن الشقة بعد سداد الديون ، والمبالغ الممنوحة من جهة العمل - بعد اخراج مؤخر صداق الزوجة - توزع على الورثة الشرعيين على الوجه الآتي :

للزوجه الربع فرضا . لعدم وجود الفرع الوارث .

وللأم ثلث الباقي والباقي للأب تعصيبا ، ولا شيء للاخوة لحجبهم بالأب .

ما حكم هذا ؟

س : من السيد / عبد المجيد محمد عثمان - شارع غرناطة - مصر الجديدة .

١ - ما حكم قراءة القرآن بعد أذان العصر قبل اقامة الصلاة ؟

٢ - وما حكم الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الأذان ؟

٣ - وما حكم ساعة الحائط في المسجد ؟

٤ - في بعض المساجد من يترك وقتا بين أذان المغرب وأقامة الصلاة لاداء السنة ، والبعض الآخر يقيم الصلاة بعد الأذان مباشرة ، فما الحكم ؟

٥ - ما حكم تسليم بعض المصلين على بعض بعد أداء الصلاة وقولهم « حرما » .

ج : عن الأول : قراءة القرآن بعد اذان العصر قبل الاقامة جائزة شرعا ولا شيء فيها ما لم يؤد الى تشويش على المصلين .

وعن الثاني : الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الأذان سنة ولا شيء فيها.

وعن الثالث : وجود الساعة في المسجد جائز شرعا لأنها تخبر وتبين أوقات الصلاة .

وعن الرابع : من أقام صلاة المغرب بعد الأذان فقد فعل السنة ، ومن صلى ركعتين قبل الاقامة فقد فعل مباحا .

وعن الخامس : المصافحة بعد أداء الصلاة جائزة حيث لم يرد نص من الشارع بالجواز أو المنع فيكون الفعل مباحا .

والله أعلم

القراء

الى الاخ الفاضل : احمد محمد عبد المجيد برج المراقبة الجوية ــ شرم الشــيخ ــ جنوب سيناء ..

* نشكركم على هذا التحقيق العلمى باسلوبكم العف الكريم ، والواقــع ان العبارة الواردة بالمقال ص ١٤١ عــدد صفر وقع بها خطا ، وعبــارتكم التى تقولون فيها :

« وعلى هذا فالصباغ الجنسى فى خلايا الانثى (٢ × اكس اكس) وفى المذكر (٢ × اكس واى) » هى الصحيحة . نكرر شكرنا لكم .

كتب الاستاذ علوى عبد الرحمن النجار من « الطويلة ــ فاقــوس شرقية » بريد القرين ــ مبــديا اعجابه الشديد بقصيدة فضــيلة الدكتور حسن جاد « من رحيــق التوحيد » راجيا تبليــغ الشاعر اعجابه .

والمجلة تشكر لك رقيق الشعور نحو الشاعر العظيم وتحمل له تحياتك ، وبالنسبة لموضوعك فستتولى المجلة النظر فيه وعسى أن يكــون خــيرا .

الى الاخوة : أحمد رزق مصطفى ــ مصطفى محمد مطاوع ــ محمود عبد الله صــيام ــ جميل عبد الغنى محمد على .

* من طلاب السنة الرابعة بكلية اللغــة العربية جامعة الازهر (المنصورة) بخصوص شكواكم من تاخر صرف مكافاتكم حــولت رسالتكم الى السيد مدير مكتب الدكتــور عبد اللطيف خليف نائب رئيس الجامعة لشئون الطلاب لاتخاذ اللازم ــ والمجلة تشكر لكم هذا الشعور الطيب نحوها ونسأل الله أن يوفقكم لما فيه الخير لخدمة الاسلام و لمسلمين .

والى الأخ : محمود عبده عمر ــ كلية اللغــة العربية ــ جامعة الازهر ..

* نرسل اليكم أطيب تحية أحيها الله لعباده فسـلام الله علــيكم ورحمته وبركاته . وبخصوص اقتراحك (تخصــيص باباً للأدب واللغة) ستجده ان شاء الله ــ فى العدد الذى بين يديك .

إعداد عبد الفتاح السيد عبد السلام

والى الاخوة : محمد محمود النحـــام ـــ حوش عيسى ـــ البحيرة ـــ مجدى احمـــد عبد العزيز ـــ كلية اللغة العربية ـــ جامعـــة الازهر ـــ سامى السيد الصفتى ـــ شبين الكوم ـــ المنوفية ـــ عبد التواب محمد خليل ـــ كلية الدراسات الاسلامية ـــ الازهر ٠

* المجلة لايسعها الا أن تقدم لكم الشكر الجزيل بخصوص كلماتكم ٠

حق المسلم على المسلم ٠

الانســان والعقــل ٠

أركان الاســلام ٠

المغالاة فى المهــور ٠

سوف ينشر منها ماتيسر فى الأعداد القريبة ان شاء الله ٠

كتب كل من الأخوة : خيرى محمود ابراهيم ـــ شبين الكوم ـــ طه احمـــد ابراهيم ـــ الباجور ـــ المنوفية ٠

* الى المجلة مبدين اعجابهم الشديد بما ينشر بداخلها من ابواب مختلفة متمنين لهـا دوام التوفيق ٠

شكرا لكما ونعتذر عن نشر الصور لضـيق المساحة ٠

كتب الأخ : احمد الحســينى ـــ الغبيرة ـــ شارع الحجاج ـــ لبنان مبديا اعجابه بالمجلة مستفسرا عن الاشـــتراك وقيمته وكيفية الحصول على الأعداد السابقة ٠

* للاشتراك فى المجلة إكتبوا برغبتكم على العنوان التالى :

جمهورية مصر العربية ـــ القاهرة ـــ شارع الجلاء ـــ مؤسسة الأهرام ـــ قسم الاشتراكات مجلة الازهر ـــ موضحين عنـــوانكم وقيمة الاشتراك هو ١٢ دولارا او مايعادلهـا ٠

* أما عن كيفية الحصول على الأعـــداد السابقة ٠ فعليك الاتصـــال بادارة توريدات الأزهر على العنوان التالى :

جمهورية مصر العربية ـــ القاهرة ـــ مدينة البعوث ـ توريدات الأزهر ٠

فهرس العدد

طبع بمطابع روزاليوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

... ومرحبا بالقارىء : ..

وبين يديه هذا العدد ، يجد فيه ، مثل سابقيه ، مجلة تحاول ــ بعون الله وتوفيقه ــ تحقيق منهجها الذى سبق أن وضعت نصوصه بين يديه ، ليكون من خطاها على بينة ، ومن أهدافها على علم ، فيشاركنا ــ عن هدى ــ أداء الرسالة ، ويتابعنا ــ عن بصيرة ــ سواء الطريق .

على هذا المنهج تقدم المجلة دراساتها ، وموضوعاتها فى الدين واللغة والأعلام والأدب ، وفنون الفكر ملتزمة توثيق مادتها وتحقيق مضمونها ملتقية بقارئها نقدا وتقوما لتؤدى الأمانة على سداد ومقاربة ، والله نعم المعين .

دكتور على الخطيب



- الجزء الرابع السنة الخامسة والخمسون
- ربيع الآخر ١٤٠٣ هجرية

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف



محمد رسول الله



الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

« أما بعـد »

فان محمدا بن عبد الله سيد ولد آدم ، وخيرة الله من خلقه ومصطفاه ، وأحب الشفعاء اليه سبحانه . روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع » .

اختاره الله لرسالته ، واصطنعه لنفسه، فنشأ عظيم الأخلاق ، كامل الأمانة ، عالى الهمة ، بعيدا عن الدنايا ، يجتمع له من خلال المروءة ، وشواهد الكمال ، وخلائق النبل ما يتفرق فى غيره من الناس .

ولم تكن المجتمعات تملك يومئذ الا انحراف السلوك ، وتحكم السفاهة ، وسيادة البطش ، وضياع المعالم لمبادىء الدين .

فكان صلى الله عليه وسلم على غير ما طبعت عليه هذه المجتمعات ، طاهر النفس ، قوى العزيمة صادق العهد ، راجح العقل ، عطوفا ، يحمل الكل ، ويكسب المعدوم ، ويعين على نوائب الدهر .

ولما أتم الله أهبته للرسالة جاءه الملك ، ونزل عليه الوحى ، فحمل أمانته الى الناس جميعا ، مبشرا ونذيرا .

لفضيلة الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

وكان فى بيته ، وفى خاصة سلوكه ، وفيما يأتيه ويذره بين الناس بيانا لآى القرآن الكريم وتطبيقا لأحكام الدين ، وصبرا كريما على مكاره الدعوة ، وأسوة حسنة لجميع البشر .

فكان مبعثه – صلى الله عليه وسلم – رحمة للعالمين ، رفع الله به غشاوة الجهل عن البصائر ، وهدى به الى الحق ، والى طريق مستقيم .

« قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (١)

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِى الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ » (٢)

لقد وردت الأخبار فى كتب السنة النبوية بمآثر محمد صلى الله عليه وسلم ، واشتغلت كتب السيرة بذكر الأحداث فى حياته فجمعت من مشاهد الجمال والكمال والجلال فى سيرته ما يبهر كل ذى لب واع ، وكل ذى رأى بصير .

ولا تزال السيرة النبوية كنزا زاخرا ، وموردا كريما يوحى بالمعانى العطرة والمثل الباهرة ، والمواقف التى تقف البشرية حيالها خاشعة .

وفى مؤخرة ازمان عدت على تاريخنا حملات الاستشراق ، وهجمات الغرب ، وجعلت فى خطتها أن تكيد للاسلام بالعيب فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأخذت تتصيد الضعيف من الاخبار والواهى من الاسانيد لتجعل منها سبيلا للطعن والتجريح.

فتصدى لها رجال مؤمنون ، يحسب لهم صدق النية ، ونبل المقصد ، وحسن الطوية ، يدافعون عن سيرة النبى ، ويعلونه فوق مصاف عظماء الرجال ، وصانعى التاريخ.

ونظروا اليه صلى الله عليه وسلم فى سماته البشرية ، وقاسوا أفعاله بمقياس الرأى ، ووزنوها بما يزن به الناس أعمالهم بعضهم مع بعض ، وبينوا أن الملكات الفطرية

---

(١) المائدة – ١٥ – ١٦ (٢) يونس ٥٧

فيه صلى الله عليه وسلم تبلغ حد الكمال الانسانى .

هؤلاء الكتاب — مع ما يدخر لهم من حساب حسن القصد ، وصدق النية — أخطأوا الطريق ويعتذر لهم أنهم كانوا فى مجال الرد على المستشرقين ، وأنهم سلكوا منهج عصرهم، واستخدموه للدفاع عن الاسلام .

والا فمحمد صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله ، لا تقاس أعماله بمقاييس العامة من الناس وانما تقاس أقواله بمقياس الرسالة ، فلا توضع الا فى ميزان النبوة ، ولا تنفصل عن هداية الوحى وأمان العصمة وشواهد التأييد من الله .

والرسل عليهم الصلاة والسلام — وقد أعدهم الله فى غيب القدر لهداية البشر — لهم سمت خاص طبعهم الله عليه ، وحفظهم فيه : « **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** » (١)

لقد قال الله لموسى عليه الصلاة والسلام : « **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ، وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** » (٢) فكان هذا الذى حدث لموسى قدرا حكيما ، واعدادا للرسالة .

وعيسى عليه الصلاة والسلام وهو فى مهده : « **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** » (٣).

ومحمد عليه أفضل الصلاة والسلام قال الله له : « **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** » (٤) .

وقال : « **وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ** » (٥) .

وقال : « **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** » (٦) .

وكانت عناية الله تلاحظه منذ ولادته وعين الله ترعاه ، وأخبار هذه الرعاية ثابتة فى الصحيح روى مسلم عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث ، انى لأعرفه الآن » .

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم محفوظا بحفظ الله ، وكانت حياته نظاما مؤتلفا ونسقا

---

(١) ١٢٤ الانعام
(٢) ٤٠ ، ٤١ من سورة طه
(٣) ٣١ مريم
(٤) ٤٨ الطور
(٥) ١١٣ النساء
(٦) ٦٧ المائدة

(١) ١٥٨ الأعراف
(٢) آل عمران ٣١
(٣) ٥٦ النور
(٤) الانفال ٢٤
(٥) النساء ٨٠
(٦) الأحزاب — ٢١

نبويا ، سواء قبل البعثة أو بعدها .

فما تدنس بشيء من أدناس الجاهلية ، ولامال الى ما يألفه أبناؤها ، ولا تأخرت عنه رعاية الله لحظة في حياته ، فكانت حركاته وسكناته صلى الله عليه وسلم قبسا من الوحي ، وتسديدا من الله لحكمة يعلمها سبحانه ، ولا ينبغي أن تقرأ السيرة النبوية الا في هذا الاطار .

ومن هنا وجبت طاعته صلى الله عليه وسلم ، وأمر المسلمون باتباعه فيما يقول ويفعل ، فيما يأتي ويذر .

يقول الله سبحانه : « **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** » (١) .

« **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** » (٢)

ويؤكد الوحي وجوب الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في آيات كثيرة منها قوله سبحانه . « **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** » (٣)

« **اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** » (٤) .

« **مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** » (٥) .

وعموم الأمر في هذا المجال أن يتخذ المسلمون من رسول الله أسوة لهم في جليل شئونهم وصغيرها « **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** » (٦) .

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر الناس فهما للدين ، وأعرفهم بقدر رسول الله وأوفاهم له ، علما بحقه ، ورعاية لعمله ، واتباعا لسنته وتأسيا به .

لقد رأوا هدايات النبوة ، وبركات الله تتنزل على رسوله ، فالتفوا حوله يتسابقون الى ما يرضي ربهم ، ويرجون أن ينالوا من فضل الله ومن بركة ما يتجلى على النبي .. في قوله وفعله صلى الله عليه وسلم .

روى البخاري عن علقمة عن عبد الله قال : « كنا نعد الآيات ــ يعني المعجزات النبوية ــ بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا ــ أى تحديا وتحذيرا ــ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء ، فجاءوا باناء فيه ماء قليل . فادخل يده في الاناء ثم قال : حي على الطهور المباركة ، والبركة من الله . فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم » صدق الله العظيم

محمد رسول الله

وروى مسـلم عن أنس رضي الله عنه قال : لقد رأيت رسـول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرة الا فى يد رجل » .

وفى صحيح البخـاري عن أبي جحيفة قال : « دفعت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالأبطح فى قبة كان بالهاجرة . خرج بلال فنادى بالصلاة ثم دخل فأخرج فضل وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع الناس عليه يأخذون منه .. » .

الحـديث :

وفى صحيح مسلم عن أنس قال : « دخل علينا النبى صلى الله عليه وسلم فقال — أى نام وقت القيلولة — عندنا فعرق ، وجاءت أمي بقارورة — وكانت محرما لرسول الله — فجعلت تسلت العرق — أى تجمعه — فاستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ياأم سليم: ما هذا الذى تصنعين ؟ قالت : هذا عرقك نجعله فى طيبنا ، وهو من أطيب الطيب . وفى رواية: قالت : يا رسول الله : نرجو بركته لصبياننا قال : صـدقت .

وعن أبي جحيفة — فيما رواه البخاري — قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهـر ركعتين والعصر ركعتين .. وقام الناس فجعلـوا يأخذون يديه فيمسـحون بها وجوههم قال : فأخذت بيـده فوضعتها على وجهى فاذا هى ابرد من الثلج ، وأطيب من ريح المسك .

ولقد التف الصحابة برسول الله ايمانا وحبا ، واتباعا له قولا وعملا . فحفتهم البركة، ونزلت عليهم السـكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وأيدهم الله بالنصر هم ومن تبعهم .

روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يأتى على الناس زمان يغزون . فيقال: فيكم من صحب الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون : نعم فيفتح عليهم . ثم يغزون . فيقال لهـم : هل فيكم من صحب من صحب الرسـول صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون : نعم . فيفتح لهم .

« وبعد » فان البشرية اليوم فى حاجة الى هدى محمد صلى الله عليه وسلم . والى سيرته العطرة تسترشد بها الى طرق الهداية .

وان فى تاريخ رسول الله أسوة حسنة ، ومثلا كريما تصلح به شئون الناس فى أولاهم وأخراهم .



أسأل الله أن يهدى المسلمين الى اتباع سـنته ، والانتفاع بسيرته ، والاقتداء بأقواله وأفعاله والتأسي به فى جميـع أعمـاله ، والأخذ بقـوله ، والرضا بحكمه ، والعمل بأحكام دينه .

وصلاة وسـلاما على محمد وآله وأصـحابه ومن تبعهـم فى الأولين والآخرين .

وكل عام وانتم بخير .

من هدى القرآن:

الفكر بين السداد والفساد

للدكتور على أحمد الخطيب

كيف يصوب الفكر فيجود بالسداد

«قضية» يعتز بها الكتاب الكريم ، ويعطيها حقها من البيان ، فإنه رسالة هذا الدين الذى جعل « العقل » مناط التكليف ، وبه الثواب والعقاب .

ولذا يعظالناس الى يوم الدين بهذه الآية الشريفة ، التى تحمل امرًا إلهيا الى النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — ومن بعده من المؤمنين :

« قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا (١) »

فخير الفكر واقربه الى الهدى ما استقل فيه الانسان بنفسه . أو استعان فيه بخبير ثقة يأمنه على أمره .

---

١ — سبأ — ٤٦ .

الفكر بين السداد والفساد

فأما الجماعة فما أخطرها على الرأى ، وما أفسدها للفكر بما تتسم به من عموم المعرفة واختلاف النزعة ، وهوى الرأى مما يلتبس معه الحق فيضع الرشد ، وينأى الصواب .

فأما الفرد فى نفسه فهو أعلم بأمره ، وأبصر بما يعرفه من نفسه ، مما لا يجب أن يعرفه أحد ، فإن استعان بربه وتجرد من نزعة الهوى والتزم العدل فى الرأى ، والنصفة فى الحق كان أحرى بالرشد والسداد .

فأما إن غام الفكر والتبس الرأى ، فهو من قضيته على أمر فى حاجة الى استرشاد فليلجأ الى خبير يطمئن الى أمانته يستوضحه ما غمض حتى يصفو فكره ويتضح له الصواب فإن «لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ» (٢) «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (٣) .

وهنا عظة الله لخلقه ، فهو خالق العقل وصانعه والعالم بسداده كيف يكون ، وفساده من أين يكون ، إليس ــ سبحانه ــ البصير بما خلق ، الخبير بما صنع . « وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » (٤) .

ومن الخبير ــ جل وعز ــ علمنا أن خير الفكر ما صدر عن صاحبه فى هذه الحدود أو استعان لنفسه بثقة مأمون .

أن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا » .

فأما الجماعة فإنما تسلم من الخلط والتباس الحق بقانون يسرى بالفكرة على « أفرادها » فى هيكل من « تخصص » بصير ، وإطار من « نظام » دقيق .

والعقيدة أخطر القضايا عند الانسان ، فإن أثرها لا يستقطب أمره ساعة ثم يزول ، إنما هى قوام حياته وما بعد مماته ، ثم هى ــ بعد ــ تمتد فى ولده وأحفاده .

وكم كان أمرها مختلفا بين رجلين :

الأَخْنَسُ بن شريق الذى سار على هدى عقله فنجا .

والوليد بن المغيرة الذى احتضن جماعته فضل وغوى .

---

٢ ــ الانعام ٦٧ .
٣ ــ النحل ٤٣ .
٤ ــ فاطر ١٤ .

كان الحكم بن هشام (ابو جهل) وابو سفيان ، والأَخْنَسُ بن شَرِيق الثقفى يتسللون — ليلا — الى منزل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهم بعد على دين قومهم مشركين ، ليستمعوا الى القرآن الكريم يتلوه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى قيامه لربه متهجدا حتى الفجر ، وكل منهم يظن انه — على هذه الحال — وحده ، حتى اذا اصبحوا جمعهم الطريق فلام كل منهم أخويه ثم تَوَاصَوْا الا يعودوا .
لكن ..

تكرر التسلل فتكرر اللقاء فتعاهدوا الا يفعلوا : فأصبح الأخنس فطرق باب أبى سفيان فلما جمعهما المجلس قال الأخنس :

— أخبرنى .. يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟

فقال أبو سفيان :

— يا أبا ثعلبة ، والله ، لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وأشياء لا أعرفها ولا اعرف ما يراد بها .

فقال الأخنس ، وأنا ، والذى حلفت به (١)

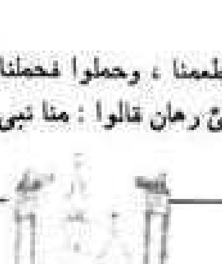
ثم خرج من عنده فطرق باب أبى جهل فلما جلس اليه قال :

— يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟

فقال أبو جهل :

— ماذا سمعت ؟

تنازعنا — نحن وبنو عبد مناف — الشرف، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى اذا تجاثينا على الرُّكَبِ (٢) ، وكنا كفرسَىْ رهان قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء .



١ — يريد : وأنا كذلك والله .
٢ — يقال لكل شيئين يستويان هما كَرُكْبَتَى العَنْز ، وذلك انهما يقعان معا الى الارض منها اذا ربضت (انظر اللسان) .

الفكر

بين السداد والفساد

فمتى ندرك هذه ... ؟

ــ والله لا نسمع به أبدًا ولا نصدقه .

فقام عنه الأخنس ، وقد وضح له الأمر ، فهذا رجل ينازع الحق حقدا ، وينأى عنه كبرا ، ويضيق به حسدًا .

وخلص الأخنس لفكره ، وكتم أمره .. حتى اذا كانت (وقعة بدر) ، وكان حليفا لبنى زهرة القرشيين أشار عليهم بالرجوع الى مكة ونفض أيديهم من هذه الحرب فأطاعوه ... وأسلم ، رضى الله عنه .

فأما الوليد فقد ذهب الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسمع منه حتى مس القرآن فؤاده ، فقال ــ فى القرآن ــ لقومه :

« ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق ، وانه يعلو ولا يُعلى عليه ».

ياعجبا لما يقول ابن أبى كبشة (١) ، فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذى من الجنون ، وان قوله لمن كلام الله ! »

فما سمع القوم قولته حتى ثاروا به واستثاروه ، فضاع منه الرأى ، وركن ــ منهم ــ الى منزلته فيهم فنأى عنه الرشد ، فنقض مابنى ، ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال : ان هذا الا سحر يؤثر (٢) .

ومات على كلمة الكفر .

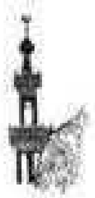
نسأل الله السداد .

دكتور / على الخطيب

---

١ ــ كنية زوج حليمة السعدية مرضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ ــ انظر تفسير آيات المدثر بابن كثير والألوسى وراجع السيرة النبوية لابن هشام وابن كثير والشيخ محمود أبو العيون ــ رحمهم الله .



دراسات قرآنية

كيف هدى الله
مخلوقاته إلى وظائفها

كيف هدى الله

البيان

كان فرعون مصر في عهد موسى يرى نفسه ربا لأمته التي بلغت شاوا رفيعا في العلم والمعرفة والسلطان ، ولا يرى لهم ربا سواه ، فحينما جاءه موسى وهرون ، يدعوانه الى الايمان بربه ورب الكون ، لأنهما رسولان منه اليه ، وقد ايدهما بآية من عنده ، عجب لذلك أشد العجب ، كما عجب لقولهما : (والسلام) ــ اى السلامة من العذاب ــ (على من اتبع الهدى) الذى جاءاه به ، وان العذاب على من كذب به وأعرض عنه ، فلهذا سأل موسى الذى رباه في بيته ــ ساله قائلا « فمن ربكما يا موسى » من هو في هذا الكون العظيم ، وما شأنه فيه حتى جعلتماه لي ربا ، فكان جواب موسى محيرا لهذا الطاغية ، وداعيا الى عظيم تفكيره ، حيث أخبره أن ربوبيته ليست قاصرة على مملكة بعينها ، كما يزعم فرعون لنفسه ، بل هو الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وأيد رسالته بعصاه التى حولها الله الى حية تسعى ، كما أيدها بيده التى يضعها في جيبه بلون جسده ، ثم يخرجها بيضاء من غير قبح ولا سوء ، فلهذا فكر فرعون في أن يبنى صرحا ، لعله يعرف من فوقه شئون هذا الرب الذى أيد موسى بهاتين الآيتين ، فقال لوزيره : « يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ٠٠ » من الآية ٤٠ من سورة غافر ٠

* عطاء الله وهدايته لمخلوقاته *

كان رد موسى على فرعون بليغا في عبارته وايجازه وشموله ، فهو شامل لعطاء الله وابداعه في مخلوقاته جسدا وصورة ، وهدايته اياها الى ما خلقت له ، فكل ما في هذا الكون أعطاه الله مادته وصورته ووظيفته ، وهداه الى أداء تلك الوظيفة ، وكل ذرة في أرض الله وسمائه خلقها الله لغاية أرادها منها ، وهداها الى تحقيق هذه الغاية ، وكل كائن بمجموع ذراته مرتبط بمصالح في أعلى ملكوته أو أدناه ، ومسخر الى ما أراده الله منه ، وكل عضو في جسد حيوان ، أو جزء في شجرة ، له

قال الله تعالى :

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾

من سورة طه

إلى مخلوقاته وظائفها

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

عضو مجمع البحوث الاسلامية

وظيفة يؤديها لمصلحة الجسم أو الشجرة ، وهكذا الأمر فى جميع الكائنات علوية كانت أو سفلية ، ولنضرب لذلك مثلا فى الانسان ، فقد خلق الله فيه اليد على تركيب خاص ، وأودع فيها قوة الأخذ والدفع ، وخلق الرجل على تركيب خاص ، وأودع فيها قوة المشى والوقوف والجرى والدفع ، وخلق كل عضو من الأعضاء لوظيفته كالفم والعين والأذن والأنف والقلب والمخ والجهاز الهضمى وغير ذلك ، وربط تلك الأعضاء بعضها ببعض على وجه يتحقق به الانسان بذاته وبقدراته المختلفة ، وفرعون لا يملك شيئا من ذلك فى نفسه ولا فى غيره ، وكل كائن ليس فى قدرته ايجاد نفسه من عدم ، ولا التحكم فى ذاته أو فى قدراته ، الا بما يسره الله له ، وكل ذلك دال على وجود الصانع الحكيم القدير العليم .

والعقل فى الانسان أعظم قوة فيه ، والسراج المنير الذى يهديه لمصالحه فيما حوله ، ولكنه لايستطيع أن يستوعب وظائف جسم الانسان وأن يعلل ترابطها ، كما لايستطيع معرفة مايغيب عنه ، ولادفع المرض أو الموت عن نفسه ، فما ظنك بشتى الكائنات ، وصدق الله تعالى اذ يقول « **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** » (٦٧ الزمر) .

واعلم يا أخى المؤمن أن الهداية التى أعطاها الله لمخلوقاته ، هى عبارة عن القوى الخفية

كيف هدى الله مخلوقاته إلى وظائفها

التى منحها اياها ، لتحقيق ما خلقت لأجله ، وتتمثل هذه القوى فى الادراكات أو الأجهـزة المعدة لخدمتها ، أو فيهما معا ، وسنقدم فى هذا المقال بعض العجائب عن النحل وما خلقت له ، وطريقة هدايتها ، ليزداد الذين آمنوا ايمانا ، ويبرأ من حيرته وتشككه المتحيرون والمتشككون واسأل الله تعالى أن يكون فى عونى وعونهم أجمعين :

* مملكة النحل وهدايتها *

النحل من الحشرات الطيارة النافعة ، بمـا نحلها الله وأعطاها من الرحيق الشافى ، ولهذا سميت نحلا ، وهى من فصيلة الذباب .

قال صاحب القاموس : « النحـل ذبـاب العسل » . فالله سبحانه وتعالى خصها من بين فصيلتها بخصائص فى غذائها وفى أجهزتهـا ، جعلتها نوعا ممتازا ، لتكون مصدرا لعسل فيه شفاء للناس ، على عكس الانواع والفصـائل الاخرى ، فان منها مايتناول كريه الغذاء ، وينقل العدوى من المرضى الى الأصحاء .

والنحل — فى أنظمتها الداخليـة — مملكة عظيمة التكوين فهى تقـوم على اليعسوب وطائفتى الشـغالة (الخنـاث) والذكور ، واليعسوب سلطانة على طائفتيها ، وهى أساس خليتها ، فاذا أرادت الخروج من عذريتهـا ، طارت الى الجو ومن خلفها طائفـة الذكور ، فاختارت من بينها زوجها ، وبانتهاء زفافها اليه وتلقيحها منه ، تنتهى حياته ، فتثور طـائفة الشغالة من الخناث على الذكور فتتخلص منها ، لانعـدام فائدتها فى الخلية ، ثم تتولى حضانة بيض الملكة جيلا بعد جيل ، فهو صالح للتفريخ منذ تلقيح زوجها لها حتى تضعف ، فتختـار الرعية لها ملكة جديدة ، والكلام فى شرح ذلك يطول ، وحسبنا رمزا الى هذا النظام ماقاله أمير الشعراء شوقى فى قصيدة :

مملكـة مدبـرة .. بامـرأة مؤمرة
تحمل فى العمال والصناع عبء السيطرة

والهداية التى منحها الله للنحل فى اخـراج العسل لم تتعلمها فى مدرسة ولا جامعة ، بـل هى من فطرة الله التى فطرها عليها ، فانظـر اليها وهى تعد بيوت العسل ، أنهـا تصنعها مسدسة الاضـلاع متسـاويتها ، بحيث اذا اتصلت صارت كالقطعة الواحدة ، ولو أنهـا اتخذتها غير مسـدسة لجـاءت بينهـا فرج « فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » .

وكما هداها الله الى صنع بيوت العسـل على هذا النمط الهندسى العجيب ، هداها الى أن تتخـذ لايوائها بيوتا من أجواف الجبـال والشجر ان لم يكن لها مالك ، وبيوتا أخـرى مما يعرشـه لها المالكون ان كان لها مالك ، وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى « وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُـوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ » (٦٨ النحل) .

والعرش فى أصـل اللغة جمـع القصـب أو الاغصـان لتكون مظلة أو موضعا مرتفعا ،

كالعريش الذى صنعه الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر ، والمقصود به هنا تهيئة البيوت لها صناعيا باى وجه ممكن كالخلايا الطينية والخشبية ونحوها مما يصنعه لها النحالون فى عصرنا .

ثم هداها الله الى أنظف طعام وأجمل رزق لتأكل منه ، وفى ذلك يقول سبحانه « ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ » (٦٩ النحل) فالمقصود بأمره تعالى اياها بالاكل من كل الثمرات ، هدايتها ودلالتها فطريا على أن تعيش من تناول أزهار كل الثمرات ونوارها ، وتتغذى من رحيقها دون اضرار بها ، بل ان ذلك يعود على الازهار بخير الفوائد ، فانها تنقل الى اناثها لقاح ذكورها ، وذلك من وظائفها .

وقد بين الله لها بالفطرة والغريزة أن طرقها الى أرزاقها ميسرة سهلة،وفى ذلك يقول سبحانه « فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا » فلهذا تخرج من خلاياها باحثة عن طعامها ، فتهديها فطرتها الى حيث توجد الازهار ، فتقطع اليها الطريق جويا دون عناء ، وان طالت الرحلة ، ولاتضل هدفها بأى حال ، فالغريزة فيها أدق من الرادار الذىاخترعه الانسان ليعرف به تحركات عدوه نحوه ، ثم بين الله الفوائد المترتبة على أكلها من أزهار الثمار فقال سبحانه : « يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ » (٦٩ النحل) والمقصود من بطونها عند الجمهور أفواهها ، وقيل من داخل جهازها الهضمى ، ويشير الى هذا المعنى ما قاله الامام على فى تحقير الدنيا : (أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة ، وأشرف شرابه رجيع نحلة) .

وسواء خرج العسل من صنع فمها أم من صنع جهازها الهضمى ، فانه شىء آخر يختلف تماما عن رحيق الازهار التى تناولته ، بفضل ما منحها الله تعالى من أسلوب علاجه ، ومن الآية الكريمة عرفنا أن العسل لا يكون لونا واحدا ، بل ألوانا مختلفة كما سنبينه فيما يلى:

ألوان العسل وفوائده

المقصود من اختلاف ألوان العسل تنوع صفاته ، فمن أحمر الى أصفر الى أبيض ، ومن سائل الى يابس ومن ذى رائحة عطرية ، الى ذى رائحة مخالفة ، فالأم واحدة ونتاجها مختلف ، فقد نوعته القدرة الالهية بحسب اختلاف المراعى والحرارة والرطوبة .

وقد بين الله فوائده فى قوله سبحانه « فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ » أى فيه بعض الشفاء للناس ، حيث جاء لفظ (شفاء) نكرة فى سياق الاثبات فلا يأخذ صفة العموم ، كما هو مقرر عند علماء البلاغة ، فقد يشفى بعض الأمراض ، ولا يشفى أخرى ، ويشفى بعض الناس ولا يشفى سواهم وان كان المرض واحدا ، لأن جسمه فى تكوينه أو لأسباب عارضة فيه غير قابل للاستفادة بالعسل كما استفاد به

غيره في مثل مرضه ، وليس ذلك راجعا الى طبيعة العسل .

ولو كان المراد عموم الشفاء بتناول العسل لقيل : (فيه الشفاء للناس) بتعريف الشفاء بأداة العموم وقد حملته طائفة من أهل الصدق والعزم على العموم فكانوا يستشفون بالعسل من كل الأوجاع والامراض ، فيشفون لصدق نيتهم ، ومن هؤلاء عبد الله بن عمر — رضي الله عنهما — فقد كان لايشكو قرحة ولاشيئا الا جعل عليه عسلا ، وحكى النقاش عن أبي وجرة أنه كان يكتحل بالعسل لعلاج عينيه ، ويستمشي بالعسل لعلاج الامساك ، ويتداوى بالعسل من سائر الامراض ، وروى أن عوف ابن مالك الأشجعي مرض فقيل له: ألا نعالجك؛ فقال ائتوني بالماء فان الله يقول « وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا » وائتوني بالعسل فانه سبحانه يقول « فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ » وائتوني بزيت فانه سبحانه يقول « مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ » فجاءوه بذلك فخلطوه له فشربه فبرأ من مرضه ، ومنهم من يقول بعموم الشفاء به اذا خلط بالخل وطبخ به ، فانه يكون منه شراب ينفع من كل داء وقد اتفق قدامى الاطباء على أن خلط العسل بالخل نافع من كل مرض باطني ، ولأهمية العسل في علاج مختلف الامراض ، كانوا يدخلونه في معاجينهم الطبية .

* الامراض التي تعالج بالعسل *

ليس هناك شك في فائدة العسل في علاج كثير من الامراض ، ولهذا تداوى به قدماء المصريين والعرب بعدما أدركوا بالتجارب فوائده الجليلة .

ولقد كان أطباء العرب القدامى يعالجون به بلغم الصدر والقصبة الهوائية بعد خلطه بالكندر ، وهو المعروف باللبان الذكر ، كما عالجوا به الكبد والطحال والاستسقاء والحصى وعسر البول والريح والسموم وضعف الشهوتين ، وعالجوا بالاكتحال به بياض العين ودموعها وحكتها وجربها ، وبخاصة اذا أضيف

الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

اليه ماء البصل الابيض ، وكانوا يوصـون بوضعه على الجراح لتنقيتها من الصـديد وانبا تـاللحم الجيد وسرعة شفائها ، ويوصون بالمواظبة على تناوله ليشـتد البدن ويحتفظ بقواه ، ويقولون : ان تناوله مع دهن الشونيز يزيل وجع الظهر والمفاصل ، والشونيز هـو الحبة السوداء ، ودهنها زيتها .

ويقول أطباء العرب : أن خلطه بالخل والملح وطلاء الأورام به يحللها ، وان أذيب فى المـاء وأضيف عليـه عصـير الليمون سكن المغص والعطش .

وقد عرف الاطباء فى عصرنا من فوائده الكثير وألفوا فيها عديدا من الكتب ، ولا عجب فى ذلك بعد مـا قاله اللـه تعالى فى شـأنه «فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ» .

ويختم الله آيـة النحل بقوله «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» يعنى أن ما مربيانه من اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والاعمال لعجيبـة ، وخـروج الشراب الحلو المختلف الالوان من جوفها ، وجعله شفاء للنـاس ــ مامر بيانه من أمرها ــ يعتبر آية عظيمة على أن لها ربا حكيما أحسن خلقها ، وهداهـا الى ما خلقها من أجله ، وأن تلك الآيـة تظهر بوضوح لقوم يتفكرون ، فيدركون أن هـذه الذبابة الضـئيلة الحجم الضـعيفة البنيـة لاتستطيع أن تأتى بهذه العجائب الا بفضـل من أعدها لها وألهمها اياها وهو الله رب العالمين «الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ» .

❁ لكـل داء دواء ❁

وقد عرفت من الآية الكريمة أن فى العسـل شفاء للناس ، وقد جاء ذلك أيضا فى السـنة الصحيحة ، فقد أخرج البخارى فى كتاب الطب بسنده عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان كـان فى شيء من أدويتكم أو يكن فى شيء من أدويتكم خير ، ففى شرطة محجم أو شربة عسـل ، أو لذعة بنار توافق الداء ، وما أحب أن أكتوى » وجاء فى الصحيح عن جابر أنه صلى اللـه عليه وسـلم قـال « لكل داء دواء ، فاذا أصيب دواء الداء برأ بـاذن الله » وروى أبو داود والترمذى عن أسـامة بن شريك قال : قالت الاعـراب : الا نتداوى يارسول الله ؟ قال : « نعـم . يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء أو دواء الا داء واحدا » قالوا : يارسول الله وما هو ؟ قال « الهرم » واللفظ للترمذى وقال : « حديث حسن صـحيح » والله الموفق .

مصطفى محمد الحديدى الطير

دراسات في السيرة والتاريخ

نقد لبعض أحاديث صحيح

- نقد المتقدمين لبعض أحاديث البخارى
- كف اليد وضبط اللسان
- قادة النبى صلى الله عليه وسلم
- كان ظهور الإسلام نقطة التحول

منذ ان الف الجامع الصحيح للبخارى اتجهت الهمم اليه ، وأصبح قبلة المحدثين وائمتهم ، وقد شهد له فى عصره بالصحة وحسبك شهادة الأئمة : على بن المدينى ، واحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وتقدير ائمة العلماء له كما تقدم، وأصبح كتابه قبلتهم وورده المورود ، ومن الأئمة من دعتهم همتهم العالية وعنايتهم به بعد وفاة البخارى الى تطبيق أحاديثه على ما التزمه البخارى فى صحيحه ، ومابدا لهم فى أحاديثه انه لم يوافق شرطه تناولوه بالنقد .

وكان من أعلام هذا الميدان الامام الحافظ أبو الحسين على بن عمر بن أحمد الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

ووجه نقده الى أحاديث انفرد بها البخارى، وبعضها اتفق فيها معه الامام مسلم ابن الحجاج .

وكذلك كان من النقاد أبو مسعود الدمشقى وأبو على الغسانى ، قال الامام النووى محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامى

البخارى
المتقدمين

لفضيلة الدكتور
الحسينى هاشم
امين عام مجمع البحوث الاسلامية

المتوفى سنة ٦٧٦ هـ فى مقدمة شرحة للامام مسلم (١)

« قد استدرك على البخارى ومسلم أحاديث أخلا بشرطهما فيهما ، ونزلت عن درجة ماالتزماه ، فقد ألف الامام الحافظ أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى فى بيان ذلك كتابه المسمى بالاستدراكات والتتبع وذلك فى مائتى حديث مما فى الكتابين .

ولأبى مسعود الدمشقى أيضا عليهما استدراك ، ولأبى على الغسانى الجيانى فى كتابه (تقييد المهمل فى جزء العلل) فيه استدراك أكثره على الرواة عنهما .

قال النووى : وقد أجيب عن كل ذلك أو أكثره .

وفى مقدمة شرحه للبخارى (٢) قال : قد استدرك الدارقطنى على البخارى أحاديث وطعن فى بعضها ، وذلك الطعن الذى ذكره فاسد ، مبنى على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جدا ، مخالفة لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول ، ولقواعد الأدلة فلا تغتر بذلك . أ . هـ

وهذه شهادة الامام النووى رجل السنة وأصولها ، شارح مسلم والبخارى وصاحب كتاب (التقريب فى أصول قواعد الحديث) ، وقد وضع ابن حجر قاعدة أصلية عامة فى الرد على النقاد اعتبرها الجواب الاجمالى المقنع فى الرد على كل ما انتقد على البخارى ومسلم، ومن الأئمة المذكورين الدارقطنى وأبومسعود الغسانى وغيرهم .

ولا يوفق المجيب :

وفى جواب ابن حجر الاجمالى يتوفر الرد على نقد كل معترض مع ملاحظة أن عدم التوفيق فى الاجابة فرضا فى بعض نقاط الاعتراض لا يكون مسوغا للتسليم بالنقد ، لأنه من الممكن أن يخطىء المعترض ولا يوفق المجيب .

ولو كان الاعتراض فى حال حياة البخارى ووجه اليه لكان ملزما عند عدم الاجابة عليه ، وأنت ترى أنه لو لم يوفق الله ابن حجر وأمثاله فى قوتهم العلمية ، لما كان من المعلوم الاجابة على نقد النقاد رغم عدم وجاهتها وعدم ثبوتها فى الواقع .

على أن ابن حجر قد وفق ووفق فى الاجابة وأنصف فى تقديم الدليل الاجمالى ، ردا على كل نقد موجه للشيخين ، ثم أعقب ذلك تأكيدا

١ ــ شرح النووى جـ ١ ص ٢٧ .
٢ ــ شرح النووى جـ ١ ص ١١ .

نقد المتقدمين لبعض أحاديث صحيح البخاري

وتبيانا بالأدلة التفصيلية ، ثم تتبع الأحاديث حديثا حديثا بالرد عليه وهى مائة وعشرة .

على أنه من الطريف الذى لا يدع مجالا لمعترض أنه قد أثبت ابن حجر أن جميع ما اعترض على البخارى به قد جاء وورد من طرق أخرى صحيحة غير معترض عليها وبذلك قد بين أن قيمة هذا النقد لا تمس صحة المتن حيث أنه قد ورد بأسانيد أخرى صحيحة .

وقال الحافظ ابن حجر فى الكلام فيما أعل من الأحاديث المسندات وعدة ما اجتمع لنا من ذلك مما فى كتاب البخارى ، وان شاركه مسلم فى بعضها مائة وعشرة أحاديث منها ما وافقه مسلم على تخريجه ، وهو اثنان وثلاثون حديثا .

ومنها ماانفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثا .

الجواب الإجمالى

والجواب عنه على سبيل الاجمال أن نقول : لا ريب فى تقديم البخارى ثم مسلم على أهل عصرهما ، ومن بعده من أئمة هذا الفن فى معرفة الصحيح والعلل ، فانهم لا يختلفون فى أن على ابن المدينى » كان أعلم أقرانه بعلل الحديث ، وعنه أخذ البخارى ذلك حتى كان يقول : « ما استصغرت نفسى عند أحد الا عند « على بن المدينى » ومع ذلك فكان على بن المدينى اذا بلغه ذلك عن البخارى يقول : دعوا قوله ، فانه ما رأى مثل نفسه وكان محمد بن يحيى الذهلى اعلم أهل عصره بعلل حديث الزهرى وقد استفاد منه ذلك الشيخان جميعا .

وروى عن البخارى قال : (ما ادخلت فى الصحيح حديثا الا بعد أن استخرت الله تعالى ، وتيقنت صحته) .

وقال مكى بن عبد الله : سمعت مسلم بن الحجاج يقول : عرضت كتابى هذا على أبى زرعة الرازى فكل ما أشار أن له علة تركته .

فاذا عرف وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث الا مالا علة له ، أو له علة الا أنها غير مؤثرة عندهما .

فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا لتصحيحهما ولا ريب فى تقديمهما فى ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة .

الحسينى هاشم

كف اليد وضبط اللسان

للأستاذ فوزي سالم عفيفي

كل اساءة ينحدر اليها الانسان فى معاملته مع أخيه الانسان مصدرها اما لسان يرسل الكلام كيفما يكون لا يتقى الله ، أو يد تمتد بالأذى أو الاعتداء .

وسائر الحواس فى الايذاء كاللسان ، واليد ، ولكن يقل نصيبها فى مجال الاساءة عن اللسان واليد عادة .

ومن هنا كان توضيح رسول الله صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (١) . والانسان الذي يؤذي الناس بلسانه ويده يؤذي نفسه وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من أمثاله بقوله « ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامةمن تركه الناس اتقاءفحشه» (٢) .

وهل تتحقق السلامة الا بامساك اللسان عن كل مالا يجمل بالانسان أن يقوله وبامساك اليد وصونها عن الايذاء صيانة لحق الأخوة الانسانية .

ولما كان ما يصدر عن الانسان من قول أو عمل ـ انما ينبعث من داخله تلبية لرغبة أو استجابة لنزعة أو اشباعا لعاطفة ـ فان من الطبيعي أن يبدأ الاسلام باصلاح المسلم من داخله . ونقطةالبداية فىهذا المنهج الاصلاحي هو أن يحب الانسان أخاه الانسان ـ بعد ذلك يصون لسانه ويده عنه ـ فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٣) . لأنه اذا نظر المسلم الى

١ ـ رواه مسلم من جابر .
٢ ـ رواه الشيخان عن عائشة .
٣ ـ رواه الشيخان عن انس .

مراجع الحديث

١ ـ مختصر شرح الجامع الصغير للمناوى الشيخ مصطفى محمد عمارة .
٢ ـ التاج الجامع للاصول الشيخ منصور على ناصف
٣ ـ مختارات الاحاديث والحكم النبوية الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف

أخيه المسلم نظرته الى نفسه لم يستطع أن يخذله أو يسوءه أو يحقد عليه — بل يلتزم معه الصدق فلا يكذب عليه ، ويكون أمينا عليه وعلى عرضه وماله ، ويعف عما فى يده فلا يتطلع اليه ، ويتواضع فلا يستكبر عليه ، ويبر بوعده معه فلا يحنث فيه . لأن كل انسان يكره أن يكذب عليه الناس أو يخونوه أو يحتالوا عليه أو يستكبروا عليه .

وهذه الأخوة الانسانية ركز عليها النبى صلى الله عليه وسلم حين قال « **المسلم اخو المسلم** » وتكملة الحديث الشريف : « **لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه** » وفى هذا الحديث أشار النبى صلى الله عليه وسلم الى صدره وقال « **التقوى ها هنا** » ثم قال ، **بحسب امرىء من الشر أن يحقر اخاه (١)** .

ومن هذا الحديث نتخذ ركائز العلاقات الانسانية .. فلو أن كل انسان وضع نفسه موضع غيره لاستحيا أن يخون أو يكذب أو يخذل أخاه أو يغدر به — ولكره كل هذا لغيره كما يكرهه لنفسه .

وليس مسلما ذلك الذى يؤذى الناس بلسانه ويده — لأن وراء كل لسان بذىء وكل يد مؤذية نفسا أمارة بالسوء — وان لهذه النفس شطحات ونزوات وثورات — اذا سيطرت فقدت النفس رشدها — وكانت اشارة النبى صلى الله عليه وسلم الى (**التقوى ها هنا**) فى صدر الانسان — من داخل نفسه التى تحرك سلوكه — والا يصبح الانسان مصدر فساد وافساد لنفسه ولغيره ومصدر ازعاج لنفسه ولغيره ومصدر ايذاء لنفسه ولغيره على الأعراض والأموال والأنفس .

ان الجار هو أول ملاصق للانسان فى مجال الأخوة والعلاقات الانسانية — والنبى صلى الله عليه وسلم قال « **والله لا يؤمن والله لا يؤمن — والله لا يؤمن — قيل من يارسول الله ؟ قال الذى لا يامن جاره بوائقه** » (٢) أى مصائبه وعدوانه — وان اعفاف النفس عما لا يليق بالانسان أن يعمله لنفسه أو لأخيه ، والترفع بها عن كل سىء من القول والعمل باللسان واليد هو منهج يقوم على الكمال فى الصفات والأفعال .

وتعتبر « الرشوة » من أسوأ ما يمكن أن تقوم به اليد من الاعتداء فى مجال الدين والعلاقات الانسانية أخذا أو عطاء . فبعض الناس فى كل زمان ومكان ينظرون الى الرشوة وكأنها ضريبة من الضرائب الواجب أداؤها طوعا أو كرها — حتى يظفروا بطلبهم — ومنهم من تكون حاجته وشيكة النفاذ فيتعجل ويسارع بتقديم رشوة الى الشخص المختص المكلف بها — وربما يلح عليه فى أخذها .

لقد حرم الله عز وجل الرشوة لما لها من أضرار وعواقب وخيمة وآثار سيئة — فقال تعالى (**وَلَاتَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ**

---

١ — اخرجه الترمذى ومسلم عن أبى هريرة .

٢ — رواه البخارى ومسلم .

وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (١٨٨ البقرة)

وقد روى الترمذى وابن ماجة وابن حبان عن أبى هريرة : « **لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى** » فى الحكم — وروى أحمد والبزار والطبرانى عن ثوبان « **لعن الله الراشى والمرتشى والرائش الذى يمشى بينهما** » وروى الطبرانى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « **الراشى والمرتشى فى النار** » .

يروى أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز اشتهى التفاح يوما فسمعه أحد أقاربه — فأهدى اليه منه — فدعا عمر غلامه وقال له : احمل التفاح الى من أحضره فسلم عليه ثم رده اليه — فقيل له ان الذى أهدى اليك التفاح رجل من أهل بيتك والنبى صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية — فقال ان الهدية كانت للنبى صلى الله عليه وسلم هدية — « **ولكنها أصبحت رشوة (١)** » .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث رجلا من الأزد يجمع الصدقات فلما جاء الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لى هدية : **فقال عليه الصلاة والسلام « الا جلست فى بيت أبيك او بيت أمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا »** ثم قال « **مالى استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لى هدية — الا جلس فى بيت أمه ليهدى له — والذى نفسى بيده لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حق الا أتى الله يحمله (٢)** » .

ان النفس الانسانية مفطورة على حب من أحسن اليها — فاذا أهدى شخص الى قريبه أو جاره أو صديقه هدية ورد من أهدى اليه الهدية بمثلها — كان ذلك من بواعث المحبة وتوطيد الألفة وزيادة الرابطة وتأكيد المحبة عملا بقوله صلى الله عليه وسلم « **تهادوا تحابوا** » (٣) .

أما اذا أهدى شخص الى موظف أو مستخدم لا يعرفه هدية — لأن بينه وبينه مصلحة خاصة انقلبت الى رشوة — اعطاؤها ذنب وأكلها حرام . ولكن الراشى والمرتشى قد عميت بصيرتهم عن عذاب الله لهم ، وأصبحوا يتخذون لاسم الرشوة أسماء جانبية . فيقول بعضهم انها (أتعاب) أو (بدل مجهود) أو (حلاوة تنفيذ الطلب) أو (تعبير عن المحبة) أو (تذكار شكر) أو (افتكرنى) الى غير ذلك من أسماء وأساليب ملتوية — ولبست الرشوة بذلك أثوابا مختلفة الألوان حتى يتم تحليل الحرام والهروب من الوقوع فى الآثام . ولكن هيهات — انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا .

والمرتشى يحتال على القانون ليجد منفذا — ولا يقلق ضميره ان أضر بالآخرين لانجاز ما طلب منه — واذا وقر فى نفوس الناس أن صاحب الحق منهم لا يجد وسيلة للوصول الى

١ — الشيخ عبد المنصف عبد الفتاح : نهضة الداعى ص ٦٠ .

٢ — رواه البخارى فى عدة كتب .

٣ — رواه أبو يعلى فى مسنده من أبى هريرة (حديث حسن) .

حقه الا اذا قدم هدية لمن يملك ايصال هذا الحق ــ أصبحت الرشاوى سببا فى امتلاء النفوس بالأحقاد وانتشار البغضاء لهذا الاغتصاب أو تخطى الحقوق ــ وينتشر أكل أموال الناس بالباطل ــ وقد يصبح وباء عاما مع اختفاء الوازع الدينى فى المجتمع ــ وتصبح الرشوة من سمات مجتمع الرذيلة والعياذ بالله .

ان قبول الرشوة هو اعلان باستحقاق العذاب من الله ــ لما تقوم به الرشوة :

أولا : من افساد للنفس وتخريب للذمة وبيع للضمير وبعد عن الدين .

ثانيا : تؤدى الى تخطى ذوى الجدارة والكفاءة فى الوظائف والأعمال ــ أو الحصول على حق لا يستحقه الراشى أو يستحقه بعد زمن طويل ــ أو الاضرار بشخص أو بشىء خدمة للراشى أو تحقيقا لغرضه . وكم من مصانع سرقت أو متاجر أحرقت أو مخازن نهبت أو خزائن فتحت وكان سببها رشوة ضعاف النفوس ــ أو اغراء بعض المسئولين من متوسطى الحال بالمال الكثير .

روى أن الخليفة المهدى جاءه قاض يطلب الاستقالة ــ ولما سأله عن السبب قال تقدم لى خصمان كل يدعى بينة وشهودا وأعد لى أحدهم هدية ورشا بؤابى ليدخلها على ــ فأنكرت ذلك وأمرت بردها وطردت بوابى فلما كان اليوم ــ تقدم الخصمان فما تساويا فى عينى ولا قلبى ــ فاذا كانت هذه هى حالة نفسى ولم أقبل فكيف تكون حالتى لو قبلت ــ ولا آمن أن تقع علىّ حيلة فى دينى فأهلك وقد فسد الناس ــ فاعفنى وأقلنى (١) .

وليست هذه قصة خيالية بل هى واقعة حقيقية روتها كتب التاريخ ــ وان دلت على شىء فانما تدل على منتهى الالتزام بمنهج الله وصراطه المستقيم ــ وتدل على التقوى فى أوضح ما تظهر مما يفتقر اليه الكثيرون .

ومما روى فى مثل هذا الموضوع أن أحد القضاة فى مصر لما ولى القضاء دعا امرأته وقال لها ــ كيف علمت محبتى لك ــ قالت خيرا ــ جزاك الله من عشير .

فقال لها لقد علمت ما بليت به من أمر الناس واقامة العدل بينهم ، فأنت الطلاق ان كلمتنى فى خصم . قيل : فان كانت لترى دواته قد احتاجت الى الحبر فلا تأمر بها أن تمد خوفا من أن يدخل عليه فى يمينه شىء .

ان مما يساعد على تفشى الرشوة قيام بعض ذوى النفوس الضعيفة بأخذها ــ وان الوسط الذى يساعد على هذا العطاء والأخذ يبدأ من داخل النفس الانسانية ــ فضعف الوازع الدينى هو السبب الأول ، والمجنى عليه هنا هو المجتمع ــ لأن المرتشى يتعود مخالفة النظام واهمال العمل بما لا يكون فى المصلحة العامة ، ويبدأ فى الطمع والجشع وتعطيل المصالح الا اذا حصل على رشوة أو هدية ويتلكأ أو يسرع فى الانجاز حسب ما وقع فى يده منها وقد يرفض تنفيذ الأعمال الا بها ، فيتوقف العمل وتفسد المصالح العامة .

---

١ ــ قصص العرب ٢ : ٧٤ .

قال الامام على : لوكان الفقر رجلا لقتلته .
لأن الفقر من عوامل الانحراف والاغراء ، فاذا خالطه ضعف فى الوازع الدينى لم يتورع الشخص عن السرقة والرشوة وغيرها .

« وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ » . (٥٢ النور) .

واللسان من أجل نعم الله على عباده وأعظم آية من آياته وأروع لطيفة من لطائف صنعه وبدائع قدرته — فانه مع صغر جرمه وبساطة حجمه عظيم القيمة فى الطاعة أو شديد العطب والضرر فى العصيان وما من موجود أو معدوم متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم الا واللسان يتناوله باثبات أو نفى . وكل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان ويتحدث عنه اما بحق أو بباطل .

وهذه خاصية عظيمة الشأن خطيرة القدر لا توجد فى أى عضو من الأعضاء الأخرى : فالأذن تختص بالأصوات ، والعين تختص بالألوان والصور واليد تختص بلمس ومسك الأجسام وهكذا باقى الأعضاء . أما اللسان فانه مع اختصاصه بالكلام الا انه رحب الميدان واسع المدى — فهو ترجمان القلب ودليل على الفؤاد ومعبر عن الوجدان . وبينه وبين الأعضاء رباط وثيق .

اذا تحدثنا عن آفاته وشدة خطره ومدلهمات آثاره وسواد ليل حصائده فان أخطرها الكفر والالحاد والزور والبهتان والكذب والغيبة والقذف والنفاق والسب والشتم والفحش والخصومة وهتك العورات والخوض فى الباطل نعوذ بالله من شر ذلك .

واذا تحدثنا عن بدائع فوائده وطيب أفعاله وحلاوة صنعته وجميل آثاره — فان أعظمها التوحيد والطاعات وقراءة القرآن والذكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واحقاق الحق واثبات العدل وقول الصدق .

نسأل الله التوفيق والقبول .

ومن الذى يجهل خطره أو يتجاهل اثره .

ومن الذى لا يعترف بما له من شأن فى التعبير عما يجول بالخواطر أو يخطر بالمشاعر !!

ومن الذى ينكر دوره فى العلاقات المجتمعية بين الناس فى كل وقت ومكان !!

هذا اللسان — لانجاة من خطره الا بالصمت ولا فرار من رذائله الا بالامتناع عن الكلام — ولا سلامة للانسان الا بحفظ اللسان وبأن يترك الانسان الكلام فيما لا يعنيه . قال صلى الله عليه وسلم « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره،ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه،ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**[1] » وعن معاذ بن جبل قال : قلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به قال « ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوهم الا حصائد ألسنتهم » [2] .
وقال عقبة بن عامر يارسول الله ما النجاة — قال صلى الله عليه وسلم « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك [3] » اذن من سره أن يسلم فليلزم الصمت .

وقديما قالوا : خيركم من فك كفيه وكف فكيه .

---

١ — رواه الاربعة .
٢ — رواه الترمذى عن معاذ .
٣ — التاج ٥ : ١٨٣ .

كف اليد وضبط اللسان

وروى أن عمر بن خطاب رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنهما يمد لسانه فقال له ما تصنع ياخليفة رسول الله ؟ قال : هذا أوردني الموارد وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء من الجسد الا وهو يشكو ذرب اللسان(١). وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا اله الا هو ما شيء أحوج الى طول سجن من لسان (٢) • وقال أحد العلماء : السكوت في وقته صنعة الرجال والنطق في موضعه أشرف الخصال لأن من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس — وايثار أصحاب المجاهدة السكوت لما علموا ما في الكلام من الآفات لأن في الصمت سلامة مؤكدة أعظمها السلامة من تبعات القول في الدنيا ومن الحساب عليه في الآخرة •

ان من الآفات الذميمة الشائعة التي يكثر وقوعها من اللسان : الكذب وخلف الوعد والغيبة واللعن والمجادلة والحلف بغير الله والسخرية من الناس •

وهي أمور لا يستطيع المتكلم فيها أن يمسك لسانه عنها وقلما يقدر على منعه منها لاعتياده عليها أو لانجرافه اليها • ولقد كان من دعوات المصطفى صلى الله عليه وسلم (اللهم اني أعوذ بك من المأثم والمغرم) (٣) • وعن عروة بن الزبير عن عائشة أن قائلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله ؟ فقال : (ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف) (٤) •

ان كل شخص مسئول عن كل كلمة يتكلم بها وكل حرف ينطق به كما ورد في قوله تعالى « مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » فأنفاس الانسان رأس ماله في الدنيا ومحسوبة عليه في الآخرة • وكل وقت يمر ولا ينتفع به فسيتحسر عليه يوم يقوم الناس لرب العالمين • ومن يكثر الكلام فيما لايعنيه لا يؤمن عليه الخوض في الباطل — وأكثر الناس يتجالسون ليفرجوا عن أنفسهم بالحديث — وتلقائيا يتحول المجلس الى الحديث عن أعراض الناس والتعرض لعوراتهم والخوض في الباطل بذكر الحكايات عن النساء والفوازير والنكت الجارحة وأحوال الفساد والشر والخمر والمظالم والسرقات والرؤساء والرشاوى والخوض في البدع والمذاهب الفاسدة — وكل ذلك يحدث ولم يسلم منه الا قليل من الناس • ومن الحديث الشريف **(وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم) (٥)** •

وقديما قالوا : ثلاثة تصعب على الانسان : تعرف عيوبه وكتمان سره وامساكه عما لايعنيه •

والغيبة هي مصيبة المصائب وبلية المتكلم ضد الغائب • وهي ذكر أخيك الغائب بما يكره • فان كان فيه الخصال التي ذكرتها وهو يكره أن يسمعها تقال عنه فهذه هي الغيبة • والمغتاب موصوف بأنه يأكل لحم أخيه ميتا • قال تعالى : « أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » • وقد روى أبو داود

---

١ — ابو يعلى في مسنده عن ابي بكر •
٢ — التاج ٥ : ١٨٢ •
٣ — ٤ تسابيح الرحمن للشيخ عبد الجواد عبد الكريم ص ١٢١ •
٥ — رواه البخاري والترمذي •

والترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : حسبك من صفية كذا وكذا (قال بعض الرواة أى قصيرة) فقال « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » أى تغير لون ماء البحر وطعمه ورائحته .

ولما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم رأى قوما لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال « من هؤلاء يا جبريل » قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم (١) .

والغيبة تخرق الصوم كما بين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الصوم جنة ما لم يخرقها» قيل بما يخرقها يا رسول الله — قال « بكذب أو غيبة » (٢) . ويجب على المرء تجنب غيبة أخيه لخصلتين :

أما الأولى فلعلك تعتابه بشىء هو فيك .

وأما الأخرى فاشكر الله أنه عافاك مما ابتلاه به . قال الامام الشافعى :

اذا شئت أن تحيا سليما من الاذى
وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرىء
فكلك عورات وللناس السن

انك اذا اغتبت أخاك أخذ من حسناتك . قال أحد العلماء أولى الناس بحسناتى والدى اذا أردت أن أغتاب .

ويجب على المرء أن ينزه سمعه عن سماع الغيبة كما ينزه لسانه عن قولها — لأن السامع شريك القائل — وقديما قالوا :

القلم أحد اللسانين وسامع الغيبة أحد المغتابين .

١ — فى سنن أبى داود عن أنس .
٢ — رواه الطبرانى عن أبى هريرة .

كثير من الناس يهوى المجادلة . قال صلى الله عليه وسلم (ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل) (٣) . والمجادلة هى افحام المتكلم معك وتعجيزه وتنقيصه بالذم فى كلامه واتهامه بالجهل والقصور ليظهر خطؤه ويبين المجادل بذلك فضل نفسه ونقص صاحبه — والى جانب الجدل يوجد المراء وهو الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما فى النظر أو فى المعنى أو فى قصد المتكلم . والجدل والمراء نقيصتان — لأن الباعث على الجدل والمراء هو :

التعالى باظهار العلم والفضل .

والتهجم على الغير باظهار نقصه .

وهما شهوتان باطنتان للنفس .

أما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس التى تشعر بنقصها أو لاشباع رغبة العلو والكبرياء .

وأما تنقيص الآخر فهو اشباع لرغبة تمزيق الغير وايذائه وتصمه رغبة فى الزهو والسيطرة . اذن هما حالتان من حالات النفس ومظهر من مظاهر الاشباع النفسى لشهوتى التكبر والسيطرة . ولا تلبث هذه الحالات أن تؤتى ثمارها فى تهييج الغضب بين المتجادلين والشجار والسباب والعراك ثم اضمار السوء والعداوة .

فكل كلام تسمعه — ان كان حقا فصدقه وان كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت . وقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه أبو داود عمن يترك المراء وهو محق يبنى الله له بيتا فى الجنة .

٣ — رواه احمد والترمذى عن ابى امامة .

كف اليد وضبط اللسان

وعلاج كل علة بازالة الدافع لها والقضاء على سببها ثم المواظبة على الصمت .

ولا يأتى ذلك الا بالتعود على مجاهدة النفس والصبر عليها .

قال النبى صلى الله عليه وسلم « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر (١) » وقال « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء (٢) » . فالسباب والقتال والطعن واللعن وبذاءة الألفاظ والشتائم وغيرها لا يحبها الله ورسوله . وهى أمور لا يرضاها الاسلام أن تكون متداولة بين المؤمنين اصلاحا لحالهم ورحمة بهم . فاللعنة مثلا خطر وخيم العاقبة وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله « من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه (٣) » . وبعض الناس يعجبهم التلفظ باللعنة على الآخرين دون غيرها من أنواع السباب وهذا أمر مذموم . وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها (أى لعنت المرأة الناقة) فسمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « خذوا ما عليها ودعوها فانها ملعونة (٤) » .

ورمى الناس بالكفر خطر وخيم كذلك — ولا يصح أن نرمى شخصا بالكفر أو بالفسق فالله أعلم بحاله ومآله وعاقبته . وعقاب هذا الرمى مثل عقاب ذاك اللعن تماما — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما فان كان كما قال والا رجعت عليه (٥) » .

ان لعنة الناس ورميهم بالكفر والاستهانة بهم والتحقير لشأنهم والسخرية منهم بالاشارة أو الايماءة أو الفعل أو القول من الآفات التى يتعرض لها ضعاف النفوس . قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ** » .

وان مجرد احتقار المسلم يعتبر شرا وخيما كما ورد فى الحديث الشريف « بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم (٦) » كما لا يصح أن يعيره بما سلف من ذنوبه التى تاب عنها أو يذكره بأخطائه أو أفعاله السيئة . وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « من عير أخاه بذنب قد تاب عنه لم يمت حتى يعمله (٧) » . رواه الترمذى .

ومن العثرات الخطيرة الحلف بغير الله أو الحلف بالآباء أو الحلف بالله كذبا وهى اليمين الغموس التى تغمس صاحبها فى النار . قال صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم (٨) » فمن كان حالفا فلا يحلف الا بالله أو ليسكت . ولاتتعود الحلف اذا شك محدثك فى صدقك والا فانها عادة تضر ولا تنفع .

ان التوجيهات السامية التى رسمها الاسلام للمحافظة على الانسان من خطر لسانه

---

١ — رواه الشيخان عن ابن مسعود .
٢ — اخرجه الترمذى واحمد عن ابن مسعود .
٣ — اخرجه الترمذى وابو داود عن ابن عباس .
٤ — رواه مسلم عن عمران بن المعين .
٥ — اخرجه الشيخان عن ابن عمر .
٦ — اخرجه مسلم والترمذى عن ابى هريرة .
٧ — رواه الترمذى .
٨ — رواه الشيخان عن ابن عمر .

موضحه كالآتي :ـ

١ ـ السكوت والاعراض عن اللغو . قال تعالى « **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ** » .

٢ ـ مراعاة حسن القول مع التنبيه على أن الشيطان ينزغ بيننا لاحداث الشجار والمهاترات . قال تعالى « **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا** » .

٣ ـ بيان أن القول السديد البعيد عن الغش والكذب والغيبة والرياء والفحش أساسه التقوى وأنه يصلح العمل ويغفر الذنب قال تعالى « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** » .

٤ ـ الحرص من سماع الأنباء التي تقال عن الآخرين أو منهم الا بعد التثبت لئلا يحدث ما نندم عليه قال تعالى « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** » .

٥ ـ الأمر بتقوى الله والاصلاح بين الاخوة حتى يدوم الود والرحمة ويمتنع الحقد والغيبة وغيرها . قال تعالى « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** » .

٦ ـ التحذير من السخرية بالناس واللمز والتنابز بالألقاب .

قال تعالى « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ** » .

٧ ـ تجنب الظن السيء بالناس والتجسس عليهم وغيبتهم .

قال تعالى « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا** » .

٨ ـ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن استقامة اللسان أساس استقامة القلب ثم الايمان .

قال في الحديث الشريف « لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » . رواه أحمد في مسنده وقال: « من يضمن لي مابين لحييه ومابين رجليه أضمن له الجنة » أي لسانه وفرجه . رواه الشيخان والترمذى .

٩ ـ ان الفترة التدريبية الاجبارية للسان تأتي في فترة الصيام الأسبوعية (كل اثنين وخميس) أو الفترات الموسمية ثم شهر رمضان ـ لأنه ليس الصيام من الطعام والشراب وانما من اللغو والرفث ـ واذا خاصمك شخص أو شاتمك أحد تصبر وتقول: انى صائم انى صائم وتكرر ذلك حتى تنضبط سلوكيا عن طريق لسانك .

١٠ ـ تذكرة علاج شافية يذكرها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مقامه (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا كانت كفارة لما بينها » .

مـا أحلى ذكر الله تعالى ينساب من قلب المؤمن فيتحرك به لسانه فيرطبه ولا يزال رطبا بذكر الله فنعم البركات والنفحات .

فوزى سالم عفيفى

قادة ٣

*** محمد بن مسلمة بن خالد بن عدى** — أخو بنى عبد الأشهل — أنصارى بدرى ، فارس لا يشق له غبار ، لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة من الغزوات سوى تبوك فقد عينه الرسول صلى الله عليه وسلم أميرا على المدينة أثناء هذه الغزوة — على الأرجح • ، ويكفيه ذكرا أنه كان قائد حرس الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة شبه دائمة •

كان قائد حرس المسلمين فى الحديبية ، وكان كالفهد لا ينام الا وهو على أهبة ، كأنه ينام وعيناه مفتوحتان ، فلما اقترب المشركون من معسكر المسلمين فاجأهم ابن مسلمة رضى الله عنه وأخذهم أخذا شديدا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الأسرى هم الذين عرفوا بعتقاء محمد — صلى الله عليه وسلم •

واشتهر بمبارزاته المنتصرة فى خيبر •

تولى قيادة كثير من السرايا — الأولى — ورفع راية الاسلام فيها وهو الذى هاجم بطنا من بنى حنيفة فى القُرْطاء — من اليمامة قرب الرياض — وأسر ثُمامة بن أثال الحنفى ، وقد أحسن الرسول صلى الله عليه وسلم معاملته ثمامة ، فأسلم وضايق قريشا فى امداداتها من الطعام بعد اسلامه ، فلم يمدهم بما يحتاجون حتى أذن له الرسول صلى الله عليه وسلم •

وأهم سرايا ابن مسلمة رضى الله عنه — السرية التى قتل فيها كعب بن الأشرف النضرى وكان يهود بنى النضير يسكنون المدينة — قرب قباء — وبعد « بدر » بدأ الحقد اليهودى ينفث سمومه ، وسافر كعب الى قريش يثير فيها نار الثأر ، ثم عاد الى المدينة يلمز ويهجو ، ويقول شعرا يجرح به نساء المسلمين ، واشتد خطره وحقده وتوالت مؤمراته ، فكان لابد من درء خطره ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم **(مَنْ لى بابن الأشرف ؟)** •

فقال محمد به مسلمة رضى الله عنه **(أنا لك به يارسول الله أنا أقتله)** — وكان بنو الأشهل من الأوس حلفاء بنى النضير

ويتفق محمد بن مسلمة رضى الله عنه ، وأبو نائلة (سَلْكَان بن سلامه) ، وعبّاد بن بشر ، الحرث بن أوس ، وأبو عَبْس بن جبر — وكلهم

النبي صلى الله عليه وسلم

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

من بنى الأشهل — على قتل ابن الأشرف ، ويستأذنون الرسول صلى الله عليه وسلم فى أن يقولوا على الرسول — فيأذن لهم ، ويمكنهم الله من عدو الله فيقتلونه ويستأصلون شره قبل أن يعصف بالمسلمين ، وبقتله دخلت عقارب يهود جحورها خوفا .

ويطول العمر بابن مسلمة رضى الله عنه ويعتزل الحرب التى وقعت بين على ومعاوية رضى الله عنهما امتثالا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم (١) ويتخذ لنفسه سيفا من خشب ويموت فى المدينة سنة ٤٦ هـ أو سنة ٤٧ هـ .

رحم الله قائد حرس الرسول صلى الله عليه وسلم .

١٠ — أبو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه (٢) .

*** وهو من أوائل الناس اسلاما بعد** الثمانية الأوائل ، وهو أمين هذه الأمة كما قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن العشرة المبشرين بالجنة ، وهو من لا ينكر فضله فى الاسلام ، جهادا بالنفس والمال .

لم يتخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة من غزواته ، فهو بدرى . قاتل فى أحد أشد قتال ، ولما دخلت حلقتا المغفر فى وجه الرسول صلى الله عليه وسلم نزع أبو عبيدة رضى الله عنه الحلقتين بأسنانه ، وفى كل مرة تسقط ثنيته ، فكان بعدها ساقط الثنيتين .

---

١ — كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبره مسبقا بالفتنة وأوصاه أن يعتزلها ويتخذ له سيفا من خشب كناية عن عدم خوضه حربا ليست ضد أعداء الاسلام .

٢ — اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح .

وفي فتح مكة كان أبو عبيدة رضي الله عنه قائد الكتيبة التي دخلت مكة أمام الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عـلا صوت الاسلام بأم القرى .

أرسله الرسـول صلى الله عليه وسلم في سرية الى ذي القصة (١) لينتقم من بني ثعلبة لقتلهم عشرة من المسلمين ، فهربوا ، وغنم منهم نعما (٢) من نعمهم .

وبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم الى سيف (٣)البحر — ولم يكن مع سريته الا التمر ، ونفد التمر حتى أعطى أبو عبيدة رضي الله عنه كل رجل منهم تمرة ، ثم جهدهم الجـوع ، فأخرج الله لهم دابة من البحر (٤) — حوتا — أكلوا منها عشرين ليلـة حتى ظهـرت عليهم السحنة ، وحملوا منها .

وتولى رضي الله عنه قيادة جيوش المسلمين في الشام زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومات بعد فتح دمشق في طـاعون عمواس سـنة ١٧ هـ عمواس .

رحم الله امين هذه الأمة .

أبو عبيدة ورضي الله عنه

١١ — عمير بن عدي بن خرشـة رضي الله عنـه :

✽ هو عمير بن عـدي بن خَرَشَة من بني خَطَمة بن جُشَم أوسي أنصاري ، دخل الاسلام قبل كثير من بني خطمة ، وكان يعدو على أصنام قومه ليـلا ينكل بها أو يحطمها وكان ضعيف النظر .

وكانت عصماء بنت مروان — من بني خطمة مسموعة الكلمة في قومها ذات تـأثير عليهم ، وكانت زوجة يزيد بن زيد — من بني خطمة — وكان لها خمسة من البنين .

كانت تعادي الرسول صلى الله عليه وسلم والاسـلام وتحض قومها على عدم اعتناقه ثم زادت فكانت تؤلبهم على الرسول صلى اللـه عليه وسلم بشعرها وأفحشت من القول تعريضا وتصريحا بما ينـال من الاسلام والمسلمين ، ويستخف الغوغاء ، ويغري السفهاء ، بـأذى المؤمنين حتى استخفى باسـلامه من آمن من قومها ، فصارت نكالا على الاسلام والمسلمين ورأس فتنة فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : الا آخذ لي من ابنة مروان وسـمع عمير — رضي الله عنه — كلمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فانتظر حتى الليل ثم قتلها في بيتها غير هياب من بنيها .

وفي الصباح جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لـــه : — انى قتلتها فقال الرسـول صلى الله عليه وسلم **(نصرت الله ورسوله ياعمير) .**

وكان قتلها عزا للاسلام في بني خطمة ، فلقد أسلم بعد موتها الكثير منهم ، وأعلن اسلامه من كان منهم مـستخفيا فكانت مثل كعـب بن الأشرف فيما فعل وفيما نال من جزاء .

---

١ — شمال شرق مكة .
٢ — يرزق من يشاء بغير حساب .
٣ — ابلا .
٤ — ساحل البحر . .

١٢ ــ عبد الله بن أُنيس رضى الله عنه .

*** هو عبد الله بن انيس الجهنى الانصارى**
كان حليفا لبنى سَلَمة ، أسلم وحسن اسلامه ، وكان يعدو على أصنام قومه ليلا ، هو وعمير بن عدى وغيرهما .

قيل انه شهد العقبة ، وشهد بدرا واحدا وغيرها من الغزوات .

استدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له : ــ **(انه قد بلغنى ان ابن سفيان بن نبيح الهذلى (١) يجمع لى الناس (٢) ليغزونى ، وهو بنَخْلة او بِعُرَنة «٣» ، فائته فاقتله «٣») .**

وكان ابن انيس رضى الله عنه لا يعرف خالدا هذا ، ويصفه الرسول صلى الله عليه وسلم له حتى لكانه يراه ويتعرف عليه .

ويذهب الصحابى الفدائى الى هذا الشيطان فى عقر داره بين قومه ، وعندما يراه ابن سفيان يقول : ــ من الرجل ويرد عبد الله رضى الله عنه : ــ (رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك) .

وصحب عبد الله رضى الله عنه ابن سفيان حتى وجد منه عزة فقتله ، ورجع الى المدينة ورآه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم فقال : أفلح الوجه .

١٣ ــ أبو سلمة رضى الله عنه : ــ

---

١ ــ خالد بن سفيان بن نبيح من قبيلة هذيل .
٢ ــ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يضرب الشر قبل ان يستفحل اذاه .
٣ ــ وادى بالحجاز .
٤ ــ برة بنت عبد المطلب .

*** هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومى القرشى ،** وهو ابن عمة (٤) الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان أخا للرسول صلى الله عليه وسلم ولحمزة رضى الله عنه من الرضاعة (٥) .

من أوائل الناس اسلاما ، فقد أسلم بعد أبى عبيدة عامر بن الجراح .

وهو ممن حاق بهم اذى قريش ، هاجر وزوجه الى الحبشة ، ثم هاجر وحده الى المدينة ، وكان أول من هاجر الى المدينة ، ثم لحقت به زوجته أم سلمة رضى الله عنها وقد كسرت ذراع ابنها بعد أن تجاذبه قومها وقوم أبى سلمة .

حضر بدرا وأحدا وفيها أصابته جراحه .

ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى « مائة وخمسين » من الصحابه الى قطن ــ جبل بناحية فَيْد (٦) ــ لطلب (٧) **طليحة بن خويلد وأخيه مسلمة ــ الأسديان ــ ، وكانا** يعدان لحرب الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكان أبو سلمة يسير ليلا ويستخفى نهارا ، حتى نزل على القوم نزول الفجاءة ، فطلبوا النجاة ، وتركوا ابلهم وماشيتهم فاستاقها المسلمون ، وقضوا على شرهم .

---

٥ ــ ارضعتهم ثويبة مولاة ابى لهب .
٦ ــ من نجد .
٧ ــ لمهاجمة .

وبعد عودته ، انفجر به جرح أحد ، فمات منه ، ويقول قبل موته : ــ (اللهم اخلفني في أهلي) فاستجاب الله له فخلفه على أهله رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت أم سلمة من أمهات المؤمنين وأكرم الله هذه المجاهدة المهاجرة وهذا الشهيد الذي امتحن كثيرا في الاسلام .

١٤ ــ مَرْثَد بن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه : ــ

* مرثد بن أبي مرثد (أبو مرثد هو كناز بن يربوع من قيس عيلان) ، وكان مرثد وأبوه حليفين لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

هاجر مرثد رضي الله عنه ، وكان في المدينة يتدارس القرآن الكريم ليلا ، وكان من القراء الذين يحفظون القرآن ، ويتدارسونه مع غيرهم .

حضر بدرا واحدا وأبلى فيهما بلاء حسنا .

وبعد غزوة أحد (١) نجم شر المشركين واستشرى وظهرت أنياب الخديعة ، بوصول جماعة من قبيلة (عضل والقارة) الى المدينة وادعوا أن فيهم اسلاما وطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسل معهم من يفقههم في الدين ، ويقرئهم القرآن ، فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم ستة (٢) من أصحابه ، وأمر عليهم مرثد بن أبي مرثد .

وخرجت سرية القراء مع رهط الخيانة ، حتى اذا وصلوا بئر الرجيع (٣) استعان رهط عضل والقارة بهذيل على هذه الجماعة من القراء ، وفوجئ القراء بالرجال حولهم والسيوف في أيديهم ، واستعد القراء للقتال ولكن رهط الخيانة لجأ الى الخديعة فقالوا : لا نريد قتلكم ولكن نريد نصيب بكم شيئا من أهل مكة .

ولكن مرثدا وخالدا وعاصما رضي الله عنهم استلوا سيوفهم وقاتلوا حتى قتلوا ، وأسر خبيب وزيد وعبد الله بن طارق رضي الله عنهم .

وقبل مكة عند « مر الظهران » ، انتزع عبد الله بن طارق رضي الله عنه يده من القران (٤) وأخذ سيفه ولكن القوم قتلوه رميا بالحجارة .

وباع رهط عضل والقارة زيدا وخبيبا رضي

---

١ ــ سنة ٣ هـ

٢ ــ مرثد بن أبي مرثد ، خالد بن البكير الليثي، عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأوسي ، خبيب ابن عدي ، وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق رضي الله عنهم .

٣ ــ ماء لقبيلة هذيل بالحجاز بين عسفان ومكة .

٤ ــ الحبل الذي يربط به الأسير .

الله عنه لقريش وقتل صفوان بن أمية زيدا رضى الله عنه بأبيه (١) .

وقبل قتل زيد بن الدثنة قال له أبو سفيان ابن حرب : أنشدك الله يازيد أتحب أن محمدا عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه ، وانك فى أهلك ؟

قال زيد رضى الله عنه والموت أقرب اليه من حبل الوريد : والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانى جالس فى أهلى ! .

ثم قتل زيد رحمه الله . أما خبيب رضى الله عنه فقد حبسوه حتى تنتهى الأشهر الحرم وفى حبسه وجد معه قطف عنب ولم يكن الوقت وقت عنب ، ولكن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

ورأوا أن يصلبوه ويقتلوه وقبيل صلبه فى التنعيم (٢) طلب منهم أن يتركوه يركع ركعتين فكان أول من سن هاتين الركعتين عند القتل ، ثم رفعوه على خشبة ، وأوثقوه فقال : — «اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال رضى الله عنه : — اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا (٣) ، ولا تغادر منهم أحدا » ، ثم قتلوه وتركوه مصلوبا .

ويموت القراء الستة أصحاب سرية الرجيع ، ينضمون الى موكب شهداء الحق ، فى سبيل الله رفعة لهذا الدين وكانت فجيعة المسلمين فيهم أليمة ، رحمهم الله جميعا يتبع

ابراهيم عبد الرحمن ابو الغيط

---

١ — قتل أمية بن خلف فى غزوة بدر فاشترى صفوان زيدا ليثأر لأبيه من المسلمين بقتله .

٢ — هو من الحل من مكة — خارج حدود الحرم .

٣ — فرقا .

كان ظهور الإسلام

ونبدأ من البداية يوم أراد الله خلق آدم وذريته لعمارة الكون ، والخلافة عنه فى الأرض فقال للملائكة : « إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ، وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ » (١) وأمر الله الملائكة بالسجود لآدم سجود تحية وتكريم « فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ » (٢) وأسكن الله آدم وزوجه حواء الجنة وقال لهما : « وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ » (٣) فوسوس لهما الشيطان حتى أكلا من الشجرة ناسين نهى الله لهما « فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ، قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

(١) البقرة ٣٠ — ٣٣

(٢) البقرة ٣٤

(٣) البقرة ٣٥

نقطة التحول في عالم الانسان وتاريخه

للدكتور عبد الغني الراجحي

الخاسرين » (٤) فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ».

وكانت النتيجة أن أهبط الله آدم وزوجه حواء من الجنة الى الارض ليتم دور الخلافة والعمران البشرى الذى أراده الله وأراد ابرازه الى الوجود الخارجى على نحو ما أعلم به ملائكته .. الا انه تعالى قال لآدم وحواء وهما يهبطان من أرض الجنة الى أرض الخلافة الانسانية « اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة ٣٨ .

« اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » ـ طه ١٢٣ وما بعدها .

(٤) الأعراف ٢٢ ، ٢٣

نقطة التحول فى عالم الانسان وتاريخه

وجاء فى سورة الأعراف الآية ٣٥ :

« يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

ثم انه لا يخفى أن ذلك كله بجملته وتفصيله معناه ببساطة ووضوح أن الله وعد ووعده الحق أنه لن يحرم البشرية من فضله وهدايته ولن يهملها ولن ينساها أو يتناساها وسيذكرها ويذكرها دائما أبدا بانزال الديانات وارسال الرسل وانزال الكتب والآيات على طول العصور والدهور . ولقد قال سبحانه وتعالى فى آخر كتبه المنزلة على البشرية : « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا . إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » .

كم أرسل الله من الرسل ؟ انهم كثير :

رسلا مبشرين ومنذرين فهو رب الناس ورب البشرية يربيها على موائد كرمه تربية جسدية بدنية وتربية روحية دينية ولا تستغنى البشرية عن واحدة منهما فان كان بالأولى صلاح الأبدان والأجساد فان بالثانية صلاح الأرواح والنفوس ، والشاعر الحكيم يقول :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فانت بالنفس لا بالجسم انسان

ومن توابع ذلك وارتباطاته أن يكون هناك جزاء ومساءلة وحساب وثواب وعقاب . ولا عقوبة الا عن مخالفة ولا مخالفة الا عن دستور وقانون وبيان . وفى هذا المعنى يقول القرآن حاكيا عن الله « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١) » . وفى أكثر من موضع فى القرآن الكريم يبين الله تعالى أنه أرسل الرسل وأنزل الشرائع حتى لا يعتذر العصاة عن معاصيهم بمثل قولهم : « رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (٢) » ، وقولهم : « لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » سورة القصص ٤٧ .

والخلاصة ، وباختصار شديد ، نقول : ان الله قد صدق وعده وأنجز عهده وأحكم تدبيره ولطفه وأرسل الى الناس رسلا كثيرين من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم ، رسلا كثيرين قص القرآن علينا بعضهم كنوح وهود وصالح وشعيب وابراهيم واسماعيل ولوط واسحق ويعقوب وموسى وداود وسليمان وعيسى ، ورسلا آخرين كثيرين لم يذكرهم لنا القرآن كما قال تعالى لخاتم رسله صلى الله عليه وسلم : « مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ (٣) » .

---

(١) الاسراء ١٥
(٢) طه ١٣٤
(٣) غافر ٧٨

كانت الرسل تبعث الى أقوامهم وكانت الرسالات تتنوع وتتعدد حسب مقتضيات الأحوال • وكان الرسول منهم يشتغل بالنهى عن معايب قومه وانحرافاتهم لردهم الى الطريق المستقيم الذى تتلخص فيه جميع الرسالات حيث نرى أن وحدانية الله وعبادته وحده لا شريك له مع الالتزام بالعمل الصالح والسلوك النظيف مع الايمان باليوم الآخر كان ذلك كله هو القاسم المشترك الأعظم لجميع الديانات ، وكان هو قطب الرحى فى جميع الرسالات • وكان الله يرسل رسله حسب مقتضيات الأحوال التى تدعو الى انقاذ البشرية من الضلال بما ينزل الله من هدايات ورسالات حسبما وعد بأنه دائما وأبدا سيعمل على انقاذ البشرية من الضلالات بانزال الرسالات والديانات التى كانت تنزل استجابة لمقتضيات الأحوال من الفساد والضلال والانحراف ، والله دائما وأبدا يعطى بلسان الحال أكثر مما يعطى بلسان المقال • والقرآن بين أن الناس كانوا أمة واحدة فى الهداية ومعرفة الله بالفطرة لكنهم اختلفوا وأضلتهم الشياطين فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه •

كانت الرسالات السابقة موضعية محدودة المكان والزمان والقوم المرسل اليهم الرسول، حسبما تستدعيه الحالات المختلفة فى الأمكنة المختلفة والأزمنة المختلفة والأقوام المختلفة ، وربما كان الرسول خاصا بقوم مخصوصين هم قومه الذين هو منهم ونشأ فيهم وتربى بينهم وربما كان لأكثر من قوم وأكثر من مكان، وربما هاجر من مكان الى مكان • لكن لم يكن هناك عموم فى الرسالات ولا خلود لها • حتى كان العالم قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم قد أخذ الفساد بخناقه واستشرى فيه الضلال فى جميع أطرافه واختفت ملامح الرسالات والديانات السابقة من الوجود •

وهنا أصبح العالم فى حاجة ماسة الى رسالة عامة خالدة تخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد • رسالة متممة مكملة لبناء جميع الرسالات السابقة وتكون عامة للانسانية كلها ، وللعالم كله بعد أن بلغت الانسانية قمة فسادها لتتهيأ وتتلدى على نفسها بأنها تريد أن تمسك بزمام رشدها بعد أن لهثت مما تعانيه من الضياع والفساد وتدرج بها تاريخها ولو نسبيا الى درجة الصلاحية للرشد والكمال ، وتلقى رسالة الرشد والكمال رسالة الرحمة للعالمين كما يقول الله لرسوله : « **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** » •

وفى الحديث الشريف الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشارة الى هذه المعانى حيث يقول : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى دارا وترك فيها موضع لبنة فأخذ الناس يرونها ويقولون ما أجملها لولا موضع تلك اللبنة • فأنا تلكم اللبنة وأنا خاتم النبيين (١) »

كان ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم وظهور الاسلام العظيم هو منطق التاريخ والاستجابة الحتمية لمنطق التاريخ • كان العالم قد اسود وجهه من طول ما أشرك بالله وكان يعتريه الفساد فى جميع النواحى الدينية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والأخلاقية •

(١) صحيح البخارى

كان ظهور الإسلام

نقطة التحول فى عالم الانسان وتاريخه

وكانت تتزعمه دولتان جبارتان فارسية شرقية ورومانية غربية وكانتا تطحنان الناس طحنا تحت عجلات مظالمهما فى كثير من أطراف العالم فالدماء مسفوكة ، والأموال منهوبة ، والحقوق مسلوبة ، والناس عبيد لرغبة حكامهم الطائشين الظالمين . امتد نفوذ الرومان والفرس الى أكثر نواحى المعمورة واقتسموا العالم فى آسيا وافريقيا وأوروبا ، وكان الشرق الأقصى حيث الصين والهند على درجة كبيرة من التخلف وشيوع العقائد الفاسدة ، وكان اليهود قد حرفوا التوراة والديانة الموسوية الصحيحة وحاربوا المسيح حربا لا هوادة فيها وتبعهم فى هذا التحلل والتحريف النصارى حيث حرفوا الانجيل وحرفوا العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد الخالص ، وحولوها الى عقيدة التثليث التى ماأنزل الله بها من سلطان ولم تكن الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام الا واحدة من النواحى التى أخذ الفساد بخناقها فى العقائد والأخلاق والعادات والسلوك والخرافات والأوهام .

كان العالم فى وضع مستحيل أن يدوم حسب حكمة الله وعادته فى ارسال الرسل لانقاذ البشرية من الضلال . كان العالم ينادى بلسان حاله ألا هل من منقذ ؟ ألا هل من مخلص ؟ . أين المخلص الذى بشرت به التوراة .. أين الفارقليط ؟ أين المحمود والمحمد الذى بشرت به الأناجيل ؟ النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ؟ انه جنين فى بطن أمه آمنة بنت وهب وأبوه عبد الله ابن عبد المطلب المعروف شخصا ونسبا .

ولد صلى الله عليه وسلم فى أغسطس ٥٧١ بعد أن شبع أهل الكتاب فسادا ، وأنهكت أطراف العالم اضطرابا .. فما هو الا أن بلغ النبى الكريم سن الأربعين حتى نزل عليه القرآن وأخذ فى تبليغ رسالته ، وما هى الا سنوات حتى طهر الجزيرة العربية من الشرك والمشركين وأخرج اليهود من المدينة المنورة فقطع دابرهم من الحجاز فى عهد عمر . وفى السنة السادسة بعد الهجرة من مكة الى المدينة أخذ صلى الله عليه وسلم يرسل كتبه الى الملوك والرؤساء يبشرهم بالاسلام ويدعوهم اليه فأرسل الى المقوقس وكسرى وقيصر والنجاشى وآخرين . فكانت هذه الكتب والدعوات الخطوط الأولى فى خريطة ملك الاسلام وامتداد ظله .. فما هى الا سنوات حتى كانت خيل الله وجيوش المسلمين فى عهد الخلفاء الراشدين تدك بسنابكها القوية عروش كسرى وقيصر وغيرهما . وفى أقل من ربع قرن من الزمن امتد ظل الاسلام من الأطلسى غربا الى جدار الصين شرقا بسرعة لم يعهد لها نظير فى التاريخ ، ومازالت الفتوحات الاسلامية تتوالى وتتقدم حتى ملأت ربوع آسيا وافريقيا وأوربا ، وأوشك البحر الأبيض المتوسط أن يكون بحيرة اسلامية ، ولم يكن ذلك بالسيف والقوة كما زعم أعداء الاسلام . فان الاسلام بهر الشعوب والأنظار بجماله وجلاله فدخل الناس فى دين الله أفواجا عن طواعية واختيار واقتناع ..

فلا اكراه فى الدين ولا فائدة فى ايمان المكره .

أصبح الفساد الذى كان يملأ وجه الأرض فى خير كان ، وبدلت الأرض غير الأرض وملئت أطراف المعمورة عدلا وحكمة وقرآنا ولغة عربية وثقافة اسلامية رائدة قائدة . لقد تغير وجه التاريخ وأصبح عالم عصر الاسلام غير عالم ما قبل الاسلام . وأظهر العرب والمسلمون براعة فائقة فى قيادة القافلة الانسانية نحو الحضارة والرقى والمدنية وترجموا علوم الأمم السابقة ونبغوا فى سائر العلوم والمعارف الانسانية حتى ما كان منها ماديا كالطب والفلك والهندسة والكيمياء فوق ما كان من علوم الحكمة والفلسفة والعلوم النظرية حتى تتلمذ عليهم وعلى تراثهم أهل أوروبا فاقتبسوا منهم العلوم والحضارات والنهضة وكان ذلك أساس نهضة أوروبا العلمية والحضارية .

فان أهل أوروبا احتكوا بالعرب والمسلمين فى الأندلس والحروب الصليبية وصقلية وأنطاكية .

وفى عهود الاستعمار الأوروبى لبلاد العرب والمسلمين فى القرون الأخيرة . فما كان الاستعمار يستولى على خيرات البلاد المادية فحسب ولكن أيضا على خيراتها الفكرية والثقافية ولازالت المخطوطات العربية والاسلامية تملأ مكتبات أوروبا بصورة تدعو الى الدهشة . لقد هوجم العرب والمسلمون بجيوش جرارة على مدى تاريخهم الطويل فكانت عظمة الاسلام تبهر أعين بعض المهاجمين وتستقطب اعجابهم فيعلنون اسلامهم ويدخلون فى دين الله أفواجا ويصيرون له بعد أن كانوا عليه . ويغزوهم الاسلام بعد أن جاءوا يغزونه . وآخرون لم يعلنوا اسلامهم لكنهم جنوا من احتكاكهم بالاسلام والمسلمين فوائد كثيرة كانت أساس نهضتهم وتقدمهم فى مضمار الحياة لم يحرم الاسلام من دخله وفيضه هؤلاء ولا هؤلاء . وما يرى فى العالم اليوم من تقدم حضارى وازدهار اجتماعى انما كان منشؤه الاسلام والفكر الاسلامى فى شتى نواحى المعرفة نظريها وماديها . لكن العالم اليوم يمثل دور التلميذ الذى ينسى فضل أستاذه فلا يعامل المسلمين المعاملة التى تليق بهم فيصدق فيه قول القائل :

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رمانى
وكم علمته قول القوافى
فلما قال قافية هجانى

الاسلام المفترى عليه الذى ظلمه أهله وأعداؤه على السواء ، الاسلام الذى أسدى الى العالم كله الخير والفضل والحضارة ، الذى أخرج الناس من الظلمات الى النور ، الذى أخذ بيد الانسانية فأقالها من عثراتها .. أتباعه المسلمون اليوم أضيع من الأيتام فى مآدب اللئام . تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها أوقعتهم الظروف العصيبة والضغوط والتحديات بين شقى رحى طاحنة ، شيوعية شرقية تريد احتواءهم وغربية يهودية تريد ابتلاعهم ، لا يكاد يخلو سقع من أسقاع العالم فى سائر بلاده وقاراته الا وفيه مسلمون حتى بلغوا اليوم ألف مليون مسلم ، نحو ربع العالم لكنهم رغم ذلك غثاء كغثاء السيل يستضعفون ويعتدى عليهم ولا يملكون حولا

ولا قوة على نحو ما حذرهم منه نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم يوم قال لأصحابه :

« يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قال : قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ ، قال : أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل تنتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل في قلوبكم الوهن ، قال : قلنا وما الوهن ؟ قال : حب الحياة وكراهية الموت (١) » .

ومن نصف قرن مضى وأمير الشعراء شوقي يخاطب نبي الاسلام قائلا له :

شعوبك في طول البلاد وعرضها
كأصحاب كهف في عميق سبات
بأيديهم نوران ذكر وسنة
فما بالهم في حالك الظلمات ؟

اللهم لا قنوط من رحمتك ولا يأس من روحك . فلا يقنط من رحمة ربك الا الضالون ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون . ولكنها ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . والذكرى تنفع المؤمنين والمستقبل لهذا الدين ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

قال العقاد في عبقرياته المحمدية : « ان التاريخ بعد محمد موصول به بسبب أو بآخر متأثر به بشكل أو بآخر فلا الفتوحات الاسلامية ولا حروب الشرق والغرب ولا الحروب الصليبية ولا الحرب العالمية الأولى أو الثانية ولا الثورة الفرنسية ولا حركات التحرر في العالم كانت واقعة على النحو الذي وقعت عليه لولا ذلك اليتيم الذي ولد في مكة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه » .

ومعنى ذلك بكل بساطة ووضوح أنه بظهور الاسلام تحول العالم من حال الى حال في العقائد والأفكار والعلوم والاجتماعيات والسلوك والسياسات . فهل يعيد التاريخ نفسه فيتحول العالم الآن نحو الاسلام ومبادئه وتعاليمه من حال الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والفساد والاضطراب وعبادة المادة والحياة الدنيا الى حال الايمان والأخلاقيات والسلوك النظيف والسمو الانساني الذي خلق الله من أجله الانسان لتعيش الانسانية في أبهج صورها وأسمى كمالاتها ؟

ان العالم اليوم تقوده وتتسلط عليه وتسيطر فيه قوتان جبارتان : شرقية لا دينية وغربية رأسمالية انهكتا هذا العالم اليوم فسادا واضطرابا وقتلا للضعفاء لافتقادهما عنصر الأخلاق الانسانية والهدايات الربانية . نعم ان الحل الوحيد للأزمة العالمية والفساد الآخذ بخناق العالم هو انتقال دفة الحياة من الأيدي الأثيمة الهوجاء التي أساءت التصرف الى أيد أخرى نظيفة بريئة مخلصة تهتدي بهدى السماء .

(١) المسند لابن حنبل رضي الله عنه ٥/٢٧٨ ، وراجع سنن أبي داود ٢/٤٢٦ طبع مصطفى الحلبي

الشعر

- دعــاء

- من نفحات النبى
صلى الله عليه وسلم
يا خير ذكرى

- رسـالة
الشباب المسـلم
فى المجـتمع

دعاء

يا سميعَ الدُّعاءِ للسائلينا ... ومُجيبًا ضَراعةَ الضَّارعينا

يامُغيثَ الملهوفِ ، ياكاشفَ الضُّرِّ عن اليائسين والبائسينَا

يانَصيرَ المظلومِ ، يا قاهرَ الظالم ، ياملهمَ الحيارى اليقينا

فَرِّجِ الكربَ عن عبادك ياربِّ ، وَأَطلِعْ سَناكَ للمُدْلِجينَا

ماجَتِ الأرضُ بالشَّقاء فباتَتْ ... تَملأُ الأُفْقَ صيحةً وأنينا

وجفاها السلامُ حتَّى لقد أمسى بنوها وأصبحوا خائفينا

وغدا المسلمون فى كُلِّ وادٍ ... مِنْ شَتَاتٍ أَذِلَّةً صاغرينا

يَتَرامَوْنَ فى الممالكِ أشلاءً ... وكانوا الأَعِزَّةَ الفاتحينَا

أينَ سُلْطانُهم ؟ وأين جلالٌ ... كان يَعْنو لعِزِّه المالكونا ؟

مِحَنٌ مالها سواكَ ، قد استَعْصَتْ وَأَعْيَتْ عبادكَ العاجزينَا

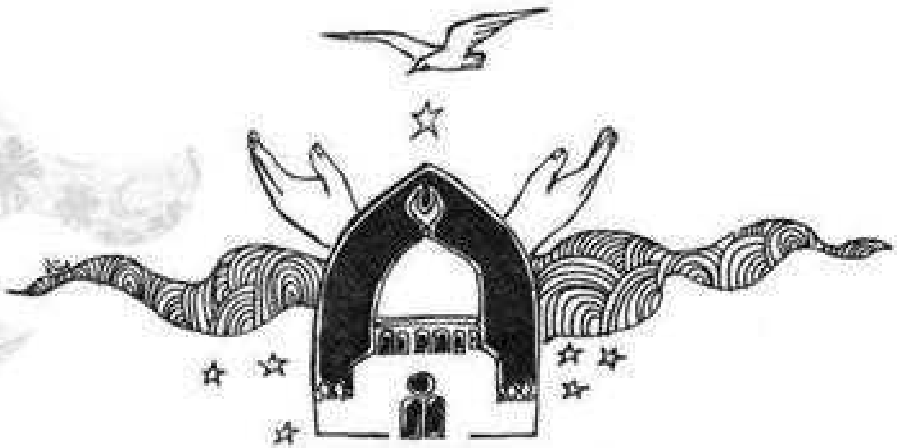
وَهُمُومٌ كأنَّها ظُلَلُ الموجِ غَدَوْنا فى لُجِّها مُغْرَقينا

وظلامٌ يطوى النفوسَ على اليأس ، كَلَيْلٍ لَيْلَةُ فأَعْمَى العُيُونَا

وَرَجاءٌ يموتُ إِثْرَ رجاءٍ ... ودعاءٌ لا يُسْعِفُ الدَّاعينَا

كُلَّما طافَ بالخواطر فَألٌ ... طارَ نَحْسًا من صيحة النَّاعينا

وإذا نَغَّمَ المسَرَّةَ شادٍ ... حَوَّلتْها الخطوبُ لَحْنًا حزينًا



للدكتور حسن جاد حسن

قلقٌ لا يَريمُ ، يارَبِّ رُحماكَ فما زلتَ أرحمَ الرّاحمينا

أنت مِلْءُ السماءِ والأرضِ نورًا ... تجتليه بصائرُ المؤمنينا

صدَفَ الناسُ عن سَناكَ فضلُّوا ... مَنْ عماهُمْ صِراطَكَ المستبينا

وأذلُّوا النُّفوسَ حِرصًا وشُحًّا ... فَهَوتْ تحتَ أرْجُلِ الواطئينا

واستحرَّتْ ضَراوةُ الحِقْدِ حتّى ... وَأَدَ الحُبَّ فى القلوبِ جَنينا

مأتمٌ تَندُبُ الفضيلةُ فيه ... خُلُقًا ماتَ أو ضميرًا دَفينا

رَبِّ لا تأخُذ الضِّعافَ بذنبٍ ... قد جَناهُ فى مُلكِكَ الظّالمونا

نفحةٌ مِنْ رضاكَ ، وَوَمضةُ إشراقٍ تَرُدُّ المُنى الى اليائسينا

واجْلُ هذا اللّيلَ الطّويلَ بفجرٍ ... يَهتدى فى ضيائِهِ الحائرونا

واكتبِ النَّصرَ للعروبةِ يارب ، ووفِّقْ رِجالَها العاملينا

واحْفَظِ الدّينَ من سهامِ الأعادى ... وأعِزَّ الاسلامَ والمُسلمينا

من نفحات النبي

يا خير



عودي الينا باسرار الهدى عودي ... كالبدر فى الليل او كالعقد فى الجيد
فانت ذكرى وليد ليس يشبهه ... ما ترزق الناس من شتى المواليد
لم تشهد الارض مولودا يفاخره ... ولو رأت كل ام الف مولود
ذكرى من النور ، اعيا وصفها قلمى ... تلذّت بالصمت فى عجز وتسهيد
وكيف يرقى الى امجادها كَلِمى ... وكيف يسمو اليها اسمى اناشيدى
لا ارتضى الشعر مَهما عزّ قافية ... وليس يشفع لى نايِي ولا عُودى
فالشعر فى مولد الهادى ، بلا نغم ... ولو تردد فى مزمار داوود
وكيف بالشعر ، والقرآن يسبقه ... كفاه ما فيه من مدح وتمجيد
لا الحق الشمس فى داراتها .. ابدا ... وكيف ، والأرض دارى دون تصعيد ؟

يا حادى الموكب العلوى ، خذ بيدى ... لأرض « ام القرى » فى ليلة العيد
وطف بروحيَ حول البيت .. منشدًا ... حتى اعيشَ بظل منه ممدود
وتسعدَ الروح فى ساحات مولده ... ويلمسَ النور انشادى وتغريدى
وتخلصَ النفس من آثام صبوتها ... ويبرأَ القلب من ضيقى وتنهيدى
وتهدأَ العين من نزق ، ومن ارق ... ويرحمَ الشيب فى رأسى تجاعيدى
ياخيرَ ذكرى ، صحا فى نورها املى ... وكللت بهداها كل منشودى
ونضرت بشذاها الكون ، فانطلقت ... به الحياة الى الأمصار ، والبيد
يانفحةَ الله للدنيا .. ومنحته ... جودى علينا باسرار الهدى جودى

صلى الله عليه وسلم

ذكرى

للأستاذ محمد أبو النصر غانم

موجه اللغة العربية بإدارة شمال القاهرة

يا خير ذكرى رآها الكون من قدم   فاضت علينا بإشراق وتجديد
ياسيد الخلق ، والذكرى تعاودني   كيف التقيت بدنيا القادة الصِّيد
سرى ضياؤك لألاءً ، على نَبَئي   من الزروع ، فأجرى الماء في العود
أتيتَ ، والأرضُ حيرى في غشاوتها   ودولة الشرك في جاه وتعضيد
الكفر أغرق دنياها .. وأخرسها   والناس ما بين سفَّاكٍ ، ورعديد
الشيخ ، والطفل ، هاما في ضلالهما   وأشركا بين إكراه .... وتقليد
والخمر ، والحرب ، والآثام ، قد جمعت   بين العجائز في الأسواق والغِيدِ
دنيا من الظلم والطغيان ، قد عبثت   بها الطغاةُ ، وأسياف الصناديد
عاشوا على النار ، عُبَّادًا لها تَبَعا   هاموا بها بين تقديس وترديد
عبادها مثلها .. يا سوء ما عبدوا   أتَعِسْ بعابد نيران ، ومعبود
وبات إيوان كسرى ليله هَلِعًا   يبكي لما كان من فن وتشييد
أحجارُه الشم .. قد عافت أماكنَها   تأبى الحياةَ على حبس وتقييد
لا النار دامت ، ولا الإيوان مُؤتلِقٌ   كلاهما بين مفقود .. وموءود
وهكذا الحق .. إن لاحت بشائره   فكل شيء سواه .. غير موجود

يا مولد النور ، يا فيض الهدى ، هتفت   بك السماء ،   ل في
وَحِّدْ خطانا على حب وفي مُثُلٍ   وفي وفاء نَقِـ
وطف بنا حول « بيت الله » نشهده   و « القدس » ننشـ

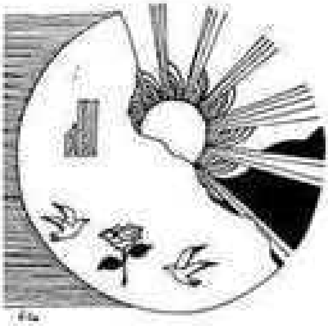
رسالة

الشباب المسلم فى المجتمع

جاءت الىّ على خَفَرْ ... تختال فى ضوء القمرْ
غمر اليقين جبينها ... وسرت كأنسام السَحَر
منصورةٌ وضاءةٌ ... هى والجلال على قدر
هى طلعة الفجر التى ... تصحو اذا افقى البشر
وتروح تهدى قومها ... نحو الكمال المنتظر
قالت : اليك رسالةٌ ... تزكو كأنفاس الزهر
فيها ضياء ساطع ... يجلو البصيرة والبصر
ولها شعاع نافذ ... يهدى بنهج مبتكر
وبها صفاء خالص ... لم يختلط ابدا بشر
وكأنها الروض الذى ... بالعطر والزهر ازدهر
يُهدى العبيرَ لكل من ... يدنو اليه ومن عبر
ويُفيد من يسعى له ... فى الريف أو بين الحضر
فنُعيدُ مجتمعا سَمَا ... عما يسىء ويحتقر
ونصد طوفان المذا ... هب والمثالب بالفِكَر
ونرد للدين الحنيف جلاله السامى الأغَرّ
ونصون امجادا لنا ... مما يحيك بنو البشر
فتسير امتنا على ... نور ويبتعد الخطر
خطرُ الدخيل وبغيُه ... ايان عسكرَ او ظهر
خطرُ التمزّقِ والتفرّق والغواية والبطر
ونَخُط اسباب العلا ... والمجد فى احلى الصور
ونسير صفا واحدا ... ويكون للتقوى أثر
ونزيد فى الانتاج ما ... يغنى وما يقضى الوَطَر
كل يؤدى دوره ... فيما يريد وما يذَر
فأجبتها : اين الدوا ... ء فانما الداء انتشر ؟

للأستاذ

محمود محمد بكر هلال



داءُ التمــــرُّد والتــردِّ ى فى أضــاليــل الخطر !!!!

وغــدا الشـباب وهم عمــا د المجــد من بين البشــر ،

نهبــا لكــل مخــرِّبٍ فى الشرق أوداعٍ لشــر !!!

قــالت : فــأنت بــه علِّيــمٌ والكتــاب بــه أمــر

هــو منهــج الــدين الحنيف وشرعــه الهــادى الأغــر

فيــه الهــداية كلهــا وبــه النجــاة مــن الضرر

ومعينــه عــذب فُــرًا تٌ ســائغ يَنْفِــى الكدَر

فاذا ارتــوى منــه الشــبا بُ وانعمــوا فيــه النظر ،

صــاروا جنــودا يدفعــو ن عن الحمــى كل الخطــر

ويدافعــون عــن الحنيــف بكــل مــا تُعطِــى القُــدَر

وينــافحــون ويُبعِــدو ن عن الضــلال من انحدر

فهمــو المنــارات التى تَهدِى اذا الليــلُ اعتكر

وهمــو اذا ســاروا على نهــج الكتــابِ ومــا أمر

كــانوا مــع النصر المُــؤزّ ر للحنيــف علــى قَــدَر !!!

ان الشــباب جنــود طــه عنـــدما طــه ظهــر !!!

كــانوا لــدين اللــه أنصــارا وصــدوا مــن كفــر

واليــوم هــم امــلٌ وكنــزٌ للشــدائد مُدّخَــر

يبنــون مجتمــع العــلا والمجــد فى أبهــى الصــور !!!

فتعهــدوا الجيــلَ الجــديد بمــا يفيــد مــن الســيرِ

حتــى يشــبَّ علــى التقــى ويصيــرِ عونــا فى الكبــر

وخــذوا كتــاب اللــه نِبْــرا ســتّــافان بــه الظفــر

دســتور ربــى جــل ربــى وهــو أعــلم بالبشــر !!!

فمن اســتنار بهــديه ضــمن الســعادة وانتصر

من الحقوق

التشريع

لما أشرقت أنوار الاسلام بالهداية الربانية للبشر جعل تكريم الانسان ركنا اساسيا فى رسالته ومنهجه وأرسى قواعد هذا التكريم فى كثير من نصوصه شملت طائفة من الحقوق وربط بين تلك التوجيهات وعقيدة التوحيد التى هى محور رسالته ، ولذلك كانت الحضارة الاسلامية أسبق من الحضارات المعاصرة فى تقرير تلك الحقوق قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) « سورة الاسراء ٧٠ » .

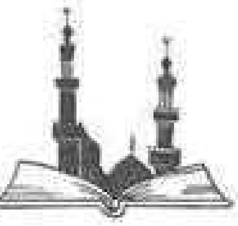
فالاسلام فى حقيقته دعوة الى التحرر من رق العبودية لغير الله تعالى ، وكذا من الظلم والاستبداد والفساد الأخلاقى والاجتماعى والسياسى وكثير من التشريعات والمواثيق والدعوات الاصلاحية التى يكافح العصر الحديث فى اقرارها ليست الا محاولات فى سبيل الوصول الى مبادىء وقيم خلدها الاسلام منذ مئات السنين فى مصادر شريعته وطبقها النبى محمد صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون من ولاة المسلمين وحكامهم فى سياستهم فى أمور دولة الاسلام.

○ من الحقوق العامة للإنسان فى الإسلام المساواة

○ حقوق غير المسلمين فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

العامة للإنسان فى الإسلام :

المساواة



للمستشار محمد عزت الطهطاوى

*** الحق فى مفهوم اللغة ***

والحق فى مفهوم اللغـة له معان متعددة :

١ ـ فتارة هو نقيض الباطل قال تعالى : (**ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**) « سورة الحج ٦٢ » .

٢ ـ وتارة يستعمل بمعنى الثبوت ومنه قوله تعالى (**قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا**) « سورة القصص ٦٣ » .

٣ ـ ويستعمل الحق أيضا بمعنى الـواجب اللازم ومنه قوله تعالى (**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**) « سورة السجدة ١٣ » .

وقوله تعالى (**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**) « سورة المعارج ٢٤ » .

٤ ـ وقد يكون بمعنى الحظ والنصيب ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بين الله سبحانه أنصباء الوارثين فى آيات المواريث (**ان الله اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث**) صحيح البخارى .

٥ ـ كما يكون بمعنى الأمر الذى يمليه الحزم واتباع الأحوط والمعروف فى الأخلاق الحسنة كما هو وارد عنه صلى الله عليه وسلم (ما حق امرىء أن يبيت ليلتين الا ووصيته عنده) صحيح البخارى .

٦ ـ وقد يشير الحق الى الالتزامات التى يلتزم الفرد بها قبل ربه وقبل نفسه وقبل أهله مما لا يحق له التفريط فيها كما ينص على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (ان لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه) صحيح البخارى .

٧ – كما يدل على ما تتطلبه الأخوة الاسلامية من ألوان الرعاية والمجاملة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (حق المسلم على المسلم ست اذا لقيته فسلم عليه واذا دعاك فأجبه – واذا استنصحك فانصح له واذا عطس فحمد الله فشمته واذا مرض فعده واذا مات فاتبعه) رواه الامام مسلم في صحيحه .

٨ – وقد يدل الحق على الأدب الذى يحسن أن يتحلى به ويلتزمه المسلم كما يشير اليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم (اياكم والجلوس في الطرقات فقالوا يارسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أبيتم الا المجالس فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) متفق عليه .

* والحقوق في الشريعة الاسلامية تنقسم الى ثلاثة اقسام :

أولا : حقوق لله تعالى ونسبت اليه سبحانه لعظم خطرها وشمول نفعها لسائر أفراد المجتمع . فالايمان بالله وسائر العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد لا يجوز لأى فرد كائن من كان أن يدعى سقوطها عنه أو عن غيره من سائر أفراد البشر .

كما لايجوز أيضا لأى فرد ولو كان حاكما أو ملكا أو سلطانا أو هيئة تشريعية أو حتى مجموع الشعب أن يسقط الحدود والعقوبات التى أوجبها الله عز وجل على جرائم الزنا والسرقة وشرب الخمر والقذف وقطع الطريق

كما لا يجوز تحليل ما حرمه الله في كتابه كأن يباح أكل الذبائح بدون تذكية شرعية أو التعامل بالربا .

ثانيا : حقوق يجتمع فيها حق الله وحق الانسان : مثل حد القذف فمن حق الفرد المطعون في عرضه أن يطالب بتطبيق هذا الحد على من رماه بالزنا لأن الجريمة وقعت عليه أما حق الله سبحانه فانه يريد تحقيق المصالح لعباده ، ومن مصلحتهم أن تصان أعراضهم من أن تمس بأذى .

ثالثا : حقوق العباد وهي التي تتعلق بالعباد أى تتعلق بها مصلحة خاصة ومن حق الفرد أن يسقطها عن نفسه مثل ثمن البيع لسلعة باعها فرد للغير ودين الفرد على غيره يمكن أن يسقطه بالتنازل عنه .

وهذه الحقوق الثلاثة عالجها فقهاء الاسلام وعلماؤه في أبحاثهم ومؤلفاتهم المختلفة وليست محل هذا البحث .

الحقوق العامة :

لكن من حقوق العباد ما يسمى بالحقوق العامة وهي التي تعنينا في هذا المقام والانسان أو الفرد بغير هذه الحقوق يكون مقيدا في عمله ونشاطه كتقييد الحيوان سواء بسواء وبدونها يكون غير آمن على نفسه ونشاطه وهي تثبت للانسان بمجرد ولادته .

والشريعة الاسلامية بصفة عامة اشترطت فى استعمال الانسان لحقوقه ألا يضر بمصالح الغير وأن يكون ذلك متفقا مع مصلحة الجماعة اى أنه •

١ ــ واجب على صاحب الحق أن يكون استعماله لحقه خاليا من الحاق الضرر بغيره •

٢ ــ وواجب على الغير وهو من عدا صاحب الحق ألا يقف فى سبيل هذا الحق والاسلام هو أول من قرر المبادىء الخاصة بحقوق الانسان العامة فى أكمل صورة وأوسع نطاق ، والأمة الاسلامية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين كانت من أسبق الأمم فى السير عليها وهذه الحقوق العامة ترجع الى حقين رئيسيين هما المساواة والحرية •

ولنتكلم اولا عن المساواة :

ماذا تعنى المساواة ؟

تعنى المساواة المعادلة المعتبرة العادلة فى الواجبات والحقوق بين أفراد الأمة •

*** المساواة فى الاسلام :**

اولا ــ فى الواجبات : فالمساواة فى الواجبات حقيقة مقررة فى شريعة الاسلام فلا فرق بين أحد من المسلمين فى تحملها وليس من حق أية قوة أن تعفى بعض الأفراد من أداء ما فرضه الله على الكافة من واجبات سواء كانت حقوقا خالصة لله تبارك وتعالى كالايمان وسائر العبادات أو كان للفرد فيها شىء فالتكاليف الشرعية كالصلاة والصيام والزكاة والحج وجميع أنواع الاحسان واجبة على كل مسلم قادر لا تسقط عن أحد مهما كانت مكانته فأحكام الشريعة كلية عامة لا يختص بأحكامها الطلبية بعض دون البعض الآخر •

ولو كان يجوز استثناء أحد منها لكان أحق الناس بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه مع مكانته من الله لم تسقط عنه التكاليف أبدا وتروى كتب السنة الطاهرة وكتب السيرة النبوية أنه تحامل على نفسه وهو مريض مرضه الذى توفى بعده حتى صلى الصلاة المفروضة عليه •

يقول تعالى (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**) « سورة سبأ ٢٨ » ويقول سبحانه (**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**) « سورة الاعراف ١٥٨ » ــ ويقول جل جلاله (**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) سورة المائدة ٦ •

والاسلام تتساوى أمامه المرأة والرجل فى الواجبات فتكلف بالعقيدة والعمل الصالح كما يكلف بهما الرجل تماما ومسئوليتها فى ذلك مسئولية مستقلة لا تتأثر بمسئولية الرجل قال تعالى :

(**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) سورة النحل ٩٧ •

واذا بلغ الولد سن الرشد استقل بمسئوليته عن والده فى جميع الواجبات قال تعالى : ــ

(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا**

من الحقوق العامة للإنسان فى الإسلام

لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا) سورة لقمان ٣٣ .

وقال سبحانه :

(وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ) سورة الانعام ١٩ .

ثانيا ـ المساواة فى الحقوق :

وتتجلى هذه المساواة فى المظاهر الآتية :

١ ـ المساواة فى الاعتبار البشرى والقيمة الانسانية :

وتعنى أن الناس سواسية كأسنان المشط فلا فرق بين عنصر وعنصر ولا بين لون ولون ولا بين ذكورة وانوثة فالناس جميعا خلقوا على نمط واحد قال تعالى :

(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) سورة الانسان ، اى من اخلاط بين الذكورة والانوثة .

ولا فرق بينهم فى هذا الصدد .

الا على أساس كفايتهم وأعمالهم وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ووطنه والمجتمع الانسانى فقضى الاسلام بذلك على نظام الطوائف وأساليب التفرقة بين الطبقات وقواعد المفاضلة بين الناس تبعا لاختلاف شعوبهم أو تفاوتهم فى الأحساب والأنساب والألوان .

ولقد أسس الاسلام هذه القاعدة على دعامتين تشريعيتين هما : ـ

١ ـ القرآن الكريم يقول تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) « سورة الحجرات ١٣ » .

(ب) فى السنة النبوية يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع (أيها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمى ولا عجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) (١) .

٢ ـ المساواة امام شريعة الله والقانون وأمام القضاء :

فالناس فى الاسلام أمام الشريعة والقانون والقضاء سواء دون تفرقة بين غنى وفقير ولا بين بعيد وقريب ولا بين أمير وحقير ولا بين شريف ووضيع يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الناس كالابل المائة لا يجد الرجل فيها راحلة) (أخرجه الامامان البخارى ومسلم).

وهذا ما يفيده العدل فى سياسة الاسلام دون أى تحيز والقرآن الكريم يطلب تحقيقه مهما كانت الظروف ولو مس ذات الفرد أو الوالدين أو الأقربين أو كان أحد أصحاب الدعوى مكروها قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ

---

١ ـ انظر فى الحديث صحيح البخارى ـ باب حجة الوداع حيث ورد طرف منه ، وراجع للدكتور محمد الطيب النجار ـ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٢٣٠ وللدكتور على عبد الواحد وافى ـ حقوق الانسان فى الاسلام ص ٦ ، والدكتور رافت عثمان ـ الحقوق والواجبات الدولية فى الاسلام ص ٣٠ ، ٣١ .

شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا) « سورة النساء ١٣٥ » .

(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) « سورة المائدة ٨ » .

ويسوى الاسلام فى تطبيق هذا المبدأ بين المسلمين وغير المسلمين فيقرر أن الذميين (١) فى أى بلد اسلامى أو بلد خاضع للمسلمين لهم ما للمسلمين من حقوق عامة وعليهم ما على المسلمين وتطبق عليهم القوانين التى تطبق على المسلين الا ما تعلق منها بشئون الدين فتحترم فيه شعائرهم يقول الامام على كرم الله وجهه (انما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا) .

ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خطابه الموجه الى أبى موسى الأشعرى : — (آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك) أى سوبينهم فى ذلك كله واجعل بعضهم أسوة ببعض اتفقت مللهم وأديانهم أو اختلفت فاسم الناس جنس يتناول الكل المسلم وغير المسلم فبذلك تجب المساواة بين الجميع فى القضاء .

وآثار العدل ومباشرته على نحو هذه الصورة توفر حتما صيانة النفوس من الاضطهاد والتعذيب وصيانة الأعراض من الاعتداء عليها ومن تتبع الخصوصيات لها ومراقبتها وعدم التفرقة فى فرص المعيشة وتولى الوظائف العامة ، يقول تعالى عندما يأمر بالعدل كأمر أساسى واجب النفاذ لصالح الجماعة : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) « سورة النحل ٩٠ » .

٣ — المساواة فى حق العمل والراحة :

فمن حق جميع الأفراد فى الاسلام أن يستووا فى تحصيل الرزق مادام هذا التحصيل بالوسائل المشروعة التى تتفق مع قواعد الأخلاق والمثل العليا التى أرستها شريعة الاسلام قال تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) « سورة تبارك ١٥ » .

كذلك أعطى الاسلام لكل فرد الحق فى الراحة بعد عمله فلا يجوز لأى سلطة أن تمنعه من حقه فى هذين الأمرين .

يقول الله تعالى : (وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) « سورة القصص ٧٣ » .

والاسلام يحث الناس على أن يسعوا فى سبيل الرزق فيقول تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) ثم يقول سبحانه : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ

---

(١) — الذمة : المراد بها : العهد ، فالذميون من كان بينهم وبين المسلمين عهد .

من الحقوق العامة للإنسان في الإسلام

وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ) « سورة الجمعة ٩، ١٠ » بل إباح الاسلام لمن سافر لأداء فريضة الحج أن يزاول أعمال التجارة في وقت أداء هذه الفريضة فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : كان عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فاثموا في الاسلام أن يتجروا فيها فنزل قوله تعالى **(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَّبِّكُمْ)** يعنى في مواسم الحج (١) .

*** المساواة في حق الملكية :**

فقد كفل الاسلام لرعاياه الحق في أن يتملكوا ما يشاءون من الأموال المنقولة وغير المنقولة بالطرق الشرعية والسبل القويمة كما تكفل لهم بصيانتها والمحافظة عليها باقامة الحدود وفرض العقوبات على المعتدين عليها طبقا لما تقضته شريعة الاسلام .

كما كفل لهم حق التصرف فيها بمحض اختيارهم ورضاهم بمختلف أنواع التصرف المشروعة وفي الحدود التى قررتها شريعة الاسلام .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الاسلام لم يذم الغنى لذاته بل حث على الحصول عليه مادام الفرد يلتزم في تحصيله له بالطرق المشروعة ويؤدي الحقوق الواجبة عليه من زكاة وصدقة الى الفقراء .

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو الله ويقول (اللهم انى أسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى) رواه الامام مسلم والامام الترمذى وابن ماجه .

ولقد كان بين كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب ثروات واسعة مثل عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان رضى الله عنهما و أنفقوا شطرا كبيرا من أموالهم في سبيل الله وعلى فقراء المسلمين .

والاسلام عندما قرر حق الملكيةساير الفطرة البشرية ، لأن الانسان مفطور على حب الخير لذاته والحرص على ما يملك يشير الى ذلك قوله تعالى : **(وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)** « سورة العاديات ٨ » .

وهذه الميول يقيم لها الاسلام وزنا ويحسب لها حسابا في اقامة نظام المجتمع ليقبل الفرد على الانتاج بجد ونشاط ويبذل أقصى طاقته في العمل طائعا مختارا .

٥ ــ المساواة في حق التعليم :

يحرص الاسلام على التعليم والتعلم ويبين مكانة العلم العظمى مما يبين أن التعليم والثقافة حق لكل انسان يشير الى ذلك : ــ

١ ــ القرآن الكريم : وذلك في آيات كثيرة منها على سبيل المثال :

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) « سورة المجادلة ١١ » .

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) « سورة الزمر ٩ » .

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) « سورة فاطر ٢٨ » .

٢ ــ السنة النبوية : في أحاديث كثيرة نذكر منها الأحاديث الآتية :

---

١ ــ الحقوق والواجبات للدكتور محمد رأفت عثمان نقلا من كتاب أحكام القرآن لابن عربى .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها) متفق عليه .

ويقول صلى الله عليه وسلم (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة) رواه الامام مسلم .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه : (فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير) رواه الترمذى .

ومما يرويه الترمذى أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) .

٦ ـ المساواة فى حق الزواج :

ذلك ان الاسلام يحث على الزواج واعطى هذا الحق لكل من الرجل والمرأة فيقول تعالى :

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) «سورة الروم ٢١» .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) صحيح البخارى ـ والباءة تعنى تكاليف الزواج .

ويقول صلى الله عليه وسلم (لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا يارسول الله وكيف اذنها ، قال : أن تسكت) كتاب سبل السلام للصنعانى .

٧ ـ المساواة فى تولى الوظائف العامة :

وذلك اذا كان الفرد مؤهلا لها فى فرص متكافئة وذلك استخلاصا من قوله تعالى

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) « سورة النساء ١٣٥ » .

فطلب العدل على نحو ما تطلبه الآية السابقة لا يجعل منفذا للمحسوبية لدى القائمين بالأمر والمتولين شئون الناس فى دولة الاسلام وبالتالى يجعل حق كل فرد فى مباشرة الوظائف العامة حقا متكافئا ولا تحول دونه عقبة أو شهوة أو هوى من حاكم تقلد أمر الأمة لرعاية المصلحة العامة .

بعض صور التفرقة فى المجتمعات غير الاسلامية المعاصرة :

رغم ما تزعمه تلك المجتمعات غير الاسلامية من تقدم فى العلوم ورقى فى المعرفة فانها لم تصل بعد الى مظهر المجتمعات الاسلامية فى رعاية المساواة بين أفراد شعوبها .

١ ـ فالتفرقة العنصرية مبدأ مقرر عند سكان المستعمرات البيض مما يدل دلالة واضحة على الطبقية المسعورة فى مدنية الغرب .

٢ ـ ورغم اعتناق الدولة فى الولايات المتحدة الامريكية لمبادىء الديمقراطية الا أن سكانها من السود أو الزنوج يعانون من اضطهاد البيض وعسفهم الشىء الكثير ذلك أن قوانينها مازالت تفرق بين البيض والسود

من الحقوق العامة للإنسان في الإسلام

وتحرص على هذه التفرقة في مختلف مظاهر الحياة وشتى أنواع المعاملات حتى في الشئون القضائية نفسها وفي تقدير العقوبات وطريقة تطبيقها وحتى انها لتجيز للجماهير أن تربط الفرد الأسود الى شجرة أو سارية وتوثق كتافه وتحرقه حرقا أو تقطعه اربا اربا بدون محاكمة ولا مقاضاة اذا اتصل بامرأة بيضاء أو لم يلتزم الحدود التى ألزمه القانون بحكم لونه ألا يتعداها .

فأين هذا مما ترويه صحاح السنة عن أبى ذر الغفارى أنه كان يناقش بلال بن رباح في حضرة النبى صلى الله عليه وسلم فاحتد أبو ذر وقال لبلال يا ابن السوداء فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وقال (طف الصاع ، طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى أو بعمل صالح ، فوضع أبو ذر خده على الأرض وقال لبلال قم فطأ على خدى) «رياض الصالحين» .

وكان مجتمع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم غير قاصر على أصحابه من العرب بل كان يضم ضمن أعضائه سلمان الفارسى وبلالا الحبشى وأبا الرومى وأبا رافع النبطى وغيرهم .

*** أساس المساواة في الاسلام وحدة الأمة :**

فوحدة الأمة في الاسلام هى أساس بين أفرادها وهذا هو الفرق بين الاسلام وغيره من العقائد والنظم والقرآن الكريم يقرر بجلاء حقيقة هذه الوحدة ويقرنها .

١ ــ تارة بالعبادة : فيقول سبحانه وتعالى **(ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)** « سورة الأنبياء » .

٢ ــ وتارة بالتقوى : فيقول جل شأنه **(وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)** « سورة المؤمنون ٥٢ » .

اما اختلاف الناس في اللغات والأجناس فلا شأن له بالمساواة بل هو من الأدلة على القدرة الالهية التى يجب أن يتساوى البشر جميعا في الاعتبار بها يقول تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) « سورة الروم ٢٢ » .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

حقوق غير المسلمين

في ظل تقنين الشريعة الإسلامية

للدكتور عبد الله مبروك النجار

اهتمت الشريعة الاسلامية بحقوق غير المسلمين اهتماما يدل على شمول رحمة الله لجميع خلقه ، وينطق في سمع الزمان بسمو تلك الشريعة وخلودها ، وصلاحيتها لحكم تصرفات الناس جميعا في كل زمان ومكان حتى يرث الله الارض ومن عليها .

وقد بلغت روح السمو التى يحملها الاسلام في علاقته بغير معتنقيه مبلغا يتضاءل امام روعته وعظمته أحدث ما عرفه الفكر الانساني من مبادىء في شأن العلاقات الدولية العامة .

فالمسلمون وغير المسلمين انما هم عباد الله خلقهم لعبادته ، قال تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (١) ، وبعث فيهم خاتم أنبيائه وسيد رسله محمدا بن عبد الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، الذى أرسله الحق سبحانه للناس كافة ، رحمة للعالمين ، هاديا ، ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

غير المسلمين – اذن – مشمولون بخطاب المولى تبارك وتعالى ، وداخلون في عموم من أرسل اليهم الهادى البشير صلى الله عليه وسلم .

وقد أرشدت الآية الكريمة بأسلوب القصر ، الى المهمة التى خلق الله الخلائق من أجلها ، وهى عبادة الله ، وتقديس ذاته ، سبحانه ؛ له في كل شىء آية تدل على أنه الخالق ، فكل ما خلق المولى شاهد على ربوبيته وناطق بوحدانيته ، ومسبح بحمده ، قال تعالى : « وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » (٢) .

١ – الذاريات – آية ٥٦ .

٢ – الاسراء – آية ٤٤ .

ومعنى العبودية لله قائم على جميع خلق الله ، حتى لو أعرض بعضهم عن الايمان به ، وعلى هذا فغير المسلمين وان كانوا قد استنكفوا عن الاذعان لما أرسل به خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، فان أمر العبودية لله جار عليهم ، ووضعها حال بهم ، وان لم يؤمنوا به .

وأثر تلك العبودية قائم ، لأن مرجع الخلائق جميعا الى الله ، وحسابهم عليه ، قال تعالى :

« وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ، إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » (١) وقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ، فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (٢) وقال تعالى :

« إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ » (٣)

ولهذا خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم موضحا له منهج دعوته الذي ينحصر في التبيين والبلاغ ، قال تعالى : « فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ » (٤) .

ومثل غير المسلمين مع الله ــ ولله المثل الأعلى ــ في قيام وصف العبودية بهم ، وشمول ربوبية الله عليهم ، مع اعراضهم عن الاذعان ، وامتناعهم عن التسليم لما أرسل به ، وبعث من أجله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، كمثل الاب مع بعض أبنائه ، فالأب قد يكون له أبناء ، منهم الطائع البار ، ومنهم العاق المتمرد ، وعقوق الأخير وتمرده لا يخلع عنه وصف البنوة ، كما لا ينفي عن الأب صفة الأبوة ، وهم في كلتا الحالتين أبناء ، كما أن الناس جميعا وفي كل أحوالهم عباد لله ، ولهذا المعنى القائم على سبيل الدوام والاستمرار ، قرر الحق سبحانه لهم الحقوق، وكفلها لهم بشرعه العادل .

وصف العبودية لله هو اساس تقرير الحقوق للمسلمين :

ووصف العبودية لله هو أساس تقرير الحقوق لغير المسلمين ، وهو معنى قائم بهم حتى يرجعوا الى الله سبحانه تعالى ، ولهذا كان نطاق تلك الحقوق ممتدا الى الحد الذي يكفل لهم المساواة في المجتمع الاسلامي ، لأن أساس تقرير تلك الحقوق واحد بالنسبة للمسلمين وغيرهم ، وهو خضوعهم لله وعبوديتهم له ، وبصرف النظر عن انقيادهم لتلك العبودية أو تمردهم عليها ، بشرط أن يحترموا حقوق غيرهم ويمتنعوا عن قتال المسلمين ، ويكفوا عن معونة أعدائهم من كل وجه ، وحينئذ فالحق سبحانه ، لاينهى المسلمين عن بر غير المسلمين ، والقسط اليهم ، الى الحد الذي يكون لهم فيه ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وحتى لا يقف مبدأ المساواة عند التقرير النظري ، بل يتعداه الى التطبيق

١ ــ لقمان ــ آية ٢٣ .
٢ ــ المائدة ــ آية ١٠٥ .
٣ ــ الغاشية ــ آية ٢٦ .
٤ ــ الرعد ــ آية ٤٠ .

الفعلى من جانب المسلمين ، رسم **المولى تبارك وتعالى الوسائل التى يتحقق من خلالها ذلك المقصد العظيم** ، وهى على ضوء ما ورد فى كتاب الله تعالى ــ مصدر الحقوق جميعا : ــ

تبدأ بالبر فى المعاشرة ، والقسط فى المعاملة ، ثم ترتفع الى مؤاكلة الطعام ، ومصاهرة النسب ، قال تعالى : « **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** » (١) .

وقال تعالى : « **وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ** » (٢) ، وبهذا ينعم غير المسلمين بالحقوق التى أقرها لهم الاسلام على أكمل وجه ، ويعيشون فى كنف المسلمين أخوة متحابين فى العبودية لله ، يسود حياتهم البر ، ويحكم معاملاتهم القسط ، لا اكراه فى الدين ، ولا اهدار لدم أو مال .

* غير المسلمين مخاطبون بأصول الشريعة وفروعها :

ومن مظاهر عبودية الخلق جميعا لله ، انه قد خاطبهم بأصول الشريعة وفروعها ، وقد اتفقت كلمة الفقهاء على أن غير المسلمين مخاطبون بالايمان بالله ، وبالعقوبات ، وبالمعاملات وبالعبادات فى حق المؤاخذة فى الآخرة ، وقد حكى هذا الاتفاق الامام السرخسى كما نقله صدر الشريعة صاحب التوضيح (٣) حيث قال « ذكر الامام السرخسى لا خلاف فى أن غير المسلمين يخاطبون بالايمان والعقوبات والمعاملات ، وبالعبادات فى حق المؤاخذة فى الآخرة » . أما فى حق وجوب أداء العبادات فى الدنيا فقد اختلف فيه الفقهاء على قولين :

أولهما : لجمهور فقهاء العراق ــ كما حكى صدر الشريعة ــ وحاصله : وجوب أداء العبادات على غير المسلمين فى الدنيا .

ثانيهما : للقاضى صدر الشريعة وبعض الفقهاء ، وحاصله عدم وجوب أداء العبادات فى الدنيا على غير المسلمين ، ولكل قول أدلته :

أدلة القول الأول :

استدل أصحاب القول الأول لما ذهبوا اليه من الكتاب ، ومن المعقول :

١ ــ الممتحنة ــ آية ٨ .
٢ ــ المائدة ــ آية ٥ .

٣ ــ الامام السرخسى هو شمس الأئمة ابو بكر محمد بن ابى سهل من فقهاء الحنفية وهو صاحب المبسوط المحتوى على كتب ظاهر الرواية للامام محمد بن الحسن الشيبانى عن الامام الاعظم ابى حنيفه ــ رحمهم الله تعالى ، والقاضى صدر الشريعة هو عبيد الله بن مسعود المحبوبى البخارى الحنفى المتوفى سنة ٧٤٧ هـ .

١ ــ من الكتاب :

يقول الله تعالى : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ » (١) ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم ، أن الآيات قد بينت اضافة العذاب الى ترك الصلاة والزكاة ، وهما من العبادات فيقاس عليهما غيرهما ، وهذا دليل على أن أداء العبادات فى الدنيا واجب عليهم ، ولو لم يكن واجبا لما أوخذوا على تركها ، تلك المؤاخذة المستفادة من اضافة العذاب اليه .

٢ ــ ومن المعقول :

قالوا : ان عدم الاسلام لا يصلح مخففا باسقاط أداء العبادات فى الدنيا ، وعدم المؤاخذة عليها ، ولا يضر كونها غير معتد بها معه ، لأن الأداء واجب على غير المسلم بشرط الايمان ، وذلك كالجنب يجب عليه الصلاة بشرط الطهارة ، واذا كان وجود الجنابة لا يمنع وجوب الأداء على المسلم ، فان عدم وجود الايمان بالاسلام لا يمنع وجوب الأداء على غيره (٢) .

أدلة القول الثانى :

وقد استدل أصحاب القول الثانى لما ذهبوا اليه من السنة والمعقول :

١ ــ من السنة :

بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما بعث معاذا الى اليمن قال : « انك تأتى قوما من أهل الكتاب ، فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله ، وأنى رسول الله ، فان هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوك لذلك ..... الحديث » (٣) .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف ، أنه قد دل على أن فرضية الصلوات الخمس وغيرها مختص بتقدير الاجابة (أى حصولها) . فعلى تقدير عدمها لا يفرض الوجوب ، لأن التعليق بالشرط يدل على نفى الحكم عند عدمه ، وفى هذا دليل على أن وجوب الأداء متوقف على الايمان (٤) ، يقول الشوكانى . « استدل بالحديث على أن غير المسلمين غير مخاطبين بأداء الفروع حيث دعوا أولا الى الايمان فقط » (٥) .

٢ ــ ومن المعقول :

قالوا : ان الامر بالعبادة لنيل الثواب ، ولا يتحقق ذلك لغير المؤمن (٦) .

وقد ناقش (٧) أصحاب كل قول الأدلة التى

---

١ ــ المدثر ــ الآيات :٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .
٢ ــ التوضيح ــ نفس المكان السابق .
٣ ــ نيل الأوطار ــ للشوكانى ــ جـ ٤ ص ١٣٠ .
ــ التوضيح ــ لصدر الشريعة ــ نفس المكان السابق .
٥ ــ نيل الأوطار ــ نفس المكان السابق .
٦ ــ راجع التوضيح ــ نفس المكان السابق .
٧ ــ أورد هذه المناقشات . صاحب التوضيح ، نفس المكان السابق .

أوردها أصحاب القول الآخر ، والرأى الراجح فى نظرنا هو القول الأول ، ولأن الاتفاق واقع بين الفقهاء على ثبوت المؤاخذة الأخروية .

* غير المسلمين فى مصر :

وغير المسلمين فى مصر ، عبارة ذات مدلول قانونى ، حيث تتناول طوائف غير المسلمين ممن لهم مركز قانونى يحكمه القانون ، ويخضعون لجهة قضاء خاصة بهم ، للفصل فى منازعاتهم المتعلقة بمسائل الأحوال الشخصية ، وقت صدور القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ ، وهم طوائف المسيحيين ، واليهود .

١ ــ ملل وطوائف المسيحيين :

المسيحيون ، هم اتباع نبى الله السيد المسيح عيسى بن مريم على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، وينقسم معتنقو الديانة المسيحية فى الوقت الحاضر ، الى ثلاث ملل أو مذاهب ، هى : الكاثوليكية ، والارثوذكسية ، والبروتستانتية ، وقد بدأت المسيحية دينا واحدا لا ملل فيه ، واستمرت الكنائس المسيحية حتى القرن الخامس الميلادى متفقة فى جميع عقائدها التى اهمها ، أن للسيد المسيح عليه السلام طبيعتين ، طبيعة الهية ، وطبيعة بشرية (١) ، حتى ظهر فى القرن الخامس ، مذهب اليعقوبيين . نسبة الى يعقوب البرادعى ، أسقف الرها بجنوب تركيا (٢) الذى نادى بأن للمسيح طبيعة واحدة هى الطبيعة الالهية ، وانتشر هذا المذهب ، وتبعه أهل الشرق عموما ، ومنهم اقباط مصر : الذين استقلوا بكنائسهم الارثوذكسية عن كنيستى القسطنطينية ، وروما ، وذلك عقب مجمع «خلقيدونه» بآسيا الصغرى عام ٤٥١م والذى قرر أن للمسيح طبيعة مزدوجة ، ومنذ ذلك الوقت عرفت الكنيسة المصرية بالكنيسة القبطية الارثوذكسية ، واتخذت اللغة القبطية ، لغة العبادة فى كنائسها وجعلت الاسكندرية مقر الكرسى البابوى (٣) .

وفى القرن الحادى عشر حدث الانشقاق الكبير بين الكنيسة الشرقية ، والكنيسة الغربية فى روما بسبب اختلافهما على رئاسة العالم المسيحى . وأدى هذا الاختلاف الى انفصالهما عام ١٠٥٤ م بعد أن نسبت كل منهما الى الأخرى أنها خالفت أصول الديانة ، كما أطلقت كل منهما على نفسها اسمى : الكنيسة

---

١ ــ دكتور عبد الودود يحيى ــ احكام قانون الاسرة لغير المسلمين ــ فقرة ٢٢ طبعة ١٩٧٠ .

٢ ــ نفس المرجع والمكان السابقين .

٣ ــ دكتور توفيق فرج ــ احكام الاحوال الشخصية لغير المسلمين فقرة ٢٩ طبعة ١٩٦٩ .

الأرثوذكسية ، أى « ذات الرأى المستقيم » « الكنيسة الكاثوليكية » ، أى « الجامعة » ثم غلبت تسمية الكنيسة الارثوذكسية على الكنيسة الشرقية ، والكاثوليكية على كنيسة روما ، وأصبحت الديانة المسيحية تنقسم الى المذهبين : الأرثوذكسى والكاثوليكى (١) .

وقد ظهر في القرن السادس عشر ، المذهب البروتستانتى الذى نادى به الراهب الالمانى « مارتن لوثر » وهذا المذهب لا يعترف برئاسة دينية ، ويبيح لكل فرد أن يفسر الكتاب المقدس بنفسه لأن فهمه ليس قاصرا على رجال الدين (٢) .

ويندرج تحت كل مذهب من تلك المذاهب الثلاثة عدة طوائف :

فطوائف المذهب الارثوذكسى أربع ، هي الاقباط ، والروم ، والأرمن ، والسريان وطوائف المذهب الكاثوليكى سبع هي ، الأقباط والروم ، والأرمن ، والسريان ، والكلدان ، والموارنة ، واللاتين .

أما طوائف المذهب البروتستانتى فانها أكثر من واحدة ، لكن المشرع المصرى اعتبرهم جميعا طائفة واحدة ، تعرف بطائفة الانجيليين الوطنيين (٣) .

٢ ــ ملل وطوائف اليهود :

بدأت الديانة اليهودية كما بدأت المسيحية دينا وحدا لا ملل فيه ، يؤمن اتباعها بالتوراة التى أنزلها الله على سيدنا موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، واستمرت كذلك حتى القرن الثامن الميلادى ، حيث انقسم اليهود الى مذهبين هما : الربانيون ، والقراءون .

ويرجع سبب انقسام اليهود الى نظرتهم « للتلمود » وهو عبارة عن أحكام تفصيلية زيادة عما ورد في التوراة تناقلها الخلف عن السلف شفاها حتى تم تدوينها بعد ، فالربانيون يرون أن الله ينزل على موسى التوراة وحدها ، وانما أنزل عليه أحكاما أخرى أمره أن يبلغها شفاها الى من بعده ، وهذه الاحكام تسمى « الميشنا » ومعناها الكتاب الثانى ، فالتوراة عند الربانيين ثنتان : مكتوبة ، وهي التوراة ، وغير مكتوبة : وهي الميشنا التى اضطروا الى تدوينها خوفا عليها من النسيان أو التحريف (٤) وقد شرحت الميشنا في كتاب يسمى « الجمراه » أى التكملة ، ومن الميشنا والجمراه يتكون التلمود ، أما القراءون فيعتقدون أن الله لم ينزل على موسى الا التوراة الأصلية ، ولذلك فهم لا يؤمنون بالتلمود ، وقد سموا بالقرائين لأنهم لايؤمنون الا بما يقرأ ، وهو التوراة المكتوبة دون الشفوية وهي « التلمود » (٥) .

ولم تتعدد طوائف اليهود كما تعددت طوائف

---

١ ــ نفس المرجع السابق فقرة ٣٠ ، ٣١ .
٢ ــ دكتور عبد الودود يحيى ــ نفس المرجع السابق .
٣ ــ دكتور عبد الودود يحيى ــ نفس المرجع فقرة ٣٢ .
٤ ــ المرجع السابق ــ فقرة ٢٤ .
٥ ــ احمد صفوت ــ قضاء الاحوال الشخصية لغير المسلمين ــ ص ٩٦ الطبعة الثانية .

المسيحيين ، فالقراءون ظلوا طائفة واحدة ، وأما الربانيون فقد انقسموا الى طائفتين ، هما « السفاراديم » وهم يهود الشرق وشمال افريقيا والأندلس ، و « الاشكينازيم » وهم يهود أوربا ، ولا أهمية لهذا التقسيم فكلاهما ربانيون .

طوائف غير المسلمين فى مصر ـ اذن ـ أربع عشرة طائفة ، ينتمون الى مذاهب المسيحية واليهودية ، وللمسيحية ثلاثة مذاهب هى الأرثوذكسية ، وينتمى اليها أربع طوائف والكاثوليكية وينتمىّ اليها سبع طوائف ، والبروتستانت وهم طائفة واحدة . ولليهودية طائفتان : هما الربانيون ، والقراءون ، فيكون مجموع الطوائف أربع عشرة طائفة .

*** تطبيق الشريعة الاسلامية على غير المسلمين :**

والشريعة الاسلامية ، ليست بعيدة عن حكم كثير من تصرفات غير المسلمين ، كما أنها ليست غريبة فى التطبيق عليهم ، لأنها تتناول بالتنظيم كثيرا من الروابط القانونية والمراكز المالية فى وقتنا الحاضر ، وهى فى هذا الصدد تطبق على المسلمين ، وسواء كان ذلك التنظيم بطريق مباشر كما فى القوانين الخاصة التى صدرت مأخوذة من الشريعة الاسلامية قلبا وقالبا ، وذلك كما فى قانون الميراث وقانون الوصية ، والوقف وغير ذلك من القوانين المتعلقة بمسائل الأحوال الشخصية ، أمر بطريق غير مباشر ، يتمثل فى اقتباس نظريات متكاملة ، وموضوعات شاملة من الفقه الاسلامى . كما حدث فى التقنين المدنى ، الجديد الصادر فى ١٦ يوليو سنة ١٩٤٨ حيث أخذ ذلك القانون عن الفقه الاسلامى كثيرا من الموضوعات التفصيلية ، والنظريات الكاملة ، وأهم ما اقتبسه ذلك القانون عن الفقه الاسلامى ، « نظرية التصف فى استعمال الحق » ، « وحوالة الدين » ، « ومبدأ الحوادث الطارئة » ، ومن المسائل التفصيلية فى هذا الخصوص : « الأحكام الخاصة بايجار الوقف والحكر » ، « وأحكام الأهلية والهبة والشفعة » . « والمبدأ المعروف بأنه لا تركة الا بعد سداد الدين » (١) .

وتطبيق الشريعة الاسلامية على غير المسلمين فى الوقت الحاضر لا يقتصر على الجوانب المالية بل يتعداه الى كثير من مسائل الأحوال الشخصية ، ذات الصلة الوثيقة بالعقيدة الدينية ، كالمسائل المتعلقة بالأسرة من خطبة ، وزواج ، وآثارهما المالية .. الخ . ويمكن القاء الضوء على ذلك بشىء من التفصيل :

---

١ ـ دكتور عبد المنعم البدراوى ـ المدخل للعلوم القانونية ـ ص ١٠٢ .

١ ـ بالنسبة للمسائل المالية ::

تتناول الشريعة الاسلامية بالتنظيم كثيرا من المسائل المالية للمسلمين وغيرهم ، وأحكامها ملزمة للجميع في تلك المسائل ، حيث يخضع لها جميع الوطنيين على اختلاف دياناتهم ومن هذه المسائل :

(أ) مسائل المواريث :

ينظم مسائل المواريث في مصر القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ ، وقد صدر هذا القانون مستمدا من نصوص الشريعة الاسلامية ، ويخضع لأحكامه جميع الوطنيين ، مسلمين وغير مسلمين ، واذا وجد نزاع ليس له حكم في هذا القانون فان المحاكم تفصل فيه وفقا للقول الأرجح من مذهب أبي حنيفة طبقا للمادة ٢٨٠ من لائحة المحاكم الشرعية الصادر بها القانون ٨٧ لسنة ١٩٣١ م .

كما يلاحظ أن القانون المدني الجديد ، قد نص في المادة ١/٨٧٥ منه على أن : « تعيين الورثة وتحديد أنصبائهم في الارث وانتقال أموال التركة اليهم تسري في شأنها أحكام الشريعة الاسلامية والقوانين الصادرة في شأنها » .

(ب) مسائل الوصية :

ومسائل الوصية تخضع في تنظيمها للقانون ٧١ لسنة ١٩٤٦ ، المأخوذ عن الشريعة الاسلامية ويخضع لأحكامه المسلمون وغيرهم ، وقد نصت المادة ٩١٥ من التقنين المدني الجديد على أنه : « تسري على الوصية أحكام الشريعة الاسلامية والقوانين الصادرة في شأنها » .

(ج) المسائل التي ينظمها القانون المدني الجديد :

من المعروف أن القانون المدني الجديد ، قد أخذ كثيرا من المسائل المالية عن الشريعة الاسلامية وهو يطبق على جميع الوطنيين لأنه الشريعة العامة للتشريع الوضعي ، ومن هذه المسائل : حوالة الدين ، وكثير من مسائل الايجار ، والحكر ، وأحكام الأهلية ، والهبة والشفعة ، وغير ذلك من الموضوعات التي أخذت مستلهمة من روح الشريعة الغراء

٢ ـ بالنسبة لمسائل الاحوال الشخصية :

تعتبر الشريعة الاسلامية ذات الولاية العامة التي تنظم روابط الأحوال الشخصية بالنسبة للمسلمين ، وغيرهم ، وأما الشرائع « الملية » لغير المسلمين فولايتها استثنائية (١) ، لأنها لا تطبق على مسائل الأحوال الشخصية لغير المسلمين الا اذا توافرت شروط تطبيقها التي نصت عليها المادة ٦ من القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ ، وهي اتحاد الخصوم في الديانة والملة والطائفة ، ووجود مجالس ملية منتظمة لهم ، وقت صدور القانون المشار اليه ، فاذا تخلف شرط من الشروط المذكورة كأن لختلف الخصوم في الديانة أو الملة أو الطائفة ، فان أحكام الشريعة الاسلامية تكون هي الواجبة التطبيق (٢) . فالشريعة الاسلامية اذن ـ

---

١ ـ دكتور عبد الودود يحيى ـ دروس في مبادىء القانون ـ ص ٩١ مطبعة جامعة القاهرة سنة ١٩٧٧ .

٢ ـ نفس المرجع والمكان السابقين .

ليست غريبة على حياة غير المسلمين كما أنها ليست بعيدة عن حكم كثير من تصرفاتهم ، والتطبيق على كثير من جوانب حياتهم القانونية ، والتخوف من استكمال تطبيق تلك الشريعة ، على ما بقى من بعض تلك الجوانب ، بحجة أن أبناء الأمة ليسوا كلهم من المسلمين ، أمر لا محل له ، فالشريعة لا تمس حقوق غير المسلمين بل تحافظ عليها وترعاها ، وهي سماوية المصدر عالمية التطبيق لا تفرق بين المسلم وغيره في أمور المعاملات ، وقد حوى فقهها العظيم من المبادىء التشريعية الفذة ، والقواعد الفقهية الراقية ما يفوق أحدث الشرائع العصرية .

يقول الأستاذ الدكتور سليمان مرقس : « ففي الكتاب والسنة : وهما أساس الدين الاسلامي ، وأهم مصادر الشريعة الاسلامية الكثير من القواعد القانونية المتعلقة بالزواج والطلاق والنسب والميراث والوصية والتجارة ، والبيع والعقود والحدود ، وغير ذلك من القواعد الجنائية وغيرها ، وقد تناول فقهاء الاسلام هذه الأحكام بالشرح والتفصيل وفرعوا عليها الكثير من الحلول ، حتى غدت الشريعة الاسلامية نظاما قانونيا يعدل أرقى الشرائع ؛ بل ان بعض نظمها يفضل ما يقابله من نظم في أحدث الشرائع العصرية » (١) .

١ ــ دكتور سليمان مرقس ــ المدخل للعلوم القانونية ــ فقرة ١٥٧ ــ طبعة ١٩٦٧ .

نطاق الحقوق المقررة لغير المسلمين في الشريعة الاسلامية :

يستمد أى حق من الحقوق أصوله من مصادر الشريعة الاسلامية الغراء ، وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، هما مصدر الحقوق جميعا ، بالنسبة للمسلمين وغيرهم ، فالحق أيا كان نوعه ، لابد أن يقوم مستندا الى هذين المصدرين ، اذ هو أثر لخطاب الشارع سبحانه وتعالى ، وهو منحة من الله تعالى يتفضل بها على عباده ، ويكفلها لهم جميعا بشرعه ، فلا يوجد حق شرعى من غير دليل عليه .

وقد ورد لفظ الحق في القرآن الكريم في آيات كثيرة ، والمراد منه على سبيل التعيين يختلف باختلاف المقام الذى وردت فيه الآيات ، ومعناه العام لا يخلو من معنى الثبوت والمطابقة للواقع ، **ويعرف الحق لغة :** بأنه الثابت الصحيح ، وهو ضد الباطل ، أو ما يجب للغير ويتقاضاه ، أو هو الواجب الذى ينبغى أن يطلب (٢) .

٢ ــ معجم ألفاظ القرآن الكريم ــ مجمع اللغة العربية ــ جـ١ ص ٢٧٧ ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

حقوق غير المسلمين في ظل تقنين الشريعة الإسلامية

وفي اصطلاح الفقهاء :

يعرف الحق بأنه : « حكم الله بتقرير مصلحة تستحق شرعا » وقد عرفه بعض الباحثين بقوله : « الحق هو المصلحة المستقرة شرعا » (١) ، وهذان التعريفان يكشفان عن أمرين في الحق ، أولهما : أنه يتضمن مصلحة ، وثانيهما : ان الشارع وحده هو الذي يستأثر بتقرير تلك المصلحة ، وينفرد بتقدير استحقاقها ، لعباده ، وقد ورد في نصوص الشريعه ما يدل على استحقاق غير المسلمين لكثير من الحقوق التي أثبتها لهم الشارع سبحانه ، وتقوم هذه الحقوق على أساس ثابت من كتاب الله وسنة نبيه ، وعمل الصحابة ، كما يتسع نطاق تلك الحقوق ليكلأ بالحماية والرعاية ، أصحابها في كل ما كفلته لهم الشريعة الاسلامية الغراء .

ومن أعظم الحقوق التي قررها الاسلام لغير المسلمين ، وكفلها لهم ، حرية العقيدة ، وحرمة الدماء والأعراض والأموال ، وسوف نتناول هذه الحقوق بالتأصيل والدراسة في مقالنا القادم بإذن الله ، والله المستعان .

د/ عبد الله مبروك النجار

---

١ ــ الشيخ الخفيف ــ مذكرة عن الحق والذمة ــ ص ٢٦ .

الحضارة الإسلامية

■ تصدير
الإمام جلال الدين
السيوطى

■ الحجامة
علاج قديم جديد

■ تصاوير
الحرمين
المكى والنبوى
فى الدين الإسلامى

تصدير الإمام جلال الدين السيوطي

الذى ألقاه أمام لجنة اختبارة ليحظى بدرجة التدريس

السيوطى : هو العلامة : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر ابن محمد بن سابق الدين أبى بكر بن عثمان بن محمد خضر بن أيوب بن محمد ابن الشيخ همام الدين الخضيرى السيوطى الشافعى المسند المحقق المدقق صاحب المؤلفات النافعة الفائقة .

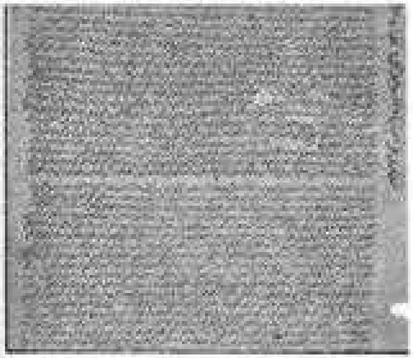
ولد فى أسرة ينتهى نسبها الى الشيخ همام الدين الخضيرى نسبة الى محلة ببغداد تسمى الخضيرية (١) وجاء هذا الشيخ المتصوف الى أسيوط فى عهد الأيوبيين ترجيحا، رحل والد السيوطى الى القاهرة .

وقد عنى والده بتعليمه عناية كبيرة ، فحفظه قدرا كبيرا من القرآن ، واستصحبه الى مجالس العلامة ابن حجر العسقلانى فى الحديث ، وقد اختص بالرعاية والعناية ــ بعد وفاة والده ــ من العلامة الكمال بن الهمام ، ونجح هو وغيره فى تقريره على وظيفة والده فى تدريس الحديث بالجامع الشيخونى فعاش ــ رغم يتمه ــ ناعم البال .

وقد ولد العلامة السيوطى عام ٨٤٩ هـ ١٤٤٥م وتوفى عام ٩١١هـ/١٥٠٥م .

وقد بلغ شيوخه واحدا وخمسين شيخا كما ذكر تلميذه الداودى ، أما مؤلفاته المعتبرة فقد بلغت عدتها نحـوا من خمسمائة مؤلف اشتهرت فى حياته فى أقطار الأرض شرقا وغربا ، اذ كان له باع طويل فى سرعة التأليف والكتابة جملته ينجز ما لم يستطع انجازه عشرات العلماء .

١ ــ خطط المقريزى (ط بولاق) جـ١ ص ٢١٣ ، ٣٢٠ ، حسن المحاضرة (ط الحلبى) جـ ١ ص ١٥٥ .



عثر على التصدير وقدم له

الدكتور مجاهد توفيق الجندى

وقد تنوعت مؤلفاته وتصانيفه ما بين الكبير والضخم الذي يحتوى على عدة مجلدات وبين المتوسط الذى يحتوى على ورقات وربما ورقة واحدة .

ومن مؤلفاته الصغيرة ذلك التصدير (١) الذى ألقاه بجامع شيخون (٢) رحمه الله تعالى أمام جمع من زملائه وشيوخه وجمع من القضاة والأفاضل .

وهذا التصدير عثرنا عليه ضمن مجموعة رقم ٢٠٤ بخط العلامة السيوطي نفسه ، وهى مودعة الآن بمتحف مكتبة الازهر من ٨٠ . ٨١ وقد نشرنا صورة لهذا النص لأول مرة وسيلاحظ القارىء مدى الجهد الذى قمنا به لتوضيح بعض الكلمات الغامضة وتفسير بعض العبارات وتسهيلها وترجمة بعض الأعلام مما يجعل مهمة القارىء بعد ذلك سهلة ميسرة ان شاء الله .

خط النص صغير خليط من القلم الفارسى والنسخ المملوكى ، بعضه منقوط وبعضه مهمل وكان حقه النقط .. والهمزة لم تذكر مطلقا ولذلك ذكرناها تسهيلا للقارىء ، ويفصل بين الجمل الكبيرة بعضها وبعض ما اصطلح عليه علماء وكتاب عصر السيوطى (وقفة كاتب) وهى عبارة عن دائرة فى وسطها نقطة ، ذكر السيوطى أحيانا بعض الكلمة فى آخر السطر وبعضها الآخر فى أول السطر الذى يليه ، ويقع هذا التصدير فى اثنين وخمسين سطراً وبعض كلمات النص غير واضحة تحتمل اكثر

---

١ ــ التصدير هو : أن يتصدر العالم حلقته العلم ليلقى على زملائه وغيرهم محاضرة أمام بعض شيوخه الذين سيمنحونه اجازة علمية بالتدريس أو القضاء أو الفتيا أو بها جميعا .

٢ ــ جامع شيخو أو شيخون : هو الأمير الكبير سيف الدين أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون .. كان يدخل ديوانه كل يوم من أملاكه واقطاعاته ومستأجراته بالشام ومصر مبلغ مائتى ألف درهم . وجامعه وخانقاته التى بخط الصليبة لم يعمر مثلهما قبلهما ولا عمل فى الدولة التركية (المماليك البحرية) مثل أوقافهما وحسن ترتيب المعاليم بهما .

مات رحمه الله تعالى ليلة الجمعة ١٦ من ذى القعدة سنة ٧٥٨ هـ ودفن بالخانقاه الشيخونية بالقاهرة .

(راجع خطط المقريزى جـ ١ ص ٣١٢ ، ص ٣١٤) . أما خانقته (بيت الصوفية) فهى تقابل جامعه ، وموضعها من جملة قطائع ابن طولون كانت مساحتها فدان تقريبا ، وقد رتب بها أربعة دروس للمذاهب الاربعة ودرسا للحديث ودرسا للقراءات السبع وجعل لكل درس مدرسا ومعه جماعة من الطلبة ورتب لهم يوميا الخبز واللحم وفى الشهر الحلوى والصابون والزيت .

تصدير الإمام جلال الدين السيوطي

من قراءة ولذلك اجتهدت رأيي ووضعتها بين قوسين مربعين وبعض كلمات التصدير وأرقامه كتبت باللون الأحمر أما التصدير فقد كتب معظمه بالمداد الأسود ونلاحظ أن العلامة السيوطي – رضي الله عنه – ختم التصدير بشيء من علم التصوف لم نعثر على جزئه . نسأل الله التوفيق .

قال الامام رحمه الله :

تصدير مبارك ألقيته يوم أجلست للتدريس بجامع شيخو (١) رحمه الله تعالى – بحضرة شيخنا قاضي القضاة شيخ الاسلام علم الدين البلقيني (٢) وجماعة من القضاة والأفاضل وذلك يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة ٨٦٧ ﻫ وقد مضى من عمري ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية(٤) أيام ● الحمد لله طالعت على هذا التصدير الكشاف (٥) وتفسير الامام الرازي (٦) وتفسير الامام ابن العربي (٧) والبحر لأبي حيان (٨) وأسباب النزول للواحدي(٩) وتفسير السجاوندي(١٠) وينبوع الحياة لابن ظفر(١١) وصحاح الجوهري (١٢) ✱ والخطبة الى آخر الصلاة من كلام الامام الشافعي رضي الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم. ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٣) » والحمد لله الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه الا بنعمة منه توجب على

---

١ – هذه الجملة كتبت باللون الاحمر في الاصل .

٢ – نسبته الى « بلقينة » احدى قرى مركز المحلة الكبرى طريق المحلة طنطا ، وهي من القرى الشهيرة بمحافظة الغربية ولو لم تنجب الا شيخ الاسلام البلقيني لكفاها فخرا ، راجع (التحفة السنية ص ٧٣) .

٣ – عمر هذا التصدير الآن ٥٣٦ ست وثلاثين وخمسمائة سنة تقريبا الآن .

٤ – لانه ولد في القاهرة ليلة مستهل رجب سنة ٨٤٩ ﻫ ٣ اكتوبر سنة ١٤٤٥ م تقريبا .

٥ – هو التفسير العظيم لمؤلفه جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ ﻫ بجرجانية خوارزم .

٦ – هو التفسير المسمى « مفاتيح الغيب » مؤلفه فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي المتكلم الاشعري المشهور وهو شافعي في الفقه ولد سنة ٥٤٤ ﻫ وقيل سنة ٥٤٣ ﻫ ومات يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ ﻫ ولم يتم تفسيره فاتمه غيره .

٧ – هو الشيخ محيي الدين محمد بن علي الطائي الاندلسي الصوفي المعروف بالشيخ الاكبر مات سنة ٦٣٨ ﻫ .

٨ – البحر المحيط في تفسير القرآن لابي حيان محمد بن يوسف الغرناطي الجياني اثير الدين ولد في آخر شوال سنة ٦٥٤ ﻫ وسمع بالاندلس وافريقية والاسكندرية ومصر والحجاز وهو شافعي يميل الى الظاهر مات في ٢٨ صفر سنة ٧٤٥ ﻫ .

٩ – هو أسباب نزول القرآن لابي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري مات سنة ٤٦٨ ﻫ وكان استاذ عصره في التفسير والنحو .

١٠ – هو محمد بن طيفور أبو عبد الله السجاوندي الغزنوي مات في حدود سنة ٥٦٠ ﻫ .

١١ – هو حجة الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر المكي مات بحماة سنة ٥٦٥ ﻫ .

١٢ – « الصحاح في اللغة » للجوهري وهو نصر بن اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي من أئمة اللغة مات بنيسابور في حدود سنة ٤٠٠ ﻫ .

١٣ – آية ١ ، ٢ سورة الانعام .

(✱) ورقة كاملة ، ويستعاض منها بنقطة تشبه النجمة ✱ .



تصدير الإمام جلال الدين السيوطي

مؤدى ماضي نعمه بآدائها نعمة حادثة يجب عليه شكره بها ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه أحمده حمدا كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة الا به وأستهديه بهداه الذي لايضل به من أنعم به عليه وأستغفره لما زلفت وأخرت استغفار من يقر بعبوديته ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجيه منه الا هو وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله(١) صلى الله عليه وعلى آله كما صلى على ابراهيم وآل ابراهيم انه حميد مجيد ورضى الله عن السادة الصحابة أجمعين وعن امامنا الامام الشافعي المطلبي وسائر الأئمة وعن سيدنا ومولانا شيخ الاسلام (٢) ووالده شيخ الاسلام وسائر مشايخنا والسادة الحاضرين وجميع المسلمين .

قوله سيدنا ومولانا أقول هو شيخنا علم الدين البلقيني بن الشيخ سراج الدين ★ .

أما بعد فقد قال الله تعالى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) الى عزيز (٣) الكلام على هذه الآية من جهات :

الأولى : سبب النزول ومكانه وزمنه .

الثانية علم اللغة .

الثالثة علم الاعراب .

الرابعة علم المعاني .

الخامسة علم التفسير .

قولي الكلام على هذه الآية من جهات الأولى سبب النزول الثانية الى آخره أقول : قدمت أولا الكلام على النزول وما يتعلق به ومناسبة تقديمه ظاهرة وثنيت باللغة وقدمتها على الاعراب لأنها تبين المعنى والاعراب فرعه ومتوقف على معرفته وثلثت بالاعراب وقدمته على المعاني الذي هو ثمرة الاعراب ثم ثلاه المعاني . ولما انتهيت من الأدوات ذكرت المقصود بالذات من الآية وهو التفسير وبيان المراد ثم ختمت بالنهاية وهو علم التصوف وهذا ترتيب حسن لطيف .

أما سبب النزول وما يتعلق به فقال الامام أبو الحسن الواحدي رحمه الله روى عن

---

١ — الى هنا انتهى كلام الشافعي في خطبة الرسالة ، راجع ص ٧ ، ٨ من خطبة الرسالة للامام الشافعي من تحرير الشيخ احمد محمد شاكر .

٢ — شيخ الاسلام هو علم الدين صالح بن الشيخ سراج الدين عمر بن رسلان الكناني العسقلاني البلقيني الاصل القاهري الشافعي ولد ١٣ جمادي الاولى سنة ٧٩١ هـ ومات في رجب سنة ٨٦٨ هـ سنة ١٤٦٤ م كان قوى الحافظة فصيح العبارة سريع الادراك بشوشا طلق المحيا فاشيا للسلام لا يهاب ملكا ولا اميرا سريع الدمعة سليم الصدر تصدى لنشر العلم وحضر مجلسه السادة من الشيوخ والاقران . راجع (الضوء اللامع جـ ٣ ص ٣١٢ — ٣١٤ ، البدر الطالع جـ ١ ص ٢٨٦ أما والده الشيخ سراج الدين البلقيني شيخ الاسلام المتوفى سنة ٨٠٣ هـ فقد تصدى للتدريس والافتاء وكان كثير النفع للطلبة . من أكابر العلماء مع الوقار وحسن الخلق . انشأ مدرسة بخط بين السيارج بالقاهرة تخرج فيها كبار ائمة العلماء . راجع (الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٢٥ نمرة ٨٤٩هـ القدسي . (★) وقفة كاتب .

٣ — سورة الفتح مدنية نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية اية ١ — ٣ .

ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى (وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ) (١) .

قال المشركون كيف تدخل فى دينك وأنت لاتدرى ما يفعل بك وبمن تبعك فنزل قوله تعالى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ) الى آخره .

قوله روى عن ابن عباس الخ أقول قوله ابن عباس هذا حكمه حكم المرفوع .

وروى أنه لما نزل (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ) قال له أصحابه هنيئا لك رسول الله الجنة لك فمالنا ؟ فنزل (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ) (٢) الى آخره ولما نزل (وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) قالوا كذلك فنزل (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (٤) ولما نزل (وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا) قالوا كذلك فنزل (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (٥) وروى أن قوله تعالى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ) الى آخره نزل بين مكة والمدينة فى شأن الحديبية قال أنس (٦) رضى الله عنه لما رجعنا من الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا ونحن بالحزن والبكاء أنزل الله تعالى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ) الى آخره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أنزل على آية هى أحب الى من الدنيا وما فيها وفى رواية مما طلعت عليه الشمس وفى الصحيح أنه نزل ليلا ★ .

---

١ — سورة الاحقاف آية ٩ (مكية) .
٢ — سورة الفتح .
٣ — اى هنيئا لك يارسول الله .
٤ — سورة المائدة آية ٣ (نزلت بعرفات فى حجة الوداع) .
٥ — سورة الروم آية ٧) (مكية) .
٦ — الامام ابو حمزة انس بن مالك بن النضر الانصارى المدنى ، لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أن هاجر الى ان مات ، وكان آخر الصحابة موتا ، واختلف فى سنة وفاته فقيل ٩٠ هـ وقيل ٩١ وقيل ٩٢ وقيل ٩٣ .
(★) وقفة كاتب .



وأما ما يتعلق بالآية من جهة اللغة فقال الامام أبو نصر الجوهرى فى صحاحه الفتح يطلق على النصر وعلى الحكم ومنه (افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) (٧) وعلى الماء يجرى من عين أو غيرها .

والمبين من أبان الشيء اذا أوضحه ومنه بان أى اتضح واستبان أى ظهر واستبنته أى عرفته والتبيين للايضاح والوضوح أيضا والبيان الفصاحة وما به يتبين الشيء من دلالته وغيرها ومبين أيضا اسم ماء قال الشاعر :

ياريها اليوم على مبين .

اى يارى ناقتى على هذا الماء .

والمغفرة من الغفر وهو الستر والتغطية ومنه غفرت المتاع جعلته فى الوعاء والمغفر زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ويقال من هذه المادة استغفر الله لذنبه ومن ذنبه وذنبه والفعل غفر يغفر وجاء فى لغة غفر يغفر والمصدر مغفرة وغفرانا وغفرا وجاء فى لغة غفرا ★ .

والذنب الجرم والفعل منه أذنب .

والنعمة اليد والصنيعة وكذلك النعمى والنعماء والنعيم ويقال فلان واسع النعمة أى واسع المال والهدى يطلق على أمور :

أحدها : خلق الاهتداء ومنه (إِنَّكَ لَا تَهْدِى

---

٧ — سورة الاعراف آية ٨٩ (مكية) .
(★) وقفة كاتب .

تصدير الإمام جلال الدين السيوطي

مَنْ أَحْبَبْتَ) (١) •

الثاني : الدلالة بلطف ومنه (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٢) •

الثالث : التقدم ومنه هوادى الخيل لتقدمها •

الرابع : التبيين ومنه (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) كذا قيل •

ويظهر لى أن هذا متحد مع الثانى •

الخامس : الالهام ومنه (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (٣) أى الهم لصالحه • (٤)

السادس : الدعاء ومنه (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) اى داع •

والصراط هو الطريق الواضح والصاد لغة قريش وعامة العرب يجعلونها سينا وكعب يجعلونها زايا وأهل الحجاز يؤنثونه كالطريق والسبيل والزقاق والسوق وبنو تميم يذكرون هذا كله وجمعه صرط ككتاب وكتب •

والمستقيم ضد المعوج والنصر مصدر نصره على عدوه ينصره والاسم منه النصرة ويقال نصر الغيث الأرض أى غاثها ونصرت الأرض أى مطرت •

والعزيز هو الغالب ويطلق على المحتاج اليه القليل الوجود •

وأما ما يتعلق بها من جهة الاعراب فقوله (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ) اختلف فى اللام هنا فقال صاحب الكشاف رحمه الله للتعليل ثم قال فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علته للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة وهى المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ★ •

وأجاب بجواب آخر وهو أنه يجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب :

قوله وأجاب الخ القول هذا الجواب على تسليم أنه جعل مكة للمغفرة (٥) •

وأجاب الامام فخر الدين (٦) بجوابين غير هذين •

وقيل اللام هنا للعاقبة والمراد أن الله فتح لك لكي يجعل ذلك علامة لغفرانه لك وقيل هى لام القسم وكسرت لحذف النون من الفعل تشبيها بلام كى ، ورد هذا الوجه بأن لام القسم لا تكسر ، ولا ينصب بها ، ولو جاز هذا لجاز ليقوم زيد فى معنى : ليقومن زيد • قال أبو حيان — فى البحر مجيبا عن هذا الرد : أما الكسر فقد علل بأنه تشبيها بلام كى وأما النصب فله أن يقول ليس هذا نصبا لكنها الحركة التى تكون مع وجود النون بقيت بعد حذفها دلالة على الحذف ثم قال : وبعد : فهذا القول ليس بشىء اذ لا يحفظ من كلامهم والله لتقوم ولا بالله ليخرج زيد بكسر اللام وحذف النون وبقاء الفعل مفتوحا ★ •

---

١ — سورة القصص آية ٥٦ (مكية) •
٢ — سورة الشورى آية ٥٢ (مكية) •
٣ — سورة طه آية ٥٠ (مكية) •
٤ — سورة الرعد آية ١٣ (مدنية) •
(★) وتتمة كاتب •

٥ — اى : جعل فتح مكة سببا للمغفرة ، واختصر للعلم بذلك مما تقدم •
٦ — المقصود فخر الدين محمد بن عمر الرازى صاحب التفسير الكبير المسمى « مفاتيح الغيب » •
(★) وتتمة كاتب •



وأما ما يتعلق بها من جهة المعانى :

ففى قوله (إِنَّا فَتَحْنَا) وقوله (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ) التفات من التكلم الى الغيبة ونكتته أنه لما كان الغفران واتمام النعمة والهداية والنصر يشترك فى اطلاقها الرسول صلعم وغيره بقوله (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ) (١) وقوله (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) (٢) وقوله (يَهْدِي مَن يَشَاءُ) (٣) وقوله (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ) ولم يكن الفتح لأحد الا للرسول صلى الله عليه وسلم أسنده تعالى الى نون العظمة تفخيما لشأنه وأسند تلك الأشياء الأربعة الى الظاهر واشتركت الخمسة فى الخطاب لم له صلم تأنيسا له وتعظيما لشأنه ولم يؤت بالاسم الظاهر لأن فى الاقبال على المخاطب مالا يكون فى الاسم الظاهر وفى قوله نصرا

٣ — سورة النساء آية ٤٨ (مدنية) .
٤ — سورة البقرة آية ٤٠ ، ٤٧ ، ١٢٢ (وهى جميعا مدنية) .
٥ — مكرر فى اكثر من آية مثلا سورة البقرة آيات ١٤٢ ، ٢١٣ ، ٢٧٢ (وهى جميعا مدنية) .
٦ — سورة الصافات آية ١٧٢ (مكية) .

عزيزا اسناد العزة الى النصر وهو مجاز فالعزيز حقيقته هو المنصور صم وقيل فيه مجاز الحذف والتقدير عزيزا صاحبه وأعيد لفظ الله فى وينصرك الله لما بعد عما عطف عليه وليكون المبتدأ مسندا الى الاسم الظاهر والمنتهى .

كذلك قوله التفات الخ .

أقول لم يذكر ذلك فى الكشاف وأشار اليه أبو حيان فى البحر تلويحا لا تصريحا .

قوله وقيل فيه مجاز الحذف أقول :

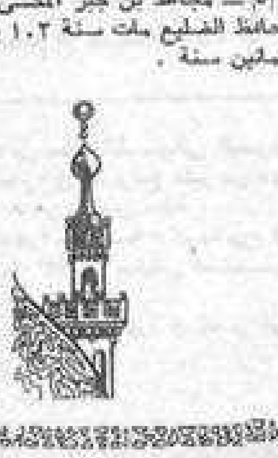
هذا من تعبيرى وتصريفى .

وأما ما يتعلق بها من جهة التفسير قوله : (إِنَّا فَتَحْنَا) فى المراد بالفتح هنا أقوال .. أحدها : فتح مكة واختاره أبو بكر[٤] الرازى (من الجميع) وأبو حيان .

والثانى : عام الحديبية عند انفكاكه منها .

والثالث : قاله (٥) مجاهد فتح خيبر وفى بعض (الآى) ما يدل عليه .

٤ — الاصح : ابو عبد الله او ابو الفضل ولقبه الرازى وهو بلقبه أعرف ، اما «ابوبكر» فهو لا شك سهو من المصنف .
٥ — مجاهد بن جبر المكى الامام المفسر الحافظ الضليع مات سنة ١٠٢ بمكة عن ثلاث وثمانين سنة .



٥

تفسير الإمام جلال الدين السيوطي



والرابع : قال الضحاك (١) المراد فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة والحجة(٢) والسيف والفتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كلها أولا فتح (٣) من فتوح الاسلام الا وهو عنه ومشتق منه .

الخامس قال غيره : المراد نصر الله (تعالى) على أهل مكة انك تدخلها انت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت .

قوله (مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) قال ابن عباس ما تقدم قبل النبوة وما تأخر بعدها وقال غيره ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور له وقال سفيان ما تأخر هو ما لم يعلمه وقال آخر المتقدم والمتأخر مما ما كان قبل النبوة وقال آخر تأكيد للمبالغة كما تقول أحبك من عرفك ومن لم يعرفك وقال آخر ما تقدم من ذنبك يعنى من ذنب أبيك آدم وحواء وما تأخر ذنوب أمتك وقال آخر المعنى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه .

قوله ويتم نعمته عليك قيل بالنبوة والحكمة وقيل بفتح مكة والطائف وخيبر وقيل بخضوع من استكبر والصحيح بدخول الجنة .

قوله ويهديك المراد يثبتك على الهدى كما فى قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) (٤) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) (٥) وأمثال ذلك قوله (صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) المراد به هنا الاسلام وأما من جهة علم التصوف أ . هـ .

د. مجاهد توفيق الجندى

---

١ ـ الضحاك بن مخلد الشيبانى البصرى الحافظ مات بالبصرة فى الرابع عشر من ذى الحجة سنة ٢١٢ هـ عن تسعين سنة .

٢ ـ لعله « الدعوة بالحجة » كما ورد فى تفسير أبى السعود المطبوع بهامش تفسير الرازى .

٣ ـ لعله « ولا فتح » كما ورد فى تفسير أبى السعود المذكور .

٤ ـ سورة الاحزاب آية ١ (مدنية) .

٥ ـ « يأيها الذين آمنوا آمنوا » .

تصاوير الحرمين المكى والنبوى في الفن الإسلامي



لوحـة رقم (١) :
● الحرم المكى ممثل على بلاطة خـزفية من صـناعة تركيا العثمانية القـرن ١١ هـ / ١٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم
« إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) صدق الله العظيم « سورة آل عمران » .

بقلم الدكتور ربيع حامد خليفة

حظيت عمارة الحرم المكى والنبـوى بعناية الحكام المسـلمين ورعايتهم على مر العهود وقد كانت عناية سـلاطين المماليك بالحرم عظيمة ، فمنـذ ان اعاد بناء الكعبة والحرم السـلطان الظـاهر بيبرس الى أيام قلاوون ، لم يكف هؤلاء السلاطين عن العناية بالحـرمين المكى

تصاوير

الحرمين المكي والنبوي في الفن الإسلامي

والمدني ، والمرة الأخيرة التي أعاد فيها المماليك بناء الحرم بأكمله كانت في سنة ٨٦٨ هـ / ١٤٦٤ م في عهد السلطان خشقدم .

وعندما صارت الأراضي الحجازية تحت رعاية سلاطين آل عثمان انتقل اليهم أمر رعاية الحرم (١) . ولم يقصروا في ذلك ولقد بدأ ذلك العمل الجليل السلطان سليم ثم ابنه السلطان سليمان القانوني الذي أعاد بناء الكعبة والحرم وأعطاهما الهيئة الباقية الى اليوم على وجه التقريب وقام بعمل هذا التخطيط المهندس المعماري العثماني « قوجه سنان (٢) وظلت التجديدات تتوالى على الحرم حتى أوائل القرن ١٨ م عندما قام والى مصر محمد على باعادة بناء الحرم المكي كله وجدد عمارته وحجارته ورخامه وأصلح مآذنه وكان ذلك في سنة ١٨٢١ م أما العمارة الحالية للحرم فترجع الى أيام الملك سعود ابن عبد العزيز سنة (١٩٥٨ م) وقد أخذ الحرم المكي المكرم بهذه العمارة صورة فريدة في بابها من الجمال والروعة المعمارية .

كذلك لقى الحرم النبوى في المدينة نفس القدر من الاهتمام وتوالت عليه التجديدات والاضافات طوال العصر المملوكي والعثماني أبرزها ما قام به السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤٠ هـ / ١٥٢٩ م ، ومازال مبنى الحرم النبوى المملوكي العثماني باقيا الى اليوم ، بالاضافة الى التوسعة العظيمة التي أمر بعملها الملك عبد العزيز آل سعود .

وقد استهوت عمارة الحرم المكي والمدني المصورين المسلمين منذ فترة مبكرة فقاموا برسمها على صفحات الأطالس والمخطوطات وعلى الكثير من التحف التطبيقية من قاشاني وسجاد ومنسوجات في أشكال متقنة وتصميمات بديعة . وتأتي أهمية هذه الرسوم في أنها توضح لنا جانبا هاما من عمارة وتخطيط الحرمين خلال الفترات التاريخية المختلفة فهي تعتبر بمثابة وثائق مسجلة بالصورة لهذه

---

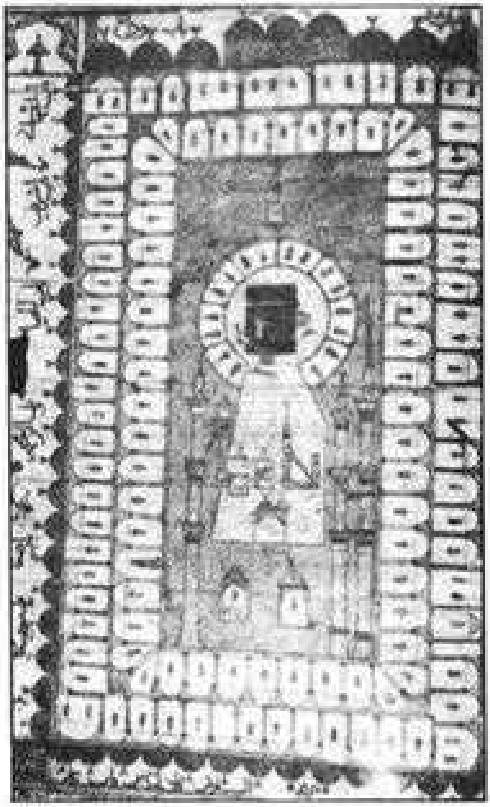
١ ـ تولت الدولة العثمانية تنظيم الحج الى الحجاز وأشرفت عليه اشرافا فعليا واعتبرت ان هذا العمل واجب يقع على عاتقها فأنشأت الآبار على طول الطرق المؤدية الى الحجاز وأقامت في البادية حصونا لحراسة الآبار ، وشجعت على تشييد الخانات (الفنادق) واقامة المخافر . د . عبد العزيز محمد الشناوى « الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها » .
(القاهرة ـ ١٩٨٠) ص ٥٧ ، ٥٨

٢ ـ يعتبر هذا المهندس الاسلامي من أعظم المعماريين الذين عرفتهم الدولة العثمانية والعالم الاسلامي في القرن ١٦ م ، وفي مخطوط « تذكرة الأبنية » وهو كتاب أملاه المعمار سنان على صديقه الثقافي ساعي مصطفى جلبي بيان بأعماله والتي تزيد عن (٤٤١) عملا في مختلف انحاء الدولة العثمانية ومنها قيامه بترميم قباب الحرم المكي وتشييده لمدرسة وحمام ومطعم خيرى في مكة باسم السلطان سليمان . كما شيد أيضا في المدينة المنورة مطعما خيريا باسم خاصكي سلطان .
(ابراهيم ادهم باشا ـ اصولى معمارى عثمانى) استانبول ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م . ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

العمارة ، بالإضافة الى أنها تظهر مقدرة الفنان المسلم على رسم التفاصيل المعمارية ما بين عقود ومحاريب وقباب وشبابيك واظهار العناصر الزخرفية الدقيقة بطريقة متناسقة ومتنوعة .

وترجع هذه العناية الى طبيعة هذه الأماكن المقدسة ؛ فمكة وهى الحرم المقدس لدى مسلمى العالم كله ، وقبلة الصلاة والحج ، كما تضم المدينة المنورة المسجد النبوى الشريف (أبو المساجد) الذى أصبح فيما بعد نموذجا اتبع فى معظم مساجد الاسلام .

ومن أقدم تصاوير الكعبة والحرم الشريف ما نقش بالبارز على حجر أسود صغير كان فى الأصل فى مسجد ومرقد الامام ابراهيم بالموصل ونقلته دار الآثار الى متحف بغداد (١) ويظهر فى النقش صورة الكعبة المشرفة على هيئة بناء مربع بسيط تحيط به أروقة الحرم ويعلو النقش كتابة نسخية تتضمن الآية القرآنية رقم ٩٦ من سورة آل عمران ويعتبر هذا النقش من أقدم رسومات الكعبة وسبق أمثاله على القاشانى وهناك احتمال بأن هذا النقش يرجع الى نهاية القرن الخامس الهجرى ويحمل هذا النقش توقيع « عبد الرحمن بن أبى حمزة » كما مثلت رسوم الحرمين الشريفين على القاشانى وبصفة خاصة من العصر العثمانى بأسلوب متميز يتسم بالواقعية وقدرة الفنان على التمثيل الصادق لعمارة الحرمين ، وتكمن أهمية



لوحة رقم (٢) .
● تجميعه من القاشاني ممثل عليها الحرم المكي من صناعة تركيا العثمانية مؤرخة لسنة ١٠٧٧ هـ .

هذه المجموعات سواء أكانت بلاطات قاشانية مفردة أو تجميعات تشكل وحدة فنية مستقلة فى أنها تتضمن أسماء من قاموا بعملها وتاريخ الصناعة .

وتعرض المتاحف التى خصصت للفنون الاسلامية نماذج من هذه البلاطات كما لايزال بعض منها قائما يزين بعض العمائر ويكسبها شرفا لا يدانيه شرف .

وفى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ثلاثة

---

١ ـ الآثار والمبانى العربية الاسلامية فى الموصل ص ٣٤ (دراسات فى الآثار الاسلامية) ص (٤٥)) (القاهرة ١٩٧٩) .

تصاوير الحرمين المكي والنبوي في الفن الإسلامي

الواح من القاشاني مثل عليها الحرم المكي (أرقام سجل ٣٢٥١ – ٣٥٥٦ – ٨٦٠) تتوسطه الكعبة ومشاعر الحج حوله وقد حاول المصور مراعاة قواعد المنظور في رسم الكعبة والحرم وما يحيط بهما من عمائر وقباب ومنارات وأشجار ويحيط بالرسم اطار من الزخرفة العربية المورقة (الأرابيسك) ويتخلل الكسوة الخزفية التي تزين جدران سبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا (١١٥٧هـ / ١٧٤٤ م) بشارع بين القصرين تجميعة مستطيلة تتكون من عشر بلاطات قوام زخارفها منظر تصويري للحرم المكي ويتضح في العمائر المرسومة الطراز العثماني في القباب والمداخل والمآذن ويغلب على الرسوم استخدام اللون الأزرق والأخضر (١) .

كما يحتفظ متحف فيكتوريا وألبرت ببلاطة خزفية مستطيلة الشكل مثل عليها الحرم بأروقته وقبابه التي تعود الى التجديدات العثمانية المتأخرة التي تمت في القرن السابع عشر الميلادي (صورة رقم ١) .

ويقتني متحف طوبقا بوسراى ، باستنبول نموذجا فريدا لرسومات الحرم المكي الممثلة على مجموعة من البلاطات الخزفية تتميز بدقة الرسوم وروعة الألوان مؤرخة بسنة ١٠٧٧ هـ ، وتظهر الكعبة والحرم في هذه التجميعة وهي ممثله بطريقة عين الطائر أي أن الفنان قام برسمها من أعلى حتى تظهر كل الأبواب والمواقع والأماكن المحيطة بالحرم في وقت واحد ، ولذا فقد جاءت الصورة خالية من اتباع قواعد المنظور ويغلب عليها التسطح شأنها في ذلك شأن معظم رسوم التصوير الاسلامي .

وقد حاول الفنان أن يزود صورة الحرم بشيء من الواقعية عن طريق رسم المآذن المخروطة والمشكاوات التي تتدلى من الروابط الخشبية أسفل البوائك والقباب العثمانية الطراز التي تعلوها الأهلة .

ومن الجدير بالذكر أن العمارة التي تبدو في هذه الصور تتفق تماما وما ورد بشأن أعمال المهندس العثماني الشهير سنان باشا في الحرم عندما أعاد انشاء البوائك المحيطة بالحرم واستبدل بالأعمدة الرخامية دعائم من الرخام عددها ٨٩٢ ، يتخللها أعمدة من الحجر لتحمل البوائك والسقف ، كما أعيد اقامة القباب الصغيرة وبنيت بالحجر وكانت قبل ذلك من الخشب وعددها ٥٠٠ ، وأيضا الى التجديدات التي تمت في سنة ٩٩٤هـ/١٥٨٦م حيث جددت قناديله وأضيفت اليه ثريات في هيئة رؤوس النخيل كما بنى له مآذن أكبرها مستديرة على الطراز العثماني ذات ثلاث شرفات للآذان وعرفت بمئذنة الخليفة وتظهر هذه المئذنة في الجانب الأيمن من الصورة (صورة رقم ٢) كما يظهر في الركن

---

١ – ربيع حامد خليفة : البلاطات الخزفية في عمائر القاهرة العثمانية .
رسالة ماجستير بجامعة القاهرة – ١٩٧٧ ص ٢٣٥ .



لوحة رقم (٣) .
● تصويرة من مخطوط ايرانى مؤرخ لسنة ٨٤٦هـ / ١٤٤٢ م تمثل الطواف حول الكعبة .

على رسم الكعبة اذ أبرز المصور الأقمشة والستور التى كانت تغطى الكعبة ومن المعروف أن معظم زخارف هذه الستور تقوم على الكتابات بصفة أساسية والتى تشتمل على عبارات دينية مثل الشهادتين والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وعبارات مدح للسلاطين ، ولا تزال العديد من المتاحف تحتفظ بنماذج من هذه الأقمشة ذات الكتابات المحصورة داخل أشرطة زجزاجية كما تبدو فى الصورة السابقة وهى كانت تعد لكى تكسى بها الكعبة .

ويحتفظ المتحف البريطانى بلندن تحت رقم (٢٥٩٠٠) بمخطوط ايرانى غاية فى الأهمية يحمل اسم « خمسة نظامى » صور فى هراة سنة ٨٤٦ هـ ــ ١٤٤٣ م ، وتشتمل الورقة رقم (١١٤) من المخطوط على صورة تمثل الطواف حول الكعبة داخل الحرم المكى وهى تعتبر من أندر صور الكعبة فى المخطوطات (١) .

وقد أبرز الفنان صورة الكعبة باعتبارها الموضوع الرئيسى فى التصويرة على هيئة بناء مكعب يتفق رسمه وقواعد المنظور تغطيها ستور سوداء اللون تضم أشرطة زجزاجية ويعلوها شريط كتابى بخط النسخ الثلث عبارة عن نص دعائى « سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الملك الحى الذى لا يموت » ، وأسفل السفلى من الصورة مبنى مكون من ثلاث قباب كتب أعلاها داخل مناطق مستطيلة « مدارس سلطان سليمان » وتفيد المراجع التاريخية بأن السلطان سليمان قد أنشأ هذه المدارس لتدريس الفقه وعرفت باسم المدارس السليمانية وقد ظلت تقوم بعملها زمنا طويلا .

ويغلب على ألوان هذه التجميعة اللون الأزرق (والتركواز) بالاضافة الى لمسات من اللون الأصفر والبنى ، وتتشابه هذه التجميعة مع أخرى يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة (رقم سجل ١٦٦٤٥) وهى مؤرخة بسنة ١٠٨٧ هـ وان اختلفت فى اضافة بعض التفاصيل

١ ــ Bernard Lewis «The world of Islam» London 1977- PL-11

تصاوير الحرمين المكي والنبوي في الفن الإسلامي

هذا الشريط شريط كتابي آخر نصه « عجلوا بالصلوة قبل الفوات » بينما يعلو باب الكعبة شريط كتابي بالخط الكوفي المورق عبارة عن جملة من حديث نبوي شريف نصها « الصلوة عماد الدين » .

وقد أظهر الفنان باب الكعبة بهيئة مستطيلة ويتكون من ضلفتي باب يتعلق أحد الحجاج بمطرقته التي ثبتت على الضلفة اليمنى له . ويغلب على لونه اللون الأصفر حيث كان مغطى بصفائح من الذهب والفضة .

ويلاحظ في هذه الصورة أن الفنان قام برسم مجموعة من الأشخاص في زي الاحرام في حركات وأوضاع متنوعة تنم عن المشاعر التي تعترى كل حاج لبيت‌الله الحرام ، فمنهم من يرفع يديه بالدعاء ، ومنهم من يضع يديه على صدره طالبا العفو والمغفرة . (صورة رقم ٣) .

والصورة بصفة عامة مفعمة بالحيوية والحركة وتعبر أكثر من غيرها عن مثل هذا الموضوع الذي يدل على صدق احساس الفنان .

ويوجد الى اليمين بأعلى الصورة مساحة مستطيلة الشكل تضم بيتا من الشعر الفارسي نصه :

ازجاى جومار حلقه برجست

در حلقه زلف كعبه زد دست

ويفهم من ترجمته :

« لقد اندفع نحو الحلقة المثبتة بالكعبة وأمسكها بيده » .

وتشتمل مجموعة متحف الفن الاسلامي بالقاهرة على مخطوط صورت به عمارة الحرم المكي والمسجد النبوي ، رقم سجل (١٣٩٩٨) ويشتمل هذا المخطوط الذي كتب باللغة العربية على مجموعة من الورود والأحزاب والدعوات ، ويرجع تاريخه الى القرن الثامن عشر الميلادي حيث اشتملت الصفحة الرابعة والخمسون من صفحاته التي يبلغ عددها مائة وسبعا وأربعين صفحة على منطقة مربعة بها فرع نباتي مزهر وقد اشتمل الجزء السفلي من هذه المنطقة على اسم مذهب هذا المخطوط (ذهبه مصطفى) وذلك في سنة ١١٥٨ هـ . وان كان هناك احتمال كبير بأن يكون مصطفى هذا هو مصور المخطوط ، فكثيرا ما كان المصور المسلم يوقع باسمه على الصورة تحت لقب « المذهب » حتى ولو لم يستخدم ذهبا في الصورة على الاطلاق وكأنه بذلك يرفع من قدر نفسه ومكانته .

أما الصفحة الخامسة والستون والسادسة والستون فقد اشتملتا على رسوم لعمائر : فنرى على الصفحة اليسرى صورة الحرم المكي مقاسها (١٦,٥سم × ١٠ سم) ، واهم ما يميز هذه التصويرة العمارة العثمانية



المتمثلة فى التغطية بالقباب الصغيرة للأروقة التى تحيط بالصحن ، ومن أنواع العقود النصف دائرية والمآذن العثمانية المشوقة ذات النهايات المدببة التى تشبه القلم الرصاص أو المسلة ، والمداخل المسبوقة بعدة درجات من السلالم .

وقد استخدم الفنان اللون الأخضر والأزرق فى رسم الحرم الى جانب بعض لمسات من اللون الأحمر والبنى ، وذلك على أرضية ذات لون بنى الى جانب استخدام التذهيب .

أما الصفحة الثامنة والستون فقد اشتملت على تصويرة تمثل الحرم النبوى الشريف ، وهى تتشابه فى المقاس مع التصويرة التى تمثل الحرم المكى . وقد قسم المصور هذه التصويرة الى قسمين : علوى ويشتمل على ظلة القبلة بالمسجد وقد فرشت بالسجاجيد المزينة بالزخارف النباتية الذهبية اللون على أرضية زرقاء أو حمراء داكنة . وأيضا المنبر الذى يتخذ الهيئة التى شاعت فى طراز المنابر العثمانية وخاصة الشكل الهرمى الذى يعلو الجوسق والمنتهى بهلال ، وهناك احتمال كبير بأن يكون هذا المنبر هو الذى أهداه السلطان سليمان القانونى لمسجد النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وقد ذكر أنه كان آية من آيات صنعة الحفر فى الخشب عند المسلمين ، كما يظهر أيضا فى ايوان القبلة دكة المبلغ ودكة المقرئ ، بينما تظهر فى الركن الأيمن قبة كبيرة مفصصة يعلوها هلال ، وهى القبة التى تعلو قبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

اما الجزء السفلى فهو يشتمل على رسم بعض المقامات ورسوم النخيل ونلاحظ ان هذه التصويرة من أكثر الصور التى تمثل الحرم المدنى ثراء وروعة فى رسم العمائر وابداع الالوان والتذهيب .

ربيع حامد خليفة

الحجامة

قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الشفاء فى ثلاث : شربة عسل، وشرطـة محجم ، وكية نار ، وأنا أنهى عن الكى) (١) •

وقديما عالجت الحجامة أمراضا كثيرة مستعصية ، ولا نعدو الحقيقة اذا ماقلنا ان الحجامة حتى الآن وفى عصرنا هـذا تطبب أيضا كثيرا من الأمراض وهى فى هذا لا بديل لها ولا تحويل عنها •

وقد قال بعض الناس أن الفصد يدخل فى قوله (شرطـة محجم) فاذا لم يف بالمطلوب كان الكى منتهى القضية وآخر مدى للتداوى، ويكون ذلك عند غلبة الطباع البدنية لقـوى الأدوية حيث يقاوم الجسم الأدوية ولا ينفعل لهـا ولا يتأثر بهـا ، وفى قوله صلى الله عليه وسلم (وأنا أنهى عن الكى)وفى رواية (ومـا أحب أن أكتوى)هذا يشير الى أن اللجوء الى الكى يكون آخر المطاف بعد الاخفاق فى العلاج بجرعة العسل ، وشرطة محجم وهنـا يكون أصـعب الوسـائل آخرها ، وهذه نقطة دأب عليها مطببو الأبدان حيث دائما نفضل ــ نحن الأطباء المعالجين ــ أن نبدأ بالعلاج البسـيط السهل اليسير ، فان لم تستجب طبيعة المريض للعقاقير ، لسبب أو لآخر انتقلنا به الى صنف آخر من العقاقير أقوى تأثيرا وأشـد فعالية وهذا عرف طبى متفق عليه •

وهذا الطب النبوى لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن هوى ويتحدث بوحى يوحى قد أبدى اتساعا فكريا وعقليـا فى أسلوب ومنهاج العلاج السـديد فى ترتيث وأناة فلا يكون العلاج بالكى مطلوبا الا بعد اخفاق وسـائل العلاج الأخرى ، اذ أن دفع الألم الشـديد لايكون باحداث ألم أقوى منه وأشد منه برحاء وقسوة •

وقد ورد فى الحجامة قوله صلى الله عليـه وسـلم : (مامررت ليلة أسرى بى بمـلأ الا قالوا : يامحمد مر أمتك بالحجامة (٢) •

وقد روى أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قد احتجم ، وحجمه أبو طيبة : فأمر له بصاعين مـن طعام ، وكلم مواليه فخففـوا من ضريبته وقـال : ــ (خـير ما تداويتم به الحجامـة (٣)) •

ورواية البخـارى : ان أمثل ماتداويتم به الحجـامة •

وهـذا يوضـح لنـا أن للطبيب أو المطبب جملا على مباشرته العلاج وممارسته له •

وفى توقيت الحجامة كـان صلى الله عليه وسـلم يقول (ان خـير ما يحتجمون فيه يوم سبع عشرة ويوم تسع عشرة ويوم احـدى وعشرين (٤)) •

---

(١) رواه البخارى وابن ماجة واحمد أ

(٢) روى فى المستدرك من حديث ابن عباس وسنن ابن ماجة ١١٥١/٢ •

(٣) الجامع الصغير ٤٩٠/٣

(٤) الجامع الصغير ٤٩٥/٣ وسنن ابن ماجة ١١٥١/٢ •

علاج قديم جديد

للدكتور السيد الجميلي

والحجامة تستخرج الدم من نواحي الجلد ، وهي تخرج مالايخرجه الفصد لذلك فالحجامة أنفع وأطب للصبيان من الفصد ولمن لايقوى على الفصد قال أنس رضي الله عنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم في الأخدعين والكاهل) (١) .

وقد ورد أن سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام (كان يحتجم ثلاثا : واحدة على كاهله واثنتين على الأخدعين) (٢) .

وقد ذهب الأطباء في الحجامة مذاهب شتى على نقرة القفا وهي القمحدوة .

اذ روى مرفوعا (عليكم بالحجامة في جوزة القمحدوة فانها تشفي من خمسة أدواء) (٣) .

واستحسنه لفيف من الأطباء في علاج جحوظ العينين والجويتر Goitre الجحوظي .

وقد روى أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم في وركه من وثى كان به (٤) وكذلك فقد احتجم أحمد بن حنبل في جانبي قفاه ولم يحتجم في النقرة .

من فوائد الحجامة : من أهم فوائد الحجامة الرطبة(٥) تخفيف وعلاج فشل القلب الاحتقاني الذي يتضخم معه البطين الأيمن للقلب وتحتقن الرئتان والمصحوب أحيانا بارتشاح في القفص الصدري حيث يجد المريض نفسه متدهورا صحيا مبهور الأنفاس مطرد الاجهاد والارهاق الذهني والبدني .

ولكن الفصد يفيد في علاج ارتفاع ضغط الدم والذي يؤثر أحيانا على شرايين المخ فيسبب غيبوبة وتشنجات عصبية أحيانا وفي علاج بعض حالات الأطفال عقب الولادة مباشرة ، وفي لدغ الثعبان والعقرب للتخلص من سمومهما باستنزاف كميات الدم الملوثة بهذه السموم القاتلة الفتاكة ، وفي الحالات الحرجة يكون استنزاف هذا الدم (الفصد) هو العلاج الوحيد والاسعاف المنقذ للحياة .

وتبلغ كمية الدم المستنزف من نصف لتر الى لترين وثلاثة ، لدواعي الطوارىء الحادة ، والذي يحدد الكمية المسحوبة هو الطبيب المعالج والمباشر لهذه الحالة بما يتفق وتشخيصها ودرجة تطورها وتدهورها (٦)

وأجمع جمهرة الأطباء على أن الحجامة تناسب البلاد الحارة أكثر من الفصد وهي مستحبة ومناسبة لسكان الجزيرة العربية أكثر من الفصد لأن دماءهم رقيقة وبلادهم حارة ومسام جلودهم واسعة من ثم كان خطر الفصد عليهم موضع تهديد ومهابة .

---

(١) أخرجه الطبراني والحاكم عن ابن عباس ، الجامع الصغير للسيوطي ٥/٢٠٩ .

(٢) سنن أبي داود ، ومختصر السنن للمنذري ٥/٣٤٨ .

(٣) الطب النبوي لأبي نعيم . الجامع الصغير ٤/٣٢٩ ولكن السيوطي ضعفه .

(٤) أخرجه النسائي .

(٥) تستعمل الحجامة الرطبة في الحالات الطارئة العاجلة عنها في الحجامة الجافة .

(٦) من التجارب الخاصة لكاتب البحث .

الحجامة

كما تفيد الحجامة الجافة فى التهابات العضلات الروماتيزمية لا سيما العضلات الظهرية أما الحجامة الرطبة فتفيد الفشل الاحتقانى للقلب واحتقان الرئتين وهذه تعمل على ظهر القفص الصدرى .

ومن المستحب أن يتم الاحتجام فى البلاد الحارة عن الفصد لما ذكرنا آنفا وأنسب الأوقات للحجامة وسط الشهر وبعد وسطه فى النصف الثانى من الشهر ولكن الشيخ الرئيس ابن سينا (١) يرى عكس ذلك .

فيما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد احتجم فى رأسه وهو محرم » (٢) ولقد رأينا — من واقع التجارب العملية (٣)— نفعا عظيما فى كثير من الأحيان ومؤقتا فى قليل من الأحيان للفصد فى نوبات قاتلة من الفشل القلبى الاحتقانى ، واحتقان الطحال وتورم الكبد ، وأمراض الدم المصحوبة بازدياد عدم كريات الدم الحمراء .

كما أن فصد الودجين ينفع وجع الربو وألم الجبهة والجبين . والحجامة على الكاهل(٤) تفيد وجع المنكب والحلق ، والحجامة على الأخدعين(٥) تفيد أوجاع الرأس والفم والأسنان والحلقوم ، والعينين والأنف والأذنين .

أما الحجامة أسفل الذقن فانها تشفى آلام الأسنان والحلقوم والوجه وهى أعظم ماتكون أسفل الصدر لتبرى ما به من دمامل وبثور ، كما تشفى النقرس والبواسير (٦) .

وقد ورد حديث عنه صلى الله عليه وسلم يقول فيه (من احتجم لسبع عشرة أو تسع عشرة أو احدى وعشرين كانت شفاء من كل داء) (٧) . وهذا الحديث ضعيف لأنه لايتفق مع العقل بأى حال لأنه ليس من المعقول أن يشفى كل الأمراض انما لبعضها وفى ظروف خاصة ، وقد قال بضعف هذا الحديث ابن حبان لأنه يخالف الثقافة فى الرواية .

وتفيد الحجامة بصفة خاصة فى حالات الهياج والغليان وثوران الدم وقد شاهدت بنفسى حالات هياج شديدة وقد خمدت ثورتها وانطفأت جذوتها بمجرد الاحتجام مباشرة وعادت سيرتها الأولى من السواء والاعتدال .

وأحسن أحوال الحجامة تكون فى أواخر الشهر أو السابع عشرة من الشهر وأنسبها على الاطلاق ما كان فى النصف الثانى وما يليه من الربع الثالث من أرباعه ، وفى ظروف الطوارىء فانها لا تقيد بزمن معين ولا مانع من الاحتجام أول الشهر طالما اقتضت الضرورة ذلك .

ومن الأفضل الاحتجام (على الريق) وقد كان ابن سينا يوصى بالاحتجام بعد الاستحمام ، وتكره الحجامة على الامتلاء والشبع .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بطب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يلهمنا السداد والسؤدد وان يرزقنا العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

دكتور السيد الجميلى

---

(١) ابن سينا مؤلف (القانون فى الطب) .
(٢) فتح البارى ٤/ ٥٠ .
(٣) رأى كاتب البحث . (٤) الكتف .
(٥) شريانان فى الرقبة عن يمين وشمال متقابلان مع الودجين .

(٦) الطب النبوى لابن القيم / ١٢٨ .
(٧) رواه ابو هريرة مرفوعا — سنن ابى داود .

الدكتور
محمود حب الله
سفير الإسلام

من أعلام الأزهر

الدكتور
محمود حب الله

عالم من الطراز الاول ... هكذا وصفته صحيفة (واشنطن بوست) اوسع الصحف الامريكية انتشارا فى مقال استغرق صفحة كاملة عن تاريخ حياة الداعية الاسلامى الكبير فى عددها الذى صدر فى ٢٦ يوليو ١٩٦٩ وجاء فيه:

« ان كل الذين يحملون العداء للاسلام سيعدلون عن آرائهم .. اذا التقوا بالدكتور حب الله مدير المركز الاسلامى بواشنطن . ثم انهم لن يلبثوا حتى يقتنعوا بعظمة هذا الدين الحنيف»

وقال الصحفى الامريكى (كينث دول) فى مقال عن الدكتور حب الله :

«ان الرجل تخالف شخصيته الآراء والافكار التى كانت تقال افكا عن الاسلام والمسلمين .

فأما — صحيفة (ستار) الامريكية فقالت :

« ان وجود الدكتور حب الله فى امريكا سند عظيم للاسلام والمسلمين هنا » .

وقالت (مورننج نيوز) :

« ان كل المراكز الاسلامية فى امريكا تستطيع أن تحقق لنفسها اكتفاء ماديا . ولكنها جميعا تتطلع الى وجود هذا الرجل فى واشنطن كمنارة هادية يتطلع اليها كل المسلمين فى الولايات المتحدة الامريكية ، فالدكتور حب الله لا يتناول فى محاضراته بالجامعات والمراكز الثقافية ولا فى أحاديثه الصحفية والاذاعية .. الدين الاسلامى ومدى تأثيره فى الحياة وفى العرب والمسلمين وما صنعوه من تقدم حضارى فحسب .. ولكنه يقدم النماذج والوقائع من تاريخ الاسلام والمسلمين . انه يسوق واقعة ما تتصل بالعلاقات الدولية مثلا ... ومدى فهم المسلمين لها وتطبيقهم لهذا الفهم أيام نهضتهم وقوتهم . ثم يقارن بين ذلك وبين ما تطبقه الدول الكبرى اليوم فى هذا المجال . ومن خلال هذه المقارنة يتأكد أن معيار الحق والعدل واحد لا يتغير عند المسلمين .. بينما هذا المعيار فى هذا العصر — وعلى أيدى أناس وأمم يزعمون أنهم بلغوا قمة التقدم الحضارى — يتعدد ويتلون حسب الظروف وحسب الأهواء والمصالح .. » .

سفير الإسلام

بقلم الدكتور أحمد محمد عوف



وتضيف الصحيفة قولها :

« ان الدكتور حب الله له مكانته كعالم من أكبر علماء العالم الاسلامي ، وله شهرته في مجال التخطيط للدعوة الاسلامية وهو يتمتع باحترام عظيم من أساتذة الجامعات والمفكرين بل ومن رجال الكنائس » .

وهذه الواقعة تؤيد قول هذه الصحيفة ..

عندما هاجم رئيس المحكمة الفيدرالية العليا في أمريكا المسلمين في مقال نشرته الصحف وقال فيه : « ان المسلمين يقرأون القرآن في صلاتهم وهو يحضهم على قتل كل من هو غير مسلم » .

لم يشأ الدكتور حب الله أن تمر هذه المغالطات دون كشف وايضاح . فكتب مقالا نشرته الصحف الامريكية فند فيه هذه المزاعم .

ثم قال لرئيس المحكمة : « انك زرت عدة دول اسلامية وفي كل دولة منها كنت تقابل بالترحاب والتقدير » . وسأله :

« لم هذه النظرة المتعصبة » ؟

« ومن أين جاءك هذا التصور الغريب عن المسلمين » ؟! .

وقد بادر رئيس المحكمة الى نشر اعتذار رسمي ، ثم كتب خطابا للدكتور حب الله قال فيه : « أنا في منتهى الأسف لأن استشهادي بصلاة المسلمين غير صحيح وعدم توخي الدقة قد آلمني كثيرا كما آلمك شخصيا » .

ولهذا .. يحق لصحيفة (واشنطن بوست) أن تقول عن الدكتور حب الله :

« ان الامريكان عن طريق محاضراته عرفوا معاني أوضح عن الاسلام . وتعلموا منه الصدق وان غاية الاسلام الدعوة الى الحق ونشره واشاعة المحبة بين الناس واقرار السلام . وانه عالم من الطراز الأول وانه احدى الشخصيات الدينية العالمية في العصر الحاضر » .

٥



الدكتور محمود حب الله

حياته :

ولد الدكتور حب الله فى قرية (درشابة) التابعة لمركز الرحمانية بمحافظة البحيرة • وتلقى تعليمه بالازهر فنال العالمية سنة ١٩٣١ ثم حصل بعدها على « العالمية مع تخصص الفقه والاصول » فى عام ١٩٣٣ • ثم سافر الى انجلترا عام ١٩٣٦ ضمن بعثة الملك فؤاد لدراسة الفلسفة وعلم النفس والأخلاق ، وفى جامعة لندن حصل على الماجستير وعلى دبلوم فى علم النفس عام ١٩٤١ ثم حصل على الدكتوراه فى الفلسفة والاخلاق عام ١٩٤٣ • وكان أول أزهرى ينال هذه الدرجة • ثم عاد بعد ذلك الى مصر وعين مدرسا بكلية أصول الدين بجامعة الازهر وظل بها حتى أصبح أستاذا للاخلاق وعلم النفس ثم أعير لوزارة الخارجية ليشغل منصب ملحق ثقافى بسفارتنا بالباكستان فى أعقاب استقلالها عن الهند وبريطانيا • وكان أول ملحق ثقافى هناك • واستطاع وقتها اقناع قادتها أن يجعلوا اللغة العربية لغة الدولة الوليدة • لكن ظروفا حالت دون تحقيق هذا الامل وقت ذاك حتى تيسر لباكستان أن تحقق هذا الأمر فبدأت تعمل به من وقت قريب •

وفى عام ١٩٤٦ سافر الى زنجبار وساحل العاج وأوغندة وكينيا وتنجانيقا ونيجيريا لتفقد أحوال المسلمين هناك ، ولوضع طرق ناجحة لمعاونتهم فى ظلال الوجود الاستعمارى الذى كان يطبق على أنفاس هذه الدول • واستطاع خلال بعثته الى جنوب افريقيا عام ١٩٥٠ أن يدرس احوالهم •

وكان أول مبعوث للازهر لهذه الشعوب الافريقية • فاستطاع انشاء (مجلس أعلى للتعليم) يرعى أحوال المسلمين ويقوم برعاية طلابهم والانفاق على تعليمهم ، وجعل الدين الاسلامى مادة اجبارية فى تعليم المسلمين بعدما أقنع حكومة جنوب افريقيا العنصرية وقتها • باتباع هذا النهج فى جميع مراحل التعليم • ويعتبر د• حب الله أول من وضع فكرة انشاء مراكز اسلامية لرعاية الأقليات الاسلامية فى الدول الأجنبية وهذا يتضح جليا عندما زار اليابان فى الاربعينيات والخمسينيات •

ومن هذا المنطلق ••• سافر عام ١٩٥٢ الى واشنطن لينشىء المركز الاسلامى الدولى الذى يعتبر منارة اسلامية هناك فتم انشاؤه باشتراك اثنتى عشرة دولة اسلامية ، ارتفع بعدها طودا شامخا فى سماء واشنطن •

وهناك استطاع بشخصيته المتميزة أن يتغلب على الصعوبات والعوائق التى كانت تجتاح فكرة هذا المشروع الاسلامى العظيم الذى أصبح يشرف على المراكز الاسلامية فى كل أنحاء الولايات المتحدة الامريكية وكندا • ويعتبر بحق تحفة فنية معمارية من أهم المعالم السياحية هناك •

ويضم هذا المركز مكتبة اسلامية وقاعة

للمحاضرات وفصولا لتعليم أبناء المسلمين فقه الاسلام واللغة العربية ، علاوة على ارتفاع مئذنة الجامع فى سماء واشنطن .

ولما فرغ الدكتور حب الله من بناء المركز عاد الى القاهرة عام ١٩٥٥ . وكانت مهمته فى واشنطن أقوى من العوامل المثبطة حيث أخذ يثابر حتى أقام هذا الطود الاسلامى وناضل من أجل التغلب على العقبات التى واجهها واعترضته .

وفى القاهرة تولى منصب عميد كلية أصول الدين فشغل هذا المنصب فترة . عاد بعدها الى واشنطن للمرة الثانية عام ١٩٥٨ مديرا للمركز الاسلامى وفى أثناء وجوده برزت مشكلة السفينة (كليوباترا) فاتصل به المسئولون عن السفارة المصرية وكان السفير وقتها متغيبا وأخطروه بالمشكلة . فاتصل بقسيس الرئيس (ايزنهاور) ليتدخل لحل هذه الازمة التى تولدت فى ميناء (نيويورك) حين رفض عمال الشحن والخدمة البحرية تقديم المعاونة للسفينة المصرية وبعد فترة اتصل القس بالدكتور حب الله قائلا : لقد أصدر الرئيس (أيك) أوامره بحل الازمة وكنت معه منذ لحظات .

وعاد الدكتور حب الله الى مصر ليتولى منصب أمين عام (مجمع البحوث الاسلامية) عام ١٩٦٢ .

فتولى هذا المنصب بمنطلق من الخبرات العديدة التى تجمعت لديه من ممارسة لشئون المسلمين وعلم بواقعهم ودراسة لمجتمعاتهم ، فساس دفة المجتمع بحكمة واتزان وبعد نظر ، حتى أخذ المجمع — بتوفيق من الله — على يديه مركزه العلمى العالمى المرموق . وآثر أن يعتزل العمل عام ١٩٦٩ ليتفرغ لترجمة معانى القرآن الى الانجليزية . الا ان سفراء العالم الاسلامى — وكان فى لندن — كلفوه بالاجماع .. أن يتولى رياسة المركز الاسلامى المزمع انشاؤه وكان هذا فى عام ١٩٧٣ . فأخذ يعمل ليل نهار وبعد وضع حجر الاساس بدأ البناء الضخم يعلو فى سماء لندن وعدل فى الرسومات لتتوافق مع المفهوم الاسلامى الصحيح واستعان بالجمعية الفلكية الملكية البريطانية لتحديد اتجاه القبلة واشترك فى وضع منهج اسلامى يدرس للمسلمين فى جميع مراحل التعليم بالمدارس الانجليزية كما أنشأ مقبرة للمسلمين هناك . وأسس مدرسة لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم ألحقها بالمركز . وشاء الله ان يموت الرجل غريبا عن وطنه فى ١٢ يوليو ١٩٧٤ . فكان على مدى عمره كما قال الاستاذ عبد الكريم الخطيب .

« داعية لدين الله ووجها مشرقا من وجوه الاسلام يوم كان مديرا للمركزين الاسلاميين فى واشنطن ولندن بما كشف للناس هناك من حقائق الاسلام بقوله وفعله . وبما شهد الناس هناك من آثار هذا الدين متجلية فى خلقه النبيل . وسلوكه المستقيم على طريق الله ، وشريعة الله .

فكره :

ان أهم محاضرات الدكتور حب الله محاضرته عن (الاسلام والمفهوم الحديث القيم) التى ألقاها بالانجليزية فى واشنطن(١) وحضرها أساتذة الجامعات والمفكرين حيث عقد مقارنة بين الاسلام والديمقراطيات بصورها المعروفة فى الغرب ليؤكد بها تفرد الاسلام بالعديد من الميزات والقدرة المتفوقة لحياة أفضل وناقش الدكتور حب الله النظام الاجتماعى فى الاسلام وارتباطه بضمير الانسان وايمانه بالله . وأكد أن هذا الدين لا يسمح للقوى الاقتصادية والثروات أن تسحق الانسان أو تسلب ارادته . واهتم بأن يوضح موقف الاسلام من الحضارة . وهو موقف لا يفهمه الكثيرون فى الغرب . وابان ان الاسلام يفتح الابواب للفكر والتجديد ولا ينعزل عن التيارات الحضارية بل يلتقى بها ويتفاعل معها بعد دراسة وتمحيص فى ضوء تعاليم القرآن وروحه .

وقال فى محاضرته : كل نظام انسانى يظهر فى العالم يحتاج الى قوة مادية لتظهر هذا النظام ابان تكوينه للحفاظ عليه . لكن النظام الاجتماعى فى الاسلام يعتمد على ذاتيته لأنه يعتمد أساسا على قلب الشخص وضميره وايمانه بالله بلا قوى دنيوية . فلو أن قوة مثل هذه تدخلت فسوف تكون مجرد أداة أو تدعيم لما هو كائن فى العقل البشرى والروح . فلا يمكن أن يبث فى هذه الروح أى شىء خارج عن عقل المسلم وقلبه . وبهذا يتصدى الانسان لأى تدخل يقاومه الفكر فيتلاشى تأثيره دون أن يترك أى شائبة فى العلاقات الانسانية. وقال ـ أيضا ـ (فالاسلام قد أقام قواعد راسخة وقوية من أجل جعل الحياة الاجتماعية للانسان تتسم بالحرية والعدل والمساواة . ومبادئه يسهل تحقيقها مع الحفاظ بها على روح المجتمع الانسانى وكيانه . وهذا يجعل المسلم ـ بلا شك ـ غير مقيد فى مجتمعه .

والدكتور حب الله كان له فكره الذى تضمنه ما كتبه من كتب أو ترجمة منها . وهذا الفكر يعبر عن أصالة وعمق ونظر شامل ، نجد ذلك واضحا فى مقدمة ترجمته لكتاب (ارادة الاعتقاد) وكتاب (الدين والعقل) للفليسوف وليم جيمس . فنقل الى العربية روح جيمس نفسه ومعناه وأسلوبه ، وكان اختياره لهذا الفليسوف اثراء للفكر العربى لأنه كان من أخصب المفكرين المحدثين .

والمطالع لتقديم الدكتور حب الله لهذين الكتابين يتبين جوانب من فكر المترجم نفسه ولا سيما عندما حدثنا عن ثمرة العقيدة بقوله :

فثمرة العقيدة ـ اذن ـ معيار صدقها . ومادام الأمر كذلك كان لنا أن نعتقد فى كل ما هو خير لنا . وهو ذلك الذى يساعدنا على أن نعيش أحسن عيش وعلى أن نستخلص من الحياة أشهى ثمراتها .. مادمنا تجد من

١ ـ عام ١٩٦٨ م .



البراهين اليقينية ما يبرر ذلك الاعتقاد . وسيبرر الاعتقاد بعد ذلك نفسه .. ويقول — أيضا — : وبيان ذلك أن نظرتنا الى الدين ومسائله ينبغى الا تختلف عن نظرتنا الى العلوم ومسائلها فى شيء .

وحدثنا الدكتور حب الله — أيضا — عن معيار الصدق فى كتاب (العقل والدين) بقوله :

فلم تبدأ الفروض العلمية الا لتشرح بعض الظواهر الجديدة ولم تظهر حقيقتها الا بالتجارب . وكلما شهدت لها التجارب وظهر أنها تنطبق على كثيرين ارتفعت نسبتها فى معيار الصدق ولكنها لا تصل الى الصدق المطلق والى علم اليقين حتى تشهد لها كل التجارب المستقبلة . فصدق الفروض خاضع للزيادة والنقصان . والمعيار هو النتائج .

كما حدثنا عن التفكير بقوله : فالتفكير مسبوق دائما بالرغبة فى الوصول الى نتيجة، وهذه النتيجة لابد أن تكون جديدة . ولابد أن تكون منطبقة على الحقيقة . واذا كانت النتيجة جديدة حقا كان من المحال أن تعرف قبل أن توجد بالفعل . فاذا عرفت قبل الوجود لم تكن جديدة ولهذا أخفق المنطق الصورى فى دعواه أن النتائج تتبع المقدمات، وأن ذلك معيار الصدق .

وللدكتور حب الله كتاب (الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية) وهو من كتب علم النفس الاجتماعى والدينى . عرف فيه الوجدان بأنه « تلك القوة التى تغذى العواطف وتربيها وتكونها . والعواطف — بما تطلب من ثبات واستقرار حول موضوعاتها — تربى الشخصية وتقويها . وما الجماعة الانسانية الا الشخصيات المتعددة ، حين يشعر بعضها ببعض وبما بينها من غايات مشتركة .

وأما العقيدة الدينية — فعلى الرغم من شدة ارتباطها بالعقل كما سيتبين بعد — فانها لاتستغنى عن الوجدان ولا تعتمد عند جمهور الناس الا عليه . وما الترغيب والترهيب ، وما الانذار والتخويف الا وسائل تهدف نحو اثارة الوجدان فيدفع الى العمل لأنه القوة اليه كما أنه قوة الحياة .

وعرف العاطفة بأنها « حالة نفسية مكتسبة لكنها ثابتة . وموجهة نحو شيء معين أو هى اتجاه وجدانى ذو ثبات واستقرار ، صادر عن الكائن الحى ومتركز حول شيء أو شخص أو جماعة أو فكرة ومعبر عن نفسه بمظاهر شتى . وهذه المظاهر هى ما نسميه بالانفعالات » .

٥

الدكتور

محمود حب الله



وعرف الزعيم بأنه « الفرد من الناس ذو الشخصية القاهرة الساحرة الذى يجمع حوله عددا من الأتباع والأنصار ينشد بهم غاية معينة ذات شأن حيوى لهم ولما يعيشون فيه من بيئات » .

وقال : « وليست الزعامة مسألة دعاية ولكنها مسألة حاجة . فتشتد الأزمة — مثلا — وتبدو مستعصية الحلقات وتظن الجماعة أن لا مخرج لها من الشدة فهى فى موقف تردد وشك لا تدرى أتقدم أم تنكص على الأعقاب، وهنا تبدو الحاجة الملحة الى قائد ومرشد يجمع الشمل ويلم الشتات ويرسم الخطة وتلك هى الساعة التى يظهر فيهـا الزعيم غالبا » .

وقال الدكتور حب الله — أيضـا — الجماهير « انها أسلس قيادا لهؤلاء الذين يتجهون لعواطفها ووجداناتها دون هؤلاء الذين يتجهون لتفكيرها ومنطقهـا وأكثر استجابة لدواعى الهوى منها لدواعى المنطق فهى أقدر على التخريب منها على البنـاء ، وكثيرا ما يصاحبها الانتصـار ، وتظفر بالمغانم ، ولكنها تعجز عن أن تنتفع بمـا غنمت ، أو تبنى ما خربت » .

وعرف العقيدة الدينية بأنها : « وحى الهى فى أصلها ولكنه وحى موجه للانسـان ، والانسان مستعد بطبيعته لقبول هذا النحو من الاعتقاد اذ أن كلا من عقله ووجـدانه يدفعه اليه ، فهو مدفوع لأن يعتقد وهو يريد أن يعتقد ، وهو يسعى لتحقيق ما يريد » .

ولقد صور الدكتور حب الله أحـوال المسلمين فى شرق افريقيا عندما زارهم عام ١٩٤٦ فأعطاها صـورة حية عن عيشتهم وظروفهم الاقتصادية والاجتماعية بعدماأقام بينهم زعماء الشهرين فى كتابه : « الاسـلام والمسلمون فى شرق افريقيا » كذلك حـدثنا عن الفرق الدينية هناك — لأول مـرة — . فتحدث عن النشاط القاديانى وعن وجـود البهرة والشيعة الاثنا عشرية والاسماعيليـة والأباضية وأهل السنة . ونجده يحدثنا عن هذه الفرق بقوله : فالانتساب الى الفـرق يكاد يكون شيئا وراثيا أكثر منه عقيـدة ومذهبا . وهذا هو السر فى أنه يندر أن يوجد بينهم ذلك الشعور بالمفارقة أو بالعداء الذى يصحب عادة التخالف فى الانتساب الى الفرق المتعددة .

كما حدثنا عن التبشير بقوله :

« ان حركة هذا التبشير هناك على ما يبدو حركة استعمارية ولكنهـا تلبس مسـوح القسيس وسحنة التاجر ، وهـذان يسبقان — عادة — رجال الجيش . وهذا هو الشأن فى أفريقيا الشرقية . فليست حركة التبشير اذن ، منبعثة عن حب للمسيحية أو حبالناس رجاء أن تطهر نفوسهم فيصلون الى النعيم الأبدى ، ولكنها حركة استعمارية فطن لهـا الوطنيون أنفسهم .

ووصف لنا بلاد زنجبار ومدارسها ودور

تحفيظ القرآن بها من خلال عرضـــه لهذه الشعوب .

كما حدثنا عن مسلمي جنوب أفريقيـا في كتابه : « الاسلام والمسلمون في افريقيـا الجنوبية » من خلال ما شاهده هناك ومابذله من أجل جمع المسلمين وضمهم في اتحـاد أطلق عليه « الاتحاد الاسلامي » ، وضم هذا الاتحاد مجلسا للتعليم الإسلامي كذلك يتبعه معهد للدراسات الاسلامية .

ولقد وضع الدكتور حب الله من خـلال ما شاهده من تخلف المسلمين في هذه المناطق التي كانت تحت السيطرة الاستعمارية ... المقترحات التي رفعها الى المسئولين وقتها ليفتح الأزهر أبوابه لجلب المبعـوثين من البلدان الافريقية ، كما اقترح انشاء ادارة للمبعوثين وللثقافة الاسلامية يكون عملها على حد قوله « العناية برسـالة الأزهر الخارجية » .

وللدكتور حب الله العـديد من الـكتب والمحاضرات التي طبعت بالانجليزية . وأهم هذه الكتب :

الحرية الشخصية في الاسلام
الاسلام والمعتقدات الانسانية
الله ووجوده
محمد النبي
بعثة النبي محمد
حاجة البشرية الى العناية الالهية
الانسانية في الاسلام

هـذه لمحة من تاريخ الدكتور حب الله الداعية الاسلامي الذي يعد ــ بحق ــ رائدا للدبلوماسية الاسـلامية حيث اسـتغرقت الدعوة الى الاسلام وقته كله وجهده كله حتى أصبحت سيرته ثبتا في تاريخ الأزهر سيمتد مداها الى أجيال وأجيال معبرة عن أريحية طيبة كانت سمة هذا الرجل الذي لم يداهن ولم يتلون ولم يسع الى مناصب . فقد كان أحرى بها أن تسعى اليه .

والمقياس الصادق لحياة هذا الداعية .. أن النجاح أدركه حال سنوات حياته . أدى رسالته كاملة موفورة بحيث حفلت حيـاته بالجهاد العظيم رائحا غاديا من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر . لم يهن ولم يضعف ولم يكل حتى آخر حياته .

كان أحباؤه كثر .. تباينت ألسنتهم واتحدت قلوبهم . فلقـد اخلص لهم فاخلصوا له .. واعطاهم خلقا وعلمـا فنهلوا منـه .. فكان منهـلا طيبـا . وارتـووا من علمـه وفكره فكان نبعا طاهرا .

وصدق فيه قول الشـاعر :

عـلو في الحيـاة وفي الممـات
لحـق تلك احـدى المعجـزات

دكتور احمـد محمد عوف

الترجمات الإنجليزية

مع الفكر الغربي

ان القرآن الكريم عربي ، نزولا وبلاغا وتعبدا ومدرسة · ومن ثم فالمبادرة إلى الخروج به عن عربيته انما هي اجتراء على أمر عظيم ·

كذلك فهو كتاب الاسلام الذي يجب غيره من الكتب التي دخلها التحريف او دخلها ما ليس منها · وبالتالي فان التعرض بالقرآن لغير المسلمين انما هو للدعوة وما تستتبع ·

وفيه متشابهات خضعت لها الأعناق ، واعترفت بها سفيرا مقيما لملكوت الغيب في عالم المشاهدة ·

واذا كانت ترجمة أدب عظيم ترجمة قديرة ، تصب الأصل في الفرع كاملا غير منقوص ، استحالة كبرى لا يعوزها بيان ، فكيف بكتاب رب العالمين ؟

ان لكل لغة قدراتها الراسخة ، وأساليبها الناجحة ، ووظيفتها المقتدرة بين أهلها ، وسلطانها المسلم له بالألفة والقبول وأحيانا بالانبهار والتقدير ·

لكن للغة العربية خصائص عبقرية ، وفيها نفائس باهرة · فهيهات أن تدخل ولغة أخرى في قالب واحد ·

وان ترجمة للقرآن لهي ضرب من ضروب

- الترجمات الإنجليزية للقرآن الكريم
- من مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامي
- مقاومة الحرب النفسية

للقرآن الكريم

للأستاذ سليمان بركات

المحاولة للاتيان بمثله . وتلك قضية قد وضع الله عليها خاتم الاعجاز .

لذا لم يكن نزول المسلمين الى ميدان ترجمة القرآن الكريم الى لغات أجنبية مبادرة أو غزوا . وانما كان غيرة على كتاب الله وكلامه المقدس ، ازاء تكرار الاساءات والجهالات التى أجرتها ترجمات غير المسلمين ، أو بمعنى أدق اللا اسلاميين .

وقد تورع هؤلاء المسلمون عن التصريح بدعوى ترجمة القرآن وتذرعوا بتعريف معانيه . ومع ذلك فما فعلوا الا ما هو من جنس الترجمة ، وما كان لهم الا أن يكبحهم طوق البشرية وأن يكبدهم قصور اللغات الأجنبية عن شأو العربية .

ولم يتصد لتلك الرسالة الا فحول وأولو عزم ، بل وكان منهم المسلم ابن الأمة التى يترجم اليها .

ومع صادق نيتهم وعظيم جهدهم وشديد تدقيقهم ، فلا يكاد يمر عقد أو عقدان من السنوات ، حتى تظهر ترجمة جديدة ، تتقدم على استحياء ، تقر بالعجز ولكن ترجو أن تكون أفضل من سابقاتها .

فأول ما افتقرت اليه النصوص الانجليزية جميعا ، جزالة القرآن الأخاذة وفصاحته الملهمة وفواصله الشجية .

وربما حاول المترجم أن يسد شيئا من هذه الخلة فاصطنع أسلوبا شاعريا .

كذلك لم يكن بد من أن يعانى الكاتب والقارىء معا من تباين التكوين النفسى والتراث الثقافى وعادات التفكير والتعبير عند كل منهما .

فما أكثر ما عوج المترجم اللغة وأوجعها وهو يلتزم النقل الحرفى فرارا من جريرة التحريف .

ومؤكد أن القارىء الانجليزى قد ضاق ذرعا بما بث المترجم ووزع من حواشى وتنبيهات على غير المألوف من طرائقهم .

كما أن العبارة الانجليزية كثيرا ما تلهث عن مسايرة الآية العربية فى استرسالها .

وأحيانا يكون العكس ، واذا فى نهاية الآية الكريمة كنبع غريب لعبارة انجليزية تريد أن تمتد .

وأحيانا أخرى لا يكون فى مكنة النص الانجليزى تعدد احتمالات القراءات والمعانى

الترجمات الإنجليزية للقرآن الكريم

التي تتألق بها العبارة القرآنية .

ونادرا ما يكـون للفظ انجليزى كـل تلك الصلاحيات الصرفية أو النحوية أو البلاغيـة أو البيانية التي يتكيف بها اللفظ العربي وربما تألق في يسر وسلاسة مع أي موقف .

وحتى حروف الجر العربية غلبت الحروف الانجليزية المقيدة على أرضـها .

وأما الضمائر ، ظاهرة ومستترة ، فلطالما وضعت المترجم في الحرج الشديد بقابليتها في القرآن لمختلف التأويل ، أو بتغيرها أحيـانا مـع ثبوت ما تعود عليه .

وفكاكا من بعض هذه المشاكل ، لجأ بعض متأخري المترجمين الى تجميع الآيات المتواليات اللاتي يدرن حـول موضـوع واحد أو عنصر واحد في فقرة واحدة .

وربما ضربوا هنا صفحا عن ترقيم الآيات ، أو ختموا كـل فقرة برقـم آخر آية دخلت في بنائهـا .

ومن المعروف أن كثيرا من السور لكل منها أسماء مختلفة . الا أن اختـلاف أسـمائها في الترجمات المتعددة لا يعدو في أكثر الأحيـان أن يكون تعددا لمرادفات اسـم واحد منها .

ومعظمهم قرن التسمية الانجليزية بالاسم العربي بحروف لاتينية .

وكمـا اختلفـوا في مواضـع مختلفة من المتون « نص الآية » في اسـتخدام المفردات الانجليزية ، اختلفوا أيضـا في ترجمـاتهم للبسملة وللأسماء الله الحسنى ، واسـتحال عليهم ابراز تشابه الاشتقاق مع تمييز المعاني لبعض هذه الأسـماء ، كالرحمن والرحيـم « وذو الرحمة » ، والقادر والقدير والمقتدر .

وقد ظهرت أول ترجمة انجليزية للقرآن ، قام بهـا غير المسلمين ، متأخرة عن أخـواتها الايطـالية والألمـانية والفرنسـية وحتى الهولندية . ولم يتخلف عنها سوى الترجمـة الروسية .

فأول ترجمـة أوربيـة عرفت للقرآن كانت نسخة لاتينية خاصة بأحد الأديرة Clugny نشرت عام ١٥٤٣ بعد أربعة قرون كاملة من الخفـاء تحت عبـاءة الاختصـاص الكنسي ، والى أن صارت هناك لغات أوربية منفصـلة عن اللاتينية .

وكان نشرها في Basle وعنهـا كـانت الترجمـات الأولى للقرآن الى الايطـالية والألمـانية والهولندية .

بعـدها ظهرت ترجمـة Schweigger الألمانية في نورمبرج ولاية بافاريا عام ١٦١٦، وترجمة Du Ryer الفرنسـية في باريس عام ١٦٤٧ ، والترجمة الروسية في بطرسبرج عـام ١٧٧٦ .

ثم ظهـرت ترجمـة فرنسية ثانيـة لـ Savary عـام ١٧٨٣ تلتها ترجمة فرنسية ثالثة لـ Kasimirsky عـام ١٨٤٠ كأثر للاهتمام الفرنسي بالاسلام بعد غزو الجزائر وشـمال افريقيا . وقد أعيد طبـع هـذه الأخيرة بضع مرات .

كمـا أعقب الألمـان ترجمة Schweigger بترجمـة Boysen في ١٧٧٣ وترجمة

Whal في ١٨٢٨ ثم ترجمة Cillmann التي ظهرت أولى طبعاتها في ١٨٤٠ .

وفي أثناء ذلك كان Marracci قد أخرج ترجمة لاتينية أخرى للقرآن في ١٦٨٩ أرفق بها المصحف الشريف (في نصه العربي) وكذلك ترجمة لاقتباسات من التفاسير العربية للثقات الاثبات اختارها بعناية وحرف فيها وغير في مواقعها بخبث حتى يعطي أسوأ انطباع ممكن عن الاسلام في أوربا .

ولم يصوه Marracci العليم على هدفه المغرض . فقد كان شخصيا كاهن الاعتراف لدى البابا أنوسنت الحادي عشر .

كما أنه أهدى كتابه الى الامبراطور الروماني ليوبولد الأول ، مقدما له بجزء مستقل يحوى ما أسماه « دحض القرآن » .

فأما أول ترجمة انجليزية للقرآن فكانت لـ A.Ross عن أول ترجمة فرنسية لـ Du Ryer عن نسخة دير Clugny اللاتينية سالفة الذكر . وقد ظهرت بعدها بسنوات قليلة .

ومع هذا البعد للشقة زمنيا ولغويا بين الكتابين ، « القرآن . وترجمته الانجليزية » فان ترجمة George Sale التى تلتها في ١٧٣٤ اعتمدت على ترجمة Marracci السوداء ، حتى في مقدمتها وحواشيها .

فلا غرو أن اصطنع لها الرواج في انجلترا ومستعمراتها وتعددت طبعاتها ودخلت في السلسلة المعروفة Chandos Classics ، وأن تلقت مباركة Sir E. Ross كأنها اعتذار عن كتاب E. Ross الذى سبقها بنيف وثمانين عاما ، كل هذا باعتبارها تعريفا

— أو ترجمة — نموذجية !

وبعدها في ١٨٦١ ظهرت الطبعة الأولى لترجمة نيافة J.M. Rodwell الذى تزيد بمحاولة رد ترتيب سور المصحف الشريف الى تسلسل نزولها ، فأخفق وما تورع عن اثبات خلطه غير المسوغ .

ومع محاولته تحرى العدالة في النقل ، فان حواشيه وتعليقاته تعرى عقلية الكاهن المسيحى الذى همه في التعريض بالقرآن اكبر من حرصه على بسط جوانب العظمة فيه .

وفي ١٨٧٦ ظهرت الطبعة الأولى من ترجمة البروفيسور Polver الذى بدلا من أن يتوخى النقل السليم استهدف حكايته باللغة الدارجة ، فأضاع روعته وفصاحته .

وعلى حين سقطت ترجمته في حمأة الاهمال والقصور فقد نعت أسلوب القرآن بالوعورة والبذاءة .

وما كانت هذه السفاسف تتوالى الا تحت مظلات مختلفة ودعاوى مختلفة ، ثارت من جرائها حفيظة مسلمي الهند درة التاج البريطاني يومئذ ، وحيث كانت اللغة الانجليزية همزة الوصل بين عشرات القوميات واللغات المحلية ، وبينها وبين المستعمر .

فكان أول مسلم يقوم بترجمة للقرآن الكريم ، الدكتور محمد عبد الحكيم خان من Patalia ، ونشرها في ١٩٠٥ .

كما ترجم نواب عماد الملك سيد حسين بلجرامي الحيدر أبادى — من دكنا — قدرا ولكن لم يمتد به العمر ليتم عمله .

وفي ١٩١٩ نشر ميرزا حيرت من دلهى ترجمة أخرى وكان ينوى أن يخرج تفسيرا — بالانجليزية — يقدم به هذه الترجمة ولكن حتى

الترجمات الإنجليزية

١٩٣٤ لم يكن قد أخرجه .

كذلك نشطت الجماعة الأحمدية في هذا المجال ، فنشر جناحها القاديانى ترجمة للجزء الأول من أجزاء القرآن الثلاثين في ١٩١٥ ثم توقف . وبعدها ظهرت عن جناح الجماعة في «لاهور» الطبعة الأولى لترجمة مولاى محمد على في ١٩١٧ حيث أعادت طباعتها مرة أخرى على الأقل . وهي مؤلف علمى به شروح وافية في الحواشى والتقديم ، كما أن ثبت فهرسه ملىء . لكن لغته الانجليزية كانت من الضعف بما لا يروق للقارىء الأجنبى .

وفي ١٩٢٩ ــ ١٩٣٠ ظهرت ترجمة « حافظ غلام سروار » التى تستحق شهرة أكثر مما لقيت . وقد زود كل سورة بملخصات وافية قسما قسما . ولكن خلت ترجمته من الحواشى مع وجود الحاجة اليها ، عند ثراء النص العربى بما يقصر النص الانجليزى عن الوفاء به .

وفي ١٩٣٠ أيضا ظهرت الطبعة الأولى من ترجمة Picthall وهو انجليزى مسلم وأديب متمكن ودارس اللغة العربية . وترجمته التزام حرفي يضطره في كثير الأحيان الى ترقيع « المتن » بكلمات بين قوسين لايضاح معنى أو تكملة مبنى .

ويقول في مقدمة كتابه انه أول تعريف بالقرآن يقوم به بالانجليزية انجليزى مسلم . وأنه يرجو أن يسد به حاجة مسلمى الانجليز ، وأنه قد بذل فيه كل جهد واجب .

وأنكر امكان ترجمة القرآن ، كما أنكر أنه قد جال بخاطره شيء يعلو على تقديم معنى القرآن . وأنه يتمنى أن يكون قد نجح في أن ينقل كذلك شيئا من طلاوته الى الانجليزية .

وفي هذه المقدمة وصف القرآن بالسمفونية المستعصية على التقليد والتى توصل الناس الى حد البكاء والوجد . واستكثر على غير المسلمين ــ خصوصا الكافرين به صراحة أن يقوموا بترجمته .

كما أكد أنه تم التدقيق في كتابه كلمة كلمة قبل نشره ، كما تمت مراجعته جيدا في مصر ، وأنه حينما كانت تعرض مشكلة فقد كان مرجعه فيهاأعظم حجة حية في الموضوع . وفي المرة أو المرتين اللتين خرج فيهما عن التفسير التقليدى فقد أورد هذا التفسير في التذييل .

كما أنه صدر الكتاب بتاريخ موجز لكنه طيب عن حياة النبى صلى الله عليه وسلم وبعثته حتى وفاته بالمدينة المنورة . وقد اعتمد فيه على ابن هشام وابن خلدون .

كذلك فقد صدر لكل سورة بموجز تعرض فيه لسبب تسميتها باسمها وسبب نزولها وما تحويه من مسائل . كما أورد الاسم العربى للسورة بحروف لاتينية الى جوار مرادفه الانجليزى .

وطلبا للتأثير في نفس القارىء فقد استخدم الصيغ القديمة أو الشعرية للضمائر وبعض الأفعال ، لكنه حافظ على وحدة كل آية .

ومع اقتداره اللغوى وتدينه الذى عرف به في الهند وفي مصر وفي بلاده ، ومع تقديرنا للتفاوت والاختلاف بين التعبير بلسان عربى وآخر انجليزى فبعض عباراته لا ترقى الى روعة الآيات الأصلية ونكتفى من ذلك

بأمثلة محدودة جدا .

فجاء عن الآية ٩٦ من سورة البقرة :

« وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ » .

نجده صاغها بالانجليزية فيما ترجمته كما يلي :

« ولسوف تجدهم اشد الناس توقا الى الحياة و(اشد شرها) من الوثنيين ، و (كل) واحد منهم يود أن يترك فيعيش الف سنة ، ولن يبعده عن المصير المحتوم ان يعيش (الف سنة)

And thou will find them greediest of mankind for life and (greedier) than the idolaters. (Each) one of them would like to be allowed to live a thousand years. To live (thousand years) would by no means remove him from the doom. Allah is Seer of what they do.

وعن الآية (٦٤) من آل عمران قال :

« قل يا اهل الكتاب وقالوا تعالوا الى اتفاق بيننا وبينكم . يريد « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ »

Say: O people of the Scripture! Come to an agreement between us and you: that we shall worship none but Allah, and that we shall ascribe no partner unto Him, and if they turn away, then say: Bear witness that we are they who have surrendered (unto Him).

وعن الآية « وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي » معناه وقد وصلتك الى نفسي » (طه — ٤١)

And I have attached thee to myself.

وترجم : « سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ » (يس ٥٨) الى : القول من رب رحيم (لهم) : سلام .

The word from a merciful Lord (for them) is : Peace!

وعن الآية « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ » (القمر ٥٤) ولسوف يقيم الصالحون بين الجنات والأنهار .

Lo! The righteous will dwell among gardens and rivers.

وقد أنهى المؤلف كتابه بثبت عام يليه ثبت للشرائع . وفي كل بين أمام كل مفرده مكانها من المتون أو الحواشي أو التذييلات .

على أن هذا الكتاب كان باكورة لما تلاه ، فحفت جميعها على آثار ما سبقها .

سليمان محمد بركات

موجه اللغة الانجليزية بالتعليم الثانوى

يتبع

من مزاعم المستشرقين حول

ت ج . ايبور

ديبور احد المستشرقين الذين لم يسلم من لسانهم الاسلام ولا فكر المسلمين فقد رماه بالتبعية المطلقة للفكر اليوناني، بعد أن احبوه واعتقدوا فيه اليقين فقلدوه انطلاقا من معتقد لهم أساء ديبور فهمه .. وهو انهم يعتقدون أن من لا شيخ له فشوخه الشيطان . ويرى انهم بدأوا يوفقون بين الدين والفلسفة حتى لا يكون هناك تناقض بين هذه الفلسفة وبين عقائد المسلمين .

يقول ديبور بعد أن يقرر أن العرب لم يستطيعوا فهم فلسفة أرسطو فهما خاليا من الخطأ بناء على أنهم لم يملكوا وسائل النقد وأنهم لم يقدروا على تمثل العلم اليوناني وبعد أن يتكلم عن احترام علماء الاسلام للعلم اليوناني . يقول :

وكان المفكرون الأولون في الاسلام مؤمنين بسمو العلم اليوناني حتى لم يكن يخالط أنفسهم ريب في انه قد بلغ أعلى درجات اليقين . ولم يكن من اليسير على الشرقيين أن يبحثوا بحثا مستقلا في أمور لم يطرقها أحد قبلهم . وتاريخ الفلسفة في الاسلام وفي هذه الكلمات لديبور نلمح اشارة الى تعليل الحكم الذي يكمن في اعتقاد المسلمين . بسمو العلم اليوناني . فالمانع من الابتكار لدى العقلية الاسلامية . هو اعتقاد عصمة الفكر اليوناني وبلوغه درجة اليقن في نظرهم .

ويرى ديبور أن المسلمين يعتقدون أن من لا شيخ له فشيخه الشيطان ومن هنا تتلمذوا على فلاسفة اليونان . ويعبر بذلك عن النزعة التقليدية المزعومة في فكر المسلمين ويقول . ولم يكن لهم بد من محاولة التوفيق بين افلاطون وأرسطو وعلى الخصوص لم يكن لهم بد من أن يجاوزوا صامتين تلك النظريات التى تناقض العقائد الاسلامية . وأن يبرزوها في صورة لا تناقض هذه العقائد مناقضة صريحة .

فالسبب في عدم تجديد العقلية الاسلامية في نظر ديبور انما هو اعتقاد وعصمة الفكر

الفكر الإسلامي

تحليل ونقد

للدكتور محمود عبد المعطي بركات

اليوناني وبلوغه اليقين . وليس بعد اليقين مطمع يمكن أن يطمع فيه العقل الاسلامي وما رأوه من سلطان لليونان . يجب الخضوع له .

وهذا الذي يقرره ديبور يخالف الواقع مخالفته لأقوال الفلاسفة المسلمين أنفسهم في هذه المسألة وتأكيدهم على أنهم يقفون من تراث اليونان موقف الناقد البصير وليس المقلد المستسلم . فهم قبلوا منه ورفضوا مع اعترافهم بالحق لذويه . قال ذلك الكندي وابن سينا وغيرهما وهو مبسوط في محله وهذا يتنافى مع القول بأنهم قد اعتقدوا عصمته وبلغوا بها درجة اليقينية المطلقة . على أن هؤلاء الفلاسفة التقليديين ليسوا هم فقط علماء المسلمين وانما هم بعض منهم . وكانت هناك طوائف من المفكرين أولي العقل الواعي نقدت ورفضت وخاصمت واتهمت الفلسفة اليونانية .

ومسألة الشيخ والتلميذ التي وردت على لسان ديبور تعبيرا عن النزعة المقلدة لدى المسلمين ليست مثار احتقار أو ذريعة للرمي بالتقليد والتبعية .

وانما هي تعبر عما عليه الشرق . مما يجب أن يتعود عليه كل انسان من أخذ الشيء من منبعه أو أصله وطلب العلم في مظانه . ونحن نسمع كثيرا أن فلانا تلقى الفقه عن فلان . أو قرأ الأصول على فلان .

وعادة ما يكون المتلقى عنه أو المقروء عليه من أعلام هذا الفن أو أساتذته أو فحول شيوخه .

فهي تساوي تتلمذ عليه أو نهل من معينه وليس في ذلك ما يسوغ القدح في المتلقي أو الآخذ . فكل علم كذلك تقريبا أو لا يخلو من ذلك على الأقل .

بل ان علماء اليونان قديما وفلاسفتهم قد

من مزاعم المستشرقين

حول الفكر الإسلامي

سافروا لتلقي العلم في مصر على يد أساتذتها وكهنتها . فهم اذن شيوخهم ـ ولم يقدح ذلك في عبقرية اليونان أو يحط من قدرهم .

وعلماء عصر النهضة الأوربية . تتلمذوا على يد أساتذتهم المسلمين . في الأندلس وغيرها . ولم يقدح ذلك في عقولهم أو في منزلتهم . وكتاب القانون في الطب ظل مرجعهم قرونا طويلة . ومؤلفه هو الشيخ الرئيس ابن سينا .

فالشرقيون على ذلك انما هم شيوخ قدماء اليونان ومحدثي أوربا ولم يقدح ذلك في نبوغ هؤلاء أو أولئك .

على أن ضالة اليقين في الفكر اليوناني ليست موضوع تسليم وليس في وسع العاقل أن يتقبلها بل هي محل نظر . والا لما تعاقل فلاسفة اليونان أنفسهم ولعن بعضهم بعضا فلا شك أن اليقين لا يختلف ولا يتضارب .

ولا يناقض بعضه بعضا وأظن أن القارئ معي في أن تراث اليونان الفلسفي يكاد يبرأ من هذه السمة . وأعني بها سمة الاتساق أو الاتقان وعدم التضارب والاختلاف والتناقض .

فالله سبحانه وتعالى يعلم غيره عند أفلاطون . وهو عند أرسطو معزول عن العالم من ناحية العلم ومن ناحية التدبير .

وتلاميذ أرسطو نقدوه في ذلك . وكلها عقول وهكذا .

وظاهرة التناقض في الفكر اليوناني ظاهرة طبيعية . لأن عقول البشر عندهم تعمل في غير مجالاتها وما يقع خارج حدود طاقاتها .

وعبارة . من لا شيخ له فشيخه الشيطان وردت ـ فيما وردت ـ على لسان بعض متصوفي الاسلام . وقد يكون ذلك في التصوف لذاته أو قل هي في التصوف أهم وألزم وذلك أن بعض المتصوفة يرى أن التأثير الروحي شرط جوهري في سلوك طريق التصوف ، وهو أن يتأدب المريد بآداب شيخه، وقد جاءت العبارة على لسان أبي يزيد البسطامي من أعلام التصوف الاسلامي . « من لم يكن له أستاذ فامامه الشيطان » .

وهذا الشيخ في ميدان التصوف قد وضعت له شروط عدة تعبر في جوهرها عما يطلق عليه حديثا « الخبرة في ميدان التخصص » أو الخبرة الدقيقة في مجال التخصص الدقيق.

فاشترط فيه أن يكون مخلصا صادقا قد انتهج الطريق المستقيم ثم ـ وهو المهم هنا ـ أن يكون سالكا .

حتى أن غير السالك لا يصح أن يقتدى به . فقد يكون قد وصل بالجذبة فليس على معرفة بالطريق وأخطارها ـ وقد افتقد خبرة تعليم السلوك فهذه المسألة عند الصوفية لها قيمتها الكبرى في ارتياد طريق المعرفة الصوفية ـ كما يرون ـ .

وليس فيها ما يحجر على العقل أو يقيد

حركة الفكر . وبالتالي فليست تعطى ما يريد أن يوهمنا به ديبور هنا .

من الانقياد التام للفكر اليوناني اذ أن هذه المسألة تعبر بدقة دقيقة عن المعنى الصحيح للخبرة الدقيقة في مجال التخصص الدقيق .

واذا لم يحمد الشرقي على هذه الصفة فانها يجب ألا تؤخذ عليه وتكون مثارا لاتهامه كما يفعل ديبور .

ان ديبور يقول عن الفلسفة الاسلامية انها كانت على الدوام فلسفة انتخابية عمادها الاقتباس مما ترجم من كتب الاغريق ومجرى تاريخها أدنى أن يكون فهما وتشربا لمعارف السابقين لا ابتكارا ولم تتميز تميزا يذكر عن الفلسفة التي سبقتها لا بافتتاح مشكلات جديدة ولا هي استقلت بجديد فيما حاولته من معالجة المسائل القديمة فلا نجد لها من عالم الفكر خطوات تستحق أن نسجلها لها .

وعلى فرض تسليمنا بانتخابية الفلسفة الاسلامية . كما يدعى فان الانتخاب فرع الفهم الجيد والا فكيف تتم عملية الانتخاب والانتقاء وهذا الفهم هو ما ينكره ديبور حين يقرر أن المسلمين لم يفهموا فلسفة أرسطو فهما خاليا من الخطأ . واذا سلمنا جدلا بأن هذه الفلسفة لم تفتتح مشكلات جديدة . فهل في الامكان أن نسلم بأنها لم تأت بجديد فيما عالجته من مسائل قديمة ؟ !

وديبور يعنى بالمسائل القديمة ما واجه فلسفة السابقين . من مشكلات حاولت وضع حلول لها .

واذا كان ما يراه ديبور حقا . فما هو رأيه مثلا . في مشكلة العلم الالهي لدى أرسطو ومفكري الاسلام ... ؟! هل اتفقت حلولهم لها مع حلوله وهل حقا لم يأتوا بجديد في معالجة هذه المسألة . ؟

ألم يضيفوا اليها جديدا من جهة نظرهم . ؟

هل أدى المبدأ الذي ارتكز عليه أرسطو في نفي العلم عن الله وهو أن العلم بالمتغير يؤدي الى التغير . هل أدى هذا المبدأ لديهم الى نفس ما أدى اليه عند أرسطو من نفي العلم الالهي — مع التزامهم بذات المبدأ ؟

ألم يسلموا معه مبدأه ويختلفوا معه في لازمه فيقرروا أن الله يعلم غيره بدون أن يتغير أو يلحقه نقص . ؟

أليس لهم كلام طويل في المسألة لم يعرفه عقل أرسطو ولا عقل اليونان وهذا كله .. أليس مخالفة أو استدراكا أو اضافة . أو جديدا واذا لم تكن هذه جدة فما هي الجدة اذن ؟ وهذا مجرد مثل : والافترات فلاسفة الاسلام التقليديين ملىء بعناصر المخالفة في الجانب الالهي والانساني مع ما يحمله من ملامح التأثير طبعا لأن هذه هي سنة الثقافة . ناهيك بغير هؤلاء من الفرق الاسلامية غير الفلاسفة ... وأخيرا فان ديبور ينكر قدرة العقلية الاسلامية عن أن تكون عقلية فلاسفة . يقول .

٥

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

ونكاد لا نستطيع أن نقول : ان هناك فلسفة اسلامية بالمعنى الحقيقى لهذه العبارة • ولكن كان فى الاسلام رجال لم يستطيعوا أن يردوا أنفسهم عن التفلسف ثم يقول • وهم وان اتشحوا برداء اليونان الا أن هذا الرداء لم يستطع اخفاء ملامحهم الخاصة • ومن اليسير أن نستهين بشأنهم اذا أطللنا عليهم من ذروة احدى المدارس الفلسفية الحديثة المزهوة بفلسفتها •

ونسير مع ديبور بعض الخطوات فنقول :

اذا كان المسلمون أو فلاسفة الاسلام ليس لهم ابتكار لا فى حلول المسائل القديمة ولا فى مسائل جديدة فما هى اذن الملامح التى برزت من خلال الرداء اليونانى • والتى لم يستطع هذا الرداء حجبها ؟!

ترى هل كانت هذه الملامح التى برزت عضلية جسمية ؟

أم أنها ملامح عقلية فلسفية ؟

ثم انني لا أدرى كيف يحق لديبور وأشياعه أن يستهين بشأنهم اذا أطل عليهم من ذروة احدى المدارس الفلسفية الحديثة المزهوة بفلسفتها ؟ وأى المدارس لعقيدة ديبور الى امتطاء ذروتها ثم يطل على المسلمين ليزدريهم ؟

انه ان امتطى قمة المدرسة التجريبية عند بيكون ومل فانه سوف يرى من المسلمين أساتذتهم وأساتذة أساتذتهم !

بشهادة الغربيين أنفسهم مثل بريفولت وغيره

وان قصد الى الفلسفة النظرية • فأى مدارسها يقصد ؟

ان معظمها لا يخلو من بصمات فكرية اسلامية واضحة المعالم انه ان أطل مثلا من ذروة مدرسة ديكارت وهو زعيمها متسلقا على سلم الشك المنهجى الذى نظم درجاته الامام الغزالى وغيره من سابقيه كالنظام والجاحظ •

وان أطل من ذروة مدرسة « كانت » النقدية ونقد الميتافيزيقا وجد بعض ملامحها الرئيسية عند الامام الغزالى •

ووجد نظرية الواجب الكانتية تكاد تكون هى نظرية الفيلسوف المغربى أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة •

ووجد نظرية الخلود تنحدر من قديم مصر فأفلاطون ثم أجلاها الاسلام اجلاء واضحا •

وان أطل ديبور من خلال فكر دانتى وكوميدياء الالهية وجدها مسبوقة أو مسروقة بالمصرى أو منه • وهكذا ان الفلسفة الحديثة اذا كانت لم تتحرر من سلطان جدتها فلسفة اليونان فانها كذلك تحمل آثار الفكر الاسلامى واضحة شاهدة بالحق وللحق •

ان ديبور يقول عن الكندى : « كان الكندى رجلا واسع الاطلاع على جميع العلوم وقد

تمثل كل ما كان في عصره . ولكنه رغم توصله الى ملاحظات وآراء خاصة به في الجغرافيا وتاريخ التمدن والطب واذاعته لها فانه لم يكن عبقريا مبتكرا بوجه من الوجوه » .

والسؤال الوارد على ديبور هنا هو ، اذا كانت للكندي آراؤه الخاصة به فيما تقدم فكيف يتأتى انكار ابتكاره بوجه من الوجوه ؟ وما معنى اختصاصها به اذن ؟

واذا قصد ديبور أنه غير مبتكر الى حد ما في بعض فروع المعرفة فهل يمكن أن يكون هناك هذا الذي يبتكر في كل ميادين المعرفة واذا كانت هذه هي قاعدة ديبور فهل أجراها على فلسفة بني وطنه أو فلسفة أجدادهم اليونان فطابقوها أو طابقتهم ؟!!

ان ديبور يتحدث عن رأي الكندي . في فضل الأدوية والموسيقى . فيقول وهذا الرأي وان كان طريفا مبتكرا على الاطلاق فهو لايعدو أن يكون من جانبه تلاعبا بالخيال .

وهل يستغني الطب وتاريخ التمدن عن النظر العقلي وهل يمكن أن يبنى كل منهما على الخيال ؟

وديبور ينقل رأي كاردان . أحد فلاسفة عصر النهضة في الكندي الذي يقرر أن الكندي واحد من اثنى عشر مفكرا في العالم هم أنفذ المفكرين عقولا . فبماذا يفسر ذلك ديبور ؟

وهل الفكر النافذ والتلاعب بالخيال سواء في نظر ديبور ؟

على كل حال فرأي كاردان — عندي — أصبح من مزاعم ديبور لأنه أولا فليسوف وشهادته يعتد بها في هذا المجال .

ولأنه ثانيا . عاش في عصر النهضة وهو أقرب عهد بعصر الاتصال بين الغرب والفكر الاسلامي وهو العصر الذي عرف فيه الأوربيون قيمة هذا الفكر وأصحابه . فنقلوه واستفادوا منه أما ديبور . فأقواله كما سردنا بعضها وحللناها لاترقى به الى مصاف الباحثين المحايدين .

والله اعلم

دكتور . محمود عبد المعطي بركات

مقاومة الحرب

من الثابت تاريخيا ان اول من اشار الى الحرب النفسية فى شكل قواعد مكتوبة هو القائد الصينى (صن تزو) فى كتابه (فن الحرب) عام ٥٠٠ق٠م ٠

والحرب النفسية بشكلها العام هى وليدة التاريخ ٠٠ بل هى قديمة قدم الصراع على ظهر الأرض ، وكون أنها لم تعرف بهذا الاسم قديما لا ينفى أنها استخدمت استخداما واسعا منذ القدم بهدف ٠

تحطيم معنويات الخصم وزعزعة ثقته بنفسه ٠

وفى العصر الحديث بعد الحرب العالمية الأولى بدأت الاهتمامات العلمية المدروسة تتجه الى الحرب النفسية باستخدام الأساليب الدعائية مع معرفة المداخل السيكلوجية للانسان على أساس علمى ٠

ولهذا كتب أحد قادة المشاة الألمان فى تقرير له للقيادة العليا العسكرية « ان الحل الأمثل فى الحرب ٠ هو أن يتوصل العلماء لاختراع وسيلة ما تسبب اضطراب الجندى المقاتل وتجعل يده تهتز وهو قابض على زناد البندقية أو الجهاز فى الدبابة أو الغواصة ٠٠ الخ »٠

ثم يقول « **اننا يجب أن نستهدف الانسان بذاته لشل قدراته الذهنية والمعنوية** » ، ولعل فى هذه العبارة اشارة الى أول دعوة لاستخدام الحرب النفسية بشكل علمى مدروس ٠

ونحن فى هذه المقالة سوف نعرض أهم الأساليب والوسائل الممكنة فى مقاومة الحرب النفسية والاقلال من فاعليتها وكيفية تحصين المتلقى (جندى أو مدنى) من المدافع السيكلوجية ان صح هذا التعبير ٠

وقبل أن نتعرض لهذه الموضوعات سوف نشير فى عجالة سريعة الى ما سبق أن نشرته المجلة فى عدد سابق لربط الموضوعات ولتقريب الصورة الى القارئ ٠

وبالتالى منهجنا كالآتى :

١ ــ تعريف الحرب النفسية : لأن معرفة المفهوم للحرب النفسية سوف يساعدنا على معرفة كيف نقاوم ؟

٢ ــ اساليب وصور الحرب النفسية : واذا نجحنا فى كشف هذه الأساليب واحاطة الجماهير بها استطعنا ــ بمشيئة الله ــ أن

PSYCHOIOGICAL WARFARE

الحرب النفسية

بقلم الأستاذ حسن على العنيبسى

تساعد على تحصين الجماهير ضدها .

٣ ــ كيف تقاوم الحرب النفسية وتواجهها

وهذا العنصر هو محور مقالة هذا العدد كما سنرى .

وفيما يلى تفصيل لما سبق :

اولا : تعريف الحرب النفسية : تعددت التعريفات والمفاهيم للحرب النفسية ، واختلفت باختلاف ثقافات الباحثين وعقائد المفكرين ولكنها جميعا تلتقى عند الهدف من هذه الحرب وهو (تحطيم معنويات الخصم وزعزعة الثقة) بنفسه .

(ا) تعريف وزارة الحربية الامريكية سنة ١٩٥٥ (١) :

« الحرب النفسية استخدام مقصود من جانب دولة أو مجموعة دول للدعاية وغيرها من الاجراءات الاعلامية التى تستهدف جماعات معادية أو محايدة أو صديقة للتأثير على آرائها وسلوكها بطريقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة المستخدمة لها » .

(ب) تعريف المخابرات المصرية للحرب النفسية للعدو (٢) .

ويرى الأستاذ احمد عبد السلام توفيق ان الحرب النفسية الاسرائيلية هى عمليات الضغط النفسى التى يقوم بها العدو بهدف التأثير على المجتمع العربى عامة من أجل خلق القلق وتهيئة الظروف المناسبة لاثارة الشك فى النفس ، والسلاح ، والقائد ، يستعمل العدو فى ذلك سلاح الكلمة المضللة من خلال الكتاب والاذاعة والصورة والنكتة والاشاعة ويعتمد العدو فى ذلك على عملاء وخبراء متربصين لاستغلال أية ظاهرة لاستغلالها لصالحهم » .

وكما أسلفنا القول فان للحرب النفسية تعريفات كثيرة لا حصر لها ولا مجال هنا لمناقشتها وانما أوردناها تذكرة للقارىء فقط .

١ ــ راجع محمود محمد الزينى : اضواء على الحرب النفسية ص ٤٨ .

ـ ٣ ــ كرم شلبى : حرب الكلمات ــ كتاب الاذاعة والتليفزيون ص ١٩ .

٢ ــ نفس المصدر السابق ص ٤٩ .

مقاومة الحرب النفسية

ويرى بعض العلماء أن الحرب النفسية : اما :

١ ــ حرب نفسية هجومية :
Offensive Psychological Warfare

٢ ــ حرب نفسية دفاعية :
Defensive Psychological Warfare

وهناك من يقسمها بحسب الأهداف وليس بحسب الطريقة فهناك الحرب النفسية القصيرة المدى وتسمى الحرب النفسية « التكتيكية » وهناك الحرب النفسية البعيدة المدى وتسمى الحرب النفسية « الاستراتيجية » .

والأولى تستخدم في العمليات الحربية ، والثانية في السلم ، وتعتبر من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية للدولة .

وبالمفهوم السابق فاننا سوف نركز بحثنا حول الحرب النفسية الدفاعية في السطور القادمة .

ثانيا :

صور وأساليب الحرب النفسية :

من وسائل الحرب النفسية القديمة مثلا :

١ ــ تخريب الأماكن المقدسة : وقد فعل التتار ذلك عندما دبروا حريق المسجد الحرام في أول رمضان سنة ٦٥٤ هـ .

٢ ــ تجنيد العملاء : وقد استخدم الجاسوسية والمخربين تقريبا كل دول العالم اثناء الحروب وكثير منها في السلم .

٣ ــ رسائل التهديد والبرامج الموجهة باستخدام قائمين بالاتصال يجيدون لهجة البلاد الموجهة اليها هذه الدعايات .

وللدعاية ألوان سبق ذكرها في العدد الماضي منها الدعاية البيضاء والسوداء والرمادية وتعتبر الدعاية الرمادية من أشد هذه الدعايات خطرا .

ومن أمثلة التاريخ نجد أن الدعاية النازية حققت أقصى نجاح لها عن طريق استخدام الدعاية السوداء في المجال السياسي وذلك بجعل كتلة كبيرة من الرأى العام الدولي يرى أن مستقبل العالم متوقف على الاختيار بين الشيوعية والفاشية ، ولهذا فان الحرب النفسية قد تصل في بعض الأحيان الى عدم التقيد بالقانون أو العرف أو الشرف بل ان العدو لجأ في حرب بيروت الى **(تلغيم جثث القتلى والقاء القنابل المحرمة دوليا وقصف المستشفيات)** كل هذا بهدف تحطيم معنويات الخصم .

والحرب النفسية قد تكون في :

١ ــ كلمة منطوقة .

٢ ــ في صورة كلمة مكتوبة .

٣ ــ وفي صورة كلمة مرسومة او مصورة .

٤ ــ او في كلمة متحركة مصحوبة بصوت مثل الافلام السينمائية .

٥ ــ أو قد تكون في رمز . وعديد كثير من صور الكلمة في الحرب النفسية نكتفي منها بهذا القدر .

الحرب النفسية الدفاعية

Deffensive Psychological Warfare

من العرض السابق والسريع جدا لبعض جوانب الحرب النفسية نصل الى موضوع المقالة وهو كيف نواجه الحروب النفسية الهجومية ؟ .

كيف نقي شعبنا وجيشنا من هذا الطوفان من الدعايات التي تدخل علينا من « الراديو » والصحيفة والمنشور والحديث .. الخ ؟ قد يبدو الأمر لأول وهلة صعبا ولكن اذا عرفنا أن القاعدة المنطقية تقول : « لكل داء دواء »

فانه لكل دعاية دعاية مضادة وقناع واق منها أيضا كما سترى فيما يلي :

اولا : بالنسبة لنوع الدعاية :

عرفنا أنه توجد دعاية بيضاء واضحة المصدر صادقة المضمون محددة الهدف ، وتوجد دعاية سوداء لا تعرف مصدرها والمضمون كله أكاذيب وقد تخفى هدفها وقد تعلنه ، وتوجد دعاية رمادية تعلن عن نفسها وعن مصدرها وتعرض في المضمون شيئا من الحقيقة ثم تكذب بجانبه كذبة صغيرة وتخفى أهدافها تماما .. !!

ومعرفة نوع الدعاية يحدد بداية المقاومة ، كيف ؟

(أ) في الدعاية السوداء . تعتمد على الكذب ولا تنتشر الا في حالة الحجر على نشر الاخبار وظهور الرقابة وضياع الحقيقة وعندما نقاومها لابد من تدفق الأخبار الصحيحة الى الجماهير ومع استمرار تدفق الأخبار تختفى الاشاعة وتموت الكذبة في مهدها وقد فعلت مصر هذا في حرب رمضان المجيدة وبهذا اتجهت كل اذاعات العالم لتنقل أخبار معارك رمضان من الاذاعة المصرية وتحول المستمع العربي الى الاذاعة المصرية وبهذا لم يدع الاعلام المصرى الفرصة للحرب النفسية الاسرائيلية في أن تأخذ دورها .. !!

ب ــ أما في الدعاية الرمادية : وهي من أخطر وأذكى أنواع الدعايات المستخدمة بكثرة في الحرب النفسية **فانه لمقاومتها تلزم معرفة الآتي :**

١ ــ القائم بالاتصال : سواء كانوا جهة اعلامية أو كانوا أفرادا ومعرفة القائم بالاتصال أمر ضرورى في قضية الرد عليه ومعرفة كيف يفكر ؟

٢ ــ الحجج المستخدمة : وهذا أمر ضرورى أن تعرف ماذا تقول هذه الدعاية ، ودور الحرب النفسية الدفاعية هنا هو تفنيد هذه الأقاويل اما باستخدام المنطق أو الأرقام الحقيقية أو كشف تناقضات وقع فيها القائم بالاتصال وفضح هذه الأخطاء أمام الجمهور .

وقد يضع الاعلام المعادى « فخا اعلاميا (١) » بذكر أرقام خاطئة عن قتلى أو جرحى أو نوعية السلاح .. الخ لاستدراج الدعاية المدافعة الى معرفة الرقم الحقيقى ومن هنا وجب التعامل بحذر وبدقة في هذا الجانب .. أى الرد على مفتريات دعاية العدو بحيث لا يستفيد شيئا ..

٣ ــ الوسائل المستخدمة في بث هذه الدعاية والرد عليها :

وتلعب الوسيلة المستخدمة دورا هاما بمعنى أنه اذ ينشر الخصم خبرا كاذبا في صحيفة مهملة أو قليلة التوزيع فانه من الطبيعى أن أتجاهل هذا الخبر أو أرد عليه في صحيفة مثلها ولا يدفعنى هذا للرد عليها في « الراديو » مثلا :

وذلك لأن العدو يستفيد من الرد على دعايته في تأكيد هذه الدعاية فيكون الرد حينئذ بمثابة تصديق على ما حدث واعتراف به ؛

وتعمد بعض الدول الى تحصين شعبها ضد الاذاعات المعادية عن طريق « التشويش » .. Jamming ولكن هذه الطريقة مكلفة وغالية ولا تقدر عليها البلاد النامية ومن ثم كانت التوعية الجماهيرية أكثر نفعا وفائدة وأقل تكلفة .

٤ ــ الأهداف : وهي كما سبق القول أنه

١ ــ راجع حسن علي العنيسي ــ نحو اعلام اسلامي ــ مجلة الرسالة اللبنانية ، العدد ١٥

مقاومة الحرب النفسية

قد تعلن عنها بعض الدعايات السابقة ولكن الدعاية الرمادية لا تعلن عنها ومن هنا فان مهمة الحرب الدفاعية هي كشف هذه الاهداف وتوضيح القرائن التي تؤدي اليها أمام الشعب ومن معرفة نوعية الدعاية والمضمون الذي تستخدمه والقائم بعرض هذا المضمون والحجج المستخدمة في تأكيد هذا المضمون يمكن أن يجد رجل الدعاية المضادة المفتاح الذي من خلاله يقاوم هذه الحرب النفسية .

اذ هدف الحرب النفسية الدفاعية هو اسقاط كل قناع للتضليل الايحائي عن وجه العدو وتعريته من كل ثوب مزيف يستر وراءه مقاصد حقيقية (١) .

وهنا يجب أن تستخدم الى جانب الدفاع التعزيز لتتحول الى الهجوم بمعنى انه يجب أن تسير الدعاية التعزيزية للموقف الذي تحارب من أجله الدولة الى جانب الدعاية الدفاعية التي تتعرض للحرب النفسية الهجومية بالتفنيد .

وأيضا كي نقاوم الحرب النفسية لابد أن نشرح بعضا من أساليبها ، كما أوضحنا صورها في السطور السابقة .

أساليب الحرب النفسية وكيف نقاومها ؟

١ ــ الايحاء والتضليل الايحائي .

٢ ــ احداث الصدمات ومحاولة تهييج الجماهير .

٣ ــ التهديد المستمر باستخدام القوة المسلحة .

٤ ــ الاغراق باستخدام كل وسائل الاعلام بنشر اكبر كمية من الشائعات تحاصر المتلقى في كل مكان .

٥ ــ استخدام اثارة الغرائز الفطرية ــ الجنس .. الميل للامن ــ حب الحياة .

٦ ــ بث القلق واثارة عدم الثقة بالنفس للخصم .

٧ ــ تشويه الشخصية القومية للقائد أو الرئيس الموجود في الحكم أو شخصية الجندي المقاتل ، وشخصية القائد العسكري .. الخ .

هذه المادة سريعة وقليل من كثير من وسائل الحرب النفسية وفيما يلي نعرض **لكل اسلوب وكيفية مقاومته ومثال له .**

١ ــ التضليل الايحائي : ويسبب لدى المتلقي خطأ في الادراك(٢)، ويقوم فيها العدو (أيا كان) بعمل حملة دعائية يعتمد فيها على تشويه ادراك المتلقى ، واخفاء الحقائق حتى يبرر تصرفاته وتحركاته . وللقارىء أن يسأل ما هو المقصود بالايحاء ؟ وكيف يتم التضليل حتى يمكنه بالتالي أن يتفادى الوقوع في مثل هذه الناحية من الحرب النفسية الهجومية ؟

الايحاء هو عملية تقبل آراء وأفكار الغير دون مناقشة وهي عملية لا شعورية تتم دون ارادة أو تفكير مسبق (٣) .

وهنا يصدق الفرد آراء الغير ويتأثر بأفكاره

---

١ ــ محمود الزيني ــ المصدر السابق ص٥٠ ، مقيد جمال السيد : اضواء على الحرب النفسية ــ المكتبة الثقافية ط ١٩٧١

٢ ــ يلاحظ أن الادراك يتوقف على طبيعة الحواس ، ويتوقف على العوامل الاجتماعية ، كما انه يتأثر بدوافع الانسان وقوة الايحاء المسلطة عليه .

٣ ــ راجع د. مصطفى سويف : مطالعات في علم النفس ــ مكتبة الانجلو المصرية ط ١٩٦٢

دون التأكد من صدق كلامه .. ولكي تنجح هذه العملية أي التضليل الايحائي :

١ ـ لابد أن تكون مادة التأثير تهم الفرد أو الجماعة .

٢ ـ أن تعرض في توقيت مناسب .

٣ ـ أن تعرض في وقت يكون الفرد فيه بحاجة الى النوم أو تحت تأثير مخدر أو مشحونا بشحنة انفعالية وسط جماعة مثارة .

ومثال ذلك : مسألة ثغرة الدفرسوار في حرب ١٩٧٣ حين تمكنت بعض وحدات الجيش الاسرائيلي من التسلل خلف وحدات الجيش الثالث الميداني ، استغلت اسرائيل هذه العملية في شن حرب نفسية على الجيش المصري والشعب أيضا وبدأت تكرر عبارة الجيش الثالث المطوق (١) ، وبدأت تنشر فكرة مؤداها أن المصريين عبروا الى الشرق ، وهم عبروا الى الغرب .. ولا منتصر .. !! ويلاحظ القارىء الى أي مدى يصل التضليل وتشويه صورة المقاتل المصري .

وقد قام الاعلام المصري بحرب نفسية دفاعية لمواجهة هذا التضليل وذلك في المؤتمر الصحفي الذي قام به الرئيس السادات وأثبت فيه أن الجيش الاسرائيلي موقفه ضعيف (٢) .

كما أتاحت القوات المسلحة الفرصة للملحقين العسكريين في السفارات الأجنبية لزيارة الجيش الثالث الميداني .

ومن وسائل التضليل أيضا أن تظهر عكس ما تبطن وقد اتبع القادة المصريون هذا الأسلوب الذي أسماه وزير الحربية المصري في حرب ١٩٧٣ بالخداع الاستراتيجي .

١ ـ راجع محمود الزيني مرجع سابق ص٩١

٢ ـ جريدة الاهرام في أول ديسمبر ١٩٧٣

٢ ـ حرب الصدمة الانفعالية (٣) :

لولا الانفعال ما استطاع الفرد أن يعد نفسه للطوارىء، واعداد نفسه للقتال أو الهرب للخلاص من الخطر ، ولكن الانفعال سلاح ذو حدين وهو مفيد دائما في حالة سيطرة الانسان عليه وضار جدا اذا ما فقد الفرد السيطرة على انفعالاته .

والانفعال الشديد يشوه الادراك ويعطل التفكير ، ويضعف القدرة على التذكر ، والصدمة الانفعالية نتيجة الذعر والهلع قد تصيب الكائن الحي بالشلل الجسمي أو العصبي المؤقت .

وأجادت اسرائيل استعمال هذا النوع باستخدام الحروب الخاطفة والسريعة لكسب المجال الاعلامي والدعائي ولتحقيق انتصارات خاطفة وسريعة ، ويعتبر الجنرال الألماني (جودريان) أستاذ العسكريين الاسرائيليين في الحرب الخاطفة وطبق ذلك تماما في فرنسا ١٩٤٠ .

ولقد استخدم الجيش المصري نفس الأسلوب في حرب ١٩٧٣ حيث شلت المفاجأة قوى الجيش الاسرائيلي وأصيب بصدمة انفعالية أعجزته عن الحركة لفترة ليست قصيرة ، بل وأعجزت قادته عن التفكير بنفس سرعة سير المعارك في سيناء .. !

٣ ـ التهديد المستمر بالبطش واستخدام القوة :

وهو يتصل بما سبق من اثارة للانفعال وبث الرعب في قلب العدو واجباره على التخاذل وعدم الثقة في قوته .

ومثال ذلك : تهويل اسرائيل الذي صاحب

٣ ـ محمود الزيني ، نفس المصدر السابق ، ص ٧٣ .

الطائرة الفانتوم والمبالغة في تسليحها وقوتها .

وكان الرد العملى على ذلك هو اسقاط ٨ طائرات فانتوم في أسبوع واحد أثناء حرب الاستنزاف .

وكان الرد أيضا في التلويح باستخدام الصاروخ ظافر والضرب في العمق وظهر شعار (النابالم بالنابالم والعمق بالعمق) وكان في هذا ردع نفسي لاسرائيل وتعزيز لثقة الشعب في قدرات قواتنا المسلحة .

٤ — الشائعات:

تعرف الاشاعة بأنها « قصة مقدمة للتصديق تتناقل من شخص الى شخص دون أن تكون هناك معايير أكيدة للصدق » (١) .

ولكن كيف يتأتي للشائعات أن تنتشر ؟

في الحقيقة تنتشر الشائعات في غيبة الأخبار الصادقة وللقضاء على الاشاعة لابد من تقديم الأخبار بأدق صورة ممكنة وفي أسرع وقت ممكن وباستمرار .

وتنشأ الاشاعة أيضا من غموض الأخبار ، وكلما كان الخبر واضحا لا يحتاج الى توضيح كلما كان هذا أفضل وأكثر قطعا للشك لدى الجماهير ..

وعلاج الشائعات لا يكون — دائما — في الرد عليها ، بل انه ليس كل شائعة تحتاج الى رد .. ولهذا فان أفضل طريقة لمكافحة الشائعات من خلال وسائل الاتصال لابد أن تمر بالمراحل الآتية :

١ — تحديد الشائعة وتحليلها ومعرفة ما اذا كانت الشائعة للتخويف أم للتفرقة بين قوى الشعب أم لاثارة التفاؤل .. الخ .

٢ — تحديد جمهور الاشاعة : وهذا يساعد في معرفة مدى ضرورة الرد على الاشاعة من عدمه وبأى أسلوب يمكن الرد ، ومدى تأثير الاشاعة على هذا الجمهور .

٣ — المحور الذى تدور حوله الاشاعة وهل هو حدث صحيح أم مختلق ، وهل به جزء من الواقع ، وهل هو حدث ملموس أم غير ذلك .. الخ .

وعلى هذا الأساس توضع خطة شاملة لمكافحة الشائعات .

٥ — تشويه الشخصية القومية :

ولبث الشك وعدم الثقة في القيادة توجه حرب دعائية للتشكيك في سلامة تصد صانع القرار أو في أمانته كما توجه الحرب النفسية الى المواطن بصفته القومية فيقال أن المصرى — مثلا — بسيط لا يقوى على استخدام الآلة ولا يستوعب « تكنولوجيا » العصر .. !!

وبهذا يتم طرح بذور الشك في الشخصية القومية للمواطن واثارة عدم الثقة بالنفس ..

ولمكافحة هذه الدعاية على وسائل الاعلام أن توضح الكثير من الحقائق عن القادة وأن تؤكد صدق نواياهم وحسن سياستهم وحبهم لوطنهم .

وأن تنشر صورا عديدة لمواطنين بسطاء نالوا أقصى الدرجات العلمية في المجالات الرائدة في « تكنولوجيا » العصر الحديث مما يزرع

---

١ — تعريف جوردون ولبو بوستمان استاذ علم النفس في جامعة هارفارد ، راجع حرب الكلمات — كرم شلبى مرجع سابق ص ٢٥ .

الثقة بالنفس ويقضي على أية محاولة للنيل من شخصيتنا القومية .

خــاتمــة :

حقيقة . نحن أمام ظاهرة جـــديدة وقف أمامها العديد من الدراسات النفسية والاعلامية والاجتماعية وكلها تدور حول سؤال واحد في هذا الموضوع وهو :

كيف يمكن انتزاع أفكار ومبادىء من عقل انسان لنزرع مكانها أفكارا جديدة .

والحرب النفسية بعد تقدم دراسات عــلم النفس هي حرب المستقبل التي سوف تستخدم الكلمة فيها بدلا من المدفع والصــاروخ وهي الحرب التي من يكسبها يكسب أخطر الجولات في عصر الردع النووي وانتشار أسلحة الدمار الرهيبة ومن هنا فان من يقضي على معنويات خصمه أولا يكســـب أولا .. ولا أراني في السطور السابقة قد وفيت الموضوع حقه .. وانما هي لمحات سريعة وفي عجالة حول هــذه الحــرب الغريبة ليقف القارىء عــلى مـدى أخطارها فان أصبنا رضــا القارىء باحاطته بشيء عنها كان ذلك خيرا وحمدنا الله ، وان كان غير ذلك فان الخطأ من طبائع البشر وما توفيقي الا بالله .

حسن علي العريسي

المجلة : يعقب اللواء محمد جمال الدين بمقال يعالج فيه الحرب النفسية بالوســـائل الاسلامية في العدد القادم بمشيئة الله .

مصادر المقالة

وقد حرصت على اثباتها مجتمعة في نهاية المقالة لكي يرجع اليهـــا من يريد الاستزادة أو معرفة الكثير عن الحرب النفسية .

١ ـ الحرب النفسية في المنطقة العربية
د. حامد ربيع
٢ ـ اضواء على الحرب النفسية
عقيد جمال السيد ، المكتبة الثقافية العدد ٢٨٣
٣ ـ حرب الكلمـــات .
كرم شلبي . كتاب الاذاعة العدد ٣٢ .
٤ ـ مطالعات في علم النفس
د . مصطفى سويف مكتبة الانجلو سنة ١٩٦٢
٥ ـ محمود محمد الزيني
اضواء على الحرب النفسية .
٦ ـ سيكلوجية الاشاعة .
د. صلاح مخيمر
٧ ـ قضية الحرب النفسية
مقالة بمجلة الفكر للدكتور احمـــد فائق العدد ٦ سنة ١٩٧٠

وبالله التوفيق ..

طرائف

أربعة لم يلحقوا ولم يسبقوا

قيل اربعة لم يلحقوا ولم يسبقوا : ابو حنيفة فى فقهه ، والخليل فى ادبه ، والجاحظ فى تاليفه ، وابو تمام فى شعره .

مجالسة العلماء

قال الشعبى : جالسوا العلماء ، فانكم ان احسنتم حمدوكم ، وان اساتم تاولوا لكم وعذروكم ، وان اخطاتم لم يعنفوكم ، وان جهلتم علموكم ، وان شهدوا لكم نفعوكم .

ما قتلته ولا مالأت على قتله

قال ابن ابى حاتم حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا العيزار ابن سويد ، قال : كنت مع على بن ابى طالب رضى الله عنه ــ على شاطىء الفرات اذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط على يديه ، ثم قال : يقول الله عز وجل : « وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام » والذى انشاها تجرى فى بحوره « ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله » .

الاعتدال

قال حذيفة بن اليمان : « ليس خياركم من ترك الآخرة للدنيا ، ولا من ترك الدنيا للآخرة ، ولكن من أخذ من هذه لتلك » .

هل تعلم ؟

* اضاعة الوقت أشد من الموت ، لأن اضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة ، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها .

* رذيلة واحدة تجعل الانسان رذيلا ولكن عشرة فضائل لا تكفى لجعل الانسان فاضلا .

* الدين كله خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الدين .

* لحسن الخلق اركان اربعة : الصبر والعفة والشجاعة والعدل .

* حقيقة الصدق : أن تصدق فى موطن لا ينجيك منه الا الكذب .

ومواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقاً

« من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له ، لم يختر غير ما اختار الله له » .

« الحسن بن على »

الرفعة بالإسلام

قال سعيد بن المسيب ، لما مات النبى — صلى الله عليه وسلم — ارتجت مكة ! .

فقال أبو قحافة : ما هذا ؟

قالوا : مات النبى — صلى الله عليه وسلم .

فقال : من تولى على الناس ؟

قالوا : ابنك ابو بكر ! .

فقال : هل رضى بذلك بنو عبد مناف — هاشم وامية — وبنو المغيرة بنو مخزوم !.

قالوا : نعم .

فقال أبو قحافة : لا مانع لما أعطى الله ولا معطى لما منع الله .

خير الكلام ما قل ودل

قال رجل لسويد بن منجوف ، وقد أطال الخطبة بكلام افتتحه للصلح بين قوم من العرب ، يا هذا أتيت مرعى غير مرعاك ! . أفلا أدلك عليه ؟

قال : نعم .

قال : قل أما بعد ، فان فى الصلح بقاء الأحوال والآجال ، وحفظ الأموال والسلام .

فلما سمع القوم هذا الكلام تعانقوا وتواهبوا التراث .

دعاء

اللهم ان ذنوبى اليك لاتضرك ، وان رحمتك إياى لا تنقصك فاغفر لى مالا يضرك وهب لى مالا ينقصك .

آية

قال تعالى :

« إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » .

من التراث

للإمام العلامة جمال الدين محمد إبن منظور الأفريقي المصري

قال الامام ابو الفضل جمال الدين :

قوله عز وجل :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ) ... قال الزجاج :

معنى (يحملنها) : يخنها .

والأمانة هنا : الفرائض التى افترضها الله على آدم ، والطاعة والمعصية . وكذا جاء فى التفسير .

والانسان هنا : الكافر والمنافق .

وقال أبو اسحاق ــ فى الآية :

ان حقيقتها ــ والله أعلم ــ أن الله ، تعالى ائتمن بنى آدم على ما افترضه عليهم من طاعته ، وائتمن السموات والأرض والجبال بقوله :

(ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) (فصلت ــ ١١)

الأمانة

فعرفنا الله تعالى أن السموات والأرض لم تحمل الأمانة ... أى ... أدتها ، وكل من خان الأمانة فقد حملها ، وكذا كل من أثم فقد حمل الاثم .

ومنه قوله تعالى : (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ..) الآية (العنكبوت — ١٣)

فأعلم الله تعالى أن من باء بالاثم يسمى حاملا للاثم ، والسموات والأرض أبين أن يحملنها ، يعنى الأمانة ، وأدينها ، وأداؤها طاعة الله فيما أمرها به والعمل به ، وترك المعصية ، وحملها الانسان ، قال الحسن :

أراد الكافر والمنافق ، حملا الأمانة أى خانا ولم يطيعا .

قال : فهذا المعنى — والله أعلم — صحيح، ومن أطاع الله من الأنبياء والصديقين والمؤمنين فلا يقال : كان ظلوما جهولا .

قال : وتصديق ذلك ما يتلو هذا من قوله : ليعذب الله المنافقين والمنافقات الى آخرها ، قال أبو منصور :

وما علمت أحدا شرح من تفسير هذه الآية ما شرحه أبو اسحاق !

قال : ومما يؤيد قوله فى حمل الأمانة : انه خيانتها وترك أدائها قول الشاعر .

اذا أنت لم تبرح تؤدى أمانة
وتحمل أخرى ، أفرحتك الودائع

أراد بقوله : (وتحمل أخرى) أى تخونها ولا تؤديها ، يدل على ذلك قوله :

(أفرحتك الودائع) أى أثقلتك الأمانات التى تخونها ولا تؤديها »(١)

أ . هـ كلام ابن منظور .

وروى ابن جرير الطبرى ، وابن كثير (٢) — رضى الله عنهما — فى خطبة عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — لما أتاه فتح القادسية — قوله :

« انى — والله — ما أنا بملك فأستعبدكم ، وانما أنا عبد الله ، عرض على الأمانة ، فان أبيتها — ورددتها عليكم ، واتبعتكم حتى تشبعوا فى بيوتكم ، وترووا (٣) — سعدت . وان أنا حملتها واستتبعتكم الى بيتى شقيت ، ففرحت قليلا وحزنت طويلا ، وبقيت لا أقال ولا أرد فأستعتب . » أ هـ .

فاستعمل عمر أبى ضد حمل ، فكانت أبى بمعنى أدى وحمل بمعنى : خان .

د.ع.خ

---

(١) راجع لابن منظور — لسان العرب — مادة : (حمل)

(٢) انظر لابن جرير الطبرى — تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبرى) ٣/٥٨٤ طبع دار المعارف — مصر و .. لاسماعيل بن كثير — البداية والنهاية ٧/٤٦ مكتبة المعارف — بيروت

(٣) من الرى ، وهو الشرب بعد ظمأ .

من التراث

العلماء

فى هذا المقال يلفت الامام الجليل الأنظار الى واجب العلماء واسلوبهم فى الاصلاح ، وما ينبغى ان يتحلوا به عند دعوتهم الى الله تعالى ، ويبرز الفائدة التى تعود عليهم ان هم قاموا بواجبهم وان هم نظروا فى أحوال الناس من جهة:

أ ـ ما يتقربون به الى الله تعالى فيميزون السنة من البدعة .

ب ـ ما يدور بين الناس من المزاعم الباطلة والأحاديث الموضوعة .

جـ ـ مايجرى بينهم من المعاملات فيرشدونهم الى صالحها ويوضحون لهم فاسدها .

د ـ ما يمسهم من ضراء ، فيسعون ما استطاعوا لكشف الضر عنهم .

و ـ مراقبة الشباب الذى يغرق فى التشبه بالمخالفين فى العقيدة وتقليدهم فى عاداتهم الضارة .

ز ـ تقديم الوسائل التى تقى الأمة ممن يبغى بها أذى أو يروم تضليلا .

كل ذلك بتفصيل دقيق ، وأسلوب رقيق ، ونصح أمين ، يقول ـ رحمه الله (١) :

نود من صميم قلوبنا أن تكون نهضتنا المدنية راسخة البناء ، رائعة الطلاء ، محمودة العاقبة ، ولا يرسخ بناؤها ، ويروع طلاؤها ، وتحمد عاقبتها الا أن تكون موصولة بنظم الدين ، مصبوغة بآدابه .

والوسيلة الى أن يجرى فيها روح من الدين يجعلها رشيدة فى وجهتها ، بالغة غايتها : أن يزداد الذين درسوا علوم الشريعة عناية بالقيام على ما استحفظوا من هداية ، فلا يذروا شيئا يشعرون بأنه موكول الى امانتهم الا أحسنوا أداءه .

فينظر أهل العلم فى حال الناس من جهة ما يتقربون به الى الخالق ويزنون أعمالهم ، ليميزوا البدعة من السنة ، ويرشدوهم الى أن يعملوا صالحا ، ومن الذى لايدرك أن البدع تقف كقطع من الليل المظلم فتغطى جانبا من محاسن الشريعة الغراء ؟ وهى بعد هذا ضلالات تهوى بأصحابها فى ندامة وخسران !

وينظر أهل العلم فى أحوال الناس من جهة ما يدور بينهم من المزاعم الباطلة والأحاديث المصنوعة ، فينفون خبثها نفى النار لخبث الحديد ، يفعلون هذا ، ليكون الناشىء المسلم نقى الفكر صافى البصيرة لايحمل فى نفسه الا عقائد خالصة وحقائق ناصعة .

ينظرون فى أحوال الناس من جهة ما يجرى بينهم من المعاملات ، فيصلحون ما كان فاسدا ويصلون ما كان منقطعا ، وما شاعت المعاملات التى نهى عنها الدين فى غير هوادة : كالربا والميسر . الاحيث قل من يعظ الناس فى ارتكابها

---

١ ـ نور الاسلام (مجلة الازهر) العدد الثالث ربيع الأول ١٣٤٩ هـ .

والإصلاح

لفضيلة الإمام الأكبر محمد الخضر حسين

عرض وتقديم

الأستاذ الشيخ أحمد حسن جابر رجب

ويبسط القول في شؤم عاقبتها .

ينظرون في أحوال الناس من جهة ما يمسهم من السراء والضراء ، ويسعون ما استطاعوا ـ في كشف الضر عنهم ولو بعرض حالهم على أولى الشأن وإثارة دواعيهم الى أن يعالجوا العسر حتى ينقلب بفضل تدبيرهم يسرا .

يحدثنا الكاتبون في تاريخ الأندلس أن العلماء المقيمين في ضواحي قرطبة كانوا يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة ، ويطالعونه بأحوال بلدهم ، وقال أحد علمائهم :

وَأَتْعَبُ إنْ لم يُمْنَحِ النـاس راحـة
وغيرىَ ان لـم يَتْعَبِ النـاسُ يتعب

ينظر أهل العلم بعين الاحتراس الى كل من يدعو الى مذهب باسم الدين ، ويتخذون الوسائل الى الاطلاع على حقيقة قصده ، ومن أسباب وهن حبل الاسلام وتقطع أوصاله: مذاهب يبتدعها ملاحدة يمكرون ، أو جهال لايفقهون .

أفلم يكن المذهب البهائي يعمل لهدم قواعد الاسلام واستهواء أبنائه من خلف ستار ؟!

وقد أحس بعض أتباعه بقوة ، فصاروا يخطبون على منابر بعض النوادي ، ويجهرون بشيء من مزاعمه ، وعرف بعض خصوم الاسلام قصدهم ، فقاموا يشدون أزرهم ويرددون الثناء على مذهبهم !

نحن نعلم أن في كل أمة فئة يفتحون صدورهم لقبول كل دعوة توافق أهواءهم ، أو تأتيهم في طلاء يلائم أذواقهم ، ولكن نهوض العلماء بعزم وحكمة ان لم يسحق آراء زعماء هذه الفئة سحقا ، فانه يكشف عما فيها من سوء فلا يسكن اليها الا من هم الى الحيوان الأعجم أقرب منهم الى الانسان .

يرقب أهل العلم كل حركة تقوم بها جماعة من الأمة ، فينقدونها بالنظر الخالص ويصدعون فيها بآرائهم مدعومة بالأدلة المقنعة

ولاتعد هذه المراقبة وهذا النقد خارجين عن خطة العالم الاسلامى ، بل هما واجبان في عنقه كواجب التعليم والافتاء .

وإذا قص علينا التاريخ أن فريقا من أهل العلم قضوا حياتهم في بحث المسائل العلمية

● العلماء والإصلاح

البحتة . فقد قص علينا أن أمة من عظمائهم كانوا ينظرون في الشئون العامة ويمشون السيرة التي تكسو صاحبها جلالة وترفع له بين الخلائق ذكرا .

كان أهل العلم يوجهون هممهم الى الوسائل التي تقي الأمة ممن يبغونها الأذى .

فهذا أبو بكر بن العربي قاضي أشبيلية رأى ناحية من سور أشبيلية محتاجة الى اصلاح ولم يكن في الخزانة مال موفر يقوم بسدادها ففرض على الناس جلود ضحاياهم وكان ذلك في عيد أضحى فأحضروها وصرفت أثمانها في اصلاح تلك الناحية المتهدمة .

وكان محمد بن عبد الله يحيى الليثي قاضي قرطبة كثيرا ما كان يخرج الى الثغور ويتصرف في اصلاح ماوهي منها حتى مات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة .

وظهور العلماء في أمثال هذه المواقف يغرس لهم في نفوس الأمة ودا واحتراما ويورثهم في رأى أولى الأمر مقاما كريما .

أفلا نذكر أيام كان أمراء الاسلام يعرفون في طائفة من العلماء رجاحة الرأى وصراحة العزم وخلوص السريرة فيلقون اليهم بقيادة الجيوش فيكفون بأس أعدائهم الأشداء وما كان أسد بن الفرات قائد الجيش الذى فتح صقلية الا أحد الفقهاء الذين أخذوا عن مالك بالمدينة ، ومحمد بن الحسن في بغداد ، وعبد الرحمن بن القاسم في القاهرة .

ينظر أهل العلم الى ما غرق فيه بعض شبابنا من التشبه بالمخالفين ، وتقليدهم في عادات لاتغنى من الرقي شيئا ، وقد يرى بعضهم انحطاط كثير من أبنائنا في هذا التشبه والتقليد فيعده قضاء مبرما ، ويملكه خاطر اليأس حتى ينتكث من التعرض للشئون العامة ومعالجتها ، ولكن الذى يعرف علة هذا التسرع ويكون قد قرأ التاريخ ليعتبر ، يرى الأمر أهون من أن يصل الى النفوس بالتردد في نجاح الدعوة ، بله اليأس من نجاحها .

وأذكر بهذا أن كاتبا كتب في احدى المجلات مقالا تحت عنوان : « وحدة العالم » يدعو فيه الى مسايرة أوربا في السفور ونحوه وقال في علة الدعوة الى هذه المسايرة :

ليخرج الشرق والغرب في مدينة واحدة ، وأشار على دعاة الاصلاح في الشرق بالا يقفوا في سبيل هذه المدنية زاعما أنهم لا يستطيعون مقاومتها ، ولايزيدون على أن يجعلوا سيرها بطيئا ، ورغّب اليهم أن يحثوا الناس على المسارعة الى قبولها .

والذين ينظرون الى مدنية أوربا باعتبار ، يبصرون فيها على البداهة مالا يرتضيه العقل ولا يقبله الشرع ، واختلاف الأمم بالحق خير من اتحادها على باطل ، ولايفوت الحكمة أن تجد نفوسا مهذبة ، وعقولا سليمة فتقبلها .

فحقيق على العلماء أن يبتسموا لهذا الرأى تبسم الازدراء ، ولا يقيموا لمثله وزنا الا أن يكشفوا سريرته ويعرضوا على الأنظار سوء منبته .

والعالم بحق من يتدرع بالايمان البالغ والثقة بما وعد الله به الداعي الى الحق من الظهور على أشياع الباطل . وان أوتوا زخرفا من القول ، وسعة من المال ، وكانوا أكثر قبيلا .

لاينبغي لأهل العلم أن يغفلوا عن سير أربــاب المناصب والولايات ، فمن واجبهم أن يكونوا على بينة من أمرهم حتى اذا أبصروا عوجــا نصحوا لهم بأن يستقيموا ، أو رأوا حقا مهملا لفتوا اليه أنظارهم ، وأعانوهم على اقامته .

أمر السلطان سليم بقتل مائة وخمسين رجلا من حفاظ الخزائن ، فبلغ هــذا النبأ الأستاذ علاء الدين الجمالي وكان متوليا أمر الفتوى ، فذهب الى السلطان وقال له : وظيفة أربــاب الفتوى أن يحافظوا على آخـرة الســلطان ؛ وهؤلاء الرجــال لايجــوز قتلهم شرعا فعليك بالعفو عنهم ، فغضب السلطان سليم ، وقــال له : انك تتعرض لأمر السلطنة وليس ذلك من وظيفتك .

فقال الأستاذ علاء الدين :

لا . بل أتعرض لأمر آخرتك ، وانه مــن وظيفتي فان عفوت فلك النجاة ، والا فعليــك عقاب عظيم ، فانكسرت سورة غضب السلطان وعفا عن الجميع .

ومتى كان في ولاة الأمور شيء من العــدل ، وكــان في الداعي الى الاصــلاح الحكمــة والاخلاص نجحت الدعوة في سعيها . وبلغت بتأييد الله مآربها .

يكون العالم رقيقا في خطابه ، لينا في ارشاده .

اما اذا أراده ذو قوة على أن يقول ماليس بحق ، أو يأتي ماليس بمصلحة أخذ بالتي هــي أرضى للخالق ، وكان مثالا للاستقامة صالحا .

أذكــر أن أحمــد بن طولون دعــا القاضي بكار بن قتيبة الى خلع الموفق من ولاية العهد فأبى فحبسه وكرر عليه القول فأصر على الاباءة

وبقي في السجن حتى ثقل ابن طولون في مرض الوفاة ، فبعث الى القاضي بكار يقول له :

أردك الى منزلك أو أحسن منها ؟

فقال بكار للرسول : قل له :

شيخ فان ، والملتقى قريب ، والقاضي الله عز وجــل .

فأبلغ الرســول ابن طولون ذلك : فأطرق ساعة ثم قال :

شيخ فان والملتقى قريب ، والقاضي اللــه عز وجل ، وأمــر بنقله من السجن الــى دار اكتريت له .

وانما يقوم العالم باسداء النصيحة الى ذي قوة أو لايوافقه فيما يخدش أمانته وتقــواه متى قدر مقامه العلمي قدره وكان شأن العــلم أسمى في نظره من كل شأن .

وهذا الشعور هو الذي يهيؤه بعد داعيــة الغيرة ، لأن يجاهد في سبيل الحق مستهينا بكل ما يعترضه من أذى .

ومن أدب العلماء أن ينصحوا للأمة فيــما يقولون أو يفعلون ، ويحتملوا ما ينالهم في سبيل النصيحة من مكروه . وكم مــن عالم قام في وجه الباطل فأوذي فتجــلد للأذى ، وأجاب داعي التقوى متأسيا بقوله صــلى الله عليه وسلم : (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) .

العلماء والإصلاح

ومن جرى على هذا الخلق المتين أبو بكر بن العربي يوم كان قاضيا بأشبيلية قال في كتاب القواصم والعواصم : « حكمت بين الناس فألزمتهم الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يك يرى في الأرض منكر ، واشتد الخطب على أهل الغصب ، وعظم على الفسقة الكرب ، فتألبوا وألبوا ، وثاروا على فاستسلمت لأمر الله وأمرت كل من حولي الا يدفعوا عن داري ، وخرجت على السطوح بنفسي ، فعاثوا على حتى أمسيت سليب الدار ، ولولا ما سبق من حسن الأقدار لكنت قتيل الدار » يعني بقتيل الدار عثمان رضي الله عنه وأرضاه .

ولا يستحق لقب عالم أو مصلح ذلك الذي يدعو الناس الى العمل الصالح ويقبض عنه يده أو ينهاهم عن العمل السيء ولا يصرف عنه وجهه .

فمن أدب العلماء أن يسابقوا الأمة الى اجتناب ما يؤاخذون به وعمل ما يحمدون عليه كأن ينفقوا في وجوه البر والمشروعات الصالحات ما ينفقه أمثالهم من المكثرين أو المقلين فان ذلك أدل على اخلاصهم وأدعى الى توقيرهم وقبول نصائحهم .

واذا كان العدد القليل فيما سلف يكفي لحراسة الدين وارشاد من ينحرف عنه حتى يعود اليه ، فلأن سلطان الاسلام يومئذ غالب ، وصوت الجهل عليه خافت .

أما اليوم فالحال ما ترون وما تسمعون ، فلا يمكن للدعوى أن تأتي بفائدتها الا أن تضم المعاهد الاسلامية بين جدرانها طوائف كثيرة من أولي الغيرة والعزم — يصرفون جهدهم في الدفاع عن الدين ، والدعوة الى الخير ويعيدون الدعوة مرة بعد أخرى .

وستنبت المعاهد الاسلامية — ان شاء الله — كثيرا من العلماء القوامين على نحو ما وصفنا — ولا سيما حين يأخذ التعليم بالأزهر الشريف نظامه الأسمى ، ويجرى مثل هذا النظام في غيره من المعاهد الاسلامية : كجامع الزيتونة في تونس ، وجامع القرويين في فاس ويقوى الأمل في أن تؤتي هذه المعاهد الثمرة الغزيرة الطيبة متى نظر اليها أولو الأمر برعاية ، وعاملوا النشء المتخرجين منها بما يدل على أنهم يحترمون الشريعة ، ويقدرون ما تبثه في الأمة من رشد واصلاح .

محمد الخضر حسين

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

الإيضاح
شرح المطرزى على مقامات الحريرى

للأستاذ محمد عميره على

المطرزى . هو العلامة ناصر ابن عبد السيد أبى المكارم بن على ، أبو الفتح ، برهان الدين الخوارزمى المطرزى : أديب ، عالم باللغة ، من فقهاء الحنفية . ولد فى (جرجانية خوارزم) (سنة ٥٣٨ هـ سنة ١١٤٤ م) (وتوفى سنة ٦١٠ هـ و سنة ١٢١٣ م) ودخل بغداد حاجا سنة ٦٠١ هـ وكانت وفاته بخوارزم ، كان رأسا فى الاعتزال . ولما توفى رثى بأكثر من ٣٠٠ قصيدة . من كتبه «الايضاح» فى شرح مقامات الحريرى وله مؤلفات أخرى .

وقبل أن نتكلم عن «الايضاح» يجدر بنا أن نشير الى مقامات الحريرى التى نالت شهرة بين كتاب العربية لم تتح لغيرها ، كما رزقت مقاماته شهرة لم ينلها كثير من كتب الأدب العربى على كثرتها وتنوع موضوعاتها ، ولقد سبق الحريرى غيره فى انشاء المقامات ، كما حذا غيره من المتأخرين حذوه ، فلم يفضله من سبقه ، ولم ينسخ شهرته من تأخر عنه . ومقاماته حرية بالمنزلة التى أنزلها اياها تاريخ الأدب ، ويكفى أن يشهد لها العلامة جاد الله أبو القاسم محمود بن عمر المشهور بالزمخشرى الخوارزمى صاحب تفسير الكشاف فيقول :

أقسم بالله وآياته
ومشعر الحج وميقاته

الإيضاح

ان الحـــريرى حرى بأن تكتب بالتبر مقاماته

ويقول المطرزى فى الايضاح «انى لم أر فى كتب العربية والأدب ، وفى تصـــانيف العجم والعرب ، كتابا أحسن تأليفــــا ، وأعجب تصنيفا ، وأغرب ترصيفا ، وأشمل لعجـــائب العربية ، وأجمع للغرائب الأدبيـــة ، وأكثر تضمنا لأمثــال العرب ، ونكت الأدب ، من المقامات التى أنشأها الامام جمال العصر وكمال الدهر أبو محمد القاســم بن عـلى الحريرى البصرى » .

وقد لقيت مقامات الحريرى قبولا من أدباء عصره ، فأقبلوا عليها دراسة وتحصـــيلا ، وتفهما ، ولماكان الحريرى قدضمن مقاماته كثيرا من أمثال العرب وأخبارهم ، كما ضمنها كثيرا من المسائل النحوية والخصائص اللغـوية ، احتاجت الى شرح يكشف ما غمض من هذه المسائل ، فشرحها كثير من العلمـــاء شروحا كثيرة قديما وحديثا ، وقـــد طبعـــت بعض شروحها وتداولها الأدباء ، ومن أشهر شراحها العلامة الشريشى .

ومن الشروح القديمة التى كان يتـــداولها العلماء شرح العلامة المطرزى عليها ، وهـــو موضوع كلمتنا هذه ، وانه فى نظرنا من أجل الشروح وأدقهـــا وأوفاهـــا بالمراد فيما تصـدى له من بيـان غرائب ما فى المقامات من مسائل النحو واللغـــة والأدب ، ذلك أن المطرزى من علمـاء العربية المتقـدمين الذين عرفوا بالتضلع فى النحو واللغـــة والأدب ، فتناوله لمســـائلها تناول الصنيع الخبـــير والأديب الماهر الذى يصل الى غايته من أقرب الطرق ، ويلبس المعـــانى أثوابها المناســـبة الموفية بالغرض .

ولقد قدم المطرزى لشرحه بمقدمة ذكـر فيها بعض قواعد البلاغة لتكون معيـــارا يزن به القارىء مقامات الحريرى ، ويعرف مكانها من كلام الفصحاء ، فتكلم عن الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه ، وعن الفصاحة والبلاغة ، كما تكلم على بعض أنواع البـــديع كالتجنيس والاشـــتقاق ، ورد العجز على الصدر ، ولزوم مالا يلزم ، الى غير ذلك من مسائل البلاغة التى اصـــطنعها الحريرى فى مقاماته ليعطى القارىء فكرة عنها حتى يكون على ذكر لمـــا يرد فى شرحه منها ، وضرب لكل منها مثلا من كلام الفصـحاء ومن المقامات نفسها ، كمـــا تعرض لشرح معنى المقامة ، وشرح معنى المثل ، واعتمد فى أكثر ذلك على كتب عبد القاهر الجرجانى بل على عبــــاراته ذاتها ، ويقول فى ذلك :

« ولمـــا فرغت من شرح هذا الكتاب وفسره وعبرته بسفينة التوفيق الى ســـاحل بحره ، بعد أن خضت فى غمار عمانه وغصـــت على لآلئه وجمانه ، وميزت بين ضعيفه ومتينه ، ووقفت على غثه وسمينه ، وغرفت لجينه من لجينه ، وهجانه من هجينه ، أردت أن أطلعك على مستملحه ومستحسـنه ، ومســـتقبحه ومستهجنه ، وأعطيك محك النقد ، وأرمى اليك زمام الحل والعقد ، وأنصب لك معيار التمييز حتى تفصـــل بين الخبث والابريز ، وليس لى أن أوقفك عليه أو أوصلك اليه ، الا بأن أكشف

نقاب البلاغة ، وأوضح أسباب الفصاحة » .

والمطرزى وان غلب عليه النحو واللغة الا أن له فى الأدب قدما راسخة ، وقلما قويا رائعا وذوقا لطيفا ، فلا تروقه الصياغة اللفظية ، ولا يحمدها الا اذا استجرها المعنى واقتضاها المقام ويقول : واعلم أن هذه الأجناس التى ذكرناها لا تحسن حتى يساعد اللفظ المعنى ولا تستلذ حتى تكون عذبة الاصدار والايراد سهلة سلسة القياد ... ولا تملح حتى يوازى مطبوعها مصنوعها ، والا فما قلق فى أماكنه ، ونبا عن موقعه ، فبمعزل عن الرضا عند علماء البيان ، وبمكان من البشاعة لدى أرباب النثر وأصحاب النظم، فاذا أردت أن تستوفى أقسام المحاسن، وتجتنب أنواع المشاين ، فأرسل المعانى على سجيتها ، ودعها تطلب لأنفسها الألفاظ ، فانها اذا تركت وما تريد لمتكتس الا ما يليق بها ولا تلبس من المطارف الا ما يزينها .

وبهذه الروح الأدبية والقلم القوى تولى المطرزى شرح المقامات ، ولم يسترسل فى شرح أكثر ألفاظها كما صنع غيره ، ولكنه تناول بالشرح ما غلب عليه الغموض والغرابة من ألفاظها وعباراتها واشاراتها بالقدر الذى يكشف عن المعنى ، وتجنب الحشو والاستطراد، وجمع بعض موضوعات العلوم ، وغلبت عليه ثقافته اللغوية والنحوية فتعرض لبعض مسائل النحو واللغة والبلاغة ، وحاول فى شرح الألفاظ اللغوية أن يرجع بها الى معانيها الأصلية ليعقد الصلة بينهـا وبين المعنى المراد ، كما حاول أن يكشف عن معانى الاستعارات والكنايات بالطرق الفنية المعروفة لأرباب هذه العلوم ، وفى كل ذلك برزت ثقافة المطرزى اللغوية والنحوية .

وشرح المطرزى على المقامات شرح موجز اقتصر فيه على ما يحتاج الى الشرح منها كما ذكرنا ، ويقول فى تعليل ذلك : ولما خرج ــ كتاب المقامات ــ مقبول النظام ، متداولا فيما بين الأنام ، أكب أبناء زماننا على تحصيله ، وواظبوا على تفهم جملته وتفصيله ، غير أن أكثرهم ربما خبطوا فيه خبط عشواء ، اذا وقعوا منه فى معضلة عمياء ، ولا يهتدون الى سواء السبيل ، بل يترددون فى تيه بلا دليل، فأردت أن أخوض فى عبابه ، وأروض لبعض طلابه ، ما تعسر من صعابه ، وأسهل مسالك شعابه ، وآتى كل معمى من بابه ، واستكشف كل غامض ، واستخرج سر كل حلو وحامض، وافصل ما اجمل ، وأبين ما أغفل ، وأحل ما أشكل ، بعد أن تصفحت قوانين الأدب ، وقليت دواوين العرب ، ونفضت أوعية الحكايات ، وقطعت أودية الروايات ، مع مراجعة الشيوخ الذين عضوا فى العلم بنواجزهم ، ورموا غرض الاصابة بنوافذهم ، فحين صمم عزمى ، وصاب سهمى ، حكيت من مقالاته ، ما غلب على ظنى أنه من مشكلاته ، ففسرته بتفسيركاف ، وحللت عقده ببيان شاف .

وانا نورد هنا أنموذجا من هذا الشرح . قال فى شرح بعض عبارات المقامة الأولى : « هدرت شقاشق ارتجاله » هى جمع شقشقة وهى فى الأصل لهاة البعير يخرجها من فيه اذا هدر . قال الغورى : ولا يعرف منه فى غير تلك الحال . ثم لما شبه الفصيح بالجمل الهادر

الإيضاح

شبه لسانه بالشقشقة . وارتجال الخطبة أنه يتكلم بها من غير أن يكون هيأها من قبل ، وكأنه من ارتجال الفرس أو من ترجيل الشعر . « السادر » هو الذى تاه فى غيه وتحير . وقيل : هو الذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع ، من السدر وهو فى الأصل تحير البصر ، ومنه السمادير وهو ضعيف البصر عند السكر والدوار ، والميم زائدة . «الغلو» العلو والسرف ، يقال : خفض من غلوائك . وقال ابن فارس : وهو أنه يمر على وجهه جامحا . وأنشد :

لم تلتفت للداتها

ومضت على غلوائها

وغلو الشباب : أوله . وهذا التركيب يدل على الارتفاع ومجاوزة القدر ، ومنه الغلو فى الأمر والغلاء فى السعر والمغالاة والغلا فى الرمى وتغالى النبت لارتفاعه ، وأما الغالية من الطيب فانما سميت بذلك لأنها غالبة فى القيمة — وهى من الصفات الغالية .

« السادل ثوب خيلائه » يقال سدل الستر اذا أرخاه ، وستر مسدول ومسدل وأرخى الليل سدوله وسدل وستر أخوات ، والخيلاء فعلاء من الخال وهو الكبر ، ومنه قول الشاعر:

فخل وان كنت للخال فاذهب فخل

واختال فى مشيته وتخيل وخايله فاخره ومنه سميت الخيل لاختيالها فى المشى .

وقد لقى هذا الشرح قبولا من العلماء ومدحه بعضهم فقال :

مثل المطرز للحريرى * مثل المطرز للحرير

وشى حدائق لفظه * بزواهر الشرح النضير

فغدت دياجى المشكلا * ت تضىء كالصبح المنير

وقد سمى المطرزى شرحه بالايضاح ، أخذ عن الزمخشرى وبرع فى النحو واللغة والفقه على مذهب أبى حنيفة ، وكان خليفة الزمخشرى وكان معتزليا ، له المقامات والمغرب فى لغة الفقه ، ومختصر الاصلاح لابن السكيت .

وبمكتبة الأزهر نسخة من هذا الشرح تقع فى ١٧٨ ورقة من الحجم المتوسط ، تمت كتابته سنة ١١٢٩ هـ بخط شهاب الدين أحمد المنصورى خادم الشريعة بمدينة المنصورة من نسخة شيخه عبد الجواد الشربينى التى كتبها بخطه سنة ١٠٦٥ هـ .

وان هذا الشرح جدير بعناية العلماء والناشرين ، وبه على اختصاره كثير من دقائق اللغة والنحو ، وحاجة الخاصة اليه أشد ، وفائدتهم به أكمل .

وللمطرزى فى كلمة الختام عبارات تحتاج الى اغماض الطرف اذ يقول : « انه لم يسبقنى اليه احد فاحذو بمثاله ، وانسج على منواله ، بل جمع مخترع ، وصنع مبتدع ، فلقد شرحت المقامات قبله شروحا كثيرة كما ذكر صاحب كشف الظنون» .

محمد عميره على

مدير مكتبة الأزهر

في اللغة والأدب والنقد

- مسائل في النداء
- الشعر الجديد
- البرد والنقد في شعر ابن الحكومة!
- الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر مشاكل الحكم والتوجيه
- مع رسالة جامعية

٢- مسائل في

مقدمة : النداء مصدر نادى ينادى الرباعى المزيد بالألف بين الفاء والعين ، ووزنه (فَاعَل)(١) وهذا الوزن من الرباعى له مصدران هما (الفعال والمفاعلة) الا اذا كان الفعل مثالا يائى الفاء ، فيمتنع منه مجيء الفعال ، ولا يجيء الا المفاعلة فقط ، مثل : يا من ، وياسر فللنداء مصدر قسيمه فى الشركة ، وهو (مناداة) ، وهكذا كل فعل من هذا الوزن — غير ما استثنى — مصدراه هما (فعال ، ومفاعلة) قال ابن مالك : لفَاعَلَ (٢) الفعال والمفاعلة . وغير مامر السماع عادله .

* معنى النداء :

النداء : لغة : الدعاء بأى لفظ كان .

واصطلاحًا : طلب الاقبال بحرف نائب مناب (أدعو) ملفوظ به أو مقدر ، والمراد بالاقبال : ما يشمل الاقبال الحقيقى ، نحو (ياحسين انهض لرد الظلم) .

والمجازى المقصود به الاجابة نحو (يا الله)

وفى النداء لغات : أشهرها كسر النون مع المد ، يليها الكسر مع القصر ، ثم الضم مع المد وَثَمَّ لغة رابعة ، وهى الضم مع القصر وهى أضعفها ، وبعضهم لم يلتفت اليها .

وأركان النداء أو مكوناته ثلاثة : منادى بكسر الدال ، وهو طالب الاقبال والاستجابه ممن يناديه ، ومنادَى بفتح الدال ، وهو الشخص أو الشىء الحسى أو المعنوى المميز حقيقة أو تقديرا المطلوب اقباله ، حقيقة أو مجازاً ، نحو (يا على أحسن الى جارك) و (يا أرض ابلعى ماءك) .

وأداة يتوصل بها الى ادراك تلك الغاية ، وهى ما يطلق عليه حروف النداء ، أو أدوات النداء .

وحروف النداء عديدة منوعة منها (يا ، وأيا ، وهيا ، (وَأَىْ ، والهمزة ، مقصورتان وممدودتان) ، وَوَا فجملتها ثمانية .

وهى مختلفة فى مبانيها واستعمالاتها :

فيا وأيا وهيا ، وآى (٣) وآ لنداء البعيد وشبهه والهمزة المقصورة للقريب ، ووا لنداء المندوب ، وهو المتفجع عليه أو المتوجع منه « ويا » هى أم الباب ورأس هذه الأدوات وأعمها استعمالا ، لأنها تدخل فى كل نداء ، وتتعين مع لفظ الجلالة ، والمستغاث به ، ومع (أيها وأيتها) ، وتستعمل أيضا فى نداء المندوب عند أمن اللبس ، فان خيف اللبس ، امتنعت (يا) وتحتم استعمال (وا) .

وذهب المبرد الى أن : أيا وهيا فقط للبعيد ، وَأَىْ والهمزة مقصورتين وممدودتين للقريب « ويا » للنوعين معًا .

---

(١) بفتح الفاء ممدودة ، وفتح العين
(٢) نفس الوزن

(٣) أى بمد الهمزة مع ياء ساكنة ، وآ : بمد الألف

النداء

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

وذهب ابن برهان الى أن : أيا وهيا للبعيد والهمزة مقصورة وممدودة للقريب ، وأىْ ، مقصورة وممدودة أيضا للمتوسط ، « وَيَا » للجميع .

واتفقوا على أنه يجوز نداء القريب بالأدوات الخاصة بنداء البعيد لتنزيله منزلته بقرينة أو لتوكيد النداء ايذانا بأن الأمر الذى يراد بالنداء مهم جدا ، وجدير بكل عناية .

كما يجوز أيضا نداء البعيد بما ينادى به القريب اذا ما نُزِّلَ البعيد منزلة القريب بقرينة لفظية أو حالية .

المُعَرَّفُ بالقصد والاقبال ، بناؤه وسببه

المنادى المفرد المعرف بالقصد والاقبال يبنى بناء متجددا بالنداء ، فيبنى على ما يرفع به نظيره ، أو مايرفع به هو لو كان معربا من ضم ظاهر أو مقدر أو حرف نحو (ياتاجرُ اشكُرْ) : (يا واقف اجلس) و (يا ساعى تمهل) و (يافتى أتقن عملك) و (يارجلان ارحما الضعيف) و (يا أحمدان لا تفارقا الجماعة) و (يامسلمون استمسكوا بالفضيلة) و (يا محمدون أدوا حقوق الوطن قبلكم) و (يا مؤمنات احفظن الأمانة) فَلِمَ بنى هذا النوع من المنادى ؟ .

من المعلوم أن المنادى منصوب لفظاً أو محلا على المفعولية فهو مفعول به لفعل محذوف فنحو (يا طارق لا تدخل دون اذن) أو (يارجل قل الحق) أو (يا فارس لا تجهد مركبك) أصله أدعو طارقًا أو رجلا أو فارسًا ، فحذف الفعل « أدعو » حذفا لازمًا لكثرة الاستعمال ولدلالة حرف النداء عليه

مســــائل فى
النداء

وافادته فائدته وهذا الفعل المقدر يعمل فى المضمر كما يعمل فى الظاهر ، فكما يجوز أن تقول : أدعو طارقا أو رجلا يجوز أن تقول : أدعوك — على أن نداء المضمر المخاطب جائز

مع الخلاف فيه — والعامل واحد فى الحالين فطارق حينئذ ، أو رجل وقع موقع ضمير مبنى هو كاف الخطاب الاسمية المشابهة لفظا ومعنى للكاف الحرفية فى نحو : ذلك أو هنالك وهو مماثل لها افرادا وتعريفا . وانما ذهبنا الى القول بمشابهة كاف الخطاب الاسمية أى ضمير الخطاب للكاف الحرفية لفظا ومعنى لأن الاسم لا يبنى لمشابهته اسما مبنيا مثله ، وانما يبنى لمشابهة الحرف فلذا بنى طارق ونحوه لمشابهته الحرف مشابهة غير مباشرة بوقوعه فى موقع ضمير مبنى هو كاف الخطاب الاسمية المشابهة لفظا ومعنى للكاف الحرفية ، وانما تحققت المشابهة بينهما لفظا لأن كلا الحرفين : ضمير الخطاب فى أدعوك ، وحرف الخطاب فى نحو ذلك أو تلك أو أولئك ، انما

هو الكاف وأما المشابهة بينهما معنى فلأن كلا منهما تدل على الخطاب ، والفارق بينهما فى النوع فقط فهذه اسم وتلك حرف . وخرج بقولنا : انه مماثل لها افرادا : المضاف وشبهه ، وبقولنا وتعريفا : النكرة غير المقصودة لأنها لا تماثلها تعريفا .

وكان بناؤه على الحركة غالبا للاشعار بأن بناءه غير أصلى ، وكانت الحركة ضمة لأنه لو بنى على الكسر لالتبس بالمنادى المضاف الى ياء المتكلم عند حذف يائه اكتفاء بالكسرة ، ولو بنى على الفتح لالتبس به أيضا عند حذف

الفه المبدلة من ياء المتكلم اكتفاء بالفتحة ، ولو قيل : ان المنادى المضاف للياء يجوز فيه الضم عند حذف يائه فلا يحصل الفرق . أجيب بأنه قليل نادر فلا ينظر اليه .

الشبيه بالمضاف وما يتحقق به

الشبيه بالمضاف : هو ما اتصل به شىء يتممه بأن يكون معمولا له رفعا نحو (يا حسنا خُلُقُه) أو نصبا ، نحو (يا قاصدًا مكة) أو جرا نحو (يا غالبا على أمره) أو (يا ساعيا فى الخير) أو يكون معرفا بالقصد اى نكرة مقصودة ، منعوتًا بمفرده نحو (يارجلا كريما أقبل) أو جملة مثل (يا قادرًا يعفو عن المسىء) أو ظرفا نحو (يا سائرا أمام الركب تمهل) فمثل هذا المفرد المعرف بالقصد الموصوف بواحد مما سلف هو من قبيل الشبيه بالمضاف كما يفيده قول صاحب الهمع :

« أما النكرة الموصوفة بمفرد أو جملة أو ظرف فمن شبيه المضاف فتنصب » .

ويؤيد هذا ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم فى سجوده (يا عظيما يرجى لكل عظيم ، ونحو يا حليما لا يعجل حيث ان النداء ورد على الموصوف والوصف مما أى أنه طرأ بعد

الوصف بالصفة فعمل الموصوف وهو المنادى فيما بعده وهو الصفة فصار بهذا من الشبيه بالمضاف الواجب النصب .

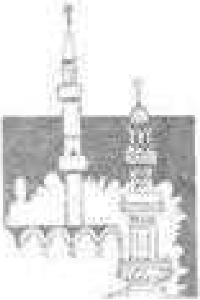
ومن هذا يتبين أن الشبيه بالمضاف لاينحصر فيما عمل فيما بعده أو عطف عليه ما بعده بل منه أيضا النكرة الموصوفة بمفرد أو جملة أو ظرف كما تجلى ذلك فيما سبق .

ويرى الموضح (١) فى الجملة الواقعة بعد المنادى النكرة فى نحو : « ياحليما لا يعجل » ، « ويا عظيما يرجى لكل عظيم » أن الجملة المذكورة حال من الضمير المستتر فى الوصف وهو المخاطب بالنداء لا نعتا للمنادى حال نصبه ، وهى حينئذ عاملة فيما بعدها فهو من من الشبيه بالمضاف الواجب النصب ، وفيه رد على ابن مالك حيث جعل الجملة نعتا .

ومن أنواعه أن يكون معطوفا قبل النداء نحو (يا ثلاثة وثلاثين) فيمن سميته بالكلمتين أى بمجموع المعطوف والمعطوف عليه معا فيجب نصبهما اتفاقا للطول ، أما نصب ثلاثة فلأنه شبيهبالمضاف من حيث ان الثانى من تمام الأول لأن التسمية وقعت باللفظين مع حرف العطف ، وحرف العطف يقتضى معطوفا ومعطوفا عليه ، وهو بمنزلة العامل ، فصار كأنه بعض اسم عمل فى آخَرَ فأشبه (يا راكبا جَمَلاً) وأما نصب ثلاثين فبالعطف على ثلاثة المنصوب ، ويمتنع ادخال (يا) على ثلاثين لأنه جزء العَلَم الثانى مثل : شمس ، من عبد شمس ، وهذا لا تدخل (يا) عليه .

واذا ناديت جماعة تلك العدة عدتها نصبتهما

(١) ابن هشام صاحب التوضيح



وجوبا ان كانت تلك الجماعة غير معينة ، لأن الأول نكرة غير مقصودة ، واجب النصب والثانى معطوف على المنصوب .

وان كانت معينة ضممت الأول ، وعرفت الثانى بأل وجوبا ونصبته أو رفعته ، لأنه اسم جنس أريد به معين فوجب ادخال أداة التعريف عليه وهى « أل » ولم يكتف بحرف النداء لأنه لم يُبَاشِرْهُ ، ثم نصبته عطفا على محل الأول اذ محله النصب كأى منادى مبنى ، أو رفعته عطفا على لفظه ، الا ان أعدت معه (يا) فحينئذ يجب ضمه وتجريده من أل لأنه لا يجمع بين : «يا» و «أل» ، الا مع لفظ الجلالة ، والجمل المحكية المصدرة بأل .

نداء ما فيه أل

نداء الاسم المقترن بأل غير جائز لأن نداءه يفيد التعريف ، وأل للتعريف ، ولا يجمع بين معرفين فلا يقال (ياالغلام) عند البصريين ، الا أن هناك أربع حالات يتخلف فيها هذا

مسائل في
النداء

الحكم ويسوغ نداء ما فيه ال .

الأولى : اسم الجلالة ، وهو مجمع عليه تقول في ندائه (يا الله) باثبات الف يا وألف اسم الجلالة ، (ويالله) بحذفهما (ويا لله) بحذف الثانية فقط وابقاء الأولى ، وعلة نداء اسم الجلالة مع وجود ال فيه أن ال لا تفارقه ، وهي عوض من همزة (اله) فصارت بذلك كأنها من نفس الكلمة ، وهذا التعليل يناسب اثبات ألف الجلالة في النداء

والأكثر في نداء الجلالة أن يحذف حرف النداء ، وهو (يا) خاصة وتعوض عنه الميم المشددة في آخره ، تقول في ندائه (اللهم) بحذف حرف النداء وزيادة الميم في الآخر ، ولم تزد مكان المعوض لئلا تجتمع زيادة الميم وال في الأول ، وخصت الميم لأنها قد كثرت زيادتها في الآخر عوضًا عن كثير مما يحذف ، وأيضًا للمناسبة بينهما ، فان (يا) للتعريف والميم تقوم مقام لام التعريف في لغة حمير .

وما ذكر من أن الميم عوض عن « يا » هو مذهب البصريين ، وذهب الكوفيون الى أن « الميم » بقية جملة محذوفة هي : أُمَّنَا بِخَيْرٍ ، وليست عوضا عن حرف النداء ، ولهذا أجازوا الجمع بينهما في السَّعَة . ويبطله أنه حذف على غير قياس وقد التزم ، وأنه لا يمتنع : اللهم أمنا بخير وقد يجمع بين « يا » و « الميم » المشددة في ضرورة الشعر كقول أبي خِرَاش الهُذَلي :

اني اذا ما حَدَثٌ ألما
أقول يااللهما يا اللهما

وقد اختلفوا في اعراب (اللهم) فقال فريق :

هو منادى مبني على ضم ظاهر على الهاء في محل نصب حذف منه حرف النّداء وعوض عنه الميم .

وقال آخرون ويحتمل أن يكون مبنيا على ضم مقدر على الميم لأنها صارت كالجزء منه

فيكون جعل حركه البناء على الميم كجعل حركة الاعراب على الهاء في (عدة ، وزنة) بجامع العوضية في كل ، لكن هناك فرقا بين المسألتين ، وهو أن التعويض في (عدة وزنة) عن جزء كلمة ، وفي « اللهم » عن كلمة مستقلة وكما تستعمل (اللهم) في النداء المحض كما مر فانها تستعمل على وجهين آخرين :

أحدهما : أن تذكر لتمكين الجواب في نفس السامع كما لو سأل سائل : أعلى مسافر ؟ فيجيب المسئول : اللهم نعم ، أو اللهم لا .

الثاني : أن تستعمل دليلا على الندرة وقلة وقوع الحدث كقولك لمن لا يهوى زيارتك (أنا لا أزورك الا أن تدعوني) مشيرا بذلك الى أن حدوث الزيارة مصحوبة بدعوة اليها قليل نادر .

وهل خرجت (اللهم) في الموضعين الأخيرين عن النداء كلية ، وأنها أصبحت فيهما لا معربة ولا مبنية لعدم التركيب ؟ قال بذلك قوم ، وقال آخرون : لا نُسَلِّمُ خروجها في الموضعين

عن النداء كلية ، بل يجوز أن تكون فيهما للنداء مع التمكين أو الندرة ، ولئن سُلِّمَ خروجها

عن النداء بالكلية فلا نسلم أنها معربة ولا مبنية ، لأن خروج الكلمة عن وظيفتها الأصلية لا يستلزم خروجها عما تستحقه من اعراب أو بناء أو تركيب فالأصوب أنها باقية على تركيبها ، وأنه يمكن أن يقال فيها : اللهم منادى على ضم ظاهر على الهاء في محل نصب الى آخر ما مر .

وهل يجوز وصف (اللهم) ؟ سيبويه منع وصفه كما لا يوصف غيره من الأسماء المختصة

بالنداء ، وأجازة المبرد مستدلا بقوله تعالى (قل اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) ، وخرجه سيبويه على أنه نداء مستأنف ، وعللوا مذهب سيبويه بأن (اللهم) بالاختصاص والتعويض خرج عن كونه متصرفا وصار مثل حَيَّهَلْ ، وأصبحت الميم بمنزلة صوت مرتبط باسم آخر مع بقائهما على معنييهما بخلاف نحو سيبويه وخالويه حيث صار الصوت جزءا من الكلمة .

الثانية ــ الجمل المحكية المبدوءة بال نحو (يا القادم سعد) لمن سمى بذلك ، فانه بمنزلة تأبط شرا ، لا يتغير عن حاله حيث سد عمل بعضه في بعض .

ويلحق بالجمل المحكية ماسمى به من موصول مبدوء بال في مذهب المبرد نحو (يا الذى قام ، ويا التى قامت) لأنه في رأيه محكى ، وقد عمل بعضه في بعض ، ومنعه سيبويه سواء سمى به مع صلته أو بدونها . وفرق بينه وبين الجملة بأن (الذى قام) محكى بحالته

قبل التسمية ، وهو قبلها لا ينادى لوجود أل ، وذلك المانع باق والموصول مع صلته

بمنزلة اسم واحد كالحارث ، بخلاف نحو (يا القادم حسن) فليس المانع من ندائه قبل التسمية وجود أل فيه بل كونه جملة وهذا المانع قد زال بالتسمية .

فان قيل : المانع شيئان : الجملة وأل ، فان زال أحدهما بقى الآخر ، قلنا : ان صح هذا امتنع نداؤه ولكن حيث قد سلمنا بجوازه تعين أن المنادى هو الجملة المحكية بمجموعها ، وأل ليست داخلة على مجموع الجملة بل على جزء الاسم فماثلت لو سميت شخصا (بعبدنا المنطلق) وأما « الذى وصلته » فيحكى حكاية المفردات لا حكاية الجمل ، فالمنادى اذن هو الذى دون صلته ، والاعراب على هذا يقدر في آخر الذى حتى انك اذا سميت انسانًا (بأيهم لقيته) وهي موصولة لم تحك اعراب الرفع في « أىّ » بل تعربها بحسب العوامل تقول : حضر أيهم لقيته ، وشاهدت أيَّهم لقيته

ومررت بأيهم لقيته ، كما انك اذا سميت باسم مفرد عامل فيما بعده حكيت ذلك الاسم المفرد العامل فيما بعده بحالته باعتبار بقاء عمله فيما بعده ولما كانت صلة الموصول لا دخل لها في

مســائل فى

النداء

ذلك ، وغير معتد بها فى النداء ، مَثّلَ «الموضح» لتلك الحالة بالموصول مجردا عن الصلة ، وهو فى هذه الحالة ليس كالجملة لعدم عمل بعضه فى بعض فيمتنع نداؤه قولا واحدا لقيام المانع وهو وجود أل ، وانتفاء عمل بعضه فى بعض.

الحالة الثالثة ــ لجواز نداء ما فيه «أل» : اسم الجنس المشبه به نحو (يَا الأَسَدُ شِدَّةً) قال فى التسهيل : تقديره (يامثل الأسد) فلذلك

ساغ دخول «يا» عليه لأنها فى التقدير داخلة على مجرد من أل ، ويرى الشاطبى أن ما قاله

الناظم فيه نظر ، اذ ليس تقدير لفظ «مثل» بمزيل لقبح الجمع بين«يا»«وأل»لكن تقدير

ابن مالك صحيح سائغ ومزيل للقبح ، ويحتج له بالمثل المشهور (قضية ولا أباحســن لها) أى ولا مثل أبى حسن لها ، فلولا أن تقــدير مثل مزيل لقبح دخول (لا النافية) على المعرفة لـما كان لهذا التقدير وجه مقبول ، وللزم عمل «لا» فى المعرفة ، وهو غير جائز .

الحالة الرابعة : دخول حرف النــداء على المقترن بأل لضرورة الشعر ، كما فى قوله :

عباس يا الملك المتــوج والــذى
عــرفت له بيت العــلا عدنان

فجمع بين «يا» ، «وأل» فى الشعر ضرورة، ولا يجوز ذلك فى النثر خــلافا للبغـــداديين والكوفيين ، فقد أجازوا ذلك نحــو (يا الرجل) وحجتهم فىذلكالقياس والسماع ، أما القياس

فقد جاز باجماع (يا الله) فيجــوز اذن (يا الرجل) قياسا عليه بجامع أن كــلا منهما متصل بأل وهى ليست من أصــل الكلمة . فمــا جاز فى أحدهما يجوز فى الآخر ، وأمــا السماع فقد أنشدوا عليه قوله :

فيا الغــلامان اللــذان فَرّا
ايا كمــا ان تُكْســبَانَا شَرّا

وليس فيه ضرورة لامكان قائله ان

يقول : « فيا غلامان اللذان فرا دون أن يحدث خلل فى وزن الشـعر واجـاب المانعــون عن القيــاس بالفــرق بكثرة الاستعمال فى اسم الجلالة خاصة ، وعن السّماع بالشذوذ ،

يتبع

أحمد حسن عبد العواض هلالى

الشعر الجديد

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

ــ كل تراثنا الشعرى يتمثل فى القصيدة العربية العمودية التى ورثناها عن امرىء القيس وحسان وجرير والبحترى والمتنبى والبارودى وشوقى وأضرابهم من الشعراء الذين أغنَوْا الشعر العربى ، ولقحوه بالأخيلة الطريفة ، والمعانى الجديدة ، والأغراض المتنوعة ، والأساليب العربية الأصيلة ، وبالموسيقى المأثورة ذات التفاعيل الارتكازية العذبة ، التى كشف عن أصولها الخليل بن أحمد (١٧٠ هـ) ، وعن لفيف ممن تابعوه من نقادنا الأصلاء ، الذين أضافوا الى أوزانه أوزانا أخرى شبيهة بما كشف عنه الخليل من بحور .

ان كل هذا التراث الشعرى الأصيل جزء من كيان القصيدة العربية ، التى لاتسمى قصيدة شعرية حتى تكون أبياتها من بحر شعرى واحد ، وحتى تلتزم فيها قافية واحدة .

***

وان كان شعراؤنا المعاصرون بتأثير الرغبة فى التجديد ، وتسهيلا على أنفسهم من قيود الفن والتزاماته ، أجازوا لأنفسهم أن تشتمل القصيدة على عدة أوزان ، اذا تعددت

الشعر الجديد

مواقفها وأفكارها ، ونظموا من ذلك قصائد عدة ، من أشهرها قصيدة « الشاعر والسلطان الجائر » لايليا أبي ماضي .

كما أجازوا كذلك تعدد القوافي في القصيدة الواحدة مجاراة لفن الموشحات الأندلسي ، وتحرروا بذلك من سلطان القافية . فجعل الكثير منهم لكل مقطع قافية ، إذا كان كل مقطع يمثل تيارا فكريا متميزا في القصيدة .

***

ومع ذلك بقي للقصيدة العمودية سلطانها العظيم لموسيقاها المؤثرة ، ونغمها الموقع ، وجمالها الشيء الأخاذ .

والفن هو الفن ، لابد فيه من القيود ، والمثل الفرنسي المشهور يقول : « لايحيا الفن بغير قيود » ، فمن خلال القيود الفنية تظهر عبقرية الشاعر وموهبته الأصيلة ، وعمق تكوينه الفني المتميز .

***

ومع ذلك ففي تراثنا الشعري : نظام الأرجوزة ، وعكس البحور المعروفة ، والأوزان التي أحدثها المولدون ، والموشحات والمسمط ، والمربعات وما شاكلها ، .. وفيه كذلك الكثير مما أضيف الى هذا التراث في مختلف العصور ، وبخاصة في عصرنا الحديث .. ومنه تنويع القافية ، وتنويع الوزن في القصيدة الواحدة ، كما ذكرنا ، مع بقاء الروح الشعري الأصيل للقصيدة ، وبقاء هيكلها العربي العمودي ذي التأثير الموسيقي الرفيع .

٢ ــ وبدأت مدارس الشعر الجديد تدعو الى التجديد في القصيدة الشعرية :

فدعا مطران ومدرسة « أبولّو » الى « الشعر المرسل » المطلق من التزام القافية والى الشعر الحر ، لتصبح القصيدة العربية ــ كما يقولون ــ أكثر مرونة وطواعية فيما يرى الشاعر ، وليمكن استخدامها في الشعر القصصي والمسرحي والملحمي الطويل النفس ، ولتكون أكثر تعبيرا عن ذاتية الشاعر ومشاعره العميقة .

حجج كثيرة ، برروا بها هذا التجديد ، وان كان شوقي قد طوع القصيدة العمودية ، فجعلها صالحة للشعر القصصي والمسرحي ، وكذلك فعل أبو ماضي وعزيز أباظة وغيرهما .

***

والقافية لم تحل بين الشعر العربي القديم والحديث وبين ظهور الملاحم فيه ، ومن مثل ذلك قصيدة ابن المعتز (٢٤٧ ــ ٢٩٦ هـ) أو ملحمته في ابن عمه الخليفة المعتضد بالله العباسي (٢٧٩ ــ ٢٨٩ هـ) ، وقصيدة ابن عبد ربه الأندلسي (ــ ٣٢٨ هـ) في الخليفة الأموي الناصر لدين الله (٣٠٠ ــ ٣٥٠ هـ) ، وملحمة حافظ ابراهيم (١٨٧٢ ــ ١٩٣٢) العمرية ، وملحمة أحمد محرم (ــ ١٩٤٥) المشهورة « الالياذة الاسلامية » وقصيدة شوقي (١٨٦٩ ــ ١٩٣٢) في دول الاسلام ، وغيرها فالشاعر الموهوب لاتعوقه أبدا قيود الوزن والقافية ، كما يقول الدكتور أحمد زكي

أبو شادى (١٨٩٢ ــ ١٩٥٥) فى مقدمة ديوانه « الينبــوع » .

ولكن الداعين الى التجــديد ، وباسـمه ، تحدثوا عن هــذا الشعر الجــديد ، وان لم يحددوه ، وان اختلفوا فى فهمه وتصــوره ، ومن بينهم العديد من الكلاسيكيين الاتباعيين، كالزهاوى والرصافى (ــ ١٩٤٥) .

والكثير من الرومانسـيين ، كمطـــران (ــ ١٩٤٩) ، وعبـد الرحمن شــكرى (ــ ١٩٥٩) ، وابراهيم عبد القــادر المازنى (ــ ١٩٤٩) ، والعقاد (ــ ١٩٦٤)، وغيرهم.

ودعا أحمد أمين (١٨٨٦ ــ ١٩٥٤) الـى التجديد فى عنصرى الوزن والمعنى معا ، ليكون الشعر مع العصر .

ورأى الزهاوى أن القافية فى القصيدة تمثل حــركة النادب فى نهــاية كل مقطع من مقاطع حزنه .

ورأى د. زكى المحاسنى (ــ ١٩٧٢) فى كتابه « نظرات فى أدبنا المعاصر » أن وحدة القافية فى القصيدة العربية تشـبه شــكل الصحراء العربية ، نفسها ، التى تمتد ساحة منهــا وراء ساحة ، فى تماثل كامل ، يشبهه سرد القصيدة العربية ــ الجاهلية .

وهناك شاعر من رواد النهضة الشعرية فى فرنسا هــو « لويس أراجــون » نظم بعض قصائده على نهج قريب من النهــج الشعرى العربى . وعد ذلك كشفا جديدا ، فقسم بيته الى مصراعين وقفاهما تقفية عربية .

٣ ــ وبدأت الدعوة الى الشعر الجديد أو الحر ، أو المنطلق ــ على اختلاف فى اسمه ــ تظهر بين بعض النقاد والشعراء المعاصرين ، ومن بينهم مطران (ــ ١٩٤٩) ، وأبو شــادى (ــ ١٩٥٥) .. وان لم يحددوا معنى هــذا الاصطلاح تحديدا تاما ، والأرجح أنهم أرادوا به الشعر المتحرر من بعض القيــود الفنية الصعبة ، كالوزن والقافية .

على أن هذه الدعوة تأثرت فى أكثر الأمــر بمذهب الشــاعر الامريكى « والت هوتمان » الذى هجر الأوزان فى معظم شعره ، وكذلك لم يهتم بالقافية ، ووجــه جل اهتمامه الى الايقــاع الموسـيقى للشــعر ، وكان بعض الشعراء فى أوربا قد شكوا فى ضرورة الوزن للشعر ، وان لم يلق رأيهم أنصارا كثيرين فى أمريكا وفى بلجيكا ، بل لم يصادف رأيهم نجاحا يذكر فى انجلترا وفرنســا .

وفى عــام ١٩١٧ نشر « اليوت » ديوانــا شعريا خرج فيه على نظام الشعر القــديم وزنا وقافية .

الشعر الجديد

ونظم من الشعر الجديد مايكوفسكى وبعض الشعراء .

ونحن نعلم أن فى أوربا مدارس أدبية تتبنى تحطيم القديم بحثا عن شىء جديد ، من مثل مدرسة التعبيريين ، ومدرسة العبثيين ، وغيرهما . وفى مجموعة « فجر الانسانية » التى أصدرها الشعراء التعبيريون صدى لذلك .

ومع ماوصلت اليه القصيدة العمودية من تخفيف القيود الفنية المفروضة فيها على أيدى المعاصرين لم يكن هناك حاجة أو ضرورة الى شىء آخر ، مع أن الفن هو الفن لابد فيه من القيود ، ولايحيا الفن بغير القيود ، بل ان الفن عند نيتشه هو اللعب بالقيود والمهارة فى هذا اللعب .

ولاننسى أن القصيدة العمودية بعروضها الموروثة قد قلدها الشعر الفارسى والتركى ، بل والعبرى أيضا كما أنها استخدمت فى كل أنواع الشعر : الغنائى والقصصى والملحمى والمسرحى ، وبذلك صارت مطواعة للتعبير عن مطالب الحياة وأفكار الشاعر .

ولقد غالى بعض الدعاة الى الشعر الحر ، فزعموا أن عمود الشعر قد انتهى الى الأبد ، وانتهت معه القصيدة العمودية الى غير رجعة كما يتصورون وانتهى معهما الشعراء العموديون بلا رثاء أو بكاء أو وفاء بكأنما هم أعداء لايستريح شعراء الشعر الحر الا اذا أجهزوا عليهم . ودعا لويس عوض الى تحطيم الشعر تحطيما كاملا . ورأى بعض أبواقه أن الشعر هو الشعر الجديد . وماعداه ليس شعرا على الاطلاق .

***

٤ ــ والخروج على الوزن الشعرى مع ملاحظة تنغيمات موسيقية خاصة سمى شعرا حرا عند أبى شادى والسحرتى ، الذى يقول : ليس الشعر الحر ضربا من الفوضى ، بل ان له صناعة فنية تخلق ايقاعات موسيقية، وان خالفت الايقاعات التقليدية الموروثة .

وسماه السحرتى شعر اليوم والشعر الحر ثم صار الشعر الحرفى رأى نازك الملائكة فى كتابها «قضايا الشعر المعاصر» لا يطلق الا على تنويع التفعيلات فى أشطر القصيدة ، ولباكثير ومحمد فريد أبو حديد ، وسهير القلماوى وأبى شادى ، ولويس عوض ، والمازنى وغيرهم تجارب كثيرة تمثل أولية الشعر الجديد أو الشعر الحر .

***

ومن الشعراء الذين ينظمون الشعر الحر من يتأثرون بالطريقة القديمة ، فيلتزمون فى أحيان كثيرة القافية ، كنزار قبانى والفيتورى ومنهم من يتركها كنازك الملائكة ، وبدر شاكر السياب والبياتى .

وكان بعض الذين ينظمون منه يقيدون أنفسهم بالشكل الهرمى ، فيبدأون البيت الأول بتفعيلة ، والثانى بتفعيلتين ، والثالث بثلاث ، والرابع بأربع ، والخامس بخمس تفاعيل . ثم يعودون فى البيت بعده الى أربع تفاعيل ، فثلاث فاثنتين ، فواحدة . والكثير لا يقيد نفسه بهذا الشكل الهرمى فيختار بحرا من البحور ذوات التفعيلة الواحدة ويجعل البيت مستقلا بمعناه سواء أداه الشاعر بتفعيلة أو بأكثر ، فقد يكون البيت عندهم عشر تفاعيل وقد يكون تفعيلة واحدة .

ومن شعراء الشعر الجديد ـ الحر ـ من لا يقيد نفسه ببحر من البحور ، ويتوهم موسيقى داخلية خاصة به ينظم عليها قصيدته ..

وهكذا صار الشاعر (الحر) لايتقيد بنظام التفاعيل العروضية ، ولا يقيد البيت الشعرى بنظام الشطرين ، وكان التفعيلة العروضية هى الاناء الموسيقى للشعر الجديد ، وذلك يسمى شعر التفعيلة وان كان البعض يترك التفعيلة نهائيا باسم التجديد .



وهكذا صار الشعر الحر تغييرا كاملا لنظام القصيدة العمودية ، أصبح يحاول اسدال الستار على تراثنا الشعرى كله ، دون أن يملك الموسيقى أو العروض الشعرى الذى يبرر له أن يزعم ذلك ، ودون أن يملك زمام التأثير على الجماهير ، وعلى أذواق الناس ومشاعرهم،ودون أن تصمد قصيدة من قصائده لروح الغناء والفن الأصيلة .

ـ للبحث بقية ـ

د . محمد عبد المنعم خفاجى

البرد والنقد .. في شعر

فجأة انهمر المطر فشغلني عن النظر في الكتاب الذي بين يدي ، ونظرت من النافذة ، فرأيت خيوطا منسوجة متتابعة ، وكان الكتاب الذي بين يدي « ضحكات صارخة » للكاتب الراحل « محمد عفيفي » وتصادف أني أقرأ فيه « الناس والمطر » وبدا لي أن أوازن بين قوله ومنظر المطر ، فوجدته سعيدا به ، ثم اكتشفت حزنه حين تحدث عن الطبقة الفقيرة ، والقيت الكتاب بجانبي ، وتذكرت أن للشاعر على الجندي ــ رحمه الله ــ قصيدة كنت اقتطعتها من جريدة الأهرام سنة ١٩٤٩ فيها حديث عن المطر وشكوى منه ، فأخذت في البحث عنها ، وعثرت عليها بين أوراق كتاب قديم ، فوضعتها أمامي ، وقلت في نفسي : ما أعجب المصادفات ، وراقني أن أتخذ من قصيدة على الجندي مقالا أدبيا ، لأن شعره يستحق النظر والتأمل ، وكان عنوانها عجيبا أيضا هو : « البرد والنقد » ولك أن تسأل : ما صلة البرد بالمال وهو النقد كما يراه ، والشاعر سيجيبك عن سؤالك ، فلا تتعجل الأمور ، فهي رصينة ورزينة ، ومعنى هذا أننا سنتعامل معها بصفاتها وملابساتها ومنهج ناظمها ونظرته الى الحياة وأنت حين تقرؤها تعترف بأنها صالحة لأن تكون من نظم هذه الأيام ، فهي تتحدث عن شيء نحس به ونعبر عنه ، والصحف مليئة بأخباره .

وحين نظم على الجندي تلك القصيدة ونشرها في جريدة الأهرام كان في وظيفة مرموقة في ذلك الزمان ١٩٤٩ ، والعهد به أنه راض عن حياته الأدبية والفكرية وليس المال مما يشغل باله ويؤرق ليله ، فمنذ عرف الكتاب وهو يعيش في محرابه ، همه في ندوة أدبية ، أو اشتراك في مؤتمر يصول فيه الأدباء ويجولون ، أو في مصاحبة ديوان من الشعر أو ما الى ذلك مما يسيطر على فكر الأديب وتطلعاته .

وعلى الجندي أمره عجيب من صغره ، فقد ولد في (شندويل) من أسرة كريمة ، وغرق في بحر العلوم منذ صغره حتى اذا جلس لامتحان القبول بدار العلوم وسأله الممتحنون أجاب اجابات تدل على علمه وأدبه ، مما دعاهم الى توجيه السؤال له : ماذا تريد من دار العلوم وأنت عندك ما عندها ؟ قال : أريد شهادتها الدراسية .

وانتظم في تلك الدار ، فكان في سنواتها مضرب المثل في الجد وكسب العلم والمعرفة ، وتخرج ، وصار مدرسا للغة العربية ، وحدثني أهل سوهاج عنه بأنه كان يجمع تلاميذه بعد الدراسة بجامع (العارف) ليشرح لهم



ابن الحكومة

للأستاذ السيد حسن قرون

الدروس ، ويبصرهم بشئون الحياة ، ونقل الى القاهرة ومازال يتقلب فى الوظائف حتى كان (عميد دار العلوم) ومن ثم كان الأستاذ العقاد يناديه بالأستاذ العميد ، وبين كل أولئك كان ينظم الشعر ويخرج الدواوين ويؤلف الكتب ويشارك فى الحياة الأدبية بمقالات وقصائد فى الصحف والمجلات حتى توفى سنة ١٩٧٢ ، ونشرت له « مجلة الأزهر » مقالا بعد وفاته أظنه عن صلاة الجمعة .

وأنت حين تقرأ كتبه أو شعره تأخذ منه فكرا وعلما وأسلوبا ، لأنه قرأ أمهات الكتب وعاشرها كأنه هوكاتبها ولا يفوته ما تخرجه المطابع فى العصر الحديث ، أما شعره فيتصل بالحياة اتصالا وثيقا وان كان ينتهج أغراض القدماء من مدح ووصف وغزل ومداعبات ، وهو رجل رقيق الشعور ، جياش العاطفة يبكى لما يؤذى وان بدا لك هينا ، ويطربه المنظر الحسن والوجه الحسن والشعر الجيد ، ولك أن تضعه من حيث الشعر فى طبقة شعراء القرن الرابع الهجرى حيث كان المتنبى من أبرز شعرائه ، وقصاراه فى مذهبه أنه يحب الخير والحق والجمال ، والوفاء ألمع سماته . وقد زرته مرة واحدة حين كان يسكن فى حى شبرا ، ويومها لم نتحدث عن الشعر والأدب وانما تحدثنا عن العميد وما يجرى فيه .

وقد كانت قصيدة « البرد والنقد » مصورة لبعض عواطفه واتجاهاته ، وانطباع الحياة المعاصرة على وجدانه ، وأغلب الظن أنه قد جرى عليه ما يجرى على أمثاله من موظفى الحكومة حين يكثر أولادهم ، وتكثر مطالبهم ، ويصبح الكثير قليلا ، والقناعة التى هى كنز لا يفنى تطلعا الى كنز آخر وان كان يفنى ، ولو كان الأمر يخصه وحده لبقى مع القناعة ولم ينظم تلك القصيدة ، وهى من حيث المنهج تحتوى ثلاثة أفكار رئيسية : أثر البرد عليه ، وموازنة بين الأغنياء والفقراء ، وقيمة المال . أما عن أثر البرد عليه ، فقدقال فى تصويره :

أعوذ برب البرد من كَلَبِ (١) البرد
فقد ذقتُ منه فوقمالى من جهدِ (٢)
لبست ثيابى — وهى مما غزا البلى
فلم يغن عنى ما لبست ولم يُجْدِ
كأنى فيها (مِشْجَبٌ) او (كرنبة)
يلوح على أوراقها قدم العهد

---

١ — الكلب بفتح اللام الشدة
٢ — الجهد : الطاقة .

البـــرد والنمــد في شعـر ابـن الحكومة

الحت على أطـراف جسمي سياطه
فعلمني تلذيعها رقصـة القــرد
وخبّنـي في الجمر حتى لثمته
ومـا اعتـدت لثم الجمر الا على الخد
ثـلاثة أيـام قبعت خـلالها
بغـرفة نـومي لا اعيـد ولا ابـدي
توهمت فيهـا انني مت وانقضت
حياتي واني ـ طال عمرك ـ في اللحد

هذا هو المنظر الأول من الشكوى واثر البرد على جسمه ، اشتد عليه البرد ولا طـاقة له به ، ومن ثم عاذ بربالبرد ، كما يعوذ الانسان بربه من الشر ، والهتاف بالعياذ بالله من أول جملة يدلك على طلب العون والاستنجاد واللهفة على زوال المكروه ، وهو دقيق في استخدام اللغة ، فـ (عاذ) موضوعة للشر ، و (لاذ) موضوعة للخير ، وما هو فيه يستدعي العياذ بالله رب البرد ، الا ترى ثيابه وقد بليت ، وانه فيها متجب (شماعة) أو كرنبة وكرنبة ذبلت أوراقها ؟ وهو من رعشة البرد في رقصة القرد ، وبعد أن كان يلثم الخدود أو بتعبير أدق يلثم وجنة مثل الجمر في الحمرة صار من حبه للنـار يـود تقبيل الجمر ، وأكثر من ذلك حبسه البرد في غرفة نومه ثلاثة أيام أحس فيها أنه مات ولحد ، وقد دعا لقارئه بطول الحياة .. لوحة شعورية فيها الشكل والحركة واللون والصوت ، حال سيئة تستحق أن يعوذ فيها صاحبها برب البرد من شـدة البرد .

هل الناس مثله حين يشتد البرد وينزل المطر ؟ ان الجواب ما تراه ، فأصحاب الثراء يحبيهم البرد والمطر ، فلديهم الكساء والغذاء وعوامل الترفيه ، ولا تهمهم تغيرات فصول السنة ، ولا مصائر الأيام ، فهم يعدون لكل حال ما يناسبها لهم المصيف والمشتى ، ولهم الوقاية والعناية ، وأصحاب الفاقة يفرحهم المطر ويؤذيهم البرد ، ويتأثرون بأحوال الدنيا في الحرب والسلم ، في الشتاء والصيف ، تجد هذا مصحوبا بالرجاء والشكوى في الموازنة التي عقدها بين بني الثراء وبني الغبراء : وهم الفقراء :

اذا الشِتوة الهطلاء احيت بنى الغنى
فويح «بني غبراء»(١)من صِرّها (٢) المردى
ووا رحمتا « لابـن الحكومة » انه
يعيش شـقى النفس في جنة الخلد !
لقـد « وضـعت أوزارها » وهو لم يزل
ـ كما كان ـ الف البؤس والهم والسهد
تالب « فـلاّح » عليـه « وتاجر »
فلم يتركا فيه سوى العظم والجلد
سنون كأحـداق المها في سـوادها
حيينـا بهـا بين الأساود والأسد
لعل « ابن عبد الحق » يكشف ضرها
ويشرق فيها «يوسف» اليمن والسعد

هطلت الأمطار فلم تعط بنى الغنى الا الحياة الناعمة ، وأعطت بني الفقر بردا قارسـا ، وزمهريرا قاتلا ، وابن الحكومة في جنة الخلد يعيش شقيا معذبا ، والشاعر ابن الحكومة في

---

١ ـ بنو الغبراء : كناية قديمة عن الفقراء .
٢ ـ الصر بكسر الصاد : شدة البرد .

جنته تألب عليه فيها الفلاح والتاجر فصار هيكلا عظميا ، وقد وضعت الحرب أوزارها ونعم الناس ما عداه ، وزاد الطين بلة تلك السنون العجاف التي نهشته نهش الأفاعي والوحوش فماذا يفعل ؟

تليلجأ الى الوزارة وفيها عبد الحميد ابن عبد الحق ويوسف اليمن والسعد لعلهما يكشفان الضر ، ويطردان الفقر ، وهو في هذا الصنيع رجع بنا الى العصر العباسي يوم كان الشعراء يشكون الى المهدي أو الرشيد أو يحيى البرمكي لرفع البلاء وجلب السراء والشاعر هنا وضع الفلاح بجانب التاجر ، وجعلهما معا متألبين عليه ، وأبناء المدن يحسون بطمع التاجر وجشعه ولا يرون من الفلاح طمعا ولا جشعا ، وقد يكون الشاعر قد نظر الى أن الفلاح يرفع سعر محصولاته، فيجاريه التاجر في رفع الأسعار ، وقد يكون للشاعر أرض في بلده فيمكر الفلاح به فلا يسدد ما عليه من اجارة .

وجميل منه أن يشير الى الحرب الثانية وأن آثارها الى ١٩٤٩ ما زالت باقية ووقعها أشد على ابن الحكومة . لكن تشبيه السنين بأحداق المها في السواد لا يرضى النقد الحديث ، فشتان بين عيون المها المحبوبة وسواد السنين الجائعة البغيضة ؟

ونأتي الى المقطع الأخير ، وبه تتم الشكوى ، وبه يعلن الشاعر تنازله عن مبدأ الزهد ، لأنه وجد المال هو القيمة وغيره لا قيمة له ، اذا حازه القرد خضع له الأسد ولقب بأبي الفخر والمجد ، والشعر الحسن سجد للكيس سجود العبد لسيده ودعا الى تقديس النقد والبراءة من الزهد حيث يقول :

يقولون « كافات الشتاء » وانني
أدين « بكاف الكيس » في الحل والعقد
اذا حازهُ « قرد » حنى الليث رأسه
اليه ، وكناه : أبا الفخر والمجد
وكنت أظن الحسن للشعر وحده
فأبصرته للكيس يسجد كالعبد
فلا تبخسى « النقد » المقدس حقه
فما لك ـ بعد الله ـ حصن سوى النقد
ولو كان لي نقدٌ تَشَتَّيْتُ وادعا
بأسْوَانَ لا أعني ببرق ولا رعد
فقد عشت دهرا أزهد الناس في الغنى
الا فاشهدوا أني برئت من الزهد

« وكافات الشتاء » ذكرها الحريري في مقاماته ومنها الكساء والكن والكانون ، ولكن شاعرنا لم يَخْتَرْ منها الا الكيس واختياره موفق فيه ، فمن ملك الكيس ملك كل شيء ، وأتيح له أن يشتي في أسوان والايهتم بالبرق والرعد . والأبيات تلبس ثوب المرح ، لكنك اذا خلعت الثوب رأيت ألما وحزنا وحسرة ، ألا ترى أن من عاش أزهد الناس بريء من الزهد ، وأخذ في تقديس المال ؟ ولك أن تؤيد الشاعر أو تخالفه ، فما زال هذا الشعر يمثل ما يعانيه الموظف من وطأة الغلاء .

السيد حسن قرون

مشكلات

الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر

فى طبعته الثالثة يصدر هذا الكتاب للاستاذ الدكتور محمد البهى ، والكتاب معروف لدى قرائه الذين اقتنوه فى فى طبعتيه السابقتين ، ولكن حتى تتوالى الطبعات فانه يبقى تعريف الكتاب لقرائه الجدد أمرا لايخلو من فائدة ، ان لم يكن ذلك أمرا واجبا ، خاصة فى وسط ثقافى متعطش للمعرفة الدينية التى تقدم من خلال فكر مستنير .

والمؤلف يعرض موضوعه فى اربعة أبواب :

أولها : عن نظام الحكم وسياسة توزيع الثروة .

وثانيها : عن التوجيه فى المجتمع المعاصر .

وثالثها : عن تنازع البقاء الأيديولوجى فى المجتمع المعاصر .

ورابعها : بعنوان « فى سبيل المواجهة » .

— ١ —

أما الباب الاول : الذى جعله عن نظام الحكم وسياسة توزيع الثروة فقد جاء فى خمسة فصول :

أولها : عن اتجاه الاسلام ، وقد وضح فيه رسالة الانسان فى الارض كما حددها القرآن الكريم ، مستشهدا بقول الله سبحانه وتعالى « وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ، لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ، بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ » (الانبياء ١٦ — ١٨) .

وتتمثل هذه الرسالة فى ممارسة الصراع بين الحق والباطل حتى ينتصر الحق فى النهاية انتصارا مبينا ، على الباطل المتمثل فى الشيطان الذى عصى ربه ثم قال « فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ » (سورة ص : ٨٢ — ٨٣) .. ومن ثم كان على الانسان اذا أراد أن ينتصر على اغواء الشيطان أن يهتدى بهدى الله « فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى » (طه : ١٢٣) .

ولكى يناضل الانسان من أجل نصرة الحق كان لابد له من المحافظة على بقائه الفردى وبقائه النوعى ، وقد تمثل هذا فى غريزتين فطريتين :

أولاهما : غريزة التملك والاقتناء ، للمحافظة على البقاء الفردى .

الحكم والتوجيه

للأستاذ الدكتور محمد البهى

عرض وتعليق

الأستاذ الدكتور

طه مصطفى أبو كريشة

عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة

والثانية : غريزة النسل أو الجنس وهى للمحافظة على استمرار النوع الانسانى ضد الفناء والانقطاع ، والى ذلك تشير الآية الكريمة « **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** » (آل عمران : ١٤) .

ولم يتوقف المؤلف لبيان وجهة الاسلام فى أمر غريزة النسل ، وانما اتجه الى بيان رأى الاسلام فى سياسة المال لأن ذلك موضوعه الأول وقد بين أن الاسلام لا يحرم اقتناء المال لأن تحريم المال على الانسان فى حياته مناوىء لفطرته ومعوق له عن أداء رسالته ، ولكن فى الوقت نفسه ، فان المال ينطوى على الاغراء الذى يقود الى الانحراف والعبث والافساد . وهنا يأتى الجانب المحرم منه .

ومن ثم يعرض المؤلف لشتى الجوانب التى حرمها الاسلام فى سبيل الحصول على المال والاكثار منه ، مثل أكل أموال الناس بالباطل وأكل أموال اليتامى والضعفاء ، وأكل الربا والتعامل به ، وتطفيف وبخس الكيل والميزان ... الخ وفى عرض مستفيض من الآيات القرآنية يؤيد المؤلف ما يذهب اليه من بيان رأى الاسلام فى هذه الموضوعات .

ثم يعرض بعد ذلك لبيان الأوجه المشروعة فى انفاق المال ، وبيان حق الله تعالى فيه ، فالمال ملك لله ، والانسان مستخلف فيه ، ووجوده فى يده انما هو على سبيل الوديعة والأمانة ، فعليه أن يتصرف فيه كما شرع الله، ثم عليه أن يؤدى حق الله الذى بينته شريعته على سبيل الفرض أو التطوع .

والمسلم يفعل ذلك كله من واقع ايمانه الذاتى لا من اكراه واقع عليه من غيره ، وبذلك يكون المجتمع الاسلامى مجتمعا انسانيا لا اكراه فيه .

مشكلات الحكم والتوجيه

والفصل الثاني : عن « الديموقراطية والرأسمالية » وفيه يبين المؤلف مفهوم الرأسمالية والاسباب التي أدت اليها في العالم الغربي ، مبينا أن من معالمها تحكم النظام المالي في سياسة الحكم ، وسيطرة المال على كل جوانب الحياة الانسانية للافراد ، ولذلك فان كل وسيلة تؤدي الى زيادة المال تعد مشروعة فالربا مشروع والتدليس والرشوة طريق مأمون والمقامرة بالأوراق المالية غير منكرة ، والاحتكار وسيلة مربحة .

واذ يفرغ المؤلف من ذلك فانه يعقد موازنة مفصلة بين النظرية الاسلامية والنظرية الرأسمالية ، مبينا مدى ما بينهما من فوارق جوهرية كثيرة تعود في مجملها الى تلك الجوانب التي أحلها الاسلام والأخرى التي حرمها ، وجميعها تهدف الى ايجاد مجتمع انساني حق .

والفصل الثالث : يعرض فيه المؤلف لاتجاه الفلسفة الوضعية التي أخذت في المجتمع الغربي تحذر من خطر الفوضى العقلية والمذهبية ومن خطر الرأسمالية واعتدائها على الحرية الفردية ، مبينا ظهور هذه الفلسفة على يد الفيلسوف « أوجست كونت » الذي حاول أن يقدم علاجا لاخطار الرأسمالية متمثلا في التربية الاخلاقية التي تقتضي تنظيم الحياة الخلقية على أساس من الحقوق والواجبات .

أما الفصل الرابع : عن الاشتراكية الغربية ، وفيه يوضح مفهوم الاشتراكية التي تستهدف ابعاد سيطرة رأس المال ومنع وقوعه في أيدي قلة تستأثر عن طريقه بالسلطة السياسية هذا مع مناداتها بالمساواة بين الافراد في حق الملكية وحق العمل والرعاية الاجتماعية .

وينتقل المؤلف من ذلك الى بيان الاتجاه الماركسي في نظام الحكم والاقتصاد والاجتماع والأخلاق وفي الاسلوب الفلسفي والعلمي لنشر الماركسية . ثم يوضح كيف جاءت الشيوعية على مبادىء وهدى هذا الاتجاه ، مشيرا الى المساوىء الكثيرة التي حدثت عند التطبيق الشيوعي خاصة في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية وفي مجال الحرية الفردية والايمان بالله ومجال الحكم موضحا مع ذلك ميزة الاسلام في كل جانب من هذه الجوانب .

ويأتي الفصل الخامس بعنوان « فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا » مشيرا بذلك الى أن الاسلام ليس واحدا من تلك النظم الفلسفية ، ليس رأسمالية ولا شيوعية ، انه دين الله ، وحياة المؤمن هي نفسها تعبير عن ايمانه . ومن ثم يعرض المؤلف للأوجه الكثيرة التي تجعل الاسلام يختلف عن غيره من هذه النظم بل ربما تجعله يطلب محاربتها واسقاطها من حياة المجتمع الانساني ثم يخلص من ذلك الى أن نظرة الاسلام الى الملك والمال تختلف عن نظرة الرأسمالية التي تركز على الفرد وحده وعن الاشتراكية التي تركز على المجتمع وحده ، نظرته ترى أن ملكية المال لله ، والانسان نائب للمالك مستخلف على ماله ، له تصرف المالك ، وعليه رعاية ما ينصح به ، له كل حقوقه وعليه أن لايتعدى الحدود التي رسمها له .

— ٢ —

والباب الثانى عنـوانه : « التوجيـه فى المجتمع المعـاصر » .

وجاء فى أربعة فصـول :

أولهـا : بعنـوان « بين الفـريزة والعقل » وقـد وقف فيه علـى بيـان الغرائز التى توجد فى الانسان وغيره ، والعقل الذى يوجد فى الكائن الحى الانسانى ، مـع ضرورة كل منهما للانسان فى مواجهة ما حوله، ومن ثم يأتى التوجيه الاسلامى لكل منهـا فى اطار يضمن الرقابة الذاتية لسلوك الانسـان

« وَالْعَصْرِ.إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ.إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » سورة العصر .

فما مصدر التوجيـه ؟

يأتى الفصل الثانى : مبينا «مصدر التوجيه» عارضا لكل الأوجه التى يمكن أن تكون مصدرا مثل الصحـافة والتربيـة والتعليم والفـن والسياسة والادب والفلسفة ، وينتهى الى أن هذه المصادر لن تكون سليمة لأنها تؤدى دائما الى نفاق الجماهير ونفاق المبادىء فضلا عـن الغرض والهوى . واذن فالمصدر الوحيد هـو الذى تؤمن فيه مثل هذه الانحرافات ، وذلك لن يكون الا فى الاسـلام لانه رسـالة الله ، وماالله فهو للناس كافة لانه وحده رب العالمين.

والفصـل الثالث : عنـوانه . «احتراف التوجيـه » وفيـه يبين المـؤلف أن رسـالة الدين تصـبح خطرا عظيمـا على التوجيه وعلى الانسـانية اذا دخـل الهوى فى تطبيقها وتفسيرها ، لأن الايمان بها يدفع الى قبولها والى العمل بها دون مناقشة وهنا يزداد خطر التوجيـه الدينى ، ولذلـك فمن الواجب أن يكون زمامه عند المتفقهين فى الدين الذين دفعهم الايمان وحب الدراسـة والمعرفة للحق فى ذاته واخلاصا لوجه الله .

وفى الفصل الرابع : يعرض المؤلف لبيان « القـديم والجـديد فى التوجيـه » طارحـا سـؤالا : « هل توجيه الدين قديم وتوجيـه العلم جديد ؟ » .

وفيما يتصل بالدين فانه رسالة الله الـى البشرية منذ نوح الى محمد عليهمـا الصـلاة والسلام ، هو الاسلام لأن رسالة كل رسـول كانت الاسلام « إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ » (آل عمران : ١٩) .

والاسلام بهذا المعنى ليس فيه قـديم ولا جديد وان اختلف الرسل والقديم والجديد انما هو فى عرض الانسـان لمبـادىء الدين فحسب .

أما العلم فلانه من صنع البشر فانه قاصر ، وقصوره هو الذى يجعله يتطور ويكون فيـه قديم وجديد على مر العصور .

— ٣ —

والباب الثالث : عن « تنـازع البقـاء الأيديولوجى فى المجتمع الاسلامى المعاصر »

وجاء فى فصلين :

أولهما : « فى ميزان التقييم » وفيـه يعـرض للاتجاهـات التى دخلت المجتمع الاسلامى وأثرت فيه على الحياة الاجتماعيـة فى مختلف جوانبهـا ، مركزا فى ذلك علـى « الاتجاه العلمانى » الذى عارض فى صلابة وجرأة رأى الاسلام فى حلول المشاكل موضحا جـذور هـذا الاتجـاه الذى اعتمـد علـى الغرب اعتمـادا كبيـرا

مشكلات الحكم والتوجيه ..

فى الفكر والسياسة والتشريع والادارة والتعليم والفن . ويخلص من ذلك الى أن العلمانية كانت محنة وبلاء للمسلمين فى مجتمعاتهم ، وان كان بعضهم يراها أمل الحياة وقبس النور فيها .

والفصل الثانى: « فى ميزان القوى » ويتساءل فيه عن مستقبل الاسلام ، ويتوقع النصرة للاسلام ، لأن سكان العالم الاسلامى يمثلون أزيد من خمس سكان العالم ولأن المسلمين يحتلون أغلب المواقع الاستراتيجية سياسيا وجغرافيا واقتصاديا . فاذا تحرك الاستقلال الثقافى على أساس من الاسلام وتعاليمه اقتربت هذه البلاد من بعض وزاد نفوذها ، ومن ثم تحقيق عزتها وأمنها ومضمون استقلالها .

— ٤ —

والباب الرابع والأخير: « فى سبيل المواجهة » .

وجاء فى أربعة فصول :

أولها : عن « المواجهة المباشرة » وفيه يبين المؤلف بعض الجهود التى بذلت من أجل مواجهة القوى المعادية للاسلام ، ويذكر من هذه الجهود ماتم من مشروعات وقت أن كان وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر ومن هذه المشروعات : مشروع دار القرآن وجمعية الفقه المقارن والدراسات التاريخية والمعاهد الأفريقية الاسلامية ، ومعهد الاعداد والتوجيه ومشروع الكتاب الاسلامى فى أفريقيا .

والفصل الثانى : «فى الاعداد للتحول» وفيه يعرض المؤلف للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الخاص باعادة تنظيم الأزهر على الوضع المعروف اليوم ، ثم يعقب عليه بخلاصة من الملاحق تحت عنوان : من رصيد التجربة مبينا الجوانب العملية التى اتخذت لتنفيذ بعض المشروعات التى ذكرت فى الفصل الأول .

— ٥ —

وبعد : فهذه خلاصة موجزة لرءوس الموضوعات التى احتواها الكتاب .

والكتاب غنى بأفكاره وبحواره العلمى المنظم ، وبأسلوبه الواضح العميق فى وقت واحد وفيه مواجهة صريحة لمذاهب العصر فى الحكم والتوجيه ، وجدير بالشباب المتطلع الى المعرفة أن يقف عليه .

واذا كان المؤلف قد جعل مشكلات الحكم والتوجيه موضوع هذا الكتاب ، فان ذلك لايعنى أنه قد أتى على كل المشكلات ، فان مشكلات كل كثيرة ، والحديث عنها يحتاج الى أكثر من كتاب ، ولكن ربما كان ما ذكر هاديا الى طريق مالم يذكر .

يبقى بعد ذلك سؤال نطرحه ولانبيح لأنفسنا الاجابة عنه بعد أن غاب عنا صاحب الكتاب « يرحمه الله ويغفر له » لماذا جاءت شواهد المؤلف فى كتابه من القرآن الكريم فحسب ؟ لماذا غابت الأحاديث النبوية المصاحبة فى مجال البحث عن حلول لمشكلات الحكم والتوجيه ؟

ولماذا جاء عنوان الكتاب «الفكر الاسلامى» ولم يأت فيه حديث نبوى واحد فضلا عن الاتيان برأى عالم من علماء الاسلام ؟!!

د.طه مصطفى أبو كريشه

بشر بن أبى خازم

حياته وشعره

* بحث لنيل درجة « التخصص ـ الماجستير » فى الأدب والنقد

للسيد / حسن احمد عبد الحميد .

عرض وتقديم : الأستاذ حمدى الليثى

الرسالة التى بين أيدينا بعنوان « بشر ابن أبى خازم ـ حياته وشعره » . تقدم بها الباحث / حسن احمد عبد الحميد المعيد فى كلية اللغة العربية بالقاهرة بقسم الآداب والنقد بالكلية للحصول على درجة الماجستير .

ناقش الرسالة بقاعة الشيخ ابراهيم حمروش بكلية اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر صباح الخميس ٢ صفر ١٤٠٣ هـ الموافق ١٨ نوفمبر ١٩٨٢ ميلادية الأساتذة :

* الدكتور / صلاح الدين محمد عبدالتواب رئيس قسم الآداب والنقد بكلية اللغة العربية
* الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بأسيوط
* الدكتور / مصطفى محمد يونس عميد كلية اللغة العربية بأسيوط

وبعد انتهاء المناقشة قررت اللجنة منح الطالب درجة الماجستير بتقدير جيد جدا .

« منهج الطالب فى رسالته » .

* جمع الطالب بين المنهج التاريخى والمنهج الفنى . فاستخدم المنهج التاريخى فى الكشف عن حياة الشاعر بشر بن أبى خازم وقام بتوضيح جوانب من شخصيته .

واستخدم المنهج الفنى فى دراسة شعر بشر بن أبى خازم .

فبين الموضوعات التى قال الشاعر فيها مع الوقوف على طريقته فى كل موضوع .

والاشارة الى ما يتميز به عن غيره من شعراء عصره .

وقد قضى منهج الرسالة وخطتها أن تكون فى بابين :

الباب الأول : حياة الشاعر وعصره ، وقد وقع فى فصلين :

بشر بن أبي خازم .. حياته وشعره

الفصل الأول : حياة الشاعر :

وفيه ذكر الباحث نسبه وأسرته ، وحدد ثقافته ومعارفه من خلال شعره ، وبين معتقده الديني ، ووقف عند أخلاقه واستعان الباحث بما استنبطه من دلالات شعره ، وبما ورد عنه من أخبار ، ثم تحدث عن أيام بني أسد ــ قبيلة الشاعر ــ مبينا أثرها في شعره ، ثم ختم هذا الفصل بالحديث عن مقتل الشاعر .

الفصل الثاني : عصر الشاعر وبيئته :

وفيه حدد الباحث الفترة التي عاشها الشاعر بشر بن أبي خازم ، وقد كانت بين عامي ٥٢٥ و ٦٠٠ من الميلاد تقريبا ، وعلى هذا يكون بشر قد عاصر عبيد بن الأبرص ، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى ، والحطيئة .

وبعد ذلك تحدث الباحث عن القيم التي كانت سائدة في تلك الفترة في نظم العيش وطرق الحياة ، وأشار الباحث الى ظروف البيئة الصحراوية ، وما كانت تفرضه على أهلها من أنماط السلوك ــ أحيانا ــ وقد توخى الباحث الانصاف ، في غير تعصب للعرب ، و في غير تجن عليهم .

الباب الثاني : شعر بشر بن أبي خازم ــ دراسة فنية ، وهو يشمل أربعة فصول :

الفصل الأول : مصادر شعره :

وفيه تحدث الباحث عن ديوان بشر المطبوع بتحقيق الدكتور عزة حسن ، وأثبت الباحث وصفه للمخطوطتين اللتين اعتمد عليهما في اخراج الديوان ، وأورد الباحث أقوال من طعن في شعر بشر بن أبي خازم ورد عليها ، ثم أشار الى شعر بشر في كتب المختارات مبينا مناهج أصحابها في الاختيار ، وقد بان لي أن التثبت والتحري الدقيق والصدق كانت سمات ملازمة لهم ، وخلص الباحث بذلك الى الوثوق في روايتهم الشعر وتدوينه ، كما اطمأن الى أن شعر بشر الذي بين أيدينا صحيح النسبة اليه .

الفصل الثاني : أغراض شعره :

وقد وجد الباحث أن بشرا قال الشعر في أكثر فنونه التي كانت معروفة لأهل عصره ، وقد درس الباحث شعره في أغراضه المختلفة، بادئا بحديث الأطلال والمرأة ، ووقف عند ظاهرة النسيب والأطلال في القصيدة العربية، مناقشا النقاد القدامى والمحدثين في تلك القضية مستنتجا أن حديث الأطلال والمرأة لم يكن تقليدا جرى عليه الشعراء في أكثر الأحوال ، وانما كان غرضا أصليا من أغراض الشعر ، بل ربما كان أكثر الأغراض أصالة ، نظرا لارتباطه بنفس الشاعر الجاهلي وواقع الحياة في عصره .

ثم عرض الباحث رأى المستشرق بروكلمان الذى يدعى فيه أن الحب لم يكن من البواعث الأصلية للشعر عند الجاهليين الا قليلا ، وأن الشعر الجاهلي يخلو من صدى الحب ، ويخلو من طرب العاشق ولوعته ، وذكريات شبابه

وأحبابه .

ورد الباحث هذا الزعم ، مستشهدا بشعر بشر بن أبى خازم فى هذا الموضوع ، مؤيدا رأيه بما قرره المستشرق استاندال (أن ربوع البدو وخيامهم ، هى منبع الحب الصادق ومقره الأصيل) .

ثم عرض الباحث لقضية (المرأة فى الشعر الجاهلى بين الحقيقة والرمز) ، وأكد أن المرأة

فى الشعر الجاهلى حقيقة لا رمز ، فالرمزية لم تكن من مذاهب القول لدى الجاهليين .

وبعد دراسة شعر بشر فى موضوع (حديث الأطلال والمرأة) درس الباحث فى موضوعاته الأخرى (مشاهد الرحلة ومناظر الصحراء ، والفخر ، والهجاء ، والمدح ، والرثاء) .

الفصل الثالث : السمات الفنية لشعر بشر ابن أبى خازم :

وفيه بين الباحث طريقة الشاعر فى منهج القصيدة وبنائها الفنى ، ووقف على سمات شعره فى الأفكار والمعانى ، والألفاظ والأساليب ، والأخيلة والصور ، وموسيقى الشعر ، ووضح مدى الصدق الفنى فى شعره ووقف عند قضية الطبع والصنعة ، وقد بدا للباحث أن بشرا شاعر مطبوع ، لا أثر للتصنيع أو الصنعة فى شعره .

الفصل الرابع : شعر بشر فى ميزان النقد :

وفى هذا الفصل عرض الباحث آراء النقاد القدامى فى شعر بشر ، مناقشا اياهم فيما اعجبوا به ، وفيما عابوه عليه مشيرا الى طريقتهم فى النقد ، مبينا أن نقدهم كان يتسم — أحيانا — بالجزئية وعدم الدقة ، فقد كانوا يطلقون الأحكام معتمدين على قصيدة واحدة ، أو بيت واحد — أحيانا — .

ثم بين الباحث منزلة الشاعر بين شعراء عصره ، مناقشا ابن سلام فى وضعه بشرا فى الطبقة الثانية ، مع كعب بن زهير والحطيئة ، فقد بدا للباحث أن مذهب بشر فى الشعر يختلف عن مذهب كعب والحطيئة كليهما ، وأحرى به أن يوضع مع من يشبه مذهبه فى الشعر مذهبهم ، مثل عبيد بن الأبرص ، وعنترة ابن شداد ، وأوس بن حجر ، وقد عقد الباحث موازنات بين بشر وكل من هؤلاء ، مبينا ماله وما عليه ، وما عليهم وما لهم .

ثم أنهى الباحث الفصل بالحديث عن القيمة الفنية لشعر بشر — وقد تمثلت عند الباحث فى أنه شعر جاهلى ، فى روحه وجسده ، فى معانيه وأفكاره ، فى ألفاظه وأساليبه ، فى منهج بنائه وطريقة تصويره ، وأنه تعبير صادق عن نفس صاحبه ، وتصوير أمين لحياته وحياة قومه ، وشاهد حق على عصره وبيئته .

بعد ذلك ، تأتى خاتمة البحث ، وفيها أشار الباحث الى النتائج التى توصل اليها فى دراسته تلك ، وهذه النتائج هى :

بشر بن أبى خازم

١ ــ بشر بن أبى خازم شاعر جاهلى متأخر ، مات قبل البعثة المحمدية بقليل ، خلافا لما ذهب اليه ابن قتيبة ، ولما قاله جورجى زيدان .

٢ ــ ان الحياة العربية فى الفترة القريبة من ظهور الاسلام لم تكن شديدة الاختلاف فيما كان يحكمها من قيم ويسودها من سلوك ــ عما كانت عليه قبل الاسلام بزمن بعيد .

٣ ــ الحب من الدوافع الأصلية والقوية فى الشعر الجاهلى ، وشعر الأطلال والمرأة عند بشر بن أبى خازم دليل على هذا ، مما يثبت خطأ ما ادعاه بروكلمان من خلو الشعر الجاهلى من الحب دافعا أصيلا وقويا .

٤ ــ القول بأن المرأة فى الشعر الجاهلى ، رمز لا حقيقة لها فى واقع الشعراء ، قول مبالغ فيه ، وليس له من الحجج ما يؤيده ، فالمرأة فى الشعر الجاهلى ، حقيقة لا رمز ، فقد أحبها الشاعر الجاهلى ، وحزن لفراقها ، وعبر عن مشاعره نحوها ، وسجل ذلك فى شعره ، ولم تكن الرمزية من مذاهب القول عند الجاهليين .

٥ ــ مذهب الطبع الخالص ، والبديهة المواتية ، مذهب قائم فى الشعر الجاهلى ، لا يمكن انكاره ــ خلافا لما ذهب اليه الدكتور شوقى ضيف ، وشعر بشر من هذا القبيل .

٦ ــ تعدد الموضوعات فى القصيدة الواحدة ، كان أمرا مرضيا لدى الشعراء الجاهليين ، ومجتمعهم الأدبى ، ولم يحرصوا على وحدة الموضوع فى القصيدة .

٧ ــ لم تعرف القصيدة الجاهلية الوحدة العضوية (بمفهومها الحديث) وليس من حق أحد أن يعد ذلك عيبا فيها ، فمحاكمة الشعر الجاهلى بمقاييس النقد الحديث أمر لا يقره المنهج العلمى السديد .

٨ ــ تؤكد تلك الدراسة أن الشعر الجاهلى فن زاخر بالجمال ، وحافل بالصدق ، وهو تعبير صادق عن أنفس قائليه ، وتصوير أمين لبيئتهم وعصرهم .

فإن لنا تعليقا سريعا على ما تقدم ــ نقول :

ان الذين أنكروا فضل الأدب الجاهلى أسدوا له ــ من حيث لا يشعرون ــ صنيعا ، فقد اندفع المخلصون لهذه اللغة وآدابها ــ ذيادا عنها ــ الى كشف مآثرها وما تزخر به من أدب يعتبر قمة آداب الأمم التى يزخر بها التاريخ ، فدرسوه عن علم ، وقدموه عن دليل ، أثبتوا ــ بهما ــ ما كان لهذه الأمة من أدب يعبر عن الذات والانسانية ويرسم صورة صادقة للفكر العربى وانسانيته المزدهرة .

الليثى

حوار

مع : رئيس لجنة الفتوى بالأزهر



● أجرى الحوار

عبد العزيز أحمد جميرة

فضيلة الشيخ عبد الله المشد يقول :

□ على الأزهر أن يقوم بطبع الفتاوى بأكثر من لغة وتوزيعها حتى يمكن نشر الثقافة الإسلامية

****

من الامور التى تهم كل مسلم ان يجد من يجيبه الى حاجته فى اى امر من الامور الدينية والدنيوية التى تعرض للمسلم ويخشى أن يقوم ازاءها بعمل مخالف للشريعة فان الاسلام دين ودنيا وما من صغيرة ولا كبيرة فى حياة الفرد الا اتى بها واحصاها ووضع لها الحل وهداها الطريق .

من هنا كان لزاما على الأزهر الشريف وهو قلعة الاسلام بمصر وحصنه الحصين أن يجعل لهذا الامر أهمية خاصة باعتبار ضرورته للمسلمين ليس فى مصر وحدها وانما فى جميع أقطار العالم الاسلامى فأنشأ الازهر الشريف لجنة خاصة بفتوى المسلمين أطلق عليها (لجنة الفتوى بالازهر) وهى أحد الفروع التابعة لمجمع البحوث الاسلامية وكان لابد لنا أن نلقى الضوء ونقترب من هذه اللجنة لنتعرف على كيفية أدائها لهذا العمل الجليل وكيفية تكوينها وشروط العضوية فيها فكان هذا اللقاء مع فضيلة الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالازهر وقد تكرم فضيلته مشكورا بالاجابة عن استفساراتنا :

نشأة اللجنة والجهة التى تتبعها

سألنا فضيلته أن يحدثنا عن نشأة اللجنة وتكوينها .

فأجاب قائلا :

لقد صدر أول قرار خاص بتشكيل لجنة الفتوى من فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر المرحوم محمد مصطفى المراغى عام ١٩٣٥ وكانت تشكل من أعضاء جماعة كبار العلماء

ثم صدر قرار من شيخ الازهر بتكميل اعضائها منهم ومن كبار أساتذة الكليات بجامعة الازهر ثم بعد أن شكل مجمع البحوث الاسلامية كان يختار أعضاؤها من أعضاء هذا

>



ندوة بيننا وبين دار الإفتاء في الديار المصرية

المجمع وكبار أساتذة الكليات وفي العهد الأخير أصبحت تشكل من السادة السابقين وبعض كبار رجال الأزهر ومعاهده كما سنوضح فيما بعد .

ولجنة الفتوى تتبع مجمع البحوث الاسلامية

كيفية اختيار اعضاء لجنة الفتوى ؟

وعن كيفية اختيار اعضاء لجنة الفتوى ورئيسها قال فضيلة الشيخ عبد الله المشد رئيس اللجنة :

يختار رئيس لجنة الفتوى وأعضاؤها بقرار خاص من فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر ويراعى في الاختيار أن يكون رئيسها وأعضاؤها من بين أساتذة كليات الازهر المحالين الى المعاش وممن لهم خبرة علمية في التشريع والفتوى وأحيانا يختار من بين أعضائها من له شهرة علمية من بين مدرسي المعاهد الأزهرية ومفتشيها وبذلك لاتكون هناك شروط معينه من ناحية السن وانما الأمر كله يرجع الى المكانة العلمية في الفتوى والتشريع لمن يقع عليه الاختيار .

وأما أعضاء اللجنة فهم عشرة يمثلون المذاهب الأربعة بما فيهم رئيس اللجنة .

كيفية الاستفتاء باللجنة

وعن كيفية حصول المستفتي لطلبه قال فضيلته :

ان على المستفتي أن يتقدم بفتواه للجنة او أحد أعضائها مدونة على ورقة ولايشترط أن تكون مدموغة فتجيب اللجنة عليها مراعية التيسير في فتواها من أي المذاهب الأربعة وقد

تأخذ اللجنة في فتواها بالمذاهب المشهورة من غير المذاهب الأربعة كمذهب الامام الأوزاعي والامام الليث بن سعد وغيرهما اذا كان الأخذ بذلك الرأي مما ييسر على المسلمين ، وكانت الأدلة الشرعية مساندة لحكم القضية ولا يدفع المستفتي على استفتائه رسوما وكثيرا ماتدور الاسئلة في الميراث والطلاق ولكن هناك من يسأل ايضا عن الاحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والنكاح والشئون المالية والاقتصادية غير أن الأكثرية تسأل — كماقلت سابقا — في الميراث والطلاق .

اهمية لجنة الفتوى

بعد ذلك كان لابد أن نسأل عن مدى أهمية لجنة الفتوى ؟ عملها ؟

فأجاب فضيلة الشيخ عبد الله المشد رئيس اللجنة قائلا :

ان لجنة الفتوى بالازهر الشريف كثيرا ما يطلب منها ابداء رأيها الشرعي في مسائل عامة كثيرة بل يطلب منها أحيانا الاشتراك في تقنين الشريعة الاسلامية وأحيانا ترد اليها استفتاءات من الدول الاسلامية او أجهزة الاعلام الاسلامية من خارج مصر من المصريين وغيرهم الذين تعترضهم أمور يودون حكم الشرع الشريف فيها .

كذلك تقوم اللجنة بإصدار اشهاد باشهار

■ تمنح الفتوى دو

اسلام من يعتنق الاسلام من غير المسلمين ، وينص عند اعطاء الاشهاد ــ بالنسبة للرجل ــ انه اشهاد لايصلح سندا رسميا اذا أراد الزواج بمسلمة الا بعد توثيقه عن طريق لجنة التصديق بوزارة الخارجية حتى يتسنى لعقيده بعد ذلك بالقنصلية التى يتبعها الشخص المعلن اسلامه وهذا اذا كان المعتنق للاسلام غير مصرى .

فأما المصرى فانه يحال اشهاده الى اللجنة الدينية فى مديرية الأمن لاتخاذ الاجراءات الرسمية لتوثيقه .

ما الفرق بين (لجنة الفتوى ودار الافتاء) ؟

ثم توجهت اليه أخيرا بسؤالى حول الفرق بين لجنة الفتوى بالازهر ودار الافتاء بالديار المصرية وعمل كل منهما ؟

فأجاب فضيلة الشيخ المشد قائلا :

ان دار الافتاء بالديار المصرية لاتفتى غالبا الا فيما يحول اليها من الجهات الرسمية فى الدولة فأما ما يحول اليها من الفتاوى غير الرسمية فقليل وحينئذ على المستفتى أن يقدم استفتاءه على طلب مدموغ ، وأن يدفع رسما معينا عن فتواه .

أما الحال بالنسبة للجنة الفتوى فانها تقبل كل ما يقدم اليها وتجيب عنه سواء كان الاستفتاء رسميا أم شعبيا ، من داخل الوطن أو من خارجه دون طلب دمغة أو رسوم من المستفتى .

اقتراح الى الازهر

وعندما توجهت الى فضيلته بالسؤال عما اذا كانت هناك بعض المشاكل والصعوبات التى تواجه اللجنة فى عملها وعما اذا كان هناك

سوم إطلاقا على المستفتى

اقتراح من فضيلته لحل تلك المشاكل والصعوبات أجاب قائلا :

ان كل ما ترجوه اللجنة وتقترحه هو :

أن يعنى الازهر بطبع كتب : تتناول العقيدة فى صفائها ، والتشريعات من أحكام الميراث والطلاق وغيرها فى ايجاز ، والنواحى الأخلاقية التى دعا اليها الاسلام وحض عليها وأن يكون ذلك كله مختصرا جامعا وأن يطبع عدد كبير منه باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات الأخرى حتى يمكن أن يكون ذلك عاملا قويا من عوامل نشر الدعوة فى الوطن العربى والدول الاجنبية فيعطى ذلك صورة صادقة عن الاسلام فى جوهره وأصوله وتشريعاته .

كذلك تقترح اللجنة بشأن الفتاوى التى تصدرها أن تصنف وتجمع فى ملفات خاصة كل موضوع على حدة وقد اتجه الازهر من قبل الى طبعها ونشرها على نطاق واسع فى مصر وخارجها ثم حالت دون ذلك الميزانية ولذا نرجو أن يوفق القائمون على أمر الازهر الى درج مبلغ يسمح بطبع الفتاوى وتوزيعها على أوسع نطاق ممكن الى جانب ما أشرنا اليه سابقا من كتب تتحدث عن الاسلام وتشريعاته

وبعد :

فنرجو من القائمين على امر الازهر الشريف أن يحققوا مقترحات فضيلة رئيس لجنة الفتوى خدمة للاسلام والمسلمين والله الموفق .

عبد العزيز احمد جبرة

الفتاوى

يسر الإسلام في الطهارة

س : من السيد / على عبد الله
ولأهمية السؤال ننشره بنصه فيما يلى :
تتردد على نقطة أو نقطتان من البول بعد استبرائى واستنجائى بكل طمأنينة • وبغير سرعة ، فتنزل فى حدود ربع ساعة عقب الاستنجاء • الأمر الذى ينتقض به وضوئى بنزول هذه النقطة أو النقطتين •

وشاء الله أن هديت الى افراغ البول ثم الاستبراء والاستنجاء • ثم الانتظار فترة نصف ساعة أو أكثر قبل الوضوء حتى اذا توضأت كنت مطمئنا بعدم نزولها أو نزولهما مستخدما عقب الاستنجاء خرقه طاهرة ألفها على العضو برفق لتلتقط هذه النقطة أو النقطتين •

لكن حدث أن صرت بعد نصف الساعة أو أكثر احس بالنقطة فأكشف فتارة أجدها وتارة لا أجدها ، وخوفا من أن أستقبل صلاتى بغير وضوء أضطر عند احساسى بذلك الى الكشف السريع فى ملابسى الداخلية وعلى العضو لأتأكد وأطمئن • ويسبب لى ذلك حرجا شديدا • فقد أكون فى الشارع أو فى سيارة عامة أو فى مكان عملى بين الزملاء • وصرت مضطرب الخاطر لهذه المسألة ، لا سيما وأننى أمكث أحيانا بين المغرب والعشاء بمسجد أتلو فيه حصتى من الكتاب العزيز • وقد لا يكون به ، دورة مياه للوضوء فأجد نفسى بحال لا أستطيع معها مس المصحف أو الانتظار بالمسجد فضلا عن ضياع الجماعة •

أرجو لو تفضلتم بالاجابة الشافية التى تعيننى على حالى وبخاصة أن الوقت الذى كنت أركن اليه للاطمئنان صار غير مفيد • فاعينونى أعانكم الله وأثابكم •

ج : وقد عرضنا هذا السؤال على لجنة الفتوى مجتمعة فتفضلت بالاجابة التالية :

المطلوب • ممن بال أو تغوط أن يستبرىء منهما ، وذلك بالاطمئنان على عدم نزول شىء من البول أو الغائط فترة معتادة • فاذا اطمأنت

إعداد عبد الحميد السيد شاهين

يجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

نفسه الى انقطاع البول أو الغائط توضأ وظل وضوؤه صحيحا ما لم يحصل منه ناقض متيقن لوضوئه ..

ولا اعتبار لما يتوهم أو يشك من نزول شيء منه بعد ذلك ... وليس مطالبا بالبحث عن ذلك ، ولذا نصح فقهاء الحنفية من يشك كثيرا فى نزول شيء منه بعد الاستبراء أن ينضح مقدم سرواله بماء حتى اذا شك فى نزول شيء منه حمل هذا على البلل الموجود فى سرواله .

وما دام صاحب السؤال ينتظر فترة ـ تقدر بربع ساعة أو أكثر ـ لأجل الاستبراء ، فان هذا كاف للاستبراء بيقين ، وزيادة فى الاطمئنان عليه أن يباشر فى هذه الفترة حركات تشبه حركات الصلاة من ركوع وسجود ... ليزيد ذلك فى اطمئنانه وزوال شكه ثم يتوضأ ويصلى ، ولا عبرة بعد ذلك لما يحسه ولا شيء عليه منه .

أما النقطة أو النقطتان التى يشك فى حدوثها قبل الوضوء ، فانهما لا تتحقق بهما نجاسة يجب ازالتها عند المالكية ، حيث يقولون فى أحد القولين : أن ازالة النجاسة سنة . وعليه فلا داعى لاستعمال الخرقة المذكورة ... «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» .

تصويب

* نشر بمجلة الأزهر عدد ربيع الأول فتوى ميراث عن رجل توفى وترك أبا وأما واخوة أشقاء وزوجة .

وكان التوزيع الذى نشر أعطى الأم ثلث الباقى سهوا .

والصواب أن الام ترث فى هذه المسألة السدس فقط لوجود عدد من الاخوة .

فلزم التنبيه ،

والله أعلم

العالم الإسلامي

الامام الأكبر :

* استقبل فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الوفد الصحفي الممثل لنقابة الصحفيين الاندونيسين برئاسة السيد / محمد يزيد .

ودار الحديث حول أحوال الطلبة الاندونيسين الذين يدرسون بالأزهر الشريف .

وطلب الوفد من فضيلة الامام الأكبر امداد اندونيسيا بالأساتذة والعلماء للتدريس ونشر الثقافة الاسلامية .

وتحدث فضيلة الامام الاكبر الى الوفد فقال :

لا بد أن يعمل المسلمون على تنقية صفوفهم من الأفكار التي ترد من الخارج وأن يهتموا بتحفيظ القرآن الكريم فانه هو الوسيلة الوحيدة لجمع الأمة الاسلامية . وأن تكون مناهج التعليم عندهم على قدر كبير من المعلومات الاسلامية في المناهج الدراسية ، فالشباب المسلم في حاجة الى تفهم الاسلام .

أضاف فضيلة الامام الأكبر : انه على وسائل الاعلام عامة والصحافة بصفة خاصة أن تقدم المادة الاسلامية الصحيحة . فان في التراث الاسلامي كل ما يحتاجه المسلم في حياته ويدعه في غير حاجة لأن يستورد من الآخرين .

كلية الدعوة تحتفل بذكرى المولد النبوى

* الدكتور / الطيب النجار مدير جامعة الأزهر يقول : الأزهر هو الدعوة .. ولا بد من تدعيم الدعاة

احتفلت كلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة بذكرى المولد النبوى الشريف .

وقد حضر الاحتفال فضيلة الاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر ونواب رئيس الجامعة وعدد كبير من الأساتذة كما حضر الاحتفال الوفد العسكرى الباكستاني الذى كان يزور الجامعة .

وقد تحدث فضيلة الدكتور رئيس الجامعة فأكد : أن الأزهر هو الدعوة وأن كلية الدعوة يجب أن تكون هي الكلية الأولى في جامعة الأزهر . وأن الكليات الأخرى هي التي تساعد كلية الدعوة وتعينها على آداء رسالتها .

وقال فضيلته : أنني كثيرا ما طالبت بتدعيم كلية الدعوة وقلت مرارا ان اصلاح هذه الأمة لن يكون الا بالاهتمام بالدعاة والدعوة الاسلامية تلك الدعوة التي بداها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام . والذى نحتفل بذكراه اليوم .

وزير الأوقاف يفتتح مركزا اسلاميا بعين شمس

* افتتح فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقي وزير الأوقاف المركز الاسلامي التخصصي بمنطقة عين شمس بالقاهرة وقد حضر الافتتاح السادة وكلاء وزارة الأوقاف

وفضيلة الشيخ منصور الرفاعى مدير عام المساجد الأهلية .

وبهذه المناسبة القى فضيلة وزير الأوقاف كلمة قال فيها :

ان هذا المركز سيكون كغيره من المراكز الاسلامية مركز اشعاع يخدم كل منطقة يقام فيها .

وقال فضيلته : ان بناء الانسان روحيا وبدنيا يبدأ من المسجد ولذلك فلا بد من ربط الطفل بالمسجد منذ الصغر .

يضم هذا المركز مسجدا من طابقين ومستوصفا للعلاج به تسع عيادات طبية يعمل بها اساتذة من جامعة الأزهر وعين شمس كما يضم المركز ناديا لطلائع الايمان يقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتنظيم الرحلات الى المواقع الاسلامية ، ونشر الوعى الدينى والصحى والاجتماعى بين اهالى الحى .

أقيم المركز بالجهود الذاتية لأهالى الحى وساهم فى تمويله أحد ابناء دولة قطر الشقيقة .

مصر مركز اقليمي لافريقيا والشرق الأوسط

* ذكرت وكالات الانباء ان الوكالة الدولية للطاقة الذرية قررت اعتبار مصر مركزا اقليميا لافريقيا والشرق الأوسط ، فى مجال استخدام الاشعاع الذرى لتعقيم المنتجات الطبية والصناعية وتدريب خبراء المنطقة فى المركز القومى المصرى « لتكنولوجيا » الاشعاع بالقاهرة ، كذلك ذكرت الانباء ان علماء المركز المصرى نجحوا فى تعقيم المنتجات الطبية المصرية باستخدام الاشعاع الذرى الناتج من الوحدة الصناعية للاشعاع ، والتى تعتبر اكبر وحدة من نوعها فى الشرق الأوسط وتبلغ قوتها مليون كورى .

مؤتمر فى باريس عن : الاسلام والغرب

* تركزت المناقشات التى جرت فى « مؤتمر رابطة الاسلام والغرب » الذى عقد فى باريس مؤخرا ، حول البحث عن التذكير بالأصول المشتركة للحضارتين : الغربية والاسلامية ، التى يتعين ان تتيح مزيدا من التعايش والترابط بينهما .. واشار المتحدثون

انه قد حان الوقت لأن نعلم ان فى استطاعة الغرب أن يجد فى الاسلام بعدا روحانيا يفتقر اليه خاصة فى هذا الوقت .

برنامج اسلامى فى التليفزيون الفرنسى

* سيخصص التليفزيون الفرنسى بـ « القناة الأولى » من بداية عام ١٩٨٣ م ربع ساعة كل اسبوع للشئون الاسلامية . ومن المتوقع ان تبدأ بالقرآن الكريم ثم بحديث يهم المسلمين حسب الظروف والمناسبات الاسلامية، فيكون مرة عن المولد النبوى ، ومرة عن الصوم، ومرة عن أركان الاسلام .

اول اذاعة اسلامية فى أوربا

* بدأت اول اذاعة اسلامية فى أوربا ، تبث برامجها من المركز الاسلامى فى بروكسل على مدى ساعتين يوميا منذ بداية السنة الهجرية الجديدة . يبدأ البرنامج من الساعة

الثامنة حتى العاشرة مساء على الموجة (ف ٠ م ٨) و ١٠٣ ٠٠

مسجد ومركز ثقافى اسلامى فى روما

* يبدأ فى الربيع القادم العمل على بناء مسجد روما ، والمركز الثقافى الاسلامى بعد قرار من مجلس مدينة روما بمنح ترخيص بناء ، للجنة السفراء العرب فى ايطاليا من أجل اقامة المشروع ٠

وقد صمم المشروع « باولو بورتوجيس » المعمارى الايطالى ويبلغ تكلفته الاجمالية أكثر من ثلاثة وعشرين مليون دولار ٠

وسيتسع المسجد لحوالى الفى مصل ، ويبلغ ارتفاع القبة ٣٢ مترا ، وسيضم المسجد فى احد اجنحته مركزا ثقافيا ، وبه غرف للقراءة والاطلاع والمكتبات ٠

مدرسة اسلامية فى روما

* أعلن مدير المركز الاسلامى فى روما انه تم افتتاح مدرسة اسلامية عربية بمقر المركز الاسلامى بروما لتدريس اللغة العربية والدين الاسلامى وتم تنظيم الدراسة على فترتين : الصباحية لتعليم أبناء الجالية الاسلامية اللغة العربية والدين ٠ والمسائية لتعليم الكبار والأجانب اللغة العربية ٠

انشاء مركز اسلامى فى بومباى بالهند

* تقوم ادارة دعوة القرآن فى بومباى بالهند بانشاء مركز اسلامى فى مدينة بومباى بالهند لتعليم اللغة العربية ، ولتنظيم المكتبة الاسلامية والحلقات الدراسية والمؤتمرات والبحوث العلمية وعلوم القرآن والحديث والفقه وغيرها ٠ اضافة الى توفير التعليم الاسلامى والتربية الخلقية بين أبناء المسلمين واعطاء المنح الدراسية للطلاب ٠ اللغة العربية ٠

جمعية اسلامية فى سيرلانكا

* قام المسلمون فى سيرلانكا بتأسيس جمعية اسلامية ترمى الى خدمة المسلمين والمسلمات ٠٠ وقامت الجمعية بانشاء فصول لتعليم مختلف أفرع العلوم الحديثة كالاقتصاد والعلوم والثقافة وغيرها حتى يتزود المسلمون فى سيرلانكا بأكبر قسط من التعليم ٠٠

طبيبات مسلمات لمعالجة نساء المسلمين

* عقدت جمعية أطباء المسلمين بالولايات المتحدة وكندا مؤتمرها السنوى الخامس عشر بالعاصمة الأمريكية ، وشارك فيه عدد من الأطباء المسلمين فى العالم العربى والاسلامى ٠ وألقى الدكتور بشير زكريا رئيس الجمعية كلمة قال فيها : أن الجمعية ستبدأ قريبا فتح عيادات خاصة فى بعض المدن الامريكية فى الأحياء التى تكثر فيها الجاليات الاسلامية لتقديم العلاج والأدوية لهم ، ولا سيما الذين يسكنون الأحياء الفقيرة فى نيويورك وفيلادلفيا وشيكاغو وديترويت ٠ كما أن الجمعية الطبية تعمل جاهدة على ايجاد طبيبات مسلمات لمعالجة نساء المسلمين لأن المرأة المسلمة تفضل معالجة أمراضها عند طبيبة مسلمة ٠ ولهذا فان الجمعية ترشد جاليات المسلمين لأسماء عدد من الطبيبات المسلمات العاملات فى مختلف المستشفيات الأمريكية لهذه الغاية ٠

هل منح المسلمون التايلانديون حق تطبيق الشريعة الاسلامية

* تقول انباء : ان الحكومة التايلاندية منحت المسلمين فى اربع ولايات جنوبية حق تطبيق الشريعة الاسلامية فى شئونهم اليومية وأذيع فى بانكوك أن مجلس وزراء تايلاند قد وافق على اعفاء المسلمين فى الأقاليم المتاخمة لماليزيا من تطبيق القانون التايلاندى وقرر السماح لهم بممارسة تطبيق تعاليم الدين الاسلامى الحنيف فى كل من «يالا» و «تياتى» و «ناراثيوب» و «ساتون» ..

اجتماع المجلس القارى للمساجد

* اجتمع أعضاء المجلس القارى للمساجد فى تركيا لدراسة ما يمكن القيام به من اداء الواجب فى سبيل خدمة أهداف الدعوة الاسلامية ومواجهة التيارات الشرسة التى تهاجم الاسلام . وقد أعلن الأمين العام المساعد أن الرئيس الأندونيسى سيفتتح فى الخامس والعشرين من شهر صفر ١٤٠٣ ﻫ فى العاصمة الأندونيسية جاكرتا المجلس القارى للمساجد فى آسيا . ويحضر الاحتفال وزير الشئون الدينية الأندونيسى ورؤساء المجالس المحلية لمساجد آسيا ..

التربية الاسلامية والتعليم

* عقد فى مكة المكرمة ندوة حول أسس التربية الاسلامية . وقد صدرت عن الندوة القرارات التالية :

- اعتبار التربية الاسلامية مادة أساسية فى جميع الكليات ومراحل التعليم الجامعى .
- وضع منهج كامل للتربية الاسلامية ، شامل لجميع فروع العلوم الاسلامية.
- الاقرار بأن الثقافة الاسلامية اجبارية فى جميع الكليات ومراحل التعليم ..

رئيس مجلة آسياويك يعتنق الاسلام

* اعتنق الاسلام موريس رئيس تحرير مجلة آسياويك أشهر المجلات السياسية الأسبوعية فى الشرق الأقصى والتى تصدر من سنغافورة وأصبح اسمه «سلمان» .

الفنان البريطانى ستفنسن يشهر اسلامه

* اشهر الفنان البريطانى « سينجر كات ستفنسن » اسلامه وأطلق على نفسه اسم « داود الهاشمى » وهو انجليزى الأصل ويقيم بأمريكا .

وقد تبرع الفنان البريطانى بمبلغ ثلاثين الف دولار لبناء مسجد فى مدينة « ناشفل » بولاية تنسى الأمريكية .

وأعلن ان سبب اسلامه انه قرأ عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واعجب بالاسلام واقتنع بانه الدين الذى يجب أن يعتنقه الناس لحل جميع مشكلاتهم . وانه استطاع ان يتعلم اللغة العربية وقرأ كتبا اسلامية عديدة منها كتاب « فقه السنة » .

* حمل الأستاذ محمد الطاهر الزنكلوني مدير الشئون الادارية بمجمع البحوث الاسلامية – الى المجلة قائمة بمؤلفات أستاذنا الراحل د / محمد البهي ، .

والمجلة تنشرها تعريفا بجهد الراحل الكريم ، وبيانا بما أسداه خدمة للاسلام والمسلمين .

في التأليف :

- الفكر الاسلامي الحديث – وصلته بالاستعمار الغربي .
- الفكر الاسلامي المعاصر – مشكلات الحكم والتوجيه .
- الفكر الاسلامي المعاصر – مشكلات الأسرة والتكافل .
- الجانب الالهي من التفكير الاسلامي .
- الفكر الاسلامي في تطوره .
- الاسلام في حل مشكلات المجتمعات الاسلامية المعاصرة .
- خمس رسائل الى الشباب المسلم المعاصر .
- تهافت الفكر المادي التاريخي .
- الاسلام في الواقع الأيديولوجي المعاصر ×
- غيوم تحجب الاسلام .
- الاسلام في حياة المسلم .
- الدين والحضارة الانسانية .
- رأي الدين : بين السائل والمجيب .
- الدين والدولة – من توجيه القرآن الكريم .
- منهج القرآن في تطوير المجتمع .
- المجتمع الحضاري وتحدياته – من توجيه القرآن الكريم .
- القرآن – والمجتمع .
- نحو القرآن .
- من مفاهيم القرآن : في العقيدة – والشريعة .
- القرآن الكريم .. يقول :
- الاسلام فطرة الله ..
- عالمية الثقافة في القرن السادس الهجري للسهراوردي .
- العلمانية ..
- القرآن في مواجهة المادية .
- طبقية المجتمع الاوربي وانعكاس آثارها على المجتمع الاسلامي .

- نظام التأمين في هدى الاسلام وضرورة المجتمع المعاصر .

ثانيا : الرسائل :

- عقبات في طريق الاسلام .
- الاسلام دعوة – وليس ثورة .
- الاسلام – والادارة الحكومية .
- الاسلام – والاقتصاد .
- الاسلام – واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة .
- القرآن في مواجهة المادية .
- الاسلام – والرق .
- الاسلام – والتفرقة العنصرية .
- المجتمعات الاسلامية المعاصرة – والفراغ من الاسلام .
- مستقبل الاسلام – والقرن الخامس عشر الهجري .
- هيمنة القرآن على الرسالة الالهية .
- العلمانية والاسلام – بين الفكر والتطبيق .
- السلبية في حل الأزمات .
- من أداء الواجبات : تبدي سياسة الحكم في الاسلام .

ثالثا : التفسير :

١ – سورة النساء ١٤ – سورة طه
٢ – سورة الأنعام ١٥ – سورة الأنبياء
٣ – سورة الأعراف ١٦ – سورة المؤمنون
٤ – سورة يونس ١٧ – سورة الفرقان
٥ – سورة هود ١٨ – سورة الشعراء
٦ – سورة يوسف ١٩ – سورة النمل
٧ – سورة ابراهيم ٢٠ – سورة القصص
٨ – سورة الحجر ٢١ – سورة العنكبوت
٩ – سورة النحل ٢٢ – سورة الروم
١٠ – سورة الاسراء ٢٣ – سورة الصافات
١١ – سورة الكهف ٢٤ – جزء عم
١٢ – سورة مريم ٢٥ – سورة الرعد
١٣ – سورة الجن

* كتب الأستاذ الدكتور حسانين عريضة بركات كلمة قيمة عن الزبير بن العوام رضي الله

عنه • والمجلة ، اذ تشكر لسيادته عنايته بهذا اللون من الثقافة الأصيلة •

تعتذر عن عدم النشر ، فان الكلمة ملأت الورقة بوجهيها ، وهذا وضع لا ييسر طبعها

وكتب السيد/محمد السيد الجوهرى كلمة عن العلم والعلماء •

❋ نحيل سيادته الى ما نشرته مجلة الأزهر بعددها — صفر ١٤٠٣ من ضرورة كتابة المرجع الذى ينقل منه الحديث أو الخبر •

شاكرين لسيادته جهده الكريم •

كتب السيد / احمد رزق السواحلى كلية اللغة العربية — الزقازيق جامعة الأزهر كلمة توجه بها الى « شباب الأزهر » جاء فيها :

❋ لم لا نلتزم والأسباب فى أيدينا ؟! ليكن كل منا هاديا لنفسه ، اماما وقدوة فى أهله ، فاذا ما استقام طريقنا وصلح حالنا — وجدنا أنفسنا تلقائيا امام مجتمع مستقيم مترابط قد استرد مجده التليد بعد طول غياب نتيجة التزام لبنات المجتمع ممثلة فى أفراده •

دعوة لكم والآمال عليكم معقودة • وبالتزامكم بمنهج الاسلام يصدق عليكم قول الله تعالى جل شأنه « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » أما اذا انصرفتم عنها جعلتمونى أردد قول أوس بن حجر :

ايتها النفس اجملى جزعا
ان الذى تحذرين قد وقعا

احمد رزق مصطفى السواحلى

كتب السيد / محمد عبد المنعم محمود جابر — دار العلوم — القاهرة من — « المرغوب من مكاشفات القلوب المقرب الى حضرة علام الغيوب » للامام الغزالى — ما رواه ابو الحسن الرازى عن رجل عاص انه انشده :

انى ابتليت بأربع ما سلطوا
الا لشدة شقوتى وعنائى
ابليس والدنيا ونفسى والهوى
كيف الخلاص وكلهم اعدائى
وأرى الهوى تدعو اليه خواطرى
فى ظلمة الشهوات والآراء

وقال تعالى : « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا »

قال : فعليك بجهاد النفس ، وجهاد الشيطان ، فان سلاحه دقيق فلتكن أدق منه حتى تنعم برضوان المولى • انه نعم المولى ونعم النصير •

كتب كل من الاخوة :

❋ حمدى السيد على — اسيوط —
❋ مهدى عبدالسلام علوان — كفر الشيخ
❋ عبد العاطى عمر المهدى — الاقصر
❋ أشرف عبد الظاهر — جنوب سيناء
❋ عوض ياسين محمد حماد — السودان — المعاقل — قرية يشاه سليمان •
❋ يهوذا عبد الله الزكزكى — نيجيريا
❋ أبو المجد محمد عباس — نجع حمادى
❋ محمد مصطفى سلمان البحيرى — طنطا

❋ الى المجلة مبدين اعجابهم الشديد بما ينشر بداخلها من أبواب مختلفة متمنين لها دوام التوفيق •

والمجلة تقدم لهم الشكر لهذا الشعور الطيب ونسأل الله أن يوفقكم لما فيه الخير للاسلام والمسلمين •

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان:
ادارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦
صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

... وبعد .

فقد تنوعت برامج الاحتفال بمرور ألف عام على الأزهر الشريف .

واعدت الأمانة العامة للاحتفال بالعيد الألفى ـ برئاسة فضيلة الدكتور وكيل الأزهر ـ عديدا من المطبوعات العلمية لهذه المناسبة العزيزة ، تعكف ـ على اخراجها ـ اكثر من مطبعة ...

و « مجلة الأزهر » يَسُرُّهَا أن تقدم ـ بمناسبة هذا الحفل ـ عددا ممتازا يضم شهرى : جمادى الأولى والآخرة ، لتفسح المجال لزاد الأزهر الألفى أن يكون بايدى القراء فى شهر جمادى الآخرة ، مستقلا عن « مجلة الأزهر » .

والمجلة ـ الى هذا ـ سوف تنشر فى اعدادها المقبلة مختارات مما كتب فى هذه الذكرى الطيبة ...

والى لقاء كريم « غرة » رجب بمشيئة الله والله ولى التوفيق ..

التحرير

ألف عام

الجزآن الخامس والسادس
جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة ١٤٠٣ هجرية
فبراير ـ مارس ١٩٨٣ ميلادية

مع العدد
هدية (رسالتان فى العقيدة الاسلامية)

سلام



ألف عام مباركة للأزهر الشريف صرح الاسلام الخالد بأرض « الكنانة » الزاهرة ..

.. .. ..

ألف عام لبثها الأزهر الشريف يمخر فيها عباب الزمن ، ويلقى مراسيه بأركان الدنيا ، فيترك بكل رجا من أرجائها من ابنائه رسولا أو أكثر نضج علمه ، ويستقبل ـ فى مسيرته ـ « طالب علم » أو أكثر ينتظم فى قلبه ليصير « ربانا » لسفينة تنقاد لله ربا ، وللاسلام دينا ، ولمحمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ رسولا .

.. .. ..

ألف عام سوف تزيد ، وتزيد ، والأزهر الشريف « نوح » فى العالمين أجمعين :

تأبى سفينته الا المسير ، ثارت بها الأمواج أم هدأت ، جاوبتها الرياح أم عصفت ، فهى القوية ـ باذن ربها ـ عودها المسير فى الهدوء والصخب أبية عزيزة ... شامخة مهيبة ، حفظها الربان ـ رب العالمين ـ وعلم الريح العاصف أن يخنع لشراعها .. والموج الهادر أن يهدأ لسيرها فمضى الأزهر راسخا فى الأرض محمودا فى السماء .

.. .. ..

هو « الأزهر » من الكنانة ، مثل الكنانة ، من أراده بخير وفقه الله وسدد خطاه ...

ثقلت موازينه عند الله ، وعند كل الناس ، فان علمه منشور لأبناء الأرض كافة ، غير محظور على «دين» دون «دين» فما عوده الاسلام أن يكتم علما ، أو « بيشى للناس ويحتجز المعرفة » لأنه وارث هذا الدين ... وهذا الدين للناس أجمعين ...

... ولهذا لم يصدع شملا ، ولم يفرق كلمة .. وكان هو الحضارة فى العالم القديم عامة ، وفى الشرق خاصة ...

.. .. ..

«(١)وأجلى الجلاء أن الأزهر لم يكن مشرق النور فى عصورنا القديمة ـ وحدها ـ وانما هو مشرق النور فى العصر الحديث ...

وهو الذى نقل العلوم والآداب الأوربيـة الى اللغة العربية أول ما نقلت ، ومازال ينقلها الى اليوم ، وسينقلها غدا وبعد غد .

وهو قد شارك أدق المشاركة وأقواها فى انشاء المعاهد العلمية المختلفة ، ومازال يشارك فى هذا الانشاء الى الآن كان ـ من أبنائه ـ من شارك فى انشاء مدرسة الطب القديمة ، ومن شارك فى مدرسة الألسن .

---

(١) طه حسين من مقدمة لكتاب « الازهر وأثره فى النهضة الاوربية الحديثة » تأليف د. محمد كامل الفقى نصر ـ المطبعة المنيرية بالازهر .

علَى الأزهرِ في العالمين

ومن شارك فى انشاء الجامعة المصرية حين كانت تسمى بهذا الاسم .

ومنه انشئت معاهد كانت أشد به اتصالا ، بعضها لا يزال قائما الى الآن كدار العلوم وبعضها لم يكد يخرج منه حتى عاد اليه كمدرسة القضاء .

وهو قد استأثر فى وقت غير قصير بالسيطرة على النشاط الثقافى الحديث فى مصر ، ومازال مشاركا أقوى المشاركة فى السيطرة على النشاط الثقافى المعاصر .

وهو لم يدع ميدانا من ميادين الاصلاح الا برز فيه ، وأحرز الفوز كل الفوز ...

وكل خلاف بين القديم والجديد ، وكل خصومة بين التقدم والمحافظة ، وكل صراع بين النشاط والجمود فانما نشأ فى الأزهر ، ونما فى الأزهر بين الأزهريين أنفسهم أول الأمر ... ثم بين الأزهريين وغيرهم بعد ذلك .

قهر ظروف الحياة الحديثة ، واقتحم ما بث أمامه من العقبات ، فأبناؤه اليوم يشاركون فى فروع الحياة العامة على اختلافها :

فرضت اللغات الأجنبية فتعلموها .

وفرضت الاجازات المدنية فظفروا بها .

وفرضت الدرجات الجامعية الأوربية فارتقوا اليها فى الجامعات الكبرى ، وعادوا يعلمون فى الجامعتين وغيرهما من معاهد العلم . ويشاركون فى أكثر فروع الحياة المدنية ..

ايها الأزهر الحبيب .. !

يازاد السلام ... ورحمة الاسلام !

عش ما شئت ... حتى تفنى الدنيا عمرها ... حتى يسيل النيل فى الكوثر .

وامض .. فركابك خير ، ومسيرك نور .. وصيحتك بعث .

والمسلمون بخير ما حفظوك .

دكتور على الخطيب

أزهريون

يحسب البعض أن عهد الأزهر والأزهريين بما أسمى بالمواد الثقافية أو بالعلوم الحديثة يرجع تاريخه الى عام ١٩٦١ حينما صدر قانون تطوير الأزهر ، غير أن الأزهريين لعبوا دورا مرموقا فى النهضة العلمية التى شهدتها مصر فى بواكير القرن التاسع عشر ، وعلى سبيل المثال فقد كان تأسيس مدرسة الطب فى عهد محمد على عام ١٨٢٧ تجربة صادفها العديد من العقبات منذ بدأ التفكير فى انشائها ، فقد ثارت حينئذ اعتراضات مؤداها أن المصريين لا يصلحون لدراسة الطب ، وأنه من المستحيل تدريس الطب عن طريق المترجمين ، وأنه ليس هناك أساتذة اكفاء فى مصر ، وأن الاسلام يعارض دراسة التشريح .

وعندما افتتحت الكلية للدراسة ، كان جميع الطلاب — ولأول مرة — من المصريين ، واختير جلهم ان لم يكن كلهم من طلاب الجامع الأزهر ، وكان على هؤلاء الطلاب أن يقوموا بدراسة فروع الطب المختلفة بالاضافة الى اللغة الفرنسية على أيدى أساتذة أوروبيين ، وكانت التحديات التى واجهت الطلاب الأزهريين كبيرة ومتعددة ، فقد كان هؤلاء الطلاب لا يعرفون من اللغات سوى العربية ، ولم تكن لديهم أدنى فكرة عن الطب أو غيره من العلوم التى كان لزاما عليهم أن يقوموا بدراستها ،غير أن أساتذتهم لم يكونوا أفضل حالا منهم ، فهم لم يكونوا يعرفون لغة طلابهم ، بل لم يكن الأساتذة أنفسهم متجانسين ، فقد كانوا يضمون الفرنسى مثل كلوت بك ، والأسبانى والايطالى والبافارى .

وتم تقسيم الطلاب الأزهريين — وعددهم مائة — الى عشر مجموعات ، وكانت طريقة التدريس التى اتبعت تعتمد على الاستعانة بالمترجمين الذين كانوا يقومون بترجمة الدروس بحضور الأساتذة الأوروبيين الذين كانوا يتولون شرح ما دق على المترجم فهمه ، ثم يقوم الاثنان بمراجعة الدرس للتأكد من دقة المعلومات الواردة به . وكانت تعقد للطلاب امتحانات شهرية للتأكد من استيعابهم لدروسهم وكان يترتب على هذه الامتحانات أن يعين أفضل طالب فى كل قسم من الأقسام العشرة مساعدا أو « معيدا » ، وكان لهذا النظام اكبر الأثر فى تشجيع الطلاب على التنافس الشريف والعمل الجاد للحصول على هذا الشرف .

وبالرغم من كل هذه الصعاب التى واجهت الطلاب الأزهريين ، الا أنهم تفوقوا فى دراسة الطب ، ثم فى ممارسته بعد تخرجهم ، مما

فى كل ميدان

للأستاذ أحمد شفيق الخطيب

جعل « هيثورن ــ دن » الذى أرخ للتعليم فى مصر الحديثة يقول بالحرف الواحد : « هناك دليل قوي جدا يوضح أنه (أى الأزهرى) كان أبعد ما يكون عن الفاشل البائس إزاء الممارسة العملية للطب » (١) ، كما نبغ من هــؤلاء الطلاب الكثيرون حتى انهم عينوا معيدين كما سبق ، ثم أساتذة بعد تخرجهم ، وهنا يقول « هيثورن ــ دن » : « كان جل المدرسين المصريين أزهريين أصلا » (٢) .

ولم يقتصر نبوغ الأزهريين على مدرسة الطب ، فعندما أنشأ على « باشا » مبارك كلية هدفها تخريج مدرسين للهندسة والطبيعة والجغرافيا والتاريخ والخطوط بالاضافة الى العلوم التى كانت تدرس بالأزهر ، اختير الطلاب من بين الأزهريين الذين كانوا يتعلمون ويطعمون ويكسون على نفقة الأوقاف ، علاوة على تلقي راتب شهري قدره جنيه واحد ، وأبدى بعض هؤلاء الأزهريين المعممين حماسا بالغا للالتحاق بالمدرسة الجديدة التى افتتحت فى سبتمبر من عام ١٨٧٢ ، والتى كانت لوائح القبول بها تنص على أن الطلاب لابد أن يكونوا قد نالوا قسطا معينا من الدراسة بالأزهر ، ولم تكن هذه المدرسة سوى « دار العلوم » ، وفى عام ١٨٧٥ أى بعد ثلاث سنوات فقط من انشائها كان من بين أساتذة دار العلوم ثلاثة من علماء الأزهر ، من بينهم الشيخان أحمد وحسين المرصفى اللذان كانا يتوليان تدريس التفسير والشريعة وعلم الأخلاق ، كما كان للشيخ حسين المرصفى أثر كبير فى نشر العلوم الحديثة وفى احياء دراسة الأدب العربى .

وعندما افتتحت مدرسة الطب البيطرى فى رشيد فى نفس السنة التى أنشئت فيها مدرسة الطب (١٨٢٧) ، كان يتولى الترجمة للأستاذ الفرنسى « هامونت » مترجم لايعرف الفرنسية ، بل يعرف الايطالية والعربية والتركية ، والحق بالأستاذ الفرنسى وبالمترجم شيخ أزهرى يدعى الشيخ مصطفى كان يقوم بالمساعدة فى الترجمة بل وفى التدريس ، وبين الثلاثة تم تدريس الطب البيطرى لنحو عشرة من المصريين ، وهنا يقول « هيورث ــ دن » ان الشيخ مصطفى « أعطى أفضل ما عنده لهذا العمل » (٣) .

وبالرغم من تنكر محمد على للأزهر ومصادرته لأموال وممتلكات الأوقاف ، مما كان له أثره السيء فى انخفاض عدد طلاب الأزهر بدرجة ملحوظة ، الا أنه كان يلجأ دائما الى الأزهر وطلابه ليغذى بهم ــ وبأعداد كبيرة ــ المدارس التى كان ينشئها وخاصة غير العسكرية منها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر :

أمر محمد على بتاريخ ٢٣ من جمادى الأولى ١٢٤٩ هـ (٨ أكتوبر ١٨٣٣ م) بالحاق الأزهريين بمدرسة المهندسخانة لقاء مبلغ

(١) ج · هيثورن ــ دن · مقدمة فى تاريخ التعليم فى مصر الحديثة · لندن · ١٩٦٨ ، صفحة ١٣١ ·

(٢) نفس المرجع · صفحة ٢٩٥

(٣) نفس المرجع · صفحة ١٣٤ ·

أزهريون في كل ميدان ..

يتراوح بين خمسة عشر قرشا وأربعين قرشا ، وفي أمر آخر بتاريخ ٧ أغسطس ١٨٢٩ صادر من محمد علي الى مأموري الصعيد ، طلب اليهم عشرة من الفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات وعشرين سنة ، على أن يكونوا من « مكاتب البنادر والقرى » (مشيرا بذلك الى الكتاتيب) ليقوموا بالتدرب على بناء واصلاح السفن بالاسكندرية .

كما اعتمد محمد علي في بعثاته الدراسية الى أوروبا على الأزهريين في العديد من المجالات ، فعلى سبيل المثال : أرسل خمسة من الأزهريين الى فرنسا لدراسة القانون سنة ١٨٤٧ م ، كما كان من بين المبعوثين في البعثة الخامسة (١٨٤٤ - ١٨٤٩ م) شخص يدعى عبد الله أفندي السيد الذي بدأ دراسته بالأزهر ، كما كان أبوه أزهريا أيضا ، ثم اختير للدراسة في مدرسة اللغات (كلية الألسن حاليا) ، ثم أرسل الى فرنسا لدراسة الادارة المدنية حيث قضى بها نحو ست سنوات ، عاد بعدها ليعمل بقسم الترجمة بادارة المدارس ، وفي عهد سعيد باشا عمل بوزارة المالية ، وفي عهد اسماعيل باشا تولى رئاسة الغرفة التجارية في الاسكندرية ، ثم عمل مستشارا في محكمة الاستئناف عام ١٨٧٥ في نفس المدينة الى أن وافته المنية في العام التالي .

وفي عام ١٨٢٦ كان من بين المبعوثين خمسة من الطلاب الأزهريين من بينهم الشيخ أحمد العطار الذي أرسل الى فرنسا في بعثة لدراسة الميكانيكا ، وكانت سنه حينئذ سبعة وعشرين عاما ، وقضى الشيخ بفرنسا ست سنوات كان يتقاضى خلالها راتبا شهريا يعادل ثمانين قرشا مصريا ، كما كان من بين المبعوثين أيضا الشيخ محمد الدشطوطي الذي أرسل لدراسة الطب والجراحة والتشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم الصحة ، وكانت سنه حينئذ ثلاثة وعشرين عاما ، وكان يتقاضى راتبا شهريا قدره مائة وخمسون قرشا الى أن عاد في نهاية عام ١٩٣١ ، كما ضمت هذه المجموعة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي .

ولم يقتصر نبوغ الأزهريين على الطب والقانون والميكانيكا ، بل امتد ليشمل اللغات الأجنبية والترجمة أيضا ، وكان الشيخ رفاعة الطهطاوي الذي تعلم وقام بالتدريس بالأزهر واحدا من أنجح المبعوثين بل لعله كان أنجحهم على الاطلاق ، ومن الطريف أنه لم يكن ضمن المبعوثين للدراسة في فرنسا بل كانت مهمته تنحصر في الامامة والوعظ للمبعوثين الى فرنسا ، وكانت سنه حينذاك أربعة وعشرين عاما ، وبمجرد أن وقع الاختيار عليه ليتولى هذه المهمة بدأ في دراسة اللغة الفرنسية ، وكانت لدى الشيخ رفاعة نزعة طبيعية للدراسة وبخاصة دراسة الأدب ، وخلال اقامته في فرنسا ، لفت أنظار الأستاذين « جومارد » و « دي ساسي » اللذين لمسا فيه هذا الميل ، فشجعاه على دراسة الأدب والجغرافية والتاريخ ، وعلى التخصص في فن الترجمة ، وقرأ الشيخ رفاعة العديد من الأعمال التاريخية والجغرافية والأدبية ، بل وشرع في ترجمة بعض هذه الأعمال من الفرنسية الى العربية حين كان لا يزال بفرنسا ، وتمكن شيخنا من ترجمة الكثير من الكتب الهامة في التاريخ والجغرافية وعلم المعادن والهندسة

وعلم الفلك والقانون والأساطير والصحة وغيرها من العلوم ، وعلى ما يبدو فان الشيخ أرسل بعض ما قام بترجمته من كتب الى مصر قبل عودته من فرنسا ، اذ أنه لدى عودته الى مصر عام ١٨٣١ تم تعيينه كبيرا لمترجمي مدرسة الطب بدلا من المترجم السوري عنحوري ، ثم نقل الى مدرسة المدفعية فى طرة سنة ١٨٣٣ حيث قام بترجمة العديد من الأعمال فى العلوم العسكرية والهندسية .

وفى عام ١٨٣٦ خطط الشيخ رفاعة لانشاء مدرسة للترجمة ، وتمكن من تنفيذ فكرته ، فافتتحت المدرسة فى قصر الألفى « بك » بالأزبكية فى يونيو ١٨٣٦ تحت نظارة « ابراهيم أفندى » ، غير أن رفاعة تولى بنفسه نظارة المدرسة فى يناير من العام التالى ، فكان أول مصرى صميم يتولى مثل هذا المنصب .

وكانت مدرسة الترجمة فى بداية عهدها تضم خمسين طالبا ارتفع عددهم فيما بعد ليصل الى مائة وخمسين طالبا ، وكان الطلاب يدرسون اللغات العربية والتركية والفرنسية، كما كانوا يدرسون الرياضيات والتاريخ والجغرافية ، وفيما بعد أدخلت اللغتان الايطالية والانجليزية ضمن علوم الدراسة .

وكان شيخنا رفاعة يقدر ثقافته الاسلامية العربية حق قدرها فقد كان يحرص كل الحرص على أن تقدم مدرسته مزيجا من العلوم الاسلامية والعربية ، فالى جانب اللغات والعلوم الحديثة ، كانت تدرس الشريعة الاسلامية ، وبذا تكون مدرسة الترجمة التى عرفت فيما بعد باسم مدرسة اللغات (كلية الألسن جامعة عين شمس حاليا) أول معهد علمى «دنيوى» فى مصر تضم منهجه الدراسية الشريعة الاسلامية التى كان يتولى تدريسها بعض من علماء الأزهر الشريف من بينهم الشيخ محمد الدمنهوري والشيخ على الفرغلى الأنصارى والشيخ حسنين الغمراوى والشيخ محمد العدوى الذى ساهم بنصيب وافر فى صياغة العديد من المصطلحات الفنية الحديثة .

ولم يقتصر نشاط رفاعة على الترجمة ، بل امتد الى التأليف ، فقام بكتابة الوثيقة الانسانية الوحيدة التى تتناول عصره وهى « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » التى يشار اليها أحيانا بـ « الرحلة » والتى ترجمت الى التركية وذاع صيتها فى تركيا ، كما ذاع بمصر ، فكان رفاعة أديبا تأثر بعصره وأثر فيه ، كما كان مجددا ومصلحا ومترجما بارعا أهداه القدر وحده الى مصر .

ومما سبق يتضح أن للأزهر وللأزهريين جذورا فى الطب والقانون والادارة والهندسة والترجمة ، ولم يكن انشاء كليات الطب (١٩٦٤) والمعاملات والادارة (١٩٦٤) ؟ والهندسة (١٩٦٤) واللغات والترجمة (١٩٦٥) الا تتويجا لهذه الجذور وتدعيما لها ومدا لها ، ليعلم الجميع أن الأزهر ما خلا يوما من العلوم التى يحب أن يطلق عليها البعض عمدا أو دون قصد «العلوم الحديثة» وهم بهذا يقصدون أنها حديثة على الأزهر ، وهم بهذا أبعد ما يكونون عن الصحيح من القول .

أحمد شفيق الخطيب

المدرس المساعد بقسم اللغة الانجليزية - كلية اللغات والترجمة - جامعة الازهر - والمبعوث حاليا بالولايات المتحدة الامريكية

دراسات قرآنية

لكل أمة في أرض الله

قال الله تعالى فى سـورة فاطر

« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » (الآية ٢٤) .

خلق الله البشر وفيهم دواعى الخـيـر والشر ، وأبدع لهم عقـولا تعقلهم عن الشر ، وتدعوهم الى الخير ، فهى لهـم صمام الأمان .

ولكنَّ بعض الغرائز الجامحة قد تغلب العقل على أمره فتعطل فاعليته ، كما أنه قد تشتبه عليه الأمور ، ويلتبس الحق بالباطل ، فتختل لـديه المعـايير ، وتنتهى به الى الخطـأ فى الأحكام ، فلهذا أرسل الله المرسلين هـادين ومرشدين ، ومبشرين ومنذرين ، ليسـاعدوا العقل على أداء مهمته ، وليعاونوه على البت فيما اشتبه عليه من القضايا ، فيسلك بهداهم السبيل الى الرشاد ويعتضد بوحى الله الذى أنزله على عباده ليستقر قـراره على الحـق القطعى الذى لا شبهة فيه ، أو الظنى الـذى لا سبيل الى العدول عنه ، فيما يكفى فيـه الظن .

وكل الأمم سواء عند الله تعالى ، فليست هناك أمة أولى بوحى الله من أمة أخرى ، فكلهم عباد الله ، وكلهم أبناء آدم الذى جعله الله وذريته خلفـــاء عنه فى الارض ، فلكى تستقيم خلافتهم وتصلح أمورهم فى دنياهم وأخراهم أرسل الله الى كل أمـة فى أرضـه رسولا وهذا هو الذى يجب اعتقاده ، لأن العدالة سنة الله تعالى فى الأمر كله ، فبعدله قامت السموات والأرض .

وكما أنه سبحانه سوى بين خلقه فى الأرزاق فقال « **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** » فكذلك سوى بين الأمم فى المنذرين بقوله « **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** » .

وليست النبوات قاصرة على أرض الشام وما حولها ــ كما توهم كثير من الناس ــ بل النبوات عامة فى أرض الله تبارك وتعـالى ، كما تدل عليه هذه الآية صراحة ، وكما تشير اليه آية سورة النساء «**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ**

نذير

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ » (النساء ١٦٤)

ولا يوجد دين فى أرض الله الا أن يكون بقية مشوهة من دين سماوى سابق ، فالشرك الذى كان فى البلاد العربية بقية مشوهة لملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، اذ كانوا معه يعترفون بالله ، ويطوفون ويسعون كما كان ابراهيم يطوف يسعى ، لكنهم وجهوا ذلك للاصنام على زعم أنها تقربهم الى الله تعالى. ومثل ذلك البوذية والبرهمية والمجوسية ، فهى بقايا محرفة من أديان سماوية سابقة ، وربما يستأنس لذلك بما جاء فى الموطأ برواية مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب ذكر أمر المجوس عنده بشأن أخذ الجزية منهم فقال (ما أدرى كيف أصنع بهم سنوا بهم سنة أهل الكتاب) قال أبو عمرو : يعنى فى الجزية خاصة .

وروى عن الامام الشافعى أنهم كانوا أهل كتاب فبدلوا .

أصل عبادة العرب للأصنام

يحكى الكلبى أصل عبادة العرب للاصنام ، فيقول فى كتابه عنها :

ان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثيرة حتى ملئوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ، ضاقت عليهم ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا ، فتفسحوا فى البلاد لالتماس المعاش .

وكان الذى سلخ بهم الى عبادة الأوثان والحجارة ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بالحرم وحباله وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

ثم سلخ بهم ذلك الى أن عبدوا

ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا الى ما كانت عليه الأمم قبلهم ـ انتهى كلام الكلبي •

وتراهم في التلبية يقولون : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ، ويقفون بعرفات ويرمون الجمرات، كبقية من ديانة ابراهيم عليه السلام •

والحق أن النبوات عمت بقاع الأرض ، كما يشهد بذلك قوله تعالى « وَإِن مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » وكما تشهد بذلك رحلة ذى القرنين المغربية ، فقد جاء فيها قوله تعالى « حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ اى رأى العين وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ، قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (١) » فهذا يدل على أن أهل المغرب كانت فيهم رسالة ورسول ، وأن الله خير ذا القرنين في شأنهم ، فقضى بأن من آمن منهم وعمل صالحا أحسن جزاءه ، ومن ظلم نفسه بالكفر وظلم غيره ، فانه يعذبه في الدنيا ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه فيها عذابا منكرا على كفره وظلمه •

(١) الكهف ٨٦ ـ ٨٨

الحيوانات أمم فهل فيها نذير ؟

يقول الله تعالى « وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم » فهذه الآية ناطقة بأن الحيوانات أمم أمثالنا، واذا كان الله تعالى يقول « وَإِن مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » فانه يؤذن بأن لكل أمة من الحيوانات نذيرا منها •

هكذا استدل محيى الدين بن عربى ومن تابعه على أن في الحيوانات نذيرا لها ، لأنها أمم أمثالنا •

وقد حمل بعض مفسرينا القدامى على هذا القول ، لأن الحيوانات غير عاقلة ، فكيف يكون فيها نذير؟وقالوا ان الآية في أمم البشر ورسلهم ، فانها وما قبلها رد على من أنكر رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من أهل مكة ، فقد قال تعالى في سورة فاطر

«إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ، إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » .

لكن فكرة النذير بمعنى (المرشد) في الحيوان لها ما يؤيدها صراحة في القرآن الكريم ، وليس النذير فيها نبيا ولا رسولا ، ولكنه موجه وقائد لها ، وله ادراك يعلو ويهبط حسب نوعه ، فاقرأ معي قوله تعالى في سورة النمل «وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ . النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ .. » ١٧ ـــ ٢٠ فذلك النص الكريم ناطق بأن نملة في وادي النمل أنذرت أمتها وحذرتها من جنود سليمان أن يهلكوها وهم يسيرون الى مقاصدهم ، وطلبت من طائفتها أن تدخل مساكنها في جوف الأرض طلبا للنجاة من الهلكة .

ولقد أوتي سليمان عليه السلام القدرة على سماع أصواتها وفهم لغتها ، ولهذا تبسم ضاحكا من قولها ، وطلب من الله تعالى أن يلهمه الشكر على هذه النعمة العظيمة وغيرها من النعم التي أنعم الله بها عليه وعلى والديه .. الخ .

وهذه مملكة النحل تدير أمرها أنثى منها ، وتحكمها فتطيع أمرها ، وتسير في حياتها وفق نظام دقيق يعجز عنه فكر الانسان العبقري ، ومن عجائب هذه الأمة أن طائفة الشغالة فيها (الخناث) تبني بيوتا من الشمع ذات أضلاع متساوية وتفرز فيها العسل النقي الذي جعله الله شفاء للناس ، وتقوم بحضانة بيض الملكة ، ثم تغذي ما يخرج منه بعد (فقسه) بغذاء معين يكون من أثره أن تخرج من ملكات أو ذكور أو خناث ، حسب نوع الغذاء ، كما هو معلوم عند المشتغلين بتربية النحل ومعروف للباحثين وفقا للدراسات التي أجريت عليه ، وقد استحقت لهذا الادراك العجيب أن يقول الله تعالى في شأنها « وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ » .

رحلة الهدهد ومعلوماته العجيبة

ولقد وصل الأمر في أمم الحيوانات الى أن بعضها يميز بين الايمان والشرك بالله تعالى ، فنحن نقرأ عن الهدهد ما حكاه الله في أعطاف قصة سليمان على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام بقوله « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ • لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ • فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ، إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ • وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ • أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ • اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » الآيات ٢٠ ـ ٢٦ من سورة النمل فأنت ترى من هذه القصة أن الهدهد خرج في رحلة استطلاعية دون اذن سليمان على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ، فلما تفقد الطير ولم يجده في مكانه توعده بعذاب شديد او بذبحه ، ما لم يأته بحجة بينة تبرر تخلفه عن جو سليمان دون اذن منه ، فلم يطل غيابه ، بل حضر واخبره بمعلومات ذكر لسليمان أنه مع عظيم سلطانه لم يحط بها ، حيث أخبره باخبار دقيقة عن دولة سبأ وملكتها وامتها ، لا يستطيع أن يحصل عليها سوى خبراء مدربين مقيمين في تلك البلاد ، أما هو فقد توصل اليها بادراكه اللماح ، وغرائزه الكاشفة ، فكان في ذلك اقوى من (الرادار) •

واذا كان هذا بعض شئون النمل والنحل والهدهد ، فما ظنك بباقي شئونها ، وما ظنك بغيرها من سائر الطوائف •

ان ذلك وأمثاله يدل على أن للحيوانات ادراكات عظيمة تناسب نوعها ، وأنها درجات متفاوتة في هذه الادراكات ، فبعضها أعلى من بعض ، فما كان منها ممتازا في ادراكاته يمكن أن يكون رائدا لبني جنسه ريادة خاصة أو عامة ، لغرض هدايتها الى الطريق الأمثل في سلوكها •

ولهذا لا ترى سربا من أسراب الطيور الرحالة الا كان لها قائد يتقدمه ويهديه الى سواء السبيل ، نحو بلاد لم يسبق له ارتيادها ، وفقا لغريزة اودعه الله اياها (اقوى من الرادار) وذلك أمر معروف لأهل بلادنا الساحلية ، حيث تأتيهم في الشتاء

أسراب الطيور من البلاد القطبية طلبا للدفء والمرعى الخصيب فى مياهنا الاقليمية ، حيث تكثر الأسماك فى فصل الشتاء ، وهى غذاؤها المفضل .

أما هدايتها الى العقيدة الحقة فى الله تبارك وتعالى ، آخذا من عموم قوله تعالى « وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » فلا نستطيع القول به — كما قاله ابن عربى — لأن الآية بحسب سياقها فى أمم البشر ، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين الآية بما يشمل ذلك حتى نلزم بالقول به .

ولكننا قد عرفنا من قصة الهدهد أنه عرف الله تعالى وأنكر الشرك من ملكة سبأ وقومها ، وعاب عليهم أن لا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات من نحو المطر فينزله ، ويخرج الخبء فى الأرض من كنوزها وأرزاقها ، فيدل عليه أو يبرزه بحادث كونى ، ويعلم ما يخفى الناس وما يعلنون ، الله لا اله الا هو رب العرش العظيم .

فاذا كان الهدهد قد عرف كل ذلك وأخبر به سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، فلا يبعد أن تكون فى الحيوانات ادراكات تعرف بها ذلك ، وأن تكون فيها طبقات عالية الادراك ترشدها الى تلك المعرفة بحسب غرائزها القوية التى أودعها الله اياها ، دون أن تكون من قبيل النبوة أو الرسالة ، فان ذلك من خواص البشر .

وبعد فلا غرابة فى أن تعرف الحيوانات خالقها بغرائزها وادراكاتها ، وكيف لا ونحن نقرأ قوله تعالى « وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا(١) » وقوله « وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ، إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ، وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ »(٢) ولولا الرغبة فى عدم الاطالة، لأيدت ذلك بما وصل اليه العلم الحديث من روائع البينات ، وحسبك أن تقرأ قوله تعالى: « رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ » (٣) .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

---

(١) (الاسراء) ٤٤
(٢) سورة ص ١٧ — ١٩
(٣) طه ٥٠

الاستعاذة

الاستعاذة : الالتجاء الى رحمة الله والاستجارة به ، او الصاق النفس برحمته .

والعوذ بتحريك الواو المفتوحة : الملجأ . والعوذ بسكون الواو كذلك ، ومعاذ الله بفتح الميم : اعوذ بالله والتجيء اليه معاذا .

وقد جاءت الاستعاذة : أعوذ ، ومعاذ ، وعذت ، واستعذ ، وأعيذ ، ويعوذون فى القرآن فى سبعة عشر موضعا فى القصص القرآنى على ألسنة الأنبياء مما حكاه القرآن وعلى ألسنة غيرهم من الكائنات ، فجاءت على لسان نوح ويوسف وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وجاءت على لسان امرأة عمران ومريم ابنة عمران ، وحكى القرآن استعاذة بعض الانس من الجن بالجن .

ووردت الاستعاذة بلفظ الجلالة (الله) فى سبعة مواضع ، وبلفظ (رب) فى ثمانية مواضع ، وبـ (الرحمن) فى موضع ، وبـ (الجن) فى موضع .

استعاذة الأنبياء :

حكى القرآن استعاذة نوح :

« قَالَ رَبِّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِى أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ » هود ٤٧ .

لبث نوح فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعو الى الله فكذبوه « **وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ** » ، فأوحى الله اليه : « **أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا** » ، ثم كان الطوفان وحمل معه فى الفلك من آمن ، ولم يؤمن واحد من ولده بدعوته فأخذه الطوفان ، ورآه نوح يصارع الأمواج ، وتصارعه تياراتها فتحركت عاطفة الأبوة الحانية تنادى ربه :

(إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى ...) (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (إِنِّى أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (قَالَ رَبِّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ

في القرآن الكريم

للدكتور محمد محمد خليفة

أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين » (هود ٤٠ – ٤٨) .

استعاذ نوح بربه أن يسأله ما ليس له به علم فلا يعود الى هذا في المستقبل ، ثم نظر الى خطيئة سؤاله في الماضي فقال والا تغفر لي خطيئتي وترحمني أكن من الخاسرين ، وفرضت عليه أن يستعيذ بربه من الوقوع في ذلك الذنب وأن يندم على ما فرط فيأمل في رحمة الله وغفرانه والا فهو الخاسر .

وكانت استعاذة نوح بربه أن يسأله ثانيا – وهو رسوله – ماليس له به علم ، فالله عليم بذات الصدور ، وقد نفى الله عن ولد نوح أنه من أهله ، لأنه جحد دعوته ، وأن البنوة التي يعتد بها هي التي تطيع الآباء ، وتستجيب للحق الذي يدعون اليه ، وبخاصة اذا كان الداعي رسول الله والمدعو ابن رسول الله ، بالاضافة الى أن هذا الابن عمل غير صالح الأعمال . فانتماؤه الى نوح خليق به الا يكون .

وحكى القرآن استعاذة يوسف عليه السلام في موقفين :

أولهما : موقف المراودة :

(قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون) يوسف ٢٣ .

لقد راودت امرأة العزيز يوسف عن نفسه (وغلقت الأبواب وقالت هيت لك) فصرخت في أعماق يوسف الأمانة ، وجرت على لسانه صرخاته : (معاذ الله) أعوذ بالله معاذا (إنه) أي الشأن شأن (ربي) وسيدي (أحسن مثواي) حين قال لك : (أكرمي مثواه) فليس بمعقول أن أجازيه على ذلك الاحسان بهذه الخيانة الفظيعة خيانة العرض (إنه لا يفلح الظالمون) الذين يقابلون الاحسان والاكرام بالاساءة والخيانة حين أخون العزيز في أعز ما يصونه .

وهكذا استعاذ يوسف بالله من التورط في الخيانة .



الاستعاذة

في القرآن الكريم

وثانيهما : في معرض الحوار مع اخوته : ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ يوسف ٧٩ .

لقد مكن الله ليوسف حين جعل امينا على خزائن مصر ، وجاء اخوة يوسف بعد سنين طويلة ليمتاروا ودخلوا عليه فعرفهم ولم يعرفوه ، وطلب منهم أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم ، فلما رجعوا الى أبيهم راودوه وأعطوه العهود والمواثيق فوافق ودخلوا على يوسف فاسر لاخيه بأخوته ، ثم دبر امرا لاستبقاء شقيقه ، فامر بوضع المكيال في متاعه ، ثم اعلن عن سرقة المكيال ، فضبط في متاع الأخ فأمر باستبقائه ، وعرض عليه الاخوة أن يأخذ أحدهم مكانه حتى يفوا بميثاقهم لأبيهم لأن اباهم لا يحتمل نكبته فيه ، فيضاف بذلك الى جرح الأمس في فقد يوسف جراح اليوم في عدم رجوع أخيه .

ولم يستجب يوسف لهذا العرض وقال : « معاذ الله » أى أعوذ بالله أن آخذ بريئا بمذنب في نظر اخوته فيأخذ أحدهم بذنب أخيه فيكون قد تعدى وظلم .

وهكذا يستعيذ يوسف بالله أن يأخذ من لم يذنب بذنب غيره ، وتمضى قصة يوسف واخوته حتى يعودوا فيعلمهم بأنه يوسف طريح الجب ، ثم تعلن الأخوة البريئة : « لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ » .

وحكى القرآن استعاذة موسى عليه السلام في ثلاثة مواقف :

اولها : في قصة البقرة :

« قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ » البقرة ٦٧ .

جاءت الآية في نطاق ما دار من حوار في قصة البقرة والقتيل وبيان القاتل ، وقد رويت عن ابن عباس وذكرها أكثر المفسرين ، ويعنينا منها هنا أن قوم موسى تعجبوا وأنكروا عليه ما أوحى اليه من ذبح البقرة لتكون سبيلهم الى معرفة القاتل ، وأنكروا عليه استهزاءه بهم مما حكاه القرآن (أتتخذنا هزوا ؟) أى مكان هزء أو أهل هزء فقال موسى : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) بما في الاستهزاء من عقاب ، أو أكون سفيها أحمق ، وما ينبغى لنبى أن يكون كذلك ، وكان موسى يعتصم بالله ويحتمى به أن يكون ممن يجهلون عقاب الاستهزاء أو أن يكون من السفهاء الذين يرسلون القول دون تدبر في موطن تحار فيه الظنون حول القاتل ، وقد لجأ القوم فيه الى نبى الله ليكشف لهم عن القاتل ، فما ينبغى له في هذا الموطن أن يهزأ بهم فيخبرهم بذبح البقرة ليعرفوا القاتل، وقد زالت حيرتهم ووقفوا على الحقيقة حين ذبحوا البقرة وضربوا الميت ببعضها فأحياه الله وأخبر عن قاتله ، وعندئذ علموا أن موسى

عليه السلام لم يكن هازئا بهم حين أمرهم بذبح بقرة ، وبذلك قدم دليلا يفحم منكرى البعث ، فكما أحيا الله ميت بنى اسرائيل فكان آية يحيى الله الموتى يوم القيامة .

وقد استعاذ موسى بالله من الجهل بمعنييه، لأنه آفة يستعاذ منها .

وثانيها : فى موقف عناد فرعون وقومه وتحديهم لموسى وانكارهم البعث حكى القرآن قول موسى :

(وَقَالَ مُوسَى إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) غافر ٢٧ .

ما أكثر الآيات التى أيد الله بها موسى حين أرسله الى فرعون وقومه الى هامان وقارون ، وما أشد انكارهم لما جاءهم به وقد حكى القرآن قصة موسى وفرعون وقومه فى كثير من سوره ، وفى موقف من مواقف العناد والتحدى والعداء أشار قوم فرعون عليه أن يستمر فى قتل أبناء الذين آمنوا مع موسى وأن يستحيى نساءهم ، ورأى فرعون أن يقتل موسى وليدع ربه لينجيه من ذلك القضاء ، وعندئذ قال موسى : انى عذت ، والتصقت بعصمة ربى وربكم فهو وحده الذى يصون ويحمى رسوله من قضاء فرعون الذى قضى به ، وفى قوله : (ربى وربكم) توجيه لقوم موسى ليقتدوا به فى اللجوء الى الله كلما حزبهم (١) أمر من متكبر قاس ينكر البعث والقيامة .

وهكذا يعلن موسى أن الله وحده هو الذى يعاذ به ليدفع كيد الأعداء ، ويبطل مكرهم وهو الله الذى يدفع عنه كل متكبر يفرط فى انكار البعث والحساب .

وثالثها : موقف من مواقف العداء يحكى القرآن فيه استعاذة موسى عليه السلام :

« وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ »

الدخان .

كثيرا ما طلب موسى من فرعون أن يرسل معه بنى اسرائيل الى حيث يريد لينأى بهم موسى عما يحل بهم من القتل ، وما يدبر لهم من العذاب بعد أن أنكر فرعون وقومه دعوة موسى ، وما جاء به من السلطان المبين ، والآيات الخوارق ، وهنا يحكى القرآن استعاذة موسى عليه السلام ، وأنه العائذ بربه ورب بنى اسرائيل ورب فرعون — وان أنكر فرعون ربوبيته — وأنه الملتجىء الى الحمى الذى لا يهون من احتمى به ، وأنه اللائذ بربه من الرجم والقتل والطرد ، ومن

(١) حَزَبَ : بابه : ضرب ، أى أصاب .

الاستعاذة في القرآن الكريم

كل ما يؤذى من قول أو عمل يواجهه به فرعون وقومه .

ومن عاذ بالله في مثل هذه المواطن نجاه الله .

اوامر وتوجيهات لمحمد حول الاستعاذة :

أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة ووجهه اليها في مواضع من القرآن ، والأمر والتوجيه وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم غير أنه عام يشمل أمته كذلك :

قال الله تعالى : « **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** » (الأعراف ٢٠٠) قيل : لما نزل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : «**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**» (الأعراف ١٩٩) قالوا كيف يارسول الله والغضب ؟ فانزل الله قوله : وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله .

ان سفاهة السفهاء تهيج الغضب ، وهياج الغضب يفتح الطريق للشيطان ، وفتح ذلك الطريق لا يقدح في عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم وانما الذي يقدح هو الاستسلام للوسوسة ، والانصياع لتأثير الشيطان .

والنزغ والنخس : أول الوسوسة .

ومعنى الآية : أن حصل في قلبك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله منه ، أو المراد تأديب المكلفين وتوجيههم الى الاستعاذة بالله حينما ينزغهم الشيطان وان كان الخطاب للرسول ، وكأن الله يوجه النبي وأتباعه الى استحضار معنى الاستعاذة واللجوء الى الله بالقلب حين ينزغهم الشيطان ، والله سميع لاستعاذة المستعيذ وهو عليم بما في الضمائر والآية تشير الى أثر الاستعاذة في دفع الشيطان ، وفيها توجيه للاكثار من الاستعاذة كلما نزغ الشيطان في القلوب وما أكثر ما ينزغ .

وقال الله تعالى : **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**) النحل ٩٨

ان الشيطان حريص على القاء الوسوسة في قلوب جميع البشر حتى الأنبياء (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**) الحج ٥٢ .

والخطاب في قوله : (فاذا قرأت) للرسول صلى الله عليه وسلم ويراد به جميع الناس كذلك والوسوسة تبطل ثواب القراءة اذا صرفت عن التدبر فيها ولذلك أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر من آمن به كذلك بالاستعاذة لدفع وسوسة الشيطان ونزغه ،

وظاهر الآية يدل على أن الاستعاذة بعد القراءة ، لأن الاستعاذة في موضع الجزاء

والجزاء مؤخر عن الشرط ، والى هذا ذهب بعض الصحابة ومن تبعهم .

وقيل الكلام على تقدير محذوف هو : اذا أردت القراءة فاستعذ بالله ، فتكون الاستعاذة قبل القراءة لدفع الوسوسة عن القلب ، حتى يتفرغ للتفكر والتدبر فيما يقرأ .

وقد اختلف الفقهاء فى التعوذ فى الصلاة : أهو للقراءة أم للصلاة ؟ وعلى ضوء هذا اختلفوا فى موقف المقتدى أيتعوذ أم لا ؟ فليرجع الى فقه الأئمة من أراد التزود بآرائهم فى كل هذا .

كما اختلفوا فى لفظ الاستعاذة المطلوبة على ضوء فهمهم للآيات القرآنية التى وردت فى ذلك :

فرأى الشافعى وأبو حنيفة أن الاستعاذة المطلوبة : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» بنص هذه الآية ورأى أحمد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم انه هو السميع العليم» ليجمع بذلك بين الآيتين ورأى البعض : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ليجمع كذلك بين الآيتين .

وعن ابن عباس : ان أول مانزل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم فى الغار قال : قل يا محمد أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قل : بسم الله الرحمن الرحيم ، اقرأ باسم ربك الذى خلق

والمراد بالشيطان : الجنس ، وللشياطين جميعا القدرة على الوسوسة والتأثير بها فى قلوب غير المؤمنين ، أما المؤمنون فليس له عليهم من سلطان ، لأن الايمان الذى يملأ قلوبهم يعصمهم من نزغاته والانصياع لتأثيرها .

وقال تعالى : وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ » (المؤمنون ٩٧ ، ٩٨) أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يناديه ، ويستعيذ به من همزات الشياطين ، والأمة مأمورة بذلك كذلك .

والهمزات : جمع الهمز ، وهو الدفع والهز ، ويراد بذلك : الوسوسة ، وكأن الشياطين بوسوستهم يهزون النفوس ويحركونها ليؤثروا فيها بكيدهم ، وليشغلوها عن طاعة الله وتذكره ، ويلقون فى خواطر الناس مايلهيهم عن التدبر الذى يربطهم برب الملكوت ولشياطين الانس كذلك مكايد تدفعهم الى ايذاء المؤمنين ، ولذلك كانت الاستعاذة من همزات الشياطين تشمل دفع شياطين الانس والجن جميعا : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) الأنعام ١١٢ .

وكما أمر الله نبيه وأمته بالاستعاذة من الشياطين أن يوسوسوا ، أمرهم كذلك بالاستعاذة أن يحضروا عند القراءة حتى لا

يضيعوا على القارئ، ثواب قراءته ، أو أن يحضروه في كل قول وعمل يبغي به وجه الله ثم المجتمع الذي يعيش فيه

وقال تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) غافر ٥٦ .

يكشف الله لنبيه صلى الله عليه وسلم مايدور في نفوس أولئك المجادلين في آيات الله دون حجة يعتمدون عليها في جدالهم ، فيبين له أن الذي يحملهم على الجدال انما هو الكبر الذي تمتلئ به صدورهم ، لأنهم لو سلموا نبوتك لكان عليهم أن يخضعوا لأمرك ونهيك ، ونفوسهم لاترضى أن يكونوا طوع أمرك ونهيك ، فلهذا جادلوا وخاصموا ، ولن يصلوا الى ما ارادوا بل لابد لهم من الخضوع عاجلا أو آجلا ، فاستعذ بالله ، واعتصم به من كيدهم وكيد شياطينهم من الانس والجن وهو السميع لما يقولون وتقول ، وهو البصير بما يعملون وتعمل ، وسيصونك من كيدهم ، وستكون لك الغلبة عليهم ، « إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (غافر ٥١) .

وتنص الآية على الأمر بالاستعاذة من شر المجادلين ومن شر ما يملأ صدورهم من الكبر والحقد .

وقال تعالى : « وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (فصلت ٣٦) .

أرشد الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الآية السابقة على هذه الآية الى دفع سفاهة السفهاء بالحسنى ، لأنه اذا قابل سفاهاتهم بالصبر مرة بعد مرة انقلبوا أولياء بعد العداء، ثم وجهه الارشاد السماوي الى الاستعاذة بالله السميع العليم حينما ينزغ الشيطان ويحاول صرف النفوس الخيرة عن الدفع بالحسنى ، انها ارشادات الحكيم الخبير بالنفوس وما تطوي الصدور ، وهو السميع لكل مايقال وهو العليم بالخبايا وبما يصلح المجتمعات وبما يحفظ من النزغات ، فما أحرى من عمر قلبه بالايمان باللجوء الى الله يطلب حمايته من الشيطان ، ومفتاح حمى الله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

وقال تعالى : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ، وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ، وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ، وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (الفلق) ١ ــ ٥

امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأمته كذلك ، أن يستعيذ برب الفلق ، فالذي فلق الاصباح وخلقه وسلخه من الظلمة قادر على أن يشرح الصدور ، ويدفع الضر ، وينشر في القلوب نور الأمن .

وطلوع الصبح من ظلمة الليل مثل لطلوع

الفرج من ظلمات الكروب .

وذكر لفظ الرب وينبه الى أن تربيته لاتنقطع .

كما أمر نبيه أن يستعيذ بالرب من شر ما خلق ، وشر ما خلق هو : ابليس أو جهنم بشدائدها وأهوالها وما خلق فيها مما لايستساغ من طعام وشراب ومما لا يطاق من العذاب ، أو المراد بشر ما خلق : الأمراض والمحن والآفات والقحط والجوع ومغريات الشهوات والأهواء .

وأمره كذلك أن يستعيذ بالرب من شر الغاسق اذا وقب : وهو الليل اذا دخل حيث تخرج فيه السباع الى فرائسها والهوام من أجحارها والسارق من مكمنه ، وقيل الغاسق ، هو القمر اذا ذهب نوره في الخسوف ، والشمس اذا ضاع نورها في الكسوف .

وأمره أن يستعيذ بالرب من شر النفاثات في العقد ، صوانع السحر من النساء ، أو « النفوس النفاثات » التي تعقد على الخيوط وتنفخ فيها وهي نفوس السحرة حين تنفث في العقد .

وأمره كذلك أن يستعيذ من شر الحاسد اذا حسد لأنه يحب زوال نعمة المحسود ، وأي شر أعظم من تمنى زوال نعمة الغير .

والاستعاذة برب الفلق في هذه السورة ليست من الشيطان وانما من شرور ما خلق ومن شرور الغاسق وما يحمله اذا دخل ومن شرور النفاثات في العقد ومن شرور الحاسد اذا حسد

وقال تعالى : **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَٰهِ النَّاسِ ، مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)** الناس ١ ــ ٦ أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ برب الناس الذى يربيهم ويدبر شئونهم ويملك أمورهم وهو الهم الخليق بعبادتهم ، وتكرار لفظ الناس يدل على تشريفه لهم .

والاستعاذة برب الناس وملك الناس واله الناس انما هى من شر الوسواس ، وهو الشيطان وكأنه نفسه هو : الوسوسة ، لأن صنعته وشغله الشاغل : الوسوسة فسمي بها : الوسواس ، وهو الخناس ، لأنه يخنس لينتكر غفلة الانسان فيوسوس له في صدره ليلهيه عن عبادته وصلاته بربه ، والوسواس الخناس كما يكون من الجن يكون من الناس ، لأن كليهما يغوى ويضل ، وكلاهما شر على المؤمن ، ولهذا أمر الله بالاستعاذة منهما والالتجاء الى حماه من كيدهما .

استعاذة صالحتين :

الأولى : امرأة عمران :

حكى القرآن استعاذة امرأة عمران :

« إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ

الاستعاذة في القرآن الكريم

كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ٣٥ ، ٣٦ آل عمران •

لقد حملت امرأة عمران ، ونذرت أن يكون ما في بطنها محررا خالصا لخدمة بيت المقدس ، ولكنها وضعت مريم ، فنادت ، ربها : انى وضعتها أنثى ، وليس الذكر الذى كنت أرجوه لخدمة بيت المقدس كالأنثى التى رزقت بها (وانى سميتها مريم) ولما فاتها ما كانت ترجو من أن يكون الوليد ذكرا تضرعت الى الله أن يعيذها ، ويحفظ ذريتها من الشيطان الرجيم ، وأن يجعلها من الصالحات القانتات فتقبلها ربها وأنبتها نباتا حسنا حين استعاذت به ، فصانها من خطايا الحياة وعصم ذريتها من كل شيطان لعين •

والثانية : مريم ابنة عمران

وقد حكى القرآن استعاذة مريم فى قوله :

« إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا » مريم ١٨ •

لقد أرسل الله جبريل الى مريم العذراء فتمثل لها بشرا سويا وفاجأها وهى فى معزلها وقد اتخذت من دون أهلها حجابا أن ترى تلك الصورة البشرية تقتحم عليها عزلتها ، ولا ملجأ لها عندئذ — وهى التقية ، الا الرحمن ، فصاحت : (انى أعوذ) والتصق برحمة الرحمن منك ان كنت تقيا ، أى ان كان يرجى منك أن تتقى الله ، وكأنها شكت فى تقوى ذلك المقتحم حين رأت ذلك الاقتحام ، فعبرت بقولها : ان كنت تقيا ، وهى عبارة تدل على الشك ، فبلغها جبريل مهمته ليمحو شكوكها فيه فقال : **إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا »** واستمر الحوار الى نهاية قصتها •

وقد حكت الآية استعاذة مريم بالرحمن ليرحمها من تلك البشرية التى انتهكت خلوتها ، ومن سوى الرحمن يرحم مريم ليصون عفافها ، ويرفع عنها ما توهمته من انتهاك خلوتها مع ربها •

الاستعاذة بالجن من الجن !

قال تعالى : (**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**) الجن ٦ •

ذكر بعض المفسرين : أن الرجل فى الجاهلية كان اذا سافر فأمسى فى قفر من الأرض قال : أعوذ بسيد هذا الوادى أو بعزيز هذا المكان من شر سفهاء قومه ، فيبيت فى جواره حتى يصبح : فأولئك المسافرون من الانس كانوا يعوذون فى أسفارهم من سفهاء الجن لسيدهم كما يزعمون ، وذلك ما حكاه القرآن على لسان النفر من الجن الذين سمعوا القرآن فآمنوا •

(ومعنى زادهم رهقا) أى زادوهم اثما وطغيانا وشرا •

ومعنى الآية : أن رجالا من الانس استعاذوا بالجن خوفا من أن يغشاهم أشراره ، فازدادوا فى غشيانهم حينما تعوذ الانس بهم ،

فاستذلوهم وطغوا عليهم .

ولو استعاذوا بالله لأعاذهم الله — وهذه هي الآية التي حكى فيها القرآن استعاذة الانس من الجن بالجن .

المستعاذ منه :

ينص القرآن على أن المستعاذ منه : هو الشيطان : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) والمراد بالاستعاذة منه : دفع شره من حيث الوسوسة والنزغ والمس .

وقد ذكر المس في قوله : « كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ (١) » .

ولفظ الشيطان اما أن يكون مشتقا من الشطن بمعنى البعد ، لأنه بعيد من الرشاد ، أو من شاط اذا بطل ، وكل متمرد كالباطل في نفسه

والرجيم : بمعنى المرجوم قال الله له : (فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ(٢)) بمعنى مرجوم وملعون .

وقد سخر الله الشهب لرجم الشياطين وهم يسترقون السمع ، وقد حكى القرآن في سورة الجن على لسان النفر الذين آمنوا بعد أن سمعوا القرآن أمر الشهب منهم : « وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ، وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا » الجن ٨ ، ٩ .

واختلف العلماء في الشياطين والجن : أهما جنس واحد أم جنسان مختلفان .

وكما نص القرآن على أن المستعاذ منه : الشيطان الرجيم نص على الاستعاذة من شر شياطين الانس : من شر النفاثات في العقد كما في سورة الفلق ومن شر ما خلق ومن شر الحاسد كما في سورة الناس ، واستعاذ نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام من سؤاله لربه عما ليس له به علم ، واستعاذ يوسف على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام من التورط في الخيانة وأخذ من لم يذنب بذنب غيره (في نظر اخوته) واستعاذ موسى من الجهل والرجم والقتل ومن كل متكبر واستعاذت مريم عليها الصلاة والسلام من الصورة البشرية التي تمثل بها جبريل ، واستعيذ من أشرار الجن كما في الآية : وأنه كان رجال من الانس الخ .

المستعاذ به في القرآن :

وردت الاستعاذة في القرآن بالله وبالرب وبالرحمن ، وحكى القرآن على لسان نفر من الجن أن بعض الانس استعاذوا بالجن من الجن ! فاستعاذ نوح بالرب : (رب اني أعوذ بك) فأعاذه الله ، ومنحه السلام والبركات : اهبط بسلام منا وبركات عليك ... واستعاذ موسى بالرب في موضعين : (إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ) (إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم

---

(١) البقرة ٢٧٥ .

(٢) الحجر ٣٤ — ص ٧٧ .

الاستعاذة في القرآن الكريم

مِن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) فأعاذه الله وقومه وأفنى عدوهم .

واستعاذ بالله في قصة البقرة : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فأعاذه الله وأزال التهمة وأحيا القتيل .. واستعاذ يوسف بالله في موضعين : في موقف المراودة : معاذ الله انه ربى أحسن مثواى ، فأعاذه الله ، وصرف عنه السوء والفحشاء وفي قصة اخوته : معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ، فأعاذه الله ، وجمع بينه وبين أبويه واخوته .

واستعاذت امرأة عمران عليها الصلاة والسلام بالرب : ربانى وضعتها انثى .. وانى أعيذها بك وذريتها ، فأعاذها الرب وحفظها من الشياطين واستعاذت مريم بالرحمن : انى أعوذ بالرحمن منك ، فرحمها الرحمن ، ووهب لها عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وجاءت الاستعاذة في توجيهات الله وأوامره لمحمد صلى الله عليه وسلم مرات بالرب الذى رباه «رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ) (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) وجاءت بالملك وبالاله في (مَلِكِ النَّاسِ إِلَٰهِ النَّاسِ) وبالله في قوله : وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) وفي قوله : فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) وفي قوله : إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ .... فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) .

وحكى القرآن على لسان نفر ممن سمعوا القرآن من الجن استعاذة بعض الانس بالجن : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ) .

المستعيذ

نص القرآن على استعاذة الأنبياء عليهم السلام بالله فاستعاذ نوح ويوسف ومحمد عليهم الصلاة والسلام وأمر الله محمدا صلى الله عليه وسلم ووجهه الى الاستعاذة به عند قراءة القرآن أو حينما ينزغ الشيطان أو من شر ماخلق ومن شر الغاسق والنفاثات في العقد والحاسد وحكى القرآن استعاذة امرأة عمران ومريم ابنة عمران .

نداء وتحذير لبنى آدم :

وقد نادى الله بنى آدم وحذرهم من فتنة الشيطان حتى لايفتنهم كما فتن أبويهم فأخرجهما من الجنة الى أرض المعاناة ، وعاش غير المؤمنين من أبناء آدم على تلك الأرض المعوجة في يد الشيطان تلهو بهم أهواؤه وحكى القرآن ذلك التحذير في قوله تعالى :

« يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) الاعراف ٢٧ .

ابليس يتحدى بنى آدم :

لقد طلب ابليس من الله حين عصى أمره في

السجود لآدم أن ينظره الله الى يوم البعث ليعيش حياته فى انتقام من بنى آدم لايغفل حتى يشدهم معه الى الجحيم الذى جعله الله له ولمن يغريه من بنى الانسان ، وقد أنظره الله فاعلن تحديه للبشرية :

(قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) الأعراف ١٦ ، ١٧ .

وانه ليجرى مجرى الدم فى العروق حتى يبلغ القلب فيخنس حتى يرى غفلة من الانسان عن ربه — وما أكثر غفلات الانسان — فيركب خواطره ، ويسبح بها بين الذكريات والأحلام لترتع فى لذائذ الشهوات ، وتلهث المشاعر وراء الخواطر حتى تضيع فى عوالم الخطايا ، فاذا بلغ الشيطان بالخواطر والمشاعر مايريد ضحك من أعماقه ، لأنه أضل ذلك الانسان عن صراط الله المستقيم (يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) النساء ١٢٠ .

والمؤمن الصادق الايمان من ينزع نفسه من حبائل الغواية ، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم .

ان الشيطان ليجعل من بصر الانسان مطيته فيغريه بالنظر الى ما حرم الله ثم يعدو الى قلبه فيثير فيه كوامن الغرائز والشهوات الحيوانية ، فاذا غض المؤمن بصره أفسد عليه غوايته وأسلمه الى الحسرة حين يستعيذ بالله منه .

ويعيش الشيطان على لسان الانسان حين تضمه المجالس فيثير فيه استحلاء الغيبة والنميمة وتناول الأعراض حتى يفسد عليه دينه الا اذا قطع المؤمن عليه آماله فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم .

وقد يفسد الشيطان على المتصدق صدقته وعلى المحسن احسانه حين يحرك فى نفسه الرياء والزهو بما يقوم به حتى يمحق ثواب الصدقة والاحسان الا أن يفزع المتصدق أو المحسن الى الله فيسمو بنفسه عن شراك الرياء ، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فيعيذه الله .

وان الشيطان ليزين للناس حتى العلماء — بما أوتوا من العلم والبيان والحجة الغرور ، وفى اغترارهم خسران جهودهم عند الله ، فاذا استبد الغرور بالعالم والداعية فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

يابنى آدم :

(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) فاطر ٦ .

وان صراعه للمؤمنين من عباد الله أشد عنفا من صراعه لغير المؤمنين ممن يسارعون الى الاستجابة لمغرياته ، والمؤمن القوى من ينتصر على الشيطان ويستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم حين ينزغه .

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) الأعراف ٢٠١ .

د . محمد محمد خليفة

توابع

« الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » — وهو تفسير القرآن الكريم للامام محمود ابن عمر الزمخشري ، له توابع أربعة حاشيتان وملحقان :

وحديثي في هذا الصدد يدور حول الملحقين ، لانهما يختصان بالأحاديث الواردة في الكشاف وهو ما قام به الامام ابن حجر العسقلاني ، والمسائل النحوية والبلاغية واللغوية وهو من عمل الشيخ محمد عليان المرزوقي الشافعي من علماء الأزهر والأول توفي سنة (٨٥٢) هـ والآخر لم يذكر عام وفاته .

وصاحب « الكشاف له علم جم وكشوف كثيرة في سائر العلوم والآداب ، وفي كل علم وفي كل كتاب في الأدب تراه غاية في الدقة والاستيعاب وحسبه أنه بجانب التفسير ألف كتاب المفصل في النحو ، وأساس البلاغة في اللغة وتوفي سنة (٥٣٨ هـ) .

ونعود الى الملحقين . أما الخاص بالسنة فاسمه « الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف » وأما الثاني فاسمه « مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف » ولو جاريتهما في العنوانين عنوان المقال « توابع الكشاف درر من الأصداف » ولكن هذا لا يرضي أعداء السجع لأنه عندهم مباين للطبع ، ونحن معهم في هذه الصنع ، وأنا أذكر الملحقين لأنوه بفوائدهما ، وأطالب بالنظر اليهما في ضوء تلك الفوائد ، فأدعو الى طبعهما مع الكشاف طباعة حديثة محققة مع العناية بالضبط ، والتعليق على الحدث أو الخبر ، وتصحيح الأخطاء حتى تكمل الفائدة ويعم النفع ، واليك بعضا من منهج المؤلفين في الكتابين :

ابن حجر يذكر أرقام أحاديثه وصفحاتها وسطورها تبعا لما جاء في الكشاف من أول الكتاب الى آخره . وأنا سأذكر الرقم فقط ، لنأخذ سورة الرحمن مثالا لما نقول :

« ٧٧ حديث » « ألظوا بـ (١) (ياذا الجلال والاكرام » الترمذي من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ، ومن رواية مؤمل عن حماد بن حميد عن أنس مرفوعا ، وقال غيره : مخفوضا ، وانما هو حماد عن حميد عن الحسن مرسلا وهو أصح ، وأخرجه من رواية مؤمل اسحاق وابن أبي شيبة ، وبالتالي ابو يعلى والبزار . قال ابن أبي حاتم عن أبيه : أخطأ فيه مؤمل ، والصحيح ما رواه أبو سلمة عن حماد عن ثابت ، وحميد عن الحسن مرسلا ، ورواه ابن مردويه من رواية روح بن عبادة عن حماد عن حميد عن أنس موصولا أيضا ، وهذه متابعة قوية لمؤمل ، وفي الباب عن ربيعة ابن عامر بن نجاد . أخرجه الحاكم وفيه رشيد ابن سعد وهو ضعيف . وعن ابن عمر أخرجه ابن مردويه واسناده ضعيف .

---

(١) الزموا .

الكشاف

(٧٨) حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يصلى وهو يقول : ياذا الجلال والاكرام فقال : « لقد استجيب لك » قال الترمذى والبخارى فى الأدب المفرد وأحمد والبزار والطبرانى وابن أبى حاتم من طريق أبى الدرداء عن اللجلاج عن معاذ بن جبل فذكره .

(٧٩) حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى : « كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » (١) فقيل له : ما هذا الشأن ؟ قال : « من شأنه : أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ، ويضع آخرين » ابن ماجة وابن حبان والطبرانى والبزار وأبو يعلى من حديث أبى الدرداء .

وفى الباب عن ابن عمر ، أخرجه البزار باسناد ضعيف .

وعن عبد الله بن حبيب الأزدى أخرجه البزار والطبرانى وابن أبى حاتم . قال البزار : لا أعلم أسند عبد الله بن حبيب الا هذا الحديث .

(٨٠) حديث « المؤمنون هينون لينون .. » مقدم فى « الفرقان » .

(٨١) حديث « من قرأ سورة الرحمن أدى

(١) الرحمن ٢٩ .

للأستاذ السيد حسن قرون

شكر ما أنعم الله به عليه » الثعلبى ، والواحدى ، وابن مردويه بأسانيدهم الى أبى ابن كعب .

ويبدو من تعليقات ابن حجر أنه يحسن الظن بعقول قارئيه ، فيوجز ايجاز المطمئن على فهم ما يورده ، لكن ما يورده يحتاج الى دراسة « مصطلح الحديث » ومعرفة بالرواة تامة .

أما العلامة محمد عليان المرزوقى فقد خصص كتابه للشواهد وهى شعر ورتبها على الحروف الهجائية حسب القافية ، وقد جاءت شواهد الشعر فى سورة الرحمن ، وأنا أذكر بعضها لأعطيك صورة من صنيعه :

أورد الشاهد الأول فى بيتين مع أن الزمخشرى استشهد بالثانى فقط ، وقد ذكر الشيخ الأول لتمام الفائدة ، والبيتان :

وماء قد وردت لأجل أروى
عليه الطير كالورق اللجين
ذعرت به القطا ونفيت عنه
مقام الذئب كالرجل اللعين

قال الشيخ : للشماخ (٢) ، وأروى اسم محبوبته .

(٢) أى البيتان للشماخ .

واللجين بفتح اللام وكسر الجيم ما يتساقط من الورق من « اللجن » (١) وهو الدق ، لأنه يضربه الهوى أو الراعي فيسقط من الشجر .

وذعرت بفتحتين أي أخفت فيه القطا ، وخصها لأنها أسبق الطير الى الماء .

ومقام الذئب اقامته أو محلها وعبر به كناية عن ذاته ، وخصه ، لأن غالب وروده الماء ليلا .

والرجل اللعين هو الصورة التي تنصب وسط الزرع على شكل الرجل تطرد عنه الهوام . يقول بينهما :

ورب ماء قد وردته لأجل محبوبتي عسى أن تجيء عنده فأراها . ويروى « لوصل أروى » فلعله كان موعدا بينهما .

وشبه الطير حول الماء بورق الشجر المتساقط في الكدرة والكثرة والانتشار . وهذا يدل على أنه لا يكثر وروده فيصلح موعدا للوصل .

وذعرت الى آخره كناية عن وروده ليلا ، وكالرجل اللعين حال من ضمير الشاعر فيفيد أنه سبق القطا والذئب وقعد هناك ، أو حال من الذئب أي على هيئة مفزعة ، وفيه دليل على شجاعة الشاعر وجرأته .

وقد وفق الشيخ في شرح المفردات وايضاح المعنى ، وأصاب في بيان أنواع البلاغة والاعراب وقصر في الهدف من ذكر الشاهد ، فالزمخشري ذكره شاهدا على اقحام اللفظ في التعبير ، فقوله تعالى : « وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » ، قال الزمخشري « مقام » مقحم كما تقول أخاف جانب فلان ، ومثله « مقام » الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ولم يتنبه الشيخ الى ذلك .

واليك شاهدا آخر :

لها ثنايا أربع حسان
وأربع فكلها ثمان

قال الشيخ : الثنايا مقدم الأسنان ، وظاهر البيت أنها أربع من فوق وأربع من تحت فكل ثناياها ثمان ، وروى « فثغرها ثمان » وهذه الرواية تناسب ما اشتهر من أن الثنايا اثنتان من فوق واثنتان من تحت فهي أربع ، ويليها مثلها رباعيات ، ويليها مثلها أنياب ، ويليها مثلها ضواحك ، وما بقي أضراس ثم نواجذ .

وعامل المنقوص (ثمان) معاملة الصحيح فرفع « ثمانا » خبرا للمبتدأ وصارت الياء المحذوفة نسيا منسيا وقد اهتم الشيخ بالأسنان وبمعاملة « ثمان » معاملة الصحيح فجعل الاعراب على النون ولم يعتد بالياء المحذوفة ، ولم يذكر لم استشهد الزمخشري بالبيت ؟ وقد ذكره الزمخشري لأن هناك قراءة في قوله تعالى : « وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ » برفع (الجوار) ، فتكون الضمة ظاهرة على الراء ، واغفال الياء المحذوفة .

وما من شك في ان شرح الشواهد واعرابها وبيان مقاصدها البلاغية له أثره في راغب الادب وطالب المعرفة على أصولها الحقة ، ولو جاءت الطبقة سليمة من الأخطاء لتم المراد وعمت الفائدة .

السيد حسن قرون

(١) بزنة عين وانف ..

دراسات في السنة

- نقد المتقدمين لصحيح البخاري

- الحلم سيد الأخلاق

نقد الصحيح المتقدمين

الإجابة التفصيلية عن البخاري فيما أعل من الأحاديث المسندات

من حيث الاجابة التفصيلية يحتاج امرها الى تقسيم الأحاديث المنتقدة اقساما حسب مقاييس المتقدين .

وقد قسمها ابن حجر الى ستة اقسام ثم تتبع الأحاديث ، حديثا حديثا بالرد عليه ، وساكتفى بالتقسيم التفصيلى مع استخلاص التمثيل لكل قسم من الأحاديث المنتقدة .

القسم الأول :

(١) «١» ما يختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الاسناد فان خرج صاحب الصحيح الطريق المزيدة ، وعلله الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليل مردود كما صرح به الدار قطنى .

مثال «٢» :

قال الدار قطنى : وأخرجا جميعا حديث ابن جريج عن الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه وعمه عبيد الله بن كعب ، عن كعب بأن النبى (صلى الله عليه وسلم) كان اذا قدم من سفر ضحى بدأ بالمسجد ، ــ « الحديث » .

وقد خالفه معمر ، فقال : عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه ، وقال عقيل عن الزهرى عن أبى كعب عن أبيه ، وهو يشبه رواية معمر . قال الدار قطنى : ورواية ابن جريج أصح ، ولا يضره من خالفه ، قال ابن حجر : قول معمر وغيره عن عبد الرحمن بن كعب يحمل على أنه نسبة الى جده فتكون روايتهم منقطعة ، وهذا الجواب صحيح من الدار قطنى فى أن الاختلاف فى مثل هذا لا يضر كما قرر .

لأن الراوى «٣» ان كان يسمعه فالزيادة لا تضر ، لأنه قد يكون سمعه بواسطة عن شيخه فى الطريق الزائدة ثم لقيه فسمعه منه مباشرة .

وان كان لم يسمعه فى الطريق الزائدة ، ثم لقيه فسمعه منه مباشرة أو كان لم يسمعه

(١) المقدمة صفحة ٨١ من كتاب الجهاد .
(٢) المقدمة فى صفحة ٩٥ من كتاب الجهاد .
(٣) المقدمة صفحة ٨١ من كتاب الجهاد .

البخاري

لفضيلة الدكتور
الحسيني هاشم

في الطريق الناقصة فهو منقطع ، والمنقطع من قسم الضعيف لا يعل الصحيح ، مثاله :

قال الدار قطني ، وأخرجا جميعا حديث يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) في قصة المسيء صلاته ، وقول النبي (صلى الله عليه وسلم) له ارجع فصل ، فانك لم تصل ، وقد خالف يحيى القطان أصحاب عبيد الله كلهم منهم أبو أسامة ، وعبد الله بن نمير ، وعيسى بن يونس وغيرهم ، فرووه عن عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة لم يذكروا أباه ، ويحيى حافظ ، ويشبه أن يكون عبيد الله حدث به على الوجهين ، والله أعلم ، قال ابن حجر ، ورجح الترمذي رواية يحيى القطان .

وان أخرج صاحب الصحيح الطريق الناقصة ، وعلله الناقد بالطريق المزيدة تضمن اعتراض دعوى انقطاع فيما صححه المصنف ، فينظر ان كان ذلك الراوي صحابيا — أو ثقة غير مدلس قد أدرك من روى عنه ادراكا بينا أو صرح بالسماع ان كان مدلسا من طريق أخرى ، فان وجد ذلك اندفع الاعتراض بذلك ، وان لم يوجد وكان الانقطاع منه ظاهرا ، فمحصل الجواب عن صاحب الصحيح أنه انما أخرج مثل ذلك في باب ماله متابع وَعَاضِدَ ، أو ما حفته قرينة في الجملة تقوّيه ويكون التصحيح وقع من حيث المجموع .

مثال ذلك (١) :

قال الدار قطني : أخرج البخاري حديث أبي مروان عن هشام عن عروة عن أبيه عن أم سلمة ، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال لها : « اذا صليت الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلون » . الحديث هذا منقطع ، وقد وصله حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن زينب عن أم سلمة .

ووصله مالك عن أبي الأسود عن عروة كذلك في الموطأ قال ابن حجر حديث مالك عند البخاري في هذا المكان مقرون بحديث أبي مروان وقد وقع في بعض النسخ وهي رواية الأصيلي في هذا عن هشام عن أبيه عن زينب

(١) المقدمة صفحة ٩١ من كتاب الجهاد

نقد المتقدمين لصحيح البخارى

عن ام سلمة موصولا ، وعلى هذا اعتمد المزى فى الأطراف ، ولكن معظم الروايات على اسقاط زينب ، قال أبو على الجيانى وهو الصحيح ثم ساقه من طريق أبى على بن السكن عن على بن عبد الله من مبشر عن محمد بن حرب شيخ البخارى فيه على الموافقة ، وليس فيه زينب ، وكذا أخرجه الاسماعيلى من حديث عبده بن سليمان ، ومحاضر وحسان كلهم عن هشام ، ليس فيه زينب ، وهو المحفوظ من حديث هشام ، وانما اعتمد البخارى فيه رواية مالك التى اثبت فيها ذكر زينب ، ثم ساق معها رواية هشام التى سقطت منها حاكيا للخلاف فيه على عروة كعادته مع أن سماع عروة بن ام سلمة ليس يستبعد .

(ب) وربما علل بعض النقاد أحاديث ادعى فيها الانقطاع لكونها غير مسموعة كما فى الأحاديث المروية بالمكاتبة والاجازة ، وهذا لا يلزم منه الانقطاع عند من يسوغ الرواية بالاجازة بل تخريج صاحب الصحيح لمثل ذلك دليل على صحة الرواية بالاجازة عنده .

مثاله « ١ » :

قال الدارقطنى : وأخرجا جميعا حديث موسى بن عقبة عن أبى النضر مولى عمر بن عبد الله ، قال : كتب اليه عبد الله بن أبى أوفى ، فقرأته أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : « لا تمنوا لقاء العدو ، واذا لقيتموهم فاصبروا) الحديث .

قال : وأبو النضر لم يسمع من ابن أبى أوفى ، وانما رواه عن كتابه فهو حجة فى رواية المكاتبة .

قال ابن حجر فلا علة فيه لكنه ينبىء على أن شرط المكاتبة هل هو من الكاتب الى المكتوب فقط ، أم كل من عرف الخط روى به ، وان لم يكن مقصودا بالكتابة اليه .

الأول هو المتبادر الى الفهم من المصطلح ، وأما الثانى فهو عندهم من صور الوجادة ، لكن يمكن أن يقال هنا أن رواية أبى النضر هنا تكون من مولاه عمر بن عبد الله عن كتاب ابن أبى أوفى اليه .

ويكون أخذه كذلك عن مولاه عرضا لأنه قرأه عليه لأنه كان كاتبه فتصح والحالة هذه من الرواية بالمكاتبة كما قال الدار قطنى والله اعلم .

الحسينى هاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

(١) صفحة ٩٣ من كتاب الجهاد .

الحلم سيد الأخلاق

للشيخ محمد صابر البرديسي

قال رسـول الله (صـلى الله عليه وسلم) «مَاتَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكم ؟ قُلْنَـا (الَّذِى لاتَصْرَعُهُ الرِّجَـال ، قَـالَ النَّبِىُّ «صلى الله عليه وسلم» لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنَّه الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَه عِنْدَ الْغَضَـب) رواه مسلم عن ابن مسعود «رضى الله عنه»

الحلم ومميّزاته:

الحلم : هو العفو عن مقدرة ، والصـفح الجميل عن ايمان عميق .

والغضب ، هو الغيظ ، وهو انفعال نفسى بشرى تصاحبه فورة فى الدم ، وكظم الغيظ هو المرحلة الأولى من الحلم ولا يكفى مجرد كظم الغيظ بل لابد من صفح النفس ، وعلو القلب ، ونقاء الضمير والا فقد يكظم الانسان غيظه ليحقد ويضغن ، فيتحـول الغضب الظاهر الى حقد دفين .

مميزات العفو والحلم

والعفو من الصفات الحميدة التى يتحلى بها الانسان لأنه لا يصـدر الا عن نفس كبيرة راجحة العقل ، صبرت على اعتـداء الغـير وأذاه . تلك النفس الشفافة اللطيفة المنبعثة من اشراق التقوى ، النفس التى تعفو وتصفح امتثالا لأمر الله ، وابتغاء لوجهه ، لا تنتظـر جزاء ولا شكورا من أحد الناس فهى تتطلـع الى أفق أعلى وأوسـع من آفـاق الـذات والضروريات . والأمة التى تكثر فيها هـذه النفوس التى تملك نفسها عند الغضب ، والتى تشيع فيها السـماحة واليسر والطلاقة ، وتنمحى منها الاحن والأضغان ، هى أمـة متضامنة أمة قوية ، أمة متآخية والمسلم اذا عفا وهو متمكن من القصاص كان فى عفـوه رحمة وعزة ، وقد يؤدى فى كثير من الأحيان الى صداقة قوية بين المتخاصمين ، لأن المعتدى يؤله العفو من قادر على القصاص والانتقام ، فيعمل على ارضائه ، ومحو أثر الاعتداء من نفسـه .

وقد اتصف الله سبحانه وتعالى بالحلم ، واختص به ملائكته ، ومدح به رسله ، وأوصى به أولياءه وعباده الصالحين ، لأنه مفتاح كل

<

خير ، وموصل الى كل غاية محمودة ، نتائجه طيبة ، ومواقفه جليلة ، يقتل الفتنة ، ويوقف الجريمة ، وقد وصف الله المؤمنين بقوله «وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ» (الشورى ٣٧) وقوله تعالى :(وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (الشورى ٤٣) ولو قلبنا النظر في تاريخ العظماء لوجدنا أن الحلم أصل عظمتهم ، وسر ماامتازوا به من تقدم ونهوض ، وهذا الخلق هو سر عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فلقد بعثه الله الى قوم كانوا منه غاية في العنف والقسوة ، ونهاية في الغلظة والجفاء ، ... وظلوا كذلك حتى أسلمهم الله — سبحانه — ليديه : صلى الله عليه وسلم فقال لهم : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) عفو شامل من قادر استل من نفوسهم كل سخيمة فأقبلوا على الاسلام يحتضنونه ، ويدافعون عنه ، ويتفانون فيه ، ويلتفون حول رسوله . قال تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (آل عمران — ١٠٦) .

الغضب وآثاره

أما الغضب : فهو فورة الدم من الغيظ ، وهو رذيلة مذمومة ، له آثار سيئة :

فمن آثاره في الجسم : تغير اللون ، وامتقاع الوجه ، ورعدة الأطراف ، واضطراب الحركة وهذه الصورة تتصاعد من الظاهر ، والظاهر دليل على ما في الباطن وعنوان له .

ومن آثاره في اللسان ، الانطلاق بالشتم والفحش والقبيح من الكلام ، بحيث يستحي منه قائله عند فتور غضبه ، ويخزى صاحبه عند سكونه .

ومن آثاره على الاعضاء اللامبالاة:يضرب، ويتهجم ويمزق ما تقع عليه يده ، بل يلجأ الى الجريمة أحيانا عندما يتمكن منها .

لهذا كله عندما سأل عبد الله بن عمر « رضى الله عنه » رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : يا رسول الله ، ماذا ينقذني من غضب الله ، قال له : « لا تغضب » .

ولهذا كان ترك الغضب وكظم الغيظ محمدة يذكرها التاريخ على مر الأجيال لبعض الخلفاء .

دعا أحد الخلفاء خادمه ليصب عليه الماء ، فوقع الابريق من الخادم في الطشت،فأصاب الماء الخليفة ، وبلل ملابسه ، وظهر عليه الغضب ، فاضطرب الخادم ، وخاف ، وفي لمح البصر قال للخليفة ان الله تعالى يقول : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) قال : كظمت غيظي قال الخادم : والله يقول . (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) قال : (عفوت عنك) قال الخادم : يقول تعالى (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) قال : « اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى»

وكان عمر « رضى الله عنه » اذا خطب قال فى خطبته (أفلح منكم من حفظه الله من الطمع ، والهوى ، والغضب) .

ماورد فى النهى عن الغضب :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى « صلى الله عليه وسلم » أوصنى . قال : « لا تغضب » فردد مرارا ، قال : « لا تغضب » رواه البخارى .

وقال أبو الدرداء : قلت يارسول الله ، : « دلنى على عمل يدخلنى الجنة » قال « لا تغضب » قال تعالى ، حاثا على العفو والفضل وحتى لا تدفع العداوة والبغضاء والغضب على التمادى فى الانتصار والانتقام، محببا مقابلة السيئة بالحسنة : **(وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير الصابرين)** النحل ١٢٦ ولهذا قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « نصبر ولا نعاقب (١) » وقال تعالى . **(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا)** ثم قال **(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)**

(الشورى ٤٠)

وقال تعالى : **(وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ)** ثم قال **(فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ)** .

(المائدة ٤٥)

وقد تبين من هذه الآثار أن الغضب مستقبح من كل انسان ، وهو أشد قبحا اذا اتصف به الرؤساء .

فالغضب عاقبته وخيمة الا أن له علاجا يقضى على أضراره قبل ظهورها .

علاج الغضب :

من علاج الغضب ما يأتى :

١ – الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم .

٢ – أن تغير الحالة التى أنت عليها ، وفى الحديث (فاذا غضب أحدكم فليتوضأ)(٢).

٣ – أن يتذكر المسلم غضب الله وانتقامه اذا لم يخف انتقام المغضوب عليه فى الدنيا .

٤ – أن يتذكر فضيلة كظم الغيظ ، وثواب الله عليها ، قال « صلى الله عليه وسلم » « من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه ، دعاه الله تعالى على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخبره فى أى الحور شاء (٣) ». صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

هذا هو الغضب الذى فيه افراط يخرج بالانسان عن حد الاعتدال ، اما اذا كان الاعتداء على الحرمات والكرامات ، فالدفاع محمود ، بحيث لا يتعدى حدود العقل والدين فان الاسلام يدعو الى الاعتدال فى كل الاحوال .

والله الموفق

الشيخ محمد صابر البرديسى

---

(١) أخرجه الامام أحمد والترمذى والنسائى ورمز السيوطى لصحته قال ذلك يوم أحد لما مثل بحمزة .

(٢) رواه أبو داود من حديث ابراهيم بن خالد الصنعانى .

(٣) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث سعيد بن أبى أيوب .

التشريع

عشر الأرض

سبب كل من عشر الأرض وخراجها « الأرض النامية » .. الا ان العشر يعتمد الأرض النامية فعلا ، والخراج يستند الى الأرض النامية .. ولو تقديرا بحيث لو عطلها صاحبها مع صلاحيتها للزراعة وجب عليه اداء الخراج للدولة .

والعشر لغة : واحد من العشرة ، والخراج يطلق على ما يقدره الحاكم على الأرض مرة كل سنة .. وهو ما يعادل في عصرنا الراهن الضريبة على الأراضى الزراعية . كما يطلق ، على ما يفرضه الحاكم على رءوس أهل الأرض الخراجية .. كل على قدره .. وهى ما يسمى الجزية .. وقد فرض عمرو ابن العاص رضى الله عنه الخراج على أرض مصر .. كما فرضه عمر بن الخطاب رضى الله عنه على أهل العراق والشام .. أسند الواقدى (فتح القدير جـ٤/٣٥٨) .. الى مشيخة من أهل مصر : أن عمرو بن العاص رضى الله عنه افتتح مصر عنوة (أى قهرا وغلبة) ، وعزل مغانم للمسلمين .. ثم صالح أهلها على فرض الجزية على رءوسهم ، والخراج على أراضيهم .. ثم كتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. وكان عمرو يبعث بجزية أهل مصر وخراجها الى عمر كل سنة بعد حبس ما يحتاج اليه فى مصر للمرافق والمصالح .

وما نسب لبعض المؤرخين من أن مصر فتحت صلحا على يد عمرو .. هو تجوز .. وللحنفية فى أرض الخراج رأى يخالف باقى الأئمة .. وهو أنهم بعد اقرارهم عليها وفرض الخراج والجزية على أهلها .. يملكونها ملكا تاما يستتبع جواز بيعهم وهبتهم وتوارثهم فيها .. وحجتهم ما فعله عمر بسواد العراق بعد فتحه حيث أقر أهلها على الأرض .. بعد حوار وجدل مثير بينه وبين الصحابة وخاصة بلالا وعبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنهما .. وفرض على كل جريب من أرض العراق عامرها وغامرها عمل فيه صاحبه أو عطله درهما وقفيزا من طعام ، وعلى كل جريب من الكروم ثمانية دراهم ، وكل جريب من الرطاب خمسة دراهم ، وعلى رقاب الموسرين ثمانية وأربعين درهما فى السنة .. وعلى متوسطى الحال

وخراجها

للأستاذ الدكتور محمد محمد الشرقاوي

أربعة وعشرين درهما ، وعلى من لم يجد شيئا اثنى عشر درهما حسبما ورد في كتاب الأموال لأبي عبيدة .

وقد اختلفت الروايات في المقدرات ، والحق أن اختلافها راجع الى تفاوت البيئات ، وتغاير المواقع ، مع خفة المؤونة .. أو ثقلها ، ووفرة الريع وقلته .. ثم تركهم عمر وشأنهم في هذه الأراضي كما لو كانت معهم قبل اسلامهم .

وكان عمر رضي الله عنه مجتهدا في ذلك ، فقد أعمل فكره ونظره في قوله تعالى (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ .. الى قوله تعالى : وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ) الحشر ٧ — ١٠ فانتهى اجتهاده الى تركها في يد أهلها مع فرض الجزية والخراج أبدا .. بدلا من قسمتها بين الفاتحين وحصرها في أيديهم وأيدي ورثتهم وتحصيل الدولة مؤونة الدفاع عنها والقيام بمصالحها .. ورأى أن هذا خير ليستطيع على المدى الطويل استخدام مواردها التي لا تنقطع في رعاية الأرامل واليتامى والفقراء ، وتدبير شئون الدفاع والحماية ، والانماء الحضاري لتلك المدن العظيمة .. فاذا أضفنا ما فعله عمر بن الخطاب من ترك الأراضي في أيدي أهلها الأصليين الى ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم من قسمة نصف أرض خيبر بين الفاتحين .. كان الواجب في كل أرض تفتح عنوة واحدا من اثنين لا على التعيين اما القسمة أو الترك .. وفعل الحاكم يعين أحد الواجبين وهو ما يسمى في علم أصول الفقه « الواجب المخير » (العناية جـ٤/٣٠٤) .. والأرض الخراجية : هي كل أرض فتحها المسلمون عنوة وقوة واقتدارا .. ورأى الامام عدم قسمتها بين الفاتحين — ومن حقه ذلك اقتداء بعمر — وأقر أهلها عليها .. وصالحهم على الخراج .. أو فرض عليها الخراج بدون صلح .. فتبقى خراجية أبدا ،



عشر الأرض وخراجها

جانب الاستدلال لا يرجح عمل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لتفرده عن غيره من الأئمة .

٤ ــ اختلاف العشر والخراج في السبب ، فالخراج سببه الأرض المفتوحة عنوة .. والعشر ما ليس كذلك فيختلف لازمهما .. لأن الوصفين لا يجتمعان في أرض واحدة ، وسبب الحقين واحد ، وهو الأرض النامية .. الا انه يعتبر في العشر النماء الفعلي .. وفي الخراج النماء ولو تقديرا .. والمصارف متداخلة فالفقراء كما ينالون من العشر .. ينالون من الخراج في صورة خدمات ومرافق وكفالات اجتماعية أقرها الاسلام .. الا ترى أن الانفاق على المقاتلين ذكر في مصارف الزكاة ضمن قوله تعالى (وفي سبيل الله) بينما يذكره الفقهاء مصرفا من مصارف الخراج .

٥ ــ يميل الكمال بن الهمام الى عدم الجمع بين العشر والخراج على المسلم في الأرض الواحدة .. وهو ما أخذ به الحنفية قائلا في (فتح القدير جـ٥/٣٦٧) : (ومع هذا فالذى يغلب على الظن أن الراشدين من عمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم أجمعين لم يأخذوا عشرا من أرض الخراج ، والا لنقل عنهم ذلك كما نقل تفاصيل أخذهم للخراج ..

ولا يقال : انهم أخذوا الخراج وفوضوا للزراعين اخراج العشر بأنفسهم لمن يشاءون ، فهذا بعيد بل في غاية البعد ، لأن الملاك قد يكونون كفارا لا يؤمنون بالزكاة .. فكيف يؤتمنون على اخراجها .. فيكون عدم أخذ هؤلاء الراشدين الثلاثة دليلا بفعل الصحابة ، ويصير اجماعا على ذلك .. وقد رجح هذا الرأى « الاسبيجابى » فقال : (لا يجتمع عشر وخراج في أرض واحدة .. كما لا يجتمع أجر وضمان ، ولا عقر وحد ، ولا جلد ونفى ، ولا رجم وجلد) .

وقد خالف الأئمة الثلاثة وقالوا بوجوب اخراج العشر والخراج معا في الأرض الواحدة .. وقالوا ان زكاة العشر أو نصفه مقيدة بثمار النخيل والكروم وكل ما يزرع للقوت والادخار ــ وخالف أحمد في الادخار ــ اذا بلغ الخارج خمسة أوسق ، والوسق ستون صاعا بصاع المدينة في عهده صلى الله عليه وسلم .. والصاع بالكيل المصرى قدح وثلث .. فالنصاب : أربعة أرادب وكيلتان .. وما نقص عن ذلك فلا زكاة فيه .

وحجتهم : أن العشر والخراج مختلفان سببا ومحلا ومصرفا .. أما المحل فلأن الخراج في ذمة المالك والعشر في الخارج .

وأما السبب فلأن الخراج سببه الأرض النامية ولو تقديرا .. والعشر سببه الخارج منها فعلا .



وأمـا المصرف .. فلان العشر مصرفـه الفقراء .. والخراج مصرفه المقاتلة (العناية جـ٤/٣٦٧) وقد مال الشيخ شلتوت رحمه‌الله في كتابه (الفتاوى) الى رأى الأئمة الثلاثة مع أنه حنفي المذهب .. لمصلحة الفقـراء وتحقيق التـوازن الاجتمـاعي ، والانماء الحضاري .. وهذا لا يتم الا باخراج العشر والخراج من الأرض الواحدة .. ونحن نميل الى ما مال اليه الكمال بن الهمام .. من أنه لا يجمع بـين العشر والخراج .. عمـلا بالسياسة المالية لأئمة المسلمين ما عدا عمر بن عبد العزيز .. لما في ذلك من تحميل الأرض أكثر من طاقتها .. ومن حق الحاكم اذا رأى ضرورة بالمسلمين ، أن يزيد في الخراج بالقدر الذى تحتمه روح العدالة والصالح العـام بدلا من الجمع بين البدلين على سبب واحد.

ويرى الأئمة الثلاثة ايضا أن كـل ارض فتحت عنوة وأقر اهلها عليها هي وقف على المسلمين ، لا يجوز بيعها ، ومالك رحمه الله تعالى يعتبر المأخوذ من ارض مصر وغيرها من البلاد التى فتحت عنوة .. اجارة للأرض من بيت المـــال .. لأن الأرض وقف علـى المسلمين .. فتفوض لرأى الامام في اجارتها لمن يزرعها .. فالمأخوذ منها هو بدل اجارة لآخراج ارض .. ولذا لا يجـوز بيعها ولا شراؤها مــن ممثل بيت المـــال (وهو الآن وزارات المالية) الا عند الضرورة .. لأنهـا كنظر ولى مال اليتيم .

وقد اورد الكمال بن الهمام (المرجـــع السابق) : أن السلطان الأشرف برسـباى رحمه الله اراد شراء الأرض من ممثل بيت المال ، وطلب منه الفتوى في ذلــك فكتب : (اذا كان بالمسلمين حاجة والعياذ بالله جاز ذلــك) .

د. محمد محمد الشرقاوى

عشر الأرض وخراجها

ولو انتقلت ملكيتها فيما بعد لأهل العشر من المسلمين ــ على أصح الآراء الفقهية ــ لأن العبرة في ابتداء توظيف المال عليها لأول مرة في الاسلام .

ومن هذا النوع : أرض العراق والشام ومصر .

أما الأرض العشرية ــ وهي ما يؤخذ منها عشر كل محصول زراعي تنتجه الأرض ولو أكثر من مرة في السنة الواحدة من الزروع والثمار على السواء ــ فهي ما لم تفتح عنوة وقهرا .. بل صولح أهلها عليها بدون حرب أو قسمت بين المسلمين بعد فتحها بالسلاح ويستثنى من ذلك أرض الجزيرة العربية فهي عشرية أبدا على أي حال ، وذلك لأن الخراج لا يفرض الا على من فتحت بلاده عنوة مع بقائهم على كفرهم .. والعرب في جزيرتهم لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف ولذا لم يكونوا أبدا من أهل الخراج في جزيرتهم التي يحدها طولا ماء تميم ويسمى (العذيب) الى أقصى حجر في اليمن ، وعرضا من رمل عالج الى الشام .. وذلك لأن العشر أليق بحال المسلمين من الخراج لتعلق العشر بكل خارج من الأرض فعلا .. بينما يتعلق الخراج بالأرض ذاتها اذا صلحت للزراعة ولو لم يزرعها صاحبها .

والعشر يتضمن معنى الزكاة لقيامه مقامها في الزروع والثمار عند أبي حنيفة وغيره بينما الخراج لا يتضمن معنى العبادة .. وفي كل منهما مؤونة للمواطنين .

والخراج أشق من حيث خضوعه لتقدير الحاكم غير المنضبط .. وقد قدره عمر بن الخطاب رضي الله عنه بما يتراوح بين خمس الخارج ونصفه .. حسبما تمليه طبيعة الظروف والحاجة والمؤونة .. بينما العشر منضبط التقدير لأنه واحد من العشرة كما هو مفهوم اللغة .. وكل أرض تأخذ حكم الحيز التي هي فيه من عشر أو خراج .. وكذا قربها أو بعدها من هذا أو ذاك يؤثر في حكمها الفقهي .. ما عدا البصرة .. فانها عشرية باجماع الصحابة أبدا .. وكان القياس أن تكون خراجية لأنها جزء من العراق الخراجي الا أن القياس ترك باجماع الصحابة .. فأخذ صفة الدوام والاستقرار .

واذا تعطلت الأرض الخراجية عن الانتاج لسبب خارج عن الطوق كطغيان مياه الفيضان أو الأمطار أو اجتياح الآفات الزراعية .. أو انقطاع مياه الري عنها .. فلا خراج عليها حتى تزول هذه الموانع .. ويعتبر في العشر سقي الأرض بدون آلات .. فان سقيت بالآلات والجهد ففيها نصف العشر .

وهذا العشر هو ما يسمى في باب الزكاة « زكاة الزروع والثمار » وقد اختلف قديما أبو حنيفة .. والأئمة الثلاثة .. فيمن أخرج العشر من محاصيله الزراعية .. أو من الثمار فرأى أبو حنيفة : أن هذا العشر يغني عن

الخراج وأن الأرض الواحدة لا يجتمع فيها عشر وخراج .. بل ان خرج منها خراج فلا عشر فيها .. وان خرج العشر فلا خراج عليها وبرئت ذمته من زكاة الزروع والثمار ومن الخراج في وقت واحد .. وحجة الحنفية :

١ ـ عموم الآثار الواردة في ذلك ومنها قوله تعالى : (**كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**) الأنعام /١٤١ .. وقوله جل شأنه : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ**) البقرة / ٢٦٧ .. وروى الجماعة الا مسلما عنه صلى الله عليه وسلم : (فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا ـ وهو ما يشرب بجذوره ـ العشر ، وفيما سقى بالنضح ـ أى بالآلات ـ نصف العشر) .. وهذه النصوص شاملة لكل ما تنبته الأرض من خضر وفواكه ورطب وحبوب ما عدا الحطب والقصب الفارسى والأشجار غير المثمرة .. فيجب العشر أو نصفه في قليل ما تخرجه الأرض أو كثيره .. ولو خرج مرات .. تعدد الواجب فيه .. والعشر من هذه الناحية أشق من الخراج فاذا نضجت الثمار وطاب أكلها ، أو اشتدت الحبوب وخلصت من شوائبها وجب فيها الزكاة ، واذا سقى الزرع نصف المدة بدون آلات ونصفها الآخر بالآلات ففيه ثلاثة أرباع العشر .

٢ ـ أن العشر في مقابل الخراج فكل منهما عدل للآخر في الأرض الواحدة .. ولا يجمع بين البدل والمبدل منه ، ويستندون الى أثر منسوب الى التابعين مثل النخعي والشعبي وعكرمة ، وهو (لا يجتمع على مسلم عشر وخراج) فهو مذهب فقهي لهم .. وليس منسوبا الى الرسول صلى الله عليه وسلم حيث ثبتت التهمة في هذه النسبة لضعف بعض الرواة واتهامه بالوضع في الحديث .. وأقصى ما يقال فيه من وجهة نظر أهل الحديث انه حديث مرسل (فتح القدير ج٤/٣٦٦) .

٣ ـ أن أحدا من أئمة العدل أو الجور في تاريخ الاسلام الأول لم يجمع بين العشر والخراج على مسلم في أرض واحدة .. لأن المسلم حينئذ يكون أسوأ حالا من غير المسلم الذى لا يلتزم الا بالخراج .. وهذا عكس للمشروع ، وقلب للموضوع .. ولم ينقل الجمع بينهما على المسلم في أرضه الا عن عمر ابن عبد العزيز ـ نقله ابن المنذر ـ وهذا في



من وحي القرآن الكريم

ياساقىَ الأرواح من كاساتهِ ... روحى فداك فهات جامك هاتهِ
واسكب غناءك فى مسامع مهجتى ... يشدو الفؤاد على مدى رنَّاتِه
رتِّلْهُ يا غرد السماء مفصلا ... تعنو النفوس الى بليغ عظاتهِ
يا من نداماه القلوب وَرَاحُهُ ... من كرمة البارى ومن جنَّاتهِ
عطر به الدنيا فاية نفحة ... اندى من القرآن فى نفحاتهِ
واشج القلوب به فاية نغمة ... اشجى من القرآن فى كلماته
واجل النفوس به باية حلوة ... أبهى من القرآن فى نغماته
افتح مغالقها تعد صوفية ... سكرى المشاعر من طلا آياته
ان تسقها من كرمه تفتح لها ... حجب السماء عن الاله وذاته

***

عينٌ من الفصحى ونبع هداية ... يشفى غليل الروح عذب فُراته
يحيا به ميت القلوب بشاشة ... كالجدب أحيا الغيثُ ميت نباته
السّحر كلُّ السحر فى الفاظه ... والجرس أحلى الجرس فى نبراته
أعيا العقول معانيا ومراميا ... ورمى فحول القول عن صهواته
من راح من جهل يعارض شمسه ... أعشى نواظره بفرط ايائه
حسب النبى به قوارع حجة ... دكت صروح الشرك فوق قناته
من كل بالغ حكمة أصغى لها ... سمع الزمان وزفها لرواته
أوكل رائع قصة تأثيرُها ... راع الجحود وهز صلب قناته
او كل ذكر من جلالة قدسه ... وجل الفؤاد ولجَّ فى ساته

للأستاذ الدكتور حسن جاد حسن



أو كل موعظة يبكى من وقعها ... طرف العصيّ وتاه فى عبراته

أسمع لشدو النَّشْءِ فى ترتيله ... ينساب قدسيا على لهواته

تحسب عصافير الربيع ترنَّمت ... فى الروض واجتمعت على دوحاته

قبس من الرحمن يهدى من سرى ... فى ظلمة الدنيا سنا مشكاته

ومشارع للحق والأخلاق من ... آدابه تحميه من عثراته

تغنى دساتير العباد وإنما ... دستوره ماض الى غاياته

جل المشرع كل شرع غيره ... تتعثر الأزمان فى غلطاته

***

ياباعثا روح السلام يهديه ... ضل الأنام عن السلام فهاته

الكون مضطرب الخواطر حائر ... تتعثر الآمال فى خطواته

يعدو القويُّ على الضعيف كأنه ... ذئب ترصَّد فى الخفاء لشاته

دنيا من الجشع البغيض وعالمٌ ... قد ضل بالأهواء فى غمراته

صدفت عن البهى عيونه ... فتخبطت فى الوهم من ظلماته

لو أنه أصغى الى القرآن لم ... ير ما يطب لدائه كآساته

هو طهر هذى الأرض من أوضارها ... وخلاص هذا الكون من آفاته

وزكاة ما فى النفس من أوزارها ... وشفاء ما فى الصدر من علَّاته

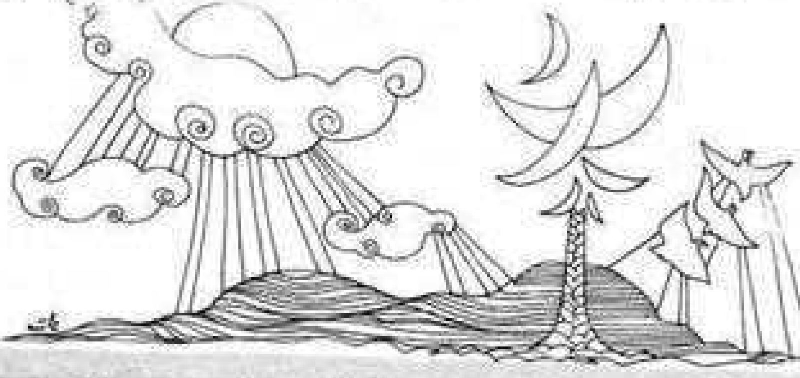
عودوا اليه لتستقيم حياتكم ... وخذوا الحقيقة من لسان دعاته

فأقل ما يدعو اليه سعادةٌ ... للعالم المتاع من ويلاته

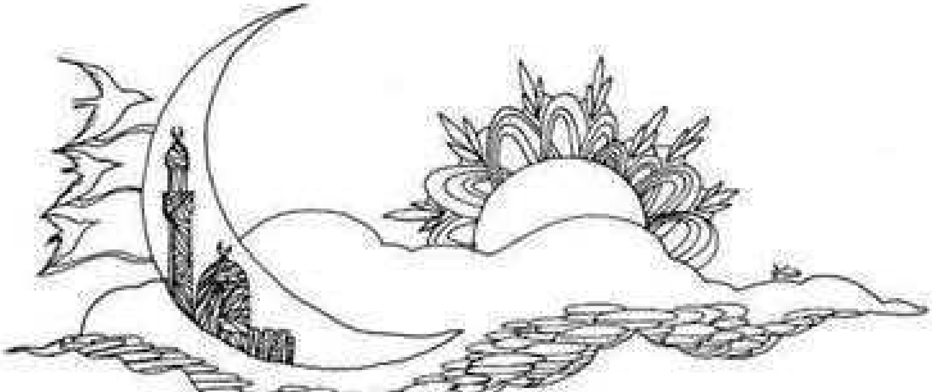
حائر

يا أولي الألباب إني	حائر قد نَدَّ حِلْمِي
واختفى عني طريقي	في غيابات الخِضَمّ
أين شرقي أين غربي	والسواقي الهوج تعمي
خبروني كيف أخطو	في ضباب تحت غيم
فوق أشواك وصخر	في طريق العيش تدمي
ضاع أمني واتِّئاسي	بين غيلان ورُقم
أنني أحيا غريبا	وسط أقراني وقومي
أغتدي فيهم وأمسي	فوق جمر النار رغمي
راحل عنهم بِحِسّي	حاضر فيهم بجسمي
كم سهام مرشقات	في فؤاد الحر تصمي
يا الذاتي كل شيء	حال لونا مثل طعم
أنبئوني أنبئوني	واكشفوا بالحلم همي
هل صحيح ما أراه	أم تهاويل لوهمي
من أمور غامضات	عمّي عنها كل فهمي

هل يكون الفضل في الإنسان مدعاة لِذَمّ ؟!



شعر محمد عبد الرحمن صان الدين



والتزام الحق جرما .:. فى نزيه اى جرم ؟!

والصريح القول فظا .:. يرتدى جلباب شؤم ؟!

هل يكون السم شهدا .:. والحصى براق نجم ؟!

هل يصير المين صدقا .:. بعد تزويق ووشم ؟!

والمجون الجهر ظرفا .:. والخنا تفريج هم ؟!

والكلام الهُجْر نظما .:. عبقريا ایَّ نظم ؟!

ذاك ما يطفو على .:. سطح الحياة المدلهمّْ

يا رفاق العيش ماذا .:. فى ما احصاه كَلِمْ

هل اصبت الحكم فيه .:. ام ترى قد جار حكمى ؟

مع الله

للأستاذ محمد عبد الفتاح حماد

إنّ يومى مثل امسى ليس فيه من جديدِ
وغدى أجهل ما فيه الى حدٍّ بعيدِ
وحياتى كلها ضاعت ومرت فى شرود
ولقد أفنيت عمرى عاشقا كل الوجودِ
اننى يارب عبد ذاب فى نجواك عشقا
ان أراد الناس فقرى أنت لا تمنع رزقا
او أراد الناس خزّى أنت ترعانى حقا
كلما أزداد قربا زدتنى حبا وشوقا
يا اله الكون وفقنى وقربنى اليكا
كل شىء فى حياتى نعمةٌ يارب منكا
لى رجاءٌ ودعاء وأنا بين يديكا
اننى فى كل امرٍ قد توكلتُ عليكا
حينما كنتُ بعيدًا عنكَ كم واجهتُ هولاَ
كنت انسانا غبيا تافها فكرا وعقلا
تائها فى ظلمات واشدّ الناس جهلاَ
من يقف بالباب يسلم ومحال ان يزلا
اجمل الأوقات عندى حينما اخلو لنفسى
ان ارى نور الهى بين اعماقى وحسّى
وانا بى فى صلاتى تاركا همّى ويأسى
انت يا رباه فى دنياى افراحى وانسى

- قادة النبي صلى الله عليه وسلم

من تاريخ السيرة العطرة

- الإعلام الإسلامي في مواجهة الدائرة الدعائية الثانية

قادة النبي ﷺ

١٥ – المنذر بن عمرو : أخو بني ساعدة رضي الله عنه

كان المنذر بن عمرو الخزرجي رضي الله عنه من أوائل الناس اسلاما في المدينة ، حضر العقبة الثانية ، وكان من النقباء الاثني عشر الذين خرجوا من المدينة ليكونوا كفلاء على قومهم •

حضر غزوة بدر وغزوة أحد ، وله – في كل منهما – شأن ، وكان محبوبا في قومه : بني ساعدة •

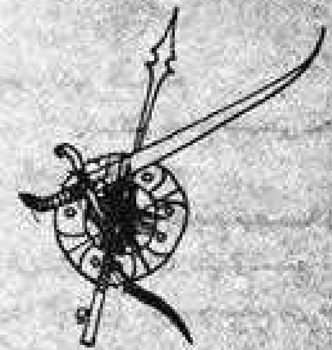
بعد غزوة أحد ، حضر الى المدينة أبو براء عامر بن مالك – ملاعب الأسنة – وهو من قبيلة بني عامر ، وكان مقدما بين قومه ، ودعاه الرسول صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ، فلم يسلم ، ولم ينكر الاسلام ، ولكنه طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسل رجالا من الصحابة الى أهل نجد يدعونهم الى الاسلام ، ولما أبدى الرسول صلى الله عليه وسلم تخوفه على أصحابه من أهل نجد ، قال أبو براء : – أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك •

فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم أربعين رجلا من خيار المسلمين ، منهم المنذر بن عمرو ، والحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعروة بن أسماء ، ونافع بن بديل الخزاعي ، وعامر بن فهيرة رضي الله عنهم •

وجعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أميرا لهم ، فذهبوا ليدعوا أهل نجد الى الاسلام ، ولكن عامر بن الطفيل (١) استعان بقبائل «عصية» و «رعل» و «ذكوان» من بني سليم على سرية المسلمين هذه السرية التعليمية التي لم تخرج لغارة ، ولم تبادر الى حرب فهاجموهم عند بئر معونة (٢) ، وقاتل المسلمون أشد قتال ، ولكنهم استشهدوا

---

١ – وهو من بني عامر أيضا وابن أخي أبي براء •
٢ – بين أرض بني عامر وبني سليم في نجد •



صلى الله عليه وسلم

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

جميعا الا اثنين : كعب بن زيد رضى الله عنه الذى رفع من بين القتلى وهو مثخن بالجراح ، وعمرو بن أمية الضمرى (١) رضى اللــه عنه أطلقه عامر بن الطفيل .

وعرفت هــذه السرية باســم « سرية بئر معونه» ، وهى السرية الأولى التى استشهدت ضحية الغدر وحزن الرســول صلى الله عليه وسلم على هؤلاء الشهداء حزنا شديدا .

ومضى ركبهم رافعا كلمة الاسلام ، مثبتــا راية البذل والفداء ، رحم الله شهداء الرجيع ومعونه .

١ ــ فى طريق عودته الى المدينة ، التقى برجلين من بنى عامر ، من بنى سليم وكان معهما كتاب أمان من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن عمرو يعرف بالكتاب ، فقتلهما وهو يظن أنه نال بهما ثأرا ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم، يدفع ديتهما لانه أمنهما ، صلى الله عليك سيدى يارسول الله ، يامن كنت مثــالا لحفظ العهد ، فبالرغم من فجيعتك فى أصــحابك تدفــع دية رجلين من أهل القتلة لانك عاهدتهما .

١٦ سالم بن عمير الانصارى رضى الله عنه

هو سالم بن عمير بن ثابت الأوسى من بنى عمرو بن عوف ، أسرع بالاسلام فى المدينة ، ويقال : انه حضر العقبة ، وهو ممن حضر بدرا وأحدا وحضر أكثر الغــزوات مع الرســول صلى الله عليه وسلم .

اشتد نفاق « أبى عفك » أحد بنى عمرو بن عوف وقال شعرا يحرض على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومما قال : ــ

لقد عشت دهرا وما ان ارى
من الناس دارا ولا مجمعــا
ابــر عهــودا واوفى لمــن
يعــاقد فيهم اذا مــا دعــا
من أولاد قيلة (٢) فى جمعهم
يهــد الجبــال ولن يخضعا

٢ ــ جدة الأوس والخزرج ــ الملك تبع ــ من ملوك اليمن .

فصدعهم راكب جاءهم
حلال حرام لشتى معا
فلو ان بالعز صدقتم
او الملك تابعتم تبعا (١)

فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم :ـ (من لي بهذا الخبيث) ، فيقوم سالم بن عمير رضي الله عنه بالانتصار للرسول صلى الله عليه وسلم من ابن قومه ، فيقتل أبا عفك .

وسالم رضي الله عنه من البكائين (٢) ، وهم الذين لم يجدوا مايحملونه ليجاهدوا في سبيل الله في غزوة تبوك ، وذهبوا يطلبون من الرسول صلى الله عليه وسلم يركبونه للجهاد، ولما لم يكن عنده صلى الله عليه وسلم ما يحملهم عليه ، رجعوا الى بيوتهم وهم يبكون ، وفيهم نزل قول الله تعالى :ـ

« وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ » .

عمر سالم بن عمير رضي الله عنه بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتوفي في خلافة معاوية رضي الله عنهما .

١٧ محيصة بن مسعود رضي الله عنه

هو محيصة بن مسعود بن كعب بن عمر الأوسي الأنصاري ، حضر أحدا والخندق والمشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى أهل فدك (٤) يدعوهم للاسلام .

بعد مقتل كعب بن الأشرف (٥) شيطان يهود ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم :ـ من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصة رضي الله عنه على تاجر يهودي هو ابن سنينة ـ كان يبيع للأوس ويتاجر بينهم ـ فقتله ، وكان لمحيصة أخ اسمه حويصة بن مسعود وكان أكبر من محيصة ، ولم يكن قد أسلم ، فأخذ حويصة يضرب أخاه ويقول :ـ أي عدو الله أقتلته ؟ أما والله لرب شحم في بطنك من ماله . فيرد محيصة رضي الله عنه على أخيه قائلا :ـ والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك .

فيقول حويصة :ـ آلله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني ؟ فقال محيصة رضي الله عنه :ـ نعم والله ...

وكان هذا أول اسلام حويصة رضي الله عنه ، الذي رأى من أخيه تمسكا بدينه أكثر من تمسكه برابطة الدم ، رحم الله أولئك الأبطال الأوائل .

ابراهيم عبد الرحمن ابو الغيط

---

١ الابيات من المتقارب
٢ ـ هم : سالم بن عمير ، وعلبة بن زيد ، وابو ليلى : عبد الرحمن بن كعب ، وعمرو بن حمام بن الجموح ، وعبد الله بن عمرو المزني ، وهرمي بن عبد الله ، وعرباض بن سارية الفزاري رضي الله عنهم اجمعين .
٣ ـ التوبة ٩٢ .
٤ ـ من مدن شمال الجزيرة قريبا من خيبر .
(٥) انظر محمد بن مسلمة رضي الله عنه .

الإعلام الإسلامي

فى مواجهة الدائرة الدعائية الثانية

دعاية أهل الكتاب

(٢) للأستاذ حسن على العنيسى

تمهيد :

نشأت المواجهة بين اعلام الاسلام ، ودعايات اهل الكتاب منذ اليوم الأول لظهور الاسلام فقد كان علماء اليهود يعلمون بالدين الجديد وبالنبى صلى الله عليه وسلم وقد كانوا يستفتحون على الكفار ويتفاخرون عليهم بان النبى الجديد سيكون منهم وتكون السيادة لهم فاذا بهم يرون النبى صلى الله عليه وسلم عربيا ليس منهم واذا بالسيادة تسعى الى بنى هاشم ، من هنا بدا اليهود يحاربون النبى صلى الله عليه وسلم ويحاربون الدين الجديد بشتى الحيل والوسائل ، واشتد الصراع بهجرته صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة .

وعندئذ بدأ اليهود يشعرون بالخطر الحقيقى وأن الاسلام محيط بهم وأنه لابد من مواجهة فعالة معه ولابد من حساب توقيتها بدقة شأن مكر اليهود .. !!

وبدأت هذه المواجهة بالحرب الباردة . والحرب الدعائية المضاد للدين الاسلامى ،

ودعاية أهل الكتاب تعد من أخطر أنواع الدعايات على الدين الاسلامى وأخبثها فهى دعاية صادرة من أصحاب عقيدة وديانة .. ولكنهم أصحاب مكر ودهاء ولهم فى الخبث والدهاء سهم وافر .. !!

---

(١) نتناول هنا دعاية اهل الكتاب جميعا ، فانهم يجمعهم هدف واحد .

ولقد توقفت كثيرا أمام هذه الدائرة الدعائية فهى من الدعايات التى سببت الكثير من المتاعب للنبى صلى الله عليه وسلم ولأصحابه ولعامة المسلمين وامتد أذى هذه الدائرة الدعائية الى يومنا هذا فما زال علماء المسلمين يعانون من شرورهـا فى كتب التفسـير والحـديث والسيرة .. !!

كذلك فان هذه الدعاية هى الدعاية الوحيدة التى ما تزال تعمل بنشاط لتدمير الاسلام والمسلمين ومن هنا رأيت أن أتوقف أمامها قليلا من أجل كشف سمات هذه الدعاية وتوضيح وسائلها والطرق التى يسلكونها فى دعاياتهم والأهداف المرحلية التى يسعون اليها والأهداف المحورية التى يتطلعون الى تحقيقها .. حتى يتسنى لرجال الاعلام الاسلامى مواجهتها بسهولة والتصدى لها عن علم .. !!

والله من وراء القصـد .

وهنا نتناول :

السمات العامة لدعاية أهل الكتاب .

الأهداف المرحلية والأهداف العامة .

الوسـائل المتبعـة لتحقيق هـذه الأهداف « والتكنيك الدعائى » .

١ــ السمات العامة لدعاية أهل الكتاب :

(أ) تقوم على المنطق والحوار العقلى فى **ظاهرها** ، وفى حقيقتها تحـوى الكثير من المغالطات .

(ب) تعتمد على الاثارة والروايات المبالغ فيهـا .

(ج) تسـتخدم بكثرة الدعاية الرمادية أى التى يعرف مصـدرها وتمزج بين الحقـائق والأكاذيب .

(د) تعتمد على التشكيك واثارة البلبلة .

(هـ) تتخذ التخطيط المرحلى بمعنى أن توجد دعاية متخصصـة أيضـا لكل فترة معينـة **فنجد مثلا :**

دعاية مضادة موجهة للقرآن فقط ، وأخرى موجهة لشخص الرسول عليه الصلاة والسلام وثالثة لمعجـزات الرسـول صـلى الله عليه وسلم .. الخ .

(و) التضـخيم فى الـذات والميل الى الاستعلاء وتصغير ما يخالفهم وتحقير شـأنه وسوف يتضح هذا فى المبحث الـذى يتنـاول الأساليب « والتكنيكات » الدعائية عندهم .

٢ ــ الأهداف المرحلية والأهداف العـامة لدعاية أهل الكتاب من يهود وغيرهم :

كان أهل الكتاب ــ وما يزالون ــ يهدفون الى « **محو الاسـلام وهدمه** » وذلك هدف أسـاسى ومحورى تدور حوله كافة الأهداف المرحلية بوسـائلها المختلفة وتتناحر الدعايتان وتختلفان كثيرا الا فى مجال ضرب الاسلام فهما يتفقان جدا وينسـق كل منهم دوره بجدارة وحذر ومن شاء أن يعرف الكثير فعليه أن يتتبع نشـاط الفاتيكان الآن ونشـاط المؤتمرات اليهودية ونوادى الماسونية والروتارى المختلفة فى دول العالم .. !!

ولكننا نتناول الآن فترة زمنية مضت ، هى

عهد النبي صلى الله عليه وسلم — لنأخذ منها الدروس والعبر ولنستنتج منها الموعظة والمنهج أيضا في مواجهة الدعاية الكتابية في القرن العشرين .

١ — **فمن أهدافهم المرحلية : التشكيك في القرآن الكريم** : وذلك بالسؤال أهو من عند الله ؟ ولماذا لا يكون من صنع محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ولماذا تتكرر بعض المعاني في آياته ؟ ولماذا ؟ ولماذا ؟ . الخ ويسألون عن أشياء على سبيل التحدي **فيسألون عن :**

كلب أهل الكهف ؟ عن ناقة صالح وأوصافها؟ عن البقرة ؟ وعن أية تفصيلات لقصص جاءت موجزة في القرآن الكريم .

٢ — **والتشكيك في الرسول** صلى الله عليه وسلم سواء في نبوته أم في شخصه العظيم ، أم في آل بيته الكرام .. وفي كتب السيرة آلاف المواقف لمن يريد تفصيلها وسيجد عجبا .. !!

٣ — **ومن أهدافهم تحريف القرآن الكريم** ، وذلك بقراءة آياته الشريفة بحذف أو اضافة .

٤ — ... **والسطو على التفسير** بادخال أساطير وخرافات في دقة عند عرض القصص القرآني (١) .

ولقد أورد الكتاب العزيز هذه الحقائق عن أعمالهم التي كانت تهدف الى ردة المسلمين ، أو دفعهم الى اعتناق ديانتهم وترك الاسلام ، أو الاضلال والبلبلة .

يقول المولى سبحانه :

* **« مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢) » .**

* **« وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ (٣) » .**

* **« وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ (٤) » .**

* **« وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا (٥) » .**

* **« وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦) » .**

---

(١) المجلة : كان النشاط النفاقي العنيف في العصر العباسي ميدانا خصبا لدس هذه السموم عند كانت الوِرَاقة — وتمثلها المطبعة في العصر الحديث — مجالا يستطيع أن يلجه كل من قرأ وكتب فتكتّب بها الجليل والصغير ، والمتدين والزنديق والمسلم والنصراني .. الخ .

وترك ذلك من البلاء الكثير — انظر للأستاذ عبد السلام هرون — تحقيق النصوص ونشرها — باب الوراقة .

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٠٥ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ١٠٩ .
(٤) سورة البقرة آية رقم ١٢٠ .
(٥) سورة البقرة آية رقم ١٣٥ .
(٦) سورة آل عمران آية رقم ٦٩ .

الإعـــلام الإســلامـي

هذا باختصار شديد بعض ما أورده القرآن الكريم مما يكشف عن أهداف الدعاية الكتابية التي لا يزال نشاطها مستمرا حتى يومنا هذا وفي النموذج التالي صورة توضيحية لحقيقة أهداف الدعاية الكتابية .

٣ ـ الوسائل المتبعة لتحقيق هذه الأهداف

(أ) الوســـائل :

لكل عصر بصماته على الاعلام والدعاية ، وذلك لأن علاقة الاعلام بالمجتمع انما هي علاقة تأثير وتأثر ، والدعاية ، في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت تخضع لهذه العلاقة أي التأثير في مجتمع المدينة المنورة والتأثر بظروفها وظروف العصر كله .

واذا كانت الوسائل بدائية الا أنها لا تختلف كثيرا عن اليوم الا في استخدام الوســـائل الالكترونية الحديثة ذات الصـفة الجماهيرية العامة ولكن الشيء الذي لم يتغير أبدا ، بـل يضاف له الجديد يوميا هو الأساليب الدعائية « والتكنيكات » .. !!

ومن الوسائل الشـائعة آنـذاك ، والتـي استخدمها اليهود بذكاء شديد :

١ ـ الاتصال الشخصي : Face - To - Face

ولقد برع اليهود في فن الاقناع والمجادلة بالشيء ونقيضـه واللعب بالألفاظ وتحـريف الكلام ـ كما ســـنرى في مبحث الأساليب الدعائية ـ ، ويعد الاتصال الشخصي من أهم وسائل الدعاية والاعلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان له نتائج مباشرة وسريعة فالاتصال الشخصي يتوافر فيه عنصر التلقائية وبالتالي لا يلفت نظـر المتلقى الى الافتعـال أو التخطيط المسبق ؛ كما أنه يتوافر فيه المرونة بمعنى أن الداعية أو رجل الدعاية يطور ويغير من مضمون دعايته حسب الموقف الذي أمامه وحسب الحالة النفسية والذهنية للمتلقى .

٢ ـ الأسواق والمحافل العامة (١) :

وكانت الأسـواق ـ ومازال ـ ملتقى قبائل العـــرب ، ومركز اعلامهم الذي فيه تعـرف القبائل أخبار بعضها البعض وتبث الأخبـار وتروى الأشعار وتروج أيضـا الشـائعات والأكاذيب وفرصة التثبت من صـحة ما يقال ضئيلة دائما في الأسواق !.

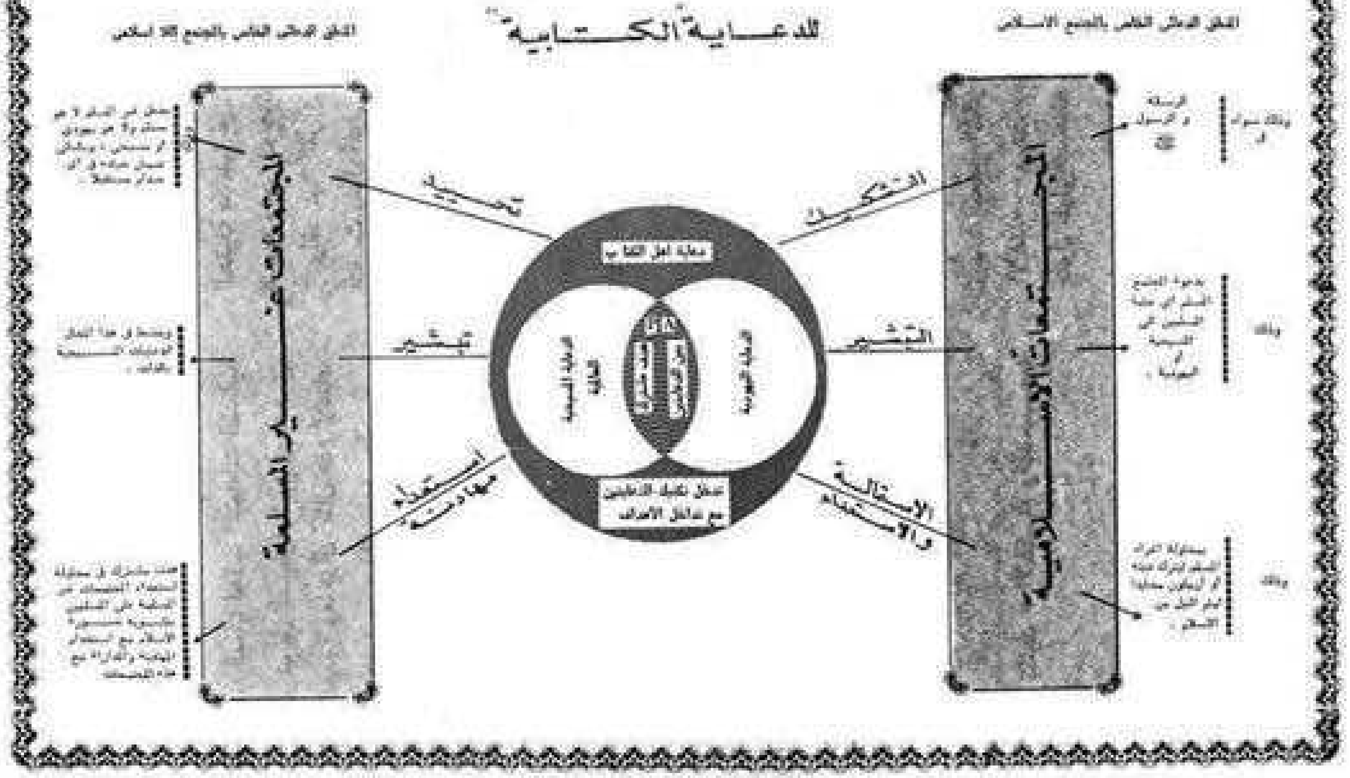
واذا علمنـا ما لليهـود من باع طويل في التجارة والبيع والشراء والمســاومة لعرفنا أنهم يعرفون تماما أحوال السوق ويعلمون متى يكذبون ؟ ومتى يصمتون ؟ وكيف يستخدمون المـال في الأســـواق في شراء ذمم الرجال وأخلاقهم .. !!

٣ ـ الأعياد والمناسبات العامة والاجتماعية :

وفي الأعيـــاد يتلاقى الأفراد والجماعات ، وتنشط حركة اللقاءات ، وتكون الحالة الذهنية

(١) الاعلام والتنمية . د محمد سيد محمد ط دار المعارف بالقاهرة .

نموذج يوضح الخطوط العامة للدعاية الكتابية



في مواجهة الدائرة الدعائية الثانية

والنفسية للمتلقي منبسطة أو متقبلة لسماع أي جديد وغريب وفيها يبث اليهود دعايتهم عن طريق موائد الخمور والولائم ، مستخدمين في ذلك النساء البغايا لجذب اهتمامات الشباب اليهم وبالتالي تسهل السيطرة عليهم في تصديق كل ما يقال لهم .. وما يزال أمثال هذه الأعياد موجودا بما يحويه من رذائل ومفسدات .

(ب) التكتيكات والاتجاهات الدعائية لدعاية اهل الكتاب :

لقد تعرض القرآن الكريم لهذه الأساليب وكشف عنها للمسلمين .. وفند الكثير من المزاعم التي تستند اليها دعاياتهم .. والغريب أن هذه الأساليب ما يزال اليهود يستخدمونها حتى يومنا هذا .

وفي الآيات القرآنية التالية سنجد عجبا من اليهود ومن دعاياتهم وسنجد أن الدعاية اليهودية هي الشيء الوحيد الذي لم يتطور أو يتغير عندهم منذ ١٤ قرنا ولكنا غافلون عن بحث لكتاب الله الكريم .

اولا : « تكتيك » الاخفاء والتشويه المتعمد (١) :

ولقد برع اليهود في استخدام هذا التكتيك في دعاياتهم .. ، ويقوم هذا التكتيك على عرض شيء من الحقيقة واخفاء بقية هذه الحقيقة أو اخفاء معلومات معينة قد تكون رأيا مضادا لهم ، واعلان ما يخالفه ، أو عرض الحقيقة بكاملها غير أنه في ثنايا العرض يتم تشويه وتحريف جزئيات هذه الحقائق .. !!

ولقد نبه القرآن الكريم لهذا الأسلوب الخبيث بقول المولى عز وجل :

* « .. الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » البقرة ١٤٦ وفي هذه الآية يتضح **تكتيك الاخفاء** .

* « .. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » آل عمران ٧١ وفي هذه الآية يتضح الأمر أكثر فنجد استخدام تكتيك التشويه ، وتكتيك الاخفاء .

وفي الآية التالية نجد أن بعضهم يحذر ويهدد البعض الآخر اذا لم يستخدم «تكتيك» الاخفاء .. ويحذره من مغبة عرض الحقيقة .. يقول المولى سبحانه :

* « .. وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ »(البقرة ٧٦) .

(١) د . محمد علي العويني « دور التكتيك في الأعلام الدولي » طبعة « عالم الكتب » ١٩٧٩ م .

دعاية أهل الكتاب

ثانيا : « تكنيك » الكذب :

وتعتمد الدعاية اليهودية حتى يومنا هذا على الكذب الذكى أو ما يسمى بالدعاية الرمادية ، وذلك بخلط الحقيقة بشىء من الكذب ، وبتلفيق التهم وبث الشائعات مع وضعها فى ثوب الحدث ذى الأهمية .

واذا كان اليهود يستخدمون الكذب فى دعاياتهم ، فانهم يسمعونه ويروجونله اذا كان هذا يخدم ما يسعون اليه ، ولقد تعرض القرآن الكريم لهذا «التكنيك» وكشفه أمام المسلمين.. يقول المولى سبحانه :

* « وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ » (المائدة ٤١) وفى هذه الآية نرى أن اليهود لا ينشرون الكذب فقط بل يروجون له ويسمعونه .. !!

ولهذا نرى كم تعب علماء الحديث فى جمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه من التقول .. !! ، بل سنجد أن اليهود حين لم يستطيعوا التوصل الى تحريف القرآن وجدوا ضالتهم فى تفسير القرآن وبدأوا ينشرون القصص الخرافية فى ثنايا التفسير ولعلماء المسلمين دراسات كثيرة تكشف عن الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير والحديث .. وان شئت فاقرأ قوله تعالى :

« وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (البقرة ٧٥) .

لقد قدم الكتاب العزيز توضيحا تاما لكل وسيلة مارسها اليهود ، ولعل الاعلام الاسلامى يؤدى دورا فعالا فى مواجهة هذه السموم وافسادها .

ثالثا : « تكنيك » التوقيت :

من المأثورات العربية « لكل مقام مقال .. » واذا كان لكل مجال حديث فانه لكل توقيت أيضا حديث .. ويقدر نجاح رجل الدعاية فى اختيار الوقت المناسب لبث دعايته بقدر مايكون النجاح والتأثير المحالفان له .. ومن هنا وعى اليهود تماما هذه الحقائق وتصرفوا على أساسها .. !!

ولهذا اتبع اليهود مواقيت الحج والأسواق العربية الشهيرة حيث يتجمع العرب من كل مكان وحيث يكون مجال البحث عن حقيقة الخبر ضيقا .. وحيث يكثر الناس تنتشر الاشاعة .. !! وباستمرار تتصاعد دعاية اليهود فى أوقات الغزوات والحروب وفى كتب السيرة العديد من الأمثلة والمواقف التى توضح هذا المقام .. وهى زاد وفير لرجال الاعلام الاسلامى .



فى مـواجهـة الـدائـرة الـدعـائيـة الثـانيـة

(ج) الاتجاهات والأساليب الدعائية للدعاية الكتابية :

ربما يرى القارىء فى العرض التالى تكرارا لما سبق ولكن ، الحقيقة لا تكرار وانما حلقات متداخلة يؤدى بعضـــها الى بعض .. حيث يتداخل « التكنيك » الدعائى مع أسلوب الدعاية واتجاه الدعاية المركز الى قطاع ما من الناس وفى هذه السطور ســنحاول توضيح المحاور التى ركزت عليها دعاية أهل الكتاب .. !

أولا : الاتجـاه الدعائى المضـاد للرسالة (القرآن الكريم) :

تميزت الدعاية الكتابية بالذكاء واتبعت مع كل قطاع منطقا اعلاميا أو دعائيا خاصا ولهذا نجـد :

أن بعضا من دعاياتهم تركزت حول الرسالة.

وأخرى حول الرسول صلى الله عليه وسلم او القائم بالاتصال .

وثالثة توجهت الى المتلقى .

كل ذلك فى اطار الدعاية المضادة الشاملة لكل المجتمع الاسلامى .. !!

ففى الاتجـاه الدعائى المضـاد للرسـالة استخدم اليهود جميع « التكنيكات » الدعائية مثل تكنيك الاخفاء كمـا أسـلفنا القـول ، «وتكنيك» التشـويه « وتكنيك » التحريف ، « وتكنيك » الكذب وذلك لهدم القرآن الـذى يعتبر محورا وأساسا للعقيدة الاســـلامية وبالتالى يمكنهم ذلك من هدم الاســلام كمـا تصوروا .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم من دهاء اليهود وخبثهم « **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١)** » صدق الله العظيم . فان اليهود ما يزالون يجاهدون ويعاندون فى تحريف الذكر الحكيـم .. ومن أجل الوصول الى هذا الهدف اتبعوا طريقـا آخر هـو :

دعاية الأفعال بعد أن فشلت **دعاية الأقوال** ، فيعلن أحـدهم أنه دخل الاســلام ايمانا (بالرســالة) ثم بعد أيام يعلن أنه ارتد عن الاسلام لأنه وجد أن الرسالة ملفقة ، واكتشف أنها من عند صاحبها ، وليست رسالة الله ـــ سبحانه . وبذلك يزرع الشك فى قلوب ضعاف الايمان ، ويعين على عدم الاســتجابة للدين وقد يدفع هذا العمل مسلما حديث عهد بالايمان الى الكفر .

وهنا مكمن خطر الدعاية الفعلية المضـادة بعد فشل الدعاية القولية . ولهذا كان الاسلام حاسـما فى معالجة هذا الوضـع بقتل المرتد فقـد قرر الحكيم الخبير ـــ عز وجل ـــ أنه « **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** » (البقرة ـــ ٢٥٦) . وذلك يعنى أن المعتنق للاسلام انما يعتنقه

(١) الحجر ٩ .

دعاية أهل الكتاب

عن طواعية تامة وحرية كاملة واقتناع موفور اذ عنصر الاكراه مرفوض ، بينما الفكر واعمال النظر موفور ، فاذا دخل الاسلام معتنق له كان معنى ذلك أنه مقتنع بأحقيته عالم بسداده ، فاذا وقعت منه ردة بعد ذلك كان فيها دليل على المؤامرة والعبث بأقدس علاقات الانسان على الاطلاق ، وما جزاء ذلك الا القتل .

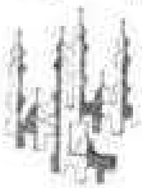
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من بدل دينه فاقتلوه » رواه البخارى وأصحاب الصحاح الا مسلم ورواه أحمد رضى الله عنهم .

وبهذا أمكن سد هذا المنفذ أمام الدعاية اليهودية المضادة « وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِى أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢) » وأرجو هنا أن نتأمل ونقارن ونعى جيدا فروق الماضى والحاضر وأقول مثلما قال الله تعالى : « أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (البقرة ــ ٧٥) .

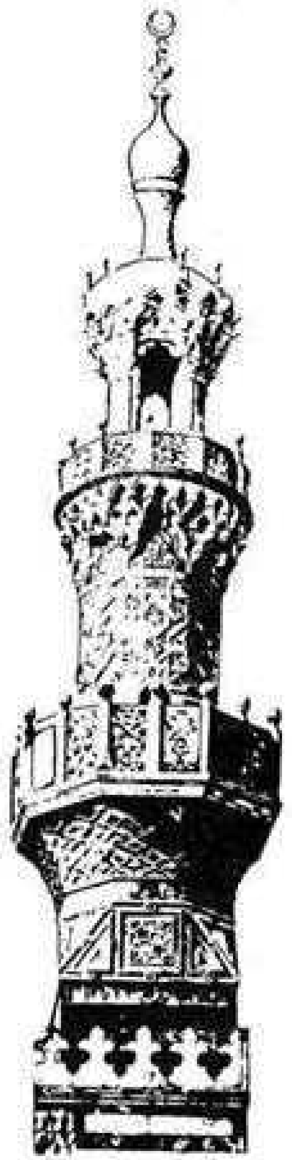
ثانيا : الاتجاه الدعائى المضاد للرسول (كقائم بالاتصال) :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم كريما .. حليما رحيما .. واستغل اليهود هذه الصفات لصالحهم وبالغوا فى ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم وذلك حسدا من عند أنفسهم فهم أول من يعلم مدى صدق النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوته وأول من يعرف صفاته ، ولكنهم مع هذا يسعون جاهدين للنيل منه صلى الله عليه وسلم وبالتالى يضعفون ركنا أساسيا فى عملية الاتصال وهو التشكيك فى المرسل أو القائم بالاتصال ومن هنا تضعف قابليته للتصديق عند الناس ويتصرف عنه الناس .. هكذا أراد اليهود . « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ .. » (البقرة ١٤٦) « وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ » (البقرة ١٢٠) « فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا .. كَفَرُوا بِهِ » (البقرة ٨٩) « وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا



(٢) سورة آل عمران آية ٧٢ .

دعاية أهل الكتاب



الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون»

(البقرة ١٠١) •

في هذه الآيات الكثير الذي يحتاج الى قراءة واعية متأنية حتى لا ندم اليوم ونحن وجها لوجه مع الدعاية اليهودية والتبشيرية أيضا •

٢ ــ الإتجاه الدعائي المضاد للمتلقي :

وتحركت الدعاية الكتابية في دوائر مختلفة، ولكل دائرة المتلق الدعائي الخاص بها ولهذا نجد الدعاية الكتابية قد قسمت المجتمعات البشرية قسمين : مجتمع مسلم ، وآخر غير مسلم •

وفي المجتمع المسلم عمل اليهود جاهدين على الوقيعة بين المسلمين ، أنفسهم وقصة الشاب الذي اندس بين المسلمين ، وهم في سمر مسرورون ، فألقى شعرا جاهليا ليثيرها حربا بينهم معروفة ، ولم يفت اليهود أن يثيروها بين الأنصار فيما بينهم تارة ، وبينهم وبين المهاجرين أخرى •• وفي كل حال أحبط الله كيدهم •

ولما فشلت هذه المحاولة بدءوا في ارسال بعوثهم الى أكثر من جهة وبخاصة مكة لاستعداء المشركين على المسلمين •

وتاريخ النبوة حافل بالوقائع في هذا الجانب ، لكنه ــ في عهد النبوة ــ وجد من يهتم له ويعمل على حصر آثاره وافساد كيانها•

حسن علي العنيسي

د. محمد محمود خفاجي
الأزهري
الموسوعي

من أعلام الأزهر

الأزهري السفير
عبد الوهاب عـــزام

الشيخ حسن العدوي

الشيخ الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجي

ـ الأزهر العظيم ، جامعة الجامعات ، وملاذ العلم والعلماء على امتداد العصور ، وصاحب الألف عام أو يزيد ق تخريج علماء الشريعة والدين واللغة والأدب والفكر ، ممن قادوا العالم الاسلامي على مراحل فترات التاريخ .

ـ ١ ـ

الأزهر فخر الدنيا ، ومجد مصر ، وقبلة العالمين الاسلامي والعربي ، وأكرم به بيت الشرق والمجد والتاريخ والفقه والفتيا واللغة.

ألف عام مضت وهو يقود العالم الاسلامي الى النهضة والعلم والمعرفة والثقافة الحقة والى التقدم والحضارة والمدنية وباجماع المفكرين أقول : لولا الأزهر ما كانت علوم الدين واللغة العربية على ما هي عليه اليوم من ازدهار وتقدم .

علماء الأزهر ظلوا حتى اليوم مصابيح الدنيا ، ونجوم الفكر ، وكواكب الهداية ، وحملة الرسالة ودعاتها وهداتها والمدافعين عنها .

نحن اليوم مع أزهري معاصر ، طاف بالعالم الاسلامي من الهند الى المغرب ، وكتب موضوعات علمية ، تنوه بالعصبة أولى القوة من العلماء ، وكان لسان صدق لمصر وللأزهر ق كل مكان ، وعرفته بيئات المستشرقين ، ودوائر الجامعات ق الغرب والشرق ، وكتب اليه ق كثير من أمور الثقافة والعلم والدراسات العليا ورسائل طلابها وبحوثهم وق شئون الأساتذة ومشكلات الدراسة .

ولقبه المعاصرون « سيوطي » العصر حينا ، وبشيخ « الدكاتره » حينا آخر ، وبـ « ابن الأزهر الوق » حينا ثالثا وهو الشيخ العالم العلامة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .

ـ ٢ ـ

ق عام ١٩٥٣ ، أى منذ نحو الثلاثين عاما ، كتب الدكتور طه حسين يدعو الى أن يكون منبع جامعة الأزهر والجامعات المصرية واحدا ، هو المدرسة الثانوية التي تستمد طلابها من مدرسة ابتدائية ، بمناهج متوسطة بين مختلف الثقافات ، وتؤول جميع معاهد الأزهر الابتدائية والثانوية الى وزارة التربية ، فيصبح منبع التعليم الجامعي واحدا .. ويصبح التعليم الابتدائي والثانوي تحت اشراف وزارة التربية ... ولم يرض الأزهر

الأزهرى الموسوعى



بذلك ، وكتب الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى كتابه الخالد « الأزهر فى ألف عام » فى ثلاثة أجزاء يبسط فيه الكثير من الحقائق عن تاريخ الأزهر وعلمائه خلال ألف عام .

وكان الكتاب رائدا حقا فى بابه ، وصار مرجع الباحثين جميعا ، وأصبح موضع عناية المستشرقين واعجابهم ، وكان خير دفاع عن الأزهر الذى لم ينصفه أصدقاؤه ولا أعداؤه على السواء .

والخفاجى أزهرى الثقافة والمعرفة ، أزهرى الروح والفكر .. كتب عنه وله مختلف الصحف والمجلات فى مصر والعالم العربى والاسلامى ، وصدر عنه أكثر من عشرة كتب مابين صغير وكبير ، ونشرت عنه أكثر من مائة ترجمة ، فى مختلف المصادر والمراجع المعاصرة ، وله صلة وثيقة برجال الفكر والأدب والعلم واللغة فى العالم العربى ، ومثل مصر والأزهر فى مؤتمرات كثيرة منها المهرجان الألفى لابن زيدون فى الرباط عام ١٩٧٥ ، ومنها مؤتمر الأدب العربى فى ممبادا بالهند عام ١٩٨١ . ومنها كذلك المهرجان الثقافى والأدبى فى الخرطوم عام ١٩٧٥ .

وقد عمل أستاذا زائرا فى جامعة محمد بن على السنوسى الاسلامية فى ليبيا قبل ثورة الفاتح من سبتمبر ، كما عمل كذلك فى جامعة محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، وفى جامعة الخرطوم ، وجامعة أم درمان ، وغيرها من الجامعات العربية .

وأشرف على مئات من رسائل الماجستير والدكتوراه لطلاب من مصر ومختلف أنحاء العالم العربى والاسلامى .

وآخر ما كتب عنه ما نشرته مجلة « آفاق ثقافية » التى تصدر عن جامعة الكويت (عدد أكتوبر ١٩٨٢) لقد نشرت تحقيقا ضخما

الشيخ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

عن حياته وكتبه ومؤلفاته وأعماله العلمية والأدبية .

وآخر كتاب صدر عنه هو « مواكب الحياة » في ثلاثة أجزاء ، يحكي قصة حياته من ألفها الى يائها ، وهو من أجمل كتب السيرة الذاتية التي صدرت في الأدب العربي في العصر الحديث .

ـ ٢ ـ

وكانت كتابات العلماء وبحوثهم ومقالاتهم عن الأمور المعروفة في الكتابة الاسلامية ، من مثل : الصبر ـ الصلاة ـ الزكاة ـ الصوم ، الحج ـ الصدق ـ الأمانة .

وكتب الخفاجي منذ عام ١٩٣٠ حتى اليوم في الشئون الاسلامية بفكر جديد ، سواء في مقالاته ، أم في مؤلفاته .

ـ كتب عن « الحضارة الاسلامية » ، وصدر له كتاب ضخم بعنوان : « الاسلام والحضارة الانسانية » .

ـ وكتب عن الاسلام وحقوق الانسان ، وصدر له كتاب بهذا العنوان أيضا عام ١٩٥١ ، وأعيد طبعه عام ١٩٨٢ وهو على وشك الصدور ـ وكتب عن العدل الالهي مقالة نشرت في مجلة الأزهر عام ١٩٤٩ كان لها دوى كبير .

ـ وكتب عن الاسلام دين السلام والحرية مقالا نشر في جريدة الأهرام عام ١٩٤٠ ، ثم نشر في جريدة العرب التي كانت تصدر بباريس عام ١٩٤٢ ، ونشرته آنذاك مجلات وصحف كثيرة .

الى غير ذلك من الموضوعات الجديدة ، ومن بينها : الاسلام والشيوعية ـ الديمقراطية في الاسلام ـ الأسرة في الاسلام ـ الاقتصاد الاسلامي وله كتاب بعنوان : « الاسلام ونظريته الاقتصادية » .

وفي مجال الدراسات الاسلامية : كتب الدكتور الخفاجي مالا يقل عن عشرة آلاف مقالة نشرت في مختلف الصحف والمجلات في العالم الاسلامي ، وأذيع بعضها من اذاعة مصر والاذاعات العربية ، وصدر له مالا يقل عن مائة كتاب من بينها ـ عدا ما ذكرناه :

- **تفسير القرآن الحكيم في ثلاثة عشر جزءا .**
- **شرح صحيح البخاري في عشرة اجزاء .**
- **الاسلام دين الانسانية الخالد .**
- **الاسلام رسالة الاصلاح والحرية .**
- **الاسلام ومبادئه الخالدة .**
- **الاسلام والشيوعية .**
- **الاسلام بين الماضي والحاضر**
- **في ظلال الاسلام .**
- **الأدب في التراث الصوفي .**
- **في ظلال التصوف الاسلامي .**
- **التراث الروحي .**

- مأثورات نبوية .
- شرح مختارات من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب الزبيدى (التجريد الصريح) ستة اجزاء الى ما سوى ذلك من الكتب الاسلامية .

— ٤ —

وللخفاجي في الأدب ودراساته مؤلفات ضخمة تزيد على المائة كتاب ، تعد أكبر موسوعة أدبية صدرت في العصر الحديث ، ومن بينها :

(أ) دراسات للعصور الأدبية تبلغ أكثر من ثلاثين كتابا ضخما ، منها :

الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى .
الحياة الأدبية فى عصر صدر الاسلام .
الحياة الأدبية فى عصر بنى أمية .
الحياة الأدبية فى العصر العباسى .
الحياة الأدبية فى العصر العباسى الثانى .
الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد .
قصة الأدب فى مصر (٥ أجزاء) .
قصة الأدب فى الأندلس (٥ أجزاء)
قصة الأدب المهجرى (جزءان) .
قصة الأدب فى الحجاز .
قصة الأدب المعاصر (اربعة أجزاء) .
الأدب الحديث ومدارسه (جزءان) .
الى ما سوى ذلك .

- تراجم أدبية تبلغ نحو العشرين كتابا ، من بينها :

ابو عثمان الجاحظ .
ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان .
رائد الشعر الحديث .
أعلام الشعر الجاهلى .
الشعراء الجاهليون .
أعلام الشعر فى عصر بنى أمية (جزءان) .
أعلام الأدب العربى .
ادباء الشرق (سبعة أجزاء) .
الرصافى الشاعر .

دراسات فى النقد الأدبى ، ومن بينها كتاب أصول النقد .
النقد الحديث ومذاهبه .
من أجل نظرية جديدة فى النقد (تحت الطبع)
فصول فى النقد .
موقف النقاد من الشعر الجاهلى .

(ج) دراسات فى النقد الأدبى .
مذاهب الأدب الخ .

دراسات فى نصوص الأدب ، وتبلغ نحو العشرين كتابا من بينها :

دراسات فى الأدب المعاصر .
دراسات فى الأدب العربى .
بلاغة العرب .
صور من الأدب الحديث (أربعة اجزاء) .
من روائع الأدب العربى الخ .

(هـ) دراسات فى اللغة والبلاغة ، ومن بينها شرح لابن عقيل فى ثلاثة أجزاء .
وشرح للايضاح فى البلاغة فى ستة أجزاء .

(و) دراسات تاريخية ، ومن بينها :

الأزهر فى ألف عام (٣ أجزاء) .
مواكب الحرية فى مصر الاسلامية .
مواكب النبوة .
مشاهد من السيرة .

السيرة النبوية .

سيرة رسول الله (اربعة اجزاء) ـ الخ .

(ز) تحقيقات لكتب من التراث ، تبلغ نحو الخمسين كتابا من بينها :

شرح مقامات الحريري الشريشي (اربعة اجزاء) .

اعجاز القرآن للباقلاني .

قواعد الشعر لثعلب .

فحولة الشعراء للأصمعي .

طبقات النحويين البصريين للسيرافي .

فصيح ثعلب في اللغة .

البديع لابن المعتز .

شفاء الغرام باخبار البلد الحرام للفاسي (جزءان) .

اسرار البلاغة دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني الخ .

ـ ٥ ـ

والخفاجي من أسرة عربية عريقة في القديم هي بنو خفاجة وله في تاريخ هذه الأسرة العربية كتاب بعنوان بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي ـ في أكثر من عشرين جزءا صدر منه عشرة أجزاء ـ وله كتاب آخر بعنوان : الخفاجيون في التاريخ .

وانتماء الخفاجي لأسرته العربية جعله يؤلف في تاريخ أسرته مجموعات كبيرة ، وانتماؤه للأزهر الشريف جعله يكتب كتابه « الأزهر في ألف عام » ـ وانتماؤه لوطنه مصر جعله يكتب قصة الأدب في مصر ، وكتاب التراث الروحي للتصوف الاسلامي في مصر ، وكتاب « مواكب الحرية في مصر الاسلامية » وغير ذلك .

ـ ٦ ـ

وقد ولد الخفاجي في قرية « تلبانة » مركز المنصورة عام ١٩١٥ ، ونال شهادة العالمية من درجة أستاذ في الأدب والنقد (الدكتوراه) عام ١٩٤٦ برسالته « ابن المعتز » وتراثه في « الأدب والنقد والبيان » .

وعمل في مطلع حياته أستاذا للغة العربية في الليسيه فرانسيه ، ثم عين مدرسا في كلية اللغة العربية ، ثم اختير عميدا لكلية اللغة في أسيوط (١٩٧٤ ـ ١٩٧٨) ـ ثم عمل أستاذا في الأدب والنقد في الدراسات العليا في كلية اللغة بالقاهرة ، ولا يزال يعمل فيها حتى اليوم .

والخفاجي تلاميذه المنتشرون في أنحاء العالم الاسلامي .

وله مكانته العلمية السامقة داخل الأزهر وخارجه وفي مصر والعالم العربي والاسلامي .

وله كذلك صلاته الوثيقة بجميع الأدباء العرب في كل مكان .

وهو فوق ذلك :

ـ نائب رئيس رابطة الأدب الحديث في القاهرة .

ـ نائب رئيس نادي القصيد في القاهرة .

ـ نائب رئيس جماعة أبولو الجديدة .

ـ رئيس اتحاد الجمعيات الأدبية ـ في القاهرة .

ـ عضو المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

ـ عضو في المجالس القومية المتخصصة .

ـ عضو فى المجلس الأعلى للثقافة .
ـ عضو فى نادى القصة بالقاهرة .
ـ عضو فى العشيرة المحمدية .

الى غير ذلك من مختلف الجماعات الثقافية والأدبية والاسلامية ولدى الخفاجى مؤلفات مخطوطة كثيرة لم تر النور بعد .

وللخفاجى سبعة دواوين شعرية منها :

نغم من الخلد	١٩٧٣
صلوات على الضفاف	١٩٨٢
ـ أحلام الشباب	١٩٤٩
ـ أحلام السراب	١٩٥٣
ـ وحى العاطفة	١٩٣٦

ـ وديوان آخر مخطوط لم يطبع بعد .

ويعزم على اصدار شعره الاسلامى فى ديوان ، وعلى اصدار جميع شعره فى مجموعة واحدة .

ـ ٧ ـ

وبعد فهذه صورة لأزهرى نابغة معاصر لنا ، تتلمذ على موائد الأزهر ، وتلقى ثقافته فيه منذ عام ١٩٢٧ حتى عام ١٩٤٦ ، وحضر حلقات العلم فى الأزهر القديم والحديث ، وتتلمذ على شيوخه الكبار ، من أمثال : الشيخ محمود أبو العيون ، والشيخ محمد مصطفى المراغى ، وشقيقه الشيخ أحمد المراغى ، والشيخ عبد الحكم عطا ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ محمد عرفة ، والشيخ حامد محيسن والشيخ ابراهيم خضروش ، والشيخ مأمون الشناوى ، والشيخ ابراهيم الجبالى ، والشيخ عبد الله الشربينى والشيخ محمد الطنطاوى ، والشيخ الشاعر محمد الطنطاوى .

ومن أوائل شيوخه فى الأزهر الشيخ محمود النواوى والشيخ سيد الباز والد العالم المصرى فاروق الباز والأستاذ عبد العزيز جاد الحق ، والأستاذ محمود مصطفى .

ومن شيوخه : الشيخ محمد الغمراوى ، والشيخ نور الدين الحسن والشيخ محمد المبارك وهما سودانيان أزهريان .. وغيرهم .

ومن زملاء الخفاجى : الشيخ محمد متولى الشعراوى ، والأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ، والأستاذ أحمد سيد حقى ، والدكتور حسن جاد ، والأستاذ طه حراز ، والأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر ، والأستاذ طاهر أبو فاشا ، والأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى ، والدكتور بيصار ، والشيخ محمد خاطر المفتى الأسبق ، ومئات من الأعلام المشهورين فى حياتنا الثقافية والأدبية والفكرية .

وبعد فهذه سيرة عالم من علماء الأزهر المعاصر فى ايجاز شديد .

ولا ننسى ما طبع عليه الخفاجى من وفاء وكرم وزهد وتواضع وايثار وحب للخير وانسانية شاملة .. ندعو الله له بالعمر المديد ، والتوفيق الدائم .

د٠م٠ع

دكتور عبد الوهاب عزام

الأزهرى
السفير

عبد الوهاب عزام :

علم من أعلام الفكر فى مصر والعالم العربى ، والاسلامى عالم أزهرى ، ومفكر اديب ، وداعية اسلامى له فكر مستنير شغل الكثير من المناصب ابتداء من مدرس بمدرسة القضاء الشرعى فاستاذ جامعى بآداب القاهرة ، فعميد لها ثم وزير مفوض فسفير .

عمل وزيرا مفوضا لمصر بالسعودية ، ثم سفيرا لمصر بباكستان ، ثم سفيرا لها بالسعودية حتى وافاه الأجل بها فى ١٨ يناير ١٩٥٩ م .

ولمكانته الأدبية ، وتاريخه الحافل ، ثم لحقه على هذا الوطن والأجيال أقامت رابطة الأدب الحديث حفلا بمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين لوفاته رحمه الله .

وقد أحيا هذا الحفل لفيف من كتاب مصر ومفكريها كما حضره السيد محمد يمين القائم بأعمال السفارة الباكستانية واحتفل بالراحل الكريم خيرة علماء مصر من زملائه وأبناء أسرته والأدباء .

ونقدم ـ للقارىء ـ ذخيرة هذا الحفل الطيب بما فيه من زاد ومعرفة تلقى أضواء على هذا المجاهد المخلص من أبناء مصر الذين وهبوا حياتهم للاسلام وخدمة أهله والنهوض بالعربية .

وما كان له ـ رحمة الله عليه ـ من صداقة بالشاعر الكبير محمد اقبال .

حياة عبد الوهاب عزام :

لقد ولد الدكتور / عبد الوهاب عزام فى الثامن والعشرين من المحرم عام ١٣١٢ هـ الموافق ١ من أغسطس لسنة ١٨٩٤ ميلادية وذلك بقرية الشوبك الغربى التابعة لمحافظة الجيزة .

دراسته : بدأ تعليمه الأول فى كتاب القرية فحفظ فيه القرآن وتعلم القراءة والكتابة ثم التحق فى القرية بالمدرسة التى انشأها والده المرحوم محمد عزام الذى كان عضوا فى الجمعية التشريعية وزميلا للزعيم الراحل سعد زغلول ثم عضوا بمجلس النواب ، انتقل بعد



رابطة الأدب الحديث تحيي ذكراه الرابعة والعشرين

تحقيق الأستاذ عبد العزيز أحمد جبرة

ذلك الى الدراسة بالأزهر ونال منه شهادة العالمية عام ١٩٢٠ فشهادة القضاء الشرعي ثم عين بمدرسة القضاء الشرعي ثم التحق بكلية الآداب بالجامعة المصرية القديمة (جامعة فؤاد الأول) وحصل على شهادة الليسانس في الآداب والفلسفة .

* انتدب بعد ذلك للعمل مستشارا دينيا لسفارة مصر في لندن سنة ١٩٢٣ فحصل من جامعة لندن على درجة الماجستير في اللغات الشرقية ثم حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية سنة ١٩٣٢ .

* عمل مدرسا بكلية الآداب جامعة القاهرة ثم أستاذا مساعدا بها عام ١٩٣٤ فأستاذا عام ١٩٣٩ ثم انتخب عميدا للكلية ١٩٤٥ .

* انتدب للتدريس العالي في بغداد ١٩٣٨ وعضوا بمجمع اللغة العربية ١٩٤٦ .

* أختير عضوا بالمجمع العلمي العربي في دمشق وبغداد .

* عين وزيرا مفوضا بالمملكة العربية السعودية ١٩٤٧ ثم سفيرا لمصر بباكستان ١٩٥٠ ثم سفيرا لمصر في السعودية مرة أخرى سنة ١٩٥٤ وظل بها حتى أحيل الى المعاش في سنة ١٩٥٦ .

بعد احالته على المعاش عمل بتكليف من الملك سعود ، على انشاء جامعة الرياض لما له من خبرة علمية وجامعية وظل مديرا لهذه الجامعة حتى وافاه الأجل بالأراضي الحجازية في ١٨ من يناير ١٩٥٩ ونقل جثمانه الى مصر ودفن في مسجده الذى بناه بمدينة حلوان .

* للدكتور عبد الوهاب عزام مؤلفات كثيرة متنوعة ، منها :

* **التصوف وفريد العطار سنة ١٩٤٥ .**
* **مهد العرب (دار المعارف) ٤٦ ، ١٩٥٥**
* **الأوابد (دار المعارف) ١٩٤٢ .**
* **محمد اقبال فلسفته وشعره ١٩٥٤ .**
* **المعتمد بن عباد (ظهر بعد وفاته ١٩٥٩)**

الأزهري السفير

د. عبد الوهاب عزام



وفى تحقيق المخطوطات (ديوان المتنبى). كليلة ودمنة .

مجالس السلطان الغورى .

ديوان « حزب الكليم » ترجمة عزام من الأوردية سنة ١٩٥٢ .

مختلف الثقافة

عبد الوهاب عزام

المتعدد الثقافة وعلوم المعرفة

اما المستشار / مجد الدين عزام وهو اخ للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام فقد قال:

ـ لست أدرى من أى زاوية أتحدث عن الدكتور/ عبد الوهاب عزام فقد كان علما فى مختلف فروع المعرفة ، خاصة وكان متحدثا باللغتين الانجليزية والفرنسية ، فضلا عما استوعب من اللغات الشرقية : تركية وفارسية وأردية وتلك الأخيرة لغة باكستان .

والحقيقة أن هدف الدكتور/عزام من وراء المامه بهذه اللغات فضلا عن طلب المعرفة من شتى مصادرها كان الوقوف على ما تركه الاسلام من آثار وبصمات فى شعوب فارس والترك وبين مسلمى الهند .

وايمان عبد الوهاب عزام العميق وتمسكه بدينه الحنيف دفعه الى التجوال والتنقيب والبحث فى الآفاق الاسلامية ولذلك فقد أنشأ جماعة سماها «جماعة الاخوة الاسلامية» وكان مقرها قبة الغورى بشارع الأزهر وكان يعقد فيها حلقات للعلم والدرس والنظر فى أحوال المسلمين فى مختلف الأقطار فكانت القبة تعتبر ملتقى لكل الاخوة المسلمين من جميع الأقطار الاسلامية .

وقف الشيخ محمد أبو زهرة ـ رحمة الله عليه ـ يرثيه فى حفل تأبين أقامته جمعية الشبان المسلمين بمناسبة مرور أربعين يوما على وفاته فكان مما قال : « انه الرجل الذى عصمه الله فلم يخطىء شبابه » ، وهى شهادة من عالم فاضل له مكانته وانى لأعتز بها للدكتور/ عبد الوهاب عزام .

الأزهرى السفير

ويقول والكلام على لسان المستشار مجد الدين عزام : ان عبد الوهاب قد عين فى سنة ١٩٤٧ وزيرا مفوضا من مصر لدى المملكة العربية السعودية وظل فى هذا العمل حتى عام ١٩٥٠ ثم انتقل بعدها سفيرا لمصر فى باكستان وكان يتبوأ مكانا مرموقا فى كل مكان ذهب اليه وعمل فيه أيا كانت طبيعة العمل المكلف به ، وذلك بما عرف عنه من ورع وروح اسلامى .

وفى باكستان قام بترجمة دواوين الشاعر الاسلامى « محمد اقبال » الى العربية نظما ونثرا ، ولذلك فهو يعتبر أول من عرف الأمة العربية بالشاعر الاسلامى اقبال ، وقد كانت

داره في باكستان دار ندوة لرجال السياسة والعلم والأدب ومجمعا للفقهاء وعلماء الاسلام من مختلف بقاع الأرض ولهم اجتماعات دورية ، كذلك كانت لهم أيضا جماعة عرفت باسم (دراويش اقبال) • ، ولقد كان لهذه الجماعة اثر كبير في معرفة أخبار مصر ومتابعة أحوالها ولذلك ما أن سمع الباكستانيون عن أعمال الفدائيين المصريين في منطقة القناة قبل جلاء الانجليز حتى توافد على سفارة مصر بباكستان الآلاف طالبين التطوع للوقوف بجانب اخوانهم المسلمين المصريين في محاربة الانجليز وقامت مظاهرات في كراتشي تأييدا لحق مصر في الحرية والاستقلال حتى لقد أزعجت هذه المظاهرة السفير البريطاني بباكستان واحتج عليها واتهم فيها د. عبد الوهاب عزام بأنه وراء تحريض هذه الجموع للمظاهرة ، وتم ابلاغ عميد السلك السياسي ، وهو أقدم السفراء عادة بهذه المظاهرة وباتهام عزام فيها • فطلبه العميد ليتأكد من هذا الأمر • فقال له الدكتور عبد الوهاب عزام :

ــ اذا كنت أنا الذي حرضت هؤلاء في كراتشي فمن الذي حرضهم في بشاور ودكا •

ثم قال له :

ان السياسة البريطانية الظالمة التي كثيرا ما وعدت بالجلاء عن مصر جعلت المسلم الباكستاني يحس بظلم أخيه المسلم في مصر وأن تخمد هذه النار حتى تجلو عن مصر وسائر البلاد الاسلامية والعربية الأخرى •

ونقل بعد ذلك في عام ١٩٥٤ سفيرا لمصر في



المستشار مجد الدين عزام



الدكتور محمد كامل جمعة

السعودية وظل بها حتى عام ١٩٥٦ وهو العام الذي أحيل فيه على المعاش لبلوغه السن القانونية وعندئذ عهد اليه المغفور له الملك سعود ابن عبد العزيز ــ رحمه الله ــ أن يقوم بانشاء جامعة الرياض حاليا ، وكانت تسمى عند انشائها « جامعة سعود » ، فقام بما له من خبرة علمية في هذا المجال بما عهد اليه وتم انشاء الجامعة وظل مديرا لها حتى وافاه الأجل في ١٨ يناير ١٩٥٩ م •

ومن مواقف عبد الوهاب عزام الاسلامية موقفه من موسوليني عندما اقتربت قوات المحور من حدود مصر الغربية ووقف ممتطيا جواده وقال أنا حامي حمى الاسلام •

فرد عليه الدكتور عزام بمقال نشر في مجلة الرسالة بعنوان (الاسلام في حمى بنيه) ومما جاء بهذا المقال



د. عبدالوهاب عزام

« ذل الاسلام ان لم يجد من بين أبنائه حاميا .
وذل المسلمون ان ارتضوا بغير حماية الله»

وكان عزام .. اديبا ايضا

وعن الدكتور عبدالوهاب عزام أديبا تحدث الأستاذ الدكتور/ محمد كامل جمعة الأستاذ السابق بآداب القاهرة وزميل الدكتور عزام سنى عمله بها . قال :

ـ ان حياة أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام حياة حافلة مليئة بالمواقف : خدم العلم والأدب والتأليف ثم ترجم الى العربية الكثير من روائع الأدب الفارسي لفريدالدين العطار والفردوسي وغيرهما ، وترجم لاقبال الكثير وهذا عمل علمي عسير لا ينهض به الا اولوا العزم الموهوبون كالدكتور عبد الوهاب عزام وقد أثرى الدكتور عزام المكتبة العربية بمؤلفات تزيد على الثلاثين مؤلفا **بخلاف المقالات العديدة بالمجلات** وكلها تتحدث عن الاسلام والصوفية والأدب والشعر ومنها ما هو مشترك بينه وبين آخرين ، ومن مقالاته في كتاب (الأوابد) مقال بعنوان « مناجاة » كتبها بلندن مساء ٢ مايو ١٩٣٦ يقول فيها :

(رب سبحت لك الخلائق في الأزل ونطقت بذكرك منذ الوجود الأول ودارت الأفلاك بحمدك ، وسطعت الكواكب بنورك وسار القمران ثناء عليك وتعاقب الملوان تقديسا لك وهبت الرياح بنفحاتك وتلألأ البرق من سبحاتك وسار السحاب بقدرتك وهطل الغيث برحمتك وتلاطمت البحار في جلالك ... الى أن قال :

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) .

ويقول في مقالة أخرى بعنوان ورد الصباح كتبها في ٢ يناير ١٩٣٩ :

(تنفس الصبح في غسق الليل ولاحت غرته في هدوء السحر والنور يسيل من ربى المشرق قليلا قليلا ويولد اليوم الجديد ، ثم يقول :

(رب .. فأضيء عقلي بالهدى ، ورغب نفسي في الحق والخير ، واملأ قلبي بالأمل ، وقو يدي على العمل ، واشرح صدري ، واشدد أزرى واشحذ عزمي لليوم الجديد .

رب .. قد طويت من عمري صفحات ونشرت اليوم صفحة فاجعل صفحتي هذه أدعي للخير ، وأخلى للشر ، وزينها بالحق ، وبرئها من الباطل ، واجعل فاتحتها وخاتمتها الاخلاص لك والعمل في وجهك . سبحانك لا اله الا أنت الحق المبين ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم .

ويقول في مقالة بعنوان (هلال رمضان) يتناول فيها مشكلة رؤية رمضان واختلاف الدول الاسلامية في تحديد بدء الصيام ،

ويدعوهم الى توحيد بدء الصوم ونهايته حينما يعلن علماء الدين فى مكة عن ثبوت الرؤية للهلال فيقول :

— ان الاسلام دين التوحيد فى كل الأمور ودين الجماعة غما هذا التفرق وما هذا التهاون بهذا التفرق وله فى المسلمين آثاره .

هذه بعض مقتطفات من أدب أستاذنا الدكتور عبدالوهاب عزام وهى كثيرة ليس لها متسع الا الكتب .

عبد الوهاب عزام وشاعر الاسلام محمد اقبال

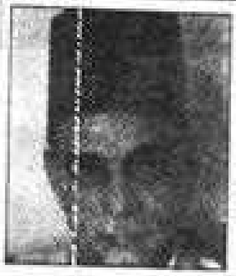
وتحدث الأستاذ محمد شلبى عن الدكتور عبد الوهاب عزام وعدد مآثره وكيف كان مفكرا اسلاميا وأديبا كبيرا ورجلا وطنيا وتناول فى بحث عن الدكتور عزام لايقل عن ثلاثين صفحة حياة الدكتورعزام ومراحل دراسته والوظائف التى تولاها والمؤلفات التى ألفها والمقالات التى كتب بها الى المجلات ثم تحدث بعد كل هذا عن علاقة الدكتورعزام بالشاعر الاسلامى الكبير محمد اقبال وكيف نشأت هذه العلاقة بينهما فقال :

— ان الدكتور عزام قد ألف كتابا عن العلامة « محمد اقبال » قال فى مقدمته :



الأستاذ محمد شلبى

— سمعت وأنا فى بلاد الانجليز قبل وفاة الشاعر اقبال بأكثر من عشر سنين أن فى الهند صوفيا اسمه « اقبال » له نظرات فى التصوف، وله فلسفة فى النفس ، وأنا نزاع الى الصوفية منذ نشأت وزادنى معرفة بها ورغبة فيها وحبا بالمزيد منها أن تعلمت اللغة الفارسية وقرأت الشعر الفارسى وأعلام شعراء الفرس وحين قدم اقبال الى مصر فى طريقه الى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى المسجد الأقصى سنة ١٩٣١ ، وأقامت جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة احتفالا للشاعر العظيم، قام الدكتور عزام بتقديم اقبال فى هذا الاحتفال وكان هذا التقديم كما يقول الدكتور عزام «صحبة المريد للمرشد والتلميذ لأستاذه » وقرأ لهم فى هذا الحفل بعضا من شعر اقبال باللغة الأردية



الأزهرى السفير
د. عبدالوهـاب عزام

وترجمه بعد ذلك الى العربية وتأثر الدكتـور عبد الوهاب عزام بشاعر الاسلام محمـد اقبال حتى انه قال فيه عندما علم بوفاته :

ــ ياشاعر الاسلام أثرت مقاصده ، وجلوت فضائله ، ولضأت سراجه ، وأوضحت مناهجه ودعوت المسلمين الى المجـد الذى يكافء دعوتهم ويلائم سننتهم ، ويناسب تاريخهم.

اقبال :

ياشاعر الحياة ، عرفت معناها ، وكشفت عن قواها ، وبصرت بمجراها ومنتهاها .

اقبال !

ياشاعر الحرية أشدت بذكرها ، وأكبـرت من قدرها ، ودعوت اليها كاملة ، وأردتهـا شاملة ، وأبغضت العبودية فى شتى مظاهرها ومختلف صورها .

وهكذا كانت عـلاقة أستاذنا الدكتور عبد الوهاب بالشاعر الاسلامى الكبير « محمد اقبال » ابن باكستان علاقة حب وتقـدير ، ونشرا لفكره وتبصيرا بشعره .

حياة الدكتور عبد الوهاب عزام مع الشعر

وعن الدكتور عبد الوهاب عزام شـاعرا يحدثنا الأستاذ محمد شلبى فيقول :

ــ لقد كان أستاذنا الدكتور عزام شاعرا وروى الكثير من شعره نختار ممـا رواه فى « التجرد » قوله :

قيل الليل مظلم ، قلت : اذكـروا
فى ظـلام الليـل اشراق الصباح
قيل : غيم مطبق ، قلت انظـروا
رب نجـم من وراء الغيم لاح
قيل : شـهب طمسـت أعلامه
قلت : لكن فيـه آيات صـجاح

وفى مذهبه فى الحياة يقول :

انمـا نحن سـواء
عمنـا شرع الاله
جمعتنـا واجبـات
وحقـوق فى الحيـاة
غير أنـا فى فنـون العيش
ما فينـا اشـتباه
ذاك مأمـور وهـذا
آمـر فينـا وناه
ذاك محـروس وهـذا
حـارس يرعى حمـاه

وفى منظومة « اللمعات » وهى من ستمائة بيت يقول :

لا رهبانية فى الاسـلام
ليس منا من ثوى فى صـومعه
يحبس الأعمـال والفكر معـه

ضاق نفسا عن مجال وسعا

فثوى في ضيقه قد خنعا

ليس شيئا ان ترى معتزلا

عابدا تخشى البرايا وجلا

انما العابد من خاض الحياة

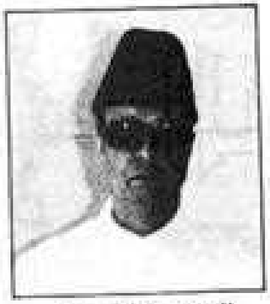
موضحا فيها سبيلا للنجاة

وهكذا كان الشاعر عبد الوهاب عزام شاعرا تقليديا غلب عليه النظم المحكم في أوزانه الخليلية وقوافيه ، وكان يقول شعره ويصطنع تعبيره في مواقف خطابية وفي تأثره بمشاهد الطبيعة ومواجد الروح وتأثرا بالصوفية ولم يكن هذا شعر عبد الوهاب عزام فقط وانما هناك الكثير كما قلت ، منه قصيدة بعنوان «شكوى الجمل فيكراتشى» وقصيدته الى ابنته « هالة » صغرى بناته وهي بعنوان « شيخ الأرانب » وغيرهما من قصائد أخرى نظمها الشاعر الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام .

كلمة القائم باعمال سفارة باكستان

اما كلمة السيد محمد يمين القائم بالاعمال لسفارة باكستان فقد قال فيها :

ــ بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فانني أشكر رابطة الأدب الحديث علىدعوتها لى بالحضور فيندوة الذكرى الرابعةوالعشرين للدكتور عبد الوهاب عزام ــ رحمه الله ــ لأن رسالة الدكتور عزام والدكتور محمد اقبال شاعرالاسلام كانتا رسالة واحدة ، ولقد دعا الاثنان الى وحدة المسلمين وتقدمهم



السيد محمد يمين

ورقيهم • ونحن لا نعرف الدكتور عبدالوهاب عزام كسفير لمصر في باكستان فحسب انما قبل ذلك نعرفه عالما كبيرا ذو شخصية عظيمة.

وانني حينما عينت في مصر قبل عامينكنت فرحا مسرورا ، لأن مصر وطن الدكتور عزام.

وكنت أتمنى أن ألتقي بأسرة المغفور له عبد الوهاب عزام • وفي هذه الليلة قد تحقق أملي هذا حيث التقيت بأسرته رحمه الله.

واننا لو سرنا على المثل العليا التي دعا اليها الاسلام والتي حملها الينا محمد اقبال وعبد الوهاب عزام فان مستقبلا سعيدا ينتظر الاسلام والمسلمين •

وانني على يقين اذا جاهد المسلمون في مصر وباكستان في نشر تعاليم الاسلام فسوف يصبحون قوة وذخرا للاسلام والأمة الاسلامية .

عبد الرحمن احمد جيرة

من اعلام الأزهر

الشيخ حسن

ان المغرب ، وانتظم طلبة الأزهر في صفوف خاشعين بين يدى الله وراء شيخ مهيب الطلعة ، حسن التلاوة ، تصعد كلماته من فمه نورا يضيء ، وينسج وقاره من حوله هيبة تروع ، وما كاد يتم صلاته حتى تقدم اليه ضابط تركى يسأله ان يخلو به في رواق قريب .. الطلبة يتهامسون متسائلين عما عسى ان يكون .

قال قائل منهم : لقد كان السلطان عبد العزيز يستعرض بالامس وفد العلماء بالقاهرة ، وقد حرص الخديو اسماعيل ان يقوم رجال الأزهر بين يدى امير المؤمنين بالركوع وتقبيل الأرض كما يفعل علماء تركيا في حضرة الخليفة ! وما نظن استاذنا العيوف « حسن العدوى » يركع لغير الله !

وقال طالب ثان : لقد امتلأت المدينة بما صنع الرجل على رءوس الاشهاد ، فقد تقدم غير هياب ، منتصب القامة ، مرتفع الهامة ، فبدأ بتحية الاسلام في ثبات وتؤدة « السلام عليك يا امير المؤمنين » وكاد اسماعيل يجن ، فأخذ يضرب كفا بكف ، ويعض بأسنانه في غيظ أليم ! فسكتت الطلاب قليلا ، ومضى أحدهم يقول : ولعل الضابط التركى قد حضر الآن ليحاسب الشيخ على ما ارتكب من خطأ ! انه لموقف رهيب !

وكان الشيخ السقا أحد كبار علماء الأزهر يصغى للطلاب ، فاتجه اليهم يقول في هدوء : أى موقف رهيب تظنون ؟ ان شيخنا العدوى كما اعرفه لايخاف غير الله ، ويرى الدنيا في عينيه لا تزن جناح بعوضة ، ولئن جابهه السلطان بشيء ليجابهنه باشياء ! أنسيتم يا قوم حادثة البخارى ؟ !

فنظر الطلبه بعضهم الى بعض متسائلين عن هذه الحادثه فابتسم الشيخ في هدوء وقال : اتجهلون كل شيء فما تعرفون ؟ !

فرجاه الطلبه ان يفصل الحادثه كما رآها بعينيه ، فسكت مليا ثم استأنف يقول : حين نشبت الحرب بين مصر والحبشة كانت جيوشنا تنهزم في مرارة اليمة ، لأن اسماعيل قد طوح بابنائنا في مهواة سحيقة لامنجاة منها ، وقد أسند القيادة الى بعض الاغرار ممن يحسنون الكلام أمامه ، ويفرون من الميدان ساعة الروع ، واخذت النذر تتوالى

العدوى

بقلم الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي

على المصريين صارخة بالهزيمة والدمار !
وليس لدى اسماعيل من الذخيرة والرجال ما ينقذ به أناسا سيقوا الى الاعدام في غير مفخرة تتاح ! فلجأ الينا — نحن علماء الأزهر — لنقرأ البخارى فتنقذ مئات الأرواح !

فصاح طالب فطن تفكير سقيم ، وقيادةفيلها، ! وقال آخر : هل جمع البخارى احاديث رسول الله لتتلى حين تتأكد الهزائم ويحيق العذاب ؟ وقال ثالث يخاطب الشيخ السقا : وماذا صنعتم بهذا الطلب الغريب ؟

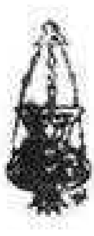
فقال الشيخ : لقد قرأنا البخارى كما أراد ، لا ليعقبنا النصر ، بل لنفهم أسراره ، ونتدبر أحكامه ، وتلاوة الحديث النبوى احدى العبادات !

فصاح أحد المستمعين ضجرا ! وكيف كانت النتيجة ؟ فقال الشيخ في نبرة متهكمة : بدأت القراءة ، وتوالت الهزائم ! وكاد اسماعيل يجن ، فتقدم الينا يصيح في جنون: ما فائدة البخارى ؟ وما فائدة العلماء ؟ ولدى الشيخ حسن العدوى اقحمه شر اقحام !

فاشرقت وجوه القوم ، وراحوا يتساءلون في دهشة : كيف ذلك ؟ فقال الرجل : لقد ارتفع صوت العدوى بقول رسول الله « لتأمرن » بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم ! » فقال اسماعيل ومن الخيار ؟ فقال العدوى في جراة : من يقرأون البخارى في جماعة لا يتناهون عن منكر فعلوه ؟ فانسحق اسماعيل وقد كساه قتام كئيب !

فقال الطلاب مرحى مرحى ! .. هكذا ورثة النبيين .

ولم تمض لحظات حتى أقبل الشيخ العدوى في سمت خاشع ووقار مهيب ، فنهض الشيخ السقا لمعانقته ، وتزاحم الطلاب يقبلون يديه ويمسحون رداءه ، ثم قال السقا لصديقه ؟ ماذا صنع معك هذا الضيف العجيب !



الشيخ حسن العدوي

فابتسم الشيخ وقال : جاء يعلن انه رسول أمير المؤمنين ! قد بعث به لينقل الى اعجابه بموقفى حين قابلته بالأمس ! ثم زاد فذكر انى من الآن محفوف برعايته وعونه فهو — كما يزعم — يحب الصرحاء المخلصين !

فقال أحد الطلاب : هنيئا لك يا سيدى رعاية أمير المؤمنين ! فأنت من الآن فى حصن مكين ؟

فتجهم وجه الشيخ وصاح : ما هذا الذى تقولون ؟ ! وهل انا اوافق على سيرته فى الناس حتى أهنأ برعايته ! ان امارة المؤمنين فى هذا العهد بلاء على الاسلام ، فقد أسندت الى أناس يحاربون الدين بالآثام ، فيقطعون ما أمر اللهبه أن يوصل ويفسدون فى الأرض! أين شريعة الكتاب ؟ واين حدود الحنيفة البيضاء ؟ وماذا نصنع بامارة المؤمنين وقد تخطفنا الناس !

قال الشيخ السقا فى همس : رفقك يا مولاى ، فنحن معك فى الرأى وللحيطان آذان .. فصاح العدوى : نكبة هائلة أن نحذر الاذان والألسنة ! لوددت أن يحضر هنا عبد العزيز فاقرأ عليه سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أو تاريخ الامام على بن أبى طالب .

فقال أحد الطلاب : واذا حضر اسماعيل فماذا عسى أن تقول ؟

فأجاب الشيخ : ومن اسماعيل بجوار عبد العزيز ؟ لقد فسد الرأس فنتنت الأعضاء! ثم اذن مؤذن العشاء ! فتقدم القوم للصلاة.

وراحت أيام وجاءت أيام !

وفى عصر يوم عاصف سرى همس يتردد فى جنبات الأزهر بأن الاسكندرية قد ضربت بمدافع الانجليز وأن الخائن توفيق قد انضم للأعداء فأباح لهم أن يضربوا المنارة بالقنابل وأن يقتلوا المصريين دون مبالاة وقد انضمت اليه شرذمة من عبدة المال والجاه فباعوا ضمائرهم وخذلوا اسلامهم .. ثم استحال الهمس المتردد الى دوى مزعج ، فتصدعت القلوب حسرة ، وتطلع الأزهريون الى علمائهم وفى مقدمتهم العلامة العدوى ، فزمجر الرجل زمجرة غاضبة ، ونادى بعزل الخائن الأثيم عن العرش ، واستدعى الى مجلس بالقصر الخديوى برأسه توفيق ! فجاهر بالحق ، ووقف موقفا خالدا أجج الحمية وأشعل الاباء وفى ساحة الأزهر خطب الناس داعيا الى نصرة أحمد عرابى زعيم الثورة آنذاك .

لم يكن رجال الدين فى حاجة الى من يعلن اليهم رأى الاسلام ، فهم يعرفون حكم الله فى مقاتلة الأعداء من المحتلين ، والخونة من المارقين ، ولكن كلمات الشيخ العدوى ضاعفت العزيمة وأوقدت الحفيظة ، فاجتمعوا حوله يهتفون ويكبرون قائلين : تقدم يا قاهر الطغاة ! وصاح صائح منهم يقول للشيخ سلكت سبيل الأئمة الهداة !

وهنا يسمع صوت العدوى مدويا أين أنا من الأئمة الهداة ؟ أين أنا من سعيد بن المسيب وقد أذل الوليد ! أين أنا من سعيد بن جبير وقد جابه الحجاج ؟ أين أنا من أبى حنيفة ومالك وقد جالدا المنصور ؟ أين أنا من ابن حنبل وقد تحدى المأمون والمعتصم والواثق بالله ! بل أين أنا من العز بن عبد السلام وقد باع الأمراء ! ثم تلا قول الله « **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ** » !

وكانت ثورة صاخبة .. ثم حرب مستبسلة وبطولة خارقة .. ووراء ذلك خيانة مستنكرة، ورشوة آثمة ونهاية سوداء .

وخيم على مصر ظلام ظالم حين دخل توفيق القاهرة مدججا بحراب الانجليزية ، ومن فوقه العلم البريطانى يرمز الى احتلال بغيض يزهق الأنفس ويحرج الصدور ! وقد انقلب المسرح فجأة فأصبحت الادارة والرياسة فى أيدى خونة مرتشين تفيض أردانهم بالنتن الموبق وتسيل أكفهم بالذهب الحرام وقد شاءت السخرية المريرة أن تقيم للأبطال من أحرار الوطن محاكمة ارهابية تقتص من الحرية والكرامة والعزة ، فتسوق سامى البارودى وأحمد عرابى وعبد العال حلمى وطلبة عصمت ومحمود فهمى ومحمد عبده الى أقفاص الاتهام



مكبلين مصفدين ! وتقدم للأنذال من خونة الأمة كسلطان وخنفس والطحاوى أوسمة المجد ونياشين النباهة ! فأى حق رفع ؟ وأى باطل يقام ؟

وجاء دور حسن العدوى فى المحاكمة ، وقد خيم الارهاب فى كل زاوية ، وأخذ الطغيان بكل خناق ، وتعاقد الخونة على أن يذلوا كبرياء هؤلاء الأباة ، متوهمين أن الشجاعة ستذوب فى ساحة البطش ، فتنكس رءوسا كانت مرفوعة ! وتخفض أصواتا طالما جلجلت بالزئير ، وينظر القاضى متشامخا الى الشيخ الوقور وقد وقف أمامه فى ثبات واقدام فيصيح به .

الشيخ حسن العدوى

ـ أأنت وقعت على المنشور ؟ !

فيقول الشيخ : أى منشـــور تريد ؟

فيتضاحك القاضى متشفيا ويقول : المنشور الذى قضى بعزل الخديوى عن أمر البلاد !!

فيرتفع صوت الشيخ :

لو جئتم بمنشور جديد يقضى بعزلـــه لوقعته فورا دون تأجيل ! لقـد خـــان توفيق وطنه واسلامه ! ولن يرضى به انسـان !

وترتج المحكمة ارتجاج الباطل امام زلازل الحق ! ويصيح القاضى مشيرا الى زملائه : أسمعتم ما يقول ؟ فيزأر الشـيخ ثانية : أن الخديوى خائن خائن ولن يعترف بـه مسـلم يخاف الله ! ماذا قلب الأوضـاع أمام هؤلاء ! لقـد كانوا يتعاظمون ويتشامخون ، فمـازال العدوى يسمو ويرتفع حتى حلق فى الأوج ، وتركهم فى حضيض الشـائن فى أرض دنسـة تلتصق رءوسهم بالتراب !

وينظــر القــوم بعضــهم الى بعض ـ وأكثرهم مصريون ـ فيجـدون قطرات الخجل تملأ وجوههم المأخوذه وشتمـات الحيرة تعقد ألسنتهم عما يكادون ينطقون . وقد وقف المحـامى الانجليزى « برودلى »



موقف العجب والاعجاب بما رأى وسـمع ! ورمق الشيخ فى اكبار ! ثم رنا طـويلا الى هيئة المحكمة كالساخر المتهزىء ! وكأنـه يقول : هل تجرءون ؟

ثم خرج الرجل مرتفع الجبهة ، وقـد كتب للأجيال المقبلة قصة الحفاظ الحر ، والاباء العنيد ، غير عابىء بما سيكون .

د . محمد رجب البيومى

■ الحضارة الإسلامية

الحضارة

■ النقود الإسلامية

الحضارة الاسلامية

يختلف الباحثون فى تاريخ الحضارات الانسانية فى تعريف كلمة الحضارة ــ بمعناها العام ــ ولكن المتتبع لآرائهم يجد أنهم يكادون يجمعون على أن لكلمة الحضارة مدلولين :

مدلول معنوى ثقافى يتمثل فى العلوم والفنون والآداب والعادات والتقاليد والعرف الاجتماعى والأخلاقى .

ومدلول مادى ــ أى ملموس ومحسوس ــ يتمثل فى بناء المدن وتخطيطها ، وتشييد القصور والتأنق فيها ، واقامة القلاع والحصون العسكرية ، وشق الطرق وتعبيدها ، وبناء السدود والخزانات ، وبناء دور العبادة كالكنائس والمساجد ، وبناء دور العلم كالمدارس والجامعات ودور الحكمة والمكتبات ، والآثار المعمارية بصفة عامة .

والحضارة الاسلامية التى نحن بصدد الحديث عنها ليست بدعا بين الحضارات الانسانية ، بل تتمثل فيها كل هذه الأشياء ، ولكنها ــ مع اشتراكها فى ذلك مع كل الحضارات ــ تتميز بخصائص وسمات خاصة ــ سيأتى الحديث عنها بالتفصيل فيما بعد ــ لا يكاد يشاركها فيها غيرها من الحضارات الأخرى .

والحضارة الاسلامية ــ كغيرها من الحضارات ــ أخذت وأعطت ، وتعلمت من غيرها ، وعلمت غيرها ، واستفادت من التراث الحضارى الذى وجدته عند ظهورها ــ وسيأتى الحديث تفصيلا عن هذا أيضا فيما بعد ــ وهذا الوضع ميزة من مميزات الحضارة الاسلامية ، فهى ليست حضارة مغلقة متقوقعة منطوية ، بل حضارة متفتحة مرنة ، والتراث الحضارى الانسانى قدر مشترك بين البشر جميعا :

فلقد أخذ الاغريق مثلا من حضارات المصريين والبابليين والآشوريين والفينيقيين والفرس وغيرهم ، ثم أعطوا العرب المسلمين ، والمسلمون أخذوا من كل هؤلاء وأعطوا أوربا التى بنت نهضتها الحديثة على هدى هذا التراث الحضارى كله هذا التراث الذى شاركت فيه كل هذه الأمم والشعوب ، والحضارات الحية المعطاءة هى التى تأخذ وتعطى وتثرى من تلاقح الأفكار وتبادل الآراء ، ومحاورة العقول .

للدكتور عبد الشافى محمد عبد اللطيف

والاسلام الذى أوجد الحضارة الاسلامية، ودفعها دفعا قويا ، ووجهها ولا يزال ، هو الذى فتح أمامها الآفاق ، لتأخذ وتعطى ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، ولا يضره من أى وعاء خرجت . وسنرى فى مستقبل بحثنا هذا أن المسلمين فى بناء نهضتهم الحضارية ، لم يجدوا أية غضاضة فى أن يتعلموا من غيرهم مالم يكونوا يعلمون ، فقد تعلموا من اليهود والنصارى ، بل تعلموا من الملحدين ، وكان هذا — بطبيعة الحال — فى العلوم غير الاسلامية ، أو التى يسميها علماء الاسلام بالعلوم الدخيلة .

والقرآن الكريم يوجه المسلمين فى نصوص كثيرة ، الى أن يسيروا فى الأرض وينظروا ويتأملوا ، ليتعلموا ويستفيدوا ويفيدوا غيرهم .

ثم لا عبرة بعد بالمجادلة حول تسميتها ، فانها حضارة اسلامية ، لأنها ارتبطت بالاسلام ، وقامت على أساسه ، وعلى هدى من مبادئه وتوجيهاته ، فالاسلام هو الذى أوجدها ، ودفعها دفعا قويا الى الظهور والازدهار السريع ، وكان — ولا يزال — هو المحرك الأول الذى يغذيها باستمرار ، ويمدها بكل مقومات الحياة ، وقد شارك فى صنعها كل أبناء الشعوب التى آمنت بالاسلام عقيدة ونظاما وانضوت تحت لوائه ، من فرس وأتراك وهنود وبربر وغيرهم ، وأخلص كل هؤلاء غاية الاخلاص للاسلام وحضارته ، وكان ولاؤهم فى المقام الأول لدينهم وكانت نزعاتهم اسلامية خالصة ، بمعنى أنهم ارتفعوا فوق العصبيات القومية والعرقية . وكانوا مسلمين لحما ودما ، وقلبا وقالبا .

ولقد ساهم عرب غير مسلمين فى صنع الحضارة الاسلامية ، ويعود الفضل فى هذه المساهمة الى الاسلام نفسه ، فالاسلام بتسامحه هو الذى منحهم الفرصة لينالوا هذا الشرف الكبير .

وهناك اتجاه تجدر الاشارة اليه فى هذا المقام ، اتجاه يرى أن الحضارة الاسلامية انما هى امتداد للحضارة العربية قبل ظهور الاسلام ، على أساس أنه كان للعرب حضارة راقية قبل الاسلام ، فقد كان لهم دول ذات نظم سياسية واقتصادية واجتماعية ، وخلفت آثارا معمارية لها شأن كما هو الحال بالنسبة الى اليمن ، والدول والامارات العربية التى قامت على أطراف شبه الجزيرة العربية ، مثل امارة المناذرة فى الحيرة ، وامارات الأنباط وتدمر والغساسنة فى شمال شبه الجزيرة العربية والشام ، هذا فضلا عن حضارات عاد وحضارة ثمود التى لا تزال آثارها باقية حتى الآن ــ وتدل على رقى وتقدم ــ ولايزال الباحثون ينقبون فى بقاياها .

حتى فى الحجاز ونجد كانت هناك حضارة معنوية ثقافية من أدب رفيع تشعبت مادته الى شعر ونثر وخطابة ، الى جانب أعراف وتقاليد ، وخصائص خلقية رفيعة مثل الكرم والنجدة والوفاء وحماية الجار .. الخ .

وكانت هناك حضارة مادية مثل المدن والقصور والآثار المعمارية المنتشرة فى تلك الأقاليم .

فالحضارة الاسلامية فى نظر من يذهب هذا المذهب ــ ومنهم الدكتور ناجى معروف فى كتابه أصالة الحضارة العربية ــ لم تبدأ من فراغ ، وانما بنت على ما كان موجودا من حضارة عربية قبل ظهور الاسلام . ويرى هذا البعض ــ أو يدلل على صحة رأيه ــ بأن الفترة التى سبقت ظهور الاسلام مع كونها عرفت بالجاهلية ، أو العصر الجاهلى ، لم يكن المقصود بالتسمية الجهل الذى هو ضد العلم ، ولكن المقصود بها الجهل الذى هو ضد الحلم ، ويستدلون على ذلك بقول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ويستدلون لذلك بحديث رواه مسلم فى صحيحه ، عن السيدة عائشة رضى الله عنها ، جاء فيه عن سعد بن عبادة ــ سيد الخزرج ــ « وكان رجلا صالحا ولكن اجتهلته الحمية » أى استخفته وأثارته وحملته على الغضب .

ويستدلون كذلك بأن اللغة العربية تدل دلالة واضحة على أن العرب لم يكونوا قوما جاهلين ، فان العرب قد وضعوا أربعين لفظة مختلفة المعانى لثمرة العنب ، منذ أن يبدأ زهرا الى أن يصبح زبيبا .

ومنها أن العرب لم يدعوا فى علم التشريح صغيرة ولا كبيرة الا أحصوها ، ووضعوا أسماء لجميع المسميات .

ومنها أنهم عرفوا من علم الفلك ما عرف معاصروهم ، ولا أدل على ذلك من ان أسماء كثير من السيارات وبعض النجوم الثابتة ، وبعض المجموعات الفلكية قد وضع فى العصر

الجاهلى ، وقل مثل ذلك فى العلوم الأخرى كالنبات والحيوان وغيرها (١) .

ونحن مع تسليمنا بوجود حضارة عربية قبل الاسلام — لازال الباحثون ينقبون عن آثارها — الا أننا نعتقد أنه مهما كان من أمر هذه الحضارة وتقدمها ، فانها لم تكن لتصل أبدا الى ما وصلت اليه الحضارة الاسلامية فى ظل الاسلام وتحت رعايته ، وقصارى ما كان يمكن أن تصل اليه تلك الحضارة — لو تطورت تطورا طبيعيا — أن تصبح حضارة اقليمية .

أما الحضارة الاسلامية التى ولدت مع الاسلام ، ونمت وترعرعت وازدهرت على هدى من مبادئه وتوجيهاته ، فلم تكن وليدة تطور طبيعى ، وانما كانت طفرة متزنة ذات مقاييس راسخة لها روحية هائلة أوجدها الاسلام ، الذى أحدث ذلك التحول الهائل والعميق فى المجتمع العربى ، وجمع شتات العرب من قبائل متناثرة متناحرة وخلق منهم أمة واحدة لأول مرة فى تاريخهم ، وهيأهم للاضطلاع بهذا الدور الحضارى الباهر المدهش ، فلما انطلق العرب تحت راية الاسلام يقتحمون البلاد ويحررون الأمم والشعوب من وهم لأديان الزائفة وأباطيلها ومن عبادة العباد الى عبادة خالق العباد ، وكونوا دولة مترامية الأطراف ، موطدة الأركان فى سرعة فائقة ، وانطلقوا فى حماس بالغ كذلك يبددون الجهل فى كل مكان ويشيدون حضارة عالمية مصاحبة لهذا الفتح موطدة له . فالتاريخ لم يحدثنا عن حضارة نمت وازدهرت ونضجت فى فترة وجيزة كالذى حدث بالنسبة لحضارة الاسلام ، ففى أقل من قرنين من الزمان ، استوت الحضارة الاسلامية على سوقها ، وأصبحت حضارة عالمية ، وهذا حدث فريد فى تاريخ الحضارات ، بفضل الاسلام وطفرته الروحية الكبرى ، ولم يكن أبدا تطورا طبيعيا لحضارة عربية قديمة .

وقولنا : ان الحضارة الاسلامية لم تكن تطورا طبيعيا للحضارة العربية قبل الاسلام ، لا يعنى أننا نريد التقليل من شأن العرب وحضارتهم قبل الاسلام ، فالعرب قبل الاسلام لهم محصول حضارى يخصهم قد لا يرقى الى مستوى الحضارات التى كانت تجاورهم فى العراق وفارس والشام ومصر ، الا أنهم كانوا يتمتعون باستعداد فطرى هائل للتحضر ، وللنهوض بالرسالة السماوية الخالدة التى حملهم الله تعالى اياها ، ولو كان العرب قوما كسالى أو عارين من الفضائل الانسانية ، والملكة العقلية المبدعة ، لما حملهم الله تعالى أكمل رسالة سماوية وخاتمها ، فكون الرسالة الاسلامية تتنزل على رسول عربى ، وتنتدب

---

(١) راجع نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ . ظافر القاسمى — حـ ١ ص ٧ ، ٨ دار النفائس بيروت ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م م الطبعة الاولى .

الحضارة الإسلامية

الأمة العربية — من بين الأمم قاطبة — لتحمل عن النبي صلى الله عليه وسلم الرسالة وتقوم بتبليغها للعالم — بعد وفاته — أكبر دليل على حيوية الأمة ورفعة مكانتها ، فلا يحمل العظيم ويكلف بأدائه الا العظيم ، وهذا ما يمكن أن نفهمه من قول الله تعالى ، مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ » (١) كما أن الله تعالى أثنى على هذه الأمة وزكاها بقوله سبحانه :

« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .. » (٢) .

ولا نطيل الحديث عن حضارة العرب قبل الاسلام — وان كان الموضوع في ذاته مهما — لأن موضوعنا هو الحضارة الاسلامية ، وانما يكفي هنا أن نقول :

انه كانت للعرب حضارة قبل الاسلام ، ولكنها ما كانت لتبلغ ما بلغته الحضارة الاسلامية بدون الاسلام ، ويكفي الأمة العربية شرفا ان الله تعالى حملها خاتم رسالاته الى أهل الأرض جميعا ، وأنزل كتابه الكريم بلغتهم ، وأنها أمة أثبتت جدارتها لحمل هذه الرسالة الخالدة ، وشادت على أساسها حضارة عالمية ، كانت انسانية المنزع والاتجاه ، أثرت الفكر الانسانى ، وكانت أحد الأسس الرئيسية التي قامت عليها الحضارة الأوربية الحديثة — وقد نعود لتوضيح ذلك فيما بعد .

والحضارة الاسلامية قامت — في رأينا — على دعامتين أساسيتين ، هما :

القرآن الكريم والسنة المطهرة في المقام الأول .

والدعامة الثانية : هي التراث الحضاري الذي ورثته الحضارة الاسلامية من الأمم السابقة ، كالحضارة الاغريقية والفارسية والهندية والمصرية القديمة ، ولحسن الحظ أن هذه الحضارات كانت موجودة في المناطق التي انتشر فيها الاسلام ، وشملتها الدولة الاسلامية في أقصى اتساعها ، فبانتهاء القرن الهجرى الأول أصبحت معظم الحضارات الحية تحت تصرف المسلمين — وسنرى فيما بعد بالتفصيل أن المسلمين أحسنوا الاستفادة من هذا التراث الحضاري الذي ورثوه عن السابقين ، وأنهم تمثلوه وصححوا أخطاءه ، وأضافوا اليه من عبقريتهم الخلاقة ، ما أبدعوه من علوم ابتكروها ابتكارا كعلمي : الجبر والكيمياء ، هذا فضلا عن علومهم الاسلامية الأصيلة التي كانت من انتاجهم المستقل .

فأما الدعامة الأولى التي ارتكزت عليها الحضارة الاسلامية ، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فنقول ان القرآن الكريم والسنة كان لهما الفضل الأول في ظهور هذه الحضارة وازدهارها من وجهين .

الأول حثهما المسلمين حثا قويا على طلب

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٤٤ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

العلم والمعرفة ، والاشادة بالعلم والعلماء ، ورفع مكانتهما ، ويتضح هذا بجلاء بالنظر الى الآيات الأولى من القرآن الكريم ، التى نزلت على خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وهى قوله تعالى : « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (١) .

فهذا أمر صريح من الخالق — سبحانه وتعالى — لصاحب الرسالة — عليه الصلاة والسلام — بالقراءة أى بالعلم وأداته والعلم مفتاح المعرفة والحضارة ، فالانسانية لم تخط أولى خطواتها نحو العلم والمعرفة وبناء الحضارة الا بعد أن اهتدت الى معرفة الكتابة والقراءة ، واخترعت حروف الهجاء . وقد تم ذلك على أيدى المصريين القدماء منذ أكثر من خمسة آلاف سنة .

فاستهلال الرسالة الاسلامية بالأمر بالقراءة التى هى وسيلة العلم الأولى أمر له مغزاه العميق فى أمة أمية ، كانت معرفة القراءة والكتابة فيها من الأمور النادرة . وزيادة فى التأكيد يقسم رب العزة سبحانه وتعالى بأداة القراءة والكتابة ، بالقلم ، فيقول : « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » (٢) .

ثم يتوالى التأكيد فى القرآن الكريم على أهمية العلم والمعرفة — اللذين بدونهما لا تقوم حضارة — بالتنويه بقيمة العلماء ، ورفع مكانتهم ، وأنهم أسمى وأعلى مقاما من الذين لا يعلمون . فيقول الله تعالى : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » (٣) ويقول : « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » (٤) .

ثم يوجه القرآن الكريم المسلمين الى النظر فى الكون لمعرفة أسراره فيقول : « قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ » (٥) .

« قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (٦) .

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » (٧) .

والنصوص التى تدور حول هذا المعنى كثيرة . وغنى عن البيان أن المقصود بالنظر هنا ليس مجرد الرؤية بالعين ، بل التأمل ، بالنظر العميق ، واعمال الفكر لاستخراج خير الوسائل وممارسة أصح الأعمال للنهوض بالانسان .

د. عبد الشافى محمد عبد اللطيف
أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية

---

(١) سورة العلق . الآيات ١ — ٥ .
(٢) سورة القلم آية ١ .
(٣) سورة الزمر . آية ٩
(٤) سورة المجادلة آية ١١ .
(٥) سورة يونس . آية ١٠١
(٦) سورة العنكبوت . آية ٢٠ .
(٧) سورة فصلت . آية ٥٣ .

النقود الإسلامية

في عصر الخلفاء الراشدين

تعتبر النقـــود من أقـــدم النظـــم الاقتصادية في تاريخ الحضارة الانسانية، فقد عاصرت الانسان منذ آلاف السنين مؤثرة في نمــط حيــاته الاجتمــاعي والاقتصادي والسياسي (١) •

ومنذ تعامل الناس بالنقود ، لم يفرغ لهم شغل بمشاكل سياستها ، ولم يفلت انسان من أن تؤثر كيفية ادارتها على حياته ومعاشه(٢) وتندرج دراستها تحت علم النميات La Numismatque وهو العلم الذي يبحث في النقود والأوزان والأختام (٣) •

ويطلق لفظ الســكة على جميع النقود التي تعاملت بها شــعوب الدولة العربية من دنانير ذهبية ودراهم فضية وفلوس نحاســية والتي أصبحت وسيلة التعامل الرئيســية في العصور الوسطى بين شعوب المنطقة وغيرها من شعوب العالم (٤) والدليل على ذلك الأعداد الكبيرة من النقود الاســلامية التي عثر عليها في شــبه جزيرة سكندناوه ، وســهول روســيا وبلاد الصين،وأواسط أفريقيا وبعض جزر المحيطات الهندي والهادي والأطلسي (٥) وهو يؤكــد مدى انتشار الســكة الاســلامية وقبولها والعلاقات الاقتصادية مع مختلف شــعوب العالم بالاضــافة الى أنه يؤكد مدى نشــاط العــرب الاقتصادي وعظــم محصــولهم الجغراف (٦) •

ومن المعروف أن التجارة كانت قوام الحياة الاقتصادية في شــبه الجزيرة العربية وفي

---

(١) سورة قريش •

مراجــع البحث

(١) حسان حلاق : تعريب النقود والدواوين في العصر الاموي ـ الطبعــة الاولى ـ بيــروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ص ١١ •

(٢) دكتور محمد زكي شافعي : مقــدمة في النقود والبنوك ـ الطبعة الســـابعة ـ بيروت ١٩٧٣ م ص ٧ •

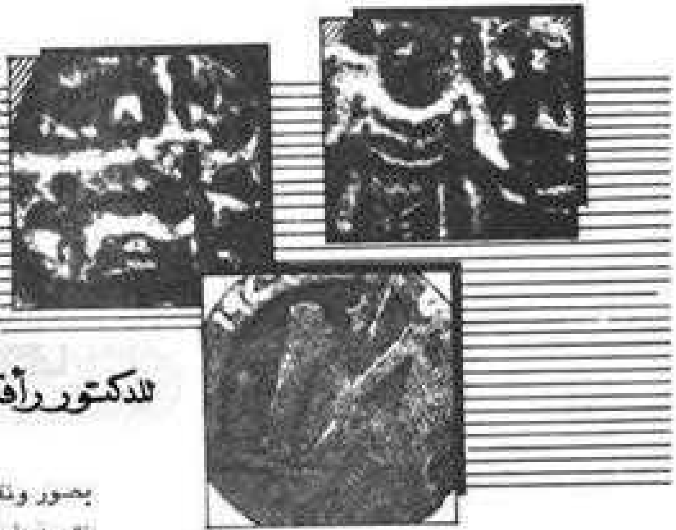
(٣) دكتور عبد الرحمن فهمي محمد : النقود العربية ماضيها وحاضرها ـ المكتبة الثقافيــة العدد ١٠٣ ـ القاهرة ١٩٦٤ م ص ٦ •

حسان حلاق : المرجع السابق ص ١١ •

(٤) المرجع السابق والصفحة نفسها •

(٥) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المدينة الاسلامية واثرها في الحضـــارة الاوروبيـــة ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٩٦٣ م ص ١١٨ •

(٦) المرجع نفسه ص ١٩٣ •



للدكتور رأفت محمد النبراوى

أسواقها بالحجاز ومكة المكرمة وغيرهما فكانت القوافل التجارية العربية تقوم برحلتين كل عام كما ورد فى كتاب الله العزيز (٧) :

«لإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (١)» صدق الله العظيم .

رحلة شتوية تتجه جنوبا الى بلاد اليمن .

ورحلة صيفية تتجه شمالا الى بلاد الشام والعراق .

وكانت الجزيرة العربية وأسواقها تتزود عن طريق رحلتى الشتاء والصيف بما تحتاجه من العملة (٨) قوامها عملة حميرية تأتى من بلاد اليمن يزخرفها صور ونقوش ترتبط كثيرا بصور ونقوش السكة الرومانية واليونانية وذلك نتيجه طبيعيه لاشتغال اليمنيين بنقل التجارة من الشرق والغرب أى بين آسيا وأوربا عن طريق بحر العرب والبحر الاحمر وكان من الطبيعى ان تنتقل التأثيرات اليونانية والرومانيه الى سكة اليمن الحميرية (٩) فنجد عليها صور الاباطرة الرومان أو صور آلهه اليونان ومع ذلك كانت هذه السكة الحميرية تأتى الى أسواق مكه باعداد قليله (١٠) .

كذلك كانت ترد الى الجزيرة العربية مجموعات ضخمة من الدنانير الذهبية البيزنطية

---

(٧) القرآن الكريم سورة قريش رقم ١٠٦ آية ١ ، ٢ .

(٨) العملة هى الكلمة الاصطلاحيه للنقود وما يقوم مقامها وتنقسم النقود الى قسمين : القسم الاول وهو النقود المعدنية من الذهب او الفضة او البرونز او غيره من المعادن وهى مسكوكة وذات عيار وقيمة معلومة تقدرهما الدولة ، والقسم الثانى وهو النقود الورقية .

حسين عبد الرحمن : النقود ص ١٤ ـ ١٥ .

دكتور عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود العربية وعلم النميات (القاهرة ١٩٦٥ م) حاشية رقم ١ ص ٢٨ .

(٩) المرجع نفسه ص ٢٩ .

نفس المؤلف : النقود العربية ص ٣٢ .

(١٠) دكتور عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود العربية ص ٢٩ .





من خلال العمليات التجارية مع الشام ومصر (١١) التي جاءها كثير من التجار العرب قبل الاسلام وتعاملوا بنقدها • وتتميز هـــذه الدنانير البيزنطية بخصائصها المسيحية الواضحة فهي مستديرة الشـــكل على أحد وجهيها صـــورة الامبراطور البيزنطي وفوق رأسه التاج الذي يعلوه الصليب علامة المـــسيحية والى جـــانب الأمبراطـــور ولداه هركليوناس وقـــسطنطين وفوق رأسيهما تاجان يعلو كلا منهما صليب • أما ظهر هذه الدنانير فهو عبارة عن مدرجـــات أربعة فوقها صليب حوله كتابات تتضمن بعض العبارات المسيحية ومكـــان الضرب بالأحرف اليونانية واللاتينية (١٢) • وأسفل المدرجات الاربعه توجد الحروف CONOB وهي الحروف الأولى من اسم دار الضرب البيزنطيه في عاصمة الدولة وهي القسطنطينية •

وقد عرفت هذه الدنانير (١٣) في الأسواق العربيه باســـم الدنانير الهرقليه نسبه الى الامبراطور البيزنطي هرقل •

كما عرف العرب ايضا الفلوس (١٤) البيزنطيه من النحاس او البرونز ويتميز وجه هـــذه الفلوس بوجود صـــورة الامبراطور البيزنطي واقفـــا وفوق رأســـه التاج الذي يعلوه

---

(١١) كانت الشام ومصر قبيل الاسلام تابعتان للامبراطورية البيزنطية وتتعامل بنقدها وهـــو الدنانير الذهبية البيزنطية •

(١٢) حسان حلاق : المرجع السابق ص ١٣

(١٣) ورد ذكر الدينار في القـــرآن الكريم في قوله تعـــالى « ومن اهل الكتاب من ان تأمنـــه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينـــار لا يؤده اليك » صدق الله العظيم • سورة آل عمران آية ٧٥ •

(١٤) والفلوس جمع فلس ، وهو لفظ مشتق من اليونانية وقد استعار العرب تلك السكة عن البيزنطيين وكانت تسمى Follis والاصل في ضرب هذا النوع من النقود النحاسية ان تكون عملة مساعدة على اجراء العمليات التجـــارية البسيطة ولكن رغم ذلك اهتم العرب بنقوشهـــا وأوزانها وصنعوا لضبط هذه الاوزان وتحديدها صنجا زجاجية خاصـــة مقـــدرة بالقـــراريط والخراريب ، ولمزيد من التفاصيل انظر :

د• عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ص١١

حسان حلاق : المرجع السابق ص ١٦ـ ١٧•



الصليب (١٥) • اما الظهر فكانت تنقش فيه بعض الحروف من الابجدية التى ترمز الى القيمة النقدية للقطعة فى الابجدية اليونانية التى يعنى فيها الحرف A العدد واحد والحرف B يعنى العدد اثنين والحرف I العدد عشرة والحرف M العدد أربعين نمتا شكل رقم ١ Nummia وفوق الحرف نجد الصليب (١٦) • وهناك نوع آخر من الفلوس البيزنطية تميزت به الاسكندرية فى مصر حتى كان لها مركز ممتاز فى ميدان المسكوكات منذ العصر البطلمى وهو من خامة برونزية سميكة على احد وجهيها صورة الأمبراطور البيزنطى هرقل بمفرده أو هرقل مع أحد أبنائه أو هرقل مع ولديه • وأبرز ما يميز هذا النوع من الفلوس البيزنطية المضروبة بالاسكندرية ــ هذان الحرفان I • B اللذان يفصل بينهما صليب وفى أسفلهما سجلت باليونانية الحروف الأولى من اسم الأسكندرية وذلك بالوجه الاخر (شكل رقم ٢ • ٣) ومعظم الفلوس البيزنطية التى ضربت بالاسكندرية قبل الاسلام كانت تحمل الحرفين I • B لتشير الى قيمة القطعة النقدية وهى ١٢ نميا على أساس أن الحرف B يعنى العدد ٢ والحرف I يعنى العدد عشرة (١٧) •

كذلك عرف العرب قبل الاسلام الدرهم (١٨) الفارسى من خلال تعاملهم مع أهل الحيرة والعراق وبلاد فارس وهو عبارة عن قطعة مستديرة من الفضة على أحد وجهيها نقش يمثل الجزء العلوى من صورة كسرى ويظهر وجهه فى وضع جانبى Profile وعلى رأسه التاج الساسانى المجنح وعلى الوجه الثانى للدرهم حارسان مدججان بالسلاح (١٩)

---

(١٥) د• عبد الرحمن فهمى : المرجع السابق ص ٢٧

محمد باقر الحسينى : تطور النقود العربية الاسلامية الطبعة الاولى ــ (بغداد ١٩٦٩) ص ٤١

حسان حلاق : المرجع السابق ص ١٧ •

(١٦) د• عبد الرحمن فهمى : المرجع السابق ص ٢٧ •

(١٧) دكتور عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود العربية ص ٥٥ ــ ٥٦ •

(١٨) الدرهم كلمة أعجمية عربت عن الكلمة اليونانية الدراخمة Drachma ويقابلها بالفارسية دراخم ودیرام Drachma انظر :

Henri Lavoix : Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliothéque Nationale .Vol.T (Paris 1887) P.I

محمد باقر الحسينى : المرجع السابق ص ١٩

حسان حلاق : المرجع السابق ص ١٥ •

والدرهم عملة فضية استخدمها العرب فى معاملاتهم نقلا عن الفرس اذ كانت الاقاليم الشرقية من العالم الاسلامى تتعامل بالدراهم اى انها كانت تتبع مساعدة الفضة باعتبار الدرهم الفضة هو نقدها الرئيسى •

ناصر النقشبندى : الدرهم الاسلامى • بغداد ١٩٧٠ م ج١ ص ١

(١٩) Lavoix : Op. Cit.P.

أو واقفان بحونه فيمكن اعتبارهما كاهنين بينهما معبد النار الذى يسهران على حراسته أو خدمته (٢٠) • وتشير الكتابات البهلوية المنقوشة على الدراهم الى اسم الملك كما تشتمل أحيانا على عبارات دعائية له ولأسرته وفى الهامش الخارجي توجد ثلاثة أو أربعة أهلة وفى داخل كل هلال نجمة اشارة الى كوكب « الزهرة » عند تقابله مع القمر وهو رمز الرخاء عند الشرقيين (٢١) •

والخلاصة أن العرب قبل الاسلام عرفوا الدنانير البيزنطية الهرقلية ، والدراهم الفضية الساسانية ، والفلوس النحاسية أو البرونزية البيزنطية كما عرفوا السكة الحميرية اليمنية وان كانت بأعداد قليلة • وعند مجيء الاسلام مباشرة كانت الامبراطوريتان البيزنطية والساسانية هما أكبر قوتين فى العالم فكانت الامبراطورية البيزنطية تسيطر على الشام ومصر وشمال أفريقيا ، وكانت هذه البلاد تسير على قاعدة الذهب Gold Standard

أما الأمبراطورية الساسانية فكانت تسيطر على العراق وبلاد فارس وما يليها شرقا وكانت هذه البلاد تتبع قاعدة الفضة Silver Standart

وعندما جاء الاسلام أقر الرسول عليه الصلاة والسلام النقود على ما كانت عليه وقد تعامل النبى صلى الله عليه وسلم بهذه النقود (٢٢) • كما أرسل قيصر الروم هرقل الى الرسول دنانير بيزنطية فأخذها وقسمها بين أصحابه (٢٣) • وكذلك فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الاموال بهذه السكة السائدة « فجعل فى كل خمس أواق من الفضة الخالصة التى لم تغش خمسة دراهم •• وفرض فى كل عشرين دينارا نصف دينار »(٢٤)

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يعتبر فى القمة من الساسة البارعين فلم يشأ فى تلك الفترة الأولى تأليب القوى الخارجية على المسلمين من بيزنطيين وفرس باعتبارهما أقوى دولتين فى تلك الحقبة من التاريخ • بالاضافة الى انشغاله بتوطيد دعائم الاسلام فى الجزيرة العربية ولذا واصل العرب فى عصر النبوة استخدام النقود الأجنبية فى معاملاتهم التجارية مع الروم والفرس (٢٥)

عهد الخلفاء الراشدين :

ولما استخلف أبو بكر الصديق سنة ١١ هـ عمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرار تلك السكة ذات الصور الآدمية والكتابة البهلوية واليونانية ، ولم يغير منها

---

(٢٠) دكتور عبد الرحمن فهمى : المرجع السابق ص ٢٤ •

(٢١) المرجع السابق والصفحة نفسها •
Lavoix : Op. Cit; P.
دكتور عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود ص ٣٠ •

(٢٢) انظر للاستاذ محمد ابو العلا البنا ملخص كتاب « الابحاث التحريرية فى تقدير الاوزان والاكيال والنقود الشرعية بوحدة الماء المقطر فى درجة حرارة ٤ مئوية » ص ٤ نشر ابراهيم السمان ، وابراهيم عبد الرحمن •

(٢٣) د• عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود ص ٢٩ •

(٢٤) المقريزى (تقى الدين احمد بن على) : النقود القديمة الاسلامية ـ نشر الاب انستاس الكرملى فى كتاب النقود العربية وعلم النميات ص ٣٠ •
دكتور عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود العربية ص ٣٠ •

(٢٥) حسان حلاق : المرجع السابق ص ٢٢ •

شيئا . (٢٦)

ولكن لم يلبث العرب أن فتحوا فى عهد عمر بن الخطاب بلاد فارس وما بين النهرين وسوريا ومصر فى أوائل القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) ، فأبقوا على السكة التى كانت مألوفة لديهم وكتب عمر الى أمراء الأجناد بمقدار الجزية بالدراهم على أهل الورق (الفضة) وبالدنانير على أهل الذهب (٢٧) . وقد أراد المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب ابراز شخصيتهم فى هذه المرحلة الأولى رغم انشغالهم بالفتوح ونشر الدين الجديد فعمدوا الى وضع بصماتهم على العملات وان كان بعض الدراهم قد ضرب على نقش الكسروية(٢٨) غير أن الخليفة عمر بن الخطاب حرص على اضافة نقوش عربية اسلامية على النقود التى كانت متداولة مشيرا بذلك الى الشخصية العربية فى المنطقة ، وبهذا بدأت الخطوات الأولى للتعريب ، فقد ضرب عمر الفلوس على طراز عملة هرقل سنة ١٧ هـ مسجلا اسمه عليها بحروف عربية وهو يمثل أقدم فلس وصلنا حتى الآن (٢٩) . كما أضاف عمر على كتابات الفلوس البرونزية المضروبة فى دمشق كلمة « جايز » وعلى الفلوس المضروبة فى حمص كلمة « طيب » أو « واف » اشارة الى الوزن الصحيح (٣٠) .

ومن العبارات العربية التى أضافها الخليفة عمر على الدراهم سنة ١٨ هـ عبارة « الحمد لله » و « محمد رسول الله » وعلى جزء منها « عمر » . ولم يصلنا شىء من هذه الدراهم وانما وصلنا دراهم ضربت سنة ٢٠ هـ تحمل « بسم الله » أو « بسم الله ربى » (٣١) . وكانت أسماء المدن التى ضربت فيها العملة تنقش على هذه النقود باليونانية والعربية مما مثل « دمشق » و « حمص » و « طبرية » و « بعلبك » و « قنسرية » (٣٢) .

كذلك ضرب عثمان بن عفان (٢٣ ـ ٣٥ هـ) دراهم نقش عليها عبارة التكبير « الله أكبر » ولكننا لم نعثر على نماذج من هذا النوع وكذلك الدنانير التى ضربها عمر بن الخطاب(٣٣)

دكتور رأفت محمد النبراوى

---

(٢٦) دكتور عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود العربية ص ٣٠ ـ ٣١ .

(٢٧) المرجع نفسه ص ٣١ .

(٢٨) John Walker : A Catalogue of the Arab - Sassanian Coins , (London 1941) P.P. 3.5.
حسان حلاق : المرجع السابق ص ٢٢ .

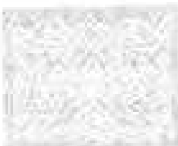
(٢٩) محمد باقر الحسينى : المرجع السابق ص ٤١ .
حسان حلاق : المرجع السابق ص ٢٢ .

(٣٠) دكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ـ القاهرة ١٩٧١ م ص ٥٢٤ .

(٣١) محمد باقر الحسينى : المرجع السابق ص ٤٧ .

(٣٢) حسان حلاق : المرجع السابق ص ٢٣ .

(٣٣) د. عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود العربية ص ٣٦ .
حسان حلاق : المرجع السابق ص ٢٤ .



طرائف

لايزال الدين والدنيا قائمين مادام أربعة أشياء

مادام الأغنياء لا يبخلون بما خُوِّلُوا .

ومادام العلماء يعملون بما عَلِمُوا .

ومادام الجهلاء لا يستكبرون عما لم يعلموا .

ومادام الفقراء لا يبيعون آخرتهم بدنياهم .

قضاء بالحق وأخذ بالعدل

لا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف او ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق واخذا بالعدل .

أشد تأييدًا .. وأشد إضرارًا

سئل بعض الحكماء اى الأمور أشد تأييدا للعقل وأيها أشد اضرارا به ؟ .

فقال أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء : مشاورة العلماء ، وتجربة الأمور ، وحسن التثبت . واشدها اضرارا به ثلاثة أشياء : الاستبداد ، والتهاون ، والعجلة .

عزة .. وكرامة

بعث ملك فى طلب اقليدس الحكيم فامتنع ، وكتب اليه ان الذى منعك ان تجيئنا منعنا ان نجيئك .

وصية

مما نسب الى لقمان قوله لابنه :

لاتركن الى الدنيا ولا تشغل قلبك بها فانك لم تخلق لها ، وماخلق الله خلقا أهون عليه منها فانه لم يجعل نعيمها ثوابا للمطيعين ، ولا بلاءها عقوبة للعاصين .

يابنى : لا تضحك من غير عجب ، ولا تمش فى غير ارب ، ولا تسأل عما لا يعنيك .

يابنى : لا تضع مالك وتصلح مال غيرك ، فان مالك ما قدمت ، ومال غيرك ما تركت .

يابنى : انه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يغنم ، ومن يقل الباطل يأثم ، ومن لا يملك لسانه يندم .

يابنى : زاحم العلماء بركبتيك ، وأنصت اليهم بأذنيك ، فان القلب يحيا بنور العلماء ، كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء .

ومواقف

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أشد الناس بلاء وأكثرهم عناء

من له لسان مطلق ، وقلب مطبق فهو لا يستطيع ان يسكت ولا يحسن ان يتكلم .

شعائر الإيمان أربعة

التقوى ، والحياء ، والشكر ، والصبر .

قالوا ...

* ان كان لك من الزمان شيء فالحال ، وما سواه فمحال .

* أحق الناس بالخدمة العالم ، وأحق الناس بالتواضع العالم .

* لو كانت الذنوب تفوح ما جلس احد الى احد .

* مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة .

* لا تبع هيبة السكوت بالرخيص من الكلام .

* من أذنب ذنبا وهو يضحك فان الله يدخله النار وهو يبكى ، ومن أطاع الله وهو يبكى فان الله يدخله الجنة وهو يضحك .

أربعة أمرها قبيح لكن أربعة منها أقبح

الذنب من الشاب قبيح ، ومن الشيخ أقبح .

والاشتغال بالدنيا من الجاهل قبيح ومن العالم أقبح .

والكسل فى الطاعة من جميع الناس قبيح ومن العلماء والطلبة أقبح .

والتكبر من الأغنياء قبيح ، ومن الفقراء أقبح .

دعاء

« ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير » .

من كلمات
الأئمة مشايخ الأزهر

هذه كلمات التقطها السمع ووعاها الفؤاد .. الى جانب أخرى رجعت اليها فى مصادرها مما قاله الأئمة مشايخ الأزهر لوعاظه ، تقديرا لرسالتهم ، ووعيا بقيمتها .

وهى كلمات بدأت فى عمر الشباب .. وصاحبتنى كهلا وشيخا حببتنى فى الدعوة .. وحببتها الى ..

(١) قال الامام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى — رحمه الله

« ان رسالة الوعاظ أمانة .. وفى أعناقكم عهد نبوه ونبراس حقيقة .. وطريق هداية .. فاعلموا وعظوا واذكروا وفكروا .. واهدوا ..

فاذا حلت الهداية قلبا
نشطت فى حلولها الأعضاء

وكان ذلك فى كوكبة من الوعاظ والأئمة والمرشدين بمكتبه بالادارة العامة عام ١٩٤٥ م ثم كنت فى معية مع أشياخى العلماء والهداة بداره بحلوان فأكثر ونصح وغادرنا منزله .. كل فى فلك يسبحون رحمه الله تعالى رحمة واسعة بقدر جهده وهداه .

٢ ــ الامام الشيخ مصطفى عبد الرازق — رحمه الله قال بفضيلته فى حشد كبير .. أمام ساحة الادارة العامة للأزهر الشريف .

« أدفع علماء الوعظ .. بكلتا يدى .. فهم للأزهر الشريف وجه مشرق ، وبرسالة الاسلام لسان مغدق .. وهم على الالحاد والفوضى .. شواظ محرق .. فارفعوا يا علماء العلم المحمدى وسيروا والله معكم .. ولن يتركم أعمالكم .. » .

٣ ــ الامام الشيخ عبد المجيد سليم — رحمه الله .

قال : ــ لقد سعدت بالوعظ فى المساجد ، حسبة لله عز وجل وخدمة للدين الحنيف .. ثم كانت وستكون خطواتى من بيتى الى المساجد لله سبحانه هذا نور انى أراه .. وأتمنى دائما أن أكون فى هداه ..

للوعاظ

من الامام المراغى إلى الامام جاد الحق

للأستاذ محمود عبد الحافظ الجهنى

(مراقب عام الوعظ والدعوة الاسلامية بالأزهر)

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » توكلوا .. يا رجال على الله .... وهو نعم الوكيل » .

٤ ـ الامام الشيخ مامون الشناوى ـ رحمه الله :

قال : « ما أحسن الواعظ ، وما أسعد القائل .. اذا تناول الآية وذكر الحديث .. أقول لكم يا علماء الوعظ .. أجمل القول ما قال فيه : « حدثنا » .. انها رسالتكم .. أمانة الأنبياء والمصلحين ..

والذين يسيرون فى هدى الناس أجمعين .. لله رب العالمين .. نفع الله الناس بعلمكم وحفظكم أنه سميع قريب »

٥ ـ الامام الشيخ ابراهيم حمروش :

قال فضيلته : ـ لقد سرنى وهزنى الكثير .. وأنا فى عمادة الكلية أن أشاهد من الأبناء البررة .. نخبة الخطباء والوعاظ من يحمل مصباح الدعوة .. ومعه راية الوعظ .. وكم آمل أنا نفسى أن ألقى دلوى بين الدلاء ، وعظاتى بين المؤمنين .. وسرورى يتضاعف برسالتكم الوعظية .. وتمسكوا بأحسن الحديث .

« اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا » .

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ » .

سيروا .. وفقكم الله .. للخير حيث كان ..

٦ ـ الامام الشيخ محمد الخضر حسين :

قال : لقد كان من نعم الله على .. أن أواظب على دروس الفجر كل يوم وعظا وافادة من باكورة شبابى والحمد لله رب العالمين .. وخير الزاد تبليغ النفع للعباد والعظة النافعة .. ثوابها كصوب الغمام وهذا ما أريد لقاء الله به وعليه .. وغالب كتاباتى ومقالاتى .. يا أولادى .. الدعوة والصحوة وما أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت .. واليه أنيب .. فى نور الدعوة والصحوة سيروا ..

٧ ـ الامام الشيخ عبد الرحمن أحمد تاج :

لقد قال لى رحمه الله .. عند استلامى عمل واعظ فى مديرية أسوان مركز كوم أمبو يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٥٤ بمكتبه بادارة الأزهر .. وهو يمضى لى أنا خطاب الترشيح .. يابنى ان لرسالة الوعظ فلسفة يعجز عنها الفحول.. ويعرف مقدارها الصناديد من الرجال من العاملين المخلصين .. وهذه أمانة على رأسك وزملائك .. فاجتهدوا واعرف ديدن الزمن .. يا محمود يا جمتى .. الاتحاد والنظام والعمل ..

سافر على بركة الله .. وأسمع عنك وعن اخوانك الدعاة الكثير من الجهد والخير والفضل وحسن المقال وفقكم الله .

٨ ـ الامام الشيخ محمود شلتوت .

قال : ـ اننى كنت واعظا دائما أبدا .. ويسعدنى ويشرفنى أن أكون من الواعظين .. فتلك أمانة الله .. لقد شغف قلبى أن أكون معكم وبكم وفيكم .. أنتم يا رجال الله .. واننى لولا .. مسئولياتى الأزهرية .. وحالتى الصحية .. ما تخلفت يوما عن درس القيه ، أو عمل دائم لله والوطن والمجتمع الأدبيه .

قال لنا ذلك .. ونحن نهنىء فضيلته بالشفاء بمنزله المبارك فى مصر الجديدة .. ثم أخذ العهد على علماء الوعظ وكنا وقتئذ : المرحوم الشيخ محمد الشنيخى .. الشيخ على رفاعى . الشيخ عبد المعبود سلام . الشيخ احمد عبد البر .. الشيخ محمد أبو اليسر .. الشيخ مختار الهايج .. رحم الله الجميع .. وأثابهم بقدر ما أسدوا للوعظ من خدمات .

٩ ـ الامام الشيخ حسن مأمون ـ رحمه الله .

قال فضيلته : ـ اننى أقدر لكم يا رجال الدعوة .. المجهود الشاق الذى به تقومون .. ويعرف ويذاع عنكم ما تبدون وما تكتمون .. وان ما تحظون به لا يقدر بمال .. ولا يقاس بمادة .. ولا يحده جزاء .. ولا يعطى عليه الا رب العالمين .. « انا لا نضيع اجر من أحسن عملا » .. والمثوبة عليه .. فسيروا على الطريق الهدى وتفضلوا ، ومنا ومنكم الدعوات .

١٠ ـ الامام الشيخ محمد الفحام ـ رحمه الله .

لقد حدثنا الكثير .. ونحن بمنزل زميلنا صهره الدكتور المرحوم الشيخ محمد هلال .. بكوبرى القبة فى أمسيات الصيف ..

قال ..

يا مشايخ الوعظ .. انكم البدر السارى ، والنور الهادى فى حنادس المهمات .. فأنتم بعمائمكم البيضاء .. أنتم بالأزهر تعرفون . وبعمائمكم البيضاء المشرقة تسيرون .. فحافظوا على بزتكم وهمتكم ورسالتكم السامية .. واحملوا اللواء .. بيد عالية قوية .. واعلموا .. أن الذكرى تنفع المؤمنين ..»

١١ ـ الامام الشيخ عبد الحليم محمود رضى الله عنه .

لقد ألقى فينا رحمه الله عظة بليغة .. ونحن بمكتبه فى اجتماع دورى نستفيد علما .. ونغرس للوعظ شأنا .. ونحفر للدعوة قناة . ونضع خطة للوعظ والوعاظ .. قال ..

لقد أظهرتم بفضل مجهوداتكم يا علماء الوعظ .. كرامة الدين ورفعتم راية اليقين .. وقمتم بأمانة المسلمين .. وما فتحنا معهدا دينيا على كثرة المعاهد .. الا ووجدت للوعظ الأثر الطيب والعمل المفيد فسيروا وان دعوتكم محمدية ، ورسالتكم قرآنية .. والله سبحانه وتعالى يحاسبكم على ما حملتم وفقكم الله .. ثم قمنا معه وأمضينا افتتاح مسجد العاشر من رمضان ومسجد الرحمة .. والصفا والمروة ـ والنور المحمدى وغير ذلك وذلك فضل الله .

١٢ ـ الامام الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار .

قال لفوج من أبناء الوعظ .. وكنا معا نرتشف من رحيق فلسفته ومعرفته وثقافته

يا أبطال الوعظ والدعوة الاسلامية الفتية .. اننى فى فرح دائم بكم .. فلقد كنتم او كلكم أو جلكم أمامى دراسة وثقافة واستماعا ومعرفة وفلسفة ومقاصد ومراصد وكان لنا شرف الحضور عليه ـ أربع سنوات .. فقال كم أعتز برجال تحملوا عبء الدعوة .. وعلى كاهلهم هداية الناس .. وبأيديهم مفاتيح التقوى فخذوا يا رجال .. المعانى من المعين الصافى .. والمقاصد من بحر المعرفة وأزهركم الشريف .. عليكم وبكم ومنكم البلاغ وعلى الله تعالى الاعتماد .

من كلمات الأئمة مشايخ الأزهر.. للوعاظ

١٢ ـ الامام الشيخ جاد الحق على جاد الحق .

قال لنا .. أطال الله بقاءه .. ونحن فى اجتماع كبير فى موقع العمل فى ادارة الوعظ بمجمع البحوث الاسلامية فى مدينة نصر يوم ٢٥ ـ ١٠ ـ ١٩٨٢ من الساعة الثانية الى الخامسة مساء . لقد طالبناه وكررنا .. ورجوناه وألحنا ، وناشدناه ورفعنا النداء ، وهو فى جلسته بيننا .. كله فى سمع ، وبصر ، وتحقيق وتدقيق ، وتفنيد وتقييد ، وتلميح وتصريح ، فلم يترك واردة الا وقيدها ، ولا شاردة الا وربطها ، يجيب كل مستفت ، ويريح كل حائر ، وكان فى معيته .. فضيلة الدكتور الأستاذ حامد جامع .. والدكتور الأستاذ السعدى فرهود .. والدكتور الامام الحسينى هاشم والكثير معه .. ثم قال لنا فضيلته .. مما دعانا اليه وحدثنا به .. ونحن نسجل من المقال انتى عاصرت أساتذة الوعظ والدعوة ، وصادقت العلماء والمرشدين ، فى مواقع عملهم دائما وأنا فى القضاء والفتيا .. كنت معهم شاهدا لعملهم سمعا معهم .. أعرف مدى قيامهم بالوعظ والارشاد فى المحافظات والمراكز والقرى والنوادى والمجتمعات ، وهم والحق يقال أمناء فى دعوتهم ، وان الواعظ بحق .. رسالته سامية .. وأمانته غالية .. ورسالة الأنبياء والمصلحين .. فاعملوا بها ولها .. عليكم بالمجتمعات والجامعات .. والنوادى والمدارس وكل حقل لكم فيه غرس ومجال .. سيروا على بركة الله فى خدمة الدين والوطن والمجتمع السليم المتطلع لدعوتكم المترقب لبيانكم وارشادكم وفقكم الله .. هذا من كلام فضيلته ..

قارئى الكريم .. هذه لمحات سجلتها وعلى عهدتها وليس لى فيها فضل فى دعائك وذكرى تنفع المؤمنين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمود محمد عبد الحافظ الجهنى

الترجمات الانجليزية للقرآن الكريم

للأستاذ سليمان محمد بركات

وعلى العكس من Picrhall الانجليزى الذى أسلم ، كان الشيخ عبد الله يوسف على هنديا مسلما (باكستانيا) من أسرة مسلمة عميق تدينها ، عظيم ثراؤها ، على الشرق والغرب انفتاحها ، راسخ ما بينها وبين الله .

فحفظ القرآن وقدسه وعشقه ودرس علومه طفلا وشابا وكهلا وشيخا ، ولم ينسلخ عنه وجدانه ، على ما كان له من جولات فى الغرب لعل مثلها لم يتح لشرقى غيره الا فى النادر ، سبر فيها القوم خلقا وفكرا ، حتى لقى الله واحدا من كبار علماء الهند وعظمائها .

ولقد استقر فى ضميره منذ حداثته أنه يجدر به أن يكون خادما للقرآن الكريم ، وراوده الطموح أن تكون هذه الخدمة تقديمه لغير العرب ، فى انجليزية لائقة به .

وظل أربعين عاما يحتضن هذا الأمل ، يجمع له الكتب ويحصل المادة ويزور الأماكن ويسجل المذكرات ويدون الملاحظات ويستكشف المجتمعات والأفكار والقلوب ، ولكن الهيبة والرهبة يعوقانه عن اخراج جهده الى النور .

ثم تعرض لمحنة نفسية عاصفة واليمة لم يفصح فى مقدمته أو يكن عن هويتها . ولكن يتسرب للاريب ، رغم تحفظ هذا الشيخ الجليل ، ما قد يوحى بأنها كانت من قبيل ثكل الابن الوحيد .

الترجمات الانجليزية

للقرآن الكريم

فعندها انحسم الأمر . ومن خلال الدموع بدأ مخطوطه في ترجمة القرآن الكريم يزداد عمقا وجدية يوم لا يزداد حجما . وصار يحمله معه حاميا له كالكنز الخبيء في تجواله الدائم وابعاده الدائب الى جميع أنماط البلاد وكافة صنوف البشر . وأخيرا ، وفي مدينة « لاهور » تحدث بما كتب لنفر من الشباب الذين يكنون له الاجلال والمودة . واذا بهم يتحمسون لنشره حتى ليكادون يتولون هذا الأمر عنه . كما كان هناك ، من أبناء جلدته ، المسلمون الراغبون في خدمة الملة ، والذين يسعدهم أن يعملوا مع الشيخ الجليل .

وفي عناية بالاخراج توالى ظهور الكتاب جزءا جزءا ، بحيث كانت أقصى فترة بين جزءين متتاليين ثلاثة أشهر . وتنقسم كل صفحة طولا الى نهرين . على الأيمن النصوص العربية لآى الذكر الحكيم بالخط الثلث المشكول غير المتداخل ، وكل آية مرقمة وفي مقابلها تماما على النهر الآخر ترجمتها الانجليزية مرقومة أيضا . وقد أخذ ترقيمه للآيات عن طبعة المصحف العثماني المعتمدة في مصر . أما ترقيم الصفحات فقد تم متسلسلا باعتبار الأجزاء الثلاثين مجلدا واحدا .

وفوق أن المترجم جعل لكتابه مقدمة طويلة ومفيدة ، فقد صدر له ككل ، ثم لكل مجموعة متتالية ومتساوقة من السور ، ثم لكل سورة في ذاتها ، ثم لكل قسم مما قسم اليه طوال السور حول عناصر مضامينها ، بتصديرات وافية ، يتناول كل منها المادة التالية له بالشرح أو التحليل أو الايجاز أو التعليق .

وهذا دون أي اخلال بترتيب السور أو الآيات . كما أنه يمكن قراءة هذه التصديرات وحدها فتتيح للقارىء استعراض موضوعات القرآن الكريم استعراضا عاما .

ونرى أنه بذلك قد سفه ما جنح اليه آخرون ، من تغيير ترتيب سور الكتاب الكريم ، اذ أكد ضرورة الامتثال لاجماع الأمة والأئمة من جهة ، وأثبت من جهة أخرى حكمة السياق الموروث .

ومن الطريف أن الشعر المرسل « له دور » كبير في هذا الكتاب . فلا يخلو منه تصدير ، بل ربما كان التصدير كله شعرا مرسلا . على أنه سلس يمكن قراءته نثرا فنيا بغير عناء . أما آيات القرآن البينات فقد ترجمها كلها على هذا الضرب الفني عزفا على الوتر الصوفي . وكأني به بدلا من أن يترجم لسانا الى لسان ينقل وجدانا الى وجدان .

ومن هنا كانت أمام الطابع مشكلة المساواة بين مساحة الآية العربية ومساحة أسطر الشعر المرسل المترجم لها ، وهذه كان حلها ميسورا باختيار البنط المناسب لكل لغة يجرى استخدامه موحدا في الكتاب كله ، ومشكلة استقامة السطر الواحد على نهرى الصفحة

حاملا كلاما واحدا بلغتين مختلفتين ، وهذه خضعت بالضرورة لأحكام القراءات القرآنية ، و «تقنية» الطباعة ، وتقسيمات أبيات الشعر المرسل الذى تحلل فيه المترجم أحيانا من الترجمة الحرفية .

لكن لا يمكن لوهلة أن يختلط على قارىء هذه الترجمة ما هو من القرآن الكريم وما ليس منه ، وهذا لاختلاف بنط الطباعة فى الترجمة عنه فى التصدير واختلاف هذين عنه فى الحواشى والتذييل ، ولاختصاص كل بنهر من الصفحة أو بموقع من الكتاب ، ولخلو التصدير والتذييل عن النصوص العربية .

وبانتهاء طباعة الأجزاء الثلاثين كاملة « ضم المؤلف » فى كتاب واحد عام ١٩٣٤ . وبعدها تعددت طبعاته فى الهند ولبنان وأوربا والولايات المتحدة الأمريكية ، فى حياة المترجم وبعد وفاته .

ومازال حتى الآن معدودا فى المصادر الموثوق بها .

ويقر المترجم بادىء ذى بدء باستحالة صب آى الذكر الحكيم فى قوالب الانجليزية ، بل انه يطمع فى أن يصبغ تلك اللغة بصبغة الاسلام !!

وانه ليرجو أن ينعكس على النص الانجليزى مسحة ولو كليلة من الايقاع والجزالة الموجودين فى القرآن الكريم .

ولعله استحيا أن يقول انه يرجو أن تكون



God is the Light of the heavens and the earth.

ترجمته أفضل من أخر سابقات عليها ، وانها فى بعض المواقع أدق ، فقال :انه يود أن يتيح لقارىء الانجليزية فهما أقرب وتذوقا أفضل لكتاب الله وانه يحث هذا القارىء على أن يكون دخوله الى هذه المأدبة المقدسة بما هى جديرة به من الخشوع والروحانية .

كما نبه الى انه تورع فى شروحه وتعليقاته عن الدخول فى الخلافات المذهبية وعن التورط فى الجدل الكلامى . كما لم يعرج على التفاصيل الفقهية الميسورة فى كتب غيره الا لضرورة ، ولم يبث رأيا شخصيا الا اذا كان اختيارا ، له اعتباراته ، من بين آراء متعددة أو مختلفة لمفسرين أو علماء من ذوى القبول العام .

وفي اعتقادنا أنه نجح الى حد كبير في امداد القارىء برؤية وافية لتعاليم الاسلام ، خاصة عندما استعاض بالتصديرات والحواشي عن منازلة الذوق الصوفي عند القارىء ، وعندما تحلى بزينة المعلم صاحب الرسالة لا بعجب البائع صاحب المعرض .

كما اننا نرجو مخلصين لو أعيدت طباعة هذه التصديرات والتذييلات ببنط أكبر لا تتأذى منه العيون .

واننا نسيء اساءة بليغة الى الشيخ الجليل اذا حاولنا الاستشهاد بشعره المرسل على ترجمته . أما اذا قرأناها نثرا فنيا متصلا ، دون تبديل أو تحديل يذكر ، تجلت لنا قدرته وتمكنه وارتفاعه الى مستوى المسئولية التي قام بها . ومع ذلك ، فاذا أخذنا مثلا ترجمته لمفتتح سورة الكهف تجده يقول ما معناه :

الحمد لله الذي بعث بعبده الكتاب ولم يسمح بعوج فيه ، (وانما جعله) مستقيما (وواضحا) كيما ينذر (الكافرون) عقابا رهيبا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يؤدون الأعمال الصالحة بأنهم سيلقون جزاء حسنا .

Praise be to God,
Who hath sent to His Servant
The Book and hath allowed
Therein no Crookedness,
(He hath made it) Straight
(And Clear) in order that
He may warn (the godless)
of a terible Punishment
From Him, and that He
May give Glad Tidings
To the Believers who work
Righteous deeds, that they
Shall have a goodly Reward

يريد قوله تعالى : « **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا . قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا** » .

فترجم « **الحمد لله** » دعاء لا خبرا . والنص العربي يحتمل الاثنين وهذا لا يتأتى للانجليزية .

واستخدم sent فمكان « أنزل » ، بينما هو في مواضع أخرى استخدم sent down و revealed . وهذا دأب غيره من المترجمين أيضا ، في هذه الكلمة وفي غيرها .

وأما قوله « **ولم يسمح بعوج فيه** » يريد قول الله تعالى « **ولم يجعل له عوجا** » ، فهذه أفضل الترجمات اذا قيست بما قال غيره ، وأقربها الى التعبير الانجليزي غير المتكلف . وقد ترجمها غيره : « وجعله عاريا عن الزيف مبرءا عن الانحراف عن الحق » ، وترجمها آخر « ولم يعز اليه أي عوج » .



God be praised.

وأضاف المترجم من عنده (وانما جعلـه) لأن الجملة الانجليزية لن تتحمل ابعاد «قيما» عن « أنزل على عبده الكتاب » ، ولا تحتمـل الابتداء بحـال adverb صاحبها غـير مذكور فى الجملة ـ علما بأن صاحب الحال فى الانجليزية « فعل » أو « نعت » أو الابتـداء بمفعول object بغـير فعل وفاعل . فلو لم يضف المترجم ما أضاف لكان عليـه أن يلحق « قيمـا » بالآية السابقة .

وأما قوله « مستقيما » بدلا من قوله تعالى « قيما » فلقصر بـاع اللغـة الانجليـزية فى تفريعات الاشتقاق بعكس المخـلاة العربيـة الحاوية .

كذلك أضاف المترجم (وواضحا) حيث بين فى التذييل أن « قيما » العربية تعنى « مباشرا بلا التواء ، وجليا بغير غموض » بينما تختص « مستقيما » الانجليـزية بالاتجـاه وليس بالوضوح .

وجعل المترجم فاعل « ينـذر » ضـميرا capitalized يعود على الله سبحانه وتعالى والضمير فى الانجليزية ظاهر لا يمكن ستره بينما هو فى الآية مستتر .

بينما يجوز أن يعود الضمير المستتر فى الآية العربية على الله سبحانه وتعالى ، أو على النبى صلى الله عليه وسلم ، أو على الكتاب الكريم .
وأضاف المترجم « الكـافرين » مفعـولا لـ « ينـذر » وذلك لأن الفعل المتعـدى بالانجليزية transitive verb يعتريه القلق اذا غاب مفعوله .

أما « العقـاب الرهيب » فهـو تخصيص وتكثيف للمعنى المقصود من « البأس الشديد » فى الآية الكريمة . حيث ان لكلمة « البـأس » فى العربية معانى مختلفة تقوم عليها كلمـات مختلفة فى الانجليزية ، كذلك الحال فى كلمـة « الشديد » .

الترجمات الانجليزية للقرآن الكريم

ومن غرائب اللغة الانجليزية ، خلوها عن فعل بمعنى يبشر ! ان فيها الفعل portend يقال عن ظاهرة مثلا ومعناه « يؤذن بشر » والفعل warn بمعنى ينذر أو يحذر . أما « يبشر » فهم يقولون « يبلغ النبأ السعيد » ! كذلك لا يقف النعت adjective في الانجليزية على تدمين بغير الموصوف ، ولا تدخل عليه علامة جمع او تانيث ، وفي الأحوال الخاصة التي ينخلع فيها النعت عن موصوف يكون له معنى « الاسم » الجمع الكلي لعاقلي ، ولابد له من أداة تعريف ! فتجد أن The poor warn معناها الفقير على حين أن The poor معناها الفقراء ، ولا يمكن أن يكون معناها الأعمال الهزيلة مثلما تعني A poor work عملا هزيلا .

وأكثر ما تعرض هذه النكتة لمترجم القرآن في الذين « عملوا الصالحات » اذ لابد أن يترجمها الى الذين « أدوا الأعمال الصالحة » أو « قاموا بصالح الأعمال » وما شاكل هذا . كما أن « الصالحة » تترجم أحيانا الخيرة « وأحيانا الطيبة » وأحيانا « أفعال التقوى » . كما تترجم « المؤمنون » أحيانا The faithful وأحيانا The believers

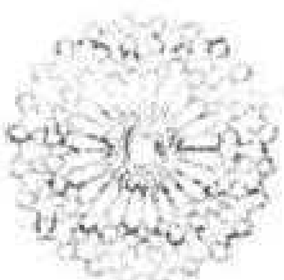
ونظلم الشيخ الجليل اذا استرسلنا . فان تصديره لهذه السورة الكريمة ، ثم ترجمته لها وحواشيه عليها لمما يمتع القارىء . وقس كافة السور عليها .

واذا كانت تصديرات الكتاب وحواشيه ثروة بحق فللكتاب فهرس تحليلي ممتاز يوحي بمئات البحوث .

على اننا ناخذ عليه استخدامه كلمة God يعني بها Allah اذ أن God اقترنت دائما بمعنى الرب والاله الذي يصح في اللغة استخدامه علما على الله سبحانه وتعالى ، او اسما عاما يعرف وينكر ، ويفرد ويثنى ويجمع ، ويذكر ويؤنث . بينما الله الاسم العلم على واجب الوجود ، لا يشاركه فيه غيره ، ولا يجري عليه ما ذكرنا مما يجري على « رب » و « اله » . كما ان المعاجم الأجنبية تذكر صراحة أن Allah الاسم الاسلامي لخالق الكون .

(يتبع)

سليمان محمد بركات



من مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامي

تحليل ونقد

للدكتور محمود عبد المعطي بركات

❋ رينان ❋ Renan ١٨٢٣ ـ ١٨٩٢ .

غريم الفكر الاسلامي هذه المرة وخصيمه العنيد هو مسيو رينان وانكار الفكر الاسلامي المبدع أو المبتكر عنده يرتكز على قاعدة مقادها . التفريق بين أجناس البشر تفرقة تسبغ صفات العبقرية والألمعية الفكرية على جنس معين . وصفات الجمود الفكرى والعقم العقلى على جنس آخر . هو تقسيم للجنس الأول من تصنيف « رينان » الجنس البشرى الى جنس سامى وجنس آخر آرى . وهو ما يعرف بنظرية السامية والآرية .

فقد فرق بين الجنسين تفريقا جوهريا واختص كلا منهما بصفات معينة فى ضوء تحليله للعقلية السامية وقد تصور رينان العقل السامى عامة والاسلامى خاصة ، غير قادر على الابتكار العقلى . أو الانتاج الفلسفى فهو يقرر أنه لا يمكن التماس فلسفة لهذا الجنس ، لأن هذا الجنس رغم أنه طبع أدياته بطابع قوى غير أنه أعزل من أى بحث فلسفى خاص به . وما يوجد عند الساميين مما قد يظن أنه فلسفة سامية ان هو الا اجتلاب وتقليد صرف للفلسفة اليونانية . يقول رينان :

« ما يكون لنا أن نلتمس عند الجنس السامى دروسا فلسفية ، ومن عجائب القدر أن هذا الجنس الذى استطاع أن يطبع ما ابتدعه من أديان بطابع القوة فى أسمى صورها لم يثمر أدنى بحث فلسفى . وماكانت الفلسفة قط عند الساميين الا اقتباسا صرفا جديبا ، وتقليدا للفلسفة اليونانية » (١) .

وعلى ذلك يكون رينان قد جعل دعوى السامية والآرية وما يترتب عليها لديه من سمات خاصة لأى منهما أساسا لحكمه على العقلية الاسلامية والفلسفة الاسلامية وعنده أن فلسفة اليونان المنقولة الى العربية لايمكن أن يطلق عليها فلسفة عربية فان ذلك خطأ .

---

(١) التمهيد للشيخ مصطفى عبد الرازق ص١١

وكل ما في الأمر أنها مكتوبة باللغة العربية ، وحتى هذه الفلسفة لم تزدهر الا في مناطق أغلب سكانها غير ساميين كأسبانيا ومراكش وسمرقند (١) .

ويعزو رينان هذا القصور المزعوم في العقلية السامية الى طابع مزدوج طبعت به العقلية السامية في كل مقومات المجال البشري في مناحيه المتعددة الاجتماعية ، والدينية والاستعدادات العقلية .

وهذا الطابع الذي يقف وراء الاجداب العقلي والعلمي . في زعمه ــ هو الوحدة والبساطة . وبصرف النظر . عما اذا كانت أولاهما ترجع الى ثانيتهما أو العكس . فان رينان يفسر فكرته . عن الوحدة فيقول :

اذا نظرنا الى عمل الجنس السامي . من خلال تاريخه العام يبدو لنا في التبشير بالتوحيد وتأسيسه . ومرد ذلك الى العقل السامي الساذج في تصوره للوحدة الالهية . ان دين الساميين الذين كانوا على الوثنية يطلعنا على سمات كثيرة لا يتسنى تفسيرها . الا بتصور بدائي للالوهية . وذلك التصور كان ينطوي دائما على فكرة الملكية المطلقة .

ويفسر فكرته من البساطة فيقول :

ان العمل الرئيسي للساميين هو أنهم تمكنوا من تبسيط الفكر والعقلية الانسانية وتخلصوا من الأشواك والتعقيدات التي كان يهيم بها فكر الآريين الديني .. ومرد ذلك في رأيه الى أن الجنس السامي يبدو لنا في كل مقوم من مقومات حياته . كأنه جنس غير كامل لبساطته نفسها ثم يقرر رينان أن هذه الصبغة المزدوجة للعقلية السامية لا يمكن لها أن تفخر بها وقد جاءتها عفوا ومن حيث لا تحتسب . فهي في رأيه لم تنشأ لدى العقلية السامية من جراء الفكر الراتب في الأمور الالهية . ولا من جراء استدلال عقلي بطيء تأوي بها رويدا رويدا الى فكرة أكثر نقاء عن العلة الأسمى ولا من جراء كشف أو تقدم نتج عن منهج علمي .

وانما انبثقت من أعماقها وفقا لعوامل واستعدادات في صميم الجنس نفسه .

وهذا الاستعداد الجنسي يرجع في آخر الأمر الى غريزة فطرية في تركيبه البنائي دعاها رينان غريزة التوحيد انطلقت من صميمه في صورة الهام فطري (٢) .

هذا بعض ما في جعبة الرجل نستخرجه ونتفحصه فاذا هو قائم على مغالطة ظاهرة وتجن كبير على الحقيقة والانصاف .

ونسارع فنلاحظ خلافا لزعم رينان ــ أن التوحيد ليس تصورا ساذجا للالوهية ــ وأن التوحيد تصور راق ورفيع للالوهية . بل هو قمة تصوراتها والتوحيد عند الساميين

---

(١) راجع نشأة الفكر الفلسفي د . النشار جـ ١ ص ٩) .

(٢) راجع حقيقة الفلسفات الاسلامية ص ٢١٨

وغيرهم ، كان ولا يزال قمة الثورة العقلية على تعدد الآلهة .

وفي الحقيقة لا أجد وجهاً للربط بين ذلك وبين الحكم على هذه العقلية بالاجداب الفكري أو العقم الفلسفي .

لأن فكرة التوحيد عند الساميين مبنية على دعائم عقلية وقد تنطلق الاتجاه الى التوحيد من موازنة عقلية بين ما عليه أهل التعدد وبين عقيدة الوحدة الالهية نفسها ، كما نراه مثلا عند الحكماء من الحنفاء قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم .

هؤلاء الحنفاء الذين عرفوا أن الايمان بالاله الواحد أهدى وأحكم من الايمان بالأصنام ، والأوثان .

وقبل الحنفاء كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهو من هو في عرض النظر العقلي في مسألة الوحدة والتعدد .

« إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ؟ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ؟ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ » (الشعراء ـ ٧٠ ـ ٧٨) موازنة ونقد لفكرة التعدد وترجيح عقلي يدخل هذا الحوار في اطار الفكر العميق والتعقل المستنير .

ثم التدرج لدى أبي الأنبياء ، من فرض الالهية في الكوكب ، ثم في القمر ، ثم في الشمس ثم اللجوء أخيرا بناء على نقد واع ، الى الاعتراف بالاله الواحد .

« إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » .

ثم يوسف عليه الصلاة والسلام وهو كجده ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ينتمي الى هذا الجنس السامي المفترى عليه ، وهو في سجنه يسائل صاحبيه:

« أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ » (يوسف ـ ٤٠) .

وهنا يمكننا القول بأن عقيدة التوحيد في الوسط السامي هي في جانب كبير منها عقيدة موحاة « أمر ألا تعبدوا الا اياه » لكن هنا أمرا مهما ينبغي الالتفات اليه وهو أن الموحي سبحانه وتعالى حين يعرض قضية التوحيد لا يعرضها خالية من السند العقلي ، وانما يعرضها مشفوعة بأسسها العقلية المتينة .

ويكفى تأمل النسق القرآنى الرائع فى سورة النمل فى عرضه لقضية الوحدة الالهية .

« قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ » (النمل ـ ٦٠)

أى كيف تسوون بين القادر وغير القادر وبين المخلوق والخالق ان هذا جور وهو جور ناشىء عن اختلال فى الفكر لما فيه من تسوية بين متباينين .

« أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ . بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » (النمل ـ ٦١) .

وتقرير القرآن الكريم لقضية التوحيد على هذا النحو المتقدم يعتمد على اعتراف مستخرج من نفس المخاطب أو المخالف . يتمثل فيما عبر عنه القرآن الكريم .

« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ . قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ » (الزمر ـ ٣٨) .

ثم يمضى البيان القرآن فى عرضه للقضية .

« أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ . أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ . تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ » (النمل ٦٢ ، ٦٣) .

ويعتمد تقرير القرآن فى هاتين الآيتين على مبدأ مركوز فى الفطرة البشرية هو الفزع الى الله وحده دون سواه وقت الشدة وترك ما سواه استجابة لنداء الفطرة وهو ما عبر عنه القرآن بقوله :

« وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ » (الاسراء ـ ٦٧) .

والمثال التطبيقى لهذا المبدأ . يمكن أن يؤخذ من مسلك فرعون حينما أحدق به الخطر وأحاط به اليم وهو يطارد موسى وقومه فقد نادى فرعون من الأعماق حاصراً الألوهية فى الواحد الأحد « آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ » ثم ينتهى

النسق القرآني وهو يعرض لقضية الوحدانية يتحدى المخالف بان يأتي ببرهان على سلامة منهج التعدد . برهان مستقيم من الناحية العقلية فيقول : « أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (النمل — ٦٤) .

هذا هو حصاد العقل في تنمية التوحيد . يخاطب الوحي ويشفع مخاطبة العقل بمخاطبة الوجدان .

ومن قبل أن ينزل القرآن قال أحد الحنفاء الحكماء .

اربا واحدا ام الف رب
ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الجلد الصبور
عجبت وفي الليالي معجبات
وفي الايام يعرفها البصير
الخ

ثم نقول :

أليس واضحا هنا أن المقصود بالبصير هو نظر العقل ونور الفكر — لاحاسة البصر بمعناها المتبادر .

انه كذلك ، والا لما كان لكلام الرجل معنى لأن معظم من يخاطبهم وينعى عليهم وثنيتهم انما هم ممن يتمتعون بهذا البصر الحسي ان لم نقل بحدته وقوته .

وهنا نقول « لرينان » وأمثاله :

أن التوحيد عند الساميين قد أتى — على خلاف ما يزعم — بناء على تفكير وموازنة واستنتاج وتبصر واستيعاب . أى على تفكير راتب في الأمور الالهية .

وبالتالى فان التوحيد لا ينبغى أن يؤخذ على عقلية الساميين بل يجب أن يحسب لها كمظهر من مظاهر رقيها ونبوغها الفكرى .

لقد كان في العرب رجال باحثون عن الحقيقة بل ومرشدون الى البحث عنها والتحسس لها . الى حد الدعوة الى ترك الأوطان بحثا عنها والتماسا لهداها واذا كان يقال . ان الفضل ما شهدت به الأعداء .

فاننا نسوق هنا نصا لأحد المستشرقين . وهو هنرى سيرويا . الذى يقول في كتابه « فلسفة الفكر الاسلامى » :

« بينما كان أهل قريش يحتفلون بعيد أصنامهم اجتمع أربعة رجال . ليخطبوا فيهم معبرين عن أفكارهم : يا من اتبعتم طريق التى نائين عن عقيدة ابراهيم . ما هذا القداس الذى تقيمونه لتلكم الأصنام اللاتى تحجون اليها ؟

انه لعمل هراء باطل . ابحثوا عن الحقيقة لتجدوها اتركوا دياركم اذا لزم الأمر واذهبوا الى البلدان الأجنبية باحثين عنها والأربعة أصحاب هذا المشروع هم ورقة بن نوفل وعثمان ابن الحويرث وعبيد الله بن جحش وزيد بن عمرو بن نفيل » (١) .

---

١ راجع القصة التى أوردها سيرويا في سيرة ابن هشام كتاب العرب ... ٢٤٤ .

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

وزيد بن عمرو بن نفيل هذا هو ناظم القصيدة التي اخترنا أنموذجا منها يمثل مع باقي القصيدة ـ ثورة عقلية نابهة على التعدد مبنية على التعقل الرزين لا على الانفعال الوقتي ، ولا يسمح المقام بالاستطراد الى توضيح جوانب التفكير والتدليل في هذا الانتاج العقلي السامي الذي ينكره رينان على هذه العقلية المهضومة وسواء أحدث ما حدث بين الأربعة كخطاب للجمع كما يقرر سيبويا ، أو وقع فيما بين الأربعة فقط ، فانه على كلا الوجهين يهز كلام رينان حتى ليكاد يقتلعه من جذوره ويميد القواعد من تحته .

لأنه فوق كونه ، حقا ـ هو مما أقربه بنو العرب الذي ينتمي اليه رينان نفسه على أن رينان يتحدث عن هذه الصبغة المزدوجة في الجنس السامي « والوحدة والبساطة » اللتين هما مفتاح الشخصية السامية ، فيقول : انه ما كان لهذا الجنس السامي ، أن يفاخر بها وقد جاءته عفوا من حيث لا يحتسب » .

ويكاد رينان ينطق هنا بأن هذه الخاصية مبعث فخر لذويها لولا عفويتها هذه ، ويسارع لينفي أنها أتت اليه نتيجة تفكير راتب في الأمور الالهية أو استدلال عقلي أو منهج علمي .. أقول :

هو يسارع الى نفي كل ذلك حتى لا يضيف ميزة لهذه العقلية المفترى عليها من حيث لا يريد .

وهذا الارتباك الفكري الواضح على فكر الرجل فيما يتعلق بقضية الفكر السامي أساسه أن المستشرقين المتعصبين يعملون لحساب الاستعمار الفكري أو الغزو الثقافي فتتقيد أفكارهم بخطط مقيدة ، ويتبع العلم المنفعة فتهتز في أيديهم الأمور ، وتميد مقدماتهم ، وتسقط بالتالي نتائجهم ، وهذه سمة عامة في الفكر الاستشراقي ، المتعصب .

هذه هي الركيزة التي يرتكز عليها رينان في انكاره الابداع الفكري عند المسلمين ، وادعائه أن ما يوجد لدى الساميين مما عساه أن يكون فكرا فلسفيا انما هو منقول عن اليونان وليس لهم فيه عمل ومن الأشياء التي نحب أن نؤكد عليها فيما يتعلق بخلط الرجل وخبطه العشوائي ، أن سمات السامية هذه ـ في زعم رينان ـ لازمة للجنس السامي في كل زمان ومكان ، مادامت تدخل في صميم الجنس وذلك لازم لكلامه ولكن تتبع أقوال الرجل يعطي نقض ذلك نقضا كاملا بالنسبة للعرب مما يصحح القول بأن الرجل مختلف على نفسه وغير متسق مع ذاته ، أن رينان يرى ـ مثلا ـ أنه لا وزن للعرب في تاريخ العالم السياسي والثقافي قبل القرن السادس الميلادي وهو عصر ما يسميه رينان بالانقلاب المفاجىء ، الذي صار به العرب أمة مبدعة على حد تعبيره والعصر الذي يتحدث عنه سابق لمعرفتهم بعلوم اليونان قطعا وقد كان ذلك مما أثار جوستاف لوبون للرد على رينان في ذلك .

يتأكيد أن حضارة العرب أعمق جذورا من القرن السادس الذى يشير اليه رينان ورمى رأيه هذا بالفساد الظاهر ــ يقول جوستاف لوبون ، فى كتابه حضارة العرب ، ص ٨٧ :

« رأى الكثيرون أنه لا تاريخ للعرب قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ، وحجتهم فى ذلك أن العرب كانوا من الأجلاف الذين لم تع ذاكرة الانسان شيئا عنهم والى مثل هذا الرأى ذهب بعض الأذكياء المعاصرين ومنهم مؤلف تاريخ اللغات السامية الشهير « رينان » ،

ثم ينقل جوستاف لوبون عبارة رينان على النحو التالى :

« لا مكان لبلاد العرب فى تاريخ العالم السياسى والثقافى والدينى قبل ذلك الانقلاب المفاجىء الذى صار به العرب أمة فاتحة مبدعة ولم يكن لجزيرة العرب شأن فى القرون الأولى من الميلاد ، حين كانت غارقة فى دياجير ما قبل التاريخ ، ولم يظهر بأسها وبسالتها ، الا بعد القرن السادس الميلادى » ،

يعقب جوستاف لوبون على ذلك بأن هذا الرأى فاسد عنده لأول وهلة حتى وان انتفى العلم بماضى العرب ، لأنه اذا أمكن ظهور حضارة أمة بغتة على مسرح التاريخ لا يكون ذلك الا نتيجة نضج بطىء ، واذا ما ظهرت أمة ذات حضارة راقية على المسرح التاريخى قلنا : ان هذه الحضارة ثمرة ماض طويل ولا يعنى جهلنا لهذا الماضى الطويل عدم وجوده ،

ثم يؤكد جوستاف لوبون أن الوثائق أثبتت وجود حضارة عربية ليست أقل من حضارات أخرى كالآشوريين والبابليين فى العصور القديمة

هذه هى ملاحظات جوستاف على رينان ، وهى جديرة بالتقدير طبعا لكن التساؤل الذى نورده هنا على مسيو رينان هو :

كيف يتسنى له أن يتكلم عن ابداع عربى بعد عصر البعثة مع ما قرره سابقا من اجداب العقلية السامية عموما ،؟!

لا يمكن أن يكون ذلك من باب التخصيص للحكم الأول ، لأن رينان متعصب جنسيا يرد القصور ــ المزعوم ــ الى ذات الجنس كغريزة فهو مفطور اذن على التقليد ، وما بالذات لا يتخلف كما يقال ،

ثم هو من ناحية أخرى متعصب دينيا يرمى الاسلام بالجمود والحجر على الفكر وكما أن ذلك ليس أول مظاهر تهافت فكر الرجل فلن يكون آخرها فرينان مثلا ، بعد أن صرح بأن العرب لم يضيفوا شيئا سوى تلقيهم لجملة المعارف اليونانية فى صورتها التى كان العالم كله ملما بها ، فى القرنين السابع والثامن



من مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

أقول يقرر رينان ما يخالف هذا التصريح حينما يقـول :

اتخذ العرب من تفسير آراء أرسطو وسيلة لانشاء فلسفة ملأى بالعناصر الخاصة المخالفة جد المخالفة لما كان يدرس عند اليونان (١) .

ترى اذا كانت الفلسفة الاسلامية حقا هى الفلسفة اليونانية . مكتوبة باللغة العربية فهل يبقى هناك مكان لهذه الملامح الخاصة التى تخالف جد المخالفة ما كان يدرس عند اليونان ؟

واذا كان رينان يقرر أيضـا . أن الحركة الفلسفية الحقيقية فى الاسلام ينبغى أن تلتمس فى مذاهب المتكلمين وعلم الكلام . ؟

واذا كان يقرر ـ كما سبق ـ أن العرب تحركوا الى الابداع منذ القرن السادس فان السؤال الوارد على هذا التقرير وذلك هـو : ما منشأ هذه الحركة الفلسفية هل منشؤها العقلية الخاصة بالجنس والعنصر ؟

لكن العنصر جامد فى زعمه . مقـلد متبع عقيم عن أى ابتكار عقلى !

ام ان مصدرها الاسلام ؟

لكن الاسلام فيما يزعم رينان . جامد يحجر على الفكر الحر . وعقيدة القـدر فيه تثبط العزم وتقيد الفكر كما يزعم رينان وأمثاله .

ووجه القصـور فى هذه الأفكار والتضارب فى الأحكام لدى رينان وغيره هو أنهم يقررون مبادىء عامة وقواعد كلية فيما يتعلق بالجنس أو الدين ويتعصبون لها رغم أنها لا تقوم على أساس علمى سليم ثم تدفعهم بعض الحقائق وتواجههم فيقررون ناسين أو متناسين ما قرروا سـابقا .

والا فكيف تفهم قول رينان فيما ينقله عنه جوستاف لوبون .

« ان ألبرت الكبير مدين لابن سينا . فى كل شىء . وأن سان توما . مدين لابن رشـد فى جميع فلسفته » ص ٥٦٨ من كتـاب حضارة العرب ولو صحت لرينان قواعده المبنية على التعصب لما صح منه هذا القول مطلقا ولكان كل من المدينين مدين لأرسـطو أو غيره من فلاسفة اليونان مثلا .

مادام الأمر أنه لا عقليات اسلامية مبدعة!! ولا فلسفة اسلامية أصيلة وبصرف النظر عما يمكن أن يلـزم من كلام رينـان من اعتراف بميدان تأثير الفلسفة الاسلامية على علماء الغرب وفلاسفته .

فان هذه الأوجه من التناقض تهـز عنـدى أسـاس نظريته المفرقة بين الأجناس على النحو المتقدم وهى القاعدة التى ترتكز عليهـا

---

(١) تمهيد الشيخ مصطفى عبد الرازق ص ١٢

آراؤه • والا فلو سلمت له قاعدته حقا وصدقا لما استطاع ملاحظة مثل هذه الشواهد الأخيرة •

هذه بعض دعاوى رينان فيما يتعلق بنظرته الى الفكر الاسلامى والعقلية الاسلامية •

وهذا هو أساسها العنصرى •

وهذه هى نتائجها التى بناها على هـــذا الأســاس •

ولا يصح عندى مغادرة المقام دون التعرض لهذا الأساس وبيان القيمة العلمية للنظـرية العنصرية • وهى نظـرية روجتهـا أغراض استعمارية وتجارية • لا يتسع المقام للتطرق اليهـــا •

ولعل أهم مطعن فى أساس هذه النظرية هو هذا التوحيد بين مفهـومى اللغـة والجنس ويحدد « جون كوماس » فى كتابه « خرافات عن الأجناس » وجه الخطأ فى هذه النظرية بأن « اصطلاح الجنس يستعمل دون اكتراث ـ يعنى فى النظرية ـ كاصـطلاح معـادل للفظ اللغة ، وذلك لأن اصطلاح الجنس له مدلول بيولوجى بحت يعنى لا علاقة له باللغه » •

ثم يؤكد « جون كوماس ـ أن اسـتعمال الاصطلاح على هذا النحو يترتب عليه أن يقع الناس فى خطأ جسـيم • لأنهم يعـدون كل مجموعة متفقة فى اللغة هى متفقة أيضــا فى الصفات الأنثربولوجية الجنسية •

وقد كتب هامنت أن اللغة والجنس مفهومان مختلفان اختلافا تاما ويجب الا يســتعمل أى مصطلح أنثربولوجى فى مناقشة المســائل المتعلقة باللغة وكذلك يجب تجنب المصطلحات الخاصة بالمباحث اللغـوية أثناء الدراســات الأنثربولوجية » (١) •

وهكذا ينهار الأساس الذى تقوم عليه هذه النظرية لأنها مبنية أساسا على تقسيم رينــان للغات الى لغات سامية وآرية • وتقســيم الأجناس على هذا الأســاس اللغوى • الى جنس سامى وآخر آرى •

والحق أن التاريخ والواقع يكذبان هـــذا التلازم المزعوم بين الجنس واللغــــة فى أى زمان ومكان •

---

(١) راجع تهافت هذه النظريةفى كتاب خرافات الإجناس لجون كوماس ترجمة محمـــد رياض و د • محمد عوض محمد مكتبة نهضة مصر •

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

فاذا علمنا مثلا أن المسلمين في بلد غير عربي ينطقون اللغة العربية ، فان ذلك لا يعني انتسابهم للجنس العربي .

ومن الأمثلة التي ضربها « جون كوماس » في كتابه المشار اليه ، أن سكان الولايات المتحدة ، يزيدون على مائة وخمسين مليونا وهم لم يتكونوا من جنس واحد بل هم في تكوينهم جمع عديد من الأجناس من مختلف بيئات العالم وبالرغم من انتماءاتهم الجنسية المتعددة والمختلفة فهم جميعا يتحدثون الانجليزية وقد يوجد العكس بحيث تتفرق مجموعة بيولوجية واحدة متشابهة ، الى عدة أمم (١) .

واذا كانت وحدة اللغة لا تدل على وحدة الأصل البيولوجي فانه حتى هذا الجنس الآري او السلالة الآرية ذاتها موضع شك كثير من العلماء .

واذا أضفنا الى ذلك أن من بين المروجين لهذه النظرية « الكونت آرثر جوبينو » وكان أرستقراطيا ينادي بالطبقية الى حد أن غالى في ذلك فقال أن الأرستقراطيين في كل مجتمع ينتمون الى عنصر واحد ، بل ان الارستقراطيين في المجتمعات المتعددة ينتمون الى جنس واحد .

اقول اذا أضفنا ذلك الى ما قدمناه تبين أن أساس النظرية سياسي عنصري وليس أساسا علميا .

(١) نفس المصدر

وأضيف الى ذلك أن تفوق الجنس الآري مبني على مقدمات تفتقر الى المقومات الموضوعية ، وبذلك فالجنوح اليه خطأ وتناقض ولا يمت الى العلمية الصحيحة بصلة .

على أن أصل النظرية سياسي وليس علميا كما يقول جون كوماس .

وقد جاء عن أحد علماء الاجتماع الغربيين، وهو توفيكون .

« ان التعليل بطبيعة الجنس يعتبر كمعطف نلجأ اليه لنستر به جهلنا لحقائق الأشياء ، وكسلنا عن تحري الأسباب .

هذا هو أساس النظرية العنصرية ، وهذه هي قيمتها العلمية في نظر العلماء !

ارايت كيف انهار أساس هذا البناء الضخم؟ ارايت كيف ظهر تهافته وخرافيته ؟!

انه من الطبيعي والأمر كذلك ان ينهار ما اقيم عليه من احكام فضلا عن تهافت هذه الاحكام في ذاتها بصرف النظر عن اساسها على ان بطلان الاساس لا يغنينا عن تتبع المفتريات ونقدها او نقضها موضوعيا .

وبذلك يصبح بطلانها مركبا ، في المنهج والموضوع ، ان الباطل كان زهوقا والله اعلم بالصواب .

دكتور / محمود عبد المعطي بركات

المجتمع

■ مقاومة الحرب النفسية

■ عمليات نقل القلب

مقاومة

تناولنا فى مقال سابق شرح مفـاهيم الحرب النفسـية والـدعاية واهـدافها ومهامها واوضحنا اشكالها واسـاليبها ، وبينا خطرها الشديد على الأمـة وكيف انها تستهدف تدمير اغلى ما لديها وهـو الارادة والايجابية ، ونتنـاول فى هـذا المقال طرق مواجهتها • وازالة آثارها •

التحدى الذى يواجه الدعاة والمربين :

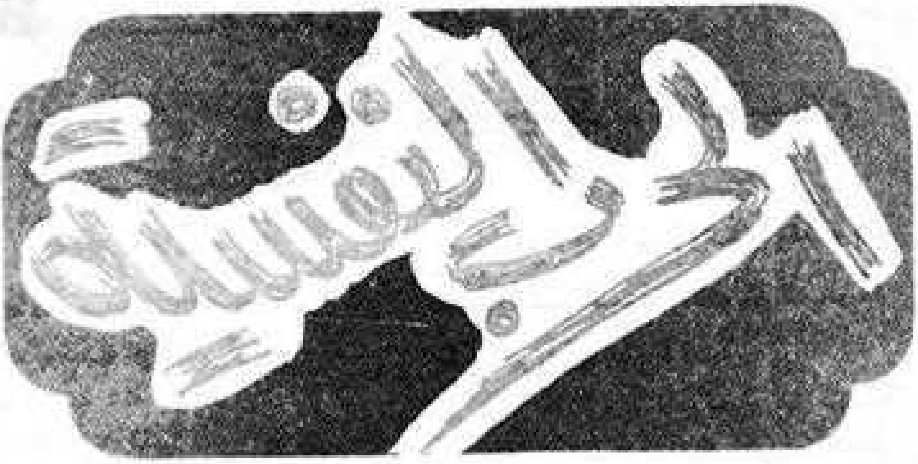
أصبحت مواجهة أسـاليب الدعاية والحرب النفسـية من أهم القضايا التى ينبغى أن يعنى بها الدعاة والمربون فى هذا العصر •• فان من حقائق هذا العصر أن مخططى الدعاية والحرب النفسية يقفون فى الجانب المضاد لهم ولمـا يريدون ، فبينما يريد الدعاة والمربون البناء، فان مخططى الحرب النفسية يريدون الهدم ، « ولن يبلغ البنيان يوما تمامه ، اذا كنت تبنى وغيرك يهدم » كما قال الشاعر ••

والواقع أن الاسـلام يسد منـافذ الحرب النفسية ويرشد الى أساليب تحصين المسلمين ضدها على نحو لا تتسامى اليه أفضل النظم المعمول بها فى الشرق أو الغرب :

اولا ـ كشف اهداف الحرب النفسية واساليبها

واول ما يوجه اليه الاسلام لوقاية المسلمين من الحرب النفسية هو كشف أهدافها وأساليبها حتى يكونوا مسلحين بالوعى الـذى يجعلهم مستعدين استعدادا نفسـيا لمواجهتها وعـدم الاستجابة لها او التأثر بها •• « **أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ؟** » (الملك ٢٢) •

فلقد عنى القرآن الكريم أشـد العنـايه بكشف أهداف أعداء الاسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين وأسـاليبهم ومحـاولاتهم للتفريق بين المسلمين والقضاء على وحدتهم وأمنهم وللتخذيل والتوهين وتثبيط العزائم ، وأرشد المسلمين الى طرق مواجهتها ومقاومتها والقضـاء عليها :



في توجيهات الإسلام

للواء أ.ح محمد جمال الدين محفوظ

فضح محاولات التفرقة :

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ » (آل عمران) .

والمعنى أن الأعداء يعملون دائما على تفريقكم ، ومحاولة اضلالكم والايقاع بينكم ، فان تطيعوهم فانهم لا يكتفون منكم بتفرق يوهن قوتكم ويزلزل أخوتكم ، وانما يظلون يتابعون عملهم ضدكم حتى تكفروا وتخضعوا لهم وتصيروا مثلهم (يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ) .. ثم قال تعالى : « وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (آل عمران ١٠١)

والمعنى وأنتم يجب أن تكونوا أثبت الناس على الحق وأشدهم تمسكا به لأن آيات الله تتلى عليكم ورسوله قائم بينكم فاذا مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعكم كتاب الله وسنة رسول الله ، ولن تضلوا ما تمسكتم بهما وعملتم بما فيهما والتففتم بايمان وحب حولهما ، وعار عليكم أن تكونوا مؤمنين مهديين بنور الله وكتابه ثم تنقلبوا وتعودوا الى الضلال ومتابعة أعدائكم وتقليدهم فيما يضر ، غافلين عما أنعم الله به عليكم من الهدى والنور والمبادىء التى ترفع شأنكم وتسعد حياتكم وترضى ربكم « وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ (تختلفون) وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ

مقاومة الحرب النفسية

في توجيهات الإسلام

رَسُولَهُ » وعبر عن الاختلاف بالكفر لأن الاختلاف يوصل الى الكفر أو لأنه ملامح الكافرين ودأبهم . ثم قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (آل عمران ١٠٢ ــ ١٠٣) .

في الآيتين السابقتين وجه الله تعالى نداءه الى المؤمنين ليصغوا اليه ويهتموا بأمره ونهيه وارشاده.ثم أمرهم بأن يتقوه حق تقاته وأن ينفضوا عن أنفسهم كل آثار الجاهلية من الكفر والفرقة والعداوة والبعد عن الخضوع لله (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) وأن يجعلوا كل أمورهم محكومة بدين الله تعالى لأن فيه الحماية من كل ما يضعفهم أو يذلهم . ثم نهاهم عن التفرق الذى هو الضعف والفشل وتمكن الأعداء (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) وعليهم أن يذكروا ما كانوا عليه في الجاهلية من عداوة وتقاتل وتفرق مما تسبب عنه اضعاف شأنهم وتسلط عدوهم عليهم (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) .

هذا هو الطريق لأمة تخطو الى عزتها وكرامتها ، وليس هناك طريق آخر غير الذى أضاءه الله للمؤمنين ليسلكوه ودلهم عليه ليأمنوا الوقوع في الأخطار والمهالك .. ولذلك ختم الله الموقف كله بقوله جل شأنه : « كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » .

كشف محاولات التخذيل وتثبيط العزائم :

ويقرر القرآن الكريم أن الدور الذى يفعله أعداء الدين في التخذيل وتثبيط العزائم واضعاف الهمم ، له خطورته اذا انساق في تياره أبناء الأمة ، ويوضح أنه كلما لقيت دعواتهم آذانا صاغية ، فانهم يفرحون بذلك وهذا شأنهم في كل عصر .. ومن الأمثلة التى أوردها القرآن في هذا المجال أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين ــ عندما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاعداد لغزوة تبوك ــ الى أن يتخلفوا عن الرسول ولا ينفروا في الحر ، فجاءت الآية الشريفة تحذر من اتباعهم وتنبئهم أن جهنم أشد حرا وتطلب من الرسول الا يستعين بهم في غزوة أخرى .. قال تعالى :

« فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ



وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ » (التوبة ٨١ ـ ٨٣) .

ونلاحظ هنا أن القرآن لايكشف محاولات تثبيط العزائم ، ولا يحذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب ، بل يقرر أيضا ضرورة تطهير الجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه .

كشف محاولات زعزعة الثقة فى النصر :

ويكشف القرآن أيضا محاولات أعداء الأمة لزعزعة ثقتها فى النصر ، فأورد مثالا لذلك أولئك المنافقين الذين أرادوا أن ينفثوا سمومهم فى أهل المدينة يشككونهم فى وعد الله ورسوله بالنصر والفتح المبين ، فركزوا على جانب التوهين والتخذيل والتخويف واضعاف العزائم ليتركوا الرسول ـ فى غزوة الخندق ـ وحده مع نفر قليل ، وليرجعوا الى بيوتهم متعللين بأنها غير محصنة (وكان الخندق خارج المدينة) قال تعالى :

« وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ (اى شك ونفاق) مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (اى باطلا من القول) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ (اى سائبة شائعة ليست بحصينة ومعرضة للعدو) « وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا » (الأحزاب ١٢) .

ثانيا ـ الايمان وقوة العقيدة :

ويقرر الاسلام أن العقيدة الراسخة القائمة على الايمان الذى لا يتزعزع هى الركيزة العظمى لتحصين المجاهدين ضد الحرب النفسية ..

فالمؤمن ايمانا كاملا لا يخاف الوعيد ولا يرهب التهديد وليس جبانا رعديدا كأولئك الذين يقول الله فيهم : « فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ » (الأحزاب ١٩) .

بل ان المؤمن لا يزيده التهديد والوعيد

مقاومة الحرب النفسية في توجيهات الإسلام

وأساليب الحرب النفسية المختلفة الا ايمانا وثباتا واستعدادا للبذل والتضحية كأولئك الذين قال فيهم جل شانه : « **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** » (آل عمران ١٧٣) .

ويتفق علماء النفس وخبراء الحرب النفسية على أن الحرب النفسية « تؤثر بفعالية أكثر على الجنود الخالين من العقائد الثابتة وذوى الوعى السياسى الضيق وغير المثقفين » .. لذلك كان الايمان بالنسبة للمسلمين نورا يهديهم وكان بالنسبة للاعداء صخرة تتحطم عليها أساليبهم ومحاولاتهم للنيل من معنويات المسلمين ، فلقد دس أبو سفيان الى المسلمين من يثبطون عزائمهم ويرهبونهم من لقاء قريش وحربها ، كذلك دخل ناس من هذيل — من أهل تهامة — المدينة فسألهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبى سفيان فقالوا ان المشركين قد جمعوا لكم جموعا كثيرة فاخشوهم وخافوهم ، واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم ، وعلى الرغم من أن ذلك كان بعد أحداث أحد وهو ظرف يعده خبراء الحرب النفسية من أفضل الظروف الملائمة لحملات الحرب النفسية ، الا أن محاولات الأعداء اليائسة لم تنجح فى زعزعة معنوياتهم ، بل زادتهم يقينا فى دينهم وقوة وجرأة على مواجهة أقسى التحديات ، فكان جوابهم فى مواجهة هذه الحرب النفسية :

« **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** » .

ولذلك أعطاهم الله النعمة والفضل وصرف عنهم السوء ورضى عنهم وفى ذلك يقول جل شانه : « **فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ** » (آل عمران ١٧٤) .

ويلاحظ أن نظرية الاسلام فى الوقاية من الحرب النفسية تنفرد بميزة عظمى تستحق التأمل ، فان غاية ما تتوق النظم الوضعية اليه هو أن تجعل رجالها لا يتأثرون بالحرب النفسية ، أما النظرية الاسلامية فهى تتجاوز هذا الحد لتبلغ مستوى رفيعا عاليا هو أنها لا تجعل المسلمين لا يتأثرون بالحرب النفسية فحسب ، بل أن الحرب النفسية تجعلهم يزدادون ايمانا ويقينا (**فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**) .

فما الذى يفعله العدو اذا أدرك أن حربه النفسية تزيد ايمان المؤمنين ، ؟ من حيث كان يريد عكس ذلك ؟ انه سوف يصاب بالاحباط واليأس ويكف عن توجيه حملاته النفسية .. ترى هل هناك وسيلة أفضل فى الوقاية من الحرب النفسية من اقناع العدو بعدم جدواها وبالكف عن توجيهها ضد المسلمين ؟ .

ثالثا : منع ترويج الشائعات :

لا يترك الاسلام أمر الكلمة — ولا سيما فى

الظروف الحساسة ــ لغير المختص المسئول ، ولذلك لام القرآن المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالاسلام كما لام ضعفاء المسلمين لأنهم كانوا يفشون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذيعونه ويتحدثون به قبل أن يقفوا على حقيقته سواء كان هذا الأمر يتصل بحالة الحرب أم بحالة السلام والأمن ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

« وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً » (النساء ٨٣) .

وكما حذر الاسلام من اذاعة الأسرار طلب من المسلمين أن يتثبتوا مما يصلهم من الأنباء قبل الركون اليها والعمل بها ، فان ذلك ليس من شأن المؤمنين ولا من خلال الصادقين كما يفهم من قوله تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » (الحجرات ٦) .

وحذر القرآن من تناول ما لم نستيقنه او نعلمه كما يفهم من قوله تعالى « وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً » (الاسراء ٣٦)

ولقد ينطلق لسان الانسان بكلمة قبل أن يقدر عواقبها ، وقد يكون عارفا بعواقبها ولكنه يستهين بها فيفتح على أمته أبواب خطر ، ويجر على نفسه وعلى الناس ويلات كان يمنع منها شيء من الحذر وتدبر العواقب ، والنظر الدائم الى صالح الأمة .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه ، وأن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه الى يوم يلقاه » ، ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « تحروا الصدق وان رأيتم فيه الهلكة فان فيه النجاة ، واياكم والكذب وان رأيتم فيه النجاة فان فيه الهلكة » ويحذر عليه الصلاة والسلام من ترويج الشائعات ، ويعتبر أشد أنواع الكذب أن يدعي الرجل بالباطل أنه رأى بنفسه الشيء الذي يذيع عنه فيقول : « ان أفرى الفرى ــ (أكذب الكذب) ــ أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا » .

كما يكشف الاسلام مدى الجريمة التي يقترفها مروجو الشائعات كما يفهم من قوله : « إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ » (النور ١٥) وقوله : « إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ » (النور ١٩) .

لواء أ.ح محمد جمال الدين محفوظ

آيات الله في عمليات

عرض تاريخي :

في العشرينيات اجرى الدكتور «هنرى سوكار» اول عملية من نوعها لتوسيع الصمام الميترالي بالقلب ، والذى يعانى من ضيقه الكثير من مرضى القلوب ، وتشهد أن له عواقب وخيمة بعيدة الآثار والمدى .. فكانت هذه اول جراحة في صمامات القلب تفتح الباب أمام آفاق فسيحة للطب العلاجي للقلوب التالفة

وفي عام ١٩٤٨ م . أجرى الدكتور « هينبرج » أول عملية زرع للشرايين التاجية بالقلب وأوصل هذه الشرايين بشرايين الصدر حتى يتسنى التوفر بكميات هائلة من الدم لتغذية العضلة القلبية السقيمة المعتلة ، ونجحت تجارب الدكتور هينبرج بدرجة مثيرة وكانت بالتالي أيضا فتحا تاريخيا ونصرا مؤزرا لطب وجراحة القلب .

وكما هي سنة الله في خلقه تطورت المسألة حتى وصلت الى حد استبدال صمام قلبي تالف بصمام صناعي بلاستيك يقوم بدوره الحيوى و « الفسيولوجي » بنشاط وكفاءة واقتدار .

ففي عام ١٩٥٢ اخترع الدكتور « تشارلز هوفناجيل » أول صمام صناعي بلاستيك ، ولم يتوقف ولم ينته عند هذا الحد بل أخذ يطور في شكل هذه الصمامات الصناعية ، وانتهى البحث والتجريب الى اكتشاف الجهاز المنظم لضربات القلب ، فكان نعمة من الله أتيحت للطب الحديث .

وأدخل الدكتور « ماسون سونز » سنة ١٩٥٨ م . قسطرة رفيعة في الشريان التاجي بالقلب وحقن فيه بواسطتها مادة ملونة فأمكن بواسطة هذه الصبغة تصوير الشريان التاجي ورؤية مكان انسداده أو تقلصه .

ولم تن البحوث ولم تتوقف التجارب على الحيوانات برهة ، أو طرفة عين حتى اكتشف تشارلز ديك أول منظم قلب صناعي أمكن زرعه في داخل جسم المريض .

وفي سنة ١٩٦٧ م . قام الدكتور كريستيان برنارد بعملية زرع قلب في أفريقيا الجنوبية بعد سلسلة من التجارب الناجحة التي أجراها قبله الدكتور « شمواى » في جامعة فرانسيسكو .

وفي سنة ١٩٧٥ م . ابتكر « مارك بريمبردج » حقن القلب بمحاليل معينة أثناء جراحته المفتوحة .

وفي سنة ١٩٨٠ م . تمكن الدكتور شمواى من ادخال عقاقير معينة في القلب المفتوح وفي أخريات سنة ١٩٨١ أجرى الدكتور « شمواى » عملية زرع القلب والرئة . أما في عامنا هذا فقد قام الدكتور « وليم ديفنز » بزرع أول قلب صناعي للانسان .

القلب في القرآن : وقد ورد القلب في القرآن الكريم في مواضع كثيرة متفرقة وبمعان

نقل القلب

دكتور السيد الجميلي

متباينة ، قال تعالى : (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) الحج ٤٦ .

وتفسيرها « أى ليس العمى عمى البصر ان كانت القوة الباصرة سليمة فانها لا تنفذ الى العبر ولا تدرى ما الخبر ، وما أحسن ما قاله بعض الشعراء فى هذا المعنى ، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان الأندلسى (١) .

ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل
لم يهده الهاديان العين والأثر

وقال تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) ق ٣٧ « أى لب يعى ، وقال مجاهد عقل » (٢) .

والقلب هو المضغة المركزية فى الجسم البشرى ان صلحت صلح سائر البدن وان فسدت أو تلفت تعب البدن كل فى مختلف أقطاره ونواحيه .

قال تعالى : (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ) الانفال ٤٩

وقال أيضا : (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) الأحزاب ٦٠ .

(١) ابن كثير ج٣ ص ٢٢ بتصرف .
(٢) ابن كثير ج٤ ص ٢٢٩ .

قال عكرمة : المقصود بالآية هنا هم الزناة (٣) .

قال الراغب (٤) : ومرض القلب هو الرذائل الخلقية كالجهل والجبن والنفاق والبخل والشح وهى تمنع من ادراك الفضائل كما يمنع المرض البدن من العمل ، وهذا يمنع من كسب سعادة الحياة الآخرة .

رأينا فى جراحة ونقل القلب : لعل عملية نقل القلب من شخص آدمى لآخر أو من حيوان لحيوان آخر من جنسه أو قريبا منه تختلفتماما عن نقلالكلية فانالجسمالحيوانى فيه قلب واحد ولكن يحتوى البدن على كليتين ومن الممكن الاستغناء بواحدة وتستمر الحياة بالأخرى سوية معتدلة .

ومن لطف الله وعظيم رحمته بالخلق أن الجسم سرعان ما يحور فسيولوجيته حسبما يقتضى الأمر ذلك ، فهو يحور فى ديناميكية البناء والأيض والاخراج حتى تتوافق فى النهاية مع ناموس الحياة ومتطلباتها .

ولا يستبعد أن نسمع فى القريب عن استبدال المخ ــ وان كان هذا من المحال ــ ولا يمكن أن يجرؤ أحد مهما كان أن يدعى أنه نقل مخ انسان الى انسان آخر .

لماذا ؟ ..

لأن نقل المخ يقتضى نزعه من مكانه وفور نزعه وحال فصله فانه تموت خلاياه فى الحال فاذا ما نقلت هذه الخلايا الميتة الى جسم حى فانك انما تزرع ميتا فى حى ولايمكن بل يستحيل وتتعذر معه ممارسة الحياة .

ننتهى من هذا كله الى أن الله سبحانه وتعالى يسهل وييسر طرائق العلم بكافة

(٣) ابن كثير ج٢ ص ٥١٩ .
(٤) مفردات الراغب .

آيات الله
فى عمليات نقل القلب

البشر لكنه سبحانه له أسرار لا يستطيع الانسان حيالها الا أن يقول : سبحان الله وسع ربنا كل شيء حكمة وعلما فاكتبنا مع الشاهدين .

وليأخذ جراحو القلوب حذرهم فان ما يصل اليه علمهم وتفوقهم ونبوغهم فى مضمار جراحة القلب ونقله انما هو ابتلاء من الله سبحانه وتعالى لهم واختبار ليبلوهم ويفتنهم فيه ، فنحن نرى أن من هؤلاء العلماء — وهم كافرون بالقرآن والاسلام — من ازداد كفرا على كفره ، فتوهم أنه بذلك أصبح يضارع الخالق جل شأنه وأنه قد كشف حيال ناظريه عن أمور ملكوتية غيبية وأنه يستطيع أن ينازع الله جل شأنه فى صفاته وهى الأحياء والافساح فى الأجل فكفر بالله وهو فى محل الايمان .

والبعض الآخر آمن بالله وأسلم لله سبحانه وتعالى ، وألقى مقاليد أمره لله وقال ما قاله سليمان : — ذلك من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ..

وها هو ذا سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — وهو ملك نبى لم تأخذه العزة بالنفس — عندما حضر اليه عرش ملكة سبأ من بلاد نائية فى أقل من طرفة عين فلم يقل : ان هذا كرامة لى أو ان ذلك من صنعى ومقدرتى ؟ انما عزا الأمر الى صاحب الأمر ، وأبدى قمة عبوديته لله سبحانه وتعالى وأبان عن اذعانه للحق جل شأنه وتسليمه له وخضوعه وذلته بين يديه .

فمن الأحرى بهؤلاء أن يزدادوا ايمانا ووثوقا فى قدرة الله وفى صنعه وبديع اتقانه وقد قال تعالى فى القرآن الكريم .

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » (فصلت ٥٣) .

وقوله تعالى : « إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » (الاسراء ٣٦) .

فلنتوقع فى المستقبل القريب أو المستقبل البعيد المزيد والكثير من الكشوف العلمية ولكن يجب الا ننسى أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء وأن بيده ملكوت كل شيء بيده الأمر ، وهو على كل شيء قدير ، ولنعلم أن هذه الطفرات انما هى للابتلاء والفتنة .

اللهم نسألك علما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وارحمنا واعف عنا واغفر لنا انت مولانا فنعم المولى ونعم النصير وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

دكتور السيد الجميلى

من التراث

■ ميراثنا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

■ مجلة الأزهر من خمسين عاماً

■ من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

من ميراثنا
حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم

قال — رضى الله عنه ، بشأن الأحاديث النبوية وعددها (١) :

« جرى بينى وبين أحد أصحاب الحديث كلام فى قول الامام أحمد : صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة ألف حديث ، فقلت له ، انما يعنى به الطرق (٢) ، فقال لا الا المتون (٣) فقلت : هذا بعيد التصور .

ثم رأيت لأبى عبد الله الحاكم كلاما ينصر ما قال ذلك الشخص ، وهو أنه قال فى كتاب المدخل الى كتاب الاكليل : كيف يجوز أن يقال : أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عشرة آلاف حديث ، وقد روى عنه من أصحابه أربعة آلاف رجل وامرأة صحبوه نيفا وعشرين سنة بمكة ثم بالمدينة ، حفظوا أقواله وأفعاله ، ونومه ويقظته وحركاته وغير ذلك سوى ما حفظوا من أحكام الشريعة . واحتج بقول أحمد : صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة ألف حديث وكسر ، وأن اسحق بن راهوية كان يملى سبعين ألف حديث حفظا ، وأن أبا العباس ابن عقدة قال : أحفظ لأهل البيت ثلاثمائة ألف حديث ، قال ابن عقدة : وظهر لابن كريب بالكوفة ثلاثمائة ألف حديث .

قلت : ولا يحسن أن يشار بهذا الى المتون . وقد عجبت كيف خفى هذا على الحاكم وهو يعلم أن أجمع المسانيد الظاهرة مسند أحمد بن حنبل ، وقد طاف الدنيا مرتين حتى حصله وهو أربعون ألف حديث ، منها عشرة آلاف

---

(١) العنوان من عمل المجلة . وقد توفى هذا الامام الجليل فى الثانى عشر من رمضان سنة ٥٩٧ هـ والقطعة من كتابه : « صيد الخاطر » بتحقيق القاضى الأديب الأستاذ على الطنطاوى ص ٢٢٢ ط دار القلم — دمشق — القطعة رقم ١٧٤ .

(٢) أى الحديث الواحد يكون له خمسة طرق « أى خمسة أسانيد » فيعدونه بخمسة احاديث ، ومن هنا جاءت هذه الأرقام الكبيرة ، وقد غلط فى هذه المسألة أحمد أمين ونبهت أنا عليها فى « الرسالة » من نحو ربع قرن « على الطنطاوى » .

(٣) يريد ليس طرق الحديث وانما صح من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة ألف حديث من كلامه عليه الصلاة والسلام .

للإمام
أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن الجوزي
رحمه الله

مكررة .

قال حنبل بن اسحق : جمعنا احمد بن حنبل انا وصالح وعبد الله وقرأ علينا المسند ، وقال لنا : هذا كتاب جمعته من أكثر من سبعمائة ألف وخمسين ألفا . فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا اليه : فان وجدتموه والا فليس بحجة .

أفترى يخفى على متيقظ أنه اراد بكونه جمعه من سبعمائة ألف أنه اراد الطرق ، لأن السبعمائة الألف ان كانت من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف أهملها ؟ .

فان قيل : فقد أخرج في مسنده أشياء ضعيفة . ثم أعوذ بالله أن يكون سبعمائة الف ما تحقق منها سوى ثلاثين ألفا وكيف ضاعت هذه الجملة ؟ ولم أهملت وقد وصلت كلها الى زمن فانتقى منها ورمى الباقي ؟ وأصحاب الحديث قد كتبوا كل شيء من الموضوع والكذب .

وكذلك قال أبو داود : جمعت كتاب السنن من ستمائة ألف حديث . ولا يحسن أن يقال : ان الصحابة الذين رووها ماتوا ولم يحدثوا بها التابعين ، فان الأمر قد وصل الى احمد فأحصى سبعمائة ألف حديث ، وما كان الأمر ليذهب هكذا عاجلا ، ومعلوم أنه لو جمع الصحيح والمحال الموضوع وكل منقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغ خمسين ألفا ، فأين الباقي ؟

ولا يجوز أن يقال : تلك الأحاديث كلام التابعين ، فان الفقهاء نقلوا مذاهب القوم ودونوها وأخذوا بها ، ولا وجه لتركها ، ففهم كل ذي لب أن الاشارة الى الطرق ، وأن ما توهمه الحاكم فاسد ، ولو عرض هذا الاعتراض عليه ، وقيل له : فأين الباقي ؟ لم

يكن له جواب . لكن الفهم عزيز . والله المنعم بالتوفيق .

ومثل هذا تعليل قوم قالوا : ان البخارى لم يخرج كل ما صح عنده ، وان ما أخرج كالأنموذج ، والا فكان يطول .

وقد ذهب الى نحو هذا أبو بكر الاسماعيلى ، وحكى عن البخارى أنه قال : ما تركت من الصحيح أكثر ، وانما يعنى الطرق .

يدل على ما قلته أن الدار قطنى وهو سيد الحفاظ جمع ما يلزم البخارى ومسلم اخراجه (١) فبلغ ما لم يذكراه أحاديث يسيرة ، ولو كان كما قالوا لأخرج مجلدات ، ثم قوله ما يلزم (البخارى) دليل صريح على ما قلته ، لأنه من أخرج الا نموذج لا يلزمه شيء .

وكذلك أخرج أبو عبد الله الحاكم كتابا جمع فيه ما يلزم البخارى اخراجه فذكر حديث الطائر فلم يلتفت الحفاظ الى ما قال . فما أقل فهم هؤلاء الذين شغلهم الحديث من التدقيق الذي لا يلزم فى صحة الحديث . وانما وقع لقلة الفقه والفهم .

ان البخاري ومسلما تركا أحاديث أقوام ثقات لأنهم خولفوا فى الحديث ، فنقص الأكثرون من الحديث وزادوا ولو كان ثم فقه لعلموا أن الزيادة من الثقة مقبولة ، وتركوا أحاديث أقوالهم لأنهم انفردوا بالرواية عن شخص ، ومعلوم أن انفراد الثقة لا عيب فيه . وتركوا من ذلك الغرائب . وكل ذلك سوء فهم .

ولهذا لم يلتزم الفقهاء هذا ، وقالوا : الزيادة من الثقة مقبولة ولا يقبل القدح حتى يبين سببه (٢) . وكل من لم يخالط الفقهاء وجهد مع المحدثين تأذى وساء فهمه . فالحمد لله الذى أنعم علينا بالحالتين .

د . ع . خ

---

(١) أى ما وجده من الأحاديث على شرطهما . راجع رسالة « شروط الأئمة الخمسة » طبع حسام الدين القدسى . وانظر كتاب (مجمع الزوائد) . على الطنطاوى .

(٢) ومن القدح الذى لم يبين سببه ، ولا وجه لقبوله ، ولا صحة له ، قدح بعض المحدثين بسيد فقهاء الاسلام الامام الأعظم أبى حنيفة . وأعجبه وأبعده عن الحق اتهامهم اياه بسوء الحفظ ، وقد كان فى حفظه نادرة الدنيا ، وأعجوبة الدهر . على الطنطاوى) .

المدينة الفاضلة في الإسلام

الشيخ محمد الخضر حسين

عرض وتقديم أحمد حسين جابر رجب

« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... » (البقرة ١٤٣) .

ان أحق الأديان بالبقاء ما وجدت احواله متوسطه بين الشدة واللين ، ليجد كل من ذوى الطبائع المختلفة ما يصلح به حاله في معاده ومعاشه .

ويستجمع له منه خير دنياه وآخرته .

وليس ذلك الا لدين الاسلام في عباداته ومعاملاته ..

ومن رضى لنفسه أن يكون في بعض شيمه حرا . وفي بعضها عبدا فليس هو بذى نفس أبيّة .

ومن راض نفسه على اصلاح همه صار مالكا لأمره .

والسعيد حقا من ابتاع بالقليل من عمره الكثير والدائم بالزائل .

وأحق الناس بالرحمة العاقل اذا تسلط عليه الجاهل .

والجهل مع العفة خير من الحكمة مع الفواحش . ولولا الخطأ لما أشرق نور الصواب .

وان الحق لا ينقلب باطلا لاختلاف الناس فيه ولا الباطل يصير حقا لاتفاق الناس عليه .

ولا فرق بين انسان يقلد وبهيمة تنقاد .

ورغبة الحكام في الأدب تحيي الأدب ، وعند استقامة طرائقهم يقوى الحكم وعند اجتبائهم أهل الفضيلة تظهر الفضيلة .

والملك بالدين يبقى ، والدين بالملك يقوى ، ولن يبلغ ألف رجل من اصلاح رجل واحد بحسن القول دون حسن العمل ما يبلغ رجل واحد صدق فعله قوله في اصلاح ألف رجل واذا ضعف السلطان قوى الشيطان .

وفي كلمة الامام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين — رحمه الله تعالى — بعنوانها المتقدم (١) تفصيل لما أجملناه .

قال — رحمه الله تعالى :

أخذ نبهاء الأمم الخاملة ، أو مهضومة الجانب يسعون الى أن تكون أممهم في رقي وسعادة . وخطوا في هذا السبيل خطوات قصيرة أو واسعة ، ووضعوا أسسا متينة ، أو واهية ، والذي يعنينا في هذا المقام أن نقول كلمة في وسائل نهوض الشعوب الاسلامية ان كانت خاملة ، أو ظفرها بالحرية الصادقة ان كانت محرومة من التمتع بحقوقها التى أوصى بها دينها الحنيف .

لا نفتأ نذكر ذلك السلطان الكريم الذى بسطه خلفاء الاسلام الراشدون على المعمورة : فعلم الناس كيف يعيشون أحرارا .

والملوك كيف يقيمون عروشهم على قواعد العدل والمساواة .

ورجال الدين كيف يدعون الى الحقيقة والفضيلة في سماحة ووقار .

ولا نجحد مع هذه الذكرى أن الشعوب الاسلامية قد وقعت منذ عهد بعيد في وهدة من الخمول ، وانقطعت الصلة بينها وبين الأمم فلم تدر ماذا يصنعون ، حتى تراءى لها ما نبهها من غفوتها ، وحثها على أن تنهض من كبوتها (فأمسك) بقيادتها فريق كانوا على بصيرة من هداية الاسلام ، وان شئت فقل : تقدم لقيادتها رجال مستنيرون من أبناء المعاهد الاسلامية ، وآخرون مهتدون من القائمين على جانب من العلوم الكونية :

فمن يتحدث عن النهضة المصرية — مثلا — لا يحيد عن ذكر رجال استنارت عقولهم بين جدران الجامعة الأزهرية .

ومن يتحدث عن النهضة التونسية ذكر في مقدمة رجالها فريقا تلقوا معارفهم بين جدران الجامعة الزيتونية .

ولو استمر العمل لرقينا المدني بأيدى طوائف تجمع بين رجال الدين المصلحين ، ورجال العلم الحديث المهتدين ، لقطعنا في سبيل السعادة شوطا أبعد مما قطعناه ولكنا أثبت موقفا وأقرب الى أن يهابنا الذين يعملون لشقائنا ، ولكن حركة تقدمنا لم تستمر على ما وصفنا ، ومسها مرض اذا لم نبادر

---

(١) نور الاسلام (مجلة الأزهر) السنة الأولى العدد الرابع ربيع الآخر ١٣٤٩ .

الى انقاذها منه كان شرها أكبر من خيرها ، وخيبتها أقرب الينا من نجاحها .

بليت نهضتنا المدنية بعلتين :

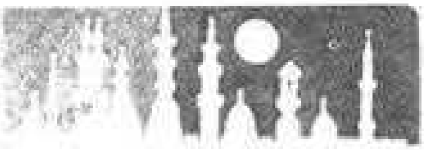
(أولاهما) أن بعض نشئنا المتخرجين من مدارس غير اسلامية قد وقفوا موقف الدعوة الى الاصلاح ، ولم يصبروا أنفسهم على تعرف آداب الدين فحادوا عن طريق الاصلاح النقية ، ولم يبالوا أن يجهلوا على الدين ، ويجحدوا أن يكون له فى الحياة المدنية سلطان كبيرا ، أو صغير .

(ثانيهما) أن كثيرا ممن درسوا العلوم الاسلامية تقاعدوا عن أن يخوضوا فى شئون الحياة المدنية ، فكان انزواؤهم وزهدهم فى منصب الارشاد العام فرصة لظهور الدعايات المنحرفة عن الطريق المستقيم .

ان الأمة التى تأخذ بنصائح الدين وتقتدى بآدابه فى السر والعلانية لهى الأمة التى يمكنها أن تتحد وتتآزر فى صفاء ، وهى التى تستطيع أن تبنى عظمة ، وتحوط أكنافها بمنعة ، فلا تجد الأيدى العادية الى هضم حق من حقوقها منفذا .

سنواصل بتوفيق الله تعالى القول فى نصائح الدين التى تأخذ بيد الجماعة الى هضبة الشرف القصوى ، ونقفى على أثر النصيحة بأخرى حتى يستبين لك أن الاسلام صنع الله الذى أتقن كل شىء ، وانما أذكر فى هذا المقام خصالا كالدعائم يقوم عليها صرح الحياة المدنية بهى المنظر شامخ البناء .

وما هذه الدعائم الا العلم الصحيح ، والعمل النافع ، والخلق الرفيع .



أما العلم فقد عنى به الدين فيما عنى ، ونوه بذكره فيما نوه . فقال تعالى : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » ٩/ الزمر — ومن دلائل أن الاسلام ينظر الى العلم باقبال ويعده فى أكبر النعم التى يتقلب فيها الانسان ، أنك ترى فى أول ما نزل به الروح الأمين قوله تعالى : « اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » ٣/٤ العلق .

وقد اندفع المسلمون الى اقتناء ما لغيرهم من العلوم برغبة حريصة ، وهمم كبيرة ، وتناولوا بحثها بعقول راجحة ، علاوة على العلوم التى استمدوها من الكتاب والسنة : كأحكام الفقه ، وأصوله أو العلوم اللغوية : كالنحو والبيان .

فالاسلام ينصح لأوليائه أن يتقنوا العلوم أينما كانت ، ويحضهم على أن ينظموا شؤونهم الدنيوية على مقتضى ما علموا ، ولم يجىء الاسلام فى عقائده ، أو أخباره بما يخالف العلم الصحيح ، ولم يجىء فى نصائحه بما ينقض

الرغبة فى العلم على اختلاف فنونه ، فشأن الأمة التى تبتغيه دينا أن تكون أصفى الأمم بصائر ، وأغزرها معارف ، وأبعدها فى البحث نظرا .

واذا أضاف أحد على جهالة أو سوء قصد الى الدين شيئا لا يقبله العلم ، فالاسلام كله حقائق وهو — من تبعة ما يلصقه به الجاهلون ، أو المفسدون — براء ، واذا صدر من بعض المنتمين الى الدين كلمة تصرف الناس عن علم مادى ، أو أدبى ، فأقصى مصدر هذه الكلمة ذهن صاحبها . وليس بينها وبين الدين من صلة ، بل شأن الدين الا يكون عنها راضيا .

ولم يبق اليوم بعد أن ظهر من نتائج العلوم الكونية من أمثال هذه الغواصات ، والطائرات ، والمقذوفات ووسائل المخابرات من لا يرجع الى قوله تعالى : « وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ » (الأنفال ٦٠) .

ويتفقه فيها أكثر مما كان يتفقه ، ويشهد بأن العلوم التى يسمونها الطبيعيات ، والرياضيات هى من فروض الكفايات التى يجب أن تقوم عليها طائفة من الأمة ، فان الله لا يرضى لها حياة العزة والكرامة ، وهى لا تحيا هذه الحياة الا أن تكون على بينة مما يعلم أو يصنع خصومها .

وأما الأخلاق الشريفة: فان الاسلام لم يدع مكرمة الا نبه عليها وعلى مكانها ، وندب على التجمل بحليتها وقد عنى بمزايا هى أساس رقى الأمة وانتظام حياتها الاجتماعية : كالصدق ، والأمانة ، والعفاف ، والحلم والعفو ، والتراحم ، والعدل ، وعزة النفس ، والشجاعة ، وحرية الضمير ، والاقدام على قول الحق ، وبذل المال فى وجوه البر ، وسنبحث فى هذه المزايا ببسط القول واقامة الشواهد فى مقام آخر ان شاء الله تعالى .

وأما العمل النافع : فان الدين يحث على العمل لهذه الحياة ، كما يحث على العمل للحياة الأخرى ، وجعل لعمل الشخص فى هذه الحياة نصيبا من ثواب الآخرة فوق ما ينال من منفعة عاجلة ، متى كان قصده من العمل خالصا . ولما نسميه أعمالا أخروية — وهى العبادات — الأثر الطيب فى الحياة الدنيا قبل الحياة الآخرة ، **أليست الصلاة** المقرونة بحضور القلب وعمارته بجلال الله تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتكف يد صاحبها عن أن يعمل سوءا فتحميه من جرائم شأنها أن تجره الى عقوبات بدنية ، أو مالية ، وفيها بعد هذا غنى عن طائفة من الشرط والسجون ينفق عليها أولو الأمر أموالا طائلة ؟ ! .

أو ليس فى الصيام رياضة النفوس وتدريبها على احتمال المكاره والصبر عن الشهوات حتى لا تكون أسيرة فى ملاذها !

وفى النفوس التى اعتادت الصبر عما تشتهى وهو حاضر لديها — قوة وجلادة لا تجدها فى النفوس التى لا تكف عن المشتهيات الا عند فقدانها ، فالصيام بحق يشفى النفوس من علة الانحطاط فى الشهوات كلما عرضت ،

وسبكها فى صورة النفوس القوية التى يسهل عليها أن تنصرف عن ملاذها ساعة ترى الخير فى الانصراف عنها .

او ليس فى الحج فوائد اقتصادية ، واجتماعية لو وجه اليها زعماء الحجيج عنايتهم لعادوا الى أوطانهم بما ينفعهم فى الأولى بعد أن قدموا للآخرة من العمل الصالح ذخرا باقيا ! .

ولا أرى حاجة الى أن أذكر فى هذا النسق فريضة الزكاة ، فان أثرها فى سد حاجات كبيرة من حاجات الأمة ظاهر ظهور الشمس فى كبد السماء .

ولم يشرع الدين من العبادات ما يضيق به وقت العمل للحياة مقدار أنملة ، فنحن نرى الذين هم عن الآخرة غافلون يشغلون جانبا من أوقاتهم فى راحة ولهو ، أفلا يحق للمؤمن أن يقضى جزءا من وقت راحته فى الوقوف بين يدى الخالق ، وابتغاء رضوانه ، وهذا الجزء لا يزيد على ساعة فى اليوم والليلة اذا شاء ، ليفعل هذا وليقس حياته بحياة من يصرف أوقاته فى جمع المال ، واذا انتقل عنه فالى راحة ولهو ، فانه يجد من طمأنينة القلب ، وارتياح النفس ما يجعل عيشه أهنأ وحياته أطيب مصداق قوله تعالى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ٩٧/ النحل .

لا أدرى كيف حدث خاطر أن قلة اقبال



المسلمين على العمل لجمع المال ، وتفشى الفقر فى شعوبهم آت من ناحية دينهم . وهؤلاء علماؤنا يقررون أن كل صنعة تحتاج اليها الأمة فرض كفاية ـ لا تخلص الأمة من واجبها حتى تقوم بها طائفة منهم .

وقالوا : ان نحو التجارة هى مباحة بالنسبة للأفراد ، أى يجوز للرجل أن يتخذها حرفة يستمر عليها ، وله أن يختار غيرها فى بعض الأحيان ، ولو تركها الناس جميعا لأثموا بتركهم لما هو من الضروريات المأمور بها (١) .

وهذا الزركشى يقول فى بحث فرض الكفاية من قواعده . « الدنيوى كالحرف ، والصنائع ، وما به قوام المعاش : كالبيع ، والشراء ، والحراثة ، وما لابد منه حتى الحجامة ، والكنس ثم قال : ولو فرض امتناع الخلق منها أثموا » .

والتوكل فى لسان الدين انما يراد به توجه القلب الى الخالق حال العمل ، واستمداد المعونة منه ، فلم يكن داعية الى البطالة ، والاقلال من العمل البتة ، بل كان للتوكل الأثر

---

(١) انظر بحث « المباح بالجزء المطلوب بالكل » من موافقات الشاطبى .

العظيم في اقدام عظماء الرجال على الأعمال الجليلة التي يسبق الى ظنونهم أن استطاعتهم ووسائلهم من الأسباب الحاضرة يقصران عن ادراكها ، واذا فسرته فئة غير عاملة بقبض اليد عن العمل وطرح الأسباب جملة ، فذلك تفسير لا يقره الدين الذي يقول : « وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ » ٦٠ – الأنفال ويقول : « وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ » ١٠٢ النساء .

فالشريعة الاسلامية تأمر بالعمل لهذه الحياة ، وتجعل السعي على العيال ، والعمل للتعفف عما في أيدي الناس أو للانفاق في سبيل الخير من قبيل العمل الذي يستحق صاحبه ثواب الله في الأخرى ، وتكره للرجل أن يوصي بما فوق الثلث وتقول له : (انك ان تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم) .

ان شريعة هذا شأنها لشريعة مدنية تجمع الى تهذيب النفوس الذي هو القوة المعنوية أسباب البسطة في المال الذي هو القوة المادية ، واذا جمع قوم بين القوتين فقد أحرزوا الكفاية لأن يعيشوا كما ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

فالاسلام ينادي أممه الى أن يتعلموا من العلم بكل فن ، وينوه بشأن الأخلاق أبلغ تنويه ويجعل كل ما تدعو اليه حاجة الجماعة من العمل النافع أمرا واجبا ، فما من أمة تريد أن تصعد الى أفق السيادة الأعلى الا وجدت في مبادئه أجنحة تطير بها الى حيث تطمح همتها ، وعلى قدر ما تنفق من عزمها ، وكذلك قص علينا التاريخ الصادق أن الاسلام أخرج للناس أمة بهرت العالم بعلومها الزاخرة ، وأخلاقها الزاهرة ، وأعمالها الفاخرة .

وإذا شاءت الشعوب الاسلامية أن تكون المثل الأعلى للمدنية الفاضلة ، ففي استطاعتها أن تتحرى نصائح الدين الحنيف ، وفي احترام رؤسائها ، وزعمائها لأحكام الدين ونصائحه ، أخذ بالسياسة الرشيدة ، وهي التصرف في شئون الأمة على مقتضى ارادتها .

محمد الخضر حسين

من نوادر مخطوطات

مكتبة الأزهر

توجيه اللمع

لابن الخباز (١)

للأستاذ محمد عميرة علي

● مدير مكتبة الأزهر

من ائمة المتقدمين في علوم اللغة والنحو والصرف العلامة ابن جني ، « عثمان بن جني الموصلي ابو الفتح » من ائمة الأدب والنحو ، وله شعر ، ولد بالموصل وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢ هـ سنة ١٠٠٢ م ، عن نحو ٦٥ عاما ، وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي » (٢)

ويكفي أن يقال :

انه صاحب الخصائص ، فيستحضر العلم شخصيته العلمية الباحثة الذواقة النافذة الى اعماق البحث الفلسفي في قواعد النحو والصرف وشخصيته الأدبية التي ألمت باطراف الأدب المصفى ، فكانت كتبه العلمية أشبه بالدواوين في غرائب الشعر العربي .

ولابن جني جملة من الكتب في اللغة والنحو والصرف عرف أكثرها واشتهر بعضها .

ومما اشتهر من كتبه (الخصائص) ومما عرف له (اللمع) في النحو ، وقد جمعه من كلام شيخه أبي علي الفارسي واختصر فيه قواعد النحو اختصارا شديدا كما يؤخذ من اسم الكتاب ، فاسم الكتاب (اللمع) وهي جمع لمعة ، ومن معاني اللمعة الاشارة باليد ، فكلام ابن جني في اللمع عن قواعد النحو اشارات موجزة ذات احتمالات كثيرة ، لذا اضطر العلماء من بعده الى توضيحها والكشف عنها وتحديد المراد منها ، فشرحها بعضهم شرحا مطولا ،

---

(١) ٢٨٦٧٦ الرقم العام ـ الرقم الخاص ٢٣٤٨ مكتبة الشيخ السقا في علم النحو .

(٢) الاعلام الزركلي ، جـ ٤ ص ٣٦٤

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

توجيه اللمع

وشرحها بعضهم شرحا موجزا . وممن تصدى لذلك العلامة ابن الخباز فشرحه شرحا متوسطا لا هو بالكبير الممل ولا هو بالقصير المخل كما قال : « فضمنت لهم املاء مختصر أقتصر به على توجيه مسائله وتبليغ وسائله ، وقد سميته (توجيه اللمع) ، وعللت فيه المسائل جمع » .

فشرح ابن الخباز أو املاؤه على اللمع ليس كما يفهم العلماء من معنى كلمة الشرح الذي يحاول فيه الشارح الجمع والاستطراد ، وانما هو الشرح الذي يكتفى فيه بالتوجيه والكشف عن عبارات اللمع .

ولهذا الشرح مزايا ، أولها اختصار العبارة والاقتصار على المطلوب ، ثانيها وضوح أسلوبه العلمي وضوحا لا يوجد في كثير من أساليب المتقدمين في علم النحو ، ثالثها كثرة الاستشهاد بالشعر العربي حتى لا تكاد تخلو قاعدة منه من الاستشهاد به ، رابعها اعراب الغامض من الشواهد والكشف عن غريب اللغة فيها .

ومن الغريب أن ابن الخباز أملى هذا الشرح ولم يأخذ فيه عن كتاب كما يقول في آخر كتابه « ولم أستعن في مدة املائه بمطالعة كتاب ، وقد أودعته نبذا مما رويته عن شيخي مجد الدين ابن أبي حفص عمران بن أحمد بن أبي بكر بن مهران » وقال أيضا : « من عثر لي في هذا الاملاء على عثرة فليكن العاثر عاذرا لزللها وسادا لخللها فان السعيد من عدت سقطاته » .

وابن الخباز لا يذكر عبارة اللمع كلها ، وانما يقتصر على ما يريد بيانه وتوجيهه منها ، وانا لنقتبس من الكتاب ما يوضح ما ذكرنا ، قال في خطبته : « أحمد الله على توفيقه وتسديده ومنه علينا بأن جعلنا من أهل توحيده ، وأسأله من فضله الجزيل أبلغ مزيده ، وأصلي على نبيه محمد الصادق في وعوده ، والناطق لجامع الكلم وسديده وعلى آله المجتهدين في بناء الدين وتشييده صلاة دائمة ما تلفع عارض ببروده ، واختال بين بروقه ورعوده . أما بعد : فان جماعة من حفظة كتاب اللمع في النحو لابن جني أطمعهم فيه صغر حجمه ، وآيسهم منه عدم فهمه وذلك لأن الكتب المصنوعة لتفسيره ، منها الكبير الممل ، ومنها الصغير المخل ، فضمنت لهم املاء مختصر ... وكلما مررت ببيت ذكرت اعرابه ، أو بلفظ لغوي حليته تحلية تزيل استغرابه » .

وقال في باب المعرفة والنكرة : « المعرفة والنكرة في الأصل مصدران يقال : عرفت الشيء أعرفه معرفة وعرفانا ، وأنكرت الشيء انكارا ونكرته نكرة ، قال الأعشى :

وانكرتني وما كان الذي نكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا

ويقال : ان أبا عمرو وضع هذا البيت نوعني كل حال يستشهد به لأن أبا عمرو لا يتقاعد عن الحسين بن مطير الأسدي الذي كان في

زمان المهدي . فنقل النحويون المعرفة والنكرة وسموا بهما نوعي الأسماء ، والأصل النكرة ولذلك بدأ بها ، وكانت الأصل لوجهين :

أحدهما : انك لاتجد معرفة : الا وله اسم نكرة ، وتجد كثيرا من النكرات لا معرفة له ، والمستقل أولى أن يكون أصلا من المحتاج .

الثاني : أن الشيء منذ أول وجوده تلزمه الأسماء العامة ثم تعرض له بعد ذلك الأسماء الخاصة ، الا ترى أن الآدمي اذا ولد سمي ذكرا أو أنثى وانسانا ومولودا ورضيعا وشيئا وموجودا ، وهذه الأسماء مشتركة المعاني ، ثم يعرض بعد اللقب والكنية ، والاسم كعبد الله وأبي عمرو وبطة ، وقد اختلفت عبارات النحويين في حد النكرة ، وهي راجعة الى معنى واحد ، قال أبو الفتح : « النكرة ما لم يخص الواحد من جنسه » وقال غيره : « النكرة مادل على شيء لا بعينه » .

واعلم أنه لايشترط في النكرة كثرة المعاني الموجودة تحتها بل العبرة أن يكون وضعها على الاشتراك ، الا ترى أن شمسا وقمرا نكرتان وان لم يكن الا شمس واحدة وقمر واحد . ويدلك على أنهما نكرتان دخول اللام عليهما ، فان قلت : فقد جمعت الشمس والقمر ، قال الأشتر النخعي :

حمي الحديد عليهم فكأنه
ومضات برق أو شعاع شموس

وقال الراجز :

وجوههم كأنها أقمار .

ففي ذلك جوابان : أحدهما أن الشمس والقمر يتجددان ، فالشمس في كل يوم ، والقمر في كل شهر ، فجمعهما نظرا الى هذا ، الا ترى أنك تقول شمس اليوم أحر من شمس أمس ، والثاني أن الجمع على تسمية الضوءين باسم النيرين وأضواؤهما كثيرة الخ » .

هذا . ومن الغريب أن السيوطي في بغية الوعاة لم يشر في ترجمته لابن الخباز الى هذا الكتاب ، كما أن حاجي خليفة صاحب كشف الظنون أشار اليه اشارة موجزة فقال : توجيه اللمع في النحو ولم يزد على ذلك .

وابن الخباز هو أحمد بن الحسين بن أحمد ابن معالي بن منصور بن علي الشيخ شمس الدين بن الخباز الأربلي النحوي الضرير المعروف بابن الخباز ، كان علامة زمانه في النحو واللغة والفقه والعروض ، وله مصنفات مفيدة منها :

شرح ألفية ابن معطي .
والنهاية في النحو .
وشرح اللمع لابن جني .
وشرح ميزان العربية .
والغرة المخفية في شرح الدرة الألفية .
والنظم الفريد في نثر التقييد .

توجيه اللمع

مات بالموصل سنة ٦٣٧ هـ (١) ، وقيل سنة ٦٣٩ هـ (٢) .

وبالمكتبة الأزهرية نسخة من كتاب توجيه اللمع من أقدم النسخ ، فقد فرغ من نسخها سنة ٧٨٦ هـ ، وخطها حسن بالنسبة لخطوط عصرها ، وتقع في ٢٠٨ ورقات ، وسطورها بين ٢٢ و ٢٣ سطرا .

كتبت عناوين موضوعاتها بالمداد الأحمر ، وختمها بقوله : « فسأل الذى صان أو جهنا عن عن السجود لغيره أن يصون ألسنتنا عن السؤال لغيره ، وأن يعرفنا عيوب أنفسنا ، ويشغلنا بسترها ، وأن يفتح علينا أبواب رزقه العميم ، ومنه الجسيم ، وأن يجمع لنا بين العلم والعمل ، وأن يحقق لنا هذا الأمل ، وأن يصلى على نبيه محمد الذى أرسله شاهدا ومبشرا ونذيرا وأن يجعل ما أمليته خالصا لوجهه الكريم . انه أكرم مسؤول ولديه تحقيق كل مأمول فهو حسبى ونعم الوكيل .

ان هذا الكتاب جدير بالنشر ، ويسد فراغا بين كتب النحو ، واحياؤه احياء



لكتب السلف التى خلت من الحشو والتطويل ، وهدفت الى المقصود من غير تزيد ولا استطراد . وعسى أن يجد بين المهتمين باحياء تراثنا القديم من يعنى بنشره .

والله ولى التوفيق

محمود عمره على
مدير
مكتبة الأزهر

---

(١) معجم المؤلفين جـ ١ ص ٢٠٠ .
(٢) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٤٢ .

المنادى المبنى

ديوان النيل

اللغة والأدب والنقد

مع رسالة جامعية

العرب وتحديات التكنولوجيا

الباحث عن الحقيقة

تابع

المنادى

تابع المنادى المبنى أقسام أربعة

أولها : ما يجب نصبه مراعاة لمحل المنادى فمحله النصب ، وهو ما اجتمع فيه وصفان :

أحدهما أن يكون نعتا او بيانا او توكيدا .

وثانيهما أن يكون مضافا مجردا من « أل » ، فالنعت نحو (يا محمد صاحب الفضل . والبيان مثل (يا خالد أخا سعيد) ، والتوكيد مثل (يا بكر جميعهم أو جميعكم) بالنصب فى « صاحب ، وأخا ، وجميع » .

ونقل عن جماعة من الكوفيين منهم الكسائى والفراء جواز رفع التابع المضاف اذا كان توكيدا أو نعتا ، ولم يجيزوا ذلك فى البيان لقرب شبهه بالبدل ، وهو اذا كان مضافا وجب نصبه ، واذا اتصل تابع المنادى بضمير جىء به دالا على الغيبة باعتبار الأصل نحو (يا تميم كلهم) وعلى الحضور باعتبار الحال نحو (يا تميم كلكم) .

ثانيها : ما يجب رفعه مراعاة للفظ المنادى : وهو نعت (أى) فى التذكير ، و (أية) فى التأنيث ، ونعت اسم الاشارة فى الحالين اذا كان اسم الاشارة وصلة لنداء نعته وليس هو المقصود بالنداء ابتداء كقوله تعالى (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ) ، وقوله (يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ) فأى وأية مبنيان على الضم ، و (ها) التنبيه فيهما زائدة لازمة للفظ « أى وأية » عوضا عن المضاف اليه ، وهى مفتوحة ويجوز ضمها اذا لم يَلِهَا اسمُ اشارة ، والناس والنفس مرفوعان وجوبا على التبعية مراعاة للفظ « أى وأية » . وانما ساغ الرفع الواجب مراعاة للفظ مع أن المتبوع مبنى لأنه شبه المعرب فى حدوث ضمه بسبب دخول حرف النداء عليه .

وفى اسم الاشارة تقول (يا هذا الرجل ، ويا هذه المرأة) اذا كان المقصود ابتداء نداء الرجل والمرأة ، وانما أتيت باسم الاشارة وصلة لندائهما ، فيجب رفع النعت مراعاة للضم المقدر فى اسم الاشارة وعلة وجوب رفعهما أنهما المقصودان بالنداء ، وهما من نوع المنادى المفرد ، وهو لا ينصب .

أما اذا كان المقصود نداء اسم الاشارة دون نعته جاز فيهما الرفع والنصب .

ولا يوصف اسم الاشارة فى هذا الباب أو غيره الا بما فيه « أل » نحو عطفت على هذا الانسان ، وجوز بعضهم أن يكون ما فيه أل بيانا لاسم الاشارة لا نعتا له .

أحمد حسن عبد العواض

المبنى

وكذلك لاتوصف (أى ، وأية) فى النداء الا بما فيه أل من معرف بها أو اسم موصول بال ، فيقال (يأيها الرجل ، ويا أيتها المرأة ، ويأيها الذى حل بساحتنا ، ويأيتها التى أتقنت الحياكة) ولا يصح وصفهما بما كانت أل فيه للمح الأصل أو الغلبة كما توصف (أى ، وأية) باسم الاشارة المجرد من كاف الخطاب نحو (يا أيهذا الرجل) ولا يجوز (يأيها ذلك الرجل) وأجازه بعضهم .

ثالثها : ما يجوز نصبه ، ورفعه ، فالنصب على الاتباع لمحل المنادى اذ محله النصب كما مر .

والرفع على تشبيه لفظ المبنى على الضم بالمرفوع تنزيلا لحركة البناء العارضة بسبب حرف النداء وهي الضمة بحركة الاعراب بسبب دخول العامل .

ومقتضى هذا التقدير أن يكون حرف النداء هو الرافع للتابع بناء على أن العامل فى التابع هو العامل فى المتبوع فى غير البدل ، وان لم يسلم هذا التعليل فأين الرافع اذن ؟ والقول بأن الرافع التبعية قول ضعيف لا يقاس عليه . والمخرج من هذا أن يقدر المنادى المضموم نائب فاعل فى المعنى ، وتقديره : نُودِي زيد مثلا ، فرفع تابعه بالحمل على ذلك التأويل .

وهذا القسم نوعان : أحدهما ، النعت المضاف المقرون بأل نحو (يا على الكريم الخلق) برفع الكريم ونصبه . الثانى ، هو المفرد ، من نعت أو بيان أو توكيد ، أو المعطوف المقترن بأل ، فالنعت مثل (يا محمود الصادق) والبيان نحو (يا فتى قاسم) برفع قاسم ونصبه ، والتوكيد نحو (يا عبس أجمعون وأجمعين) بالرفع والنصب والمعطوف المتصل بأل نحو (يا حامد والمخلص . ومن هذا القبيل قوله تعالى (يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ) فى قراءة السبعة بنصب الطير عطفا على محل الجبال . وفى غير السبع قرئ بالرفع عطفا على لفظ الجبال ، وارتضاه الخليل وسيبويه والمازنى ، وقدروا النصب فى الطير على العطف على (فضلا) من قوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً)

تقديره : وآتيناه الطير .

وجملة النداء معترضة بين المتعاطفين .

وقال المبرد : ان كانت للتعريف مثلها فى الطير ، فالمختار النصب ، وان كانت زائدة فى مثل (اليسع) فالمختار الرفع .

ووجه اختيار الرفع مشاكلة الحركة فى المنادى .

ووجه اختيار النصب أن ما فيه أل لا يلى حرف النداء فلم يعامل لفظه معاملة اللفظ الذى وليه ، ولهذا قرأ الجميع عدا الأعرج بنصب الطير ، وعلة ذلك التفصيل أن « أل » فى نحو اليسع لم تفده تعريفا فكأنها موجودة فيه ، فقولك (يا قاسم واليسع) مثل قولك (يا قاسم ويسع) تماما ، أما « أل » فى الطير ونحوه فهى مؤثرة تعريفا وتركيبا مما جعله شبيها بالمضاف .

القسم الرابع من تابع المنادى : ما يعامل معاملة المنادى المستقل ، فيبنى على الضم ان كان مفردا ، وينصب ان كان مضافا ، وهو البدل ، والمعطوف نسقا المجرد من أل ، وذلك لأن البدل على نية تكرار العامل والعاطف كالنائب عن العامل .

تقول فى البدل المفرد (يا أحمد عامر) بضم عامر من غير تنوين ، كما تناديه (يا عامر) .

وكذلك تقول فى المنسوق المفرد المجرد من أل (يا أحمد وعامر) بالضم من غير تنوين كما تناديه مستقلا كذلك .

وتقول فى البدل (يا خالد وأبا سعيد بالنصب) كما تقول فى ندائه (يا أبا سعيد) وفى المنسوق المضاف المجرد من أل ، تقول (ياخالد وأبا سعيد) كما تناديه مستقلا (يا أبا سعيد)

وحكم هذين النوعين مع المنادى المنصوب ، وهو المضاف وشبهه والنكرة غير المقصودة ، حكمهما هنا ، فيضمان ان كانا مفردين ، وينصبان ان كانا مضافين ، فتقول (يا أبا الحسن على) ، (ويا أبا الحسن وعلى) بضم على فى الموضعين ، وتقول (يا أبا عدى أخا المروءة) ، (ويا أبا عدى وأخا المروءة) بنصب الأخ فيهما وجوز المازنى والكوفيون نحو (يا زيد وعمرا) بنصب عمرو ، وهو منسوق مجرد من أل فأجروا المنسوق المجرد مجرى المقرون بها ، وهو صحيح سائغ اذا لم ينو المتكلم اعادة (يا) مع المعطوف ، فان المتكلم قد يقصد ايقاع نداء واحد على اسمين كما يقصد أن يشترك اسمان فى عامل واحد .

ولا يعطى البدل حكم المنادى المستقل الا اذا كان مجردا من أل لأن البدل على نية تكرار العامل ، وهو هنا حرف النداء كما سبق ، وهو لا يدخل على المقترن بأل ، لكن الناظم جعل للبدل حالين ، حالا يجعل فيها كمستقل وهو الكثير ، وحالا أخرى يجوز فيها رفعه ونصبه ، لشبهه حينئذ بالنعت والبيان والتوكيد ، والمنسوق المقرون بأل فى عدم صحة وتقدير حرف قبله (ياتميم الرجال والنساء) وصواب هذا الرأى مبنى على أن العامل فى المبدل منه هو العامل فى البدل دون حاجة الى نية تكرار العامل .

المنادى المضاف الى ياء المتكلم ، واحكامه

المضاف الى ياء المتكلم أربعة أقسام :

احدها : ما فيه لغة واحدة فقط ، وهو المعتل بالألف ، أو الياء المكسور ما قبلها ، فمثل ظبى فى حكم الصحيح ، وهذا القسم تثبت ياؤه مفتوحة وجوبا تقول فى نداء فتى أو قاض مضافين الى الياء : (يا فتاى ، ويا قاضِيَّ) باثبات الياء مفتوحة فلا يجوز

حذفها لئلا يلتبس بغير المضاف ، ولا اسكانها لئلا يلتقى ساكنان ولا تحريكها بالكسر أو الضم لثقلهما على الياء .

ثانيها : الوصف المشبه للفعل المضارع فى الدلالة على الحال أو الاستقبال ، وفيه لغتان: ثبوت يائه مفتوحة أو ساكنة لأنها فى حكم الانفصال فلم تمازج ما اتصلت به نحو (يا مكرمى ، ويا مساعدى) باثبات الياء مفتوحة أو ساكنة ، وفى كون الأصل فيها السكون أو الفتح خلاف ، واحترز بالوصف المشبه للفعل من الوصف بمعنى الماضى فان اضافته محضة ، وفى يائه اللغات الست الآتية:

ثالث الأقسام : هو ما عدا القسمين السابقين ، وليس لفظ (أب أو أم) وفيه ست لغات ، أفصحها حذف الياء والاكتفاء بالكسرة نحو قوله تعالى (**يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ**) فقد أجرى المنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة واحدة ، ثم ثبوتها ساكنة على الأصل فى البناء (**يَا عِبَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**) ، أو ثبوتها مفتوحة للتخفيف مثل قوله (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ**) ، وانما كان السكون والفتح فى مرتبة واحدة نظرا لاختلافهم فى أصل وضع الياء ، وهل وضعت أولا ساكنة أو وضعت مفتوحة ؟

ثم رابعة تلك اللغات قلب الكسرة فتحة والياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها لأنه أخف فى النطق من الياء كقوله سبحانه (**يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ**) ، وأصله يا حسرتى بكسر التاء وفتح الياء ، ثم يا حسرتى بفتح التاء والياء ، ثم يا حسرتا يقلب الياء ألفا كما مر .

خامستها : حذف الألف المنقلبة عن الياء والاكتفاء بالفتحة نحو (يا غلام) . ومنه قول الشاعر :

> **ولست براجع ما فات منى**
> **بلهف ولا بليت ولا لو انى**

فالباء فى (بلهف) متعلقة براجع ، ومجرورها قول محذوف تقديره (بقولى لهف) ولهف منادى حذف حرف ندائه وأصله (يا لهفا) فحذفت الألف المنقلبة عن ياء المتكلم اكتفاء بالفتحة .

واللغة السادسة : حذف الياء اكتفاء بنية الاضافة ويضم الاسم المضاف الى الياء كما تضم المناديات المفردة فى غير الاضافة وانما يحدث مثل ذلك الضم فيما يكثر فيه الا ينادى الا مضافا ، كالأم والأب والرب حملا للقليل على الكثير كقولهم (يا أم لا تفعلى) بضم الميم ، وقراءة بعضهم (**رَبُّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ**) بضم رب لأن الأم والأب ، وكذا رب ، الأكثر فيها الا تنادى الا مضافة للياء ، والأصل (يا أمى ، ويا ربى) فحذفت الياء تخفيفا وبنيا على الضم تشبيها لهما بالنكرة المقصودة فى أنهما ليسا علما وليس [illegible] ولا اضافة ظاهرة بعد حذف الياء

وهذه اللغة ليست مقصورة على الألفاظ آنفة الذكر ، والمدار فيها على القرينة الدالة على الياء المحذوفة ولذا قال الشلوبين : وهذا اذا لم يلبس ، فاذا حدث لبس امتنعت هذه اللغة ، ففي نحو (يا عدوى) مضافا الى ياء المتكلم لا يجوز فيه (يا عدو) بحذف الياء وضم الواو لعدم وجود القرينة الدالة على الياء المحذوفة فالتبس بغير المضاف ، لأن نداءه مضافا للياء قليل نادر .

وتعريف المنادى المضموم بعد حذف الياء على هذه اللغة انما هو بالاضافة المنوية ، لكن صاحب النهاية جعل تعريفه بالقصد والاقبال، فقال : انهم جعلوه معرفة فبنوه على الضم ، وهذه الضمة مثلها فى (يا حارس) اذا قصدت به معينا . لكن الأظهر أن تعريفه بالاضافة المنوية ، لأنهم جعلوه لغة سادسة فى المضاف الى ياء المتكلم . ولو كان معرفا بالقصد لما صح أن يجعل لغة مستقلة فى المضاف الى الياء .

القسم الرابع من المضاف الى ياء المتكلم : (الأب ، والأم) ، وفيهما عشر لغات ، من بينها اللغات الست المتقدمة على التفصيل السالف فيها ، يضاف اليها أربع أخر ، وهى :

الأولى : أن تعوض من ياء المتكلم تاء التأنيث وتكسرها ، وهو الأكثر فى الكلام ، ذلك أن هذا الكسر عوض عن الكسر الذى كان يستحقه قبل ياء المتكلم حين تثبت ، وقد زال هذا الكسر حين جاءت التاء التى لا يكون ما قبلها الا مفتوحا .

الثانية : أن تعوض التاء من ياء المتكلم ، وتجىء بها مفتوحة ، وهو الأقيس لأن هذه التاء بدل من ياء حركتها الفتح فتحريكها بحركة أصلها هو الأصل فى القياس .

الثالثة : أن تعوض التاء من ياء المتكلم ، وتجىء بها مضمومة تقول (يا أمت) تشبيها لها بنحو (ثبة ، وهبة) وهو شاذ ، وقد قرىء باللغات الثلاث فى قوله **(يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا)** و **(يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِن قَبْلُ)** . وقوله سبحانه على لسان ابراهيم فى حواره مع أبيه : **(يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ)** و **(يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ)** ، فقد قرأ بالكسر السبعة كلهم الا ابن عامر ، وقرأ ابن عامر بالفتح وقرىء بالضم فى غير السبعة من القراءات الشواذ .

الرابعة : الجمع بين التاء والألف المبدلة من ياء المتكلم فى مثل (يا أبتا ، ويا أمتا) ، وعليه قول الشاعر :

يا أبتا علك أو عساكا

وهو جمع بين العوض ، والمعوض ، ولم يعتد ابن مالك بهذا ، بل قال : ان الألف فى (أبتا ، وأمتا) هى الألف التى تتصل بآخر المندوب والمستغاث والمنادى البعيد ، وأنها ليست بدلا من الياء فهى اما : للندبة أو الاستغاثة أو لنداء البعيد .

وقد يجمع أيضا بين التاء والياء فيقال (يا أبتى ، ويا أمتى) وعليه قوله :

يا أبتى لازلت فينا فانما
لنا أمل فى العيش مادمت عائشا

وهو ضرورة خلافا لأكثر الكوفيين .

وربما قالوا (يا أبات) ، وعليه قوله :

كأنك فينا يا أبات غريب .

وخرج على أنه قد يكون أراد يا أبت ، ثم أشبع الفتحة فولدت ألفا ، وقيل : أراد (يا أبتا) ثم أجرى فيها قلبا مكانيا فقدم الألف وأخر التاء ، وقيل : أراد (يا أبا) على لغة القصر ، ثم قدر الحاق الياء وأبدل منها التاء .

ولا يجوز تعويض تاء التأنيث من ياء المتكلم الا في النداء خاصة ، فلا يجوز أن تقول (جاء أبت ، ولا أعظم أبت ، ولا سمعت النصح من أبت) .

ودليل تعويض التاء في أبت وأمت من ياء المتكلم أنهما لايكادان يجتمعان معا عند جميع البصريين وجماعة كثيرة من الكوفيين .

والدليل على أنها تاء التأنيث أنها تبدل هاء في الوقف عند جمهور البصريين ، وذهب الفراء الى جواز الوقف بالتاء ، لأنها عوض من حرف لا يتغير في الوقف ، وهو ياء المتكلم ، وقد وقف امام البصريين أبو عمرو بن العلاء بالتاء ، ورسمت في المصحف بالتاء وليس ثم مانع من رسمها بالهاء .

المنادى المضاف الى مضاف الى ياء المتكلم

من متممات الفصل السابق ، المنادى المضاف الى مضاف الى ياء المتكلم نحو (يا صاحب صديقي) فياؤه حينئذ ثابتة لزوما فلا يجوز حذفها للفصل بينها وبين المنادى بالمضاف الثاني وتكون اما ساكنة أو مفتوحة كقولك (يا ابن جاري ، ويا ابن وطني) أو (يابنت جاري ، ويا بنت وطني) .

وأما اذا كان المنادى (ابن عم ، أو ابن أم) أو (ابنة عم . أو ابنة أم) فالأكثر فيه حذف الياء والاكتفاء بالكسرة ، فتقول (يابن عم ، ويا ابن أم) بكسر الميم فيهما دون اعتبار التركيب فيما بين المضافين ، بل اضافتان .

وذهب بعضهم الى اعتبارهما في حكم اسم واحد ، وأنهم حذفوا الياء كما حذفت من خمسة عشر اذا أضافوها الى الياء ، فليس ثم حينئذ الا اضافة واحدة .

ويجوز أن يفتحا ، أما على التركيب المزجي كقولك (يابن عم ، ويابن أم) بفتح الميم فيهما وأما لأن الأصل فيهما (عما ، وأما) بقلب الياء ألفا ، ثم حذفت الألف ، وبقيت الفتحة دليلا عليها .

والأول هو مذهب سيبويه والبصريين ، والثاني هو رأى الكسائي والفراء وأبي عبيدة

وحكى عن الأخفش وقد قرىء فى السبع المتواترة **(قال يا ابن أم لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى)** بالكسر والفتح .

ولم تثبت العرب الألف والياء فيهما الا قليلا جدا ، وفى ضرورة النظم ، كقول أبى زبيد الطائى يرثى أخاه :

يا ابن أمى ويا شقيق نفسى
أنت خلفتنى لدهر شديد

أو قول أبى النجم العجلى ، وهو الفضل ابن قدامة :

يا ابنة عما لا تلومى واهجعى
وانمى كما ينمى خضاب الاشجع

نداء المجهول من النكرة غير المقصودة
لا ثمرة له ، ولا طائل وراءه

النكرة غير المقصودة : هى الاسم المفرد المنكر الذى لا يقصد بندائه معين ، فهو مجهول جهلا كاملا ، كقول الأعمى (يا رجلا خذ بيدى) ، وكقول الواعظ (يا غافلا والموت يطلبه) على تقدير الواو استئنافية ليصح التمثيل للنكرة غير المقصودة ، اذ لو جعلت حالية لكان هذا المثال من الشبيه بالمضاف ، والمعنى فى الجملة ظاهر على الحالية لا على الاستئناف ، ولذا كان الأولى والأوضح أن يجعل من الشبيه المضاف لا من المفرد المنكر وقد أنكر المازنى وجود هذا النوع من المنادى مدعيا أن نداء غير المعين لا يمكن ، وأن التنوين فيه شاذ أو ضرورة وأنا أميل الى هذا الرأى، وان لم يقل به أحد سوى المازنى . ذلك أن الغرض الأساسى من النداء هو اجابة رغبة المنادى وتلبية طلبه بامتثال مأمور به أو ترك منهى عنه ، ونداء المجهول لا يحقق ذلك الغرض فانه لا يستجيب فيمتثل ما يؤمر به أو يترك ما ينهى عنه ، وكيف ؟ وهو مجهول المكان والزمان والشخصية مبتور الصلة بالمنادى بكسر الدال فاقد الادراك والشعور بما يرغب المنادى وما يطلبه فنداؤه اذن عبث لا طائل تحته ولا نتيجة له ، ولا فائدة ترجى من ورائه .

ولهذا لم يرد هذا النوع أصلا فى القرآن الكريم ، معين الفصاحة والبيان، وما ورد منه فى غيره يمكن تأويله بادخاله فى دائرة الشبيه بالمضاف كما مر فى مثال (يا غافلا والموت يطلبه) حيث اعتبرت الواو حالية والجملة بعدها حال عاملة فيما بعدها ، فهو لهذا من الشبيه بالمضاف لا من المفرد المنكر ، أو حمله على الشذوذ أو الضرورة .

احمد حسن عبد العواض هلالى

البلاغة بين الطبع والصنعة

الهدف من دراسة البلاغة (٢)

للدكتور فتحى فريد

معظم كتب البلاغة قديمها وحديثها تتناول الحديث عن أهداف البلاغة بشىء من التحديد ، ولعل أبرز كتاب يوضح أهداف البلاغة بصورة تعد أكثر شمولا وأدق تحديدا كتاب :

« الصناعتين لأبى هلال العسكرى » الذى يحدد للبلاغة فى مطلعه أهدافا ثلاثة تتجه اليها وهى :

١ ــ هدف دينى : يتمثل فى تذوق البلاغة القرآنية والوقوف على أسرارها • حيث تعد الوجه الأظهر والأشمل لاعجاز القرآن •

٢ ــ هدف نقدى أو بلاغى : يتمثل فى التمييز بين الجيد والردىء من منثور كلام العرب ومنظومه •

٣ ــ هدف أدبى يتمثل فى التدرب على صناعة الأدب وتأليف الجيد من المنثور والمنظوم •

ولما كانت البلاغة تحقق لدارسها الأهداف السابقة فقد جعلها « أبو هلال » أول وأهم العلوم التى ينبغى على المرء تحصيلها والوقوف عليها بعد معرفته بالله سبحانه وتعالى ويقول فى ذلك : « اعلم علمك الله الخير ، ودلك عليه ، وقيضه لك ،وجعلك من أهله ــ أن أحق العلوم بالتعلم ، وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه : علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذى به يعرف اعجاز كتاب الله تعالى ، الناطق بالحق ، الهادى الى سبيل الرشد ، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة التى رفعت أعلام الحق ، وأقامت منار الدين ، وأزالت شبه الكُفْر ببراهينها ، وهتكت حجب الشك بيقينها ،وقد علمنا أن الانسان اذا أغفل علم البلاغة ، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، وما شحنه به من الايجاز البديع ، والاختصار اللطيف ، وضمنه من الحلاوة ، وجلله من رونق الطلاوة ، مع سهولة كلمه وجزالتها ، وعذوبتها وسلاستها ، الى غير ذلك من محاسنه التى عجز الخلق عنها ، وتحيرت

٥

البلاغة بين الطبع والصنعة

عقولهم فيها — وانما يعرف اعجازه من جهة عجز العرب عنه ، وقصورهم عن بلوغ غايته فى حسنه وبراعته ، وسلاسته ونصاعته (١) ، وكمال معانيه ، وصفاء ألفاظه — وقبيح لعمرى بالفقيه المؤتم به ، والقارىء المهتدى بهديه ، والمتكلم المشار اليه فى حسن مناظرته ، وتمام آلته فى مجادلته ، وشدة شكيمته فى حجاجه ، وبالعربى الصليب (٢) الا يعرف اعجاز كتاب الله تعالى الا من الجهة التى يعرفه منها الزنجى ، والنبطى (٣) أو أن يستدل عليه بما استدل به الجاهل الغبى ، فينبغى من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله ومعرفة عدله ، والتصديق بوعده على ماذكره؛ اذ كانت المعرفة بصحة النبوة تتلو المعرفة بالله جل اسمه » .

ويقول عن الهدف النقدى : « ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ، ومناقب معروفة ، منها : أن صاحب العربية اذا أخل بطلبه ، وفرّط فى التماسه ، ففاتته فضيلته ، وعلقت به رذيلة فوته ، عفى على جميع محاسنه ، وعمى (٤) سائر فضائله ، لأنه اذا لم يفرق بين كلام جيد ، وآخر ردىء ، ولفظ حسن وآخر قبيح وشعر نادر وآخر بارد ، بان جهله ، وظهر نقصه » .

ويقول عن الهدف الأدبى : « وهو أيضا اذا أراد أن يصنع قصيدة ، أو ينشىء رسالة ، وقد فاته هذا العلم ، مزج الصفو بالكدر ، وخلط الغرر بالعرر (٥) ، واستعمل الوحشى العكر فجعل نفسه مهزأة للجاهل ، وعبرة للعاقل ، واذا أراد أيضا تصنيف كلام منثور ، أو تأليف شعر منظوم ، وتخطى هذا العلم ساء اختياره له ، وقبحت آثاره فيه فأخذ الردىء المرذول ، وترك الجيد المقبول ، فدل على قصور فهمه ، وتأخر معرفته وعلمه — وقد قيل : اختيار الرجل قطعة من عقله ، كما أن شعره قطعة من علمه (٦) » .

واذا كانت الأهداف الثلاثة السابقة للبلاغة تتآلف مع تعريفاتها السابقة ، فان مراحل البلاغة التى مرت بنا فى نشأة البلاغة لا تتساوى فيما بينها من حيث تحقيق الأهداف مجتمعة .

اذ تمكننا دراسة البلاغة حيث امتزجت بالأدب فى مؤلفات لأصحابها طبع أدبى وحس بلاغى من بلوغ الأهداف الثلاثة السابقة — بينما لا تبلغ بنا دراسة البلاغة على منهاجها المتأخر المعنى بالقاعدة المجردة عن النص الأدبى أكثر من الوقوف على بعض أسرار النظم القرآنى وعلى شىء من أسباب جودة الأساليب أو رداءتها اما التدريب على تأليف الكلام الجيد منثوره ومنظومه فلا يكفى مجرد الالمام بقواعد البلاغة ووعيها لادراكه وتحقيقه ولاسيما اذا كان العالم بتلك القواعد والملم بها غير مهيأ أصلا لتأليف الكلام وصنع الأدب ولم

(١) النّصاعة : الوضوح .
(٢) الصّليب : الخالص النسب .
(٣) واحد النّبَط بفتحتين ، وهم جيل من العجم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين .
(٤) أى أخفى .

(٥) الغُرّة : النفيس من كل شىء ، والعرة : القذر .
(٦) أبو هلال العسكرى : الصناعتين ص : ٧ — ٩ تحقيق : على البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم — ط عيسى الحلبى .

يرزقه الله حسا بلاغيا ، أو طبعا أدبيا .

كما نستخلص من الأهداف الثلاثة السابقة أن البلاغة والأدب والنقد آنذاك كانت متصلة ببعضها تتعاون جميعا على اخراج نص أدبي جيد ، ولم يكن كل منها منفصلا عن الآخر ويدرس مستقلا بنفسه كما هو واقع الآن ، وذلك يعني في الوقت نفسه أن ما ينادي به عدد من الباحثين المعاصرين بتحقيق التكامل والتآلف بين البلاغة والأدب والنقد ، ودراسة الثلاثة ممتزجة ببعضها ليس أمرا بدعا ولا شيئا جديدا (١) وأنه كان في فترة من الفترات المنهاج الذي تمضي عليه البلاغة العربية .

الفصل الرابع

آلات البلاغة

تناول عدد من المؤلفين في البلاغة قديما وحديثا الحديث عن آلات البلاغة ، والعدة التي يتزود بها البليغ —

ويتفق معظمهم على أن تلك الآلات بصفة عامة تتمثل في شيئين : موهبة أدبية ، وثقافة واسعة ويتفقون كذلك في تفسير الموهبة وتحديد مصدرها لكنهم يختلفون بعض الشيء في تحديد جوانب ومجالات الثقافة الواسعة وذلك يرجع لتنوع الثقافات واختلافها من عصر لآخر ومن جيل لغيره .

ولم تقتصر العدة السابقة على البلاغيين ، بل جعلها الأدباء عدة لهم ، والنقاد جعلوها عدة لهم أيضا بما يؤكد لنا أن علوم البلاغة والأدب والنقد التي فصلت عن بعضها في الآونة الأخيرة ، يؤكد التحامها واجتماعها على هدف مشترك هذه الآلات المشتركة فيما بينها .

فبينما يعرض « ضياء الدين بن الأثير وابن سنان الخفاجي » للحديث عن تلك الآلات تحت عنوان : « صناعة تأليف الكلام (٢) » يتناولها « أحمد الشايب » في حديثه عن الأمور التي يلم بها الأديب ليقي نفسه شر الأخطاء في التعبير (٣) .

ويتناولها « أحمد بدوي » في حديثه عن العلوم التي لها صلة بالنقد الأدبي (٤) .

---

(١) ومن هؤلاء المرحوم : « أحمد الشايب » الذي يرى أن علم البلاغة يجب أن يوضع وضعا جديدا يلائم ما انتهت اليه الحركة الادبية في ناحيتها : العلمية والانشائية بأن دخل في بابين أو كتابين : الأول : باب الأسلوب أو كتابه ، ويتناول دراسة : الحروف ، والكلمات ، والجمل ، والصور ، والفقرات ، والعبارات على أن تدرس درسا مفصلا دقيقا يعتمد على علوم : الصوت ، والنفس ، والموسيقى ، وما اليها مما يقوم الاسلوب على اتم صورة فنية ادبية — وفي هذا الباب او الكتاب تدخل موضوعات : المعاني ، والبيان ، والبديع لاعلى انها علوم مستقلة ، بل على انها فصول في باب الأسلوب يتناول بحوثها كما يتناول غيرها .

اما الباب الثاني او الكتاب الثاني : فيدرس الفنون الأدبية وقوانينها شعرا او نثرا — يدرس اصول المقالة ، والخطابة ، والرسالة ، والجدل والوصف ، والرثاء ، والقصة والملحمة ، والتمثيلية ، والتاريخ ، والتأليف ، الى غيرها من هذه الفنون الادبية التي نضجت بها الآداب العالمية ، وشرحت قواعدها ، ولم تحظ في بلاغتنا النظرية الاباشارات خاطفة لا تعني شيئا .

احمد الشايب — الاسلوب ص : ٣ ، ٤ ط سابعة
١٣٩٦ هـ
١٩٧٦ م

(٢) ابن الاثير : المثل السائر ط قديمة — القاهرة ١٣١٢ هـ ، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ص : ٦ ، ٧ تحقيق د / مصطفى جواد و د / جميل سعيد مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م — وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص : ٢٨٠ ، ٢٨١ تحقيق د / عبد المتعال الصعيدي — مكتبة صبيح ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م .

(٣) احمد الشايب : الاسلوب : ١٧ ، ١٨ .

(٤) احمد احمد بدوي — من بلاغة القرآن ص : ١٩ — ٢٢ .

البلاغة بين الطبع والصنعة

ويتفق المؤلفون السابقون وغيرهم على ضرورة توفر الطبع للبليغ قبل الثقافة الواسعة ويصور « ابن الأثير » ذلك بقوله : « وملاك هذا كله الطبع ، فانه اذا لم يكن ثم طبع لا تغنى تلك الآلات شيئا (١) » .

ويوضح قيمة الطبع وأهميته لصانع الكلام فيصوره بالنار الكامنة فى الزناد ، ويصور العلوم التى يلم بها الأديب أو البليغ بالحراق (٢)، والحديدة التى يقدح بها ، فاذا لم يكن فى الزناد نار لا يفيد ذلك الحراق ولا تلك الحديدة شيئا (٣) .

فالبلاغة اذا عند « ابن الأثير » هى البلاغة التى تتفق مع تعريفات البلاغة وأهدافها السابقة وهى صنع المنثور والمنظوم من الكلام كما دلل « ابن الأثير » على أهمية الطباع وعظيم قيمتها بأنها هى التى تحدد الفن والنوع الأدبى الذى يميل اليه صاحبه وينتج فيه ، وأنه لولا اختلاف الطباع لما رأينا فى الشعراء من يجيد فى المديح دون الهجاء ، أو فى الهجاء دون المديح ، أو يجيد فى المراثى دون التهانى ، أو فى التهانى دون المراثى ، وكذلك صاحب الطبع فى المنثور (٤). وقد تأثر بكلام « ابن الأثير » السابق من المعاصرين المرحوم : « أحمد حسن الزيات » فقرر أن البلاغة وهى تأليف الكلام البليغ تحتاج الى : طبع موهوب وعلم مكتسب ، وأن الذى يحاول نيلها باعداد الآلة وادمان المزاولة وطول العلاج وهو لا يجد أصلها فى فطرته أضاع جهده ووقته فيما لا رجع منه ولا طائل فيه (٥) .

ويدلل « الزيات » على قيمة الطبع وأثره بما يرى من قلة عدد الخطباء على الرغم من كثرة المتحدثين ، وقلة البلغاء على الرغم من كثرة الكتاب ، وندرة الرسامين المهرة على الرغم من كثرة عدد الرسامين ، وندرة عدد الذين يؤلفون روايات غنائية على الرغم من أن الموسيقيين يعدون بالآلاف فى كل أمة (٦) .

ثم يعرف « الزيات » « الطبع » ويبين أنه هبة ونعمة من الله فى قوله : « والمراد بالطبع : ملكات النفس الأربع التى لابد من وجودها فى البليغ ، ولا حيلة فى ايجادها لغير الخالق ، وهى : الذهن الثاقب ، والخيال الخصب ، والعاطفة القوية ، والأذن الموسيقية (٧) .

هذا عن الطبع أما عن العلم المكتسب فان الباحثين يختلفون فى تحديدهم للعلوم والثقافات التى يلم بها البليغ المؤلف للكلام وأهمية كل منها وذلك كما قلنا يرجع لاختلاف أهمية العلوم والثقافات من عصر لآخر .

فابن الأثير يرى أن مؤلف الكلام بعد أن يمنحه الله طبعا أدبيا فى حاجة لأن يلم بكل فن ويقف على كل وجه من وجوه الثقافة مع التركيز على ثمانية وجوه هى :

معرفة علم العربية من النحو والتصريف ، وما يحتاج اليه من اللغة ، ومعرفة أمثال العرب وأيامهم ، والاطلاع على تأليفات المتقدمين المنثور منها والمنظوم ، ومعرفة الأحكام

---

(١) المثل السائر . ط قديمة — القاهرة ١٣١٢ هـ . ص : ٣ .
(٢) الحراق والحراق : ما تقع فيه النار عند القدح .
(٣) ابن الأثير : الجامع الكبير ص : ٦ .
(٤) المثل السائر ص : ٤

(٥) أحمد حسن الزيات — دفاع عن البلاغة ص : ١١ مطبعة الرسالة ١٩٤٥ م .
(٦) المرجع السابق ص : ١٢ .
(٧) المرجع السابق ص : ٣٠ ، ٣١

السلطانية من الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك ، وحفظ القرآن الكريم ، وحفظ ما يحتاج اليه من الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم . ومعرفة العروض والقوافي وذلك مختص بالناظم دون الناثر (١).

وكذلك أشار « ابن سنان الخفاجي » من قبله في نهاية كتابه « سر الفصاحة » الى أهمية تحصيل الوجوه السابقة بصفة خاصة ، والالمام بكل أنواع الثقافة بصفة عامة مع الطبع وعدم التكلف « وبالجملة ان مؤلف الكلام لو عرف حقيقة كل علم ، واطلع على كل صناعة لأثر ذلك في تأليفه ومعانيه وألفاظه ، لأنه يدفع الى أشياء يصفها ، فاذا خبر كل شيء وتحققه كان وصفه له أسهل ، ونعته أمكن (٢)» وجاء علماء الأدب والنقد المعاصرون فلم يختلفوا على ضرورة المام مؤلف الكلام بشتى أنواع الثقافات ، أو الأخذ من كل فن بطرف على حد قول «ابن خلدون» وذلك من غير شك مع الطبع الموهوب — كما لم يختلفوا على ضرورة التركيز على علوم محددة وهي علوم اللغة التي نوعوها الى : نحو وصرف واشتقاق وأصوات ومن لغة وفقه لغة ولهجات ومعاجم — وأضافوا الى تلك العلوم علوما يلم بها الأديب مثل علوم : النفس والأخلاق والجمال والاجتماع وهي علوم موجودة ضمن تراثنا العربي لكنها تدرس الآن بشيء من التحديد وتحت عناوين مستقلة (٣) وقد حصر الأستاذ « أحمد حسن الزيات » العلوم التي ينبغي أن يلم بها طالب البلاغة في ثلاث دوائر هي : اللغة والطبيعة والنفس بعد أن يأخذ من كل فن بطرف ، وأراد باللغة : كل العلوم التي تعمل على سلامة الأسلوب وصفائه من نحو وصرف ولغة ومعان وبيان وبديع ، وبالطبيعة : علوم الجغرافيا والفلك والجيولوجيا وغيرها ، وبالنفس : علوم الأخلاق والجمال والاجتماع والنفس .

ويدعو « الزيات » طالب البلاغة الى أن يدرس هذه العلوم دراسة تمكن وتخصص .

وانه يقول عن المام طالب البلاغة بكل وجه من وجوه الثقافة بصفة عامة وعن تخصصه وتمكنه من دراسة علوم : اللغة ، والنفس ، والطبيعة بصفة خاصة : « آلة البلاغة الأخرى هي العلم بمعناه الأعم ، أو المعرفة بمدلولها الأشمل ؛ فالكاتب اذا كان ناقص العلم ، أو قليل الاطلاع يدركه الجفاف والنضوب ، فلا يكون في آخره أمره الا سارد ألفاظ ومقطع جمل ، ذلك أن معارف الكاتب هي منابع انتاجه وألوان المعرفة له كألوان التصوير للمصور يجب أن تكون كلها على اللوحة قبل أن يقبض على الريشة ، والمعارف لا تستفاد الا بمواصلة الدرس ، وادمان القراءة ، وأقل ما يجب على طالب البلاغة درسه هو : اللغة ، والطبيعة ، والنفس ... لأنها في رأينا أشبه بعلوم التخصص له ، والمفروض أن يخصها بطول النظر بعد أن يأخذ قسطه الأوفى من ضروب الثقافة (٤) .

(١) الجامع الكبير ص : ٦ ، ٧ .

(٢) ابن سنان : سر الفصاحة ص : ٢٨٢ .

(٣) انظر : أحمد الشايب : الأسلوب ص : ١٧ ، ١٨ وأحمد أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ص : ١٩ ، ٢٠ ، وفتحي فريد : المدخل الى دراسة البلاغة ص : ٢٩ — ٥٨ .

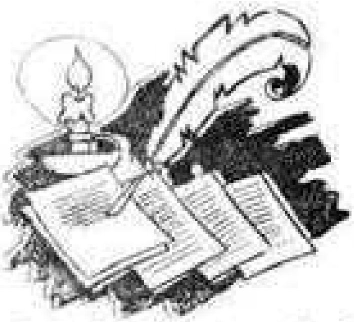
(٤) أحمد حسن الزيات : دفاع عن البلاغة ص : ٣٢ — ٤٠ .

البلاغة بين الطبع والصنعة

ويرى الباحث أن تكليف طالب البلاغة الذى يؤهل لتأليف الكلام البليغ دراسة العلوم المتعلقة بالمجالات السابقة عند الزيات وهى : اللغة ـ والطبيعة ـ والنفس ـ دراسة تخصص وتعمق شىء فوق الطاقة وفوق الامكان ـ وأن المناسب والممكن أن يقتصر التخصص والتعمق على العلوم التى تؤثر مباشرة وعن قرب فى سلامة الأسلوب وصفائه وهى علوم اللغة أما ما عداها فيلم به الدارس الماما ومعرفة وثقافة وسعة اطلاع لا الماما تخصص وتعمق .

وذلك هو ما قرره يحيى بن حمزة العلوى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ فقد قسم العلوم التى يحتاج دارس البلاغة اليها الى ثلاث مراتب : علوم لا أثر لها ولا يفتقر اليها ، وعلوم لابد منها وعلوم يستحسن الالمام بها ، وأراد بالعلوم التى لا بد منها علوم اللغة والنحو والتصريف (١).

وقد أغفل « العلوى » الطبع فلم ينص عليه ، واكتفى فقط بالحديث عن العلوم والثقافات اللازمة لدارسى البلاغة وقسمها من حيث الأهمية الى المراتب السابقة ، **وذلك يعود فى نظرنا الى غاية البلاغة وأهدافها فى نظره** ، اذ تتمثل أهدافها عنده فى : الوقوف على الاعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، وتمييز الفصيح وغير الفصيح من الكلام ـ **أما صناعة تأليف المنثور والمنظوم من الكلام فلم يذكره ضمن أهداف البلاغة (٢)** ، ولم يشر



الى الطبع الذى يمثل العمدة الأولى والركيزة الأساسية لتأليف الكلام ، **وذلك يدلنا على أن هناك فرقا بين البلاغة بمعنى تأليف الكلام البليغ وبينها بمعنى مسائل البلاغة وقواعدها التى تمكن** صاحبها من تذوق أسرار البلاغة وتمييز الجيد والردىء من الكلام ، وللأولى مناهجها وآلاتها وعلماؤها ، وللثانية أيضا : مناهجها وآلاتها وعلماؤها . ويؤكد الحكم السابق وهو : أن هناك فرقا فى التراث البلاغى بين البلاغة ككلام بليغ ، وبينها كقواعد وضوابط لمعرفة أسرار الكلام البليغ ـ ما أشار به الخطيب القزوينى فى مطلع « الايضاح » من العلوم التى تحدد عيوب فصاحة الكلام .

كعلم النحو الذى يحدد :

---

(١) يحيى العلوى : الطراز ١ : ٢٣ ـ ٢٦ ط المقتطف ـ ١٩١٤ م

(٢) يقول العلوى عن ثمرة علم البيان : « اعلم انه يراد لمقصدين : المقصد الأول منهما : مقصد دينى وهو الاطلاع على معرفة اعجاز كتاب الله ، ومعرفة معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ لا يمكن الوقوف على ذلك الا باحراز علم البيان ، والاطلاع على غوره . . المقصد الثانى : مقصد عام لا يتعلق به غرض دينى ، وهو الاطلاع على أسرار البلاغة والفصاحة فى غير القرآن فى منثور كلام العرب ومنظومه . فان كلا من لاحظ له فى هذا العلم لا يمكنه معرفة الفصيح من الكلام والأفصح ، ولا يدرك التفرقة بين البليغ والأبلغ .

المراجع

رقم	اسم المؤلف	اسم الكتاب	بيانات
١	ابن سنان الخفاجي	سر الفصاحة	تحقيق عبد المتعال الصعيدي ـ مكتبة صبيح ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م
٢	ابن وهب	البرهان في وجوه البيان	تحقيق د/حفني شرف ـ القاهرة
٣	ابو هلال العسكري	الصناعتين	تحقيق : على البجاوى ومحمد ابو الفضل ـ الحلبي
٤	احمد احمد بدوى	من بلاغة القرآن	دار نهضة مصر ·
٥	احمد حسن الزيات	دفاع عن البلاغة	مطبعة الرسالة ١٩٤٥ م ـ القاهرة ·
٦	احمد الشايب	الأسلوب	ط سابعة ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م
٧	احمد مصطفى المراغي	تاريخ علوم البلاغة	ط اولى ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م ـ الحلبي
٨	احمد موسى (د)	البلاغة التطبيقية	ط اولى ـ القاهرة ١٩٦٣ م
٩	السكاكى	مفتاح العلوم	ط اولى ـ الحلبي ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م
١٠	الخطابي	بيان اعجاز القرآن	ط اولى ـ مصر ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م
١١	القاضي عياض	اعجاز القرآن	ط اولى ـ ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣م
١٢	بدوى طبانه (د)	البيان العربي	ط خامسة ـ بيروت ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م
١٣	سعد الدين التفتازاني	المطول على التلخيص	ط احمد كامل ـ ١٩٣٠ هـ
١٤	سيد قطب	النقد الأدبي : اصوله ومناهجه	ط رابعة ـ ١٩٦٦ م
١٥	شوقى ضيف (د)	النقد	ط ثانية ـ دار المعارف ١٩٦٤ م
١٦	ضياء الدين بن الاثير	المثل السائر	ط قديمة ـ القاهرة ١٣١٢ هـ
١٧	ضياء الدين بن الاثير	الجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام والمنثور	تحقيق د/مصطفى جواد ود/جميل سعيد العراق ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م
١٨	عبد القاهر الجرجاني	دلائل الاعجاز	ط ثانية تحقيق/احمد مصطفى المراغي
١٩	عبد المتعال الصعيدى	بغية الإيضاح	ط سادسة ـ مصر
٢٠	فتحي فريد (د)	المدخل الى دراسة البلاغة	ط اولى ١٩٧٨ م ـ مكتبة النهضة المصرية
٢١	مازن المبارك (د)	الموجز في تاريخ البلاغة	ط ثانية ـ دمشق ١٩٧٩ م
٢٢	محمد عبد الخالق عضيمة	مجلة كلية اللغة العربية بالرياض	العدد التاسع : ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م
٢٣	محمد مندور (د)	النقد المنهجي عند العرب	دار نهضة مصر ـ القاهرة
٢٤	يحيى العلوى	الطراز	المقتطف ـ مصر ١٩١٤ م

ضعف التاليف والتعقيد اللفظى

وعلم الصرف الذى يحدد :

مخالفة القياس

وعلم اللغــة الذى يحدد :

الغرابة

وعلم المعانى الذى يحدد :

الخطأ فى تطبيق الكلام على مقتضى الحال ·

وعلم البيان الذى يحدد :

التعقيد المعنوى

البلاغة بين الطبع والصنعة

وأهمها : الارتقاء بملكاتهم النقدية والتذوقية والعجز عن صنع كلام بليغ . وبذلك ندرك صواب « سعد الدين التفتازانى » وما بدأنا به كلامنا من أن كثيرا من علماء البلاغة والماهرين فيها لا يقتدرون على تأليف كلام بليغ .

الخاتمة

ولا نغلو فى القول ، ونشتط فى الحكم ، ونفعل كما فعل كثير من علماء البلاغة والنقد المعاصرين فنرمى بلاغة المتأخرين بالجفاف والجمود وننسب اليها : عقم الأذواق وفساد الطباع الى غير ذلك من أوصاف تقضى بتجنبها واطراحها وانما نرى ان بلاغة المتأخرين تمثل روح عصر وفكر جيل ، ولا تخلو من الافادة من حيث يستعان بها على تقييد المطلق وحصر الشائع ، ولو مزجت ببلاغة المتقدمين أصحاب الادب وأرباب الذوق لأثمرت أطيب الثمار ، حيث تكون قد جمعت بين العلم والفن وبين العقل والذوق . وهذا خير سبيل لاصلاحها وتحقيقها لأهدافها .

د. فتحى فريد

والحس والذوق الذى يحدد : التنافر (١)

وقد قلنا أن الوقوف على هذه العلوم يعين دارس البلاغة على تحديد العيب فى الأساليب وسبب خروجها من دائرة الفصاحة والبلاغة ـ لأن مجرد دراسة العلوم والتمكن منها لا يعين على تأليف كلام بليغ عند فقدان الطبع وانعدام الموهبة

وبذلك نستخلص من هذا الفصل ما يلى :

١ ـ أن هناك فرقا بين البلاغة كفن يعتمد على الموهبة والثقافة الواسعة وينتهى بصاحبه الى تأليف كلام بليغ وبينها كعلم لا يتجاوز قواعد البلاغة ولا يمكن صاحبه من صنع كلام .

٢ ـ أن حظ البلاغة الأولى يتمثل فى فترة النضج والازدهار لبلاغتنا العربية فى القرنين الرابع والخامس للهجرة ، وأن حظ البلاغة الثانية يتمثل فى فترة الجمود بدءا من القرن السادس وما يليه .

٣ ـ أن استمداد الدرس البلاغى من البلاغة الأولى يكسب الطالب نمو الذوقه ومن البلاغة الثانية يكسبه تحديدا للأسباب وتمييزا للأسرار .

٤ ـ أن فقدان الطبع الأدبى يحرم كثيرا من دارسى البلاغة من جنى عدد من ثمار البلاغة

(١) عبد المتعال الصعيدى ـ بغية الايضاح ١ / ٣١ ط سادسة .

الطراز ١ : ٣٢ ، ٣٣ .

مع رسالة جامعية

أصداء المدرسة الرومانتيكية في الأدب العربي الحديث

للباحث : محمد اسماعيل شاهين

عرض وتقديم
الأستاذ حمدي الليثي

رسالة ــ التى نقدمها بهذا العنوان ــ تقـدم بهـا
ث محمد اسماعيل شاهين لنيل درجـة الأسـتاذية
دكتوراه » فى الأدب ، والأستاذ محمد اسماعيل شاهين
س مساعد بقسم الأدب بكلية اللغة العربية ــ جامعة
هر ــ الزقازيق .

وقشت الرسالة يوم الأحد ١٤ من المحرم ١٤٠٣ ــ
/١٠/١٩٨٢) بمدرج الشيخ حمروش بكلية اللغة
بية بالقاهرة .

كونت لجنة المناقشة من الأساتذة :

ور محمد السعدى فرهود وكيل الأزهر مشرفا .
دكتور عبداللطيف خليفة نائب رئيس جامعة الأزهر عضوا
دكتور طه مصطفى ابو كريشة عميد كلية اللغة العربية
بالقاهرة عضوا .

والرسالة تتكون من :

تمهيد ، وثلاثة أبواب وخاتمة :

تحدث الباحث فى التمهيد عن الرومنتيكية : نشأتها ، وتطورها ، والعوامل التى ادت الى وضوح أصدائها فى الأدب العربى الحديث .

وجعل الباب الأول من الرسالة للأصـداء الرومنتيكية فى الشـعر العربى ، وقسمه الى ثلاثة فصول :

أصداء المدرسة الرومانتيكية

الفصل الأول لبيان الأصداء الرومنتيكية فى الشعر العربى فى مصر ، وفيه تناول الباحث نتاج عدد من الشعراء ذوى المنزع الرومنتيكى وأوضح ما فيه من رومنتيكية تمثلت فى الاقتناع بذاتية التجربة الشعورية ، والاستغراق فيها ، والحرص على الصدق الفنى ، واستشراف عالم غير عالم الواقع :

عالم قد يتمثله الشعراء فى خيالهم ، أو فى الريف حيث السذاجة ، والبراءة ، وفى رعاية الترابط والتآزر الموسيقى بين أجزاء القصيدة مع التحرر من وحدة القافية فى كثير من الأحيان ، والاتجاه الى تخليص القصيدة من الموسيقى الصاخبة ، والميل الى الألفاظ الرقيقة ، والصياغة الموقعة ، وظهور النزعة العاطفية ، والانسانية ، والتأملية ، والحيرة ، والقلق ، والشكوى والألم ، والتمرد والثورة.

وبين الباحث أن طبيعة الحياة فى مصر بما كان فيها من ظلم ، واضطهاد ، واضطراب وعدم استقرار منذ منتصف القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين كانت تدفع الشعراء الى التأمل ، والتفلسف ، والحيرة ، والقلق ، والثورة والتمرد .

وفى الفصل الثانى من هذا الباب تتبع الباحث الأصداء الرومنتيكية فى الشعر العربى فى سائر الأقطار العربية من خلال دراسة تحليلية لقصائد متعددة لعدد من شعراء هذه الأقطار ، وقد كشفت هذه الدراسة عن رومنتيكية تمثلت فى وضوح التجارب الشعورية التى تجلت فيها ذاتية كل شاعر ، وفرديته ، والاتجاه الى الوحدة الفنية فى القصيدة ، والاتجاه الى النواحى الانسانية ، والوجدانية ، وتصوير مواقف الأنين ، والألم ، والشكوى والضيق بالحياة ، والثورة على الأوضاع السياسية ، والاجتماعية فى بلادهم ، والهروب الى الطبيعة ، واتخاذها صديقا يواسى الشعراء ، ويخفف عنهم آلامهم والثورة على قيود الوزن ، والقافية ، والتركيز على الموسيقى الداخلية التى تكشف عن الاحساس ، والوجدان .

ومع ذلك لم يستطع هؤلاء الأدباء فى الوطن العربى أن ينسلخوا عن القديم ، لأنهم اطلعوا على ذخائر الأدب العربى قبل الدخول الى معرض الآداب الأجنبية .

وفى الفصل الثالث من هذا الباب تتبع الأصداء الرومنتيكية فى الشعر العربى فى المهاجر الأمريكى ، وبين أن المهاجرين تأثروا بمقومات الأدب الرومنتيكى تأثرا واضحا ظهرت أصداؤه فى تجاربهم ، وفى موضوعات

شعرهم ، ومعانيه ، وأفكاره ، وصوره وأخيلته ، وألفاظه وموسيقاه . وقد كشفت الدراسة التحليلية لعدد من قصائد هؤلاء الشعراء عن تأصل الرومنتيكية في شعرهم في المضمون والشكل على حد سواء .

ففي المضمون ظهرت النزعة الانسانية ، والمشاركة الوجدانية ، واللمسات الروحية ، والحيرة والقلق ، والتطلع ، الى عالم المثل ، واللجوء الى الطبيعة ، والكآبة والشكوى ، والحزن والألم ... الخ .

وصار الشعر لدى شعراء المهاجر تعبيرا عن موقف انساني ، وصارت له رسالة سامية ينقلها الشاعر الى الناس ، فيهذب نوازعهم ، ويستثير فيهم دوافع الحق ، والخير ، والجمال واتسعت نظرة شعراء المهجر الى الحب ، وسمت حتى شملت الانسان والطبيعة ، وجميع الكائنات ، وعدوه عنصراً هاما من عناصر الحياة .

وفي الشكل والأداء تأكدت الوحدة البنائية والفنية للقصيدة ، وأصبحت اللغة وسيلة للأداء الشعري ، وليست غاية في ذاتها ، وتساهل بعض شعراء المهاجر في استخدامها ، وأكثروا من استخدام الشكل القصصي في القصيدة ، وتصرفوا في نظام الوزن العروضي .. الخ .

وفي **الباب الثاني من الرسالة** تناول الباحث الأصداء الرومنتيكية في النثر ، وقسمه الى ثلاثة فصول :

الفصل الأول لبيان الأصداء الرومنتيكية في القصة والرواية ، . وفيه بين أن هذه الأصداء برزت في أعمال الأدباء الذين تأثروا بالثقافة الغربية : كالدكتور « محمد حسين هيكل » ، و « المازني » ، و « توفيق الحكيم » ، والدكتور « طه حسين » ، و « محمود تيمور » ، « محمد عبد الحليم عبد الله » ، وغيرهم . ودرست بعض أعمالهم الأدبية دراسة كشفت عن ظهور الرومنتيكية في قصصهم ، ورواياتهم ، وتمثلت في الاحساس المفرط بالذات ، وطغيان العنصر العاطفي ، والمغامرات ، والاندفاع وراء الصور الشاعرية والاغراق في وصف الطبيعة ، وتشخيص عناصرها ، والنهايات الحزينة ، والثورة على الظلم والظالمين ، وحب العزلة والابتعاد عن الناس ، والثورة على القيود اللغوية ، والميل الى التحرر والانطلاق في التعبير .. الخ .

مــــع رســـالـة
جـامـعـيـــــة

أصداء المدرسة الرومانتيكية

وفى الفصل الثانى من هـذا الباب بين الأصداء الرومنتيكية فى المسرحية من خـلال دراسة عـدد مـن المسرحيات كشفت عـن اتجاهات رومنتيكية تمثلت فى الخروج عـلى الوحدات الثلاث ، وعلى مبدأ فصل الأنواع ، وظهور المواقف الغرامية العنيفة ، والنهايات الحزينة ، وتمثيل المشاهد العنيفة ، والتحليق فى الخيال ، والاسراف فيه الى حد اللا معقول والهروب من الحياة ، ومن الواقع ، والاتجاه الى الثورة ، والتمرد على الظلم والطغيان ، والخروج على سلامة اللغة .. الخ .

وفى الفصـــل الثالث بين الأصـــداء الرومنتيكية فى المقال من خلال دراسة عدد من المقالات كشفت عن رومنتيكية تمثلت فى الثورة على الظلم والطغيان ، والتمرد عـلى الفساد والاستغلال ، وتصوير مظاهر الحزن والألم ، والاندماج فى الطبيعة ، وتشخيص عناصرها ، والاتجاهات الانسانية التى تدعـو الى الحب والتعاون ، والاغراق فى الخيال ، وســـهولة العبارات ، وصدق الاحساس ... الخ .

وفى الباب الثالث : من الرسالة تناول الباحث الأصداء الرومنتيكية فى النقد الأدبى . وفى هذا الباب مدخل وثلاثة فصول . عرض الباحث فى المدخل مفهوم النقد ، وما ينبغى أن يكـون عليه الناقد ، وأهم مميزات النقد الرومنتيكى .

ثم تناول فى الفصـــل الأول الأصـــداء الرومنتيكية فى النقـد الأدبى لدى جمـاعة الديوان ،ومن أبرز هذه الأصداء :

الدعوة الى الربط بين الشعر والعواطف ، ومزج الخيال بالعقل ، والعاطفة بالتفكير .. والدعوة الى المشـــاركة الوجدانية ، والوحدة العضـــوية ، والصـــدق الفنى ، واســـتخدام التشبيه لشرح عاطفة أو نقل حالة من الحالات النفسية ، والاهتمام بالشعر الوجدانى الذاتى، والى العناية بالفكرة أكثر من العبارة .

وقد ظلت جماعة الديوان محتفظة بسلامة العبارة، ولم تهبط بها الى اللغة العامية ولم تستسغ الخطأ فى أصـول اللغة ، وقواعدها . ونادت جماعة الديوان بالتصرف فى الوزن والقـــافية تصرفا يتيح للشاعر أن يحقق بهما من نفسه وذبذبات مشاعره وأعصـــابه **مالم يكن الاطار القديم يساعده على تحقيقه .**

وفى الفصل الثانى : من هــذا الباب تناول البحث الأصداء الرومنتيكية فى النقد الأدبى لدى جماعة « أبولو » وبين أن هذه الجماعة قد اتجهت الى جمع شمل الشعراء ، والأدباء ، **كى تؤلف منهم وحدة تعمل على نهضة الأدب .** ورقيه ، وقد تمثلت الرومنتيكية فى الاتجاهات النقدية لدى هـــذه الجمـــاعة فى الدعوة الى الصدق الفنى فى التجربة الشعورية ، والاهتمام بالصور الشعرية ، وسهولة الألفاظ والعبارات

وتمصير العربية ، أو تعريب المصرية ، وتنويع القوافى ، والأوزان ، والدعوة الى الشعر المرسل .. الخ .

وفى الفصل الثالث : تناول الباحث الأصداء الرومنتيكية فى النقد الأدبى لدى أدباء المهاجر ، ونقاده ، وعرض لما فى كتاب « الغربال » لميخائيل نعيمة ، من اتجاهات نقدية ، ومدى اتصالها بالنقد الرومنتيكى ، وبين أن أبرز الأصداء الرومنتيكية فى النقد الأدبى لدى المجددين من المهاجرين قد تمثلت فى الدعوة الى النقد الذاتى التأثرى ، واعلاء شأن العاطفة والقلب ، والوجدان ، وتوثيق صلة الأدب بالحياة ، والايمان بالانسان ، وابراز شخصيته ، والدعوة الى أصالة الشاعر، والصدق الفنى فى التصوير والتعبير والدعوة الى التساهل فى الأداء اللغوى ، والتحرر من الوزن والقافية ، وقد بينت أن دعوات الخروج على الوزن ، والقافية لم يكتب لها النجاح ، وأننا نتقبل تعدد القوافى فى الشعر الموضوعى كالملحمة ، والمسرحية ، ونرفض الشعر الحر كما رفضه « العقاد » وغيره من النقاد ، والأدباء .

وبينت ما فى النقد المهجرى من أصداء رومنتيكية فى نقد القصة والمسرحية وعرضت لجذور هذه الاتجاهات الجديدة فى النقد العربى القديم ، وبينت أن هذه الاتجاهات أشارت اليها كتب النقد الأدبى فى العصور الماضية وان لم تأخذ الأسماء الفنية التى عرفت بها فى النقد الأدبى الحديث وفى خاتمة الرسالة لخص الباحث أهم النتائج التى توصل اليها .

والرسالة جهد مشكور ، وعمل واسع الميدان ، ودراسة جادة .

وجدت من لجنة المناقشة تقديرا عادلا فى منح الباحث درجة « الأستاذية » الدكتوراه فى الأدب والنقد مع مرتبة الشرف الثانية .

ونود — من الباحث الدكتور محمد اسماعيل شاهين — حين يقدم هذه الرسالة للطبع أن يعرض بها « منهجه» فاننا افتقدنا المنهج فى العرض ، وكنا نود أن تلم به ، اذ الفرق كبير بين «الخطة» و « المنهج » و « البحث » .

والله ولى التوفيق

حمدى الليثى

العرب أمام تحديات

« العرب امام تحديات التكنولوجيا » كتاب صدر مؤخرا ضمن سلسلة الكتب الثقافية الشهرية ، التى يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، بالكويت تحت عنوان « عالم المعرفة » .. والكتاب من تاليف الدكتور أنطونيوس كرم اللبنانى ، ويقع فى خمس عشرة ومائتى صفحة من القطع المتوسط ، ويدور حول التعريف بالتكنولوجيا ووسائل نقلها خاصة فى تلك المرحلة التى تستعرض فيها اسرائيل مقدرتها التكنولوجية .. وهو يدعو الى الاخذ باسباب التطور العلمى ويبرز علة التخلف الذى اصاب العرب .. وفى اطار ذلك اثار المؤلف بعض المزاعم فى كتابه جانب فيها الصواب ، وخالف الحق .. ولذلك فان هدفنا فى هذا المقال هو رد الحق الى نصابه ، متوخين فى ذلك النصف آخذين على انفسنا ان نذكر اولا ما زعمه المؤلف ونعقب عليه بما نراه ردا على هذا الزعم .. فنبدأ وبالله التوفيق :

اولا :

يقول الكاتب : « من الواضح أن هيمنة الدولتين العظميين على العالم فى يومنا هذا لا ترجع مطلقا الى قوة ايمانهم وعقائدهم الروحية ، وانما الى القوة المادية الهائلة التى يتمتعون بها فى هذا المجال العلمى والتكنولوجى .. وبالتالى فى المجالين الاقتصادى والعسكرى وبالقيم والأنظمة الاجتماعية التى تضع قيم العلم والتكنولوجيا فى رأس سلم القيم والأولويات .

« لا مجال فى هذا العصر لدول وشعوب تعانى من الضعف الشديد على المستوى العلمى والتكنولوجى والاقتصادى مهما كبرت أخلاقها وروحانياتها ، هذا اذا كان هناك معنى حقيقى للاخلاق فى ظروف التخلف القاتل الذى تعيشه الدول النامية ، فما قيمة الأخلاق فى بلد يعيش أسوأ أنواع الفقر والعوز والجهل والقهر وجميع اشكال التخلف الأخرى » (١) .

ان المؤلف هنا يدعو فى صراحة الى التخلى عن العقائد والقيم الروحية والأخلاقيات التى تشكل وجدان الأمة العربية كل ذلك فى نظره من أجل اللحاق بركب العلم والتكنولوجيا ، لأن القوى العظمى فى عالم اليوم لم تبن قوتها على ايمان وعقائد روحية ، ولأنه لامعنى حقيقى للاخلاق فى ظروف التخلف القاتل الذى تعيشه الدول النامية .

وكأنى وأنا أقرأ هذه المزاعم للمؤلف ، اقرأ ما قاله اليهود فى البروتوكولات مستمدا من

---

١ ــ العرب امام تحديات التكنولوجيا ص ٦

الميكافيللية « ان الغاية تبرر الوسيلة وعلينا — ونحن نضع خططنا — الا نلتفت الى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت الى ما هو ضروري ومفيد »(٢) .

وللرد على ما يهدف اليه المؤلف من ضرورة التخلي عن القيم والأخلاق لاقامة حضارة تكنولوجية ، نحيله الى ما كتبه المفكر الفرنسي الدكتور جوستاف لوبون في كتابه (سر تطور الأمم) ، فهو يقول : « الخلق لا العقل هو الذي تقوم عليه الجمعيات البشرية ، وتؤسس الديانات ، وتبنى الممالك ، وهو الذي يجعل الأمم تحس وتعمل »(٣) .

وهو يقرر أن الخلق يتكون « من اجتماع بعض العناصر المخصوصة وامتزاجها ببعضها ، وتلك العناصر هي التي جرى علماء النفس في هذا العصر على تسميتها بالمشاعر ، واهم المشاعر في تكوين الخلق المثابرة والعزيمة والقدرة على حكم النفس وكلها ملكات راجعة الى الارادة ..»(٤) .

واذا كانت الاكتشافات العلمية التي ينتجها

للأستاذ رشدي محمد ابراهيم

النشاط العقلي هي محور القضية التي تدور فيها الرحى فان نقلها من أمة الى اخرى لا يجب أن يكون على حساب القيم والأخلاق المميزة للأمة ، يقول لوبون : « تنتقل الاكتشافات العقلية بسهولة من أمة الى اخرى ، وأما آثار الخلق فلا تتعدى أمتها لأنها العناصر الأساسية الثابتة التي يتميز بها المزاج العقلي في كل أمة راقية »(٥) .

ولذلك فالتغيير يكون في الصفات العقلية ، لا السمات الأخلاقية التي تشكل المزاج العقلي للأمة وتميزها عن غيرها .. وهذه السمات الأخلاقية لو أصيبت بالتغيير لانهارت الأمة وسقطت .. يقول جستاف لوبون :

« واذا أمعنا النظر في أسباب سقوط جميع الأمم التي يذكرها التاريخ بلا استثناء لا فرق في ذلك بين الرومان أو العجم أو غير هؤلاء وهؤلاء وجدنا أن العامل القوي في انحلالها تغير طرأ على مزاجها العقلي ترجع علته الى انحطاط الخلق ، ولست أعلم أن دولة واحدة سقطت لانحطاط الذكاء في قومها ،

---

٢ — الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٥٢

٣ — سر تطور الأمم ص ٣٥

٤ — المصدر السابق ص ٣٢

٥ — المصدر السابق ص ٣٤

فطريقة انحلال المدنيات واحدة »(٦) .

ثانيا :

يقول الكاتب : « لماذا اختفت فجأة العقلية العلمية عند العرب كما جسدها جابر بن حيان والرازي وابن الهيثم وغيرهم لتحل محلها الدغماتية(٧) غير العلمية .. ؟

ثم يجيب المؤلف بأن الكثير من المحللين « يرون أن انتصار المؤسسة السياسية الثقافية التي جسدها الامام الغزالي أحسن تجسيد هي التي أوقفت المد الفكري عند العرب وشكلت منذ ذلك الحين سدا في وجه كل اصلاح ، ويرى مثلا الدكتور نقولا زيادة .. أن احتكاك الفلاسفة والمفكرين العرب بالفكر اليوناني أكسبهم الكثير من المنطق وطرق المجادلة عند الفلاسفة اليونانيين ، فبدأ الفلاسفة العرب المتأثرون بالفكر اليوناني يأخذون على عاتقهم مهمة التوفيق بين الدين والعقل ، أو بين الشريعة والحكمة ، وبلغ هذا الجهد ذروته في محاولة ابن رشد في مرحلة لاحقة ــ وهو أكثر الفلاسفة العرب الذين فهموا وتعمقوا بالفكر اليوناني وبالأخص بمنطق أرسطو ــ التوفيق بين العقل والايمان . وهكذا بدأت الخصومات الحادة بين الفقها والفلاسفة وبالأخص المتصوفين منهم على أساس أن التصوف أساسا هو محاولة للوصول الى الخالق والى الحكمة الالهية دون المرور بالشريعة الاسلامية .

وانتهت الخصومة بانتصار الفقهاء على الفلاسفة ، بانتصار الغزالي على ابن رشد ، ويرى الشاعر والكاتب العربي المعروف « أدونيس » أن انتصار الغزالي والمؤسسات الثقافية التي يجسدها كان انتصارا للفكر التقليدي وهزيمة للتجديد والابداع »(٨) .

ان الكاتب هنا يردد ما زعمه بعض الكاتبين تعليلا للتخلف الفكري المزعوم عند العرب .. حيث انتهت بهم اللجاجة الى القول بأن الغزالي رحمه الله بانتصاره على ابن رشد أدى الى هزيمة التجديد والابداع .. ولا يعفي المؤلف من المسئولية قوله بعد ذلك : « لكن الحقيقة والموضوعية تقضيان بألا نضع كل اللوم على أكتاف الامام الغزالي والمؤسسة التي يمثلها ، اذ أن انتصاره على ابن رشد جسد في حد ذاته حقيقة أن الحضارة العربية بكاملها أخذت تميل نحو الغروب المبكر نتيجة التفكك الداخلي ، والحروب الأهلية ، وتغلغل العنصر غير العربي الى المراكز الحساسة في الدولة قبل أن تأتي الحروب الصليبية وهجمات التتر والمغول »(٩) .

وعبارات المؤلف توحي بأن الغزالي يستحق جزءا من اللوم وليس كل اللوم وأريد للقارئ ــ وأخص مؤلف الكتاب ــ أن يعرف قدر الغزالي ومنزلته لا أقول بمقياسي ، ولكن بمقياس الكاتب الكبير عباس محمود العقاد الذي يصف الغزالي بقوله :

« الفيلسوف الذي يصارع الفلاسفة ،

---

٦ ــ المصدر السابق ص ١٧٢

٧ ــ يريد بالدغماتية : الامور التي ليس عليها دليل عقلي .

٨ ــ العرب أمام تحديات التكنولوجيا ص ١٦٨ ، ١٦٩

٩ ــ المصدر السابق ص ١٧٠

والفقيه .. ، والمتصوف الذى يكشف عن عالم الخفاء .. وليس فى المشرق والمغرب من هو أرجح فكرا وأصفى عقلا وأقوى «دماغا» من هذا الامام الجليل »(١٠) .

كل جرم الغزالى – اذا – أنه أكد « تهافت الفلاسفة » ودحض حججهم .. وحسب البعض أن ما فعله الغزالى هو دعوة الى الدغماتية وتعويق للعقل .. وكان يجب على هؤلاء أن يذكروا أن هناك مجالين يتعلق بهما النشاط العقلى المجال الأول : يختص بالعلم والتكنولوجيا ووسائل البحث فيهما .. وهو المجال الخاص بالعقل بمعنى أنه لا خطر عليه فى البحث فى هذا المجال .. والغزالى ومن سبقه ومن جاء بعده من مفكرى الاسلام لا ينكرون على العقل عمله فى هذا المجال بل أن الغزالى نفسه وضع كتاب « معيار العلم » منفصلا عن « تهافت الفلاسفة » لأنه يعالج قضايا المنطق ، وما كان الغزالى أو غيره – يوما ما – من دعاة التعطيل للعقل عن العمل فى دائرة اختصاصه .. ومن قال ذلك فقد أعظم عليه الفرية .

والمجال الثانى : وهو المجال الميتافيزيقى .. وهو مجال تبحث فيه مسائل العقيدة ومبادىء الأخلاق وقواعد التشريع . والمفكرون المسلمون قديما وحديثا يقررون أنه « اذا ترك العقل وحده فيها لتعرض دون شك للضلال »(١١) لأن طاقته محدودة .. « فأما محاولة ادراك ما وراء الواقع بالعقل المحدود الطاقة بحدود هذه الأرض والحياة عليها دون سند من الروح الملهم والبصيرة المفتوحة ، وترك حصة للغيب لا ترتادها العقول .. فأما هذه المحاولة فهى محاولة فاشلة أولا ، ومحاولة عابثة أخيرا ، فاشلة لأنها تستخدم أداة لم تخلق لرصد هذا المجال ، وعابثة لأنها تبدد طاقة العقل التى لم تخلق لمثل هذا المجال .. ومتى سلم العقل البشرى بالبديهية العقلية الأولى ، وهى أن المحدود لا يدرك المطلق لزمه – احتراما لمنطقه ذاته – أن يسلم بأن ادراكه للمطلق مستحيل » .

وهذا هو الفكر الاسلامى الممتد من الغزالى الى يومنا هذا .. وهو فكر لا ينكر على العقل الا أن يدمر نفسه فى بحث ما لا طاقة له به ..

ونأخذ على المؤلف عبارة جاءت فيما أوردناه سلفا من كلامه تمس التصوف الاسلامى حيث قال : « ان التصوف أساسا هو محاولة للوصول الى الخالق والى الحكمة الالهية دون المرور بالشريعة الاسلامية » .

وهو قول مردود بما قاله كبار أئمة الصوفية :

« يقول ابو يزيد البسطامى : « لو نظرتم الى الرجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به ، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة » .

« ويقول الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته .

---

١٠ – أنا .. ص ١٠٥
١١ – فتاوى الامام عبد الحليم محمود ٨٤/١

ويقـول أيضـا : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة »(١٢) .

وثالثـة الأثافى ما قاله المؤلف :

« من الملاحظ أنه ما من دولة فى العـالم تقدمت فى يومنا هـذا الا بعـد أن نجحت فى أحداث ثورة قيمية فى مجتمعاتها . وكما لاحظ بحق بعض الباحثين العرب فان « الأيديولوجية الحديثة ليبرالية كانت أو ماركسـية موصولة وصـلا عضـويا بمنهجية علميـة ، وعلتنـا الأيديولوجية الرئيسية كعلة أكثر المتخلفين هى أن تعبيراتنا الأيديولوجية غير موصولة بعـد وصلا علميا خلاقا بمنهجية علمية حديثة ولذلك تبدو أيديولوجيتنـا وكأنها لاهـوت جـديد فالتخلف فى جـوهره تخلف عقلى وخلقـى ومنهجى »(١٣) .

والذى يهمنا فى هذه الفقرة هو أن علتنـا الأيديولوجية ــ العقائدية ــ كعلة أكثر المتخلفين هى أن تعبيراتنا العقائدية غير موصولة بعـد وصلا علميا خلاقا بمنهجية علمية حديثـة .. وفحوى ذلك أن عقيدتنا نحن العرب المسلمين هى علة تخلفنا ، وتلك مقولة رددها الشيوعيون والداعون للحضارة الغربيـة بغـير وعى .. أولئك النفر الذين حسبوا أن علاقة الاسلام ــ وهو عقيدتنا ــ كعلاقة الكنيسة ابان العصور الوسـطى بالعلم حيث حرمت البحث العلمى واضطهدت العلماء ... وما كانت عقيدتنا يوما هكذا ، وهيهات .

فمتى كانت عقيدة العرب التى عرفوا بها ــ وهى الاسـلام ــ سببا فى تخلفهم .. ؟

واخـيرا :

ان المواجهة والتحدى التكنولوجى الـذى يخوض غماره العرب اليوم لن يتأتى لهم أن يصمدوا فيـه ويحرزوا قصـب السـبق الا بالرجوع الى أخلاقهم لا بالتخلى عنهـا .. وبالتمسـك بعقيدتهم لا بالتمرد عليهـا .. والكفر بها ..

ومعركة العرب فى هذا التحدى الذى تمثل فيه اسرائيل جانب التفوق التكنولوجى .. لن يكسبها العرب الا بقوة اعتقادهم وايمـانهم ذلك ، لأن للاعتقاد قوة لا يفلها الا قوة اعتقاد مثلها ، فليس للايمان عـدو الا الايمـان ، والنصر حليفه حتى كانت القوة المـادية التى تعترضه خادمة لشعور ضعيف ومعتقدات تولاها الوهن . لكن اذا اصطدم بايمان يماثله فى قوته أصبحت الحرب عوانا وصـار النصر منـوطا بالأحوال الثانوية التى تكتنف الغالب منهما ، وأهمها ما كان راجعا الى قوة الخلق وتعود الانقياد وحسن النظام ».

تلك كانت بعض المآخذ على ما أثاره المؤلف ، أردنا ببيانها أن ننبه الى خطرها وخطر الأخذ بها خاصة أن سلسلة « عالم المعرفة » لها قراؤها على الصعيد العربى كله .. فكيف يخرج منها كتاب بهـذه النفثات المسمومة .

وبعد فقد بذلنا لـدرء خطر هـذه السموم ما فى جهـدنا .. والله حسبنا ونعم الوكيل وراء القصد .

رشدى محمد ابراهيم

١٢ ــ الغزالى المنقذ من الضلال ص ١١٩ ، ٢٠ .
١٣ ــ العرب أمام تحديات التكنولوجيا ص ٢١١

ديوان النيل

قصائد مختارة من الشعر المصري والسوداني

عرض وتعليق أ. د. طه مصطفى أبو كريشة
عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة

— ١ —

« ديوان النيل » عنوان لمجموعة من القصائد الشعرية ، قامت بجمعها واعدادها للنشر لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم في مصر والمجلس القومي لرعاية الآداب والفنون بالسودان ، وقامت بنشرها الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وقد كان النيل وما يتصل به موضوع كل القصائد ، ومن ثم كانت التسمية تسمية دالة على موضوعها ، فضلا عما توحي به من اكبار للنيل الذي كان موضوعا مشتركا بين الشعراء جميعا ، فحق له اذن أن ينسب اليه ديوان شعر .

— ٢ —

والديوان يضم بين دفتيه تسعا وسبعين قصيدة ومقطوعة جاءت في صفحات جاوزت الثلاثمائة من القطع الكبير ، وهي لمجموعة من الشعراء المصريين والسودانيين ، بدءا من أمير الشعراء أحمد شوقي حتى الفترة الحاضرة ، وقد يكون لبعض الشعراء قصيدة واحدة مختارة ، بينما يكون لبعضهم الآخر أكثر من قصيدة .

والديوان في عرضه للقصائد قائم على قسمين ، تعقبهما تراجم لشعراء القسم الأول والثاني في ايجاز يوضح المولد والنشأة وبعض الحياة والمدرسة الشعرية التي ينتمي اليها كل شاعر ، ثم مقدار نصيبه من الشاعرية .

والقصائد في جملتها تجري على نظام الشعر العمودي وجاء القليل منها على نظام الشعر الحر .

والديوان بهذه الصورة يمثل مهرجانا شعريا يتغنى بالنيل ويحتفي به ، ويشيد بما له من مآثر ، ويعكس عواطف مشبوبة ، ومشاعر يحدوها الوفاء والعرفان والاعزاز والاكبار .

أما الهدف من الجمع بين الشعر المصري والسوداني فتوضحه مقدمة الديوان التي تقول « هذا الديوان يضم ما نظم الشعراء المجيدون في هذين الشطرين الأخوين عن النيل ، ليكون هذا السفر من الشعر — بين ما تعمل لجان التكامل جادة — نغما

رقيقا يسرى بين الجهود الجبارة من أجل هذا التكامل ، كالنسيم العليل ، فيسرى عن الأنفس الظمأى الى ماء النيل ظمأها الى أدب النيل فى كل بقاع الأرض مرددا فى أعذب ترتيل » ونضيف : حسب الأدب — من خلال هذا الجمع — أن يكون سباقا الى الهدف ، عارفا برسالته ، سائرا الى غايته من قبل أن تولد اللجان والمؤتمرات .

— ٣ —

وعلى صفحات الديوان يلتقى القارىء بنماذج من الشعر الجيد فيحس كأنه يقوم برحلة نيلية على صفحات النيل من جنوبه الى شماله ، رحلة فيها صفاء النيل وهدوؤه ، ورقته وعطاؤه ، وانها لسياحة فى عالم المشاعر لا تقل أثرا عن السياحة على ضفاف النيل وحول شرايينه المتغلغلة فى جسد الوادى من أقصاه الى أقصاه .

فى رحلة المشاعر تتصدر الديوان قصيدة الشاعر الكبير أمير الشعراء أحمد شوقى ، فهى أم الباب كما يقولون ، وشهرتها بين الدارسين للشعر لا تحول بيننا وبين تقديم مختارات منها تكون تمهيدا لما يأتى بعدها .

وقصيدة أحمد شوقى أطول القصائد فى هذا الديوان ، وهى وان لم تكن خالصة للحديث عن النيل ، الا أن الشاعر اتخذ من النيل منطلقا للحديث عن جوانب متعددة من تاريخ مصر قديمه وحديثه .

وقد استهل الشاعر قصيدته بخطاب مباشر للنيل يعكس دفقة شعورية متحيرة ملأى بالاعجاب والاجلال والفخار :

من أى عهد فى القرى تتدفق
وبأى كف فى المدائن تغدق
ومن السماء نزلت،أم فجرت من
عليا الجنان جداولا ولا تترقرق

وفيها يشيد بالحضارة التى قامت على ضفاف النيل :

أصل الحضارة فى صعيدك ثابت
ونباتها حسن عليك مخلق
ولدت فكنت المهد ثم ترعرت
فأظلها منك الحفى المشفق
وبنت بيوت العلم باذخة الذرى
يسعى بهن مغرب ومشرق

كما يسجل الفضل للفتح الاسلامى :

بعث الصحابة يحملون من الهدى
والحق ما يحيى العقول ويفتق
فتح الفتوح من الممالك رزدق
فيه ومن أصحاب بدر رزدق ؟
يبنون لله الكنانة بالقنا
والله من حول البناء موفق

وفى لمسة غنائية يناجى الشاعر النيل فى ختام قصيدته :

معا يحملنا الهوى لك افرخ
سيطير عنها وهى عندك ترزق
تهفو اليهم فى التراب قلوبنا
وتكاد فيه بغير عرق تخفق
ترجى لهم والله جل جلاله
منا ومنك بهم أبر وأرفق
فاحفظ ودائعك التى استودعتها
انت الوفى اذا ائتمنت الأصدق

وللنيل آثار ظاهرة ، وفضل لا ينكر ، وكان ذلك موضع اشادة الشعراء ، ومن هذا قول احمد زكى أبى شادى :

يجرى بماء حياتنا وحياته
فكانما صرنا سرى نباته
من موجه يومى خفوق قلوبنا
ودماؤنا من لونه وصفاته
لولاه كانت مصر قفرا ماحلا
وبه ترى الجنات من جناته
يجرى بغالى الرزق جرى موفق
للبر لا يمتن من حسناته
وسخاؤه يابى الرجوع لبذله
فيذوق ملح البحر عذب فراته

• • •

وتقدم الشاعرة جليلة « رضا » وصفا لمجرى النيل من منبعه الى مصبه فتصوره حيا من الأحياء يمر بأدوار الحياة جميعها :

جاء الدنا من ظلمة الأحشاء
ومن الصخور الصم فى العلياء
رشفته من ثغر السماء مطهرا
وهو ارتوى من عزمها المضاء
وحبا الصغير على بساط من حصى
متهامسا فى رقة وصفاء
متدحرجا نحو الوجود بفرحة
مترقرقا كالفضة البيضاء
فاذا رأى الدنيا تمد أمامه
صدرا رحيبا واسع الأرجاء
وثبت خطاه كان وحشا ضاريا
ينقض فوق فريسة عزلاء
ومضى مع الأمواج يغزو قمة
ويضم هاوية على استخفاء
متكسرا حينا وحينا هادرا
مترنحا ثملا على استحياء

• • •

وتتابع الشاعرة النيل فى مجراه حتى تبلغ به أقصى الشمال فتقول عن هذه النهاية :

والى الشمال يسير حرا واهيا
عبر المدى جزءا من الأجزاء
ويسير والأقدار تحدو خطوه
والبحر يدعوه بلا ابطاء
حتى اذا بلغ المصير رأيته
قد ضاعف الأمواج فى استهزاء
ورنا طويلا نحو أفق سمائه
متأملا فى نظرة الحكماء
ثم انثنى مستسلما لقضائه
متسربلا بالخلد كالشهداء

ويأتى حديث الطبيعة المزدانة بالجمال على ضفاف النيل غزيرا وغيرا غزارة هذا الجمال ووفرته ، ومن ذلك قول محمود حسن اسماعيل :

تفجر فى صفحتيه الجمال
ورف على جانبيه الخلود
وطوف ريحانه فى الجنان
وفى كل منضورة بالوجود
يفتش من روضة برة
بفىء الظلال الرطيب الرغيد



وعن سحرها فى ركاب الضحى
وقد لبست ارجوان الورود
تاطر فى حلة من شعاع
موشى بطل الصباح النضيد
اذا شامت الخلد فى مجده
تجر على الخلد ضاف البرود

وكم كان النيل باعثا لحديث الشعراء عن وحدة وادى النيل وجنوبه وشماله فهو يجرى بين أبناء الوادى لا يفرق بينهم فى العطاء ، فكيف يفترقون فى الحياة ؟ يقول على محمود طه :

اخى ان نزلت الشاطئين فسلهما
متى فصلا ما بيننا بحدود
رمانى نذير السوء فيك بنباة
فجلل بالاحزان ليلة عيدى
غداة تمنى المستبد فراقنا
على ارض آباء لنا وجدود
اخوتنا فوق الذى مان وادعى
وما بيننا من سيد ومسود
وما مصر والسودان الا قضية
موحدة فى غاية وجهود

وفى رمزية معبرة عن وحدة الأصل يقول صالح جودت :

جمعتنا رضعة النيل فما
نحن فى الرضعة الا توأماها
وتمتنا امة من يعرب
شرف الله بشعبنا اباها
وازدهتنا اللغة الفصحى التى
نزل القرآن فيها فازدهاها
مصر والسودان هل كانا سوى
جنة يجتنب الدنيا شذاها

— ٤ —

تلك أمثلة من شعر شعراء مصر فى النيل ، فما حظ شعراء السودان فى هذا الديوان ؟

للشعراء السودانيين نصيب كبير فى هذا الديوان ، وفيه نرى تنوع المشاعر ، وتعدد الرؤى ، التى تلتقى مع مشاعر ورؤى اخوانهم المصريين حول النيل .

ففى وقفة الاعجاب والاجلال والفخار يقول الشاعر السودانى صالح عبد القادر :

ايها النيل صاحبى
اجر لا زلت صاحبى
اجر يابن السماء فى ال
ارض ذات العجائب
كل حسن على ضفا
فك أحلام كاعب
وخيال لشاعر
وابتكار لكاتب
وأراجيز عاشق
وترانيم راهب
وعزاء لفاقد
واشتياق لغائب
انت ياباعث الحيا
ة عظيم المواهب
انت همى وشاغلى
وطليبى وطالبى

وقد شدا الشعراء السودانيون بالطبيعة الجميلة التي نمت على شاطىء النيل ، ومن الحديث عنها قول مبارك المغربى :

ليس هذى ربا ولا تلك هـاء
شـاطىء النيـل جنـة فيحاء
انه السحر يستميل هوى النفـ
ـس ويغرى القلوب كيف يشـاء

فيه من روعة الخيـال صنوف
فيه من فتنة الجمـال بهـاء
ارأيت الأزهار فى الضفة الخضـ
ـراء تعلو او يمسـها الانداء
جذبتنى اليه والحسن عندى
من ليـاليه قمـراء
شاقنا منه سحره ومجـاليـ
ـه نفح النسـيم والاغراء
شاطىء النيل جنة اللـه فى الـ
ارض يغنى جمـالها الشعراء

ولهم كذلك حديث صادق عن توحيد النيل لأبناء الوادى وضرورة العمل على التكامل بين شطريه ، وفى ذلك يقول الشاعر مصطفى طيب الأسماء من قصيدة بعنوان « النيل يتحدث الى توأميه » :

ضممتكما برا وما ضقت ساعة
بأمـر ولا ضـنت يداى بنائل
ولا جف منى مترع فى انسيابه
حفى دفوق الخير ليس ببـاخل
شققت صخورا أعيت الدهر همة
وجزت الفيافى ماحلا بعد ماحل
ولم يثننى طول السرى ومطاله
ومر الليالى والضحى والأصائل

وما كان همى غير جمعى أرومة
سعيت لها منـذ القرون الأوائل
فارويتها تبعى فضـاض وفاؤها
كفيضى ولم تخدع ببهمة عاذل
اخاء على مر الزمـان والفـة
تحـدوا بها كيد العدو المصاول

ثم ينادى قائلا :

الا فاحذروا كيد العداة فانهـم
يقيمون أشراك الردى والغوائل
الا فاذكرا عهدا تخلد مجـده
وسارت به الأيام بين المحـافل

الا فاذكرا أنى رعيت تراكمـا
وامرعته بالخيـر ثر الجـداول
وكونا على وفق من الأمر محكم
يرد لأهل الحق صفو المنـاهل
يصان به عهـد الاخاء وترتوى
به رحم حرى وتشفى غـلائل

ـ ٥ ـ

وفى الديوان تحيات متبادلة بين شعراء مصر والسودان ، وهى تنبع من العاطفة الصادقة والشعور الودود ، وهى عنوان للحديث الذى يكون بين الأشقاء الأحباء ..

وفى عبارة حانية ونداء رقيق يقـول عزيز أباظة :



يا جيرة الجنب واهل الهوى
والعهد لا عاد خلاف غير

انا بنود واد اذا ضمنا
الفين كنوين ريا وازدهر

لا تسمعوا الواشى يدعو الى
نكر وفينا الحازم المدكر

قد لم هذا النهر من شملنا
فكيف يوهى الشمل هذا النهر

الماء فيما بيننا نعمة
وكل شرب بيننا محتضر

انتم سواد العين منا وهل
يصلح الا بالسواد النظر

ومن نفس هذا النبع الأخوى نرى الشاعر السودانى مبارك المغربى يقول :

يا اخوة النيل يا اغلى امانينا
طبتم وطابت بكم امجاد وادينا

اهلا بكم فى الحنايا فى جوا
نبنا يا حبنا يا لقاء بين اهلينا

اواصر الود ما زالت تقربنا
رغم العدا ودم القربى ينادينا

انا ــ وقد كذب الواشون ــ لا محن
تقوى علينا ولا الأهوال تثنينا

الفان صنوان اعددنا لأمتنا
جيلا جديدا صنعناه بايدينا

ــ ٦ ــ

تلك وقفات يسيرة عند بعض قصائد هذا الديوان ، فيها دلالة موحية ، وفيها اغراء لمن أراد المزيد ... ولسنا فى مقام النقد لشعر شاعر ، فالشعراء هنا ليسوا موضع الدراسة ، ذلك لأن النيل كان موضع الحديث وموضوع الشعر ، ومن ثم كان الاقتصار على هذه الجولة فى ثنايا عرض الموضوع .

بقى أن نشير الى ان هذا الديوان هو بمثابة بضاعة حاضرة ، ومادة ماثلة موثقة، وهو بذلك يزداد اغراء للباحثين المعنيين بالدراسات الأدبية المتخصصة .

ا . د طه مصطفى ابو كريشة



الباحث عن الحقيقة

للمرحوم محمد عبد الحليم عبد الله

من منظور الفن الروائى (٧)

للدكتور فتحى محمد أبو عيسى

كان « عبد الحليم عبد الله » يميل الى توشية أسلوبه بالصور البيانية ، تنساب بين عباراته لتحمل الينا رقيق مشاعره وذوب احساسه على ان احتفاله بذلك التصوير لا يعنى ان الكاتب يفتعل تلك الصور ، أو يتصنعها فما مثل « عبد الحليم » ممن افعمت نفوسهم بحب العربية وأشربوا الاخلاص لعظمتها والتمرس بها يقسر قلمه على تصيد عبارة من هنا وعبارة من هناك يضمنها تصويرا يرهق كتابته بيهظها بأنماط منه تحتفل بها أعماله الروائية بلا استثناء .

ولست أرى فى هذا بأسا أو غضاضة .. فحيث جاء التصوير مرتبطا بذات الكاتب غير منفصل عنها كانت هذه من السمات الفنية التى ينبغى أن تكون محسوبة للكاتب لا عليه .

ويغلب على ظنى أن ما أثاره النقاد حول التصوير الفنى فى روايات « عبد الحليم » فيه شىء من الظلم أو الهضم لفنه وممن أدرك هذه الحقيقة المستشرق (موتو) الذى يذكر فى مقدمة « قصة لم تتم » .

ويتميز أسلوبه (يعنى عبد الحليم) « بتشبيهات لامعة وانه يحب الصور الواقعية التى يرسمها بريشته الا أن الرسم الذى أبدعه بريشته تدب فيه الحياة » (١) .

والذى لا خلاف عليه بين معظم النقاد — ان لم يكن جميعهم — أن « عبد الحليم » قد ضرب بسهم وافر فى استخدام الفصحى اطارا لرواياته فكم شغف بها حبا ، وليس ذلك بدعا يحمل فى مطاويه دهشة أو غرابة — فعبد الحليم انما كتب بالفصحى لأنه فقه أسرارها ولم يكن ذلك ديدنا لأكثرية الكتاب

---

(١) نفسه ٢٦ — انظر مقدمة «قصة لم تتم» ص ٥٤ .

←

بل لرهط منهم بـرز بينهم « عبـد الحليم عبد الله » باعتباره كاتبا له من ثقافته ومرباه ما يعينانه على ذلك (١) .

٦ ــ ومن الحرى بالتنويه أننا لا نستطيع أن نفصل بين « اللغة » و « الأسلوب » عند « عبد الحليم » وهذه قضية لا نتلبث أمامها بالمناقشة اذ أن من المعلوم **أن الاسلوب كلمات تعانقت أو انتظمت في سلك واحد ، واختلاف بعض الأسـاليب عن بعض يرجع في حقيقـة الامر وجوهره ــ الى ماالوحدات هذه الأساليب من طابع أو خصائص .**

في ضوء هذا المعنى نؤكد أن (عبد الحليم) لم يترخص في استخدام الفصحى وهـذا ماتنطق به أعماله الروائية بل وما يقرره هـو كذلك بصدد الاجابة عن سؤال يتصل بما نحن فيه :

قبل أن أجيب عن سؤالك هذا اسمح لى أن أسألك : من أثار قضية الحـوار في محيطنـا الأدبي في فن الرواية ؟

وأجيب بالنيابة عنك فأقـول : ان الـذين أثاروا هذه القضية هم نفس الذين لايحبون أن يكتب أحد بالفصحى فهم اذا ما تكلمـوا عن الفن الروائى أبدوا أنه لا مانع من أن يكـون السرد بالفصحى ، على شرط أن يكون الحوار بالعامية لأنها هي اللغة الطبيعيـة التي يتكلم بها أشخاص القصة وبالتوافق هذا الى حـد أنهم كانوا يصورون الكلمات في الحوار بلهجات أصحابها بلهجة « الخواجة » و « الصعيدي » و « النوبي » وهذا في نظرى عمل باطل لأنني سأفرض انني أكتب رواية على لسـان فلاح صعيدي فماذا أعمل لكي أرضى أصحاب هذه النزعة ؟ على اذن أن أرتبط بالمستوى المعـروف لهذا الشخص فيأتى عملى الواقعـى صـورة فوتوغرافية خالية من سحر الابداع .

ثم يذكر أن « اللهجة العـامية » تختلف في البلد العربي عنها في البلد الآخر ، بل تختلف من بقعـة الـى بقعـة في البـلد الآخـر ، والعمـل الروائـى يكتبـه صاحبـه وهو يحلم أنه سيخلد ، فكيف يختار له لغـة تتغـير من زمن وزمـن ، ومن بقعـة الـى بقعة ؟ (٢) .

لننظر اليـه في « الباحث عن الحقيقـة » وكيف يحافظ على الكلمة العربية وسنجتزئ بقليل من الأمثلة فيه الغناء عن ايراد كثـير من النماذج :

(أ) ودخل الليل فجاء أبوه ، ألقى عليـه نظرة وأطفأ النـور وأغلق البـاب وانصرف وسكنت القرية ليس فيها الا أنفاس الرياح ثم أخذ البرق يلمع وليس هناك صوت مطر ، لكن الرعد على ارتفاع عظيم كجبال من الحجـارة يأتي صداها الى الأرض (٣) .

(ب) وانكب العابد على المنسـج وجلس الفارس يراقب خيوط السدى محدودة وبينها يجرى العابد خيوط اللحمة بأصابعه المعروفة بلا أدنى مشقة (٩) .

(جـ) وأخذ يستعيد تفاصيل رحلته وهـذا

---

(١) انظر الرواية العربية في رحلة العـذاب ٢١٤ غالي شكري .

(٢) مجلة الآداب (مايو ١٩٦٤) .
(٣) الباحث عن الحقيقة ٢١
(٤) نفسه ٥٦

اليهودي الذي باعه الآخر وملامح شخصية السيد الجديد (أبو كعب هذا) انه وقومه الذين يسكنون الآن بين ظهرانيهم منذ بضعة شهور يمتازون بالجبن ، ليسوا أهل حرب ، همهم أن يزرعوا ويحصدوا ويبيعوا ويكنزوا وأحس الفارس أن (أبا كعب) رجل لين العريكة تمكن الاقامة عنده الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا (١) .

فما يكاد القارىء المثقف يطالع هذه السطور حتى يحس أن « عبد الحليم » يقبس من التعبير العربي ومن ألفاظه . وما هذه الألفاظ : يدمدم . ظهرانيهم العريكة ــ حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا الا دلائل قاطعة تدعم موقفه من (الفصحى) ونزعته اليها في كتاباته .

واذا كانت هذه النزعة تلفت أساسا الى القرآن الكريم وروائع الأدب العربي شعره ونثره على سواء فليس غريبا أن تجىء ألفاظه وعباراته مغلفة بمسحة من القرآن أو الشعر ، وفي الألفاظ والعبارات السابقة تعبير قرآني برمته (**حتى يقضى الله امرا كان مفعــولا**) فقد نظر الى آية في كتاب الله :

« **إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا** » (٢) .

وليس يضير الكاتب الروائي أن يكون (كلاسيكي) المذهب على حد ما ذهب اليه الدكتور « أحمد كمال زكي » في روايته

(١) نفسه ١٠٦
(٢) الانفال اية (٤٢)

« الجنة العذراء » حيث قال :

ومن هنا ينتمي « عبد الحليم عبد اللــه » الى المدرسة الكلاسيكية سواء صدر عن حس واقعي أو تعويم وسواء تمسك ببلاغة المقامة أو اصطنع الأسلوب المرسل (٣) .

والملاحظ أن (عبد الحليم) يهوى التطلع الى الماضي يستروح نسائم التعبير الحي فيه ، واذا كان قد التفت الى القرآن الكريم (النموذج الأمثل للبلاغة والاعجاز) فان ولعه بالرجز يأبى عليه الا أن يضمن روايته (الباحث عن الحقيقة أبياتا من الرجز جاءت على لسان الحادي :

يانخــل تحت ظلــك الحبيب
يا ليت لي في الظــل من نصــيب
فَدَيْتُ من اذا رأيت طلعتــه
رأيت بدر الليل يحــكى صــورته
يا ليت لي في الظــل من نصــيب
يا نخــل تحت ظلك الحبيب (٤)

على أن تعبيره في « الباحث عن الحقيقة » ــ وله سمة الوضوح والنصاعة يجنح أحيانا الى التفلسف ، وأحيانا يسوقه التعبير الى رحاب المتصوفة .

ومن الأول ما جاء على لسان « سلمان » . مالك صامتا انك لا تجد اليقين ؟ حسن . هذا

(٣) مجلة الرسالة الجديدة فبراير (١٩٥٤)
(٤) الباحث عن الحقيقة ٨٥

خير وأنا مع يقيني اشعر أنني أبحث عن شيء فبعض اليقين مرحلة ليقين أعظم (١) .

ومن الثاني قوله كذلك :

« حبي جديد قديم لا أول له ولا نهاية لأنه عبير ذلك المحبوب » (٢) .

وأيضا : « ولكن في القلب قوة أعظم وهناك شوق مبهم يخالطه وعد ومن باللقاء وأحضان في رحابه الأبدية ودفء الحياة كلها بأنواع الدفء : الريش والزغب ، والشمس والحب(٣)

هذا الاطار التعبيري الرصين الذي احتذاه « عبد الحليم » في أعماله الروائية لم يلبث أن فجر القضايا النقدية وأخذ النقاد يتناولون « عبد الحليم » بالنقد .

ومن أسف أن جمهرة النقاد عندنا تحاملت على « عبد الحليم » في قسوة شد ما كان لها ظل يعاني منه الى أن لفظ أنفاسه الأخيرة .

ولست أدري لم كانت حملة النقاد عليه شرسة ؟ الانهم رأوه رجلا كريما على نفسه يتأبى على النفاق الكذوب والملق الرخيص ، والمجاملة الزائفة فأغراهم ذلك الى أن يقفوا من أدبه الموقف المعروف ، أم تراهم في ذلك كانوا ينشدون الحق ، والحق وحده ؟

كتب الأستاذ « فتحي سلامة » في الصفحة الأدبية من جريدة الأهرام ما يلي :

« صرخ » « محمد عبد الحليم عبد الله » بعد أن ضاقت نفسه بظلم أجهدها ، وقال لماذا تتجاهلوني ؟ انني لا أطمع في تقريظ أو مديح وانما أتلهف حقا الى معرفة مكانيتي ككاتب « مصر » وبعدها بأيام رحل الى العالم الآخر وظلت ، صرخته دون مجيب ثم يذكر قائلا :

« وقلة قليلة من النقاد لا يزالون يهتمون بأعماله الابداعية ولكن حتى تلك ، الدراسات القليلة التي تناولت روايات « عبد الحليم عبد الله » لم تنصفه كل الانصاف ولم تعطه حقه الذي كان يجب أن يحصل عليه .

ان الكاتب ضمير أمته وصوتها المتأثر بما تعانيه ، وقد كان « عبد الحليم عبد الله » أنموذجا لذلك الكاتب الانسان وقد آن الأوان لانصافه لقد عاش صوتا مظلوما ومات وقد ترك لنا أعماله الأدبية أمانة لكي نؤديها الى الأجيال القادمة فهل يمكن اعادة اكتشافه (٤) .

تناول النقاد محمد عبد الحليم من زوايا متعددة منها :

(أ) أنه اتجه الى مخاطبة القارىء في بعض أعماله الروائية ، كما أنه كان يلجأ الى ضمير المتكلم أو ضمير المتكلمين ، ويعزو الدكتور « شكري عياد » استعماله أسلوب المتكلم الى انفعاله بالموضوع الذي يعالجه .. يقول :

« وفي جميع أعماله الجديدة وجد ـ كأنما بطريق المصادفة ـ أن استعمال أسلوب المتكلم يناسبه أكثر مما يناسبه أسلوب الغائب ولم يخرج عن هذا الأسلوب بعد روايته الأولى (لقيطة) الا في رواية واحدة لا أحسبه رضي عنها كثيرا وهي « الوشاح الأبيض » ...

---

(١) نفسه ٤٠
(٢) نفسه ٣٤
(٣) نفسه ٢٥

(٤) الاهرام الصادرة بتاريخ ٦ يوليو ١٩٧٩ .

والواقع أن أسلوب المتكلم لم يزل ــ الى الآن على الأقل ــ هو أنسب الأساليب للتعبير القصصي عند « عبد الحليم » فهو يسمح له أن يصبغ روايته كلها بالصبغة الانفعالية التى يتلبسها حين كتب وأن يسقط الجوانب المختلفة للحقيقة فلا يرى الا جانبا واحدا يمضى معه الى آخر الشوط وكأنه شاعر ينظم قصيدة (١) .

ولا يتوهمن أحد أن « عبد الحليم » لم يعدل عن استعمال أسلوب المتكلم الا فى روايته « الوشاح الأبيض » « فالباحث عن الحقيقة » كذلك لم يحاول فيها استخدام أسلوب المتكلم، وروايات أخرى كالجنة العذراء والبيت الصامت وغيرهما فلم تكن رواية « الباحث عن الحقيقة » والروايات الأخرى قد صدرت بعد :

(ب) ويتصل بذلك ما قيل عنه من أنه كاتب يوغل فى الذاتية ويغرق فيها متناسيا أن كل ذلك يقع على حساب المضمون ، ولعل النقاد ارتأوا فى أعماله الروائية هذا الاتجاه بسبب تصريحاته فى أكثر من مناسبة بأن « الشخصية القصصية بالنسبة للروائى مستمدة من أعمق ذكرياته وأصدق تجاربه (٢) .

وقد يكون مبعث هذا الاتجاه عند « عبد الحليم عبد الله » أنه رأى النقاد يتجاهلونه فأراد أن يؤكد هذه الذاتية فى بعض الأعمال الروائية لتكون رد فعل على موقف النقاد منه ... بالاضافة الى أن الكاتب لم

(١) تجارب فى الأدب والنقد ١٧٥ .
(٢) مجلة القصة (عدد نوفمبر ١٩٦٤) .

يكن نشازا « فى هذا المجال » فمن قبله لجأ كثير من الكتاب العالميين والعرب الى ذواتهم يمتاحون منها (٣) .

وفضلا عن هذا كله عاش « عبد الحليم عبد الله » (معاصرا لعدة أجيال أدبية فهو من ناحية يقف جنبا الى جنب مع السلف من أعلام الجيل الرائد أمثال طه حسين ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، وهو من ناحية ثانية يحتل منزلة مرموقة فى طليعة جيله الثانى مع زملائه أمثال : « نجيب محفوظ ، عبد الحميد جوده السحار » و « عبد الرحمن الشرقاوى » وهو من ناحية ثالثة يقف موقف الرائد أو على الأقل موقف الأديب المقروء بالنسبة لمن تلا جيله من أجيال أدبية » وربما كانت معيشته بين هذه الاجيال الثلاثة دافعا له الى الحرص على تلك الذاتية حتى لا يكون مغمورا أو مجهولا بين كتاب هذه الأجيال (٤).

(جـ) ومما أثاره النقاد حوله كذلك أن أسلوبه الأدبى أشبه ما يكون بأسلوب « المنفلوطى » « والزيات » فقد راقه أسلوبهما فنسج على منواله صياغة وصورة .

ومع ما قررناه آنفا من أنه تأثر بجيل من الأساتذة برز بينه « المنفلوطى » فالقضية

(٣) قضايا الفن القصصي ٨٦ .
(٤) اقرأ اهرام الجمعة (٦ يوليو ١٩٧٩).

تحتاج الى مزيد من الايضاح .. فان كان مراد هؤلاء النقاد الذين يربطونه بعجلة « المنفلوطى » « والزيات » أن أسلوبه يحمل الى قوة المضمون رواء الصياغة واشراقة العبارة سلمنا لهم ما يقولونه تماما اذا أرادوا بذلك مطعنا فى أدبه ، أو مغمزا فى اتجاهه من أنه أسلوب أجوف لا ينطوى على فكرة أو مضمون فان القضية حينئذ ــ لا ينبغى التسليم بها وكيف وأعماله الروائية ذات مضامين قوية تنبىء عن عقلية ناضجة والتئام بالمجتمع وملاحظة لما يدور بين جنباته وتحليل نفسى ، وقد تكون الأمثلة التى عرضنا لها من روايته « الباحث عن الحقيقة » فى السطور السابقة كافية فى الرد على هذا الملحظ الذى يمكن أن يكون سلاحا ذا حدين .

وممن فطن الى هذا المعنى الأستاذ « عباس خضر » حيث قال :

« ومن أخطاء النقاد عندنا أنهم شبهوا » « عبد الحليم عبد الله » « بالمنفلوطى » والزيات فى أنه سلك مسلكهما فى الصياغة الأدبية وقال قائلهم ، وهو يخفى فى نفسه خبث المرمى : انها أسرة واحدة جدها « المنفلوطى » الذى أنجب « الزيات » الذى أنجب « عبد الحليم عبد الله » والجلى فى هذا الكلام أن كتابات هؤلاء وفى جملتهم « عبد الحليم » مما يسمونه « أدب الكساء » ويعنون به أنه لايؤدى مضمونا جيدا ، أو بعبارة بسيطة يهتمون باللفظ على حساب المعنى وما أبعد ذلك عن الصواب ، فعبد الحليم عبد الله » له خصائص أخرى بعيدة كل البعد عن ذينك الكاتبين منها الافراط فى التشبيه واستخلاص الحكم والعبر مما يتسلل ويفرض عليه من المعانى ومشاعر النفس الانسانية وأعتقد أن الطلاوة اللفظية متوافرة عن « المنفلوطى » و « الزيات » كل فى مذاق زمانه أكثر مما هى فى كتابة « عبد الحليم » وهذه الكتابة أقرب الى الدوام فى الأزمنة المختلفة فعبد الحليم عبد الله يقرأ له قارىء الأدب بعد زمنه ويقبل عليه أكثر مما يفعل بالنسبة الى « المنفلوطى » و « الزيات » (١) .

ولا يغيب عنا ما سبق أن أوردناه من نقدات أخذت مكانها من تلك الدراسة .

فلكم هو الكاتب الروائى « عبد الحليم عبد الله » وذلك فنه من خلال « الباحث عن الحقيقة » وفيما قدمناه عنه من بعض المواقف ما يعين على ابراز قسمات فنه ، ويتضافر فى الكشف عن خصائصه ومزاياه .

---

(١) الثقافة سبتمبر ١٩٧٧

د . فتحى محمد أبو عيسى



مالاتعرفه عن المركز الاسلامي بلندن

للأستاذ مدحت تمام

يقع المركز الاسلامى فى حى : ريجنتز بارك Regent's Park وهو من اشهر احياء لندن •

وتتصل به من الخلف حديقة ريجنتز بارك الشهيرة ، وقد تكلف بناؤه نحو عشرين مليون جنيه •

ويتكون المبنى من مسجد ، يعتبر من أكبر مساجد بريطانيا ، ويعتبر المركز احدى تحف الفن الاسلامى المعمارى ، وبه مكتبة ، وقاعة للمحاضرات ، وقد ألحق به جناح خاص بسكنى العاملين •

* تعود فكرة انشاء المركز الى أوائل السبعينيات ، وعمل د • محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الاسبق جاهدا حتى تم انشاؤه •

* للمركز مجلس امناء مكون من السفراء المسلمين المعتمدين بالملكة المتحدة ويرأس المجلس أقدم السفراء •

* يتفرع عن المجلس لجان عدة ، اهمها :

(أ) اللجنة المالية والادارية ، وتختص بمهام الميزانية والتعيينات •

(ب) لجنة الشئون الثقافية : وتشرف على البرامج الثقافية الاسلامية والتعليمية والمطبوعات •

(ج) لجنة الشئون الدينية : وتهتم بالمشاكل التي تواجهها الجالية الاسلامية لتقدم لها حلولها الدينية •

* يعين مدير المركز بموافقة مجلس الأمناء ، ويعاونه بعض الأعضاء الموجودين به ويتولى النظر فيما يعرض على المركز من شئون يومية ، ويشرف عليها ، وينفذها •

* يقوم الأزهر بامداده بالعلماء والوعاظ والمطبوعات التى يصدرها مجمع البحوث الاسلامية ، وغيره من منشآت الأزهر ، كذلك توفد بعض الدول الاسلامية ــ وخاصة ــ السعودية ــ اعضاء فنيين ينضمون الى جهاز المركز ولجانه •

ميزانية المركز :

تتكون ميزانية المركز من :

(أ) حصص سنوية تدفعها الدول الأعضاء •

(ب) عائد وقف أنشأه الملك خالد بن عبد العزيز ــ رحمه الله •

(د) حصيلة صناديق التبرعات الموجودة بالمركز وبعض المساجد •

المركز الاسلامي بـ «لندن»

(د) اشتراكات المجلة التي تصدر باللغة الانجليزية كل ثلاثة أشهر .

(هـ) رسوم عقود الزواج .

(و) بعض التبرعات الفردية .

وتبلغ ميزانية المركز نحو « مليون جنيه استرليني » .

أنشطة المركز :

(أ) اقام الصلاة اليومية ، والجمع ، والأعياد .

(ب) اصدار الفتاوى ، والرد على الأسئلة الموجهة الى المركز في شئون اسلامية .

(جـ) اجراء عقود الزواج .

(د) المصالحات الأسرية ، وتوثيق الطلاق.

(هـ) تنظيم محاضرات بالمركز .

(و) القاء محاضرات عن الاسلام في المدارس والجامعات والكنائس .

(ز) ادارة فصول دراسية تعقد يومي السبت والأحد من كل أسبوع لتعليم مبادئ الاسلام .

(ح) اصدار مجلة فصلية Islamic quarterly

(ط) نشر بعض الكتب ، واصدار بعض الدوريات للتعريف بالجوانب الثقافية للاسلام .

(ى) زيارة المساجين المسلمين ، والتعاون مع وزارة الداخلية البريطانية في تعيين أئمة بالسجون .

(ك) زيارة المرضى المسلمين .

(ل) التعاون مع الجمعيات والهيئات الاسلامية الأخرى في جوانب الثقافة والتعليم وما يهم شئون الجالية الاسلامية .

مدحت تمام

هبة الأرض

س : من السيد / محمد محمود عبد الغفار .

وهب رجل قطعة من الأرض لتضم الى ارض اخرى لاقامة مسجد عليها ، وقد تسلمها القائم بمشروع بناء المسجد ، واقيم المسجد بالفعل ، واقيمت فيه الجمعة والجماعات :

وبعد عشر سنوات اراد الواهب الرجوع في هبته ... فما الحكم ؟

ج : هبة الأرض لتكون مسجدا لله وقف لمصلحة المسلمين فلا يجوز الرجوع فيها ، وخصوصا أنها أصبحت جزءا من المسجد فعلا .

لايجوز .. إلا ..

س : من السيدة / آمال .. ع .

في مؤتمر الأطفال المعوقين اباحوا الاجهاض اذا كان الجنين مشوها . علما بان بعض الأطباء اباحوا الاجهاض في الأشهر الثلاثة الأول ، والبعض الآخر اباحه في جميع أشهر الحمل لهذا السبب . فما الحكم ؟

ج : اذا كان الجنين قد نفخت فيه الروح فلا يجوز الاجهاض الا اذا ترتب على عدم

فتاوى

إعداد
عبد الحميد شاهين

يجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

الاجهاض موت الأم .

ويجوز الاجهاض للجنين قبل نفخ الروح فيه وذلك فى حدود ثلاثة أشهر اذا ثبت يقينا أنه سيولد مشوها ولم يكن فى الاجهاض خوف على حياة الأم .

الآيات فى المساجد

س : من السيد / محمود محمد على فودة .

يوجد باحد المساجد « براويز » احدها كبير وبه « سورة يس » والآخر به « آية الكرسى » معلقان على الحائط فى اتجاه القبلة فما الحكم ؟

ج : لم يرد نص من الشرع بوضع الآيات القرآنية أمام المصلين أو على جانبهم الأيمن أو الأيسر ، كما لم يرد نص بتحريم ذلك .

وحينئذ يكون كتابتها أو تعليقها فى أى اتجاه على الاباحة الأصلية ..



فى الميراث

س : من السيد / عبد السلام على .

توفى رجل عن : بنت . اخت شقيقه . اولاد عم شقيق . فمن يرث وما نصيبه؟

ج : للبنت النصف فرضا ؛ لا نفرادها لعدم وجود من يعصبها .

وللأخت الشقيقة الباقى تعصيبا .

ولا شىء لأولاد العم لحجبهم بالأخت الشقيقة لأنها صارت عصبه مع البنت ، كما لا شىء للاناث من أولاد العم لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

س : من السيدة / زينب . م ١٠

توفى رجل عن : أخت شقيقة ، أولاد أخ شقيق ذكور واناث ، أولاد أخت شقيقة . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأخت الشقيقة النصف لعدم وجود من يعصبها أو يحجبها ، والباقى للذكور من أبناء الأخ الشقيق تعصيبا يقتسم بينهم بالتساوى .

ولا شىء للاناث من أولاد الأخ الشقيق .

ولا لأولاد الأخت لأنهم من ذوى الأرحام .

أنباء العالم الإسلامي

فضيلة الامام الاكبر يزور نيجيريا

يسافر فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على رأس وفد من علماء الأزهر الى نيجيريا . ومن المقرر أن يقوم الامام الاكبر بافتتاح عدة مدارس ومؤسسات اسلامية بنيجريا كما يبحث شئون الدعوة الاسلامية هناك .

الدول الاسلامية تحتفل بالعيد الألفى للأزهر

استقبل فضيلة الدكتور / محمد السعدى فرهود وكيل الأزهر السيد / زين الدين الحاج أحمد الملحق الاعلامى بسفارة ماليزيا ، حيث اطلعه على البرامج التى اعدتها ماليزيا للاحتفال بمرور الف عام على انشاء الأزهر الشريف فى الوقت الذى تحتفل فيه مصر بهذه المناسبة . وتشمل هذه البرامج اقامة احتفالات مركزية ومحلية لاذاعة القرآن الكريم بمحطة الاذاعة وعرض أنشطة ثقافية متنوعة وتقديم عروض سينمائية عن مصر والأزهر .

تشارك فى هذه الاحتفالات جمعية الصداقة المصرية الماليزية .

الامام الاكبر يستقبل رئيس وزراء ولاية « ملاكا » بماليزيا

استقبل فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الوفد الماليزى برئاسة عبد الرحيم بن داتو رئيس وزراء ولاية ملاكا بماليزيا . ودار الحديث حول احوال المسلمين هناك .

وطلب رئيس الوفد من الامام الاكبر امداد الولاية بالكتب العلمية والدينية ومساهمة الأزهر فى تدعيم المؤسسة الاسلامية بولاية ملاكا حتى تؤدى دورها فى توعية المسلمين .

وقال فضيلة الامام الاكبر أن الأزهر على استعداد لتلبية رغبات المسلمين فى العالم الاسلامى . وتمنى فضيلة الامام الاكبر : أن ينشا على هذا المشروع الطيب جيل يحفظ القرآن الكريم ويرعى تعاليم الدين .

فى نهاية اللقاء وجه رئيس الوفد الدعوة الى فضيلة الامام الاكبر لزيارة ماليزيا .

انشاء معاهد أزهرية جديدة

وافق الدكتور أحمد فؤاد محى الدين رئيس مجلس الوزراء على انشاء معهدى أبو غالب الابتدائى بمركز امبابة بالجيزة ، ومعهد فتيات كفر صقر الثانوى بمركز كفر صقر شرقية وضم المبنى المقام بكل منهما للأزهر .

كما وافق على انشاء معهد تلبانة الابتدائى بمركز المنصورة دقهلية وضم المبنى المقـام عليه للأزهر .

الشـعب المصرى يوافق على تطبيـق الشريعةالاسـلامية

فى الاستفتاء الذى أجـراه مؤخـرا المركز القومى للبحوث الاجتماعية فى القاهرة جـاء فيه : أن الغالبية من شـعب جمهـورية مصر العربيـة ، توافـق على تطبيـق الشريعـة الاسلامية . وقد شمل البحث الذى اشرف عليه الدكتور احمد محجوب رئيس وحدة العقـوبة والتدابير الاصلاحية بالمركز ، وشـمل عينـة واسعة من الجماهير بلغت ٢٤٢٨ شـخصا من جميع الفئات والطبقات فى مـدن القـاهرة والاسـكندرية والمنصورة وسـوهاج ، وافق ٩٦٪ منهم على تطبيق الشريعة الاسلامية فى مصر .

ملحق دينى بكل سفارة مصرية بالخارج

صرح الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الدولة للأوقاف ، بانه سيعمل على ايفاد موجه دينى بكل سفارة مصرية بالخارج .. وستزود السفارات بالكتب الدينيـة والثقـافية الاسـلامية والمطبـوعات ، وتسجيلات القرآن الكريم ، لتكون تحت تصرف الموجهن الدينيين الملحقين بهـذه السفارات . كذلك سيتم العمل على دعم المراكز الاسـلامية بالخـارج وتبـادل الوفود والزيارات مع العالم الاسلامى.

الهـدى القرآنى

عقدت رابطة الشـباب المسـلم العربى فى الولايات المتحدة الامريكية مؤتمرها السنوى الخامس ، وذلك فى مدينـة « فورت ورث » بولاية تكساس ، تحت شعار ، الهدى القرآنى ، ويشير دليل المؤتمر الى أن الرابطة قد طرحت افكارا حول الدعـوة والعمـل الاسـلامى كموضـوعات للمناقشة والدراسة من تقويم للواقع الى بناء الشخصية المسلمة ، ثم التغيير الاسلامى ، فالأسوة الحسنة .. ويأتى هـذا المؤتمر ليقدم سمات القرآن الكريم ، والهدى القرآنى ، فى وقت تشتد فيـه الحـاجة الى الاعتصام بكتاب الله تبارك وتعالى .

مؤتمرات اسلامية بالولايات المتحدة

شهدت مدينة « انديانا » ثلاثة مؤتمرات علمية اسلامية ، عقدت جنبا الى جنب ، وكان الهدف من هذه المؤتمرات توفير تصـورات اسلامية فى مختلف مجالات العلوم الطبيعيـة والانسانية .

ــ مؤتمر العلماء الاجتماعيين المسـلمين الفكر السياسى الاسـلامى ومؤسسـاته فى العالم الحديث .

ــ مؤتمر العلماء والمهندسـين المسـلمين : العلم والتكنولوجيا لتطوير العالم الاسلامى .

ــ المؤتمر الأول للمكتبيين المسلمين : تنظيم وضبط المعلومات للبحوث الاسلامية .

باكستان اغلقت جميع الملاهى

اعلن فى اسلام اباد ان الحكومة الباكستانية قد اغلقت جميع دور اللهو فى كافة انحاء البلاد .. وذلك بعد ان اصدر مجلس الشورى الباكستانى قرارا بالغاء هذه الملاهى وذلك منذ اكتوبر الماضى .

وقد ناشد أعضاء مجلس الشورى الباكستانى جميع الدول الاسلامية باغلاق دور الملاهى بها واعتبار ذلك أول خطوة حقيقية لتطبيق الشريعة الاسلامية .

وقد لاقت هذه الخطوة الايجابية ردود فعل بالدول الاسلامية .

بنك دبى الاسلامى « قسم السيدات »

بمشيئة الله تعالى سيفتتح بنك دبى الاسلامى قريبا قسم السيدات وذلك للتيسير عليهن فى التعامل مع البنك وتجنيبهن مضار الاختلاط الذى حرمه الاسلام .. ويضم قسم السيدات كافة الخدمات المصرفية .

وكالة للأنباء الاسلامية

شهدت تونس أعمال الجمعية العمومية الثالثة لوكالة الأنباء الاسلامية « اينا » بحضور وفود تمثل ٣٤ بلدا اسلاميا وقد ناقشت الجمعية العمومية للوكالة على مدى ثلاثة أيام عددا من الموضوعات الفنية والادارية المتعلقة بعمل الوكالة ورسالتها والوكالة الاسلامية للأنباء تعتبر من الانجازات الاعلامية الكبرى على الصعيد الاسلامى .

كتب اسلامية فى أوربا

تباع فى المكتبات الفرنسية هذه الأيام مجموعة من الكتب الاسلامية التى انتشرت بترجمتها الى عدد من اللغات .. وهذه الكتب هى : « أوربا الاسلامية » الذى ترجمه عن الايطالية « جبريل كسياس » . ويوضح أثر الفتوحات الاسلامية على كل من فرنسا وايطاليا خلال الفتوحات فى أسبانيا وصقلية .

وكتاب « الفن المعمارى الاسلامى » الذى ترجم من الانجليزية ، ويوضح الفن الاسلامى فى المساجد والقصور والمقابر .

وكتاب « الفن المعمارى المغربى » من تأليف « أندريه رافيرو » ويركز على الفن المعمارى المغربى .

والكتاب الرابع : (الفن الزخرفى عند الفاطميين) من تأليف «ديبون نيكيل» ويوضح نماذج من الحفر على الذهب والفضة والنحاس والسيراميك .

والكتاب الخامس : « المغرب والفن المعمارى الاسلامى » من تأليف أندريه باكار يوضح فيه أثر الفن الاسلامى على صناعة المنسوجات .

رصد الواقع الثقافى العربى

اجتمعت مؤخرا فى الكويت لجنة المبادىء والأهداف المنبثقة عن لجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية ، التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .. وذلك لدراسة الاطار

العام للغايات والمبادىء التى يقوم عليها التخطيط الشامل للثقافة العربية .

وقد انتهت اللجنة الى اقرار مجموعة من المبادىء للعمل الثقافى العربى قوامها :

ــ الحرص على عروبة الثقافة وعلى التراث الاسلامى .

ــ الجمع بين الأصالة والمعاصرة .

ــ ضرورة استجابة العمل الثقافى لمتطلبات الجماهير العربية .

ــ اعتبار الخطط الثقافية عنصرا عضويا فى التخطيط الشامل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

عدم جدوى العمل الثقافى فى مناخ لا تشيع فيه الحرية .

اللغة العربية فى مدارس بنجلاديش

تقرر تدريس اللغة العربية فى مدارس بنجلاديش بشكل اجبارى اعتبارا من يونيه ١٩٨٣ م .

اعلن ذلك وزير التعليم فى بنجلاديش . وذلك لتزايد العلاقات العربية البنجلاديشية بالاضافة الى فرص العمالة البنجلاديشية فى البلاد العربية .

العربية لغة سادسة بمجلس الأمن

تقرر فى الأمم المتحدة اعتبار اللغة العربية لغة رسمية ولغة عمل فى مجلس الأمن الدولى .. وقد اصدر مجلس الأمن الدولى قرارا بالاجماع وبدون تصويت يقضى باعتبار اللغة العربية لغة سادسة فى المجلس تستخدم فى مناقشاته اضافة الى الصينية والانجليزية والفرنسية والروسية والأسبانية .

رسالة

السيد الأستاذ رئيس تحرير مجلة الأزهر ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

قرأت مقال السيد الدكتور الفاضل عبد الله مبروك النجار بمجلة الأزهر عدد ربيع الآخر سنة ١٤٠٣ هـ يناير سنة ١٩٨٣ م بعنوان « حقوق غير المسلمين فى ظل تقنين الشريعة الاسلامية » وتوقفت عند قوله فى الصحيفة رقم ٤٨ تحت عنوان ملل وطوائف المسيحين قوله : ــ

واستمرت الكنائس المسيحية حتى القرن الخامس الميلادى متفقة فى جميع عقائدها التى اهمها أن للسيد المسيح عليه السلام طبيعتين ! طبيعة الهية ــ وطبيعة بشرية الخ .

وانى أستأذن أستاذنا الجليل فى توضيح أو تصحيح هذه العبارة بأن الكنائس المسيحية حتى القرن الخامس الميلادى لم تكن متفقة فى جميع عقائدها اذ بدأ الشقاق الدينى بمجرد أن نادى « أريوس » وكان قسا فى كنيسة الاسكندرية بعقيدته فى طبيعة المسيح « فأنكر ألوهيته وقد احتلت هذه العقيدة مكانا بارزا فى تاريخ مصر والامبراطورية كلها » .

وشهدت الاسكندرية بداية المعركة العنيفة وظلت بعد ذلك ميدانها الأكبر حتى تحدد مصيرها وقد واجه الامبراطور قسطنطين هذا الشقاق بعقد مجمع كنسى فى مدينة نيقية

بآسيا الصغرى سنة ٣٢٥ .

١ ـ يراجع كتاب تاريخ الاسكندرية منذ اقدم العصور طبع بمحافظة اسكندرية سنة ١٩٦٣ م .

ولم يكن قبول مجمع نيقية بوجهة نظر الاسكندرية فى طبيعة المسيح الها وبشرا فى آن واحد اله من طبيعة الأب وبشر من طبيعة أمه ـ لم يكن كافيا للقضاء على هذا النزاع المرير اذ أن « اثناسيوس » الذى آلت اليه اسقفية الاسكندرية عام ٣٢٨ كان رجلا شديد المراس فرفض اعادة آريوس الى الكنيسة رغم توسط الامبراطور قسطنطين فى ذلك وأدى هذا الرفض الى احتدام المعركة من جديد والواقع أن اثناسيوس كان شخصية عنيدة واتهمه بعض المؤرخين بأنه كان يزيف الوثائق ويكذب عامدا ولكن البعض الآخر ترفق به فوصفه بأنه كان يجيد فن اخفاء الحقائق واختلاق الأكاذيب .

ولما آلت بعد ذلك كنيسة الاسكندرية الى « لوقيوس » عادت الاضطرابات مرة أخرى وتدخل رهبان وادى النطرون ينتصرون لمذهب اثناسيوس فان ذلك كان بمثابة صحوة الموت للاريوسيين اذ تحدد مصير العقيدة نهائيا فى أرجاء الامبراطورية البيزنطية على يد الامبراطور ثيودوسيوس الأكبر « ٣٧٨ ـ ٣٩٥ » الذى ترك فى تاريخ المسيحية أثرا باقيا بقضائه النهائى على الأريوسيين وقراره بأن تكون « الأرثوذكسية » عقيدة رسمية للدولة .

كما شهد القرن الخامس أيضا مشكلة من أعنف المشاكل التى واجهتها الكنيسة ذلك أن السلام الذى رفرف عليها بعد تأكيد عقيدة نيقية فى سنة ٣٨١ لم يعمر الا أقل من نصف قرن ثم عاد الانقسام مرة أخرى على أثر تعيين « نسطور » أسقفا للقسطنطينية .

اذ نادى نسطور بطبيعة المسيح البشرية وأنكر اندماج طبيعته الإلهية فى طبيعته البشرية كما نهى عن تسمية العذراء « بوالدة الاله » ودعا الى تسميتها « والدة المسيح » لأنها لم تلد الا انسانا وسرعان ما تصدت كنيسة الاسكندرية لنسطور وكان يتربع على كرسيها حينذاك « كيرلس » ابن أخ « ثيوفيلوس » وتدخلت روما فى المعركة وفى عام ٤٣١ م عقد مجمع كنسى فى أفسوس للنظر فى المشكلة واستطاع كيرلس أن يسيطر على المجمع سيطرة تامة وانتهى الأمر الى الحكم بالحرمان على نسطور .

واستمرت محاولة التوفيق بين الأطراف المتنازعة الى أن اعتلى عرش الامبراطورية « هرقل » الذى بذل جهده لرد أقباط مصر الى الكنيسة الكاثوليكية وكان المصريون غير مستعدين للتفاهم ، وفى سنة ٦٣١م عين هرقل أسقفا هو « كورش » الذى عرف باسم « المقوقس » وكان ضيق الصدر فقام باضطهادهم اضطهادا رهيبا وبقى فى البلاد حتى جاءها العرب فاتحين بقيادة عمرو بن العاص .

ودخل اكثرهم فى الاسلام واستراح الباقى من اضطهاد الرومان لهم بالقائهم للأسود الضارية الجائعة والنمور لتفتك بهم على الرمال وفى النهاية يهوى السيف الرحيم ليضع حدا لآلام الجسد الذى تمزق اربا .

محمد رزق الشافعى
الموظف السابق بادارة قضايا الحكومة
١٢ شارع البنهى براغب باشا بالاسكندرية

أفغانستان

بعد ثلاث سنوات من الغزو

حوار مع احد اقطاب الجهاد الأفغاني

حين يذكر اسم أفغانستان يتبادر الى الذهن اسماء علماء افذاذ أثروا الفكر الاسلامي .

ومنذ شع فيها نور الاسلام في زمن معاوية بن أبي سفيان — رضي الله عنه — وهي قطعة من أرض الاسلام .

وقد مضى اليوم على المجاهدين من الأفغان أكثر من ثلاث سنوات وقلوب المسلمين معهم تفرح حين تعلم نبأ انتصارات أحرزوها ضد الآلاف المؤلفة من الجنود السوفييت الذين تساندهم أحدث أسلحة العصر.. ويأبى المجاهدون فيها الا احدى الحسنيين .. النصر أو الشهادة وهم واثقون أن نصر الله قريب.. مؤمنون بقول الله تعالى : « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ » آية ٣١ من سورة محمد .

ثلاث سنوات والمسلمون في شتى بقاع الأرض يجأرون الى الله بالدعاء : أن ينصر قوى الحق ، وأن يدحر قوى الباطل .

وكان لنا هذا اللقاء مع الأستاذ حمد الله سيدى ، أحد أقطاب الجهاد الأفغاني .

ودار بيننا هذا الحديث :

أجراه : عاطف زهران

*** بداية الصراع ***

قلت للأستاذ حمد الله سيدي :

بعد مرور ثلاث سنوات على الغزو السوفيتي نسأل

*** لم دخل الروس أفغانستان ؟**

* قال يشرح تطور الصراع في أفغانستان عائدا بنا عدة سنوات الى الوراء :

— فكر الشيوعيون كثيرا في نقل السلطة في أفغانستان الى أيدى شيوعية يستخدمونها في ضرب المسلمين ، ووأد نشاطهم . فجاءوا ببعض قيادات موالية لهم . منهم محمد داود. الذى قتل وشرد وسجن الكثير جدا من خيرة الشباب المسلم ، فبدأت هجرات قادة المسلمين الى (بشاور) غرب باكستان .. حيث بدأت حركة النشاط الاسلامي تنمو ضد الحكومة الشيوعية وبدأ النضال المسلح بين الحكومة وهذا التيار الاسلامي .

الا أنه بعد حين غير محمد داود من نظرته الشيوعية حين شعر بمعاداة الشعب كله له .

فرأى الشيوعيون الأفغان أن الرئيس محمد داود أصبح خطرا عليهم حين غير من اتجاهه خصوصا بعد زيارته لبعض البلاد الاسلامية ، منها السعودية ومصر ، فرأوا ضرورة التخلص منه ، فأخطروا رؤوسهم خارج الوطن بضرورة انقلاب عسكرى سريع .

وتم ذلك الانقلاب فى ٢٥ أبريل ١٩٧٨ م ، وراح ضحيته (١٣) ألف مسلم أفغانى .

وأعقب ذلك تدفق الشيوعيين العسكريين ومعهم مستشاروهم الروس . وقتل محمد داود وأكثر أعضاء أسرته وأكثر الوزراء فى هذا الانقلاب .

وتولى نور تراقى رئاسة الجمهورية ، وصار كارمل نائبا له ، وحفيظ الله أمين رئيسا للوزراء .

واستولى الشيوعيون مباشرة على الحكم ، وبدأوا تطبيق النظام الشيوعى كاملا فى أفغانستان ، وانتشر القتل والظلم ، وزج بالمسلمين داخل السجون ، وقتل على يد تراقى فى السجن الحربى فقط نحو (١٧) ألف من المسلمين المثقفين .. ظهرت أسماؤهم على جدران السجن الحربى ، والتقطت وكالات الأنباء صورهم ونشرتها الصحف العالمية فى حينها ، وعم الذعر المسلمين وبدأت الهجرات الجماعية من أفغانستان حيث كان متوسط الهجرة شهريا نحو خمسين ألف مسلم نزحوا الى بعض البلاد الاسلامية .

*** وبدأت حركة الجهاد ***

لم أشأ أن أقاطع المجاهد الأفغانى حتى يتم حديث المأساة ، ولكن تساؤلات كانت تلح على فقلت :

*** * وماذا رد الفعل فى الجبهة الاسلامية ازاء هذه الابادة ؟**

* أجاب الأستاذ حمد الله سيدى أحد قيادات الجهاد الأفغانى قائلا :

نتيجة لهجرة هذه الآلاف المؤلفة ، تكونت تجمعات اسلامية كبيرة فى (بشاور) .. حيث ازدهرت حركة الجهاد ضد الحكومة الشيوعية، كان المهاجر يترك أسرته فى مكان أمين ويعود الى مكانه ليواصل حركة الجهاد ، وهنا نشأت بعض الجمعيات الاسلامية التى أخذت على عاتقها تنظيم حركة الجهاد والهجرة .

*** * قلت : ثم ماذا عن الحكومة الشيوعية ؟**

* قال : حدث شقاق بين تراقى وحفيظ الله بعد زمن قصير من حكم تراقى .

أراد تراقى أن يتخلص من رئيس وزرائه ، ولكن حفيظ الله تنبه لذلك فقضى عليه ، ونصب نفسه رئيسا للجمهورية من غير منافس . ولكن الروس لم يرضوا عنه لما أحسوا بضعفه ، ومعاداة جميع فصائل الشعب له ، فقضوا عليه فعلا بتدخل خمسة آلاف جندى مسلح من روسيا جاءوا من مطار كابول الى القصر للقضاء عليه ثم تلاهم (١٢٠) ألف عسكرى مدججين بأحدث الأسلحة .

وأعلن بابراك كارمل رئيسا للجمهورية ، وكان فى موسكو ساعتئذ .

*** لماذا الغزو الشيوعى ***

*** * الأستاذ حمد الله أرجو تحديد أكثر للسؤال الرئيسى :**

لماذا حدث الغزو الشيوعى لبلادكم ؟

* فقال :

هناك عدة أسباب لهذا الغزو نذكر منها :

أولا : أفغانستان موقع استراتيجي هام تعرضت بسببه للتدخل الأجنبي عدة مرات من بريطانيا .. ثم كان هذا الغزو الشيوعي آخرها .

ثانيا : تفصل أفغانستان بين روسيا والمياه الدافئة في بحر الهند ، كما أنها تفصل بين روسيا ومنابع البترول في الخليج العربي .

ثالثا : يرى الروس أن باستطاعتهم تطويق منطقة الخليج العربي اذا هم بسطوا نفوذا قويا على كل من عدن وأثيوبيا وأفغانستان .

ومن أسباب هذا الغزو أيضا : الخوف من الصحوة الاسلامية التي ظهرت بوادرها أخيرا بين مسلمي روسيا نفسها .

رابعا : تعتبر أفغانستان منجما اقتصاديا ومخزنا لكثير من الموارد الاقتصادية فهي غنية بالغاز والحديد والذهب والبترول واللازورد والفحم وغير ذلك . والسوفيت في حاجة لهذه الموارد الهامة نظرا لأنه باعتراف الاقتصاديين : أن العالم سيواجه أزمة اقتصادية حادة سنة ١٩٨٥ م .

*** تطبيق التعاليم الشيوعية ***

سألت المجاهد الأفغاني :

*** * نرجو أن تحدثنا عن أساليب تطبيق التعاليم الشيوعية ومظاهرها في بلدكم ؟**

* فأجاب : أحس الشعب الأفغاني المسلم بمظاهر شيوعية لا تتفق مع الاسلام تطبق على أفراده بالقوة في التعليم والاعلام بوسائله .

كان الطلبة يتلقون المبادىء الشيوعية في المدارس رسميا وقهريا .

وكل من يرفض تقبل تلك المبادىء أو تعلمها يطلق عليه الرصاص .

واتجهت وسائل الاعلام تنشط في بث الأفكار الشيوعية ، والتهوين من شأن رجال الدين ، وقتل المعارضين جماعيا في المدارس وغيرها .

فبدأت المظاهرات ضد الحكومة تنتشر في البلاد منددة بالغزو ، واشتدت حركة الجهاد بين الشعب أفرادا وجماعات ضد الحكومة .

وعم الجهاد كل مناطق أفغانستان .. حتى النساء وقفن مجاهدات ضد الغزو . وأذكر على سبيل المثال :

مدرسة السيدة عائشة التي قامت فتياتها بمظاهرة تندد بالتدخل السوفيتي وخرجن الى الشوارع ، وصعدت احداهن ظهر دبابة روسية وصاحت :

يا شباب الأفغان .. نحن عرائسكم ولسنا عرائس السوفيت .. وصدورنا لكم لا لهم .. ألا تستحون ودبابات الروس تملأ شوارعنا وتبيدنا جماعات ووحدانا .. وأصابتها رصاصة غادرة فسقطت .

وصعدت بعدها ثانية وثالثة ورابعة . تقول نفس الكلام وتلقى نفس المصير . وقتل منهن يومذاك ستون طالبة .

*** ماذا ينقصكم .. ***

*** * قلت له :**

حتى يصمد المجاهدون في الجهاد ضد الغزو ماذا ينقصكم حتى يستمر الجهاد ؟

* قال : المساعدات المادية .. فقد دخل الشتاء .. حيث تصل درجة الحرارة فيه الى (٣٠°) تحت الصفر في بلادنا ، وتشتد حاجة المجاهدين والمهاجرين الى خيام وغطاء وملابس وأدوية فضلا عن المواد الاستهلاكية .. الدقيق والأرز والزيت والصابون وغيرها ..) كما

بعد ثلاث سنوات من الغزو

أننا نحتاج الى أطباء متخصصين .

لأن كثيرا من الأمراض المتوطنة قد انتشرت بين تجمعات المهاجرين نتيجة عدم الرعاية الكافية . ونتيجة . استخدام أسلحة غريبة في هذه الحرب . فقد استخدم الشيوعيون الغازات السامة والصواريخ البيولوجية وهي عبارة عن غاز أصفر يموت الانسان بمجرد شمه .

كما استخدموا غازات الأعصاب التي يفقد الانسان عقله اذا شمها .

واستخدموا مؤخرا ألغاما طويلة المدى تبث على الحدود الأفغانية وتبقى فعاليتها لمدة ثلاثين سنة . وهذا أكبر زمن يمكن أن يتفجر لغم خلاله . وبعض هذه الألغام على شكل لعب أطفال وأمشاط ونظارات . وقد أكد خبير مصري بالأمم المتحدة أن السوفييت استخدموا الغازات السامة المحظورة دوليا وأعلنت ذلك منذ أيام منظمة العفو الدولية . وغالب هذه الأسلحة ينجم عنها أمراض خطيرة لا تحصى مما يجعل الحاجة ماسة الى مساعدات طبية لذلك .

*** الى مسلمي العالم .. ***

واستطرد الأستاذ حمد الله سيدي قائلا :

ونطلب من مسلمي العالم ألا ينسوا قضية افغانستان .. ففي انتصارها انتصار لهم .

*** * قلت : مع كل هذه الأسلحة المدمرة . هل حركة الجهاد الأفغاني متقدمة ؟**

* قال : الحمد لله . الحال مطمئنة للغاية . وقد تكبد السوفيت خسائر كبيرة بسبب هذا الغزو الفاشل (كما يسميه الجاسوس السوفيتي فلاديمير كوزتشكن) .

والمراسلون الأجانب الذين دخلوا أفغانستان خلال شهري أكتوبر ونوفمبر الماضيين : من هولندا واليابان : وأمريكا وبريطانيا . حيث قضى كل منهم ما بين أسبوع وأسبوعين . أكدوا جميعا أن الجهاد الأفغاني مستمر بدرجة طيبة .

كما أن موظف الحكومة العميلة في كابول لا يمكن أن يخرج أحدهم من مكتبه الا داخل دبابة أو تحت حراسة مشددة .. وقد تمكن الثوار من تدمير عمارة تتكون من سبعة طوابق كانت مركزا للشيوعيين وقتل فيها سبعة وثلاثون شيوعيا في العاصمة كابول نفسها .

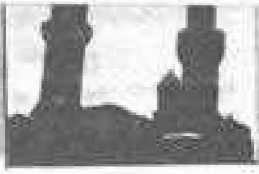
وأخيرا :

توجه المجاهد الأفغاني بنداء لجميع المسلمين في العالم بقوله :

جهادنا من أجل الاسلام لا للعلمانية ولا للتقدمية ولا للشيوعية ، ولا لغيرها وانما جهادنا للاسلام فقط ...

نصرهم الله نصرا عزيزا .

عاطف زهران



فهرس العدد

الموضوع | الصفحة

❋ المجتمـــع ❋

❋ من التراث ❋

❋ اللغة والأدب والنقد ❋

طبع بمطابع روزاليوسف

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٥٠٦ / ٩٠٤٩٢٢

صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الوعد.. وهذا القسم.. ماذا يعنيان

تحت قباب الأزهر الشريف، وفوق ثرى ساحته المباركة، وأمام صفوة العلماء من شتى بقاع الأرض ـ اختار الله ـ سبحانه ـ الرئيس محمد حسنى مبارك ليحظى ـ من التاريخ ـ بأمجد ساعات الفخر، وأروع لحظات العصر، فقال « كلمة مصر » احتفالا بألف عام لهذا الأزهر المبارك، وانساب الأثير قطاف الدنيا وأسمع العالم بوعد الرئيس :

الجزء السابع ـ السنة الخامسة والخمسون

رجب ١٤٠٢ هجرية

أبريل ١٩٨٢ ميلادية

مع العدد

هدية (الرفق بالحيوان)

هــذا الوعد .. وهذا القســم .

« ٠٠٠ ونحن ـ من جانبنا ـ لا نألو جهدا فى ســبيل تعزيز هــذا الصرح الكبير ، وجعله أكثر قدرة على العطاء المنهمر ٠٠٠ »

وسـجل قســمه :

« لترتفعن مآذن الأزهر ، ولتعلون كلمته ، ولتعالى هاماته فى الآفاق ما بقى فينا عِرْق يَنْبض ، ونَفْس تؤمن بالله وتعاليمه ٠٠ »

فكان وعدا كريما ، وقسما برا يقولان للأزهر :

« ابسط يديك لعطاء تقضى به حاجاتك ، وتمتد به ساحاتك ، لتزهو كلمـة الله فى كل مكان ، وتبلغ الدعوة أركان الأرض ٠ »

إنّ هذا الوعد بهذا القسم وضع الحق ورفع العذر ، فلا حجة لنا ـ بعد ـ فى « خَلْقٍ » ، ولا عذر لنا فى تقصير ٠

وهذا الأزهر : جامعا ومجمعا وجامعة ومعاهد ٠٠٠ شكا كثــيرا ، ولازالت مواطن الحاجة قائمة بميادينه الأربعة :

فأما الجامع ، فالحمد لله ، قد حظى ـ فعلا ـ بحق معـروف لاصـلاحه وعمارته وتقويم بنائه ، وعرفت له «ميزانية» تسد حاجته فى السنوات القريبة ٠ وأما المجمع فله حاجاته التى تتم بها رسالته ، فهو لم يحظ ـ بعد ـ بحقــه فى الدرجات الجامعية التى حظى بها بعض مراكز البحوث القومية ، وهذا حق درس من سنوات ، وتوفيره بالمجمع يوفر باروقته المختصين ، فتدور عجلة البحث فيه لا تكل ولا تمل ، ولا تسوغ لنفسها الهرب ٠٠٠ الى الجامعة وتترك مكانها صفرا ٠٠٠ وقد فعلت من سنوات ٠٠ !!

وهــذه الجامعــة :

قد منها صوت يطالب ـ لشدة الحاجة ـ بفصل الكليات الحديثة لتسـتقل بجامعة وكم ارتحنا لذلك !!

والمعــاهد :

وانها لتذكرنا بالقرآن الكريم ، وشئون هــذا الكتاب العزيز من تلميذ ومعلم وما للقرآن الكريم من حاجات ٠٠٠٠ وما للمعاهد من حاجات ٠

وفى هذا الوعـد عطاء منهمر ٠

وفى القســم عليه خير كثــير ٠

فليعمل العاملون ٠٠

كلمات حفل الافتتاح

حسب إلقائها

صباح السبت ٤ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هجرية

١٩ من مارس ١٩٨٣ ميلادية

كلمة الأزهــر

ألقــاها :

فضيلة الإمام الأكبر :

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

شيـخ الأزهـــر

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله والصلاة والسـلام علـى رسول الله محمد نبى الهدى ، والداعى الى الحق والى صراط مستقيم .

السيد الرئيس محمد حسنى مبـارك

ـ رئيس جمهورية مصر العربية .

السادة رؤساء واعضاء الوفـود الى هذا المؤتمر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

ففى هذا اليوم المبـارك تحتفل مصر بالعيـد الألفى للأزهر ، ويشـاركها المسلمون فى كل مكان تقديرا لرسـالته واعترافا بفضله ، فهـو الجامع الأزهر الذى أمضى أكثر من الف عام يكافح فى ميادين العلم والمعرفة والثقافة خـدمة للانسانية وللأمة الاسلامية ، حفظ تراثها ودفع عنها عاديات الزمن ، وحماها من العواصف التى هبت عليـها فى فترات متعاقبة عبر تاريخها الطويل .

ثم هو للأمة الاسلامية نور هادٍ ، ومرشد أمين ، ومنارة ثقافية تستمد منها علومها على تنوعها وكثرتها .

ولقد حفظ الأزهر للعالم المعارف الانسانية فى حقبة تاريخية طويلة ، وأسهم فى حضارته اسهاما لم يغفله التاريخ فى جميع مجالات الحيـاة .

ان رسالة الأزهر فى ذاتها تنبعث من تراث الفكر الاسلامى الأصيل .

وبالرغـم مـن أن الأزهر مواطن مصرى تحمل مصر كل أعبائه فقد عمل للانسـانية والعروبة وللاسلام ، فكان المنارة الهادية التى تتجه اليـها أنظار المسـلمين ، كان وما يزال مصدر اشعاع دينى علمى رفيـع ، وكان فى الوقت نفسه رباطا قـويا بين مصر وبين الشعوب العربية والاسلامية .

اننا لا ننسى علماء الأزهر وقد جلسوا على مدى أكثر من عشرة قرون تعليـما ودرسا ، ووفاء للأمة الاسـلامية فقهـا فى الدين ، وتوجيها للمسلمين .

وان الأزهر ليذكر مـن أبنائه وعلمـائه : عز الدين بن عبد السلام صاحب كلمة الحق والرأى الشجاع ، وابن دقيق العيـد الفقيه



المتمكن من علوم الشريعة ، والبلقيني ، والسبكي ، والمنذري والحافظ العراقي ، وابن حجر العسقلاني ، والمناوي ، وابن عبد الوهاب المالكي ، وابن الحاجب ، والقرطبي ، والزيلعي ، وابن الصائغ ، والعيني ، وابن الهمام ، والبهوتي ، والشرقاوي ، والدردير ، والخطيب الشربيني وابن هشام المصري ، وابن عقيل وغير هؤلاء مئات ومئات على مر الأجيال ممن قدموا الكثير في علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والأدب وعلوم اللغة ، وغيرها من الدراسات العقلية والنقلية.

ان الكثير من تراث الاسلام حفظه وجلاه جهابذة صادقون من علماء الأزهر وقدموه للمسلمين نقيا زكيا في كتب عظيمة ، اتخذها ويتخذها المسلمون مراجع دراستهم وينتفعون بها في دينهم ودنياهم .

ايها السادة :

ان رسالة الأزهر ليست من الرسالات المحلية انها رسالة تتجاوز توصيل المعرفة للفرد والجماعة الى تنمية العلاقات بين الشعوب العربية والاسلامية باعتبارها أمة واحدة تجمعها أخوة الاسلام ، وهو عمل رفيع يقوم به الأزهر .

لهذا فقد انتشر أبناؤه في جميع آفاق العالم الاسلامي روادا يحملون رسالة العلم في كل مكان .

لقد تبوأ الأزهر مكانته العالية المكينة في دراسة علوم القرآن والسنة النبوية ، وشتى العلوم الاسلامية ، والحفاظ على اللغة العربية ، والقيادة الرشيدة الى العمل بأحكام الاسلام وتعاليمه ونظمه وقوانينه .

انه في كنف مصر اليوم امتد واشتد وأصبح له جامعة تضم خمسا وثلاثين كلية ، تخدم المسلمين والاسلام في المجالات الدينية ، وفي جميع آفاق المعرفة والعلوم ، من طب وصيدلة ، وهندسة ، وزراعة ، وتجارة ، وغيرها .

ولقد نمت معاهده في مصر فبلغت أكثر من ألف ومائتي (١٢٠٠) معهد وتجاوزت الحدود المصرية ، فقامت في عدد من الأقطار الاسلامية .

ومجمع البحوث الاسلامية يتابع ما يكتب عن الاسلام وثقافته ، وينهض الى تصويب الأخطاء التي قد ينسبها الى الاسلام المغرضون ، ويرد المفاهيم الخاطئة الى صوابها وأصولها ، وهذه المهمة تتطلب مداومة

كلمة الأزهر

الاتصال بكافة الهيئات والطوائف والمعاهد والمجلات والمجامع العلمية والثقافية ، والكتب والنشرات العالمية لاسيما تلك التى تحمل « السم فى الدسم » فتنشر المفتريات ، وتثير الشبهات وهذه المهام تتطلب تكثيف الجهود الذاتية والمالية والفنية للقيام بها على وجه مؤثر والله المستعان .

وانه فى كنف مصر يستقبل الأزهر أبناء المسلمين وبناتهم من كافة الشعوب والأقطار فى أعداد متزايدة حتى بلغت الآن بضعة آلاف ، يواصلون الدراسة فى كافة مراحلها بالمعاهد والكليات على منح دراسية .

ومع ذلك فان الأزهر يوفد علماءه الى المسلمين ، لنشر العلوم الاسلامية والعربية ، والدعوة الاسلامية ، وقد بلغ عددهم فى هذا العام ٤٤٩٧ مبعوثا ، يقومون بأعباء الدعوة والتعليم ، وكثير منهم فى أوروبا وأمريكا وكندا واستراليا .

ان الأزهر مواطن مصرى يعتز بالله ربا ، ومصر له مقرا ، يعرف حقها عليه ، كما قامت وتقوم بواجباتها نحوه ، تمده وتسانده ، ترتجيه لها وللمسلمين عامة على اختلاف لغاتهم وألوانهم وأوطانهم ومن ثم فهى تواليه بالاصلاح وتعينه وتمكن له من أداء مهامه .

سيادة الرئيس :

باسم الأزهر طلابه وعلمائه بكافة هيئاته وجميع العاملين فيها ، وباسمى أقدم الشكر خالصا على رعايتكم للأزهر ، وعنايتكم بتجديده واعماره ، ليكمل مسيرته التى وفقه الله اليها ، ابلاغا لرسالة الاسلام ، واعلاء لكلمة الله .

(وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) .

وانقدم بالشكر إلى السادة رؤساء وفود الدول العربية والاسلامية وجميع الذين استجابوا لدعوة مصر ، مشاركين فى الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر .

واسأل الله ان يجمع بكم شمل العرب والمسلمين ، فتتوحد كلمتهم فى الحياة ، كما توحدت قبلتهم فى الصلاة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة جامعة الأزهر



ألقاها

فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار

رئيس جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله سبحانه وتعالى ، ونصلى ونسلم على انبيائه ورسله ، وعلى خاتمهم سيدنا محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم .

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ، السيد الرئيس مامون عبد القيوم رئيس جمهورية جزر المالديف ، السادة الوزراء والعلماء ورؤساء الوفود فى هذا اليوم المبارك ، أيها السادة الاعزاء :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ..

اليوم عيد الأزهر الشريف ، بل عيد الاسلام الحنيف ، والأعياد الاسلامية ، واحات جميلة فى صحراء الحياة ، يستريح المجهدون المتعبون فى ظلها الوارف ، ويجدون فى نسيمها الندى برد السعادة ، ونشوة العافية ، ويستردون بها مشاعرهم النبيلة المؤمنة اذا ما طغت عليها المطامع وأظلها سراب الحياة ، وزخرفها الكاذب .

وكلمة الأزهر فى حياة الأمة الاسلامية كلها تمثل قمة الهرم ، وعلماؤه الأجلاء هم اللبنات القوية التى قام عليها صرحه ، وتشامخ بها علوه حتى غدا معلما على الطريق ؛ ومنارة هادية تؤنس المستوحش ، وترشد الحائر ، وتهدى الضال فى دياجير الحياة .

وفى رحاب هذا المعهد العظيم ، والصرح الشامخ ، وبين يدى عشرة قرون كاملة مضت من الزمان ، يحتشد الألوف من أبناء الأزهر ومن علماء المسلمين فى كل الأقطار الاسلامية ، واحسب أنهم يريدون أن يقدموا كشف الحساب عن أمسهم الدابر ، وأن يجددوا العمل المخلص ليومهم الحاضر ، وأن يحددوا

كلمة جامعة الأزهر

آمالهم وأهدافهم لغدهم المنتظر السعيد ان شاء الله .

ورسالة الأزهر — أيها السادة — انما تنبثق من رسالات السماء ، ودعوته هى دعوة الرسل والأنبياء ، هى الدعوة الى التوحيد الخالص ، والعبادة الصحيحة التى لا يتطرق اليها شك أو وهن ، وهى الدعوة الى تنقية التراث الاسلامى مما علق بـه من بعض الأباطيل والأوهام ، وهى الدعوة التى تيسر المبادىء الاسلامية حتى تخرج سهلة سائغة ميسرة للطالبين .

ولابد لعلماء الأزهر — اذا ما أردنا أن تتحقق لهم تلك الغاية الكريمة ، لابد لهم أن يعتصموا الى جوار العلم بالخلق الكريم سلوكا وعملا ، حتى يجتمع السلوك الراشد القويم الى جوار الكلمة الراشدة القويمة ، وبهذا يستقيم أمر الناس ، لأن الناس لا يستقيمون الا اذا كان الكلام متحصنا بالقدوة الصالحة ، وبالعمل الصالح واذا ما اجتمع القول والعمل لعلمائنا يكون العلماء حقا ورثة الأنبياء ، وبغير ذلك لا يمكن أن يكونوا ورثة الأنبياء ، لأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم والخلق ، ومن يؤت العلم والخلق فقد أوتى خيرا كثيرا وحظا عظيما .

أيها السادة الأجلاء :

ولابد لكى يضطلع الأزهر الشريف بهذه المهمة العظمى ، ولكى يؤدى رسالته الكبرى على أكمل الوجوه ، لابد له من العناية التامة من المسئولين ، وهى موجودة بحمد الله ، **ولكننا نطلب المزيد** ، لابد له من مزيد من العناية والرعاية ، ومتابعة أعماله لحظة بلحظة ، ولابد له من الدعم المادى الكبير ، حتى يمكن له أن يؤدى رسالته على أكمل وجوهها ، وأن يستجيب لمطالب المجتمع الاسلامى من علمائه حتى يحلوا الحلال ويحرموا الحرام ، حتى يحلوا الطيبات ويحرموا الخبائث ، ويضيئوا للناس طريق الخير والتى هى أقوم .

هذا هو ما يجب أن يكون نحو هذا المعهد الخالد ، وهذا هو الذى نأمله ونرجوه من المسئولين ، لأن رسالة الأزهر ليست لمصر وحدها ، وانما هى للعالم الاسلامى كله .

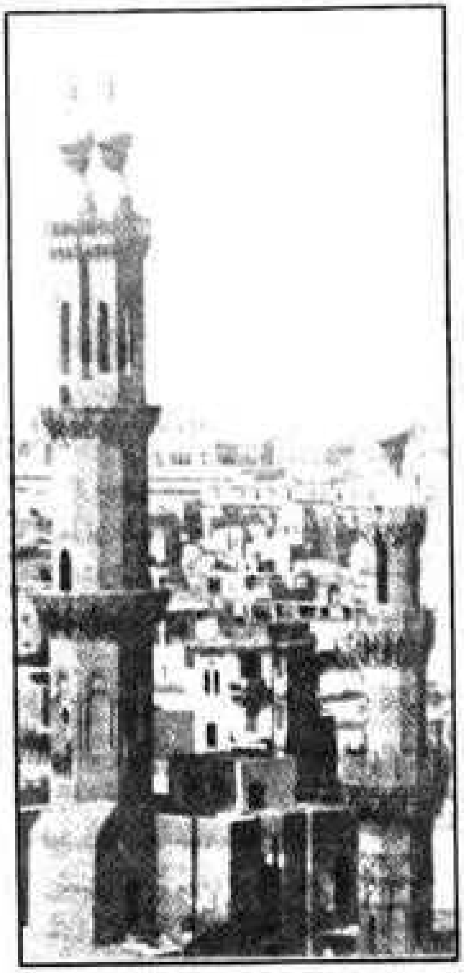
وانها لمناسبة سعيدة حقا أن نلتقى اليوم بقادة الفكر وزعمائه فى هذا العالم وزعماء المسلمين فى أرجاء الدنيا لكى نتبين معا أهدافنا ، التى يتحتم علينا أن نتدارسها وأن نرسم لها الطريق السليم الصحيح .

ولا شك أن الأخوة بيننا — مهما زعم الزاعمون — أخوة ثابتة الدعائم ، عميقة الجذور ، ومهما عصفت العواصف ومهما هبت ريح الفتن ، فان ذلك لن ينال من وحدتنا وتضامننا وقوتنا شيئا — باذن الله — وأن الأمة الاسلامية التى تعمقت جذورها بفضل

الله وعلى هدى من كتاب الله ، كالشجرة العظيمة التي انتصبت في الفضاء ، وتعمقت جذورها في الدأماء ، انتصبت في الفضاء ساخرة بالأعاصير والأنواء وتقلبات الأجواء ، لأن في جذعها القوى المتين ما يعينها على الصبر حتى تنجلى عنها ليالى المحن ، وحتى يطللعها — ان شاء الله — فجر بهى السناء مشرق الضياء ، وقد طالعها هذا الفجر — والحمد لله — باجتماعكم الآن انه فجر صادق حقيقة ، يبشر بأن شياطين الانس الذين حاولوا أن يبذروا الفرقة بين الأخ وأخيه ، وأنتم تعلمون من هم شياطين الانس الذين يحاولون أن يبذروا الفرقة بين الأخ وأخيه ، وبين الابن وأبيه .. الخ ، انما ذهبت مؤامراتهم وكيدهم ، ذهب ذلك كله أدراج الرياح ، والله متم نوره ولو كره الكافرون الجاحدون .

ياسيادة الرئيس الجليل :

هذا هو الأزهر الشريف الجامع والجامعة ، وانه أمانة وسدها الله اليك ووديعة غالية بين يديك ، فسر على بركة الله ، تحفظ الوديعة الكريمة ، والأمانة الغالية ، وان الآمال بك يا سيادة الرئيس لمعقودة ، وان الرجاء فيك لكبير ، وان الدعاء لك بالسداد والتوفيق موصول — ان شاء الله — بارك الله أيامك ، وثبت بالحق والاخلاص



والايمان أقدامك ، ورفع أعلامك ، أعزك اللهبالذل اليه ، وأغناك بكرمه ونعمه وحده دون سواه ، وفق الله علماء المسلمين الى اعلاء كلمة الحق والدين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كلمة
الأمانة العامة للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم • والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه :

السيد الرئيس

ما ان بلغ الوليد من العمر الف عام الا عشرة أعوام وبالتحديد فى سنة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م حتى ابتدر القوم الى التفكير فى الاحتفال بعيده الألفى ، مقدرين هذه الأعوام العشرة مدة كافية للتحضير والاعداد ، ثم شغلتهم شواغل والفكرة قائمة واردة تراود المتحمسين لها حينا بعد حين ، حتى صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ١٣٠٤ لسنة ١٩٧٣ م بتشكيل اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر ، وربما نسى القوم هذا القرار الا رجلا واحدا شرف به هذا المكان فى اثلاثين من شهر مارس ١٩٨١ ودعوناه للكلام ، فاعلن أنه يرجىء كلامه الى حفل العيد الألفى للأزهر ، وكانت لفتة حضارية من الزعيم محمد أنور السادات تغمده الله برحمته، وكان توجيها الى بعث الفكرة من جديد •

وعلى هذا صدر القرار الجمهورى رقم ٢٥٧ لسنة ١٩٨١ م باعادة تشكيل اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر تحت اشراف رئيس الجمهورية — واضطلع رئيس اللجنة واعضاؤها وأمانتها بواجبهم ، وكانوا أكثر حرصا على انجاز هذا الاحتفال وأقوى رغبة فى أن يشهد جيلنا المبارك باذن الله هذا الحدث العالمى التاريخى الكبير •

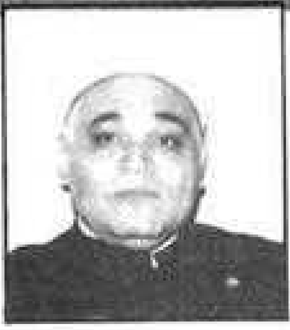
اتجهت همة اللجنة الى عديد من الأمور • واتسعت تطلعاتها ، وانفسحت أمانيها ، بيد انه أهمها فى الدرجة الأولى أن يعود للجامع الأزهر نفسه رونقه وبهاؤه ، وأن تلمسه يد التجديد والتحسين والاصلاح ، فتقررت فرشه بسجاد جديد يجهز خصيصا له • وأعدت وزارة التعمير والاسكان خطة طموحة لاصلاحه واعماره وصيانته ، تنفذ على عدة مراحل ، وقد نفذ الجزء الأول من المرحلة الأولى فعلا فى داخل الجامع بتكلفة وصلت الى أكثر من مليون جنيه ، وسينفذ تباعا باقى الخطة بتكلفة تصل الى تسعة ملايين من الجنيهات داخل حرم المسجد وخارجه •

وفى مثل هذه المناسبة العالمية كان لابد من استقراء التاريخ ، وعرضه فكرا مفتوحا أمام

ألقاها:

— فضيلة الدكتور —
محمد السعدي فرهود

وكيل الأزهر والأمين العام للجنة الاحتفال



أجيالنا الحاضرة والآتية مما اقتضى القيام بعدة نشاطات تسابقت اليها الوزارات والهيئات متفانية في ابداء مشاعرها الفياضة نحو الأزهر وأمجاده وجهوده .

وبتوجيه من اللجنة العليا ومبادرات طيبة تلقائية نشطت وزارة التربية والتعليم ، ومدارسها للندوات والمسابقات القرآنية والدينية والثقافية ، ولعرض المسرحيات والنشاط المكتبي والفنون التشكيلية للتعريف بالأزهر وتاريخه ورجاله .

ولبيان دوره الحضاري والنضالي للأمة المصرية والأمة العربية قاطبة .

على نحو من هذا نشطت هيئة المعاهد الأزهرية بالاضافة الى نشاط رياضي وكشفي حافل ، وعلى نحو منه أيضا صنعت جامعة الأزهر الشريف ، وفي احدى القاعات المجاورة تنطق رسوم الطلاب وأعمالهم الابداعية عن خواطرهم ومشاعرهم وأمانيهم ، كما قامت الجامعة باجراء مسابقة في حفظ القرآن الكريم بين طلاب الجامعات المصرية ، وأقامت كل من ادارة شئون القرآن بوزارة الأوقاف ، وادارة شئون القرآن ، بالأزهر الشريف مسابقات في حفظ القرآن وترتيله ، تداعى للفوز فيها شباب مصر وطلابها ، وشباب البعوث الاسلامية الوافدة ، وأجيز منهم أكثر من ألف حافظ مما يبشر والحمد لله بأن هذا القرآن ما يزال محفوظا بعناية الله الى يوم الدين .

وشهدت مراكز الشباب وقصور الثقافة في أنحاء الجمهورية مباريات رياضية باسم الأزهر ، وعروضا مسرحية وأمسيات شعرية ومسابقات ثقافية وفنونا تشكيلية ومعارض للصور الفوتوغرافية عن : الأزهر ورجاله وتاريخه ونضاله .

وصدر عن مصلحة سك العملة (جنيه) تذكاري بهذه المناسبة ، كما صدرت عن هيئة البريد مجموعة طوابع تذكارية طارت الى شرق المعمورة ومغربها مع البريد اعلاما بجامعنا العتيد .

وأعد المركز القومي للسينما عدة أفلام تسجيلية للدراسة في الأزهر قديما وحديثا ، والتعليم في الكتاتيب ، وفي معاهد الأزهر وجامعته ، ولمجمع البحوث الاسلامية ، ومدينة البعوث الاسلامية والأروقة ، والمدارس الملحقة بالجامع الأزهر ، واصلاحات الامام محمد عبده صاحب هذه القاعة ومشاركات

كلمة الأمانة العامة

الأزهر فى النضال الوطنى والقومى .

وشاركت الهيئة العامة للاستعلامات بمجموعات من المطويات والبطاقات الاعلامية وبعدد خاص من جريدة مصر للسينما .

كما اضطلعت أجهزة الاعلام المسموعة والمرئية والمقروءة والمصورة بواجبها فى متابعة وتغطية هذا الحدث العظيم .

وتقوم الهيئة المصرية العامة للكتاب باصدار سجل خاص عن ألفية الأزهر وهو سفر شامل جامع ، أعد مادته العلمية نخبة ممتازة من علماء جامعة الأزهر وجامعات مصر ، كتبوا عن دور الأزهر العلمى والتعليمى ، وعن جهاده الوطنى وعن مشيخة الأزهر ، وعن هيئة كبار العلماء ، وعن الخريجين ، وعن مدرسة الدراسات العليا ، وعن المكتبة الأزهرية ، وعن عمارة الجامع ، وعن الدعوة الاسلامية وغيرها .

وأعد الأزهر للمناسبة كتابا ، أدلى فيه أصحاب الرأى من أنحاء العالم بخواطرهم وهواجسهم وتطلعاتهم نحو الأزهر وتطويره .

ومنهم من كان فيما أداه محافظا ملتزما ، ومنهم من كان متحررا جامحا ومنهم من كان منصفا مقتصدا .

وتداعى عشرات العلميين الى مسابقة ذات جوائز رصدتها الأمانة العامة للجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر فى موضوعات عن الأزهر وعن الاسلام ، وعن مصر الاسلامية .

أيها السادة :

هذه أمثلة من انجازات اللجنة العليا ، وفى الوقت الذى يتوج فيه احتفالنا بمقدمكم الميمون من شتى أقطار الأرض ، تموج محافظات مصر ومدن مصر وقراها من أقصاها الى أقصاها بالمهرجانات والاحتفالات فى مدارسها ومعاهدها ومساجدها ومنتدياتها ومراكزها الثقافية والشبابية وفى محافلها الشعبية فرحا ببلوغ الوليد عامه الألف ، وحديثا عن أمسه ويومه وغده ، وتحدثا بنعمة الله على مصر التى نبت فيها هذا النبت الصالح الأزهر .

وقد باشرت اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر مهمتها فى يوليو سنة ١٩٨١ تتطلع الى لقائكم اليوم ، ويحدونا الأمل فى غد مشرق ، ومستقبل باسم باذن الله .

وترجو أن تحملوا أيها الأقطاب والقادة والرؤساء الى شعوبكم مشاعر الود والتقدير والعرفان على طريق المحبة والايمان ، وفى سبيل الأخوة الانسانية وتقدم الجنس البشرى .

السيد الرئيس :

أيها السادة :

والسلام عليكم ورحمة الله ..



كلمة الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية

ألقاها

فضيلة الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم

بسم الله الرحمن الرحيم .

والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين .

سيادة رئيس جمهورية مصر العربية السيد محمد حسني مبارك .

فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر .

السيد رئيس الوزراء .

السادة الوزراء .

السادة العلماء وائمة الفكر .

اعلام علماء العالم الاسلامي .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أهنئكم وأهنئ العالم الاسلامى فى أرجاء الدنيا قادة وعلماء وجندا وشعوبا بعيد الاسلام ، العيد الألفى للأزهر الشريف ، منارة العلم والهدى ، انه عيد عز الاسلام ومجده ، انه عيد الحفاظ على القرآن الكريم الذى جعله الله نورا وهدى وشفاء وطمأنينة ، وقد حافظ الأزهر الشريف على القرآن وعلومه ، وعلم القرآن عبر الألف عام : تلاوة وحفظا وكتابة وأحكاما وتجويدا وتفسيرا وسلوكا وبيانا .

وفى هذا العهد الميمون أنشأ الأزهر معاهد خاصة للقرآن والقراءات .

ان عيد الأزهر عيد مجد السنة النبوية ، وقد نشرها فى آفاق العالم الاسلامى : رواية وتأليفا وشرحا وتحقيقا ، فأشرقت النهضة فى ربوع العالم الاسلامى وجامعاته ومعاهده ، ومساجده ، وصحفه ، واذاعاته ، فكان جديرا بالمسلمين جميعا أن يهنىء بعضنا بعضا فى مشارق الأرض ومغاربها ، بعيد عز الاسلام .

كلمة الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية

بالعيد الألفى للأزهر الشريف الذى حفظ على المسلمين عزتهم بحراسته لدين الله ، للقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ولغة القرآن الكريم وآدابها ، وفقه الكتاب والسنة ، والعقيدة السليمة التى وقفت لصد تيارات الالحاد الشيوعى والوجودى وغلو الغالين وتحريف المبطلين والمفرطين .

من أجل ذلك علم المسلمون فى العالم أجمع على مر السنين والقرون مكانة الأزهر وتمكنت مكانته وقداسته فى نفوسهم حتى قالوا : المصحف الشريف ، والسنة الشريفة والكعبة الشريفة ، والروضة الشريفة ، والأزهر الشريف .

وأطلق المسلمون على العلماء المجاورين لبيت الله الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا : المجاورين وقالوا : جار الله الزمخشرى ، وجار الله البخارى ، وغيرهما لمجاورتهم لبيت الله الحرام ، كذلك أطلقوا على العلماء والطلاب المجاورين الوافدين على الأزهر لتلقى العلم فى رحابه بأنهم المجاورون .

وفى الأزهر ، وفى الحرم المكى يقول شوقى :

ان الذى جعل العتيق مثابة

جعل الكنانى المبارك كوثرا

وعلم المسلمون بأن معنى البيت المعمور الذى ذكره الله فى قرآنه الكريم انه الذى فى السماء العلا موازيا ومقابلا للكعبة المشرفة وتعمره الملائكة فقالوا كذلك عن الأزهر : الأزهر المعمور ، لأنه معمور بالعلم ، معمور بعلمائه كواكب الرسالة ، معمور بطلابه علماء المستقبل من أرجاء الدنيا حملة رسالة الاسلام ، الذين يبلغون رسالات ربهم ، وفى ذلك يقول أمير الشعراء :

يافتية المعمور سار حديثكم

ندا بأفواه الرجال وعنبرا

والأزهر الشريف الذى تحتفلون بعيده الألفى اليوم وتلتقون فى رحابه من أنحاء العالم ، قد فتح للمسلمين جميعا ــ منذ القدم ــ أروقته باسم الأخوة الاسلامية ، فبنيت حوله الأروقة لاستقبال طلاب العالم الاسلامى ، وقد سبق بهذه السنة الحسنة جامعات الدنيا ، فحوله : رواق الأتراك ، ورواق الشوام ، ورواق السودان ، ورواق الحجاز ، ورواق افغانستان ، ورواق المغاربة ، وهكذا .

وتلاقت فى رحابه أجناس المسلمين لا فرق بين أبيض وأحمر ، أخوة متحابين ينهلون علم الاسلام من معهد الاسلام : الأزهر الشريف ، وعادوا الى بلادهم ليشرقوا ولينشروا نور الله فى أرض الله تبارك وتعالى فبنوا الجامعات والمعاهد الاسلامية ، وأشرقوا فى آفاق الدنيا يعلمون الناس ويحافظون على عز الاسلام .

وان مجمع البحوث الاسلامية يواصل ــ بحمد الله ــ حمل هذه الأمانة ، وتبليغ الرسالة الى العالم الاسلامى .

وفى هذا العهد المبارك نشطت رسالة الأزهر اذ تستقبل مراقبة البعوث بمجمع البحوث الاسلامية طلاب أكثر من سبعين دولة ، ويزيد عددهم على ثلاثة عشر الف طالب ، ترعاهم وتسكنهم فى مدينة البعوث الاسلامية ،

وتلحقهم بالمعـــاهد الأزهرية التى ضـوعفت وكثرت فى عهدنا المعاصر وكانت خيرا وبركة ، وتلحقهم بجامعة الأزهر وكلياتهـا المتعـددة ، وبأقسام الدراسات العليا للحصـول عـلى (الماجستير والدكتوراه) من جامعة الأزهر التى كثر عـدد كلياتها فى هـذا العصر ، وتعـددت روافـدها فى الأقاليم لتخـرج الدعاة ، وعلماء الاسلام لمصر وللعالم الاسلامى .

وهذه السنة الاسلامية الحسنة التى نهـج عليها الأزهر الشريف استجابة لقول الله تبارك وتعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) ، وقوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) ، وقوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى).

وان مجلس مجمـع البحـوث الاسـلامية بأروقته العلمية ولجانه المتخصصة قـد دأب **يواصل تقنين الشريعة الاسلامية على المذاهب الفقهية الأربعة** ، واهتم الباحثون فى كل مكان بهذا التقنين العلمى الاسلامى ، وطلبته مـن المجمع الدوائر العلمية فى أقطار العالم ليهتدوا بـه .

ولجنـة السنة بمجلس مجمع البحـوث الاسلامية سائرة فى تحقيق أكبر كتاب فى عالم السنة وهو (جمع الجوامع) للسيوطى ، وهو من علماء الأزهر الذين أثروا المكتبة الاسلامية فى علوم القرآن والسنة ووهبوا حياتهم للعلم، كمـا تحقق كتـاب (شرح السنة) للبغـوى وأصول وأمهات كتب السنة النبوية الشريفة .

وقامت ادارة البحوث بالمجمع بطبع مصحف الأزهر الشريف والعنـاية به ، وأعد الأزهر مطبعة خاصة بالمصحف ليلبى حاجـة العـالم الاسلامى ، كما تقوم ادارة البحوث بحراسة التراث والفكر الاسلامى .

ولجنة الفقه فى مجلس المجمع تبين ما يهم المسـلمين فى أمور دينهم وقضـايـاهم : الاقتصادية والاجتماعية .

ولجنة التفسير تواصل تأليف كتاب التفسير الوسيط فى القرآن الكريم .

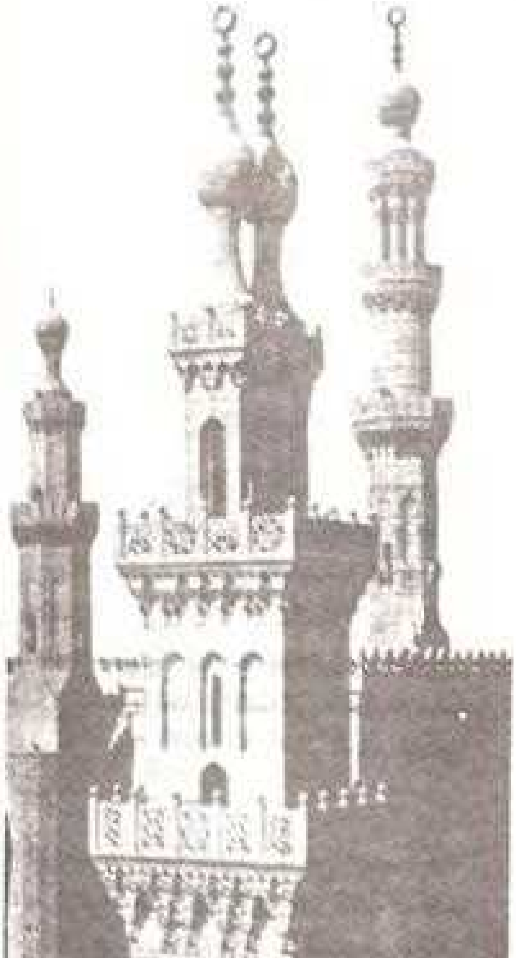
ولجنة العقيـدة تبين العقيـدة السـليمة ، وتتصدى لرد الشبهات دفاعا عن ديننا الحنيف.

ويشرع المجمع فى احياء تراث مخطـوطات مكتبة الأزهر التى هى احدى ادارات المجمع ويؤمها الباحثون من مصر والعالم الاسلامى ، فهى مرآة تعبر عن جهود علماء الأزهر عـلى مر السنين ، وبها أكثر من ثلاثين الف مخطوط من عيون التراث الاسـلامى . فضـلا عن المطبوعات الاسلامية التى تتميز باقتنائها مكتبة الأزهر الشريف .

ويصدر المجمع سلسلة كتب شهرية تعـالج أهم القضايا الاسلامية .

كما يصدر مجلة الأزهـر التى تنشر الثقافة الاسلامية الأصـيلة .

كلمة الأمانة العامة
لمجمع البحوث الإسلامية



وادارة البعوث بالمجمع ترسل علماء الأزهر الى جامعات ومعاهد العالم الاسلامى والمراكز الثقافية فى أوربا وأمريكا وغيرهما ٠

وفى هذا العام أرسلت ما يقرب من خمسة آلاف عالم أزهرى الى أكثر من خمسين دولة.

وينفق الأزهر على المبعوثين الذين يرسلهم على حسابه أربعة ملايين ونصف مليون جنيه مصرى من ميزانية الدولة العزيزة ٠

وادارة الوعظ تنشر تعاليم الاسلام فى الداخل والخارج وقد عقد المجمع منذ انشائه ثمانية مؤتمرات ، وقامت الأمانة الفنية للمجمع باعداد الأبحاث التى ألقيت وطبعها وهى تعالج القضايا التى تهم المسلمين فكانت مرجعا للمسلمين ٠

وقد خصص المجمع ندوته العلمية هذه فى **مؤتمره التاسع بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر حول رسالة الأزهر وخدمته للاسلام ٠**

هذه المناسبة الفريدة التى يسجلها التاريخ بأحرف من نور فى سجل المجد والشرف ٠

وختاما أهنئكم والعالم الاسلامى بالعيد الألفى للأزهر الشريف ٠

حفظ الله الأزهر الشريف ، وحفظ الله مصر الأزهر ، وحفظ الله رئيسها المبارك السيد : محمد حسنى مبارك ، وحفظكم الله جميعا وأعز بكم الاسلام والمسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

كلمة الوفود



السيد مأمون عبد القيوم

رئيس جمهورية المالديف

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد امام الأنبياء وصفوة المرسلين ، وعلى آله واصحابه الهداة المهديين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

صاحب الفخامة الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية .

صاحب الفضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

استاذى الجليل فضيلة الاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر .

السادة اعضاء مجمع البحوث الاسلامية :

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

فى هذا اليوم التاريخى المجيد أشعر بسرور بالغ ، وسعادة غامرة بالشرف العظيم الذى خصنى به أعضاء الوفود المدعوون الى هذا المؤتمر الكبير من شتى أقطار الأرض ، لانابتى عنهم لالقاء كلمتهم فى هذه المناسبة العظيمة مناسبة افتتاح هذا المهرجان العلمى الكبير الذى يقام من أجل الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر الشريف ، الذى يعد من أقدم وأعرق الجامعات فى العالم ، فقد عرف بجهاده المتواصل ، وكفاحه المستنير فى ميادين العلم والأدب والثقافة وحمل رسالة الاسلام منذ قيامه على أرض الكنانة مصر العزيزة ، فكان مشعل هداية ، وقائد فكر ، وخادم عقيدة ، وزعيم جهاد فى سبيل الله وحرية الأوطان

وفي هذا المقام يسعدني أولا أن أحيي الأزهر باسمي وباسم جميع الوفود المشاركة في هذا الاحتفال الكبير ، وباسم شعوبنا المسلمة ، اننا نحيي الأزهر ونهنئه كما نحيي ونهنئ بلد الأزهر مصر وقادتها بمرور ألف عام على الأزهر الذي قام بخدمة الاسلام والمسلمين عبر القرون والأجيال .

نحيي ونهنئ شيخ الأزهر وشيوخه السابقين وعلماءه ، وأساتذته وطلابه كما نهنئ أنفسنا بهذه المناسبة التاريخية الكبرى ، داعين الله عز وجل أن يصون الأزهر ويحفظه حتى يظل حصنا ومنارة للعلم والمعرفة وقلعة من قلاع الحرية والعزة والجهاد .

أيها السادة ..

انني أنتهز هذه الفرصة العظيمة للاشادة بالعلاقات الأخوية الطيبة التي تسود بين جمهورية المالديف بلدي وجمهورية مصر العربية بلد الأزهر الشريف .

لقد توطدت هذه العلاقات بصفة خاصة ، بعد أن تولت الحكومة الحالية زمام بلادي ، فهناك كثيرون من أبناء المالديف الذي تخرجوا في مختلف كليات جامعة الأزهر والجامعات الأخرى في مصر يتولون الآن مناصب قيادية عليا في المالديف ، وقد أثبت هؤلاء جدارتهم ومقدرتهم على ادارة الحكم في البلاد ، ورسم سياسة خارجية تتمشى مع الحق والعدالة ، لا تميل الى شرق ولا غرب ، وما ذلك الا بفضل من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أولا ، وبفضل العلم والمعرفة والتوجيه السليم الذي تلقوه في رحاب الأزهر الشريف وجامعات مصر الأخرى على يد علمائها وأساتذتها المخلصين .

انني كابن من أبناء الأزهر الشريف ، وكمنصف للتاريخ أقول لكم بكل فخر واعتزاز ، ان تاريخ الأزهر ليس تاريخ مصر وحدها ، وانما هو تاريخ الامة الاسلامية الكبرى ، فلا غرو في ذلك فان التاريخ الاسلامي قائم على العقيدة الاسلامية الراسخة التي أنارت أنحاء المعمورة ، وأضاءت للامم والشعوب التي دانت بالاسلام وآمنت به طريق سيرها نحو التقدم والرفعة ، وكانت مصر بقيادة علماء الأزهر هي التي دافعت عن الاسلام دفاعا مجيدا أمام الحملات الصليبية ، وغزوات التتار الوثنية التي كادت تقضي على الاسلام والمسلمين في غفلة من التاريخ .

لقد سجل التاريخ الاسلامي للأزهر صفحات مشرقة ، وبطولات رائعة ومواقف فذة .

فمن ساحة الأزهر كانت تنطلق المسيرات الشعبية لتواجه رصاص الغزاة ، وقنابل المعتدين الغاصبين .

وبالأمس القريب وعندما كانت قنابل العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ تتساقط على بور سعيد الباسلة ، ومدن مصر الأخرى لم يجد قائد النضال جمال عبد الناصر أنسب ... ولا أروع ولا أصدق تعبيرا عن مسيرة النضال ـ من ساحة الأزهر ومنبره رمز الصمود والأصالة ليعلن فيه باسم الجماهير ... (سنقاتل سنقاتل حتى النصر) ، ولقد

كنت يومها طالبا فى هذا المعهد العريق ، وكنت أحد المصلين فى الجامع الأزهـر حين أطلق عبد الناصر صيحة النضال والقتال فى ذلك اليوم المشهود .

ايها السادة والاخوة الكرام ..

ان فى هذا الجمع الكريم تتجسم وحدة العالم الاسلامى ، هذه الوحدة التى تستمد فيضها من وحدة العقيدة التى يزكيها قوله تعالى فى كتابه الكريم : (إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) . فتوحيد المشاعر والأهداف والجهود مقصد هام من مقاصد الاسلام .

فالأمة التى تبلغ هذا المستوى الرفيع يتوافر لها من علو الهمة ما يدفعها للعمل الجاد لجنى ثمار وحدتها المقدرة لها فى هذا الوجود من حرية وعزة وكرامة .

(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)

وقد دعت السماء على ألسنة الأنبياء والمرسلين الى جمع شمل الشعوب فى اطار واحد لكى تحافظ على كيانها ، وتحمى أمتها وتدافع عن حريتها .

ولقد أثر عن الأمام الشيخ محمد عبده أنه قال : اذا أحسست من أمة ميلا الى الوحدة فبشرها بما أعد الله لها فى مكنون غيبه من السيادة العليا .

فسر الصلاح ، والاصلاح ، وسر الفلاح والنجاح ، يكمن فى اتحاد المسلمين وائتلاف قلوبهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، والعالم الاسلامى لايمكن أن ينهض من كبوته وينفض عن نفسه غبار التخلف الا بالاتحاد والعمل الجاد فى اطار من تعاليم الاسلام التى تلزمنا جميعا بالرجوع الى كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله الكريم ، وتطبيقنا لأحكام الشريعة الاسلامية فى جميع مجالات الحياة .

ان الاسلام ليس عقيدة دينية فقط ولانظاما أخلاقيا ، بل هو دين ودنيا بكل ما تتسع له هذه الكلمة من معنى ومضمون .

فالشريعة التى نزلت على خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ صالحة فى كل زمان ومكان لأن يقام على أسسها بناء انسانى عالمى يسهم فى مد العالم باشعاعات تنير له الطريق الى الخير والحق وفيها من التشريع العام والخاص ما يضمن صلاحيتها للانسانية كلها ، فى جميع أزمنتها وأمكنتها ، اذا ما توافر لهذا الرجال المخلصون الذين يؤدون رسالة الاسلام بأمانة واخلاص .

وان انعقاد هذه الندوة العلمية فى اطار مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر يعد بحق ضرورة اسلامية تقتضيها الظروف المحيطة بالعالم الاسلامى اليوم :

>

كلمة الوفود

فالفلسطينيون مازالوا مشردين بلا وطن ، ولا زالت حقوقهم مسلوبة والاعتداءات الاسرائيلية تصب عليهم صباح مساء .

والحرب الدامية مشتعلة بين العراق وايران .

والعدوان قائم على المسلمين فى أفغانستان واريتريا ولبنان وغيرها من بلاد الشرق والغرب .

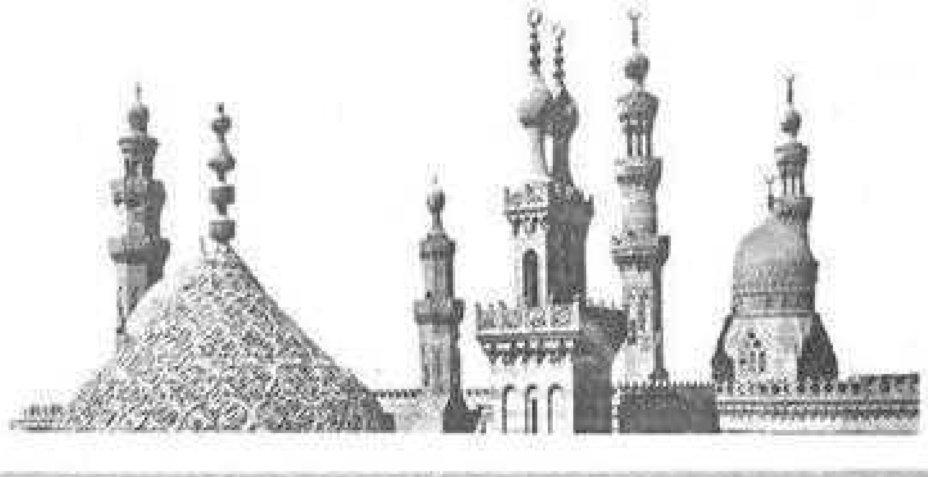
ذلك وغيره من مشكلات المسلمين كثير ، وهو يقتضى من قادة المسلمين التفكير الجاد المخلص من أجل الوصول الى طريق الخلاص لمواطنى هذه الشعوب من محنتهم ، ورفع الظلم والعنت عنهم ، ملتمسين الحل فى قيم الاسلام ومبادئه التى تلزمنا بالرجوع فى كل أمر من أمور حياتنا الى الله ورسوله وأولى الأمر فينا ممن لهم القدرة على القيادة الفكرية والتوجيهية تطبيقا لقول الله الكريم :

(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) .

وختاما باسم جميع هذه الوفود التى سعدت بدعوتكم وباسمى اشكركم ، واشكر هذا البلد الطيب ، واشكر رئيسه المبارك محمد حسنى مبارك ، الذى يرعى الأزهر ، وييسر له القيام بمسئولياته ، ويكفل له استمرارية العطاء .. ورعى الله الأزهر وابقاه حصنا للعروبة والاسلام ، وموطنا للعلوم والمعارف .

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا
وانثر على سمع الزمان الجوهرا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..



كلمة مصر

ألقاها

السيد الرئيس محمد حسني مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الأزهر

ضيوف مصر الكرام ..

أيها الاخوة الأعزاء

أبنائي : طلبة وطالبات الأزهر الشريف .

انه ليوم عظيم ، يوم تشترك الأمة الاسلامية قاطبة مع شعب مصر المؤمن في الاحتفال بالعيد الالفى للأزهر الشريف ، أعرق مؤسسة علمية قائمة حتى اليوم ، واقدم جامعة اسلامية وأشرف منارة للهدى والمعرفة أقامها الانسان بايمانه العميق وطموحه للعلم والفكر ، وادراكه الواعي للحقيقة الالهية الكبرى واستيعابه لدوره الفريد خليفة لله في أرضه ، وصانعا للمجد والحضارة .

ولعل أروع ما في هذه المناسبة المباركة هو أنها تجسيد حي لأعظم ما في الحياة ، فهي تجمع في آن واحد بين عظمة الرسالة ، وعبقرية الشعب ، وقدسية المكان ، ذلك لأن الرسالة الاسلامية الخالدة هي في جوهرها دعوة للعلم والمعرفة وأمر بالسعي وراء الحقيقة .

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) ...

(الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) صدق الله العظيم .

كلمة مصر

والرسالة الاسلامية فى المقام الأول تأصيل لمهمة الفكر والعقيدة وتأكيد لواجب التدبر فى شئون الكون والخلق ، فلا حجر على رأى ، ولا فرض لاجتهاد ولا حرمان لشخص من حقه فى الاطلاع والمناقشة ولا اكراه فى الدين .

« قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ » .

(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) .

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) .

تلك تعاليم الحق تبارك وتعالى ، وتلك هى القاعدة الصلبة التى قام عليها الفكر الاسلامى على مر القرون ولذلك لم يعرف الاسلام عصورا للظلام والجاهلية ، ولا وضع يوما قيدا على حرية البحث والنقاش ولا شهد تناقضا بين العلم والعقيدة ، أو بين الحياة والعبادة ، ولا أقام كهانة تحتكر لنفسها العلم والفتوى ، لأن التفكير فريضة اسلامية واجبة على كل مؤمن ومؤمنة ، ولأن الله جل شأنه كرم الانسان — كائنه المختار — فخصه بالعقل والفكر والمنطق .

ثم ان الرسالة الاسلامية دعوة عالمية لا تعرف الفوارق والحدود ، لأنها تقوم على وحدة الجماعة الاسلامية ، التى تلتقى على طريق الحق والخير .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

وضمن هذا المفهوم العالمى الشامل تشكل الجماعة الاسلامية أمة واحدة تربطها العقيدة المشتركة ، والقيم الروحية السامية ، والشعور الغامر بوحدة الهدف والمصير ، ولذلك كان طبيعيا أن يجسد الأزهر الشريف هذا المعنى الكبير ، بطلابه الوافدين من المشرق والمغرب ودعاته المنتشرين فى شتى الأنحاء ، وعلمائه الأجلاء الذين قصدوه من كل صوب ، فأضافوا لنا الكثير من العلم والحكمة ، وعمقوا ادراكنا لجوهر الحياة ، والتزامنا بتعاليم الله وحقوق عباده ، ورسخوا ولاءنا للحقيقة ، واهتدائنا بالمنهج العلمى فى البحث والتقصى ، ولم ينل من هذا الاسهام الكبير اختلاف جنسياتهم وأوطانهم ، فنجد أن أعمال جمال الدين الأفغانى ، ومحمد الخضر حسين ، ومحمد نور الحسن ، وعيسى منون ، قد امتزجت بكتابات رفاعة الطهطاوى ، ومحمد عبده ومصطفى عبد الرازق ، وعبد المجيد سليم ، ومحمد شاكر ، ومحمد بخيت ، ومحمد مصطفى المراغى ، وأحمد حسن الزيات ، ومحمد حسنين مخلوف ، ومحمود شلتوت ، وعبد الوهاب خلاف ، وعبد الحليم محمود .

ومنذ أنشيء الأزهر سنة ٣٦١ هجرية قصده العلماء والفقهاء وطلاب العلم وجلس فيه قاضي القضاة والمحتسب ، وبذلك اجتمعت في مكان واحد قدسية المسجد وكرامة الجامعة ، وسمو دار العدل ، وأصبح الجامع الكبير محرابا للعبادة ، ومنارة للعلم والمعرفة ومركزا يسعى اليه المسلمون طلبا للعدل والحق والفتوى .

وكان الأزهر على مر القرون ، القلعة الشامخة التي حفظت للقرآن لغته ، وللحديث مكانته ، وللدين تعاليمه ، وللشريعة أحكامها ، وللفقه أصوله وضوابطه ، وللأمة الاسلامية تراثها الحضاري الفريد ، وأصالتها الفكرية الراسخة في مواجهة محاولات الغزو الثقافي من الخارج ، وضد عوامل الاضمحلال والتخلف التي تعرضت لها مجتمعات عديدة حولنا .

وبقدر ما كان الأزهر عالميا بنشأته وطبيعته فقد كان مصريا بهويته وكينونته ، لأن مصر التي اهتدت بنور الاسلام واحتضنت تعاليمه ومبادئه ، كانت لها سماتها الحضارية المتميزة وتقاليدها ذات الجذور العميقة ، التي كان من المتعين أن تصبح رافدا أساسيا في تيار الحضارة الاسلامية ، وبوتقة تنصهر فيها الآراء وتتفاعل الاجتهادات . ومن هنا فقد كان طبيعيا أن يغير الامام الشافعي — عالم قريش الذي ملا طباق الأرض علما — كثيرا من آرائه ومفاهيمه بعد أن عاش على أرض مصر ، وارتوى من نبع حضارتها وفيض عطائها .

وكان أول ما قدمته مصر الى الأزهر روح التسامح والتكافل ، والبعد عن التعصب ، ونبذ الصراعات المذهبية ، وتقديس حرية الفكر للفرد والجماعة ، ولم تكن بقعة أخرى قادرة على سبق مصر في هذا المجال ، فهي الارض التي اهتدى فيها الانسان الى حقيقة الوحدة الالهية منذ فجر التاريخ وتوصل الى نظرية الخلود والحياة الآخرة ، وثار على مفاهيم الوثنية ، وحطم حواجز الزمان والمكان .

فعلى أرض (طيبة) الطاهرة ، دعا اخناتون العظيم الى عبادة الاله الواحد ، ورب السموات والارض ، وخالق الكون ، وعلى ثرى مصر الخالدة ، مشى ابراهيم الخليل أبو الانبياء ، وعاش يوسف هاديا ونذيرا ، وفي الوادي المقدس طوى — في بقعة غالية من أرض مصر الطيبة — نزلت الرسالة على موسى ، والى شعب مصر جاء عيسى ابن مريم ، ساعيا الى الخير والأمان فأكرم وفادته ، وعلى أرض الكنانة انتشرت الدعوة الاسلامية بالمثل الطيب والقدوة الصالحة ، والرؤية التاريخية الثاقبة لدور الانسان ورسالته .

سجل حافل طويل ، وسلسلة متصلة من **الايمان والجهاد في سبيل الله والحق ، والكفاح الصادق من اجل القيم النبيلة والمبادىء السامية ، تروى تاريخ الأزهر**

وتدون جزءا من تاريخ مصر ، وتقوم شاهدا على عبقرية الشعب وعظمة المكان .

ايها الاخوة الأعزاء :

ان من مفاخر الأزهر الشريف ، أنه كان على الدوام مدرسة للوطنية المصرية تعمق فيها الولاء للوطن والانتماء لثراه المقدس ، وتراثه الحضارى العظيم ، وانصهرت مفاهيم الاستقلال والعدالة والحرية ، وانطلقت منها الشرارة الأولى للثورة على الظلم والطغيان والاستعمار .

وجدير بنا أن نروى لأبنائنا وأحفادنا قصص التجرد لحب مصر ، والتفانى فى الدفاع عن حقوقها ومقدساتها ، والشجاعة فى الحق ، والالتزام بالواجب ، والايمان بأن مصلحة الشعب هى العليا ، ولنضرب لهم مثلا بالمجاهدين الذين خرجوا من أروقة الأزهر فى كل العصور ، لايخشون فى الحق لومة لائم ، ويدعون الى سبيل ربهم بالموعظة الحسنة ، فنذكر العز بن عبد السلام وتلك النخبة من العلماء الذين أرغموا أمراء المماليك على توقيع وثيقة اعلان حقوق الانسان المصرى ، وعمر مكرم ، وعبد الله النديم ، وحسونة النواوى وسعد زغلول .

ومن فضل الأزهر على مصر والحركة الاسلامية ، أنه كان فى طليعة القوى الحافظة لوحدة الوطنية ، الداعية الى التآلف والمودة بين أهل الكتاب ، ففى صحن الأزهر ، ارتفعت الهتافات مدوية بوحدة عنصرى الأمة وتماسك المصريين جميعا — من مسلمين وأقباط — فى مواجهة الغاصب المحتل ، فكانت هذه المواقف أروع تجسيد لروح الاسلام ، فتلك هى السماحة الحقة ، وذلك هو الانتصار الأكبر على قوى التعصب والكراهية .

وكان الأزهر نتاجا مصريا ببعد رجاله عن الشطط والتطرف ، فما خرجت منه الحركات الباطنية والطائفية ، ولا عرفت ساحته أفكار الخارجين على اجماع الأمة أو الداعين الى اعتزال المجتمع وتحطيم مقوماته ، ولا كان دعاته ساعين الى الفرقة وشق الصفوف ، بل كانوا فى كل الظروف قوة للبناء وتوحيد الصف واتفاق الكلمة وبذلك فان الأزهر كان وسيظل نبراسا هاديا لكل أبناء الأمة الاسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها ، ودرعا يعصمهم من الزلل ويحميهم من الخطر .

ولعل وجودنا فى هذه البقعة الطاهرة ، فى رحاب الأزهر الشريف ، وفى هذا اليوم المبارك وسط هذا الفيض الروحى الغامر ، يلهمنا البر والتقوى فنتدبر أمور دنيانا ، ونتقصى أحوال أمتنا التى كانت خير أمة أخرجت للناس ، حين اجتمعت على كلمة الحق ، وتحلت بالتراحم والتضامن فيما بينها ، غير أن الوهن أصاب صفوفها بفعل عوامل الفرقة والشقاق ، وغيبة الادراك السليم للمصلحة الاسلامية العليا وان الألم ليملأ قلوبنا حين نرى أخوة فى الله يتقاتلون على غير ما أنزل الخالق — عز وجل — ويهدرون طاقاتهم فيما لا يعود على أحد

بالخير والنفع ، ومن هنا فانها فريضة واجبة علينا أن ندعو أبناء الأمة الاسلامية على اختلاف أقطارهم ومشاربهم الى نبذ الخلافات وحقن الدماء ، والالتقاء على كلمة سواء ، تتفق مع روح الاخاء الاسلامى ، وعمق الروابط الروحية والدنيوية ، ووحدة الغاية والهدف والمصير .

فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الازهر ..

ان الأزهر — الذى هو أرفع مؤسسة علمية وتربوية فى العالم الاسلامى — يجب أن يكون رائدا للتقدم والازدهار فى كل عصر ، وعنوانا لقدرة الشعوب الاسلامية فى كل مكان على السبق الحضارى والانجاز العلمى ، لأن الأمم لاتصنع المجد وتكتب التاريخ الا بالعلم والفكر ، والعلماء الصالحون هم القادرون وحدهم على رسم صورة المستقبل وكسر حاجز الزمن ، ولذلك **فنحن ننتظر من الأزهر الكثير ، ونحن على أبواب مرحلة جديدة من مراحل التطور والنمو ، ونتطلع الى مزيد من المشاركة الأزهرية فى مواجهة التحديات والصعاب التى تعترض طريقنا فى الحاضر والمستقبل .**

نتطلع الى مضاعفة الجهد الطيب الذى يبذله علماء الأزهر الأجلاء لتأمين الفكر الاسلامى ضد المفاهيم الدخيلة المدمرة وتقريب علوم الدين الى عقول الشباب ، حتى أولئك الذين لم تتح لهم الفرصة .. فرصة الدراسة فى المعاهد الأزهرية وبالتحديد ، فقد يكون من المفيد **أن نلقى نظرة على مناهج الدين فى شتى مراحل التعليم واسلوب تدريسه وتقريبه الى عقول الناشئين وقلوبهم .**

نتطلع الى مشاركة أزهرية نشطة فى بحث قضية الثقافة فى مصر والمجتمع الاسلامى على امتداده ، فى وقت يتصارع فيه القديم والحديث ، وتصطدم فيه النظرية بالواقع ، وتتزايد أهمية العلم ، ليس فقط كوسيلة للتقدم وصنع الحضارة بل باعتباره قيمة فى حد ذاته .

نتطلع الى دور مرموق للأزهر ورجاله فى التصدى للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية التى تواجه مجتمعاتنا الحديثة ، والبحث عن حلول تتفق مع عقيدتنا ومبادئنا ، وتتناسب مع قدراتنا ، ولاتصطدم بالبيئة التى نعيش فيها ، والآمال التى نسعى الى تحقيقها .

نتطلع الى دور أكبر للأزهر وخريجيه فى العالم الاسلامى على امتداده لنشر الثقافة الدينية ، والتقريب بين المدارس الفكرية والمذاهب ، وتعميق الروابط بين شعوب الأمة الواحدة .

نتطلع الى تعميق مفهوم الانتماء الوطنى ، لأن حب الوطن من الايمان والذود عن أرضه

كلمة مصر

ومقدساته فريضة شرعية ثابتة ، لايستقيم بدونها مجتمع انسانى ، فى عصر تراضى فيه الناس على اقامة كيانات وطنية مستقلة ، لها خصائصها ومصالحها الذاتية .

نتطلع الى كل هذا ، بقلوب مفعمة بالأمل والرجاء ، ونفوس عامرة بالثقة والايمان ، لأن الأزهر هو أولا وقبل كل شىء ـ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وتجردوا لأداء الرسالة ، مؤثرين الله على أنفسهم وذريتهم .

(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

ونحن من جانبنا لانألو جهدا فى سبيل تعزيز هذا الصرح الكبير ، وجعله أكثر قدرة على العطاء المتهمر .

فى ربع القرن الأخير ، زادت معاهد الأزهر من ستة عشر معهدا الى ألف معهد ، وارتفع عدد كلياته من ثلاث الى أربعين ، وبلغ عدد الطلبة الوافدين من الدول الاسلامية الشقيقة (اثنى عشر ألف طالب) وأصبح التعليم الأزهرى يشمل المرأة ، بعد أن ظل قرونا طويلة وقفا على الرجل .

ولابد لهذه المسيرة أن تنتصر ، ولهذا النجاح أن يتصل ، والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها ، لترتفعن مآذن الأزهر ، ولتعلون كلمته ، ولتتعالى هاماته فى الآفاق ، ما بقى فينا عرق ينبض ، ونفس تؤمن بالله وتعاليمه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

❋

بحوث

المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية

بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر

فى الفترة من السبت ٤ الى الخميس من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٣ هـ
الموافق ١٩ الى ٢٤ من مارس سنة ١٩٨٣ م

عرض وإعداد

- علـى الخطيـب
- عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

- محمد صابر البرديسى
- محمد أمين البدوى
- عبد الفتاح حسين الزيات
- عبد الفتاح السيد عبد السلام
- عبد الحميد شاهين
- أحمد حسن جابر
- عبد العزيز أحمد جيره
- عاطف شحاته زهران
- سعيد عبد الحى

ما ينتظره المسلمون

من الأزهر..
في القرن الخامس عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد فان مصر بحكم موقعها الجغرافي همزة وصل بين القارات الكبرى ، وبحكم ما حباها الله به من جو معتدل ونيل ميمون الغدوات مبارك الروحات كانت منتجع الرواد لكل من يجاورها ، وبحكم ثقافتها الواسعة وحضاراتها العريقة كانت قبلة الأنظار لطلاب المعرفة ، ومركز اشعاع تقبست منه الحضارات القديمة ، وبحكم ما امتاز به أهلها من كرم الصحبة وصدق الوفاء كانت محط الآمال لطلاب الأمن من جنبات الأرض .

وشاء الله لكنانته في أرضه ، وتلك من أجل النعم عليها ، انه ربطها بالدين والوحي منذ آلاف السنين ، فكان منها ادريس الذي رفعه الله مكانا عليا ، وكان لابراهيم أبي الأنبياء، فيها صهر ، ولولده اسماعيل جد العرب نسب وفي بيت عزيزها تربى يوسف وملك خزائنها ونشر دعوة التوحيد فيها وأوى اليها يعقوب وأولاده آمنين ينعمون بخيراتها ، وولد بها موسى وهارون وكانت اليها رسالتهما وشرفها عيسى بن مريم وأمه وكان لدينه أنصار فيها ، وأوصى بها خاتم الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، لأن له فيها رحما وصهرا ثم كانت مطمح آمال الفاتحين العرب فركزوا فيها راية الدعوة ، وانطلقوا يحملون مشاعل النور الى أنحاء أفريقيا ، وعبروا بها البحر الى أوربا فأسسوا دولة فتحت الأعين على ما في الاسلام من حضارة ، انطلقت منها شرارة النهضة فكان الغرب الذي ملك زمام الارض حينا من الدهر. وتحرك كولومبس لاكتشاف العالم الجديد متأثرا بقراءة كتب ابن رشد كما اعترف هو بنفسه ، ورد الفضل الى أهله .

ثم شرف الله مصر بمركز اشعاع علمي وحضاري امتدادا لمركز الفسطاط والقطائع من قبل ، ذلكم هو الجامع الازهر الشريف الذي بدأ يبث النور من أواسط القرن الرابع الهجري ، وظل يؤدي رسالته العلمية والدينية طوال عشرة قرون أو تزيد .

والمقياس الصحيح الذي يقاس به نشاط اي معهد يجب أن يعتبر فيه تجاوبه مع عصره في معالجته لقضاياه العلمية ومشاكله الدينية

لفضيلة الشيخ عطية صقر

عضو مجمع البحوث الاسلامية

وفى تخيره للأسلوب المناسب له فى تطوره ، مع التحام الفكر بالمجتمع التحاما لا ينسيه فى الوقت نفسه حفظه لتراث الماضى وتسليمه للمستقبل مع خبرة الحاضر فى دقة وأمانة واخلاص .

والأزهر الشريف منذ نشأته الى الآن كان لنشاطه وجهان :

وجه أساسى ، وآخر تكميلى .

أما الوجه الأساسى : فهو العلم تلقيا وتلقينا وتعلما وتعليما ، ودراسة وفهما وتطبيقا ونشرا ، وكان يدرس مع التراث ثقافة العصر ومايحتاجه المجتمع منه فكان علماؤه يلمون بجميع العلوم الدينية والعربية، ومايعيش معها من علوم مختلفة ، من طب وفلك ورياضة، بل وموسيقى فى بعض الأحيان ، وكان اتساع صدره لجميع المعارف معبرا عن طبيعة الدين الاسلامى ، فى تقديره للعلم بكل فروعه ما دام يفيد الفرد والمجتمع فى معاشه ومعاده، سواء ما كان متصلا اتصالا مباشرا بالكتاب والسنة فى العقيدة والشريعة والأخلاق ، وما كان وسيلة أو مساعدا على فهم هذه الأمور ، وكان العلم فى الوقت نفسه ممزوجا بالتدين والممارسة ، بحكم الواجب من تطبيق العلم على العمل ، وبمساعدة المكان الذى يدرس فيه العلم وهو المسجد الذى اذا ذكر ذكرت الصلاة وذكر الدين لأنها عموده ، فكان الأزهر بهذا جامعا وجامعة فى وقت واحد ، وكان علماؤه وطلابه نماذج صالحة يفخر بهم الاسلام ويعتز الوطن .

وعلى الرغم من قلة الامكانات ــ بالنسبة لما نراه فى عصرنا الحديث ــ ألفت الكتب ونسخت ونشرت ، وظلت حلقات العلم حافلة بكل طلاب المعرفة من كل الأجناس والأقطار والطبقات ، كما كانت الفرص فيه متاحة لكل من يألف فى نفسه القدرة ــ بصرف النظر عن جنسيته ونوع العلم الذى يمتاز به ــ أن يجلس للتدريس ، وبقدر ما يكون حوله من طلاب يكون تقديره ونجاحه فى مهمته .

وبسبب هذه الحرية فى الانتساب والتعليم وفدت الى الأزهر أعداد ضخمة من كل أقطار العالم ، ونظمت لهم الأروقة وأجريت عليهم الأرزاق الكافية لتفرغهم للدراسة ، والى جانب الدراسة فى الجامع الأزهر كان علماؤه وطلابه يحملون العلم الى القرى والجهات التى وفدوا منها ، يبتغون بذلك وجه الله قبل أن تكون المناصب والرواتب المعروفة ،

مايننتظره المسلمون من الأزهر

مبرئين بذلك ذمتهم من واجب تبليغ الرسالة والدعوة الى الخير ، وقد صح في حديث البخارى « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وكان للأزهر فضل عظيم في حفظ التراث الاسلامى وبخاصة بعد سقوط بغداد في منتصف القرن السابع الهجرى والقاء كتبها الناهرة في النهر ، وفرار العلماء من وجه العنف والاضطهاد والفتنة التى تأججت نيرانها في الشرق والغرب من التتار والصليبيين والأسبان ، حيث وجد العلماء وعشاق المعرفة في مصر وأزهرها الشريف حصنا آمنا وجوا مناسبا ، فاجتمع في الأزهر رواد الفكر من كل لون ، وأعيدت كتابة العلم بشكل موسوعى حرص فيه العلماء على تدوين كل شاردة وتسجيل كل معرفة .

ولأهمية الأزهر ودوره الخطير في حقل الثقافة العامة والدينية بوجه خاص شجعه الحكام والأثرياء وذوو الغيرة الدينية والعلمية والوطنية فحبسوا عليه الأحباس الكثيرة ، ووفروا له الامكانات التى تساعده على مواصلة نشاطه الذى لم يكن له مثيل في العالم الاسلامى .

هذا هو الوجه الأساسى لنشاط الأزهر طيلة هذه القرون ، أما الوجه الآخر فهو النشاط الاجتماعى الوطنى ، لقد كان الدارسون في الأزهر هم الطبقة الوحيدة المثقفة في مصر طيلة تسعة قرون ، ولم ينافس تعليمهم تعليم آخر ، أو ينفصل عنه ، وكان الحكام والولاة ملتزمين بالدستور الاساسى حيث لا يوجد دستور غيره ، لهذا كان الأزهر منارا للثقافة والتفقه في الدستور الجامع لنظام الدين والدنيا ، وملاذا لحل المشاكل والفصل في المنازعات ، وملجأ يحتمى به الضعفاء والمظلومون ، فكان يمارس السلطة التشريعية والقضائية على المستوى الشعبى ، ويهيمن بهما على السلطة التنفيذية ، بل كان الحكام والولاة يستمدون منه شرعية سلطانهم ، أو على الأقل يدعمونها بموافقته ورضائه عنهم ، والقصص في كل ذلك كثير .

ولما كان علماء الأزهر وطلابه يعيشون كأسرة واحدة يربطها رحم العلم ، ويشعرون أكثر من غيرهم بالحرية والعزة والكرامة التى يجب أن يتمتع بها كل مسلم ، ويحسون بوجوب الجهاد ومكافحة الظلم والاستبداد ومقاومة الاعتداء على الوطن والحرمات — كانوا هم جند مصر المرابطين ، تنبعث من جامعهم أول صيحة للاستنكار ، ويدوى أقوى صوت للمناداة بالجهاد ، ويتحرك أول صف ليقود المسيرة الى المعركة ، وأخبارهم في مواجهة الحملة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر (١٧٩٨ م) وحملة فريزر الانجليزى في أول القرن التاسع عشر (١٨٠١ م) معروفة .

من أجل ذلك وجه أعداء الحرية أكبر همهم الى تحطيم هذه الصخرة العاتية ، والقضاء على هذه القوة الجبارة ، التى كانت تعتمد على العقيدة أكثر مما تعتمد على قوة العضلات ووفرة المال والسلاح .

فجاء الاستعمار الانجليزى بالذات وتواطأ معه بعض العملاء ، ووضعت القوانين

والاجراءات الحديثة ، بغية عزل الازهر عن نشاطه السياسي والتشريعي ، ووضعه تحت يد السلطة واحكام قبضتها عليه ، وفقده استقلاله وحريته حتى في شئونه الخاصة ، بل حاول أن يقضي على نشاطه الديني أو يهون من شأنه على الأقل ، وكان من مظاهر هذه الحرب الشعواء تشجيع التعليم المدني واحتضان رجاله ، واهمال شأن علماء الازهر وابتكار كل الأساليب التي تصرف الناس عنهم وتزهدهم في معهدهم ، وأخذ التعهدات على طالبي الانتساب اليه الا يتدخلوا في السياسة بأي وجه من وجوه التدخل حتى وصل الأمر الى خوف الطالب أو العالم من قراءة الصحف وتتبع أخبار الدولة ، كما كان من مظاهر هذه الحرب العمل على تصفيته أو قتله صبرا بالقضاء على المنبع الاول الذي يستمد منه طلابه ، وذلك بانشاء المكاتب الالزامية بمناهجها المعروفة ومحاكمة أولياء الأمور الذين لا يلحقون أولادهم بها ، وذلك لمحاربة الكتاتيب ، بل والمدارس الأولية التي كانت قائمة اذ ذاك ، وكانت تحفظ القرآن كله ، الى جانب العبث بمناهج التعليم العام وتقليص المواد الدينية أو عدم الاهتمام بها ، كما أدخلوا النظام النيابي في صورة جمعية تشريعية ليكفوا الدين وعلماءه عن التدخل في التشريع ، وتطبيق النظم الغربية ، وعن رقابة السلطة والتحدث باسم الشعب ونصرة مطالبه . وكانت حملته السافرة ضد الدين بفصله عن الدولة ، وبذل كل جهد للقضاء على الزعامة التي يتمتع بها الأزهر في العالم الاسلامي الذي وقع اكثره أخيرا في قبضة الاستعمار . وكلنا يعلم ما قاله أحد ساستهم الكبار في نادي قومه : لا يقر لنا قرار في الشرق ما دام فيه المصحف والأزهر .

ما ينتظره العالم الاسلامي من الأزهر في القرن الخامس عشر

ان القاء بعض الضوء على أمجاد الأزهر في الماضي ، يفيدنا في رسم السياسة المستقبلة له ، وينبه الى مقومات شخصيته التي لو فقد بعضها فقد شخصيته ، وعجز عن أداء رسالته النبيلة التي أفادت مصر والاسلام بما لم يفدهما شيء سواه طيلة هذه القرون .

فعلى الرغم من القيود التي كبل بها الأزهر في القرن الرابع عشر الهجري بسبب الاستعمار وأعوانه استطاع بجهد جهيد أن يحافظ على شخصيته العلمية والدينية في الدراسة وأن يستمر في صلته بالمجتمع عن طريق التعليم في المعاهد والمدارس ، وعن طريق الخطابة والوعظ في المساجد ، مع الرقابة الشديدة على الكلمة وعلى النشاط الذي يناهض الوضع القائم ، واستطاع أن يلبي بعض مطالب العالم الاسلامي باستقبال طلابه وايفاد العلماء اليه وامداده بما يمكن من العلماء والكتب والمصاحف والمناهج ، وبانشاء المراكز الاسلامية في بعض البلاد الغربية لخدمة الجاليات الاسلامية ورصد حركة العداء للاسلام عن قريب .

وليس من شك أنه قد حدثت تغيرات وتطورات كثيرة في العالم كله في أواخر القرن الماضي وقوى اتصال الغرب بالشرق وتعددت وسائله ، وتفننت المبتكرات الحديثة في تسلل الأفكار والتيارات الى عقول الناس وأخلاقهم

ماينتظره المسلمون من الأزهر

وكل مظاهر سلوكهم ، فنشطت حركة الالحاد وانتشرت موجة التحلل وكثرت الثورات والفتن والانقلابات فى جميع ارجاء العالم .

والعالم الاسلامى المشدوه بهذه التغيرات حائر بأى موجة يركب واى طريق يسلك ، فربطت بعض دوله نفسها بعجلة بعض الدول التى نزعت السلطان فى الأرض طائعة أو معتقدة أن ذلك هو خير وسيلة للحاق بالركب وكان من أثر هذا الربط محاولة صبغ النظم المحلية الاسلامية بصبغة النظم الوافدة ، بل والميل بالثقافة والفكر الى مجاراة هذه الدول ، دون اهتمام بالمواريث الأصيلة والمقومات المميزة لشخصيتنا الاسلامية ، والفوارق الطبيعية بين التابع والمتبوع ، امتدت هذه المحاولات فأثرت على الدين علما وتطبيقا دراسة وسلوكا .

ووجدنا الأزهر فى غمرة هذا التغير السريع أصابه قسط مما أصاب المؤسسات الأخرى من تطوير يستهدف التخلص من القديم أو اضعافه واضفاء الصبغة الجديدة عليه كسائر المنظمات حتى أثر ذلك على نوعية الطلاب الذين انتسبوا طوعا أو كرها اليه ، وعلى شخصيته العلمية المميزة له ، وهى الريادة فى دراسة الدين واللغة .

والآن وقد أدركت مصر وأدرك العالم الاسلامى كله أهمية الدين فى مواجهة هذه التغيرات ، والدور الذى يمكن أن يقوم به الأزهر فى هذا المجال وهو محط آمال المسلمين فى كل أقطار الأرض ، اعرض وجهة نظرى فيما ينبغى أن يقوم به الأزهر لتحقيق الآمال فيه ، واقدم أهمها فيما يلى :

١ ـ أن تبقى للأزهر صبغته التخصصية وتبرز بشكل واضح يميزه عن المؤسسات التعليمية الأخرى فعصرنا الحاضر عصر التخصصات التى تخرج الفنيين والخبراء فى كل فروع العلم وليس الدين واللغة بأقل شأنا مما تتطلبه هذه التخصصات ويقتضى ذلك اعادة النظر فى نظامه التعليمى بعد أن مر على تجربة قانون التطوير رقم ١٠١ لسنة ١٩٦١ أكثر من عشرين عاما ، وذلك بما يحفظ على الأزهر شخصيته العلمية الدينية العربية ويمكنه فى الوقت نفسه من أداء دوره الكامل على مسرح الحياة الجديدة ، والاقتراحات فى ذلك كثيرة ، والذين مارسوا تطبيق التجربة أقدر على تشخيص الداء ووصف الدواء ، فأهل مكة أدرى بشعابها .

٢ ـ الاحتفاظ للأزهر بحريته واستقلاله فى اختيار قياداته ونظام دراسته والبعد به عن التورط فى التيارات المختلفة ، فالدين الذى أؤتمن على دراسته يجب أن يبقى موجها لا موجها وحكما عادلا عند أى تنازع يرد اليه، فذلك خير وأحسن تأويلا .

٣ ـ اعادة التخصصات التى كانت حقا للازهر منذ مئات السنين ، مع دعم مركزه المالى ودقة الاشراف عليه بما يساعده على تغطية كل المطالب وتحقيق رسالته فى الداخل والخارج .

٤ ـ تمكين علماء الأزهر من تحقيق سلطتهم التشريعية وبخاصة بعد اعتبار الشريعة الاسلامية هى المصدر

الأساسى للتشريع . أو على الأقل اعتبارهم ــ بالتعبير الحديث ــ قناة شرعية لتأييد الصالح من المشروعات ومعارضة غير الصالح منها ، وذلك فيما يتصل بالأمور الدينية لأنها هي الجهة الوحيدة المتخصصة التى تستطيع الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص شرعى ، على أن يكون للمجالس التشريعية بما فيها من متخصصين بحث الأمور الدنيوية على ضوء ما جاء فى قوله تعالى : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » وقوله صلى‌الله عليه وسلم فى الحديث الذي رواه مسلم « أنتم أعلم بأمور دنياكم » .

٥ ــ انشاء جهاز استشارى أعلى ، أو تطوير ما يوجد من مثله ، ليعاون شيخ الأزهر فى مهمته الدينية والعلمية ، ويتولى مراجعة التشريعات وابداء الرأى ومراقبة سير التعليم وتقديم التوصيات اللازمة ، واصدار الفتاوى والبيانات لما يجد من أحداث .

٦ ــ الاسراع فى ابداء الرأى فى المسائل المعلقة منذ زمن طويل ، فيما يتصل بالمعاملات المالية الحديثة وغيرها ، فان الدين بنصوصه وروحه وقواعده الكلية لا يعجز عن وضع حكم لكل حادث ، . الا كان ذلك طعنا فى كماله وشمول هدايته ورحمته ، وقد قال تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » وقال : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ » والفقهاء الأولون فى عصورهم لم يدعوا حادثا الا استنبطوا له حكما ، بل افترضوا فروضا ووضعوا لها أحكاما ليستمر الدين مؤديا لرسالته العامة الخالدة .

٧ ــ الاهتمام بالرد على الشبه والطعون الموجهة الى الاسلام ، وبيان الحكم الشرعى فى المذاهب الفكرية والأنماط السلوكية الجديدة ، وتجنيد ما يستطاع من قوة لاذاعة هذه الردود والأحكام وترجمتها الى اللغات الحية وتوزيعها على أوسع نطاق ، تثبيتا لقلوب المسلمين حتى‌لا يؤخذوا بكل جديد ، وتأكيدا لحيوية الاسلام ومناسبته لكل عصر ومصر ، ومنعا لاتهام الأزهر بالتخلف والتراخى أو السلبية أو غير ذلك مما يمكن أن يتخذ حيثيات للنيل منه .

٨ ــ القيام بوضع موسوعة تتناول جوانب التشريع والثقافة والحضارة الاسلامية ، لابراز النواحى المشرقة فيها أولا ، ولتصحيح الفهم الخطأ عنها ثانيا ، ولاشباع رغبات المسلمين وغيرهم فى معرفة الروائع التى قدمها الاسلام للانسانية ثالثا ، والحد من اقبال المسلمين بالذات على كتابات غير المنصفين من رجال الفكر فى العالم رابعا .

٩ ــ الاهتمام باحياء واعادة طبع كتب التراث الاسلامى وجمع ما يمكن من مخطوطات ، والعمل على تحقيقها وشرحها والتعليق عليها بما يوضح غامضها بالأسلوب الجديد ، وما يصحح الاخطاء فيها على ضوء المكتشفات الحديثة والمعارف المتاحة وتقرير بعضها للدراسة فى المراحل العليا للتدريب على ربط القديم بالحديث ، والافادة منها فى اثراء

(١) القى البحث فى المؤتمر مساء السبت ٤ من جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢/٣/١٩

مايتنظره المسلمون من الأزهر

الحياة الفكرية وتوضيح مزايا الاسلام من واقع أصوله الاولى ، ودور مكتبة الأزهر فى هذا المجال كبير .

١٠ ـ زيادة الاهتمام بتخريج الدعاة الصالحين ، لأنهم واجهة الأزهر والصلة المباشرة بينه وبين جماهير المسلمين بمستوياتهم المختلفة ، واختيارهم على نمط رفيع من التمكن أولا ، والخبرة الفنية ثانيا ، والكمال الخلقى ثالثا ووضع الضمانات الكافية لتحركهم بالكلمة الهادفة الصادقة الحكيمة وعمل لقاءات سنوية أو موسمية للدعاة والمهتمين بالدعوة لتدارس أصلح السبل للنهوض بها ، وتقويم ما بذل فى الماضى من أنشطة ووضع الخطط لما يبذل فى المستقبل .

١١ ـ العمل على توفير الاحترام والكرامة لعالم الدين بل وللشخصيات القيادية الهامة الأخرى ، ويتحقق ذلك بأمرين أساسيين .

أولهما : يرجع الى الشخص نفسه ، وهو اخلاصه فى عمله والتزامه الذى يبرهن على صدقه فى دعوته ومهمته ، ويشجع على اتخاذه قدوة .

وثانيهما : يرجع الى المجتمع ممثلا فى قياداته ، باتخاذ ما تراه من وسائل لتحقيق ذلك .

١٢ ـ الاشراف التام على طبع المصحف الشريف بالذات وعلى المطبوعات الدينية الأخرى ، واحترام رأى الأزهر فى نقد كل المصنفات المتعلقة بالدين ، من كتب وأحاديث وأفلام وتمثيليات واعلانات وما اليها .

١٣ ـ الاهتمام بالجاليات الاسلامية خارج القطر ، وبالدول التى استقلت أخيرا لمساعدتها فى تشكيل مجتمعها من جديد على أسس اسلامية صحيحة ، وحمايتها من الأنشطة المعادية التى تجد الميدان خاليا من المنافس مستغلة حاجة هؤلاء الى من يلبون رغباتهم وهم فى دور النمو .

١٤ ـ الانتقال بالدعوة الاسلامية الى الخارج لمراقبة الأنشطة المعادية عن كثب ، واختيار الأسلوب المناسب لمقاومتها ، وعدم الاكتفاء برد الشبه والطعون ، بل يجب ابراز محاسن الاسلام بشكل يلفت الانظار اليه ، ويتطلب ذلك من التمكن العلمى للمبعوثين ، اجادة اللغات الأجنبية ، والخبرة الكافية بالجو الذى يباشرون فيه نشاطهم ، ويستعان على ذلك بالاكثار من المراكز فى الدول غير الاسلامية ، أو بتعيين ملحقين دينيين بالسفارات والقنصليات العربية .

١٥ ـ الاكثار من تلقى الوفود الخارجية من طلبة العلم والعناية بتزويدهم بالمعلومات الدينية فى الكليات المخصصة لذلك ليكونوا بعد عودتهم الى بلادهم .

أولا : من عوامل توثيق الصلة بين الشعوب والجاليات الاسلامية والدول التى تقيم فيها .

ثانيا : امتدادا لرسالة الأزهر فى نشر الدعوة .

وذلك الى جانب أن هؤلاء سيوفرون على الأزهر فى نشر الدعوة . جهدا كبيرا فى بعث الدعاة ، وسينتجون انتاجا كبيرا فى بلادهم ، لأنهم أعرف بلغة قومهم وأبصر

بالأسلوب المناسب لهم ، ولاستقرارهم النفسي لعدم غربتهم أو تفكيرهم — كالمبعوثين — في العودة الى أوطانهم ، وبخاصة اذا لم يستطيعوا أن يتأقلموا مع الجو الطبيعي والاجتماعي .

ومن المفيد مع هؤلاء أن تدوم الصلة بهم بعد عودتهم الى بلادهم ، بمثل امدادهم بما يمكن لتشجيعهم على أداء عملهم ويمكن أن يكون بين كل جماعة منهم سفير ديني كضابط اتصال بين الأزهر وبينهم ، يعاونهم في كل مايفيد جماعتهم .

١٦ — تطوير مجلة الأزهر ، بتعميق الأبحاث التي تنشرها واعادة الملحق الأجنبي لها ، والاهتمام بدراسة العالم الاسلامي ونشر أخباره ، والعيش مع أحداثه ، لتكون بذلك مرجعا صحيحا للمعرفة الدينية ، ومصدرا وثيقا وكافيا عن البلاد الاسلامية .

١٧ — العمل على تأكيد وزيادة التعاون بين الأزهر والمؤسسات الأخرى المعنية بالتعليم والتوجيه الديني ، وذلك بمثل الاكثار من الوجبة الدينية في المناهج التعليمية والأنشطة الثقافية والتربوية تدريسا وممارسة ، بمراقبة مصادر الثقافة ووسائل الترفيه لمنع ما يؤثر منها تأثيرا ضارا على العقيدة والسلوك .

١٨ — وأخيرا ، وليس آخرا ، تشجيع الاقبال على الانتساب الى الأزهر ، بمثل العناية الكافية بالمنبع الأساسي الذي يستمد منه طلابه ، وهو الكتاتيب وما يشبهها ، وبالحوافز المادية والأدبية ، وضمان مستقبل المتخرجين بما يوفر لهم العيش الكريم والمركز الأدبي اللائق .

وبعد ، فهذا بعض ما أراه محققا لآمال المسلمين في الأزهر في القرن الخامس عشر ، الذي نحتفل في مطلعه بالعيد الألفي له ولا أحسب أن الأزهر وحده يستطيع أن يحقق هذه الآمال ، فلابد من تعاون كل الجهود ، الرسمية منها وغير الرسمية في مصر وغير مصر ، تعاونا كاملا بالمال والرأي والخبرة وكل ما من شأنه أن يدعم وجود الاسلام حيا نابضا في معترك الحياة الحديثة ، ولا ينبغي أن تعلق الآمال أو تلقى كل التبعات عليه مع قبض الأيدي عنه ، أو وضع العراقيل في طريقه ، حتى لا يكون كما قال القائل :

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له
اياك اياك ان تبتل بالماء

أو كما قال آخر :

أصبحت كالعصفور تمسو ريشه
حبسوه في قفص وقالوا : غرد

قال تعالى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » .

أسأل الله لمصر والأزهر كل تقدم وازدهار ، وللمسلمين في جميع أنحاء العالم كل أمن وسلام وعزة ورخاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عطية صقر

الأزهر والحضارة العلمية

تقديم :

لقد كانت أولى آيات الذكر الحكيم على الاطلاق طلبا للعلم والمعرفة عندما نزل جبريل عليه السلام يردد قول المولى — سبحانه وتعالى — :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

١ — ٥ « سورة العلق »

وفي مراحل الوحي المختلفة خاطب القرآن الكريم العقل ، ووجه الحديث الى أهل العلم والمعرفة ، فقال مثلا :

١ — (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) « البقرة ٢٤٢ » .

٢ — (كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) « الروم ٢٨ » .

— (قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ...) « الانعام ١٤٨ » .

وبينما يصف القرآن الكريم نبي الهدى باكتمال مكارم الاخلاق فيقول :

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) « القلم ٤ » .

اذا به في مجال العلم يقول له :

(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) « طه ١١٤ » .

وترسي هذه الآية الكريمة أساس البحث العلمي الذي به تتسع آفاق العلم والمعرفة . وعلى هذا النحو فهم المسلمون الأول للدين وتعلمه الأزهريون .

والأوروبيون هم الذين فصلوا العلم عن الدين ابان العصور الوسطى ، ورحنا نحن اليوم ننقله عنهم مفصولا كذلك للأسف الشديد ، وكان الأجدر أن تكون دراسة العلم في الأزهر جنبا الى جنب مع دراسة الدين ، خصوصا الرياضة والفلك وعلوم الحياة .

وتشترك تعاليم الاسلام مع أسس العلم في :

١ — التسليم بشمول النظام في الكون وبقائه ، وهو الأساس الذي قام عليه العلم :

(وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) « الفتح ٢٣ » .

٢ — ضرورة التثبت ، وعدم الاعتماد على مجرد التخمين :

الدكتور جمال الدين الفندى

(وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)

« يونس ٣٦ » .

(... وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا)

« النجم ٢٨ » .

٣ ــ ضرورة التمسك بالمنهج ، وأساسه :

(أ) الأمانة ، (ب) المثابرة ، (جـ) التواضع (د) مكارم الأخلاق ، (هـ) البعد عن التعصب .

ولكن العلم يقف عند حد وصف الظواهر ، أما الدين فيستمر حتى يصل الى الغاية ، وهى الايمان . نعم ان العلم انما يقف عند حد الكشف عن الظواهر ، واستغلال ما فى الكون من طاقات ، أما الدين فيجيب عن الغاية من الخلق وربطه بالخالق . وعلى هذا النحو كانت الدراسة فى الأزهر تربط بين العلم والدين ، فكانت نهضة عظمى على يد العديد من العلماء الذين نقل عنهم الغربيون .

وقد يدعى البعض اليوم أنه لايمكن العودة الى ربط الدين بالعلم بحجة أن ذلك يخرج العلم ويبعده عن جوهره ، الا أن الاسلام يوحد بين الدراستين ، ويوجد بينهما رابطة قوية متماسكة توضح الغاية بطريقة تبقى على جوهر العلم وعلى قدرات الانسان الروحية فى أغلب آيات الذكر الحكيم .

وأن من يريد أن يعرف مدى انتشار القلق والاباحية فى الغرب حيث خدعت المعارف العلمية وحدها عقول الناس ، عليه أن يلقى نظرة الى ما تفننوا فيه من ألوان المسكرات والمخدرات والمهدئات والمنومات .. والمبادىء الهدامة .. وانحلال الأسرة .

ولم يجد علماء الأزهر الشريف أى خطر فى الربط بين الدين والعلم ، وأعطوا لأنفسهم فرصة التفكير الحر والانطلاق الذهنى ، وكانت لهم فى تعاليم الاسلام خير عون ، تلك التى فجرت أعرق حضارة على الأرض وأكثرها عدالة ، فازدهر بها العلم وأينع . ولم تصل حضارة الغرب بعد الى حقيقة أنه لا فرق بين الابيض والاسود ، والله تعالى يقول :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات ١٣) .

وسوف نضرب فى هذه العجالة المثل بعالمين جليلين من علماء الأزهر أحدهما كتب فى علم الحيوان ، والثانى فى علوم الفيزياء والفلك وهما : كمال الدين الدميرى ، والحسن بن

الأزهـــر والحضارة العلمية

يثم ، الا ان الصلة الوثيقة بين العلـــم لدين تجعلنا تنادى مـــن جديد أن تكون من ثمة طائفة العلماء المتخصصين فى مختلـف وع العلم ، بمعنى أن يكون الـــدين من تخصصات الدراسية العليا لطائفة من العلماء ن الأمور التى الفناها أن ينقلب رجال العلم ى دينيين ، وكما قدمنا لم تقتصر الدراسات ، الأزهر منذ انشاء جوهر الصقلى ليـكون ول جامعة اسلامية تهتم الى جانب علوم الفقه اللغة والادب ، وكذلك اهتم الازهر بالعـلم التجريبى والرياضيات والفلك والاحيــاء ونحوها • ومن أمثلة علماء الأزهر القـديم كمال الدين الدميرى •

كمال الدين الدميرى :

ولد بصعيد مصر فى قرية دميرة عام ١٣٤٩ ميلادية (القرن الرابع عشر الميلادى) قبيل عصر النهضة فى أوروبا •

ومن أشهر مؤلفاته (حياة الحيوان الكبرى للدميرى) ، تحدث فيه ــ الى جانب المجالات العلمية الخاصة بحياة الحيوان ــ عن الأدب واللغة شأنه فى ذلك شأن معظم كتاب وعلمـاء ذلك العصر •

ويعتبر كتاب الدميرى هذا مزيجا من العلم والادب • والتاريخ والفقه والحديث والقصص وقد ترجم الى العديد من اللغات • ويمكـــن اعتبار الكتاب كذلك بمثابة أول مرجع علمى فى علم الحيوان ، ظهر فى عصر لم تكن فيه علوم الحياة قد ظهرت •

وثمة ناحية أخرى هامة ، فحواها أن علماء ذلك الحين انما كانوا ينظرون الى العلم بمعناه الواسع الذى لا يقتصر على فرع بالذات بل كان العالم يشتغل فى كل فروع المعرفة ، ويضـــمن كتابه أو كتبه حصيلة بحوثه ودراساته •

وقد رتب الدميرى الحيوانات التى كتـب عنها ترتيبا أبجديا على طريقة المعجم ، وتناول بالبحث ١٠٦٩ كائنا ، جعل لكل كائن اختساره صفات معينة مميزة ، تتضمن كل ما كان معروفا ئذ • ولقد توسع فى شرح صفات الحيوانات المشهورة ، وذلك بطبيعة الحال نظرا لتوفر مـا يعرفه الناس عنها من معلومات •

ولم يقتصر الدميرى ، فى مجال الدراســات اللغوية ، على ذكر أسماء الحيوانات ، بل سرد أسماءها خلال مراحل نموها المختلفة ، وكذلك ما يعرف من أسمائها فى مختلف بقاع بـــلاد العرب • فمثـلا : البجع المعروف فى مصر ، يسمى فى بلاد العرب الحوصل ، والدجاجة عند أهل السودان هى الجدادة •

وفيما يلى قطوف من كتاب الدميرى كمـــا أوردها بالنص ، قال فى سياق حديثه عـــن الأســـد .

« الأسد من السباع ، جمعه أسود ، والأنثى أسدة وله أسماء كثيرة •• من أشهرها التاج، والسبع ، والصعب ، والضرغام ، والضيغم ، والغضنفر ، والليث •• وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى • ومن كناه : أبو الأبطـــال أبو الزعفران ، وأبو شبل ••• وهـو أشرف الحيوان المتوحش ، اذ منزلته منها منزلة الملك المهاب لقوته وشجاعته وشهامته ، لذلك يضرب به المثل فى القوة والنجدة والبسالة وشـدة الاقدام ومن ثم قيل لحمزة بن عبد المطلب رضى

الله عنه : (أسد الله) .

وهو أنواع كثيرة . قال أرسطو : رأيت نوعا منها يشبه وجه الانسان ، وجلده شديد الحمرة وذنبه شبيه ذنب العقرب . ولعل هذا هو الذي يقال له الورد . ومنه نوع على شكل البقر له قرون سود نحو شبر . وأما السبع المعروف فان أصحاب الكلام في طبائع الحيوان يقولون : ان الأنثى لا تضع الا جروا واحدا مضغة لحمية ليس له حس ولا حركة فتحرسه كذلك ثلاثة أيام ، ثم يأتي أبوه بعد ذلك فينفخ فيه المرة بعد المرة حتى تتنفس وتتحرك وتتفرج أعضاؤه ، وتتشكل صورته ثم تأتي أمه فترضعه . ولا يفتح عينيه الا بعد سبعة أيام من تخلقه . فاذا ما مضت عليه بعد ذلك ستة أشهر كلف الاكتساب بنفسه بالتعليم والتدريب .

قالوا : وللأسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة الى الماء ماليس لغيره من السباع . ومن شرف نفسه أنه لا يأكل من فريسة غيره ، فان شبع من فريسته تركها ولم يعد اليها . واذا جاع ساءت أخلاقه . واذا امتلأ من الطعام ارتاض ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب . واذا أكل نهش من غير مضغ ، وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر ، ويوصف بالشجاعة والجبن . فمن جبنه : أنه يفزع من صوت الديك .. ويتحير عند رؤية النار . وهو شديد البطش .. ولا يدنو من المرأة الحائض .. وعلامة كبره سقوط أسنانه .

روى الطبراني عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال :

« أتدرون ما يقول الأسد في زئيره ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « انه يقول : اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف » .

قال الشافعي — رضي الله عنه — : العرب لم تأكل أسدا ولا ذئبا ولا كلبا ولا غرابا ولا دبا ، ولا كانت تأكل الفار ولا العقارب ، ولا الحيات ، ولا الحدأة ولا الغربان ، ولا الرخم ، ولا الصقور ولا الصوائد من الطير ولا الحشرات .

أما عن الأمثال فيما يختص بالأسد فقد قال العرب : أكرم من الأسد ، وأبخر من الأسد ، وأشجع من الأسد .

لما أمر نوح عليه السلام — أن يحمل معه من كل زوجين اثنين قال : يارب كيف أصنع بالأسد والبقر ، وكيف أصنع بالعنـ والأرنب ، وكيف أصنع بالحمام والثعلب ؟

فأوحى الله تعالى اليه : من ألقى بينهم العداوة ؟ فقال أنت يارب . قال عز وجل : فاني أؤلف بينهم فلا يتضررون .

وكتب عن الأفعى يقول : الأنثى من الحيات والذكر أفعوان — بضم الهمزة والعين — . قال الزبيدي : الأفعى حية رقشاء دقيقة العنق ، عريضة الرأس ، وربما كانت ذات قرنين . وكنية الأفعوان : أبو حيان ، وأبو يحيى ، لأنه يعيش ألف سنة ، وهو الشجاع الأسود يواثب الانسان ، وهو شر الحيات . ومن عجيب أمرها ما يحكى أن أفعى حيا نهشت غلاما في رجله فانصدعت جبهته .

قال القزويني : هي حية قصيرة الذنب من أخبث الحيات ، اذا فقئت عينها تعود ، ولا تغمض حدقتها البتة . تختفي في التراب أربعة

الأزهـــر والحضارة العلمية

أشهر في البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها تطلب شجر الرازيانج فتحك عينيها به فيرجع اليها ضوءها .

وقال الزمخشرى : يحكى أن الأفعى اذا أتى عليها ألف سنة عميت ، وقد ألهمها الله تعالى أن مسح عينها بورق الرازيانج الرطب يرد اليها بصرها ، فربما كانت في برية وبينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بهـا عينيها فترجع باصرة باذن الله .

واذا قطع ذنبها عاد كما كان . واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام واذا ذبحت تبقى تتحرك ثلاثة أيام . وهى أعدى عدو للانسان . وحكى أنها نهشت ناقة في مشفرها ولها فصيل يرضعها فمات الفصيل في الحال قبل موت أمه . واذا مرضت أكلت ورق الزيتون فتشفى .

ومن الأفاعى ما تتسافد بأفواهها ، فاذا وطىء الذكر الأنثى وقع مغشيا عليه فتعمد الأنثى الى موضع مذاكيره فتقطعها نهشا فيموت من ساعته .

وقد قيل : أن الأفعى صوتها من جلدها . ومن الأمثلة قالوا : الأم من أفعى ، وذلك أنها لا تحفر جحرا وانما تأتى الى جحر ، وقد احتفره غيرها فتدخل فيه ، قال الشاعر :

وانت كالأفعى التى لا تحتفر
ثم تجىء مبادرا فتحتجر

وقال عن الأرنب :

الأرنب واحدة الأرانب ، وهو حيوان يشبه العناق ، قصير اليدين ، طويل الرجلين ، عكس الزرافة . يطأ الارض على مؤخرة قوائمه ، وهو اسم جنس على الذكر والانثى وذكر الأرنب يقال له : (الخزز) بالخاء المعجمة المضمومة . ويقال للانثى (عكرشة) . والخرنق ولد الأرنب فهو خريق أولا ثم سخلة ثم أرنب .

والأرنب تنام مفتوحة العينين ، فربما جاءها القناص فوجدها كذلك فيظنها مستيقظة .

والذى يحيض من الحيوان اربعة : المرأة ، والضبع ، والخفاش ، والأرنب . ويقال : ان الكلب أيضا كذلك .

عن عبد الله بن عمر ــ رضى الله عنه ــ أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال في الأرنب : انها تحيض .

يحل أكل الأرنب عند العلماء كافة . وحجتنا ما روى الجماعة عن أنس بن مالك ــ رضى الله عنه ــ قال ألفينا أرنبا بمر الظهران ، فسعى القوم عليها ، فادركتها فأخذتها وأتيت بهـا أبا طلحة فذبحها ، وبعث الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بوركها وفخذها فقبله .

ومن أمثال العرب : أطعم أخاك من كلية الأرنب . اقطف من الأرنب ، ويضربان للمواساة . قال الجاحظ : اذا شربت المرأة انفحة الأرنب الذكر ولدت ذكرا واذا شربت انفحة الأنثى ولدت أنثى .

الكتاب المسطور والكتاب المنظور :

ما دام الكون من عمل الله ، والقرآن كلام الله ، كان من الطبيعى عندما تحدث الخالق بالقرآن الكريم أن يستمد كثيرا من حكمه

وآياته من الكون . وعلى هذا النحو تحدث عن السماء والماء والأحياء و ...... وتلك من مزايا الاسلام الفريدة التى تميز بها دون سائر الأديان ، فأطلق على القرآن الكريم اسم « كتاب الله المسطور » وعلى الكون وما حوى اسم « كتاب الله المنظور » . أنظر الى قوله تعالى فى سورة الجاثية (٣ ــ ٦) :

(إِنَّ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) .

وانظر الى قوله تعالى فى سورة الأعراف (١٨٥) :

(أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ) .

ومن الذين اشتغلوا بعلوم الكون كالفلك والرياضة والهندسة ابن الهيثم الذى ابتدع طريقة فلكية لتعيين ارتفاع القطب فى أى مكان وهو خط العرض . ولا تزال طريقته تستخدم ، وله انتاج قيم ووفير فى مجال علم الفيزياء . ومن أشهر أعماله (البصريات) الذى حققه المرحوم مصطفى نظيف ، وكانت لابن الهيثم مكانته فى وضع أسس النهضة العلمية .

وفيما يلى نبذة عن أعماله :

وينتسب ابن الهيثم الى الأزهر الشريف بكونه عمل وسكن فى رحابه أمام بابه ، وكونه من نوابغ المسلمين . وهو رغم أنه غير مصرى المولد الا أنه مصرى الفكر والانتاج العلمى .

وفى بعض الروايات هو الحسين ، واسم جده الأعلى الهيثم ، ومعنى الهيثم : فرخ النسر ، وهو من الأسماء التى لم يستخدمها الأعاجم فى الاسلام .

ولد بالبصرة عام ٣٥٤ هـ (٩٦٠ م) ، وتوفى فى مصر عام ٤٣٠ هـ (١٠٢٩ م .) ، على أن القفطى يروى قوله : (ورأيت بخطه جزءا فى الهندسة وقد كتبه فى سنة ٤٣٢ هـ) (١٠٤٠ ــ ١٠٤١ م) .

ويروى أنه اقام أول حياته بالشام فى كنف أحد الامراء ، الذى أغدق عليه مالا وفيرا ، الا أن ابن الهيثم قال له : (يكفينى قوت يومى ، وتكفينى جارية وخادم ...) .

وعندما انتقل الى مصر عاش فى قبة على باب الجامع الازهر ، بعيدا عن ترف الدنيا وزخرفها .

ويروى ان الخليفة الفاطمى (الحاكم بأمر الله) الذى ولى الخلافة سنة ٣٨٦ هـ (٩٩٦ م) ولاه بعض الدواوين فضاقت بها نفسه ولم يجد سبيلا للخلاص من فتنة الحكم وأمر الحاكم الا بادعاء الجنون ، وفى سبيل ذلك تحمل السجن فى عقر داره والحجر على ماله عدة سنوات . فلما مات الخليفة عام ٤١١ هـ (١٠٢١ م .) عاد ابن الهيثم الى الاشتغال بالعلوم فى زهد وحب للخير .

وكان انتاجه وفيرا وغزيرا فى رحاب الأزهر يقول البيهقى فى ترجمته : (الحكيم بطليموس

←

الأزهـــر
والحضارة العلمية

الثانى ابو على بن الهيثم . كان بطليموس فى العلوم الرياضية والمعقولات وتصانيفه أكثر من أن تحصى) . ويقول ابن ابى اصيبعة ، (كان متفننا فى العلم ، ولم يماثله احد من أهل زمانه فى العلم الرياضى ولا يقرب منه) . أما الشهرزورى فيقول : (كان عالما بالرياضة والمعقولات ، وتصانيفه أكثر من أن تحصى) . وتصفه دائرة المعارف الاسلامية على لسان (سوتر) بقولها : (كان أحد أقطاب الرياضيين والطبيعيين من العرب وكان أيضا عالما بالطب وبسائر علوم الأوائل ، خصوصا فلسفة أرسطو) . والحق كانت آراء ابن الهيثم الرياضية والعلمية موضع دراسة وبحث منذ أمد طويل حتى يومنا هذا .

ولقد آثرنا الكتابة عن الحسن بن الهيثم لاظهار حقيقة أن علوم المسلمين لم تكن قاصرة على علوم الدين وحدها ، بل أيضا كان للعلم الطبيعي نصيبه وتقديره .وهكذا وعلى هذا النحو كان انتاج وتصنيف بعض علماء الأزهر الشريف فى أول الأمر ، بل أن منهم من كتب فى علوم الحياة مثل (الدميرى) الذى صنف عن عالم الحيوان . وكانت علوم الرياضة والفلك الاسلامى تدرس جنبا الى جنب مع علوم الدين الحنيف قبل عصر الاستعمار .

وقد حدث ابن الهيثم عن نفسه فى مقالة نقلها ابن أبى أصيبعة عن خط يده ، وقد ذكر له اسماء ما يقرب من مائتى تصنيف خلا رسائل ومصنفات أخرى له أيضا شاعت فى أيدى الناس وضاعت أصولها من يده وضبت الى غيره .

وذكر ابن الهيثم فى مقالته تلك : أنه ما مدت له الحياة سيبذل جهده ويستفرغ قوته فى التأليف متوخيا به أمورا ثلاثة :

أحدها :أن يجد الناس فى كتبه بعد موته الفائدة والعلم اللذين يقدمهما لهم فى حياته .

والثانى : أن يجعل من التأليف وتدبيج الرسائل ارتياحا لنفسه بهذه الامور ، فى تثبيت ما تصوره فكره وأتقنه من هذه الدراسات .

أما الامر الثالث : فهو أن يدخر من تلك التاليفات عدة لزمن الشيخوخة وأوان الهرم.

ولابن الهيثم أقوال مأثورة ذكرها البيهقى تدل على نزعته الدينية ودعوته لمكارم الأخلاق منها قوله :

١ ــ (ابذل لعارفك معروفك ، وللمستعد علمك واحرس عرضك ودينك) .

٢ ــ (اذا وجدت كلاما حسنا لغيرك فلا تنسبه الى نفسك واكتف باستفادتك منه ، فان الولد يلحق بأبيه ، والكلام بصاحبه ، واذا نسبت الكلام الحسن الذى لغيرك الى نفسك نسب غيرك نقصا به ورذائله اليك) .

هذا وتقوم لجنة أحياء التراث الاسلامى المنبثقة عن المجمع الموقر بتحقيق أحد مؤلفات الحسن بن الهيثم فى علم الهندسة وهو .. (فى حل شكوك كتاب اقليدس) وهو مجلد فى نحو ٣٤٠ صفحة ، ذكر ابن الهيثم فى أوله أن التشكك واقع لأكثر الناس فى المعانى الخفية ، وأن كتاب اقليدس فى الأصول هو الغاية التى يشار اليها فى صحة البراهين والمقاييس ، ومع ذلك لم يزل الناس قديما وحديثا يتشككون فى كثير

من معانى هذا الكتاب وكثير من مقاييسه) .
قائمة بالموجــود من كتب ابن الهيثم ومكان وجوده (عن الاجتماع التخليدى لذكراه) .

قائمــة
بالموجــود من كتب ابن الهيثم ومكـــان وجوده .

(أ) فى الهندســة :

١ ــ فى الأشكال الهلالية .

بمكتبة أنديا أوفيس (India Office) رقم ٧٣٤ فرعية ١٢ بمكتبة عاطف ١٧١٤ فرعية ١٧ .

بمكتبة (Pet. Rosen 192.) أى :
(Collections Scientifiques l'Institut des Langues Orientales du Ministère des Affaires Etrangères I. Les MSS. Ar. de l'Inst. des Langues Or. Décrets par V. Rosen. St. Petersbourg).

٢ ــ فى مساحة الكرة .

بمكتبة عاطف ١٧١٤ فرعية ٢٠ .

وبمكتبة (Pet. Rosen 192.) بتروزن ١٩٢ .

٣ ــ فى قسمة المقدارين المختلفين المذكورين فى الشكل الاول من المقالة العاشرة من كتــاب اقليدس .

فى مكتبة (Pet. Rosen 192.) ببتروزن ١٩٢ .

٤ ــ فى مسالة التلاقى .

بمكتبة (Pet. Rosen 192.) بتروزن

٥ ــ فى مسالة هندسية .

بمكتبة (Pet. Rosen 192.) بتروزن
وبدار الكتب الملكية بالقاهرة (أنظر الفهرس القديم جزء ٥ صفحة ٢٠٥) .

وبمكتبة بودليان (Bibliothecae Bodleianae.) جزء ١ رقم ٨٧٧ فرعية ٥ .

٦ ــ فى بركار الدوائر العظام

بمكتبة ليدن ١٠٦٤ .

بمكتبة (Pet. Rosen 192.) بت روزن ١٩٢ .

بمكتبة انديا اوفيس رقم ٧٣٤ فرعيــة ١٠ (India Office)

٧ ــ فى حل شكوك كتاب اقليدس
(مقطوعات منه بمكتبة ليدن رقم ٩٦٦) .
فى حل شكوك كتاب اقليدس .
بمكتبة فاتح رقم ٣٤٣٩ فرعية ٢ .
بمكتبة ليدن ١١٢٩ .
وبرقم ٣٢٣ وبرقم ٤٧١٨ بمكتبة العــلوم الاسلامية فى بشاور .

٨ ــ شرح مصادرات اقليدس
بمكتبة الجزائر ١٤٤٦ .
بمكتبة فاير ١٣٥٩ فرعية ٢ .
بمكتبة بودليان (Bibliothecae Bodleianae.)
رقم ٩٠٨ جزء ١ . مختصر لهذا الكتاب .
بمكتبة سراى ٣٤٥٤ فرعية ٢ .

٩ ــ فى تربيع الدائرة
بمكتبة ايا سوفيا ٤٨٣٢ .
بمكتبة الفاتيكان ج ٥ ص ٣٢٠ .
بمكتبة ريلاند بمانشتر رقم ٣٥٠ .
(A. Mingana Catalogue of the Ar. MSS. in the John Ryland Library in Manchester, 1934.)
وبمكتبة طهران ج ١ رقم ١٨١ فرعية ٣ و ج ٢ رقم ٢٠٥ .
وبمكتبة جار الله رقم ١٥٠٢ فرعية ١٥ .
وبمكتبة بشير اغا رقم ٤٤٠ فرعية ١١١ .
وبمكتبة مشهد بفارس ج ١٧ رقم ٥٥فرعية ١٦٨ .
وبمكتبة زيجان (أنظر مجلة المعارف مجلــد ٢٢ رقم ٤٦٥ وتذكرة النواحى ١٦٠) .

>

الأزهـــر والحضارة العلميـة

وبمكتبة رامبور رقم ٤١٨ .

وبمكتبة بهار رقم ٤٣٤ .

وبدار الكتب بالقاهرة .

١٠ ــ فى قسمة الخط الذى اســـتعمله أرشميدس فى الكرة والاسطوانة .

بمكتبة ليدن ١٠٠٩ .

بمكتبة انديا أوفيس (India Office) برقم ٧٣٤ فرعية ١٨ .

١١ ــ مقالة فى المعلومات

بمكتبة (La Bibl. Nationale.) رقم ٢٤٨٨ .

١٢ ــ فى اصلاح شكل لبنى موسى من عمل ابن الهيثم .

بمكتبة المتحف البريطانى برقم ٩٧٥ فرعية ١

بمكتبة انديا أوفيس (India Office) رقم ٧٤٣ فرعية ٨ .

بمكتبة عاطف رقم ١٧١٤ فرعية ١٦ .

(مطبوع بالهند فى حيدر آباد دكن ســـنة ١٣٥٧ ضمن مجموعة رسائل لابن الهيثم) .

١٣ ــ فى أصول المساحة .

بمكتبة انديا أوفيس (India Office No. 734 / 3ar) (28v) فى أصول المساحة وذكرها بالبراهين .

بمكتبة فاتح رقم ٣٤٣٩ فرعية ١٤ .

وهو نفس المخطوط الموجود باسم « كتاب المساحة » رقم ٤٩٠ فى مكتبة بخارست

(V.J. Beljajev, Arabskie rukopisi Bucharskoi. Kollektsii Aziatskavo, Museja Inst. Vost. an SSSR «trudi Inst. Vost. II» Leningrad 1932.)

١٤ ــ فى مساحة المجسم المكافىء

بمكتبة زنجان (انظر مجلة المعــارف ، ٢٢ صفحة ٤٦٥ والتذكرة للنواجى صفحة ١٥٩) .

١٥ ــ فى مقدمة ضلع المسبع

بمكتبة انديا أوفيس (India Office) رقم ٧٤٣ فرعية ٢١ .

١٦ ــ فى استخراج أعمدة الجبال

بمكتبة ليدن ١٦٠٨ و ١٠٠٨

بمكتبة بودليان ج ١ رقم ٨٧٧ فرعية ١٠ (Bibliothecae Bodleianae.)

١٧ ــ مقالة فى استخراج سمت القبلة

بمكتبة فاتح رقم ٣٤٣٩ فرعية ١٢

بمكتبة عاطف رقم ١٧١٤ فرعية ١ .

بمكتبة (Pet. Rosen) ١٩٢ فرعية ٩ .

بمكتبة بودليان ج ١ رقم ٨٧٧ فرعية ٤ .

١٨ ــ مقالة فى التحليل والتركيب

بمكتبة تيمور بدار الكتب الملكية .

١٩ ــ مقالة خواص المثلث من جهة العمود

بمكتبة بنكيبور بالهند رقم٢٥١٩فرعية ٣٣٢.

٢٠ ــ مقالة أن الكرة أوسع الاشـــكال المجسمة التى احاطاتها متساوية وأن الــدائرة اوسع الاشكال المسطحة التى احاطاتهـــا متساوية .

بمكتبة عاطف رقم ١٧١٤ فرعية ١٨ .

بمكتبة عاطف رقم ١٧١٤ فرعية ١٧ .

٢١ ــ مقالة عمل المسبع فى الدائرة

(ب) فى الطبيعة :

١ ــ مقالة فى الضوء

بمكتبة برلين رقم ٦٠١٨ .

بمكتبة انديا أوفيس (India Office) ٧٣٤ فرعية ٤ .

بمكتبة عاطف برقم ١٧١٤ فرعية ١١ .
بمكتبة فاتح برقم ٣٤٣٩ فرعية ٦ .
بمكتبة زنجان .
٢ ــ مقالة فى المرايا المحرقة بالقطوع
بمكتبة ليدن ١٠١٠ .
بمكتبة انديا أوفيس (India Office) برقم ٧٣٠ فرعية ٦ .
٣ ــ مقالة فى المرايا المحرقة بالدوائر
بمكتبة عاطف ١٧١٤ فرعية ٩ .
٤ ــ مقالة فى الكرة المحرقة
٥ ــ مقالة فى كيفية الاظلال
بمكتبة برلين ٦٠١٩ .
بمكتبة عاطف ١٧١٤ فرعية ٥ .
بمكتبة فاتح ٣٤٣٩ فرعية ٤ .
٦ ــ تحرير مقالة الاظلال (من عمل كمال الدين الفارسى) بمكتبة ايا صوفيا ٢٥٩٨ .
٧ ــ كتاب المناظر
بمكتبة أيا صوفيا رقم ٢٤٤٨ .
بمكتبة الفاتح رقم ٣٢١٢ ــ ٣٢١٥ (مخطوط ينقصه الجزء السادس) .
بمكتبة طوب قابى سراى رقم ٣٣٣٩ (الجزء السادس فقط) .
٨ ــ شرح لهذا الكتاب باسم « تنقيح المناظر لذوى الابصار والبصائر »
(من عمل كمال الدين الفارسى) .
بمكتبة أيا صوفيا ٣٥٩٨ .
وفى طهران جزء أول برقم ٤٠ .
وفى سراى برقم ٣٣٤٠ .
وفى حيدر أباد ١٣٤٧ فرعية .
٩ ــ مقالة فى الرخامة الأفقية
بمكتبة عاطف رقم ١٧١٤ فرعية ٦ .

١٠ ــ مقالة فى عمل البنكام
بمكتبة فاتح ٣٤٣٩ فرعية ٨ .
بمكتبة عاطف ١٧١٤ فرعية ٨ .
١١ ــ مقالة فى عمل استخراج خط نصف النهار بظل واحد .
بمكتبة عاطف ١٧١٤ فرعية ٢ .
١٢ ــ مقالة فى استخراج خط نصف النها على غاية التحقيق .
بمكتبة عاطف ١٧١٤ فرعية ٣ .
١٣ ــ مقالة فى مراكز الأثقال (أوردها الخازنى فى كتابه ميزان الحكمة) .
بمكتبة جامعة فؤاد الأول (صورة فوتوغرافية) برقم ٤٦٠٣٧ .
١٤ ــ مقالة فى خطوط الساعات .
بمكتبة عاطف ١٧١٤ فرعية ٧ .

(جـ) فى الفلك :

١ ــ مقالة فيما يعرض من الاختلاف فى ارتفاعات الكواكب .
بمكتبة فاتح ٣٤٣٩ فرعية ١١ .
٢ ــ جواب عن سؤال سائل عن « المجرة » هل هى فى الهواء أم فى جسم السماء .
بمكتبة ليدن ١٠٦٥ .
٣ ــ فى حل شكوك حركات الالتفاف .
بمكتبة عاطف رقم ١٧١٤ و ١٧١٥ .
٤ ــ الشكوك على بطليموس .
بمكتبة (Pet. Rosen) ١٩٢ فرعية ١
٥ ــ حل شكوك فى كتاب المجسطى يشكك فيها بعض أهل العلم .
بمكتبة بودليان جزء ١ رقم ٨٧٧ فرعية ٩ .
بمكتبة فاتح ٤٤٣٩ فرعية ١٠ .
٦ ــ فى أضواء الكواكب .

بمكتبة فاتح ٣٤٣٩ فرعية ٥ .
بمكتبة برلين ٥٦٦٨ .
بمكتبة أنديا أوفيس (India Office) رقم ٧٣٤ فرعية ٣ .
بمكتبة بودليان جزء ١ رقم ٨٧٧ فرعية ٧ .

٧ ــ فى ضوء القمر .
بمكتبة أنديا أوفيس (India Office) رقم ٧٤٣ فرعية ٩ وفرعية ١٥ .

٨ ــ اختلاف منظر القمر .
بمكتبة أنديا أوفيس (India Office) رقم ٧٣٤ فرعية ١٩ .
بمكتبة (Pet. Rosen) ١٩٢ فرعية ١٠ .

٩ ــ مقالة فى حركات القمر .
بمكتبة (Pet. Rosen) ١٩٢ فرعية ٦ .
بمكتبة بودليان جزء ١ رقم ٨٧٧ فرعية ٣ .
بمكتبة فاتح رقم ٣٤٣٩ فرعية ١٣ .

١٠ ــ فى صور الكســوف .
بمكتبة (India Office) ١٩٢ فرعية ٢ .
بمكتبة أنديا أوفيس (India Office) ٧٣٤ فرعية ١٣ و ٧٦٧ فرعية ٢ .

١١ ــ تحرير صور الكسوف .
« لكمال الدين الفارسى » .
بمكتبة أيا صوفيا رقم ٢٥٨٩ .

١٢ ــ فى الهالة وقوس قزح .
بمكتبة عاطف ١٧١٤ فرعية ١٤ .

١٣ ــ فى الأثر الذى فى وجه القمر .
بمكتبة بلدية الاسكندرية .
وبدار الكتب الملكية بالقاهرة رقم ٤٢٥ علوم طبيعية هذه المخطوطة منقولة عن مخطـوطة الاسكندرية .

١٤ ــ مقالة فى استخراج ارتفاع القطب على غاية التحقيق .
بمكتبة ليدن ١٠٦٣ .
بمكتبة المتحف البريطانى رقم ٤٠٤ .
بمكتبة بودليان جزء ١ رقم ٨٧٧ فرعية ٦ .
بمكتبة فاتح ٣٤٣٩ فرعية ٩ .
بمكتبة عاطف ١٧١٤ فرعية ٤ .

١٥ ــ كتاب فى هيئة العالم .
بمكتبة أنديا أوفيس (India Office) ٧٣٤ فرعية ١٥ .

١٦ ــ فى تصحيح الأعمال النجومية .
بمكتبة بودليان جزء ١ رقم ٨٧٧ فرعية ٨ .

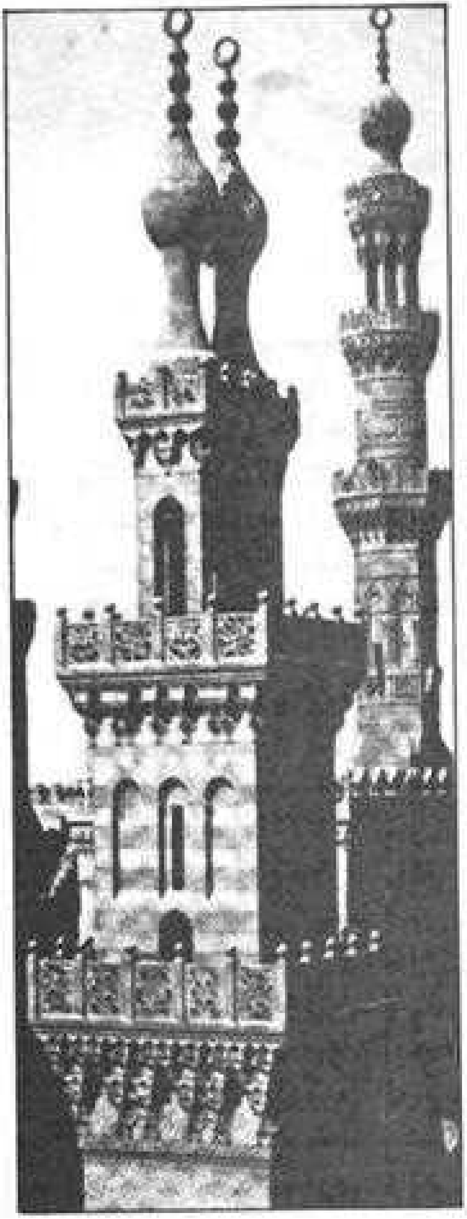
١٧ ــ قصيدة عينية فى بروج الشــمس والقمـر .
بمكتبة الاســكوريال بأسبانيا رقــم ٩٧٩ فرعية ٢ بالكتالوج الفرنسى .

(د) الحسـاب :

١ ــ مقالة فى مسألة عددية مجسمة .
بمكتبة أنديا أوفيس رقم ٧٣٤ فرعية ١٧ .

٢ ــ مقالة فى استخراج مسألة عددية .
بمكتبة أنديا أوفيس رقم ٧٣٤ فرعية ٢٠ .

٣ ــ القول المعروف بالغريب فى حســاب المعاملات .



بمكتبة عاطف ١٧١٤ فرعية ١٤ .

(هـ) فى الفلسفة :

١ ــ قول فى المكان .

بمكتبة فاتح رقم ٣٤٣٩ فرعية ٣ .

١ ــ قول فى المكان .

(مطبوع بالهند فى حيدر أباد دكن سنة ١٣٥٧ هـ ضمن مجموعة رسائل لابن الهيثم) .

٢ ــ ثمرات الحكمة .

بمكتبة كبرللى زاده فى الآستانة رقم ١٦٠٤ فرعية ٤١ أ وفرعية ٥٩ أ .

محمد على حجاب

تاريخ الأزهر وتطوره

قدم فضيلة الباحث موضوعه فى ابواب أربعة ، تناول الأول منها ،

الكلام على انشاء الأزهر مسجدا ، والثانى : الكلام عليه ثقافة وتعليما وقدم فى الثالث الأزهر مصدرا لأداء الرسالة الدينية فى سائر انحاء العالم وخاتم الأبواب تناول فيه بيانا لمواقف خالدة لعلماء الأزهر .

وعرض الباحث فى الباب الأول تاريخ هذا المسجد فى حديثه عن الفاطميين(٢) وقدم فيه أعلاما من علماء الشيعة ، ثم تناول بالتفصيل عمل الأيوبيين فى مقاومة المذهب الشيعى ، ثم الاهتمام بالأزهر واصلاح عمارته مبينا توسعه شيئا فشيئا وزيادة أروقته متحدثا عن أهم العمارات التى حدثت له فى تلك العصور ، وما نالها من فن البناء والخط والنقش مشيرا الى بناء « قانصوه الغورى » لمنارته ذات الرأسين فى الجهة الغربية من المسجد ، والمدارس التى أحدثت وألحقت به ، ثم ما تعرض له الأزهر الشريف من ضعف على يد العثمانيين الى أن من الله عليه بمن قام بالتجديد فيه مثل الشريف محمد باشا سنة ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥ م .

وتتبع الباحث أحوال الأزهر أثناء الاحتلال الفرنسى لمصر منذ عام ١٧٩٨ م الى ١٨٠١ م. ثم عمل العلماء فى تنصيب محمد على واليا على مصر وعهده لهم بالعدالة فى الحكم ومشاركة الشعب فى اتخاذ أى قرار يراه لمصلحة الشعب ونقضه لهذا العهد ، وموقف العلماء منه ، ثم تطرق الى الأزهر والاحتلال الانجليزى . وزعامة الأزهر فى الجهاد ضدهم .

ثم ولى ذلك بحديث عن اصلاحات هامة بالأزهر منذ سنة ١٨٨٢ م الى ١٨٨٨ م وانشاء مكتبة الأزهر عام ١٨٩٦ .. وجاء فى ختام هذا الفصل قوله :

وفى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى جددت الواجهة الغربية للأزهر بما فيها الباب الغربى الكبير وأنشىء الرواق العباسى واحتفل بافتتاحه فى شوال سنة ١٣١٥ هـ الموافق سنة ١٨٩٨ م .

وفى سنة ١٣١٩ هـ الموافق سنة ١٩٠١ م هدمت الأروقة التى كانت ملاصقة للوجهة القبلية ابتداء من الرواق العباسى الى باب الصعايدة وجددت بها أروقة الجبرت والمغاربة والأفغان وأندونيسيا والشوام . وتوالت على المسجد بعض الاصلاحات التى كانت تدعو اليها الحاجة فى سقوفه وزخارفه وفى المدرسة

لفضيلة الأستاذ
الدكتور محمد محمد مصطفى شحاته الحسينى

الجوهرية ومحاريب مدرستى الطيبرسية والأقبغاوية ومحراب عبد الرحمن كتخدا كما فرش بالسجاد الفاخر المستورد من الخارج فى عهد أحمد فؤاد .

وأخيرا شكلت لجنة لحفظ الآثار العربية . وكان الجامع الأزهر موضع العناية الأولى لصيانته وحفظ كل ما يتعلق به من آثار هامة لفن العمارة فى عصوره المختلفة .

وجاء فى حديثه ــ فى الباب الثانى ــ بيان دقيق عن الأحوال العلمية ، وأحوال العلماء على مر العصور وبخاصة منذ خلص الأزهر لأهل السنة وأخذت صفته العالمية تتبلور حتى صار قبلة وحده للاسلام والعربية فقها وعلما . وفى هذا الفصل حديث عن الأزهر فى عهد الأيوبيين من سنة ٥٦٧ هـ الى سنة ٦٤٨ هـ وفى تلك الفترة احتفظ الأزهر بصفته العلمية بعيدا عن الآثار المذهبية لبعض الطوائف ، وقام بدراسة المذاهب السنية المعروفة ، وجاء عهد المماليك فشجعوا هذا التيار وسطع اسم الأزهر فى العالم الاسلامى « جامعة اسلامية كبرى » ثم أصيب بنكسة علمية على يد العثمانيين ٩٢٢ ــ ١٢٥٠ هـ (١٥١٧ ــ ١٨٠٥ م) وعملوا على حرمان أبنائه من دراسة العلوم العقلية .

واشاعوا بين العلماء القول بتحريم دراستها فاقتصرت الدراسة فى الأزهر على العلوم الدينية واللغوية مدة طويلة . وظل الأزهر هكذا وقتا كبيرا من الزمن يعيش فى تدهور وضغط يرتفع أحيانا وينزل اخرى ولكن كان يدرس من العلماء فى ذلك الوقت فوق المواد الدينية المواد الطبيعية وغيرها من أمثال الشيخ احمد عبد المنعم الدمنهورى سنة ١١٩٢ هـ الذى كان من شيوخ الأزهر وله مؤلفات كثيرة فى علم المزاول والميقات . واسباب الأمراض وعلاماتها وعلاج البواسير وعلم التشريح وتاريخ العرب والعجم .

والشيخ سلامة الفيومى الذى كانت له مؤلفات فى الهندسة والشيخ الخازن الذى كان له مؤلف فى المواد الثلاثة الحيوان والنبات والمعادن . والشيخ حسن العطار الذى كان له مؤلف فى علم المزاول والطلاسم .

ومن ذلك يتبين أن الأزهر قد شارك مشاركة فعالة فى العلوم المختلفة والثقافات القديمة والحديثة بجميع أنواعها ونواحيها ومع هذا كله فقد أشيع بين العلماء القول بتحريم دراسة العلوم العقلية فاقتصرت الدراسة على العلوم الدينية واللغوية مدة طويلة .

وتعتبر كلمة الباحث التالية جامعة لتاريخ الأزهر وبخاصة فى العصر الحديث منذ أواخر

تاريخ الأزهر وتطوره

القرن التاسع عشر ، قال :

وفى اواخر القرن التاسع عشر من الله على مصر بجماعة من المصلحين أمثال جمال الدين الأفغانى وعبد الرحمن الكواكبى والشيخ محمد عبده فاتجهوا الى ايقاظ الفكر المصرى والعربى فحضر جمال الدين الأفغانى الى مصر سنة ١٢٨٥ هـ وأقام بالقاهرة فقامت حوله الدسائس حتى خرج من مصر الى الآستانة وعاد اليها سنة ١٢٨٨ هـ فأكرمه اسماعيل باشا وأجرى عليه راتبا يليق بمقداره ومكانته ففتح باب الاجتهاد فى العلم والدين وبث الأخلاق العالية فى النفوس وألف جماعة من الطلاب للسعى فى اصلاح الأزهر بشتى الوسائل .

ولكن لم يحل الأمر كثيرا **فهيأ الله من الأمراء والوزراء والعلماء من تنبه لأسباب هذا التأخر العلمى وأخذ فى السعى لاعادة تدريس تلك العلوم النافعة . وخوفا من المفاجأة باعادة تدريس هذه العلوم فى الأزهر بعد أن فهم الكثير من متأخرى العلماء وغيرهم أن فى هذه العلوم عدوانا على الدين ، أوعزوا الى السيد محمد بيرم من كبار مدرسى جامع الزيتونة وقاضى محكمة مصر فى ذلك الوقت أن يمهد السبيل لادخال هذه المواد فى الجامع الأزهر ولم تستطع الحكومة اعادتها . فكتب الى شيخ الجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :**

ما قولكم رضى الله عنكم هل يجوز تعلم المسلمين العلوم الرياضية مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات والكيمياء وغيرها من سائر المعارف لا سيما ما ينبنى عليه منها من زيادة القوة فى الأمة بما تجارى عليه وبه الأمم المعاصرين لها فى كل ما يشمله الأمر بالاستعداد بل هل يجب بعض تلك العلوم على طائفة من الأمة بمعنى أن يكون واجبا وجوبا كفائيا على نحو التفصيل الذى ذكره حجة الاسلام الامام الغزالى فى احياء العلوم ونقله بعض علماء الحنفية وأقروه . واذا كان الحكم فيها كذلك فهل يجوز قراءتها مثل ما تجوز قراءة العلوم الآلية من نحو وغيره الرائجة فى الأزهر وجامع الزيتونة والقرويين .

افيدوا الجواب لازلتم مقصدا لأولى الألباب .

فأجاب العلامة الشيخ محمد الانبابى وهو شيخ الجامع الأزهر وشيخ الاسلام بالفتوى الآتية :

بعد المقدمة المعروفة . يجوز تعلم العلوم الرياضية مثل الحساب والهندسة والجغرافيا لأنه لاتعرض فيها لشىء من الأمور الدينية بل يجب منها ما تتوقف عليه مصلحة دينية أو دنيوية وجوبا كفائيا كما يجب علم الطب لذلك كما أفاده الغزالى فى مواضع من الاحياء . وأن ما زاد على الواجب من تلك العلوم مما يحصل به زيادة التمكن فى القدر الواجب فتعلمه فضيلة ولا يدخل فى علم الهيئة الباحث عن اشكال الأفلاك والكواكب وسيرها علم التنجيم المسمى بعلم أحكام النجوم وهو الباحث عن الاستدلال

بالتشكيلات الفلكية على الحوادث السفلية فانه حرام كما قال الغزالى . وعلل ذلك بما محصله أنه يخشى من ممارسته نسبة التأثير لكواكب والتعرض للأخبار بالمغيبات مع كون الناظر قد يخطىء لخفاء بعض الشروط . وأما الطبيعيات وهى الباحثة عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها كما فى

الاحياء فى الباب الثانى من كتاب العلم . فان كان ذلك البحث على طريق أهل الشرع فلا منع منها . كما أفاده العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى فى جزء الفتاوى الجامع للمسائل المنتشرة . بل لها حينئذ أهمية بحسب أهمية ثمرتها . كالوقوف على خواص المعدن والنبات المحصل للتمكن فى علم الطب كمعرفة عمل الآلات النافعة فى مصلحة العباد. وان كان على طريق الفلاسفة فالاشتغال بها حرام لأنه يؤدى للوقوع فى العقائد المخالفة للشرع .

نعم يظهر تجويزه لكامل القريحة الممارس للكتاب والسنة للأمن عليه مما ذكرنا قياسا على المنطق المختلط بالفلسفة على ما هو المعتمد فيه من أقوال . وأما علم تركيب الأجزاء المعبر عنه بالكيمياء فان كان المراد به البحث عن التركيب والتحليل بدون تعرض لما يخشى منه على العقيدة الاسلامية فلا بأس به بل أهميته حسب ثمرته . وأما العلم المعروف بعلم جابر ويسمى علم الصنعة وعلم الكاف وهو الذى ينصرف اليه علم الكيمياء عند غالب الناس فقد أفاد العلامة ابن حجر فى شرحه على المنهاج أنه ان قلنا بالمعتمد من جواز

انقلاب الجسم عن حقيقته وكان العلم المحصل لذلك يقينا جاز تعلمه والعمل به والا حرم وبفقد هذا الشرط لم يتحصل المشتغلون به فيما رأينا الا على ضياع الأموال وتشتت البال وتغير الأحوال .

فعلم أن العلوم الرياضية لا بأس من قراءتها كما تقرأ علوم الآلات وكذا الطبيعيات وعلم تركيب الأجزاء حيث كانت تقرأ على طريقة لا يفهم منها منابذة الشرع بحال . كبقية العلوم العقلية مثل المنطق والكلام

والجدل بل يجب كفاية من هذه الثلاثة ما يحتاج اليه فى الحجاج عن العقائد الدينية.

وكتب أيضا مثل هذه الفتوى الى الشيخ محمد البنا مفتى الديار المصرية فى ذلك العهد . فأجاب عنها بقوله : ما أفاده حضرة شيخ الاسلام موافق لمذهبنا والله سبحانه وتعالى أعلم .

وكان ذلك بعد أسبوعين من اعلان فتوى شيخ الأزهر فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٠٥ هـ .

وبعد ذلك أخذت الدراسة فى الأزهر تشق طريقها الى التقدم العلمى . وبعد خمس سنوات من هذه الفتوى أى فى سنة ١٣١٠ هـ كانت العلوم التى تدرس فى الجامع الأزهر هى : التوحيد . والتصوف . والتفسير . والتجويد والقراءات والحديث والمصطلح . وفقه المذاهب الأربعة وأصول الفقه واللغة . والنحو والصرف وعلوم البلاغة والعروض والقافية والوضع والمنطق . وأدب البحث . والتاريخ والحساب . والجبر . والهيئة

والميقات ، والحكمة ، والرسم .

وكانت الكتب التى تدرس فى علم التوحيد هى : أم البراهين الصغرى للشيخ محمد يوسف وشرح الباجورى ، وأم البراهين الكبرى للسنوسى ، وجوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم اللقانى بشرح عبد السلام اللقانى ، والعقائد النسفية بشرح السعد التفتازانى ، والخريدة للشيخ أحمد الدردير ، والمقاصد لسعد الدين التفتازانى ، والمواقف للشيخ عبد الرحمن العضد شرح الجرجانى ، وطوالع الأنوار للبيضاوى بشرح الأصفهانى، ومتن السباعى بشرح الباجورى .

والكتب التى تدرس فى التصوف هى : الابريز للشيخ عبد العزيز ، والأنوار القدسية للشيخ عبد الوهاب الشعرانى وبستان العارفين للشيخ نصر السمرقندى ، وتاج العروس لابن عطاء الله السكندرى ، والتجليات الالهية للشيخ محيى الدين ابن عربى ، وتحفة الاخوان للشيخ أحمد الدردير ، وتفليس ابليس لعز الدين بن عبد السلام ، وتنبيه الغافلين للشيخ نصر السمرقندى ، والتنوير فى اسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندرى ، والاحياء للغزالى ، وقوت القلوب لأبى طالب المكى ، والمنن الكبرى للشيخ الشعرانى .

والكتب التى تدرس فى التفسير هى : الكشاف للزمخشرى وتفسير الجلالين بحاشية الجمل ، وتفسير الخطيب الشربينى وتفسير عبد الله بن عمر البيضاوى ، وتفسير أبى السعود ، وتفسير الفخر الرازى ، وتفسير الخازن ، وتفسير النسفى والاتقان للسيوطى .

والكتب التى تدرس فى التجويد والقراءات هى : تحفة الأطفال للشيخ سليمان الجنزورى ، والجزرية والتمهيد للشيخ محمد الجزرى ، وجهد المقل للشيخ على زيادة ، وارشاد الرحمن للشيخ عطيه الأجهورى ، والشاطبية للشاطبى والوقف والابتداء للشيخ الأشمونى .

والكتب التى تدرس فى الحديث هى : صحيح البخارى شرح القسطلانى والعسقلانى والعينى ، وزكريا الأنصارى ومختصر البخارى للشيخ ابن أبى جمرة ، وصحيح مسلم بشرح النووى والشفاء للقاضى عياض ، وموطأ الامام مالك ، والجامع الصغير للسيوطى ، والأذكار النووى ، والتجريد للزبيدى ، والشمائل المحمدية للترمذى ، والترغيب والترهيب للمنذرى والأربعين للنووى وصحيح الترمذى ، وصحيح النسائى ، وصحيح الأشعث ، وصحيح ابن ماجه ، والمواهب اللدنية للعسقلانى ، والسيرة الحلبية للحلبى .

والكتب التى تدرس فى مصطلح الحديث

ـ هي ـ ألفية الحافظ العراقي بشرح شيخ الاسلام العدوى . وتقريب النووى بشرح الجلال السيوطي . والنخبة لابن حجر العسقلاني . والبيقونية للشيخ عمر البيقوني . ومنظومة الصبان .

والكتب التى تدرس فى فقه الحنفية هى: نور الايضاح شرح الشرنبلالى . والكنز للنسفى بشرح الطائى . وابن نجيم . والزيلعى . والعينى . وتنوير الأبصار للحصفكي . والبداية المرغيناني . والهداية. والغاية . وفتح القدير . والأشباه والنظائر لابن نجيم . والخراج لأبي يوسف. وملتقى الأبحر للحلبي . ومجمع البحرين لابن الساعاتى . ومتن القدورى للبغدادى. وجامع الفصولين . والسراجية .

والكتب التى تدرس فى فقه المالكية هى متن العشماوية بشرح ابن تركى . والعزية لأبى الحسن الشاذلى شرح الزرقانى . ورسالة ابن أبى زيد القيروانى.وأقرب المسالك للدردير . ومختصر خليل بشرح الدردير والخرشى والزرقانى والحطابوالشيراخيتى. والمجموع للشيخ الأمير . والعاصمية . والتبصرة لابن فرحون . والقلصاوى للقرشى .

والكتب التى تدرس فى فقه الشافعية هى: التقريب لأبى شجاع . والأشباه والنظائر للسيوطى . والتحرير ومنهج الطلاب للشيخ زكريا الأنصارى . والروض والارشاد لابن المقرى . ومنهاج الطالبين للنووى . والعباب لابن المرجحى . ونهج الطلاب للجوهرى . والبهجة لابن الوردى . والوجيز للغزالى . والروض للنووى . وكشف النقاب للوناتى . وفتاوى ابن حجر. وفتاوى الرملى . والرحبية . والترتيب للماردينى . وكشف الغوامض للسبط . وألفية ابن الهائم .

والكتب التى تدرس فى فقه الحنابلة هى: الدليل للشيخمرعى. وزاد المستنقع للبهوتى. والمنتهى للفتوحى . والاقناع . ومختصر المقنع للحجاوى . والمقنع لابن قدامة . والانصاف للمرداوى . ومختصر الشطى .

والكتب التى تدرس فى أصول الفقه هى : جمع الجوامع للسبكى . ومختصرابنالحاجب شرح العضد . ومنار الأنوار للنسفى . والتنقيح لصدر الشريعة . وتنقيح الفصول للقراف . والورقات لامام الحرمين بشرح المحلىوابن القاسم . والورقات للحطاب . والتحرير للكمال بن الهمام . وفصول البدائع . والمرآة .

والكتب التى تدرس فى اللغة هى : القاموس للفيروزابادى . والصحاح للجوهرى . ومختار الصحاح للرازى . والمصباح المنير للفيومى . وفقه اللغة للثعالبى . والأساس للزمخشرى . والمزهر للسيوطى . ولسان العرب للأنصارى .

والكتب التى تدرس فى النحو : الأجرومية بشرح الكفراوى والشيخ خالد . والأزهرية للشيخ خالد . وقطر الندى . وشذور الذهب لابن هشام . وألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل والأشمونى . ومغنى اللبيب لابن هشام .

والكافية لابن الحاجب . والتسهيل لابن مالك .

والكتب التى تدرس فى الصرف هى : المراح لأحمد بن على بن مسعود . والشافية لابن الحاجب . والتصريف للعزى . والترصيف للاخضرى . ونظم المقود للطحاوى بشرح الشيخ عليش . ولامية الأفعال لابن مالك . ورسالة الجوهرى فى الاشتقاق .

والكتب التى تدرس فى علوم البلاغة هى: التلخيص للخطيب القزوينى . والمفتاح للسكاكى . والجوهر المكنون للاخضرى . وعقود الجمان وشرحه للسيوطى . ومنظومة ابن الشحنة . والرسالة البيانية للصبان . والسمرقندية .

والكتب التى تدرس فى العروض والقوافى هى : الكافى للقنائى . والخزرجية . ومنظومة الصبان .

والكتب التى تدرس فى الوضع هى : الرسالة العضدية بشرح السمرقندى . وعنقود الزواهر .

والكتب التى تدرس فى المنطق هى : السلم للاخضرى . وايساغوجى للابهرى بشرح الشيخ زكريا الأنصارى . والتهذيب للسعد التفتازانى بشرح الخبيصى . والشمسية للكاتبى بشرح القطب الرازى . والمختصر للسنوسى . والمطالع للارموى بشرح الرازى .

والكتب التى تدرس فى أدب البحث والمناظرة هى : آداب الكلنبوى بشرح حسن باشا زاده . وآداب السمرقندى بشرح الشيروانى وشيخ الاسلام . وآداب الساجقلى للمرعشى . وآداب الجرجانى .

والكتب التى تدرس فى التاريخ هى : تاريخ الخميس للقاضى حسين الديار بكرى . واسعاف الراغبين للصبان . ومقدمة ابن خلدون . وتاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر . والكامل لابن الأثير . والخطط المقريزى . ونفح الطيب للمقرى . وتحفة الناظرين للشرقاوى . والعقد الفريد لابن عبد ربه . والطبقات الصغرى لابن السبكى . وطبقات الشعرانى . ولوائح الأنوار للشعرانى . وخلاصة الأثر للمحلبى . وأخبار الأول للاسحاقى .

والكتب التى تدرس فى الحساب والجبر هى: الخلاصة للعاملى . والوسيلة لابن الهائم . والتحفة السنية للسبط . والسخاوية للسخاوى . والياسمينية لابن الهائم . والدرة البيضاء للاخضرى . والتلخيص للدمياطى . واللمعة لابن الهائم . ومنظومة فى الحساب للاخضرى . ونزهة النظار لابن الهائم .

والكتب التى تدرس فى الميقات والهيئة هى : دقائق الحقائق . وهداية الحائر للسبط . وخلاصة المختصرات لابن عائشة . ورسالة فى العمل بالربع للجبرتى . والمقدمة لمحمد المجدى . وتحفة الاخوان لابن قاسم .

والوضع على الجهات للمالكي الأندلسي . ورسالة الوقت والقبلة للقليوبي . ورسالة في معرفة التواريخ لابن مهدي . ودستور علم الميقات لرضوان أفندي . وزاد المسافرين لأحمد بن المجدى . وتسهيل الدقائق لخليل الفرازى . ورسالة المنحرفات له أيضا . والتذكرة للطوسي . والمطلع السعيد لحسين زائد .

والكتب التي تدرس في الحكمة هي : الاشارات لابن سينا . والهداية لأثير الدين الأبهري . وحكمة العين للكاتبي . ومقولات السجاعي . ومقولات البليدي . ومقولات المرصفي . وغالية النشر لعبد الجواد القياتي .

والكتب التي تدرس في الرسم هي : منظومة في الرسم العثماني . رسم مصحف عثمان . ومنظومة في الرسم القياسي .

وكان نظام الدراسة في الازهر في ذلك الوقت هو نظام الحلقات ؟ فالحلقة هي أساس الدراسة بالازهر وهي مفتوحة للجميع . والحلقات مختلفة في مستوياتها . فالطالب المستجد يجلس باستشارة من سبقوه في الحلقات السهلة البعيدة عن التعقيد . وينتقل من حلقة الى أخرى تبعا للمواد التي يريد أن يدرسها . وينتقل كذلك من مستوى الى مستوى أعلى حسب رغبته واحساسه بمقدرته على تتبع حلقات على مستوى أعلى . ولم تكن هناك شروط ولا قيود على الطلاب . فالمصلحة ومقدرة الطالب هما أساس حضور حلقات الدراسة . واذا أنس الطالب القدرةعلى أن يجلس مجلس العلم أعلن ذلك ، واختار له مكانا يتصدر فيه الحلقة للتدريس ولم يكن ذلك سهلا فكان الموقف مخيفا من كثرة الأسئلة التي يطرحها الطلاب على من يتصدى التدريس ويجلس هذا المجلس . فاذا استطاع المدرس الجديد أن يثبت أمام هذا النقاش ويجيب على الأسئلة التي كانت تصل أحيانا الى درجة التحدي وكان موفقا في الاجابة وأقنع الذين يجلسون حوله استمر في عمله وواصل التدريس ولا حرج عليه اذا صدرت منه هفوة أو زلة في العلم حيث اجتاز هذا الموقف الصعب الذي كان يقوم ضد المدرسين الجدد في أول عهدهم بالتدريس في الأزهر وهو بمثابة امتحان لهم واجازة بالتدريس .

واذا عجز في جلساته الأولى عن اقناع التلاميذ والاجابة عن أسئلتهم فعليه أن يعود الى حلقة طالبا يتلقى العلم من شيوخه كما كان .

وبعض الطلاب كان يختار التدريس والفتيا في الأرياف فهؤلاء كان لابد أن يحملوا على اجازة من شيوخهم تشهد بأنهم أكفاء للتدريس والفتيا . وكانت الاجازة مطلقة أحيانا وأخرى تكون مقيدة . فيذكر الشيخ أن الطالب حضر عليه الدروس في كتاب كذا وأنه أجازه فيه واذن له في تدريسه . واستمر هذا النوع من الاجازات معمولا به في الازهر حتى صدر قانون بتنظيم الازهر سنة ١٨٧٢ م .

ومن أمثلة هذه الاجازات ما نقل عن الشيخ السخاوى مؤلف كتاب الضوء اللامع في علماء

تاريخ الأزهر وتطوره

القرن التاسع • يجيز أحد تلاميذه أن يروى عنه هذا الكتاب وغيره فكتب ما يأتى :

الحمد لله ، كتاب الضوء اللامع قرأه على كاتبه عبد العزيز عمر بن محمد بن الهاشمى المستغنى بشريف أوصافه عن تكرار التعريف به وباسلامه زاده الله فضلا وأفضالا • وأعاذه من المكروه حالا ومآلا • ورحم أصوله وضم شمله بفروعه • وبلغه فيه مأموله • وأجزت له روايته عنى مع سائر مروياتى ومؤلفاتى •

وأيضا ما جاء عن سراج الدين أبى حفص عمر الشهير بابن الملقن يجيز القلقشندى صاحب صبح الأعشى أنه قال : لما كان أبو العباس القلقشندى أدام الله تسديده وتوفيقه • ويسر الى الخيرات طريقه ممن نشأ فى طلب العلم والفضيلة • وتخلق بالأخلاق المرضية الجميلة • وصحب السادة من المشايخ والفقهاء • والقادة من الأكابر والفضلاء واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالا يرضى الى نيل السعادة ان شاء الله يفضى فقد أذنت له أن يدرس مذهب الامام المجتهد المطلق العالم الربانى أبى عبد الله ابن محمد بن ادريس المطلبى الشافعى رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه وأن يقرأ ما شاء من الكتب المصنفة فيه وأن يفيد ذلك الطالبين حيث حل وأقام • وأن يفتى من قصد استفتاءه خطا ولفظا •

وبعض الاجازات الأزهرية كانت تصدر للتبريك والتقدير كالاجازة التى يصدرها عالم الى عالم مثله أو التى يصدرها عالم الى صبى مجتهد رجاء استمرار جده واجتهاده وكان الطلاب يعنون كثيرا بهذه الاجازات ويحصلون عليها من عدد كثير من المشايخ ويذكرون فيها العلوم التى تلقوها عنهم •

وفى أيام الخديوى اسماعيل باشا كان الشيخ محمد العباسى شيخا للازهر وكان عالما فذا مستنير العقل والفكر فرأى أن كثيرا من الناس يدعون العلم وهم بعيدون عنه والى الجهل أقرب • وأن الكثير منهم ينتسب الى العلم ولا مقصد له من ذلك الا الفرار من الجندية وأن بعضهم جاوز الستين عاما يطلب العلم فى الازهر لغرض الحصول على الجراية التى كانت تمنح للطلاب فاستصدر قانونا من الخديوى سنة ١٢٨٧ هـ الموافق سنة ١٨٧٢ م بما يأتى :

١ ـ ألا تعطى شهادة العالمية الا بامتحان أمام لجنة من العلماء يختارها شيخ الجامع الأزهر •

٢ ـ أن ينقسم العلماء الى ثلاث درجات (أولى وثانية وثالثة) ويصدر بذلك قرار عال •

٣ ـ أن يمتاز أصحاب الأولى بكسوة تشريفة ينعم بها عليهم من الجناب العالى الخديوى •

٤ ـ يمتحن الطلبة فى العلوم الآتية : الفقه الأصول . التوحيد . الحديث . التفسير . النحو . الصرف . المعانى . البيان . البديع . المنطق .

واستمر الأزهر وقتا من الزمن يقرب من خمسة وعشرين عاما يقوم على دراسة هذه المواد فقط وتشبع علماء الازهر القدامى بهذا النظام . وأخذوا يدافعون عنه ويحاربون كل ما يسمى بالعلوم الحديثة كالانشاء والاملاء والخط وآداب البحث والسيرة النبوية والأخلاق ويقاومونها وأخذوا يهاجمون الشيخ العباسى واصلاحه للازهر . وكانوا يتفاخرون بأنهم بعيدون عن التيارات الحديثة فى التعليم بالأزهر . وأن تدريسها فى الأزهر افساد له وقضاء عليه .

وشغلت مصر بالاحتلال الانجليزى سنة ١٨٨٢ م وبقى الأزهر فى صراع خفى بين طلاب الأزهر الذين يطالبون بالتجديد والاصلاح وبين أنصار الجمود والتقليد المحافظين على القديم وترتب على ذلك أنه اذا تولى أحد الشيوخ ادارة الأزهر جعل كل اهتمامه فى تنظيم الادارة وترتيب مواعيد العمل والامتحانات دون مساس بجوهر التعليم فيما يتعلق بالكتب الدراسية ومواد الدراسة والمدرسين وكانت الحكومة تخشى المساس بحقوق الأزهر من عامة الشعب فلم تمتد يدها الى شىء من اصلاح التعليم فيه انتظارا من أن يطلب ذلك أهل الأزهر أنفسهم . واستطاع الشيخ محمد عبده بعد هذا أن يكون داعية لاصلاح شامل للتعليم فى الأزهر فبذل جهدا كبيرا أمام الخديوى توفيق لاقناع شيوخ الأزهر ولم يتم له هذا الغرض لمعارضة شيوخ الأزهر له معارضة شديدة .

ولما تولى عباس الثانى حكم مصر جدد مساعيه للاصلاح ورفع اليه تقريرا عن الازهر ووسائل اصلاحه واستعان بكثير من الطلاب والأساتذة الذين رفعوا عريضة للخديوى يذكرون فيها سوء حال الأزهر وضعف مكانته العلمية ويطلبون منه وضع حد لهذه الفوضى .

فاستجاب لهم الخديوى وأصدر قانونا فى ١٧ من رجب سنة ١٣١٢ هـ الموافق ١٥ من يناير سنة ١٨٩٥ م وبمقتضاه تألف مجلس لادارة الأزهر من الشيوخ الكبار الذين يمثلون المذاهب الأربعة ويمثل الحكومة فى هذا المجلس الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان . وأنشىء بعد ذلك مجلس خاص بالأزهر وعين الشيخ حسونة النواوى شيخا للجامع الأزهر وهو من دعاة الاصلاح المجددين . فأدخل الكثير من العلوم التى كانت لم تدرس قبل ذلك كالحساب والجبر والهندسة والجغرافيا والتاريخ . وقسمت مدة الدراسة الى اثنى عشر عاما . وأن من يتم الدراسة لمواد معينة فى ثمانى سنوات يدخل امتحانا خاصا اذا نجح فيه يعطى شهادة تسمى الشهادة الأهلية . واذا استمر فى الدراسة بعد ذلك لمدة أربع سنوات أخرى يجوز له أن يتقدم الى امتحان آخر فان نجح فيه يعطى شهادة العالمية .

وفى سنة ١٩٠٣ م انشئت مشيخة علماء الاسكندرية لتسير على هذا النظام المتبع فى

تاريخ الأزهر وتطوره

الجامع الأزهر فى الدراسة ومنح الشهادات.

ولما كان الشيخ محمد عبده هو صاحب هذه النهضة الجديدة للدراسة فى الجامع الأزهر

وأصبح من الذين يشرفون على ما يجرى فى الأزهر ويتصل بانظمة الدراسة ويعرف الكثير من عيوبها التى كانت تنحصر فى نظره فى تدريس الكتب العقيمة والمواد القديمة . وأن نظام الثقافة فيه يدخل فى دائرة محدودة لا تخرج عن نطاق بعض المسائل الفقهية وبعض العقائد والدراسات العربية المعقدة التى تبعد عن متناول أوساط الطلاب . وأن الطالب مطلق الحرية فى حضور الدروس والغياب عنها . ولايعرف الأستاذ مدى فهمه وتحصيله مما القاه فى الدروس أو جهله بها . وأن توزيع الجراية والمرتبات وكسوة التشريفة وغير ذلك من أمور الادارة يسير على غير نظام محدد . وأن الازهر بهذا أصبح بعيدا عن حياة الناس وانه لايستطيع أن يؤدى رسالته الى العالم الاسلامى ما دام على هذا الوضع . فاقترح أن يقوم المسئولون بحركة اصلاحية تقضى بضرورة اثبات حضور وغياب الطلاب . وأن يبذل المدرسون جهدهم فى تفهيم الطلاب نفس الموضوعات العلمية دون التقيد بعبارة الكتاب . وانه لا مانع من أن تشترك الجهات الحكومية التعليميةفى المساعدة على اصلاح انظمة الدراسة فى الأزهر وأن تضاف اليه بعض المواد الحديثة التى لها مساس بالثقافة العامة حيث أن العوائق التى كانت تقف فى الماضى أمام حركة الاصلاح والتجديد فى الأزهر قد زالت ولم يبق من آثارها شىء .وأن من الميسور جدا أن يقوم رئيس الوزراء بهذه الاصلاحات أو أن يعهد بها الى لجنة اصلاح الأزهر وفيها الشيخ محمد عبده صاحب الرأى الأوحد فى اقتراح هذه الاصلاحات .

وفعلا قد تحقق هذا وحدث كثير من التغييرات فى أنظمة الأزهر وأدخلت فى دراسته العلوم الحديثة . وعلوم السلف الفلسفية التى كانت محرمة قبل ذلك فى الأزهر . وتم وضع نظام خاص بمواعيد الدراسة والاجازة والامتحان وحضور وغياب الطلاب ووضع ميزانية ثابتة من ميزانية الدولة ووزارة الأوقاف للانفاق منها على الازهر وتحديد مرتبات ثابتة للمدرسين ورفعها الى المستوى اللائق بمكانتهم العلمية حيث كانت مهملة اهمالا جسيما رغم كثرة الأوقاف الخاصة بالأزهر وطلابه وعلمائه . فكانت عبارة عن مرتبات شهرية للعلماء وأولاد المتوفين منهم فى حدود عشرين قرشا فى الشهر وكسوة التشريفة التى كانت تمنح لبعض العلماء وأمرها متروك الى شيخ الأزهر .

وعدلت مرتبات العلماء الى ثلاث درجات فمرتب العالمية من الدرجة الأولى ١٥٠ قرشا فى الشهر ومن الدرجة الثانية ١٠٠ قرش فى

الشهر ومن الدرجة الثالثة ٧٥ قرشا في الشهر وأن تصدر الشهادة من ولى الأمر . وهذا التعديل صدر بقانون سنة ١٨٧٢ م واستطاع الشيخ محمد عبده استصدار قانون آخر في ١٦ من المحرم سنة ١٣١٣ هـ الموافق سنة ١٨٩٥ م بمعاونة الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر لتحسين أحوال العلماء في كسوة التشريفة وغيرها وجعل لها بدلا لايقل عن ١٢ جنيها ولا يزيد عن ٣٣ جنيها في السنة . وبناء مكاتب بالقرب من الجامع الأزهر لادارة شئونه يقوم بالعمل فيها الموظفون الاداريون لمساعدة شيخ الأزهر في انجازها . وجدد أروقة الأزهر وفق الشروط الصحية وأوصل اليها المياه النقية وبدل قناديل الزيت الضعيفة بمصابيح بترولية قوية ورفع مخصصات الجراية التى كانت تصرف للطلاب من خمسة آلاف رغيف يوميا الى خمسة عشر ألفا . وقام بتنظيم الأوقاف المحبوسة على الأزهر فارتفع ايرادها من أربعة آلاف جنيه الى أربعة عشر ألفا وسبعمائة وخمسين جنيها .

وقد قام الشيخ محمد عبده بعد ذلك باعداد قانون يرمى الى تحديد اختصاصات مجلس ادارة الأزهر واختصاصات شيخ الأزهر وشروط قيد الطلاب ومدة الدراسة والاجازات والمواد التى تدرس . وأنها قسمان علوم مقاصد . وهى التوحيد والتفسير . والحديث والفقه والأصول والاخلاق الدينية . وعلوم وسائل وهى النحو والصرف . والبلاغة . ومصطلح الحديث . والحساب والجبر والمنطق . ووضع نظام الامتحانات للحصول على شهادة الأهلية وشهادة العالمية . واضافة علوم أخرى وهى التاريخ والانشاء ومتن اللغة والجغرافيا ومبادىء الهندسة وكانت اختيارية للمفاضلة بين الناجحين في شهادة العالمية لمن يريد الوظائف والدرجات وتنظيم قواعد التدريس بحيث تمضى بالتطبيق على العبارات الواردة في الكتب وشرحها بعبارات سهلة توضح الغرض المقصود منها في سنوات الدراسة جميعها .

ورأى بعد هذا الاعداد أن يستشير كبار الشيوخ ليسهل التنفيذ فتألفت لجنة للاصلاح من ثلاثين عضوا برياسة الشيخ سليم البشرى ، وتقدم الى الحكومة فشكلت لجنة أخرى تضم بعض أعضاء مجلس الادارة وصدر قانون بهذا الاصلاح في ١٤ من المحرم سنة ١٣١٤ هـ الموافق سنة ١٨٩٩ م وبه أصبحت مشيخة الأزهر نظامية وازداد عدد المتخرجين في كل سنة . فبعد أن كان عدد المتقدمين لامتحان العالمية ستة أشخاص بقيود خاصة أبيح لكل من عنده استعداد لأداء الامتحان .

فتقدم في سنة ١٣١٥ هـ تسعة وعشرون طالبا نجح منهم ثمانية عشر . وبدأ العدد يزداد زيادة محسوسة في كل عام . وظهرت آثار التغيير الجوهرى في مدة الدراسة فكانت لا تتجاوز ثلاثة أشهر ونصفا في العام وأصبحت بعد صدور القانون عشرة أشهر تبدأ في الأسبوع الأول من شوال وتنتهى في نصف شعبان ، وعنى مجلس الادارة بنظام المكافآت

تاريخ الأزهر وتطوره

للطلاب المتفوقين . وكانت الجوائز تـــوزع عليهم فى بدء العام الدراسى فى اجتماع كبير يحضره أعضاء مجلس الادارة وبعض العلماء تحت رياسة شيخ الأزهر وشجع ذلك الطلاب فكانوا يتنافسون للحصول على هذه الجوائز فى تحصيل العلوم الأزهرية والعلوم الحديثة وأن بعض المتخرجين كانوا يقومون بتدريس المواد الحديثة كالحساب والهندسة والجبر والجغرافيا باتقان ومهارة ولكن مع هذا قامت حركة معادية لهذا الاصلاح الذى اقترحـــه الشيخ محمد عبده للأزهر مـــن بعض العلماء الذين كانوا يرون أن هذه العلوم الحديثـــة أبعدت الأزهر عن رسالته الحقيقية وهى نشر التعاليم الدينية لا غير وساعدهم على ذلــك رغبة الخديوى عباس لأنه أدرك أن هـــذا الاصلاح فى الأزهر حرمه الكثير من السلطان وأضاع عليه بعض الأموال التى كان يستولى عليها لنفسه وينفق منها على أعوانه وحاشيته وأدى ذلك الى تحريض الطلاب على اثارة الفوضى والشغب بين طلاب الأزهر وعماله وخدمه على هذا الاصلاح وأنه جناية عـلى الدين واتهموا الشيخ محمد عبده بالالحـاد والخروج عن قواعد الدين الأساسية فأبعـد عن الافتاء وعن مجلس ادارة الأزهر مع بعض أعوانه ومساعديه وتعيين الشيخ عبد الرحمن الشربينى شيخا للجامع الأزهر سنة ١٣٢٣ هـ الموافـــق ١٩٠٥ م وأقيم له احتفال بمنح كسوة التشريفة حضره الخـديوى عباس وخطب فى هذا الاحتفال . وقال : ان الجامع الأزهر أنشىء ليكـــون مدرسة دينية تنشر علوم الدين فى مصر وسائر البلاد الاسلامية وأنا وحكومتى نطلب أن يكون الهدوء سائدا فى الأزهر الشريف بعيدا عن الشغب والفوضى فلا يشتغل علماؤه وطلابه الا بالعلوم الدينية البعيدة عن زيغ العقائد وهو مدرسة دينيـة قبل كل شىء .

كما تعين فى هذا الوقت الشيخ عبد القادر الرفاعى مفتيا للديار المصرية وتوفى على أثـر تعيينه وأعلن شيخ الجامع الأزهر الجديد رأيه فيما كان من اصلاح الأزهر وأنه يعارض ذلـــك .

وفى حديث له نشرته صحيفة مصرية فى ١٣ مارس سنة ١٩٠٥ م قال : ان غرض المتقدمين من تأسيس الأزهر اقامة بيت لعبادة اللـــه ويؤخذ فيه شرعه . ويؤخذ منه الدين كمـــا تركه الأئمة الأربعة رضوان الله عليهـم وأن الخدمة المنوطة بالأزهر هى حفظ الدين لاغير وما سوى ذلك من أمور الدنيا وما يسـمونه علوم العصر الحديث فلا علاقة للأزهر به . وسخر مما يسمونه اصلاح الأزهر . وقال ان الذى حدث فى الأزهر من شأنه أن يهدم معالم الدين ويحول هذا المسجد العظيم الى مدرسة فلسفة وآداب تحارب الدين وتطفىء نوره فى البلاد الاسلامية . وقال اننى أسمع من سنوات ما يسمونه اصلاح الأزهر ولكنى لم أر شيئا مـن هـذا الاصلاح الا انتشار

الفوضى فى جوانبه . فواجبنا هو العناية بالدروس الدينية والاهتمام بصحه الطلاب وغذائهم . وأما علوم الفلسفة والعلوم الحديثة فأمامها مدارس الحكومة تدرس فيها ما تشاء منها حتى تستطيع المحافظة على عقائد طلاب الأزهر .

ولما توفى الشيخ محمد عبده سنة ١٩٠٥ م هدأت ثورة الاصلاح بعض الوقت وتجدد بعده انشاء مدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٠٧ م لأنها أصبحت منافسا كبيرا للجامع الأزهر حيث استقلت بوظائف القضاء الشرعى . فأصدر الخديوى عباس قانونا سنة ١٩٠٧ م بتنظيم الأزهر والمعاهد الدينية جعل الامتحان فى العلوم الحديثة اجباريا بعد أن كان اختياريا وأوجب الامتحان فى كل قسم من الأقسام الثلاثة وهى الابتدائى والثانوى والعالى . وتولى مشيخة الأزهر الشيخ حسونه النواوى سنة ١٩٠٩ واستقال فى نفس العام . ثم تولى مشيخة الأزهر الشيخ سليم البشرى وفى عهده صدر القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ الذى قسم الدراسة فى الأزهر على مراحل ثلاثة . كل مرحلة خمس سنوات . وجعل لكل مرحلة نظاما وعلوما . وزاد فى مواد الدراسة وحدد اختصاصات شيخ الازهر . وأنشأ مجلس الأزهر الأعلى للاشراف على ادارته برئاسة شيخ الأزهر كما أوجد هيئة كبار العلماء وجعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخا . ولكل معهد من المعاهد مجلس ادارة . وجعل نظاما للموظفين فى تعيينهم وترقيتهم وتأديبهم واجازاتهم . وحدد شروطا لقبول الطلاب وعقوباتهم ونظم الامتحانات ويمنح الطالب بعد نهاية المرحلة الاولى شهادة تسمى الشهادة الأولية . وبعد نهاية المرحلة الثانية يمنح شهادة تسمى الشهادة القانونية . وبعد نهاية المرحلة الثالثة يمنح شهادة تسمى شهادة العالمية النظامية . وكان لكل عضو من هيئة كبار العلماء كرسى خاص فى المكان المخصص للتدريس العام فى الأزهر ويجوز أن يكون بعضهم شيخا لمعهد من معاهد الأقاليم أو وكيلا له . والعلوم التى كان يقوم بتدريسها جماعة كبار العلماء هى الفقه . والأصول . والحديث والمصطلح . والتفسير . واللغة العربية والتوحيد . والمنطق . والتاريخ والسيرة النبوية . والأخلاق الدينية . ولا يتقيد العضو فى دراسته بنظام الدراسة الحديثة بل يشرح الكتب التى يدرسها بالطريقة التى يختارها كما يختار المادة والكتاب على أن يكتب ثلاثة دروس فى الأسبوع على الأقل فى وقت يتيسر فيه الحضور لأكبر عدد من العلماء يحضرون الدرس لمعرفة طريقة الأزهر القديمة فى التدريس واشترط القانون فيمن يختار عضوا فى الهيئة ما يأتى :

١ ـ ألا يكون سنه أقل من خمس وأربعين سنة .

٢ ـ أن يكون مضى عليه وهو يدرس فى الجامع الأزهر والمعاهد الاخرى عشر سنوات على الأقل منها أربع سنوات فى القسم العالى .

٤ ـ أن يكون معروفا بالورع والتقوى وليس فى ماضيه مايشين سمعته .

تاريخ الأزهر وتطوره

ثم عدلت سنوات الدراسة الى ١٢ سنة .

وصدر بعد ذلك قانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ م أعاد تنظيم الأزهر على الوجه الآتى: التعليم فى الأزهر يكون على أربعة أقسام :

ابتدائى ومدته أربع سنوات ، يمنح الطالب بعدها الشهادة الابتدائية ، وثانوى ومدته خمس سنوات يمنح الطالب الناجح فيها بعد ثلاث سنوات الشهادة الثانوية قسم أول ، وبعد سنتين أخريين يمنح الناجح فيها الشهادة الثانوية قسم ثانى ، ويستبدل القسم العالى بكليات ثلاث هى : أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية ، ويمنح الطالب بعد اتمام الدراسة فى أى كلية منها شهادة تسمى العالية فى أصول الدين أو العالية فى الشريعة أو العالية فى اللغة العربية .

والقسم الرابع نظام التخصص ، وجعله قسمين :

١ ــ تخصص المهنة ومدته سنتان ، وهو أنواع : فتخصص التدريس ويتبع كلية اللغة العربية ويمنح الناجح فيه شهادة العالمية مع اجازة التدريس .

وتخصص القضاء ويتبع كلية الشريعة ويمنح الناجح فيه شهادة العالمية مع اجازة القضاء الشرعى .

وتخصص الوعظ والارشاد ويتبع كلية أصول الدين ويمنح الناجح فيه شهادة العالمية مع اجازة الدعوة والارشاد .

٢ ــ تخصص المادة ومدته خمس سنوات يمنح المتخرج فيه بعدها شهادة العالمية من درجة أستاذ ، وفروعه هى :

الفقه والأصول ، والتفسير والحديث ، والتوحيد والمنطق ، والبلاغة والأدب ، والنحو والصرف ، والتاريخ .

وأطلق على القسمين الابتدائى والثانوى اسم المعاهد الدينية الملحقة بالجامع الأزهر .

ونقل هذا القانون الطلاب من المساجد الى المبانى النظامية ، واستبدل نظام الحلقات بنظام الفصول والمحاضرات كالمدارس والجامعات الأخرى .

وأنشأ بجوار هذه المدارس النظامية أقساما أخرى غير نظامية يسمح فيها بالدراسة والامتحان للطلاب الذين لم تتوافر فيهم شروط القبول بالمعاهد النظامية وسميت بالأقسام العامة ،على أن يستمر مكانها فى المساجد وأنشئت فى خمس محافظات هى القاهرة ، طنطا ، المنيا ، سوهاج ، قنا .

والمعاهد التى شملها القانون فى ذلك الوقت ، كانت فى القاهرة ، والاسكندرية ، وطنطا ، والزقازيق ، وأسيوط ، ودسوق ودمياط .

ثم صدر القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ فى عهد الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر ويشتمل على التعديل وفق النظام الآتى :

١ – ابتدائي ومدته أربع سنوات . ويدرس فيه الفقه ، التوحيد . السيرة النبوية سيرة كبار الصحابة ، تجويد القرآن الكريم ، الانشاء ، النحو ، الصرف ، الاملاء ، الخط ، المطالعة ، والمحفوظات ، التاريخ ، الجغرافيا ، الرياضة ، تدبير الصحة ، الرسم .

٢ – ثانوى ومدته خمس سنوات ويدرس فيه ، الفقه ، التفسير ، الحديث متنا ومصطلحا التوحيد ، علوم اللغة العربية ، (النحو والصرف) ، البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، الانشاء ، أدب اللغة ، العروض والقافية ، المطالعة والمحفوظات ، المنطق وأدب البحث ، الطبيعة ، الكيمياء ، علم الحياة ، التاريخ ، الجغرافيا .

٣ – الكليات وهى ثلاثة ، الشريعة ، وأصول الدين ، واللغة العربية .

٤ – أقسام التخصص وبقيت كما هى فى القانون الصادر فى سنة ١٩٣٠ م .

والمواد التى تدرس فى كلية الشريعة هى : التفسير والحديث متنا ورجالا ومصطلحا ، أصول الفقه ، تاريخ التشريع الاسلامى ، الفقه مع مقارنة المذاهب فى المسائل الكلية ، حكمة التشريع ، آداب اللغة العربية ، البلاغة المنطق .

والمواد التى تدرس فى كلية أصول الدين هى : التوحيد مع ايراد الحجج ودفع الشبه خصوصا الذائع فى العصر منها : المنطق ، المناظرة ، الفلسفة مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها ، الأخلاق ، التفسير والحديث ، آداب اللغة العربية وتاريخها ، تاريخ الاسلام ، علم النفس ، علوم البلاغة .

والمواد التى تدرس فى كلية اللغة العربية هى : النحو ، الصرف ، الوضع ، المنطق ، علوم البلاغة ، الآداب العربية وتاريخها ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، تاريخ الأمم الاسلامية ، التفسير ، الحديث ، الأصول ، الانشاء ، فقه اللغة .

والمواد التى تدرس فى قسم تخصص لقضاء الشرعى هى : الفقه مع المقارنة بين المذاهب الأربعة ، نظام ولوائح المحاكم الشرعية والأوقاف والمجالس الحسبية مع المقارنة بين لائحة ترتيب المحاكم الشرعية والاجراءات المتعلقة بها ، وقانون المرافعات أمام المحاكم الأهلية ، التوثيقات الشرعية ، القانون الدولى الخاص ، السياسة الشرعية ، تاريخ القضاء والقضاة فى الاسلام ، أصول القوانين مع محاضرات فى التشريع الحديث ، نظام القضاء والادارة ، القانون الادارى ، الاقتصاد السياسى ، محاضرات طبية ، محاضرات فلكية .

والمواد التى تدرس فى تخصص الوعظ والارشاد وهى التوحيد مع الرد على الشبه الذائعة ، القرآن الكريم وعلومه ، الحديث الشريف وعلومه ، الدعوة الى سبيل الله ووسائلها ، الخطابة والالقاء والمناظرة ، الملل والنحل ، المذاهب الفقهية وتاريخها ، البدع والعادات ، الأخلاق والفضائل الاسلامية ، محاضرات صحية ، لغة أجنبية ، غربية أو شرقية .

والمواد التى تدرس فى قسم تخصص

تاريخ الأزهر وتطوره

التدريس ، هى : علم النفس ، التربية العلمية والعملية ، الأخلاق ، المنطق ، تدبير الصحة المدرس ، الرسم وتجويد الخط ، التربية البدنية .

نظام الغرباء الخاص فى الأزهر

لما كان الأزهر جامعة اسلامية كبرى لجميع انحاء العالم الاسلامى عنى عناية خاصة بالوافدين الذين يريدون الانتفاع بهذه الدراسة العلمية الاسلامية :

ففى سنة ١٩١٦ م وضع نظام خاص بالوافدين من الخارج يسمى بنظام الدراسة للغرباء وقسم الى ثلاثة انواع :

١ ــ **النوع الأول** : خاص بمن أتم دراسته فى أقل من ثمان مواد ونجح فيها ويعطى شهادة تسمى اجازة الغرباء .

٢ ــ **النوع الثانى** : خاص بمن أتم دراسته فى ثمان مواد ونجح فيها ويعطى شهادة تسمى الشهادة الأهلية للغرباء .

٣ ــ **النوع الثالث** : خاص بمن أتم دراسة اثنتى عشرة مادة ونجح فيها ويعطى شهادة تسمى الشهادة العالمية للغرباء ، ويكتب فى كل شهادة المواد التى درسها الطالب .

ثم تعدل نظام الغرباء بعد صدور القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ الى انشاء معهد خاص للوافدين أطلق عليه اسم : معهد البعوث الاسلامية ، وقسمت الدراسة فيه الى ثلاثة أقسام :

١ ــ **القسم الأول** : ومدة الدراسة فيه أربع سنوات يمنح الناجح بعدها الشهادة الابتدائية للبعوث .

٢ ــ **القسم الثانى** : ومدة الدراسة فيه خمس سنوات يمنح الناجح بعدها الشهادة الثانوية للبعوث .

٣ ــ **القسم الثالث** : ومدة الدراسة فيه اربع سنوات يمنح الناجح بعدها الشهادة العالية للبعوث .

وكان الأزهر يعنى بهؤلاء الوافدين وسكنهم فى الأروقة التابعة للجامع الأزهر ، ولما كثر عددهم وضاقت بهم الأروقة أعد لهم الأزهر مدينة سكنية خاصة تحت اشراف مراقبة خاصة تسمى مراقبة البعوث ولها ادارة مستقلة ترعى شئونهم وما يحتاجون اليه فى سبيل راحتهم واستقرارهم فى تحصيل العلم الذى هاجروا من بلادهم للحصول عليه .

وكانت المعاهد الدينية فى هذا الوقت على نوعين : معاهد نظامية ومعاهد حرة ، والمعاهد النظامية منها معاهد ابتدائية وثانوية وعددها ثمانية فقط وهى

معهد القاهرة ، والاسكندرية وطنطا ، وأسيوط والزقازيق ، وشبين الكوم، وقنا ، والمنصورة ، ومنها معاهد ابتدائية فقط وهى : معهد دسوق ، ومعهد منوف .

والمعاهد الحرة كلها ابتدائية فقط وعددها

تسعة هي :

معهد المنشاوى بطنطا ، كفر الشيخ ، طهطا ، جرجا ، بلصفورة ، ملوى ، بنى عدى ، الفيوم ، عثمان ماهر بالقاهرة .

والدراسة في هذه المعاهد كانت في المساجد ونقلت بعد تعديل نظام الدراسة في الأزهر الى المبانى الحديثة التى هى كنظام المدارس من مقاعد وسبورات .

والشهادة التى كان يمنحها الأزهر للمتخرجين منه قبل صدور القانون الخاص بتعديل نظام الدراسة في القسم العالى الى كليات ثلاث :

هى شهادة العالمية النظامية لمن أتم الدراسة في أقسام الأزهر الثلاثة الابتدائى والثانوى والعالى وتصدر من ديوان جلالة الملك وصورتها كالآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم . براءة بمنح شهادة العالمية .. الى فلان . من بلدة كذا . مديرية كذا . رفع الينا صاحب العزة وزير الأوقاف ما أقره مجلس الأزهر الأعلى بتاريخ كذا . من نجاحكم في امتحان شهادة العالمية الذى أجرى بالجامع الأزهر في سنة كذا .

لذلك أمرنا باصدار براءتنا هذه من ديواننا بمنحكم شهادة العالمية مع حقوقها التى تخولها لكل القوانين والأوامر المتبعة نفع الله الناس بعلمكم ووفقكم لما فيه الخير .

تحريرا في . . . .

وبعد تقسيم الدراسة العالية الى كليات ، صارت تمنح الشهادة بعد اتمام الدراسة في الكلية باسم الشهادة العالية بكلية الشريعة أو أصول الدين أو اللغة العربية ، كالآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، المملكة المصرية الجامع الأزهر ، المعاهد الدينية العلمية الاسلامية .

استحق هذه الشهادة فلان بن فلان ، المولود سنة كذا ، في بلدة كذا ، مديرية كذا ، بعد أن نجح في امتحانها المنعقد في سنة كذا ، والله أسأل أن يوفقه لخدمة العلم والدين .

شيخ الجامع الأزهر

واستمر نظام الدراسة في الأزهر والمعاهد الدينية على هذا الوضع في مصر والأقاليم خاضعا لادارته العامة في القاهرة برياسة شيخ الجامع الأزهر ومجلس الأزهر الأعلى ، الى أن جاءت ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ورأت أن الأزهر من أهم القطاعات التى تحتاج الى اصلاح شامل فأخذت تتعهده وترعاه برفع ميزانيته في كل عام وانشاء كثير من المعاهد الدينية في مختلف أنحاء البلاد وازداد عدد الطلاب فدعت الحاجة الى تغيير جذرى شامل حتى يستطيع رجل الأزهر أن يسهم بدوره كاملا في جوانب الحياة المختلفة للمجتمع المصرى والمجتمعات الاسلامية عامة وليتوفر للأمة نوع من الخبرات التى تضم الى جانب العقيدة الصحيحة كفاية علمية ، ومهنية وعملية تشارك في كافة المجالات للعمل والانتاج فوق عملها الذى تقوم به ، وهو الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فصدر قانون تطوير الأزهر رقم ١٠٣ بشأن اعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ، وهدف هذا القانون تحطيم الحواجز والسدود

تاريخ الأزهر وتطوره

التى كانت قائمة بين الأزهر والجامعات الأخرى ومعاهد التعليم حتى تزول الفوارق بين المتخرجين فيه وسائر الخريجين فى غيره وتتكافأ الفرص فى مجالات العلم والعمل التى كان يشقى بها الأزهريون حينما تقف اللوائح حاجزة أمامهم بمنعهم من الأعمال الحكومية وكأنهم ليسوا من أبناء الدولة أو أن تعليمهم

لا يساير نظم الحياة الاجتماعية فيعيشون فى مرارة الحزن والألم بعد هذه المدة الطائلة التى أفنت زهرة شبابهم وهم يعكفون على دراستهم العظيمة ، وفيما يلى نص القانون :

قانون تطوير الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م .

بشأن اعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها .

باسم الأمة ، رئيس الجمهورية :

قرر مجلس الأمة القانون الآتى نصه وقد أصدرناه :

مادة ١ ــ تستبدل النصوص المرافقة بأحكام القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ م باعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له ويبطل كل ما يخالف ذلك من القوانين .

الباب الأول ــ فى الأحكام العامة

مادة ٢ ــ الأزهر هو الهيئة العلمية الاسلامية الكبرى التى يقوم على حفظ التراث الاسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الاسلامية الى كل الشعوب ، وتعمل على اظهار حقيقة الاسلام وأثره فى تقدم البشر ورقى الحضارة وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا وفى الآخرة ، كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للأمة العربية ، واظهار أثر العرب فى تطور الانسانية وتقدمها ، وتعمل على رقى الآداب وتقدم العلوم والفنون وخدمة المجتمع والأهداف القومية والانسانية والقيم الروحية وتزويد العالم الاسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة الاسلامية والثقافية الدينية والعربية ولغة القرآن وتخريج علماء عاملين متفقهين فى الدين يجمعون الى الايمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أسباب النشاط والانتاج والريادة والقدوة الطيبة وعالم الدنيا للمشاركة بالدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الاسلامية والعربية والأجنبية ، ومقره القاهرة ، ويتبع رئاسة الجمهورية .

مادة ٣ ــ يعين بقرار من رئيس الجمهورية وزير لشئون الأزهر .

مادة ٤ ــ شيخ الأزهر هو الامام الأكبر

وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الاسلام وله الرياسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الاسلامية فى الأزهر وهيئاته ويرأس المجلس الأعلى للأزهر .

مادة ٥ ـ يختار شيخ الأزهر من بين هيئة مجمع البحوث الاسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة فى أعضاء هذه الهيئة ، ويعين بقرار من رئيس الجمهورية ، فان لم يكن قبل هذا التعيين عضوا فى تلك الهيئة صار بمقتضى هذا التعيين عضوا فيها .

مادة ٦ ـ يكون للأزهر شخصية معنوية عربية الجنس ويكون له الأهلية الكاملة للمقاضاة وقبول التبرعات التى ترد اليه عن طريق الوقف والوصايا والهبات بشرط الا تتعارض مع الغرض الذى يقوم عليه الأزهر .

وشيخ الأزهر هو الذى يمثل الأزهر ، ويكون له حق مقاضاة نظار الأوقاف التى للمدرسين أو الموظفين أو الطلاب نصيب فيها . وذلك دون اخلال بما لوزارة الأوقاف من الحقوق والاختصاصات المقررة فى اللوائح والقوانين .

مادة ٧ ـ يكون للأزهر وكيل يختار من بين هيئة مجمع البحوث الاسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة لأعضاء هذه الهيئة ويعين بقرار من رئيس الجمهورية فان لم يكن قبل هذا التعيين عضوا فى هيئة المجمع صار بمقتضى هذا التعيين عضوا فيها ، ويعاون الوكيل شيخ الأزهر ويقوم مقامه حين غيابه.

هيئات الأزهر

مادة ٨ ـ يشمل الأزهر الهيئات الآتية :

١ ـ المجلس الأعلى للأزهر .

٢ ـ مجمع البحوث الاسلامية .

٣ ـ ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية .

٤ ـ جامعة الأزهر .

٥ ـ المعاهد الأزهرية .

الباب الثانى ـ المجلس الأعلى للأزهر

مادة ٩ ـ يكون للأزهر مجلس يسمى : المجلس الأعلى للأزهر ويتكون على الوجه الآتى :

شيخ الأزهر وله رياسة المجلس .

وكيل الأزهر .

مدير جامعة الأزهر .

عمداء الكليات بجامعة الأزهر .

أربعة من أعضاء مجمع البحوث الاسلامية يختارهم المجمع ويصدر بتعيينهم قرار من رئيس الجمهورية بناء على ترشيح الأزهر لمدة سنتين .

أحد وكلاء الوزارات او الوكلاء المساعدين من كل من وزارة الأوقاف والتربية والتعليم والعدل والخزانة . يصدر بتعيين كل منهم قرار من الوزير الذى يمثل وزارته فى المجلس .

مدير الثقافة والبعوث الاسلامية .

مدير المعاهد الازهرية .

ثلاثة أعضاء على الأكثر من ذوى الخبرة فى شئون التعليم الجامعى والشئون العامة المتعلقة به يكون أحدهم على الأقل من أعضاء المجلس الأعلى للجامعات فى الجمهورية

العربية المتحدة ويعينون بقرار من الوزير المختص بعد أخذ رأى المجلس وبناء على ترشيح شيخ الأزهر ، وذلك لمدة سنتين .

مادة ١٠ ــ يختص المجلس الأعلى للأزهر بالنظر فى الأمور الآتية :

١ ــ التخطيط ورسم السياسة العامة لكل ما يحقق الأغراض التى يقوم عليها الأزهر ويعمل لها فى خدمة الفكرة الاسلامية الشاملة .

٢ ــ رسم السياسة التعليمية التى تسير عليها جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية والأقسام التعليمية فى كل ما يتصل بالدراسات الاسلامية والعربية واقتراح المواد والمقررات التى تدرس لتحقيق أغراض الأزهر .

٣ ــ النظر فى مشروع ميزانية هيئات الأزهر واعداد الحساب الختامى .

٤ ــ اقتراح انشاء الكليات والمعاهد الأزهرية والأقسام التعليمية .

٥ ــ قبول الأوقاف والوصايا والهبات مع مراعاة أحكام المادة ٦ من هذا القانون .

٦ ــ النظر فى كل مشروع قانون أو قرار جمهورى يتعلق بأى شأن من شئون الأزهر .

٧ ــ النظر فى منح العالمية الفخرية لجامعة الأزهر أو احدى كلياتها بناء على اقتراح الكلية أو الجامعة .

٨ ــ تشكيل اللجان الفنية الدائمة أو المؤقتة من بين أعضائه أو من غيرهم من المتخصصين لبحث الموضوعات التى تدخل فى اختصاصه .

٩ ــ تدبير أموال الأزهر واستثمارها وادارتها .

١٠ ــ النظر فيما يعهد اليه هذا القانون أو غيره من القوانين والقرارات واللوائح وفيما يعرضه عليه شيخ الأزهر ، وفى كل ما يرى المجلس فائدة فى بحثه من المسائل التى تدخل فى اختصاصه .

مادة ١١ ــ لا تنفذ قرارات المجلس الأعلى للأزهر فيما يحتاج الى قرار من الوزير المختص الا بعد صدور هذا القرار . فاذا لم يصدر منه قرار فى شأنها خلال الستين يوما التالية لتاريخ وصولها مستوفاة الى مكتبه تكون نافذة .

مادة ١٢ ــ يكون للمجلس الأعلى للأزهر أمين عام يصدر بتعيينه قرار من رئيس الجمهورية .

مادة ١٣ ــ يحدد الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون مرتبات شيخ الأزهر

ووكيله وأمين المجلس الأعلى للأزهر ومكافآت أعضائه .

مادة ١٤ – يكون للمجلس جهاز يتابع تنفيذ مقرراته ويرأسه الأمين العام للمجلس.

الباب الثالث

مجمع البحوث الاسلامية وادارة الثقافة والبعوث الاسلامية

مادة ١٥ – مجمع البحوث الاسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث

وتعمل على تجديد الثقافة الاسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص . وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة . وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة . وحمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وتعاون جامعة الأزهر فى توجيه الدراسات الاسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية والاشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها . وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون واجبات مجمع البحوث الاسلامية بالتفصيل الذى يساعد على تحقيق الغرض من انشائه .

مادة ١٦ – يتألف مجمع البحوث الاسلامية من عدد لا يزيد على خمسين عضوا من كبار علماء الاسلام يمثلون جميع المذاهب الاسلامية . ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ١٧ – يشترط فى عضو المجمع :

١ – الا تقل سنه عن أربعين سنة .

٢ – أن يكون معروفا بالورع والتقوى فى ماضيه وحاضره .

٣ – أن يكون حائزا لاحدى المؤهلات العلمية العليا من الأزهر أو احدى الكليات أو المعاهد العليا التى تهتم بالدراسات الاسلامية .

٤ – أن يكون له انتاج علمى بارز فى الدراسات الاسلامية أو اشتغل بالتدريس لمادة من مواد الدراسات الاسلامية فى كلية أو معهد من معاهد التعليم العالى لمدة أدناها خمس سنوات أو شغل احدى الوظائف الاسلامية فى القضاء أو الافتاء أو التشريع لمدة أدناها خمس سنوات .

ويعتبر الأعضاء الحاليون فى جماعة كبار العلماء فى حكم هذا القانون مستوفين لهذا الشرط .

الباب الرابع ــ جامعة الأزهر

مادة ٣٢ ــ تختص جامعة الأزهر بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه وتقوم على حفظ التراث الاسلامى ودراسته وتجليته ونشره • وتؤدى رسالة الاسلام الى الناس وتعمل على اظهار حقيقته وأثره فى تقدم البشر وكفالة السعادة لهم فى الدنيا وفى الآخرة كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى والروحى للأمة العربية وتعمل على تزويد العالم الاسلامى والوطن العربى بالعلماء العاملين الذين يجمعون الى الايمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح والتفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة • والربط بين العقيدة والسلوك • وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أنواع النشاط والانتاج والريادة والقدوة الطيبة • وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة فى داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها من أبناء الجمهورية وغيرهم • كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الاسلامية والعربية والأجنبية •

مادة ٤٨ ــ يختص مجلس جامعة الأزهر بالنظر فى الأمور الآتية :

١ ــ وضع خطط الدراسة •

٢ ــ وضع النظام العام للدروس والمحاضرات والبحوث والأشغال العلمية وتوزيع الدروس والمحاضرات بالكليات •

٣ ــ تعيين مدة الدراسة ومدة الامتحان ومدة العطلة •

٤ ــ شروط قبول الطلاب فى الجامعة ونظام تأديبهم •

٥ ــ المكافآت والاعانات المالية على اختلاف أنواعها •

٦ ــ ادارة حركة الامتحانات وتشمل مدة اشتغال الممتحنين ولجان الامتحان ومقدار مكافآتهم وكيفية تعيينهم وواجباتهم •

٧ ــ منح الدرجات العلمية والشهادات •

٨ ــ تنظيم الشئون الاجتماعية للطلاب •

٩ ــ وضع اللوائح الخاصة بالمتاحف والمكتبات ومساكن الطلاب وغيرها من المنشآت الجامعية •

١٠ ــ تتبع النشاط العلمى للكليات والمعاهد والتنسيق بين الدراسات والبحوث القائمة بها •

١١ ــ تنظيم البحث العلمى وتوفير الامكانيات اللازمة له •

١٢ ــ انشاء كراسى الأستاذية •

١٣ ــ تعيين أعضاء هيئات التدريس بالجامعة ونقلهم وايفادهم فى المهمات العلمية.

١٤ ــ ندب أعضاء هيئة التدريس واعارتهم .

١٥ ــ اعداد مشروعات الميزانية والحساب الختامى .

١٦ ــ اقامة أبنية الجامعة وترميمها .

١٧ ــ منح العالمية الفخرية للجامعة أو احدى كلياتها بناء على اقتراح مجلسها وبموافقة المجلس الأعلى للأزهر ويصدر بذلك قرار من رئيس الجمهورية .

١٨ ــ ابداء الرأى فيما يتعلق بجميع مسائل التعليم فى درجاته المختلفة .

١٩ ــ الترخيص لمدير الجامعة فى اجراء التصرفات القانونية .

٢٠ ــ وقف الدراسة بالكليات ومعاهد الجامعة .

٢١ ــ الموضوعات التى يحيلها عليه الوزير المختص أو شيخ الأزهر .

٢٢ ــ الموضوعات الأخرى التى تتصل باختصاص الجامعة وفقا لهذا القانون .

يؤلف مجلس الجامعة من بين أعضائه ومن غيرهم من أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين لجانا فنية دائمة أو مؤقتة لبحث الموضوعات التى تدخل فى اختصاصه .

الباب الخامس ــ المعاهد الأزهرية

مادة ٨٥ ــ الغرض من المعاهد الأزهرية الملحقة بالأزهر تزويد تلاميذها بالقدر الكافى من الثقافة الاسلامية والى جانبها المعارف والخبرات التى يتزود بها نظراؤهم فى المدارس الأخرى المماثلة ليخرجوا الى الحياة مزودين بوسائلها واعدادهم الاعداد الكامل للدخول فى كليات جامعة الأزهر ولتتهيأ لهم جميعا فرص متكافئة فى مجال العمل والانتاج كما تتهيأ لهم الفرص المتكافئة للدخول فى كليات الجامعات الأخرى فى الجمهورية العربية المتحدة . وسائر الكليات ومعاهد التعليم العالى .

وبعد

فقد قامت أمانة مجمع البحوث الاسلامية بطبع البحث كاملا واعدته مرجعا للباحثين ليرجع اليه من شاء والله الموفق وهو ــ سبحانه ــ نعم المعين .

الدكتور محمد محمد مصطفى شحاته الحسينى .

ابن خلدون والأزهر

كان اول حديث عن علم الاجتماع فى مصر خاصة وفى العالم العربى بوجه عام بعد ان ألف العلامة ابن خلدون مقدمته الشهيرة فى اواخر القرن الثامن الهجرى والرابع عشر الميلادى . وذلك ان ابن خلدون قد هدته مشاهداته وتاملاته العميقة لشئون الاجتماع الانسانى ان هذه الشئون لا تسير حسب الأهواء والمصادفات ، ولا وفق مايريده لها الافراد ، وانما هى محكومة فى مختلف مناحيها بقوانين ثابتة مطردة تشبه القوانين التى تحكم ظواهر الفلك والطبيعة وما اليها من ظواهر الكون الاخرى وانه من الواجب أن تدرس ظاهرات الاجتماع دراسة وضعية كما يدرس ماعداها من ظاهرات العلوم ، اى للوقوف على طبيعتها والكشف عما يحكمها من قوانين . وعلى هذا البحث وقف دراسته فى المقدمة .

ولما كانت دراسة الظاهرات الاجتماعية بهذا المنهج ولهذه الاغراض لم يعرض لها احد من قبل ، فقد تألف من بحوث المقدمة علم جديد سماه ابن خلدون « علم العمران » وهو العلم الذى نسميه الآن «علم الاجتماع» لأن قوام هذا العلم هو دراسة الظاهرات الاجتماعية بهذا المنهج ولهذه الأغراض . وفى هذا يقول ابن خلدون : « واعلم أن الكلام فى هذا الغرض مستحدث الصنعة ، غريب النزعة ، غزير الفائدة ، أعثر عليه البحث ، وأدى اليه الغوص . ولعمرى لم أقف على الكلام فى منحاه لأحد من الخليقة ... وكأن هذا علم مستقل بنفسه ، فانه ذو موضوع وهو العمران البشرى والاجتماع الانسانى ، وذو مسائل وهى بيان ما يلحقه من العوارض الذاتية » .

ويقصد ابن خلدون بكلمة « العوارض الذاتية » ما نقصده نحن بكلمة «القوانين» ويتضح غرضه هذا مما كتبه فى مواضع كثيرة من مقدمته وبخاصة ما ذكره فى أثناء كلامه على علم الهندسة اذ يقول « هذا العلم هو النظر فى المقادير ، وما يعرض لها من العوارض الذاتية ، مثل أن كل مثلث فزواياه مثل قائمتين ، ومثل أن الخطين المتوازيين لا يلتقيان ولو خرجا الى غير نهاية ، ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان فيهما متساويتان » ضرب هذه الأمثلة لما يسميه هو « بالعوارض الذاتية » وهذه الامثلة هى التى نسميها نحن « بالقوانين » .

وقد فرغ ابن خلدون من تأليف مقدمته فى قلعة ابن سلامة بالجزائر فى منتصف عام

للأستاذ الدكتور
على عبد المجيد وافى

٧٧٩ هـ وأتم تنقيحها فى تونس سنة ٧٨٤ هـ ، ١٣٨٢ م • ولم يلبث أن كتبت منها نسخ كثيرة بفضل نشاط النساخ والوراقين ، وهم أصحاب المكتبات ودور النشر فى هذا العصر ، وانتشرت انتشارا كبيرا فى بلاد العالم العربى وبخاصة فى مصر ، التى كانت — ولاتزال — مركز اشعاع ثقافى كبير فى هذا العالم ، فشغلت بحوثها حيزا كبيرا من تفكير علمائها ، وازداد اهتمامهم بها حينما قدم مؤلفها نفسه الى مصر سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م •) حيث قضى بقية حياته ، وهى مدة طويلة تبلغ زهاء أربعة وعشرين عاما (٧٨٤ — ٨٠٨ هـ ، ١٣٨٢ — ١٤٠٦ م) • وقد قام عقب وصوله الى القاهرة بالتدريس فى الجامع الأزهر •

وذلك أنه لما وصل الى مصر كان صيته قد سبقه اليها ، وكان المجتمع المصرى المثقف يعرف الكثير عن شخصيته وسيرته وعن بحوثه الاجتماعية والتاريخية ، وخاصة مقدمته الشهيرة التى أعجبت دوائر العلم والأدب بطرافتها وروعة مباحثها وما تنطوى عليه من أصالة وابتكار فى شئون الاجتماع • ومن أجل ذلك لقى من علماء مصر وخاصة أهلها أحسن استقبال وأروعه ، وهوت اليه أفئدة كثير من الناس ، والتف حوله عدد كبير من المثقفين ينهلون من علمه ، ويفيدون من مؤلفاته ومناهجه فى البحث • وكان الأزهر أكثر معاهد العلم فى القاهرة استعدادا لمثل هذه الدراسات العالية فى هذا العهد •

فاتخذ ابن خلدون من أروقة الأزهر مدرسة يلتقى فيها بتلاميذه ومريديه ؛ وتصدر فيه حلقة للتدريس العام • ويصف ابن خلدون نفسه شدة الاقبال عليه فى الكتاب الذى ترجم فيه عن نفسه وسماه « التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا » فيقول فى زهو وتواضع معا : « ولما دخلتها (يقصد القاهرة) أقمت أياما ، وانثال على » طلبة العلم بها ، يلتمسون الافادة مع قلة البضاعة ، ولم يوسعونى عذرا • فجلست للتدريس فى الجامع الأزهر » •

وقد كانت هذه الدروس خير اعلان عن غزير علمه ، وواسع اطلاعه ، وعظيم قدرته على الابانة عن أفكاره والتأثير على سامعيه • فقد كان ابن خلدون الى جانب تمكنه فى البحوث العلمية ، محدثا لبقا ، رائع المحاضرة • وهذا مايحدثنا به جماعة من أعلام الفكر والأدب المصريين الذين سمعوه أو درسوا عليه • ومنهم المؤرخ الكبير تقى الدين المقريزى ، وأبو المحاسن بن تغرى بردى ، والسخاوى والحافظ بن حجر العسقلانى على الرغم من خصومة هذا الأخير له — فيقول المقريزى فى كتابه « السلوك لمعرفة الملوك »:

ابن خلدون والأزهر

وفي هذا الشهر (رمضان سنة ٧٨٤ هـ) قدم شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون من بلاد المغرب ، واتصل بالأمير الطنبغا الجوباني ، وتصدى للتدريس في الجامع الأزهر . فأقبل الناس عليه وأعجبوا به

ويقول أبو المحاسن بن تغري بردي في ترجمته لابن خلدون في كتابه « المنهل الصافي » : « واستوطن القاهرة ، وتصدر للاقراء في الأزهر مدة » . وعلى الرغم من خصومة الحافظ ابن حجر لابن خلدون ، فان خصومته هذه لم تمنعه من أن ينعته في كتابه « رفع الاصر عن قضاة مصر » بأنه كان « لسانا فصيحا حسن الترسل ، مع معرفة تامة بالأمور خصوصا متعلقات المملكة » .

ويظهر أن تدريسه في الجامع الأزهر كان تطوعا منه ونزولا على رغبة مريديه ، ولم يكن بتكليف رسمي . ويظهر كذلك أن موضوعات تدريسه بالأزهر كان يدور كثير منها حول مقدمته وما تشتمل عليه من بحوث في علم الاجتماع .

وأما وظائفه الرسمية فكان بعضها يتمثل في التدريس في المعاهد العليا ، ويتمثل بعضها الآخر في وظائف القضاء . أما وظائف التدريس فكان من أهمها تدريسه في « المدرسة القمحية » وهي من انشاء صلاح الدين الأيوبي ، وقفها على المالكية يتدارسون بها الفقه ، ووقف عليها أراضي من الفيوم تغل القمح فسميت لذلك بالقمحية ، وفي « المدرسة الظاهرية البرقوقية » وهي مدرسة تحمل اسم السلطان نفسه ، شرع برقوق في انشائها في حي « بين القصرين » سنة ٧٨٦ هـ وتم بناؤها واعدادها للدراسة سنة ٧٨٨ هـ وجعلها مدرسة عالية واختار لتدريس الفقه بها أئمة من أعلام المذاهب الأربعة ، وعهد فيها لابن خلدون بتدريس الفقه المالكي ، الذي كان من كبار أئمته ، وفي « مدرسة صرغتمش » وقد شغل فيها منصب كرسي الحديث ، وكان أول درس له فيها عن موطأ الامام مالك . وأما وظائف القضاء فقد تولى فيها منصب قاضي قضاة المالكية أربع مرات على عدة فترات ، وذلك أنه كان في مصر حينئذ قضاة لكل مذهب من المذاهب الأربعة من مذاهب أهل السنة بعد أن قضى صلاح الدين الأيوبي على المذهب الشيعي الاسماعيلي الذي كان المذهب الرسمي في مصر في عهد الفاطميين . وكان على رأس كل طائفة من هؤلاء القضاة رئيس يطلق عليه قاضي قضاتها ، فكان ابن خلدون قاضي قضاة المالكية .

ومن هذا يتبين أنه في وظائف التدريس الرسمية لم يعهد اليه تدريس العلم الذي أنشأه في مقدمته وانما كلف تدريس مواد أخرى ترجع الى علوم الحديث والفقه المالكي وأن وظائف القضاء التي تقلب فيها لم تكن لها صلة مباشرة بعلم الاجتماع .

ولكن مما لا شك فيه أن وجود منشيء العلم بين ظهراني علماء مصر كان من شأنه أن يزيد من اهتمامهم ببحوثه ويغريهم بالرجوع الى منشئه ومناقشته في مسائله . وأن اعتزازه هو بعلمه الجديد ، وعنايته به ، وحرصه على

اشاعته ، وما عرف عن تاريخه فى أثناء المدة الطويلة التى قضاها فى مصر من عكوفه على تنقيح مقدمته واضافه زيادات كثيرة اليها . كل ذلك كان من شأنه أن يحفزه على نشر حقائقها فى بيئته الجديدة بجميع ما يتاح له من فرص وما يتيسر له من وسائل .

وربما كان من بين هذه الوسائل تردده متطوعاً من حين لآخر على الجامع الأزهر فى أوقات فراغه والقاؤه هناك بعض محاضرات أو أحاديث فى علم الاجتماع .

غير أنه يظهر أن ابن خلدون فى بحوث علم الاجتماع التى اشتملت عليها مقدمته كان سابقا لتفكير عصره بعدة مراحل . ولذلك كان أثر المقدمة ضئيلا بين المعاصرين له وما جاء بعده مباشرة من علماء مصر . فاستطاع نفر قليل منهم أن يدرك شيئا من قيمتها وقيمة مؤلفها ، وظهر شيء من آثارها فى أقلامهم وبحوثهم كما سبقت الاشارة الى ذلك . ولكن معظمهم قد عجزت أفهامهم عن ادراك عظمتها فلم يفيدوا منها فائدة تذكر ، بل قد انتقصها بعضهم وانتقص صاحبها معها .

ثم أتى على مصر وعلى العالم العربى كله بعد ذلك حين طويل من الدهر لم يكن فى أثنائه لابن خلدون ولا لمقدمته ولا لعلم الاجتماع شأن يذكر ولا أثر يعتد به .

ويرجع السبب فى ذلك الى حالة الخمود والركود والاركاس التى كان يتخبط فيها العالم العربى طوال هذه الفترة والى أن الأجواء العلمية الرفيعة التى تحلق فيها بحوث مقدمة ابن خلدون فى علم الاجتماع كانت تسمو كثيرا عما كانت عليه مستويات العقول فى هذا العصر .

وقد امتدت هذه الفترة من أواخر القرن الخامس عشر الى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، وشمل ظلامها جميع البلاد العربية حتى مصر نفسها ، وجميع معاهد العلم حتى الأزهر نفسه ، الذى كان حينئذ أرقى معاهد العلم قاطبة فى العالم الاسلامى . فما كان علماء الأزهر ، باستثناء نفر قليل منهم ، ليعرفوا شيئا يعتد به عن مقدمة ابن خلدون وما عالجته من بحوث . وما كانت معاهد الأزهر تتعرض لدراسة المجتمع ولا لشئون العمران . ولا أدل على ذلك مما رواه السيد محمد رشيد رضا عن الامام الشيخ محمد عبده أنه لما عاد من المنفى الى مصر سنة ١٣٠٦ هـ ١٨٨٨ حاول أن يقنع الشيخ الانبابى شيخ الجامع الأزهر حينئذ بتدريس مقدمة ابن خلدون فى الأزهر ووصف له فوائدها وأهمية دراستها . فأجابه بأن العادة لم تجر بذلك «فانتقل به الشيخ محمد عبده فى شجون الحديث الى ذكر الشيوخ ، ثم سأله : منذ كم سنة مات الشيخ الأشمونى والشيخ الصبان ؟ فقال : منذ عهد غير بعيد . فقال الشيخ محمد عبده : انهما حديثا عهد بوفاة ، وهذه كتبهما تقرأ بعد ان لم تجر العادة بذلك . فسكت الشيخ الانبابى ، وانتقل بالحديث الى موضوع آخر خشية أن يجره ذلك الى القول بجواز دراسة المقدمة فى الأزهر .

صحيح أن مقدمة ابن خلدون قد ذكرت فى التقرير الذى قدمه الشيخ الانبابى نفسه الى الخديوى عباس الثانى سنة ١٣١٠ على أنها

من الكتب التي تــدرس في الأزهــر حينئــذ . ولكن كثيرا مما اشتمل عليه هذا التقرير مــن كتب وعلوم كانت دراسته مهجــورة في الأزهر وفي قصة الحوار بين الشيخ الانبابي والشيخ محمد عبده السابق ذكرها أقطع دليل عــلى أن المقدمة بالذات لم تكــن تدرس في ذلك المعهد . هذا الى أن التقرير قد ذكر المقدمة بين كتب التاريخ مع أنها من بحوث عــلم الاجتمــاع .

وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، كانت المقدمة قد طبعت عدة طبعات في مصر وفي بيروت وفي باريس وعم انتشارها وكثر تداولها بين الناس . وكانت قراءتها والرجوع اليها والاشارة اليها في الحديث من أمارات الثقافة العالية في هذه الفترة وصاحب ذلــك في مصر نهضة علمية حمل لواءها تلاميــذ جمال الدين الأفغاني ، وخاصة تلاميذه مــن علماء الأزهر ، وعلى رأسهم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وذلل سبلها ما تيسر لمصر حينئذ من وسائل الاتصال بالعــالم الأوربي وثقافته الحديثة . بل لقد حدث حينئذ اتصال مباشر بين بعض النابهين من علماء الأزهــر وبعض أئمة علماء الاجتماع في أوربا . ومن ذلك ما حدث بين الامام الشيخ محمد عبده والعلامة هربرت سبنسر الانجليزي الذي يعد من أبرز رواد علم الاجتماع في الغــرب . فكان من نتائج هذا كله أن برزت مقدمة ابن خلدون الى الصفوف الأولى من مقــومات الثقافة ومراجع البحث ، واستأثرت بقســط كبير من نشــاط النابهين من العلماء في هــذا العصر ، ودرست في معاهد التعليم ، وعــلى الأخص في مدرسة دار العلوم العليــا التي أنشئت سنة ١٨٧٢ م . وقد قام بتدريسها في هذه المدرسة في فاتحة نشأتها الأســتاذ الامام الشيخ محمد عبده نفسه .

ولما انتشر انشاء أقسام لعلم الاجتماع في العصر الحاضر في الجامعات المصرية كــانت جامعة الأزهر من أسبقها في هذا الميــدان ، فانشأت كرسيا خاصا لهذا العلم .

ففي الجامع الأزهر نشأ علم الاجتمــاع على يد مؤسسه الأول نفسه العلامة ابن خلدون ، وفي عصور الخمود والركــود الفكرى حمل الازهر نفسه لواء الدفــاع عن هــذا العلم ورد اعتبــاره اليه ، وقــد اضطلع الأزهر بهذا الدفاع ممثلا في نخبة من أبنائه على رأســهم الأســتاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وها هو ذا عــلم الاجتماع يعــود الآن الى الأزهــر ، منبته الأول ، ويعود اليه قوى البنيان مكتمــل التقــديم .

د . علي عبد الواحد وافي

دور المساجد في سيريلانكا

الحاج محمد حنيفة محمد

كانت دولة سيريلانكا تدعى – من قبل – بـ « سيلون » .. هذا بالاضافة الى انها كانت تعرف لدى القدماء بـ (تابروبين و « سرنديب » و « زيلان » و « سيلان » .. وكما هو معروف فان سيريلانكا تقع على أقصى رأس شبه الجزيرة الهندية ، ومساحة أراضيها (٦٥٠٠٠) كيلو متر مربع تقريبا ، ويبلغ عدد سكانها خمسة عشر مليون نسمة منهم حوالى ثمانية فى المائة مسلمون . وبرغم أن المسلمين قليلون فى تعدادهم الا انهم يشكلون أقلية ضخمة تلعب دورا بارزا فى وطنهم الذى ولدوا فيه .

ومنذ عهود مبكرة فان العرب كانت لهم معرفة وثيقة بسيريلانكا ، كما أن الكتاب العرب قد تعرضوا على نطاق واسع لسيريلانكا فتحدثوا عنها فى مصنفاتهم . وأقدم مرجع تحدث عن هذا البلد هو (فتوح البلدان) للبلاذرى .. ومؤرخو العصور الوسطى العرب قد تحدثوا عن سيريلانكا ومنهم سليمان التاجر والمسعودى والبيرونى وابن شريار وابن بطوطه . وفى القرن الرابع عشر حينما قام ابن بطوطه بزيارة سيريلانكا « رأى حاكما عربيا فى كولومبو ومعه خمسمائة من فرسانه » ... وكولومبو هذه هى الميناء الرئيسى فى سيريلانكا أما المستوطنون العرب فى هذه البلاد فهم أصول المواطنين المسلمين فى سيريلانكا .

ومسلمو بلادى ينتشرون فى جميع أنحاء الجزيرة الا أنهم يوجدون فى تجمعات أكثر

دور المساجد في سيريلانكا

كثافة في بعض الأماكن التي من بينها كولومبو العاصمة .

ولأن المسلمين يوجدون في كل مكان في سيريلانكا فانه من الممكن القول على وجه التحقيق بأن المساجد تنتشر في كل مكان بالجزيرة . وقد تحدث احد الأساتذة المؤرخين عن المساجد في كولومبو فقال :

« في العاصمة كولومبو وحدها يبلغ عدد سكانها المسلمين ٨٦٠٠٠ كما أن بها ٥٨ مسجدا أى بواقع مسجد لكل ١٥٠٠ من السكان المسلمين .. أما العدد الكلي للمساجد في كل أنحاء البلاد فيزيد عن ١٦٠٠ مسجد »

وهذا يشكل دلالة على اتقاد الشعور الديني لدى المسلمين في بلادي كما انه أيضا يشكل دلالة على روح التسامح لدى غير المسلمين .

وللتحدث عن موضوع المساجد ـ بوجه خاص ـ فان التاريخ يسجل أن المساجد في سيريلانكا قد بدأ تشييدها منذ بدأ المسلمون يفدون الى البلاد . واستمرت عمليات التشييد خلال الألف عام الماضية .. وحينما جاء البرتغاليون الى هذه البلاد كان أول شيء لاحظوه وهم في الطريق الى ميناء كولومبو هو وجود مسجدين للمسلمين .. وقد استمرت عملية تزايد المساجد حتى اليوم .

وسيتضح أن دور المساجد في هذه البلاد كان ولا يزال فعالا ومؤثرا في حياة المسلمين بسيريلانكا وقد قال أحد الكتاب في احدى صحف كولومبو : « ان الشريعة الاسلامية فيما يختص بالتبرعات الخيرية مقدسة ومتبعة في هذه البلاد . فبالنسبة للمساجد والمؤسسات الخيرية والأوقاف فقد نظمها القانون رقم ٥١ لسنة ١٩٥٦ .

وبصرف النظر عن أغراضها ذات الطبيعة المحدودة فان القانون قد أتاح لها شرعية التسجيل للمساجد والأضرحة والأماكن الدينية كما نظم سلطات وواجبات واختصاصات نظار المساجد المسجلة والأضرحة والأماكن الدينية والمؤسسات الخيرية الاسلامية أو الأوقاف .. ولهؤلاء النظار الحق في أن يقيموا مؤسسات خيرية اسلامية أو أن لا يلتزموا بالجزء الثاني من قانون الوصاية الاسلامية ولائحة الأوقاف وأن ينهضوا بالأعباء المتعلقة بهذه المسائل وأن يجابهوا ما يطرأ عليها « وباختصار فان هذا القانون يعتبر وثيقة ادارية ، فهو يتحاشى التعرض ـ ولو بالكلمات ـ لوضع تعريف محدود لـ « الوقف » وعلى سبيل المثال فان كلمة « وقف » غير محدودة .. بينما في القانون الهندي فقد حدده بذكر مثال واحد قانون الأوقاف الهندي الصادر في عام ١٣ فقرة ٢ (١) .

وفي هذه البلاد فان نقص المعرفة عن طريقة الوقف الاسلامي قد حصل نتيجة لسلسلة من العوامل التاريخية والاجتماعية . وأحد هذه العوامل خاص بمبدأ تقبل الشريعة الاسلامية في سيريلانكا، ونتيجة لهذا المبدأ فان المشرع « جارفن » قال بايجاز أن القاضي « برويك » قد أشار الى أن هذا الفرع من الشريعة

المعروف بـ « الوقف » ليس معروفا فى سيلان كما أنه لم يصر جزءا من القانون السائد بين المسلمين فى السيلانيين » .

والتنظيم القانونى للمساجد له طابعه الخاص فى سيريلانكا « ولأن مفهوم «المتولى» (أى الناظر) لم يرد ذكرها فى قانون سيريلانكا فان العادة قد جرت على أن يدير المساجد « أوصياء » ومع أن بعض هؤلاء الأوصياء هم أحفاد للذين اقاموا المساجد وأوقفوا عليها بعض الممتلكات من بعض الناس ذوى المكانة « الوجهاء أو الأعيان » .

ووظيفة أوصياء المساجد كان يسبغ عليها شرعية قانونية طبقا لقانون « المساجد الاسلامية والمؤسسات الخيرية والأوقاف » الصادر فى عام ٥٦ . وهذا القانون قد أنشأ (مجلس الأوقاف) الذى يتألف من المندوب الرسمى للحكومة المنوط به تنفيذ القانون وعدد آخر من الأعضاء ذوى الكفاءات من الجمهور المسلم .

واختصاص مجلس الأوقاف يشمل كلا من تعيين الأوصياء ووضع اللوائح المنظمة لعملهم وكذلك تسجيل المساجد والمؤسسات الخيرية والاشراف العام عليها .

وعلى وجه الخصوص فان مجلس الأوقاف عليه أن يجتهد فى أن يجعل ادارة المساجد أكثر جدارة لتلبية متطلبات جماهير المسلمين .. وخلال الثلاثين عاما التى استغرقها فان بعض الثغرات والعيوب قد ظهرت فى قانون « المساجد والمؤسسات الخيرية والأوقاف » مما يعوق هذه المؤسسات أن تنطلق بكامل قوتها .. وهذا يتطلب حلا .

وعن هذا جرى قلم نفس الكاتب قائلا .. « فى هذه البلاد فان فكرة النظارة (وظيفة الناظر) يجب أن يعاد احياؤها .. وقد وضع « أكبرجى » عن تصوره لمفهوم « الوصى » فعرفه بما يلى :

(أ) هو الذى يستعمل لقبا لمن « يعين كوصى على مؤسسة خيرية اسلامية » .. وكان تعيينه من قبل المؤسسين سواء شفاهة أو بأية وسيلة كتابية أو بأمر من المحكمة المختصة .

(ب) هو الذى يستعمل لقبا لمن ينتسب أو يعين وصيا على مسجد طبقا للقانون . وقانون الاوقاف أكثر اختصارا بهذا الصدد ففى المذكرة التفسيرية للقسم ٥٨ من القانون ما نصه / فى هذا القانون ، وفيما عدا الجزء الثانى والجزء الخامس منه والملحق الثالث من الجزء الرابع عشر الا اذا تطلبت النصوص غير ذلك ـ فان كلمة « وصى » سواء كان وصيا على مسجد أو ضريح أو مكان دينى تعنى أى « وصى » يعينه مجلس الأوقاف طبقا لهذا القانون وهذا لا يعنى سوى أن وظيفة « الوصى » فى قانون الأوقاف المعمول به فى هذه البلاد مشابهة تماما لنفس الوظيفة فى القانون الانجليزى وسبب واحد لاقتباس الأفكار من القانون الانجليزى ربما يعود الى حب تملك الأراضى أو النفع التجارى لدى مسلمى هذه البلاد وهذا أدى بصفة تلقائية الى الأخذ بنظام التعامل بالتوصية بالممتلكات أو تحويلها أو بيعها .. وكذلك الى ظهور التعامل برهن الأراضى أو تأجيرها أو الأنواع الأخرى للاستدانة بضمانها . واحد

دور المساجد في سيريلانكا

العوامل الأخرى للاقتباس من القانون الانجليزى كان اعتبار « الوصاية » على المساجد نوعا من الاصطفاء أو التكريم • وبالرغم من ذلك فان نوعا من قانون الأوقاف ينبغى أن يكون ذا فعالية بين جمهور المسلمين فى سيريلانكا » •

وفى سنة ٨١ قد أنشئت ادارة جديدة تسمى ادارة الشئون الدينية والثقافية للمسلمين • وقد قامت هذه الادارة بناء على تعليمات فخامة جى • آر • جاييوار دين رئيس جمهورية سيريلانكا •• والاختصاصات المعلنة لهذه الادارة هى :

١ ــ رعاية الشئون الدينية والثقافية للمسلمين والنهوض بها •

٢ ــ ادارة المساجد والمؤسسات الخيرية الاسلامية طبقا لقانون الأوقاف •

ومن بين الأهداف الهامة التى أخذت هذه الادارة على عاتقها الاضطلاع بأعبائها تعديل قانون الأوقاف حتى يتخلص من الكثير من عيوبه • وهذه التعديلات قد صدر بها القانون رقم ٣٣ لسنة ٨٢ •

ومن بين التعديلات التى تضمنها هذا القانون ضبط اختصاصات « الأوصياء » والاشراف الكامل عليهم من مجلس الأوقاف والتخلص من المخالفات التى ترتكب ضد الأعيان الموقوفة على المساجد واعطاء مجلس الأوقاف حرية أكثر اتساعا فى المجال الادارى•

ومن المتوقع أن تكون ادارة المساجد منذ الآن أكثر كفاءة ونفعا عما كانت عليه من قبل• والقانون الحالى المعدل قد أنشأ أيضا محكمة للأوقاف ذات سلطات لنظر التظلمات • ــ والقسم ٩ هـ ينص على هذا فيما يلى •

(١) أى شخص وقع عليه ظلم بسبب أمر أو قرار صدر من المجلس (مجلس الأوقاف) يستطيع فى خلال ٣٠ يوما من تاريخ صدور الأمر أو القرار أن يقدم تظلما كتابيا الى المحكمة ضد هذا الأمر أو القرار •

(٢) حتى يتسنى للمحكمة سماع التظلم واصدار الحكم فيه فان للمحكمة السلطات التالية :

(أ) للمحكمة الحق فى طلب أية محاضر مدونة عن أى اجراءات للمجلس أو أية وثائق فى حوزته •

(ب) كما أن للمحكمة أن تستعلم عما تقتضيه الضرورة من الوقائع أو تطلب أية أدلة سواء كانت وثائقية أو شهادة شفهية •

(٣) بعد نظر التظلم فان المحكمة ستصدر حكما بتأييد أو باستبعاد أو بتعديل أمر أو قرار المجلس طبقا لما تعتقد أنه مناسب •

ونعود للحديث عن أحوال المساجد نفسها فنقول بأن المرء يصدم بما هى عليه عموما من فقر وعدم توفر الامكانيات •• ومجلس الأوقاف لديه قواعد لتصنيف المساجد الى ثلاث مجموعات أ ، ب ، ج طبقا لمواردها ••

موارد كافية .. موارد ذات حد أدنى للكفاية .. موارد دون الحد الأدنى للكفاية .

وبالتأكيد فانه يمكن أن يقال انه من بين ١٦٠٠ مسجد المقامه فى سيريلانكا يوجد حوالى ٢٠٠ تنتمى للمستوى الأول وحوالى ٥٠٠ يمكن تصنيفها فى مستوى تحت المستوى الثانى أما الـ ٨٠٠ مسجد الباقية والتى تشكل الأغلبية فانها تعانى نقصا فى الدخل الذى يكفى لصيانتها .. والسؤال المطروح هو عن كيفية صيانتها .. وهذه المسألة تعتبر — على وجه العموم — مسألة علاج وقتى .. فما يجمع من الجماهير وصدقات المحسنين هى المورد المعتاد .. وهذا لا يمكن اعتباره موردا ثابتا أو كافيا .

وادارة المندوبين الرسميين للأوقاف والتى حلت محلها الآن ادارة الشئون الدينية والثقافية للمسلمين هى المسئولة قانونا عن تدبير شئون صندوق الخيرات الاسلامى .. وما يجمع فى هذا الصندوق ينفق بصورة رئيسية على بناء وترميم وصيانة المساجد .. والمورد الرئيسى لهذا الصندوق هو المساجد ذاتها لأن القانون الحالى ينص على أن مقدار المساهمة السنوية من كل من المساجد المسجلة أو المؤسسات الاسلامية الخيرية أو الأوقاف الى الصندوق الخيرى الاسلامى هو مقدار ٦٪ من الدخل الصافى سنويا .. وطبعا فانه يتضح أنه فى كافة الأحوال فان دور صندوق الخيرات الاسلامى يتحدد تلقائيا .

وعلى اية حال فانه لا يمكن تجاهل دور المساجد ، فبينما المهمة التى تؤديها المساجد فى البلاد التى تقطنها اغلبية اسلامية مشهورة جدا لدرجة اننا لسنا بحاجة الى تفصيلها هنا فان الدور الخاص الذى تقوم به المساجد فى البلاد التى تقطنها اقلية اسلامية لا يمكن أن يقلل من شانه .. لأن المساجد فى هذه البلاد ليست مجرد مؤسسات مادية . فهى فى الحقيقة القلوب النابضة بها . فالمسلمون يجتمعون فيها ويؤدون الصلاة ويستمعون الى الخطب الدينية .. ويساهمون فى الأنشطة الدينية والأمور ذات النفع الاجتماعى العائد على المسلمين عادة ما تجرى فى نطاق المساجد . وائمة المساجد فى مناطقهم هم دائما الأكثر اهتماما والاكثر مسئولية وهم ايضا انشطة المسلمين فيها . ومن ثم فان تنمية المساجد حرى بها أن تلقى الرعاية وأن تدعم .

الحاج محمد حنيفة محمد

وزير النقل والقائم باعمال وزير الشئون الاسلامية بسيريلانكا

علم الاقتصاد الإسلامي (١)

هذا البحث الذى نعرضه تقدم به فضيلة الدكتور الباحث الى المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الاسلامية ، ويقع فى نحو سبع وثمانين صفحة من القطع الصغير ، والقاه فضيلته بقاعة المؤتمر يوم الاحد ٥ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣/٣/٢٠ .

وقد أشار فضيلة الباحث الى الهدف من بحثه فى افتتاحه ، فبين أن الحاجة الى تنظيم الموارد وتوزيعها وصيانتها ثم استهلاكها ــ أصبحت ضرورية ، فكان لابد من أساس سليم يحمى متطلبات هذه الحاجة ، وهو يتمثل فى « علم الاقتصاد الاسلامى » الذى يستمد أحكامه من الشريعة الاسلامية .

موضوعات البحث :

وموضوعات البحث متعددة ، تناول الباحث فيها ــ بعد تحديده المراد من العلم ومجمل مباحث علم الاقتصاد ــ المسائل الآتية :

أصل كلمة الاقتصاد

استمداد علم الاقتصاد الاسلامى

القيمة العلمية للقوانين الاقتصادية

أصول القوانين الاقتصادية

السياسة الاقتصادية الاسلامية

الاقتصاد الاسلامى : عام ، أو مذهب ، أو نظام ؟

المشكلة التى يحلها علم الاقتصاد

الحاجة

المال

الموازنة بين المال والمنفعة فى الاقتصاد الوضعى والاسلامى

أصول الاقتصاد الاسلامى

أهم ما اشتملت عليه هذه الموضوعات :

فى افتتاحه (مقدمته) أوضح أن الحاجة الآن الى علم الاقتصاد الاسلامى أصبحت ضرورية للناس لضبط سد الحاجات على قواعد علمية ثابتة مستقاة من المعلومات التجريبية والأحكام الاسلامية .

ثم بين المراد من العلم ، وأنه عند الفلاسفة وضع لمجموعة من القواعد متى كان الموضوع الذى ترجع اليه هذه القواعد واحدا ، أو كانت الغاية التى تتحقق منها واحدة . وهذا ينطبق على علم الاقتصاد ، حيث أن قواعده كلها ترجع من حيث موضوعاتها الى الثروة التى خلقها الله للانسان فى الكون وتحقق غاية واحدة وهى اشباع الحاجات المشروعة للافراد والجماعات ، ومن هنا نشأ علم الاقتصاد الاسلامى .

---

(١) القى البحث بالمؤتمر يوم الاحد ٥ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ــ ٢٠ ــ ٣ ــ ١٩٨٣ م

لفضيلة الدكتور أحمد فهمى أبو سنة

(٢)

ثم تكلم عن مجمل مباحث علم الاقتصاد ، فبين أن قواعد علم الاقتصاد ترجع كلها الى الثروة ، وأن الغاية من علم الاقتصاد هى سد الحاجات وقضاء المصالح ، وذلك يكون بالحصول على الطعام والملبس ، والمركب ، والعلم وكل ما يحتاج اليه الانسان ، ويحقق له انسانيته ، وطريق ذلك هو الانتاج بالعمل، والمشروعات التى تحقق الانتاج ، والعدالة فى التوزيع وحسن الاستهلاك والادخار .

تعريف علم الاقتصاد الاسلامى :

عرفه بأنه « العلم بالقوانين التى تنظم الثروة من حيث انتاجها واستبدالها وتوزيعها واستهلاكها وصيانتها على وجه يسد حاجة الشعب والدولة فى نظر الاسلام » .

وعنى بالقوانين « الأحكام الشرعية والتجريبية المتعلقة بالقضايا الاقتصادية » .

وعنى بالثروة « كل ما أمكن الاستمتاع به (الطاقة المستخرجة من كل ما فى الأرض وما عليها) وأصول الثروة (المال والعمل والتنظيم) (وانتاج الثروة) استثمارها لسد الحاجة ، ويأتى قبل الانتاج « التنمية » وهى اعداد المادة الأولية للانتاج كاعداد الأرض للزراعة أو للبناء والاستبدال من طرق الانتاج وهو معاوضة الثروة بغيرها مما فيه ربح أو فيه حاجة .

والمراد « بالتوزيع » القسمة العادلة .

والمراد « بالاستهلاك » الانتفاع بالثروة مع الترشيد لها .

أصل كلمة الاقتصاد :

ذكر الباحث استعمالات العرب لكلمة الاقتصاد ، ثم ذكر أنه أطلق (كلمة الاقتصاد) على هذا العلم بمعناه الحديث ، لما فى مسائله من التوسط فى أمور المعيشة واستقامة أحوال المجتمع .

وموضوع علم الاقتصاد هو الثروة ، لأنه يبحث فيه عما يعرض لها من الانتاج والاستبدال والتوزيع وغير ذلك ، ولأن كل قضية من قضايا الاقتصاد موضوعها الثروة أو ما يرجع اليها .

وبحوث هذا العلم عرفها الاسلام لأنها من ضرورات المجتمع .

استمداد علم الاقتصاد الاسلامى :

الاقتصاد الاسلامى يستمد قوانينه من علم الفقه الاسلامى وتطبق فى قضايا

---

(٢) فضيلة الدكتور احمد فهمى ابو سنة عضو مجمع البحوث الاسلامية :

ولد عام ١٩٠٩ م تلقى علومه بمعاهد الازهر حتى حصل على العالية بدرجة أستاذ (الدكتوراه) وعمل بالازهر الى ان عين استاذا بكلية الشريعة ثم أعير الى جامعة دمشق ، حيث حضر مؤتمرات اسلامية عدة ، ثم اختير عضوا بمجمع البحوث الاسلامية .

علم الاقتصاد الإسلامي

الاقتصاد كعقود الشركات وعقود البيع ... الخ .

ومن قوانين تجريبية وضعها رجال الاقتصاد بمهارتهم ، وهي مبنية على الخبرة الطويلة والتجربة المحكمة بعد تحليلهم لظواهر الثروة وما يتعلق بها في باب الانتاج والتنمية والثمن والنقود والتوزيع والاستهلاك والموازنة بين الصادر والوارد .

القيمة العلمية للقوانين الاقتصادية :

أوضح الباحث هذه القيمة بالآتي :

بعض الاقتصاديين يرى أن القوانين الاقتصادية كالقوانين الطبيعية لا تتخلف وهي نعمة ، لأن اتباعها يحمي اقتصاد الدول والأفراد في الأزمات .

وبعضهم قال : انها ليست مضطردة كلها ، مثل قانون « اذا انخفض الثمن زاد الطلب » فانه « يتخلف » في الأشياء التي تفسد بالبقاء ، ومنها قوانين « احتمالية » كزيادة السكان على الموارد ونحن لا نشك في أن في الاقتصاد التجريبي مجموعة من القوانين أصبحت الآن مسلمة وتحل بها كثير من المشكلات الاقتصادية ، والاسلام يقرها مادامت لا تتعارض مع أحكامه .

أصول القوانين الاقتصادية بنوعيها :

بين الباحث أن العقيدة الاسلامية في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر تجعل صاحب المال يؤمن بأنه خليفة عن الله في هذا المال ومنفذ لأحكام الله فيه ، وأوضح أن أحكام الشريعة الاسلامية مستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومبنية على مصالح الناس وأن هذه الأحكام تنقسم الى أربعة أقسام :

١ ــ منصوص على مشروعيته أو مجمع عليها .

٢ ــ او منصوص على عدم مشروعيته أو مجمع عليه .

٣ ــ مختلف في مشروعيته بين الأئمة المجتهدين .

٤ ــ غير مخالف لأحكام الشريعة .

السياسة الاقتصادية الاسلامية :

بين أن السياسة الاقتصادية الاسلامية هي : تدبير شئون الثروة للفرد والدولة وقضاء مصالحها المالية بقوانين الاقتصاد الاسلامية ، والتجريبية ، من الخبراء بعلم الاقتصاد ، فعلاج المشكلات الاقتصادية يقوم على تحديد المشكلة وعندئذ يستخدم الخبير السياسة بوضع الحلول المناسبة .

وأكد الباحث على أننا بحاجة الى الجامعين بين فقه الاسلام ، والعلم بأصول الاقتصاد الوضعي التجريبية ويجب أن يكون المدرس لعلم الاقتصاد الاسلامي من المتبحرين في الفقه الاسلامي ليستطيع البحث عن الأحكام الاسلامية في الفقه الاسلامي وتخريج ما لم ينص عليه منها .

هل الاقتصاد الاسلامي علم أو مذهب أو نظام ؟

بين الباحث أن الاقتصاد الاسلامي يتألف من أمرين .

قواعد اقتصادية ثابتة متفق عليها .

وآراء مذهبية ، وينضم الى هذين الأمرين تطبيق هذه القوانين .

المشكلة التى اعد علم الاقتصاد لحلها :

أوضح أن المشكلة ليست ندرة الأموال كما يقول بعض الاقتصاديين ، لأن الله قد كفل الثروة بالقدر الذى كفل الله به الرزق لكل انسان وحيوان قال تعالى : « وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا »(١) وشرح كيفية الحصول على هذا الرزق المشروع ، ثم بين أن بيت الداء هو تجمع الناس فى المدن ، وبعدهم عن مواقع العمل ، ورأى أن حل هذه المشكلة يجىء من ناحيتين :

١ ــ واجبات علينا أن نتحملها تحقيقا للكفاية فى التنمية والانتاج ، ومنها واجب الفرد أن يعمل وواجب الدولة أن تعين على العمل بالتأهيل واعداد مجالاته فى كل مرفق وفى كل موقع ، وأن يوظف أصحاب الأموال أموالهم فى المشروعات النافعة .

والناحية الثانية هى التنمية والانتاج بالفعل ، أما التنمية فتتحقق باعداد الوسائل التى يكون بها الانتاج كاستصلاح الأراضى للزراعة والبناء .

وأما الانتاج فيكون باستخراج المنافع من أصول الثروة .

وتكلم عن مشكلة توزيع الثروة المنتجة على حاجات الناس لاشباعها ، وذكر المشكلات التى تنتج عن ذلك وانتهى الى أن الاسلام يرى أن توزع النتائج الموجودة فى السوق على كل بقدر حاجته وكفايته ، ولا بأس بالزيادة اذا كان فى السوق سعة ، فاذا لم تكن ينبغى أن يتساوى الناس فى أن يأخذ كل بقدر حاجته ، أو فى حرمان بعض الحاجات ، أو فى النقص عن الحاجة اذا نقص الموجود فى السوق وقل الانتاج ، واستند فى كل ذلك الى الأدلة الشرعية من الأحاديث النبوية ، ثم بين أنه اذا ضعف التدين وجعل الناس القدرة الشرائية هى الحكم فى التوزيع ، وجب على ولى الأمر أن يحقق العدل بين الناس بالأساليب التى يراها .

ثم بين النظام الشيوعى المسمى اليوم (بالاشتراكى) ونظام الرأسمالية وفند النظامين ، ودعا الى النظام الاسلامى الذى شرح أحكاما عادلة لحل هذه المشكلات حيث دعا الى التوازن الاقتصادى ، ولو نفذ لما كان هناك جائع ولا عار .

الحاجة : بين أن أركان المشكلة ــ الحاجة ، والثروة وأصول الحاجات الضرورية أربعة : **الطعام والشراب ، والملبس والسكنى** ، قال تعالى « **ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى** » .

وأركان الحاجة .

الاحساس بالرغبة ،ومعرفة ما يشبعها ، وللحاجة خصائص :

منها أنها متجددة ، ومنها أن الرغبة الضرورية تظل قوية ملحة ، أما الكمالية فينوب بعضها عن بعض ، ويمكن الاستغناء فى أوقات معينة عن الحاجات الكمالية ، للانتفاع بالثروة فى المهم .

المال : الركن الثانى فى المشكلة الاقتصادية الثروة ، والمهم فى الثروة (المال) لأن به

(١) هود ــ ٦

علم الاقتصاد الإسلامي

تتعلق أحكام المعاملات الاقتصادية (كالمعاوضات) والمال شامل لأربعة أصناف ـ العين والمنفعة والدين والحقوق .

الموازنة بين المال والمنفعة في الاقتصاد الوضعي والاسلامي :

« معنى » المال في الاقتصاد الاسلامي أخص من الاقتصاد الوضعي اذ لا يدخل فيه ما حرم الانتفاع به وما سماه الوضعيون بالمال الحر .

معنى المال لدى الوضعيين : (الشيء النافع القابل لاشباع الحاجات) .

المال عند الوضعيين : اقتصادي : وهو ما كان الموجود منه أقل من حاجات الناس .

أو مال حر : وهو ما كان الموجود منه أكثر من حاجات الناس أو مساويا لها .

وهم لا يرون وجود الثاني ، والاسلام يرى أن الموجود في الكون كله مال وفير غير أنه يحتاج الى عمل متخصص دءوب من جميع الناس .

المنفعة : وهي خاصية في المال بها اشباع الحاجات كالسكنى للدار ، هي علاقة بين عين المال والحاجة اليه ، وهي :

اما مباشرة كمنفعة أموال الاستهلاك ، أو غير مباشرة كمنفعة أموال الانتاج ، وتسمى « قيمة المنفعة ، وقيمة الاستعمال » وهذه المعاني قريبة من المعنى في الاقتصاد الاسلامي .

أصول الاقتصاد الاسلامي :

علم الاقتصاد الاسلامي ضرورة لابد منها، وحقيقة واقعة ، وأنه يخالف الاقتصاد الوضعي في كثير من أسسه وان كان يوافقه في القوانين التجريبية التي أثبت الواقع صحتها، وأبرز خصائص هذا العلم وأصوله هي :

١ ـ تجمعه جمل من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى « **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى** »(١) .

٢ ـ الاقتصاد الاسلامي مضبوط بأحكام الاسلام .

٣ ـ الأصل في الثروة الوفرة لا الندرة فالرزق موجود وعلى الناس تحصيله بالسعي .

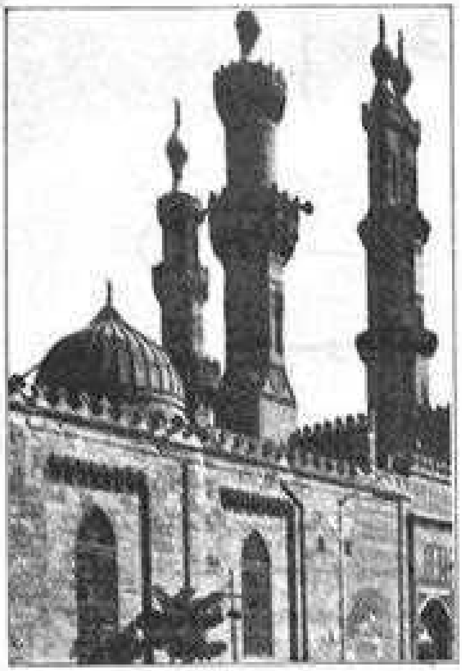
٤ ـ المال مال الله ، والعباد مستخلفون فيه لاصلاح الدنيا والآخرة .

٥ ـ من أصول الانتاج العمل الصالح الموافق للكتاب والسنة .

٦ ـ العمل يسد حاجة الشخص وحاجة من هو مكلف بالانفاق عليه فرض عين ، والعمل لاقامة مصالح الأمة فرض كفاية .

---

(١) النجم ـ ٣١ .



٧ ـ الملكية الخاصة لأنواع المال محترمة اذا استفيدت من طرق مباحة ، وعليها حقوق للجماعة كالزكاة ونفقة الأقارب ، والضرائب المشروعة ، والماعون وفي الحديث (ان في المال حقا سوى الزكاة)(١) .

٨ ـ الحرية الاقتصادية هي الأصل في التصرفات المشروعة ، ما لم تصادم المصلحة العامة ، أو يترتب عليها ضرر بين ، فحينئذ تتدخل الدولة .

١٠ ـ فوائد الديون والودائع « ربا » والربح المحدود في الشركات يفسدها ويجعل ربحها محرما .

١١ ـ السوق المعتدلة التي توفرت فيها شروط المنافسة الكاملة معيار لمعرفة الثمن العادل وقيم الأشياء .

١٢ ـ العدل في المعاملات المالية واجب بمنع الغش والربا ، والغبن الفاحش .

١٣ ـ تحريم الربا والقمار ، والاحتكار ، والربح الفاحش ، والرشوة ، والهدايا ، بسبب العمل ـ يمنع التضخم في الغنى ، واعطاء الزكاة والتكافل يدفع الفقر .

١٤ ـ العدالة في التوزيع ان لم تتحقق بالوازع الديني والاجتماعي تدخلت الدولة .

١٥ ـ التوسط في الاستهلاك واجب ، والاسراف حرام .

١٦ ـ ادخار قدر من المال مطلوب للطوارئ، كما نصح سيدنا يوسف أهل مصر.

١٧ ـ صيانة المال من الضياع والنقص والفساد واجبة لقوله تعالى « **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ** »(٢) .

١٨ ـ استخدام ما استنبطه العلم من الآلات، والكيماويات وسائر المخترعات المساعدة لتنمية الثروة واستنتاجها وصيانتها واجب .

هذه هي ابرز المعالم المميزة للاقتصاد الاسلامي والله الموفق .

اعداد وتلخيص

محمد صابر البرديسي

(١) رواه الترمذي

(٢) النساء ـ ٥

في القانون الإسلامي :

○ الأزهر وتقنين الشريعة الإسلامية

○ نحو مشروع الدستور الإسلامي

بين يدى هذين البحثين :
« الأزهر وتقنين الشريعة الاسلامية »
للسيد المستشار / السيد عبد العزيز هندى عضو مجمع البحوث الاسلامية .
و «نحو مشروع الدستور الاسلامي»
للسيد المستشار / عبد الحليم الجندى
يشدنا تاريخ ، وتجذبنا ذكريات الى آمال غالية :

وأغلى ما فيها أنها فى سبيل الله . وما كان لله فهو ـ دائما ـ يلتقى بصدر مشروح .

فى هذين البحثين عمل الأزهر المجيد الذى يرتفع تماما عن الممارسات غير الكريمة فى ميادين الطعام التى ترمى الأزهر بالقصور ، وتبث فى الناس أنها تقوم بالدعوة التى يجب على الأزهر أن يقوم بها .

وحديث الذكرى يعود بنا الى كلمة فضيلة الامام الأكبر محمد مصطفى المراغى فى الاحتفال بمولد المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم عام ١٣٦٣ هجرية حين قال مخاطبا الملك :

« مولاى صاحب الجلالة :

ان هذا العالم ـ من أقصاه الى أقصاه ـ يتلفت يمينا وشمالا الى من ينقذه ، ولا منقذ له الا التمسك بكتاب الله وسنة رسوله واحياء شرعه .

وأنت بما آتاك الله من سلطان أولى الناس برعاية الشريعة وتطبيقها » فأما التاريخ فيدلى الينا بالحقائق التالية :

(أ) ظلت مصر على الحكم الشرعى للاسلام حتى تولى الحكم محمد على باشا ، ففى عهده بدأت القاعدة الشرعية تهتز شيئا فشيئا .

(ب) أدت الديون فى عصر اسماعيل الى وجود عدد هائل من الأجانب فى مصر ، وحصلوا على ميزات ، فصدرت فى سنة ١٢٩٢ هـ ـ ١٨٧٥ م (القوانين المختلطة) تمييزا للأجانب عن المصريين ، وهناك ما يدل على أن اختيار هذا العام بالذات لصدور هذه القوانين التى تكاد تطابق مجموعة نابليون الفرنسية ـ انما كان سبقا الى التخلص من قانون اسلامى كانت الدولة العثمانية تعده أطلق عليه (الأحكام العدلية) فلما صدر هذا القانون الاسلامى لم يرض حكام مصر ـ وهم ليسوا من أبنائها ـ بتطبيقه بحجة أن مصر تتمتع بالاستقلال التشريعى .

(هـ) وفى عام ١٨٨٣ م صدرت القوانين الأهلية ، وبه خرجت مصر عن نظامها الاسلامى

وكان للكونت (ماتيو دلسبس) والـد (فرديناند دلسبس) دور أولى وراء تعيين محمد على واليا على مصر وما ترتب على ذلك من بعد . (١)

(د) صاحب هذه الأحداث الجسام ــ بجانب ديون مصر ــ دور الربا الفاحش الذى كاد يكبل ــ لا حكومة مصر وحدها ــ ، الفلاحين أيضا ، وكان مصرف (الكريدى ليونيه) أحد المصارف التى أفحشت فى تعاملها الربوى لارهاق الفلاحين ، والعمل على تخفيض سعر الانتاج الزراعى وقت بيعه .

هذه أثارة من التاريخ المرير للقوانين غير الاسلامية الوضعية فى حياتنا رفضها الأزهر لرفض اسلامنا لها ــ ولا يزال ــ بحكم رسالته العالمية وشريعة الاسلام الالهية .

ورفضتها «وطنيتنا» لما صاحب وجودها من اذلال لمصر والمصريين ولما غادت مصر لأبنائها ، كان التغيير متوقعا حتى جاء فى الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية الصادر فى ١٩٧١/٩/١١ المادة التالية :

« الاسلام هو دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ، والشريعة الاسلامية مصدر رئيسى للتشريع »

ولم يكن النص كافيا لتطهير وجه مصر من هذا التاريخ البغيض ، فجاء التعديل الدستورى الأخير الصادر فى ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م فقطع الشك باليقين ونص فى مادته الثامنة على أن :

« الاسلام هو دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ، والشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع »

وفى مقتطفات هذين البحثين نقدم ما يسمح به حجم المجلة ليلقى ضوءا بهيا فى هذا المقام .

---

١ ــ راجع الدكتور يوسف قاسم ــ كلية الحقوق جامعة القاهرة كتابه : مبادىء الفقه الاسلامى ط ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م ص ١٦١ ــ ١٦٥ نشر دار النهضة العربية

الأزهر وتقنين الشريعة الاسلامية

١ ـ منذ أن شرح الله صدور المصريين لنور الاسلام وهداهم الى دينه الذى ارتضاه لهم بعد ان تم الفتح الاسلامى على يد عمرو بن العاص فى عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب فى السنة العشرين من الهجرة (سنة ٦٤١م) فاقبلوا على الدخول فى الدين الحنيف ـ زرافات ووحدانا ـ حتى صار المسلمون فى هذا البلد الطيب هم الكثرة الغالبة .

منذ ذلك التاريخ ـ والشريعة الاسلامية الغراء ـ وحدها ـ هى القانون المعمول به فى هذه البلاد . والذى يحكم تصرفات الناس حكاما ومحكومين ـ بما اشتملت عليه من احكام تشريعية ـ أجملها القرآن الكريم . وأوضحتها السنة الغراء . ووفاها حقها من الشرح والبيان فقهاء أجلاء . لا يسع الباحث المنصف الا أن يشيد بعلمهم . وسعة اطلاعهم ودقتهم .

٢ ـ وظل الحال على هذا المنوال ثلاثة عشر قرنا من الزمان . صمدت البلاد خلالها لكل غزو جاءها من الخارج . من هولاكو الى جنكيز خان الى الصليبيين ـ ولم يفلح هؤلاء جميعا فى صرفها عن دينها والعمل بشريعة الله الغراء ـ معتصمة بحبل الله المتين فكانت بذلك درع الأمان لنفسها ولمن حولها من البلاد الاسلامية .

وسواء أكان حكام البلاد عربا أم أعاجم .

فقد كان لها استقلالها وذاتيتها دائما فى كل الظروف ـ ومادام الحكم قائما على شريعة الله . ومادام الحكم هو أن : الله فوق الخلق فيها وحده ـ والناس تحت لوائها أكفاء . فان الحاكم لا يعدو أن يكون خادما للشعب على شريعة الله ورسوله . وان أكرمكم عند الله اتقاكم . يطيعونه ما أطاع الله فيهم . فاذا انسلخ من شريعة الله . فلا طاعة له عليهم . وقد انعقد لها بذلك لواء النصر على جميع أعدائها . فانتصرت على التتار بقيادة هولاكو الطاغية سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) الذى أسقط خلافة العباسيين سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ـ وكانت الجيوش المسلمة يومئذ بقيادة سيف الدين قطز ـ الذى خلد له التاريخ مع النصر فى موقعة « عين جالوت » صيحته المدوية فى المعركة « واسلاماه » وكان ذلك وقت صلاة الجمعة فى رمضان من تلك السنة .

صيحة حق ردد مثيلتها أشبالنا بعدئذ فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ . على أشلاء



للمستشار السيد عبد العزيز هندى

عضو مجمع البحوث الاسلامية

حصون خط بارليف — حين هتفوا : « الله أكبر » فنصرهم الله .

ولا يفوتنا أن نذكر أن شيخ الاسلام العز ابن عبد السلام كان العون الأكبر لسيف الدين قطز فى الاعداد للجهاد فى معركة عين جالوت — ماديا ومعنويا .

كما لا يفوتنا أن نذكر أنه بعد أن انتهت المعركة بالنصر المؤزر — سجد الملك المظفر لربه وأطال السجود ثم رفع رأسه والدموع تبلل لحيته — وبعد أن سلم من صلاته اعتلى صهوة جواده وخطب فى جيشه قائلا :

« أيها المسلمون — اياكم والزهو بما صنعتم — ولكن أشكروا الله واخضعوا لقوته وجلاله — وما يدريكم لعل دعوات اخوانكم المسلمين على المنابر فى الساعة التى حملتم فيها على عدوكم من هذا اليوم العظيم — يوم الجمعة — وفى هذا الشهر العظيم — شهر رمضان — كانت أمضى على عدوكم من السيوف التى بها ضربتم والرماح التى بها طعنتم — والنبال التى بها رميتم — واعلموا أنكم لن تنتهوا من الجهاد — وانما بدأتموه حتى تقضوا حق الاسلام بطرد أعدائه من سائر البلاد — ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

٣ — ومن قبل قال الفاروق عمر بن الخطاب : « ان الله أعزكم بالاسلام — فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله » .

وصدق الله العظيم **(إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)** .

وقد التمس العز بغير الله حكام ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم وأموالهم وتعلقهم بأذيال الترف المستورد وقطعوا ما بينهم وبين الله — فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا — وقطع ما بينهم وبين الناس وكان ذلهم على يد من اعتزوا بهم — **من أمثال الخديوى اسماعيل الذى أعرض عن شريعة الله وجلب للبلاد على يد وزيره نوبار — قوانين أجنبية تتعارض فى بعض نصوصها تعارضا جليا واضحا مع ما يجب أن يكون معلوما من أحكام الدين** بالضرورة كتغيير العقوبات المقررة شرعا للحدود **واباحة الربا** — التى تحرص الدولة حاليا على الغائها واستبدال غيرها بها — بما يتفق مع الشريعة الاسلامية الغراء .

٤ — ثم جاء القرن الرابع عشر الهجرى مواكبا لنهاية القرن التاسع عشر الميلادى

الأزهر.. وتقنين الشريعة الإسلامية

وبداية القرن العشرين وفيه بدأ الصراع بين أئمة الفكر الاسلامى من أمثال جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وبين غلاة المستعمرين فى الغرب ودعاتهم — **الذين هالهم صمود المسلمين فى وجه الغزوات العسكرية الشرسة من التتار والمغول والصليبيين على حد سواء فاصطنع الغزاة اسلوبا ماكرا يتسم بالخبث والدهاء — لقد وجدوا أن تمسك المسلمين بدينهم وشريعتهم — يعصمهم من كل** باغ عليهم — ومادام المسلم يحارب فى سبيل الله — فان له احدى الحسنيين — اما النصر واما الشهادة ، وبالتالى فان الجهاد يقربه الى الله — فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون — **ومن ثم فقد وجه المستعمرون كل سهامهم الى هذا الحصن الحصين الذى يعتصم به** المسلمون — وهو دينهم وشريعتهم — وبدلا من قذائف الحديد واللهب التى لم تجد نفعا — فقد استعملوا كل ما أوتوا من مكر وخديعة ليفتنوا المسلمين عن دينهم ان استطاعوا — •

٥ — ومن ثم كان الغزو الفكرى وتغريب المسلمين — وصرفهم عن دينهم واستبعاد الدين من حياتهم وتفكيرهم **واصطناع مفهوم خاطىء لدى ضعاف النفوس مؤداه أن الدين هو سبب التخلف الذى يعانون منه وقد كان هذا الاسقاط أيسر تقبلا لدى النفوس الضعيفة — من أن ينسبوا التقصير الى انفسهم فيصلحوا من شانها ليصلح حالهم •**

٦ — كما كان هذا المفهوم الخاطىء ذريعة للخديوى اسماعيل الذى أراد أن يجعل مصر قطعة من أوربا — ليعهد الى وزيره نوبار باستيراد قوانين ومفاهيم أوربية للمجتمع المصرى المسلم تخالف مفاهيم هذا المجتمع المسلم — كما أغرق البلاد بديون ربوية فاحشة ليغطى اسرافه وسفهه وترفه الذى اوقع البلاد فى قبضة الاستعمار المالى وانتهى بها الى الخراب الخلقى والاستعمار السياسى وحق عليها قول ربها (١) (**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**) سورة الاسراء آية ١٦ • فكانت عاقبة أمرها أن طرد الخديوى اسماعيل من العرش الذهب الذى تربع عليه وخلف من بعده خلف أضاعوا استقلال البلاد فغزتها جيوش الاحتلال الانجليزى على يد الخديوى توفيق وهكذا ضاعت البلاد بعد أن أغفلت العمل بشريعة الله •

٧ — وقد واكب هذا الاستعمار العسكرى والسياسى — موجة من الالحاد • أصبحت سمة العصر بدعوى التحرر الفكرى — والانفلات من المعايير الخلقية تحت راية العلمانية والتحررية وغفلوا عن أن هذه الاباحية لم تكن الا رجعة للهمجية — والى جاهلية ما قبل الرسالات •

وجاءت الشيوعية — بمذاهبها المختلفة — على رأس هذه الموجات فحاولت جاهدة أن تفصم هذه العروة الوثقى التى تربط الناس برب

الناس — وأن تحطم هذه الوشائج الانسانية التى تربط الناس بعضهم ببعض وفقا لشريعة اللـه — ولكنها باءت فى هـذا البلد الأمين بالخسران المبين — ولم تخدع هـذه الحرية المزعومة أحدا من الناس .

وقد دأب الاستعمار خلال هـذه الحقبة المظلمـة على تفتيت الروابط التى تربط المسلمين كافة بعضهم ببعض — تطبيقا لمبدئه « فرق تسد » — وأصبح المسلمون بأسهم بينهم شديد — بدلا من أن يعملوا بهدى الله الذى يجعلهم « أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

٨ — ولكن هـذا الظلام الدامس — كان مقدمة لفجر مشرق جديد — وقديما قالوا — اذا جاء الشتاء فما أسرع ما يجىء الربيع — فبعد أن نسى الناس الله فأنساهم أنفسهم — رجعوا الى الله والى شريعة الله يدرسـونها ويبصرون الناس بأحكامها وما فيها من صلاح للناس فى دنياهم وآخرتهم وقام أسـاتذة أجلاء بتجلية شريعة اللـه بعـد استخراج كنوزها من بطون الكتب الفقهية الاسـلامية وقامت نهضة تشريعية تستمد أصـولها من شريعة الله — فى مصر وشتى البلاد الاسلامية الأخرى وشهد النصف الثانى من القـرن الرابع عشر الهجرى علماء أجلاء فى الشريعة الاسلامية أمثال المشايخ — أحمد ابراهيم ، وعبد الوهاب خلاف ، ومحمـد أبو زهرة — كما كان الاسـتاذ الدكتـور عبد الرازق السنهورى رائدا للفقه الاسـلامى المقارن .

٩ — كذلك قام الأزهـر الشريف ووزارة العدل بمصر بتكوين لجان عدة لتقنين الشريعة الاسلامية ولا يتعارض مع أصـولها المعروفة من الدين بالضرورة — وقد قامت هذه اللجان بوضع عدة مشروعات لتحقيق هـذا الهـدف الحيوى النبيل قدمت بعضـها للجهـات الدستورية المختصـة باصـدارها — وهى بسبيلها لاتمام مهمتها بفضل الله وتوفيقه — **كما أصدرت المحاكم عدة أحكام تقضى بأن اى حكم يخالف الأحكام المقـررة فى الشريعة الغـراء هو حكم باطل لا اعتـداد به حتى بالنسبة لمن أصدره .**

١٠ — وهكذا اتجه الناس الى الله يسألونه الهداية والتوفيق للعمـل بشريعته — وكانت فاتحة ثمار توفيق الله — ان عجل لهم بنصر العاشر من رمضان سـنة ١٣٩٣ هـ — وكف أيدى النـاس عنهم ووعـدهم مغانم كثيرة يأخذونها ما داموا قائمين على شريعتـه — وصدق الله العظيم اذ يقول (**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**) آية رقم ٥٥ من سورة النور وحمدا لله فبعد أن استيأس الناس من النصر فى مطلع القـرن الهجـرى الرابع عشر — أشرقت الأرض بنور ربها فى ختام هذا القرن وفى مستهل القرن الخامس

عشر ــ والله نسأل أن يوفقنا بفضله للعمل بشريعته على الدوام وأن يهدينا جميعا بفضله الى ما يحبه ويرضاه .

الفصـــل الأول

آراء فى تقنين الشريعة الاسلامية

اولا :

١ ــ بتاريخ ١٥ من ربيـع الأول سـنة ١٤٠٠ هـ المـوافق ٢/٢/١٩٨٠ أصدر فضيلة الامام الأكبر الدكتـور محمـد عبد الرحمن بيصار ــ شيخ الأزهر السابق ــ القرار رقم ٨٤ لسنة ١٩٨٠ باعادة تكوين اللجنة العليا لتعديل القوانين الوضعية بما يطابق الشريعة الاسـلامية ــ وعهد اليها باتمام المهمة التى كانت منوطة بها بمقتضى القرار رقم ٣ لسنة ١٩٧٦ ــ الصـادر من فضيلة الامام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود ــ شيخ الأزهر الأسبق ــ عليهما رحمة الله ــ .

٢ ــ ولما كانت هذه اللجنة العليا ــ قد بحثت من قبل ــ الآراء المختلفة لاختيار أقوم السبل ــ لاتمام مهمتها على النحو المرجو منهـا ــ واختيار أصلحها لانجازها على الوجه الأكمل .

ولما كانت الآراء التى طرحت للبحث توجز فى :

(أ) رأى يذهب الى أنه لا لزوم أصـلا لتقنين الشريعة الاسلامية ، ولا حاجة لنا به ، فان أصول الشريعة مقررة فى الكتاب والسنة، وما على القاضى الا أن ينظر فيها ليجد ضالته .

(ب) على حين ذهب رأى آخر الى وجوب الأخذ بتوصيات المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية الذى عقد فى شهر رجب سنة ١٣٨٨هـ (سبتمبر سنة ١٩٦٨ م) **والذى أوصى بتأليف لجنة مـن رجال الفقه الاسلامى والقـانون الوضـعى لتضطلع بوضـع الدراسـات ومشروعات القوانين التى تيسر على المسئولين فى البلاد الاسلامية العمل بأحكام الشريعة الاسلامية** ، وأن يبدأ العمل فى المرحلة الأولى بتقنين المذاهب الأربعة : الحنفية والشافعيـة والمالكيـة والحنابلة عـلى أن يقنن كل مذهب على حدة ــ وبعد الفراغ من هذه المرحلة ــ يبدأ العمل فى وضع قانون مختار من بين هـذه المذاهب جميعها .

٣ ــ ولما كان الأخذ بالرأى الأول ــ وهـو عدم التقنين ــ تعترضه صعاب جمة ، فانه وان كان لاخلاف بين المسلمين على تحريم السرقة ــ مثلا ــ الا أن السرقة التى تتطلب اقامة الحد تستوجب توافر أركان معينة ، ذهب فيها الفقهاء مذاهب شتى ، بل اختلفوا فى تعـريف هذه الأركان نفسها ــ الأمر الذى يسـتوجب تحديدا قاطعا جامعا مانعا لهذه الشروط وهـذه الأركان ــ تيسيرا على القاضى والمتقاضى على حـد سـواء .

٤ ــ ومن ناحية أخرى ، فانه لما كان تجميع الفقه الاسلامى ، على النحو الذى ذهب اليه الرأى الثانى ، رغم أنه أمنية عزيزة على كل مسلم ، الا أنه استغرق ويستغرق وقتا طويلا جدا حتى يتم الفراغ منه ــ ريثما تنتهى اللجان العديدة المشكلة لهذا الغرض من استمرامن

وبحث أحكام الفقه في المذاهب الأربعة ، ثم تقنينها ـ ثم توحيدها ـ وهي لما تفرغ بعد من مهمتها ـ رغم الجهود المشكورة المضنية ـ حتى الآن ـ .

٥ ـ ولما كان ذلك ـ وكانت القوانين الوضعية المطبقة حاليا ـ تتضمن أقساما ثلاثة :

(أ) قسم منها مصدره الشريعة الاسلامية الغراء ـ ومطابق لأحكامها ، فلا حاجة بنا ـ حاليا ـ لاعادة تقنينه .

(ب) قسم آخر ـ لا يخالف رأيا مقطوعا به بحكم فيها ـ ولا حاجة بنا بالتالي ـ حاليا ـ لاعادة تقنينه كذلك

(جـ) وقسم ثالث وأخير ـ ينقسم بدوره الى فرعين :

أولهما :

يقتضى الحكم بعدم مشروعيته مزيدا من البحث والتروى . ويتعين ـ من ثم ـ بحثه بحثا مستفيضا قبل القطع فيه برأى .

وثانيهما :

مقطوع بأنه مخالف مخالفة صريحة واضحة للقواعد الأساسية للشريعة الاسلامية ـ قولا واحدا ـ وتأتى على رأس القائمة في هذا القسم : الحدود الشرعية والربا الجلى (ربا الجاهلية) وعقود الغرر .

٦ ـ واذ كان ذلك كذلك . كان السكوت على العمل بالأحكام المخالفة للشريعة الاسلامية ـ مخالفة صريحة واضحة ـ وعلى ما ينبغى أن يكون معروفا من الدين بالضرورة ـ يعتبر تعطيلا لحدود الله الواجبة النفاذ فورا وبدون معوقات ـ فقد أضحى لزاما أن نبدأ على الفور باعداد تشريعات بديلة ـ موافقة للشريعة الغراء ـ أخذا من مختلف المذاهب ـ مع تخير أصلح الحلول لعلاج المجتمع القائم ـ مما له أصل ثابت في الفقه الاسلامى ـ أو غير متعارض معه ـ وذلك ريثما تنتهى اللجان المختلفة من أبحاثها المتكاملة .

وبذلك نجمع بين الحسنيين : التعجيل بما يجب التعجيل به ـ والتريث فيما ينبغى التريث فيه ـ حتى يتم العمل بشريعة الله في كل شأن من شئون الحياة .

٧ ـ وأخذا بهذا الرأى الأخير ـ فقد توالت اجتماعات اللجنة العليا بالأزهر منذ انشائها حتى أتمت ـ بعون الله وتوفيقه ـ مشروع قانون الحدود الشرعية ومذكرته الايضاحية ، وقدمته الى الجهات المختصة دستوريا باصداره ـ وسلمت مشيخة الأزهر نسخا منه الى مجلس الشعب واللجنة التشريعية بمجلس الشعب ورياسة مجلس الوزراء ، ووزارة العدل ، وكان ذلك بتاريخ ٨ من ربيع الآخر ١٣٩٧ هـ ـ الموافق ٢٨ من مارس ١٩٧٧ م .

ثانيا :

١ ـ ولما كان قوام القسم الخاص بالمعاملات في الشريعة الاسلامية ـ ينهض على دعامتين أساسيتين ـ هما : العقوبات ، وقد فرغت اللجنة العليا بالأزهر من تقنين مشروع الحدود الشرعية وأرسلته الى

الجهات الدستورية المختصة باصداره ــ وذلك منذ ٢٨ من مارس سنة ١٩٧٧ ــ كما سلف القــول ــ •

والقسم الثانى : هو المعاملات المدنيــة ــ ومن المقرر فقها وقضاء أن القانون المــدنى (بحسب التعريف الحالى) هو أبو القوانين المتفرعة عنه والمكملة له ــ ومن ثم فقد أخذت اللجنة العليا بالأزهر فى بحثه أولا ، أخــذا بالمنهج الذى سارت عليــه وأنجزته بالنسبة للعقوبات •

٢ ــ وقد رأت اللجنة أن القانون المــدنى الحالى ــ المعمول به منذ ١٥ أكتوبر ســـنة ١٩٤٩ ينتظم ١١٤٩ مــادة ــ فضــــلا عن القوانين الخاصة المكملة أو المعدلة له ــ وأنه استقى أحكامه من ينابيع ثلاثة : ــ

(أ) نصوص القانون المدنى القديم ــ بعد أن هذبت وأضــيفت اليها أحكام القضــاء فى تفسير هذه النصوص وتطبيقها •

(ب) الفقه الاسلامى ــ وللفقه الاسلامى مكان ملحوظ بين المصادر الثلاثة التى استقى منها القانون المدنى القائم ، اذ جعله مصدرا رسميا له ــ وان كان للأســف ــ قــد جعله تاليا للنصوص التشريعية والعرف وان كــان يتقدم مبادىء القانون الطبيعى والعدالة وهى المصدر الثالث ــ وقد صحح الدستور الدائم الصــــادر فى ٢١ مــن رجب ســنة ١٣٩١ هـ (١١ سبتمبر ١٩٧١ م) الى حد بعيد بمــا نص عليه فى مادته الثانية من أن مبــادىء الشريعة الاســلاميــة هى المصــدر الرئيسى للتشريع • وذلك بعد تعديلها فى سنة ١٩٨٠ •

٣ ــ وقد رأت اللجنــة ــ اتبــاعا لمنهجها الذى سلف بيانه ــ أن تخلص القانون المدنى والقانون التجارى ــ بادى الرأى ــ من كل ما يتــاقض الأحكام القطعيــة والقــواعد الأساسية للشريعة الاســلامية ــ وكان أول ما طالع اللجنة من مناقضات صارخة ــ تتناف مع شريعــة الله فيهما ــ ما ورد فيهمــا من نصوص تتضمن أحكاما تتعلق بربا النســيئة ــ المنهى عنه شرعا ــ وباجماع كافة فقهــاء علماء المسلمين وأئمتهم ــ وكذلك الشــأن فى العقود التى يشوبها عيب الغرر ــ فانها عيوب تبطل العقود وتجعلها حراما لا يصح عقدها ولا تترتب عليها آثارها •

وبالتالى فقد قررت اللجنة تحريم مثل هذه المعاملات فورا والبدء بتنقية نصوص القانون المدنى والقانون التجارى الجارى العمل بهما حاليا منها •

وقد استدعى هذا ــ النص على عــدم تطبيق بعض المواد برقمها والغائها • واعتبار بعض هذه المواد ملغاة بالنسبة لما ورد بهــا من عبارات الفائدة أو الفوائد بسيطة ومركبة ونحوها • أو اعادة صياغة النص صــياغة جديدة ، تنقية له مما يشــوبه من مخالفــة للشريعة الغــراء ــ وذلك على النحــو الذى فصلته المذكرات المقدمة منا للجنــة وما دار بشأنها من مداولات فقهية فى محاضر جلساتها وما انتهى اليه الرأى فيمــا رأت تعــديله من مــواد •

٤ ــ واذا كان قانون العقوبات المصرى يضم بين دفتيه ما يقرب من ١٢٠ جناية فضلا عن الجنايات التى تضمنتها القوانين الخاصة ، والجنح والمخالفات ، فان الشريعة الاسلامية لم تحدد عقوبات مقدرة الا فى خمس جرائم هى : السرقة والحرابة والزنا والقذف والردة ، وتركت ما عدا ذلك من نشاط اجرامى لتعالجه التشريعات الوضعية وفقا للمتغيرات ــ وفى مجال «التعزير» متسع للمواءمة بينها وبين ما يقتضيه صالح المجتمع من عقوبات ، وقد يغنى قانون العقوبات المطبق حاليا عن تعديل الكثير منها ما دامت لا تخالف مبدأ مقررا فى الشريعة الغراء .

٥ ــ كما وأن القرآن الكريم ــ وهو مكون من (٦٢٣٦) آية تبلغ آيات الأحكام منها (٢٠٠) آية فقط ــ على حين يبلغ عدد المواد المدنية والتجارية وملحقاتها نحو (٢٠٢٣) مادة ، فضلا عن القوانين الخاصة والقوانين المكملة لهما ، وذلك مقابل (٧٠) آية فقط تنظم هذه الأحكام .

كما يبلغ مجموع مواد قانون العقوبات والاجراءات نحو (١٠٣٢) مادة ــ مقابل نحو (٣٠) آية فقط وردت بشأنها فى القرآن الكريم .

وبذلك يكون مجموع مواد القانون فى هذه الفروع نحو (٣٨٩٧) مادة ، يقابلها نحو (١٣٠) آية فقط فى القرآن الكريم .

ولا حجر على حرية الناس ــ بعد هذه الآيات البينات ــ فى اتخاذ ما يرونه ملائما لحياتهم ، فيما لا يخالف الكتاب والسنة الصحيحة ومن ثم فانه يتعين التركيز ــ عند تعديل القوانين ــ على تعديل نص المواد التى تخالف شريعة الله مخالفة صريحة واضحة ــ معلومة من الدين بالضرورة ــ وذلك قبل غيرها مما يجوز فيه الاجتهاد .

٦ ــ وحسبنا أن نعلم أن الشريعة الاسلامية الغراء ، هى القانون الذى سنحاسب فى الدنيا والآخرة بمقتضاه .

لأن آخرتنا ترتبط به كما ترتبط به دنيانا .

أنها الطريق الى سعادة الدارين .

فهلا تبينا معالم هذا الطريق .

ثالثا :

١ ــ وقد روى لنا التاريخ ــ فيما حكاه الشيخ رشيد رضا ــ أن الخديو اسماعيل قد وسط الشيخ (رفاعة الطهطاوى) لدى علماء الأزهر لكى يضعوا له قانونا مبوبا على طريقة القانون الفرنسى ، والا أصدر أمره الى وزيره نوبار بادخال قوانين نابليون للعمل بها فى البلاد بدلا من أحكام الشريعة الاسلامية التى كانت مطبقة حتى ذلك الحين ، منذ شرح الله صدور المصريين للاسلام بعد الفتح الاسلامى فى عهد الخليفة العادل (عمر ابن الخطاب) فى سنة ٢٠ هجرية (٦٤١ ميلادية) .

ولو صح هذا فقد كان شيوخ الأزهر على حق حينذاك ، لما خالجهم من شكوك في نوايا الخديو ، الذى انما أراد التستر وراءهم لتبرير سفهه ومعاملاته الربوية التى أودت بالبلاد وانتهت بها الى الافلاس المالى والسياسى معا ، حتى أوقعته بين براثن الاستعمار الذى فرض قوانين وأنظمة على البلاد .

٢ ــ فلما أن أراد الله لهذا البلد الطيب صلاح الحال هداها بنوره الى نوره ، فأضاء لها طريقها الى ربها ، وتنادى دعاة الاصلاح للعودة الى العمل بالشريعة الاسلامية الغراء ، وكان شيوخ الأزهر فى طليعة الدعاة الهداة الذين طالبوا بأن تأخذ الشريعة الاسلامية مكانتها الجديرة بها فى حياتنا التشريعية والقانونية .

٣ ــ وقد جاء فى مقدمة مشروع تقنين الشريعة الاسلامية على مذهب الامام مالك ــ رحمة الله عليه ــ التى كتبها فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية وقتئذ (١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م) وشيخ الأزهر ــ بعدئذ ــ قوله :

« لقد كان مما يثير العجب ، ويدعو للدهشة ويحز فى نفس كل مسلم غيور ، أن تلجأ الأمة الاسلامية ، وتستعين فى أحكامها بقانون وضعى من وضع البشر ــ ولو أن واضعه كان ينتمى الى أمتنا الاسلامية لهان الأمر ، لأنه لا محالة كان يلجأ الى دستورها الاسلامى ليستنبط منه مواد ذلك القانون ، ولكن الحقيقة أن واضعه لا ينتمى للأمة الاسلامية ولايدين بدينها .. » .

وقد يظن البعض أو يعتقد أن الشريعة الاسلامية لا تفى بحاجيات العصر الذى ظهرت فيه معاملات جديدة لم تكن موجودة فى العصر الاسلامى الأول ، والواقع أن هؤلاء فى ظنهم مخطئون وعن تاريخ أمتهم الاسلامية غافلون، فلو تتبعوا تاريخ هذه الامة على مر العصور والازمان ــ من عصر الاسلام الاول الى أن تغلغل الاسلام فى بلاد الفرس والروم وبعض بلاد أوربا ــ لتبين لهم كيف كانت تحكم هذه البلاد بهذا الدين الاسلامى الحنيف .

... لهذا لم يكن بدعا أن يوافق مجلس المجمع فى جلسته رقم ٢٧ فى ١٩٦٧/٣/٨ على أن من مهمة المجمع العمل على ايجاد مشروع قانون شامل للأحوال المدنية والجنائية وغيرها ، اذا ما تقرر فى الدستور اتخاذ الشريعة الاسلامية أساسا للتقنين .

ثم أوصى المؤتمر الرابع للمجمع المنعقد فى ٢٧ــ١٩٦٨/٩/٢٧ بتأليف لجنة من رجال الفقه الاسلامى والقانون الوضعى : لتضطلع بوضع الدراسات ومشروعات القوانين التى تيسر على المسئولين فى البلاد الاسلامية الأخذ بأحكام الشريعة الاسلامية فى قوانين بلادها كقوانين العقوبات والقانون التجارى والقانون البحرى وغيرها .

كما وافق مجلس المجمع بجلسته رقم ٦٢ فى

٧/١/١٩٧٠ على الخطة المرحلية لأعمال لجان المجمع ، ومن بينها « تقنين الشريعة الاسلامية » الوارد فى خطة لجنة البحوث الفقهية كما أقرتها بجلستها رقم ٣٠ بتاريخ ١١ أكتوبر سنة ١٩٦٩ م .

٤ ـ وبتاريخ ٢١ من رجب ١٣٩١ هـ ـ ١١ من سبتمبر ١٩٧١م تم اصدار دستور جمهورية مصر العربية ، وجاء فى ديباجة اصداره :

« بعد الاطلاع على نتائج الاستفتاء على دستور جمهورية مصر العربية الذى أجرى فى اليوم الحادى عشر من سبتمبر سنة ١٩٧١ ـ وعلى اجماع كلمة الشعب على الموافقة على هذا الدستور ـ يصدر دستور جمهورية مصر العربية بالنص المرفق ».

وقد جاء فى الباب الأول الخاص بالدولة ، تحت المادة الثانية من هذا الدستور النص التالى بعد تعديلها سنة ١٩٨٠ .

« الاسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية . ومبادىء الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع » .

٥ ـ واذ التقى الشعب بكافة فئاته ـ حكاما وعلماء ومواطنين ـ على العمل بشريعة الله فلا عذر لأحد بعد اليوم فى القعود عن حمل هذه الأمانة ـ أو التراخى فى أداء واجبه على النحو الذى يرضاه الله ورسوله ، **ولقد قام الأزهر من جانبه بابلاغ رأيه للجهات الدستورية المختصة باصدار هذه التشريعات على نحو يكفل الاسراع بما يتعين الاسراع فيه ، والتريث فيما ينبغى التريث فيه ، حتى يتم فعلا العمل بشريعة الله ، فى كل شأن من شئون الحياة ـ بمشيئة الله .**

٦ ـ وتحقيقا لهذا الغرض :

فقد أعد الأزهر مشروع قانون الحدود الشرعية ، ومذكرته الايضاحية ، وسلمه للجهات الدستورية المختصة باصداره ، وذلك منذ ٢٨ من مارس سنة ١٩٧٧ . وقد تضمن هذا المشروع سبعة أبواب :

أولها : عن الأحكام العامة .

والثانى : عن حد السرقة .

والثالث : عن حد الحرابة .

والرابع : عن حد الزنا .

والخامس : عن حد الشرب .

والسادس : عن حد القذف .

والسابع : عن حد الردة .

٧ ـ كما أعد الأزهر مشروع قانون المعاملات المدنية ـ متبعا فيه المنهج الذى سلف بيانه ـ من تنقية مواد القانون المدنى القائم والقانون التجارى كذلك مما شابهما من مخالفات لأحكام الشريعة الاسلامية الغراء ، بالنسبة لربا النسيئة وعقود الغرر ـ فلما أرسل مجلس الشعب الى الأزهر بالمشروع الذى أعده

الأزهر .. وتقنين الشريعة الإسلامية

المجلس عن المعاملات المدنية ـ آثر الأزهر أن يراجع مشروع المجلس ويطابقه على الأحكام المقررة فى الشريعة الاسلامية ـ وأوضح للمجلس ملحوظاته عليه ـ وحتى لا تتفرق بنا السبل ـ وما دام القصد هو سرعة تنفيذ ما أجمع الشعب عليه ، وهو تطبيق الشريعة الاسلامية . فإن أيا من هذه المشروعات ـ مادامت لا تعارض أمرا مقررا من أحكام الشريعة الاسلامية ، فبأيها اقتدينا اهتدينا مادامت النيات خالصة ـ بحمد الله ـ وقد انتهى رأى اللجنة التى شكلها الازهر لبحث مشروع المجلس الى أن اللجنة ترى ـ بعد ايضاح ملاحظاتها التى أوردتها فى مذكرة مستقلة مرفقة ـ أن مشروع مجلس الشعب ـ موضوع البحث ـ مطابق لأحكام الشريعة الاسلامية .

وأرسل الأزهر موافقته على هذا المشروع بتاريخ ١٥ من يناير سنة ١٩٨١ .

٨ ـ ولما كان ذلك ـ كما قد سلف القول بأن الحدود الشرعية هى السمة البارزة لتعديل قانون العقوبات على نحو اسلامى ـ أما عداها من التعزيرات فهى حق ثابت مقرر للحاكم يستهدى فيه بالمصالح المرسلة بحسب الزمان والمكان ـ مادامت مقرراته فيها لا تخالف أصلا من أصول الشريعة الغراء .

كما وأن ربا النسيئة وعقود الغرر هى السمة البارزة المخالفة فى القوانين المدنية الوضعية الحالية ـ لما تقرره أحكام الله ـ فضلا عن أن قانون المعاملات المدنية الذى اقترحه مجلس الشعب ووافق عليه الازهر قد جاء مطابقا لشريعة الله .

أما قانون التجارة البحرى الذى اقترحه مجلس الشعب ـ والذى ظل سنين طوالا دون تعديل يذكر منذ صدوره وحتى الآن ـ فقد تم بحثه كذلك ـ بعد أن انتهت اللجنة المختصة بمجمع البحوث الاسلامية من مراجعته مراجعة شاملة واستمعت الى المختصين من رجال المال واعمال التأمينات ـ وأرسلت لمجلس الشعب بملاحظاتها عليه أيضا . فالحمد لله الذى هدانا لهذا ـ وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

٩ ـ والله أدعو ـ أن يكون ذلك ايذانا بالعودة الى العمل بشريعة الله فى كل شأن من شئون الحياة .

وأن يتقبل هذا العمل ويباركه ويهدى اليه ـ ويشرح صدور الناس أجمعين للعمل به ـ وأن يجمع كلمة الأمة على هدى الله ورسوله ـ ليصلح حالها وتعود الى سابق علوها ورفعتها .

للمستشار السيدعبد العزيز هندى

نحو مشروع

الدستور الإسلامي

للمستشار عبد الحليم الجندى

عضو مجمع البحوث الاسلامية

اعلن المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية المنعقد فى فترته الأولى ذى القعدة ١٣٩٧ هـ - اكتوبر ١٩٧٧ م :

« وجوب العمل الجاد من أجل تطبيق احكام الشريعة الاسلامية فى جميع البلاد الاسلامية فى المعاملات والعقوبات وفى جميع فروع هذه الشريعة » .

و « أن المؤتمر يرى أنه قد حان الوقت الذى ينبغى أن يتحرر فيه المسلمون من ربقة التشريعات الوضعية التى لا تلائم ما جاءت به شريعة الاسلام .

ويؤكد المؤتمر أن التغاضى عن تنفيذ الشريعة الاسلامية هو السبب الاساسى فيما تفشى بين الناس من فساد فى العقيدة والأخلاق والمعاملات ويعلن أنه لا سبيل الى انقاذ المجتمعات الاسلامية من هذه المفاسد الا بالاعتصام بالشريعة الاسلامية ووضعها موضع التنفيذ ، بكل أجزائها .

ويرشد المؤتمر الى أن الشريعة الاسلامية تتصف بالسعة والشمول وتقوم على احتواء كل ما يجد من مشكلات فى حياة الناس وتضع لها أوفق الحلول بما يناسب طبيعة البشر واهدافهم فى حياتهم الدنيا والأخرى .

ولهذا يطلب المؤتمر أن يراعى المسئولون عن وضع القوانين أن تكون مبنية على أسس الشريعة الاسلامية وأن يراجعوا قوانينهم القائمة حاليا لتحقيق هذه الغاية ..

ذلك أن الأمة الاسلامية اليوم تعيش فى عالم غلبت عليه أمم غيرها بقوتها المادية أو حضارتها التكنولوجية أو الآلية «والناس ، والدول ، سراع الى تقاليد الغالب ، ومن هذا كان سباق الدول الاسلامية فى نقل عادات الغير وقوانينهم - من عشرات السنين ، وارتضاء البعض فى أحضان الأوربيين ، من كل معسكر وبتطاول الزمن أمست هذه المجتمعات

(١) القى البحث فى المؤتمر يوم الاربعاء ٨ من جمادى الآخرة ١٤٠٢ ٢٢/٣/١٩٨٢

نحو مشروع
الدستور الإسلامي

والأشخاص « علامية » القوام ، لا هي اسلامية عربية ، ولا هي أوربية .

ولئن كان حقا أن المسلمين لا تثبت أقدامهم الا بالتزام قانونهم الذى أنشاهم وأنشأ مجتمعاتهم ــ وهو قواعد الشريعة في العبادات والمعاملات ــ وان من الحق كذلك أن انصراف الحكام الى نقل نظم حكم غير اسلامية سبق فرضها عليهم أو حسبانا منهم أن في النقل منهاجا للحضارة ، قد أعجز الجماعة الاسلامية عن أن تستمسك بدينها أو تسترجع قوتها الذاتية فنظام الحكم غير الاسلامى لا يتسع لمجتمع اسلامى بمثل ما أن الشريعة الاسلامية لا تسيغ طريقة حياة غير اسلامية ولا تتفق معها ، فالاسلام عقيدة وعمل بها ، والايمان اقرار باللسان وعمل بأركان الاسلام . وهو ينقص أو يزيد قدر ما ينقص العمل أو يزداد .

والذى يحاول اصلاح المجتمع الذى يعمل بقوانين غير اسلامية باجراء تصليحات فيها ، لا يعيد المجتمع الى الشريعة وانما يجرى ترميمات في بنيان متداع أثبتت القرون أنه لا يؤدى ولا يحمى ولا يزدهر في أكنافه المسلمون .

وللشريعة أصول تخالف أصول القوانين الأوربية الوثنية وليس هنا مقام التفصيل في ذلك فقد فصلناه في غير موضع .

من أجل ذلك تادى المؤتمر الثامن بقراراته في فترته الأولى عن الشريعة الى قراراته في الفترة الثانية من العموم الى الخصوص وقرر في فترته الثانية (١٢ ذى القعدة ١٣٩٧ الى ٢٧ منه) (٧٧/١٠/٢٥ الى ١٩٧٧/١١/٨) وضع دستور مستمد من الشريعة وقرر :

١ ــ يوصى المؤتمر أن يقوم الأزهر ومجمع البحوث الاسلامية بصفة خاصة بوضع دستور اسلامى ليكون تحت طلب أى دولة تريد أن تأخذ بالشريعة منهاجا لحياتها . ويرى أن يؤخذ في الاعتبار عند وضع هذا الدستور أن يعتمد على المبادىء المتفق عليها بين المذاهب الاسلامية كلما أمكن ذلك .

وأن يدعو المجمع لاجتماع طارىء للمؤتمر لدراسة ما يكون المجمع قد أعده لمشروع هذا الدستور .

ويرى المؤتمر كذلك أن القواعد الفقهية الشرعية تكفى حاجة الشعوب الاسلامية وتغلق الباب لديها في وجه القوانين الوضعية ــ ومن هنا فان المؤتمر يؤكد دعوته الى عرض هذه القواعد في صورة مناسبة لظروف العصر الحاضر .

٢ ــ ويعلن المؤتمر أن الحكم بالشريعة الاسلامية يضمن لغير المسلمين حقوقهم الانسانية . ويكفل لأهل الأديان الكتابية حرية العقيدة والعبادة .

٣ ــ يقرر المؤتمر أن منهج المسلم في الحياة هو منهج الاتباع للكتاب والسنة . وهذا المنهج يكفل للمسلمين أفرادا وجماعات مقاومة الغزو الفكرى في العقائد والأخلاق والتشريع .

اختار مجمع البحوث لجنة من أعضائه لتنفيذ هذا القرار . والبحث التالى مقدم من عضو من أعضاء هذه اللجنة .

بهذين القرارين تجاوز المؤتمر هواجس بعض المثبطين من القائلين بأن تطبيق الشريعة يحتاج قبل تطبيقها الى تطهير المجتمع باعداد التربة والمناخ الملائمين لها مخافة أن يتعذر تطبيقها .

فهؤلاء كمن يطالب بعدم اعطاء الدواء للمريض قبل الشفاء ! .. أو يرضى بوضع محرك الآلة فيها بعد أن تتحرك ! وهـؤلاء لا يتعمقون في طبائع الأشياء ولا تاريخ تطبيق الشريعة . فالقوانين البعيدة من الشريعة هي التيكرست الجرائم فتضاعف عددها مضاعفات هندسية صيرت العشرات عشرات آلاف وهلهلت نسج المجتمع وأبعدت الناس من آداب الدين الصحيحة ـ والشريعة وحدها قادرة على طب الأنفس بما فيها من انسانية وعمل بالفطرة . ولذلك استبدل بهاالعدو قوانين غربية فرضها على المسلمين حينما غزاهم في آسيا وافريقية وبخاصة في الوطن العربي .

والمسلمون اليوم يلتمسون العودة الى الشريعة بعد أن كتب النصر لهم وتحقق استقلالهم والتاريخ ناطق بأن الشريعة نزلت عندما نزلت لاصلاح قوم كانوا في جاهلية فصيرتهم كمصابيح السماء للدنيا في سنوات معدودات .

وعلى رأس القرن الأول للهجرة كفت عمر ابن عبد العزيز ثلاثون شهر لاصلاح دنيا المسلمين بتطبيقه للشريعةدون أن يسفك قطرة دم أو يهدر حق أحد ولكن بمجرد العمل الصادق والقدوة الحسنة والعزيمة التي لا تقبل الرخصة .

وتأجيل تطبيق الشريعة في ذاته اثم كبير . وتعليق التطبيق على المتعذر أو المستحيل اثم أكبر فهو في حقيقة أمره عدم ثقة في الشريعة أو مطاولة أو تعجيز يفقد الأمل .

ويرى البعض أن حال المسلمين قد صلحت بالقوانين المنقولة عن أوربة ، وهؤلاء لا يرون القذى في أعينهم . فالمسلمون لم يصلح لهم بال بهذه القوانين بل ان هذه القوانين لم يصلح بها بال أصحابها ! فالحضارة الغربية في قلق من مآلها مهما تقدمت فيها (التكنولوجيا) ومن جراء ذلك تتعالى فيها أصوات الكثيرين بالعودة الى الدين .

وقواعد الحضارة الأوربية القانونية موارث رومانية . ومن أظهرها في الأمور الدولية تخصيص الرومان بقانونهم ومعاملة غيرهم بقواعد سموها (قانون الأمم) كي يمتاز الرومان بين البشر . وعلى هذا فرض أهل أوربة استعمارهم لغيرهم . أما المسلمون فأكرمهم عند الله أتقاهم لله وليس لعربي فضل على أعجمي الا بالتقوى . والقاعدة الاجتماعية الأوربية تقدس « السيطرة » بالتمكين للنزعة الفردية وابرزها في علاقة الفرد بحقه .

فالحق عندهم قوة . في حين يتساوى الناس جميعا في شريعة الاسلام وتسود علاقة الفرد بحقه وبالناس قاعدة احترام « الجماعة » . وفي الوقت الذي تقوم القاعدة الأوربية على « القوة » تقوم القاعدة الاسلامية على « العدالة » .

وللأسباب ذاتها نجد ولي الأمر في الحضارة الرومانية هو الذي تتجمع في يده أعنة السلطة . في حين أن ولي الأمر في الجماعة الاسلامية هو الذي يلي السلطة عاملا

نحو مشروع الدستور الإسلامى

بالشريعة آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مقيما لحدود الله ولا طاعة له ــ ككل مخلوق ــ فى معصية الخالق .

وفى مجال وضع الدستور الاسلامى كذلك يقول بعض الناس بعدم الحاجة الى وضع دستور على النمط العصرى ولهم ما يؤيدهم فى قول الآخرين بأن « الحدود » بمعناها الفنى زواجر تمنع العدوان وتلزم كل انسان واجباته . وتمنع الراعى أن يحيل على رعية لا تميل . ولكل أمة الحكومة التى تستحقها . والرعية مؤدية للحاكم ما أدى الحاكم لله . ولو رتع الحاكم لرتع الناس .

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : (حد يعمل به خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا) .

هذا ــ والقول بتطبيق الشريعة تطبيقا فوريا قد يرد عليه أن التطبيق الكامل ــ بعد قرون من فساد الزمان واهمال الاحكام وتتابع الأجيال على ذلك الاهمال ، وتلاحق الحكومات على اختيار نظم ادارية وطرائق غير اسلامية واعتياد الاعتماد على قوانين مسنونة ــ كل أولئك يحوج الى امداد الحكومات بقواعد حكم اسلامية تقدم للناس فى شكل مواد ألفوها ووضحت لهم معانيها لتقبل الجماعة بنفسها على تنفيذ الأحكام أو لتقبلها اذا فرضت عليها .

وانتصار الناس على أنفسهم بالتربية الدينية والدعوة العلمية يحتاج الى المصابرة والمثابرة ، واستعمال عنصر الزمن . وبهذا العنصر تسرى عوامل الاصلاح الى أداة الحكم ، فتصلح الجماعة وحكامها معا .

والتدرج خطة ربانية يعطنها التاريخ من فجر الاسلام بمكة . فلما انتصر بالهجرة والدعوة صارت شريعة الله قانون الدولة فى « المدينة » والتزمتها القبائل بالبيعة للرسول عليه الصلاة والسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجا . وكان الصحابة والخلفاء الراشدون نجوما هادية الى الدين فى حياة الرسول وبعدها بالمثل العالى الذى ضربوه من أنفسهم فى التزام الشريعة .

ومن هذا المجتمع الذى تخلق بخلائق الاسلام انطلقت آلاف معدودة تقدمها فئة قليلة من الصحابة فدمرت الامبراطوريتين الشرقية والغربية وفتحت أقاليمها للاسلام فى بضع سنين .

ومن التيسير لاعادة الناس الى التزام احكام الشريعة أن يؤخذ المجتمع بنصوص مقروءة متضافرة فى تحقيق مقاصدها تخط لهم ولحكامهم اسلامية شاملة واضحة المعالم فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، لا يتنازعون فى استنباطها من عمومات الفقه فى الدين أو المعاملات ، بل مضافة الى خصوصيات النصوص الواضحة فى الكتاب والسنة سواء منها القطعى الورود والدلالة ، أو نصوص النهى او الالتزام ، أو سائر النصوص فى السنة الصحيحة وعمل السلف فى الأجيال الثلاثة التى فضلها النبى عليه الصلاة والسلام . وهى جيل الصحابة والتابعين وتابعيهم .

كل أولئك ولم تجتمع الشعوب الاسلامية

حتى اليوم على التطبيق الفورى للشريعة ومنها من يطبق مذهبا خاصا ومنها من لا يطبق ومن أجل ذلك نص قرار مؤتمر الأزهر على (وضع دستور اسلامى ليكون تحت طلب أى دولة تريد أن تأخذ بالشريعة منهاجا لحياتها) كما أسلفنا .

على أن اشتقاق دستور من الكتاب والسنة وعمل السلف وصياغته صياغة تضاهى الصياغة العصرية للدساتير . اذا اشتمل على نص الالتزام بتنفيذ « الحدود » يكون قد جمع بين الحسنيين رأى القائلين بعدم الحاجة الى وضع دستور ورأى الذين يرون وضعه . وهو فوق ذلك يلبي دعوة المؤتمر الثامن لمجمع البحوث .

(٣)

واذ تعين الا يترك القضاء والفقهاء يستنبطون أحكام الفروع فى المعاملات من كتب الفقهاء أو يستخرجونها بالتقليد ، حسب طاقتهم فى الاستقراء أو فهم العمومات ، وأن يضع المقننون نصوصا تتضمن الاحكام ليطبقها القضاة . فقد انتقل الاجتهاد بشروطه من الأفراد الى السلطة التشريعية التى تملك التقنين من خلال أجهزتها العلمية ذات الاختصاص الحقيقى فى علوم الشرع لتضع المختلفين على المحجة الواضحة وتمنع التضارب ، وترتفع بالأحكام عن مجازفات الفكر فى مجتمعات مختلفة الاتجاهات ، من مستنبطين متنوعى الدراسات والعقليات ومقلدين غير مؤهلين للتقليد وأكثرهم لم يبلغ بالدراسة الشرعية مبالغها الواجبة .

ولئن وجب ذلك فى أبواب المعاملات حيث التآليف الضافية فى المذاهب الثمانية القائمة بين أيدينا (الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى والظاهرى والزيدى والامامى والاباضى) انه لأوجب فى أبواب الاجتماع والاقتصاد والحرية الشخصية والفكرية والامامة والشورى وادارة الدولة ، والعدالة وتنظيم القضاء، وعلاقة الراعى بالرعية وفروع ذلك كله حيث التآليف قليل نسبيا والمسئولية أخطر والضرر أعم ، وحيث يفتح العمل بعمومات الكتاب والسنة ، وفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وابتغاء المصلحة العامة ، أبوابا واسعة للخلاف تزداد اتساعا بتباين التطبيق مع اختلاف الأحوال فى الدول .

ولذلك يكون التصدى لجمع شتات الآراء وتحصيل المجمع عليه أو الراجح من الأحكام فى نصوص واضحة الفحوى ميسورة التطبيق مساعدة واجبة للحكام والمحكومين .

ومنهج القرآن والسنة فى المسائل الدستورية كمنهجه فى أمور المعاملات . هو بسط الأسس فى الجماعة ، اما التفصيل فلغرس بذور الفضائل فى الأفراد لتنشأ الجماعة على قواعد قوية من أنفس الأفراد . ولهذا كانت تربية النفس الانسانية وتنميتها غرضا أول للشريعة .

ومن ثمة اقتصرت النصوص على الأسس التى تقوم عليها الأحكام وتوالى التفصيل الكافى للعبادات كالصلاة والزكاة والحج والصوم والتكامل فى أركان الاسرة كالزواج والطلاق والنسب والميراث . فهذه ثابتة الجذور ، وليست بحاجة الى تطوير . وهى قوام الأسرة والأسرة فى الاسلام نواة الجماعة .

نحو مشروع الدستور الإسلامى

وهذا الأساس الاجتماعى الاسلامى (الأسرة) هو الأساس الأمثل الذى فطن اليه المحدثون من فلاسفة الاجتماع .

يقول أوجست كومت : (١٨٩٨ — ١٨٥٧) صاحب الفلسفة الواقعية — وقد انتفع بمؤلفات روجير بيكون والقديس توماس الأكوينى — وهما من نقلة المنهج العلمى والأفكار الاسلامية فى العصور الوسطى :

(ان الأسرة لا الفرد هى التى تكون المجتمع . والحق أن تقوية الفرد لا تتم الا عن طريق المجتمع) .

والجماعة هى البيئة التى تنمو فيها البذور فتصيب فسادا أو صلاحا مما يحيط بها . ومن بعد الأساس الاجتماعى العضوى — وهو الأسرة — تتجه نصوص القرآن اتجاه الوجازة المنفتحة على المستقبل لتتجارى وحاجات الأعصر فتنضبط المعاملات الجارية فى الحياة الواقعة جميعا من يوم ليوم أو العلاقات الخاصة مثل علاقات الحرب والسلم أو الذميين والمسلمين وغيرها . وكان من اعجاز النصوص الموجزة أن تندرج تحت أحكامها حاجات البشر فى كل زمان ومكان ، وأن يكون الناس أينما يكونوا فى سعة من أمرهم سواء العاديون منهم أو الحكام فيهم .

فى هذا المقام نلاحظ أن آيات القرآن تبلغ أكثر من ستة آلاف آية (٦٢٥٤ أو ٦٢١٤ أو ٦٢١٩ أو ٦٢٢٥ أو هى ٦٢٣٦ آية ، على طريقة عد الكوفيين كما جاء فى التعليق المرافق للمصحف المطبوع بمصر والتداول بها من سنة ١٣٣٧ للهجرة . وأن يحصى البعض ، على وجه التقريب أقل من نصف العشر منها يتضمن الأحكام . يتعلق أكثر من نصفها بالعبادات وشئون الأسرة (١٤٠ للعبادات و ٧٠ للأسرة) وباقيها (٣٠) فى الجنايات و (١٣) فى المرافعات و (٢٠) فى القضاء والشهادة و (١٠) فى الاقتصاديات و (١٠) فى القانون الدولى وأخيرا (١٠) فى المسائل الدستورية ومن الأحاديث نحو ٤٥٠حديثا للأحكام أكثرها بيان مجمل أو تفصيل موجز أو تشريع ما سكت عنه .

ولا مراء فى أن هذه الوجازة البالغة تنبغى أن يعول المسلم على سائر الآيات فى القرآن والسنة الصحيحة . ففيها المعانى العامة التى تتألف منها مقاصد الشارع جل ثناؤه ، وما النصوص الصريحة المشار اليها الا أصول أو فروع على أصول المقاصد الواردة فى مجموع الآيات والأحاديث . بل كثيرا ما كانت الآيات العامة مصادر أحكام شملت بعمومها خصوص المسائل بالاحتكام الى العلة أو الحكمة ، وابتغاء المصلحة الشرعية وكثيرا ما تألف من عمومات النصوص معنى كلى عام يهيمن على الفروع وتستنبط منه الأحكام .

اساسيات فى الدستور

وحسبنا فى بحث مختصر للدستور أن نذكر أن القرآن نبه على أسس أربعة هى الشورى **والعدالة ، والمساواة بين الناس ، وضمان الكفاية للجميع .**

وفيما يلى كلمات قلائل فى هذه الأسس:

(٤)

في الشورى :

قوله تعالى في سورة الشورى : (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)(١).

وقوله تعالى في سورة آل عمران : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ . وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ . فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ . وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (٢) .

واذا لاحظنا أن الأولى تضع الشورى بين الصلاة وبين الانفاق وأن الاخيرة تأمر النبي بالشورى ولو أخطأ المشيرون وكانوا خلقاء بالعفو والاستغفار . لخلص لنا أن الشورى أصل في أمور الدولة وأمور الجماعة ، وانها للجماعة حق على الحكام وضرورة مأمور بها مع الصلاة والانفاق .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام كثير الاستشارة . يقول : (ما خاب من استشار) ويقول : (ما شقي امرؤ عن مشورة . ولا سعد باستبداد برأى) وكان يلزم نفسه بالشورى .

نزل عند رأى الآخرين يوم بدر وانتصر وقبل رأى آخرين يوم أحد وكانت الهزيمة . وانتصر بالشورى يوم الخندق . وكان يقول لوزيريه أبي بكر وعمر : (لو اجتمعتما في أمر ما خالفتكما) . ويقول أبو هريرة (ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

قال معاذ بن جبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (يا رسول الله . الأمر ينزل فيه قرآن ، ولم تمض فيه منك سنة ؟ قال : اجمعوا له العالمين من المؤمنين فاجعلوه شورى ولا تقضوا فيه برأى رجل واحد) .

وكان الصحابة يتشاورون فيما بينهم ويستشيرون سواهم ومنع أبو بكر وعمر كبار الصحابة من مبارحة المدينة لينتفعا بعلمهم . وكان عمر يحيل عليهم من يفد عليه لسؤاله في مهم من الأمور ويقول : (هؤلاء عندك في المسجد فاسألهم) ويمضى آراءهم .

ومن ذلك شورى أبي بكر في حروب الردة وجمع القرآن . وشورى عمر اذ فزعت امرأة دعاها فأجهضت ..وشورى عمر في استخلاف من بعده . واستشاره عبد الرحمن بن عوف للناس في ذلك وشوراه — عمر — في تقسيم البلاد المفتوحة وعند نزول الطاعون بالشام.

وانك لترى الشورى مختلفة الاشكال في أمور مختلفة الطبائع : في جمع القرآن وفي الاستخلاف وفي الحرب والسلم . وفي أمور الأحكام وأمور المصلحة وأمور الملك وفي أحكام العقوبة .. وفي استحقاق الدية الخ.. مما يسوغ لنا أن نراها واجبة في كل أمر يحتاج الى مشورة وأن نفرضها في تحمل التبعات العامة وأن نطلق أشكالها . ووجوهها وطرائقها .

والبيعة العامة لولى الأمر احدى المسلمات في الاسلام وهى فرع على أصل الشورى .

(١) الآية ٣٨
(٢) الآية ١٥٩

وطرائقها شتى . قد تكون باجماع كيوم السقيفة ، وقد تكون اختيارا قبل الانتخاب كما صنع عمر اذ وصى بستة يختار منهم خليفته ليبايعه المسلمون وكان الستة هم الأحياء من العشرة المبشرين بالجنة . وقد تكون وصية من صديق الأمة لفاروقها كما صنع أبو بكر بعمر فبايعته الأمة باجماع وقد تترك للمسلمين كافة كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ لم يوص لأحد ، وان قدم أبا بكر للصلاة اماما ، أو كما صنع على اذ رفض أن يوصى لابنه الحسن اذ عرض عليه ذلك المسلمون .

ونستطيع أن نستلزم الشورى العامة فى اختيار ممثلين للجماعة فى مجلس للامة . وبقاعدة عامة نستطيع أن نجعل « الاقتراع العام » — أى تصويت كل بالغ قادر على التصويت قاعدة لابداء الرأى كما نستطيع أن نجعل التصويت قاصرا على من يبلغ سنا معينة بعد البلوغ بل يمكن أن يقتصر التصويت فى أمور خاصة على جماعة خاصة كالعلماء ، أو كأصحاب المهن أو أصحاب المؤهلات أو الدرجات أو النصاب المالى . كما نستطيع اشتراط شروط فيهم ما دام الأصل أن هؤلاء يعبرون عن رأى الجماعة حقا فذلك الأصل لا يمكن التجاوز عنه ولا العبث به .

وهكذا ، فالمبدأ اسلامي لا تقف وجوهه ولا طرائقه عند حصر .

(٥)

فى العـدالة :

العدالة أعمق جذورا فى الاسلام من الشورى فهذه طريقة حكم ، أما العدالة فداخلة فى الايمان بالله وصفاته وأسمائه فهى أصل الاسلام . ومن ذلك كلف به الجميع ابتداء من الراعى الى سائر الرعية .فى أنفسهم وفى أزواجهم وفى حقوق غيرهم . والله تعالى (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ) (١) فى أجمع آية للاحكام . ويقول سبحانه وتعالى فى سورة النساء : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ (٢) .. مع أن أداء الامانة عدل .. فالله يفصح عن الحكم بالعدل ويأمر به أولا وآخرا .

ولم ينتشر الاسلام الا بالعدل . وعمر — وهو الفاروق — لا يشتهر بين الناس بأكبر من اشتهاره بالوصف الذائع (عدل عمر) . وهكذا أضيف العدل الى الرجل ليضرب به المثل وما تزال تهتدى به الأجيال اهتداء السراة بأنجم السماء .

ويقول على فى عهده الشهير للاشتر النخعى اذ ولاه مصر (واذا أحدث لك ماأنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك ... وليس شىء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم). ولما دخل هولاكو بغداد سال علماءها

(١) جزء من آية ٩٠ من سورة النحل
(٢) ٥٨

(أيهما أفضل الدولة الكافرة العادلة أم الدولة المسلمة الظالمة) ؟ كان جواب العلماء : الدولة الكافرة العادلة خير ... ذلك لأن الظلم خروج عن الاسلام أو هو وجه كفر آخر .

والعدل مطلوب من ولى الأمر ليصح ايمانه ويصلح حكمه ، مطلوب من الأمة فى حقوقها، وفى أفرادها ، القادرين والمستضعفين ، كل يؤدى الى الآخر حقه قياما بواجبه ، وبين الآباء والأبناء ، وبين الضعفة والأقوياء ، وبين الغنى والفقير وصاحب العمل والأجير ، وبين صاحب الحق ومن يستحل حقه معه .. ويوم ينصف كل امرىء غيره من نفسه وينصف نفسه بالانتهاء عن المنكر ، فذلك يوم يبلغ الذروة بمجتمعه وهو مقياس أن الأمة خير أمة أخرجت للناس . فالله تعالى هو القائل (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (١) .

وعموم واجب العدل والاحسان يجعل العدل اعادة للميزان فى كل أمر الى الاعتدال، والاحسان - كما قال الرسول - عبادة الله كأنك تراه . مما يسوغ لنا أن نعتبر كل وجه أو طريق يؤدى الى صلاحية الحكم ونزاهته بين الناس وسيلة اسلامية ، فليس العدل مجرد أمر يصدر من القضاء فى خصومة أو من ولى الأمر فى شأن من شئون الحكم وانما هو منهاج للاحسان فى كل شىء سواء فى شئون الحكم أو القضاء أو المعاش أو معاملة العدو أو الصديق . ولذلك يقول جل شأنه (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (٢) ويقول القاضى (اللهم انى أعبدك بقضائى) ويقول الناس (العدل عبادة) .

ومن العدل العالمى كان للذمى فى المجتمع المسلم ما للمسلم وعليه ما عليه . وكان على المسلمين اذا خافوا من قوم خيانة أن ينذروهم وينبذوا اليهم على سواء .

ومن الانصاف من النفس أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم القود من نفسه وكذلك أعطى الخلفاء الراشدون .

نهى عمر أن يطوف الرجال مع النساء ثم رأى رجلا يصلى مع النساء فخفقه بالدرة .

قال الرجل : والله ان كنت أحسنت فقد ظلمتنى وان كنت أسأت فما علمتنى .

قال أمير المؤمنين : أما شهدت عزمتى ألا يطوف الرجال مع النساء .

قال الرجل : ما شهدت لك عزمة .

فالقى اليه الدرة وقال : اقتص .

قال الرجل : لا أقتص اليوم .

قال عمر : فاعف عنى .

قال الرجل : لا عفو .

وافترقا على ذلك .

ثم لقيه فى الغد فتغير وجه عمر .

قال الرجل : كأنى أرى ما كان منى قد أسرع فيك ؟

قال عمر : أجل .

قال الرجل : فأشهد الله أنى قد عفوت .

فى هذه الواقعة أمور قانونية متعددة تصدر عن أصل العدل . يهمنا منها الآن قوة طالب العدل فى وجه أقوى الأقوياء . ورفض الرجل

---

(١) من آية ١١٠ من سورة آل عمران
(٢) جزء من آية ٨ من سورة المائدة

نحو مشروع الدستور الإسلامي

أن يعفو عن عمر حتى اذا رآه فى الغداة متغير النفس صفح عنه !

وكل نظام يؤدى الى العدل بمعناه الاسلامى نظام اسلامى ان فى الحكم وان فى الادارة وان فى الاقتصاد وان فى العلاقات الاجتماعية وان فى الحرب . لم يكد عمر بن عبد العزيز يلى الخلافة حتى قدم اليه وفد من سمرقند يشكو اليه قائد المسلمين (قتيبة ابن مسلم الباهلى) لأنه دخل المدينة من قبل أن يوجه اليها الانذار وفقا لقواعد الحرب الاسلامية فكتب عمر الى عامله على العراق — وكانت تتبعه بلاد خراسان حتى ما وراء النهر فى روسيا السوفيتية الآن — ليختار قاضيا يفصل فى هذه الخصومة فاختار جميع بن حاضر الباجى . فسمع الوفد وسمع قتيبة . ثم قضى بأن يخرج الجيش من سمرقند وأن يعود أهلها الى حصونهم فيها . وأن ينابذهم قتيبة بعد ذلك فان أبوا عليه كان له أن يحاربهم .

وخضع القائد وأخذ الجيش ينسحب . ورأى أهل سمرقند عدل الاسلام . فهتفوا للجيش : بل مرحبا بكم . سمعنا وأطعنا وأسلمنا . وصدق الله العظيم (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ) .

(٦)

المساواة :

ومن العدالة المساواة ومنها حرية النفس والفكر والرأى ، والملك ، والسعى للرزق والعمل ، كلها حقوق فطرية للبشر ، لأنها التنفيذ العملى للتوحيد . فالله — وحده — هو الكبير المتعال ، الرازق الباسط . والناس تحت لوائه نظراء . ومن ثم اعلان النبى — صلى الله عليه وسلم — فى كل مقام أن الناس لايتفاضلون الا بالعمل الصالح ، وتطبيقه الدقيق لقوله تعالى فى سورة الحجرات : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (١)) .. ومن هذا العموم فى المساواة بين البشر — لمجرد أنهم بشر يستشفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل عند زوجة الرجل السابقة وكانت قد حررتها عائشة رضى الله عنها فرفضت .. فهذه جارية سابقة حررتها أموال الرسول ، ترفض طلبه !! للحرية التى سوى الله بها عباده وحق هذه المرأة فى تزويج نفسها من عدمه وحقها — وهى أضعف البشر — فى مواجهة سيد البشر .

وذات يوم تقاول أبو ذر مع زنجى فى مجلس النبى فقال له يا ابن السوداء . فغضب الرسول عليه الصلاة والسلام وقال : « طف الصاع طف الصاع . ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل الا بالتقوى أو بعمل صالح » فهو عليه الصلاة والسلام قد عزر أبا ذر بهذا المقال وهو من هو بين الصحابة — عقابا له على الميل على زنجى لكلامه. ثم أعلن الا فضل لأحد الا بعمله الصالح . يقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (٢) .

---

(١) آية ١٣ من سورة الحجرات

(٢) من آية ١ من سورة النساء

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام في الوحدة والمساواة (كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لافضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وكالمساواة بين الناس من كل الأجناس المساواة بين المسلم والذمي في الحقوق والواجبات ، والمساواة بين الطبقات .

ولما مالت الدولة الأموية الى العرب عن الموالي (أهل البلاد التي فتحها العرب قامت الثورة عليهم من أهل خراسان فأدالت دولتهم وجاءت بدولة بني العباس . ولما مال بنو العباس عن العرب الى الموالي من فرس وترك كانت بداية انهيار دولة فيها للاسلام أعظم الشأن . ولما آثر المأمون أخواله الفرس على العرب ، وآثر أخوه المعتصم أخواله الترك على الفرس والعرب . بعدا بالميزان عن الاعتدال وكان العملان بدايتين نحو الزوال .

والله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١) .

وكتب علي بن أبي طالب في عهده للأشتر النخعي (واعلم أن الرعية « فئات » لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى لبعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكلا قد سمى الله سهمه) .

ويقول : (ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم ، وفي الله لكل سعة وعلى الوالي حق بقدر ما يصلحه) .

ويقول (وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه .. واجعل لذوي الحاجات منك مجلسا عاما ..) .

وهو بهذا ينبه الوالي على أن لكل طائفة من طوائف الشعب حقا في مال الله وفي عدل الحاكم . ولما عبر عن ذوي الحاجة والمسكنة بأنهم الطبقة السفلى كان يعبر باليد السفلى عن اليد الآخذة من اليد العليا . والرسول يقول وهو يحض على العطاء وعلى العمل للرزق (اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول) فعلي يعلن أن المساواة لا تستبعد الفئات أو الطبقات وأن لكل سهمه وأن اليد العليا هي اليد المعطاء ، واليد السفلى جديرة بعناية الحاكم ورفده .

(٧)

في القضاء :

والعدل في الاسلام ، هو العدل الالهي لا القانوني لأن عدالة الاسلام عدالة الشريعة . أما العدل القانوني فمن أهداف وضاع القوانين ، ولأن العدل والاحسان في الشريعة مأمور بهما في كل شئون الحياة وهذان مقترنان . ولأن في كل تصرف انساني صحيح جانبا تعبديا ، سواء أكان في علاقات الأسرة أم في معاملات مدنية أو اجتماعية سياسية

---

(١) من آية ١٣ من سورة الحجرات

نحو مشروع الدستور الإسلامى

أو اقتصادية أم كان متمحضا لعبادة ، كالزكاة الواجبة أو الصدقة المندوبة أو النوافل •

والقضاء أداة للالزام بأداء الحقوق والأمانات لأصحابها وتطبيق الأحكام الشرعية ورد المنحرفين الى الجادة •

وكان عليه الصلاة والسلام يقضى بين المسلمين • كما ولى نوابغ أصحابه القضاء ليدربهم على الحكم بالعدل ، سواء فى حضرته أو غيبته •

ومن أجل ذلك قال الفقهاء (القضاء تلو النبوة) لأنه من عمل الرسول بالرسالة والزام الناس بأحكامها ، التى تجعل الشريعة حقائق مطبقة فى الحياة الواقعية •• فهو بهذا يتصدر النظام الاسلامى فى الدول • ولا يتقدم عليه نظام الامارة • بل الامارة خاضعة له خضوعها للشرع يطبقه وان كان الامام هو الذى يعين القاضى •

ويتعين أن ينص فى الدستور الجديد على خضوع الامام للقضاء وحضوره بنفسه أو بوكلاء عنه لترتفع الهرقلية التى يرتقى بها الاباطرة والأكاسرة وتجرى آثارها حتى الآن فى دول الحضارة الغربية •

ومثول الامام بين يدى القاضى آية على المساواة بين الناس وعلو حكم الشرع على السلطة • واعلان لحق الضعيف على القوى والفقير على الغنى وفى الوقت ذاته اعلاء لشأن الامام اذ يرى الناس أنه يعمل بالشريعة وينتصر بها ويخاصم بين يدى قضائها •

ولكم حرص الخلفاء على المثول بين يدى القاضى الذى عينوه للفصل بين الناس • فعمر يمين شريحا اذ رأى عدله يوم قضى ضده • وينهر زيدا بن ثابت لأنه ناداه بكنيته ولم يكن خصمه • وعثمان يمتنع عن الحلف ويدفع لخصمه مالا ليس عليه • وأبو بكر يقضى ضد عمر اذ نازعته اليه مطلقته • وأحاديث أحكام القضاء على عمر بن عبد العزيز وأبى جعفر المنصور والرشيد والمأمون وغيرهم لا تنتهى•

وهكذا أعز القضاء الناس وكرم الخلفاء • فكل تعزيز له فى الدستور المنشود يعزز الدين وينشر لواء الاسلام • وكثيرا ما كان عدل القضاء سببا فى اسلام المتخاصمين اذ تهديهم آية العدل المطلق ومن ذلك اسلام خصم على اذ قضى القاضى له على على •

(٨)

تنظيم الشورى :

ولئن كانت العدالة حجر الزاوية فى الاسلام ، والشورى طريقها : ان حكم الامام بالشورى طريقة لتمكين الجماعة من مساعدته •

ومن ذلك اتباع الشورى فى اختيار القائمين بأنواع معينة من الحكم كممثلى الشعب أو كبار أعوان الامام • ومن الشورى ما هو ملزم للامام والحكام • ومنها ما هو غير ملزم كآراء الولاة والوزراء والمستشارين • وليس من العدل فى الأمة أن يختفى الامام وراء مسئوليتهم بل عليه أن يتحملها من دونهم أو معهم عند اللزوم •

وعندما تشارك الجماعة الامام فى حكمه ، تمنحه كفلا زاخرا من التسديد ، ومن الطاعة فاذا حكم بغير شورى فليست له فى استبداده

برأيه طاعة ، وخروجه على واجب الاستشوار يعرضه للعصيان فيما يظنه الناس معصية لم يستشاروا فيها .

وليس للشورى نظام موحد فللحكم ظروف خاصة بالزمان والمكان والناس . وهى طريق للعدل والمساواة . والطرق تتأثر بالزمان والمكان وتخضع لهما خضوع البشر المحكومين بها للبيئة التى نتجوا فيها .

خذ مثلا : اختيار الامام والبيعة العامة له. واختيار الذين يسنون القوانين . واختيار الولاة الذين يمثلون الامام وربما اختيار القضاة فى بعض الولايات ، أو القائمين بمهمة عامة . فلكل من هذه الفئات طريقة خاصة للشورى فى اختيارهم أو جماعة خاصة تختارهم أو يختارون من بينها .

والاختيار نفسه — كما سلف القول — متنوع الأشكال : وقد يكون اختيارا لواحد من جماعة أو لجماعة . وقد يكون اختيارا قبل الانتخاب ... وفى كل أولئك يجب أن يكون القصد احسان الاختيار أو الانتخاب .

ويتعين أن توضع المرأة فى مكانها للانتخاب فالمرأة نصف الناس . وسنخصها بالحديث فيما بعد للخلاف فى شأن هذا الحق ابان وضع مشروع الدستور .

ومن الحكمة لذلك أن يوضح واجب الشورى وأن يخص بالذكر فيه اختيار الامام وواضعى القوانين وولاة الأقاليم الداخلة فى سلطان الامام وبعض شاغلى الوظائف ذات الأثر وأن تنبه النصوص العامة على الاكثار من استعمال الشورى والأمانة فى اجرائها وضمان الحرية الكاملة فى استعمالها .

ويتعين — فى أضواء تجارب الوثنية والقهر وعصب السلطة التى تزيف الانتخاب — أن ينص على اعتبار تزييفها جريمة لا تسقط وربما ساغ أن يكون جزاؤها من ذاتها وهو حق العصيان للمأمورين بالتزييف من عمال السلطة ، والامتناع عن التصويت للناخبين .

(٩)

حقوق المسلم :

يقول الله جل شأنه : (**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**)(١) وانه لكذلك بما له من قيم وما يتقرر له من حقوق . ولذلك ظفر المسلم بأعظم الحقوق قبل غيره من أصحاب الحضارات والديانات التى لم يصلوا الى بعضها الا فى القرن العشرين للميلاد حتى احتاجوا الى اعلان حقوق الانسان .

ولقد جرت الدساتير الحديثة على بيان نظم الحكم وحقوق الحكام وتنظيم السلطات. لكن الاسلام يهتم أكبر الاهتمام بحقوق الجماعة الاسلامية والانسان المسلم ، وتجىء الدولة وسلطاتها فى المقام الثانى . وبديهى أن كل الحقوق تقابلها واجبات على الآخرين . وأن على كل صاحب حق أن يحسن استعماله وعلى كل ملتزم بواجب أن يحسن أداءه . فالمسلم حسن الأخذ والعطاء والأداء. والمسلم أسبق فى نوال الحقوق من أصحاب الملل والنحل جميعا فحقوقه أوسع مدى ، مما أعلنته الأمم المتحدة أو الثورات السابقة أو اللاحقة من حقوق الانسان .

أول حقوق المسلم على الدولة أن بيت المال هو مال المسلمين — لا الدولة — فامواله حق لهم وتوزيعها فيهم أول واجب عليها . وكم

(١) آية ٤ من سورة التين

نحو مشروع الدستور الإسلامي

حتى خلفاء أن يبيتوا ليلتهم وتحت أمرهم مال لم يوزعوه في المسلمين .

ومن الحقوق الالتزام بكفاية المسلم . وجمع الزكوات ، وتفريقها في المستحقين من الفقراء وأصحاب الحقوق حتى تصل الى ديون الدائنين ، ومن جلال شأن هذا الحق على الملتزم به واستفادة الجماعة منه يختلف الفقهاء في طبيعته ، أهو شركة بقدر النصاب أم مجرد حق على المال .

ومن الحقوق التزام الامام بقاعدة (لا يطل دم في الاسلام) فاذا لم يوجد مال للمسئول عن الدية التزم بها بيت المال . ولكم دفع الامام الدية في الظروف الخاصة وسبق به رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون . وتتابع عليه الذين جاءوا بعده ومن ذلك نشأت « القسامة » تحل فيها الجماعة في المسئولية قبل المضرور محل المسئول المجهول .

ومن ذلك التزام الدولة برفع مستوى المعيشة للمسلم .

كتب وال من ولاة عمر بن عبد العزيز اليه يسأله عن الرجل يكون له المسكن والخادم والفرش والأثاث في بيته أيكون غارما فيقضون دينه ؟ وأجاب عمر ليحدد ما يجب للمسلم من حقوق اذا لم تتوفر استحق نصيبه من بيت المال (لابد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى اليه رأسه وخادم يكفيه مهنته وأثاث في بيته . فهو غارم . فاقضوا دينه) ومن دلالات هذا المقال من أمير المؤمنين أن للمسلم حقا طبيعيا في المسكن وفي التمكين من آلة الجهاد ووسائل الحياة لا في مجرد البقاء على قيد الحياة بطعام وشراب .

ومثل ذلك التزام الدولة — عند الحاجة — بايجاد عمل للمحتاج ، فالرسول عليه الصلاة والسلام قد علم المحتطب ليعيش من عمله ولا يسأل الناس . وكذلك يوم عاد — صلى الله عليه وسلم — من تبوك فلقيه سعد الأنصارى فنظر الى يده وقال : « ما هذا الذى أكتب يديك يا سعد ؟ » قال : يارسول الله أضرب بالمر والمسحاة فأنفقه على عيالى . فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال : « هذه يد لا تمسها النار » . فالسنة بهذا تحمل الجماعة كلها مسئولية توفير العمل اذا أعوز الناس .

ومن حقوق المسلم تعليمه . فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة والتمكين منها فريضة تسبقها ، كتعليم الدين وسائر العلوم والصناعات . ومن حقوقه حماية صحته وأمنه وأداء عبادته . فالدولة والجماعة مسئولتان عن توفير الأمن وفرص العمل مع مسئوليتها عن المساجد الجامعة .

وحقوق المسلم في الأسرة السعيدة واجب الجميع . فالتشجيع على الزواج ، بنظامه الفريد بين نظم الزواج في العالم ، والتمكين منه ، والمساعدة على بقائه وطمأنينة الأسرة بنفقة الزوجة والأصول والفروع والحضانة بدهيات اسلامية للاحصان والبقاء والنماء .

ومن سد الذرائع نهى الشارع عن التبرج وبهذا يصبح التشجيع على الزواج والتمكين من النفقات وانقطاع الابتذال من المجتمع واجبات على الجماعة وحقوقا للفرد ٠

والمجتمع مجتمع مفتوح يعلو فيه المرء أو يهبط بقدر عمله ٠ وأكرم الناس فيه أتقاهم ٠

ومن حقوق المسلم صيانة حرياته على أوسع نطاق ٠ ومنها حرية التملك ، مع ادراك المجتمع جوهر حقوق الملكية خاصة والحقوق عامة ٠ فالملك لله والناس فيه خلفاء له ٠ ليس لهم الا الانتفاع بما سخره لهم ٠ والخليفة ملزم بأن يرضى الأصيل في القيام على ما تسلمه منه ليقوم فيه مقامه ٠

والحقوق لهذا منح من الشارع جل شأنه وليس للموهوب أن يفسد الهبة بل أن يستعملها في الحدود التي منحت بها وهي أداء الأمانات الى أهلها والاحسان في التصرف فيها ٠

ونظرية الاستخلاف في الملكية أكثر حماية لها من نظرية الوظيفة الاجتماعية ــ وفي الوقت ذاته أوسع في التزامها ما أمر الله به ٠

ومن حقوق المسلم على الجماعة والدولة بوجه عام أن يشعر أنه عضو في جسم واحد يتداعى سائر أعضائه الى أي منها بالسهر والحمى ٠ فالتعاون واجب ٠ ومن التعاون تأليف الجمعيات والنقابات لتحقيق أغراضها والدفاع عن أعضائها ٠

(١٠)

حق المرأة في التصويت لاختيار الامام:

الأصل قرآن وسنة ٠ وهما يبيحان للمرأة أن تشارك في البيعة ــ ولا يوجد نص مانع ٠ ومجرد انعدام النص المانع يأذن بمعاملة المرأة بأصل النص وبأصل الاباحة ٠

يقول تعالى في سورة الممتحنة :

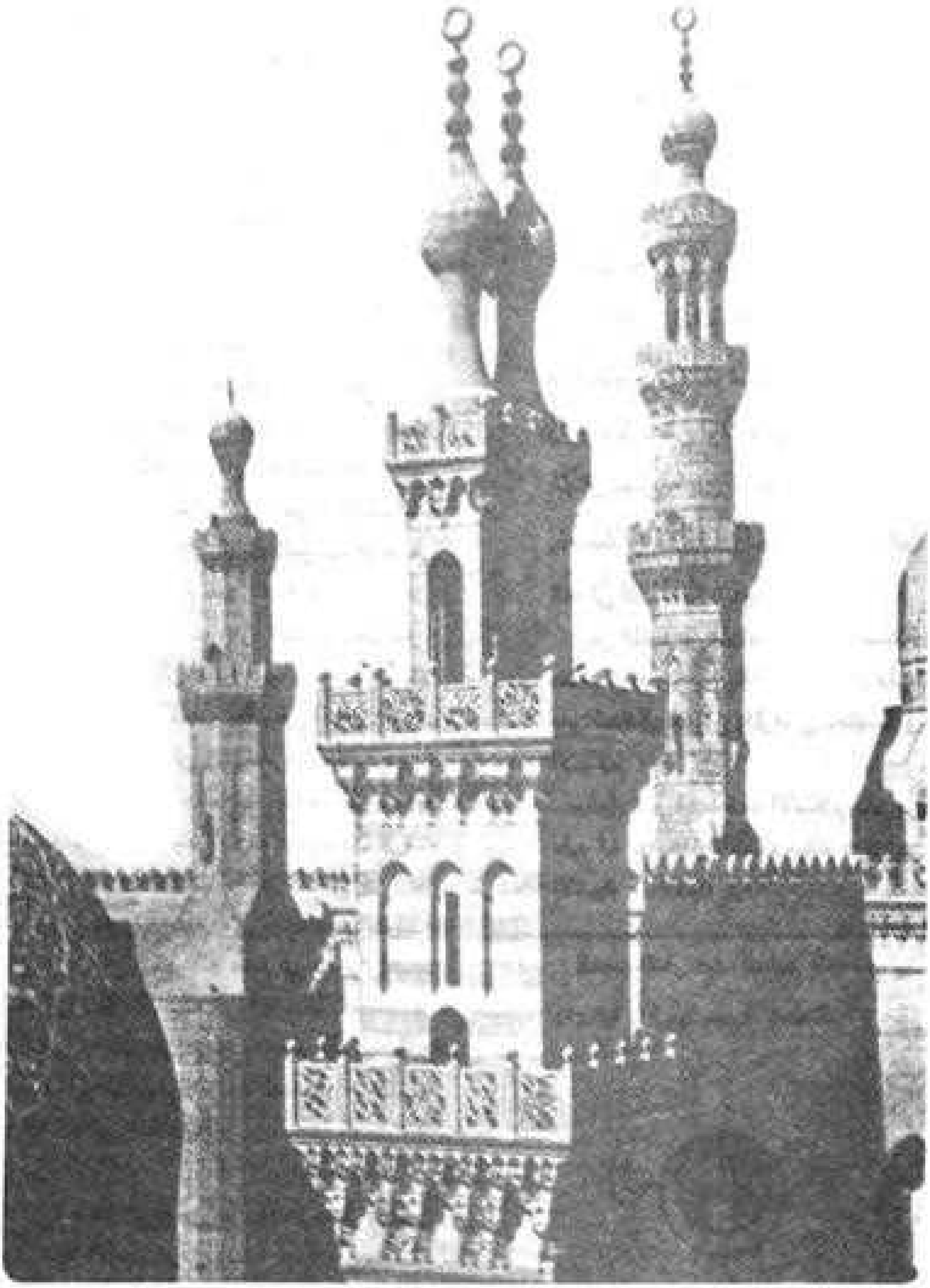
(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (١) ٠

ومن المفسرين المعاصرين الاستاذ محمد فريد وجدي يتخذ من النص دليلا على احتفال القرآن بالمرأة ومكانتها في الاسلام ٠

يقول : (ان أعداء الاسلام يفترون عليه أنه لم يحفل بالنساء وبأنه عدهن من الأشياء لا الأحياء) ٠

للمستشار عبد الحليم الجندى

(١) آية ١٢ من سورة الممتحنة



تحية من جامعة على كره الاسلامية إلى أم الجامعات الإسلامية الجامع الأزهر الشريف في عيده الألفي

للأستاذ سيد حامد

رئيس الجامعة

نحمده ونصلى على رسوله الكريم ٠

أما بعد ٠٠

أيها السادة !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته !

تحيـة

أحييكم فى هذه المناسبة السعيدة المباركة بأحسن تحية عرفتها الانسانية فى سفرها الطويل ، والتى هى اليوم أحوج اليها من أى زمن مضى ، ألا وهى تحية الأمن والسلام الاسلامية القرآنية التى يحيى بها كل مسلم أخاه أينما حل وحيثما التقى ٠ أحييكم بهذه التحية العطرة الخالدة ، وأهنئكم تهنئة قلبية مخلصة فى هذه المناسبة السارة الحافلة ، مناسبة الاحتفال بالعيد الألفى للجامع الأزهر الشريف الذى مر عليه بنجاح أكثر من عشرة قرون يؤدى رسالته العلمية والروحية السامية فى خدمة العلم والدين واللغة ٠ تلك الرسالة الالهية الخالدة التى أوحى الله — عز وجل — بها الى نبيه الكريم — عليه أفضل الصلوات والتسليم — أول ما أوحى بقوله :

« **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** » (٢) تلك الرسالة الالهية الجليلة التى حملها رسوله النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — فقام بها أحسن قيام ، حيث جعل بيته وجامعه ومدينته وحله وترحاله وبالجملة حياته كلها مركزاً للعلم والنور والهداية والمعرفة يدور حيثما دار ٠ وورث منه أصحابه وأتباعه — رضوان الله عليهم أجمعين — ومنهم المسلمون جميعا فى العصور الاسلامية

---

(١) ألقيت الكلمة بالمؤتمر يوم الاحد ٥ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ — ٢٠/٣/٨٣ ٠

(٢) سورة العلق ، الآيات ١ — ٥ ٠

تحية من جامعة على كرة الإسلامية

الزاهية الاهتمام بالعلم والمعرفة ، فحملوا هذا التراث وتقدموا به بهمة وعزم لا يلين ، وبنزاهة واخلاص ليس لهما مثيل فى تاريخ تطور العلوم وتقدمها وازدهارها فى تاريخ العالم المعروف كله . فتحملوا فى سبيله المشاق والصعاب ، وقطعوا الجبال والوديان ، وعبروا البحار والأنهار . وحولوا بيوتهم وجوامعهم ومدنهم الى مراكز للعلم ومعاهده ومؤسساته ، يرجع اليها كل من تصبو نفسه الى مناهل العلم وموارد المعرفة ، وتقمصوا به تقمصا لم يعرفوا الا به ، ولم يعيشوا الا لأجله ، ولم يموتوا الا فى سبيله ، فبلغوا به مبلغا من الأوج والعظمة لا نزال نتحدث عنه ونعتز به .

منزلة الأزهر الشريف

وليس اجتماعنا اليوم هنا الا احتفاء بهذه الذكرى الخالدة التى نرى آثارها الباقية الجليلة فى هذا الجامع الذى نحتفل بمرور أكثر من ألف سنة عليه ، والذى سمى بجدارة بـ « الجامعة » فى المعنى الاصطلاحى للكلمة فى الوقت الحاضر . فقد كان الأزهر منذ انشائه مسجدا وجامعة (١) ولا يزال ، أى مكانا للعبادة ، وفى نفس الوقت مركزا للتعليم والتعلم ، والدرس والتدريس ، والبحث والمذاكرة ، والمدارسة والمناقشة أسوة بالمسجد النبوى الشريف فى المدينة المنورة . وقد نمت الجامعة الأزهرية على مر السنين وتطورت وازدهرت وتقدمت حتى ضاق بها المسجد بما رحب ، فنشرت أجنحتها المجنحة رويدا رويدا خارج المسجد : حواليه ، فأدانيه ، ثم أقاصيه مع قاعدة أساسية لها فى داخله منه الروح والنور والهداية .

هذا الامتياز انفرد به الجامع الأزهر على غيره من المساجد التى انطبعت بهذا الطابع فى الماضى ، ولكن الطابع العلمى زال منها واندثر . أما الجامع الأزهر فقد احتفظ به ، فعلى هذا هو يعتبر أما لجميع الجامعات الاسلامية قديما وحديثا ، وله أن يعتز بهذه الخصيصة المميزة له ، النابعة من ماضى الاسلام المجيد ، ومن ماضيه التليد ، ويفتخر بها ما شاء ، لا ينازعه أحد فى هذا الحق ولا يخاصمه ، ولا يدانيه أحد فى هذا الاعتزاز ولا يماثله .

خدمات الأزهر

لقد حافظ الأزهر طيلة الألف سنة الماضية على العلوم الاسلامية النقلية منها والعقلية ، واللغة العربية وآدابها محافظة لا مثيل لها فى ظروف قاسية فى كثير من الأحيان ، وخدم المسلمين فى جميع أنحاء المعمورة بدون تمييز بين أجناسهم وألوانهم ومذاهبهم الفقهية خدمة بذل فيها الغالى والنفيس ، مؤثرا على أبناء

(١) وضع القائد جوهر الصقلى الكاتب (المتوفى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) اساس الجامع الأزهر يوم السبت ٢٤ من جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ / ابريل سنة ٩٧٠ م ، واقيم فيه أول صلاة للجمعة ٧ رمضان سنة ٣٦١ هـ/يونيو سنة ٩٧١ م، واكتمل بناء الجامع فى نفس السنة . وقد انتظمت فيه الدراسات العليا سنة ٣٧٨ هـ ٩٨٨ م .

بلاده غيرهم ، متمثلا فى ذلك بالآية القرآنية : « وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » (١) .

ومما يميز الأزهر اضافة على خدمته العلمية والدينية ، اسهامه بنصيب وافر فى الخدمة السياسية والاجتماعية للوطن وأبنائه . فانه أدى دورا قياديا ضد الاستعمار الفرنسي ، والاحتلال الانجليزى ، ورفع الظلم عن الشعب من جانب الحكام المطلقين من حين لآخر ، متأسيا فى ذلك بالأسوة النبوية فى الجهاد ضد الظلم والتعدى والاعتداء .

الأزهر وفرقتا العلم

وانني على يقين بأن الأزهر سوف يلبي حاجات المسلمين العصرية التى تضمن لهم تقدما زاهرا ومستقبلا باهرا فى عجلة التقدم العلمى المعاصر السريع ، مع التوفيق بين المقتضيات الدينية الأساسية وبين المتطلبات العلمية العصرية التى لا مناص منها . وقد بدأ الأزهر بالفعل فى انشاء كليات للعلوم العصرية الحديثة منذ وقت غير بعيد . فان القرآن الكريم لم يفرق بين العلوم الدينية وبين العلوم الدنيوية ، كما أن المسلمين لم يعرفوا الثنوية فى اكتساب العلم والمعرفة وممارستها فى ماضيهم المجيد . فقد كان فلاسفتهم ومفكريهم فى تلك العهود الزاهية علماء دين ولغة فى نفس الوقت ، ولم تعرف الثنوية فى التعليم فى البلاد الاسلامية الا بعد التدخل الأجنبى وسيطرته على مقاليد الحكم فيها ، وتسرب نفوذه العلمى والاجتماعى والثقافى فى عقليات أهل الحل والعقد فى تلك البلدان . فتفرق المسلمون فرقتين متنافستين دائما ، متحاربتين أحيانا احداهما للأخرى ، مما جعل قوتهم تضيع فيما بينهم هذا يتهم ذاك بالرجعية والتخلف ، وذاك يعيب هذا بالعلمانية واللادينية ، وقد أمرنا الله ــ عز وجل ــ بقوله « لَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » (٢) .

وقد حان للفئتين أن تتحدا وتأتلفا ، وتجمعا أمرهما ، لتكونا يدا واحدة ضد الظلم والتعدى ، والجهل والأوهام ، والبدع والخرافات ، وتتكاتفا لنهضة أمتهما ، وبناء أوطانهما فى مختلف أصقاع المعمورة على أسس متينة من العقيدة والدين والعلم ، حتى لا يتسنى لأى عدو غاشم من أعداء الانسانية أن يتسلط على أقدار الأمة الاسلامية وأوطانها مرة أخرى .

بقاء الامم فى حسابها لنفسها

لقد مرت الأمة الاسلامية الهندية أيضا فى القرون الماضية بفترات الضعف والتخلف ، وما يلزمهما من جهل واتكال وابتداع واختراف فتضعضعت أركان الدولة الاسلامية فى الهند ، مما مهد السبيل لدخول الانجليز فى البلاد عن طريق التجارة ، فتوسعت أطماعهم السياسية والاقتصادية الاستغلالية ، ثم سيطرتهم على أجزاء الوطن جزءا جزءا ، والتغلب على الامارات الهندية واحدة تلو الأخرى ، الى أن قبضوا على زمام الأمور بيد من حديد عقب اخفاق ثورة سنة ١٨٥٧ م (٧٣ ــ ١٢٧٤ هـ) ، وما تلتها من مجازر

(١) سورة الحشر ، الآية ٩ .

(٢) سورة الانفال ، الآية ٤٦ .

تحية من
جامعة على كره الإسلامية

وحشية عامة ، والتعدى على الأموال والأرواح والحرمات والمقدسات وازالة الحكم المغولى المركزى فى دلهى بالكلية بعزل الملك بهادر شاه ظفر (١٧٧٥ ــ ١٨٦٢ م) ، ونفيه الى رنغون عاصمة بورما ، وقد كان المسلمون فى جبهات الصمود الأمامية لحركات المقاومة الوطنية ضد الانجليز فاستهدفوا لأكبر قسط من غضبهم ونقمتهم ، واشتد التنافر فيما بينهم الى أن بلغ حد المقاطعة لكل ما ينتمى الى قوة الاحتلال الأجنبية ، ويمثل علمها وفكرها ، ولغتها وآدابها ، ونظام تربيتها وتعليمها ، وثقافتها وحضارتها ، فلم يزود المسلمون الهنود أنفسهم بالعلوم الحديثة والثقافة المعاصرة ، فشغلوا واستكانوا وتخلفوا حتى عن مواطنيهم الهندوس الذين زودوا نفوسهم بها ، فاستحقوا نصيبا من الوظائف الرسمية والمناصب الحكومية ، اضافة على ما كان لهم من دعم اقتصادى وسند مادى من جهة ممارستهم التجارة والزراعة وغيرهما من حرف وصناعات ، فساءت حال المسلمين الاقتصادية ، وحطت مكانتهم الاجتماعية ، وضعفت روحهم المعنوية ، وانعزلوا عن الحياة العامة ، وسيطر عليهم اليأس والقنوط .

حركات الاصلاح فى الهند

فى هذه الحال من الاضطراب السياسى ، والقلق الاجتماعى والتخلف التعليمى قامت فى الهند حركات اصلاحية اجتماعية عديدة من وقت لآخر ، يجدر بالذكر هنا ثلاث حركات قامت فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، وكانت فى جوهرها حركات تعليمية ، نهض بها علماء مخلصون يريدون تحسين أوضاع أبناء الأمة الاسلامية الهندية عن طريق نهضة علمية تعيد اليهم مجدهم الغابر ، وكرامتهم المسلوبه ، واعتدادهم بالنفس وثقتهم بها ، وتؤهلهم للمساهمة الفعالة فى الحياة العامة مع المواطنين على قدم المساواة . وان كل هذه الحركات الثلاث أنشأت لنفسها معاهد علمية تربوية لتمد أبناء الجيل حسب فكرها الذى تبنته ، وهى :

١ ــ حركة ديوبند : تمثلها دار العلوم ديوبند الشهيرة التى أقيمت سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٧ م ، وتولى رئاستها العالم الربانى محمد قاسم النانوتوى (١٢٤٨ ــ ١٢٩٧ هـ) وعشرات المدارس التابعة لمناهجها التعليمية وطرق تعليمها وتربيتها القديمة . وقد أدى أبناء هذه الحركة دورا بناء فى حركات الاستقلال الوطنية .

٢ ــ حركة على كره : تمثل فكرها مدرسة العلوم التى أنشئت سنة ١٨٧٥ م / ١٢٩٢ هـ على يد العالم المصلح المفكر سيد أحمد خان (١٢٣٢ ــ ١٣١٥ هـ/١٨١٧ ــ ١٨٩٨ م) فى على كره ، التى تطورت بعد ثلاث سنوات ١٨٧٨ م/١٢٩٥ هـ الى الكلية الانجلو ــ الشرقية المحمدية ، ثم تحولت الكلية بعد ذلك سنة ١٩٢٠ م/٣٨ ــ ١٣٣٩ هـ الى جامعة على

كره الاسلامية العصرية . وقد ساهم أبناؤها أيضا مساهمة فعالة في جميع مجالات الحياة ، بما فيها الحركات الوطنية الاستقلالية .

٣ — حركة ندوة العلماء : تمثل فكرها دار العلوم التابعة لها في (لكناؤ) التي أسست سنة ١٣١٧ هـ/١٨٩٨ م على يد جماعة من العلماء البارزين الذين يمثلون الطوائف الاسلامية والمكاتب الفكرية والمذاهب الفقهية المختلفة ، وكان على رأسهم العلامة شبلي النعماني (١٢٧٤—١٣٣٢ هـ/١٨٥٧—١٩١٤م) الذي عرفت باسمه هذه الحركة أكثر من غيره داخل البلاد وخارجها على السواء .

الهدف المشترك

وكان الهدف المشترك بين هذه الحركات الثلاث هو الدفاع عن الاسلام ، وتربية أبناء المسلمين وتعليمهم وتثقيفهم لحفظ كيانهم في هذا البلد الذي تسوده أغلبية غير مسلمة ، واعادة مكانتهم الاجتماعية اللائقة بهم باعتبارهم أكبر أقلية في المجتمع الهندي . الا أن هذه الحركات اختلفت في الوسائل للبلوغ الى هذا الهدف . فقد اختصت دار العلوم ديوبند بالعلوم الدينية ، وتمسكت في نظام تعليمها بالمناهج القديمة السائدة في كثير من البلدان الاسلامية التي عدلها آخر مرة في الهند — في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي — ملا نظام الدين (المتوفى سنة ١١٦١ هـ/١٧٤٨م) . فنسبت اليه وعرفت باسمه في الهند ، أي بـ «الدرس النظامي» (١) .

ثورة على المناهج

و **ثارت ندوة العلماء على المناهج** التعليمية المذكورة ، ونادت الى اصلاح جذري فيها ، فلم تلق اية استجابة من المعاهد الاسلامية القديمة ، فأنشأت مدرستها الخاصة ، وطورت المناهج ، وعدلت المواد ، وعملت بالنظام المدرسي المعاصر من حيث تسجيل الالتحاق ، والتزام الحضور ، وتوزيع الدراسة في مراحل موزعة على السنين ، وتأليف الكتب المدرسية حسب مستويات السنوات الدراسية ، وتحسين طرق التدريس والتوجيه التربوي ، وتعريف طريقة الامتحانات الكتابية والشفهية التي يتوقف عليها النقل من سنة دراسية الى أخرى ، واستحقاق الشهادة بعد مرحلة معينة ولا شك أن هذه التحسينات وغيرها رفعت مستوى أبنائها ، فأدوا دورا هاما في ميادين العلم والدين ، والأدب والصحافة وغير ذلك .

حركة على كره

أما حركة على كره فقد جعلت منذ أول يوم نصب عينيها هدف تزويد المسلمين بالعلوم الحديثة والثقافة المعاصرة ، وتوجيههم وجهة البحث العلمي السليم ، مع العناية بتربية خلقية صالحة تحافظ على عقائد المسلمين ، وتراثهم الثقافي المجيد تحت توجيه واشراف زعيمه المصلح العالم المفكر سيد أحمد خان الذي لا يشبه الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ — ١٩٠٥) في هذا فحسب ، بل يماثله أيضا في كثير من جوانب حياته العلمية والفكرية ، وآرائه الدينية والاصلاحية ، ونشاطه التأليفي وبعده عن السياسة . وقد طعنهما الذين اختلفوا معهما ظلما وجورا بالتحرر

---

(١) هذه النسبة ليست — كما يفهما البعض — الى المدرسة النظامية في بغداد التي انشأها الوزير نظام الملك (٤٠٨ — ٤٨٥ هـ / ١٠١٨ — ١٠٩٢ م .

تحية من
جامعة على كره الإسلامية

والولاء للغرب ، والحقيقة أن هؤلاء تجاهلوا الظروف السياسية والاجتماعية التى فرضت عليهم عند قيامهم بالعمل لبناء الأمة ، ونهضتها العلمية والفكرية والاجتماعية والخلقية . وقد نجح الزعيمان فى تغيير تفكير الأمة فى كثير من مجالات الحياة ، فقد قدرت آراؤهما وأفكارهما وأعمالهما بعدهما أكثر منها حياتهما حسب عادتنا .

نرجع مرة أخرى الى حركة على كره ، فنرى أن هذه الشجرة المثمرة ازدهرت ، وأينعت ثمارها ، فتحولت من مدرسة الى كلية بعد ثلاث سنين ، ثم الى جامعة اسلامية عصرية بعد اثنتين وثلاثين سنة كما ذكرنا ، فبدأ دور جديد من التطور والنمو والازدهار لجميع العلوم والفنون الحديثة الى جانب العلوم الشرقية التقليدية ، وخاصة بعد أن حصلت البلاد على الاستقلال سنة ١٩٤٧ م . فقد كفل الدستور الهندى الجمهورى حرية الرأى والفكر والدين ، واتاحة الفرص لجميع المواطنين على قدم المساواة بدون تمييز بين الجنس واللون والعقيدة واللغة ، كما ضمن الاستقلال الداخلى للمعاهد والجامعات ، مما نتجت عنه آثار طيبة فى تطوير جامعة على كره الاسلامية وازدهارها ،واستقلالها بشخصيتها وثقافتها الاسلامية ، واغلبية أساتذتها وطلابها وموظفيها من المسلمين .

ونحن اذا أردنا أن نلقى نظرة عامة على توسع الجامعة فى مرحلتها الأخيرة ، لاحظنا أنها تقدمت تقدما ملموسا . فانها توفر فى الوقت الحالى التوجيه التربوى والعلمى للطلاب من المراحل الابتدائية الخالصة الى نهاية الدراسات الجامعية العليا ، ففيها : دار الحضانة ، ومدرسة الروضة ، وثلاث مدارس ثانوية من السنة الأولى الى السنة العاشرة ، واحدى هذه المدارس خاصة للبنات ، ومدرسة للمكفوفين ، ثم الدراسة الجامعية من الليسانس / البكالوريوس(١) الى الماجستير الى الدراسات العليا فى خمس وستين قسما تحت ثمانى كليات جامعية ، أهمها فيما يتصل بالدراسات الاسلامية : كلية أصول الدين بقسميها السنى والشيعى ، وقسمان للغتين العربية والفارسية وآدابهما فى كلية الآداب ، وقسم الدراسات الاسلامية،ومركز الدراسات الآسيوية الغربية ، والمركز العالى للتاريخ فى كلية العلوم الاجتماعية .

وفيما يتصل بالعلوم العصرية الحديثة : كليتان للطب الحديث ، والطب العربى(٢) القديم ، يتبعهما مستشفيان خاصان ، كما تتبع كلية الطب العربى صيدلية لتجهيز الأدوية المركبة القديمة ، وكلية الهندسة ، ومركز لـ « الكمبيوتر » ، ومعهدان عاليان للفنون والحرف لكل من البنين والبنات على

---

(١) تعتنى كلية البنات التابعة للجامعة بتربية البنات وتعليمهن على حدة من البنين الى هذه المرحلة .

(٢) وهو معروف فى الهند بالطب اليونانى .

حدة الى جانب جميع الكليات والأقسام الجامعية الأخرى في العلوم الحديثة المعاصرة، ومكتبة مركزية ضخمة تحتوى على آلاف المخطوطات النفيسة الى جانب نحو سبعمائة ألف كتاب مطبوع ، ومطبعة لطبع الأبحاث الجامعية ونشرها في اللغات الانجليزية والهندية والأردوية والعربية والفارسية .

هيئة التدريس

وتتألف هيئة التدريس الجامعية في الوقت الحاضر من ألف ومائتى أستاذ ، على حين يبلغ عدد الطلاب ستة عشر ألفا ، منهم أربعمائة طالب أجنبي يمثلون أربعين دولة ، أكثرها دول اسلامية وعربية شقيقة .

اسهام الجامعة في شتى الميادين

وقد ساهمت الجامعة منذ بدايتها الى الآن في الحياة الهندية عن طريق أبنائها المتخرجين في جميع الميادين . ففي الصف الأمامي من حركة الاستقلال الوطني نرى زعماء سياسيين مثل الأخوين محمد على وشوكت على ، وحسرت موهاني وراجه مهندر برتاب ، وسيد حسين ، ورفيع أحمد القدوائى (وزير الغذاء في الحكومة المركزية بعد الاستقلال) ، ولياقت على خان (أول رئيس وزراء باكستان) وذاكر حسين خان (رئيس الجمهورية الهندية الأسبق) ، والمشير محمد أيوب خان (رئيس الجمهورية الباكستانية الأسبق) ، وأحمد سعيد خان جهتارى (رئيس الوزراء في امارة حيدر آباد السابقة) والشيخ عبد الله ، وغلام محمد صادق ، ومير قاسم (رؤساء الوزارات السابقة لولاية جمون وكشمير) ، وعبد الغفور (رئيس الوزراء الأسبق لولاية بهار) ، والسيد ظهور قاسم الذى قاد في السنة الماضية بنجاح أول مهمة استكشافية علمية هندية الى القطب الجنوبي (انتراتيكا) ، وأقام هناك مركزا للبحث العلمي ومعملا للتجارب العلمية . وهكذا نجد في كل ميدان من ميادين العلم والأدب والشعر والثقافة والصحافة والخطابة والرياضة وغيرها أسماء لامعة لأبناء هذه الجامعة برزوا في مجالات نشاطهم ، وسجلوا أسماءهم بحروف من ذهب .

أما بصدد الأبحاث العلمية فقد تقدمت هذه الجامعة بنصيب وافر في كثير من الميادين ، ونالت تقديرا واعجابا داخل البلاد وخارجها. فقد قام قسم الجغرافية ببحث علمى عن اصلاح الأراضى غير القابلة للزراعة ، وقسم الكيمياء ببحث عن البذور المتبادلة للدهون والزيوت الصالحة للأكل ، ودواء للأمراض القلبية ، وقسم علم النبات أعد بذورا خاصة للخضروات ، تتميز بكثرة النتاج ، وعدم التأثر بالأعراض النباتية ، ووصل مركز امراض الدماغ الى التركيب الداخلى للدماغ لمعرفة أسباب النسيان عند الشيخوخة وعلاجه وقسم الأحياء المجهرى قطع شوطا كبيرا في مجال تطعيم مضاد لحمى الملاريا .

تحية من
جامعة على كره الإسلامية

هذا قليل من كثير ، أردت أن أعرضه عليكم عرضا سريعا ، لأعطاء فكرة موجزة عن الحياة التعليمية للمسلمين فى الهند عامة ، وبالأخص عن نشاطات ومنجزات جامعة على كره الاسلامية التى أمثلها ، وقد شجعتنى على هذا الاسهاب طبيعة الاحتفال التعليمى بمرور الف سنة على الأزهر الشريف الذى هو بنفسه منارة علم شامخة ليس فى هذا البلد فقط ، بل وفى العالم الاسلامى كله . لذلك ارجو أن تتوطد بيننا وبين الأزهر والجامعات المصرية الأخرى علاقات التعاون العلمى المشترك عن طريق التبادل فى جميع المجالات الممكنة ، مثل زيارة الأساتذة والوفود العلمية، وارسال الطلاب للتربية والتعليم ، والعمل المشترك فى المشاريع العلمية التى تعود بالنفع للجميع ، واهداء الكتب والمجلات وما اليها .

فقد استمرت روابط الود والصداقة والاخاء بين البلدين الشقيقين منذ قديم الزمان الى العصر الحالى . فاننا لا ننس ما كانت عليه من علاقات التعاون البناء وتنسيق العمل المشترك ضد الاستعمار بين زعماء حركات الاستقلال الوطنية فى القطرين، مثل سعد زغلول والمهاتما غاندى وجواهر لال نهرو ، ثم توثقت هذه الروابط بعد الاستقلال بين زعمائهما فى الفترات التالية باستمرار ، ونتجت عن التعاون المستمر بينهما فى المجالات السياسية والثقافية والعلمية والفنية وغيرها

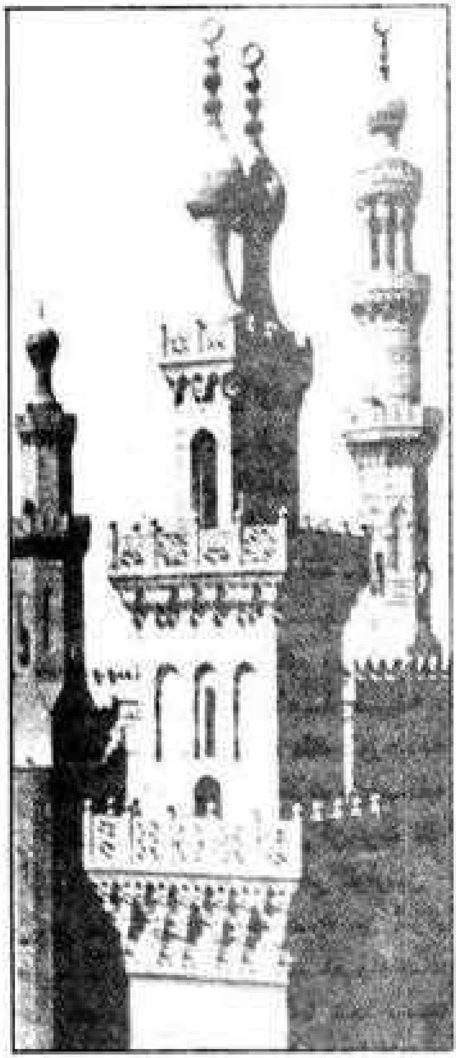
وليس ببعيد عنا مؤتمر دول عدم الانحياز السابع الذى عقد فى دلهى الجديدة قبل أيام ، حيث عمل الوفد المصرى بقيادة الرئيس حسنى مبارك مع الوفد الهندى بزعامة السيدة انديرا غاندى رئيسة الوزراء لنجاح المؤتمر باتحاد وتعاون مثاليين .

علاقة الأزهر بابناء الهند

كذلك توطدت علاقات الأزهر مع أبناء الهند الذين وفدوا اليه دائما لينهلوا من موارد علمه الفياضة ، ووجدوا فيه بغيتهم المنشودة. هذا من جانب ، ومن جانب آخر بدأ الأزهر ايفاد مندوبيه الى المعاهد والجامعات الهندية المختلفة لتعليم اللغة العربية والعلوم الاسلامية فيها ، فتشرفت جامعة على كره الاسلامية أيضا باستقبال مبعوثين له لهذا الغرض . وكان ذلك قبل عشر سنوات تقريبا.

لذلك استغل هذه الفرصة لتجديد هذا الطلب من جامعتى مرة أخرى أمام المسئولين فيه ، واننى على يقين أنه ليس بكثير عليهم .

واخيرا أهنئكم مرة أخرى على عقد هذا الاحتفال العلمى احياء لذكرى العيد الألفى للأزهر ، وأتمنى له دوام الازدهار والرقى ، وللمسئولين والعاملين فيه دوام السداد والتوفيق ، كما تمنى الشاعر الأردوى الشهير مرزا أسد الله خان غالب لحبيبته دوام الحياة



قائلا :

تم سلامت رهو هزار برس
هر برس كى هون دن بجاس هزار

أى أتمنى لك يا حبيبتى أن تعيشى ألف سنة من السنين التى تعد أيامها بخمسين ألف يوم كل سنة .

وأشكر المسئولين الذين تكرموا بتوجيه الدعوة الى لحضور هذا الحفل الحافل الذى سعدت حقيقة بالاشتراك فيه ، ثم أشكرهم مرة أخرى على كل ما قاموا من توفير أسباب الراحة ، والضيافة العربية طبقا للكرم العربى المعروف المأثور .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ سيد حامد

السنة ومنزلتها ووجوب الدفاع عنها (١)

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا والصلاة والسلام على خير الأطهار، وأكرم الأبرار، محمد رسول الله، الأمين على شرع الله، المبين لكتاب الله، بما آتاه الله من الوحى الرشيد، والمنطق السديد، وجوامع الكلم، والأسوة الحسنة، أعزنا الله بالأخذ بسنته، والعمل بشريعته ونصرة ملته، ورحمة الله وبركاته على آله وعترته، وأصحابه وأنصار دعوته، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وبعد فان السنة النبوية عبارة عن أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقديراته، وسميت بذلك لأنها تتخذ سنة وطريقة فى سلوك العباد وطاعتهم لمولاهم، تأسيا بنبيهم فيها.

وتعتبر السنة بفروعها الثلاثة: تبيانا للقرآن الكريم، الذى عهد الله الى رسوله ببيانه فى قوله سبحانه: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» (٢)

ولهذا أمرنا الله تعالى بالعمل بها فى قوله: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» (٣)

الحكمة فى بيان السنة للقرآن

وانما عهد الله الى رسوله ببيان القرآن، لأن الله تعالى أنزله قواعد عامة، تيسيرا لحفظه على الحافظين، واستيفاء لميزة الشمول فيه مع ايجازه، وفاء بقوله تعالى: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (٤) واستكمالا لعناصر اعجازه، وتحقيقا لوعده تعالى:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (٥)

ولو أن القرآن العظيم تحدث عن تفصيلات الأحكام فى العقائد والعبادات على اختلاف أبوابها، والمعاملات على تعدد فنونها، والسمعيات وما أكثرها، لاحتاج الى مجلدات ضخام عديدة، ولما تيسر للناس حفظه حتى يبقى حجة الله على خلقه، ولما تبينت للناس عناصر اعجازه، فلهذا أمر الله رسوله أن يبين للناس كتابه وفقا لما أوحاه الله اليه من تفصيلات الأحكام، وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم: «الا وانى أوتيت القرآن ومثله معه» أخرجه

---

(١) ألقيت بالجامع الأزهر مساء الأحد ٥ من جمادى الآخر سنة ١٤٠٣ ٢٠/٣/١٩٨٣

٢ ــ ٤٤ النحل
٣ ــ ٧ الحشر
٤ ــ ٣٨ الانعام
٥ ــ ٩ الحجر

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

عضو مجمع البحوث الاسلامية

الامام أحمد فى مسنده ، وأبو داود فى سننه، وابن حبان فى صحيحه والبيهقى وابن ماجه وغيرهم عن المقدام ابن معد يكرب عنه صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة البقرة : « كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ » (١) ، فالحكمة هى السنة ، وقد قرنها الله بكتابه فى تعليم الرسول اياها للأمة ، كما يعلمهم كتابه تعالى ، ومثل ذلك قوله تعالى فى سورة آل عمران « لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ »(٢) وفى سورة النساء « وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » (٣) فقد صرح الله فيها بأنه كما أنزل عليه الكتاب أنزل عليه الحكمة وهى السنة كما تقدم .

١ ـ ١٥١ ـ البقرة
(٢) الآية : ١٦٤ .
(٣) الآية : ١١٣ .

الاذن بكتابة السنة بعد النهى عنها

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد نهى عن كتابة السنة حتى لا تختلط بالقرآن (٤) ، فلما قوى الحرص من الكتاب على تجريد القرآن من كل شائبة ، أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بكتابة السنة بمعزل عن القرآن ، وكانوا مع تدوينهم لها يحفظونها فى صدورهم تمام الحفظ ، ويشترك الأميون منهم فى حفظها بوعى وفهم ، فهم عرب خلص ، لهم ذكاء فطرى وحافظة قوية ، وفصاحة وبلاغة بالسليقة لا تنال منهما أميتهم .

ومما جاء فى اذنه صلى الله عليه وسلم بكتابتها ، ما رواه أحمد وأبو داود والدارمى أنه صلى الله عليه وسلم أذن لعبد الله ابن عمرو بن العاص بذلك ، وروى الامام البخارى عن أبى هريرة أنه قال : (لم يكن أحد أكثر منى حديثا ، الا ما كان من عبد الله ابن عمرو بن العاص ، فانه كان يكتب ولا أكتب) .

وكتب النبى صلى الله عليه وسلم أحكام

(٤) روى الامام مسلم بسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ، لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن ، فمن كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه ، .

السنة ومنزلتها.

الصدقة وأنصبائها ، أملاها على كتابه ، وأخرجها أبو بكر الى عماله بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، كما رواه الامام أحمد ، وكتب صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم فى الزكاة والديات ، وكتب الى كسرى وقيصر وملك مصر وغيرهم .

وروى الامام مسلم والنسائى أن أبا جحيفة قال لعلى بن أبى طالب (هل عندكم كتاب خصكم به رسول الله يا آل البيت ؟

فقال على : لا — الا الفهم يؤتيه الله عبدا فى كتابه ، والا ما كان فى هذه الصحيفة — وأخرجها — وفيها العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر) .

وروت عائشة أن أبا بكر جمع الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن ما جمعه خمسمائة حديث ، وأخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عمرو أنه صلى الله عليه وسلم قال « اكتبوا فو الذى نفسى بيده لا يخرج منى الا حق » .

وأخرج ابن النجار بسنده عن حذيفة أنه صلى الله عليه وسلم قال : (اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء ، وانما ذهاب العلم موت العلماء) وأخرج الحكيم والطبرانى فى الكبير ، وسمويه والخطيب فى كتاب (تقييد العلم) عن رافع بن خديج قال : (قلت يا رسول الله ، انا نسمع منك أشياء فنكتبها؟ قال : اكتبوا ولا حرج) .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب عام الفتح ، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه ، فقال : اكتبوا لى يا رسول الله ، فقال : « اكتبوا لأبى شاه » يعنى الخطبة التى سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

دقة التحرى عما يروى من السنة

ومع أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قد أذن للصحابة بكتابة السنة ، فان ما كتب منها فى عهده قليل ، لقلة عدد الكتاب حينئذ ولتأخر الأذن بكتابتها ، وظل الأمر فى تداولها معتمدا على الحفظ وقد كانوا فى عصر الخلفاء يدققون فيما يسمعون من رواياتها ، ليتأكدوا من صحتها ، ومن ذلك ما روى أن أبا بكر جاءته امرأة تطلب توريثها من ميت — وكانت جدة له — فقال لها : لا أجد لك فى كتاب الله شيئا ، ولم يكن يحفظ من سنة الرسول ما يفتيها به ، وكان فى مجلسه المغيرة ، فروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس ، فقال أبو بكر : هل معك من يشهد لك ، فشهد به محمد بن مسلمة ، فأعطاها السدس .

ومن ذلك ما روى أن عمر بن الخطاب استأذن عليه أبو موسى الأشعرى فلم يأذن له ، فانصرف ، فطلبه عمر فحضر وروى حديث (من استأذن ثلاثا فلم يؤذن له فلينصرف) وذكر أنه استأذن ثلاثا فلم يؤذن له فانصرف ، فقال عمر : اما أن تأتينى ببينة على ما رويت ، والا لأفعلن بك (١) فشهد له أبو سعيد الخدرى ، فقال عمر : أما انى لم أتهمك فى دينك ، ولكنها الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) يريد عقابه وتعزيره .

وروى أن عليا كان يستحلف الراوى ويقول : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله .

كتابة الحديث فى عهد التابعين

قلنا ان المكتوب من الحديث فى عهد الصحابة كان قليلا للأسباب التى ذكرناها ، ومعظم الحديث كان محفوظا فى صدورهم ، فلما جاء عصر التابعين كتب بعضهم ما سمعوه من الصحابة ، فكتب بشير بن نهيك التابعى ما سمعه من أبى هريرة ، وسعيد بن جبير التابعى ما سمعه من عبد الله بن عباس كما كتب غيرهما من التابعين ما كانوا يسمعونه من الصحابة كالربيع بن صبيح وسعيد بن أبى عروبة ، وكان الغرض من الكتابة حفظ السنة ومقاومة الابتداع من الخوارج والروافض والقدريين وغيرهم وقد ابتدأ التدوين الجاد حول أوائل المائة الثانية الهجرية فى عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠١ واحد ومائة هجرية ، فقد خاف على السنة من الضياع لكثرة موت حفاظها فى الحروب والفتوح ، وتفرق من بقى منهم فى الأمصار ، ولأن العلم يضيع بموت أهله ، فلهذا أمر ولاته فى الأمصار بكتابة الحديث عن حفظته ومن هؤلاء أبو بكر بن حزم عامله على المدينة ، فقد أمره أن يكتب ما عنده بالمدينة من الحديث ، وأن يجمع ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية وما عند القاسم ابن محمد المتوفى سنة ١٢٠ هـ .

روى الامام البخارى فى باب (كيف يقبض العلم) فقال : وكتب عمر بن عبد العزيز الى أبى بكر بن حزم (انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا تقبل الا حديث النبى صلى الله عليه وسلم) .

كما كتب الى علماء الآفاق بمثل ذلك ، وممن كتب اليهم ابن شهاب الزهرى ، وكان أول من أبرز تدوينه يقول الامام ابن حجر فى أول (باب كتابة العلم) : وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهرى بأمر عمر بن عبد العزيز ، ثم كثر التدوين وحصل بذلك خير كثير والحمد لله) .

وفى المائة الثانية كانوا يدونون السنة وأقوال الصحابة والتابعين ، كل مصنف معزوا الى قائله ، ومن هذا النوع موطأ الامام مالك ، وكتاب السنن لمعمر بن راشد باليمن ، والجامع الصغير والكبير لسفيان الثورى بالكوفة ، وكتاب السنن لأبى حنيفة ، ومسند الامام الشافعى ، والآثار لمحمد بن الحسن الشيبانى ، كما صنف الأوزاعى بالشام ، وابن جريج بمكة الى غير هؤلاء .

افراد الحديث فى القرن الثالث

وفى مشارف القرن الثالث رأى علماء السنة أن يفردوا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن أقوال الصحابة والتابعين ، قال بن حجر فى مقدمة كتابه (فتح البارى) ، متحدثا عن الطبقة الثالثة : رأى بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، وذلك على رأس المائتين ، فصنف عبد الله بن موسى العبسى الكوفى مسندا ، وصنف مسدد ابن مسرهد البصرى

مسندا : الخ ويعتبر القرن الثالث أجل عصور الحديث وأسعدها بتدوينه وتقريبه لطالبيه ، وفيه ظهر كبار أئمة الحديث وعلماء الجرح والتعديل ، كما ظهرت الكتب التى تحرى أصحابها الأحاديث الصحيحة، وهى البخارى ومسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

ويطول الكلام فى بيان أسماء الكتب التى دونت السنة فى هذا القرن ، وحسبك أن تعلم أن القرن الثالث يعتبر العصر الذهبى لجمع السنة النبوية وتبويبها .

ظهور الفرق والقضاء على اهوائها

وفى منتصف القرن الثانى الهجرى ، ظهرت العصبية بين الفرق السياسية والمذهبية ، وظهرت أحاديث لا عهد للثقات بها ومنها ما هو مرفوض شرعا وعقلا ، فانبرى العلماء لكشف هؤلاء وتجريحهم وتزييف ما يروون للناس من أحاديثهم .

ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين تولوا تجريح هؤلاء المفترين مالك بن أنس والليث ابن سعد والأوزاعى والثورى ، وخلف هذه الطبقة رجال وهبوا أنفسهم لفحص الرجال والحكم عليهم وعلى مروياتهم ، وأول من تصدر هذا النوع من العناية بالسنة بعد الطبقة السابقة ، شعبة بن الحجاج بالعراق، فقد فرغ نفسه لفحص الرواة والحكم بتعديلهم وتجريحهم ، فكان عالم هذا الفن وقاضيه ، والفيصل الذى لا يرد قوله بشأن الرواة ، ثم تبعه يحيى بن سعيد القطان ، وكان أول من جمع قوله فى الرجال ، ليكون مرجعا فيهم ، وقد قال فيه الامام أحمد ابن حنبل : ما رأيت بعينى مثل يحيى ابن سعيد القطان .

ويلى هذه الطبقة تلاميذهم ، مثل يحيى ابن معين وعلى بن المدينى وأحمد بن حنبل ، ثم تلاميذهم مثل أبى زرعة وأبى حاتم والبخارى ومسلم ، ثم تلاميذهم كالنسائى والترمذى وهكذا الى آخر عصر الرواية والتدوين .

وقد كان نقد الراوى مقرونا بالرواية ، ولم تدون كتب الرجال وحدها الا فى أواخر القرن الثالث ثم استيعاب الكلام عن رجال الحديث تعديلا وجرحا .

فأنت ترى أن التحرى عن حديث رسول الله والتدقيق فى صحة نسبته اليه ، ابتدأ من عصر الخليفة الأول ، وبلغ ذروته فى القرن الثالث الهجرى ، وفيه عرفت أحوال جميع الرواة ونصيبهم من الجرح والتعديل وكانوا يجرحون الراوى بالابتداع أو بمخالفة الثقات ، أو بجهالة الحال أو بالغلط أو بسوء الحفظ أو بتساهله فى الرواية ، أو بكونه موسوما بالكذب أو معروفا بالوضع ، كما كانوا يجرحون السند بالانقطاع الى غير ذلك من أسباب الجرح التى يعرفها علماء الفن ، وكان للاخلاق والضبط شأن فى قوة الرواية وضعفها ، وبهذا الجهد الجبار امتاز صحيح

الأحاديث وحسنها من ضعيفها وموضوعها واستطاع فقهاؤنا استنباط الأحكام الشرعية من صحيح الأحاديث وحسنها وهم آمنون ، واستطاع علماء الأخلاق استنباط مناهج السلوك كذلك ، وسلمت لنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وقت مبكر من عبث الأهواء وقت ظهورها ، حيث عرف المقبول منها من غيره ، فعمل بالأول وبنيت عليه الأحكام ومناهج السلوك ، وأما الثانى فالضعيف فيه عمل به فى فضائل الأعمال ان كان له أصل فى الدين ، لاحتمال صحته ، وأما الموضوع فهو مرفوض لفظا ومنهجا .

وقد عرف المشتغلون بالفن ، أن رجال السنة منهم من قصر كتابه على الصحيح كالبخارى ومسلم ومالك ، ومنهم من خلط بين الصحيح والحسن والضعيف ، ووصف كل حديث بالوصف الذى يستحقه حسب قواعد التعديل والجرح ، وتدارك شراحهم ما فاتهم من ذلك .

ومن اشتبه عليه منها حديث من جهة معناه ولم يستطع التوفيق بينه وبين الأصول التى يعرفها ، فليسأل من هو أعلم منه (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ) وليرجع أو لو العلم الى كتب الرجال ان عمى عليهم الحال ، ومثل ذلك نادر الوجود ، فقد فرغ العلماء من بيان ما تدور عليه الأحكام والأخلاق من الأحاديث ، ولسوف يجد العلماء الثقات المخلصون المحبون للسنة أعذب المناهل فى مواردها المتاحة لكل مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها ، ومن رجال السنة من جمع أحاديث الضعفاء فى كتاب مستقل ، حتى لا يجد الباحث مشقة فى التعرف عليها ، كالعقيلى فى كتابه (الضعفاء) والديلمى فى الفردوس ، جزى الله هؤلاء الأعلام عن السنة أحسن الجزاء ، على ما بذلوه من جهد يفوق الخيال.

الحملات الجريئة على السنة

بين الحين والحين نرى بعض أصحاب العقليات الهابطة والدين المهتز ، يشككون فى السنة مع كل ما أحيطت به من عناية علماء الاسلام منذ عهد الصحابة حتى آخر عصور التدوين ، وقد شرحنا لكم بعض ما بذلوه من الجهود الخارقة .

ولو أن هؤلاء المفتونين عقدوا مقارنة ، بين ما بذل فى تدوين السنة وبيان درجات أحاديثها ، وبين تدوين كتب الأديان بعد الأحداث التى أفقدت أهلها أصولها ، لخروا سجدا لله رب العالمين ، أن أتم الله حفظه لكتابه ، بقيام هؤلاء الثقات الأعلام بحفظ سنة نبية منذ عهد الخلفاء الراشدين حيث دونوها سماعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من أصحابه أو ممن سمع منهم ، وتصدوا للانحراف منذ ظهوره ، ووضعوا معايير الجرح والتعديل .

ينادى هؤلاء الملحدون بالأخذ بالقرآن ، وعدم الاعتماد على السنة فى بيانه ، ونحن نسأل هؤلاء فنقول : لقد أوجب الله علينا

السنة
ومنزلتها.. ووجوب الدفاع عنها.

اقامة الصلاة وايتاء الزكاة بقوله « **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** » فكيف نستطيع أن نعرف كيفية الصلاة وشروطها وأوقاتها ومبطلاتها وما يستحب فيها اذا لم نعرفها عن طريق السنة ؟ وكيف نستطيع أن نعرف الأصناف الزكوية ، والنصاب في كل صنف منها ، والمقدار الذي يخرج منه للمستحقين ووقت اخراجه — كيف نستطيع أن نعرف ذلك كله الا من السنة ؟ ومثل الصلاة والزكاة غيرهما من الامور التي أجمل القرآن احكامها وفصلتها السنة ، فلا سبيل لمعرفتها الا سبيل السنة الشريفة ، ترى بعضهم يقول : عرفناها عن طريق القدوة جيلا بعد جيل ، وقد غفل هؤلاء عن أن هذه القدوة لو لم تنضبط بضوابط السنة لاختلف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في طريقة أدائها ولقال كل فريق انه على الحق ، فكيف يفصل بين هؤلاء المختلفين الا بالنصوص التي تضبط هذه القدوة وتبين تفاصيلها « **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** » ! .

الا يكفي المسلمين ما هم فيه من خلافات جذرية تمس العقائد ، فهولاء أهل سنة ، وأولئكم شيعة وآخرون بهائية وغيرهم قاديانية ، الى أصناف أخرى ، وبعض هؤلاء ادعوا حلول الله في أشخاص يقدسونهم ، حتى خرجوا بذلك عن الملة الاسلامية ، وخالفوا نصوص القرآن التي لا ينازع فيها أحد من المسلمين .

ان أولئك الذين يشككون في السنة قوم ملحدون ، يريدون أن يخلو الجو لأهوائهم ، حتى يفسروا نصوص القرآن كما يشتهون .

ولقد حذر الله أولئك وأنذرهم سوء العاقبة بقوله « **وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** » (١) ونبه الرسول على فساد تلك النزعة ، ووجوب البعد عنها بقوله « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه » حديث حسن .

أين هؤلاء من قوله تعالى « **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** » وقوله سبحانه « **مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** » (٢) « **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** » (٣) وقوله « **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ** »

(١) ١١٥ النساء
(٢) ٨٠ النساء
(٣) ٥٤ النور

حَسَنَةٌ » (١) .

ومن عجب أن ترى بعض هـؤلاء الحمقى يطعن فى كتاب البخارى مع اعترافـه بالجهد الخارق الذى بذله فى جمعه وتنقيته ويرى أن لا يؤخذ منه الا بالسـنن الفعلية دون القولية ، وهو اذ يقول هذا الاثم يجيز العمـــل بالضعيف فى فضائل الأعمال ، فهل ترى حمقا أكثر من انكار الصحيح وقبول الضـعيف ؟ وهكذا نجد أولئك الملحدين الذين يطعنون فى السنة ، مضطربين فى أفكارهم ، بعيدين عن واقع الاسلام والمسلمين ، منذ مبعث النبى صلى اللهعليه وسلم حتى الآن ، وليعلـم هؤلاء ، أن من أنكر عموم السنة فقد كفـر بالقرآن وكذبه اذ يقول « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم » ويقول « وَمَـــا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ . وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانْتَهُوا » ومن أنكر حديثا متواترا فكذلك،ومن أنكر حديثا صحيحا أحاديا بغير حق فقد اتبع سبيلا غير سبيل المؤمنين « وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » .

ونحمد الله على أن الأزهر بالمرصاد لمـن يرفع عقيرته من هؤلاء ، يراقب هـذيانهم ، ويردهم على أعقابهم ويطلب من الدولـــة مصادرة الحادهم ، والدولة هنا تستجيب لحق الله وحق رسولـه والحمـد للـه رب العالمين .

ولا شك أن علماء المسلمين فى أنحاء الأرض على المستوى الرفيع من الحفاظ على السنة والدفاع عنها ، فهم الأمناء على كتاب الله وسنة رسوله ، وأنتـم أيها السادة أعضاء هذا المهرجـــان العظيم ، خير من يمثل علماء الأقطـار الاسلامية ، ويترجـم مشـاعرهم نحو حماية السنة المطهرة من الملحـدين فيهـــا ، وذود المـــارقين عـن حماها ، فهى ترجمان القرآن الأمين ، والحكمة التى أمر الله رسوله أن يعلمها للناس أجمعين ، والله يرعاكم ويسـدد خطـانا وخطاكم ، والسـلام عليكـم ورحمة الله .

مصطفى محمد الحديدى الطير

(١) ٢١ الاحزاب

أثر الأزهر في خدمة المجتمع الإسلامي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، وعلى آله وصحابته ومن سلك طريقه المستقيم .

وبعد :

فان الأمة الاسلامية امتازت بأنها خير أمة أخرجت للناس ، وهي صاحبة الرسالة الخاتمة التي وجهت الى كافة المخلوقات ، وعنيت بها الأمة العربية بصفة خاصة ، لأن من أفقها طلعت شمس الهداية والنور ، وقد أسكنها الله في خير مركز من العالم لتوجيه الدعوة الاسلامية ، وتبليغ الرسالة السماوية الى الأمم جميعا لتخرجهم من الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ليعبدوا ربا واحدا خالق الكون ومبدعه لا شريك له في ملكه .

ولقد كان لبعث هذه الرسالة المحمدية غرض أسمى ، وهدف أعلى بعد أن تشاغلت امم الأنبياء عن الاله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، حتى نسوه وعبدوا الأصنام والأوثان ، فكان من حكمته أن يبعث الله نبيه محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ بهذه الرسالة السامية ليقضي على الشرك ويستأصل جذوره من قلوبهم ، فخاطب أمة محمد بقوله : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (٢) فنبه ــ سبحانه ــ الى انها أمة لم تظهر لنفسها فحسب كسائر الأمم السابقة ، بل هي أمة تدعو لكل خير وتنهى عن كل شر ، مهمتها الدعوة للأمم الضالة التي أشربت قلوبها بعبادة الأوثان ، وبحب المادة والجاه والسلطان ، ولتخرجهم من هذا الضلال الى نور الحق والعرفان فهي أمة تجاهد في سبيله جهادا تبذل فيه أرواحها وأموالها لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الباطل هي السفلى . وقد تم لها ــ في زمن وجيز ــ ما أرادت ، حتى ارتفعت راية الاسلام خفاقة عالية على المشرقين ، ودخل الناس في هذا الدين أفواجا طائعين ، لما عرفوا وأيقنوا أنه دين يدعو الى أمهات الفضائل من العدل والمساواة والوفاء وغير ذلك مما يدعو الى مكارم الأخلاق فعاشوا تحت ظلاله تظلهم راية الاسلام .. فلا سائد ولا مسود ولا طبقية ولا عصبية ، لا حسد ولا بغض ، ولا غش ولا خداع ولا كبر ، لا يتفاضل الناس الا بما قدموا من عمل صالح ، أما غير ذلك

(١) القيت بالجامع الازهر مساء الاحد ٥ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ٢٠/٣/١٩٨٣

(٢) آل عمران ــ ١١٠ .

لفضيلة الشيخ

صالح موسى شرف

عضو مجمع البحوث الاسلامية

فلا ينظر اليه الاسلام لأنه يمقت الطبقية والعصبية ، وينهى عن التفاخر بالأحساب والأنساب .

حافظ المسلمون الأوائل على هذه المبادىء السامية ، وبروا بما عاهدوا الله عليه ، وهابتهم الأمم الأخرى الذين لم يدخلوا فى هذا الدين ، ورضوا بالذلة والهوان ، وعاهدوا المسلمين الا يحالفوا عدوا لهم ، وأن يقدموا ما يطلب منهم فى سبيل أمنهم .

وهذا النصر الذى تم للمسلمين ، وهذه المهابة لهم لم تكن بكثرة العدد والعدد ، وانما بايمانهم الخالص لله وحده الذى تكفل بنصرهم مادام هذا الاخلاص ، مصداقا لقوله تعالى : **(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)** . وقوله أيضا : **(إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)** (١) .

ثم بعد حين من الزمن جاءت فترة ركود ، ووقعت نكسة دينية فغشا سلطان المادة ، وسيطر على العالم حب الجاه والغلبة وجمع المال ، حتى تغلب القوى على الضعيف ، وظهر الفساد فى الأرض ، واختلف المسلمون شيعا وأحزابا حتى تغلب عليهم من كان يهابهم .. وهكذا شأن كل مجتمع لا تهمه الا هذه الحياة الدنيا بزخرفها وملاذها ، فتملك عليه كل احساسه وشعوره ومواهبه وقواه ، اما الدين ، واما السعادة الأخروية فلا تتجه اليها هذه القوى .

لقد سادت هذه الفترة حتى عم المسلمين بلاؤها ، غير أن الله قد أراد لهذا الدين أن يبقى ، لأنه دين الحق .. دين له خير كتاب نزل على خير الأنبياء الى خير أمة أخرجت للناس ، فهيأ الله لهذه الأمة ما يوقظها من سباتها ، وأن يبصرها بدينها دين السعادة فى الدنيا والآخرة ، حتى تعود الى مجدها القديم وعزها السابق فأنشىء الأزهر فى أرض الكنانة ليقوم بهذه المهمة فقام بدوره خير قيام ، وظل على مدى التاريخ البعيد يناضل ويقاوم المذاهب الهدامة ، والأفكار المستوردة ، والمبادىء الفاسدة ، والقضايا الشاذة التى تثار من آن لآخر من أعداء الدين بقصد التشكيك فيه وزعزعة الناس حتى يضلوا .

ولكن الأزهر وقف لهؤلاء المتربصين بالاسلام بالمرصاد وصار يجادلهم بالحجة ،

(١) محمد ٧ .

أثر الأزهر
فى خدمة المجتمع الإسلامى

فكشف ووضح ، وأزال كل شبهة تثار ، فبين للناس أصالة هذا الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان ، وأرشد الناس الى تصحيح مسارهم فى هذه الحياة ، ايمانا بالحق ، وبذلك أيقظ الشعور الدينى فى المسلمين ونبه الناس بمركزهم ومبدئهم وغايتهم فى هذه الحياة ليحملوا الى العالم جميعا ــ شرقا وغربا ــ الرسالة السامية وتأديتها على الوجه الأكمل ، ليكون لهم مركز القيادة ، والامامة للعالم الحائر الذى ضل أو كاد ، بعد أن أغوته زينة هذه الحياة .

هذه هى رسالة الأزهر التى قام يذكر ويرشد وينبه الحيران والشاك ، ويجادل الملحد والمنكر لرسالة محمد ــ عليه السلام ــ وقد عرف الناس ــ لا فى مصر فقط ، بل فى العالم ــ ما للأزهر من فضل ، وأنه الحصن والقلعة الدينية المتينة التى تقف سدا منيعا ، بل تهاجم وتناضل وترد كيد الكائدين ، واعتداء المعتدين . عرف الناس كل هذا للأزهر ، فوثقوا به وبتعليمه وعلمائه ، فبعثوا بأبنائهم لينهلوا من معينه ، حتى اذا ارتووا عادوا الى أوطانهم ينشرون ما تعلموه . ولا زال الأزهر يتقبل هؤلاء الطلاب الوافدين اليه من كل فج بصدر رحب ، فيكرم مثواهم من اقامة واعداد وتهيئة مكان ، لأن الأزهر ــ عندهم ــ كعبة ثابتة للعلوم الدينية والعربيه والثقافية ، وعلى مدى التاريخ البعيد هو مركز اشعاع روحى وثقافة عامة انتفع الناس بها ، وهيئوا النفوس لتقبلها لما عرفوا من علمائه الذين هم رمز للبحث العلمى والتفوق الثقافى الاسلامى ، فكانوا يشرحون ويفسرون من غير تعصب ولا تزمت ، بل كانوا يعرضون مبادىء الاسلام السمحة عرضا حسنا بأسلوب سهل ممتع تصغى اليه الأسماع وينفذ الى القلوب فتطمئن وكان كل غايتهم خدمة الاسلام والمسلمين .

والآن ــ والحمد لله ــ تجد نتاجهم منتشرين فى جميع الأقطار الاسلامية وغيرها وهم يعظون ويرشدون .. فتجدهم الآن فى آسيا ، وفى أوروبا ، وفى أمريكا .. وقد نجحوا فى جميع هذه البلاد حتى أسلم على أيديهم كثيرون ممن كانوا يجهلون حقيقة الاسلام ومبادئه ، وذلك كله على الرغم من التبشير المنتشر فى هذه البلاد خاصة أفريقيا ، ودعمه بالمال والعتاد وجميع الوسائل التى يحتاج اليها الفقير . ومع هذا لم يؤثر هذا الاغراء فى هذه النفوس التى دخلت فى الدين الاسلامى بواسطة علماء الأزهر ، لأن الايمان مادام قد خالطت بشاشته القلوب .. لا يمكن أن ينزع منها ، فهو كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

هذا .. ولو مكن للأزهر من الحكومات الاسلامية الغنية ما مكن للتبشير من الحكومات المسيحية لساد الاسلام ، وعم الكثير من هذه البلاد فيدخلون فى هذا الدين أفواجا كما دخله أسلافهم قبلهم .

هذا دور الأزهر من النواحى الدينية ونشرها فى البلاد . غير أن دوره لم يقتصر على هذه الناحية ، بل كان مع ذلك سهما مصوبا للغاصبين الذين يهيمون على البلاد الاسلامية

ليحتلوها ويأخذوا خيراتها ، فكان الأزهر فى مقدمة صفوف المحاربين .. فهناك فى الحروب الصليبية تقدم امام المسلمين (الشيخ العز ابن عبد السلام) ومعه كبار العلماء الصفوف، وكان لمركزهم وتقدمهم للحرب والجهاد الأثر الطيب لباقى المسلمين ، فتطوعوا بالمال ، وببذل الأرواح .. كما كان لتقدم هؤلاء العلماء اثر ارهاب وخشية لدى الأعداء ، فكان هؤلاء العلماء قوة روحية ومادية تحارب وتناضل ضد المعتدين على الدين والوطن والحرية التى كفلها الله لبنى الانسان .

ولو رجعنا الى تاريخ الثورات فى مصر ، نجد أنه ما من ثورة تثور ضد الغاصب الا وتنبع من الأزهر .. فكم ثار الأزهر ضد الصليبيين وضد المماليك الذين طال عهدهم بمصر ، فثار ضدهم فى مصر الامام (العز بن عبد السلام) ومعه الشعب يؤيده ، وحكم بأنهم لا يصلحون للحكم لأنهم أرقاء ، ثم باعهم فى الأسواق ووضع ثمنهم فى بيت المال ثم أعتقوا .

وقد حدثنا التاريخ — أيضا — عما كان من أمر (الشيخ على الصعيدى العدوى) — من كبار علماء الأزهر ، وشيخ رواق الصعايدة والسادة المالكية — وما وقع بينه وبين (على بك الكبير) حاكم مصر الذى استطاع أن يستقل بها وبالشام والحجاز واليمن عن الدولة العثمانية .. دولة الخلافة العثمانية ، فكان شأن هذا الشيخ أن يتوجه الى (على بك الكبير) كل يوم خميس ومعه قائمة بحوائج الناس ، وكان (على بك) مغرما بشرب العود «الشيشة» ولا يستطيع أن يشربها أمام الشيخ ، وكانت أبواب القصر تفتح للشيخ قبل وصوله .. فحدث مرة أن دخل الشيخ القصر فوجد الحاكم يشرب العود ، فلم يسلم الشيخ عليه ، بل نزل غاضبا ، ثم تنبه الحاكم فنزل مسرعا فلحق بالشيخ فاعتذر له بأنه كان مهموما من ثورات داخل مملكته الواسعة ، وصار يكرر اعتذاره ، والشيخ لم يرد عليه ، وأخيرا قال له الشيخ : أنت رقيق لا تصلح للحكم ، فكيف تشرب هذه فى حضرة عالم من علماء الأزهر ؟!! وهذا ان دل على شيء ، فانما يدل على مكانة الأزهر وعلمائه لدى الحكام ، فضلا عن الشعوب ، لأن الحكام كانوا يعتقدون أن وراء علماء الأزهر شعوبا تؤيدهم .

ثم ما كان من أمر الشيخ (أحمد محمد الدردير) شيخ الصعايدة ، فانه فضلا عن كونه عالما ومؤلفا وصوفيا .. كان ثائرا وسياسيا قديرا يقدره شعب مصر ، بل والشعوب الأخرى . فكان اذا علم أن حاكما من المماليك ظلم تاجرا ، أو قضى بحكم من هواه ... أمر أن يدق الطبل فوق الأزهر ليعلم الناس أن مظاهرة ستخرج من الأزهر ، فسرعان ما يستجيب الناس ، ويغلقون حوانيتهم ويأتون مهرولين الى الأزهر ، حتى اذا امتلأ بهم ، تقدم الجماهير الشيخ الدردير الى قصر الحاكم ، وعندما يرى هذا ويتحدث اليه الشيخ فيما حصل له ، وفى الحال يستجيب الى الشيخ ويرد ما فعله من غصب مال أو غيره.

والأمثلة على ذلك كثيرة ، وهى تدل على أن الأزهر لم يكن دار علم فقط ، بل كان — مع ذلك — دارا لاستماع أية شكوى ضد حاكم ظالم ، أو وال جائر ، فلا يجد الشعب الا

أثر الأزهر
في خدمة المجتمع الإسلامي

الأزهر ملاذاً وملجأ .

كما كان للأزهر دوره العظيم ضد الحملة الفرنسية على مصر بقيادة « نابليون » الذي استولى عليها ، وعلى الرغم من المنشورات التي أعلن فيها أنه يحب المسلمين ، وأنه جاء الى مصر لنصرة الاسلام ضد « الانجليز » فان الأزهر لم ينخدع بذلك ، بل علم أنه تمويه وتضليل ، فقام الأزهر ضده ، وحرض المصريين على مقاتلة الفرنسيين حتى منع الكثير من البلاد من دفع الضرائب ونهبوا السفن التي كانت تمتلىء بالذخائر والعتاد ، وقام أحد طلاب الأزهر بقتل قائده « كليبر » فثارت ثائرة « نابليون » ضد الأزهر ، فأمر بدخول الجيش الجامع فدخلوه بخيولهم وقبضوا على كثير من علمائه وطلابه ، غير أن كل ذلك لم يفت في عضد الأزهر ومقاومته ، بل زاد ذلك الحادث حماسة الأزهر والشعب من ورائه ، وسخط الجميع على « نابليون » ... واشتدت المقاومة وأخرجوا الجيش من الجامع الذي عملوه اسطبلا لخيولهم ، ولما علم « نابليون » أنه لا يتم له ملك مصر ما دام الأزهر موجودا فيها ، ولا يمكن القضاء عليه لأنه المصدر الوحيد للأمة الاسلامية في تبصيرها بدينها ، فهي تحرص على بقائه سندا للأمة الاسلامية ، وسدا منيعا لكل من يكيد للاسلام أو يعتدي على أوطانه ، خرج من مصر وبعده انجلى جيشه عن مصر .

وقد كان للشيخ (عبد الله الشرقاوي) شيخ الأزهر في ذلك الحين ، والعلماء والطلاب الدور القيادي في مقدمة صفوف المقاومة للجيش الفرنسي .

ثم ثار الأزهر بعد خروج « نابليون » ضد الوالي التركي ، وعلى حكام المماليك ، ورشحوا (محمد علي) واليا على مصر ، وألبسه العلماء « الكركه » ونادوا به واليا على مصر وكان في مقدمة العلماء الذين آزروه السيد (عمر مكرم) نقيب الأشراف .

ثم جاءت الثورة العرابية بقيادة (أحمد عرابي) — خريج الأزهر — وقاد ثورته ضد الانجليز ، و (توفيق باشا) حاكم مصر وكتب طلبا وقع عليه العلماء والشعب وذهب به الى عابدين ، وفي الطلب اقالة للخديو توفيق ، وجملة مطالب يكون لتحقيقها شأن لمصر في حريتها واستقلالها ، ولكن الخديوي — بايعاز من الانجليز — رفض هذه المطالب ، وأعلن أن هذا تمرد وعصيان من (عرابي) ومن معه من قادة الجيش ، واستمرت الثورة ، وعضد عرابي في ثورته علماء الأزهر والشعب ... غير أن الخيانة دبت فيمن كان من الجيش مع عرابي فانهزم ونفي ... وكان من نصيب علماء الأزهر السجن ، وتحديد الاقامة ، والنفي الى بعض البلاد الاسلامية ، ومنهم من مات في السجن .

ثم جاءت بعد ذلك ثورة ١٩١٩ م ضد الانجليز الذين عاثوا في الأرض فسادا ، وساعدوا حكام مصر على الظلم والفساد في الأرض ... وكان دور الأزهر فيها بارزا ،

ذ كان مركز التجمع للخطب الحماسية والمظاهرات ، وكان الشعب يفد اليه من كل حدب ، فيمتلىء الأزهر بهم ويجدون فيه متنفسا ، وكان منبر الأزهر لا يخلو ليلا ولا نهارا من خطبائه ، كما كانت تخرج منه هذه المظاهرات منادية بسقوط الانجليز والطغيان ، وتعطلت الدراسة فى الأزهر سنتين ، وقد حصلت مذبحة الأزهر التى سقط فيها مئات من الأزهريين الذين خرجوا فى مظاهرة كبيرة فتصدى لهم الانجليز ليرجعوا ، فلم يأبهوا لهم ، بل خرجوا من الأزهر رافعين الأعلام ، منادين بسقوط الانجليز ، فما كان من الجيش الانجليزى الا أن صب عليهم النيران ، ساحة لحسين وأمام الأزهر وفى شارع الأزهر .

هذه بعض من مواقف الأزهر ضد من يكيد للدين أو لوطن من أوطان المسلمين . كما لازال مشعلا لنشر العلم والثقافة فى جميع الأقطار ، فله الآن ما يربو عن خمسة آلاف مبعوث يعلمون وينشرون مبادىء الاسلام السمحة ، ويدعون الناس بالحكمة والموعظة الحسنة .

وبعد ... فهذا دور الأزهر فى خدمة المجتمع الاسلامى وتلكم هى آثاره ، فلتتجه بدعوته ودعاته بالخلاص الى البلاد الحائرة التى يغزوها التبشير المسيحى بكل امكانياته الى الشباب الذى استسلم الى المبادىء لهدامة وفهم الاسلام فهما خاطئا ، والى الدول التى ملكته الوسائل والصناعات ... تدعوها الى الدين الاسلامى ، وهى أقرب لناس الى تقبل دعوته اذا عرضت بأسلوب سهل لا تزمت فيه ولا تعصب ... والى الدول الاسلامية التى افاض الله عليها بخيراته أن تبذل المزيد من هذه الخيرات لتدعيم الدعوة الاسلامية حفاظا على فقراء بعض المسلمين الذين لا يجدون مأوى ولا مطعما ، فيأتيهم المبشرون بما يكفل حاجتهم ... والأزهر عنده الرجال المستعدون والمؤهلون لمقاومة التبشير .

ومع هذه الامكانيات للمبشرين لم يستطيعوا أن ينصروا مسلما تمكن الاسلام من قلبه ، وبالعكس نجد الكثيرين من الأمريكيين وغيرهم يلجأون الى المراكز الاسلامية فى امريكا وغيرها يعلنون اسلامهم . وهذا فضل من الله ومنة نسأله تعالى الهداية والتوفيق ، كما نسأله ــ سبحانه ــ أن يوفق اولى الثراء بأن يقرضوا الله قرضا حسنا ببذلهم المال لهؤلاء الفقراء حفظا لدينهم من اغواء المبشرين .

صالح موسى شرف



الأزهر والتحديات (١) أمام اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الله وبحمده ، واصلى واسلم على نبى الهدى والرحمة ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن والاه الى يوم الدين .

وبعد :

فهذا مقال — أو مشروع بحث — قصدت به التنبيه الى طائفة من المسائل التى تتحدى اللغة العربية ، عسى أن تكون منطلقا للبحث — فى الأزهر الشريف — عن وسائل ترقية اللغة العربية والانتصار لها ، انتصارا للقرآن المجيد ، الذى نزله الله على رسوله بلسان عربى مبين .

وهى تحديات قائمة ، انحدرت مع مسيرة الزمن ، حتى تخطت حواجز الاصلاح ، ويخشى — ان لم تكبح شرتها — أن يستفحل خطرها ويستعصى علاجها ، ولات ساعة مندم .

والأزهر فى يقظته الراهنة كفيل — بهيئاته ومؤسساته العلمية والتعليمية — أن يصطنع الوسائل ، التى ترد الى اللغة العربية أصالتها وسلامتها ، وتكشف ماران عليها من زبد الأغيار والأخطار .

(*) القى البحث بالمؤتمر يوم الاربعاء ٨ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ — ١٩٨٣/٣/٢٢ .

وفى مقدمة هذه التحديات :

١ — واجبنا نحو حفظ القرآن الكريم .

٢ — حركة الوحدة الاسلامية .

٣ — ضراوة لهجات التخاطب .

٤ — الاستعمار اللغوى والثقافى .

٥ — محذورات التخصص .

٦ — اجهزة الاعلام .

٧ — فقد الاتصال بين الأجهزة العاملة على ترقية العربية .

٨ — مشكلات الضبط والاعراب .

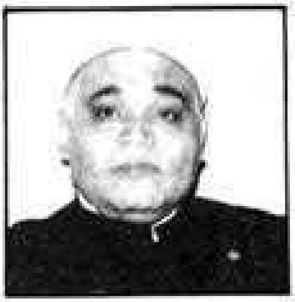
١ — واجبنا نحو حفظ القرآن الكريم :

نزل القرآن الكريم بلغة العرب ، وتحداهم القرآن **ان يأتوا بمثله (١) وأن يأتوا بعشر سور مثله (٢)** ، وأن يأتوا بسورة من مثله (٣) وتكفل الله بحفظ القرآن : **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٤)** وحاجتنا الى القرآن وفقهه ومعرفة أحكامه تقتضى فقه اللغة العربية واستكناه خصائصها ودقائقها ، والا وقفنا من القرآن على شفا جرف هار ، يوشك أن ينهار ، فتنهار معه شخصيتنا المسلمة ، ويذهب بددا انتماؤنا الى الاسلام ، ونحن ما نزال حراصا

(١) الاسراء ٨٨ .
(٢) هود ١٣ .
(٣) البقرة ٢٣ ويونس ٣٨ .
(٤) الحجر ٩ .

للأستاذ الدكتور

محمد السعدى فرهود



عضو مجمع البحوث ووكيل الأزهر .

على هذا الانتماء وحرصا على استمرار شخصيتنا المسلمة .

وقد آن الأوان أن نتحدى بلغتنا العربية ، التى نزل بها أشرف كتاب من عند الله ، لنؤدى بهذا واجبنا فى حفظ القرآن ، بحفظ اللغة العربية .

هل نحن الآن بحاجة الى أن نقرر فى الأذهان من جديد أن القرآن هو كتاب العربية ؟ أو نؤكد أنه هو المصدر الاول للشريعة ؟ أو ننبه الى أنه لا استبصار بأحكام بدون علم العربية ؟ ولا قدرة على تفسيره بدون علم العربية ؟ . ما أظن ذلك ولا أزعمه ، وانما هو بلاء النسيان وشراسة الحياة الدنيا ، وأحابيل الذين أضلونا سواء السبيل دبت الى نفوسنا هذه العوامل خَشْوًا ، فلم ندرك أخطارها الا بعد حين .

ولقد كان الأزهر — على مدى ألف عام ، والى أن يرث الله الارض وما عليها — حصن القرآن ، والحارس الأمين على حفظه ، لم يتخل عن وظيفته هذه ، ولايستطيع أن يتخلى عنها ، ولا أن يدرأ عن نفسه تهمة ارخاء الحبل حينا من الزمان .

وكان حفظ القرآن — وما يزال — معينا على سلامة الأسلوب وفصاحة المنطق وصحة الأداء ونعلم أن كثيرا ممن حفظوا القرآن فى الكتاتيب ولم يواصلوا الدراسة فى الأزهر أو غيره استقامت ألسنتهم ونبغوا فى الأداء باللغة العربية نبوغا عظيما ، لأنهم وجدوا أسلوب القرآن أمامهم فحاكوه — وكذلك يجب أن نحاكيه .

واذا كان الكتاب قد عرف منذ الصدر الأول فى الاسلام ، وكان الكتاب الى عهد قريب ملء السمع والبصر فى مدائننا وقرانا ، وفى النجوع والكفور ، وفى المساجد والزوايا ، فما أحرى الأزهر أن ينشط ليعيد الاهتمام بشأن الكتاب ، لتعود اليه الحياة .

وليس استظهار القرآن مجرد استظهار هو الهدف وحده ، وانما يجب أن يكون خطوة فى طريق الحفظ الذى أراده الله من عباده بقوله سبحانه : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) . وعلم اللغة العربية هو المعوان الأصيل على استظهاره ، والوقوف على أسراره .

وهذا ابن خلدون — مؤسس علم الاجتماع — يرى أنه لابد من معرفة العربية والعلوم المتعلقة بها لمن أراد علم الشريعة ، فان مأخذ الأحكام الشرعية من القرآن والسنة لا يكون الا بلغة العرب ، وكذلك عرف السابقون ، ولنا فيهم الأسوة الحسنة .

الأزهر والتحديات أمام اللغة العربية

٢ ـ حركة الوحدة الاسلامية :

سجل التاريخ أن اللغة العربية انتشرت مع انتشار الاسلام فى أصقاع الارض ، حيث صارت اللغة العربية لغة العبادة ولغة الشريعة ـ فضلا عن أن تكون لغة الحكام والولاة ـ وهجرت شعوب العالم الاسلامى باختيارها لغاتها الأصلية أو جعلتها فى المرتبة التالية للغة العربية ، فصارت العربية هى لغة الحضارة فى جميع الأمصار والأقطار ، وسرعان ما كانت لعلماء هذه الأقطار والأمصار التصانيف والتآليف فى مختلف العلوم والفنون ، وهى تصانيف وتآليف أصيلة ، أصلت للفكر الاسلامى باللغة العربية ، مما تباهى به أمم الأرض التى لم تشرق عليها شمس الاسلام كما أشرقت علينا ، وكان هذا لسان صدق ناطقا عن وحدة الأمة الاسلامية ، ولم تكن وحدة كلمة فحسب ، بل كانت تعبيرا عن الضمير الاسلامى الواحد ، ووجدانه الواحد .

وما أحوجنا اليوم الى العودة لهذه الوحدة، فى مواجهة النظرة القومية الضيقة التى ترصد مقومات الجنس والمكان ، وهى مقومات تتآكل وتتخاذل أمام العقيدة الواحدة واللغة الواحدة .

ومن فضل الله علينا أن تكون لغتنا العربية ارتباطا عضويا بعقيدتنا الربانية .

وعلى الأزهر ـ وهو ينشر كلمة الله فى الأرض ـ أن يفسح للغة العربية مكانها ، ويصدرها الى مختلف الأصقاع ، لتستعيد مكانتها المقدسة التى كانت لها فى دولة الاسلام الموحدة ، فان الأمة التى تجتمع على القرآن يجب أن تجتمع على العربية ، تلك الأداة اللسانية لفقه القرآن الكريم وحفظه .

وليس عسيرا أن تعيش اللغة العربية ـ جنبا الى جنب ـ مع اللغات الأخرى ، اذ طالما عاشت معها وعايشتها من قبل ، دون أن تزيحها أو تزحمها ، فهل يعيد التاريخ نفسه ؟ نرجو ونأمل ، وما ذلك على الله بعزيز .

٣ ـ ضراوة لهجات التخاطب :

فى كثير من الأقطار العربية تجد العربية الفصحى مزاحمة من لغة التخاطب ولهجاتها ، حتى تبدو هذه اللهجات غريبة عن العربية . ولسنا نتعرض لأسباب هذه الظاهرة ، وللعوامل التى أسهمت فى نشأتها وتكوينها ، بقدر مانتعرض للتنبيه الى ضرورة العمل على ملافاة هذه الظاهرة وملاشاتها ، ويكون ذلك بالدراسة العلمية لألفاظ اللهجات المحلية وتراكيبها ، والعمل على استبقاء مايمت منها الى الفصحى، والتحتيم على الدخيل والغريب الذى لايمكن تطويعه واستبقاؤه ، وفى هذا يكون لكل من المؤسسات التعليمية والعلمية والاعلامية دور فى تشخيص وعلاج هذه الظاهرة ، بهدف التمكين للغة الفصحى وسيادتها بالتدريج .

وعلى أقسام أصول اللغة العربية ومعامل اللغات أن تأخذ بزمام المبادرة ، وعلى كل القادرين على النطق بالفصحى أن ينطقوا بها ، لتنتقل منهم الى من عداهم بالمحاكاة .

ولسنا نريد التقعر فى الكلام ، وانما نريد اللغة السليمة الهينة اللينة ، وهى موجودة .

٤ ـ الاستعمار اللغوى والثقافى :

مهما اختلفت أساليب الاستعمار وطرائقه فى المد الاستعمارى وبسط النفوذ ، فانه يكون حريصا على التمكين للغته وثقافته فى كل قطر يبتلى باستعماره ، حتى يضمن جيلا أو أكثر من جيل يتعامل معه . والشواهد دالة على أن المستعمر يبدأ بزرع لغته وثقافته فى دور العلم ومؤسساته ، ويستقطب نفرا لتأهيلهم فى عاصمته الاستعمارية . وسرعان ماتشيع اللغة الاستعمارية وتدب ثقافتها مزاحمة اللغة القارة والثقافة القارة ، أو طاردة لهما . وتلتوى الألسنة باللغة الغازية ، وتتشدق بالثقافة الغازية .

وقد ابتليت الأقطار العربية بالاستعمار الغربى ، حتى نشأت طوائف من ابنائنا (المستغربين) اصطنعوا اللغة التى تلوكها السنتهم وسيطرت عليهم ثقافتهم الغربية ـ الغربية ـ فعطوا على التأصيل لهما ، ومد سيطرتها على المؤسسات الثقافية والعلمية .

وما أظن انشاء المعاهد العليا والجامعة فى مصر الا كان لتمهيد الأرض لهذا الحرث الاستعمارى .

وقيل فيما قيل : ان علم الطب والهندسة والرياضيات والكيمياء والفيزياء وغيرها يجب أن نلقنه عن الغرب لأنه صاحبه وغفلوا ـ عامدين أو ناسين ـ أن للعرب فيها تصانيف وتآليف كثيرة بالعربية ، وأنها كانت يقينا من علوم الأزهر الى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى (أواخر القرن الثامن عشر الميلادى) وربما بعده ، فقد عرفنا مصنفات الشيخ حسن العطار المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ ـ الى جانب رسائله فى الفقه وأصول الفقه والعقيدة والمنطق ـ رسائل فى الطب والتشريح والجراحة وكيفية العمل بالاصطرلاب .

وهذه مسرودة شيخ الأزهر الشيخ أحمد عبدالمنعم الدمنهورى المتوفى سنة ١١٩٢ هـ/ ١٧٧٨ م يسرد فيها ماتلقاه بالاضافة الى علوم الشريعة وآلاتها ـ أى علوم العربية ـ فيقول: (أخذت عن استاذنا الشيخ على الزعترى ـ خاتم العارفين بعلم الحساب ، واستخراج المجهولات وربما توقف عليها كالفرائض والميقات ـ وسيلة ابن الهائم ومعونته فى الحساب ، والمقنع لابن الهائم ، ومنظومة الياسمينى فى الجبر والمقابلة ، ودقائق الحقائق فى حساب الدرج ، والدقائق لسبط المارديني فى علم حساب الأزياج . ورسالتين احداهما على المقنطرات والأخرى على ربع المجيب للشيخ عبد الله المارديني جد السبط ، والمنحرفات لسبط المارديني فى علم وضع المزاول ، وبعض اللمعة فى التقويم ، وأخذت عن سيدى أحمد القراق الحكيم بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب الموجز واللمحة العفيفة فى أسباب الأمراض وعلاماتها ، وبعضا من قانون ابن سينا ، وبعضا من كامل الصناعة ، وبعضا من منظومة ابن سينا الكبرى ، والجميع فى الطب ، وقرأت على أستاذنا الشيخ عبد الفتاح الدمياطى كتاب لقط الجواهر فى معرفة الحدود والدوائر للسبط المارديني فى الهيئة السماوية ، ورسالة قسطا ابن لوقا فى العمل بالكرة وكيفية أخذ الوقت منها والدرر لابن المجدى فى علم الزيج ، وقرأت على أستاذنا الشيخ سلامة الفيومى أشكال التأسيس فى الهندسة ، وبعضا من الجغمينى فى

الأزهر والتحديات أمام اللغة العربية

علم الهيئة ، وبعضا من رفع الاشكال عن مساحة الأشكال فى علم المساحة وقرأت على شيخنا الشيخ عبد الجواد المرحومى جملة كتب، منها رسالة فى علم الارتماطيقى للشيخ سلطان المزاحى ، وقرأت على الشيخ محمد الشهير بالسحيمى ، منظومة الحكيم « درمقانس » المشتملة على علم التكسير ، وعلم الأوفاق ، وعلم الاستطاقات ، وعلم التكعيب ورسالة أخرى فى رسم ربع المقنطرات والمنحرفات لسبط المارديني وعلم المزاول ومنظومة فى علم الأعمال الرصدية ، وروضة العلوم وبهجة المنطوق والمفهوم لمحمد بن صاعد الأنصارى ، وهى كتاب يشتمل على سبعة وسبعين علما أولها علم الحرف وآخرها علم الطلاسم ، ورسالة للاسرائيلى ، ورسالة للسيد الطحان « كلاهما فى علم الطالع » ، ورسالة للخازن فى علم المواليد ، أعنى الممالك الطبيعية وهى الحيوانات والنباتات والمعادن ، وأخذت عن شيخنا الشيخ حسام الدين الهندى شرح الهداية فى علم الحكمة ، ومتن الجغمينى فى علم الهيئة ، وأخذت عن سيدى أحمد الشرقى شيخ المغاربة بالجامع الأزهر ـ كتاب اللمعة فى تقويم الكواكب السبعة) .

ومن يطلع على مصنفات الشيخ الدمنهورى ـ وهى تزيد على الأربعين رسالة ـ يقرأ له فى الفقه ، والتوحيد ، وقراءات القرآن ، والتفسير ، ومصطلح الحديث ، والبلاغة ، وعلم الوضع ، والسياسة ، والأخلاق ، ونظم الحكم، والتصوف ، والمنطق ، ويقرأ له فى الحساب والهندسة ، والمثلثات والمربعات ، والكيمياء ، والجيولوجيا ، والزيرجة ، والفلك ، والتشريح وعلاج البواسير ، ولسع العقرب ، وعلل الأمراض .

هذا كله باللغة العربية ، وقد صارت هذه العلوم فى جامعاتنا ـ ومنها جامعة الأزهر ـ تدرس باللغة الانجليزية ، وماكان يجب أن تكون كذلك . وقد تزايدت الصيحات لتعريب هذه العلوم ، ولكن الذين قرءوها فى لغاتها الأجنبية لا يريدون ولا يودون تعريبها بحجة أو بأخرى، مرفوضة وغير مقبولة .

ونتساءل : هل تدرس المملكة المتحدة هذه العلوم بغير الانجليزية ؟ هل تدرسها فرنسا بغير الفرنسية ؟ وهل تدرسها ألمانيا بغير الألمانية ؟ وهل تدرسها ايطاليا بغير الايطالية ؟ وهل تدرسها أسبانيا بغير الأسبانية ؟ وهل .. وهل .. الخ .

اذن لماذا ندرسها فى قلب العروبة بغير العربية ؟ وان ترخصنا فى تدريسها فى غير الأزهر ـ وهو ترخص قرضى ـ فما ينبغى أن تمسخ العربية هذا المسخ فى الأزهر ، واعتقادى أن لدينا أساتذة قديرين على تعريب هذه العلوم وصبغها بالصبغة العلمية العربية عودا على بدء وتصحيحا لخطأ أتمنى أن لم يكن مقصودا .

٥ ـ محذورات التخصص :

لاننكر ما للتخصص من جدوى وفائدة ، ولكنه فى تقديرنا يجب أن يظل فى اطار

الدراسات العليا ، أما فى المرحلـــة الأولى الجامعية فليس له وجه حتمى فى علوم العربية، بل ليس له وجه ضرورة فى الفصل بين علــوم الشريعة وعلوم آلاتها وهى العربية .

ان الأصل فى اعداد العالم الأزهرى أنــه عالم فى شئون الدين : يشرح أحكام الشريعة ويفتى فيها ، ويؤم الناس فى صـلـواتهم ، ويبصرهم بصحيح عبـاداتهم ، ويخطبهم فى الجمع والأعياد ، ويفسر لهم القرآن ، وحديث الرسول ، ويعلمهم العربية . وكان خريــج الأزهر ، بل الطالب فى معاهده مهيأ ــ بتكوينه العلمى ــ لهذا كله ؛ قناعة بأنها علوم مستطرقة ينفتح بعض منها على بعض ، ولاتكاد تفــرق ــ بل لاتفرق أصلا ــ بين خريج فى أصــول الدين ، وآخر فى الشريعة ، وآخر فى اللغـة العربية .

وعبر الأزهريون زمانا على هذا ، حتى جاء وقت غير بعيد ، فاختفى علم أصول الفقه وعلم الوضع ــ وكلاهما علم أصيل فى الشريعـــة والعربية ــ من كلية اللغة العربية ، وتبددت بلاغة عبد القاهر من أروقة كلية الشريعـــة والقانون ، وشطبت اللغة العربية من جداول كلية أصول الدين . وحتى سمعنا واحدا مــن أبناء كلية اللغة العربية يقول : أنا من الشعبة اللغوية ، فاسألنى عن الاعراب ولا تسألنى عن معنى البيت من الشعر أو نقده ، ويقول ثان : أنا من الشعبة الأدبية أشرح لك نصا ولا أعربه وأنقده ولا أذكر مادته اللغوية . ويقول ثالث أنا من الشعبة التاريخية أو الفلسفية لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء .

ان هؤلاء الخريجين جميعا ــ فى كلياتهـم وفى شعبهم ــ معرضون للاشتغال بالتدريس وبالدعـــوة وبالفتيا للناس وبالفصـــل فى خصوماتهم ، فلا أقل من أن يكونوا مسلحين بمتطلبات هذه الأعمال ، وهى تستدعى قـدرا متكافئا من علوم الشريعة والأصول والعربية ، بالاضافة الى قسط من علوم التخصص يتم به التمـايز .

ويتصل بما نحن بصدده أن العلوم اللسانية لم تعد تخضع لنظرية العلم للعلم ، بل أضحت مسخرة لخدمة المجتمعات ، فاذا تقرر هــذا وجب البحث عن وسائط التطبيق والتـدريب داخل المؤسـسة التعليمية بالقراءة والخطابـة والمناقشة والحوار ، وغيرها من وسائل التدريب وهى أمور مفتقدة الآن فى ظل الاكتفاء بالعلم النظرى ، وسياسة الأعداد الكبيرة ؛ ممــا لايسمح الا بمعطيات محـــدودة ، ويتوقف قياسها عند حد القدرة على الاســـتظهار والتحصيل ، ثم يتعرض الخريج للممارســـة دون خبرة سالفة ، ويرتبط نجاحه بمـــدى استعداده للتكيف ، وتحويل العلم النظرى الى عطـاء .

٦ ــ أجهزة الاعلام :

انتزعت أجهزة الاعلام ــ مع تفاوت بينها ــ جمهرة القارئين للكتاب واستولت عليهم . فولوا آذانهم وأعينهم شطر المذياع المسموع والمرئى ، ولا نغـــالى اذا أكدنا أن جملتـهم اكتفوا بهما ــ أو بأحدهما ــ عن قراءة الكتاب وانضموا الى قائمة الجماهير غير القارئة .

وازاء الانبهار الذى فرضه المذياع وخاصة المذياع المرئى ، تجد الكلمة الصادرة عن أجهزة

الأزهر والتحديات
أمام اللغة العربية

الاعلام طريقها بيسر وسهولة للاستقرار في الأذهان ، ولتكون رصيد معرفة وثقافة ، ينفق منه صاحب الرصيد كما وجده ، سليما كان أو ملحونا .

ويكمن الخطر في استعمال اللغة العليلة عوق استخدام ألفاظ الشارع وتراكيب العوام ، وفي اللحن بالقول والخطأ في الاعراب .

والعلاج ميسور لمن أراد .

ومن العلاج متابعة البرامج المذاعة سماعا ومشاهدة ، ليتنبه على الأخطاء للاشاتها قبل أن تستفحل ، فهل يبتدر الأزهر هذه المتابعة ؟

٧ ــ فقد الاتصال بين الأجهزة العاملة على ترقية اللغة العربية :

واقع الحال أن الاتصال بين الأجهزة العاملة على ترقية اللغة العربية ضعيف ، بل مقطوع . وأعنى بهذه الأجهزة مجمع اللغة العربية والأزهر ممثلا في مجمع البحوث الاسلامية ، وكليات اللغة العربية ودار العلوم .

ولقد أنشىء مجمع اللغة العربية للحفاظ على سلامة اللغة العربية ، والعمل على وفائها بمتطلبات العلوم والفنون من الألفاظ والمصطلحات ، وتحديد ما يثبت بالفحص والبحث وجه استعماله أو تجنبه . وأسهمت مدرسة دار العلوم التى انشئت عام ١٨٧١ م في تأصيل العربية وتحديثها ، وكانت الى عهد غير بعيد ردءا لكلية اللغة العربية في التوفر على دروس العربية والتأليف فيها وتحسين طرق الأداء بها والانشاء بها شعرا ونثرا . وكان الالتحاق بكليتيهما مقصورا على أبناء الأزهر ، ورهنا بالتفوق في امتحان قبول يفرز الأشداء الصالحين منهم لدرس العربية . ثم كان ما كان مما فرضته مكاتب التنسيق باعتماد المجموع الكلى ، مع قيام الرغبة عن مهنة التدريس بعامة ، وتدريس اللغة العربية بخاصة ثم كان ما كان من فتح الباب للطلبة والطالبات الذين اختاروا الشعبة العلمية في المرحلة الثانوية بالمدارس والمعاهد .

والرأى : أنه يجب العمل على اقامة جسور اتصال بين هذه المؤسسات ، للتعاون في ترقية اللغة العربية ، وتجلية ألفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم والفنون ، وتحسين طرائق الأداء .

٨ ــ مشكلات الضبط والاعراب :

الكلام في الضبط والاعراب مستفيض قديما وحديثا . والى أن تتحول اللغة الى ملكة على ألسنة الناطقين بها يجب التصدى لضبط الألفاظ ولاعرابها في تراكيبها بأسلوب متدرج ، بغية التخلص من سقطات العوام ، وسكتات المستبرئين .

والوسائل كثيرة ، منها :

- **ضبط آى القرآن وحديث الرسول .**
- **ضبط النصوص الأدبية .**
- **ضبط اللفظ الذى يقرأ بأكثر من وجه .**
- **ضبط الفعل المبنى للمفعول .**
- **ضبط النشرات الاخبارية .**
- **ضبط كل ما يكتب للأطفال وبعض ما يكتب للأيفاع .**
- **العناية بتصحيح الدوريات واختيار المصححين .**

العودة الى القراءة الجهرية في المؤسسات التعليمية وتقرير الامتحانات الشفوية فيها .

عالمية رسالة الأزهر



بالاستاذ الدكتور
الحسيني عبد المجيد هاشم
أمين عام مجمع البحوث الاسلامية

ان رسالة الأزهر الشريف عالمية : فمنذ الف عام وهو يحمل أمانة نشر نور رسالة الاسلام : قرآنا ، وسنة .. ومما لا شك فيه أن رسالة الاسلام عالمية .

قال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا (٢) » وقال تعالى : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » (٣) .

ورسول الاسلام بعثه الله رحمة للناس جميعا ، وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (٤) .

والأزهر الشريف اختار الله له منذ أكثر من ألف عام أن يكون محافظا ، ومرتلا ، ومفسرا وناشرا لنور كتاب الله في أرجاء المعمورة ، واختار الله له أن يكون حافظا ، ومبلغا ، وشارحا ، ومنضرا وجوه وقلوب المسلمين شرقا وغربا بسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومعلما لكل علم يساعد على فهم القرآن والسنة ، فمن الطبيعي أن يكون عالميا

---

(١) ألقى البحث بالمؤتمر يوم الاربعاء ٨ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ٢٣/٣/١٩٨٣ .
(٢) سورة سبأ بعض من الآية ٢٨ .
(٣) سورة الأعراف بعض من الآية ١٥٨ .
(٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

عــالميــة
رسالة الأزهــر

حسب رسالته الخالدة العالمية رسالة الاسلام .

من أجل ذلك منذ بنائه ، وقد فتح رحابه الواسع وصدره الفسيح وقلبه الكبير ، ليستقبل طلاب مصر والعالم الاسلامى من شتى أرجاء الدنيا ، وجدرانه ، ومآذنه ، ومحرابه ، ومنبره وأروقته ، وأعمـدته ، وأفنيته ، وهـواءه ، وأرضـه ، وسـماؤه ، وكتبه ، وعلمـاؤه تردد بلسان الحال والمقال قول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « مرحبا بطالب العلم ان طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها » (١).

وتنزلت الملائكة ، والسـكينة والرحمـة فى رحاب الأزهر : بيت الله العريق ، مصداقا لقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسـلم ــ : « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمـة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومـن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » (٢) .

بنيت أروقة الأزهر الشريف حوله لتستقبل طلاب العالم الاسـلامى عامة مثـل : رواق الأتراك ، ورواق الحجاز . ورواق الشوام ، ورواق الهند ، ورواق أفغانسـتان ، ورواق المغاربة .... وتلاقى فى رحاب الأزهر ، وحول علمائه ، وأعمدته أجناس المسلمين لا فرق بين أحمر وأبيض . **يجمعهم رَحِمُ العلم وأخـوة الاسلام** لإعلاء شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمداً رسول الله . واستمرت الأروقة مظهرا عمليا يخرج العلماء الذين ينقلون علم رسـالة الاسلام : نورا وضياء الى آفاق بلاد العالم الاسـلامى ، ويحدثون نهضـات اسلامية فى أقطارهم ، ويلتف الناس حول ساحتهم ويؤمون القوم ، ويعلمونهم ويفتون لهم ، ويخرجـون أجيالا يهدون الى الصراط المستقيم ، وهـم موضـع التقدير والاجـلال والثقة ، لأنهم تخرجوا فى الأزهر المعمور الشريف ، وشربوا من نبعه الصـافى . وبنيت معاهد التعليـم الدينى ، وانتشرت فى السـودان ، والسعودية، والهند ، ولبنان ، وأفغانسـتان ، وباكسـتان ، وسـوريا ، والمغـرب ، وتونس ، وليبيـا ، وأندونيسيا ، وبلاد العالم الاسلامى أجمع.

ومن علماء هذه البلاد من فتح دور العـلم على غرار الأزهر ، ومنهجه ، وخطته ، والبعض فتح دور العلم عـلى غرار الأزهر ، وخطته ومنهجه ، وسماه بالأزهر كما هو فى لبنـان : « أزهر لبنان » ، وكما رأيت فى الهند « أزهر الهند » وذلك حبا ، واجلالا للأزهر ورسـالته العالمية التى شرف الله بهـا مصر وان كانت لا تختص بأكثر مما يختص به العالم أجمع ، لأن وطنَ الاسلامِ والأزهرِ الذى يبلغ رسالته كُلُّ أرْضٍ يوجد فيها من يقول : « الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

واستمرت الأروقة مصدر اشعاع ونور فى الدنيا تخرج علماء الأزهر ، ثم تدفق الطلاب على الأزهر الشريف المعمور لما رأوا من أثره ، ومكانة علمائه ، ونفعهم فى بلادهم ، فضاقت

---

(١) الحديث رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد .

(٢) رواه مسلم .

الأروقة بكثرة الطلاب فأنشأ الأزهر مدينة « البعوث الاسلامية » مكونة من عدة عمارات، تضم بحمد الله طلاب أكثر من سبعين دولة ، ولا تفرق بين قارات الدنيا : آسيا ، وأوربا وأفريقيا والأمريكتين واستراليا ، لأن رسالته عالمية نابعة من عالمية رسالته : الاسلام .

وعن طريق هؤلاء الطلاب الوافدين كان « للأزهر دور كبير في خدمة المكتبة الاسلامية بغير اللسان العربي ، فان طلابه من مختلف الجنسيات يعودون الى بلادهم ، وينشرون الثقافة الاسلامية في ربوعها بألسنتهم ولغاتهم ويمرون في ذلك بمرحلتين ، مرحلة الترجمة ومرحلة التأليف ، وهم في كلتا المرحلتين يعتمدون اعتمادا عظيما على التراث الضخم الذي عرفوه في اللغة العربية ، فقد شاهد أحد الباحثين في احدى البلاد الاسلامية غير العربية . حادثا يبين مدى هذا الانتفاع ، ففي احدى الجلسات كان يدور الحديث حول كتاب صدر حديثا لكاتب لامع ، فقال أحد الجالسين ممن يجيدون اللغة العربية انه قد اطلع على أغلب مباحث هذا الكتاب فيما نشرته المجلات العربية العلمية ، وأجاب مؤلف الكتاب يعترف بأن كتابه يعتمد اعتمادا كليا على مثل هذه الأبحاث ويقرر أنه بدون اللغة العربية ما كان يستطيع أن يحفظ شيئا ذا غناء .

ومن الواضح أن الفكر الاسلامي في اللغة العربية سباق وهو لهذا مرجع كل الباحثين في هذه الدراسات ، وليس هذا مقصورا على أندونيسيا والباكستان ومالي مثلا . بل ان المستشرقين من ألمان وفرنسيين وانجليز لابد لهم من معرفة اللغة العربية التي نجدها أساسا في أبحاثهم ودراساتهم ، مما جعل لانتاج الأزهر صدى عظيما في مختلف اللغات والمكتبات .

كما أن كثيرا من الكتب العربية في الدراسات الاسلامية التي يصدرها جماعة ليسوا أزهريين تعتمد في أكثر مباحثها على مؤلفات أزهرية ، ويمكننا في هذا المجال أن نعدد مئات المراجع العربية وغير العربية التي ما كانت لترى النور لولا كتب الأزهريين وأبحاثهم » (١) .

ولم يقف طموح الأزهر بأن يعد علماء العالم لينشروا في بلادهم ، وأوطانهم نور الاسلام ، ويعلموا أبناءهم وينشئوا معاهدهم ، ولكنه رأى أن يؤكد الأخوة وينقل الأزهر بعلمائه ليشرق في معاهد وجامعات العالم الاسلامي ، ويفقه ويعلم كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وليشرف على تنفيذ المنهج والخطة فأرسل علماءه يؤسسون جامعات اسلامية ، ومعاهد دينية ويغذون دور العلم عامة بالزاد الاسلامي ، فطاروا في سماوات الدنيا ، وحلقوا في أجوائها ليعطروها بنور العلم وطهره ، ونقائه ، ونقلوا كتب الأزهر ومناهجه في : التفسير ، والحديث والفقه ، واللغة العربية ، والأدب ، والعقيدة ، والدعوة ، الى آفاق الجامعات الاسلامية .

ولهذه المكانة قال أمير الشعراء أحمد شوقي في الأزهر وعلمائه : ــ

واذكره بعد المسجدين معظما
لمساجد الله الثلاثة مكبرا

---

(١) الأزهر وأثره في النهضة الادبية الحديثة للدكتور محمد كامل الفقي ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

عالمية رسالة الأزهر

واخشع مليا واقض حق ائمة
طلعوا به زهرا وماجو ابحرا
كانوا اجل من الملوك جلالة
واعز سلطانا وافخم مظهرا
من كل بحر في الشريعة زاخر
ويريكه الخلق العظيم غضنفرا
الى أن يقول : —
حتى ظننا الشافعى ومالكا
وأبا حنيفة وابن حنبل حضرا
ان الذى جعل العتيق مثابة
جعل الكنانى المبارك كوثرا
العلم فيه مناهلا ومجانيا
ياتى له النزاع يبغون القرى
يافتية المعمور سار حديثكم
نَدًّا بافواه الركاب وعنبرا
المعهد القدسى كان نديه
قطبا لدائرة البلاد ومحورا

وأقر العالم أجمع بفضل الأزهر ، وأطلق على الأزهر المعمور ما يشعر بقداسته في نفوس المسلمين جميعا .

فالأزهر هو أساس النهضة التى أشعت بنورها على العالم الاسلامى . « فلما استقر أمر مصر لمحمد على أراد أن يوطد أركانه ، ويثبت دعائمه بجيش قوى ، يدعم الأمن ويمد المغير، واستلزم ، ذلك انشاء مدرسة تخرج الأطباء الذين يأسون الجرحى ، ويردون الأوبئة اذا هبت ريحها فأنشأ مدرسة الطب في سنة ١٢٤٢ هـ ، ١٨٢٦ م بجهة أبى زعبل .

ثم نقلت الى قصر العينى سنة ١٨٣٨ م — فاستقدم لها أساتذة من الغرب ، وأسند رئاستها الى الطبيب « كلوت بك الفرنسى » الذى كان قد استوفده لجيشه ، وعلى رغم أن هذه المدرسة قامت على تلاميذ من المصريين وغيرهم ، فان الأزهريين كانوا أغلب تلامذتها، اذ جلبت لها مائة تلميذ من طلبة الأزهر ودرس لهم معلمون جلبهم لها من بلاد الافرنج » (١) .

ويقول كلوت بك في تقريره « فقد اختير هؤلاء التلاميذ من بين الطلاب المترددين على الأزهر والمساجد الأخرى » وكان كثير من الناس يرى أن التشريح لا يتفق مع الدين الاسلامى الذى يرعى حرمة الموتى ، وبالغ بعض الكتاب فزعم أن الحكومة نأت بمدرسة الطب الى « أبى زعبل » لابعادها عن أنظار المسلمين الذين يبغضون تشريح الموتى .

ولكن الأزهر لم يقف في سبيل العلم ، فأباح وسائله ، اذ استعان كلوت بك مدير المدرسة بعلمائه ودعاهم الى المدرسة ، فلبوا دعوته وخطبوا بها .

ولا يذهب عن مؤرخ الأدب في العصر الحديث أن يضيف أكبر الفضل في انبعاث اللغة العربية ، واتصالها بالعلم والفن الحديثين الى هذه المدرسة » (٢) .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٢ ص ٨٨ نقلا من كتاب الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة ص ٢١ للدكتور محمد كامل الفقى .

(٢) المفصل في تاريخ الأدب العربى جـ٢ ص ٢٩٤ نقلا من المرجع السابق للدكتور الفقى ص ٢١ .

الأزهر ومدرسة الألسن

أنشأ محمد علي هذه المدرسة في سنة ١٨٣٦ م وجعل مقرها الأزبكية .

وقد استقت هذه المدرسة طلابها من الأزهر وقام على تدريس اللغة العربية والأدب العربي فيها أبناء الأزهر ، وكانت الكتب التي تدرس بها كتب الأزهر ، كالأجرومية ، والسنوسية ، والشيخ خالد وغيرها .

وكتب العلوم الحديثة التي يراد نقلها الى العربية كان يقوم بترجمتها ويسهر على تصحيحها أبناء الأزهر . وفي الخطط التوفيقية أن هذه المدرسة كان يدرس بها اللغات العربية والأفرنجية والأدبية ، وخرج منها كثيرون من المترجمين والشعراء وفيها ترجمت كتب كثيرة أدبية من اللغة الفرنجية الى العربية (١) .

وقد دلنا على العلوم التي كانت تدرس بهذه المدرسة المرحوم ـ أحمد أفندي عثمان الوفائي ـ حيث قال :

« وكانت دروسنا في مدرسة الألسن عبارة عن علوم اللغة الفرنساوية ، والعربي كالنحو والمجاز والمنطق والبديع والعروض والأدب والجغرافيا والحساب والهندسة والطب والتاريخ والخط والرسم ، وذلك غير حفظ الدواوين ، ولما كلفنا بحفظها حفظت ديوان ابن الفارض وابن معتوق والبرعي وابن سهل وبانت سعاد والهمزية ، وغير ذلك من خزانة الأدب . وحلية الكميت . ثم ذكر أنه حضر الفقه على مذهب أبي حنيفة حين كان يدرس في مدرسة الألسن على يد الشيخين المنصوري والرشيدي (٢) .

وكان قد أنشيء بها قسم لدراسة العلوم الفقهية ويتكون من أربعين تلميذا ، يتلقون الدرس في الفقه على المذاهب الأربعة . حتى اذا أتموا دراستهم عينوا قضاة بالأقاليم ، وكان يقوم بالتدريس لهم الشيخان اللذان ذكرهما الوفائي ، وكان مدير المدرسة الذي يشرف على شئون التعليم فيها المرحوم « رفاعة رافع الطهطاوي » وقد تولى تدريس الفلسفة والترجمة بها بعد عودته من البعث.

وأقر العالم أجمع بما للأزهر من مكانة في الداخل والخارج حتى وصفوه بوصف كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والكعبة ، والروضة . فقالوا الأزهر الشريف والمصحف الشريف ، والسنة الشريفة والروضة الشريفة ، والكعبة الشريفة . وهذا يبين عمق وصدق ما يكنه المسلمون للأزهر من اكبار واحترام وقداسة ، لما رأوا منه من خدمة الاسلام والمسلمين ، واطلاق الشريف على كتاب الله تبارك وتعالى أمر اختاره المسلمون لما رأوا فيه من هداية وارشاد وهو المصدر الأول ، والأساسي للشريعة الاسلامية ، واطلاق الشرف على السنة النبوية ، لأنها بيان للقرآن، ومصدر التشريع الثاني بعد كتاب الله ومنضرة للوجوه ، وسموها بالشرف فقالوا : السنة الشريفة ، وبيت الله الكعبة يقول الله فيه

(١) تاريخ التعليم في عهد محمد علي لعزت عبد الكريم ص ٥٧٦ نقلا من الأزهر تاريخه وتطوره ص ٢٢ .

(٢) المرحوم مصطفى صادق الرافعي ـ وحي القلم جـ ٣ نقلا من كتاب الأزهر وأثره للدكتور محمد الفقي ص ٢٢ .

عالـمية
رسـالة الأزهـــر

«إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ» (١) لـذا قالوا : الكعبـة الشريفة ، لما لها من فضل ، وما فيها من بركة وهداية ، والروضة التى فى مسجد رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ، وقال فيـها صـلى اللـه عليه وســلم : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » أحبها المسلمون ، وأعلوا من شأنها ، وتزاحموا على ورودها ، والصلاة فيها وقالوا : « الروضـة الشريفة » .

ولما كان الأزهر منارة العلم والعـرفان ، ورسالته عالمية يحافظ على كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال المسلمون شرقا وغربا : « الأزهر الشريف ، وسـموه بالشرف ، وقولهم الحق ، فهو شريف شرفه الله برسالة الاسلام ، واصطفاه بأعظم رسالة يعطر بأريجها الدنيا ، ويهديها الى طريق ربها: طريق السعادة والرشاد .

وكما أطلق المسلمون على المجاورين لبيت الله الحرام بأنهم مجاورون لله ، وقالوا : جار الله الزمخشرى وجار الله البخارى وغيرهما ، لأنهم جاوروا بيت الله والتفوا حوله . أطلقوا هذا اللقب على العلماء والطلاب الوافدين على الأزهر الشريف لتلقى العلم فى رحابه وسموهم بالمجـاورين ، لأنهم فى رحاب الله وبيت الله كالملازمين والمجـاورين لبيت الله العتيق ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهذا يبين فى وضوح مكانة الأزهر فى قلوب ومشـاعر المسلمين فى العالم الاســلامى ، وحرصهم على رفع مكانته ، وتقديرهم لما ينشر من نور الله ليثير به قلوب عباد الله ، ولما قرأ المسلمون فى كتاب الله قوله تعالى : «وَالطُّورِ . وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ . فِي رَقٍّ مَنْشُـورٍ . وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٢) » وهو الذى فى السماء موازيا ومقابلا للكعبة ، وله مكانته وسموه عند الله تبارك وتعالى وعند المسلمين ، لذا قالوا الأزهر المعمور ، تقديرا لما له من رسالة مباركة عالمية، هى رسالة الاسلام ، فهو معمـور بالقرآن الكريم ، معمور بسنة رسـول الله صلى الله عليه وسلم معمور بالكتب الاسلامية المفسرة لكتاب الله وسنةرسوله .

معمور بعلمائه كواكب الهدى والرسالة ، معمور بطلابه علماء المستقبل وحملة رسـالة الاسلام فى أنحاء العالم أجمع يبلغون رسالات ربهم فينيرون قلوب العالمين بتعاليم الله تبارك وتعـالى .

وان مكتبة الأزهر لمرآة صادقة على جهود علماء الأزهر عبر القرون لما حوت من مؤلفات مخطوطة ومطبـوعة ، منـها امتلأت مكتبات العـالم الاســلامى وسرى نورها فى مناهج وجامعات العالم الاسلامى ، فوحدت القلوب والمشاعر وحفظت لغة القرآن لأهل القرآن ، وتخرج عـلى كتب علمـاء الأزهر فى جامعات العالم الاسلامى من درسها علىعلماء الأزهر ، كما كانت غذاء وتربية وعلما لـكل من اطلع عليها ، والذين تعلموا على كتب الأزهر فى أى مكان يمكن أن يقـال بأنهم أزهريون وينطبق عليهم ما سجله أمير الشعراء شوقى بالنسبة لنفسه ويرددون معه ما يقوله :

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٦ .

(٢) سورة الطور الآية ٤

ما ضرني أن ليس أفقك مطلعي
فعلى كواكبه تعلمت السرى

نعم .. وعلى كواكبه وكتبه وأحاديث علمائه في المساجد والاذاعات والتليفزيون ودور العلم وجامعاته : كانت نهضة اسلامية عالمية .

وان هذا الاجتماع لندوة مجمع البحوث الاسلامية وأعضاء المجمع والوفود العالمية للعيد الألفي للأزهر لمظهر من عالمية الأزهر ورسالته.

وان ما قام به المجمع من تقنين الشريعة الاسلامية على المذاهب الفقهية لعمل من الأعمال العالمية الجليلة التي قام بها الأزهر في عصرنا الحديث . يقدم لمجالس العالم الاسلامي ما يمكنه من أن يحكم ويقضي بشريعة الله ، ولقد طلبت المجالس العلمية في العالم الاسلامي هذا التقنين ليكون أساسا قويما مباركا في تطبيق الشريعة الاسلامية ، كما أن هذا التقنين كان الأساس للجان مجلس الشعب المصري في الاستفادة به في تقنين الشريعة الاسلامية لتطبيقها ، وأخذته لجان التقنين بالسودان وباكستان والامارات وأقطار العالم الاسلامي .

وان ما أداه مجمع البحوث الاسلامية من طبع مصحف الأزهر الشريف والعناية الفائقة في مراجعته مراجعة دقيقة ، وما قامت به ادارة البحوث بالمجمع من دور هام في ذلك للحفاظ كتاب الله ليعد من الخدمات العالمية التي يعتز بتقديمها المجمع والأزهر الشريف للعالم الاسلامي في عصرنا الحديث ..

وفي مجال التفسير تقوم لجان المجمع بتأليف التفسير الوسيط . وفي مجال الفقه يعتز المجمع بأبحاثه التي تجلي مشاكل العالم في مجالاته الاقتصادية والاجتماعية ..

وفي مجال السنة تقوم لجان المجمع بتحقيق جمع الجوامع وتحفة الأحوذي .

وان معاهد الأزهر ومنحه وبعوثه وجامعاته وكلياته كل ذلك ليؤكد عالمية الأزهر الشريف ومن حق الأمة الاسلامية على الأزهر أن يمدها بالكتب والدعاة والمصحف ، ومن حق الأزهر وهو عالمي الرسالة عظيم الفائدة حصن الاسلام أن يدعمه كل مسلم يحب أن تكون كلمة الله هي العليا وفي هذا العصر الذي تزايد فيه سكان العالم بكثرة وفيرة واتصل العالم بأجزائه اتصالا سريعا عبر أمواج الأثير ، وقامت فيه تحركات ومخططات منظمة ضد الاسلام فهبت التيارات الملحدة والمبادىء الطاغية كل ذلك يحتاج الى وفرة المعاهد الدينية حتى تضاعف أضعافا مضاعفة ، ووفرة الكليات الأزهرية حتى تضاعف أضعافا مضاعفة ، ووفرة نشر الكتب الدينية الأصيلة ، والحديث الشريف والتفسير وجميع روافد التراث الاسلامي .

وتخريج الدعاة لسد حاجة العالم الاسلامي في معاهده وجامعاته ومساجده وندواته ، وكل ذلك يحتاج الى أن يتعاون العالم الاسلامي تعاونا صادقا ... والا غزته المبادىء الهدامة والتفكير الالحادي وخسر دينه ودنياه .

وهذا هو الطريق الى رفع كلمة الله

قال تعالى : «وتعاونوا على البر والتقوى

ولا تعاونوا على الاثم والعدوان (١) »

ولعل الاحتفال بالعيد الالفي للأزهر يكون كما نرجو تاريخا مشرقا بعز الاسلام ونصره .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) سورة المائدة الآية ٢ .

الأزهر

وتخريج الوعاظ والمرشدين والدعاة النابهين

الازهر الشريف : هو المسجد العتيق والمعهد القديم ، والجامعة الاسلامية .. انه الأزهر المعمور ، المعروف بعراقته ، وسمو رسالته ، المشهود له بجهاده الطويل ، وكفاحه المستمر المتواصل في ميادين العلم والمعرفة والثقافة ، والذى من أهم خصائصه ومزاياه : تخريج العلماء والدعاة الى الله .

لقد قام بدور عظيم في تاريخ الاسلام ، وفي تاريخ النضال القومى والوطنى على مر الدهور والأعصار .. ووقف قلعة حصينة شامخة في وجه جميع المحاولات التى بذلها الاستعمار حينا بعد حين من أجل استعبادنا ، وفرض نفوذه علينا ، وتحطيم كياننا القومى والروحى .. فالأزهر – والحق يقال – : له مواقفه البطولية المشرفة ، ازاء السياسة العامة للدولة فمنه اندلعت ثورة ١٩١٩ م ومنه خرجت المنشورات التى تعبر عن سخط الشعب المصرى وغضبته ضد الاحتلال الانجليزى ، فكان صرحا للكيان القومى ، ورمزا للحرية والتحرر .. فقد كانت حناجر علمائه وقودا ثوريا ، يشعل جذوة نار الحرية في مصر كلها ، بل كانت له فاعلية قوية في اشعال الثورات في الوطن العربى : ضد المستعمرين الغاصبين ، كما تعرض صرحه الأشم لتيارات عدوانية مختلفة ، ولكنها تحطمت أمام صخرة الايمان والحق ، وصلابة علمائه الوطنيين الأفذاذ .

بدأ جوهر الصقلى قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى في انشاء الجامع الازهر في : جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ الموافق ٤ من أبريل سنة ٩٧٠ م وقد بدأت الصلاة فيه : ظهر يوم من أيام شهر رمضان المعظم سنة ٣٦١ هـ الموافق ٩٧٣ م ..

وسمى بالأزهر : نسبة الى السيدة فاطمة البتول الزهراء بنت النبى صلى الله عليه وسلم وأم السبطين الشهيدين الامامين الجليلين : الحسن والحسين رضى الله عنهما .. ويقال : أنه سمى الجامع الأزهر ، لأن الفاطميين : اقتبسوا كلمة الأزهر من كلمة الزهراء التى كانت تطلق على قصور الأمويين في بلاد الأندلس ، كما كانت حاضرتهم يطلق عليها اسم الزهراء ، وكانوا يسمون قصر خلافتهم أيضا بالزهراء .. وعلى نهجهم يسمى الفاطميون قصر خلافتهم الزهراء وأطلقوا على جامعهم الرسمى : الجامع الأزهر .. كما أطلقوا على قصورهم : القصور الزاهرة .. ويقال : ان هذا الجامع سمى بهذه التسمية ، لأن القصور التى

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

المدير العام للوعظ والدعـوة الاسلامية بالازهر .

كانت تحيط به فى مدينة القاهرة : كانت زاهرة، وكان بناؤه زاهرا فى وسط هذه القصور .. ويقال : ان تسمية هذا الجامع : بالأزهر : اشارة الى كوكب الزهرة : الذى كان مزمعا اطلاق اسمه على القاهرة نفسها .. وقد أوجدت هذه التسمية لهذا الجامع بالأزهر : عند الفاطميين ارتياحا عظيما ، لأنه يقرب من اسم : الزهراء فاطمة : التى ينحدرون من نسلها الطاهر ..

لقد أنشىء هذا الجامع العظيم ، ليكون مسجدا للعبادة ، ومنارة للعلم والهداية ، وهو دون شك « أقدم جامعة اسلامية يؤدى رسالة الاسلام ، وينشر دين الله ، ويحفظ التراث الاسلامى ، وهو معقل لعلوم القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، واللغة العربية . واذا كـ ن هذا الصرح العظيم الخالد قد صار علما من أعلام الحضارة والازدهار على مر الزمن ، فانما مرد هذا الى رجاله الذين نقلوا علومه بأمانة واخلاص ، جيلا بعد جيل : علماء ومتعلمين ، فقهاء ومحدثين .

لقد كان الأزهر فى بادىء أمره : معهدا دينيا ، ومدرسة اسلامية جامعة تعنى بصفة خاصة بدراسة المذهب الشيعى دراسة مستفيضة ، ثم تطورت فى عهد صلاح الدين الأيوبى الى دراسة مذاهب أهل السنة وغيرها .. ثم تطورت على مدى الألف سنة الى معاهد دينية تابعة للجامع الازهر فى كثير من مدن وقرى الديار المصرية .. ثم تطور الى الجامعة الأزهرية الممدودة القامة ، المرتفعة الهامة ، التى لا يدانيها فى قدمها وشرفها أية جامعة أخرى من جامعات العالم أجمع .. ولعل هذا التطور يعتبر انطلاقا من لفظ الجامع الى لفظ الجامعة التى تحتوى اليوم على كليات دينية ومدنية ، علمية ونظرية .. كان مدرسة فصار جامعة ، طبقت سمعته الآفاق ، وسارت بذكره الركبان ، واشرأبت بأعناقها نحوه شعوب العالم فى مشارق الارض ومغاربها ، قداسة خاصة خلعتها عليه المقادير الرحيمة ، ليس اعتباطا ولا صدفة ، ولكن بما وقر فى نفوس المسلمين جميعهم من أن الازهر الشريف هو حامى حمى اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية : دراسة وفهما ، وأدبا وتحليلا ونحوا وصرفا ، وبلاغة وغير ذلك .. ومن البدهى المسلم به : أن اللغة فى كل زمان ومكان هى الوعاء لحضارة الامة وثقافتها ، وقيمها وفكرها وخلودها .. وهو بالتالى : حامى حمى الدين الاسلامى الحنيف ، والفكر الاسلامى

الأزهر وتخريج الوعاظ والمرشدين والدعاة النابهين

الشريف ، بما وهبه الله من جهابذة العلماء والفقهاء والمفكرين والفلاسفة والأدباء .. وهو رمز العروبة ، ورمز الاسلام والكعبة الثقافية للعرب والمسلمين قاطبة ، ولقد قال أحد المستشرقين : « ان الاسلام تتركز مهابته وقداسته فى ثلاثة أشياء القرآن والكعبة والأزهر » .

فالقرآن : دستور الاسلام وقطب رحاه ، وهو الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. والأزهر : شارح هذا الدستور والقائم على بيانه وتفسيره ، وايضاح محتوياته ومضامينه ، وتأليف الشروح له ، والتعليق عليه .. والكعبة : هى قبلة المسلمين فى صلواتهم الخمس ، فى كل يوم وليلة ، ولا تصح صلاتهم الا بالتوجه اليها واستقبالها، وهى بيت الله الحرام ، التى قال فيها القرآن الكريم : « **جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ** .. » المائدة : ٩٧ .. واذا كانت الكعبة بالنسبة للمسلمين : هى قبلة صلاتهم ، ونهاية مطافهم ، ورحلتهم الى حج بيت الله الحرام .. فإن الأزهر الشريف هو الكعبة الفكرية والثقافية لأبناء العالم العربى والاسلامى فى مشارق الارض ومغاربها : يحجون اليه ويقصدونه من أقطار بعيدة شتى ليطوفوا به ، وينهلوا من علومه ومعارفه وثقافاته ، ويحصلون منه على الشهادات التى يعتزون بها ، ويعتبرون طلب العلم فى الازهر مفخرة من أعظم المفاخر، ويعودون الى بلادهم سادة قادة ، يقولون فيسمع لقولهم ، ويتبوأون فى بلادهم أرقى المناصب ، ويصدق فيهم قول الله تعالى :

« **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** » التوبة : ١٢٢ .. وفى هذه الظاهرة المجيدة للازهر ، وفى تمجيده لذيوع صيته ، وامتداد آثاره العلمية الى أنحاء العالم المعمورة ، يقول أمير الشعراء أحمد شوقى :

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا
وانثر على سمع الزمان الجوهرا

ان أكثر من سبعين دولة عربية واسلامية ، لها أبناء عديدون : يطلبون العلم اليوم فى الازهر .. منهم عدد كبير يواصل التعليم بالأزهر ، حتى يحصل على شهادة العالية ، ثم الدكتوراه : من العرب ومن المسلمين غير العرب فى جنوب شرق آسيا ، ووسط أوربا ويوغوسلافيا وتركيا واليونان والفلبين والصين واليابان وماليزيا وأندونيسيا وغير ذلك

ان الازهر اليوم ليس جامعة دينية فقط ، ولكنه جامعة دينية ومدنية ، وما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا ، ومن البدهى : ان الاسلام مهد الحضارة الانسانية .. تلك الحضارة التى تمتاز : بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع من وحى رسالة السماء ، التى تمدها بالروح والقوة والتماسك ، وتوجهها الى الموازنة بين مطالب البدن ومقاصد الروح ، والبعد عن الزهد المعطل للعمل ، وعن المادية الجامحة الفاسدة المفسدة .. يقول «كارلايل» فى كتابه (الابطال)

« قوم يضربون في الصحراء عدة قرون لا يؤبه لهم ، فلما جاءهم محمد النبي العربي ، أصبحوا قبلة الانظار في العلوم والعرفان وكثروا بعد قلة ، وعزوا بعد ذلة ، ولم يمض قرن حتى استضاءت أمم بعقولهم وعلومهم » تلك هي مبادىء الاسلام وأهدافه ، والتي تكفل الأزهر بحملها ، والعمل على نشرها وتعليمها للناس.

ان الدور العظيم الذي يقوم به الازهر الشريف ـ كأكبر جامعة اسلامية في هذا العالم ـ لا ينكره ـ الا كل جاحد ومكابر ، أو حاقد ومعاند ، واننا بكل فخر واعزاز نذكر الازهر ونشيد به : جامعة للفكر والثقافة وقلعة للوطنية ، ومعقلا للعلوم الدينية والمدنية .

ان الأزهر كما تؤكد وقائع التاريخ : كان في بداية عصره رائدا لكثير من جامعات العالم ، كان جامعة أكاديمية ، تدرس الى جانب علوم الدين : كل العلوم والفنون الاخرى في : الرياضيات والطب والكيمياء والفلك والجغرافيا والفلسفة وغيرها .. وعلى غراره أنشئت أعرق الجامعات .. أنشئت بمساعدة واشراف العلماء المسلمين أول جامعة في أوربا هي جامعة « سالرمو » الايطالية ثم جامعة « بولونيا » بايطاليا أيضا ، وبعدهما أنشئت جامعتا « مونبلييه » و « باريس » بفرنسا .. ثم جامعة «اكسفورد» وجامعة «كمبردج» وجامعة « سالامانكو » بأسبانيا و « هايدلبرج » بألمانيا و « أيسالا » بالسويد .. ثم بقية الجامعات في العالم .. كل هذه الجامعات الحديثة : أخذت عن الأزهر دراساته وعلومه وطرق التدريس فيه ، بل لقد أخذ بعضها : طريقة هندسته المعمارية مثل مبنى جامعتي « أكسفورد » و « كمبردج » الذي يشبه الى حد كبير مبنى الجامع الازهر .

والأزهر أيضا : يعتبر بحق : أبا للجامعات الاسلامية كلها ، فعلى هديه : سارت في تنظيمها ومناهجها وعلمائها ، وعلى طريقته اتجهت لتحقيق غايتها .

لقد كان الأزهر يعتمد على الموضوعية والمنهجية في التدريس والتعليم بطريقة منظمة ومنتظمة : الا أن هذه الدراسة كانت دراسة موسوعية شاملة لمعظم أنواع المعرفة السائدة في حينها .. لكن تطور الأزهر المعاصر كان دعوة ملحة ، لفصل العلوم عن بعضها ، والميل في وضع المناهج الدراسية الى اتباع نظام التخصصية المفيدة الأثر .. حتى أصبح بحق : موئلا للفكر الاسلامي في جميع بقاع العالم .

لقد كان الأزهر ولايزال : مركز الاشعاع القوي الذي انتشر منه الضوء على العالم الاسلامي بأسره ، وكانت له مواقف عظيمة مشرفة : قاوم فيها تيارات الالحاد والانحرافات ، والحملات التبشيرية ، والمفاهيم الخاطئة ، والمذاهب الهدامة ، ودعاة الفوضى والانحلال .

ومن بين الوسائل العظيمة التي يباشر الأزهر من خلالها وعن طريقها نشاطه الديني : ارسال علمائه من الوعاظ للدول العربية والاسلامية ، بل ولغيرها من الدول المختلفة ، ليقوم هؤلاء الدعاة الذين هم واجهة الأزهر المضيئة ، بتعليم أحكام الاسلام وفلسفته ومبادئه لمعتنقيه ، وبالتبشيرية والدعوة اليه : بالحكمة والموعظة الحسنة ، والقدوة الصالحة ، والمعاملة الكريمة عند من لم يعتنقوه بعد .

الأزهر وتخريج الوعاظ والمرشدين والدعاة النابهين

والأزهر ــ والحمد لله ــ يباشر هـذا النشاط منذ أمد طويل ، وعن طريق علمائه انساب الاسلام الى بقاع كثيرة من الأرض ، وغمر ربوع أفريقيا وآسيا ، واتخذ طريقه الى غيرهما من الأقطار ، حتى أصبح عدد المسلمين الآن يربو على الف مليون مسلم .. وبعض هؤلاء الدعاة : يبعثهم الأزهر لنشر القيم الدينية ، والثقافة الاسلامية فى تلك الدول النائية .. وبعضهم يبعثون عن طريق الحكومة ، وكثيرون منهم تستدعيهم الهيئات والحكومات بالخارج ، ليرتشفوا من معين علمهم العذب الصافى ، المستقى من كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .. فالازهر كان وما يزال تنبعث من جوفه الطاهر روافد للمعرفة الدينية والانسانية فهو بيت الله ، وكعبة للعلم ، وملتقى العلماء من قديم الزمان .

ومما لا شك فيه : أن للأزهر الشريف رسالة يجاهد حق الجهاد فى أدائها وهى حماية الاسلام ونشر العلم والثقافة ، والمحافظة على علوم الدين .

ان العناية بالأزهر فى حد ذاتها : تعتبر عناية بالاسلام ، فالأزهر سبب عظيم من أسباب نشره واعزازه ، وكل جهد يبذل فى سبيل رفع شأن الأزهر : انما هو بالأحرى رفع لشأن الدين الذى وقف الأزهر رسالته عليه ، وعلى علماء الأزهر أنفسهم : أن يعوا ذلك تماما ، فعليهم أن يجعلوا من أنفسهم المثل العليا التى تتناسب وجلال هذه الرسالة السامية العريقة .

وقد وضع الأزهر قانون التخصص سنة ١٣٥٢ هـ وجاء فيه : « التخصص فى الوعظ والارشاد يختار طلابه من خريجى كلية اصول الدين » والعلوم التى كانت تدرس فى هذا التخصص كالآتى :

القرآن الكريم وعلومه .. الحديث الشريف وعلومه .. الدعوة الى الله ووسائلها .. الخطابة والمناظرة .. التوحيد .. التفسير .. الملل والنحل . المذاهب الفقهية وتاريخها .. الاصول .. تاريخ الاسلام . علم النفس . المنطق القديم والحديث .. الأخلاق .. الفضائل الاسلامية .. الفلسفة .. البدع والعادات .. محاضرات صحية .. لغة أجنبية غربية أو شرقية .. فالأزهر : يوجد به قسم لتخريج الوعاظ المرشدين : الذين من شأنهم ان يقوموا بجهود مخلصة : قدوة وسلوكا ، علما وعملا : بتنوير العامة بالثقافة الاسلامية، وتوجيه الفرد بما يجب عليه نحو نفسه ، ونحو ربه خالقه ورازقه ، ونحو التعاون بينه وبين غيره ، ونحو تبادل المحبة والاخاء ، والود والصفاء ، ونحو تقوية روابط الاسرة ، ودعم أركانها والحفاظ عليها من التفكك والانهيار ، ونحو تنقية النفوس وتطهيرها من بذور الحقد والكراهية ، والحسد والبغضاء ، ونحو الدفع الى العمل الهادف البناء ، مع حث المواطنين : على صيانة المجتمع والعمل على النهوض به ، برفع مستواه فى كافة المجالات أنهم يقومون بتبصير الناس بالحق والايمان به ، والتضحية فى سبيله ، وتهذيب النفوس وتقويمها : فى

سيرها وسلوكها وقد كثرت فى عهدنا الحاضر : طلبات كثيرة من الدول الاسلامية : للوعاظ ، حتى لا نكاد نجد شعبا من الشعوب قريبا أو بعيدا : لم يطلب من الأزهر أن يبعث اليه من أبنائه من يعلمه ويرشده .

وقد أنشىء قسم الوعظ والارشاد بالأزهر سنة ١٩٢٨ م واختير له علماء افذاذ نجحوا فى امتحان مسابقة عامة ، وكان فى أول نشأته : تابعا لوزارة الداخلية لمعاونة رجال الادارة على استتباب الامن عن طريق تعاليم الدين وارشاداته .. ثم رأى المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى عندما تولى مشيخة الأزهر للمرة الأولى : عام ١٩٢٨ م نقله الى الأزهر ، لكى يحوطه بعظيم رعايته ، وحسن توجيهه .. ثم أنشأ تخصص الوعظ فى السنة نفسها ، لتخريج علماء يقومون بهذه المهمة العظيمة ، وظل قسم الوعظ : يؤدى رسالته السامية على خير الوجوه وأحسنها : ترعاه عناية الله .. ولمس المسئولون والشعب : أثره البارز فى كافة المجالات الاسلامية التى من شأنها النهوض بالمجتمع فى ضوء تعاليم الاسلام .

وقد بذلت عدة محاولات لضمه الى وزارات مختلفة ، للافادة من كفاية رجاله فى الدعوة ، غير أن الأزهر قاوم هذه المحاولات ، ليبقى عنوانا طيبا للازهر فى حمل رسالة الدين الى الشعب ، وحمل رسالة الاصلاح العامة بكافة الطرق والوسائل الممكنة .. وكان القسم تابعا لشيخ الأزهر .. ثم جعله الشيخ محمود شلتوت : الذى تولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٥٨ م ادارة من الادارات العامة : التابعة لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر يشرف عليه الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ، ويغذيه بما يحتاج اليه من ثقافة وتوجيه .. وبعد ضم الوعظ الى الأزهر لم تعد رسالته مقصورة على رجال الادارة فى استتباب الأمن ، بل تعددت أغراضه ، وتحمل عبء الدعوة الى الله عز وجل توصيل الثقافة الاسلامية الصحيحة الى الجماهير ، فى صورة محببة ، وعرض شائق بأسلوب سهل ، وعبارات مهذبة .

وشملت هذه الأغراض : تقوية الوعى الدينى والخلقى والاجتماعى والوطنى فى نفوس الشعب ، وتثقيف المواطنين : بالثقافة الحرة التى لا تخضع لقيود المعاهد والمدارس ، ودراسة المشاكل الاجتماعية بين الأفراد والأسر والجماعات ، والسعى لحلها بالطرق الودية ، والاسهام الايجابى فى تنفيذ كثير من مشروعات الاصلاح العامة فى القطاعين : الحكومى والأهلى ، وفى جميع الميادين الثقافية والصحية والاجتماعية ، والوطنية والاقتصادية وغيرها .

ان الهدف الرئيسى للأزهر الشريف هو نشر الدعوة الاسلامية على اوسع نطاق : داخل البلاد وخارجها ، لأنها رسالة الأنبياء ، وقد انتشر أبناؤه فى جميع أنحاء العالم الاسلامى كالنجوم الزاهرة ، والبدور الساطعة : يحملون العلم الى كل صقع بعيد .. فوسع الله بهم رقعة الثقافة الاسلامية ، وأناروا بجهودهم العظيمة المباركة آفاقا رحبة فسيحة ، أضاءوها بأنوار الحنيفية السمحاء .. ولا غرو فهم الذين يظهرون الاسلام على حقيقته : صفاء ونقاء ، ثم يقومون بعرضه عرضا ذاتيا بالطرق الاقناعية ، ارتشافا من مبادئه السامية وجوهره الأصيل ، ولا يستطيع غيرهم ممن لم يجرب هذه التجربة الرائدة ، ولم يمارس هذه الخبرة

الأزهر وتخريج الوعاظ والمرشدين والدعاة النابهين

الطويلة : أن يحمل مثلهم هذا الشرف العظيم، أنهم يبلغون الدعوة الاسلامية : الى الناس كافة كما تحملوها بأمانة واخلاص ، وعزيمة قوية ، وارادة فتية .

والأزهر الشريف : الذى تحمل تركته من امام الأنبياء وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فوعاها واداها كما حفظها : واضحة جلية ، صافية نقية : هو والحق يقال : شعلة الاسلام المضيئة : التى لا تطفئها أعاصير الكفر ولا زوابع الباطل ، لأنه رمز للمجد والخلود : يرتفع شأنه فى كل ركن من أركانه ، ومنارة للحق يهتدى اليها : الضالون والمنحرفون .

والوعاظ والحمد لله : يقومون بنشاطهم فى هذه الميادين بهمة ونشاط داخل جمهورية مصر العربية : فى المدن والقرى ، والنجوع والكفور وعلى الحدود والسواحل ، ووحدات الجيش المختلفة ، وقوات الأمن ومصلحة السجون .. يتحملون متاعب الأسفار : صيفا وشتاء ، ليلا ونهارا ، فى سبيل أداء رسالتهم ، ونشر دعوة الحق ، وتبصير المواطنين بحقائق الدين وتفنيد مزاعم المستشرقين ، وتوضيح المفاهيم الاسلامية بالنسبة للمتطرفين والرد على شبهات ومفتريات وأباطيل أعداء الدين .. كما انهم يتفاعلون مع الشعب ويشاركونه فى أفراحه وأتراحه ، فى آلامه وآماله ، ويبذلون ما فى وسعهم من جهد فى نشر الثقافة الدينية الصحيحة فى غير تعصب أو تزمت أو جمود .. يدعون الى المثل العليا ، والأخلاق الفاضلة ، كما يعملون على مكافحة الانحرافات ، والعادات القبيحة ، والجرائم البشعة : كجريمة الأخذ بالثأر ، والتيارات الفاسدة ، والمفاهيم الخاطئة : التى من شأنها أن تقوض بناء المجتمع ، وتزلزل أركانه ، ومقاومة الأراجيف والاشاعات المغرضة ، والحرب النفسية : التى يشنها الأعداء بشتى الأساليب .. والدعوة الى احسان العمل وزيادة الانتاج ، وبالتالى يعملون على نشر المفاهيم الدينية الصحيحة والمبادىء الخلاقة : فى المصانع والمستشفيات ، والساحات الشعبية ، كما أنهم يلقون الكلمات المناسبة ، فى المواسم والأعياد الدينية والقومية والمؤتمرات .. ويعملون على حلّ مشاكل الجماهير ، والاصلاح بين المتخاصمين ..ولهم نشاط ملحوظ فى اقامة ندوات للتوعية الدينية والقومية والصحية : فى البلدان والقرى : يتناولون فيها : الموضوعات الهامة : التى تتمشى والأحداث الجارية ، وموقف الاسلام منها .. بالاضافة الى الندوات الأخرى : التى يسهمون فيها مع بعض الهيئات ، والمصالح الحكومية ، وقصور الثقافة ، والجمعيات الشرعية ، وجمعيات الشبان المسلمين ، وأنصار السنة وغيرها .

وكثيرا ما يقوم الأزهر : بايفاد بعثات وعظية الى الخارج فى المؤتمرات والمناسبات الهامة .

ان قسم الوعظ فى الواقع : انما هو ارساء لقواعد الفضيلة فى شتى صورها ، ومحاربة الرذيلة فى مختلف أشكالها ، انه يبذل كل ما فى وسعه من طاقة فى سبيل العمل على ايجاد مجتمع فاضل ، قوى ناهض ، تظلله الوية الحب

والسلام ، وتسرى فى جوانبه روح التـــدين بصورة عملية ، على ان الاسلام دين عالمى جاء برسالة عالمية ، لاسعاد البشرية فى الحيــاتين الدنيوية والأخروية .

ولم يكن عملهم مقصورا على القاء الخطب والدروس فى المساجد .. ولكن تعدى ذلك الى شتى المجالات ، حيث يتصلون بالشعب عــلى اختلاف طبقاته اتصـــالا مباشرا فى احفاله ومجتمعاته المختلفة : من أفراح ومآتم وموالد ومناسبات متنوعة وصلاة جامعة ، وينتهزون فرصة هذه الاجتماعات فيلقون على النـــاس عظاتهم وارشاداتهم .

وفى كل يوم يفتتح ميدان جديد للدعـوة ، ومازالت هذه الميادين تتسع والمجالات تكثر ، حتى شملت : المدارس والمعاهد والجامعــات والأندية والجمعيات والمعسكرات والميادين العامة ، ودور الاصلاح الاجتماعى ، ومؤسسات الرعاية الاجتماعية ، والموالد والأســواق ، ومعسكرات الشرطة ، والتدريب وفى الصحارى والندوات العامة والخاصة للطبقات المثقفة .

والوعاظ دائما : سفراء بين الأزهر والشعب ، وكثيرا ما ساعدوا الوزارات المختلفة فى مجالات شتى : حازت اعجاب وتقدير المسئولين ويمكن تلخيصها فيما يأتى :

١ ــ فى وزارة الداخلية : يقومون باجــراء المصالحات ، وفض المنازعات والخصــومات ، ومقاومة وسائل الاجرام المختلفة ، ومقاومــة العصبية الطائفية والقبليـــة ، والترهيب من الاستغلال والاقطاع ، وتعاطى المخــدرات ، وتثقيف رجال الشرطة وكل ما من شــأنه أن يدعم أركان الأمن ، فى ضوء تعاليم الـــدين الحنيف .

٢ ــ وفى وزارة الشـــئون الاجتماعية : يبذلون قصارى جهودهم فى سبيل العمل عــلى تطهير المجتمع من البدع والخرافات والعادات الباطلة ، وتوجيه الشباب الى التمســـك بالقيم الرفيعة ، والمثل العليا ، والدعــوة الى المسارعة فى المشاريع الخيرية : كمعونة الشتاء ، وانشاء الجمعيات الخيرية ، والترغيب فى بناء المساجد والمعاهد ، وجمعيات المحافظة عــلى القرآن الكريم ، والحث على رعاية الأسرة : بعلاج مشاكلها ، وتبصير أعضائها بواجبهم ، ومساعدة منكوبى الحرائق والسيول والكوارث الأخرى ، وكذلك تثقيف المرأة واعدادها للحياة الزوجية السعيدة الهانئة ، وما يجب عليهـــا نحو زوجها ، ونحو أولادها ، وكيف تنشئهم التنشئة الدينية الصحيحة ، ليكونوا فى المستقبل أفرادا نافعين ، وأعضـــاء عاملين ، ومواطنين صالحين : يخدمون دينهم ومجتمعهم ووطنهم وأمتهم : مصالح أعمالهم وحميد فعالهم .

٣ ــ وفى وزارة الثقافة والارشاد : يقومون بتبصير الشعب بواجبه نحو مجتمعه ، والدعاية للمشروعات الاصلاحية ، وتوجيه الثقافة ، توجيها هادفا بناء ، لخدمة المجتمع ، ودعــم أركان النهضة .

٤ ــ وفى وزارة الصحة : يقومون بارشـــاد الجماهير الى مراعاة القواعد الصحية ، وخاصة فى زمن الأوبئة ، وهم ممثلون فى لجانهـــا وبدوراتها التدريبية ، لعلم المسئولين بالوزارة بأنهم ذوو مقدرة فى تعميق التعليمات الصحية فى نفوس الشباب عن طريق الدين ، ولبعضهم بحوث قيمة فى هذا المجال .

٥ ــ وفى وزارة الدفاع : لهم دور كبــير فى رفع الروح المعنوية عند الجنـــد ، وفى حث

الأزهر وتخريج الوعاظ والمرشدين والدعاة النابهين

الجمهور على التبرع عند الحاجة لتسليح الجيش ، وعلى الجهاد والتضحية والفداء عند الأزمات ، والحث على الاقبال على الجندية والتدريب العسكرى ، كلما اقتضى الحال الى ذلك سبيلا .. وقد ساهموا فى حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ الموافق ٦ من أكتوبر سنة ١٩٧٣ م بجهد مشكور حيث قاموا بواجبهم الدينى والوطنى ، لرفع الروح المعنوية لدى الجنود المقاتلين ، وبث روح التضحية فى نفوسهم من أجل تحرير واسترداد الاجزاء السليبة من أرض وطنهم الحبيب .. كما أنهم عبروا مع الجنود البواسل الشجعان القناة الى أرض سيناء الطيبة فى معركة الانتصار ، ومنهم من نال شرف الاستشهاد فى سبيل الله .

٦ ــ كما أنهم يقومون بخدمات كبرى : فى وزارات الزراعه والتجارة والتموين ، بمحاربه الاستغلال والاحتكار والغش ومخالفة التسعير، والحث على استصلاح الأراضى ، واحياء الأرض الموات .

ولادارة الوعظ أثرها الواضح فى ميادين الاصلاح ، وقد زاد نشاطها فى العصر الحديث زيادة ملحوظة لمسايرة ركب النهضة فى خطواته الاصلاحية بالصبغة الدينية ، والرد على الشبهات والطعون الموجهة ضد الاسلام ، واخراج دراسات اسلامية لبعض الشخصيات العاملين فى حقل الدعوة الاسلامية .. وينبثق من ادراة الوعظ : الهيئة العامة لعلماء الوعظ .. حيث تقوم باصدار مجلة « نور الاسلام » تحمل رسالة الكلمة المقروءة : تترجم مقالاتها عن أحوال المجتمع وما يحتاج اليه من علاج وتوجيه ، وتبصير بالمفاهيم الدينيه وفتاوى وغير ذلك ، وقد ظهرت الى حيز الوجود سنة ١٩٣٣ م كما تقوم بطبع ونشر الكتب والبحوث الممتازة .. وقد قامت بطبع ونشر : كتاب قبسات من السنة » للشيخ احمد البسيونى سنة ١٩٧٢ م ، وكتاب « الاسلام والمرأة » للشيخ ابراهيم النشار ، وكتاب « ينابيع السعادة » للشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح ، وله كتابان آخران بسلسلة البحوث بالأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية معدان للطبع وهما : (أ) دحض شبهات ومفتريات حول الاسلام ، (ب) كتاب « الرياض اليانعة » كما تقوم الهيئة : باعانة أسر الوعاظ الفقيرة ، واقراض الوعاظ : ما يطلبون من مال لقضاء مصالحهم ، كما تقوم بصرف منحة من مال الهيئة لكل من يحال منهم الى التقاعد .

ويلاحظ أنه عندما أنشىء قسم الوعظ : كان يختار له العلماء الممتازون فى مجال الدعوة والذين نجحوا فى امتحان المسابقة : من خريجى الكليات الأزهرية ، وكانوا يعينون حسب ترتيبهم بالنسبة للمجاميع الحاصلين عليها .. وهم وان كانوا فى بادىء الأمر قلة ، ولكن نشاطهم فى حقل الوعظ والارشاد كان عظيما .. وأخذ عددهم يتزايد عاما بعد عام فقد بلغ عددهم سنة ١٩٥٢ م .. ثلثمائة واعظ وفى عام ١٩٦٢ م ٤٢٦ أربعمائة وستة وعشرين واعظا ، وفى سنة ١٩٨٢ م ٨٥٥ ثمانمائة وخمسة وخمسين واعظا ــ ٧٠٠ سبعمائة واعظ داخل

جمهورية مصر العربية ، ١٥٥ مائة وخمسة وخمسون واعظا معارون ومتعاقدون فى الدول العربية والاسلامية .

وكان قسم الوعظ والارشاد كما سبق أن ذكرت : يتبع شيخ الأزهر .. ثم عين له مديرون من أصحاب الفضيلة : ذوى العلم والفضل والسيرة الحميدة ، والسمعة الطيبة ، والقيادة الحكيمة .. وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عبد ربه مفتاح : مؤسس قسم الوعظ ثم جاء بعده علماء فضلاء أذكر منهم : الشيخ حامد محيش ، والشيخ محمد عرفة ، والشيخ محمد العدوى ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، والشيخ سليمان نوار ، والشيخ محمد الطنيخى ، والشيخ عبد الله المشد ، والشيخ بسيونى رسلان ، والشيخ خلف السيد على ، والشيخ محمد حافظ سليمان .

وقد اهتمت الادارة العامة للوعظ : بتشجيع الوعاظ على المطالعة والبحث وتسجيل ذلك فى دفاتر التحضير .. وخصصت مكتبة تحتوى على أمهات الكتب الدينية والثقافية ، ليفيد منها محررو المجلة ، وأعضاء المكتب الفنى .. وهناك خطوات أخرى لانشاء ما تقتضى المصلحة انشاءه منها :

١ ــ تزويد كل منطقة من مناطق الوعظ على مستوى الجمهورية بمكتب ثقافى : يضم الكتب والمجلات ، وتعقد فيه اللقاءات والاجتماعات الجماهيرية ، فى شتى المناسبات الدينية والقومية .

٢ ــ دعم المكتب الفنى بالادارة العامة للوعظ بالأكفاء من رجال الوعظ والدعوة ، وتوسيع دائرة نشاطه .

٣ ــ اصدار كتيبات تتناول بالدراسة والتحليل بعض الموضوعات والقضايا : التى تشغل بال الجماهير والشباب منهم بوجه خاص ، على أن تكون أسعارها فى متناول الجميع .

٤ ــ أن يكون فى كل مراقبة وعظ بالمحافظات الكبرى سيارة خاصة مجهزة بالأدوات الاذاعية والتسجيلات .

٥ ــ اجراء دورات تدريبية للوعاظ الناشئين لتزويدهم بالثقافة التى تساعدهم على أداء رسالتهم على الوجه الأكمل .

٦ ــ عمل مسابقة تشجيعية للسادة : المراقبين والمفتشين والوعاظ فى دراسة بعض المراجع الدينية الهامة : تكون أساسا لتقديرهم بها ، فى الترقيات والبعوث الخارجية .

٧ ــ مطالبة المسئولين بالأزهر : بالعمل الجاد : على ايجاد جيل من الدعاة الأكفاء ، وتزويدهم بالعلوم الدينية والثقافية والكونية، وتعليمهم اللغات الحية ، ثم ارسالهم الى الدول الأجنبية ، لنشر الدعوة والثقافة الاسلامية .

هذا بالاضافة الى الاصلاحات الاخرى الخاصة بالناحية الادارية : التى تعنى بضبط سير العمل ، والاشراف على المفتشين والوعاظ، وعمل السجلات المتنوعة ، ووضع سجل احصائى للوعاظ كلهم داخل مصر وخارجها .

وقصارى القول : ان تاريخ الأزهر : هو تاريخ الأمة الاسلامية ، فى جميع قارات الدنيا .. ومن هنا كان الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر : احتفالا بالأمة الاسلامية كلها على اختلاف الأجناس والألسنة والألوان « إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ» الانبياء : ٩٢ .. وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ صدق الله العظيم

قرارات وتوصيات

المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر

عن الفترة الاولى من (٢) الى (٩) من جمادى الاولى ١٤٠٣ هجرية

الموافق (١٨) ـ (٢٤) من مارس ١٩٨٣ ميلادية

لقد تداول اعضاء المؤتمر فى أمور المسلمين وفى رسالة الأزهر الممتدة عبر التاريخ ، وناقشوا عددا من الموضوعات التى تهم المسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم ، وامتدت جلساتهم فى الفترة الأولى لانعقاد المؤتمر حتى يوم الخميس ٩ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٤ من مارس ١٩٨٣ م .

وانتهوا الى التوصيات الآتية :

اولا : تأييد كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية التى افتتح بها المؤتمر ، واعتبارها وثيقة من وثائقه حيث جاء بها الحث على أن يأخذ الأزهر دوره فى التصدى للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية التى تواجه المجتمعات الحديثة ، وأن يشارك مشاركة نشطة فى بحث قضية الثقافة فى مصر والمجتمع الاسلامى على امتداده وأن يعمل على تأمين الفكر الاسلامى ضد المفاهيم الدخيلة عليه ، وعلى تقريب علوم الدين الى عقول الشباب ولا سيما أولئك الذين لم تتح لهم فرصة الدراسة فى المعاهد الازهرية

قرارات وتوصيات

المؤتمر التاسع لمجمع البحوث

وبالتحديد . فمن المفيد أن يعاد النظر في مناهج الدروس الدينية في شتى مراحل التعليم وأسلوب تدريسها ، لتقريبها الى عقول الناشئين وقلوبهم .

ثانيا :

يوصي المؤتمر الأمة الاسلامية ــ بكافة شعوبها ــ أن تجتمع على كلمة الحق ، وأن تتواصى بالتراحم والتضامن فيما بينهما ، وأن ترتفع فوق عوامل الفرقة والشقاق فذلك فريضة واجبة عليها . كما أشار الى ذلك خطاب السيد الرئيس محمد حسني مبارك من أنها فريضة واجبة علينا أن ندعو أبناء الأمة الاسلامية على اختلاف أقطارهم ومشاربهم الى نبذ الخلافات ، وحقن الدماء والالتقاء على كلمة سواء ، تتفق مع روح الاخاء الاسلامي وعمق روابط الدين والحياة لوحدة الغاية والهدف والمصير .

وفي هذا الصدد يتطلع سيادته الى دور أكبر للأزهر في العالم الاسلامي على امتداده لتعميق الروابط بين شعوبه باعتبارهم أمة واحدة وبالوسائل المناسبة وهو ما نرجو أن يتحقق ان شاء الله .

ثالثا :

اعتبار خطاب الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف وعضو المؤتمر وثيقة من وثائقه .

رابعا :

يناشد المؤتمر شعوب الأمة الاسلامية التضامن والاتحاد للعمل على دفع العدوان الواقع من القوى الخارجية على بلاد العرب والمسلمين في أفغانستان ولبنان صيانة لهذه الارض ، وتطهيرا لها من المغتصبين .

وفي هذا المقام يناشد المؤتمر المجاهدين في أفغانستان ولبنان ان يوحدوا كلمتهم وأن يرتفعوا فوق الخلافات الشخصية والمذهبية وأن يجمعوا أمرهم على اجلاء عدوهم عن أرضهم ، ولن يتم ذلك الا بوحدتهم واجتماع كلمتهم .

خامسا :

يناشد المؤتمر شعوب الأمة العربية والاسلامية خاصة وشعوب العالم والمنظمات الدولية عامة مساندة حق الشعب الفلسطيني في أرضه ووطنه واقامة دولته على أرضه كما يناشد الزعماء الفلسطينيين أن يجمعوا أمرهم على استرداد الحق المغتصب بكافة الوسائل المشروعة

سادسا :

يوصي المؤتمر شعوب الأمة الاسلامية وحكوماتها بالعمل بكافة الطرق على استعادة القدس موحدة كما كانت الى السيادة العربية الاسلامية .

سابعا :

يدعو المؤتمر حكومتى ايران والعراق الى النزول على حكم الله الذى حرم قتال المسلمين فيما بينهم . وعليهم وقف هذا القتال ، حقنا لدماء المسلمين وحفظا لأرواحهم وأموالهم ، اذ لا يستفيد من ازهاقها وتبديدها ســوى أعداء الأمة الاسلامية .

وعلى حكومات الدول الاسلامية التدخل لانهاء هذه الحرب بالطرق المناسبة ، وقد عهد المؤتمر الى شيخ الأزهر ابلاغ ذلك الى كافة الحكومات .

ثامنا :

يوصى المؤتمر حكومات الأمة الاسلامية وشعوبها بالعناية بشئون الأقليات الاسلامية فى أوطانها ومساندتها فى الحفاظ على دينها وحقوقها .

تاسعا :

يوصى المؤتمر جميع شعوب الأمة الاسلامية وقادتها بالعمل على وقاية المجتمع الاسلامى من الغزو الفكرى والثقافى الذى يستهدف بث الفرقة بين المسلمين والتشكيك فى عقيدتهم وشريعتهم ويدعوهم الى الاعتصام بحبل الله جميعا فى مواجهة التحديات الفكرية والثقافية المناهضة للاسلام .

عاشرا :

يؤكد المؤتمر على ضرورة تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ويدعو حكومات البلاد الاسلامية وشعوبها الى استمداد قوانينها من الشريعة الاسلاميه .

حادى عشر :

يوصى المؤتمر الجهات المعنية بالتعليم فى الأقطار العربية والاسلامية بالعناية بتحفيظ القرآن الكريم وبالعناية بدروس الدين الاسلامى عقيدة وأحكاما وأخلاقا فى مختلف مراحل التعليم لتنشأ أجيال المسلمين على خلق القرآن ووصايا الاسلام مع مزيد من العناية باعداد المعلمين الذين يقومون بهذه الواجبات .

ثانى عشر :

يطالب المؤتمر حكومات البلاد الاسلامية والهيئات القائمة على وسائل الاعلام فيها بضرورة العناية بما يقدم من مواد ومصنفات فنية بحيث تكون ملتزمة بالقيم الاسلامية والأخلاقية وتحث على الفضائل وتحمى النشء من الانحراف .

المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الاسلامية

ثالث عشر :

يوصى المؤتمر حكومات الدول الاسلامية وهيئاتها بضرورة العناية باللغة العربية فى جميع وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية باعتبارها لغة القرآن .

رابع عشر

أناب المؤتمر شيخ الأزهر فى ابلاغ هذه التوصيات الى كافة حكومات الدول الاسلامية والجهات المعنية .

خامس عشر :

يوصى المؤتمر مشيخة الأزهر بالنظر فيما تناولته المناقشات فى شأن مايجب أن يكون عليه الأزهر وهيئاته تمكينا له من الاضطلاع بالمسئوليات الملقاة عليه فى النواحى العلمية والتعليمية وشئون الدعوة .

وباحالة بحوث المؤتمر والمؤتمرات السابقة وتوصياتها ومحاضر جلساتها الى مجلس مجمع البحوث الاسلامية لدارستها ، واعداد تقرير فى شأنها يعرض على المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الاسلامية .

وفى الختام ــ وقد لمس المؤتمر الجهد المبذول المشرف لاعداده وتنظيمه ــ يوجه المؤتمر موفور الشكر وعظيم التقدير الى اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر والى امانتها وسائر المعاونين لها فى هيئات الأزهر وخارجها والى كافة المشاركين بجهودهم فى هذه المناسبة التاريخية العظيمة .

والله الموفق والمستعان والهادى الى سواء السبل .

٩ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ

٢٤ من مارس ١٩٨٣ م .

من أعلام الأزهر

الشيخ الطنطاوى

١٢٢٥ - ١٢٧٦ هـ . ١٨١٠ - ١٨٦١ م

لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى

هذا الشيخ منسى حقا وقلما يعرفه أحد من الأزهريين أبناء الجيل الجديد ، ذلك لأنه لم يتبوأ منصبا فى الأزهر كبيرا ولكنه جدير أن يذكرو أو ينوه بـه ، وان تحيى ذكراه ، لأنه عصامى نشا على اقلال وفاقة ونال حظا كبيرا من علوم عصره ، وكان ذا عقلية متطورة . وجهاد علمى مستمر ، ولأن المستشرقين عنوا به فى عصره وهم يعنون بذكراه بعد موته ، وقد أعطاهم كثيرا من جهده وكتب عليه أن يموت ويدفن فى بلادهم ، ولعل اغترابه الطويل وحياته خارج مصر هى التى جعلت الأزهريين يجهلونه .

كان الشيخ الطنطاوى من أنداد وأتراب رفاعة الطهطاوى ، وفى حياتهما كثير من التشابه ، يتشابهان فى النشأة العصامية وفى الاستفادة من علوم الغرب والحياة فى أوروبا ، والعمل للغة العربية والاسلام .

كان يسمى « محمد عياد » واسمه الكامل هو محمد بن سعد بن سليمان بن عياد ، والحق به لقب « المرحومى » لأنه من قرية صغيرة بمقربة من طنطا تسمى « محلة مرحوم » وهى لاتزال قائمة ومازال صغيرة ، وغلب عليه لقب الطنطاوى نسبة للمدينة الكبيرة المعروفة التى تعلم بها وعلم ، وكان الأزهريون فى عهده ينسبون الى أقاليمهم ، فيقال : الفيومى والشرقاوى .. الخ .

كان أبوه بائعا متجولا فى قرى مديرية الغربية التى حول طنطا ، والباعة المتجولون خصوصا فى القرى ذوو فاقة واقلال ، ولكن والده طمح الى تخليصه من هذه المهنة ، ولابد أنه كان على حظ من الصلاح حتى اتجه بابنه هذا الاتجاه ، ولابد أنه تحمل مشقة فى الانفاق عليه ، أرسله وهو فى السادسة من عمره الى الكتاب ليحفظ القرآن ولم يكن بمحلة مرحوم كتاب فأرسله الى طنطا ، وهى مسافة تقطع على الأقدام ، ويبدو أنه لم تكن هناك نية لتعليمه أكثر من حفظ القرآن ، فاننا نجد أباه يبعث به الى الأزهر وهو فى الثالثة عشرة

الشيخ الطنطاوى

من عمره ، وكان له عم بالقاهرة فعاش معه ، ولم يكن بالأزهر شهادات ولا مراحل دراسية منتظمة ، ولكن كان شيوخه يتفاوتون فى تدريسهم وفى الكتب التى يدرسونها ، فكان الطالب يختار الشيخ الذى يناسبه والكتاب الذى يستطيع فهمه ، وكان هناك شيوخ كبار يعنون بتعليم البادئين ، وقد درس الشيخ الطنطاوى أول مادرس على الشيخ ابراهيم الباجورى ، وهو شيخ فاضل كان يعنى بتبسيط المواد ، وكتابة التعليقات الموجزة على المتون والكتب كى يسهلها على الناشئين ، وهو مالكى المذهب ، وكان الشيخ الطنطاوى الذى نتحدث عنه شديد التأثر به محبا له ، وقد كتب له قصيدة مطولة قدمها اليه مهما يكن من شأنها فانها تدل على طموح الشاب نحو الأدب الذى كان غريبا فى الأزهر فى هذا الوقت .

عاصر الشيخ الطنطاوى نهضة محمد على العسكرية ، ولم يكن محمد على ذا ميل للأزهر وشيوخه ، وكان بمصر عدد من المستشرقين الذين جاءوا لدرس حال مصر ومسلميها وتعلم اللغة العربية ، وكان معظمهم على صلة بمحمد على ، من هؤلاء المستشرق المعروف سلفستر دى ساسى ــ وهو مستشرق فرنسى كان يعنى بشئون التربية ، وكان قد تعرف على رفاعة رافع الطهطاوى فاقترح على محمد على اختياره اماما لبعثته الى باريس ، وكان اختيار الطهطاوى دون الطنطاوى نديده وزميله له أثر بالغ فى نفس عالمنا الناشىء ، ولكن الأحداث عاكسته أكثر اذ مات أبوه فى هذه الآونة ، فاضطر أن يعود الى قريته ، فمكث هناك عامين ، ولكنه لم ينقطع عن دراسته وتدريسه اذ كان يدرس فى المسجد الأحمدى بطنطا ويتابع دراسته الخاصة ، ثم عاد الى القاهرة وانقطع للتدريس فى الأزهر .

كان تعليمه فى الأزهر نهجا جديدا لم يؤلف من قبله ، درس النصوص الأدبية والشعرية، وشرحها شرحا أدبيا ، ولسنا نعرف بالضبط طريقته فى هذا الشرح ، ولكن يبدو أنه هو الذى بدأ الطريقة التى جرى عليها الشيخ المرصفى فيما بعد ، كما يبدو أنه كان شديد الاعتماد على التطبيقات النحويه والصرفية . لأنه حتى هذا الوقت لم يكن اتصل بالأدب الأوروبى ، ولم يكن بالأزهر أدب يدرس الا على الطريقة التى نجدها لدى الشيخ صلاح الدين الصفدى والشيخ العطار .

ولأمر ما اختير لتدريس اللغة العربية فى المدرسة الانجليزية ، وفيها تعرف وتعرف عليه بعض الأوروبيين الذين جاءوا ليدرسوا اللغة العربية فى مصر ، وكان الدكتور فريتيل F. Frbtel الفرنسى أول من نوه به وأذاع اسمه فى أوروبا ، فاتجه اليه كثير من الأساتذة والشبان ليدرسوا عليه ويستفيدوا منه ، ثم كان الدكتور فران R. Frahn المستشرق الروسى هو الذى أذاع صيته فى روسيا ، وكان لهذا الرجل شأن خاص لأن أباه هو مؤسس المتحف الروسى فى بطرسبرج وأول مدير له ، فكان لابنه تبعا له أثر فى نفوس الناس ، وازاء هذه الدعاية وهذا الثناء دعى الشيخ الطنطاوى فى سنة ١٨٤٠ م الى سانت بطرسبرج ليدرس اللغة العربية فى معهد اللغات الشرقية بها ، وبهذا وصل الى شىء كان يرجوه من زمن بعيد ، وهو : سارة

أوروبا والاستفادة منها كما فعل زميله الشيخ رفاعة ، كان الشيخ الطنطاوى الى هذا الوقت متأثرا بطريقته الأزهرية ، فاعتمد عليها فى تدريسه هناك واستفاد منه تلاميذه فى تعلمها ولكنه لم ينتج فى أول أمره كتبا قيمة ، ولم تكن استفادة تلاميذه منه بالدرجة التى كانت ترجى ، وذلك لعدم معرفته بالمناهج الأوروبية ولكن المدرسة قدرته فترقى فى خلال ثمانية أعوام الى مدرس فوق العادة ، ثم كان أستاذا عاديا بها سنة ١٨٥٤ ، وظل يعمل حتى سنة ١٨٦١ اذ فاجأه مرض حال بينه وبين الاستمرار فى تدريسه ، ثم لبى نداء ربه فى العام نفسه ، فمات فى سانت بطرسبرج ودفن هناك فى مقبرة التتار فى لينتجراد ، ولايزال قبره معروفا بما عليه نقوش روسية وعربية .

وهكذا ولد الشيخ الطنطاوى فى محلة مرحوم ودرس فى القاهرة ودفن فى روسيا ومن تلاميذه الروسيين الأوفياء الدكتور والن Finn g. A. Wollin وهو مستشرق رحالة نقل الى بلاده والى أوروبا معلومات كثيرة عن الشرق ، وقد عمل بعد ذلك أستاذا فى جامعة هنستكفورت ، ولم يقطع صلته بأستاذه ، بل ظل يراسله حتى وفاته .

وللشيخ طنطاوى شروح وهوامش مخطوطة بالقاهرة لم تطبع ، ربما لأنها لاتحوى جديدا وانما هى مختصرات أو توضيحات لما كتب الأولون . أما فى روسيا فقد وضع كتابا فى تعلم اللغة العربية استفاد منه تلاميذه وغير تلاميذه ، وله هناك أيضا تعليقات وشروح مفيدة منظمة ، ويرجع ذلك الى درسه الأدب الأوروبى والمامه ببعض اللغات الأوروبية بجانب درسه اللغة الفرنسية واجادته درس أدبها ، وله هناك مقالات كثيرة عن الاسلام والأدب العربى لم تطبع بعد ، كما أن له مجموعة من القصص والنوادر كتبها لتدريب تلاميذه على القراءة والكتابة ، ومع كثرة الذين استفادوا منه لم تعن الجامعة الروسية بطبع آثاره ، وله فى مكتبة الجامعة فى بطرسبرج نحو مائة وخمسين مخطوطة ، وجدت لديه بعد موته فامتلكتها الجامعة ولكنها لم تنشر منها شيئا .

وله كتاب كبير لم يطبع أيضا سماه « تحفة الأذكيا بأخبار بلاد روسيا » أنهاه سنة ١٨٥٠م — ومع مايبدو فى التسمية من النزعة القديمة الحريصة على السجع فى اسم الكتاب لابد أنه حوى كثيرا من الأخبار الروسية الشائقة مما يمنحه قيمة تاريخية ، وهى بلا ريب أقوى من قصص مكسيم جوركى التى كتبها فى شبابه وصور بها الجانب الخلفى من حياة الروس ، لأن كتابة الطنطاوى وصف حقيقى لا خيال قصاص ، ولنلاحظ أن تسمية الكتب بعبارة مسجوعة كانت هى المالية ، وهى أيضا فى كتب زميله رفاعة الطهطاوى .

الشيخ الطنطاوى اذن شخصية أزهرية تركت أثرا فى الثقافة الأوروبية الحديثة ، وقد أردت أن أعرف به بهذه الخلاصة لانه فيما احسب غير معروف بين الأزهريين .

رحمه الله .

عبد الجليل شلبى

قضايا أزهرية

موقف الأزهر من :

ما رأيت موقفا ظلم فيه الأزهر عن عمد مقصود كما ظلم في موقفه من كتاب الاسلام واصول الحكم ، لقد هوجم الأزهر ظلما في مواقف كثيرة من اعداء يبغضون رسالته ويضيقون بقيادته ، ولكن ما هوجم به الأزهر في هذه القضية كان من الافتراء والبهتان واختلاق المثالب بحيث يضيق له صدر الحليم اذ كل ما وجه اليه من الأراجيف وليد حقد موغل على الحق ، وغرض صريح من الباطل .

وكان من فداحة الأمر أن الذين قاموا باختلاق الأراجيف الكاذبة قوم يتشدقون بدعوى الحرية ، وانطلاق الفكر والخلوص من الجمود ومحاربة الرجعية ، وهي عبارات تجد استهواء من الغافلين الذين لايدركون كيف يسمى الكذب صدقا والخيانة أمانة ، والسفسطة فكرا ، والتطاول السفيه نقدا ، وأسوأ ما في الموقف كله أن يتصدى للهجوم من لا يعرف شيئا عن حقائق الاسلام ، وهو فيما بينه وبين نفسه فحسب كاتب كبير يقود حرية الرأى ولكن عند الدارسين دخيل لصيق يهرف بما لا يعرف !

وقبل كل شيء اعلن أن صاحب القضية الأستاذ على عبد الرازق رحمه الله باحث جاد اجتهد فأخطأ ، اجتهد في أصل من أصول الاسلام التى قام عليه بناؤه فلم ينل حظا من التوفيق ، وكان على الأزهر أن يعلن للناس خطأ المجتهد ، في أصول الاسلام بالدليل الناصع والحجة الواضحة، وكان على الأستاذ أن يستمع الى الحجة الناصعة في تواضع واذعان ، ولكن نفرا ممن يسيئهم أن يظهر الحق في قضية اسلامية تمس أصلا من أصوله قد تعاووا من حوله ، وأخذوا يبذلون الجهد الجاهد في تأييده وتسفيه معارضيه ، حتى خيل اليه انه على حق ، والرجل بشر لايدعى الكمال ، ولا يدعيه له أحد ، وكان في طور الشباب المندفع ، فوجد من تأييد المغرضين ما دفعه الى العناد بل مادفعه الى الاستعلاء! والاستعلاء حميد كريم اذا كان على الباطل، أما أن يحاول عالم باحث أن يستعلى على الحق ، وأن ينظر شزرا الى من يهدونه اليه فذلك غير الطريق المستقيم .

ولو أن البحث العلمي سار في هذه القضية على وجهه الهادىء المطمئن لظهر الحق سريعا لذى عينين ، ولأدرك المخطىء خطأه ، ولكن أعداء الفكر الاسلامي لايريدون للحق أن يظهر ولابد أن يلتمسوا من البهتان الكاذب ما يحول بين الناس وبينه .

كتاب

الإسلام وأصول الحكم

بقلم الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي

عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

لقد اعترف الأستاذ على عبد الرازق أنه بدأ يكتب كتابه عن الحكم في الاسلام منذ سنة ١٩١٥ م حين عين قاضيا بالمحاكم الشرعية في مصر ، اعترف بذلك في مقدمة الكتاب ص (ف) من الطبعة الثالثة سنة ١٩٢٥ كما اعترف (٢٥) من هذه الطبعة بأنه يكتب هذا الكلام ، والخلافة الاسلامية قائمة في تركيا لم يفكر في الغائها أحد والخليفة القائم حينئذ هو السلطان محمد الخامس ! هذا ما اعترف به الرجل صراحة في كتابه اعترافا صريحا لايقبل الريب ، ومعناه أنه اجتهد في مسألة الخلافة قبل أن تسقط على يد مصطفى كمال بسنوات كبيرة ، وأن الغاء الخلافة لم يكن دافعه الى بحث قضية الاسلام وأصول الحكم ! ولكن الذين يؤيدونه بالباطل لايريدون أن يسمعوا هذا الاعتراف الصريح اذ يرون أن يعلنوا للعامة أن الكتاب قد ألف بعد سقوط الخلافة ، وأن الملك فؤاد قد طمع في أن يكون خليفة ، وأن الأزهر يحاول أن يؤيد الملك لا أن يؤيد الاسلام ، وأن الباحث الجرىء على عبد الرازق قد تصدى للملك بكتابه ، والملك لا يؤيده غير الرجعيين من علماء الأزهر .

فبالله كيف تُخْلَق الأراجيفُ خَلْقاً ، وكيف يذكر صاحب الكتاب صراحة ما ينكر هذه الأراجيف ويقتلعها من الأساس ، ثم يصر عليها من يؤيدونه بالباطل ليوحوا الى العامة أن علماء الأزهر مأجورون ، وأن الملك يحركهم حيث يريد .

ولنفرض أن الملك كان ذا هوى في الخلافة فهليمتنع ذلك علماء الأزهر أن ينطقوا بالحق في قضية تمس أصلا من أصول الاسلام حين يرون أحد علماء الأزهر يخطىء في اجتهاده ، ويعلن على الناس ما يخالف هذه الأصول وهو في رأى الناس جميعا عالم « من علماء الأزهر» وقاض من قضاة الشرع الاسلامي ، لهمن منصبه ودرجته العلمية ما يفتن الناس بقوله.

لقد نشر الأستاذ على عبد الرازق كتابه بصفته الدينية ، فوجب أن يقول علماء الأزهر رأيهم فيما ينسبه أحد أبنائهم الى دينهم الحنيف ، ولو سكتوا عن ذلك لكانوا آثمين ، ثم ان الكتاب قد وجد من الدوى والضجيج ما جذب الأنظار اليه ، اذ تكاتف أعداء الفكرة الاسلامية على تأييده ، أفيسكت علماء الأزهر حينئذ خوفا من ارهاب المتشدقين بعبارات

موقف الأزهر
من كتاب الإسلام وأصول الحكم »

الحرية والكرامة والتمار الرجعية ! ثم أتكون الحرية فى أن يجهر المخطىء بخطئه فيؤيده المبطلون ، ثم لا تكون الحرية فى أن يقوم الأزهر بتصحيح الخطأ بما يملك من الصواب؟ فاذا فعل ذلك فهو عدو الحرية ووكر الرجعية وصنيعة الحاكم فى منطق هؤلاء .

ان أعجب العجب أن يظهر خداع هذه الأكاذيب بما لايقبل اللجاج ثم يصر عليها المغرضون ممن يؤرخون لهذه القضية حتى بعد أن انقطع دويها وسكت عجاجها ، وذهب الملك فؤاد ومن بعده ! فيكتب الأستاذ أحمد بهاء الدين فصلا فى كتابه (أيام لها تاريخ من ص ١٥٣ الى ص ١٧٣) ، يدور حول هذه الأراجيف وكأنها حق لاشبهة فيه ويقول بصريح العبارة (أدرك القصة ـ قصة الخلافة ـ الأذناب وتجار الدين فبدأوا يبثون الدعوة للخلافة الجديدة التى علقوا بقيامها شرف الاسلام ، والمدركون لهذه المؤامرة لا يتكلمون، لا أحد يستطيع أن ينطق بكلمة ضد فؤاد ، ولا أحد يجسر على أن يحسب كهنة الدين بحصاة !!) .

ثم يقول بعد صفحات من الكتاب (لم يكد يخرج الى النور حتى هبت فى وجهه الزوابع من جميع الاتجاهات ، الملك وأذنابه لأن الكتاب فيه حملة هائلة على الملوك ، وتحطيم لحلم شامل لحلم الخلافة البراق ! ورجال الدين ثاروا لأنهم رأوا فى هذا المنطق مايزعزع سلطانهم ، ويحطم منافعهم فى الاتجار بالدين، ويكشف عن حقائق هذه العمائم الضخمة التى لاترتفع الا لتستر وراءها الظلم والاستبداد).

هذا بعض ما قاله الكاتب . بعد انتهاء العاصفة بثلاثين عاما ! وانى لأسأله أين سلطان رجال الدين الاسلامى الذين يخافون عليه ؟ أكان فى الاسلام كما كان فى الكنيسة سلطان لرجال الدين ؟ .

ومتى كان ذلك لهم فى مصر حين صدر الكتاب ! أليس شيخ الأزهر وهو رئيس هؤلاء موظفا يولى ويعزل كسائر الموظفين فأين سلطانه اذا ومتى اتَّجر الأزهريون بدينهم ؟ وفى أى قضية عاصرها الكاتب منذ فهم معانى الحياة !!

لا أحب أن استطرد ، ولكنى أواجه من يختلقون الافك بأن مناقشة علماء الأزهر للكتاب لم تكن بوحى الملك فؤاد ، لأن المؤلف نفسه اعترف بأنه كتب الكتاب قبل أن يفكر أحد فى سقوط الخلافة ، ولأن الكتاب ملىء بالخطأ الفقهى فى أمس القضايا بالاسلام فوجب أن يصححه المختصون ! أما الذى يؤاخذ عليه الكاتب وأمثاله فهو أنهم يتورطون فى الحديث عن قضية لايفهمون شيئا من أصولها، وأدنى احترام لدى هؤلاء لنفوسهم يوجب عليهم أن يتكلموا فيما يعلمون وأن يبتعدوا عن الحديث فيما يجهلون !

يقول الباحث الجاد الأستاذ الدكتور ضياء الدين الريس رحمه الله ، حين استمع الى

حديث اذاعي يدور هذا المدار من نفر لايعلمون عن الحق شيئا !!

« والذي بدا من المناقشة أن أحد المتحدثين ردد نفس الخطأ الذي وقع فيه وأذاعه أكثر الذين تعرضوا للكتاب وصار شائعا كأنه الحقيقة ، وهو أن المؤلف الشيخ وضع هذا الكتاب وقصد به أن يكون هجوما على الملك فؤاد ، واحباطا متعمدا لمسعاه في الخلافة مع أن هذا غير صحيح ، وهو خطأ محض ، لأن الكتاب بدىء في تاليفه سنة ١٩١٥ أي قبل مجيء الملك فؤاد الى الحكم كما ينص على ذلك المؤلف في المقدمة ، وقد أخطأ الذين أشادوا بمواقف الشيخ في ذمه للملوك ، وحملته عليهم ، اذ ظنوا أنه يقصد الملك فؤاد وأمثاله من الملوك ، مع أن الحقيقة لو راجعوا نص الكتاب وفهموه أن الشيخ انما كان يهاجم خلفاء المسلمين الذي اعتبرهم ملوكا وسماهم كذلك حتى أن هجومه شمل الخليفة الأول للاسلام وهو أبو بكر الصديق ووصفه بأنه أول ملك في الاسلام وبديهي أن الشيخ — أو من وضع الكتاب لم يعرف الفرق بين الخلافة والملك » (١) .

والدكتور الريس باحث متخصص ،وكتابه (النظريات السياسية الاسلامية) قد ناقش كتاب الأستاذ علي عبد الرازق مناقشة ، كانت موضع اعتداد المفكرين ، اذ كشف عوار هؤلاء الذين يصفقون لما يجهلون ، مع انتفاخ متغطرس يصلون به الى درجة التورم المتفجر لقد كان الأزهر موضوعيا حين ناقش أفكار الكاتب مناقشة علمية تعتصم بالدليل ، وأصدر تقريرا مفصلا بنقاط الخلاف ، وقد نشر التقرير في الصحف اليومية ردا على ما روجه المزيفون عن أوهام الكتاب ، ثم دفعت الغيرة بعض الفضلاء فنشر التقرير في كتاب مستقل طبعه بالمطبعة الوطنية بالمنصورة سنة ١٣٤٤هـ على حسابه الخاص ووزعه مجانا على القراء ، واليه أرجع فيما أسجل من نقاط أحاول ايجازها ما استطعت لأن الأصل يشمل ثلاثا وأربعين من الصفحات .

(١) قال المؤلف : « ان الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ ، وأن الدنيا من أولها الى آخرها وجميع ما فيها من أغراض وغايات أهون عند الله من أن يقيم على تدبيرها غير ماركب فينا من عقول ، وأهون على الله من أن يبعث لها رسولا وأهون عند رسل الله من أن يشغلوا بها وينصبوا لتدبيرها » .

وجاء في التقرير ملخصا : ان المؤلف يشطر الدين الاسلامي شطرين ، فيلغي منه شطر الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا ويضرب بآيات الكتاب وسنة رسول الله عرض الحائط ، فهو يصادم آيات مثل قول الله « وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ

---

(١) مجلة الثقافة العدد (١٩) ابريل سنة ١٩٧٥ .

موقف الأزهر
من كتاب " الإسلام وأصول الحكم "

اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا » (١) .

وقوله « إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ » (٢) .

وقوله « وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَتَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ » (٣) .

وقوله : « إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » (٤) .

وقوله : « لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ » (٥) .

واستطرد التقرير الى ذكر آيات كثيرة مشتهرة شملت صحائف ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، مما هو ذائع لدى المسلمين ، كما ذكر من أحاديث الرسول ما ينص على تطبيق الآيات دون لبس .

(ب) قال المؤلف : « وظاهر أول وهلة أن الجهاد لايكون لمجرد الدعوة الى الدين ولا لحمل الناس على الايمان ، واذا كان الرسول قد لجأ الى القوة والرهبة ، فذلك لا يكون فى سبيل الدعوة الى الدين ، وابلاغ رسالته الى العالمين ، ومايكون لنا أن نفهم الا أنه كان فى سبيل الملك » .

وجاء فى التقرير ملخصا : علم من كلامه هذا أن الدين لايمنع من أن جهاد النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سبيل الملك لا الدين ، وجوز أن تكون الزكاة والجزية والغنائم فى سبيل الملك أيضا وجعل ذلك خارجا عن حدود رسالته ، اذ لم ينزل به وحى ، ولم يأمر به الله تعالى ، والشيخ بذلك يصادم صريح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وينكر ماهو معلوم من الدين بالضرورة فقد قال الله تعالى : « فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ » (٦) .

وقال تعالى : « فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ » (٧) .

وقال تعالى : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا » (٨) .

وقال تعالى : « فى بيان مصارف الزكاة : إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ »(٩) .

---

(١) القصص — ٧٧
(٢) النساء — ١٠٥
(٣) المائدة — ٤٩
(٤) النساء ٥٨ .
(٥) النساء — ٢٩

(٦) النساء — ٨٤ .
(٧) النساء — ٧٤ .
(٨) التوبة — ١٠٣ .
(٩) التوبة — ٦٠ .

وقال تعالى : « قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ » (١) .

وقال : « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ » (٢) .

(جـ) قال المؤلف : « انك اذا تأملت وجدت أن كل ماشرعه الاسلام وأخذ به النبي المسلمين لم يكن في شيء كثير أو قليل من أساليب الحكم السياسي ، ولا من أنظمة الدولة المدنية ، وهو بعد اذا جمعته لم يبلغ أن يكون جزءا يسيرا مما يلزم لدولة مدنية من أصول سياسية وقوانين » .

وجاء في التقرير : مازعمه الشيخ مصادم لصريح القرآن فقد قال الله تعالى « إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ » (٣) .

وقال تعالى : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ » (٤) .

وقال تعالى : « فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » (٥) .

وقال تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » (٦) .

(د) قال المؤلف : « ان دعوى اجماع الصحابة على وجوب اقامة امام عادل ، لاتجد مساغا لقبولها على حال ، وليس لها من دليل صحيح ، وان حظ العلوم السياسية في العصر الاسلامي كان سيئا حيث لم تجد من يبحثها على وجهها ، وأن مقام الخلافة منذ زمن الخليفة الأول كانت عرضة للخارجين عليه » .

هذا موجز ما قاله الرجل ، والرد عليه يتطلب اشباعا ، لأن النص القرآني والحديث النبوي وحدهما يتطلبان ما بعدهما من مناقشة أحداث الخلافة الراشدة في العهد الأول ، وقد رد تقرير هيئة كبار العلماء دعوى انكار الاجماع ردا صريحا اعتمد على التواتر الشائع الذي لاينكره أحد ثم على

---

(١) التوبة — ٢٩ .
(٢) الانفال — ٤١ .
(٣) النساء — ١٠٥ .
(٤) النحل — ٨٩ .
(٥) النساء — ٥٩ .
(٦) المائدة — ٣

موقف الأزهر
من كتاب " الإسلام وأصول الحكم "

نصوص جلية من كتب الأصول والتشريع تستند الى أحداث البيعة الأولى لأبى بكر — رضى الله عنه — كما ذكر التقرير ماروى عن مسلم من حديث حذيفة — وقد جاء فيه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تلزم جماعة المسلمين وامامهم » فقال حذيفة : وان لم يكن لهم امام فقال الرسول — صلى الله عليه وسلم : فاعتزل كل الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت : كما ذكر ماورواه مسلم من قوله عليه السلام : من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولاحجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية .

وماورواه مسلم من قول النبى صلى الله عليه وسلم : انما الامام جنة ، يقاتل من ورائه ويتقى به ، فان أمر بتقوى الله — عز وجل — وعدل كان له بذلك أجر ، وان أمر بغيره كان عليه منه .

(هـ) قال المؤلف : « والخلافة ليست فى شىء من الخطط الدينية ، كلا ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ، ومراكز الدولة ، وانما تلك كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ، ولانهى عنها ، وانما تركها لنا لنرجع فيها الى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة » .

وجاء فى التقرير : ان انكار القضاء قياسا على انكار الخلافة باطل لأن المعروف فى كل الكتب الفقهية أن القضاء من فروض الكفايات ، وقول المؤلف : انه ليس خطة دينية باطل ومصادم لآيات الكتاب العزيز .

مثل قوله تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (١) .

ومثل قوله : « إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ، وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا »(٢) .

ومثل قوله : « فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ »(٣) .

(و) قال المؤلف : « لم توجد بعد الرسول زعامة دينية ، والذى يمكن تصور وجوده هو نوع من الزعامة جديد ، ليس متصلا بالرسالة ولاقائما على الدين فهو اذن نوع لاديني » .

وجاء فى التقرير : ان هذه جرأة لا دينية لأن زعامة أبى بكر كانت من صميم الدين اذ لابد للاسلام ممن يقوم به ، وقد بايع الصحابة

(١) النساء — ٦٥ .
(٢) النساء — ١٠٥ و ١٠٦ .
(٣) المائدة — ٤٨ .

أبا بكر رضى الله عنه على أنه القائم بأمر الدين فى هذه الأمة ، وقد قام به خير قيام ، ومثله فى ذلك بقية الخلفاء الراشدين والذى يطعن فى مقام النبوة يهون عليه أن يطعن فى مقام أبى بكر واخوانه .

هذه أهم النقاط التى ناقشها تقرير هيئة كبار العلماء ، وواضح أن المناقشة كانت تعتمد على الدليل المباشر من الكتاب والسنة ، لأن مجال التحليل العقلى ، والاستطراد الفكرى والاشباع التاريخى مما لايتسع له تقرير يكتب للعامة والخاصة معا ، لأن صحف ذلك العهد قد شغلت الجمهور بكتاب الأستاذ على عبد الرازق شغلا لافكاك منه حتى صار بعض أحاديث العامة فى الطرقات والمقاهى ، ولابد أن يقرأ كل من يعرف القراءة ليهتدى الى رأى وقد أظهر كبار العلماء كتبا مستفيضة لمناقشة الكتاب مناقشة تفصيلية تشبع رغبة القارئ المتخصص نذكر منها كتاب الشيخ محمد بخيت المطيعى وكتاب السيد محمد رشيد رضا وكتاب السيد محمد الخضر حسين وكتاب الشيخ محمد الطاهر عاشور ومقالات الشيخين الكبيرين محمد شاكر ويوسف الدجوى فى الصحف اليومية ، وكل ذلك قد أوضح الحق ايضاحا لا مزيد عليه ، ثم توالت فيما بعد بحوث قوية ورسائل جامعية ، تشبع هذا الموضوع اشباعا لا غاية بعده لقائل .

ولنا أن نقول لهؤلاء الذين يتهمون علماء الأزهر بالوصولية والرجعية فى موقفهم من كتاب الشيخ على عبد الرازق نقول لهم : أكنتم تطلبون أن يسكت العلماء عن أمر فقهى أصولى يمس اصلا أصيلا من قواعد الدين فلا يجوز لهم أن يقولوا للمخطئ : أخطأت وهو عالم أزهرى يعد منهم ، وخطؤه راجع اليهم ؟

واذا سكتوا كما تريدون أفيستحقون أن يقوموا على رعاية الدين فى أكبر هيئة علمية أنشأها القانون لتدافع عن مقررات الاسلام؟

أم كنتم تطلبون منهم أن يسارعوا الى تأييد الباطل ليكونوا موضع الرضا ممن يشايعون الالحاد لحاجة من حاجات نفوسهم المريضة ، اذ ذاك يكون العلماء تقدميين متطورين ؟!!

ولنفرض أن الدفاع عن الخلافة قد صادف هوى من نفس الحاكم ، أفيكون كل ما صادف هذا الهوى مرفوضا منكرا وان كان هواه مع الحق الصريح ؟.

وهل تتغير الأحكام الثابتة مراعاة لاعتقاد زيد ، وانكار عمرو ؟!

اننا نسائل محكمة الرأى العام بعد أن اتضحت الأمور على وجه لايقبل اللبس ، أ

ايكون من دافع عن نصوص القرآن الصريحة، وأحاديث النبوة الصحيحة وصوليا مدلسا رجعيا يتهم فى أخلاقه وسلوكه ؟.

ثم يكون من يحاول تحطيم الأصول الشرعية صادقا مؤمنا حرا لايجوز أن يناقشه أحد .

٥

موقف الأزهر
من كتاب " الإسلام وأصول الحكم "

وإذا تجرأ عالم على نقاشه فهو انتهازى ماجور ! أى أرهاب هذا ؟ وممن ؟ من قوم ينتفخون بدعوى حرية الفكر ونزاهة الضمير ؟

على أن الأستاذ على عبد الرازق رحمه الله قد أدرك أخيرا بعض ما تسرع فيه ، فحاول الرجوع عنه وأعلن ذلك فى مجلة رسالة الاسلام (العدد الثالث من السنة الثالثة وقد صدر فى شهر رمضان سنة ١٣٨٠ هـ يولية سنة ١٩٥٩ ، اذ قال تعقيبا على مقال كتبه الدكتور أحمد أمين فى هذه المجلة قال الأستاذ على عبد الرازق ما نصه :

« قرأت بحثا قيما لحضرة صاحب العزة الأستاذ الدكتور أحمد أمين ، جاء فى صدره انه كان يتجادل معى فقلت ان دواء ذلك أن نرجع الى ما نشرته قديما من أن رسالة الاسلام روحانية فقط ، ولنا الحق فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل ، وقد وقفت أمام نظرى كلمة (رسالة روحانية) ولم تشأ أن تمر من غير أن تثير ذكرى قديمة لهذه الكلمة معى فقد زعم الباحثون أننى فى ذلك البحث قد جعلت الشريعة الاسلامية شريعة روحانية محضة ، ورتبوا على ذلك ما طوعت لهم أنفسهم أن يفعلوا ، أما أنا فقد رددت عليهم أننى لم أقل ذلك مطلقا لا فى هذا الكتاب ولا فى غيره ، ولاقلت شيئا يشبه هذا الرأى أو يدانيه ، أسوق هذا الحديث ليذكر الأستاذ الكبير أن فكرة روحانية الاسلام لم تكن لى رأيا ، يوم نشرت البحث المشار اليه ، انى رفضت يومئذ رفضا باتا أن يكون هذا رأيى .

هذا تراجع صريح ، لأن الأستاذ على عبد الرازق قد قال فى ص ٦٩ من كتابه (أن ولاية الرسول على قومه ولاية روحية منشؤها ايمان القلب ، وولاية الحاكم ولاية مادية تلك زعامة دينية وهذه زعامة سياسية) .

ولا أفيض فى نقل ما يشبه هذا القول، واذكر انى كتبت بمجلة الثقافة (١) مقالا خاصا بهذا التراجع فليرجع اليه من شاء .

هذا موقف الأزهر من كتاب الاسلام وأصول الحكم أيكون بعد ذلك كله موقفا رجعيا يتحدى حرية الفكر ؟

بقلم الاستاذ

الدكتور محمد رجب البيومى

عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

(١) مجلة الثقافة العدد ٥١ يناير ١٩٧٨ م .

الشعر

■ من وحي الإسراء والمعراج

■ إسلام روجيه

■ الخنافس

من وحى الإسراء والمعراج

للأستاذ محمود شاور ربيع

ركب « البراق » وسابق الأضواء   وعلا « بمعراج » يشق سماء
حتى انطوت تلك الطباق جميعها   يلقى بها عند الصعود نداء
حيته املاك السماء واخوة   بن قبله قد ارسلوا بشراء
هذا « ابن عبد الله » يرقى خلفه   « جبريل » غنى فى الركاب حداء
وهناك بعد « المنتهى » سار الهدى   يدنو وحيدا مشرقا وضاء
وحباه رب الخلق أشرف منزل   حياه اذ يدنو وفاض عطاء
وعليه قد فرض « الصلاة » تقربا   وأتى بها للعالمين رجاء
ورأى هنالك ما رأى بعيونه   ما زاغ من بصر بها اعياء
شهد النبى وما شهدتم انها   تلك الحجارة قد بدت صماء
عجبا لقوم يسجدون لباطل   تخذوا بها من جهلهم اسماء
حمل الامين من السماء هدية   وأتى يزف الخير والنعماء
ومضى يقص حديثه فى فرحة   والناس فى عجب بما قد جاء
انا لنمضى الشهر شهرا كاملا   عند الذهاب نهدهد الصحراء
وتعود انت وقد ذهبت بليلة   فرحا نضيرا ما شكوت عناء
قد صار امرك يا محمد معجزا   وغدوت لغزا اعجز النبهاء
فأجابه « الصديق » طبت محمد   ولانت اصدق من روى أنباء
يأتيك وحى الله من ملكوته   « جبريل » يأتى رائحا غداء
ماذا عليك لو ارتقيت مكرما   لتنال من رب الورى الآلاء
يا أكرم الشفعاء يا خير الورى   تلت الهدى والقرب والاسراء
تكراك عاطرة على طول المدى   تهب العباد سعادة وهناء

محمود شاور ربيع

إسلام رُوجيه

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين



إلى الكاتب الفرنسي المفكر روجيه جارودي بمناسبة إسلامه

لمح الطريق الى الهـــدى فتقـــدما ... ورأى الحقيقة كالصـــباح فاسلما

وجــد الغـــدير فراح ينهل بعــدما ... قد كاد فى البيداء يقتلـــه الظمـــا

كم راح خلف الآل يعـــدو لاهثـــا ... ويعـــود مغبر الشـــعور محطما

كم ظـــل فى تيـــه المـــذاهب حائرا ... بيـــد الضَّـــياع يخوض ليلا مظلما

ويدوس أشـــواك الأسى بفـــؤاده ... حتى غـــدا مِزقا تَقَاطَرُ عَنْـــدَما

لكنـــه قد شامَ وَمْضًـــا باهـــرا ... يبـــدو له بين الضـــباب ملثَّمـــا

فمضى بثـــاقب فكره متلمســـا ... مشـــكاة هـــذا النور حيث تبسما

فاذا بـــه الإســـلام فى آلائـــه ... جهـــل العقـــول سطا عليه وخيما

٥ إسلام جارودى



فانكب يكشف عن جواهر عقده ... ويجوس بين كنوزه متوسّما
واذا انجلى الاسلام فى عقل امرىء ... أضحى بـه صب الفؤاد متيّما
لما راى نور النبوة ساطعا ... من أحمد صلى عليه وسلما
وادار فى آى الكتاب نواظرا ... لَمّاحة فراى اليقين الأعظما
وراى سبيل الرشد فيما خطه ... والحكمة الشماء فيما ابرما
فاوى الى محرابه مستأمنا ... وكانه المرتاع قد وجد الحمى
يايها الحيران بين عقائد ... منحولة فيها الفساد تحكما
يا من بافراز العقول القاصرا ... ت فتنت حينا ثـمّ نفت العلقما
وحسبت فى العلم الجَحُود سعادة ... فوجدته صِلّ الشقاء الأرقما
سائل (جرودى) كيف اضحى مبصرا ... يجد السكينة كيف كان وحيثما
ويد الرضا قد اطفات فى روعه ... لهبا كالسنة الجحيم تضرما
ونسائم الايمان تنفحه عبيرا من رياض الخلد تزجيه السـ
سائلة يا ملتاع يا نضو الأسى ... يات الجواب اليك منه مدعَّما
ما غير دين الله صرح آمن ... طوبى لمن امسى بـه متحرِّما
(روجيه) شنّف مسمع الدنيا بما ... جاد الاله به عليك وانعما
حدث بما ابصرته ووعيته ... فرض عليك اليوم أن تتكلما
ويطه فيك اجهر لتسمع كل ذى ... وقر وتنطق بالشهادة أعجما
قل للألى بيد الجهالة أُرْكِسُوا ... كيف اتخذت الى الحقيقة سلما
قل للحيارى فى متاهات الدُّنا ... لا تجحدوا نهج السماء المحكما
يَهْنِيك يا (روجيه) تاجٌ صاغة الاسلام صرت به الفداة معمّما
قد كنت بالالحاد رهن حفيرة ... واليوم بالاسلام فقت الأنجما
يا مرحبا بك فرقدا متالقا ... فى المسلمين ممجدا وَمُكَرّما
هذى تحية مسلم قد صغتها ... لتكون عما فى القلوب مترجما
لك يا اخا الاسلام ازجيها فهل ... تجد السبيل اليك حتى تعلما

محمد عبد الرحمن صان الدين

الخنافس !

ليس أعجب من كائن خلقه الله رجلاً فأبى !!

للدكتور حسن جاد

مَنْ مُجِيرِى مِنَ الَّذِينَ اللَّوَاتِى   حِزْتُ فيهم بين الفتى والفتاةِ
شبه فى السمات والسمت أعيا   كل طرف ، وأتعب الحدقاتِ
إيه يا زرقاء اليمامة عودي   أسعفينا بحدة النظرات (١)
عجبًا للفتى يبدّل خلقًا   صاغه الله بارئ النسمات
ليت شعرى ماذا دهاه فأمسى   فى الغوانى مُؤَنَّثَ القسمات ؟!
يتثنَّى جيدا ، وقدا ، وخصرا   كتثنى الكواعب الغانيات
بالشعور المرجَّلات وقد طال عنان الذوائب المسبَلات
وبصدر مُقَلَّد مستعار   من صدور النواهد الفاتنات (٢)
والمساحيق فى فم وعيون   وخدود مصبوغة الوجنات
والبنان المخضوب ، والمعصم الحالى ووشْيِ الملابس اللامعات
لم يدعْ من مفاتن للعذارى   أو يغادر لهن من مُغريات
يا بنى الخنفساء كيف رضيتم   بانتساب لأحقر الحشرات ؟!
ومسختم ما أودع الله فيكم   من سجايا رجولة وسمات
ليس يأبى سمت الرجولة إلا   خَنِثٌ يشتهى اشتهاء الفتاة
كيف يُرجَّى غد البلاد بجيل   نرجسى الميول والنزعات ؟ (٣)
لا رعى الله صنعكم من شباب   مغرم بالتقليد فى النزعات
تسرعون الخطا لكل وباء   مستطار بأخبث الآفات
وتهيمون بالجديد من الغرب ولو كان أقبح العادات
كدتُ والله – حين مرتم بناتٍ   أتمنى لو عاد وأدُ البنات

د. حسن جاد

---

(١) كانت زرقاء اليمامة مشهورة بحدة النظر حتى قيل أنها كانت ترى على بعد ثلاثة أيام
(٢) مقلد : يلبس القلادة
(٣) النرجسية نظرية تقوم على اعجاب المرء بنفسه

مع ترجمة عبد الله يوسف لمعاني القرآن

ورد الى المجلة بيان من الاتحاد الاسترالى لمنظمات الطلاب المسلمين، بعنوان : مصحف خاطئ، يوزع هدية من خالد بن عبد العزيز ، خادم الحرمين الشريفين ، ملك المملكةالعربية السعودية الراحل .

وينبه البيان الى خطأ اكتشف بطريق الصدفة فى النص العربى للآية الرابعة من سورة البينة ، فى طبعة معادة من الطبعة الثالثة (١٩٣٨) من كتاب عبد الله يوسف على « ترجمة معانى القرآن الكريم » .

ذلك أن الآية الشريفة فى هذا الكتاب وردت بغير (الا) ، فى حين أن نصها هو « **وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ** » مما يعطيها عكس معناها .

وكان هذا الاكتشاف أثناء المعسكر المشترك لتدريب القادة الذى أقامه اتحاد الجماعات الاسلامية فى استراليا بالاشتراك مع الاتحاد الاسلامى العالمى لمنظمات الطلبة ، فى مدينة (هوبارت) فى استراليا فى الفترة من ٢ — ٦ ديسمبر ١٩٨٢ حيث قام الاتحاد الاسترالى للمجالس الاسلامية بتوزيع طبعة جديدة فى جزئين من هذا الكتاب هدية من المملكة العربية السعودية .

وقد تخوف البيان من احتمال وجود أخطاء أخرى فى هذه الطبعة .

ونبه الى أن ناشريها ، وهما : دار الكتاب المصرى فى القاهرة ، ودار الكتاب اللبنانى فى بيروت ، مع اهتمامهما بتخصيص صفحتين ، واحدة عربية وأخرى انجليزية ، لاثبات حقوق الطبع ، أهملا التدقيق الواجب فى المادة المطبوعة وفى ذكر تاريخ ومكان هذه الطبعة ، ولم يذكرا أسماء علماء المسلمين الذين قاموا بمراجعة وتحقيق النص العربى .

كما أنحى البيان باللائمة على الاتحاد الاسترالى للمجالس الاسلامية لعدم التفاته الى ذلك مع اهتمامه بطبع خاتمه — أى خاتم الاتحاد الاسترالى للمجالس الاسلامية — على الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من كل مجلد .

وقد اعتبر البيان هذا الحدث ضربة أخرى متخفية وراء واجهة اسلامية ، فى سلسلة الهجوم التاريخى غير المنقطع على الاسلام ، من قبل أعدائه وبخاصة الصهاينة .

ولذلك فقد أنحى البيان مرة ثانية باللائمة الشديدة على الناشرين ، والجهات المختصة فى مصر والسعودية ، والاتحاد الاسترالى للمجالس الاسلامية الذى قام بتوزيع الكتاب وطالبهم جميعا بتفسير عاجل لهذا التصرف .

كما طالب البيان بسحب جميع نسخ هذه

بيان ... وتعليق

بقلم الأستاذ سليمان محمد بركات

الطبعة من جميع أنحاء العالم .

وفي ختامه أهاب بجميع المسلمين أن يكونوا على حذر من أعداء دينهم وأعدائهم .

كما أكد لأعداء الاسلام أن الله حافظ كتابه وغالب أعداءه .

ونحن اذ نشكر لاتحاد الجماعات الاسلامية في استراليا غيرته على الاسلام وحميته لعزة أهله ، ونقدر لهم قيامهم على رسالتهم العظيمة في ذلك الجزء من العالم ، فاننا أيضا نشاركهم الأسف الشديد لوجود هذا الخطأ والقلق من احتمال وجود غيره .

وان اكتشاف هذا الخطأ ليستتبع بالضرورة تشكيل لجنة لمراجعة النصوص العربية فيه ، ثم لجنة لمراجعة صحة ترجمة الأصول الصحيحة لما يتبين خطؤه غربيا .

كما يستلزم أن تخصص كل دار نشر لنفسها جهازا ثقافيا متخصصا وأمينا يتحمل مسئولية التوجيه أو التنفيذ .

ويجب كذلك الزام الناشرين الأجانب بالاعتراف بملاحظات الجهات الاسلامية المختصة على منشوراتهم وسرعة ادخالها على الوجه اللائق .

وننتقل الآن الى الآية التي اكتشف الخطأ فيها ، لنقول :

١ ــ لقد تبين وجود هذا الخطأ في الطبعات السابقة منذ ١٩٣٤ أى منذ خمسين سنة .

٢ ــ الترجمة الانجليزية موافقة للمعنى الصحيح للآية الشريفة .

٣ ــ في حاشيته على هذه الآية الكريمة أكد المترجم أن اثم أهل الكتاب اكبر من اثم عبدة الأوثان ، حيث ان أهل الكتاب كانوا مهيئين لدعوة الدين القيم كما اوحى الى انبيائهم .

كما أنه في حاشيته على الآية الخامسة اوجز أسس هذا الدين القيم في ثلاث :

(أ) العبادة الخالصة لله وحده .

(ب) الصلاة والتحميد تقربا الى الله .

(جـ) اسداء النفع والاحسان الى خلق الله .

(د) ولقد كان من بين مصادر المترجم طبعة المصحف العثماني المعتمدة وقتئذ . وفي طبعة ١٩٦٤ وهى أيضا اعادة على نفقة الحكومة السعوديه لطبعة ١٩٣٤ قامت اللجنة العلمية بدمشق مكلفة باعادة النظر على نص القرآن الكريم وانكبت على تلاوته من أوله لآخره ، وصححت بعض الأغلاط البسيطة الصادرة سهوا من الناسخ ، علاوة على الملاحظات التى أبداها علماء الأزهر الشريف في ١٩٦٢ ، وعلاوة على ملاحظات رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة .

(هـ) ان أحدا لم يتنبه الى غياب الكلمة من سنة ١٩٣٤ حتى ديسمبر ١٩٨٢ !

مع ترجمة عبد الله يوسف لمعاني القرآن

٤ – ان تفرق أهل الكتاب واختلافهم من بعد ماجاءهم العلم وجاءتهم البينة ، وتحريف التوراة والانجيل واختفاء أجزاء كاملة منهما من الأساسيات الاعتقادية في الاسلام . وقد أكدها القرآن في مواقع عدة . وفي جميع ترجمات الشيخ عبد الله يوسف علي للآيات التي تتعرض لاختلاف أهل الكتاب وتفرقهم من بعد ماجاءهم العلم فقد وافق المترجم المفهوم الاسلامي والنص الشريف .

وبعد ، فان لنا رأيا في ترجمة عبد الله يوسف علي وفي ترجمات غيره بسطنا شيئا منه في مجلة الأزهر في عددي ربيع الآخر وجمادى الأولى والآخرة سنة ١٤٠٣ وباذن الله نقوم على تحليل هذه الترجمات فيما بعد .

ولنا ، قبل ذلك وبعده ، رأي في ترجمة القرآن – الى أي لغة أجنبية للحرمة من ناحية ولاختصاص العربية بما ليس في غيرها من ناحية أخرى . وقد سبق لنا الكتابة في هذا ونرجو أن نزيده بسطا باذن الله .

.. الا أن كتاب عبد الله يوسف علي يقف بين الكتب التي تعرف بالقرآن الكريم وقفة شريفة بما فيه من عطاء سبق أن نوهنا عنه ونرجو – باذن الله – أن نزيده بيانا .

لذلك فان اكتشاف هذه الغلطة حري بأن يدفعنا الى المسارعة بتصحيحها .

وبعدها تقوم لجنة على مراجعة هذا الكتاب الممتاز لتنقيته مما قد يكون به من شوائب أخرى .

أما شن حرب مضرية عليه لهدمه بالكلية قبل التثبت من أمر هذه الغلطة ، فغلطة أشد .

ونخلص في الختام الى دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت .

ان هذين الدارين لايعدوان وجهين لعملة واحدة . فصاحبهما اللبناني ناجح في شق طريقه وفد على مصر انفتاحيا في ميدان الطباعة الحديثة والنشر .

وغالبية كتبه مظهر خلاب على مضمون تجاري بغير تدقيق ويؤسفنا أنه حينما تعرض لاعادة اخراج هذا الكتاب فقد كان ذلك لأنه مادة جاهزة ومطلوبة فلم يمحصه وانما غير عنوانه عن طريق « المونتاج » أي تركيب فيلم على فيلم فأعطاه عنوان ترجمة Picthall التي سبق له اخراجها أيضا . كما نعتقد أنه حذف منه الصفحتين الأولى والثانية ليضع مكانهما التنبيه على حقوق الطبع ، فلم يجد الاتحاد الاسترالي – الغاضب – لمنظمات الطلاب المسلمين في الكتاب ما يدل على أن علماء مسلمين قاموا بمراجعة وتحقيق النص العربي فيه .

مازلنا نحمد لاخوتنا غيرتهم على كتاب ربهم وحرصهم على هدى قرائه . ونشكر لهم ما نبهونا اليه وما حفزونا له .

لكننا نذكرهم بالحكمة والموعظة الحسنة والاتزان عند اتخاذ القرار ، فما نحتمل مزيدا من فرقة ولا اندفاع والله الموفق .

سليمان محمد بركات

الداعية : محمود مجاهد حسن

الدكتور محمود مجاهد الداعية الاسلامى أحد اقطاب المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الاسلامية (١) وأحد الدعاة فى قسم من اهم اقسام المجتمعات فى العالم تأثرا وتأثيرا .. سبق له أن دعا فى فرنسا ، ويعمل حاليا بحقل الدعوة فى بلجيكا .. وهو واحد من الوفد الذى صاحب السيد/رجاء جارودى .. سجل اهم انطباعاته فى قوله :

أهم بحث استرعى نظرى هو ما كتب عن الأزهر لأن المناسبة تتعلق بتكريم هذا الصرح العتيد وهذه الجامعة العريقة التى سبقت غيرها فى مجالات البحث العلمى وفى استقبال أبناء الشعوب الاسلامية حيث فتحت لهم ـ منذ انشائها ـ ذراعيها معانقة ومقدمة مالديها من علم ومعرفة وحب واخوة محركة المسئولية الكبرى الملقاة على عاتقها وهى تبليغ دعوة الاسلام الى الناس أجمعين ولذلك فان رسالتها هى رسالة الاسلام بغض النظر عن اللون أو

(١) مصرى ، ومبعوث رابطة العالم الاسلامى الى شمال فرنسا وبلجيكا .

تحقيق اجراء : محمد فتحى احمد

الجنس وانما تتطلع الى الانسان فى كل زمان ومكان .

وبالنسبة لأحوال المسلمين فى فرنسا يقول سيادته :

بالنسبة لفرنسا ، فان الجالية الاسلامية فى فرنسا تعتبر أكبر تجمع اسلامى فى غرب أوربا حيث يصل عددهم الى ثلاثة ملايين نسمة تقريبا وهم بهذا العدد الضخم يشكلون الدين الثانى فى فرنسا ، وطبعا يوجد فى فرنسا مساجد كثيرة الآن توجد بالأحياء ، وهناك المسجد الكبير فى باريس ، وقد أقيم هذا المسجد فى الفترة ما بين ١٩٢١ ـ ١٩٢٦م ، بناه المسلمون بمشاركة فرنسا التى كانت تحتل آنذاك المغرب العربى ، وكان العمال المغاربة لا سيما الجزائريين هم الذين يشكلون العمود الفقرى للمسلمين هناك ، ثم ان هناك مساجد فى طريقها الى الانشاء ، وأذكر فى هذا الصدد

المسجد الذي يحاول المسلمون اقامته فى منطقة (افرى) التى تبعد عن باريس بنحو خمسة وعشرين كيلو مترا ليكون مسجدا رائدا بعد أن قدمت الادارة الفرنسية فى هذه المحافظة أرضا اشتراها المسلمون لتصبح فى القريب – ان شاء الله – علما من أعلام الاسلام فى هذه المنطقة التى يعيش فيها ما يربو على ثلاثين ألفا من المسلمين .

وبالنسبة لبلجيكا . فعندما نستعرض وضع هذه المملكة قبل ثلاثين عاما نجد أنها كانت متوسطة الأهمية وكان حظ الاسلام فيها ضئيلا يقتصر على بعض الوافدين المغامرين الباحثين عن فرص جديدة للعمل قادمين فى الغالب من المغرب العربى عبر فرنسا التى كانت لاتزال تحتل هذا الجزء من أرض أمتنا والتى تربطها ببلجيكا حدود مشتركة ، غير أن هذا الوضع تبدل جذريا فى الفترة الأخيرة التى أعقبت قيام منظمة السوق الأوربية المشتركة واختيار بروكسل – عاصمة بلجيكا مقرا لها .

ويستطرد سيادته قائلا :

نتيجة لهذا التغيير الذى طرأ على هذه الدولة فجذب اليها الأنظار ، وشد اليها الامكانيات ، وأسهم بشكل ملحوظ فى رفع مستواها سياسيا واقتصاديا – أعلنت عن حاجتها لأيد عاملة ، وبأعداد كثيفة فسعى اليها آلاف المسلمين : جلهم من المغاربة والأتراك والجزائريين والتونسيين كما نزح اليها ثلاث آلاف أسرة ألبانية مسلمة فرارا من الحكم الشيوعى الجائر الملحد .. حتى بلغ عدد المهاجرين من المسلمين نحو ربع مليون نسمة أو أكثر كان معظمهم يمارس من الأعمال أكثرها بساطة وتواضعا عدا قلة تعمل فى الوظائف المتوسطه بعيدا عن مجالات القيادة والتأثير حتى بلغت نسبة المسلمين نحو ٢,٥٪ من السكان فى بلجيكا . وكان لزاما على الجالية الاسلامية بعد أن أحست بنوع من الاستقرار فى مهجرها أن تعبر عن شخصيتها وتتحرك لاظهار هويتها الأصيلة حتى لا ينفرط عقدها فتبلى بالذوبان عن الكيانات الأخرى التى تحاول جاهدة طمس لسانها والتشويش عليها ومنعها من التعبير عن ذاتيتها . فقامت نخبة بتأسيس أول منظمة اسلامية عالمية تحت عنوان « المركز الثقافى والاسلامى فى بلجيكا » . نالت اعتراف السلطات برقم ٣٦٩٥ صدر فى ٢٦/٤/١٩٦٨ م . وكان هذا أول اعتراف رسمى بالاسلام منح المسلمين الحق كأصحاب الديانات الأخرى فى اظهار دينهم وممارسة شعائرهم ، كذلك مكنهم من اقامة مركز اسلامى ثقافى بالعاصمة البلجيكية فى أجمل بقاعها وعلى مقربة من مبنى منظمة السوق الأوربية المشتركة .

وقام المركز بعد ذلك منطلقا من هذا الاعتراف وأقيم فى مبنى قديم يطلق عليه مبنى متحف جناح القاهرة الذى يحتل جزءا من حديقة السنكتير (الخمسينية) ببروكسل . ثم يقول ان أهم الانجازات التى تمت وتعتبر أعظم خطوة خطتها الجالية الاسلامية على طريق اظهار شخصيتها هو حصولها على الاعتراف بالاسلام من قبل مجلس الشيوخ والنواب البلجيكيين وصدور مرسوم ملكى

بذلك . ثم أعقب ذلك موافقة الحكومة البلجيكية على ادخال التربية الاسلامية ضمن البرامج التعليمية لأبناء الجالية الاسلامية ابتداء من العام الدراسى ٧٥ — ١٩٧٦ بواسطة مربين ومعلمين مسلمين على نفقة الحكومة وبنفس المخصصات المقررة لرجال التعليم هناك وهو موقف يسجل بالتقدير والعرفان وسبقت به سبقا طيبا فى مجال الاعتراف بالجالية الاسلامية وتقديرا لدورها فى خدمة اقتصاد بلجيكا ونرجو أن تحذو البلاد الأوربية الأخرى حذو بلجيكا فى هذا المضمار الذى يدل على مشاعر الاحترام المتبادل بين الحكومة والجالية الاسلامية .

وعندما دعوت فضيلته ليتحدث عن الفيلسوف الفرنسى المسلم رجاء جارودى قال سيادته :

ان اسلام هذا المفكر الفرنسى نقطة هامة ومؤثرة فى الساحة الفرنسية ، لاينبغى أن تنسى .

ان رجاء جارودى يعتبر من اهم مفكرى هذا القرن فهو فيلسوف ومفكر كبير بحث كثيرا ونقب كثيرا وانتقل من فكر الى فكر ثم اختار الماركسية فى المرحلة التى سبقت اهتداءه الى الاسلام وظل يشارك فى الدعوة لها والترويج لمبادئها فى كل المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية حتى اعتبر ثالث المفكرين الشيوعيين فى العالم قاطبة فترتيبه يأتى بعد ماركس ولينين ، ومن هنا تأتى أهمية اختيار هذا الفيلسوف المشترق لديننا الاسلامى فى نهاية المطاف ، وفى ختام حياته التى نرجو أن تبدأ وأن تثمر وأن يكون عطاؤه فيها موفورا .

أكثر عمقا وتأثيرا مما قدمه قبل ذلك من أفكار خدمت مسار الحركة الشيوعية العالمية التى أثبتت الأيام فشلها وعدم قدرتها على انقاذ الانسانية من حيرتها .

ويستمر سيادته يقول :

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر ان من يتصل بهذا المفكر عن قرب يلحظ اهتمامه بالقضايا الاسلامية ورغبته الأكيدة والملحة فى أن يقدم للاسلام أكثر مما قدمه لغيره من المذاهب الهدامة التى عاش يدعو اليها قبل أن يهديه الله الى الاسلام . ومن هنا كان له كتابات عن الاسلام ألفها فى فترة وجيزة نشرها أخيرا ومنها كتاب « الاسلام يعيش مستقبلنا » .

ويقصد بذلك قدرة الاسلام الخارقة على اختراق الحدود المصطنعة ومعايشة الشعوب الأوربية وغير الأوربية لما يمكن أن يقدمه لها من زاد ظلت محرومة منه أثناء تخبطها بين التيارات المذهبية والفكرية المعاصرة . وفى كلمة موجزة فان مضمون الكتاب هو أن الاسلام دين المستقبل .



من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

شفاء العليل في مسالك التعليل (١)

الغزالي

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، النيسابوري ، حجة الاسلام : فيلسوف ، متصوف ، له نحو مائتي مصنف ، ولد في الطابران (قصبة طوس بخراسان) سنة ٤٥٠ هـ ـ سنة ١٠٥٩ م وتوفي سنة ٥٠٥هـ ـ سنة ١١١٠ م) (٢) حضر مجلس الوزير ـ السلجوقي ـ « نظام الملك » واشار عليه بالذهاب الى بغداد للقيام بالتدريس في المدرسة «النظامية» (سنة ١٠٩١ م) واصبح امام العراق ، بعد أن جاز امامة خراسان .

ثم ترك بغداد ـ بعد اتمام « تهافت الفلاسفة » وزهد في الحياة والحشمة وأخذ في التصانيف المشهورة مثل « احياء علوم الدين » ثم سار الى القدس مقبلا على مجاهدة النفس وتبديل الأخلاق وتحسين الشمائل حتى مرن على ذلك .

ثم عاد الى وطنه « طوس » ملازما بيته ، مقبلا على العبادة ونصح العباد وارشادهم ودعائهم الى الله والاستعداد للدار الآخرة . يرشد الضالين ويفيد الطالبين دون أن يرجع الى ما انخلع عنه من الجاه والمباهاة .. وكان معظم تدريسه في التفسير والحديث والتصوف .

وابن عساكر (٣) يصف الغزالي العالم بأنه الفقيه والمتكلم على منهج المدرسة الأشعرية، والصوفي ، وأنه جمع في العلم بين امامة خراسان وامامة بغداد . وخراسان وبغداد كانتا المركزين الرئيسيين للثقافة الاسلامية والمدرستين اللتين التقى فيهما الفكر الاسلامي الأصيل ، والفكر الآخر الذى نزح اليهما من الشرق الروحي ، والغرب المتمرد على الروحية والمعتز بالانسان وباستطاعته فهم الحياة والتوجيه فيها ، وصفه بأنه صاحب الامامة في بغداد ، البلد الذى غدا منذ منتصف القرن الثالث الهجرى مركز الحركة الصوفية،

(١) رقم خاص ١٠٧ ورقم عام ٤١٨٢ علم الأصول
(٢) الأعلام للزركلي جـ ٧ ص ٢٤٧

(٣) الغزالي في فلسفته الاخلاقية والصوفية للدكتور محمد البهي .

للأستاذ محمد عميره على

مدير مكتبة الأزهر

ومركز الخصومة العنيفة بين سمهاء والمتصوفة .. انتهى ..

وللغزالى مكانته العلمية ، ليس بين علماء المسلمين فحسب ولكن بين العلماء فى سائر الأقطار ، ولقوة حجته وشدة عارضته وقدرته على الكشف عن محاسن الاسلام ومدافعة أعدائه ودرء الشبهات عنه لقب بحجة الاسلام وللغزالى أسلوبه الخاص فى عرض قواعد العلوم وبسط قضاياه فهو لا يقتنع بسرد المعلومات جافة جامدة ، بل يلتزم فى أكثر الأحيان أن يتبع القواعد بالأمثلة ليستأنس المتعلم وينشط فى تحصيل العلوم ، وقد نهج هذا المنهج فى أكثر ما صنف من كتب فى مختلف الفنون ، نهج ذلك فى الأخلاق والتصوف والفقه والأصول ، وبهذا عده علماء الغرب فى التربية وعلم النفس من أئمة المتقدمين من علماء الاسلام فى هذه الفنون ، وجعلوا من آرائه فيها نظريات تدارسوها فى جامعاتهم بروح الاعجاب ، وأحلوها محلها من العناية والتقدير وعن هذه العقلية التربوية صدرت مؤلفات الغزالى ، فمنها المختصر ومنها المطول ، ومنها السهل الذى يلائم مستوى الناشئين ، ومنها الدقيق العميق الذى يناسب عقليات العلماء الذين رسخت فى العلوم أقدامهم واستمكنت فى دراستها ملكاتهم .. ومن أسماء كتبه « إِلْجَامِ الْعَوَام عن علم الكلام » و « المضنون به على غير أهله » .

وللغزالى مؤلفات كثيرة فى فنون مختلفة أكثرها فى علوم الكلام والتصوف والأصول.

ومن مصنفاته فى الأصول كتابنا هذا الذى نعرف به وهو « شفاء الغليل فى بيان الشَّبَه وَالْمُطْرِدِ والمخيل ، ومسالك التعليل » ويختصر عنوانه أحيانا فيقال : « شفاء الغليل فى مسالك التعليل » ..

وموضوع الكتاب ، القياس الأصولى بأركانه المعروفة لعلماء الأصول .

والقياس أحد **الأدلة** التى تستمد منها الأحكام الشرعية ، وقد كان القياس من بين أدلة الأحكام مجال جدال بين متقدمى علماء الاسلام فى اعتباره دليلا من أدلة الأحكام وغصت كتب الأصول بالحديث عنه ، وقد أورثنا الكلام عنه ثروة فكرية رائعة تدل على استنارة أذهان أسلافنا من علماء الأصول واستحضار ملكاتهم فى علومهم وتحققهم بها. وللقياس مناح دقيقة ؛ ومباحث عويصة من أدقها العلة ومسالكها ؛ وقد خصها الغزالى فى كتابه هذا بالحظ الأوفر من عنايته ، وفصل القول فيها تفصيلا لم يعهد فى كتب الأصول . وان عنوان كتابه ليدل على هذه العناية بل انه يفيد عقد الكتاب عليها ، فعنوان الكتاب « شفاء الغليل فى مسالك التعليل » وان كان

شفاء العليل
فى مسالك التعليل

الواقع أن الكتاب فى القياس بسائر أركانه فقد قال (١) : ثم قسمت مقصود كتاب القياس الى خمسة أركان :

الركن الأول : فى اثبات طريق علة الأصل.

الركن الثانى : فى العلة .

الركن الثالث : فى الحكم .

الركن الرابع : فى الأصل الذى يقاس عليه .

الركن الخامس : فى الفرع الملحق بالأصل.

والكتاب فى نظرنا من أدق كتب الأصول وأعمقها ، وهو مثال رائع فى قوة الحجاج واستحضار الشواهد والأمثلة ، ودليل قاطع على ذهنية الغزالى الخصبة فى علم الأصول ولعلنا لا نعدو الواقع اذا قلنا : انه من أجل كتب الغزالى فى هذا الفن ، وهو فقه الأصول ولبابه وخلاصته فى بابه ، ومنهجه فيه منهجه فى أكثر مصنفاته من حيث الاعتماد على الأمثلة فى توضيح القواعد وبسطها مع اختلاف فى الأسلوب ، وبعض المصطلحات عما ألفناه فى كتب الأصول .

ويمتاز هذا الكتاب بأسلوب أدبى قوى لم يعهد فى كتب هذا الفن ، وقد أودعه الغزالى دقائق كتاب القياس ولباب أبحاثه فيه ، ونبه فى مقدمته على مكان الكتاب من علم الأصول وانه لا يتيسر لكل دارس أن يقتحم لججه ويستخرج دُرّه ، بل يشترط أن يكون دارسه على قسط خاص من الثقافة وذا تنبه ذهنى قوى ، فيقول فى خطبة الكتاب بعد الديباجة :

« أما بعد فان الحاحك أيها المسترشد فى اقتراحك ، ولجاجك فى اظهار احتياجك الى شفاء الغليل فى بيان مسالك التعليل من المناسب والمؤثر والشبه والطرد والمخيل .. هزم لجاجى فى التسويف والتساهل ، وحل عقدة عزمى فى المماطلة والتكاسل فانجررت الى تحقيق أربك واستخرت الله تعالى فى إسعافك بمطلبك ، وأتيت فيه بالعجب العجاب ولباب الألباب ، وكشفت عن مغمضاته غواشى الارتياب وأنا انبهك أيها المسترشد على شاكلة الصواب قبل أن أخوض بك فى غمرة الكتاب ، وأقدم اليك نصيحة مشوبة بخشونة ولا يزوينك عنها مرارة مذاقها وخشونة ملمسها — فنصيحة فى تخشن خير من خديعة فى لين — وهى أن هذا الكتاب لن يسمح بمضمون أسراره على مطالع ، ولن يجود بمخزون أغواره على مراجع الا بعد استجماع أربع شرائط .

الشريطة الأولى : كمال آلة الدرك من وفور العقل وصفاء الذهن .

الشريطة الثانية : استكداد الفهم والاقتراح عن القريحة واستثمار العقل بتحديق بصيرته الى صوب الغوامض .

الشريطة الثالثة : الانفكاك عن داعية العناد وضراوة الاعتياد .

(١) قدمت لك مقدمة فى صدر الكتاب على نهاية الايجاز فى بيان معانى القياس والعلة والدلالة .

الشريطة الرابعة : أن يكـون التمريح في مطالعةهذا الكتاب مسبوقا بالارتياض بمجارى كلام الفقهاء في مناظرتهم ومراقى نظرهم في مباحثهم محيطا بجلبات كلام الأصوليين محتويا عـلى أطراف هـذا العلم خبيرا بمنهـاج الحجـاج .. .. » .

ولم يستوف الغزالي في كتابه هذا الـكلام في القياس بل قصره على الدقيق من مباحثه والعويص من مسائله ، فقد قال : « وما أخللته من كتاب القياس مما لم أتعرض له فهو منقسم الى ما رأيته جليا يستغنى بكتاب المنخول عنه — (المنخول) للغـزالي — والى مالا تمس الحاجة اليه في المناظـرة الا نادرا ، فقصرت همتي على الأغمض ثم اجتزأت بالأهم » .

والكتاب نسخة فريـدة في مكتبة الأزهـر ليس لها نظير في مصر فيما نعلـم ، وبأول النسخة وقف للشيخ أحمد الدمنهوري عـلى طلبة العلم بدون تاريخ على أن يكون مقرهـا بمقصورة الأزهر ، وتقـع في ١٨٠ ورقة من القطع المتوسط وعدد سطورها ما بيـن ٢١ و ٢٣ للصفحة الواحدة ، وليس عليها ما يـدل على تاريخ كتابتها ، الا أننا نرجح من طـريق رسم خطها ونوع ورقها أنها كتبت في القـرن السادس ، وخطها هو الخط المعتاد لذلك العصر الذي ينقصه كثير من النقط فتعسر قراءتـه حتى على من مارس موضـوع الفن ، وهي لناسخين وقواعدهما في رسم الكلمات عـلى غير ما نعرفه الآن من كلمات كثيرة .

وقد استنسخت المكتبة لحسابها نسـخة من الكتاب المذكور على قدر الطاقة ، وروجعت على الأصل .

وقال المغفور له فضيلة الشيخ أبو الوفـا المراغي في نهاية النسخة المستنسخة : « أنـه تم مراجعة هذه النسخة على الأصل بحسـب الطاقة ، وقد فاتنا معرفة بعض الكلمـات لتآكلها بالأصل أو غموضها لاضطراب الخط ، واعتمدنا في معرفة بعض الكلمات على السياق أو على ما بقى من حروف بعض الكلمات ومع كل ذلكفقد عجزنا عن معرفة كثيرمن كلماته » .

وكتاب « شفاء الغليل » في نظرنا جليـل القدر في علم الأصول وفي باب القياس بوجه خاص ، وهو جدير بالنشر والطبع لأنه نهـج غير مألوف في كتبه .

وان مكتبـة الأزهـر تنتهز فرصـة الاحتفال بالعيـد الألفي للأزهر فتهيب بالغيورين على العلوم الاسـلامية من سائر الأقطار وبخاصـة مشيخة الأزهر فتنبيهم من خلال (مجلة الأزهر) على الخطر الذي يتهدد هذه العلوم بركـود حركة الطباعة فيها ، وبخاصة المراجـع الممثلة في مخطوطاتها التي تبلغ تقريبـا ٣٤ ألف مخطوط في مختلف العلـوم والفنون .

وعسى أن يكون لدعوتنا صدى والله يتولانا بالسداد والرشاد .

محمد عميرة على

التعادلية مع الإسلام والتعادلية

للأستاذ توفيق الحكيم

عنوان الكتاب الذى صدر مؤخرا للأستاذ توفيق الحكيم ، ونشرته مكتبة الاداب بالقاهرة .

والكتاب كتابان فى الواقع لأن « التعادلية » فقط عنوان لكتاب أصدره المؤلف سنة ١٩٥٥ . أما العنوان الذى بين ايدينا فهو هذا الكتاب السابق مضافا اليه « الاسلام والتعادلية » .

أما الجزء الخاص بالتعادلية فقد بين فيه المؤلف مذهبه فى الفن والحياة فما الذى تعنيه التعادلية ؟

سؤال أجاب عنه المؤلف متناولا فكرتين أساسيتين : الأولى وضع الانسان فى الكون ، والثانية وضع الانسان فى المجتمع .

(أ) أما الفكرة الأولى فقد عرض لها المؤلف متسائلا : ما الانسان ؟ وأجاب : انه ذلك المخلوق المعروف لنا الذى يعيش فوق هذه الكرة الأرضية ، ثم بنى على ذلك أن الانسان اذا كان يعيش على هذه الأرض فلابد أن تكون بينه وبين الأرض صلة أو مشاركة فى صفة ، ولبيان ذلك أوضح أن الأرض تعيش بالتوازن والتعادل بينها وبين كرة أضخم هى الشمس ، أما اذا اختل التعادل فان الشمس تبتلعها أو تضيع فى الفضاء . واذا كان ذلك حقيقة فهل صفة التعادل هذه حقيقة فى كيان الانسان ؟ والجواب بالايجاب ، لأن التأمل يؤدى الى أن الانسان يعيش ماديا بالتنفس وهو تعادل بين الشهيق والزفير بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر . ويعيش روحيا بالتعادل بين الفكر والشعور أو بين العقل والقلب ، فالانسان اذن متعادل ماديا وروحيا .

واذا كانت حياة الانسان المادية من شأن رجال العلم فان حياته الروحية من شأن أهل الأدب والفن ، ووسيلة هؤلاء لترقية هذه الحياة تكون بانشاء صورة لتفكير الانسان وشعوره قد تحوى من السمات والصفات الظاهرة والخفية ما يعين العلماء والفلاسفة على استنباط الحقائق والقوانين .

ومن هنا بدأ المؤلف فى بيان وضع الانسان العام فى الكون من خلال تصور أديب ، وانتهى فى ذلك الى أن الانسان ليس وحده فى هذا الكون الذى سيطرت فيه المادة سيطرة تعلن بنفسها عن اختلال التوازن فى حياة الانسان بين عقله وقلبه ، أو بين نشاط التفكير ونشاط الايمان ، وقد أدى ذلك الى أن يسود القلق هذا العصر ، الى جانب خوفه فى كل لحظة من

دماره المادى بيده نفسه .

ثم تساءل المؤلف : اذا لم يكن الانسان وحده هو المسيطر على هذا الكون فهل له الحرية المطلقة فيه ؟ وأجاب بأن الانسان يولد مجردا أى حرا ، بمعنى : أن على كل انسان يولد أن يكتشف المعرفة من جديد ، وهو بذلك يخالف الحيوان الذى يولد بغريزة لا تتغير ولا تتبدل فى أى زمان ولا أى مكان فى النوع الواحد ، وتلك هى الجبرية التى لا حرية معها ، أما الانسان فلم يفرض عليه نوع من المعرفة يجبره على صنع شىء بعينه طول حياته . لكن هذه الحرية التى تركت للانسان على أى وجه تكون ؟ هل هى مطلقة أو مقيدة ؟ ويترك المؤلف للقلب دون العقل الاجابة عن هذا السؤال ، لأن العقل قد يعرض له الشك فيما يبحث ، أما القلب فوظيفته الايمان ، ومن غير شك فان القلب يشعر أحيانا شعورا لا تعليل له بأنه ليس وحيدا ولا حرا فى هذا الوجود ، وأنه حر الارادة فى نطاق ارادة خارجية عليا .

(ب) أما عن الفكرة الثانية وهى وضع الانسان فى المجتمع بحالته وادراكه هذا ، فان المؤلف يعرض لها بسؤال يطرحه : ما المنتظر من هذا الانسان أن يصنع ؟ ويجيب : انه ليس كالنحلة ركب فيها عملها من البداية الى النهاية ، بل انه أعطى آلة مفكرة قابلة للنمو ، وآلة شاعرة قابلة للنمو أيضا فماذا يصنع؟ وفى أى طريق يسير ؟ وهنا لابد للانسان من هاد يهديه ، ولابد له من نموذج ، وهذا النموذج هو ادراكه للارقى ، وادراكه للارقى هو دليله الذى يقوده فى طريق الحياة الانسانية .

والانسان بهذا الوضع يتحمل شيئا من المسئولية ، لأنه مادام حر الارادة ولو بعض الحرية ، فهو مسئول لأن المسئولية تتبع من الحرية .

واذا ذكرت المسئولية منذ القدم ذكر الخير والشر ، وهما لا وجود لهما الا بالمجتمع حيث يجتمع فرد بفرد ، فيولد الخير والشر ليعيشا معهما ، واذا كان الخير مناط الثواب ومما يدعو اليه المجتمع ، فان من يرتكب الشر ويضر غيره فانه يجب أن يدفع الثمن بعمل ارادى يؤدى الى منفعة غيره وليس بأن يسلب حريته وآدميته أو أن يعزل بعيدا عن المجتمع فى السجون . ولا يستثنى المؤلف من ذلك الا جريمة القتل العمد ، اذ لا شىء يعادل حياة الانسان الا حياة الانسان .

ومن الخير والشر وجد الضمير ، والضمير من خصائص الانسان ، لأن الخير والشر لا يعرفهما الحيوان ، والحيوان قد ينفع وقد يضر ولكن بالفعل الغريزى لا بالفعل الارادى .

واذا كان الخير والشر من لوازم المجتمع فان الضمير يحتاج فى وجوده أيضا الى المجتمع . ولكن ما الضمير ؟ الضمير هو شعور الذات بشر لحق الغير دون أن يقدم عنه حساب ، وهذا الشعور يولد شعورا آخر هو شعور الذات بعدل لم يتحقق نحو الغير .

التعادلية

مع الإسلام والتعادلية

والضمير كما يكون فرديا ، يكون جماعيا ، ويظهر هـذا فى المجتمعات التى تثـور لتحقيق العدالة الاجتماعية كشعورها بعدل لم يتحقق نحو طائفة منها بسبب ظلم صدر من طـائفة أخرى .

وفى محيط الأخلاق يكون الضمير الفردى أو الجماعى هو الحارس المنوط به الصـياح لطلب العدل أى التعـادل ، وفى السـياسة الدولية لابد من تعـادل بين القـوى ، وفى السياسة الداخلية لابد دائما من توازن بين قوة الحاكم وقوة المحكوم ، وفى الاقتصـاد لابد من توازن بين العرض والطلب .

وفى كل هذا فان للتعادل أداته الفعالة التى يستخدمها دائما فى كل محيط ، وهذه الأداة هى « رد الفعل » وما رد الفعل سـوى آلة التعادل للفعل اذا أسرف وجار واختل توازنه وجاوز حدوده .

ويركز المـؤلف علـى المجتمـع فى محيط القيادة ، ويبين أن المجتمع — أى مجتمع — تقوده قوتان هما : قوة العمل أى السـلطة المادية وقوة الفكر أى السلطة الروحية التى تبصر وتنقد وتفتح للناس الآفاق التى يمـكن أن يمتد اليها التطور الانسانى ، والصراع بين القوتين معروف قديم ، واختلال التعـادل بينهما هو من أسباب الكوارث التى تهدد هذا العصر الحديث .

أما التعادل فى الأدب الذى هو من نتـاج الانسـان فى هذا المجتمع فانه يتمثل فى قـوة التعبير التى تعنى التوازن بين قوة الأسلوب وقوة الموضوع ، فاذا طغى أحدهما على الآخر حدث الاختلال فالأسلوب البارع والموضوع التافه يثيران فى النفس احساسـا بالتكلف . كذلك الحال اذا طغى الموضوع على الأسلوب، فالموضوع العظيم فى الشكل السقيم يثير فى النفس احساسا بالتحسر .

وينبه المؤلف الى أن التعبير ليس كل شىء فى نظر التعادلية ، فقوة التعبير عند التعادلية يجب أن تقترن فى الأدب بقـوة التفسـير ، والتفسير هو القـاء الضـوء على موضـع الانسان فى الكون والمجتمع لافادة الحيـاة على وجه ما ، وهنا يجب أن تتوازن فى الأدب القوة المعبرة والقوة المفسرة ، والمطلوب من الأديب هو أن يهذب ويمتـع بأدبه ، ثم يلقى فى نفس الوقت ضوءا كاشفا موجها فى طريق الانسانية فاذا طغت قوة التعبير فان قسـطا هاما من رسالة الأديب لم يبلغ الى النـاس ، واذا طغت قوة التفسير على قوة التعبـير فان صفة الأدب تهدد بالانهيـار . لكن يبقـى التفسير فى الأثر الأدبى أو الفنى هو منـاط المسئولية ، لأنه الرأى وهو الموقف ، ومادام هناك رأى فهناك التزام ومسئولية عنه .

ومن تحديد وضـع الانسـان فى الكـون ووصفه فى المجتمع على النحـو السـابق تتحدد ملامح التعادلية التى اتخذها الحكيم مذهبا له فى الأدب والفن .

— ٢ —

أما حـديث المـؤلف عن « الاسـلام والتعادلية » فقد صدره بقوله : « فى عـام ١٩٥٥ كتبت التعادلية لأوضح أن كل شىء فى

الكون يقوم على التعادلية . ثم وصلت الى ١٩٨٢ فوجدت أن دينى وهو الاسلام قائم على التعادلية » فكيف كان ذلك فى الاسلام ؟.

فى البداية أشار المؤلف الى أن عقيدة الاسلام تقول للانسان ان عليه أن يعيش فى عالمين : أن يعيش فى الدنيا كأنه يعيش أبدا ، وأن يعيش للآخرة كأنه يموت غدا ، ثم بنى على ذلك أننا لم نحاول دراسة الحياة الدنيا لتعايش الحياة الأخرى فى تعادل منتج ، فخشينا مواجهة قضايا العصر فتخلفنا عنه .

ومن ثم أخذ المؤلف فى بيان جوانب التعادلية فى الاسلام من خلال عدة قضايا نقف عند بعضها فيما يلى :

١ ــ موقف الاسلام من الدنيا والآخرة ، وفى ذلك يوضح أن الاسلام يقوم على الايمان بوجود الدنيا ووجود الآخرة ، ولكل منهما وجوده المستقل ولا طغيان لأحدهما على الآخر الى حد الافناء والالغاء .

٢ ــ موقف الاسلام من الخير والشر ، وقد بين أن الخير والشر متلازمان فى هذه الحياة تلازم النور والظلام ، وأن الحياة مكونة من عناصر ومن العناصر ما يحاول بعضها افناء البعض ولكن دون طغيان « وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ » البقرة : ٢٥١ .

٣ ــ موقف الاسلام من العقل والايمان ، وقد بين المؤلف اشادة الاسلام بالتفكير وأنه أساس خشية العلماء لله تعالى « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » فاطر ٢٨ . وقد وجد الايمان بجانب العقل كما وجدت الدنيا والى جانبها الآخرة ، وبين الايمان والعقل تعادلية لا يطغى فيها العقل فيحجب نور الايمان ، ولا يطغى الايمان فيشل حركة العقل !!

٤ ــ موقف الاسلام من الدين والدنيا ، وفى هذا أشار الى أن الاسلام جمع بين الدين والدنيا أى بين شئون الروح وشئون الجسد ، ولا تعارض بينهما ، وفى هذا التوازن والتعادل الملائم للبشرية فى ختام التكوين البشرى ، وفى سبيل ذلك نهى الاسلام عن الاسراف فى شئون الجسد قال تعالى : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا » الأعراف : ٣١ كما نهى عن الغلو فى الدين ، قال صلى الله عليه وسلم «ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » مسند أحمد ٣/١٩٩ .

٥ ــ موقف الاسلام من الرأى الآخر : الاسلام يستمع للرأى الآخر دون محاصرة ، ويتمثل هذا فى قوله تعالى « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » البقرة ٣٠ وعند عدم التلاقى فى الرأى يكون « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » الكافرون : ٦ .

٦ ــ موقف الاسلام من بشرية الرسالة ، وقد بين المؤلف أن حياة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كانت مثالا فى حياته الخاصة لحياة البشر ، وقد لخص بوجوده كل الوجود البشرى من كل جوانبه ومواقعه « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ » الكهف : ١١٠ .

التعادلية

مع الإسلام والتعادلية

٧ ــ موقف الاسلام من الجمال والقبح وقد أشار المؤلف الى قول الله سبحانه وتعالى « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم » التين : ٤ أى فى الاعتدال ، وهو ما يمكن أن نصفه بالتناسق والانسجام ، وهو الجمال ، والاسلام لا يحب أن يطغى القبح فيفسد حسن التقويم ولا أن يطغى الجمال فيؤدى الى التخنث .

٨ ــ موقف الاسلام من الرحمة والغضب : وفى ذلك يبين أن الغضب من القوى المدمرة للانسان ، وطغيان الغضب يمكن أن يؤدى الى اختلال التوازن العقلى والعاطفى للفرد والمجتمع وعدم تعادلية الوجود ، ولا علاج لطغيان الغضب الا الرحمة كما أمر بذلك الاسلام ، والاسلام هو دين اليسر والتيسير فى العبادات والمعاملات .

٩ ــ موقف الاسلام من الاستغناء والطغيان : كلما ظفر الانسان بالقوة فى مال أو صحة أو علم ضعف اهتمامه بالدين والخالق وقد حذر الاسلام من ذلك قال تعالى « كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ، أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ » العلق : ٦ ــ ٧ .

١٠ ــ موقف الاسلام من العمل والعبادة : لم يقر الاسلام أن يترك الانسان العمل ويتفرغ للعبادة ، وقد أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم على من صنع ذلك وجعل أخاه العامل الذى ينفق عليه أفضل منه .

١١ ــ موقف الاسلام من الحرب والسلام: الحرب فى الاسلام ليست للعدوان وانما هى جهاد فى سبيل الله . أما السلام فكان لغاية مثمرة كما حدث فى صلح الحديبية .

١٢ ــ التكافل الاجتماعى : فى الاسلام تكافل اجتماعى ، وله صور متعددة ، ومن هذه الصور رعاية الجار ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » رواه البخارى .

ــ ٣ ــ

بعد هذه الجولة فى التعادلية مع الاسلام والتعادلية ، فان لنا تعليقاً على عدة أمور هى :

١ ــ **ليس مما يخدم الاسلام أن يقدم للناس من خلال فلسفة أو مذهب معين ، لان** ذلك أمر خطير حين نسوى بين ما يصل اليه الانسان وبين ما هو من عند الله ، مهما كانت قيمة الفلسفة التى يقدم من خلالها ، الاسلام ، وينبغى أن يقدم للناس على أنه دين وكفى ، وليس لأنه جاء موافقاً لمذهب معين من مذاهب البشر ، فالعقل البشرى له حدود ينبغى أن يقف ويتواضع عندها .

٢ ــ مما قاله المؤلف فى ص ١٦٥ « ان واجب رجال الدين تعريف الناس برحابة صدر نبى الاسلام عندما أخذ بما كان جاريا عليه العمل قبل الاسلام دون أن يتحرج ، مثل أخذه بعقوبة قطع يد السارق التى كان معمولا بها فى الجاهلية وجاء القرآن فأقرها . ونقول أن النبى صلى الله عليه وسلم انما نفذ تشريعا جاء به الوحى من عند الله ولم يبدأ ذلك من عنده حتى نفسره برحابة صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ ــ الايمان الصحيح لا يصطدم مع

العقل ، ولا ندرى كيف يطغى الايمان الصحيح حتى يزيد عند حده فيصطدم بالعقل ، الا اذا أردنا مطلق التسليم بأى شيء ، ولو كان خرافة ، وهذا ليس من الايمان المعتد به في ميزان الاسلام .

٤ — قياس شهادات الاستثمار الآن على ما كان يقوم به النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يتاجر لخديجة رضى الله عنها في مالها ؛ قياس مرفوض ، فهى لم تودع لديه صلى الله عليه وسلم مالها محددة نسبة تأخذها وانما تركته يتاجر ويأتيها بكل العائد ، وكانت تعطيه أجره على ما قام به من التجارة ، هذا فضلا عن كون ذلك قبل الاسلام فلا يحتج به (ص ١٧٦) .

٥ — في ص ١٨٤ يقول « ان طغيان الجمال يؤدى الى التخنث وفي ذلك اخلال بالتعادل ، فان صدق هذا الوصف في الرجل فهل يصدق في المرأة ؟ !

٦ — في كثير من القضايا التى بين فيها رأى الاسلام لا يظهر التعادل بمعنى التقابل واضحا ، خاصة في جانب الصفات الخلقية مثل الصدق والكذب ، والحياء والفحش والاخلاص والرياء ، ونسأل : كيف يكون التعادل دون طغيان بين هذه الأضداد ؟ !

٧ — لم يوفق المؤلف حين أراد أن يؤكد مذهبه في الأدب والفن بالتماس تفسير للتعادلية في الاسلام ، ولا ندرى هل المقصود الاشادة بالاسلام ، لأن ما فيه جاء موافقا لمذهبه أو أراد الاشادة بما وصل اليه ، لأن الاسلام سبق ان أخذ به ؟ !

٨ — ان محاولة البحث عن مذاهب البشر ليكون لها أصول في الاسلام محاولة عاجزة مردودة ، ذلك لأن الاسلام حين يدرس كله على أنه اسلام فاننا نجد المنهج الكامل للحياة الذى يجيب عن كل سؤال . أما حين يدرس من خلال مذاهب بشرية فاننا نجد المسخ والتشويه والقصور وهذا ما يبدو واضحا من تناول بعض جوانب الاسلام تناولا سطحيا لا يخدم الاسلام لا من قريب ولا من بعيد ، بل قد يسيء اليه حين يظهر في مثل هذه الصور الباهتة .

والمحاولة في هذا الكتاب تؤكد ما نقول ولعل في ذلك عبرة يقول تعالى « **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** » الأنعام : ١٦٢ — ١٦٣ .

٩ — دعوة المؤلف في حديثه عن التعادلية الى معالجة الأشرار بتكليفهم بأعمال خيرية يقومون بها دون عقابهم بدنيا أو سجنهم لا تتفق مع مذهب الاسلام في التجريم والعقاب عن طريق الحدود التى شرعها الله سبحانه وتعالى :

حقا لقد كان عنوان الكتاب اكبر من مضمونه في جانبه عن « الاسلام والتعادلية » .

أ . د . طه مصطفى أبو كريشة

ملامح النقد الأدبي ومقاييسه في العصر الجاهلي

النقد الأدبي ملكة وذوق وفطرة ، قبل أن يكون علما وأصولا وقواعد ، وكما وجد الأديب المنشيء الذي وهب ملكة الانشاء والإبداع الأدبي ، الذي يستطيع أن يصور في أسلوب مثير ما يجيش به خاطره ، وما يعتمل في فؤاده من أفكار وخواطر وأحاسيس ..

كما وجد الأديب المنشيء المبدع ، فقد وجد ــ كذلك ــ الانسان الذواقة ، المرهف الاحساس ، النافذ النظر ، الذي يستطيع أن يكشف عما في العمل الأدبي من جمال أو قبح ، وأن يصل الى ما خفي من سماته وشاراته ، التي تكسبه المكانة العالية إن كانت سماته وشاراته جميلة ، أو التي تنزل به الى الدرك الأسفل في باب الفن الأدبي ، إن كانت قبيحة.

ونخلص من هذا إلى القول بأنه إذا كان العرب قد وهبوا ملكة الانشاء والابداع الأدبي ، وجادت ملكاتهم بروائع الشعر والنثر ، فقد وهبوا ــ كذلك ــ ملكة النقد والتذوق الأدبي ، لما أنشأه المنشئون من شعرائهم ، ونخلص ــ أيضا ــ الى القول بأن النقد الأدبي نشأ مع النتاج الأدبي جنبا الى جنب ، وأن الناقد الأدبي وجد في الوقت الذي وجد فيه الأديب المنتج .

وهذا يعني أن العرب القدامى قد عرفوا النقد الأدبي وزاولوه ، عرفوه فطرة وطبيعة ، وزاولوه ذوقا واحساسا ، وطبقوه على نتاجهم الشعري ، ولكنهم لم يعرفوه علما وفنا ، له أصوله وقواعده ، اذ لم يسموا عملهم هذا نقدا ، ولم يصفوه هذا الوصف ؛ لأن كلمة « نقد » ــ مقصودا بها تمييز جيد الكلام من رديئه ــ لم تستعمل الا في القرن الثالث الهجري ، حيث أضيفت الى الشعر مرة ، والى النثر ثانية ، والى الكلام مرة ثالثة ، وأخذ الناس يقولون : نقد الكلام ، وهو من نقدة الشعر ونقاده ، وانتقد الشعر على قائله(١) ، واستعمل الشعراء النقد بهذا المعنى كذلك ، فقال بعضهم :

إنّ نَقْدَ الدِّينارِ إلاَّ عَلَى الصَّيْـ
ـرَفِ صَعْبٌ فَكَيْفَ نَقْدُ الكَلَامِ (٢)

واستخدم المؤلفون هذا التعبير ، وأول من استعمله « قدامة(٣) بن جعفر » وذلك حين أطلق على كتابه « نقد الشعر » ثم مضى الناس

---

(١) اساس البلاغة .
(٢) دلائل الاعجاز : ١٩٦ .
(٣) هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي ، كان اديبا ومؤلفا ، ألف كتبا كثيرة ، لم يصلنا منها سوى كتابي : « نقد الشعراء » و « الخراج » توفي سنة ٣١٠ هـ .

للدكتور محمد عارف محمود حسين

على إثره فوجدنا كتاب « نقد النثر » فالأرجح أنه لغيره وليس له ، ووجدنا « ابن رشيق(١) » يعنون كتابه بـ « العمدة في صناعة الشعر ونقده » .

ملامح النقد الجاهلي :

١ ــ التنقيح والتثقيف :

والنقد الأدبي يعني أول ما يعني النظر الدائب الفاحص في النتاج الأدبي ، للكشف عما فيه من جوانب الجمال ، أو مواضع القبح ولذا كان أول شيء مارسه العرب القدامى من شئون النقد الأدبي ، هو نظر الشعراء منهم الى نتاجهم ، فكان أغلبهم يتناول شعره بالنظر والتأمل ، فلا يزيده النظر والتأمل الا احتفاء به وحبا له ، ورغبة في تثقيفه ، ومحاولة دائبة لصقله ، حتى يصل به الى درجة يشعر معها أنه راض كل الرضا .

وقد اشتهر من هؤلاء الشعراء الذين عنوا بأشعارهم ، ووقفوا بأبواب قوافيه ، بل باتوا بها ، كما كانوا يقولون ــ اشتهر من هؤلاء زهير(٢) بن أبى سلمى ، وكعب(٣) بن زهير ، والحطيئة(٤) .. فكان الواحد منهم يمضي عاما كاملا ينقح قصيدة واحدة ، حتى يصل بها الى درجة يظن معها أن قصيدته نالت رضاه واستحسانه ، وقد سميت هذه القصائد ــ لذلك ــ بالحوليات والمنقحات والمحككات .

فهاهو ذا كعب بن زهير ، يذكر الشعر وحاجته الى التقويم والتثقيف ، ويذكر فضله وفضل الحطيئة في هذا الشأن فيقول :

---

(١) هو أبو على الحسن بن على بن رشيق الأزدي القيرواني ، ناقد وأديب وشاعر ، ومن مؤلفاته : « قراضة الذهب في نقد أشعار العرب » و « الغرائب والشذوذ في اللغة » بالاضافة الى كتابه الشهير ، العمدة ، توفي عام ٤٥٦ هـ .

(٢) هو زهير بن ابى سلمى ــ ربيعة ــ ابن رباح المزني ، أحد الشعراء الثلاثة المشهورين والمقدمين في الجاهلية ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة . مات قبل الاسلام بزمن طويل .

(٣) هو كعب بن زهير بن ابى سلمى ، شاعر مخضرم ، كان من أكثر الشعراء هجوا للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء واسلم ، ومدحه بقصيدته الشهيرة « بانت سعاد » توفي سنة ٢٤ هـ .

(٤) الحطيئة : هو جرول بن اوس من بني قطيعة بن عبس ، يكنى أبا مليكة ، وكان راوية كعب بن زهير ــ وهو جاهلي اسلامي ، من فحول الشعراء ومصحليهم ، متين الشعر ، متصرف في جميع الفنون ، ولكنه اشتهر بفن الهجاء ، توفي سنة ٣٠ هـ .

ملامح النقد الأدبي ومقاييسه في العصر الجاهلي

فَمَنْ لِلْقَوَافِي شَانَهَا مَنْ يَحُوكُهَا
إِذَا مَا ثَوَى كَعْبٌ وَفَوَّزَ جَرْوَلُ(١)
يُقَوِّمُهَا حَتَّى تَلِينَ مُتُونُهَا
فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يُتَمَثَّلُ(٢)

والحطيئة يذكر صعوبة المرتقى الى جيد الشعر ، وحاجة الشاعر ازاءه الى الجهد والخبرة ، اذ يقول (٣) :

الشِّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلَّمُهْ
إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهْ
زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهْ
يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهْ(٤)

وهو الذي يقول : « خير الشعر الحولى المنقح المحكك (٥) » .

وعناية الشاعر الجاهلي بشعره : بالنظر فيه وتقويمه وتثقيفه منحى نقدى جاهلى ، سار على نهجه كثير من الشعراء الذين تتابعوا عبر العصور .

ومن هؤلاء الشعراء الذين جروا في طلق الشعراء الجاهليين عدى(٦) بن الرقاع ، وسويد(٧) بن كراع ، ومروان(٨) بن أبى حفصة ، فهاهو ذا عدى بن الرقاع يتحدث عن تقويمه لشعره وتثقيفه له فيقول :

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا
حَتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا(٩)
نَظَرَ الْمُثَقِّفِ فِي كُعُوبِ قَنَاتِهِ
حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافُهُ مُنْآدَهَا(١٠)

وهذا سويد بن كراع يصف نزعة الصناعة وصفا أدبيا في وجه البداهة والارتجال في هذه الأبيات اذ يقول (١١) :

أَبِيتُ بِأَبْوَابِ الْقَوَافِي كَأَنَّمَا
أُصَادِي بِهَا سِرْبًا مِنَ الْوَحْشِ نُزَّعَا(١٢)

---

(١) القوافى : الاشعار . شانها من يحوكها : الحق بها العيب من يتصدى لصنعها ونسجها . ثوى ، فوز : مات . جرول : الحطيئة .

(٢) يقومها : يهذبها ويقوم معوجها . المتون : جمع متن ، وهو الظهر ، اى تستقيم كما يريد . ما يتمثل : ما يشتهر كالمثل .

(٣) الاغانى : ٢ / ١٩٦ .

(٤) يعجمه : يجعله كالاعجمى ، غير مفصح ولا مبين . ويعجمه معطوف على يريد .

(٥) البيان والتبيين : ٢٠٤/١ (تحقيق عبد السلام هارون) . والمحكك : الذى فحص ، واختبر وعولج .

(٦) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع ، من عاملة : شاعر كبير من اهل دمشق ، كان معاصرا لجرير ، مهاجيا له ، مقدما عند بنى أمية ، مداحا لهم ، خاصا بالوليد بن عبد الملك ، لقبه ابن دريد فى كتاب « الاشتقاق » بشاعر اهل الشام توفى نحو ٩٥ هـ .

(٧) هو سويد بن كراع العكلى ، من بنى الحارث بن عوف : شاعر فارس مقدم ، كان فى العصر الاموى صاحب الراى والتقدم توفى نحو ١٠٥ هـ .

(٨) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن ابى حفصة : شاعر مجيد ، عاصر الدولتين : الاموية والعباسية ، ظهر نجمه فى الاخيرة خاصة عند المهدى والهادى والرشيد ، وكان شاعرهم الاول ، اشتهر بالمديح طلبا للنوال ، توفى سنة ١٨٢ هـ .

(٩) السناد ـ هنا ـ : العيب فى الشعر .

(١٠) المناد : المعوج .

(١١) البيان والتبيين : ١٢/٢ ، ١٣ .

(١٢) اصادى : اداجى واخاتل . النزع : جمع نازع ، وهو الغريب .

أُكَالِئُهَـــا حَتَّى أُعَرِّسَ بَعْـدَ مَا
يَكُونُ سُحَيْرًا أَوْ بُعَيْدًا فَأَهْجَعَا(١)

ثم يقول :

وَجَشَّمَنِي خَوْفُ ابنِ عَفَّـانَ رَدَّهَا
فَثَقَّفْتُهَا حَوْلاً جَرِيدًا وَمَرْبَعَـا(٢)
وَقَـدْ كَانَ فِي نَفْسِي عَلَيْـهَا زِيَادَةٌ
فَلَمْ أَرَ إِلاَّ أَنْ أُطِيـعَ وَأَسْـمَعَا

وأما مروان بن أبى حفصة فيتحدث عن صناعته لشعره ، ومعاودة النظر فيه وتقويمه، فيقول : « كنت أعمل القصيدة فى أربعة أشهر وأحككها فى أربعة أشهر ، وأعرضها فى أربعة أشهر ، ثم أخرج بها الى الناس ، فقيل له : فهذا هو الحولى المنقح(٣) » .

٢ ــ النظر فى شعر الغير والحكم عليه :

ولم يقف الأمر بالشعراء الجاهليين عند حد شعرهم بالتأمل فيه والنظر اليه ، ومحاولة تنقيحه وتهذيبه .. بل تعدوا ذلك ، فكان منهم من يتجاوز النظر فى شعره الى النظر فى شعر غيره ، فيتناوله بالفحص والتدقيق وانعام النظر فيه مرة بعد مرة ، ثم يعقب على ذلك ، بما يرى من استحسان أو استهجان .

ومن الأمثلة التى روتها كتب الأدب لحكم بعض الشعراء على بعض ، ما روى أن النابغة(٤) الذبيانى نقد حسان(٥) بن ثابت ، حين أنشده قوله :

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فِى الضُّحَى
وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْـدَةٍ دَمَا

ــ نقده بقوله : أقللت جفانك وسيوفك (لأن الجفنات هى الجمع لأدنى العدد ، أما الكثرة فتجمع على جفان ، وكذلك الأسياف لأدنى العدد ، والكثرة سيوف) وقلت : « يلمعن فى الضحى » ولو قلت : يبرقن فى الدجى لكان أبلغ ، لأن الضيف فى الليل أكثر ، وقلت : « يقطرن من نجدة دما » فدللت على قلة القتل ، ولو قلت : يجرين لكان أكثر لانصباب الدم .

ومنها ما روى أن أهل المدينة نقدوا شعر النابغة الذى وقع فيه « الاقواء » (٦) وهو قوله :

مِنْ آلِ مَيَّـةَ رَائِـحٌ أَوْ مُغْتَدِ
عَجْـلاَنَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُـزَوَّدِ(٧)

---

(١) أكالئها : أراقبها . التعريس : النزول فى وجه السحر .

(٢) الجريد : التام الكامل .

(٣) الخصائص : ١/٣٢٤ ، ٣٢٥ (تحقيق : محمد على النجار) ط دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت .

(٤) هو زياد بن معاوية من ذبيان من قيس ، أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء فى العصر الجاهلى ، توفى سنة ٦٠٤ م .

(٥) هو حسان بن ثابت بن المنذر الانصارى ، شاعر جاهلى اسلامى ، وقد عاش فى الجاهلية ستين سنة ، وفى الاسلام مثلها ، ومات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ . اشتهر فى الجاهلية بمدح ملوك غسان والحيرة ، واختص بعد الاسلام بمدح النبى صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه .

(٦) الاقواء : اختلاف حركة الروى عما بنيت عليه القصيدة من حركة .

(٧) راح : جاء أو ذهب فى الرواح ، وهو العشى . المغتدى : المبكر .

ملامح النقد الأدبي ومقاييسه في العصر الجاهلي

زَعَمَ البَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا
وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الغُرَابُ الأَسْوَدُ(١)

وقوله :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ
فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِاليَدِ(٢)
بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ
عَنَمٌ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ(٣)

ويروى أبو عمرو(٤) بن العلاء أن النابغة الذبياني ، لما قدم يثرب على الأوس والخزرج — وكان أهل الحجاز من المعجبين بشعره ، وكانوا قد عرفوا الأقواء في شعره — دسوا له قينة (جارية) تغنيه به ، فغنته ومدت صوتها بالقوافي ، فظهر الاختلاف في حركتها ، وتنبه النابغة لما جاء منها مضموما ، وهي مكسورة كلها ، فأصلحه على الوجه الآتي :

زَعَمَ البَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا
وَبِذَاكَ تَنْعَابُ الغُرَابِ الأَسْوَدِ
بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ
عَنَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ

(١) البوارح : جمع بارح ، وهو الطير يمر عن يمينك الى شمالك ، وكانوا يتشاءمون به .
(٢) النصيف : كل ما غطى الرأس .
(٣) المخضب : المصبوغ بالخضاب ، وهي الحناء . الرخص : اللين الناعم . البنان : طرف الاصبع . العنم : شجر بالحجاز له ثمر مستطيل احمر ، يشبه به البنان المخضب .
(٤) ابو عمرو بن العلاء ، هو زبان بن العلاء ابن عمار بن عبد الله بن الحسن التميمي المازني ، احد القراء السبعة ، كان من الشيوخ العلماء بالرواية واللغة والادب ، ظل طول حياته يجمع اشعار العرب القدماء ، ولاسيما اشعار الجاهلية ، توفي سنة ١٤٥ هـ .

وقال : « قدمت الحجاز وفي شعرى هنة ، ورحلت عنه وأنا أشعر الناس(٥) » .

ومنها نقد طرفة(٦) بن العبد لقول المتلمس(٧) :

وَقَدْ أَتَنَاسَى الهَمَّ عِنْدَ ادِّكَارِهِ
بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ(٨)

— نقده بقوله « استنوق الجمل(٩) » يعنى طرفة أن الشاعر قد وصف الجمل بما توصف به الناقة ، لأن الصيعرية سمة تكون في عنق الناقة لا الجمل .

ومن الأمثلة على هذا اللون من النقد أيضا — ما روى أن الحطيئة سئل : من أشعر العرب ؟ قال :

الذي يقول :

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ
يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ(١٠)

يقصد بهذا زهيرا ، وسئل : ثم من ؟ قال الذي يقول :

(٥) الموشح : ٣٨ (المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣ هـ) .
(٦) هو ابو عمرو طرفة بن العبد من بكر وائل من ربيعة ، ابن اخي المرقش الاصغر ، وابن اخت المتلمس ، وقد نبغ في الشعر من حداثته ، حتى صار يعد من الطبقة الاولى ، وهو من اصحاب المعلقات ، وتوفي صغير السن سنة ٥٥٠م .
(٧) هو جرير بن عبد المسيح — وقيل ابن عبد العزى — الضبعي ، ولعله ولد ونشأ متنصرا ، وهو خال طرفة بن العبد .
(٨) الناجي : الجمل السريع . المكدم : الصلب .
(٩) الموشح : ٧٦ ، ٧٧ .
(١٠) يفره : يحفظه وافرا .

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ
وَسَائِلُ اللّهِ لاَ يَخِيبُ

يقصد عبيد بن الأبرص(١) .

٣ ـ المفاضلة بين الشعراء :

وليس ما تقدم من نظرات جاهلية نقدية ـ من نظر الشاعر فى شعره ، ومحاولته تهذيبه وتثقيفه ، ومن نظره ـ أحيانا ـ الى شعر غيره والحكم عليه ـ ليس ما تقدم هو كل ما قام به النقد الجاهلى من دور فى تقويم الشعر العربى الجاهلى ، والوصول به الى درجة من الكمال الفنى .. بل ان النقد الجاهلى قد ساهم بلون آخر من الوانه التى عملت على النهضة بالشعر العربى ، هذا اللون هو المفاضلة أو الموازنة بين الشعراء .

وتروى كتب الأدب أن النابغة الذبيانى ، كانت تضرب له قبة فى سوق عكاظ ، حيث يفد اليه الشعراء يعرضون عليه نتاجهم ، فاذا به يستمع اليهم جميعا ، ثم يحكم فى النهاية لمن نالت قصيدته الرضا والاستحسان .

وقد ساعد على هذا اللون من النقد ، وعمل على وجوده دواع كثيرة ، ومواقف متعددة ، منها « تلك المواسم والأسواق ، والمجامع الجامعة ، والمحافل الحافلة ، التى كان العرب يحضرونها بما لديهم من المفاخر ، يتبادلون عندها المنافع ، ويتناشدون الأشعار ، متباهين بجودتها ، وقد جلس للحكم بينهم وتفضيل بعضهم على بعض فيها سادة مقدمون ، ولُسْنٌ « مقاويلُ(٢) » ومنها تلك المواقف التى كثيرا ما « يلتقى فيها شاعران على بساط المنافسة الأدبية ، أو يجرهما اللجاج حول بعض الأمور الى التماس الفوز عن طريق الحكم لأحدهما بالأصالة والمنزلة الشعرية(٣) » .

وتروى لنا كتب الأدب مشهدا من تلك المشاهد التى كانت بين النابغة والشعراء فى عكاظ ، أنشده الأعشى مرة ، ثم أنشده حسان ابن ثابت ، ثم شعراء من بعده ، ثم الخنساء أنشدته قصيدتها فى رثاء أخيها صخر التى منها :

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ
كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِى رَأْسِهِ نَارُ

فأعجب بالقصيدة ، وقال لها : لولا أن أبا بصير ـ يعنى الأعشى ـ أنشدنى لقلت : انك أشعر الجن والانس . فالأعشى اذن اشعر الذين انشدوا النابغة ، والخنساء تليه منزلة وجودة شعر(٤) .

ومن الأمثلة على هذا اللون من النقد الذى يقوم على المفاضلة بين الشعراء ما روى أن رهطا من شعراء تميم اجتمعوا فى مجلس شراب ، وهم الزبرقان(٥) بن بدر والمُخَبَّل(٦)

---

(١) هو عبيد بن الابرص بن عوف بن جشم ابن عامر بن مالك بن زهير ، ينتهى نسبه الى بنى أسد من مضر . وكان عبيد شاعرا جاهليا قديما ، من شعراء الطبقة الاولى ، قديم الذكر ، عظيم الشهرة ، توفى سنة ٥٥٥ م .

(٢) ، (٣) فى النقد الادبى عند العرب : ٦٨ للدكتور : محمد طاهر درويش (دار المعارف) .

(٤) تاريخ النقد الادبى عند العرب : ١٢ للاستاذ : طه احمد ابراهيم (دار الحكمة ـ بيروت) .

(٥) هو حصين بن بدر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن زيد مناة . كان خطيبا وشاعرا ، استعمله النبى على صدقات قومه .

(٦) هو ربيع بن مالك بن ربيعة بن قتال بن انف الناقة ، ينتهى نسبه الى زيد مناة بن تميم ، شاعر مشهور ، عمر فى الجاهلية والاسلام عمرا طويلا ، ومات فى خلافة عمر او عثمان ـ رضى الله عنهما ـ وهو شيخ كبير .

ملامح النقد الأدبي ومقاييسه في العصر الجاهلي

السعدي ، وعبدة(١) بن الطبيب ، وعمرو(٢) ابن الأهتم اجتمعوا قبل أن يسلموا ، وبعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وتذاكروا أشعارهم ، وقال بعضهم : لو أن قوما طاروا من جودة الشعر لطرنا ، فتحاكموا الى أول من يطلع عليهم ، فطلع عليهم ربيعة بن حذار الأسدي أو غيره في رواية ، وقالوا له : أخبرنا أينا أشعر ؟ فقال : أما عمرو فشعره برود يمنية تطوى وتنشر ، وأما أنت يازبرقان فكأنك رجل أتى جزورا قد نحرت ، فأخذ من أطايبها ، وخلطه بغير ذلك ، أو قال له : شعرك كلحم لم ينضج فيؤكل ، ولا ترك نيئا فينتفع به ، وأما أنت يا مخبل فشعرك شهب من الله يلقيها على من يشاء من عباده ، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء(٣) . وفي رواية أخرى أنه قال لعمرو : وأما أنت يا عمرو فان شعرك كبرود حبر ، يتلألأ فيها البصر ، فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر ، وقال للمخبل : وأما أنت يا مخبل ، فان شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم ، وقال لعبدة : وأما أنت يا عبدة فان شعرك كمزادة أحكم خرزها، فليس تقطر ولا تمطر(٤) .

ومن الأمثلة على هذا اللون — أيضا — ما روى أن امرأ القيس(٥) كان جالسا بخبائه وعنده زوجه « أم جندب » الطائية ، فجاءه علقمة(٤) بن عبدة التميمي ، وتذاكرا أمر الشعر ، وادعى كل منهما لنفسه فيه ما ليس عند صاحبه ، فاتفقا على أن ينشدا ، وتحكم بينهما « أم جندب » فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها :

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ
نُقَضِّ لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ

ومنها في وصف جواده :

فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ
وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ(٦)

وقال علقمة يعارضه :

ذَهَبْتَ مِنَ الْهِجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبِ
وَلَمْ يَكُ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ

ووصف فيها جواده فقال :

---

(١) هو عبدة بن الطبيب — يزيد — بن عمرو ابن وعلة بن أنس ، وينتهي نسبه الى زيد مناة ابن تميم ، شاعر مجيد ، ليس بالمكثر ، وهو مخضرم ، ادرك الاسلام فاسلم .

(٢) هو عمرو بن سنان — الاهتم — بن سمى ابن سنان ، ينتهي نسبه الى زيد مناة ، كان خطيبا بليغا وشاعرا .

(٣) تاريخ النقد الادبي عند العرب : ١٤ .

(٤) الموشح : ٧٥ .

(٥) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور — كندة — يعده الرواة شيخ الشعراء في الجاهلية ويعدونه مبتدعا لكثير من المعاني التي سطا عليها الشعراء من بعده ، توفي نحو سنة ٥٦٠ م .

(٤) هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة ابن قيس ، ينتهي نسبه الى زيد مناة ، شاعر جاهلي مجيد ، وكان من صدور الجاهلية وفحولها ، توفي سنة ٥٦١ م .

(٦) الدرة — هنا — : العدو الشديد : الاخرج : واسع ما بين الرجلين . المهذب : الفرس الجواد يمد عنقه في العدو كالغراب ، والذي يسطو براسه .

فَأَدْرَكَهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ
يَمُرُّ كَمَرِّ الرَّائِحِ المُتَحَلِّبِ(١)

فلما فرغا قضت « أم جندب » لعلقمة على امرىء القيس ، فسألها : بم فضلته على ؟ فقالت : فرس بن عبدة أجود من فرسك ، فأنت زجرت وحركت ساقيك ، وضربت بسوطك ، أما علقمة فأدرك بفرسه غرضه ، ثانيا من عنانه ، لم يضربه بسوط ولم يجهده.

مقاييسه :

ولسائل أن يسأل ويقول : على أى نحو كان هذا النقد الجاهلى ؟ أكانت له أصول وأسس يتم على أساسها تقويم الشعر الجاهلى ، أم كان مجرد نقدات فطرية • ونظرات ذوقية ؟

نستطيع أن نقول : ان النقد الذى مارسه قدامى النقاد العرب — فى بدايات النقد وأولياته — لم تكن له أصول معروفة ، ولا مقاييس مقررة ، بل كان مجرد لمحات ذوقية ، ونظرات شخصية ، تقوم على ما تلهمهم به طباعهم الأدبية ، وسليقتهم العربية ، وأذواقهم الشاعرة ، وحسهم اللغوى الدقيق بلغتهم ، واحاطتهم بأسرارها ، ووقوفهم على ما للألفاظ من دلالات وايحاءات فى شتى صورها ، بالاضافة الى ما تزودهم به الطبيعة العربية الجاهلية من معارف وتقاليد تساعدهم كثيرا فى لمحاتهم النقدية ، ونظراتهم الشعرية •

وحينما نحاول تطبيق هذه المقاييس الذوقية الفطرية التى على أساسها كان الناقد الجاهلى يستلهم أحكامه ، ويبنى نقده •• — حينما نحاول تطبيق ذلك على ما تقدم من لمحات نقدية ، نجد ذلك واضحا تمام الوضوح •

فنقد النابغة الذبيانى لشعر حسان بن ثابت — والذى أوردناه من قبل — كان مستمدا من فهم النابغة لطبيعة اللغة العربية ، ومعرفته التامة بدلالات الألفاظ ، وما توحى به أبنية الكلمات من معان وايحاءات •

ونقد أهل المدينة لشعر النابغة ، لما فيه من اقواء ، كان نابعا من فهم العربى لطبيعة الشعر العربى ، ولما ينبغى أن يكون عليه من انسجام فى الوزن ، واتساق فى النغم ، الأمر الذى يتطلب — ضمن ما تتطلبه قواعد الشعر العربى — وحدة حركة الروى ، التى تكسب الشعر اتساقا وانسجاما ، ولذا كان اختلاف حركة الروى — الاقواء — فى شعر النابغة مذهبا لروعة الوزن ، واتساقه ، بل محدثا لنوع من التنافر فى النغم ، والتنافر فى الوزن، مما جعله غير متسق ولا منسجم •

ونقد طرفة لشعر المتلمس لوصفه الجمل بصفة الناقة ، كان مبنيا على فهم واع بطبيعة البيئة العربية ومعرفة تامة بالسمات والصفات التى تتميز بها الحيوانات العربية ، لاسيما الحيوانات التى كانت مرتبطة بحياة العربى ، وكان العربى مرتبطا بها •

وعلى الرغم من وضوح تلك الحقيقة — وهى أن العربى الجاهلى كان خبيرا بلغته، عالما بأسرارها ولطائفها — على الرغم من ذلك نلاحظ بعض نقادنا المعاصرين ، يحاولون التشكيك فى صحة ما نسب الى بعض نقاد العرب القدامى من احكام نقدية ، خاصة تلك

---

(١) المتحلب : السائل ، كأنه لسرعته لا يجرى ، بل يسيل سيلانا .

ملامح النقد الأدبي ومقاييسه في العصر الجاهلي

التي نسبت الى النابغة الذبياني في نقده لحسان بن ثابت بدعوى أن ما فيه ينضح بالروح العلمية ، والنظرة الدقيقة ، التي تتسم بدقة التحليل والقدرة على الاستنباط ، وتلك أمور تأباها طبيعة العصر الجاهلي ، الذي يعتمد على الذوق وحده .

يقول المرحوم الأستاذ / طه أحمد ابراهيم : « ملكة النقد عند الجاهليين هي الذوق الفني المحض ، فأما الفكر وما ينبعث عنه من التحليل والاستنباط ، فذلك شيء غير موجود عندهم ، وبعيد كل البعد عن الروح الجاهلي ، وعن طبيعة العصر الجاهلي ما يضيفه بعض الرواة الى قصة النابغة مع حسان في عكاظ ...

عيب على حسان أن يفتخر فلا يحسن الافتخار ، وأن يؤلف بيته من كلمات غيرها أضخم معنى منها ، وأوسع مفهوما : ترك الجفان والبيض ، والاشراق ، والجريان ، واستعمل الجفنات ، والغر ، واللمعان ، والقطر ، وهي دون سابقاتها فخرا ، وعيب عليه غير ذلك ، وتختلف القصة طولا وقصرا ، وتختلف فيها وجوه النقد ، وكل ذلك تأباه طبيعة الأشياء ، وكل ذلك يرفض رفضا علميا من عدة وجوه(١) » .

ومن هذه الوجوه التي ذكرها قوله « فلم يكن الجاهلي يعرف جمع التصحيح وجمع التكسير ، وجموع القلة والكثرة ، ولم يكن له ذهن علمي يفرق بين هذه الأشياء ، كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه ، ومثل هذا النقد لا يصدر الا عن رجل عرف مصطلحات العلوم وعرف الفروق البعيدة بين دلالات الألفاظ ، وألم بشيء من المنطق(٢) » .

ومنها — أيضا — قوله : « ولو أن هذه الروح (يقصد روح النقد التي اتسم بها نقد النابغة) جاهلية ، لوجدنا أثرها في عصر البعثة ، يوم تحدى القرآن العرب وأفحمهم افحاما ، فلقد لجئوا الى الطعن عليه طعنا عاما ، فقالوا : سحر مفترى ، وقالوا : أساطير الأولين ، ولو أن لديهم تلك الروح البيانية ، لكان من المنتظر أن ينقدوا القرآن على نحوها ، وأن يفزعوا اليها في تلك الخصومة العنيفة التي ظلت نيفا وعشرين عاما(٣) » .

أما بالنسبة للوجه الأول فنقول : ان هذه الدعوى التي أطلقها هذا الناقد — وهي أن العربي الجاهلي لم يكن يعرف جمع التصحيح وجمع التكسير ... — ان هذه الدعوى ، فيها تجن على مقدرة العقل العربي الذي كان يعرف — بلا شك — دلالات الألفاظ والفروق الدقيقة بينها ، وذلك بمنطق الفطرة والطبيعة ، التي فطر عليها ، لا بمنطق العلم ومصطلحاته ، والعربي الجاهلي لم يكن — في

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ١٨ ، ١٩ .

(٢) المرجع نفسه : ١٩ .

(٣) المرجع نفسه : ١٩ ، ٢٠ .

استعمالاته لكلمات لغته ــ بحاجة الى هذه المصطلحات التى وضعها من بعد علماء اللغة والنحو ، بدليل أنه كان يرفع الفاعل ، وينصب المفعول ، ويجر المضاف اليه بفطرته وسليقته ، دون أن يدرك هذه المصطلحات : الفاعل ، المفعول ، المضاف اليه ، الرفع ، النصب ، الجر . اذن فالعربى الجاهلى لم يكن بحاجة فى استعمالاته للغته لهذه المصطلحات : جموع القلة والكثرة ، والتصحيح والتكسير وما اليها ، ولم يكن استعماله لها متوقفا على معرفته بها ، كى يدرك دلالات الألفاظ والفروق الدقيقة بينها .

واما بالنسبة للوجه الثانى فنقول : ان هذه ــ أيضا ــ دعوى ، تحمل بين طياتها انكار كون العرب قد أوتوا حظا من الفصاحة والبلاغة والبيان ، ولو كان الأمر كذلك لما تحداهم الله بالقرآن ، وهو المعجزة البيانية الرائعة ، اذ كيف يتحدى الله بالبلاغة قوما لا حظ لهم منها ؟! واذ تحداهم الله بالبيان فى قرآنه العظيم ، فهذا دليل على مبلغ بلاغتهم ، وطول باعهم فى صناعتها .

أما عدم ردهم على القرآن بنحو بلاغته وفصاحته ، فهذا دليل واضح ، وسلطان بين على مبلغ ادراكهم لبلاغة القرآن ، وأنهم لن يستطيعوا أن يجاروه فيها ، ولذا لم يكن أمام عجزهم الواضح عن ملاحقة بلاغة القرآن ، والرد عليها بنحوها أو مثلها الا قولهم العاجز : سحر مفترى ، أساطير الأولين . ولعل قصة الوليد بن المغيرة ، حينما تلا عليه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ صدرا من سورة « فصلت » وكيف سجد لفصاحة القرآن . وقال فيه قولته الشهيرة : « والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ، ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ، والله ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق ، وانه ليعلو وما يعلى عليه (١) » ــ لعل هذه القصة خير دليل على مدى فهمهم للبلاغة ، وقوة بيانهم ، والا فكيف أدرك الوليد هذه البلاغة القرآنية ، لو لم تكن لديهم هذه الروح البيانية ، هذه الروح البيانية التى ينكرها عليهم ويسلبها منهم هذا الناقد !! .

ان هذه دعوى تنقضها الحجة الواضحة ، وتنقضها مخالفة الواقع ، بل فيها مماراة مكشوفة ، وظلم للعقل العربى الجاهلى !

طبيعة احكامه :

لعلنا نستطيع ــ من خلال ما تقدم من حديث عن ملامح النقد الجاهلى ومقاييسه ــ أن نستشف طبيعة الأحكام النقدية فى هذا العصر ، وأن نقف على سماتها وملامحها .

وأول سمة لهذه الأحكام ، **هى سمة العموم** ، ونعنى بها أن يطلق الناقد ــ فى أحيان كثيرة ــ أحكامه ، ويرسل آراءه ، دون أن يذكر سببا ، أو يردف علة ، وخير مثل لذلك قول الحطيئة ــ وقد سئل عن أشعر العرب ــ : أشعر العرب الذى يقول :

---

(١) صفوة التفاسير : ٤٧٦/٣ للاستاذ محمد على الصابونى (دار القرآن الكريم ــ بيروت) .

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ
يَفِرْهُ وَمَنْ لاَ يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

يقصد زهيرا . وسئل : ثم من ؟ قال الذي يقول :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ
وَسَائِلُ اللهِ لاَ يَخِيبُ

ومن ذلك حكمهم على بعض القصائد بأنها بالغة منزلة عليا في الجودة بالموازنة بغيرها ، كقولهم في قصيدة سويد (١) بن أبي كاهل اليشكري التي مطلعها :

بَسَطَتْ رَابِعَةُ الْحَبْلَ لَنَا
فَوَصَلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعْ

– قولهم عنها انها من خير القصائد ، ودعوها اليتيمة (٢) .

وكقولهم عن قصيدة حسان اللامية التي مدح بها أبناء (جفنة) ، والتي قال فيها :

لِلّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ
يَوْمًا بِجِلَّقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

– قولهم عنها انها من أحسن ما قيل في المدح ، وتسميتهم لها بالبتارة ، لأنها بترت المدائح (٣) .

وقولهم عن قصيدة علقمة بن عبدة التي يقول فيها :

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ ؟

– قولهم عنها : انها سمط الدهر . فلما انشد قصيدته التي مطلعها :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ
بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

قالوا : هاتان سمطا الدهر (٤) . الى غير ذلك من الأحكام العامة ، التي لا توضح علة ، ولا تذكر سببا .

السمة الثانية : الايجاز ، ونعني بها أن الناقد كثيرا ما يعلق حكمه النقدي بعبارة موجزة ، يفهم منها ما يراد ، ولكن دون شرح أو تفصيل . وذلك يتضح من نقد طرفة لشعر المتلمس السابق ، حينما قال : « استنوق الجمل » فهذه عبارة موجزة تحمل حكما نقديا ، عيب به شعر المتلمس الذي وصف الجمل بسمة الناقة .

السمة الثالثة : الجزئية ، ونقصد بها تناول الناقد لجزئيات من الجوانب الفنية للقصيدة ، كجانب الألفاظ أو جانب المعاني ، أو جانب الوزن ، مثلا ، دون تناوله للقصيدة كلها تناولا متكاملا كما يتجه الى ذلك النقد الحديث . فيتناول الناقد الجاهلي لفظة ، أو ألفاظا ، فيصفها – مثلا – بالسلاسة أو الجزالة ، أو يتناول معنى أو معاني وردت في القصيدة ، فيسمها بالصحة أو الخطأ ،

(١) هو سويد بن أبي كاهل – غطيف أو شبيب – ابن حارثة الذبياني اليشكري ، شاعر من مخضرمي الجاهلية والاسلام . اشهر شعره هذه العينية التي كانت تسمى في الجاهلية « اليتيمة » توفي بعد سنة ٦٠ هـ .
(٢) المفضليات (عليش) : ١٩٠ (تحقيق : احمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون – ط ثانية . دار المعارف) .
(٣) تاريخ النقد الادبي عند العرب : ١٤ .
(٤) المرجع نفسه : ١٣ .

أو بالوضوح أو الغموض ، وخير ما يمثل ذلك مما قدمنا من أمثلة : نقد طرفة لشعر المتلمس ، فقد استهدف فيه طرفة جانب المعنى ، ونظر فيه فوجده خطأ .

ومنه – أيضا – نقد أهل المدينة لشعر النابغة ، فهو نقد استهدف جانب الوزن – أو الشكل الموسيقى – ورأى فيه نشازا فى الوزن ، حيث اختلفت حركة الروى فى الأبيات ، فأحدثت هذا النشاز فى الوزن ، والتنافر فى النغم ، مما آذى السمع ، وأذهب بشىء غير يسير من روعة الوزن .

وكذلك نقد النابغة لبيت حسان السابق الذكر ، كله منصرف الى ألفاظ وكلمات دون تناول النقد للنص كعمل فنى متكامل .

وذلك لأن « الشعر عند نقدته من الجاهليين صياغة وفكرة ، كان نظما محكما أو غير محكم ، ومعنى مقبولا أو غير مقبول ، فمعنى المتلمس فاسد ، لأنه أسند صفة لغير ما تسند اليه ، ومعانى المهلهل التى غالى فيها فاسدة ، لأنها فوق المعقول ، وشعر الزبرقان يجمع بين الطيب والردىء ، أو هو ألفاظ مرموصة ، لا قوة فى معانيها ، ولا روح تؤلف بينها ، وشعر عبدة بن الطبيب قوى الأسر ، متين النظم ، متماسك متلاحم ، فالصياغة والمعانى ، هى ما ينقد فى الشعر الجاهلى .. فان لم يتعرض الجاهلى فى النقد للشعر تعرض للشاعر ، فآثره على غيره ، أو وازنه بغيره من الشعراء .

هذان هما الميدانان اللذان جال فيهما النقد جولات خفيفة فى العصر الجاهلى : الحكم على الشعر والتنويه بمكانة الشعراء ، فأما غير ذلك من البحث فى طريقة الشاعر ، أو مذهبه الأدبى ، أو صلة شعره بالحياة الاجتماعية ، فذلك ما لم يعرفه العصر الجاهلى ، وغاية تقدمهم أن يأخذوا الكلام منقطعا عن كل مؤثر ، بل منقطعا عن بقية شعر الشاعر ، ويتذوقونه وفاقا لسليقتهم ، ثم يفصحون عن رأيهم .. (١) » .

السمة الرابعة : التأثرية والذاتية ، ونعنى بهما أن الأحكام النقدية كثيرا ما تكون قائمة على احساس الناقد بأثر الشعر فى نفسه ، وعلى مقدار وقع الكلام عنده ، فالحكم مرتبط بهذا الاحساس قوة وضعفا ، واحساس العربى بأثر الشعر احساس فطرى ، وتذوقه له طبيعة وجبلة ، ومن هنا يكون حكمه – فى كثير من الأحايين – قائما على ذوقه وفطرته ، فهما اللذان يهديانه الى الجيد من فنون القول ، والى المبرز من الشعراء . وهذا يعنى أنه ليست لديه مقاييس مقررة ، ولا أصول معروفة للحكم على الجيد من الكلام ، أو المبرز من الشعراء ، ليس لديه غير طبعه وذوقه ، والا فعلى أى أساس كانت قريش تقبل من الأشعار ما تقبل ، وترد ما ترد ؟ وما الخصائص الفنية فى قصيدتى

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب : ١٦ ، ١٧ .

ملامح النقد الأدبي ومقاييسه في العصر الجاهلي

علقمة حتى تكونا نفيستين ؟ وما الذي كان رائعا في قصيدة الخنساء حتى فضلت على حسان ؟ وماذا حوت قصيدة حسان في أبناء (جفنة) حتى بذت جميع المدائح ؟ تلك أحكام لا تقوم على تفسير أو تعليل ، ولا تستند على قواعد مقررة ، وليس لها من دعامة الا الذوق العربي المحض (١) .

وبعد : فمهما يكن من شيء فان هذه اللمحات النقدية الأولية ، التي مارسها النقد في العصر الجاهلي ، قد لعبت دورا لا بأس به في تقويم الشعر العربي وهدايته ومعاونته على الوصول الى الكمال ، أو على الأقل الى أولى درجات الكمال ، وأنها أشارت — أيضا — الى أن كلا من الشاعر العربي والناقد العربي الجاهليين ، كان يعرف الأسرار الدقيقة لهذا الفن الأدبي ، فأهل يثرب (المدينة) يعرفون الاقواء ، والنابغة الذبياني يلحظ — في دقة — الفرق بين جموع القلة وجموع الكثرة ، وان كانوا جميعا يعرفون ذلك ذوقا وفطرة لا علما وفنا .

ولا شك في أن هذا التحليل الدقيق ، انما هو لون من ألوان النقد الأدبي الصحيح ، الذي يقرب النص الأدبي ، الى المتلقي ويقدمه اليه ، والى صاحبه نفسه — كذلك — بعد شرحه وتفسيره .

وليس كل ما تقدم هو كل ما قام به النقد الجاهلي ، من دور في تقويم الشعر العربي والوصول به الى درجة عالية من الكمال الفني — بل ان هذا النقد ، قد ساهم بلون آخر من ألوانه التي عملت على النهضة بالشعر العربي ، هذا اللون هو المفاضلة ، أو الموازنة بين الشعراء .

وكان من ثمرة هذا اللون الذي ولد في العصر الجاهلي أن سرى تيار المفاضلة بين الشعراء والموازنة بينهم ، وهيمن على نتاج أدباء القرن الرابع ، وزخرت المكتبة العربية — بفضله — بروائع الموازنات بين الشعراء ، من أمثال : « الموازنة بين أبي تمام والبحتري » « للآمدي (٢) ، و « الوساطة بين المتنبي وخصومه » للجرجاني (٣) بالاضافة الى كتب « نقد الشعر » لقدامة ، و « العمدة » لابن رشيق وغيرها من الكتب التي حوت كثيرا من هذه الموازنات .

د. محمد عارف محمود حسين
كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر

(١) المرجع نفسه : ١٨ (مع بعض التصرف) .

(٢) هو ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، كان كاتبا لابي جعفر هارون بن محمد الضبي ، وكان شاعرا ايضا ، وجه عنايته الى دراسة اشعار المتقدمين ونقدها ، ومن تصانيفه : « المؤتلف والمختلف » و « معجم الشعراء » و « الأمالي » . توفي سنة ٣٧١ هـ .

(٣) هو ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، كان اديبا ممتازا ، له عدة تصانيف ، منها كتابه المشهور « الوساطة بين المتنبي وخصومه » توفي سنة ٣٦٦ هـ .

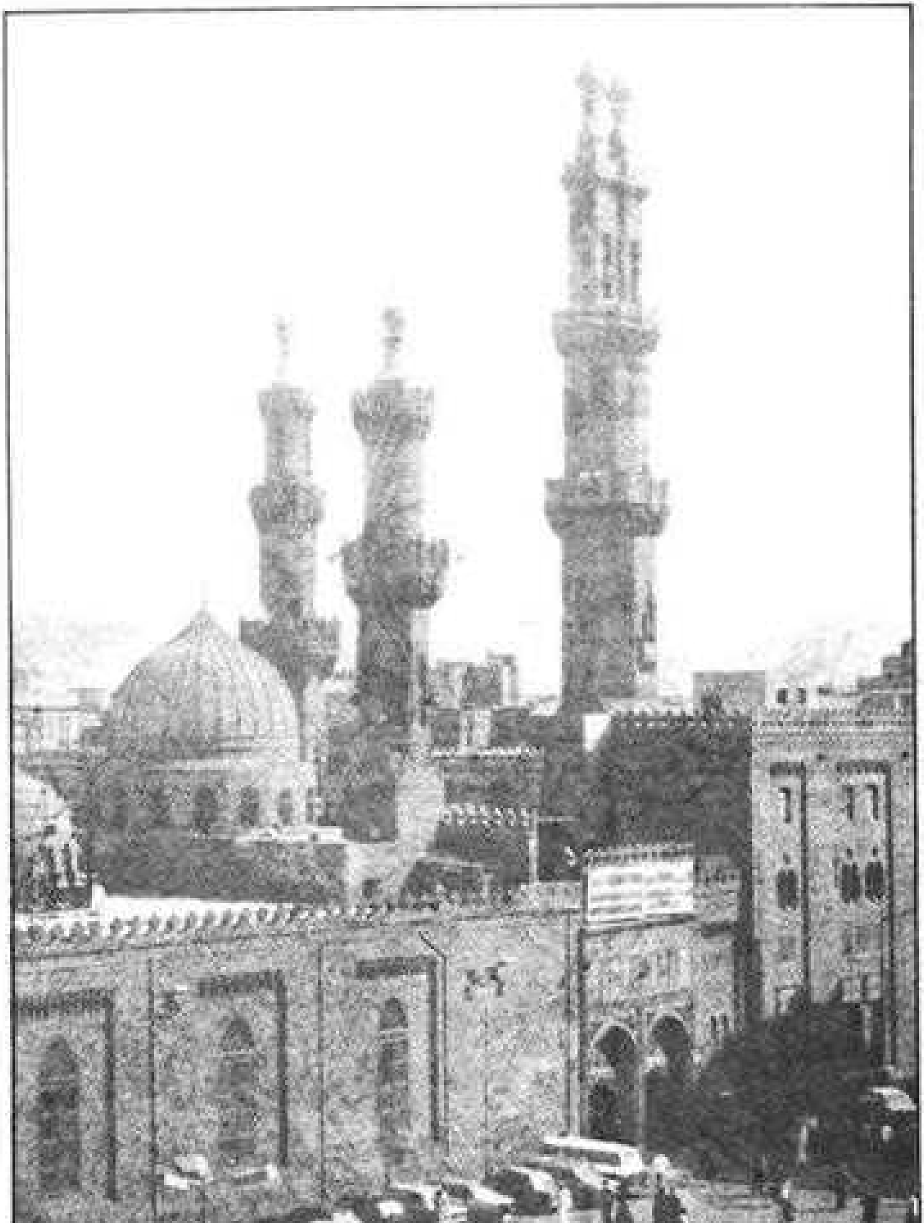
جولة

حول المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية

● علماء المسلمين

الذين منحهم الرئيس محمد حسني مبارك أوسمة

في العيد الألفي للأزهر



علماء المسلمين

الذين منحهم الرئيس مبارك أوسمة

في عيد الأزهر

* وقد سلم الرئيس وشاح النيل الى فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق . وسلم الرئيس وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى الى أصحاب الفضيلة الشيوخ محمد متولى الشعراوى وابراهيم الدسوقى وأحمد حسن الباقورى وزكريا البرى ومحمد السعدى فرهود وحسنين محمد مخلوف ومصطفى الطير وعطية محمد صقر وأحمد فتحى الزيات وعبد اللطيف خليف وأحمد محمد عمر وعبد الرحمن الكردى والحسينى هاشم وعبد الحكيم حسن نعناع وحامد عبد الحميد جامع .

ومنح الرئيس حسنى مبارك وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى الى أسماء المرحومين أصحاب الفضيلة الشيوخ حسون عبد الله النواوى وسليم أبو فرهاد البشرى ومحمد أبو الفضل الجيزاوى ومحمد مصطفى محمد المراغى ومحمد الأحمدى ابراهيم الظواهرى ومصطفى حسن أحمد عبد الرازق ومحمد مأمون سيد أحمد الشناوى وعبد المجيد سليم وابراهيم ابراهيم حمروش ومحمد الخضر حسين ـ من أصل تونسى ـ وعبد الرحمن سيد على

←

علماء المسلمين
الذين منحهم الرئيس مبارك أوسمة
فى العيد الألفى للأزهر

حسن ومحمود شلتوت وحسن مصطفى مأمون ومحمد محمد الفحام وعبد الحليم محمود علي ·

ومنح الرئيس حسنى مبارك نفس الوسام للدكتور عبد المنعم احمد النمر واسم المرحوم الشيخ الدكتور محمد البهى واسم المرحوم الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبى والدكتور بدوى عبد اللطيف عوض والدكتور عوض الله حجازى واسماء المرحومين الدكتور محمد حسن فايق والحسينى احمد سلطان ودسوقى محمد العربى وسيد على المرصفى وعبدالرحمن حسن عبدالمنعم وعبدالرحمن محمد قراعة ومحمد احمد عرفه ومحمد بخيت المسيرى ومحمد الشافعى الظواهرى ومحمد عبد اللطيف الفحام ومحمد عبد الله دراز ومحمود اسماعيل الدينارى ويوسف أحمد نصر الدجوى ·

ومنح الرئيس نفس الوسام للدكتور احمد فهمى ابو سنه واصحاب الفضيلة الشيوخ احمد محمد هريدى وبدر متولى عبد الباسط وعلى حسن عبد القادر وعبد العزيز هويدى وسليمان حزين وصالح موسى شرف وعبد الحليم الجندى وعبد الله عبد الخالق المشد والدكتور محمد جمال الدين الفندى ومحمد خاطر الشيخ ومحمد شمس الدين ابراهيم ومحمد عبد الله ماضى والدكتور محمد مصطفى شلبى والدكتور محمد مهدى علام ·

ومنح نفس الوسام لأعضاء مجمع البحوث الاسلامية من البلاد الشقيقة وهم : الدكتور اسحق موسى الحسينى ــ من فلسطين ــ والدكتور عبد الجليل حسن ــ من ماليزيا ــ والدكتور عبد الله تمام ــ من المغرب ــ وعلى عبدالرحمن الأمين ــ من السودان ــ والدكتور محمد الحبيب الشاذلى ــ من تونس ــ واللواء ركن محمود شيت خطاب ــ من العراق ــ والأستاذ وفيق القطان ــ من لبنان ·

ومنح الرئيس حسنى مبارك هذا الوسام الى اسماء المرحومين الشيوخ عيسى احمد متولى ــ وهو من أصل فلسطين ــ ومحمد أبو زهرة ومحمد احمد

فرج السنهورى ومحمد على السايس ومحمد نور الحسن وهو من أصل سودانى ـ والمهندس عبد السلام فهمى والشيخ ثابت ابو المعالى معالى عثمان واسم المرحومين الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ومحمود أبو العيون ومنحه لكل من : الشيخ خلف السيد على وعبد الجليل عبده شلبى واسم المرحوم محمود حب الله خير الله ومنحه للشيخ عبد الحميد عبد الحكيم الغفارى وعبد العزيز عبدالله عبيد وعبد الغنى عبد الله الراجحى ومحمد محمود أبو شهبة واسم المرحوم محمد على سالم ابو الروس ٠

ومنح الرئيس نفس الوسام الى أصحاب الفضيلة الشيوخ سليمان حسن ربيع والشيخ عبد السلام أبو النجا ومحمد عبد المنعم خفاجى ومحد نايل حمد ويوسف ابو العلا الجاشع ويوسف البيومى البسيونى واسم المرحومين الشيوخ امام الخولى ويوسف أحمد عوض ٠

ومنح الرئيس نفس الوسام الى الشيوخ محمد قناوى عبد الله ومحمد كامل الفقى وابراهيم على أبو الخشب وعبد العظيم على الشناوى ومحمد رفعت فتح الله وسليمان سيد أحمد دنيا وعبد الغنى عبد الخالق ٠

والى أسماء المرحومين الشيوخ أحمد الشرباصى وعبد الحميد على تادوم وعبد المتعال الصعيدى ومحمد فتح الله بدران ومحمد محمد الاودن ومحمد يوسف موسى ٠ ومنحه الى الشيخ زكى ابراهيم سويلم واسم المرحوم الشيخ محمد حسن شيانه ٠

ومنحه الى الشيوخ محمد عبد التواب محمد مرسى عامر وأسماء المرحومين الشيوخ محمد محمد التمرى وعلى محمود ٠

اعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام

جولة حول
المؤتمر التاسع
لمجمع البحوث الإسلامية

أعضاء مجمع البحوث الإسلامية

* من جمهورية مصر العربية :

١ ـ فضيلة الامام الأكبر الاستاذ الشيخ جادالحق على جادالحق «رئيس المجمع»
٢ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى
٣ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ أحمد عبد العال هريدى
٤ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور أحمد فهمى أبو سنة
٥ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم
٦ ـ السيد الاستاذ المستشار السيد عبد العزيز هندى
٧ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور بدر المتولى عبد الباسط
٨ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور بدوى عبد اللطيف عوض
٩ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور زكريا البرى
١٠ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف
١١ ـ السيد الاستاذ الدكتور سليمان حزين
١٢ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ صالح موسى شرف
١٣ ـ السيد الاستاذ المستشار عبد الحليم محمود الجندى
١٤ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ عبد العزيز محمد عيسى
١٥ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الغنى عبد الخالق
١٦ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الله عبد الخالق المشد
١٧ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور عبد المنعم أحمد النمر
١٨ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ عطيه محمد صقر
١٩ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور على حسن عبد القادر

تقديم : محمد أمين البدري

٢٠ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور عوض الله جاد حجازى
٢١ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ محمد أبو النور زهير
٢٢ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود
٢٣ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار
٢٤ ـ السيد الاستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندى
٢٥ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ محمد خاطر محمد الشيخ
٢٦ ـ السيد الاستاذ الدكتور محمد خلف الله احمد
٢٧ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور محمد شمس الدين ابراهيم
٢٨ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى
٢٩ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور محمد كمال جعفر
٣٠ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى
٣١ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور محمد محمد مصطفى شحاته
٣٢ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور محمد مصطفى شلبى
٣٣ ـ السيد الاستاذ الدكتور محمد مهدى علام
٣٤ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ مصطفى محمد الطير

* من خارج جمهورية مصر العربية

٣٥ ـ السيد الاستاذ الدكتور محمد الحبيب الشاذلي بلخوجة — تونس
٣٦ ـ السيد الاستاذ الدكتور على عبد الرحمن الامين — السودان
٣٧ ـ السيد اللواء الركن محمود شيت خطاب — العراق
٣٨ ـ السيد الاستاذ وفيق القصار — لبنان
٣٩ ـ السيد الاستاذ الدكتور اسحاق موسى الحسينى — فلسطين
٤٠ ـ السيد الاستاذ الدكتور عبد الجليل حسن محمد — ماليزيا
٤١ ـ السيد الاستاذ الدكتور عبد الله كنون — المغرب

حول المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الاسلامية

المدعون لحضور الاحتفال بالعيد الالفى للأزهر

الاسم	الوظيفة
الامارات العربية :	
١ ـ الشيخ محمد عبد الرحمن البكر	وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية
٢ ـ الشيخ عبد الجبار الماجد	مدير دائرة الأوقاف والشئون الدينية
٣ ـ الاستاذ صقر المرى	وكيل وزارة العدل والأوقاف
٤ ـ الشيخ على الهاشمى	مستشار الدولة لشئون القضاء
٥ ـ الشيخ احمد عبد العزيز مبارك	رئيس القضاء الشرعى
٦ ـ السيد على خلفاء الطاهر	مدير دائرة الموانى والمنائر
البحرين :	
١ ـ الشيخ عبد الرحمن بن محمد آل خليفة	وزارة العدل والشئون الاسلامية
٢ ـ الشيخ عبد الله فضال	رئيس المحكمة الكبرى الشرعية
٣ ـ الشيخ محمد بن عبد اللطيف السعد	وكيل محكمة الاستئناف العليا الشرعية
الجزائر :	
١ ـ السيد مولود قاسم	مستشار برئاسة الجمهورية
الصومال :	
١ ـ الاستاذ حسن عبد الله فراج	رئيس المحكمة العليا الشرعية
٢ ـ الشيخ احمد شرى محمود	وزير العدل والشئون الدينية
٣ ـ السفير عبد الرحمن فارح	مدير الادارة العربية بالخارجية
عمان :	
١ ـ معالى الشيخ الوليد بن زاهر الهنائى	مستشار الدولة للشئون الداخلية
٢ ـ سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلى	المفتى العام لسلطنة عمان
٣ ـ السيد هلال بن حمد السحار	وزير الدولة والاوقاف والشئون الاسلامية

العـــراق :

١ ـ الشيخ ايوب توفيق السمرائى — رئيس رابطةعلماء الدين بمحافظة صلاح الدين

٢ ـ الشيخ محمد عمر القرضاغى — رئيس لجنة التوعية الدينية بمحافظة الرمانية

٣ ـ الشيخ حسن محمد الصفى — رئيس لجنة التوعية الدينية بمحافظة كربلاء

٤ ـ اللواء محمود شيت خطاب — عضو المجمع

قطـــر :

١ ـ الشيخ عبد الله الانصارى — مدير الشئون الدينية والتربية والتعليم

٢ ـ الشيخ عبد الرحمن عبد الله بن زيد المحمود — وكيل رئاسة المحكمة الشرعية

الكـويت :

١ ـ الشيخ يوسف الحجى — وزير الأوقاف سابقا

٢ ـ السيد عبد العزيز حسين — وزير الدولة لشئون الرئاسة

لبنـان :

١ ـ الاستاذ وفيق القصار — عضو المجمع

٢ ـ الشيخ محمد ابو شقرة — شيخ عقل الطائفة الدرزية اللبنانية

٣ ـ الرئيس صائب سلام — رئيس وزراء لبنان السابق والرئيس الاعلى لجمعية المقاصد

٤ ـ الشيخ محمد مهدى شمس الدين — نائب رئيس المجلس الشيعى اللبنانى الأعلى.

المغـرب :

١ ـ الدكتور عبد الله كنون — عضو المجمع ورئيس رابطة علماء المغرب

٢ ـ الشيخ محمد المكي الناصرى — رئيس المجلس العلمى بالرباط

٣ ـ الاستاذ عبد الوهاب منصور — مؤرخ بالمغرب

٤ ـ الدكتور رشدى فكار — استاذ مصرى بجامعة الملك محمد الخامس

الأردن :

١ ـ الدكتور ناصر الدين الاسد — رئيس المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية

٢ ـ الشيخ عبد الحميد السايح عضو المجمع الملكي للحضارة الاسلامية

٣ ـ الشيخ محمد عبده مفتي الأردن

فلسطين :

١ ـ الدكتور اسحاق موسى الحسيني عضو المجمع (القدس)

اليمن الجنوبية :

١ ـ السيد عبد القوى مكاوى مقيم بالقاهرة

السودان :

١ ـ الشيخ على عبد الرحمن الأمين عضو المجمع

٢ ـ مولانا السيد / محمد عثمان المرغني زعيم الطائفة المرغنية

٣ ـ السيد / دفع الله الحاج يوسف رئيس المجلس الاعلى للشئون الاسلامية والاوقاف

٤ ـ الدكتور محمد أحمد الحاج مدير جامعة أم درمان الاسلامية

٥ ـ السيد / أحمد عبد الرحمن المهدى طائفة الانصار

٦ ـ الدكتور عبد الملك عبد الله الجاعلى أمين عام المجلس الاعلى للشئون الدينية والاوقاف

٧ ـ السيد محمد الخليفة الريفى من الطائفة الختمية

٨ ـ السيد رمضان شول مسلم من جنوب السودان

٩ ـ السيد على تميم مبارك عضو اللجنة التنفيذية التمهيدية للجنة الاسلامية للاقليم الجنوبى بالسودان

تونس :

١ ـ الدكتور محمد محمد الحبيب الشاذلى بلخوجة مفتى تونس وعضو المجمع

٢ ـ الدكتور عبد الله الوصيف عميد كلية الشريعة التونسية

السعودية :

١ ـ الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى مدير جامعة محمد بن سعود

٢ ـ الاستاذ سليمان عبيد مدير اذاعة نداء الاسلام
٣ ـ الشيخ صفوت السقا الامين العام المساعد برابطة العالم الاسلامى
٤ ـ الدكتور راشد راجح مدير جامعة أم القرى بمكة
٥ ـ الدكتور عبد الله نصيف مدير جامعة الملك عبد العزيز
٦ ـ الدكتور عبد الله بن عبيد مدير الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة
٧ ـ الشيخ عمر محمد فلاته أمين عام الجامعة الاسلامية بالمدينة
٨ ـ الدكتور احمد القبيب أمين عام مؤسسة الملك فيصل الخيرية
٩ ـ الشيخ محمد على الصابونى سورى يعمل أستاذا بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بالسعودية
١٠ ـ السيد حسن عباس الشربتلى سعودى ناشر كتاب (صفوة التفاسير)

اليمن الشمالى :

١ ـ القاضى يحيى الفسيل رئيس الهيئة العامة للمعاهد العلمية

ليبيا :

١ ـ الشيخ محمد بن عليوه مقيم بالقاهرة
٢ ـ الاستاذ محمد بن يونس وزير سابق ومقيم بالقاهرة

الدول الافريقية

جمهورية بنين ـ (داهومى سابقا) :

١ ـ الدكتور كريم دارامان نائب مدير جامعة بنين
٢ ـ السيد عبد الغفار بدر الدين رئيس جمعية أنصار الدين

بوروندى :

١ ـ الشيخ عثمان جاباسا امام مسجد فى بوجمبورا
٢ ـ السيد جمعه حسين رئيس المجلس الاعلى الاسلامى

تشاد :

١ ـ الامام موسى ابراهيم امام مسلمى تشاد

تنزانيا :

١ ـ الشيخ حميد بن جمعه مفتى تنزانيا
٢ ـ الشيخ على حبيب قاضى قضاة تنزانيا

زنزبار :

٣ ـ الشيخ حبيب على كومبو قاضى القضاة
٤ ـ الشيخ موسى ما كونجو عميد المعهد الاسلامى بزنزبار

حول المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية

٥ ــ الشيخ عبود جومبي نائب رئيس الجمهورية ورئيس زنزبار

توجو :

١ ــ الاستاذ احمد يوسف رئيس المدارس الاسلامية

٢ ــ الحاج بونفويا سابي وكندي رئيس اتحاد المسلمين بوكارى

زمبابوى :

١ ــ الشيخ احمد طالب على رئيس مجلس أئمة زمبابوى

ساحل العاج :

١ ــ الحاج موسى كومارا رئيس المجلس الاعلى

السنغال :

١ ــ الشيخ عبد العزيز سى زعيم الطائفة التيجانية أفريقيا

٢ ــ احمد ايان نيام بن مصطفى سى من القيادات الدينية

٣ ــ الحاج عبد الله نياس مدير معهد الأزهر فى كولخ

جامبيا :

١ ــ محمد الامين باه امام مسجد بانجول

غانا :

١ ــ الحاج يوسف اجورا من أكبر الزعماء الدينين فى شمالى غانا مدير معهد التجارية الاسلامية بشمال غانا

٢ ــ الشيخ آدم افيدو مدير المعهد الاسلامى بكوماس باقليم الاوشنتى

٣ ــ محمد صالح ستارى من رجال الاعمال

كينيا :

١ ــ الشيخ ناصر محمد نهدى كبير قضاة مباسا

٢ ــ الاستاذ محمود سليمان سعيد بالمجلس الاعلى لمسلمى كينيا

٣ ــ الدكتور محمد حيدر استاذ بجامعة نيروبى

٤ ــ الدكتور احمد سليم استاذ التاريخ الاسلامى بجامعة نيروبى

مـــالى :

١ ــ الشـيخ احمـد حماة اللـه — مـدير المعهـد الاسـلامى
٢ ــ الحـاج عمـر لـى — رئيس الجمعيـات الاسـلامية
٣ ــ السيد محمد الهادى درامى — مدير ادارة الهجـرة بوزارة الثقافة

مدغشـقر :

١ ــ السـيد كوسـاى سـيد على — وزيـر الشـباب المجـاشى

موزمبيـق :

١ ــ الحـاج ابو بكر حـاج موسى — امام وخطيب مسـجد انوار الاسـلام (مابوتو)
٢ ــ السـيد يوسف احمد حنيظى — عضـو المجلس الاسـلامى

النيجـر :

١ ــ السيد ابو القـاسم البيهقى — سكرتير عـام الجمعيـة الاسلامية
٢ ــ الحـاج عمـر اسـماعيل — رئيس الجمعيـة الاسـلامية

نيجيريـا :

١ ــ الحـاج ابـو بكر جـومى — رئيس جمـاعة نصـر الاسـلام
٢ ــ الحـاج سـتاتى ابـو بكـر — رئيس لجنـة العلاقات الخارجية بمجلس النـواب
٣ ــ الحـاج ابو بـكر سـفاجى — مدير قسـم التسويق بصحيفة الديلى تايمز
٤ ــ السيد عثمان محمد الناصر محمد المختـار الكنوى — من علمـاء شـمال نيجيـريا
٥ ــ الشـيخ كمـال الـدين الادبى — من القيـادات الدينيـة فى كـوارا
٦ ــ الشـيخ آدم عبد الله الالورى

افريقيـا الوسـطى :

١ ــ السـيد داود مسـلم — داعيـة اسـلامى
٢ ــ السـيد معلم بـابـا — امـام مسجد فى العاصـمة بانجى

زامبيـا :

١ ــ الحـاج شـيجى — زعـيم قبيلـة فى الشـمال
٢ ــ الشيخ عبد الحميـد البنـا — من ملاوى ومقيم بصفه دائمـة فى زامبيا

موريشـوس :

١ ــ السيد / عبد اللـه احمـد — رئيس المجلس الاسـلامى

٥

حول المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية

أوغندا :

١ ـ الشيخ عبد الرازق ما توفو — مفتي أوغندا
٢ ـ الامير بدر لولو نجو — زعيم مسلمي الباجندا
٣ ـ الدكتور طه نسيركو — سكرتير عام اللجنة المكلفة بانشاء الجامعة الاسلامية بأوغندا
٤ ـ الشيخ قاسم مولومبا — قاضي قضاء أوغندا

فولتا العليا :

١ ـ الجنزال بيامى — من القيادات الدينية البارزة

الجابون :

١ ـ الحاج محمد موابا بولستا — المختص بالعلاقات الخارجية والشئون الاسلامية

جزر القمر :

١ ـ السيد احمد الشيخ — السكرتير العام برئاسة الجمهورية ومدير عام الشئون الاسلامية
٢ ـ السيد ابراهيم عبد الله — برئاسة الجمهورية
٣ ـ الشيخ عمر عبد الله — وزير الشئون الدينية

زائير :

١ ـ السيد حسن ثابت — رئيس رابطة الاسلام بزائير

جيبوتي :

١ ـ السيد عمر كامل وارساما — وزير العدل والشئون الاسلامية
٢ ـ السيد محمد عبد الله صالح — مسئول شئون الاوقاف

ليبريا :

١ ـ الحاج محمد سيلان — رئيس جمعية المؤتمر الاسلامى

غينيا بيساو:

١ ـ حيدرا الامين — مدير عام وزارة الخارجية ومدير الشئون الاسلامية القانونية
٢ ـ السيد / سامبا الامين مانى — مدير عام وزارة الخارجية ومدير الشئون الاسلامية والقانونية

جنوب افريقيا :

١ ـ محمد صالح دين — الرئيس الدائم لمجلس القضاء الاسلامي بجنوب أفريقيا

سيراليون :

١ ـ الحاج سنوس مصطفى — رئيس الجمعية الاسلامية

غينيا ـ كوناكرى :

١ ـ فودى كمارا — وزير الشئون الدينية

الدول الاسيوية

اندونسيا :

١ ـ السيد علم شاه — وزير الشئون الاسلامية
٢ ـ السيد / ادهم خالد — رئيس حزب نهضة العلماء ورئيس المجلس الاستشارى
٣ ـ السيد / شكرى غزالى — رئيس مجلس علماء مسلمى اندونسيا
٤ ـ الدكتور فؤاد فخر الدين — مدير اكاديمية اللغة العربية
٥ ـ السيد / محمد طاهر حيلى — رئيس جمعية الظاهرية
٦ ـ السيد / عبد الله الشافعى — رئيس جمعية الشافعية
٧ ـ السيد / احمد شيخو — رئيس جمعية المبلغين
٨ ـ الاستاذ / اسماعيل يعقوب — عضو البرلمان
٩ ـ السيد / عبد الرجاء فخر الدين — رئيس الجمعية المحمدية

باكستان :

١ ـ مولانا طفيل احمد محمد — رئيس حزب جماعات اسلامى
٢ ـ الاستاذ خليل احمد الحامدى — مدير دار العروبة للدعوة الاسلامية
٣ ـ الدكتور محمد افضل — رئيس المجلس الاعلى للجامعة
٤ ـ الشيخ يوسف طلال — مستشار برياسة الجمهورية للشئون الاسلامية
٥ ـ السيد / عبد القادر ازاد — امام مسجد شاهى بلاهور
٦ ـ السيد / عبد الله — رئيس الجامعة الاسلامية الاشرفية بلاهور
٧ ـ البروفسير الدكتور امتياز احمد — رئيس الدراسات الاسلامية بجامعة كراتشى

٨ ــ الدكتور محمد اختر سعيد صديقى — استاذ قسم العلوم الاسلامية بجامعة كراتس

٩ ــ الدكتور تنزيل عبد الرحمن — رئيس مجلس الفكر الاسلامى الباكستانى

ايران :

١ ــ آية الله تقى الدين القمى — مقيم بباريس (فرنسا)

افغانستان :

١ ــ الشيخ خليفه داد محمد — رئيس مجلس علماء افغانستان

٢ ــ الشيخ ملاه كاكا — نائب رئيس مجلس علماء افغانستان

٣ ــ الشيخ ميرصاب — الامين العام لمجلس علماء افغانستان

٤ ــ الشيخ برهان الدين ربانى — زعيم جماعة اسلامى افغانستان

٥ ــ الشيخ صبغة الله المجددى — زعيم الجبهة الوطنية لافغانستان

٦ ــ الشيخ محمد بن محمدى — زعيم حركة انقلابى اسلامى

٧ ــ الشيخ محمد يونس خالص — زعيم حزب اسلامى افغانستان

٨ ــ الشيخ بشير احمد نصرى — الامين العام للمجمع العلمى

٩ ــ الشيخ سيد أحمد الكيلانى — والاستشارى الجبهة الاسلامية بأفغانستان

زعيم الجبهة الاسلامية لتحرير أفغانستان

بنجلاديش :

١ ــ الدكتور شمس الدولة — رئيس تحرير مجلس الاسلام والعالم الحديث

٢ ــ الدكتور حبيب الرحمن شودرى — استاذ بجامعة داكا

بورما :

١ ــ الحاج عبد الرشيد باشيت — مقرر المركز الاسلامى البورمى — رانجون

المالديف :

١ ــ الرئيس مامون عبد القيوم — رئيس الجمهورية

٢ ــ الاستاذ محمد جميل ديدى — مستشار رئيس الجمهورية للشئون الدينية

٣ ــ فتح الله الخطيب وزير الخارجية
٤ ــ زاهر حسين وزير التعليم

تايلاند :

١ ــ بريزرت محمد شيخ الاسلام في تايلاند
٢ ــ ترافي تابكورن عضو مجلس ادارة المركز الاسلامي ببانجكوك

سنغافورة :

١ ــ الحاج اسماعيل سعيد رئيس المجلس الاسلامي
٢ ــ فضيلة الشيخ سيد عيسى محمد مفتي سنغافورة

سري لانكا :

١ ــ الدكتور محمد شكري استاذ بالجامعة
٢ ــ الحاج اسنا ماركان محمد رءوف من القيادات الاسلامية
٣ ــ السيد محمد حنيفه محمد رئيس رابطة مسلمي سيرلانكا
٤ ــ الحاج محمد تظيم من القيادات الاسلامية

الفلبين :

١ ــ حسي لونج وزير دولة للشئون الاسلامية وعضو المجلس التشريعي
٢ ــ ساليا داتا تون رئيس رابطة مسلمي الفلبين
٣ ــ الشيخ احمد بشير رئيس مجموعة العلماء المسلمين

الصين :

١ ــ السيد محمد على رئيس الجمعية الصينية الاسلامية
٣ ــ السيد نعمان نائب رئيس الجمعية للعلاقات الخارجية

ماليزيا :

١ ــ الدكتور عبد الجليل حسن عضو المجمع
٢ ــ داتو حسين عثمان سكرتير عام المركز الاسلامي
٣ ــ داتو الشيخ محسن بن الحاج صالح مفتي الولاية الفيدرالية الماليزيه
٤ ــ دكتور اسماعيل ابراهيم عميد الكلية الاسلامية الماليزية

الهند :

١ ــ الاستاذ سيد حامد رئيس جامعة عليكرة الاسلامية

حول المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية

٢ ــ الاستاذ ضياء الحق الفاروقى — رئيس معهد ذاكر حسين للدراسات الاسلامية (بالجامعة الملية الاسلامية)

٣ ــ الدكتور زهير محمد خان — استاذ مساعد علوم سياسية بالجامعة الملية الاسلامية

٤ ــ الشيخ محمد يوسف الامير — زعيم جماعة اسلامى الهند فى نيودلهى

٥ ــ الشيخ محمد صابر خان — أمين عام المجمع للرابطة الثقافية بين الهند والعرب

اليابان :

١ ــ الدكتور عبد الكريم سيتو — رئيس جمعية مسلمى اليابان (سابقا)

٢ ــ الحاج ابو بكر — رئيس مجلس ادارة المجلس الاسلامى بطوكيو

كوريا الجنوبية :

١ ــ الحاج محمد بون — رئيس وامام المركز الاسلامى فى سيول

٢ ــ الدكتور أبو بكر كيم — عميد كلية الاقتصاد والادارة فى سيوب

الاتحاد السوفيتى :

١ ــ شمس الدين بباخانوف — مفتى الاتحاد السوفيتى

اسبانيا :

الدول الأوربية

١ ــ السنيور الفاروما سوردوم كومينوس — من العاملين فى حقل الدعوة الاسلامية

المانيا :

١ ــ الدكتور تيلمان ناجيل — استاذ العقيدة والتاريخ الاسلامى بجامعة جوتنج

٢ ــ الدكتور سيجريد هونكه — مؤلف كتاب شمس الله تسطع على الغرب

البرتغال

١ ــ السيد / سليمان والى محمد — رئيس الجالية الاسلامية فى لشبونة

بولنـــدا :

١ ـ جـــوزيف بيلاوســـكى — المستشرق ورئيس قسم الدراســات بجـــامعة وارســــو

الســـويد :

١ ـ الدكتـور : يـان برجمـــان — استاذ الدراسات الاســلامية فى كليــة اللاهــوت بجــامعة اوبســالا

النمســا :

١ ـ الدكتــور : اســماعيل بالتنش — مستشــار بالمكتبــة القومية النمساوية

بلجيكــا :

١ ـ الســيد / محمــد الطوينــى — مــدير المركــز الثقــافى الاســلامى

فنلنــدا :

١ ـ يوسى ارو — عميــد معهــد الدراســـات الشرقية بجــامعة هلســـنكى وصاحب ترجمة القرآن الكريم بالفلندية

٢ ـ الســـيد / احمــد نعيــم — امــام الجــالية المسلمة الفنلنــدية

يوغســلافيا :

١ ـ الدكتــور احمــد اســماعيلوونتش

٢ ـ حمــدى يوســف ســباهتش — مفتــى الاســـــلام ببلجــراد

اليونــان :

١ ـ الســـيد : حافظ مصــطفى — مفتـــى كـــومنتى

٢ ـ الســـيد : مصــطفى حلمى — مفتـــى اكســانتى

٣ ـ الســـيد : رشدى ادهم امام — من الشــخصيات البارزة فى اليـــونان

الولايات المتحدة :

١ ـ الشــيخ وارث الــدين محمــد — ابن المرحوم الشيخ الیجیا محمد رئيس الحركة الاســلامية للســود فى أمريكا

٢ ـ الســـيد آمــن رشــيد — عضــو فى جامعة لونج ايلاند الاسلامية وعضــو جماعة الطلبة المسلمين فى جامعة كولومبيــا

كنـــدا :

١ ـ مســـتر تشـــارلس ادامز — عميد المعهد الاســلامى بجامعة ماكجيل بمونتريال

البرازيل :

١ ـ الدكتور حلمي نصر — استاذ الدراسات الشرقية ـ جامعة ساوباولو

الارجنتين :

١ ـ الدكتور اسحاق جمال الدين — سكرتير عام مجلس المسلمين لسورينام

بلغاريا :

١ ـ السيد : محمد توريشيف — المفتي الاكبر لمسلمي بلغاريا

تركيا :

١ ـ الدكتور / على ارسلان — عضو بالمجلس الاعلى للشئون الدينية

٢ ـ صلاح الدين قايا — مفتي استنبول

٣ ـ الشيخ طيار التوتو لانتي — رئيس للمجلس الاعلى للشئون الدينية

رومانيا :

١ ـ الحاج محمد يعقوب — مفتي رومانيا

سويسرا :

١ ـ الاستاذ / كمر يستوف بيرجل — رئيس قسم الدراسات الاسلامية بجامعة برن

الفاتيكان :

١ ـ الأب ادورد سامي سبانخ — يعمل في مجمع غير المسيحين

انجلترا :

١ ـ الدكتور ابو بكر سراج الدين — استاذ بجامعة القاهرة (سابقا)

٢ ـ سيرها رولد بيلي — سفير بريطانيا السابق بالقاهرة وعضو بمعرض الحضارة الاسلامية

٣ ـ سير انتوني ناتنج — له مؤلفات دفاعا عن القضايا العربية

فرنسا :

١ ـ رضا جارودى (روجيه جارودى) — من المستشرقين

٢ ـ موريس بوكاي — من المستشرقين

٣ ـ محمود مجاهد حسن — مبعوث رابطة العالم الاسلامي في شمال فرنسا وبلجيكا

استراليا :

١ ـ البروفيسورا اجوتز — عميد كلية الدراسات الاسيوية بجامعة كمبرء

٢ ـ السيد : السيد ابراهيم السيد — رئيس الجامعة الاسلامية في نيو ساوث ويلز

الأهرام والرأى الحر

للأستاذ احمد خليفه محمد

طالعتنا جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ١٤ جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٩ من مارس ١٩٨٣ م برقم ٣٥١٧٠ بكلمة فى صفحتها الأولى عنوانها « الحكيم يتحدث مع نفسه » قالت فيها (يواصل توفيق الحكيم اليوم مناجاته الروحية فى مرحلة جديدة من الحضور الذهنى يتحدث فيها مع نفسه فى شئون الحياة والمجتمع .

وللأستاذ الحكيم أن يتحدث مع نفسه فى شئون الحياة والمجتمع كيفما شاء وحسبما اراد ولا تثريب عليه فى ذلك .

أما أن يتحدث الأستاذ الحكيم مع الذات العلية فى حديثه مع الله والى الله بهذا الاسلوب وبهذه الجرأة مع الله سبحانه وتعالى ... وأن يسمى الأهرام هذا الحديث مناجاه للذات العلية ويصفها بالقدسية والخشوع وبايمان المجتهدين .. فلا أكون مجافيا للحقيقة ان قلت أن الأهرام لم يكن منصفا فيما قال .

وليت الأمر اقتصر على هذا الوصف .. بل تعداه الى القول « ان توفيق الحكيم كان قمة فى مناجاة الحضرة العلية .. وكان عملاقا لحركة الحياة وفلسفة الإيمان » .

وانى لأتساءل .. أين هى هذه القمة فى المناجاة ؟ .. الذى أعلمه أن الحديث من الأدنى الى الأعلى له قواعد وأصول يجب اتباعها بين البشر : بعضهم مع بعض .

أما مناجاة الله سبحانه وتعالى فمسألة لم يمسها الأستاذ الحكيم من قرب أو بعد بل جعل حديثه (مع الله) أو (الى الله) بعيدا كل البعد عن أسلوب وأدب المناجاة .

وتقول الصحيفة : وظل الأهرام كنافذة للفكر الانسانى ولكل المعارف والثقافات بعيدا عن التدخل فيما طرحه فكر الحكيم .. وفيما طرحه من فكر غيره من المثقفين » .

نقول : ... نعم كان الأهرام منبرا ولكن لمن ؟ .

لفكر الحكيم فقط .

واحيل ما جاء فى فكره لعلمائنا الأفاضل وعلى رأسهم فضيلة الشيخ محمد متولى

٥

الأهـــرام .. والـرأى الحـر

الشعراوى .. فقد قـالوا رأيهم صراحـة وأقاموا الحجة والبرهان من كتاب الله وسنة رسوله على صدق قولهم .

ولم يكن الأهرام للأسف الشـديد منبـرا لهم ... انما كان منبرا لفكر « الحكيم » .. فقد قفلت الابواب على مفكرى الاسلام ولم تنشر ردودهم .

أهذا هو عدم التـدخل فى نظر الأهرام ؟ .. ولم لا ينشر المنبر الحر الرأى الآخـر ؟ .. وهو رأى له قيمته لأنه من أهله وأصـحاب التخصص فيه .

ثم تقول الأهرام « والحقيقة التى لا ريب فيها أن الأهرام سـيظل نافذة اشـعاع لفكر العمالقة والرواد وسـيظل الأهرام الحصـن الحصين لحماية المبادىء الروحية والدينيـة يدفع عنها أى محاولة للشك أو التشكك » .

نقول .. اين هى هذه النافذة ؟ .. وأيـن هذا الحصن الحصين ؟ ..

وكنا نتمنى أن يكون هذا القول هو الحـق من جريدة لها ثقلها وكيانهـا .

لكن النافذة كانت وقفا لفئة معينة تقـول ما تريد ، فاذا جاء رد المختصين الذى عجـز « الحكيم » نفسه أمامه ، وألقى باللائمة فيه على الأهرام ــ نقول : اذا جاء هذا الرد فان النافذة تغلق والأبواب . فكيف نسمى هـذا الوضع « منبرا » ... ؟!

وهل من حـرية الفكر وبراءة الكلمـة أن « تصف الاهرام » كلام غير الحكيم بـــ « الارهاب الفكرى » .. وأقول ان صاحبه : (يدعى لنفسه حقا الهيا) : أين هو هذا الذى أدعى من العلماء أنه صاحب حق الهى فـى مصادرة فكر أو تكفير لصاحبه .. ؟

نعم .. أين هو .. ؟!!

انه لشىء مؤسف غاية الأسف أن يصـل الأمر الى هذا الحد من قلب الحقائق ووضـع الأمور فى غير نصابها .. فأين هى حمـاية المبادىء والقيم الروحية ؟!

وكنا نتمنى من صـميم قلوبنا أن يترجـم هذا القول الجميل الى واقع ملموس تسـعد به نفوسنا وتطمئن به قلوبنا وتثلج به صدورنا فما أحوجنا هذه الأيام الى أن تجـد وسـيلة كبرى من وسائل الاعلام تلزم نفسها القيام بهذا الدور الخطير فى حياتنا شريطة أن تكون فى موقف الحياد التام والحكم والعدل ، أما أن تنحاز لرأى لحاجة فى نفسها أو حبا لنشر فكر معين فهذا ما لا ترتضيه الأهرام لنفسها قبل أن نرتضيه نحن لها .

ثم اذا تعرضت الأهرام لنص فقهى فأولى بها أن تلتزم فـلا يتعرض النص ــ فى بهديها ــ لتحريف تصل بـه الى ما تريد فليس فى الشريعة أنها « أعطت لكل مفكر الحق أن يبحث ويجتهد » .. الخ .. وليس عيبا أن نعود الى المصدر فان الفكر ــ فى أعلى سموه ــ اذا لـم يرتبط بمصدر أساسى فهو غير مقبول . واللـه الهادى الى سواء السبيل .

أحمد محمد خليفـة

أنباء إسلامية

تقديم أحمد عبد الرحيم السايح

أول عمل علمي من نوعه

تم في مصر طبع احدث واول عمل علمى من نوعه فى مجال فن النقود الاسلامية على مستوى العالم وهو : « موسوعة العملة الاسلامية » منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الوقت الحاضر ، تشمل الموسوعة دراسة اكثر من خمسة آلاف قطعة من العملة الذهبية والفضية والنحاسية بخلاف النياشين والأنواط والأختام التى تبلغ ما يقرب من الفى قطعة محفوظة بدار الكتب المصرية أشرف على هذا العمل العلمى جهات علمية وجامعية مصرية .

مكتبة إسلامية عربية في جامعة تايوان

تم اكتشاف مجموعة كبيرة من الكتب التى تتناول موضوعات عن الحضارة والثقافة العربية والاسلامية فى مخازن جامعة تايوان فى (تايبيه) وقالت مصادر الجامعة ان هذه الكتب التى يقدر عددها بحوالى الفى كتاب تشكل مكتبة عربية واسلامية ثمينة ويبدى بعض الأساتذة العرب الذين يعملون فى جامعة تايوان اهتماما كبيرا بهذه الكتب ويقومون باعداد دليل لها . وتقول مصادر الجامعة : ان هذه الكتب بلغات مختلفة منها العربية والفارسية والعثمانية والانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية .

غرفة تجارية إسلامية

تقرر اقامة غرفة تجارية اسلامية فى كراتشى بباكستان لرعاية المعاملات المالية والاقتصادية . وقد تبرعت باكستان بمساحة من الأرض يقام عليها مبنى الغرفة ، وتبرعت تركيا بالتصميم الهندسى الاسلامى للمشروع وساهم عدد من الدول الاسلامية بأكثر من مليون ونصف مليون دولار فى تكاليف المشروع التى تبلغ أربعة ملايين دولار .

الهدف من انشاء الغرفة تعزيز علاقات التعاون الاقتصادى بين الدول الاسلامية وتنشيط التبادل التجارى بينها .

مجلس المساجد في أمريكا

فى اطار من سلسلة النشاطات التى يقوم بها مجلس المساجد المحلى فى الولايات المتحدة عقد المجلس اجتماعا فى مدينة لوس انجيلوس بولاية كاليفورنيا .

ويهدف هذا الاجتماع الى التنسيق فى العمل والترابط بين المساجد والجمعيات الاسلامية العاملة فى هذا الجزء الغربى من أمريكا ومجلس المساجد المحلى للولايات المتحدة ، واتاحة المجال لهذه الجمعيات الاسلامية للانضمام لعضوية هذا المجلس بالاضافة الى تعريف هذه الجمعيات بأهداف المجلس القارى للمساجد بأمريكا الشمالية المنبثق عن المجلس الأعلى العالمى للمساجد .

تعريب مدارس باكستان .

صرح فضيلة الدكتور حسين حامد رئيس الجامعة الاسلامية فى اسلام اباد ان الرئيس ضياء الحق رئيس باكستان وضع مشروعا شاملا لتعريب جميع المدارس الباكستانية ، وذلك بالاستعانة بعشرات الآلاف من المدرسين المصريين وذلك بعد نجاح مصر فى تعريب الجزائر فى الستينيات . وسوف ينشأ لهذا الغرض مركز تدريب فى القاهرة لتأهيل المدرسين المصريين لمدة عام قبل سفرهم لباكستان .

تطبيق الشريعة الإسلامية فى كل المجالات .

افادت الانباء ان قرارا بتطبيق الشريعة الاسلامية فى كافة المجالات بجمهورية موريتانيا الاسلامية قد صدر مؤخرا ، بحيث يشمل جميع القوانين والنظم التى تنظم شئون الدولة . وكانت اللجان المكلفة بدراسة هذا القرار والذى يستمد بنوده من واقع الشريعة الاسلامية قد رفعت توصياتها النهائية للجهات المسئولة بالدولة ، والتى وافقت بدورها على كافة النصوص التى جاءت فى هذه التوصيات .

ندوة فى اليابان عن الحضارة الإسلامية

أكدت ندوة اليابان والحضارة الاسلامية التى عقدت بجامعة طوكيو أن الاسلام هو دين التحضر والمدنية ، وأنه بمقدور الاسلام أن يقدم حلولا حاسمة لمشاكل العصر ، وما يتصل بقضايا التحضر والتحول الاجتماعى .

وأوضحت الندوة ضرورة اجراء مزيد من المباحثات ودعم الحوار والبحوث المشتركة بين اليابان والدول الاسلامية ، وكذلك التبادل الثقافى على أوسع نطاق بحيث يشمل الطلاب والمدرسين وعلماء الدين ورجال الصحافة والاعلام ، وبما يسهم فى تعريف اليابانيين بالثقافة الاسلامية .

ترجمة أعمال ابن رشد إلى الأسبانية .

قامت مجموعة من المستشرقين الاسبان بترجمة بعض اعمال فيلسوف الأندلس ابن رشد الى اللغة الأسبانية ومن بين هذه الأعمال كتاب « تهافت التهافت » الذى رد به ابن رشد على كتاب الغزالى « تهافت الفلاسفة » .

التعاون بين الدول الإسلامية .

أوصت اللجنة الدائمة للشئون الثقافية والاعلامية التابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامى فى ختام اجتماعات دورتها الاولى فى (داكار) بتطوير التعاون بين الدول الاسلامية ، والعمل على دعم وكالة الأنباء الاسلامية ، والقيام بنشر التعليم ومكافحة الأمية فى العالم الاسلامى .

فهرس العدد

الموضوع — صفحة

طبع بمطابع روزاليوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

أجل النعم

اجل نعم الله نعمة لا تخلص اليها الدنيا بشائبة ، ولا تحفها من زهرتها شهوات .

نعمة هي في القمة من النعم تبوء منها الدنيا بمعرفة قدرها فتقل ، وتقل أكثر عندما تسعى بكل زخارفها وشهواتها الى من نال هذه النعمة فيحتقرها .

فهو من دنياه ـ في منعة .

ودنياه ـ منه ـ على ذل واستخزاء .

انها نعمة تخلص الانسان لربه ، وتقوده الى خالقه ، فاذا هو بصير بالصراط ، يقظ الخطا ، آمن العثرات .

←----

- الجزء الثامن السنة الخامسة والخمسون
- شعبان ١٤٠٣ هجرية
- مايو ١٩٨٣ ميلادية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
ادارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف



أجَلّ النِعَمْ

وأدنى النعم نعمة « تخلص » من الحرام و « تخالطه » لها من الأسـباب ما يتصل بشهوات النفس ، ويأخذ من زينة الحياة ، وهي ــ على هـذا وذاك ــ لا تخلو من فتنة ، ولا تنأى عن بـلاء ·

وهذه نعمة الناس أجمعين

·· ·· ·· ·· ·· ··

فأما أجل النعم فنعمة لاتنتشر بشيوع ، ولاتعم بحال ، فانها خاصة ، ثـم هي على خصوصها لاتصيب الا اندر الرجال ، وازكى الأفئدة ، اذ هي ارفـع الأوسمة في ملكوت اللـه ·

فـ « مراقبـة اللـه »

أو « ذكـر الآخـرة »

أو « الخـوف من اللـه »

نعم غالية ليس لكل احد منها نصيب

فما عرفناها شائعة ، ولا رأيناها الا في نادر الرجـال :

هذا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم النبيين والمرسـلين ، وخـير الناس أجمعين ــ صلى الله عليه وسلم ــ تشتد مراقبته لمولاه ــ جل وعـز ــ حتى لا يكون أملا ــ في نفسه ــ أن تمتد به حيـاة عقب « نفس » يطرحه ، أو « نفس » يستنشقه ، ويملأ ربه عليه نفسه حتى ما ينام قلبه ·

ويدعـــــــو :

« ياحي ياقيوم · يابديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والاكـرام ·· لا اله الا انت ·

برحمتك استغيث ·

أصلح لي شأني كله ·

ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ، ولا الى احد من خلقك ·

اعوذ برضـاك من سخطك ·

واعوذ بعفوك من عقوبتك ·

واعوذ بك منك ·

لااحصى ثناء عليك · انت كما اثنيت على نفسك »

.. ..

وصفوة تحذر الآخرة وترجو رحمة الله ·

ابراهيم واسحاق ويعقوب ـ على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام ـ اخلصوا انفسهم للآخرة ، فكانت فى نفوسهم ابدا ·· صراط نبوة كريمة عالقة بريها دائما ·

« وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ · إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ · وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (١) » ·

.. ..

وهذا مقام الخوف من الله ·

اى النـاس يطيقـه ··· ؟

هذا هو الامام الجليل ابو عبد الله احمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ لايختلف ـ فى ورعه ـ رجلان ، ولا يتشاح ـ فى امامته ـ خصمان ·

رزقه الله نصيبه من خشيته حتى صار خوفه من ربه مضرب المثل ، وازدادت طاعته لله ، فزاد ـ بجانبها ـ الشعور بالتصور فى حق مولاه ، فسال ربه ان يفتح عليه « باب الخوف » فاجيب ··· فكاد الخوف من الله ان يعصف به حتى خاف على عقله(٢) فسال ربه أن يرد ذلك عنه ·

وكان الله ـ به ـ رءوفا رحيما ·

نسال الله ـ سبحانه ـ من خشيته مايزودنا من جلاله ويحول بيننا وبين معاصيه ··· انه سميع قريب !

د/على الخطيب

---

(١) سورة ص ٤٥ ـ ٤٧ ·

(٢) راجع للامام ابن الجوزى ـ صيد الخاطر ص ١٥٢ ـ دار الفكر ـ دمشق ١٣٩٩ هـ

دراسات قرآنية

■ هذه المزاعم.. ماذا لها من الحق؟!

■ مع آيات الله في كتاب الله.

هذه المزاعم ماذا لها من الحق؟!

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

زعم الذين كفروا واعماهم الحقد عن استجلاء الحق : أن فى القرآن اخطاء تشريعية ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، ذكروا انه فرق بين الرجل والمرأة فى الميراث ، واشاروا الى الآيتين رقمى : ١٠ ، ٢٤ من سورة النساء .

فاما الآية العاشرة فيقول الله فيها « يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ » وهذا الذى زعموه خطا هو من اعظم المفاخر والمحاسن التشريعية فى الاسلام ، فقد كان النساء وصغار الصبيان محرومين من الميراث فى الجاهلية ، فورثهم الاسلام بعدالة وحكمة .

يروى الثقات أن أوس بن ثابت توفى وترك زوجة وبنتين وولدا ذكرا دون البلوغ ، فاستولى سويد وعرفجة ابنا عمه ووصياه واقرب عصباته اليه على تركته ، وحرما الزوجة والأولاد من الميراث ، لأنهم لا يورثون الا من قاتل على ظهور الخيل وطاعن بالرمح وضارب بالسيف وحاز الغنيمة ، فقالت لهما الأم : تزوجا بنتى عمكما فأبيا ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما حدث ، فدعاهما فقالا يا رسول الله : ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوا(١) فصرفهم الرسول حتى ينزل الله حكمه فى شأنهم ، فأنزل سبحانه « لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا » فامرهما الرسول الا يتصرفا فى مال أوس بن ثابت ، فقد جعل الله للذكور والاناث نصيبا مما ترك الوالدان والأقربون ، ثم انزل تفصيل الميراث فى قوله تعالى : « يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ » وفى بقية آيات المواريث فاستدعى الرسول الوصيين وطلب منهما التركة ، فأعطى الزوجة الثمن ، وأعطى الباقى للأولاد ، للذكر منهم مثل حظ الأنثيين .

وروى أبو داود والترمذى والدارقطنى

(١) أى لا يقتله أو يجرحه .

هذه المزاعم .. ماذا لها من الحق ؟!

وابن ماجه بسندهم عن جابر أن امرأة سعد ابن الربيع قالت : يا رسول الله ، ان سعدا هلك وترك ابنتين وأخاه ، فعمد أخوه فقبض ما ترك سعد ، وانما تنكح النساء على أموالهن فلم يجبها في مجلسها ذلك ، ثم جاءته فقالت يا رسول الله : ابنتا سعد ، فقال صلى الله عليه وسلم : ادعى لى أخاه ، فجاء فقال : ادفع الى ابنتيه الثلثين ، والى امرأته الثمن، ولك ما بقى » .

فأنت ترى أن الاسلام حمى الأطفال والنساء من البؤس والشقاء بتوريثهم بعد أن كانوا محرومين في الجاهلية وانما جعل البنت نصف أخيها في الميراث ، لأنها سوف تتزوج من يكفلها وينفق عليها ، فهو الذى تجب عليه نفقة المنزل دون زوجته ، أما أخوها فسوف يكون زوجا وكافلا لأسرته ومنفقا عليها ، فكيف يسوى بأخته في الميراث ولقد أعطاها الاسلام حق التصرف الكامل في ميراثها وأموالها ، دون تدخل من زوجها أو أخيها ، ولا يوجد هذا الحق المطلق لها في اى دين آخر ، ولا في أية شريعة وضعية ، هذا هو الاسلام في عدالته وصدق نظرته ، ولكن قلوب هؤلاء الحاقدين مغلفة بغلاف التقليد والحقد ، وعلى أبصارهم غشاوة كثيفة ، فلهذا تراهم لا يعقلون ولا يبصرون .

أما الآية الرابعة والعشرون من سورة النساء فليس فيها شيء مما زعموه ، فهى مكملة لما قبلها من محرمات النساء ، ومبيحة لما عداهن ، ونصها « وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ ... » الآية ، وخلاصة معناها أن الله حرم على المسلم النساء المتزوجات مطلقا ، سواء كن مسلمات أم غير مسلمات ، فلا يحق للمسلم أن يتزوجها مادامت في عصمة زوجها فذلك زنى ، كما لا يحل له أن يفسد عليها زوجيتها حتى يفرق بينها وبين زوجها ليتزوجها ، فذلك اثم كبير ، وقد استثنى من ذلك نساء الكفار المحاربين اذا وقعن في الأسر ، وأصبحن بذلك مملوكات لأيمان المحاربين .

وأصبح لهن في الاسلام أحكام خاصة بعد استبراء أرحامهن ، منها : أنهن ملك للآسرين الذين لهم حق الاستمتاع بهن وذلك هو معنى قوله « إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » وهذا الحكم تشاركنا فيه التوراة المتداولة « العهد القديم » فقد جاء في سفر التثنية (اصحاح ٢٠ فقرة ١٠ وما بعدها) ما يلى : (حين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها للصلح ، فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وان لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب اليك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتغنمها لنفسك) الى آخر ما قالوه عن استعباد المدن القريبة والبعيدة .

والخلاصة أن الاستمتاع بالنساء المسبيات في الحرب تشريع مشترك في جميع الأديان .

ولقد عابوا على الاسلام عدم مساواة المرأة

بالرجل فى الشهادة ، وأشاروا الى الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة ، حيث جاء فيها :

« وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ » •

وهذا الذى يرونه خطأ فى التشريع يراه الاسلام عين الصواب ، فانه لا يريد أن يزج بالمرأة فى معترك الرجال الا عند الضرورة ، لمكانة المرأة فى الاسلام الأمومة الفاضلة ، لتنشىء فى أمتها المجتمع الفاضل ، فلهذا حماها من التبذل ، وأن تنزل الى معترك الرجال ، وأن تقحم نفسها فى الشهادات كلها ، وفى غير ذلك مما لا يحتمله سوى كواهل الرجال وقدراتهم وتحملهم •

وقد أجاز الاسلام شهادة النساء منفردات **فيما لا يطلع عليه غيرهن للضرورة** كالشهادة فى « الولادة » و « البكارة » و « حياة الصبى » عند ولادته ، وما يجرى مجرى ذلك مما بين فى كتب الفقه •

ولا تصح شهادة النساء عند الشافعية فى غير خصائص النساء الا فى الشئون المالية كالدين على نحو ما جاء فى الآية الخاصة به للضرورة •

وعند الحنفية تصح شهادتها فيما عدا الحدود والقصاص •

وللائمة تفصيلات مفيدة يمكن معرفتها تفصيلا فى كتب الفقه لديهم ، فمن شاء مزيدا على ما تقدم فليرجع اليها •

والذى يهمنا فى هذا المقال هو بيان أن الاسلام حريص على أن تؤدى المرأة فى بيتها رسالة الأمومة الجليلة التى هى مهمتها الأولى والا تخرج عنها الا عند الضرورة القصوى فى حدود الطهر والعفاف ، وعليها أن تتقى ربها فى نفسها وفى زوجها وفى أولادها وأمتها ومجتمعها •

(٢) ويقول هؤلاء المفترون : ان الآية التاسعة والثلاثين من سورة المائدة ، جاء فيها قطع يد السارق وعقبوا ذلك بقولهم : « ان ذلك يجعل الانسان عالة على المجتمع وناقصا عليه » •

هكذا قالوا ولنثبت فساد رأيهم نذكر نص الآية : يقول الله سبحانه فى سورة المائدة :

« وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(١) » ولا شك أن هذا الحكم عادل وحاسم لجريمة اللصوصية التى تروع الآمنين وتصيبهم بالخسائر المالية والأمراض النفسية، بما يدخلونه من الرعب على نفوس النائمين والآمنين ، وبما يحدث لهم من الحرمان والفقر المفاجىء ، حين يستولون على كل ثروتهم ، أو من الانقباض والجزع عندما يسرقون منهم شيئا نفيسا أو قدرا كبيرا •

ولا يقتصر ضرر اللصوص على أخذ المال واثارة الرعب بل ان اعتداءهم على من يسلبونهم بالضرب والطعن والقتل مؤكد فى كثير من الأحوال ، وقد اشتد خطرهم فى المجتمع بسبب عدم تنفيذ هذا الحكم الشرعى

---

(١) المائدة ٣٨ •

هذه المزاعم
ماذا لها من الحق؟!

فيهم ، فانتقلوا من السرقة الخفية الى المواجهة العلنية : بالنهب والسلب والاغتصاب والطعن بالأسلحة فى وسائل المواصلات والشوارع العامة ، فلو نفذ القطع ليد السارق ، لخفت هذه الجناية وهان أمرها على رجال الأمن ، بل ربما تلاشت من المجتمع .

فهؤلاء الحمقى يدافعون عن اللصوص ولا يدافعون عن المجتمع ، و لاغرابة فى ذلك فهم لصوص الحق ، وشبه الشىء منجذب اليه .

كيف يتباكى هؤلاء على لص آثم يعاقب بقطع يده التى سرق بها حتى يكون عبرة لغيره ولا يبكون دما على ما يترك اللصوص وقطاع الطريق الذين عظمت جرائمهم ، من بين سلب ونهب وغصب وطعنات نافذات أو قاتلات ، لو أن هؤلاء المتباكين داهمهم لصوص ليلا وطعنوهم بالخناجر فى صدورهم فهل يرضون أن يتركوهم دون جزاء حاسم يرفع أذاهم وشرهم عنهم وعن المجتمع الذى يعيشون فيه، أم أنهم حينئذ يمسكون بهم ان قدروا على ذلك ، وأن يطلبوا لهم قطع أيديهم وأرجلهم ؛ لأنهم اعتدوا عليهم ، والجرائم فى نظرهم تقدر بقدر ما يصيبهم أو يكون بعيدا عنهم ، الا فلينظروا الى الأمور نظرة اجتماعية لا شخصية .

ولا يجوز قطع يد السارق الا بشروط ترجع اليه والى الشىء المسروق والى الموضع المسروق منه وصفته فمثلا لا تقطع يد العبد ان سرق من مال سيده ، ولا يد السيد ان سرق من مال عبده ، ولا تقطع يد صبى ولا مجنون، وأن يكون المسروق مما يتملك ويحل بيعه ، وأن يكون مسروقا من « حرز » مثله ، فان كان موضوعا فى مكان غير أمين كالطريق العام فلا قطع فيه ، واعتبروا ظهور الدواب حرزا لما حملته ، وأفنية الحوانيت حرزا لما وضع فيها فى موقف البيع ، ولا يقطع الأبوان بسرقة مال ابنهما .

ولابد أن تثبت السرقة عليه باقرار أو شهادة شهود أو نحو ذلك ، ويشترط الا يكون مضطرا الى السرقة بسبب جوع أصابه ، فان كان مضطرا فلا تقطع يده .

قال ابن القاسم : ولا يقطع من سرق من جوع أصابه .

قلت : وهذا هو الذى فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى خلافته أثناء عام الرمادة الذى أصاب المسلمين فيه قحط شديد بالحجاز ، فقد أوقف حد السرقة فى العام المذكور بسبب المجاعة .

وبعد :

فكل شرائع الاسلام سديدة رشيدة، والنقص والخطأ انما هو فى عقول الحاقدين والله من ورائهم محيط .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

مع آيات الله في كتاب الله

للدكتور محمد محمد خليفة

ـ ١ ـ معاني الآية

....

١ ـ الآيـة في الأصـل : العـلامة الواضحة قال النابغة :

توهمت آيـات لها فعرفتهـا
لستة أعوام وذا العام سابع

والمراد بالآيـات في البيت : علامات الـديار من الآثار التي خلفتهـا اقامة الأحباب في هذا المكان .

٢ ـ وتطلق الآية على الدليل الذي يـدل على شيء ما أو على الصانع القادر :

قال تعالى : « وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِـينَ(١) »

فالآية الأولى والثانية بمعنى الدليل الذي يدل على أن الله اختار طالوت ملكا عليهم .

وقال تعـالى : «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ(٢) »

أي دلائل تدل على الصانع القدير يفقههـا أصحاب العقول البصيرة .

٣ ـ وتطلق الآية على العبرة ، قال تعالى :

« أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَـةٌ عَـلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَـا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُـرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ(٣) » أي عبرة ودرسـا لأولئك الذين ينكرون البعث .

(١) البقرة ـ ٢٤٨ .

(٢) آل عمران ـ ١٩٠ .

(٣) البقرة ـ ٢٥٩ .

آيات الله في كتاب الله

وقال تعالى : « فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(١) » أى فى تلك البيوت التى خوت من ساكنيها بسبب ظلمهم عبرة لقوم يعلمون حقيقة أولئك الظالمين ويدركون جزاء ظلمهم وقد تبدى فى بيوتهم الخاوية التى تنطق بالعبرة لمن وراءهم .

٤ ـ وتطلق الآية على المعجزة التى أيد الله بها رسله :

قال تعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ(٢) » أى معجزة .

وقد قص الله فى قصة موسى موقف السحرة بعد أن فاجأتهم آية موسى ومعجزته فأعلنوا ايمانهم برب موسى وهددهم فرعون بالقتل والصلب ثم حكى الله ما قالوه لفرعون فى هذا الموقف ومنه قوله :

« وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا(٣) » أى معجزاته التى أيد بها موسى .

وقد أيد الله موسى بيده التى تخرج بيضاء من جيبه ، وبالعصا التى تلقفت ما صنع السحرة والتهمت ضلالهم .

٥ ـ وتطلق الآية على كل طائفة من كلام القرآن تميزت عن غيرها بفصل ، لأنها علامة لانفصال ما قبلها عما بعدها .

(١) النمل ـ ٥٢ .
(٢) البقرة ـ ١١٨ .
(٣) الاعراف ـ ١٢٦ .

قال تعالى : « ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ(٤) » اى طوائف كلام القرآن .

وقال : « تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ(٥) » .

والأساليب القرآنية التى حملت معانى كلمة (آية) التى قدمناها ـ جاءت مصحوبة بلفظ آية ، أو آيات تارة ، وجاءت تارة أخرى غير مصحوبة بلفظ آية اكتفاء بأن القرآن ساقها فى بعض المواضع مصحوبة بلفظ (آية) ، وذلك كقوله تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ(٦) » وفى أخرى قال تعالى : « الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ(٧) »

ولذلك نقسم الموضوع الى بابين :

الأول : ما صرح فيه بلفظ آية أو آيات .

الثانى : ما لم يصرح فيه بلفظ آية أو آيات .

وسنقدم الآيات فى كل باب منهما حسب ترتيبها فى المصحف .

الباب الأول

ما صرح فيه بلفظ آية

قال الله تعالى ـ حول جزاء الكافرين المكذبين بالآيات :

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٨) »

(٤) آل عمران ـ ٥٨ .
(٥) الجاثية ـ ٦ .
(٦) فصلت ـ ٣٧ .
(٧) الرحمن ـ ٥ .
(٨) البقرة ـ ٣٩ .

بين الله فى الآية مصير أولئك الذين جمعوا بين كبيرتين هما أعظم الكبائر ، ولا سبيل الى غفران الله لمرتكبيهما وهما : الكفر بالله وتكذيب آياته التى أنزلها على أنبيائه عليهم السلام كصحف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى وزابور داوود وقرآن محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام .

وقد يراد بالآيات : المعجزات التى أيد بها رسله : كناقة صالح وعصا موسى والآيات التسع التى أيده بها من الجراد والقمل والضفادع والدم الخ وكابراء عيسى للأكمه والأبرص واحياء الموتى باذن الله ، وكاخبار معاصريه بما كانوا يدخرون فى بيوتهم من الأقوات وغيرها .

وقد ينصرف الكفر والتكذيب الى الآيات معا على معنى أنهم كفروا بالآيات بقلوبهم وكذبوها بألسنتهم ، ثم أشار الى « الموصول وصلته » **(الذين كفروا وكذبوا بآياتنا)** » لبيان جزاء من جمعوا بين الكفر والتكذيب بآيات الله وقد جمع الجزاء بين أمرين :

أولهما : مصاحبتهم للنار على معنى الملازمة التى لا يفترقون عنها .

ثانيهما : أن ملازمتهما للنار ملازمة خلود أبدى لا ينقطع ولا يزول .

وقد أجمع المفسرون على أن المراد بالخلود الدوام ، وتدل الظرفية المستفادة من قوله (فيها) على أنهم يحلون ويستقرون فى تلك النار استقرار خلود ودوام .

ونادى الله بنى اسرائيل ليأمرهم أن يؤمنوا بما أنزل الله على محمد مصدقا لما معهم ، ونهاهم عن الكفر به ، وعن شراء آياته بالثمن القليل فقال :

« وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا(١) »

نادى الله بنى اسرائيل فأمرهم بتذكر نعمه والايفاء بعهده ، والايمان بما أنزله مصدقا لما معهم ، ونهاهم عن أن يكونوا أول من يكفر به ، ثم نهاهم عن شراء آياته بالثمن القليل الذى يتضاءل مقداره أمام ما يكون من غضب الله وعقابه .

وأما ما أنزله مصدقا لما معهم فهو القرآن، قال الله تعالى : « **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٢)**» فالقرآن مصدق لما فى التوراة والانجيل «المنزلين» فموسى والتوراة حق ، وعيسى والانجيل حق ، والتوراة أنزلت على موسى والانجيل أنزل على عيسى فالايمان بالقرآن مؤكد للايمان بالتوراة والانجيل ، والقرآن ــ وهو مصدق لما سبق من الكتب ــ ، آخر كتاب سماوى نزل من عند الله يحمل آخر شرائع الله للبشرية .

وقد نهى الله بنى اسرائيل عن أن يكونوا أول من يكفر بالقرآن ، وفى هذا تعريض بأنه كان الواجب على الكتابيين أن يكونوا أول من يؤمن به ، ولكنهم لم يفعلوا فكأنهم كانوا

(١) البقرة ــ ٤١ .
(٢) آل عمران ــ ٣ .

بذلك أول من يكفر به ممن يعرفون الحقيقة عن طريق التوراة والانجيل .

أو المراد : ولا تكونوا مثل أول من كفر به ــ وهم كفار مكة ــ أو : ولا تكونوا أول من يكفر به من أهل الكتب ، أو : ولا تكونوا أول كافر به من اليهود ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وفيها بنو قريظة وبنو النضير فكانوا أول من كفر بالقرآن ، ثم سار وراءهم على الدرب بقية اليهود ممن كانوا بعيدين عن المدينة .

ثم نهاهم عن شراء آيات الله بثمن قليل دنيوى .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : ان رؤساء اليهود مثل كعب بن الأشرف وحيى بن أخطب وأمثالهما كانوا يأخذون من فقراء اليهود الهدايا وعلموا أنهم اذا اتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم انقطعت عنهم تلك الهدايا ، فأصروا على الكفر حتى لا ينقطع عنهم ما كانوا يأخذونه ، كما كان علماؤهم يأخذون الرشا مقابل كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم وتحريف ما يدل عليه فى التوراة فكان هؤلاء وأولئك بما فعلوا من الكفر وكتمان أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأوصافه عليه الصلاة والسلام قد استبدلوا بآيات الله سبحانه التى تدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الثمن القليل وهو الهدايا والرشا التى كانوا يأخذونها من فقرائهم .

لقد كان من أنعم الله على بنى اسرائيل أن سخر لهم الغمام فى التيه يظلهم من الشمس ، وأنزل عليهم المن (وهو كالثلج) والسلوى (وهى السمانى) يذبحون ويأكلون منها ما شاءوا ، ولكنهم تمردوا على أنعم الله فطلبوا من موسى أن يدعو ربه ليخرج لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير فأمروا أن يهبطوا مصرا من الأمصار فان لهم فيه ما سألوا ثم قال الله : « وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ » (١) .

معنى ضرب الذلة والمسكنة عليهم : أن الذلة والمسكنة جعلتا كالقبة المضروبة عليهم المحيطة بهم فلا ينفك عنهم الذل ولا يجدون مفرا من المسكنة وقد استحقوا سخط الله وغضبه لأنهم :

١ ــ كانوا يكفرون بآيات الله : ويراد بها المعجزات التى أيد بها رسوله موسى ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ــ من نحو العصا وغيرها .

٢ ــ كانوا يقتلون النبيين بغير الحق : فقتلوا أشعيا وزكريا ويحيى على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، وقيد القتل بقوله : « بغير الحق » لبيان أنه لم يكن فيهم من يعتقد أحقية قتل أحدهم ، وانما حملهم على

(١) البقرة ــ ٦١ .

ذلك حب الدنيا واتباع الأهواء وقد جرهم الى ارتكاب تلك الجرائم غلوهم فى العصيان وتماديهم فى الجحود ، فكان ارتكاب المعاصى وتجاوز حدود الله سببا فى كفرهم بالآيات وقتل الأنبياء الذين لم يفسدوا فى الأرض بل نصحوهم ونادوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم ، وفى قتل الناصحين الداعين الى الحق ما يدل على أن هؤلاء تجاوزت قسوتهم الحدود ولهذا كان عقاب الله الذى نزل بهم : ضرب الذل والفقر عليهم فى الدنيا ونزول غضب الله عليهم فى الدنيا والآخرة .

والمراد بـ « الذلة والمسكنة » اما الحقيقة واما أن يراد بهما : التصاغر والتفاقر حتى لا تضاعف عليهم الجزية فأطلق الذلة والمسكنة وأراد التصاغر والتفاقر .

وفى قصة البقرة جاء قوله تعالى : « وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ، فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١) » .

الخطاب فى الآية لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسند القتل والتدارؤ اليهم ، لأن نسبة جناية السلف الى الخلف فيه توبيخ وتقريع لفعلة هؤلاء ، وليقف الخلف على جرائم السلف الذين ارتكبوا جريمة القتل وتدارءوا فيها وتدافعوا ، وراح كل منهم يطرح الجريمة على غيره ، والله مظهر ما كتمه هؤلاء وكاشف ذلك المجرم الأثيم ، فكانت قصة البقرة التى أمروا بذبحها وأخذ قطعة منها وضرب المقتول بها ليعلن عن قاتله، وقد توهموا أنها بقرة مخصوصة ، فسألوا موسى وألحوا فى السؤال : (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا) (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا) ثم أوحى الله الى نبيه وصفها (إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ) الى آخر ماوصفها به(٢) ، ووجدوا البقرة الموصوفة ، وذبحوها، وضربوا القتيل ببعضها ، وقد قيل ان ذلك البعض كان لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل : أذنها ، وقيل أية قطعة منها .

وفى الكلام حذف تقديره : فضربوه ببعضها فأحياه الله وأنطقه فأعلن عن قاتله ، وكذلك الاحياء يحيى الله الموتى ويريكم آياته ودلائل قدرته ، وقيل :

ان المراد بالآيات : ذلك الاحياء (لعلكم تعلمون) أن القادر على احياء نفس يقدر على احياء كل النفوس .

وقال تعالى : « وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ(٣) »

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية نزلت فى ابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما جئتنا بشىء نعرفه ، وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها . فأنزل الله هذه الآية ، والمعنى لقد أنزل الى رسوله صلى الله عليه

(١) البقرة ــ ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) راجع الآيات ٦٧ ــ ٧٤ ، البقرة .

(٣) البقرة ٩٩ .

وسلم الآيات البينات التي لا غموض فيها من حيث دلالة معانيها ، وأنها من عند الله ومايكفر بها الا من فسق وخرج عن الحق (وأل) في قوله : « الفاسقون » للعهد : والمراد : الفاسقون المعهودون ، وعلى رأسهم ابن صوريا ذلك ، أو هي للجنس ، ويدخل في ذلك الجنس المنكر للآيات والمراد « بالآيات البينات » في الآية : آيات القرآن ، أو آيات القرآن والدلائل الأخرى كاشباع خلق كثير من الطعام القليل كاللبن الذى قدمه الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه من شاة أم معبد في طريق الهجرة ، أو نبوع الماء من بين أصابعه ــ والمراد بالكفر هنا : الجحود مع العلم بصحة الآيات ، أو الجحود مع الجهل وترك النظر فيها والفاسق : المتجاوز كل حد في كفره .

وقال تعالى : **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) (١) .**

طعن اليهود في القرآن ، ومن أنزل عليه ، فقالوا : ان محمدا يأمر اصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بغيره ، ويقول اليوم قولا ثم يرجع عنه . فنزلت الآية : **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ** . الخ ..

وأصل النسخ في اللغة : الابطال أو النقل والتحويل قال تعالى : **(الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان)** أى يزيله ويبطله فالازالة والابطال حقيقة في النسخ مجاز في النقل والتحويل .

والنسخ في شريعتنا جائز عقلا وواقع سمعا ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم نسخت شرع من قبله .. وقد قيل : الآيات المنسوخة هي الشرائع التي كانت في الكتب السابقة من التوراة والانجيل .

والقائلون بالنسخ في القرآن : استدلوا على جوازه بموضوع تقديم الصدقة بين يدى نجوى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء في قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً)** (٢) ثم نسخ ذلك .

وقال أبو مسلم : انما زال ذلك لزوال سببه ، لأن سبب التعبد بها أن يمتاز المنافقون من حيث لا يتصدقون على المؤمنين ، فلما حصل الغرض بطل التعبد بذلك .

كما استدلوا بماجاء في قوله تعالى : **(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ** (٣) ثم أزال الله تولية وجوههم الى المشرق والمغرب بقوله تعالى: **(فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)** .

والمنسوخ اما :

---

(١) البقرة ــ ١٠٦ .
(٢) المجادلة ــ ١٢ .
(٣) البقرة ــ ١٤٢

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

١ ــ ان يكون الحكم فقط • كتلك الآيات التى قدمناها كآية تقديم الصدقة بين يدى نجوى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم •

وآية : قل لله المشرق والمغرب •

٢ ــ او يكون التلاوة فقط كآية الرجم : **(الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما)** نسخت التلاوة وبقى الحكم •

٣ ــ او يكون المنسوخ الحكم والتلاوة معا

وقد روت عائشة رضى الله عنها : أن القرآن نزل فى الرضاع بعشر معلومات ثم نسخن بخمس معلومات فالعشر : مرفوع التلاوة والحكم والخمس مرفوع التلاوة باقى الحكم •

ومعنى : ما ننسخ من آية : أى نبدلها بأن نبدل حكمها فقط ، أو تلاوتها فقط ، أو هما معا ••

وقيل : ما ننسخ من آية : أى نرفعها بعد انزالها ، أو ننسها بمعنى ننسأها أى نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ ، أو نؤخر نسخها •

وقد قال الشافعى رضى الله عنه : ان السنة وان تواترت لا تنسخ القرآن ، واستدل بهذه الآية •

ومعنى الاتيان بخير منها ، أو مثلها : أنها من جنس ما نسخ من حيث انها من قول الله تعالى ، والسنة لا تكون خيرا من القرآن •

وقال تعالى : **(وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (١)** •

والذين لا يعلمون هم الجهلة من المشركين او هم أهل الكتاب •

وصفوا بعدم العلم لأنهم لما لم يعملوا بمقتضى علمهم كانوا كأنهم لم يعلموا •

وقولهم الذى قالوه : لو لا يكلمنا الله بلا واسطة كما يكلم الملائكة ، أو هلا يكلمنا الله بلا واسطة فيخبرنا بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) •

وكانت أمنيتهم أن يكلمهم الله كما كلم موسى عليه السلام فليس موسى (مع أنه نبيهم وهو منهم على الرأى القائل بأن الذين لا يعلمون هم أهل الكتاب) بأحسن منهم حيث يكلمه الله •

ومطلبهم الثانى : أن تأتيهم آية معجزة ، وما أكثر ما جاء من قبلهم من الآيات التسع التى ذكرها الله فى غير هذا الموضوع:من الجراد والقمل والضفادع الخ ، ولكنهم جحدوا ما جاءهم من الآيات التى أيد الله بها نبيهم استهانة بها ، ورد الله على ما طلبوا بأن موقفهم كموقف من قبلهم فى العمى ، ولذلك قالوا مثل قولهم ، وبهذا تشابهت قلوب معاشرى محمد عليه الصلاة والسلام من هؤلاء، وقلوب معاصرى موسى من اليهود •

---

(١) البقرة ــ ١١٨ •

مع آيات الله في كتاب الله

ولقد بين الله الآيات والدلائل لقوم أنصفوا أنفسهم وغيرهم فأيقنوا بأن تلك الآيات من عند الله وأعلنوا اذعانهم وخضوعهم لها .

ومفهوم الآية أن هؤلاء لا يوقنون مهما جاءتهم الآيات وتوالت عليهم المعجزات والدلائل لأنهم خلف المعاندين المتمردين ، والخلف منساق وراء أضاليل السلف .

وقال تعالى : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١) .

هذا بعض دعاء ابراهيم عليه السلام بعد رفع بناء البيت الحرام الذي بدأه بقوله: « رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » ومنه : ربنا وابعث فيهم الآية .

وهذا الدعاء يفيد كمال ذرية ابراهيم حيث يكون فيهم رسول يكمل لهم الدين ويثبتهم على الاسلام وأنه منهم ، واذا كان منهم عرفوا مولده ومنشأه ، وكان أحرص الناس على خيرهم ، وقد روى أن محمدا صلى الله عليه وسلم قال — عن نفسه : أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى » (٢) وأراد بدعوة ابراهيم ما جاء في هذه الآية : وربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، ودعاء ابراهيم كان بمكة وذريته فيها ، ثم ذكر ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام صفات ذلك الرسول — صلى الله عليه وسلم :

أولها : يتلو عليهم آياتك : فكان الفرقان الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو تلك الآيات التي طلبها ابراهيم عليه السلام .

ثانيها : أنه يعلمهم الكتاب : أي يعلمهم المعاني التي جاءت فيه .

ثالثها : أنه يعلمهم الحكمة : وهي الاصابة في القول والعمل ، أو معرفة الدين والفقه .

وقال الشافعي : الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل : الحكمة : هي الفصل بين الحق والباطل أو الشرائع وما فيها من مصالح الناس .

رابعها : أنه يزكيهم : أي يطهرهم من الشرك وقد طهر محمد صلى الله عليه وسلم أهله من مشركي مكة بعد الفتح من الوثنية التي عاشوا فيها وقيل : المراد بالتزكية : الطاعة والاخلاص .

وختم ابراهيم دعاءه بقوله : انك أنت العزيز الذي لا يغلب ، الحكيم : العالم بكل شيء المدبر بحكمته كل شيء في الوجود .

(يتبع) ..

دكتور / محمد محمد خليفه

---

(١) البقرة — ١٢٩ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل رضي الله عنه ١٢٧/٤ ، ١٢٨ — ٢٦٢/٥ ط أولى اليمنية ١٣١٣ هجرية .

■ الوقت. وقيمته

دراسات في السنة

■ الأحاديث الضعيفة

الوقت وقيمته..

الحمد لله على ماخلق وقدر ، وبين وفصل « هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » والصلاة والسلام على من أرسله ربه شاهدا ، ومبشرا ، ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، ورضى الله عن آله واصحابه الذين كانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار ، وعمن نهج نهجهم ، واتبع طريقهم الى يوم الدين.

وبعد ..

فهذا بحث متواضع فى « الوقت وقيمته فى ضوء الكتاب والسنة » دفعنى الى الكتابة فيه أن كثيرا منا نحن المسلمين يغفل عن قيمة الوقت ، ولايقدره قدره ، ولايرعى حرمته فأردت أن أنبه نفسى وغيرى الى الخطأ الذى نرتكبه فى حق الوقت باضاعته واهداره ، والى ضرورة أن نستثمر كل لحظة من لحظاته ، وكل ساعة من ساعاته ، فنقضيها فى طاعة الله ، والعمل على اعلاء الدين ، واعزاز الأوطان ، واعمار الارض ، وازدهار الحياة ، وعلى أن نتبوأ المكانة اللائقة بنا بين شعوب الارض قاطبة بأن ننفض عنا غبار الكسل ، ونطرد النوم ، وندع الاسترخاء ، اذ لايصح أن نكسل وغيرنا نشط جاد يواصل الليل بالنهار سعيا وانتاجا ، ولا أن ننام ملء الجفون وسوانا عيونهم مفتحة ، ولايصح أن نسترخى وأن تكون عزائمنا خائرة ، وهممنا هابطة بينما الآخرون فى قمة الحماس والحركة ، وعزائمهم متوقدة وهممهم عالية .

ان علينا أن نتذكر أننا باضاعتنا الوقت انما نضيع أنفسنا لأن حياتنا هى مجموع هذه اللحظات والساعات وما نصنعه فيها من أمجاد ومنجزات .

ان من العجيب حقا ان يكون (غير المسلمين) أكثر منا تقديرا للوقت ، وحرصا عليه ، وانتفاعا به ، وديننا القويم يبصرنا بما للوقت من قيمة عالية وحرمة كبيرة ، ويدعونا الى أن نستثمره أفضل استثمار « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً » (الاسراء ــ ١٢) .

في ضوء الكتاب والسنة

للدكتور محمد أبو النور الحديدي صقر

كما ان علينا الا ننسى أن الحياة تكون خيرا لنا مادامت مليئة بالأعمال الطيبة والجهود البناءة ، فاذا خلت من ذلك فانها لاتستحق الحرص عليها ، والتشبث بها بل يكون الموت خيرا منها روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لايتمنين احدكم الموت لضر أصابه ، فان كان لابد فاعلا فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى » .

لهذا كتبت هذا البحث الموجز متناولا فيه الكلام عن :

— منشأ الليل والنهار .
— والحكمة منهما .
— وفضل بعض الزمن على بعض .
— وقيمة الوقت من واقع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .
— وأخيرا : العواقب الوخيمة لتضييع الوقت وعدم الانتفاع به .

والله أسأل ان ينفع به انه على ما يشاء قدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم .

منشأ الليل والنهار

خلق الله تعالى الأرض والسماء ، ونجوما وكواكب كثيرة سابحة فى الفضاء ، وكل نجم وكل كوكب له فلك يجرى فيه لايحيد عنه ، ولا يصطدم بغيره رغم كثرة الأجرام السماوية ، وحركتها الدائمة ، لأنها تسبح وفق نظام دقيق ، وقانون ثابت ، وتقدير محكم ، صاحبه رب العالمين الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه . قال تعالى « وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (١) » .

وكل جرم سماوى له دورة حول نفسه ودورة أخرى حول الجرم الذى يتبعه ، فالقمر مثلا يدور حول نفسه ، ويدور أيضا حول الأرض ، والأرض تدور حول نفسها ، وتدور أيضا هى وتابعها القمر حول الشمس والشمس تدور حول نفسها ، وتدور هى وكواكبها ، وتوابع الكواكب حول مجموعة شمسية أخرى أكبر منها وهكذا .

ودوران الأرض حول نفسها ينتج عنه ظهور الشمس واحتجابها بالتوالى فى جميع الأمكنة من الأرض ، وبهذا يحدث الليل والنهار ، فالمكان المواجه للشمس يكون الوقت

(١) سورة يس الآيات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .

الوقت .. وقيمته

فيه نهارا والمكان الذى لا يواجه الشمس يكون الوقت فيه ليلا ، وبمجموع النهار والليل يكون اليوم الذى هو أربع وعشرون ساعة .

الحكمة من خلق الليل والنهار

من فضل الله تعالى على عباده ورحمته بهم أن جعل بعض اليوم نهارا ، وبعضه ليلا، وذلك ليعمل الناس فى حوائجهم ، ولكسب معاشهم فى النهار ، وليستريحوا من عناء العمل وكد السعى فى الليل ، قال تعالى :

« وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۞ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا(١) » .

أى جعلنا نومكم قطعا لأعمالكم ، وراحة لأبدانكم ، وجعلنا الليل سترا يستركم عن العيون اذا أردتم اخفاء مالاتحبون الاطلاع عليه ، وجعلنا النهار وقت معاش تتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم (٢) » .

فمن قدرة الله تعالى على عباده أن جعل لهم ليلا يسكنون فيه ويستريحون ، ونهارا يعملون فيه ويبتغون من فضله . ولو جعل تعالى الليل سرمدا « دائما » الى يوم القيامة لما قدر أحد غيره أن يأتى العباد بضياء ، ولو جعل تعالى النهار دائما الى يوم القيامة ما استطاع أحد غيره أن يأتيهم بليل يسكنون فيه . قال تعالى :

« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »(٣) .

تعاقب الليل والنهار فيه دلالة على قدرة الله تعالى الذى جعلهما على هذا النظام الدقيق المحكم ، وفيه مصلحة للعباد أيضا بتعويض ما يفوتهم فى أحدهما فى الآخر . قال تعالى :

« وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا(٤) » .

فالله تعالى جعل الليل والنهار بحيث يخلف أحدهما الآخر عند مغيبه ، وبحيث يقضى الانسان مافاته فى أحدهما من الطاعة والعمل النافع فى الآخر . وهذا من فضل الله علينا ورحمته ، حيث يمكننا من تدارك ما فاتنا .

فمن قصر فى طاعة وعمل خير ، أو قدم اساءة فى الليل استدرك ذلك فى النهار ، ومن وقع منه ذلك فى النهار استدركه فى الليل .

روى مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى موسى عبد الله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها(٥) » .

---

(١) سورة النبا الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ .

(٢) تفسير النسفى جـ ٤ ص ٣٢٥ .

(٣) سورة القصص الآيات ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .

(٤) سورة الفرقان الاية ٦٢ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٧٦ .

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو حمزة عن الحسن أن عمر بن الخطاب أطال صلاة الضحى فقيل له : « صنعت اليوم شيئا لم تكن تصنعه(١) » فقال : انه بقي على من وردى شيء فأحببت أن أتمه ، أو قال : أقضيه ، وتلا هذه الآية « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا » .

وقال على بن أبي طلحة : عن ابن عباس انه قال في الآية : من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركه بالليل(٢) » .

معرفة السنين والحساب

يعرف الشهر بدءا وانتهاء بالهلال ، فانه يبدو دقيقا ، ثم يزيد حتى يصير بدرا ثم يأخذ في النقصان حتى يعود كما كان ، ثم يغيب ليلة أو ليلتين .

قال تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ »(٣) .

وقد أخرج ابن عساكر عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية قال : نزلت في معاذ ابن جبل ، وثعلبه بن عنمة ، وهما رجلان من الانصار قالا : يارسول الله مابال الهلال يبدو ويطلع دقيقا مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ، ثم لايزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان . لايكون على حال واحد ، فنزلت « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ » في حل دينهم ولصومهم ولفطرهم وعدد نسائهم ، والشروط التى الى أجل(٤)» .

وأحوال القمر في الزيادة والنقصان ترجع للمنازل الثمانية والعشرين التى ينزلها القمر ، فانه ينزل كل ليلة في واحد منها لايتخطاه ، ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو ، يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ، ثم يستتر ليلتين ، أو ليلة ، اذا نقص الشهر ، قال تعالى :

« وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ »(٥) .

اى : أن القمر يسير في منازله ، فاذا كان في آخرها دق ، واستقوس ، وصغر حتى صار كالعرجون القديم » (٦) .

وقال تعالى : « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا »(٧) .

يقول صاحب « ظلال القرآن » :

الليل والنهار آيتان كونيتان تشهدان بدقة الناموس الذى لايصيبه الخلل مرة واحدة ، ولا يدركه التعطل مرة واحدة ، ولا يفى يعمل دائبا بالليل والنهار .

فما المحو المقصود هنا وآية الليل باقية كآية النهار ؟

يبدو — والله أعلم — أن المقصود به ظلمة الليل التى تخفى فيها الاشياء ، وتسكن فيها الحركات والأشباح ، فكأن الليل محو اذا

---

(١) اى : صلاة

(٢) تفسير ابن كثيرة ج ٣ ص ٣٢٤ .

(٣) سورة البقرة الاية ١٨٩ والمواقيت : جمع ميقات وهو الوقت .

(٤) التقدير ج ١ ص ١٨٩ .

(٥) سورة يس الاية ٣٩ .

(٦) تفسير النسفى ج ٤ ص ٨ : والعرجون القديم : عود الشمراخ اذا يبس واعوج لقدمه .

(٧) سورة الاسراء الاية ١٢ .

قيس الى ضوء النهار ، وحركة الأحياء فيه والأشياء ، وكأنما النهار ذاته مبصر بالضوء الذي يكشف كل شيء فيه للابصار .

ذلك المحو لليل والبروز للنهار « لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ » فالليل للراحة ، والسكون ، والجمام ، والنهار للسعي والكسب والقيام ، ومن المخالفة بين الليل والنهار يعلم البشر عدد السنين ، ويعلمون حساب المواعيد ، والفصول والمعاملات ، « وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً » فليس شيء وليس أمر في هذا الوجود متروكا للمصادفة والجزاف .

ودقة الناموس الذي يصرف الليل والنهار ناطقة بدقة التدبير والتفصيل ، وهي عليه شاهد ودليل(١) .

وقال تعالى أيضا : « هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ » (٢) .

فالله تعالى يذكر بعض نعمه على الناس ، بجعله الشمس ذات ضياء ، والقمر ذا نور ، والضياء أقوى من النور ، وقدر سير القمر في منازل ، ليعلم الناس عدد السنين والحساب ، وفي العلم بعدد السنين من المصالح الدينية والدنيوية الكثير ، ومن العلم بحساب الأشهر والأيام والليالي من ذلك مالايخفى ، ولولا هذا التقدير الذي قدره الله سبحانه ماعلم الناس بذلك ، ولا عرفوا مايتعلق به كثير من مصالحهم .

وما خلق الله ذلك ــ المذكور في الآية ــ الا ملتبسا بالحكمة البالغة ، ولم يخلقه عبثا ، والله تعالى يبين آياته التكوينية والتنزيلية لقوم يعلمون ، فينتفعون بالتأمل فيهما ، وان اختلاف الليل والنهار ــ أي مجيء كل واحد منهما خلف الآخر ، أو في اختلافهما ظلمة وضياء ، وما خلق الله في السموات والأرض من المخلوقات لآيات للذين يتقونه سبحانه ويجتنبون معاصيه .

وخصهم بهذه الآيات ، لأنهم يحذرون الآخرة ، فيدعوهم الحذر الى التأمل والنظر .

وما هي بعض المصالح الدينية والدنيوية التي تترتب على العلم بعدد السنين والحساب :

١ ــ صيام شهر رمضان برؤية الهلال والفطر منه برؤية هلال شوال :

روى أبو داود في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا رأيتم الهلال فصوموا ، واذا رأيتموه فأفطروا فان غم عليكم فصوموا ثلاثين يوما » (٣) .

وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا رأيتم الهلال فصوموا ، واذا رأيتموه فأفطروا

---

(١) الاستاذ سيد قطب في ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٢١٦

(٢) سورة يونس الآيتان ٥ ، ٦ .

(٣) مختصر ابي داود للمنذري جـ ٣ ص ٢١٥ .

فان غم عليكم فصوموا ثلاثين يوما » (١) .

كذلك روى مسلم بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فان غمي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين »(٢) .

فها هو الصوم المفروض علينا ، وهو صوم شهر رمضان من حين رؤية هلال رمضان ، أو باكمال عدة شعبان ثلاثين يوما ، كما ينتهي صومه برؤية هلال شوال ، أو باكمال رمضان ثلاثين يوما .

٢ ــ واداء الحج يكون في اشهر معلومة معروفة عند الناس ، ولايصح شيء من أفعال الحج الا فيها ، وهي : شوال وذو القعدة وذو الحجة . بكماله على رأي مالك ، أو عشر من ذي الحجة على رأي الباقين .

قال ابن حجر : أجمع العلماء على أن المراد بأشهر الحج في قوله تعالى (**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ**) (٣) ثلاثة أولها : شوال ، لكن اختلفوا : هل هي ثلاثة بكمالها ، وهو قول مالك ونقل عن « الاملاء » للشافعي ، أو شهران وبعض الثالث ، وهو قول الباقين .

ثم اختلفوا : فقال ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وآخرون : عشر ليال من ذي الحجة .

وهل يدخل يوم النحر أو لا ؟

قال أبو حنيفة وأحمد : نعم .

وقال الشافعي في المشهور المصحح عنه : لا

وقال بعض أتباعه : تسع من ذي الحجة ، ولايصح في يوم النحر ، ولا في ليلته ، وهو شاذ ، واختلف العلماء أيضا في اعتبار هذه الشهور هل هي على الشرط أو الاستحباب (٤).

وانما افرد سبحانه الحج بالذكر في الآية الكريمة : « **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** » لأن الحج مما يحتاج فيه لمعرفة الوقت ، ولايجوز التأخر فيه عن وقته ، ولعظم المشقة على من التبس عليه وقت مناسكه ، أو وقت بعضها (٥) .

٣ ــ والزكاة تجب في اصناف من المال يشترط في بعضها أن يحول عليه الحول ، فيلزم لصاحب المال أن يعرف حساب الشهور ليحدد الوقت الذي يخرج فيه زكاة ماله .

٤ ــ الحلف :

فلو حلف انسان الا يفعل شيئا معينا مدة محددة كشهر مثلا فانه يحسب بالهلال كما حدث من نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ فانه اقسم الا يدخل على أزواجه شهرا ، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل عليهن .

روى مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : بدأ بي فقلت يا رسول الله: انك أقسمت الا تدخل علينا شهرا ، وانك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال : ان الشهر تسع وعشرون »(٦) .

٥ ــ الكفارات :

بعض الكفارات تحسب بالأشهر مثل

(١ ، ٢) صحيح مسلم جـ ٧ ص ١٩٣ .
(٣) سورة البقرة الاية ١٩٧ .

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ٣ ص ٤١٠ .
(٥) فتح القدير للشوكاني جـ ٧ ص ١٩٥ .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٧ ص١٩٥

كفارة الجماع فى نهار رمضان من الصائم ، فانه يجب فيها على المجامع عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب التى تضر بالعمل اضرارا بينا ، فان عجز عنها فعليه أن يصوم شهرين متتابعين ، فان عجز عن الصوم أطعم ستين مسكينا ، كل مسكين مد من طعام .

روى مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يا رسول الله ، قال : وما أهلكك ؟ قال : وقعت على امرأتى فى رمضان ، قال : هل تجد ما تعتق رقبة ؟ قال : لا ، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا ؟ قال : لا ، قال : ثم جلس فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر ، فقال : تصدق بهذا قال : على أفقر منا ، فما بين لابتيها أهل بيت أحوج اليه منا ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت انيابه ، ثم قال : اذهب فأطعمه أهلك » (١) .

— كذلك فى كفارة القتل الخطأ عندما يكون المقتول مؤمنا باتفاق ، فعلى القاتل ان لم يستطع تحرير رقبة مؤمنة صيام شهرين متتابعين قال تعالى :

« وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا »(٢) .

— وفى كفارة الظهار أيضا صيام شهرين متتابعين عند العجز عن عتق رقبة قال تعالى :

« وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا »

٦ — عدد النساء :

فان بعض النساء تعتد بالأشهر كالآيسة ، وهى التى انقطع عنها دم الحيض لكبرها فانها تعتد بثلاثة أشهر عوضا عن الثلاثة قروء فى حق من تحيض والصغيرة أيضا التى لم تبلغ سن الحيض تعتد بثلاثة أشهر قال تعالى :

« وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٧ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٢) سورة النساء الاية ٩٢ .

هذا وجاء فى تفسير الامام الطبرى — رضى الله عنه — بصدد المقتول خطأ قول ابن عباس — رضى الله عنهما : « اذا كان (أى المقتول) كافرا فى ذمتكم فعلى قاتله الدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة او صيام شهرين متتابعين » ثم ساق الامام الطبرى قول من يرى أن الكفارة انما تكون فى المقتول المؤمن ، ثم أعقب ذلك بقوله : « فان ظن ظان أن قوله — تبارك وتعالى : (فدية مسلمة الى أهله) دليل على أنه من أهل الايمان — لأن الدية عنده لاتكون الا للمؤمن — فقد ظن خطأ ، وذلك ان دية الذمى وأهل الاسلام سواء لاجماع جميعهم على أن ديات عبيدهم الكفار عبيد المؤمنين من أهل الايمان سواء .

انظر تفسير الطبرى ص ١٢٢ و ١٢٣ المطبعة الميمنية — مصر .

٣ — سورة المجادلة الآيتان ٣ و ٤

يَحِضْنَ » (١) .

وكذلك المرأة المتوفى عنها زوجها فانها تعتد بأربعة أشهر وعشر لقوله تعالى : « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » (٢) .

٧ ـ الاجارات :

سواء كانت اجارة أرض زراعية ، أو مساكن ودور ، أو اجارة أدوات وآلات أو اجارة أشخاص ، فانها تحتسب بالأيام ، أو بالأشهر أو بالأعوام ، والعام مكون من اثنى عشر شهرا « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » (٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر بين جمادى وشعبان »(٤) .

وقد استأجر شيخ مدين الكبير موسى عليه الصلاة والسلام ثمانية أعوام أو عشرة على أن يزوجه ابنته ، فقضى موسى عليه السلام الأجل أجيرا ، وتزوج البنت، قال تعالى :

« قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۞ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا »(٥).

٨ ـ الحمل والارضاع :

مدة الحمل تحسب بالأشهر فغالب مدة الحمل تسعة أشهر ، ومدة الرضاع تحسب بالأشهر وقد تحسب بالأعوام ، فانها تتفاوت من أم الى أم ، ومن مرضعة الى مرضعة أخرى ، فقد تكون خمسة عشر شهرا لقوله تعالى : « وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ »(٦) .

وقد تكون واحدا وعشرين شهرا لقوله تعالى : « وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا » (٧)

وقد تكون مدة الرضاع عامين لقوله تعالى : « وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ »(٨) .

---

١ ـ سورة الطلاق الآية ٤

٢ ـ سورة البقرة الآية ٢٣٤ .

٣ ـ سورة التوبة الآية ٣٦ .

٤ ـ رواه البخارى عن ابى بكرة ج ٨ ص٣٢٤

٥ ـ سورة القصص الآيات من ٢٦ الى ٢٩.

٦ ـ سورة لقمان الآية ١٤ .

٧ ـ سورة الاحقاف الآية ١٥ .

٨ ـ سورة البقرة الآية ٢٣٣ .

٩ ـ الديون :

فان الناس يداين بعضهم بعضا الى مدة معلومة ، سواء كانت بالأيام أو بالشهور أو بالأعوام ، وقد أمر المتداينون بكتابة الدين المؤجل الى وقت معين بقوله تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ »(١) . وذلك لتوثيقه ، والأمن من النسيان ، وتجنب الجحود .

١٠ ـ التاريخ والرد على المغالطين :

الزمن وعاء لما وقع فيه من أحداث ، ومعرفة تاريخ الحدث ووقت وقوعه تفيد كثيرا ، ومن هذه الفوائد الرد على من يغير الحقائق الدينية ، ويحاول بالمغالطة قلب هذه الحقائق كما حصل من كل من اليهود والنصارى ، بزعمهم أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان منهم ، فادعى اليهود أنه على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام كان يهوديا ، وادعى النصارى أنه عليه السلام كان نصرانيا ، وجادلوا نبينا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى ذلك ، فنبهنا القرآن الكريم الى الرد عليهم جميعا بذكر التاريخ ، ووقت وجود كل منهم فان ابراهيم عليه السلام عاش فى زمن متقدم على الزمن الذى ـ أنزلت فيه التوراة وحدثت فيه اليهودية ، وعلى الزمن الذى أنزل فيه الانجيل وحدثت فيه النصرانية ، وبهذا يبطل الادعاء بأن ابراهيم عليه السلام كان يهوديا ، وأنه كان نصرانيا ، اذ لايعقل أن يكون عليه السلام على دين لم يحدث الا بعد عهده بأزمنة طويلة ، قال تعالى :

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ »(٢) .

قال النسفى : زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن ابراهيم كان منهم ، وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه ، فقيل لهم : ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة ، والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى ألف سنة ، وبينه وبين عيسى ألفان ، وكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بأزمنة متطاولة »(٣) .

كذلك بمعرفتنا ان الكعبة المطهرة أول متعبد فى الارض نستطيع أن نرد على اليهود فى زعمهم أن قبلتهم (بيت المقدس) ـ قبل قبلتنا ، ونحن نستند الى قول الله تعالى :

« إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » (٤) ، فهذا صريح فى أن الكعبة أول بيت وضع لعبادة الله تعالى فى الأرض .

---

١ ـ سورة البقرة الاية ٢٨٢ .

٢ ـ سورة آل عمران الاية ٦٥ .
٣ ـ تفسير النسفى جـ ١ ص ١٦٢ .
٤ ـ سورة آل عمران الايتان ٩٦ ، ٩٧ .

والى ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أي ؟ قال المسجد الأقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد » (١) .

هذا على أن اليهود قالوا للمسلمين : قبلتنا قبل قبلتكم (٢) وأما على أنهم قالوا : ان بيت المقدس أعظم وأفضل من الكعبة بدعوى أنه مهاجر الأنبياء ، وفي الأرض المقدسة فتكون قد ردت عليهم أيضا حيث نبهت بكونه أول متعبد على أنه أفضل من غيره .

ذكر الشوكاني : أن ابن المنذر أخرج عن ابن جريج قوله : بلغنا أن اليهود قالت : بيت المقدس أعظم من الكعبة ، لأنه مهاجر الأنبياء ولأنه في الأرض المقدسة ، فقال المسلمون : بل الكعبة أعظم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت : (ان أول بيت) الآية الى قوله « فيه آيات بينات مقام ابراهيم » وليس ذلك في بيت المقدس (ومن دخله كان آمنا) وليس ذلك في بيت المقدس « ولله على الناس حج البيت » وليس ذلك في بيت المقدس (٣) .

فضل بعض الزمن على بعض

اقتضت حكمة الله تعالى أن يفضل بعض الأشياء على بعض ، ففضل بعض الناس على بعض ، وفضل بعض الأمكنة على بعض ، وفضل بعض الأعمال على بعض ، وكذلك الزمن فضل الله تعالى بعضه على بعض ، ومن الحكمة الظاهرة لنا في ذلك أن يعطينا سبحانه فرصة الازدياد من الحسنات ، والاستكثار من الأجر على الطاعة والفكر ، وأعمال الخير في هذه الأوقات الفاضلة ، ولجبر التقصير الذى كثيرا ما يقع منا في بقية الأوقات ، فهذا فضل من الله تعالى ينبغي أن نعرض أنفسنا له بالحرص على مضاعفة الطاعة وعمل الخير الموصل الى مغفرة الذنوب والظفر برضوان الله ومن ذلك أنه جعل بعض الشهور أفضل من بعض .

كشهر رمضان فانه أفضل الشهور ، حيث هو محل الصوم المفروض ، ونزول القرآن الكريم « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ » (٤) ، ويلي صيام شهر رمضان في الفضل وعظم الأجر صيام شهر المحرم ، لما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل »(٥)

وجعل سبحانه بعض الليالي أفضل من بعض ، فجعل ليلة القدر أفضل ليالي العام ، وهي الليلة المباركة قال تعالى :

« إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ

---

١ ــ صحيح مسلم جـ ٥ ص ٢ .
٢ ــ كما ذكر ذلك النسفي في تفسيره جـ ١ ص ١٧ .
٣ ــ فتح القدير جـ ١ ص ٣٦٤ .

٤ ــ سورة البقرة الآية ١٨٥ .
٥ ــ صحيح مسلم جـ ٨ ص ٥٥ .

تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ » .

وقال تعالى : «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ(١)»

وبين لنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان صيام رمضان تغفر به الذنوب المتقدمة ، وكذلك ليلة القدر ، روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه »(٢) .

وفضل الله تعالى بعض أيام العام على بعض ، فجعل خير أيام العام يوم عرفة ، ويليه فى الفضل يوم عاشوراء .

روى مسلم عن أبى قتادة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة فقال: يكفر السنة الماضية والباقية ، قال : وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال : يكفر السنة الماضية » (٣) .

وأما ماورد ممايفيد أن يوم عاشوراء أفضل الأيام للصائم بعد رمضان كالحديث الذى أخرجه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مارأيت النبى صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضله على غيره الا هذا اليوم يوم عاشوراء ، وهذا الشهر يعنى شهر رمضان »(٤) فيجاب عنه بأن ابن عباس أسند ذلك الى علمه ، فليس فيه مايرد علم غيره ، ذكر ذلك ابن حجر العسقلانى ، ثم أضاف قائلا : وقد قيل : ان الحكمة فى تفضيل يوم عرفة على يوم عاشوراء منسوب الى موسى عليه السلام ، ويوم عرفة منسوب الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلذلك كان أفضل » (٥) .

وفضل تعالى بعض أيام الاسبوع على بعض ، كيوم الجمعة فانه أفضل أيام الأسبوع لما رواه مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها »(٦)

وفضل تعالى بعض الساعات على بعض ، كساعة يوم الجمعة ، فانها أفضل ساعات اليوم لما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال : فيه ساعة لايوافقها

١ — سورة الدخان الآية ٣ .
٢ — صحيح البخارى جـ ٤ ص ٢٥٥ .
٣ — صحيح مسلم جـ ٨ ص ٥١ .
٤ — صحيح البخارى جـ ٤ ص ٢٤٥ .
٥ — فتح البارى على صحيح البخارى جـ ٤ ص ٢٤٩ .
٦ — صحيح مسلم جـ ٦ ص ١٤١ .

عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئا الا أعطاه اياه ، وأشار بيده يقللها » (١) .

وأصح الأقوال فى تعيين هذه الساعة قولان:

أحدهما : أنها من جلوس الخطيب على المنبر الى انصرافه من الصلاة .

والثانى : أنها من بعد العصر الى غروب الشمس ، وتحمل الصلاة فى قوله فى الحديث « وهو قائم يصلى » على الدعاء أو الانتظار ويحمل القيام على الملازمة والمواظبة ، فالمقصود وهو مواظب يدعو ، ومعنى « يسأل الله تعالى شيئا » أى مما يليق أن يدعو به المسلم ، ويسأل ربه تعالى ، وفى رواية أخرى عند البخارى أيضا :

« يسأل الله خيرا » .

« وأشار بيده يقللها » أى يبين أنها قليلة ، وعند الامام مسلم «وهى ساعة خفيفة» ونقل ابن حجر العسقلانى عن الزين بن المنير قوله: الاشارة لتقليلها هو للترغيب فيها ، والحث عليها ليسارة وقتها ، وغزارة فضلها » (٢) .

وفى كل ليلة ساعة فضلت على غيرها من ساعات الليل حيث يستجاب فيها للمسلم مسألته ، فاذا سأل ربه فى هذه الساعة خيرا فى دنياه أو آخرته أعطاه الله ما سأل ، وحقق له ما طلب .

---

١ ــ صحيح البخارى ج ٢ ص ٤١٥ .
٢ ــ فتح البارى ج ٢ ص ٤١٦ .

روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ان فى الليل ساعة لايوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله اياه ، وذلك كل ليلة».

وهذه الساعة تقع فى ثلث الليل الآخر لما رواه البخارى ومسلم ــ واللفظ للبخارى ــ عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له » (٣) .

(يتبع) ..

دكتور محمد ابو النور الحديدى

---

٣ ــ صحيح البخارى ج ١١ ص ١٢٨ ، ١٢٩

الأحاديث الضعيفة

تشتد الحاجة فى هذا العصر الى عملية مراجعة للتراث بعامة والتراث الـديني بخاصة ، فانما القرآن الكريم وحـده هو المحفوظ بحفظ الله ـ جلا وعلا ـ له.

لقد ظل هذا التراث منذ العهد الموسوعى لابن حجر والسخاوى والنووى وابن تيمية والهيثمى فى القرون السابع والثامن والتاسع الى الآن هادئا لم يقربه أحد بمراجعة أو تجديد الا فى القليل النادر .

انه قد حدثت فى القرون الستة التالية للعهد الموسوعى تغيرات علمية فى الكون المادى والانسانيات ليس من أى منهج علمى التغاضى عنها وعن تأثيراتها فى جميع المفاهيم السابقة .

ان التقدم العلمى المذهل فى هذا العصر صار له سلطانه الطاغى المكتسح الذى لن يقف فى سبيله شىء ، والذى به ـ لا بغيره ـ ستكون دينا ودنيا ، وبغيره لن تكون لا دينا ولا دنيا . ذلك العلم الذى وضعنا الدين فى اطاره ثم فلتتنا منه صوارف هى من أهم ميادين هذه المراجعة .

على أن الأمر ليس بالسهولة التى قد يتصورها البعض فانه لابد من اتخاذ أقسى المناهج العلمية صرامة ، وأشدها احتياطا بتعاون مخلص بين الهيئات الرسمية وعلى رأسها الأزهر برجالاته ، وغير الرسمية من كل من يهتم ويحصل على المؤهلات اللازمة ، وفى اطار من القرآن الكريم وصحيح السنة .

وصلاحية الدين لكل زمان ومكان تتحقق كلما ازددنا قربا من نصوص القرآن الكريم وصحيح السنة . وأن اختلاف البيئات فى العصر الواحد جعل للشافعى مذهبين قديما وحديثا ، وجعل للكوفيين مدرسة وللحجازيين مدرسة وللشاميين مدرسة فى الحديث والفقه فما بالك باختلاف الزمان والتسارع العلمى فى أجزائه الأخيرة .

وقد يتيسر الآن لهذه المراجعة مالم يتيسر فى أزمنة سابقة من اتساع مبشر بالخير فى القاعدة العريضة من كبار العلماء ، ومن امكانات يسرها العلم للفهرسة بالعقول الالكترونية .

وفى اطار التمهيد لتأصيل مناهج هذه المراجعة واستحثاث الهمم نحوها قد تناولت جانبا من جوانب الأحاديث الضعيفة وآثارها فى الفكر الاسلامى وعقل المسلم ، واليوم أتناول جانبا آخر .

أقسام الحديث النبوى الشريف

كان البخارى ومسلم وكان صحيحاهما ، وكانت السنن الأربع قبل ان يوجد علم مصطلح الحديث ، وكان أئمة الحديث هؤلاء يقسمون الحديث اما الى صحيح وغير صحيح كما عند

للأستاذ محمد أحمد بدوي ٢٠

البخاري ، واما الى صحيح وضعيف كما عند مسلم ، ثم قسم الترمذي الحديث الى صحيح وحسن وضعيف ، لا بالمعنى الذي فصله علم المصطلحفيما بعد ولكن بمعنى وضحه ابن تيمية اذ قال في بعض فتاويه : أول من عرف أنه قسم الحديث الى صحيح وحسن وضعيف أبو عيسى الترمذي ، ولم تعرف هذه التسمية عن أحد قبله ، وقد بين أبو عيسى مراده ، فذكر أن الحسن ما تعددت طرقه ، ولم يكن فيه متهم بالكذب ولم يكن شاذا ، وهو دون الصحيح الذي عرف عدالة ناقليه وضبطهم .. وأما من قبل الترمذي من العلماء فما عرف عنهم هذا التقسيم الثلاثي لكن كانوا يقسمونه الى صحيح وضعيف والضعيف كان عندهم نوعين: ضعيف ضعفا لا يمتنع العمل به وهو يشبه الحسن في اصطلاح الترمذي .

وضعيف ضعفا يوجب تركه وهو الواهي . (١) وقال اليعمري تعليقا على قول الترمذي : لو قال قائل : ان هذا هو ما اصطلح عليه الترمذي في كتابه هذا ، ولم ينقله اصطلاحا عاما ، كان له ذلك . فعلى هذا لا ينقل عن الترمذي حد الحديث الحسن بذلك مطلقا في الاصطلاح العام أ هـ (٢) .

وساق الدكتور الأحمدي أبو النور تعريف الترمذي للحديث فقال : هو كل حديث روى لايكون في اسناده من يتهم بالكذب ، ولا يكون الحديث شاذا ويروى من غير وجه نحو ذاك فهو عندنا حسن ، وعلق الاستاذ الدكتور : وهذا واضح أن الترمذي عنى بذلك الحسن لغيره . أ هـ (٣) .

بيان الحسن وماهيته في الاصطلاح

قال العلامة الطيبي : الحسن مسند من قرب من درجة الثقة أو مرسل ثقة ، وروى كلاهما من غير وجه ، وسلم من شذوذ وعلة ، وهذا الحد أجمع الحدود التي نقلت عن الحسن وأضبطها ، وانما سمي حسنا لحسن الظن براويه (٤) .

والمراد بالشذوذ مخالفة الثقة من هو أوثق منه ، أو ما انفرد به سيىء الحفظ ، وهو الذي يترجح خطؤه على صوابه على الدوام ، والعلة: العيب القادح في صحة الحديث الذي لا يدركه الا المتمرسون بفن الحديث (٥) .

الحسن عند ابن كثير : هذا النوع لما كان وسطا بين الصحيح والضعيف في نظر الناظر لا في نفس الأمر عسر التعبير عنه وضبطه على

(*) هذا المقال وعد به الكاتب ما نشره بعدد ربيع الاول سنة ١٤٠٢ - ديسمبر سنة ١٩٨٢ .
(١) قواعد التحديث للقاسمي .
(٢) الباعث الحثيث لابن كثير ص ٣٨ .

(٣) شذرات من علوم السنة للدكتور الاحمدي ابي النور .
(٤) البدعة للدكتور عزت عطية ص ٢٤٩ .
(٥) قواعد التحديث ص ١٠٢ .

كثير من أهل الصناعة وذلك لأنه أمر نسبي شيء يتقدح عند الحافظ ربما تقصر عنه عبارته ، وقد قسم كثير منهم حده ، فقال الخطابي : هو ما عرف مخرجه ، واشتهر رجاله ، وعليه مدار أكثر الحديث ، وهو الذي يقبله أكثر العلماء ، ويستعمله عامة الفقهاء ، وقال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح : وقال بعض المتأخرين : الحديث الذي فيه ضعف قريب محتمل هو الحديث الحسن ، ويصلح للعمل به ، ثم قال الشيخ : وكل هذا مستبهم لا يشفي الغليل ، وليس فيما ذكر الترمذي والخطابي ما يفصل الحسن عن الصحيح ، وقد أمعنت النظر واتضح أن الحديث الحسن قسمان :

أحدهما : الحديث الذي لا يخلو اسناده من مستور لم تتحقق أهليته ، غير أنه ليس مغفلا كثير الخطأ ولا هو متهم بتعمد الكذب ، ولاينسب لفسق آخر واعتضد بمتابع أو شاهد، فأصله ضعيف وانما طرأ عليه الحسن بالعاضد الذي عضده فاحتمل لوجود العاضد ، ولولاه لاستمر ضعفه ولا ستمر على عدم الاحتجاج به ويكون متن الحديث قد روى مثله أو نحوه من وجه آخر فيخرج بذلك عن كونه شاذا أو منكرا ثم قال : وكلام الترمذي على هذا القسم يتنزل أ هـ (٦) وهو الحسن لغيره كما ذكر الاستاذ الدكتور الأحمدي .

القسم الثاني :أن يكون راويهمن المشهورين بالصدق والأمانة ولم يبلغ درجة رجال الصحيح في الحفظ والاتقان ولا يعد ما ينفرد به منكرا ، ولايكون المتن شاذا ولا معللا .وعلى هذا يتنزل كلام الخطابي . قال : والذي ذكرناه يجمع بين كلاميهما ، وقال الشيخ أبو عمرو : ولا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة كحديث : (الأذنان من الرأس) أن يكون حسنا لأن الضعف يتفاوت ، فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعا أو متبوعا كرواية الكذابين والمتروكين ، ومنه ضعف يزول بالمتابعة كما اذا كان راويه سيىء الحفظ أو روى الحديث مرسلا فان المتابعة تنفع حينئذ وترفع الحديث من حضيض الضعف الى أوج الحسن او الصحة . والله أعلم أ هـ كلام ابن كثير وقد علق الشيخ أحمد شاكر على ما سبق بقوله : وبذلك يتبين خطأ كثير من العلماء المتأخرين في اطلاقهم أن الحديث الضعيف اذا جاء من طرق متعددة ضعيفة ارتقى الى درجة الحسن أو الصحيح (٧) .

الحديث الضعيف

قال النووي : هو مالم يوجد فيه شروط الصحة ، ولا شروط الحسن ، وأنواعه كثيرة منها الموضوع والمقلوب والشاذ والمنكر والمعلل والمضطرب وغير ذلك (٨) . وقال الدكتور الأحمدي : تبين أن المقبول من الحديث الصحيح والحسن ، والمردود ما اختل فيه شرط من شروط القبول ، وينقسم باعتبار فقد شروط القبول الى أقسام نجملها فيما يلي : ١ ــ فقد اتصال السند . ٢ ــ فقد العدالة في السند .

(٦) الباعث الحثيث ٣٩ .

(٧) الباعث ٤٠ .

(٨) شرح النووي لمسلم ٢٢ .

٣ ـ فقد الضبط • ٤ ـ الشذوذ •
٥ ـ العلة (٩) •

تفاوت الضعيف

يتفاوت الضعف بحسب شدة ضعف رواته وخفته كصحة الصحيح ، فمنه أو هي كما أن من الصحيح أصح • قال الدكتور عزت عطية : أنواع الضعف كثيرة ، وبعضها أخف من بعض وكلما كانت شروط الصحة المفقودة أكبر كان الضعف أشد ، والعكس بالعكس • فما فقد شروط الصحة كلها من اتصال السند والعدالة والضبط وعدم الشذوذ وعدم العلة أشد ضعفا مما فقد بعضها وهكذا •• ومن هنا قسم العلماء الحديث الضعيف الى :

١ ـ ضعيف ينجبر اذا كان الضعف لضعف حفظ الراوى الصدوق الأمين فانه يزوليمجيئه من طريق أخرى لأن صدقه وأمانته توجبان الثقة بقوله ، والتوقف فى الحديث انما كان من جهة سوء حفظه ، فاذا أورد الحديث من طريق آخر زال سبب التوقف ، ووثقنا من أنه قد حفظ ما روى ولم يختل فيه ضبطه •

٢ ـ ضعيف لا ينجبر اذا كان الضعف لكذب الراوى أو اتهامه بالكذب أو فسقه فانه لا يرتفع عن كونه مردودا لوروده من طريق أو عدة طرق فى مثل درجته ، وكل ما يمكن أن تؤدى اليه كثرة الطرق فى مثل هذا الحديث هو رفعه عن أن يكون موضوعا أو منكرا أو لا أصل له ، وربما أدت كثرة الطرق الى وصوله الى درجة رواية المستور سيىء الحفظ بحيث اذا وجد له طريق آخر فيه ضعف قريب محتمل أى ليس بسبب الكذب أو الاتهام به أو الفسق ارتفع بمجموع ذلك الى درجة الحسن لغيره وهى ادنى درجات القبول (١٠) •

وخلاصة هذا التعسف أن النوع الأول أسهل فى الجبر وأخف فى الصعود به الى مرتبة الحسن ، والثانى أصعب فى الجبر لكنه قد يصل بالروافع الضخام الى مرتبة الحسن لغيره وهذا يعنى أن كل حديث ضعيف أمامه فرصة الترقى !

المذاهب فى الأخذ بالحديث الضعيف

قال القاسمى : ليعلم أن المذاهب فى الضعيف ثلاثة :

المذهب الأول

لا يعمل بالحديث الضعيف مطلقا لا فى الأحكام ولا فى الفضائل • حكاه ابن سيد الناس فى عيون الأثر عن يحيى بن معين ، ونسبه فى فتح المغيث لأبى بكر بن العربى ، والظاهر أن مذهب البخارى ومسلم ذلك أيضا يدل عليه شرط البخارى فى صحيحه ، وتشنيع الامام مسلم على رواة الضعيف (كما سيجىء) وعدم اخراجهما فى صحيحيهما شيئا منه • وهذا مذهب ابن حزم حيث قال فى الملل والنحل : ان الله قد ضمن حفظ الشريعة ، فما لم يرد الينا من طريق صحيح فلا حاجة لنا به ، فلن كان شرعا فلابد أن يكون موجودا عند غيرنا بسند صحيح وطرق سليمة ، وان لم يكن من الشرع نجونا من شره (١١) وقال أيضا : ما نقله أهل

(٩) شذرات ٧٩ جـ ١ •

(١٠) البدعة ٢٥٠ •
(١١) المرجع السابق •

المشرق والمغرب أو كافة عن كافة ، أو ثقة عن ثقة ، حتى يبلغ الى النبى صلى الله عليه وسلم الا ان فى الطريق رجلا مجروحا بكذب أو غفلة أو مجهول الحال ، فهذا يقول به بعض المسلمين ولا يحل عندنا القول به ولا تصديقه ولا الأخذ بشىء منه (١٢) .

وبين الشيخ أبو شامة فى كتابه الباعث على انكار البدع والحوادث : ان القول بالتساهل فى فضائل الاعمال خطأ عند المحققين من أهل الحديث والفقه والأصول ، بل ينبغى أن يبين أمره ان علم به ، والا دخل تحت الوعيد بقوله صلى الله عليه وسلم :

من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين (١٣) .

المذهب الثانى

انه يعمل به مطلقا وهذا رأى السيوطى . قال : وعزى ذلك الى أبى داود وأحمد لأنهما يريان ذلك أقوى من رأى الرجال أ هـ (١٤) .

والسيوطى من المتسامحين المتساهلين اذ أورد فى جامعه الكبير والصغير المنكرات والشواذ وكل ذى علة من الحديث حتى بلغت أحاديثه مائة ألف .

المذهب الثالث

يعمل به فى الفضائل بشروطه الآتية ، وهذا هو المعتمد عند الأئمة . قال ابن عبد البر : أحاديث الفضائل لايحتاج فيها الى ما يحتج به ، وقال الحاكم : سمعت أبا زكريا العنبرى يقول : الخبر اذا ورد ولم يحرم حلالا ولم يحل حراما ، ولم يوجب حكما وكان فى ترهيب أو ترغيب اغمض عنه وتسوهل فى رواته ، ولفظ ابن مهدى فيما أخرجه البيهقى فى المدخل : اذا روينا عن النبى صلى الله عليه فى الحلال والحرام والأحكام شددنا فى الأسانيد وانتقدنا فى الرجال ، واذا روينا فى الفضائل والثواب والعقاب سهلنا فى الأسانيد وتسامحنا فى الرجال ، ولفظ أحمد فى رواية الميمونى عنه : الاحاديث فى الرقائق يحتمل أن يتساهل فيها حتى يجىء شىء فيه حكم ، وقال فى رواية عباس الدورى عنه : ابن اسحق رجل تكتب عنه هذه الأحاديث وهى المغازى ونحوها واذا جاء الحلال والحرام أردنا قوما هكذا ، وقبض أصابع يده الأربع أ هـ (١٥) .

وقال السخاوى : أبو داود يخرج الضعيف اذا لم يجد فى الباب غيره وهو أقوى عنده من رأى الرجال ، وهو تابع فى ذلك شيخه أحمد ابن حنبل فقد قال : لا تكاد ترى أحدا ينظر فى الرأى الا وفى قلبه غل ، والحديث الضعيف أحب الى من الرأى (١٦) .

ما شرطه المحققون لقبول الضعيف

قال السيوطى فى التدريب : لم يذكر ابن الصلاح والنووى سوى هذا الشرط : كونه فى فضائل الأعمال ونحوها . وقال الزركشى :

(١٢) قواعد التحديث ١١٣ .
(١٣) البدعة ٢٥٥ .
(١٤) قواعد التحديث ١١٣ .
(١٥) قواعد التحديث ١١٥ .
(١٦) قواعد التحديث ١١٥ .

الضعيف مردود ما لم يقتض ترغيبا أو ترهيبا أو تتعدد طرقه (١٧) .

قال الحافظ السخاوى فى القول البديع بعد ذكر المسألة وخلاف أبى بكر بن العربى فيها، اذ جزم بعدم جواز العمل بالضعيف مطلقا ، وقال : سمعت شيخنا ابن حجر مرارا يقول وكتب لى بخطه شرائط العمل بالضعيف ثلاثة :

الاول : متفق عليه وهو أن يكون الضعف غير شديد فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه .

الثانى : أن يندرج تحت أصل معمول به فيخرج ما يخترع بحيث لايكون له أصل أصلا .

الثالث : الا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم مالم يقله . قال : والأخيران عن ابن عبد السلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد (١٨) .

وقال الشيخ طاهر الجزائرى : ويظهر من الشرط الثالث أنه يلزم بيان ضعف الضعيف الوارد فى الفضائل ونحوها كى لا يعتقد ثبوته فى نفس الأمر وبهذا يتبين لنا أن الأخذ بالضعيف فى فضائل الأعمال ليس على اطلاقه بل معناه ما ذكرناه ، وانه لا يعارض الاتجاه العام الذى وجه اليه القرآن ودل عليه الحديث من التحرز فى نقل الأخبار وقبولها (١٩) .

مناقشة العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال ..

اذا كان المقصود بفضائل الأعمال التى ترددت فى الأقوال السابقة أن الحديث الضعيف ينشىء مستقلا أعمالا فاضلة ، أو يعطى الفضل مستقلا لأعمال مباحة لم ينشئها القرآن الكريم أو السنة الصحيحة ، فلم يقل به أحد ، لأنه يتضمن حكما شرعيا وقد استبعدوا جميعا الأحاديث الضعيفة من الأحكام ، وان كان المقصود بفضائل الأعمال أن الحديث الضعيف يزيد فضيلة وثوابا فى عمل أنشأه مصدر قوى فهذا هو التفسير الوحيد لكلمة فضائل الأعمال.

وهو رأى ابن تيمية ، فقد نقل ابن مفلح فى الآداب الشرعية والمنح المرعية عن قول العلماء فى العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال ما يدل على أن لا يرى أنها تشرع عملا من الأعمال الفاضلة ، اذ قال : العمل به بمعنى أن النفس ترجو ذلك الثواب أو تخاف ذلك العقاب، ومثال ذلك فى الترغيب والترهيب مما لايجوز اثبات حكم شرعى به لا استحباب ولا غيره، لكن يجوز أن يذكر فى الترهيب والترغيب فيما حسنه أو قبحه بأدلة الشرع (٢٠) .

وقد وضح لى ذلك احد كبار علماء الحنابلة المعاصرين ، اذ قال : ان العمل بها فى فضائل الأعمال لايعنى أنها تدخل عملا فى دائرة المطلوب ، ولا تخرج عملا الى دائرة المنع — انها تزيد فى الترغيب فى عمل مطلوب بالأدلة الأقوى ، وفى الترهيب من عمل منهى عنه بالأدلة الأقوى . فقلت : ياليت العوام يفهمون ذلك ! وقلت أيضا : وفيه اعطاء وزن زائد فى صالح بعض الأعمال ، فيجعلها عند العامى

(١٧) قواعد التحديث ١١٦ .
(١٨) الاعتصام للشاطبى ١٤٣ جـ ١
(١٩) البدعة ٢٥٤ .
(٢٠) الآداب الشرعية لابن مفلح ٣١٣ جـ ٢ .

شيئا آخر ، وفيه اعطاء وزن زائد ضد بعض الأعمال ، فيجعلها عند العامي شيئا آخر ، اذ يدغدغ الأول داعي الرجاء المفرط بالمبالغة في الثواب على أعمال سهلة ، ويدغدغ الثاني داعي التزمت والتنطع بالمبالغة في العقاب على أعمال قد تكون مباحة ، وبين الرجاء المفرط والتزمت المفرط يقع دين الله .

وقال المحقق جلال الدين الدواني في رسالته أنموذج العلوم : اتفقوا على أن الحديث الضعيف لا تثبت به الأحكام الشرعية ، ثم ذكروا أنه يجوز العمل بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال ، وممن صرح به النووي في الأذكار ، وفيه اشكال لأن جواز العمل واستحبابه كلاهما من الأحكام الشرعية الخمسة فاذا استحب العمل بالحديث الضعيف كان ثبوته بالحديث الضعيف ، وذلك ينافي ما تقرر من عدم ثبوت الأحكام بالأحاديث الضعيفة ، وقد حاول بعضهم التفصي من ذلك فقال : ان مراد النووي أنه اذا ثبت حديث صحيح أو حسن في فضيلة عمل من الأعمال تجوز رواية الحديث الضعيف في هذا الباب ، ولا يخفى أن هذا لا يرتبط بكلام النووي فضلا عن أن يكون مراده ذلك ، فكم من فرق بين جواز العمل واستحبابه وبين مجرد نقل الحديث (٢١) .

مناقشة خوف فوت العمل بما قد يكون صحيحا في ذاته من الأحاديث الضعيفة ..

كانت هذه النقطة هي التي لمحت اليها المجلة الغراء بقولها : احتمال أن في الضعيف هذا شيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم احتمال ثابت .

اذا كان هذا الاحتمال ثابتا فان المؤكد — وليس مجرد احتمال — أن فيها الكثير جدا مما يستحيل صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم بجميع المقاييس التي وضعها العلماء لذلك .

ان احتمال وجود شيء ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الضعيفة هو ما نحاول لفت النظر اليه واستحثاث الهمم نحو اكتشافه لاخراجه من حضيض الضعف واطراح الباقي ، وذلك بنقد الحديث النقد الموضوعي بالعرض على القرآن الكريم وصحيح السنة وسائر اليقينيات .

ان ذلك الاحتمال لايكفي لأن يكون مبررا لأن نثقل الأمة بأعباء مائة ألف حديث (المعجم الكبير للطبراني) . قال الحاكم وهو من المتسامحين ان الذي في الدرجة الأولى من جميع الأحاديث لا يبلغ عشرة آلاف (٢٢)وهذه الأحاديث الضعيفة فيها من المتناقضات ما أتعب العلماء في التوفيق بينها بعضها وبعض وبينها وبين الأحاديث الصحيحة بما يضحك أحيانا وبما يبكي في أكثر الأحايين .

وما من عمل يرغب فيه حديث ضعيف أو يرهب منه الا وفي المصادر الأقوى ما يرغب فيه أو يرهب بعيدا عن المبالغة في الطرفين على السواء .

وما نهتدي بعقولنا الى فائدته مما هو في الأحاديث الضعيفة بعد استبعادها نعمله

---

(٢١) قواعد التحديث ١١٨ .

(٢٢) ائمة الحديث للدكتور الحسيني هاشم .

مستدلين بمصلحتنا التى تدور معها أوامر الدين وجودا وعدما غير مستندين فيه الى حديث ضعيف . وهذا ملحظ دقيق يجب أن نمعن فيه النظر ، ولا نتعجل القول بأن استفادتنا فيما هذا شأنه الى حديث يجعله قربة نثاب عليها ، فان الصالح مما لم يأمر به الدين نصا فهو مأمور به من الدين روحا وله ثوابه . وهذا المنهج يعطينا مرونة كافية فى نبذ ما يستبين لنا ضرره واستبدال غيره بلا حرج .

فترك العمل بالحديث الضعيف فى هذا الزمن الذى تملؤه الواجبات ، ولو ترتب عليه ترك أمور لا نعلم علما يقينيا أنها من أوامر الدين أهون ضررا من العمل بكل الأحاديث التى نعلم أن فيها كثيرا لم يثبت الثبوت المريح للنفس ، ونحن لا يمكن أن نكون مثل الامام مالك حرصا على السنة ، فقد قال عتيق الزبيرى كما نقل عنه ابن فرحون فى الديباج المذهب تحقيق الاستاذ الدكتور الأحمدى أبى النور قال : وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة آلاف حديث ، فلم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقى هذا (٢٣) .

توضيح تفضيل الامام احمد الحديث الضعيف على القياس ..

قد وضح ابن تيمية ذلك فقال : ان قولنا ان الحديث الضعيف خير من الرأى ليس المراد به الضعيف المتروك لكن المراد به الحسن ونحوه ممن يحسن الترمذى حديثه أو يصححه ، وكان الحديث قبل الترمذى : اما صحيح واما ضعيف

والضعيف نوعان : ضعيف متروك وضعيف ليس بمتروك ، فتكلم أئمة الحديث بذلك الاصطلاح فجاء من لايعرف الا اصطلاح الترمذى فسمع قول بعض الأئمة الحديث الضعيف أحب الى من القياس فظن أنه يحتج بالحديث الذى يضعفه مثل الترمذى (٢٤) .

وقال ابن القيم : بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن وقال فى اعلام الموقعين : ليس المراد بالحديث الضعيف فى اصطلاح السلف هو الضعيف فى اصطلاح المتأخرين ، بل ما يسميه المتأخرون حسنا قد يسميه المتقدمون ضعيفا (٢٥) .

كلمة أخيرة

ان من حق الاسلام علينا ألا نغمض عيوننا، ونصم آذاننا عما أحدث العلم من تغيرات وانجازات عرفنا بها مقدار ما تؤثر به حكايات الرقائق والمنامات والخوارق والاسرائيليات فى عقول الناس بأشد مما تؤثر به أحاديث الأحكام وعرفنا به الحيل النفسية لدى المتأخرين فى التلهف على المبالغات فى الثواب والعقاب وخوارق العادات وعمق تأثرهم بما فيها .

وان من حقنا على أنفسنا أيضا ان أردنا ان يكون لنا مكان على هذا الكوكب أن نرى لأنفسنا بالمنهج لا بالمجازفة ما يصلح لحياتنا وما لا يصلح كما كان للاقدمين من الحق على أنفسهم ، وهم لم يقصدوا أن يجعلوا اجتهاداتهم قيودا فولاذية لمن بعدهم ، ورحم الله ذوى المناهج من سلفنا الذين عرضنا بعضا

(٢٣) الديباج المذهب ١١٩ جـ ١ .

(٢٤) قواعد التحديث ١١٨ .
(٢٥) البدعة نقلا عن اعلام الموقعين

الأحاديث الضعيفة

من آرائهم التقدمية والذين أعطونا مفاتيح التقدم ، وأدخلناها القماقم وأثقلنا عليها الأغاليق .

نريد أن تخرج هذه المفاتيح وهذه القواعد التي وضعوها لنقد الحديث خارج السند ، وما دام عندنا القرآن الكريم وصحيح السنة فلن يضل لنا مسعى .

وأروح عن القارىء بعد هذه المناقشات بعبير من جو الصفاء الأول في عبارتين للامام مسلم في مقدمته لصحيحه : **اعلم وفقك الله أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها الا يروى منها الا ما عرف صحة مخارجه .. أن الأخبار الصحاح من رواية الثقات وأهل القناعة أكثر من أن يضطر الى نقل من ليس بثقة ولا مقنع . هدانا الله الى سواء السبيل .**

محمد أحمد بدوى

تعقيب

ليس كل ضعيف موضوعا ..

لقد طرحت المجلة هذا اللون من الفكر ـ في الحديث الضعيف ـ ليستبين القارىء معالمه ، وليس حبا فيه ولا تشجيعا له والمجلة تشكر للكاتب اتفاقه معها في :

(أ) أن ليس كل ضعيف موضوعا مكذوبا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(ب) وأن الضعيف غير الموضوع فيه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا أمر ثابت عالجه العالم الثقة الثبت الشيخ شاكر في تخريجه لأحاديث مسند أحمد ـ رضى الله تعالى عنه .

(جـ) وأنه يجب العمل العلمى لاستخلاص الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ منها . وهنا نقول :

انما يتولى هذا العمل مختصون ، حفاظ ، ثقات ، يعلمون من أمر الحديث مالا يعلمه غيرهم ، وليس هذا الباب لغيرهم على أى حال . واذا كان بعض المسلمين غير المتخصصين سمح لنفسه أن يكتب في هذه الأمور فليس معنى ذلك أن يكون عضوا علميا في لجنة تستخلص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه .

(د) لازالت المجلة ترفض التخلص من الضعيف في ضوء ما قررته فمادام ليس

ليس كل ضعيف موضوعًا ..

موضوعا .. ومادام فيه مجال لثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينبغي حفظه وعرضه للعلم لا للبراءة منه حاشا لله . وهي — أي المجلة — عندما تقول هذا لا تقوله تحت العنوان الذي وضعه الكاتب له اذ يقول :

« مناقشة خوف العمل بما قد يكون صحيحا في ذاته من الأحاديث الضعيفة » .

فليرجع القارىء الى العدد الثالث ربيع الأول ١٤٠٣ هجرية صفحة ٣٠٧ في تعليقنا على الكاتب الفاضل فسوف يجد أننا لم نطرق ما يدخل تحت هذا العنوان من قريب أو بعيد . انما تمسكنا بنقاش علمي بحت لا علاقة فيه بالعمل بالحديث الضعيف .. ولا حاجة لتكرار ما قلناه ثم ، فمطالعة القارىء ومقارنته تغنيان عن هذا التكرار .

(٨) جاء في منهج الكاتب الفاضل أمر خطير ، اذ يقول :

(وما نهتدي بعقولنا الى فائدته مما هو في الأحاديث الضعيفة بعد استبعادها نعمله مستدلين بمصلحتنا التي تدور معها أوامر الدين وجودا وعدما ... الخ .

ما عقولنا هذه ؟! استحساناتنا .. آراؤنا اتفاقنا .. ؟ . !

سيدي الكاتب الكريم ..

ان العلماء في أي مجال للبحث : رياضي ... طبيعي .. كوني ... فلسفي ... شرعي ... ديني ...

كل أولئك عقولهم تقف موقف « الرقيب » فقط من مادة الاختبار .. ثم تصل شيئا فشيئا الى « الحكم » .

وهذا الموقف في ذاته تحدده « قوانين » في كل هذه الميادين حتى تكون لنا نتائج منطقية أخذت طريقها بين مراحل الجمع ... والاستقراء ... ثم الترجيح ... ثم القانون .

فلسنا — العلماء — نقبل مجرد ما تمليه علينا عقولنا .. !

ضللنا — اذا — وما كنا من المهتدين .

وانا لنتهم الرأي على الدين .

فبئس الرأي ما انقطع عن الدين .

وبئس ما صنعنا اذا طرحنا حديثا ضعيفا لم يثبت وضعه ، ولا مجال لاثبات وضعه ، لنلجأ — في أمره — الى عقولنا وأرجو أن يسأل الأستاذ الفاضل نفسه :

علام ورث سيدنا أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح (الخال) ولينظر حكم الدليل ؟

اننا سوف نتلمس آثار النبوة .. نحبها ونحفظها ونحرص عليها . والله الهادي الى سواء السبيل وحسبنا في هذا البحث ما قدم .

د/علي الخطيب

زمـــزم
بنت التاريخ

دراسات في السيرة النبوية

قادة النــبي
صلى الله عليـه وسـلم

زمزم بنت التاريخ

للأستاذ السيد حسن فترون

في حاضرة الدولة الاسلامية (الكوفة) وفي دار الامارة جلس امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وحوله القادة والسادة من اتباعه وانصاره ، وقد تخلت عنه همومه الا هواجس كانت تدور في رأسه حول التحكيم الذي لم يأت بعد ، وقد راق الجو وصفا ، وكان القمر يرسل نورا ساطعا ليحلو الحديث وتتثال الذكريات وجاء ذكر « حفر زمزم » وما قام به عبد المطلب بن هاشم في شأنها ، وهنا امسك حفيده علي كرم الله وجهه باطراف الحديث ، وانصت اليه حواريوه وكلهم آذان مصغية وشوق لما يقول .

سجل الحديث عنه كاتب السيرة محمد بن اسحاق المطلبي في اسناد ينتهي الى (عبد الله ابن زرير الغافقي) الذي حضر المجلس وروى الحديث ، ونقله الى الناس (١) ، قال الامام :

قال عبد المطلب :

اني لنائم في الحجر اذ اتاني آت فقال : احفر طيبة . قلت وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال : احفر برة . قلت : وما برة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر المضنونة ، فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم . قلت : وما زمزم ؟ قال :

لا تنزف ابدا ولا تذم
تسقي الحجيج الأعظم
وهي بين الفرث والدم
عند نقرة الغراب الأعصم
عند قرية النمل (٢)

وقبل أن نساير تفسيرات الرؤيا أو الرؤى

---

(١) هكذا تصورت مجريات الرواية .

(٢) هذه الجمل سجع لا شعر .

زمـــــزم
بنت التاريخ

وما ترتب عليها من أحداث تعطى مفهوما عن بعض الكلمات لما لها من دلالات واشارات نحو المستقبل ، والكلمات : طيبة وبرة والمضنونة وزمزم التى تلهف عبد المطلب على فهم المراد منها ولم يفته السؤال عنها ، ليعرف الجواب الشافى من الهاتف تدور حول موصوف واحد هو البئر .

فقد سماها « طيبة » لأنها للطيبين والطيبات من بنى ابراهيم واسماعيل على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ومن سار على نهجهم من سائر الأنام .

وسماها « برة » لأنهـا فاضـت للابـرار والأطهار ، ويكفى أنها كانت غوث « هــاجر » حين عطش ابنها اسماعيل فأشفقت عليه من الهلاك ، فكان الله معها حين فجر هذا الينبوع .

وسماها « المضنونة » لأنها تضن بمائها على غير المؤمنين ، فلا يتضلع منها منافق للمروى عن سيدنا محمد صلى الله عليـه وسـلم : « من شرب من ماء زمزم فليتضلع ، فانه فرق ما بيننا وبين المنـافقين ، لا يسـتطيعون أن يتضلعوا منها .. وقـد شرب منهـا أبـو ذر الغفارى حين أسلم وكانت الدعوة سرا فأغنته عن الطعام ليالى وأياما فهى « طعام طعم ، وشفاء سقم » .

وسماها « زمزم » لأنها تضم ماءها وتلمه فلا ينساح على وجـه الأرض ، وقـد فسر بعضهم الزمزمة بالصوت والأول أولى ، لأن الماء حين انبثق بهمزة جبريل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام انساح عـلى وجـه الأرض فأخذت هاجر تدفعـه بكفيهـا ليكثر ويتجمع .

أما قوله : « لا تنزف أبدا ولا تذم » فيفيد أن الماء لا يزول ولا يقل ، وليست تذم ضـد تمدح ، لأنها تعرضت للذم من المغرضين وذوى النفاق من أمثال خالد بن عبد الله القسرى فقد كان خالد يذمها ويعيبها تقربا الى بنى أميـة ويسميها « أم جعلان » واحتفر بئرا خـارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك ، وجعل يفضلها على زمزم مما جعل الخليفة هشام بن عبد الملك يغضب عليه ويحط من شأنه وشأن أسرته فى رسالة رواها المبرد فى الكامل يهدده ويتوعده ان لم يقلع عما هو عليه من العداء لزمـزم ، ويقول له فى الرسـالة : انها مكرمة عبد المطلب وقريش . وابن هشام فى السيرة يقول عن بنى عبد مناف : هاشم وأميـة ونـوفل والمطلب : « وانما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحـد ، شرف بعضهم لبعض شرف ، وفضل بعضـهم لبعض شرف » ويروى شعر المسافر بن أبى عمرو بن أمية يفخر بزمزم منه :

ورثنـــا المجـــد مـــن آبـا
ئنـــا تنمـى بهـا صـــعدا
الـــم نســــــق الحجيــج
وتنحـــر الدلاقــة الرفـــدا ؟
وزمـــزم فى أرومتنـــــا
وتفقـــا عين من حســــدا

فهو — وهو الأموى — يفخر بسقى الحجيج وهو من مكارم عبد المطلب بن هاشم كما يفخر بزمزم وهى منسوبة اليه ، لأن بنى عبد مناف

بيت واحد ، ولم يفرق بين أعضاء البيت الا الخلافة والرياسة ، ومع ذلك فهم لا يقبلون أن ينال أحد من عبد المطلب وحفر زمزم . فلا تذم نحواها لا يقل ماؤها ، والعرب تقول « بئر ذمة » أى قليلة الماء ، وقد نفى عنها القلة فثبتت لها الكثرة .

وقوله : « تسقى الحجيج الأعظم » ظاهر المعنى ، وقد جمع عبد المطلب لنفسه سقى الحجيج والرفادة ، فكان يسقى الحجاج الماء المحلى ويطعمهم ، وقد اعتد بذلك (حمزة بن عبد المطلب) رضى الله عنه فكان فى حومة الوغى يوم أحد يقول لمن يصرعه : خذها وأنا ابن ساقى الحجيج .

وقوله : « بين الفرث والدم » اشارة الى المكان الذى تذبح فيه الضحايا بين « اساف ونائلة » وكانا صنمين معبودين لقريش ، ويقال ، فى تاريخهما : انهما لرجل وامرأة من جرهم فجرا فى البيت فمسخهما الله حجرين فأخرجا منه ، فنصبا على الصفا والمروة ليعتبر بهما الناس عن مثل ما ارتكبا ، فلم يزل أمرهما يدرس ويتقادم حتى صارا صنمين يعبدان بأمر (عمرو بن لحى) الذى تغلب على جرهم وأخرجها من مكة . ثم حولها (قصى بن كلاب) بعد ذلك وهو فى عمود النسب للنبى ، صلى الله عليه وسلم فوضعهما تجاه الكعبة وجعل الذبح عندهما . والمرحوم محمد لطفى جمعه فى كتابه « ثورة الاسلام » قال : ان اساف ونائلة « حديث خرافة » (١) .

ويروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « مازلنا نسمع أن اسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين » والله أعلم تقولها كما قال ابن هشام (٢) .

وقوله : « عند نقرة الغراب الأعصم » من مقتضيات تحديد مكان الحفر لعبد المطلب ، وقد كان كذلك وجد الغراب حين ذهب للعمل ، فالغراب الأعصم وهو الذى فى جناحيه بياض ينقر عند « قرية النمل » — وسيأتى الكلام عنها — بين الوثنين : اساف ونائلة ، يعنى أن عبد المطلب سيجد غرابا ينقر فى هذا المكان ، ولذلك لا أقبل رأى من يجعل الغراب رمزا لما يأتى فى آخر الزمان من رجل أسود حبشى يهدم الكعبة المعبر عنه بالنقر عندما يرتفع القرآن .

وتقوم عبادة الأوثان ، والأستاذ طه عبد الرءوف سعد محقق السيرة لعبد السلام شقرون يسند الى الرسول أنه قال : « ليخربن الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » ويقول عنه انه فى الصحيح ، وفى الصحيح أيضا من صفته انه « أفجع » وهذا أيضا ينظر الى كون الغراب اعصم ، اذ الفجع تباعد فى الرجلين كان العصم اختلاف فيهما ، والاختلاف تباعد ، وأنا لم أقرأ هذا فى الصحيح ، ولكنى أرى أن القرآن لا يرفع وأن الايمان لا يذهب ، وأن عبادة الأوثان لا تقوم ، لأن الانسان فى تقدم ، ومعقوله فى صقل بالعلم والفهم والنظر فى

---

(١) المجلة :
لعله يقصد بـ « حديث خرافة » ما تداوله الجاهليون عنها ، والا فان وجود الصنمين ثابت، وهما صنما قريش ، والكاتب مع هذه الحقيقة .. راجع لأبى جعفر محمد بن حبيب المحبر ص ٣١١ و ٣١٨ ثم ان هذا المسخ الذى يستبعده الأستاذ محمد لطفى جمعة يعتبر ابسط نكال يلحق بالجرهميين ، وفيهم من تطاول على حرمة البيت .

(٢) سيرة ابن هشام /٧٧ (مطبوعات عبد السلام شقرون) .

زمــزم
بنت التاريخ

الماضي والحاضر والمستقبل . والا فما معنى كشوفه في الأرض والجو والبحر ؟ وما معنى المسيح والدجال والمهدي المنتظر في آخر الزمان ، وأن المسيح عليه السلام ومعه المهدي المنتظر يغلبان المسيخ الدجال ، فيهتدي الناس ويعيشون في عدالة تجعل الذئب لا يعتدي على الشاة القاصية ؛ ثم ان الغراب الأعصم به بياض بجناحيه ولا بياض في جسم الأسود الحبشي ، والحديث عن الغيبيات يقتضي الحذر ، والحيطة في ايراد الخبر ، ولا داعي للحديث عنه في مثل حكاية عبد المطلب فقد كانت رؤياه قبل زواجه بفاطمة المخزومية جدة سيد العرب الموحى اليه بالقرآن ، فكيف يكون التنبؤ على لسان ذلك الجد وهو يتقرب الى الأصنام ؟ وما الرأي فيمن ينكر الرؤيا ولا يعترف بها ؟ .

وقوله « عند قرية النمل » تتمة لبيان المكان ، واشارة الى مكة التي لا تحرث ولا تزرع ويأتيها رزقها من البلاد البعيدة ومن بلاد الأنهار ، فهي في واد غير ذي زرع كما حكى القرآن عن ابراهيم الخليل ودعائه ربه لبنيه الذين أسكنهم فيه قائلا : « وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ » (١) ومن أسماء مكة « قرية النمل » وبهذا تحدد المكان وعرف فهو بين الصنمين اساف ونائلة وفي مكة والغراب الذي ينقر ، وقد بان الأمر لعبد المطلب وعليه أن ينفذ ، وقد نفذ .

---

(١) ابراهيم ـــ ٣٧ .

وأعود الى علي كرم الله وجهه وجلسائه لنعرف بقية الحديث عن حفر زمزم ، وخلاصة ماذكره :

أن عبد المطلب بدأ الحفر فاعترضته قريش وقالوا : يا عبد المطلب انها بئر أبينا اسماعيل ، وان لنا فيها حقا . قال : ما أنا بفاعل وان هذا الأمر قد خصصت به دونكم ، وبعد جدال اتفقوا على أن يتحاكموا الى كاهنة بني سعد هذيم ، وكانت بأشراف الشام ، فركب عبد المطلب في جماعة من قومه بني عبد مناف وكانوا عشرين رجلا ، وركب مثلهم من بطون قريش الأخرى وسار الركب في الصحارى قاصدين تخوم الشام حيث تلك الكاهنة ، وبعد أيام فني ماء عبد المطلب وأصحابه ، فعطشوا حتى أيقنوا بالهلاك ، وسألوا من معهم من بطون قريش أن تعود عليهم ببعض الماء فأبوا وتعللوا بأن يصيبهم ما أصاب بني عبد مناف ان هم أعطوهم من الماء . وتشاور عبد المطلب في الأمر مع أصحابه ، فتركوا الحل له ، فأشار عليهم بأن يحفر كلا منهم حفرة لنفسه وهو قوي ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه ، حتى يكون آخرهم رجلا واحدا ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضياع الركب كله ، ثم رفض ما قاله لهم وعدوه عجزا ، ودعاهم الى الركوب والضرب في الأرض عسى أن يجدوا مخرجا من هذا الحرج ، فأجابوه ، والفريق الآخر من قريش ينظرون ماذا يفعلون ؟ .

تقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها ، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم شربوا واستقوا ، وهنا دعا عبد المطلب الفريق

المناوىء له والبخيل عليه بالماء الى ما أصاب من خير . قال : هلموا الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا ، واستجابوا له . ثم قالوا : قد — والله — قضى لك علينا يا عبد المطلب ، والله لا نخاصمك فى زمزم أبدا ، ان الذى سقاك هذا الماء فى هذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم ، فارجع الى سقايتك راشدا ، فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبينها .

الى هنا انتهى حديث على بن أبى طالب ، وقد يكون الذى جاء فى هذا الحديث من الرؤيا ، ثم النزاع وحله دون بلوغ الكاهنة مما يدل على شخصية عبد المطلب الملهمة ، ونقاء سريرته ، وحبه الخير لقومه وللناس هو الذى عنى به الامام على أو يكون الراوى أعجبه الالهام ثم البركة التى تتبع ابن هاشم أنى سار وأنى وجد . وكان ينبغى أن يذكر ابن هشام ما جرى من الحفر قبل التحاكم الى الكاهنة ، فقد ذكر أن عبد المطلب غدا ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره ، فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين : اساف ونائلة اللذين كانت تنحر عندهما قريش ذبائحها .

فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر ، فاعترضت قريش ، لأنه يحفر بين الوثنين .. ولكنه مضى فى عمله والحارث الصغير يعاونه ، وينشد الشعر ، وهذا يدل على أنه سابق لما روى عن الامام على .

المهم سار فى العمل حتى بدا له الطى فكبر وعرف انه قد صدق ، فلما تمادى فى الحفر وجد كنزا مطمورا ، وجد غزالتين من ذهب ، ووجد فيها أسيافا قلعية وأدراعا ، فقالت له قريش : لنا معك فى هذا شرك وحق ، وحجتهم أن الكنز وجد فى الحرم وكل ما وجد فى الحرم فهو لقريش ، واشتدت الخصومة بين هشام بن المغيرة (١) وبين حرب بن أمية فحرب يقف بجانب ابن عمه عبد المطلب ، وهشام بن المغيرة يتزعم جميع بطون قريش ، ويقول طه حسين (ان حربا صاح فى وجه عبد المطلب لماذا أنت ساكت وأنت الذى حفر وأنت الذى وجد الكنز ؟ ولكنه جعل الأمر للآلهة ، فقال : نضرب عليها القداح . قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قدحين ، ولى قدحين ، ولكم قدحين ، فمن خرج له قدحاه على شىء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شىء له . قالوا : أنصفت ، فجعل قدحين أصفرين للكعبة ، وقدحين أسودين له ، وقدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا صاحب القداح الذى يضرب بها عند هبل — وهو أعظم أصنامهم — وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ، فضرب صاحب القداح ، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الأسودان فى الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحا قريش . فماذا فعل عبد المطلب ؟ لم يأخذ شيئا لنفسه ، وانما ضرب الأسياف بابا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالتين من ذهب ، فكان أول ذهب حليته الكعبة .. ثم ان عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج .

ولكن ما مصير هذا الصنيع ؟ .

يجيب عن هذا السؤال لطفى جمعه فى أسلوب يتدثر بالدعابة يقول :

ولكن كان بين العرب شطار وملحدون ممن

---

(١) هشام هذا والد ابى جهل .

زمــزم
بنت التاريخ

يهزءون بالأصنام في سبيل الذهب كما يوجد الآن ألوف ممن يسرقون ذخائر الكنائس وأعلاق المعابد وتماثيل الآلهة وصناديق النذور في المساجد فتآمرت تلك العصابة من اللصوص في الظلام وانتهزت فرصة الليل والناس نيام فجردت الكعبة مما علق عليها من الذهب والأسياف والدروع والصفائح ، وكذبت الأزلام وأربابها ، لأن الذهب والسلاح كانا من نصيب اللصوص لا من نصيب الكعبة ولا من نصيب قريش .

وأغلب الظن أن عبد المطلب لم يحزن لفقد تلك الأعلاق ! لأمر واضح في ذهنه وهي أنه لم يؤمر بالحفر لأجل الذهب ، وإنما أمر بالحفر لأجل الماء ، وقد وجد الماء ، وصار يسيرا سهلا لسقى الحجاج وسقى قريش أيضا ، فليحزن عشاق الذهب ، أما هو فقد رضى عن نفسه وعن الآلهة ، ولكن شيئا واحدا أحزنه لأن قريشا حين خاصمته لم ترع قدره لقلة ولده ، ويظهر أن بنى عبد مناف لم يظهروا مناصرة كافية ولهذا نذر نذرا رصد نفسه للوفاء به ، قال : وإنى أقسم لئن منحنى الله من الولد عشرة ذكورا أراهم بين يدى لأضحين له بواحد .

وهنا تظهر نظرية (سابقية القضاء) فيتزوج عبد المطلب فاطمة المخزومية لتنجب له عددا من البنين يكون منهم عبد الله والد الرسول الكريم ، ويتزوج غير فاطمة فلما تم له عشرة من البنين يراهم بين يديه أراد أن يفى بنذره ، فوقع النذر على (عبد الله) ونجا من الذبح بعد مجهود كبير ، وكان أن تزوج ليكون له ولد هو سيد بنى آدم ، ولذا جاء في الأثر عن سيد البشر أنه قال : أنا ابن الذبيحين ، يعنى والده عبد الله وجده الأعلى اسماعيل عليه السلام . ونرجع الى زمزم والكنز فالحديث عنها ، والتاريخ أنجبها فكانت له خير الأبناء والبنات ، ومازالت تشير اليه ، وتنظر اليه الا يهمل شأنها في سطر من سطور كتابه المتجدد الأداء المتعدد العطاء .

وورث أبناء اسماعيل تلك البئر من أبيهم وأمهم ، ولكن جرهم القبيلة التى أصهر اليها اسماعيل كانت القائمة على شئون البيت ومكة ، ولهم السيادة فلما انحرفوا عن الطريق المستقيم ، وأتوا منكرا في البلد الحرام تعرضوا للذلة والصغار ، والهزيمة أمام القبيلة القادمة من الجنوب وهى خزاعة ، فلما هزم رأس جرهم وهو عمرو بن الحارث بن مضاض عمد الى زينة الكعبة من غزالتى الذهب والصفائح والحلى الأخرى ، وألقى بها جميعها في بئر زمزم وردم عليها ، وقال شعرا باكيا منه :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها ، فأزالنا
صروف الليالى والجدود العواثر (١)
وكنا ولاة البيت من بعد نابت (١)
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
فأخرجنا منها المليك بقدره
كذلك ـ يا للناس ـ تجرى المقادر

---

(١) الجدود العواثر = الحظوظ السيئة .
(٢) نابت = نابت بن اسماعيل

وقد أحسنت المقادير باخراجهم ، فقد بلغوا فى انتهاك الحرمات أدناها وأبعدها عن الخلق الكريم ، (انظر قصة اساف ونائلة) لم تهتم خزاعة ببئر زمزم ، لأنها لا تمت لها بصلة كما كان الأمر مع جرهم ، ولذا ظهرت آبار كثيرة كلها خارج مكة ، منها ما قام به عبد شمس وأخوه هاشم ، ومنها ما قام بـه بنو سهم وبنو جمح ، ولكل بئر اسم ويجيء فى الشعر : وانت تجد تلك الآبار المذكورة بأسمائها لا تتعدى فى القدم (مرة بن كعب بن لؤى) ومعنى هذا أن آثار خذاعة قليلة فى هذا الشأن مع أنهم الحكام لمكة منذ ملكوها بهزيمة جرهم الى أن أخذها منهم (قصى بن كلاب ابن مرة) الذى أسس مكة تأسيسا اجتماعيا له نظمه وقواعده ، ولكن جميع من ذكرنا لم يفكر فى زمزم حتى كان عبد المطلب ورؤياه . ويذكر فضل زمزم ابن اسحاق بعد جهد عبد المطلب فيقول : فعفت زمزم على المياه التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج ، وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على سواها من المياه ، بئر اسماعيل عليه السلام .

ولكن لطفى جمعة يقف من رؤيا عبد المطلب موقفا معارضا لما ذكرنا فيقول عن الرؤيا : يقصد من ذلك الى الأمر بحفر بئر زمزم جاء الى عبد المطلب بالالهام ، وهذا فى نظرنا اصطناع منكر ، لأن السقاية كانت من الوظائف التى انتهت اليه بحكم مركزه الاجتماعى بعد عمه (المطلب) وولده (هاشم) وجده (عبد مناف) ولابد أن دعته فطنته دون سواها الى حفر البئر ، وهى بئر تاريخية

حفرها ابراهيم واسماعيل وأوحى اليه شعوره واقدامه هذا العمل النافع ، فالحاجة تفتق الحيلة ، وقد ظن أن اعادة حفر زمزم فى حضن الكعبة تسهل نقل الماء للحجيج ، وكان موضع البئر معلوما ، ولعل وصف المكان متوارث فى العشيرة فأعاد عبد المطلب حفرها . ونحن نقول لماذا لم تفتق الحاجة الحيلة لغيره ؟ ولماذا لم يهتد غيره الى موضع البئر المعلوم ؟ ولماذا لم ينتبه غيره الى وصف المكان المتوارث فى العشيرة ؟ لقد نسيت فلم يذكرها أحد منذ ملكت خزاعة مكة .

ان مئات السنين ومنها خمسمائة عهد خزاعة ، وبعد اكثر من جيلين منذ تولى قصى امر الكعبة وشئون مكة لم تدع أحدا لينظر فى عين ماء تكون بجانب الكعبة . ان كلام لطفى جمعه مقبول ولكنه غير لازم ، اذ الأحداث التى جرت منذ رؤيا عبد المطلب تعطى انطباعا بأن عبد المطلب الهم الخير للحجاج ولقريش وللناس جميعا حتى اليوم . وسواء كان الهاما او فطنة فالعمل عظيم وما ترتب عليه كان أعظم ، وله منا الذكرى والتكريم .

السيد حسن قرون

مراجع البحث
١ ـ السيرة النبوية لابن هشام .
٢ ـ على هامش السيرة للدكتور طه حسين .
٣ ـ ثورة الاسلام بقلم محمد لطفى جمعة .
٤ ـ الكامل لمحمد بن يزيد المبرد
٥ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير

قادة

١٨- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري(١) ، غني عن التعريف ، كان أحد الثمانية الأوائل في الاسلام ، وهو من أصحاب الهجرتين(٢) ومن العشرة المبشرين بالجنة(٣) ، وصلى الرسول صلى الله عليه وسلم خلفه في سفره .

حضر المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجرح في « أحد » احدى وعشرين جراحة ، أصابه العرج من احداها وسقطت ثنيتاه .

كان عالما بالتجارة ، رفض أن يشارك سعد ابن الربيع — أخاه الأنصاري في الاسلام — في ماله ، وتاجر في المدينة فنافست تجارته الاسلامية سوق اليهود وأساءت اليهم ، وسع الله عليه في رزقه ، حتى أنه قدمت له سبعمائة راحلة تحمل الطعام . بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما دخلت المدينة رجتها ، ولما علمت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمالكها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (يدخل عبدالرحمن ابن عوف الجنة حبوا) ، فيقول عبد الرحمن رضي الله عنه : يا أمه ، انى أشهدك أنها وما حملت في سبيل الله عز وجل .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم في سرية الى دومة الجندل(١) الى قبيلة كلب ، وعممه الرسول صلى الله عليه وسلم بيده ، وسدل العمامة بين كتفيه ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم له : ان فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم — (أو قال : شريفهم) . وكان شريفهم الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة الكلبي ، ويفتح الله عليه ، ويتزوج ابنة شريفهم ، ويحقق وصاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويعيش خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ثم يلحق بربه أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه ، وقد ترك الكثير وتصدق رضي الله عنه بالكثير .

١ — من بني زهرة .
٢ — الى الحبشة ثم المدينة .
٣ — هم : ابو بكر ، عمر ، عثمان ، علي ، الزبير طلحة ، عبد الرحمن بن عوف ، ابو عبيدة عامر ابن الجراح ، سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد ابن نفيل رضي الله عنهم أجمعين .

١٩- علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

هو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وربيبه — تربى في بيت الرسول صلى الله عليه

١ — مدينة في شمال جزيرة العرب .

النبي صلى الله عليه وسلم

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

وسلم ـ وهو زوج ابنته فاطمة ، ووالد الحسن والحسين سبطي الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهما امتدت شجرة آل البيت • أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى كرم الله وجهه •

وعلى أول هاشمي ولد بين هاشميين (١) • وهو أول من آمن من الصبيان ، وأول خليفة من بنى هاشم •

لاينكر فضله فى الاسلام ، نام فى فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة ليفدى الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وهاجر الى المدينة سيرا على قدميه ، يسير بالليل ويكمن بالنهار •

عندما آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين وبين الانصار والمهاجرين قال له صلى الله عليه وسلم فى كل مرة :

أنت أخى فى الدنيا والآخرة •

وفى غزوة تبوك(٢) تركه الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة ، فقال على كرم الله وجهه :

« يارسول الله تخلفنى مع النساء والصبيان » فقال صلى الله عليه وسلم له :

أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لانبوة بعدى •

حضر مع الرسول صلى الله عليه وسلم كل غزواته ـ الا تبوك • ، بارز فى بدر(٣) ، وفى الخندق(٤) ، وكان المنتصر بأمر الله ، وفى « أحد » قاتل قتالا شديدا ، وجرح ستة عشر جرحا ، وقيل يومها : « لا فتى الا على »، وهو الذى استلم اللواء يومها بعد مصعب بن عمير رضى الله عنه ، وثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين •

وفى خيبر (٥) استعصى حصن من حصونها على المسلمين ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

لأعطين الراية ـ غدا ـ رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، وليفتحن الله عليه ، ويتطاول الصحابة كل يريد أن يكونه ، ←

---

١ ـ أبوه أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم •

٢ ـ سنة ٩ هـ •

٣ ـ بارز الوليد بن عتبة بن ربيعة وأورده حتفه •

٤ ـ بارز فارس فرسان قريش ـ عمرو بن عبد ود ـ الذى كانت الفرسان تخشى لقاءه واردا على كرم الله وجهه قتيلا بسيف الحق •

٥ ـ سنة ٧ هـ •

قادة النبى
صلى الله عليه وسلم

فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ادعو لى عليا » فجاء — رضى الله عنه وتسلم الراية ، وفتح الله عليه بعد قتال عنيد .

ومما يذكر فى هذا القتال أن عليا كرم الله وجهه فقد ترسه ، فحمل باب حصن تترس به وهو يقاتل ، يحمله بيد واحدة ، وسيفه فى الأخرى ، ثم رمى باب الحصن بعد القتال ، وقد حاول أكثر من خمسة رجال (ثمانية) حمل الباب بعدئذ فلم يستطيعوا .

ولا أريد الاسترسال ، فإن منزلة « أبى تراب (١) » عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى الاسلام ليست بخافية .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية الى بنى سعد (٢) ، الذين كانوا يريدون التحالف مع يهود خيبر ، فهرب بنو سعد ، ورجع بمغانم عظيمة .

وأرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى ثلاثمائة فارس الى اليمن ، فقاتلهم ودعاهم الى الاسلام فرضوا بالجزية ، ثم وافى الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع .

قال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

« أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، الا أنه لانبى بعدى(٣) » .

١ — لقب لعلى رضى الله عنه — قيل : ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو الذى أطلقه عليه

٢ — فى بادية الحجاز

٢٠ـ عبد الله بن عتيك رضى الله عنه

عبد الله بن عتيك بن الأسود الأنصارى الخزرجى — من بنى سلمه — وهو ممن أسلموا مبكرا فى المدينة ، قيل : انه حضر بدرا ، ومن الثابت أنه حضر أحدا ، وحضر المشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

وحدث أن عقد الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود عهدا بعد وصوله الى المدينة ، ولكن يهود بنى قينقاع كانوا أول من خرج على العهد ، ثم تبعهم بنو النضير حيث حاولوا اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو فى ديارهم ، فأخرجهم الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة .

ولكن عصبة الشر التى وصلت خيبر(٤) لايقر لها قرار ، فأخذت تؤلب الأحزاب ضد المسلمين ، حتى وقعت غزوة الخندق(٥) — وانتهت بخيبة حزب الشيطان من مشركين ومنافقين ويهود ، غير أنهم لم يستسلموا — فبدأوا مرة أخرى فى تأليب القبائل على المسلمين ، وكان على رأس عصبة الشر سلام ابن أبى الحقيق النضرى اليهودى .

٣ — أخرجه البخارى فى كتاب فضائل أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم : باب مناقب على رضى الله عنه ، وخرج الترمذى فى ابواب المناقب باب فضائل على رضى الله عنه ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه ابن ماجه فى المقدمة باب فضل على رضى الله تعالى عنه .

٤ — مدينة شمال المدينة على بعد نحو ٣٠٠ ك م منها .

٥ — سنة ٥ هـ .

ويريد أنصار الرسول صلى الله عليه وسلم ــ وكانوا حلفاء لابن أبى الحقيق ، قبل مقدم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يضربوا الشر فى عقر داره .

فاجتمع خمسة(١) من الخزرج لقتل سلام ابن أبى الحقيق تأمّر الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم عبد الله بن عتيك رضى الله عنه .

وانطلقت هذه الجماعة الى خيبر ، الى شيطان بنى النضير فدخلوا عليه بيته ، ووصلوا اليه فى غرفته العلوية ، فأغلقوها عليه وعلى زوجته ، ثم تناوشته سيوفهم ، وصرخت زوجته فلم يتعرضوا لها بأذى ، لأن حبيبهم ــ الرسول صلى الله عليه وسلم ــ أمرهم الا يقتلوا وليدا ولا امرأة ، ثم تركوه ، بعد أن أغمد عبد الله بن أنيس رضى الله عنه سيفه فى بطن عدو الله ، واختفوا فى مدخل مجرى الماء الذى يدخل الحصن ، وبعد أن تأكدوا من موت عدو الله ، عادوا الى المدينة وقد ارتجت خيبر بالفزع من سيوف عصابة الحق .

يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه فى مقتل كعب بن الأشرف(٢) وسلام بن أبى الحقيق :

لله دَرُّ عِصَابَةٍ لاقيتهم
يابن الحُقيق وأنت يابن الأشرف
يَسْرُون بالبِيض الخفاف اليكم
مَرَحًا كأُسْدٍ فى عرين مُغْرِفِ(٣)
حتى أتَوْكم فى مَحَلِّ بلادكم
فسقوكم حتفا ببيض ذُفَّف
مستنصرين لنصر دين نبيهم
مستصغرين لكل أمر مُجْحِفِ(٤)

رحم الله أنصار رسول الله ، أنصار دين الله .

٢١ـ كُرْزُ بن جابر الفهرى رضى الله عنه

هو كرز بن جابر بن حسيل بن لهب القرشى الفهرى ، من أهل مكة ، أغار مرة على المدينة(٥) وهرب ، فتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وادى سفوان ــ غزوة سفوان ــ قرب بدر ، فلم يلحق به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن كرزا أسلم بعدها ، وهاجر الى المدينة وحسن اسلامه .

كانت ابل الرسول صلى الله عليه وسلم ترعى فى ناحية الجماء(٦) ، يرعاها يسار رضى الله عنه مولى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووصل جماعة من قبيلة عرينه ــ بطن من بجيله ــ الى المدينة وأظهروا الاسلام ، ثم أصابتهم ــ فى المدينة أمراض ، منها مرض الطحال وانتفاخ البطن ، فأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يذهبوا الى الجماء يستشفون بشرب البان الابل وأبوالها ، فذهبوا اليها وتولى يسار رضى الله عنه خدمتهم حتى شفوا وتحسنت صحتهم وجرت الدماء فى عروقهم ، فغدروا بيسار رضى الله عنه وقتلوه ذبحا وغرزوا الشوك فى عينيه وسرقوا الابل وهربوا بها .

فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم وراءهم كرز بن جابر رضى الله عنه فى سرية فلحق بهم واستطاع ــ باذن الله ــ أن

---

١ ــ عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، عبد الله بن أنيس ، ابو قتاده الحارث بن ربعى وخزاعى بن اسود رضى الله عنهم اجمعين .

٢ ــ راجع محمد بن مسلمة .

٣ ــ التفت أغصانه .

٤ ــ الذى يذهب بالنفوس والأموال .

٥ ــ اصاب بعض ابل المدينة التى تسرح للرعى سرح المدينة .

٦ ــ جبل من جبال المدينة .

يطوقهم ويعود بهم فلما أحضرهم عوقبوا عقاب الذين يحاربون الله ورسوله ويفسدون فى الارض .

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١) » .

فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسملت أعينهم ، وتركوا فى الحرة(٢) حتى ماتوا .

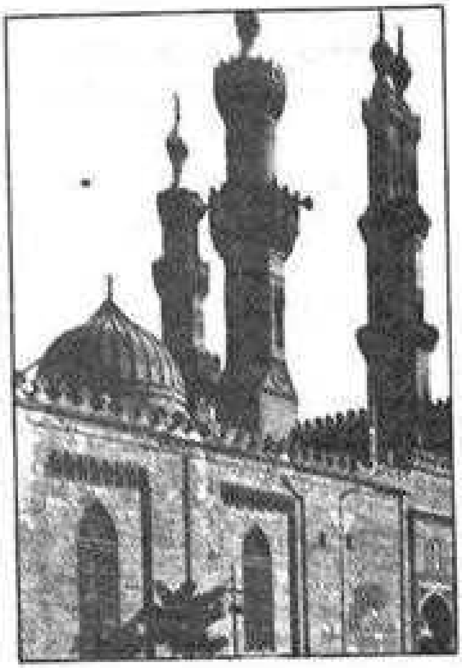
وفى فتح مكة(٣) انفرد كرز بن جابر وحبيش بن خالد الخزاعى رضى الله عنهما عن فرقة خالد بن الوليد رضى الله عنه ، وهاجمتهم قريش ، فقتل حبيش رضى الله عنه فجعله كرز رضى الله عنه بين رجليه وأخذ يقاتل عن جثة صاحبه وهو يرتجز .

قد علمت صفراء من بنى فهر

نقية الوجه نقية الصدر

لأضربن اليوم عن « أبى صخر »(٤)

واستشهد كرز رضى الله عنه يوم



فتح مكة وهو يدافع عن جثة أخيه فى الاسلام : حبيش بن خالد الخزاعى ، رضى الله عنه .

للاستاذ ابراهيم عبد الرحمن ابو الفيط

---

١ ــ المائدة ٣٣ .

٢ ــ الحرة حد من حدود المدينة ــ طرف صخرية وفيها الجماء .

٣ ــ سنة ٨ هـ .

٤ ــ كنية حبيش بن خالد رضى الله عنه .

الدائرة الدعائية الثالثة

دعاية المنافقين

للأستاذ حسن على العنيبسى

تمهيد :

قال تعالى :

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » (١) .

وهنا نصل الى لون جديد من الوان الدعاية المضادة التى كانت ، وما تزال ، تمثل خطرا كبيرا على الاعلام بالدين الجديد .

وفى الحق ، انه لم يواجه الاسلام دعاية شرسة ... قوية ... ذات تأثير مثل ما واجه دعاية المنافقين .

وفى هذا الفصل نتناول الأطر الأساسية التالية ، فانها محور البحث فى هذا المقال :

(ا) من المنافق ؟

(ب) ولماذا نهتم بمناقشة دعاية المنافقين؟

(جـ) وما اهداف الدعاية المضادة التى يقوم بها المنافقون ؟

(د) وما اهم الاساليب والوسائل التى استخدمها المنافقون لتحقيق هذه الأهداف ؟

(هـ) كيف واجه الاعلام الاسلامى هذه الدعاية .. ؟

(و) ثم ... ما الفائدة التى تعود على رجل الاعلام الاسلامى من هذه المناقشة ؟

(ز) ... والى أى مدى يمكن تحقيق هذه الفائدة .. ؟

هذه أسئلة نطرحها استدلالا على الطريق ، وقيدا لموضوع البحث حتى لا يتشعب الى غيره .

المنافق والمنافقون

للمنافق وللمنافقين صفة جامعة ، فهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الاسلام حماية لرقابهم وكسبا لغنائم المسلمين ، وقد اهتم الكتاب العزيز بتبيان صفاتهم ، ولم يفضح قوما ما فضحهم يقول فيهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

« أربع من كن فيه كان منافقا ــ أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها :

(١) صحيح البخارى ــ كتاب المظالم .

اذا حدث كذب ، واذا وعـد أخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » (١) .

وأنت اذا استقصيت النظر ف هذه الأربع وجدت كلا منها عليه الطابع العام للنفـاق ، وهو اخفاء شيء واظهار ما عـداه ، والعمـل على ما يوافق هذا المنطق .

أهمية دراسة دعاية المنافقين :

أن تقصى أسـاليب المنـافقين ف حـربهم للاسلام والمسلمين ومعرفتها ـ عن وعـي ـ والوقوف على أهدافها لهو من الأهمية النافعة ف الكشف عن مدى قدراتهم لمواجهتها بأسلوب رادع كفيل بالقضاء عليها .

ان دعاية المنافقين أشد خطرا على الاسلام من دعاية المشركين والملاحدة وكـل أعـداء الاسلام الذين أسفروا عن وجوه العـداوة ، فعلم المسلمون عنهم مواقع أعمالهم وأهدافها ، فالمنافقون ـ بما أظهروا من الايمان يتمتعون بحقوق المسلمين كافة ويحظون بالثقة فيما بين المسلمين فلا تخفى عليهم خافية من أمـور المسلمين ، ثم هم يشاركونهم الجهاد ويحظون بالغنيمة ، ولا يمنع مانع أن يمـدوا أعـداء المسلمين بما يؤذيهم .

واذا كان النفاق نشأ ف مجتمع « المدينة » أسـاسـا ، فهو امتداد لدعاية أهل الكتـاب ، فهم يشكلون ما اصطلح على تسـميته اليوم بـ « الطابور الخامس » ولذلك فهم يكملون ما لم يفعله المشركون أو أهل الكتاب .

(١) راجع هذه الظاهرة فيما كتبه فضيلـة الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ أعداء الاسلام ـ مكتبة القرآن ـ ط ١٩٨١ .

وف الحق أن النفاق ظاهرة اجتماعية تبدو (جماعتها) ف مواجهة قوة ذات سيادة قاهرة، أو قوة يخشى حسابها اذا هي أثيرت ، لـذلك لا نجد نفاقا ف مكة حيث كان المسـلمون ضعفاء ، ولكنه بدا ف « المدينة المنورة » حيث كان الاسلام والمسلمون قوة مرهوبة ، ففـي قوة الاسلام وعزة المسلمين تنتشر ظـاهرة النفاق ، وتخطط وتمارس تنفيذ مؤامراتها (١).

*** أهداف دعاية المنافقين : ـ**

هناك هدف « استراتيجى » كبير تعمل من أجله كافة الدعايات المضادة ومن بينها دعاية المنافقين ألا وهو « هدم الاسلام » ، وتختلف بعد هذا الأهداف المرحلية أو « التكتيكات » المتبعة حسب كل دعاية وسرعة وصولها المرادة للهـدف .. !!

واختلفت هذه الأهداف المرحلية حسـب الظروف السياسية ف بلاد المسـلمين فحينما يقوى المسلمون تزداد دعاية المنافقـين وتقل بقية الدعايات والعكس صحيح .. حينمـا يضعف المسلمون يقل النفاق وتشتعل حـرب الدعايات المضادة من الدوائر الأخرى .

ولكى يصل المنافقون الى بغيتهم اتبعـوا أهدافا مرحلية مثل : ـ

*** تشويه صـورة الاسلام**

وذلك بتقديم تصرفات وسلوكيات لا تليـق بأخلاق المسلمين يقومون بها نظرا لانتمائهم اللفظى للاسلام .. فهم يحسـبون علـى الاسلام وليسوا مسلمين .. !!

* وتعلم ان الدعاية الأفضل هي دعاية الأفعال وليست دعاية الأقوال وبالتالي فهم صورة سيئة للاسلام ان لم تكن منفرة .. !!

ومن هنا قد يصرفون غير المسلمين عن الاسلام من جهة .. !

* ومن جهة أخرى يقومون بزلزلة عقائد السذج وعامة المسلمين بما لديهم من تصورات خاطئة وفهم قاصر لجوهر الدين وبهذا يبذرون بذور الشك في العقيدة الاسلامية .. !

* استخدام الاساليب المغرية في شغل المسلم عن دينه واغرائه بمتاع الدنيا .. وتشجيع المسلم على التكاسل في أداء واجبه نحو دينه .. !!

وسائل المنافقين في حربهم دعوة الاسلام

القرآن الكريم هو رأس الأمر كله في الاسلام ، ولذلك نجد أن أية دعاية مضادة تستهدف أول ما تستهدف في تشويه هذا الكتاب المعجز .

* ولنشر البلبلة ، وصد نور القرآن قام كثير من المنافقين باختلاق الحديث ، وزعموا أنه من القرآن مضافا الى ذلك :

* المبالغة في الزيادة عند تفسير القصص القرآني ، وشاركهم ـ في هذا الميدان ـ المنافقون من أحبار اليهود الذين أسلموا وفي قلوبهم مرض .

* التحريف في آي الله عند الاستشهاد .

* الكذب على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ باختلاق أحاديث ملفقة ولذا يلاحظ أن السلاح الدعائي للمنافقين هو « الكذب » ولقد تعرض علماء « الاعلام » لاستعمال الكذب في الدعاية ، وفرقوا بين استخدام الكذب الصراح .. وبين خلط الحقائق بالأكاذيب .. وبين الكذب الخفيف أو تلوين الحقائق بما يتمشى مع الأهداف !.

وفي هذا الشأن قالوا بالدعاية السوداء التي لايعرف لها مصدر والتي تقوم على الكذب .. وتزييف الواقع .. وقالوا بالدعاية الرمادية المعروفة المصدر غير أنها تلون الحقائق بألوان الأهداف التي تسعى اليها !! ..

الاعلام الاسلامي متمثلا في القرآن الكريم وكشفه لدعاية المنافقين ..

القرآن الكريم يمثل « الرسالة » في نموذج « الاتصال » المعتاد ولقد تصدى هذا الكتاب العزيز للمنافقين وكشف خداعهم ، والقرآن حين يتصدى لمشكلة فانه دائما يتناولها من جذورها متتبعا أطوارها بضوء يكشف عن أمرها ويحكم بالفصل في شئونها .

ومن هنا كشف القناع عن أمر المنافقين :

فألمح الى شياطينهم من رؤساء الكفر ، والنفاق ، وأهل الكتاب ، والواقع أنهم ـ كانوا في أمرهم ـ على اتصال وثيق باليهود من جانب ورؤساء الشرك بمكة وغيرها من جانب آخر ، ولهذا كانت دعاية المنافقين امتدادا طبيعيا لدعاية الفريقين الآخرين ، وان كانت ـ في ذاتها ـ أكثر خطورة ، وأخفى كشفا مما تحتاج ـ معه ـ مقاومتها ، الى خبرة وجهد

دعاية المنافقين

يؤود الانسان ، فكان — من رحمة رب العالمين — أن خفف الجهد عن المسلمين ، وكشف عنهم القناع .

قال تعالى : « وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ »(١) فكان هؤلاء الشياطين ، أي الرؤساء ، هم مدبرو أمر النفاق ومورثيه لأتباعهم ويوالى الكتاب العزيز ذكر صفاتهم ، فقال — عز من قائل :

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ — يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ » (٢) .

« إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا » (٣) .

« وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ » (٤) .

« اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ . وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ » (٥) .

« هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ » (٦) .

ولنا تعليق فى ضوء الآيات الكريمة من الناحية الدعائية :

تكفل الكتاب العزيز بتعريف جماهير المسلمين بالمنافقين من خلال صفاتهم قولا وفعلا : فالمنافق باطنه مخالف لظاهره ، فايمانه لفظى . « وماهم بمؤمنين » .

---

(١) البقرة ١٤ .
(٢) البقرة ٨ — ١٢ .
(٣) النساء ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) محمد — صلى الله عليه وسلم — ٣٠ .
(٥) المنافقون ٢ — ٥ .
(٦) المنافقون — ٧ .

وهم — فى حربهم للمسلمين .

لايسمون المسلمين بأسمائهم ، وانما يرمونهم بأردأ الصفات : .. « أنؤمن كما آمن السفهاء » .

ثم يتعدون القول الى الفعل :

« لَاتُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا » يحسبون — لعمق الكفر أن المال هو مدد هذه الدعوة « وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ » .

ومن العجيب الغريب ، المدهش المعجز أن المال لم يمثل — فى ذاته — عقبة يوما ما فى نفوذ دعوة الاسلام وانتشارها .

واذ لم يجد ذلك نفعا ركزوا باستمرار على الصد عن سبيل الله واطلاق الجهد فى منع الناس عن الايمان .. « رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا » (٢) وهم فى هذا الجانب يصدون حتى أنفسهم عن رحمة الله .. « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ » .

مقتوا الايمان فمقتوا أنفسهم ، ولله أشد مقتالهم من أنفسهم « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ » (٢) .

ولقد كثرت دائرة النفاق فى مجتمع الاسلام واتسعت مما يوجب على رجل الاعلام الاسلامى أن يكون فى مستوى أحداثه العالمية آخذا فى الحسبان — متغيرات العصر ، وبخاصة فى مقاومته داخل المجتمعات النامية والمتخلفة — بكل أشكاله وألوانه ، فانه من أقوى أسباب تخلف هذه الدول مع قرينة:«الاستبداد» فان فى هذا أو ذاك ماينال من المسلمين .

حسن على العنيسى

---

(٢) النساء — ٦١ .

(٢) غافر — ١٠ .

■ حقوق
غير المسلمين

في
التشريع

■ من مكارم السلوك والآداب
في الإسلام

حقوق غير المسلمين
فى ظل تقنين
الشريعة الإسلامية

الدكتور عبد الله مبروك النجار

ـ ٢ ـ

رأينا فى مقال سلف أن الشريعة الاسلامية ليست بعيدة عن حكم كثير من تصرفات غير المسلمين فى مصر . كما أنها ليست غريبة فى التطبيق عليهم ، فانها تتناول بالتنظيم كثيرا من الروابط القانونية فى وقتنا الحاضر ، وهى فى هذا الصدد لا تقتصر على المسائل المالية ، بل تتعداها الى قضايا الأحوال الشخصية ذات الصلة الوثيقة بالعقيدة الدينية ، حيث تعتبر الشريعة الاسلامية ذات الولاية العامة فى حكم تلك المسائل ، اذ الشرائع الملية لغير المسلمين لا يتسنى اعمالها الا اذا توافرت شروط معينة نصت عليها المادة ٦ من القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ وهى اتحاد الخصوم فى الديانة والملة والطائفة ووجود مجالس ملية منتظمة لهم وقت صدور ذلك القانون . وعدم مخالفة تلك الشرائع للنظام العام .

ولهذا كان التخوف الذى يبديه البعض من استكمال تطبيق الشريعة على ما بقى من تلك الجوانب لا معنى له . ولا يوجد ما يبرره . فالشريعة الاسلامية لا تمس حقوق غير المسلمين بل تحافظ عليها وترعاها وهى لا تفرق بين المسلم وغيره فى أمور المعاملات ، بل تكفل لغير المسلمين كثيرا من الحقوق التى قررها لهم الحق سبحانه وضمنها لهم بشرعه العادل(١) . وهذه الحقوق تقوم على أساس ثابت من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعمل الصحابة . كما يتسع نطاق تلك الحقوق ليشمل أمهات المسائل التى يعتبرها الفكر الانسانى المعاصر من أرقى أمانيه . ومن أعظم الحقوق التى قررها الاسلام لغير المسلمين وكفلها لهم : حرية العقيدة ، وحرمة

(١) راجع : مجلة الأزهر ـ عدد ربيع الآخر ١٤٠٢ هـ ـ ص ٤٧٧ ـ ٤٨٦ .

حقوق غير المسلمين
فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

الدماء والأعراض والأموال . وسوف نعرض لبيان تلك الحقوق وتأصيلها بالقدر الذى تقتضيه تلك الدراسة .

أولا : حرية العقيدة ، « لا اكراه فى الدين » :

ارتضى الحق سبحانه وتعالى الاسلام دينا لعباده ، فبعث به سيد الرسل وخاتم الأنبياء سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسله للبشرية كلها . بعد أن بلغت من تمام العقل ونضج الفكر ما جعلها مهيأة للهداية الكاملة فقرره نظاما يعبدونه به . وطريقا يوصلهم اليه ، وضمنه كل ما سبقه من هداية الأديان السابقة . وجعل الايمان به ايمانا بجميع الكتب المنزلة ، وتصديقا لجميع الأنبياء والرسل . قال تعالى : « **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا(١)** » .

ولا شك أن الاسلام الذى نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو وحده الذى يقبله الله من عباده . اذ هو الدين الكامل الذى أنعم الله به على خلقه وجمع لهم فيه كل ما يتعلق بالعقيدة والشريعة قال تعالى : « **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٢)** » ، وقد أطلق لفظ الاسلام على شرائع ما قبل الاسلام ومن ثم سمى تابعوها مسلمين ، لاتفاق تلك الشرائع مع الاسلام فى الاقرار بوحدانية الله سبحانه وتعالى وذلك هو أصل الدين ، قال تعالى : « **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ(٣)** » وهى مع هذا الاطلاق لايغنى الايمان بها عن الايمان بما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ــ فان ما جاء به هو الدين الكامل الذى يغنى الدخول فيه عما سواه . ولا يغنى عنه ما سواه .

يقول الامام ابن كثير : « **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** » هو الاسلام وقد أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين انه قد اكمله لهم . فلا يحتاجون الى دين غيره ولا الى نبى غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه . ولهذا جعله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه الى الانس والجن . فلا حلال الا ما أحله ولا حرام الا ما حرمه ولا دين الا ما شرعه ، وكل شىء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى : « **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا** » أى صدقا فى الاخبار وعدلا فى الأوامر والنواهى(٤) » فالاسلام هو الدين الحق . والنعمة التامة . والهداية الكاملة .

حرية العقيدة فى مفهوم الشريعة :

ولما كان الاسلام هو الدين الكامل والنعمة التى أتمها الله لعباده . فلم يشأ الحق سبحانه

(١) المائدة ــ آية ٣ .
(٢) آل عمران ــ آية ٨٥ .
(٣) الانبياء آية ٢٥ .
(٤) مختصر تفسير ابن كثير . جـ ١ ص ٤٨٢ .

وتعالى أن يكون الايمان به عن قسر واكراه . اذ الخير لا يكره عليه انسان ، والنعمة لايحمل عليها أحد ، والقسر والاكراه لا يتصور وجودهما الا في أمر يحصل فيه ضرر ولو كان محتملا ، وحاشا لدين الله أن يكون كذلك فالخير كل الخير فيه . ومن هنا كان الدخول فيه منة الله على المسلم . قال تعالى : « بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ(١) » ولهذا فقد ترك الحق سبحانه وتعالى أمر الايمان به لحرية العبد وما ركبه فيه من قدرة على الاختيار وتدبر الأمور ووزنها بميزان صحيح يستخدم فيه عقله وادراكه ، وأبعد عنه كل وسائل الضغط والاكراه حتى يكون وصول العبد الى خالقه بكامل ارادته واختياره . وقد اقتضت حكمة الله ذلك . فامر رسله وأنبياءه ببيان ما أرسلوا به للناس دون ضغط أو اكراه . ليحصل ذلك المقصود كما أراد الحق سبحانه وتعالى من رسله ، وكما رسمه لسيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

منهج دين الله في كل شرائع السماء :

ولهذا كان منهج الدين في كل شرائع السماء يركز على عدم اكراه الناس ليدخلوا في دين الله ، وهاهو القرآن الكريم يحكي على لسان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مايدل على هذا المعنى ويوضحه ويؤكد عليه ، فأخبر على لسان نبي الله نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام قوله تعالى : « قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ » حيث يظهر واضحا من قول الله تعالى أنلزمكموها وأنتملها كارهون ، عدم الاكراه على الدعوة ونفي القسر في قبولها . وغضب النابي عليها(٢) .

وحكى على لسان نبي الله هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام قوله تعالى : « فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ(٣) » فجعل غاية دعوته هي البلاغ وبيان ما أرسل به . دون أن يشغل نفسه بما يحملهم على اتباعه عند توليهم عن دعوته ورغبتهم عنه . كما أخبر على لسان أبي الأنبياء سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام قوله تعالى : « فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٤) » فقد فوض أمره فيمن خالفوه الى الله الغفور الرحيم دون أن يحصل منه ما يؤثر على ارادتهم في قبول دعوته(٥) ، كما حكى عنه رده الجميل على أبيه حين أعرض عنه وتوعده بالرجم قوله : « سَلَامٌ عَلَيْكَ(٦) » أي لا خوف عليك مني من اعراضك عني وعدم اتباعك لدعوتي .

وعلى هذا النحو المستقيم جاء توجيه الله لنبيه موسى وأخيه هارون عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام ، حيث أمرهما بقوله : « فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٧) » فقد أمرهما أن لا يخاطبا فرعون

---

(١) الحجرات ـ آية ١٧ .

(٢) ابن كثير ـ المرجع السابق ـ جـ ٢ صـ ٤٤٨ .
(٣) هود آية ٥٧ .
(٤) ابراهيم ـ آية ٣٦ .
(٥) ابن كثير المرجع السابق ص ٣٠١ .
(٦) مريم آية ٤٧ .
(٧) طه ـ آية ـ ٤٤ .

حقوق غير المسلمين
في ظل تقنين الشريعة الإسلامية

وقومه الا بالملاطفة واللين بعيدا عن العنف والاكراه والتعصب ، وكم في هذا القول الكريم من توجيه وعظة يستحيل معهما وجود الاكراه في الدعوة الى الله . ثم ما أجمل ما حكاه القرآن عن نبى الله عيسى بن مريم على نبينا وعليهما أفضل الصلاة وأتم السلام قال تعالى : « مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١) » اى ما دعوتهم الا بما أرسلتنى به وأمرتنى بابلاغه لهم أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وقد قلت لهم ذلك مقرونا بالحجة والدليل دون ضغط أو اكراه . وليس لى من سلطان على المخالفين فان مردهم اليك. وهم عبادك وأنت الغفور الرحيم(٢) .

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعا من الرسل في منهج دعوته الى الله ، بل جاءت رسالته على النحو الذى سنه الله للرسل والأنبياء قبله ، آية في التسامح وعنوانا على الصفح بعد أن أودع فيها من أسباب الكمال وأسرار الجلال . ما يحفظ مسيرتها بين الأجيال على تلك السنة الحميدة والطريقة القويمة ، بعيدا عن تيارات التعصب وأعاصير الاكراه الى ما شاء الله ، قال تعالى : « قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِى أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣) »

حرية العقيدة وجوهر الايمان بالله :

وقد ربط الحق سبحانه وتعالى بين حرية العبد واختياره الايمان ، وبين وجود حقيقة ذلك الايمان في قلبه . ربطا لا يقبل الفصل ، ومن ثم فإن الايمان اذا حصل الاقرار به عن غير طريق الطواعية والاختيار ، فلن يكون له اى اثر أو اعتبار فالحق سبحانه قد حكم باهدار الاقرار بالايمان ، اذا جاء تحت وطأة ظروف ، يستبين معها عدم اقبال العبد على ربه بالايمان عن اقتناع واختيار ، كما لو جاء الاقرار به وليد الخوف من العذاب أو الغرق أو الموت . ولعل في قصة فرعون ما يرشد الى هذا المعنى. فقد أهدر الحق سبحانه ايمانه حين أدركه الغرق فقال سبحانه : « حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ(٤) » فرد الله اقراره بقوله : « آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ

(١) المائدة – آيتى ١١٧ – ١١٨ .

(٢) ابن كثير – المرجع السابق – جـ ١ ص ٥٦٤ وما بعدها .

(٣) يوسف – آية ١٠٨ .

(٤) يونس – آية ٩٠ .

مِنَ الْمُفْسِدِينَ(١) » أى أهذا وقت يعتد فيه بذلك القول ، وقد تراكمت فوقك الأمواج وغشيتك سكرات الموت ؟ كلا !

وقد حكى الله تعالى لنبيه — صلى الله عليه وسلم — ما قاله فرعون بالوحى عن طريق جبريل ليكون حاله عظة وعبرة للمؤمنين فى هذا الأمر الهام(٢) ، ويدل على هذا المعنى قول الله تعالى : « فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ، فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ(٣) » فقد أرشدت هاتان الآيتان الكريمتان من كتاب الله ، الى حكم الله فى كل من يؤمن به عند معاينة العذاب ، حيث قضى بعدم قبول هذا الايمان(٤) وذلك لحصوله عن غير طريق الاختيار الذى يريده الله من عباده ، وقد خلقهم لهذا المقصود ، ولو شاء لجعلهم ملائكة يعبدونه بالجبلة ويفعلون ما يؤمرون ، ومما يؤكد هذا المعنى قول الله تعالى : « وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(٥) » فقد أهدر الله التوبة اذا جاءت عند الموت ويستوى فى هذا الرد التوبة من المعاصى ومن الكفر ، وقد روى عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضى الله عنهما أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « ان الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر(٦) » .

وعلى هذا النحو يرتبط الايمان بالله ، وحرية اختيار هذا الايمان ، ارتباط المقدمة بالنتيجة ، بالقدر الذى ينتفى معه وجود ذلك الايمان اذا لم يأت عن فكر وتأمل واعمال نظر واختيار . ولهذا فقد خير الحق سبحانه وتعالى عباده بقوله : « وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ(٧) » وبالقدر الذى يستحيل معه وجود الاكراه فى تحصيل حقيقة الايمان بالله سبحانه وتعالى .

مشروعية القتال وحرية العقيدة :

ولم تأت مشروعية القتال فى الاسلام الا تأكيدا لمبدأ حرية العقيدة وحماية الاسلام فالدعوة التى تربط بين جوهر الايمان واختياره وتكفل لغير المسلمين الأمان على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، لابد أن تكفل للمسلمين كما تكفل لغيرهم نفس المبدأ ، فاذا كان الله سبحانه وتعالى قد وفقهم للايمان وهداهم للاسلام فاختاروه طريقا الى الله وأرادوه سبيلا اليه فليس من الحق أن يتعمد مخالفوهم صدهم عن هذا الدين واكراههم للرجوع عنه ، ويكون من العدل بل ومن الحكمة أن يتقرر القتال للدفاع عن اختيار المسلمين

(١) يونس — آية ٩١ .
(٢) ابن كثير — المرجع السابق — جـ ٢ ص ٤٠٦ .
(٣) غافر — آيتى ٨٤ ، ٨٥ .
(٤) ابن كثير — المرجع السابق — جـ ٢ ص ٢٥٣ .
(٥) النساء — آية ١٨ .
(٦) الغرغرة هى وصول الروح للحلقوم . وقد روى هذا الحديث الترمذى — راجع رياض الصالحين — للنووى — ص ١٩ — دار الحديث — بيروت .
(٧) الكهف — آية ٢٩ .

وحرية عقيدتهم ، حماية للدعوة من النكوص بها عن طريقها ، والردة بالمسلمين الى ما لا يرضونه ، وفتنتهم عن الدين الذى اختاروه ، ولهذا كانت الفتنة عن دين الله أشد عند الله من القتل ، ومن ثم فقد شرع الجهاد فى الاسلام للدفاع عن الدين ممن يلاحقون اتباعه بالأذى ويجاهرون دعوته بالحرب ردا لتلك الفتنة ، وقطعا لدابر الشر ، قال تعالى : « **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**(١) » وقال تعالى : « **فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**(٢) » ، فهو ــ اذا ــ لا يعدو أن يكون وسيلة حوار من جنس ما يتحاور به الأعداء ، ولم يشرع الجهاد فى الاسلام لحمل الناس على الدخول فيه ــ كما يحلو لكثير من الناس أن يتقولوا عليه بذلك ــ فقد جعل الله سبب الجهاد دفع الأذى ورد الفتنة وتلك أيضا غايته ، ولم يكن من مقاصده ارغام الناس للدخول فى دين الله فذلك فضل الله ، يهدى الله لنوره من يشاء ، وقد جعل الحق سبحانه غاية القتال دفع الجزية لتكون علامة على كف الأذى ودليلا من غير المسلمين على ترك الاعتداء ورغبتهم فى المعايشة مع المسلمين فى وئام وسلام ، قال تعالى : « **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**(٣) » ، يقول الامام القرطبى : « ان حتى تفيد بيان الغاية التى تمتد اليها العقوبة ، وتعين البدل الذى ترتفع به(٤) » .

ولم تتقرر الجزية للضغط على غير المسلمين بل وجبت عليهم كنوع من المشاركة فى تحمل أعباء الدولة الاسلامية التى تحميهم وترعاهم كما وجبت الصدقات على المسلمين .

مصادر حق غير المسلمين فى الشريعة الاسلامية :

اذا كف غير المسلمين عن التصدى للدعوة ، وقبلوا دفع الجزية ، كان معنى ذلك أنهم قبلوا العيش مع المسلمين فى مجتمع واحد ، تسود فيه أحكام الاسلام السمحاء ، وتطبق على جميع أفراده مبادىء الشريعة الغراء ، ويكون لغير المسلمين حقا يرجع الى حرية العقيدة ، من مقتضاه أن لا يقع عليهم اكراه فى الدين ، ويستمد ذلك الحق مصدره من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة :

١ ــ من الكتاب :

يقول الله تعالى : « **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**(٥) » .

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم :

(١) البقرة ــ آية ١٩٠ .
(٢) البقرة ــ آية ١٩١ .
(٣) التوبة ــ آية ٢٩ .
(٤) تفسير القرطبى ــ حـ ٢ ص ١١٠ .
(٥) البقرة آية ٢٥٦ .

يقول الامام ابن كثير : « أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الاسلام ، فانه بين واضح ، جلي دلائله وبراهينه . لا يحتاج الى أن يكره أحد على الدخول فيه ، بل من هداه الله للاسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فانه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا(١) » .

ويقول الله تعالى : « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(٢) » .

وجه الدلالة في تلك الآية الكريمة :

ان الحق سبحانه قد بين لنبيه صلى الله عليه وسلم أن الايمان معلق بمشيئته هو ولو شاء لهدى الناس جميعا اليه ولكن اقتضت حكمته ذلك ليصل الناس اليه بارادتهم واختيارهم . وما كان لك يا محمد أن تلزم الناس وتلجئهم الى الايمان ، أي ليس ذلك عليك فلا تفعله(٣) . وفي هذا دليل على عدم جواز اكراه الناس على الدخول في الاسلام .

٢ ـ ومن السنة :

ما رواه عثمان بن صالح عن عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال: « كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن ، أنه من كان على يهودية أو نصرانية فانه لا يفتن عنها وعليه الجزية(٤) » .

وجه الدلالة في هذا الحديث :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم . قد نهى في كتابه عن فتنة غير المسلمين من اليهود والنصارى عن دينهم . وفي هذا دليل على عدم جواز اكراههم على الدخول في الإسلام .

٣ ـ ومن آثار الصحابة :

ما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صالح أهل حمص على أن يؤمنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم . وكنيستهم(٥) » .

وجاء في العهد الذي أعطاه لأهل القدس أنه أعطاهم الأمان لأنفسهم ولأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ألا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم(٦) » .

ومنها التعهد الذي كتبه عمرو بن العاص لأهل مصر ، وفيه : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصليبهم وبرهم وبحرهم لا ينقص عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ثم قال : وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وعلى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين(٧) » .

---

(١) ابن كثير ـ المرجع السابق ـ جـ ١ ص ٣٥٦ .
(٢) يونس ـ آية ٩٩ .
(٣) ابن كثير ـ نفس المرجع ـ جـ ٢ ص ٣٠٨ .
(٤) الأموال ـ لأبي عبيد ـ ص ٣٥ .
(٥) البلاذري ـ فتوح البلدان ـ ص ١٣١ .
(٦) الطبري ـ جـ ٣ ـ ص ٢٠ والخراج لأبي يوسف ـ ص ١٤٨ وما بعدها .
(٧) النجوم الزاهرة ـ جـ ١ ص ٢٤ ـ دار الكتب المصرية .

حقوق غير المسلمين
فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

ووجه الدلالة فى هذه الآثار :

أنها قد أفادت عدم اكراه غير المسلمين على الدخول فى الاسلام حيث جاء فيها ما يحمى عقائدهم ويحفظ كنائسهم ، بل وجاء فى كتاب عمر بن الخطاب النص صريحا على عدم اكراههم على الدين ، وقد اتفقت هذه الآثار مع الكتاب والسنة ، فكان فى ذلك دليل على عدم جواز اكراه الناس على الدخول فى دين الله .

اختلاف العقيدة وأثره على التعامل :

ومن مفاخر الاسلام أنه حين أكد على مبدأ حرية العقيدة ، لم يكن لينال من المكانة الاجتماعية لغير المسلمين أو يفرق بينهم وبين المسلمين فى المعاملة ، بل شمل الجميع برحمته، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكثير مما يدل على هذا المعنى :

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة(١) » .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيرا أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم(٢) » ومر يوما بباب قوم وعليه سائل يسأل : شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودى ، قال فما ألجاك الى ما أرى ؟ قال : « أسأل الجزية والحاجة والسن » فأخذ عمر بيده وذهب به الى منزله وأعطاه شيئا من المال ، ثم أرسل الى خازن بيت المال فقال أنظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ، ثم نخذله عند الهرم ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه(٣) » .

حرية العقيدة والدعوة الى الله :

ولما كانت الدعوة الى الله هى باب الوصول اليه ، وطريق القرب منه من خلالها يحصل العلم بأصول الدين وعن طريقها يمكن الوقوف على أحكام التشريع ، فقد وضع الحق سبحانه لها من الضوابط مايحقق ذلك المقصود ، وجعل أمرها شركة بينه وبين خلقه ممن اصطفاهم لأمرها من الأنبياء وورثتهم من العلماء ، فاختصهم من أمر الدعوة بالمنهج، وتفرد سبحانه بالغاية من الدعوة ، حتى لايختلط أمرها على الدعاة . وحتى يعمل كل داعية فى اطار مارسمه الحق سبحانه من البلاغ وتبيين أحكام الله للناس ، وليترك أمر الهداية وخلق الاعتقاد الصحيح فى قلوبهم

(١) الخراج – ص ١٢٥ وما بعدها .
(٢) المرجع والمكان السابقين .
(٣) الخراج – ص ١٣٦ .

لله ، وبهذا يربأ الداعية عن اقحام نفسه فى أمر ليس من شأنه ولا هو من اختصاصه . ومن المؤكد أن هذا الدخول سوف يجره الى أمور تضر بالدعوة وتصرف الناس عنه . وقد يسوقه ذلك الى حمل الناس واكراههم على قبول دعوته فيفوت ذلك المقصود الشرعى ولهذا كان الالتزام بحدود المنهج فى الدعوة الى الله واجبا .

التزام المنهج فى الدعوة الى الله :

والتزام حدود المنهج فى الدعوة الى الله يتمثل فى تبليغ الرسالة واعلامها للناس على نحو ما رسمه لسيد الدعاة محمد — صلى الله عليه وسلم — فقد أمر أن يبلغ رسالة ربه كاملة ودون اهدار لجانب على حساب آخر فيها ، قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ » (١) وقال تعالى : « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » (٢) .

ومنهج الدعوة هو الحد الذى ينبغى أن يقف عنده طموح أى داعية لأنه القدر الذى رسمه الله لنبيه — صلى الله عليه وسلم — ولن يكون هناك داعية أعظم منه . قال تعالى: « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ، إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ » (٣) وقال تعالى : « فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ » (٤) .

غاية الدعوة الى الله :

أما غاية الدعوة الى الله فهى الهداية وخلق الاعتقاد فى القلب ، وأمرهما لايدخل تحت قدرة البشر . وانما تنفرد به ارادة الخالق سبحانه لايشاركه فيه أحد من خلقه أيا كان .

يقول الامام محمد عبده فى تفسير قول الله تعالى : « لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ » حدد الله الأمر الذى بعث لأجله نبيه — صلى الله عليه وسلم — وهو تذكير الناس بما نسوه من أمر ربهم . وليس فى سلطانه عليه — الصلاة

(١) المائدة — آية ٦٧ .
(٢) النحل — آية ٤٤ .
(٣) الشورى — آية ٤٨ .
(٤) الغاشية — آية ٢٢ .

حقوق غير المسلمين
فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

والسلام أن يخلق الاعتقاد فيهم ولا من المفروض عليه أن يقوم رقيبا على قلوبهم لأن الله هو المسيطر عليها ، وهو صاحب السلطان على ماشنر • قال تعالى : « وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ » (١) •

وقد بين الحق سبحانه هذا المعنى لنبيه عليه الصلاة والسلام فى أكثر من آية ، قال تعالى : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ » (٢) وقال تعالى : « إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ » (٣) وقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ » (٤) •

وعلى هذا النحو وضع الحق سبحانه من خلال بيان ضوابط الدعوة ، مايحقق تلك الغاية المقصودة • حتى لايكون هناك اكراه من أحد فى دين الله ، ويكون ذلك المبدأ قد لقى من اهتمام شريعة الله مايليق به ، فلم يقتصر الامر فيه على التقرير النظرى بل تعداه الى التطبيق العملى ، بالقدر الذى يكشف عن سمو الشريعة الاسلامية •

(١) الانفال ــ آية ٢٤ •
(٢) القصص ــ آية ٥٦ .
(٣) النحل ــ آية ٣٧ .
(٤) الأنعام ــ آية ٣٥ .

وصلاحيتها لحكم تصرفات جميع الناس فى كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

وقد قرر الحق سبحانه لغير المسلمين كثيرا من الحقوق ، مع ما قرره لهم من حرية العقيدة ، منها حرمة الدماء والأعراض والأموال ، وسوف تستكمل بمشيئة الله دراسة تلك الحقوق فى مقالنا القادم باذن الله ، والله المستعان •

(يتبع) ••

عبد الله مبروك النجار

من مكارم السلوك والآداب في الإسلام

آداب الطعام

للمستشار محمد عزت الطهطاوي

مما يمتاز به الاسلام على غيره من العقائد والأديان انه لايجعل من الفضائل والآداب سلعا فى سوق التجارة تعرض على مقياس الربح والخسارة يتأرجح الانسان بينهما ايجابا وسلبا بتحريك المنفعة ولكنه يرتفع بها الى الواجب الذى يقتضى ولو من قبيل الادب والتزام به لذاته .

من أجل ذلك ربط الاسلام السلوك والآداب التى يقررها وينظمها بالايمان ربطا وثيقا ، وجعل اهتزاز هذا السلوك فى حياة المنتسب اليه دليلا على اهتزاز الايمان فى قلبه .

كيف سار الاسلام فى تكوين سلوك وآداب المسلمين ؟

لقد سار الاسلام فى تكوين سلوك وآداب المنتسبين اليه مسلكا شملهم من جميع نواحيهم فاتخذ من الوسائل أوفاها ومن السبل أقربها ومن الذرائع انبلها وأنجحها يقول الله تعالى عن ذلك فى كتابه الكريم (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (١) ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) (٢) .

وهذه السبل والذرائع الكريمة التى قررها الاسلام تشتمل آدابا كثيرة وفضائل كبيرة تلازم المرء منذ طفولته وهو نشء صغير وتلازمه طيلة حياته بعد ذلك مما يقتضى من المسئولين عن تربيته سواء فى البيت أو فى دور العلم والدراسة تعويده سلوك الكمال لأن الطفل اذا عود الخير وعمله نشأ عليه وسعد فى الدنيا وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر وأهمل اهمال الحيوان والأنعام شقى وهلك وكان الذنب والوزر عليه وعلى المتولى أمره يقول الله تعالى (يا أيها

١ ــ الاسراء ــ ٩ .
٢ ــ رواه مالك بالموطأ .

آداب الطعام

(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (١) .

ولنبدأ **بالكلام عن آداب الطعام** : نظرا لأن غريزة الطعام من أولى غرائز الانسان تنشأ فطرية معه بعد مولده وتلازمه طوال حياته .

أولا : ان يطعم ويشرب الحلال الطيب ، لأن الله طيب لايقبل الا ماكان طيبا وقد أمر عباده أن ياكلوا الحلال الطيب وأن يجتنبوا الحرام الخبيث يقول تعالى (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (٢)) ، ومما لاجدال فيه أن الطيب هو ماكان بعيدا عن محرمات الأطعمة التى ذكرها القرآن الكريم فى الآية الثالثة من سورة المائدة قال تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب) كما أن الطيب من الشراب هو ما كان بعيدا عن الخمر وما شاكلها من المسكرات قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) (٣) .

ثانيا : ان يكون مطعمه طاهرا من الحرام كالربا أو السرقة أو الغصب أو السحت فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس ان الله تعالى طيب لايقبل الا طيبا . ان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين وقال تعالى — يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا — وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم — ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء ويقول: يارب يارب ومطعمه من حرام ومشربه من حرام وملبسه من حرام وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب له) (٤) .

ذلك أن التشبع من المال الحرام يميت القلب ويجعل الدعاء بعيدا عن الاجابة والقبول أما المحافظة على المطعم الحلال فانها تحيى القلب وتجعل الدعاء أرجى للقبول عند الله .

وقد كان السلف الصالح يحرصون على تحرى الحلال فى كل أحوالهم حتى أن سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان لاياكل طعاما ولايشرب شرابا ولايلبس ثيابا ولايقتنى متاعا الا اذا عرف أنه قد أتاه عن طريق حلال حتى يبارك الله فيه وكان من عادته أن يسأل خادمه عن مصدر مايحضره له من طعام أو شراب (٥).

ثالثا : النهى عن الافراط فى الطعام ، وذلك بالنهى عن كثرة الأكل والشراب ، والاسراف فيهما وهذا ما أكده الطب فى زماننا المعاصر ،

---

١ — التحريم — ٦ .
٢ — البقرة — ١٦٨ .
٣ — المائدة — ٩٠ .
٤ — أخرجه مسلم والترمذى .
٥ — د . محمد السيد طنطاوى — الدعاء

لأن كثرة الأكل والشرب تفسد المعدة وتضعف الجسم وبذلك يضعف الفكر ويخمد الذهن وينحط الادراك ، واذا حجب القلب عن الادراك ومنع الذهن عن الحركة فى المعقولات خسر صاحبه بابا كبيرا من العبادات لأن مقصود العبادات انما هو الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق وكثرة الاكل مانعة منه (١) يقول الله تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٢) وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) (٣) .

ويعلق الدكتور محمود احمد نجيب أستاذ الجراحة بكلية طب جامعة عين شمس على هذا الاعجاز القرآنى والهدى النبوى فيقول (ان العلماء لم يفهموا الا منذ عهد قريب خطورة الاسراف فى الطعام والشراب ذلك لأن زيادة الوزن والترهل يصاحبهما فى كثير من الأحيان الاصابة بمرض السكر وارتفاع ضغط الدم ، وزيادة التعرض للاصابة بتصلب الشرايين وما ينتج عنه من حدوث جلطة بالشريان التاجى ، والاصابة بالذبحة الصدرية او جلطة أو نزيف بالمخ أو انسداد شرايين الساق وحدوث غرغرينا أو تلف بجدار الشرايين ولاسيما « الأورطى البطنى » مما ينتج عنه تمدد بالشريان ينتهى (مالم يستبدل بآخر من مادة الدكرون) الى حدوث نزيف قاتل .

وقد اثبتت الاحصائيات أن زيادة الوزن يصحبها زيادة نسبة الوفيات نتيجة الأزمات الصحية الخطيرة التى تحدث بسبب الترهل وارتفاع الدهنيات بالدم ، وليس هناك من علاج الا اتباع أمر الله ــ (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا) ــ فان علاج السمنة لايكون الا بالاعتدال فى المأكل والمشرب وكل المحاولات للعلاج بالادوية قد ثبت فشلها ، بل أيضا خطورتها البالغة على حياة المرضى) (٤) انتهى كلامه .

رابعا : تبيان المواضع التى أباح الله الأكل منها من بيوت أقاربه كأبيه وأمه وأخيه وأخته وعمه وعمته وخاله وخالته أو صديقه يقول الله تعالى (وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَامَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا) (٥).

خامسا : تعلم السلوك الاسلامى الحميد خلال تناول الطعام ، فينبغى على من يتناول الطعام :

١ ــ ان يسمى الله تعالى .

٢ ــ ان ياكل بيمينه .

٣ ــ الا تطيش يده على مائدة الطعام دون نظام أو ترتيب .

٤ ــ ان ياكل مما يليه .

---

١ ــ محمد احمد جاد المولى بك ــ الخلق الكامل

٢ ــ الأعراف ــ ٣١ .

٣ ــ رواه الترمذى .

٤ ــ د . محمود أحمد نجيب ــ الطب الاسلامى .

٥ ــ النور ــ ٦١ .

آداب الطعام

يقول عمر بن أبى سلمه رضى الله عنهما (كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصفحة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك) (متفق عليه) .

وقوله تطيش فى الصفحة يعنى تتحرك وتمتد الى نواحى الصفحة .

سادسا : الا يعيب الطعام المقدم اليه فاذا اشتهاه أكله واذا كرهه تركه يقول أبو هريرة رضى الله عنه (ماعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله وان كرهه تركه (متفق عليه) .

سابعا : الا يأكل وهو مضطجع او متكىء وذلك تسهيلا لعملية الابتلاع فعن أبى جحيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا آكل متكئا) (رواه البخارى) .

ثامنا : الا يتنفس الشارب فى الاناء عند شرابه منه لما فى ذلك من اختلاط سائل الشراب بما يحمله هواء المتنفس من ذرات وأتربة فى نفسه ، فعن أبى قتادة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس فى الاناء (متفق عليه) .

والا ينفخ من يريد الشراب فيه يقول أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ فى الشراب (رواه الترمذى) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس فى الاناء وينفخ فيه (رواه الترمذى) .

تاسعا : وبعد الانتهاء من تناول الطعام والشراب على المسلم أن يشكر الله تعالى على تلك النعمة ويقول كما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا) (رواه البخارى) .

عاشرا : اذا فرغ المسلم من طعامه عليه أن يغسل أعضاءه التى مست الطعام وهذا من قبيل النظافة التى يعتنى بها الاسلام أيما عناية يقول الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (١٩) وفيما ترويه السيدة عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الاسلام نظيف فتنظفوا ـ فانه لا يدخل الجنة الا نظيف) (رواه الطبرانى فى الأوسط) وقد ثبت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتمضمض بعد الطعام ويقول سويد بن النعمان خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فلما كنا بالصهباء دعا بطعام فما أتى الا بسويق فاكلنا فقام الى الصلاة فتمضمض ومضمضنا) رواه البخارى) .

وبعد ..

فهذه أهم آداب الطعام فى الاسلام سلوك حميد وادب رقيق ، بالعمل على تكرارها والمداومة على فعلها يصبح اتيانها وممارستها عادة لازمة وطبعا دائما وبذلك تصير خلقا كريما للمرء المسلم تصدر عنه تلقائيا من غير سبق تدبير أو تقدير بحيث يكون انطباعا من انطباعات النفس وحالا من حالاتها تحملها على الفعل من غير حاجة الى تامل او تفكير او روية .

المستشار/محمد عزت الطهطاوى

من أعلام الأزهر

الأستاذ الدكتور

محمد عبد الله دراز

هو علم شامخ من اعلام النهضة الاسلامية البارزين فى مصر فى القرن العشرين ، وقمة شاهقة بين علماء الفكر الدينى والاسلامى ، وبحر عميق الأغوار فى الثقافات الانسانية والعالمية فى العالم ·

نشأ فضيلته فى بيت عامر بالتقوى والصلاح والعلم والعرفان ، والسماحة والعطاء محفوفا برعاية والده الفاضل الشيخ عبد الله دراز ـ شيخ علماء دمياط ـ فاقتبس فضائل والده المروءة والشهامة ، وحب العلم والصلاح ·

من أبرز صفاته الشخصية ، الفطنة والذكاء والحلم والأناة ، والتواضع والوداعة والوفاء والجرأة والصلابة فى الحق والاقدام ، ومواقفه شهيرة فى نشر رسالة الاسلام ، والعمل على تبليغها فى عالم الغرب ·

عرف فضيلته بلباقته فى الحديث ، ولين العريكة فى المعاملة ، وحدبه على مرافقيه ، فهو الصديق الوفى عند النوائب ، والشهم الشجاع فى الملمات ، والمخلص المنجد عند الشدائد ، ولهذا كان حبيبا الى كل من عرفه ورافقه ·

ـ كانت ولادته فى قرية محلة دياى فى محافظة كفر الشيخ سنة ١٣١٢ هـ/١٨٩٤ م ·

ـ حفظ القرآن الكريم وهو فى العاشر من عمره ، ثم التحق بالأزهر ·

ـ انتقل الى الاسكندرية فى اوائل سنة ١٩٠٥ م ·

ـ التحق بالمعهد الدينى فى مدينة الاسكندرية ، وحصل على الشهادة الثانوية فيها سنة ١٩١٢ م ·

ـ اجازه العلامة الشنتيطى بالتحديث ، وهو فى طريقة لأداء فريضة الحج فى القاهرة فى كتاب الاجازة المنشورة لاحقا ·

ـ حصل على الشهادة العالمية النظامية سنة ١٩١٦ م ·

ـ عين مدرسا عقب تخرجه بمعهد الاسكندرية الدينى ·

ـ انصرف الى دراسة اللغة الفرنسية فى المدارس الليلية ، وكان اول الناجحين فى شهادة القسم العالى منها سنة ١٩١٩ م ·

ـ اختير للتدريس بالقسم العربى فى الأزهر الشريف سنة ١٩٢٨ م ثم بقسم التخصص سنة ١٩٢٩ م ثم بالكليات الازهرية سنة ١٩٣٠ ثم فى قسم التخصص بها ·

ـ صنف فضيلته كتابه (المختار) سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣٠ م عندما عهد اليه بتدريس مادتى التفسير والحديث فى كلية اصول الدين ·

ـ اشرف على طباعة شرح والده على كتاب (الموافقات للشاطبى) ·

ابتدأ فضيلته بكتابة بحوث فى القرآن



للأستاذ محمد الطاهر الزنكلوني

الكريم ، قدمها بين يدى التفسير ، فأملاها على طلاب كلية أصول الدين ، بالجامع الازهر المعمور سنة : ١٩٥٣ هـ /١٩٣٣ م ، وطبعت منها ملازم معدودة ، ثم حالت شئون المؤلف عن اتمام وضعه ، بله اكمال طبعة فى حينه .

قصد فضيلته بيت الله الحرام ، لأداء فريضة الحج سنة ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦ م .

اختير مبعوثا من الجامعة الازهرية الى فرنسا للالتحاق بجامعة السوربون فى باريس فامضى خارج القطر المصرى اثنى عشر عاما من غرة ربيع الاول سنة ١٣٥٥ هـ/الى منتصف ربيع الثانى سنة ١٣٦٧ هـ (مارس ١٩٣٧ م ـ مارس ١٩٤٨ م) .

نال « الليسانس » من السوربون سنة ١٩٤٠ م .

ابتدأ فضيلته بتحضير رسالتى الدكتوراه فى اللغة الفرنسية ، الاولى وقد ترجم المؤلف عنوانها فى « النبأ العظيم » الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م والترجمة الحرفية لها (أخلاق القرآن) والثانية عنوانها : « القرآن » وهذه الرسالة نقلها الى العربية وحققها وعلق عليها دكتور عبد الصبور شاهين ، وصدرت الطبعة الاولى بالعربية سنة : ١٣٩٣هـ /١٩٧٣ م بعد مضى ربع قرن ونيف من ظهور الرسالة بالفرنسية واستغرق المؤلف فى كتابة هذه الرسالة مايقرب من ست سنوات (١٩٤١ ـ ١٩٤٧ م) وقد نوقشت هذه الرسالة امام لجنة مكونة من خمسة اعضاء من اساتذة جامعتى السوربون ، والكوليج دى فرانس قوامها الاساتذة : (لويس ماسينيون)، و (ليفى بروفنسال) و (لوسن) و (فالون) و (فوكونيه) فى الخامس عشر من شهر كانون الاول سنة ١٩٤٧ م ، ومنحته اللجنة شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف العليا .

عاد فضيلته من فرنسا الى مصر فى شهر مارس سنة ١٩٤٨ م .

حصل فضيلته على عضوية جماعة كبار العلماء فى مصر سنة ١٩٤٩ م .

أمضى المؤلف تسعة أعوام أخر فى مصر ، ونيطت به شئون علمية ، على عجل ، من أبرزها :

(أ) القاء محاضرات فى علم تاريخ الأديان ـ بكلية الاداب بجامعة القاهرة .

(ب) محاضرات فى فلسفة الأخلاق ـ بقسم التخصص بالجامعة الازهرية .

وخلال مكث فضيلته فى مصر أسند اليه العمل فى أكثر من لجنة علمية بالاضافة الى قيامه بالتدريس بالجامعة منها :

ـ العمل فى اللجنة العليا لسياسة التعليم.

ـ العمل فى المجلس الأعلى للاذاعة .

ــ العمل في اللجنة الاستشارية للثقافة بالأزهر المعمور . الى جانب اختياره في المؤتمرات الدولية والعلمية ممثلا لمصر والازهر الشريف .

وصدر للمؤلف مجموعة من المؤلفات القيمة منها ــ باللغة العربية ــ كتاب (الدين) وهو بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ، وقد نشره عام ١٣٧١ هـ/١٩٥٢ م ، والكتاب جديد في موضوعه ومادته ومنهجه ــ باللغة العربية .

ومن بحوثه باللغتين ــ العربية والفرنسية ــ : (مبادىء القانون الدولى العام في الاسلام) و (الربا في نظر القانون الاسلامى) و (الأزهر ــ الجامعة القديمة الحديثة) .

ــ ثم استجاب المؤلف لما كان يتلقاه من ابنائه الطلبة ، وزملائه الاساتذة من رسائل لمتابعة بحوثه في القرآن ، التى ابتدأ بها ، ولم يتيسر له اتمامها وطبعها ، لظروف خاصة في حينها أحاطت بالمؤلف الى أن أذن الله بالعون فانجز ما ابتدأ به وأصدرها تحت عنوان : (النبأ العظيم) ، وأخذ هذا الكتاب أهبته للخروج من نطاق الثقافة الجامعية الى فضاء الثقافة العالمية كي يتحدث الى كل ذى عقل واع ناقد والى كل ذى قلب بصير .

ــ ومن مؤلفاته : (نظرات في الاسلام) وغيره .. الى جانب الجم الغفير من مقالاته الممتعة ، الغنية بالأفكار الواسعة ، التى كان يحدبها المجلات العلمية والادبية ومحاضراته التى كان يطالع بها المسلمين من محطة الاذاعة فترطب القلوب ، وتنير الطريق الى الحق والخير .

ــ ومما عرف عن المؤلف رحمة الله عليه أنه كان يقرأ كل يوم سدس القرآن ، وما ترك هذه العادة اذا اختلى بنفسه الا مصليا أو قارئا للقرآن .

ــ استمر فضيلته في نشاطاته المختلفة عاملا وباهتماماته في معالجة الشئون الاسلامية منصرفا حتى وافاه الاجل المحتوم ، ملبيا دعوة ربه ، ليأنس بجواره ورضوانه عشية يوم الاثنين الواقع في : السادس عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ الموافق السادس من شهر يناير سنة ١٩٥٨ م ، عندما كان في لاهور بباكستان ممثلا لمصر ، في مؤتمر الثقافة الاسلامية فتناقلت وكالات الأنباء نبأ وفاته واذاعته محطة الاذاعة ، فبكاه الأزهر ، وافتقد العالم الاسلامي عالما عاملا مجاهدا جليلا ، وخسرته الجامعة محاضرا عظيما ، ومؤلفا فائقا ، ونابها كبيرا ، وخسره العلم والأدب مؤلفا وكاتبا فذا عليما ، وخسرته الاذاعة محدثا لبقا بليغا .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وجعل الجنة مثواه ..

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأفاضل الأمجاد .

رسالته ..

الف الدكتور دراز هذه الرسالة في أوائل الأربعينياتوالحرب العالمية الثانية علىأشدها ونيرانها قد اشتعلت في أوربا بعد أن منيت فرنسا بالهزيمة واستيقظ حلفاؤها لوقف طغيان النازية .

وقد استغرق تأليف هذه الرسالة نحو ست سنوات تقريبا .

وقد اشتملت هذه الرسالةعلى أفكار رئيسية

هدفها الرئيسي هو الطابع العام للأخلاق التى تستمد من كتاب الله الحكيم وذلك من الناحيتين النظرية والعلمية .

يقول الأستاذ الدكتور السيد محمد بدوى أستاذ علم الاجتماع بجامعة الاسكندرية أما عن البحث فى الأسس النظرية التى تقوم عليها المبادىء الأخلاقية فى القرآن الكريم ، فإن المؤلف يعبر لنا دون مواربة عن شعوره بأنه كان يضع قدميه لأول مرة على أرض لم تطأها قدم من قبل . لكن وعورة المسالك التى عزم — بمشيئة الله — على الخوض فيها لم تضعف من عزيمته بل كانت حافزا له على تحدى الصعاب فى سبيل خدمة دين الله الحنيف .

وهو لاينكر عددا من فقهاء المسلمين قد بحثوا فى مقاييس الخير والشر وأن عددا من رجال الشرع قد تكلموا فى شروط المسئولية ، وأن بعض الأخلاقيين قد ناقشوا جدوى (الجهد الانسانى) وضرورة (النية الطيبة) غير أن هذه الجهود التى لاينكر أحد قيمتها ظلت مبعثرة فى بطون الكتب التى لم تقتصر على معالجة الأخلاق بل غلبت عليها آراء أخرى فى الفقه والشريعة وعلوم الدين واللغة . كما أن النظرية التى أراد هؤلاء المفكرون أن يبرزوها كانت تعتمد الى حد كبير على الرأى الشخصى أو كانت تعبر عن اتجاه المدرسة الفكرية التى ينتمى اليها صاحب النظرية ولم تكن الاستعانة بالآيات القرآنية الا من الاستشهاد بها فى تأييد هذا المبدأ أو ذاك .

أما مؤلفنا فقد وضع نفسه منذ اللحظة الأولى على أرض الأخلاق وأخذ يعالج المسائل الأخلاقية الواحدة بعد الأخرى بحسب المفاهيم والمعايير التى تعالج عند علماء الأخلاق المحدثين ومن ناحية أخرى نجده يعنى بمناقشة الحلول التى جاء بها بعض المفكرين فى الشرق أو الغرب متخذا من آرائهم ومبادئهم وسيلة للمقارنة وهو — أثناء ذلك كله — يجعل من القرآن نقطة ارتكاز ويعتمد فى استخلاصه للاجابة الشافية على المسائل المطروحة اعتمادا مباشرا على النصوص القرآنية .

وعن الأخلاق العملية يقول الدكتور بدوى:

وأما فيما يتعلق بالقسم الثانى من الكتاب وهو الخاص بالأخلاق العملية فقد اختار المؤلف طريقة للعرض تختلف عن طريقة الغزالى ومن حذا حذوه من المصنفين لآيات القرآن الكريم . فبدلا من أن يجمع جميع الآيات التى لها صلة بالسلوك الانسانى اكتفى بذكر عدد من الآيات التى تشرح بوضوح كل قاعدة من قواعد السلوك وتحاشى التكرار الأبجدى للمبادىء الاخلاقية ... فجمع النصوص القرآنية كل طائفة فى فصل خاص بحسب نوع العلاقات التى تنظمها كل قاعدة من قواعد الأخلاق .

ويستطرد الدكتور بدوى فيقول عن الرسالة : « دستور الأخلاق فى القرآن » :

رسالة ضمير صادق الايمان ، عميق الادراك لمشكلات عالمية ، وبخاصة العروبة والاسلام سديد النظرة الى ماجاء فى القرآن من اشارات عميقة دقيقة الحكم فى كل ما قدم من مناقشات تفسيرية أو مقارنات فلسفية .

وما أحسب المؤلف — رضوان الله عليه — الا راضيا تمام الرضا فى برزخه ، وهو يشرف من الملأ الأعلى ليرى كلمته تتحرك من جديد بلغة القرآن لتسهم فى صنع الحياة وبناء الانسان المسلم الذى لا يجد قدرة الا فى مجالات الصراع وميادين القتال ضد أعداء الله وأعداء الأخلاق القرآنية .

شئون أزهرية

حول تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر

السؤال الذى أود أن أتناوله فى هذا المقال هو : هل حقق ادخال اللغات الأجنبية ضمن مناهج الدراسة بكليات جامعة الأزهر وبالمعاهد الأزهرية الغرض المأمول منه ؟ وللاجابة على هذا السؤال ينبغى أولا استعراض الأهداف التى من أجلها أدخلت هذه اللغات الأجنبية ، وأيضا استعراض موجز لتاريخ الدعوة لادخال هذه اللغات ، ثم ادخالها الفعلى ضمن مناهج الدراسة بالأزهر .

ولنبدأ بتاريخ الدعوة الى تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر ، وهى ترجع الى عام ١٣٢٢ من الهجرة (عام ١٩٠٤ من الميلاد) حينما نادى فضيلة شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى بتدريس اللغات الأجنبية فى الأزهر وذلك فى كتابه « العلم والعلماء ونظام التعليم » ، والذى رأى فيه أن يضاف الى العلوم التى تدرس بالأزهر كثير من العلوم الحديثة وتاريخ الملل والمذاهب والآراء **واللغات الأجنبية(١)** .

وفى عام ١٣٤٢ هـ (حوالى ١٩٢٤ م) قام الشيخ عبد المتعال الصعيدى بنشر كتاب بعد الانتهاء من تأليفه بخمس سنوات بعنوان : « نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف » وفيه يدعو — ضمن ما يدعو — الى تعليم اللغات الأجنبية بالأزهر ، والى ارسال بعثات أزهرية الى أوروبا(٢) .

وفى سنة ١٩٢٨ دعا فضيلة شيخ الأزهر الأسبق محمد مصطفى المراغى الى دراسة تاريخ وفقه اللغات ، وليس اللغات من حيث هى لغات ، غير أنه ذكر أن الشعوب الاسلامية سوف تطلب من بين خريجى الأزهر علماء ومدرسين وقضاة خاصة اذا ما تمت لهم دراسة لغات معينة(٣) .

وبالرغم من أن الدعوة الى تدريس اللغات

---

١ — فضيلة الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى · العلم والعلماء ونظام التعليم · طنطا : ١٩٠٤ ·

٢ — فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدى تاريخ الاصلاح فى الأزهر · القاهرة : مطبعة — الاعتماد · ١٩٤٣ الطبعة الثانية ١٩٥١ · صفحة ٢١٠ ·

فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدى — تاريخ الاصلاح · ص ٢١٠ و ص ٢١١ نص مقال نشر فى جريدة البلاغ بتاريخ ١٦/٣/١٩٣٠ ·

٣ — مذكرة فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر الأسبق المقدمة الى الملك فؤاد ورئيس الوزراء فى عام ١٩٢٨ والمنشورة بجريدة الأهرام فى ٥ ، ١٧ أغسطس ١٩٢٨ ·

للأستاذ محمد شفيق الخطيب

الأجنبية بالأزهر ترجع ــ كما يتضح مما سبق ــ الى عام ١٩٠٤ م ، الا أن الدراسة الفعلية لهذه اللغات قد بدأت بصورة جزئية عام ١٩٣٠ عندما أصبح لزاما على طلاب الدراسات العليا فى كلية أصول الدين (قسم تخصص المهنة ، ومدته عامان) أن يختاروا بين دراسة لغة أجنبية ، شرقية أو غربية ، وذلك ضمن برامج الدراسة للحصول على « العالمية مع اجازة الدعوة والارشاد » من تخصص الوعظ .

ولما تم تعديل مناهج الدراسة فى الأزهر بمقتضى القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ الذى ظل معمولا به حتى صدور قانون التطوير عام ١٩٦١ ، تم ادخال اللغات الأجنبية فى جميع سنى الدراسة الست (التى تضم الأقسام العالية ومدتها أربع سنوات ، وأقسام الاجازات العالية ومدتها سنتان) فى كليات الأزهر الثلاث فى ذلك الوقت (أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية) ، فأصبحت دراسة اللغة الانجليزية أو الفرنسية ــ باعتبارهما أوسع اللغات الأوروبية انتشارا فى كثير من الدول الاسلامية ــ اجبارية بالنسبة للطلاب فى كلية أصول الدين ، واختيارية فى كليتى الشريعة واللغة العربية ، كما كان الطلاب فى كلية أصول الدين مطالبين أيضا بدراسة احدى اللغات الشرقية فى السنتين الأخيرتين من دراستهم بقسم اجازة الدعوة والارشاد ، وذلك بصفة اجبارية أيضا

هذا بالنسبة للأقسام العالية ومدتها أربع سنوات .

أما بالنسبة لأقسام الاجازات لاعداد الطلاب للحصول على شهادة العالمية مع الاجازة (وعددها ثلاثة أقسام) ، فقد كان يمكن للطلاب فى قسم اجازة التدريس التابع لكلية اللغة العربية ، وفى قسم اجازة القضاء الشرعى التابع لكلية الشريعة ، الاستمرار فى دراسة اللغة الأجنبية التى قاموا بدراستها فى القسم العالى اذا أرادوا هم ذلك ، أما فى قسم اجازة الدعوة والارشاد التابع لكلية أصول الدين ، فكان على الطلاب دراسة اللغة الأجنبية بصفة اجبارية الى جانب دراستهم لاحدى اللغات الشرقية بصفة اجبارية أيضا(٤) .

وبمقتضى نفس القانون (٢٦ لسنة ١٩٣٦) أصبح الطلاب فى قسمين من أقسام التخصص فى المادة للاعداد للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ (ومدتها خمس سنوات) يدرسون مبادىء اللغتين العبرية والسريانية، وهذان القسمان هما قسم التخصص فى النحو والصرف وقسم التخصص فى البلاغة .

هذا بالنسبة لجامعة الأزهر ، أما بالنسبة للمعاهد الأزهرية ، فقد بدأ تدريس اللغات

---

٤ ــ محمد خليل حسنين (بك) . التمهيد فى الأزهر . القاهرة : مطبعة المعارف . ١٩٤٠ . صفحات ٨ ــ ١١ ، الأزهر فى ١٢ عاما . للجنة من العلماء . الدار القومية للطباعة والنشر . صفحة ٩٢ ، الصعيدى . تاريخ الاصلاح فى الأزهر . صفحة ١٢٥ .

حول تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر

الأوروبية بها يوم السبت ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ (الموافق ٢٥ من اكتوبر سنة ١٩٥٨ م) عندما تقرر أن يدرس الطلاب في ذلك العام اللغة الانجليزية بالسنة الأولى الثانوية بجميع المعاهد ، كما أجاز القرار الصادر في هذا الشأن تدريس اللغات الفرنسية والألمانية والروسية في معهد القاهرة ، واللغة الفرنسية في معهد الاسكندرية(٥) .

ثم كان انشاء معهد اللغات والترجمة كأحد أقسام كلية اللغة العربية بمقتضى القرار الوزارى رقم ١٢ لسنة ١٩٦٥ ، ثم تحول هذا المعهد الى كلية قائمة بذاتها عام ١٩٧٦ تتويجا لادخال اللغات الأجنبية،ومن بين اختصاصات المعهد (الكلية حاليا) كما جاء بقرار انشائه الاشراف على تدريس اللغات الأجنبية (الأوروبية والشرقية) لطلاب « الاجازة العالية » بكليات الجامعة .

ولننتقل الآن الى أهداف تدريس اللغات الأجنبية كما تستشف من بعض الكتابات التى تناولت هذا الموضوع ، بما فيها القوانين التى فرضت تدريس هذه اللغات . فعلى سبيل المثال فان حسنين (بك) يقول ان « الجامعة الأزهرية ترمى من دراسة اللغات الأجنبية الى غرضين :

أولهما : سد حاجة الأقطار الاسلامية الخارجية الى وعاظ ومرشدين استجابة لطلباتهم المتلاحقة ... (بغرض) تعريفهم الى فرائض دينهم وتعاليمه وأغراضه والوسائل المؤدية بهم الى تأدية عباداتهم تأدية لا عوج فيها ولا التواء .

أما ثانى هذين الغرضين : فهو استخدام اللغة كوسيلة لتوسيع الآفاق الثقافية للطلاب وتشجيعهم على تبادل الآراء التى تتزاحم فى شتى البيئات المستنيرة فى هذا الوجود(٨) .

أما فى بعض الأحيان فان هدف تدريس اللغات الأجنبية يبدو أنه يشوبه شىء من التناقض ، فنجد أن حسنين (بك) يؤكد أنه « لابد من توضيح حقيقة لا تخفى على اى أزهرى . وهى أن مهمة الوعاظ والمرشدين المبعوثين » من الأزهر الى أى موطن اسلامى ليست هى الدعاوة بين غير المسلمين لاعتناق الدين الاسلامى(٩) » .

وهذا الرأى لا يمكن التغاضى عنه أو المرور به مر الكرام ، اذ أنه صادر عن الرجل الذى عهد اليه بمسئولية الآداب والعلوم فى الأزهركبيرا لمفتشيها ، وواحد ممن لهم بعض الفضل فى ادخال اللغات الأوروبية الى الأزهر وهذا الرأى يتعارض تعارضا صريحا — مثلا — مع قول شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت من أن « رسالة الأزهر هى **الدعوة للاسلام** ونشر الثقافة الاسلامية بين **مختلف شعوب**

---

٥ — قرار بتنفيذ دراسة اللغات الاجنبية بالأزهر مجلة الأزهر . ملحق مجلد ٣٠ جزء ٣ . سبتمبر ١٩٥٨ .

٧ — جامعة الأزهر فى ظل التطور الجديد . القاهرة : العلاقات العامة بالأزهر . ١٩٦٦ — ١٩٦٧ . صفحة ٥٠ .

٨ — التجديد فى الأزهر . صفحة ٢٨ .

٩ — نفس المرجع . صفحة ٢٨ .

العالم(١٠) » . والتعارض منشؤه أن الانسان لا تدعو للاسلام من هداهم الله الى الاسلام بالعقل ، كما أن « مختلف شعوب العالم » لا تختص الشعوب الاسلامية دون غيرها .

أما قرار تأليف لجان للنظر فى ادخال اللغات الأوروبية فى المعاهد الأزهرية فانه يشير الى أن « الأزهر جامعة المسلمين الكبرى التى تحمل رسالة الثقافة الاسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها من يعرف منهم اللغة العربية ومن لا يعرفها » . كما يشير أيضا الى أن « الأزهر بوضعه الحالى ــ نظرا لعدم توافر العلماء الذين يعرفون اللغات من أبنائه ــ غير قادر على تأدية رسالته على الوجه الأكمل(١١)» . فى هذه الدول الاسلامية .

وفى معرض الحديث عن بعض مآثر قانون التطوير لعام ١٩٦١ يقول الدكتور أحمد محمد عوف « وهذا التطوير أعطى لكليات الأزهر فرصة دراسة اللغات الأجنبية حتى لا تكون معرفة خريجى الأزهر قاصرة على (لغة العرب) دون غيرها من اللغات التى يجب أن تستوعب ليشق الخريج طريقه لتثقيف نفسه والارتفاع بمستواه العلمى ، ويكون قادرا على التعرف على الثقافات الأجنبية العالية(١٢) » .

أما قانون ١٠٣/١٩٦١ نفسه فانه ينص فى مادته الثانية على أن الأزهر هو الهيئة التى « تحمل أمانة الرسالة الاسلامية الى كل الشعوب » ، وفى المادة الثالثة والثلاثين على أن رسالة جامعة الأزهر هى أن « تؤدى رسالة الاسلام الى الناس » . ولا يخفى على أحد هنا أن « كل الشعوب » تشمل الشعوب الاسلامية وغير الاسلامية ، كما أن «الناس» يضمون المسلم وغير المسلم بل ومن لا دين له وتمضى نفس المادة (٣٣) فتقول ان هذه الرسالة التى تتحملها جامعة الأزهر هى تمكين « عالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فى داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها » .وأنت تدعو الى سبيل الله غير المسلم كما تدعو اليه المسلم ، بل ان دعوة غير المسلم قد تكون أوجب .

ولست أريد هنا أن أتطرق الى هذا الأمر الذى يتعلق برسالة الأزهر عامة وبالهدف من تدريس اللغات الأجنبية به خاصة ، الا بالقدر الذى تمليه حقيقة واضحة وهى أنه لكى نتبع المنهج الموصل الى الهدف ، فلابد أولا من أن نحدد هذا الهدف وبكل وضوح قبل أن نشرع فى اتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيقه . أى أنه لابد أولا من الاجابة على هذا السؤال هل هدف تعلم اللغات هدف ذاتى أى لتثقيف المتعلم نفسه كما يرى عوف ؟ أو أنه بهدف التخاطب مع الآخرين ؟ واذا كان الأمر كذلك ؟ فهل هو التخاطب مع المسلمين وحدهم كما يرى حسنين (بك) أو معهم ومع غيرهم كما يستشف من قول فضيلة الشيخ شلتوت ومن نصوص قوانين التطوير ؟

والآن وقد مضى على ادخال اللغات

١٠ ــ كتاب من فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر (الاسبق) الى اصحاب الفضيلة الاساتذة شيوخ المعاهد الدينية بتنفيذ القرار الصادر بتعليم اللغات الاجنبية . مجلة الأزهر سبتمبر ١٩٥٨ .

١١ ــ قرار رقم ١١٥ بتاريخ ١٩٥٨/٩/٢٩ والمنشور بمجلة الأزهر . سبتمبر ١٩٥٨ .

١٢ ــ احمد محمد عوف . الأزهر فى الف عام القاهرة . مجمع البحوث الاسلامية الكتاب الثانى عشر . ابريل ١٩٧٠ . صفحة ١٤٨ .

حول تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر

الأوروبية الى جامعة الأزهر اكثر من نصف قرن من الزمان ، وعلى ادخالها بالمعاهد الأزهرية ما يقرب من ربع قرن ، وعلى انشاء كلية اللغات والترجمة سبعة عشر عاما، فان السؤال الذى يطرح نفسه وبالحاح والذى بدأنا به هذا المقال هو : هل حقق ادخال اللغات الأجنبية ضمن مناهج الدراسة بالأزهر الغرض المأمول منه ؟

والاجابة — على مرارتها ، وانا أنتمى الى جامعة الأزهر ، والى كلية اللغات والترجمة — أقرب ما تكون الى النفى منها الى الايجاب ، وما يجعلها الى النفى أقرب ، وليست الى النفى القاطع أنه — احقاقا الحق — هناك تجربة فريدة ورائدة فى احدى كليات الجامعة وهذه التجربة تختص بها كلية الطب التى حاولت تدريس العلوم الاسلامية باللغة الانجليزية « ليكون الطلاب — فى مستقبلهم — قادرين على حمل رسالة الدين الاسلامى وشرح مبادئه واتجاهاته الانسانية لشعوب آسيا وافريقيا(١٣) » . كما تختلف الصورة من المألوف الى حد ما فى كلية المعاملات والادارة التى تهدف من تدريس اللغات الأجنبية بها الى أن تيسر للطالب الرجوع الى المراجع العلمية ، وأن تمكنه من العمل فى الحقل الخارجى فى آسيا وافريقيا(١٤) . وهو

أمر وان لم يكن يولى الدراسات الاسلامية الاهتمام الذى تستحقه فانه يولى اهتماما بالمادة التى يتخصص فيهما الطالب ، وهذا أضعف الايمان .

واذا كان السؤال الذى يدور حوله هذا المقال هاما ، فان الأهم منه هو محاولة الاجابة عليه بقدر من مواجهة النفس والشجاعة الأدبية ان أردنا اصلاحا ، وأولى هذه الأسباب — فى رأيى — هو المقررات التى يتم تدريسها فى المعاهد الأزهرية وفى كليات جامعة الأزهر ، وثانيها من يتناولون تدريس هذه المقررات .

وأولى هذه الأسباب يرتبط ارتباطا وثيقا بالهدف من تدريس هذه اللغات ، وهل ينصب على تدريس بعض المفاهيم والعلوم الاسلامية باللغة الانجليزية ، أو ينصب على العلم الذى يتخصص فيه الطالب فى كليته باللغة الانجليزية أو ينصب على تزاوج بين الأمرين ؟ وفى حقيقة الأمر فاننى الى المزاوجة أميل ، وذلك — قطعا — دون المساس باللغة العربية التى تنص المادة السابعة والثلاثون من قانون التطوير على أنها هى « لغة التعليم فى جامعة الأزهر ، ما لم يقرر مجلس الجامعة فى أحوال خاصة استعمال لغة أخرى » .

كما ينبغى أيضا الاجابة على هذا السؤال: هل هدفنا من انشاء كلية اللغات والترجمة هو تخريج مدرسين للمعاهد الأزهرية ؟ واذا

---

١٣ — جامعة الأزهر فى ظل التطور الجديد ، صفحة ٦٨ .

١٤ — نفس المرجع ، صفحة ٥٧ .

كانت الاجابة بالايجاب ، فما هو الهدف من بقية الأقسام بالكلية ــ عدا أقسام اللغة الانجليزية والفرنسية والعبرية ــ وهي اللغات التي تدرس بالمعاهد الأزهرية وبجامعة الأزهر ؟ ولا بأس من أن يكون الهدف ــ ولو كمرحلة انتقالية ــ هو تخريج المدرسين للمعاهد ، وان كنت أرى أن كلية التربية بالجامعة أولى بهذا الدور وأقدر على القيام به ، خاصة اذا توسعت في أعداد المقبولين بها، ولو عن طريق تقديم بعض الحوافز للطلاب ، على أن يكون هدفنا النهائي هو أن تصبح كلية اللغات والترجمة كلية للترجمة فقط هدفها تخريج المترجمين الأكفاء من العربية الى جميع اللغات التي لها أقسام بالكلية ، وبالعكس ، ونحن في مسيس الحاجة الى هؤلاء المترجمين المسلمين الأكفاء حتى لا نرى المترجمين من غير المسلمين وقد احتلوا مكان الصدارة في مؤتمراتنا الاسلامية ، وكأن معين المسلمين قد نضب ! ولقد كانت هناك بعض الجهود التي قام بها عميد الكلية الأسبق (المعهد حينذاك) الدكتور محمد محمود غالي للاهتمام بالترجمة الاسلامية ، غير أن جهوده أو محاولاته انتهت الى انشاء شعبة للترجمة الفورية تحولت فيما بعد الى قسم قائم بذاته عندما تحول المعهد الى كلية ، ثم تحول القسم أخيرا الى شعبة تابعة لقسم اللغة الانجليزية؛ ولم تؤت جهوده المشكورة ثمارها كما كان يتمناها وكما كنا نتمناها .

وليكن الهدف من تدريس اللغات الأجنبية هو أن يتمكن خريج جامعة الأزهر من أن يتناول تخصصه وأن يتناول الاسلام باللغة الأجنبية التي قام بدراستها ، والا فلا فرق بين خريجي جامعة الأزهر وغيرهم من خريجي الكليات المناظرة بالجامعات الأخرى فيما يتعلق بهدف تدريس اللغات الأجنبية ، كما ينبغي أن نحدد هدف دراسة هذه اللغات ، هل هو مخاطبة المسلمين وحدهم ؟ وهنا لابد من التركيز على العبادات والأركان ، أو مخاطبة غيرهم الى جانبهم ، وهنا لابد من التركيز على العقائد وأوجه الاختلاف والتشابه بين الاسلام وغيره من الأديان ، السماوية منها وغير السماوية ، وأيضا على الرد على الافتراءات والأفكار الخاطئة عن الاسلام وتصحيحها .

ومما لا شك فيه أن تحديد الهدف من تدريس اللغات الأوروبية بالمعاهد الأزهرية أيضا سيترتب عليه ضرورة تغيير ما يدرس بها حاليا ــ وهو نفس المنهج الذي يدرس بمدارس وزارة التربية والتعليم ــ وأذكر هنا بعض ما يؤسف له حين توليت تدريس اللغة الانجليزية في معهدين من معاهد الأزهر الثانوية ــ بل في أكبر معهدين بالقاهرة ، أحدهما للفتيات والآخر للبنين ــ من أن الطلاب لا يعرفون حتى أسماء أركان الاسلام الخمسة باللغة الانجليزية ، بينما هم مطالبون

حول تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر

ـ ضمن ماهم مطالبون به ـ بدراسة رواية لا طائل من دراستها ، بل ولا قدرة لهم عليها، ومما يؤسف له أكثر أن هذا أيضا هو الحال بالنسبة لبعض كليات الجامعة التى تشرف، بتدريس اللغة الانجليزية بها أيضا ومنها كلية أصول الدين وكلية المعاملات والادارة .

ولنضع نصب أعيننا دائما أن الهدف من المعاهد الأزهرية ما كان يوما هو طبع نسخ مكررة من مدارس التربية والتعليم ، ونفس الشيء ينطبق على كليات جامعة الأزهر التى تنص المذكرة الايضاحية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ على أن لها شخصيتها المستقلة حين تقول : « وطبيعى أن هذه الكليات كلها أو بعضها لا يمكن أن تكون صورة مكررة للكليات القائمة الآن فى الأزهر أو فى الجامعات الأخرى ، اذ لابد أن تتحقق لها مع صفتها العامة صفة تلائم الصفة الخاصة بجامعة الأزهر » . فاذا ما سلمنا بهذه الشخصية المستقلة للازهر وكليات جامعته ، فلماذا لا نسلم بدورنا باهمية أن يكون لنا مناهجنا التى تحقق أغراضنا التى ينبغى أولا أن نحددها بكل وضوح .

وهنا قد يقول قائل : أليس قانون تطوير الأزهر لعام ١٩٦١ ينص على أن أحد أغراض المعاهد الأزهرية هو تهيئة الفرصة المتكافئة لخريجى المعاهد الأزهرية الثانوية للدخول فى كليات الجامعات الأخرى فى مصر وسائر الكليات ومعاهد التعليم العالى (المادة ٨٥)، وعلى أن الحاصلين على الشهادة الاعدادية من المعاهد الأزهرية لهم فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم الى المدارس الأخرى التى تجعل الشهادة الاعدادية شرطا للقبول (المادة ٨٨) وبالتالى فان تطابق مناهج الأزهر مع مناهج التربية والتعليم له ما يبرره ؟ والاجابة بالنفى القاطع اذا ما أخذنا فى الاعتبار أن ما يحدث عادة هو العكس حين يلتحق الحاصلون على الشهادة الاعدادية العامة بالمعاهد الثانوية(١) للازهر بأعداد تفوق بكثير أعداد الطلاب الذين يتوجهون للدراسة بمدارس التربية والتعليم الثانوية بعد الحصول على الشهادة الاعدادية الأزهرية علاوة على أن أحدا لم يطالب وزارة التربية والتعليم بتغيير مناهجها ـ لهذا السبب ـ لتتوافق مع مناهج الأزهر ، وذلك بالرغم من أن هذا ـ لو طالب به أحد ـ لكان أقرب الى ما يمليه واقع الأمور .

أما ثانى السببين اللذين سقناهما لعدم تحقيق دراسة اللغات الأجنبية للهدف منها فى الأزهر فهو ـ كما ذكرنا آنفا ـ من يتولون هذا التدريس ، ولست أرمى من وراء قولى هذا الى أن أشكك فى مقدرة هؤلاء الأساتذة

١ ـ المجلة : كاتب المقال بعيد عن الوطن بالولايات المتحدة ، من اجل هذا هو لايعلم ان ادارة المعاهد الازهرية ، منعت حملة الاعدادية من غير الأزهر دخول المعاهد الأزهرية الثانوية ـ منذ ثلاثة اعوام .

الأفاضل ، اذ أن كل ما في الأمر انهم كلفوا بما لا يطيقونه ، ونتذكر قول الله سبحانه وتعالى : « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** » ويرجع تاريخ هذه المشكلة الى تاريخ ادخال اللغات الاوروبية الى المعاهد الأزهرية ، ففي كتاب فضيلة شيخ الأزهر الأسبق شلتوت، — والمشار اليه سابقا — جاء في « البند » الأول :

« تسند دراسة مادة اللغة الانجليزية الى السادة أساتذة المواد الاجتماعية بالمعهد نظير مكافأة عن الحصص التي تزيد عن النصاب المقرر للمدرس » . ولا يخفى على أحد أن بعض هؤلاء الأساتذة قاموا بدراسة اللغة الانجليزية كلغة أجنبية ثانية في التعليم الثانوي ، وربما لم يوالوا دراستها بالجامعة. أما اللغة الفرنسية فقد كانت أفضل حالا فقد أسندت الى « أساتذة هذه اللغة بوزارة التربية والتعليم بطريق الندب » ، وكذلك أيضا كان حال اللغتين الألمانية والروسية — واللتين لم يتم تدريسهما فيما أعلم — فقد أسندتا الى « الأساتذة المتخصصين » .

ولست ادرى ماذا كان الدافع الى اسناد اللغة الانجليزية الى أساتذة المواد الاجتماعية هل هو القصور في اعداد أساتذة هذه اللغة في مدارس التربية والتعليم ؟ والرد يكمن في أن عددهم بالنسبة للغة الفرنسية أقل وأندر، ودعك من المتخصصين في اللغتين الألمانية والروسية ، بل لعل السبب يكمن في أن تدريس اللغة الفرنسية كان قاصرا على معهدى القاهرة والاسكندرية ، بينما كانت الألمانية والروسية قاصرتين على معهد القاهرة . وأيا ما كان السبب فان المشكلة بدأت حين تم اسناد تدريس اللغة الانجليزية الى معلمين لم يتخصصوا فيها .

وقد ازداد الأمر سوءا فيما أعلم فانتقل تدريس اللغة الانجليزية من أساتذة المواد الاجتماعية الى غيرهم من أساتذة العلوم الأخرى وهم ليسوا أفضل حالا من زملائهم أساتذة المواد الاجتماعية ، وفي معهدى القاهرة الثانويين اللذين عملت بهما ربما كانت نسبة الأساتذة المتخصصين أقل من نسبة غير المتخصصين ، والأمر أكثر سوءا في بقية المعاهد وخاصة في الأقاليم ، ولقد كان لخريجى كلية اللغات والترجمة من قسمى اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية بعض الأثر في هذا السبيل ، ولكن أعداد الخريجين مازالت محدودة بالنسبة لعدد المعاهد الأزهرية الاعدادية والثانوية ، ونتيجة لعمل نسبة ليست بالصغيرة منهم خارج مصر فور تخرجهم ، أو داخلها في مجالات أخرى غير التدريس ، ولست أدعى أن كلية اللغات

حول تدريس
اللغات الأجنبية بالأزهر

والترجمة تتحمل وحدها هذه المسئولية ، بل يشاركها في هذا خريجو قسم اللغة الانجليزية بكلية التربية بجامعة الأزهر . والذين يجمعون الى جانب الالمام باللغة طرق التدريس وهى لا غنى عنها اذا أردنا أن نطلب الى القائمين بالتدريس ما يطيقونه .

أما في الجامعة فان المادة ٦٣ من القانون ١٠٣/١٩٦١ تلخص مأساة تدريس اللغات في كليات الجامعة : «للجامعة في حالة الضرورة التجاوز عن شرط الحصول على شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها عند التعيين في وظائف مدرسي اللغات اذا كانت لدى المرشح اجازات علمية أخرى تعتبر كافية بالنسبة الى الوظيفة التى سيعين فيها » ، وكأن هذا البند يقول ان الحصول على الثانوية العامة أو ما يعادلها كاف ليؤهل مدرسي اللغات للتدريس بالجامعة بل ربما كان ترفا يمكن التغاضي عنه ، وهذا أمر لا يحتاج الى تعليق .

والآن يأتى دور السؤال الأخير : وماذا يمكن عمله الآن ازاء هذا الموقف؟ والرد يكمن في ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فلنحدد اولا هدفنا من تدريس اللغات الاجنبية في الازهر وبصفة خاصة اللغتين الانجليزية والفرنسية ، ثم لنضع المناهج التى تحقق هذا الهدف في كليات جامعة الأزهر والمعاهد الازهرية ، وهذا امر يحتاج الى سلطة من بيده الأمر ممثلا في المجلس الأعلى للأزهر ومجلس جامعة الأزهر ومدير عام المعاهد الأزهرية ، كما يحتاج الى المتخصصين من أساتذة اللغتين الانجليزية والفرنسية بكلية اللغات والترجمة ، ومن غيرهم ممن يعنيهم امر الازهر . وليهيىء الله سبحانه وتعالى لنا من أمرنا رشدا ، وليوفقنا الى ما فيه خير الاسلام والمسلمين والأزهر الشريف .

أحمد شفيق الخطيب

**المدرس المساعد بقسم اللغة الانجليزية
كلية اللغات والترجمة ـ جامعة الأزهر
والمبعوث حاليا بالولايات المتحدة الأمريكية**

بسم الله الرحمن الرحيم

حول هذا المقال الى فضيلة

مدير الامتحانات بالأزهر لابداء الرأى فيه

فكتب :

السيد الأستاذ الدكتور رئيس تحرير مجلة الأزهر الشريف :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

وبعد ،،

فايماء الى خطابكم المرسل لى بشأن المقال المقدم لسيادتكم من السيد الأستاذ أحمد شفيق الخطيب ـ بشأن القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م ، الذى استهدف تطوير الأزهر وبشأن المعنى والهدف الذى حققه من ادخال اللغة الأجنبية فى المعاهد الأزهرية

افيد بأن المقال جيد وكاتبه درس المشكلة بعمق ، بل وعايشها ، وربما ساعده فى ذلك أنه كان يعمل بالتدريس فى حقل المعاهد الأزهرية، والذى اود أن أضيفه الى هذا الموضوع أن ضم مناهج وزارة التربية والتعليم الى مناهج الأزهر لم يكن هدفا معنيا بذاته وانما كان الهدف اضافة خبرة وثقافة معينة تعطى الطالب الأزهرى ثقافة جديدة وفهما زائدا عن الحد المقرر له يمكنه من أداء مهمته الأساسية وهى نشر الثقافة الاسلامية فى ربوع الدول التى تحتاج الى هذه النوعية من الثقافات ، لكن للأسف اضيف عبء كبير الى عاتق الطالب الأزهرى فاصبح تائها مثقلا بالكثير من المواد الأمر الذى حال دونه ودون النبوغ والتفوق المرجوين له .

لذلك فاقتراح الكاتب تعديل المنهج فى اللغة الأجنبية من منهج عام الى منهج خاص وطلبه اصطلاحات معينة يعيها الطالب ويفهمها فى العبادات والمعاملات ويعرفها معرفة جيدة فيستطيع بها أن يتحدث عن الاسلام وينشره فى البلاد التى هى فى حاجة الى هذه المعرفة خير الف مرة من معرفة كتاب لا يستطيع صاحبه أن يوصل من خلاله كلمة اسلامية واحدة الى من يحتاج الى تلك الكلمة والى تلك المعرفة .

والله يوفقنا ويهدينا الى سواء السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ....

المدير العام للامتحانات

(احمد عطا سعود)

الشعر

فلسفة الصبر

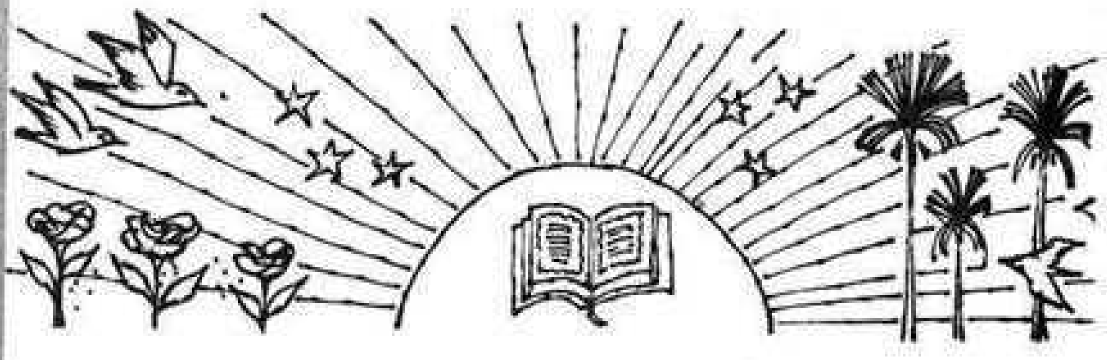
أدب المخلوق مع الخالق

أدب المخلوق مع الخالق

للأستاذ كامل أمين

يا من يثرثر كيف شاء ويزعمون هُرَاءهُ دُرًّا تصاغ وجوهرا
المرءُ يوزن بالكلام وان ابى … وَزَنَتْه فى القول العقولُ تبصرا
قد يملك الانسان كلمته غان … القى بها مَلَكَتْه مهما انكرا
كانت له أَمَةً فاصبح عبدها … هيهات منها بعد ان يتحررا
اهل السماء كلامهم فيها واصحاب الثَّرى كلماتهم تحت الثرى
بعض الحروف نصوغ منها نملة … والبعض منها قد نصوغ غضنفرا
« نون » من القرآن حرف واحد … يَحْوى البيان مُبَيَّنًا ومعبرا
والمؤمن الحق الذى يدعو ويعبد ربه مُتَخَفِّيًا متسترا
وانا ابتلاه قال ربِّ اجْعل بلاءك عن ذنوبى فى الحياة مُكَفِّرًا
هذا هو الصُّوفىُّ حُبٌّ كامِنٌ … فى الروح يخشى ان يُذَاعَ ويظهرا
ادب العبادة عنده فى هَمْسَةٍ … فى سره مِسْكًا يفوحُ وعُنْبَرا
ادب العبادة ان تكون خَفِيَّةً … فى السر لا فى ان تذاع وتنشرا
من راح يظهرها فَتِلْك دعاية … لسلاحه أَوْلَى بها ان تُشْترا
يا من يقول : انا احدث خالقى … اتحاور اللهَ العلِىَّ الاكبرا ؟!
بل كيف رد عليك يا من لم تكن … الا هباء او اقلَّ واصغرا ؟
إعْلَمْ وبعضُ العلم ينفعُ اهله … إن كنتَ ذا علم وكنتَ مُفَكِّرا
ان الحوار يكونُ بَيْنَ اثنينِ قد … يتقاربان إذا حَدِيثُهما جرى
لا بين مُنَزَّهٍ ومحْدُودٍ الى … مَنْ لاَ حُدُودَ له يَرَاهُ ولا يُرى
ما الفرقُ بين مجادِلٍ لله فى … امرٍ ومَنْ معه يجْهَلِ ثَرْثَرا

إلى من تطاول على مقام الألوهية بحواره الكاذب مع الله جل شأنه



إبليس أغراهُ وقال له اشتهِرْ ... وانشُرْ مع الله الحوارَ لتشهرا

الله جل جلاله خلق الورَى ... والكونُ مخلوقٌ وخاب من افترَى

لو كان خالقَهُ استعان بغيره ... لتصارعا في الكون حتى دُمِّرا

هذي القضية كانت اليونان ترويها أساطيرا كأحلام الكرى

فاقرأْ كتابَ الله قبل البدء في ... طرح الحديث لكي تُعطِّلَ ما ترَى

يا من يثرثر بالحوار يظنُّهُ ... فنًّا كفاكَ حماقةً ، وتهوُّرا

ويخال أن هراءه نظريَّةٌ ... عُدْ للحقيقة تائبا مستغفرا

سُبْحَانَكَ اللهمَّ جلَّ علاكَ عَنْ ... متطاولٍ نشرَ الحديثَ المُنْكَرا

فلسفة الصبر

للدكتور حسن جياد

أَقِلَّ من الشكوى فلست بظافر … من الناس الا بالشماتة والعُتب

أتلجا ملهوفا الى غير سامع … وتفزع مجروحًا الى غير ذى قلب ؟

ولست اذا أفضيت بالشكو لامرىء … سوى حمل بث الشكاة الى الذئب

ولما رأيت الناس : لاذو مروءةٍ … يواسى ، ولا مصغ بسمع ولا لُبّ

ولم ألقهم عند التفجع والأسى … سوى شامت جذلان أو خادع خِبّ

كتمت شكاتى فى فؤادى وصنتها … فما جاوَزَتْ صدرى ولا فارقت جنبى

وقلت لمن يرثى لكربى ومحنتى : … رُوَيْدَكَ ، انى ما شكوت من الكرب

ألفت وقوع الخطب حتى عشقته … فلو ملنى خطب سعيت الى خطب

وأتعبت دهرى فى احتمال صروفه … فصار كهاما بعدما فَلَّهُ عضبى

وألفيتُ مرَّ الصبر شهدا بإلْفِهِ … فلم يبق لى فيه ثواب لدى ربى

أؤمل فى سلم الليالى مثوبة … ولا أرتجى منها ثوابا على الحرب

ولم أر كالتسليم لله راحة … تُحَوّل بغض النائبات الى حب

د . حسن جياد



الترجمات الإنجليزية للقرآن الكريم

الإسلام والفكر الغربي

من مزاعم المستشرقين

التـرجمات الانجليزية للقرآن الكريم (٣)

وتحت لافتة التحقيق العلمي التي تعارف المستشرقون على رفعها خرجت في ١٩٣٧ — ١٩٣٩ ترجمة Richard Bell

وفيها يدعى انه طبق على القرآن « طرق النقد العالي » ، وسعى في رد معانيه الى مقاصدها عصر تلاوته الاولى وصحح ترتيب سوره !

وزعم المعرفون به أنه اعاد سبك الكتاب !

ولم تتيسر لنا نسخة منها حتى نبسط فيها رأيا .

الا انها لم تنتزع من ترجمة Sale (١٧٣٤) مكانتها . فلقد تواتر عن هذه الاخيرة عند الانجليز أنها التعريف الواضح بذلك « الأثر الاسلامي الكلاسيكي » ، ومازال ميسورا الحصول على نسخ قديمة أو مستعملة من مختلف طبعاتها .

وفي ١٩٥٥ ظهرت ترجمة J. Arberry وكان سبقها في ١٩٥٣ كتابه « القرآن المقدس، تعريف ومختارات » .

«The Holy Koran, an Introduction with Selections».

وفي تصديره لترجمة « تفسير القرآن » «The Koran Interpreted

أورد بعض قضايا طالما رد عليها المسلمون ، متجاهلا هذه الردود ، بما يتململ ازاءه ضمير المسلم ، لما له من ايحاءات مضللة .

فهو يقول عن المصادر الاولى للمصحف الشريف :

« وليس مؤكدا أن كل نصوص القرآن تم تدوينها في حياة النبي ، الذي كان ، كما يقال ، أميا ومجرد قارىء للكلام الذي كان يسمعه من السماء .

« وقد تلقى النبي هذه السور تلقيا مما وراء الطبيعة في احوال أشبه بالغشية .

« والمتواتر أنه بعد وفاة النبي ببضع سنين جمعت الأجزاء المتفرقة من ركام الرقائق والجلود ، وألواح الحجارة وغير الحجارة ، وسعف النخيل وعظام أكتاف الابل وضلوعها ، وصدور الرجال أي الذاكرة الحافظة لأتباع النبي المباشرين .

« ولم يتحدد المصحف المقدس ، المسلم له في الناس ، الا ابان حكم عثمان ، الخليفة الثالث (٦٤٤ — ٦٥٦) بعد أن قامت بتدوينه لجنة يوجهها زيد بن ثابت كاتب النبي .

« فعلى هؤلاء الرجال تقع تبعة الترتيب المتبع لسور المصحف . وهو ترتيب بعيد جدا عن أن يكون ترتيبا زمنيا أو منطقي التساوق .

« ويبدو أن المبدأ المأخوذ به كان التسلسل

سليمان بركات

التنازلى للسور من حيث طولها ، باستثناء الفاتحة فحسب .

« ان المصحف المطبوع فى القرن العشرين هو بعينه المصحف الذى اعتمده عثمان منذ أكثر من ١٣٠٠ سنة ، عدا ماتم فيه بعدها من تنقيط للحروف وضبطها بالشكل ، اذ كانت فى الاصل على شىء من البدائية ، ومن تحويرات خاصة قصد بها توضيح القراءة وتيسير الترتيل » .

وعن حتمية اتباع المسلمين للقران يقول :
لقد تمسك الرأى المحافظ منذ القديم تمسكا شديدا بأن القرآن لا يترجم ، وأنه معجزة بلاغية من التجديف محاولة تقليدها . ومن ثم فواجب على كل مؤمن أن يتعلم فهم معطياته فى أصله العربى .

ويلتمس العون فى هذا الأمر غير الهين من سلسلة من التفاسير ، عظيمة ، وبعضها بالغ الطول ، ما برح المفسرون يخرجونها كل قرن .

ويقول فى مكان آخر متأخر من مقدمته :
ومن المؤكد أن قارىء القرآن ، وبخاصة المضطر الى الاعتماد على ترجمة مهما يكن مبلغها من الدقة ، تحيره وتضنيه العشوائية الظاهرية لكثير من السور.

ويعزى هذا الاضطراب ، الشهير ، غالبا الى الخلط الكشكولى غير المتقن من جانب المدونين الأوائل للقرآن. .

« ولكن اعتقادى هو أن تلك طبيعة القرآن ذاته » .

وترد فى ايجاز غير مخل ، على ما أورد .

فأما أن نصوص القرآن الكريم لم تكن كلها مدونة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فقد كانت الآى جميعا فى حرز مكين من صدور الحافظين الذين كانوا يتلقونها بالتقديس والحرص ، عن النبى — صلى الله عليه وسلم — مباشرة ، وأولا بأول ، ويضعون كل آية حيث أمرهم ، حفظا أو كتابة .

وكانوا يقرأونه عليه ، وكان يجب أن يسمعه من بعضهم فلم يكن للحفظ مكانة متأخرة عن التدوين فى أميين رسولهم أمى .

وأما عن الوحى ونزوله فان التناسب اللازم بين الطبيعة الملكية للمفيض والطبيعة الانسانية للمستفيض لا يتسنى لبشر أن يعرفه . وقد تواتر عند المسلمين الايمان بالوحى ابتداء من الصحابة الذين عاينوا ظاهره ، الى الذين توارثوا هذا الايمان سماعا حتى اليوم .

ولم يقل بالغشية صحابى ولا تابع .

واما أن المصادر الأولى للمصحفكانت ركاما متفرقة من الرقائق والجلود والسعف والعظام ومحفوظاتالحافظين فتلككانت أوعية التدوين والحفظ فى أمة بدوية ، قليل كتابها ، حداد حفاظها .

واما أنه جمع بعد وفاة النبى فلحفظه أمانة للاجيال بعد ان استمر القتل فى حفاظه من الصحابة الأجلاء فى حروب الردة .

وقد جمعوه على تهيب شديد من فعل شىء لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى

الترجمات الانجليزية للقرآن الكريم

تثبت رائع يجعلنا لا نلقى بالا الى ترهات المستشرقين .

وقد اختير زيد بن ثابت على حداثة سنه بالنسبة لغيره لأنه كان واحدا من قليلين جمعوا القرآن ، أى حفظوه كاملا ، على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولأنه كان قد عرضه على النبى ، قبل وفاته ، صلى الله عليه وسلم .

فترتيب السورة فى القرآن توقيفى وليس من ابتداع زيد أو ارتجاله فى شىء . ولا كان زيد بالمبتدع أو المرتجل .

واما أن المصحف كان خلوا من التنقيط والهمزة والمد والشكل ، مجليات القراءة وضوابط التلاوة ، فلاستغناء العرب ، ولقرب عهدهم بالقرآن . وانما ظهرت الحاجة الى كل هذا بعد الفتوحات الاسلامية حين فشا اللحن والتصحيف وخيف على الكتاب والناس .

وأما تمسك الرأى المحافظ بعدم ترجمة القرآن وبتحريم تقليده فلم يكن جمودا أو تسلطا : فالقرآن عربى عربى ، نزولا وبلاغا تعبدا ، بأمر منزله تبارك وتعالى ، كما يخشى تحريفه .

وأما فهم المؤمنين للقرآن ، فسبحان من يسر القرآن للذكر ، وانه لكتاب مبين .

وما سلسلة التفاسير الا من فيض الرحمن على عباده بعلوم القرآن .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » (٦٩ العنكبوت) .

والحمد لله الذى لم يجعل على قلوبنا أكنة أن نفقهه .

وأما « العشوائية الظاهرية » والخلط الكشكولى » المزعومين بدعوى أن :

فى سور القرآن شمولا وعمومية .

واسم السورة ــ غالبا كلمة وردت بها ، وليس عنوانا على موضوع ، وفى القرآن تكرار بغير مبرر ، واستطراد يشتت الذهن ، وانتقالاته بغير تمهيد .

وفيه ما يناقض بعضه بعضا :

فقولنا هو : اكتنسوا قلوبكم أولا من حزازاتها المسبقة وانكبوا بعدها على علوم هذا الدين ، بالجد والانصاف والقابلية الواجبة ، فستلقون رشدا وتقدمون علما . والمكتبة الاسلامية غنية ومتاحة لمن شاء أن يستوضح .

ان الغموض ، والقصور ، والنقل ، والخطأ ، والشطط ، وحتى الجنون ، قد ثبتت فى حق أعلام من الشرق والغرب .

ومنهم من غرق فى حمأة العار بدءا بالابتزاز وانتهاء بخيانة قضيته ، ومرورا بما لا يجوز ذكره فى حرم موضوع دينى .

ومع ذلك فما زالت الأجهزة المختصة ــ القومية عندهم والعالمية حولهم تقوم بالحفاظ الدائب على آثار هؤلاء الأعلام وتصطنع الوسائل لتساق قممهم او سبر اغوارهم ، وترحب بالمزيد من مستكشفيهم .

فندع ذلك جانبا ، وننظر فى ترجمة Arberry

وإذا كانت ترجمة عبد الله يوسف على عملين إسلاميين ، فإن Picthall ترجمة Arberry عمل أدبى فى المقام الأول .

فقد كان أستاذ اللغة العربية فى كمبدرج .

كما كان على دراية بالترجمات الانجليزية القديمة للقرآن وله فيها آراء شجعته على الادلاء بدلوه فى هذا المجال .

وكان يعتبر ترجمة Sale أخطاها بالتقدير وأولاها بالافراد .

لكنه عزى ظهور أكثر من ترجمة للقرآن وعلى أكثر من وجه ، الى صعوبة القرآن .

ولم يتعرض بالذكر بالمرة ، فى سلسلة الترجمات التى أوردها ، الى ترجمة عبد الله يوسف على !

يقول Arberry عن ترجمته أنها محاولة لتهذيب ما سبقها من ترجمات ، علها تردد ولو بأوهى صدى ، بلاغة القرآن .

وانه قد بذل جهدا كبيرا فى دراسة الأوزان المعقدة واسعة الثراء التى يكمن فيها — الى جانب الدعوة ذاتها — الروعة الأدبية الكبرى للقرآن .

وينفى عن القرآن أنه شعر أو نثر ، وانما هو نسق فريد منهما ، فيه تأخذ الآيات صفة الطول أو القصر من خواتمها ذات الايقاع .

وأن هذا الايقاع يتنوع تنوعا محسوبا بتوالى الموضوعات المختلفة .

ومن أجل ذلك فقد استحدث المترجم أنماطا ايقاعية وتجميعات متعاقبة والحق بها وحدات الموضوعات فى النصوص العربية .

وكان ترقيمه للآيات خماسيا ، أى يدور على الخمسة ومضاعفاتها ، دون أن يعطى باقى الآيات أرقاما .

كما أنه اعتمد فى هذا الترقيم على مصحف غير الذى اعتمد عليه عبد الله يوسف على أو Picthall .

وقد أثبت بالفعل حسا افتقدته الترجمات القديمة الكالحة .

وتمشيا مع الرأى بتحريم ترجمة القرآن ، واقتناعا باستحالتها فقد أسمى كتابه تفسيرا أو تأويلا (١) .

وعند اختلاف آراء علماء التفسير الذين استعان بهم ، كان يعطى نفسه حرية الاختيار بين البدائل .

وحرص على أن تخلو لغته من التكلف ، كما تجنب أسلوب الكتاب المقدس The Bible

الا أنه استخدم الضمير thou مقابلا للمخاطب المفرد .

ومن أجل سلاسة الاسترسال خلا كتابه من التعليقات والرقع التفسيرية والحواشى والترتيلات .

وبخلاف المقدمة التى أوجزنا أهم ما فيها خلا كتابه عن أى تعريف بمعلومات أو أى شروح .

وفى ختام هذا التصدير قال انه لم يأخذ هذا العمل هونا ، وانما اخترق به مصابه بأزمة مكربة حتى أنجزه ، فكان مجلبة لراحة وتأييد يدينانه بالامتنان له وبالوفاء لصاحب الوحى ، على الدوام .

(١) ومع ذلك فيمكن أن تعنى تلك التسمية ترجمة أيضا .

الترجمات الانجليزية للقـرآن الكـريـم

وفى رأينا أن كلا من عبد الله يوسف علـى ويكتول وآربرى قد أبلى فى ترجمته بلاء بالغ الهمة ، وكان له من التأييد والالمام عـدة أى عدة .

وتكاد تنحصر الفـروق بين ترجمـاتهم فى أذواقهم الشخصية من حيث المنهج والاختيار بين البدائل الفكرية أو التعبيرية .

بل ان المرء ليظن أن كلا منهم قد ينظر فى ترجمة أخيه فوافقه هنا أو خالفه هنـاك .

ولقد كبلتهم جميعا ذات القيود ، وأتعبتهم ، والجأتهم الى اختيار الحلول ، ولكن الطريف أن أخطاء بعينها وقع فيها ثلاثتهم .

ونقتصر الآن على مثال واحد لهذه الأخطاء، حتى نأخذ فى تحليل الترجمات ان شاء الله فى أعداد قادمة .

فقد أغفلوا أن الجزء من الآية ٣١ (الرعد) « وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ » معطوف على قـول الكفار فى الجزء من الآية ٢٧ « وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ » . ولو أنهم بينوه لزال لبس تضيق به صدور كثيرة .

وانما استمدت ترجمة آربرى مكانتها من تمكن آربرى الأدبى وابتعـاده عن التكلف والاغراب ـ بمـا فى ذلك الرقـع التكميليـة ـ الأكاديمية باللغة العربية ومن ثباته فى أغلب الأحيان على استعمال نفس المرادف الانجليزى اذا تكرر اللفظ العربى .

ومع ذلك فقد وقعنا على هنات قليلة عنده . منها ما هو سهو لم يجـد من يتـداركه ، كقوله « لعلك ترضى

«haply thou wilt be well-pleasing»

يريد قوله تعالى « لعلك ترضى » فى الآية ١٣٠ من سورة طـه ، وجمعـه لاسـم سورة « المؤمن » مما ترتب عليـه أن ظهـر اسـم « المـؤمنون » فى ترجمتـه على رأس السورتين ٢٣ و ٤٠ .

ومنها ما نجم عن خلط فى الصرف كترجمته « يتلقى » الى يتلاقى فى قولـه تعالى « إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ » (١٧ ق) .

فجعلها .meet together .

كما ترجم « السكينة » فى جميع مواقعها من الكتاب «Shechina» ، وواضح أنها كلمة عبرية توراتية biblical ؟؟ .

وترجم الآية الثانية من سـورة التغابن والتى نصها « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » الى ما معناه « هو الذى خلقكم ففيكم واحد كافر وفيكم واحد مؤمن والله يرى ماتفعلون » .

وذلك كله على سبيل المثال لا الحصر .

«It is He who created you. One of you is an unbeliever, and one of you a believer, and God sees the things you do.

ولقد جرى على وضع نقطة تحت الحروف الانجليـزية dh, t, d, s تعبيـراً عن الحـروف العربيـة ص ، ض ، ط ، ظ عـلى التوالى .

كما جرى على وضع شرطة قصـيرة أفقية

فوق الحرف المتحرك الانجليزى للتنبيه على تمثيله لحرف العلة العربى المناظر له وليس مجرد حركة الضبط بالشكل (الفتحة والضمة والكسرة) .

ولكن Arberry تجاهل هذا العرف فى كتابه الخالى عن أى تنبيه ، مما ترتب عليه أن صارت سورة « ص » عنده Sad ومعناها حزين أو محزن وصار حرف « س » فى فواتح السور Sin أى الاثم أو الخطيئة ، وكان حريا به أن يجعلها Sad و Sin .

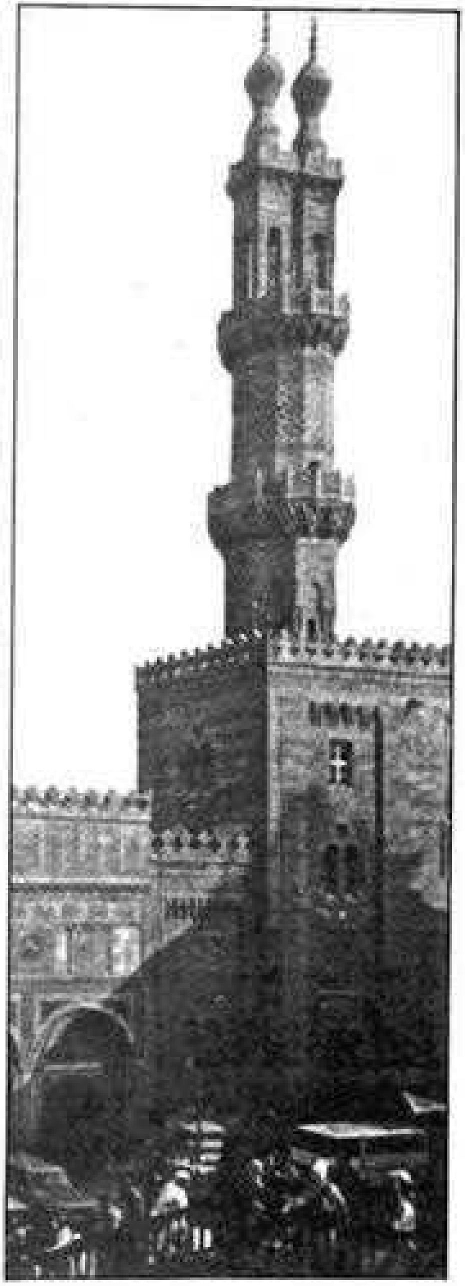
وحتى لو كان العرب قديما يطلقون اسم الروم على قوميات أوربية مختلفة فما كان للمترجم أن يعرض القرآن الكريم لشبهة الجهل ، حين أطلق اسم الاغريق The Greeks على سورة الروم ، وما نزلت تلك الآيات منها الا فى الروم وحرب الروم مع الفرس .

كذلك ترجم Arberry اسم الله الى God وقد أشرنا فى مقال سابق الى تفضيل لفظ الجلالة Allah .

ويذكرنا ذلك بترجمة Arberry للبسملة . فقد خالف المترجمين المحدثين جميعا فى موضع Merciful. فكلهم وضعوها مرادفا للرحيم ووضعها هو مرادفا للرحمن .

ونود أن نؤكد هنا ان ترجمات البسملة بالانجليزية وغيرها لا يمكنها مطلقا ان تعطى معناها العربى . فلن تخرج عن مثل : « بسم الله المحسن الرحيم » ، «بسم الله الرحيم العطوف» وما الى ذلك .

سليمان محمد بركات



ومن مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامي

"ليون جوتييه"

ليون جوتييه : Leon Goutier

يتفق جوتييه هذا مع من قال بالسامية والآرية وخصائص كل منهما .

ويتفق مع من أنكر الابداع الفكرى عند المسلمين . ويشترك مع غيره من المستشرقين فى التحامل على الاسلام .

ولكن جوتييه - وهو بسبيل التعليل لما يقرره فى هذا الصدد - ينحو نحوا فيرجع الاجداب المزعوم فى العقلية الاسلامية . الى أسباب بيئية جغرافية هذه الأسباب هى التى جعلت العقلية السامية عقلية مجدبة غير مبتكرة بل ومتبلدة الاحساس .

فلقد توجه جوتييه الى الصحراء فوجدها - كما يزعم - قد طبعت عقلية الساميين بهذا الطابع الذى أدى بهذه العقلية الى الموقف المفرق غير المجمع .

وقد تأمل جوتييه الصحراء العربية فوجدها متقلبة متغيرة متنقلة من حال الى حال . فمن شتاء قاس فى برودته . الى صيف حار جدا . ومن رياح السموم الى خطر الموت غرقا فى الصحراء بفعل السيول . وصيحة الأعرابى المنذرة بالخطر « جاء الوادى » ولندع جوتييه نفسه يسوق أحكامه فى هذا الصدد مصحوبة بمبرراتها عنده .

يقول جوتييه . بعد أن يقرر أن الجنس السامى يتمثل فى العرب فى كتابه المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية ص ٦٠ - ٦١ :

تمتاز الصحراء - كما نعرف - بحرارتها الشديدة وبما يحدث فيها من تقلبات مفاجئة وعنيفة أحيانا . ففى الهضاب يعقب الصيف القاسى فى حرارته الشتاء الشديد فى برودته بل قد يجىء فى فصل واحد ليل قر ثلجى بعد نهار قائظ .

فعند شروق الشمس كما عند غروبها تحدث فى خلال دقائق معدودات تقلبات جوية يبلغ من عنفها أن تتحول الصحراء الى فتات ومن ثم يتكون الحصى الذى تسفيه الرياح ويتحول الى تلال من الرمال ... ويحدث أن تمر سنوات لا مطر فيها .ثم تظهر نقطة سوداء فى السماء الصافية الزرقاء وبعد دقائق تتحول الى غيوم حالكة وتمتد الى الجزء الأكبر من السماء فعندئذ تأخذ الأمطار الشديدة فى الانهمار . وفى مهابط الوديان تسقط السيول فجأة فى موجات قوية تأتى على كل ما يقف فى طريقها حتى لتحمل معها الخيام المنصوبة وتفرق الجمال والجمالين وأخيرا تنقلب

للدكتور محمود عبد المعطى بركات

المنخفضات القاحلة الى مستنقعات وفى خلال عدة أيام تنمو الحشائش والنباتات نموا سريعا فى هذا الجو الرطب الذى لن يستمر طويلا فتتمو الخضرة فى الأرض التاسعة القاحلة وتظهر فيها الأزهار والحبوب الا أن أشعة الشمس لا تلبث أن تعود فتشتد فتهب السموم ويجف ما كان رطبا فتعود الصحراء قاحلة « المصدر السابق » .

هذا الوصف التفصيلى للظواهر الجغرافية الصحراوية العربية هو حيثيات حكم جوتييه على العقلية العربية وهذا الحكم عبر عنه جوتييه فى كتابه المذكور بقوله :

« فالجنس الذى تكون هذه البيئة مهده يكون جنسا هادئا وبليد الاحساس عادة وعرضة لأهواء نفسية مفاجئة وشديدة ... عند هذا الجنس تتصل الأطراف أو يمتزج بعضها ببعض أو يخلف بعضها بعضا فجأة وبلا تمهيد ليس عنده أحوال وسطى ولا درجات أو تنوعات فى العاطفة والفكر » .

وبناء على ما تقدم فان الجنس السامى

فى نظر « جوتييه يتميز بتفصيل الطرفين وقرن الاضداد والمتشبهات من باب أولى ــ والانتقال من هذا الى ذلك انتقالا فجائيا أى يثب من الضد الى الضد فجأة وبلا وسائط .. هذا ما كان من جوتييه بالنسبة الى العقلية السامية . وقدراتها . فماذا عن العقلية القسيمة لها فى التصنيف العنصرى . وهى العقلية الآرية . ؟

وبماذا تتميز هذه العقلية فى مقابلة ما تتميز به العقلية السامية ؟ .

ان مميز العقلية الآرية يختلف بالطبع عن ذلك . ومميز العقلية الارية عند جوتييه هو التقريب بين الأضداد ووصلها بعضها ببعض وصلا متناسقا بفضل ما تضعه بينهما من الأطراف الوسطى المختارة بمهارة .

وها هو جوتييه يوازن بينهما فيقول فى كتابه المذكور .

فالعقلية السامية تميل الى قرن الأشياء والأضداد دون ربطها بما يجعل منها وحدة . بل تتركها منفصل بعضها عن بعض . ثم تنتقل من أحدهما الى الآخر دون واسطة بوثبة فجائية .

أما العقلية الآرية فالأمر بالنسبة اليها بالعكس اذ أنها تنزع الى الربط بين هذه وتلك بوسائط متدرجة فلا تنتقل من طرف الى آخر الا بدرجات لا تكاد تكون محسا بها . وتعليل جوتييه لخواص العقلية السامية بما مر ربما يشعر بأن العقلية الآرية تتميز بما يخالف

ومن مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامي

الطابع السابق أو بمبرره فيما يتعلق بالبيئة والظروف الجغرافية ولكن جوتييه لم يعلل حكمه بالنسبة للآريين على هذا النحو بل لم يعلله مطلقا فيما أعلم ، فلم أر عنده مثلا تعليلا لعبقرية الآريين باعتدال الطبيعة مثلا . أما عن العقلية السامية فهناك في رأيه تشابه أو ارتباط بين أجداب الصحراء وأجداب العقل السامي وبين تقلبها وتقلبه . فما يتميز به هذا سبب عما تميزت به تلك . ومن ثم حق على العقلية السامية ان تسمى عقلية مفرقة . وعلى العقلية الآرية أن تسمى عقلية مجمعة . وعلى فرض تعليله لنبوغ عقلية الآريين . وعلى فرض قبول هذا التعليل فان ذلك لا يهمنا لأننا لا ننكر ابداع العقلية الآرية .

وانما الذي نهدف اليه هو الانفكاك بين مقدمات الرجل ونتائجه فيما يتعلق بحكمه على العقلية السامية .

فما عدده من أسباب لا يؤدي الى مسبباته الموهومة .ويصل جوتييه بعد ذلك الى نتيجة خاصة بعمل المسلمين التوفيقي في نظره . وهي ان الاسلام لما كان دينا قويا جدا في ساميته وكانت الفلسفة اليونانية قوية جدا في آريتها كان لزاما على الفلاسفة . أن يوفقوا بين الحكمة والشريعة . بين اليونانية فلسفة الوصل وبين الاسلام دين الفصل .

هذا بعض ما جاء عن جوتييه فيما يتعلق بقضية الفكر الاسلامي . وبالقاء نظرة متأنية على رأي جوتييه في القضية بحيثياته . وأحكامه نجد أن الربط مفقود أو ضعيف جدا بين الأسباب . والنتائج التي يرتبها على هذه الأسباب .

بل انني أرى انه لاتوجد رابطة أصلا بين ما عدده جوتييه من ظواهر البيئة العربية . وبين هذه الخواص المزعومة للعقلية المتوطنة لهذه البيئة عربية أو سامية .

ولا أجد وجها للتلازم بين الحيثيات والأحكام التي رتبها عليها وذلك أن تنوع البيئة

الصحراوية والتقلب في أحوالها من حر الى برد ومن صفاء الى تلبد أو غيوم . ومن رياح أو سكون ليس بالضرورة مؤديا الى ما يزعمه الرجل . وان كان له بعض التأثير على التفكير الا أن هذا التأثير قد يكون ايجابيا جدا ومنشطا لحركة الفكر وذلك لأنه من المعروف أن جو الصحراء عموما معين على صفاء الذهن وتوقد العقل ونقاء القريحة والنشأة المستقيمة . ونحن نعرف أن بعض القبائل الحضرية في الصحراء كان من المألوف لديهم بل من المستحب أن يبعثوا بأولادهم الى البادية للرضاع أو التربية أو هما معا ، من أجل هذا التأثير المذكور كان يفعل الأمراء والعظماء. ونحن نعلم بالاضافة الى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضع في بني سعد بالبادية وكان في شبابه ينزع الى الهدوء فيهرب من ضوضاء المدينة « مكة » على بساطتها جدا الى غار حراء وينقطع للعبادة والتأمل والفكر والتماس الحق . وبناء عليه فان ما ذكره جوتييه هذا كتعليل لخواص العقلية السامية يؤدي الى عكس ما يدعيه

ويثبت نقيض مطلوبه . على أن هذه الاختلافات فى الظواهر الكونية التى ذكرها جوتييه وما يترتب عليها من الليل والنهار والسحب والأمطار والحرارة والبرودة والزرع والنبات والاخضرار والجفاف وما الى ذلك من تطورات . كل ذلك يؤدى – على عكس مايزعم – الى فتح ميدان خصب لعمل الفكر ومسالك للتفكير العقلى وصولا الى أمهات القضايا العقلية والغيبية تقريرا واستدلالا واهتداء .

ان الملاحظة التى قد تعد بسيطة – فى هذا المناخ – قد تسلك بالانسان الطريق الى معرفة أهم جوانب المعرفة بل الى أهم المعارف على الاطلاق وأعنى بها معرفة الله سبحانه وتعالى .

ماذا قال العربى البدوى البسيط : البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا يدل ذلك على العليم الخبير ؟ كان ذلك منه اعمالا للفكر فى بعض مظاهر هذه البيئة المفترى عليها وصولا الى معرفة الخالق سبحانه وتعالى والى معرفة بعض صفاته – العليم الخبير . وهذا الموضوع نفسه أريق فيه كثير من مواد المفكرين وتصارعت فيه أقلام وقصف بعضها بعضا .

ولازالت المعارك دائرة بين المؤمنين والماديين الملحدين الذين لم يستطيعوا أن يتجاوزوا عالم الحس الى عالمما وراء الحس. كما انتقل هذا الأعرابى بل لانغالى اذا قلنا أن هذا الاعرابى – ربيب هذه البيئة المظلومة – قد توصل بفكره البسيط الواعى الذى شكلت هذه البيئة مادته . أقول . توصل الى ماعجز فلاسفة الفكر المادى الملحد عن ادراكه .

هذه الظواهر البيئية اذن تمثل ميدانا فسيحا يسبح فيه العقل كى يصل الى قضايا فكرية فى غاية العمق الفلسفى .

وذلك أن فى خلق السموات والأرض . واختلاف الليل والنهار . وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها . وفى تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض فى كل هذه الظواهر دلائل واضحات وآيات بينات رائعات مقنعات للعقل ودافعات له الى أن يفكر ويبتكر وينتج ويستنتج ويصل الى حلول لقضايا صرعت دونها عقول وعقول وضلت فيها أفهام وأفهام.

ارأيت الى من قصر نظره وعطل فكره فقال : ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر . منكرا للبعث والنشور؟

ترى . كيف تقام عليه الحجة فى هذا الأمر الغيبى المغنى للفكر ؟

وما هى مادة هذه الحجة ؟

ان مادة هذه الحجة هى بعض ما جعله الرجل معوقات للفكر . ولننظر : الأرض ميتة هامدة . جامدة ينزل عليها الماء من السماء فتهتز وتربو وتنبت الأصناف البهيجة من النبات .

الرياح تحمل السحاب وتسيره بأمر الله. ينساق الى بلد ميت فتحيا به الأرض بعد

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى

موتها . كذلك البعث . كذلك النشور .

« وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ » سورة فاطر آية ٩ .

وحينما يقول الكافر المستبعد المتعجب : «اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد » تكون الأجابة عليه بلفت النظر الى ما يعده الرجل معوقات للفكر :

« أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ، وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ، وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ » سوره ق الآيات ٦ – ١١ .

وهكذا تمثل هذه الظواهر والتنوعات مادة يتخذ منها الفكر مجالا خصبا للبحث والاستدلال والاقتناع فى بعض أمهات المسائل والقضايا المشكلة ، ان هذه الظواهر المتقلبة، أو سريعة التقلب – كما يقول جوتييه – مبعث تأملات راقية وبحوث رفيعة فى الالوهية والقضايا الغيبية بل وفى فلسفة الحياة نفسها فتعاقب هذه الظواهر السريع كتعاقب مراحل الحياة ، الماء ينزل من السماء فيختلط به نبات الأرض . ثم لا يلبث أن يصير هشيما تذروه الرياح .

هكذا يجب أن ينظر الى الحياة . وتلك هى فلسفتها .

« وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا » سورة الكهف آية ٤٥

والملفت للنظر هنا أن القرآن الكريم يستخدم هنا فى العطف مايفيد التعقيب دون تراخى – وهو الفاء .

ان الرجل – فى نظرى – لم يوفق فى الهجوم من هذه الزاوية ولذلك فان ضرباته ترتد الى صدره .

ثم الجبال وهى رواسى وثوابت تحفظ توازن الأرض منها جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ... انما يخشى الله من عباده العلماء . وهل تكون الجبال الا فى البيئات الصحراوية .

أرأيت كيف توظف هذه الظواهر كمثيرات لفكر وعمل العقل ؟

وسماء الصحراء الهادئة الصافية ونجومها المتألقة والتى قد لاتلحظ فى الحضر أو المدينة تمثل علامات يهتدى بها ، « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » والاهتداء بالرواسى والنجوم لا يقتصر على هدايات الطريق فى متاهات

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ

صدق الله العظيم

الصحراء، وانما يشمل هداية العقول الى معرفة الخالق فى متاهات الفكر .

فالكواكب تدل على مكوكبها والجبال شاهدة على عظمة مرسيها .

« أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ » .

وكل هذا مما تذخر به البيئة الصحراوية .

وفى وحدة عنصر الماء ووحدة عنصر التربة مع اختلاف مذاق النباتات فى الصحراء وغيرها آيات وآيات .

ولو استطردنا الى كل ما توحى به الصحراء فيما يتعلق باستثارة الفكر لما وسعنا المقام .

ارأيت كيف تؤدى مقدمات جوتييه الى نقيض مقصوده فى النظر الصحيح ؟ ثم .. اذا كان العرب جنسا ساميا فهم بالتأكيد ليسوا كل الساميين فالسامية أوسع دائرة من أهل الجزيرة العربية بمفهومها الجغرافى .

فما بال الرجل يتخذ من الجزيرة العربية وبيئتها بما فيها من خصائص واسطة لحكمه على السامية كلها بهذا الشكل من التعميم ؟

ن ذلك مخالف للمنهجية السليمة مع مافيه من مجافاة للدقة والانصاف !! واذا كان الرجل قد غل صيغة العقلية السامية على النحو المذكور فانه لم يعلل على ذات النحو ما وصف به العقلية الآرية من صفاء والمعية فما هو السبب فى ابداعها ياترى ؟..

أهو اعتدال الأصوال المناخية . واستقرار الظروف البيئية والأحوال الجوية مثلا ؟! وهل خلا موطن الآرية على امتداده الواسع من الصحراء وظواهرها ؟.

نحن نعلم أن الأحوال المناخية فى بعض مناطق الجنس الآرى فى مد وجزر متعاقبين الى درجة كبيرة كبعض مناطق أوربا . فهل يعنى ذلك شيئا بالنسبة الى عقليتهم .

وانه لمن المثير للسخرية والاشفاق معا أن يقول جوتييه : « فمن شتاء قارس الى صيف حار » .

لقد نسى الرجل ان الشتاء لايلى الصيف ولا يعقبه . ولا العكس لأن هناك فصلا كاملا من فصول السنة يفصل بينهما . فالصيف يقع بين كل من الربيع والخريف . والشتاء يقع بين الخريف والربيع ومن ثم ينعدم الانتقال الفجائى من الشتاء الى الصيف أو

ومن مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى

العكس . اللهم الا ان يكون لدى الرجـــل تصنيف آخر لفصول السنة عندنا يتفرد به هو عن علماء الأرض قاطبة .

واذا كان السيل مخيفا الى هذه الدرجـة حتى يصبح الأعرابى منذرا « جاء الوادى » فهل يكون ذلك ، عاملا من عوامل جمود الفكر وتبلد العقل كما يدعيه الرجل ؟ وهل صـيحة الأعرابى هذه تساوى فى هولها شبح الحرب فى عصرنا الحـديث ذرية أو هيدروجينية أو كيماوية أو جرثومية أو حتى عادية ؟

وهل يمكن أن يقال . ان نذير الحـــرب النووية الذى يلوح من وقت لآخر ثم يختفى، قد قعد بالناس فى معسكرى الشرق والغرب عن الفكر أو القدرة عليه ؟.

ان الملاحظ هو عكس ذلك . انه يحفز كلا من الجانبين على التفكير سريعا فى ملاحقة اى تطور فى المعسكر المنافس فهو يشحذ ذهنــه ويعمل فكره حتى يلحق به ان لم يسبقه .

فهل يمكن أن يقال أن هذا الوضع قد طبع عقلية المتنافسين بطابع كالذى يدعيه جوتييه؟

وأخيرا هل يمكن أن يكون هنـــاك ما يمكن أن يعتصم به انسان عصرنا من قمة أو شاهق جبل اذا ماوقع محذور زماننا ؟

ان قول جوتييه فى دعاواه ، ان الاســلام لما كان دينا قويا فى ساميته كقول نظيره رينان ان هذا الجنس السامى طبع ما ابتدعه مـــن أديان بطابع القوة الخ .

أقول : هذا القول وذاك يشـــعران بأن الاسلام دين بشرى وضـــعى أو عنصرى أو قومى . بحكم النسبة فى سامى . وفى ذلـك مافيه من المجافاة للحقيقة فالاسلام دين الهى ثم هو دين عام للبشر جميعـــا الى أن يرث موحيه الأرض ومن عليها وما عليها .

وجوتييه كغيره مع تهافت دعواه كما تبــين لنا لم تخل دعاواه عن التناقض الصريح .

فلقد أورد عنه الشيخ مصطفى عبد الرازق

" أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ .. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ "

رحمه الله حديثا بشأن ظاهرة التوفيق فى فكر المسلمين الفلسفى بين الفلسفة والدين .

أورد عنه قوله :

ان الفلاسفة المسلمين لم يألوا جهـــدا فى القيام بواجبهم فى هذه الناحية وقد ابدوا فى ممارسته « التوفيق بين الدين والفلســفة » على ما فيه من دقة وعناد خصالا منقطعـــة النظير من مهارة ونفاذ وبعد نظر . ورأيهـــم فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال هـــو معقد الطرافة فى هذه الفلســفة اليونانية الاسلامية . تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٢١ .

ومظهر التضارب فى هذا الحديث هو انه قد قرر أن العقلية السامية مجدبة غير منتجـــة كما سبق . واذا كان أمرها كذلك .

فأنى لها بالمهارة والنفاذ وبعد النظر المنقطع النظير فى هذا العمل التوفيقى على ما فيه من دقة وعناء ؟

حقيقة أن هذا التضاد المتهافت من أفكار الرجل المتناقضة المشبعة بالحقد على الاسلام والمسلمين . لاننكره نحن فقط . وانما ينكره كل عاقل منصف لمجافاته للحقيقة العلميـــة والواقـــع .

يقول المستشرق الروسى « بار تولد » فى كتابه تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٣٩ وهو خير ما نختتم به هذا المقال .

« ولايمكن ايضاح تقدم الشعوب المختلفة أو تأخرها بما لها من ميزات جنسية أو مايحيط بها من الطبيعة بل بموقفها الذى احرزته مع شعوبمتباينة فى مختلف عصور تاريخهـــا . ومهما كانت الأقوام الى الجنس الهنـــدى الأوربى متفوقة على غيرها فانها لو عاشـــت عيشة متعزلة عن الأجناس الأخرى .. لظلت متوحشة حتى اليوم » .

وهذا الكلام ظاهر فى عدم اعتبـــار اثر البيئة الطبيعية وبعد .

فهذا بعض ما فى جعبـــة الرجـــل استخرجناه وزيفناه وبينا وجه الصواب فى مقتضاه والله أعلم بالصواب ..

دكتور : محمود عبد المعطى بركات

طرائف

كيف رأيت ؟

قيل لأبى عقيل العراقى :

كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة اليه ؟

قال : رأيت رغبته فى الانعام ، فوق رغبته فى الشكر ، وحاجته الى قضاء حاجات الناس أشد من حاجة صاحب الحاجات ٠

قالوا ..

* من مدحك عند رضائه عنك بما ليس فيك ، ذمك لا محالة عند غضبه عليك بما ليس فيك ٠
* من مكارم الأخلاق : التواضع فى الرفعة ، والتجمل فى القلة ، والاقتصاد فى الثروة ٠
* سخر عقلك لعلمك ، وسخر نفسك لعقلك ٠
* من حدث نفسه بالتوبة من الذنب قبل الوقوع فيه دعاه ذلك الى فعله ٠
* من ترك الحزم للوهم فهو أحمق ، ومن اقام على الشك مع امكان المصير الى اليقين فهو أخرق ٠

« اضاعتان هما أصل كل اضاعة » ٠

اضاعة القلب ، واضاعة الوقت ٠

فاضاعة القلب من ايثار الدنيا على الآخرة ٠

واضاعة الوقت من اتباع الهوى وطول الأمل ٠

هل تعلم ؟

أن أول من خوطب بقاضى القضاة أبو يوسف يعقوب — فى الدولة العباسية — القاضى ، وهو أول من غير لباس العلماء بهذا الزى فى خلافة الرشيد ، وأول من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة وأملى المسائل ونشرها ، وبث علم أبى حنيفة ، وقيل لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة — رضى الله عنهما — ٠

ذم الخمر

كان العباس بن على المنصور يأخذ الكأس بيده ثم يقول لها : اما المال فتبلعين ، واما المروءة فتخلعين ، واما الدين فتفسدين ٠

ذكر أن أهل بلد موصوفين بالشح ، وحدث أن رجلا تصدق برغيف على ضرير فيها ٠

فقال الضرير : أحسن الله غربتك ٠

فقال الرجل : كيف عرفت غربتى ؟ ٠

قال : لأنى منذ ثلاثين سنة ما أعطانى أحد رغيفا صحيحا ٠

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواقف

فرج الله قريب

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت ، وكنت أظنها لا تفرج

أنت كالسماء

حضر رجل بين يدى بعض الملوك فاغلظ له السلطان .

فقال له الرجل : انما أنت كالسماء اذا أرعدت وأبرقت ، فقد قرب خيرها فسكن غضبه وأحسن اليه .

كتمان السر

قال عمرو بن العاص — رضى الله عنه — : اذا أفشيت سرى الى صديقى فأذاعه كان اللوم على لا عليه .

قيل له : وكيف ذلك ؟

قال : لأنى كنت أولى بصيانته منه .

التفكير

قال المنصور ، لابنه المهدى : لا تبرم يابنى امرا حتى تفكر فيه ، فان فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيئاته ، واعلم أن السلطان لا يصلحه الا التقوى ، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه .

دعاء

اللهم ارزقنا حسن التوكل عليك ودوام الاقبال عليك ، واكفنا شر وساوس الشيطان وقنا شر الانس والجان ، واخلع علينا خلع الرضوان وهب لنا حقيقة الايمان . يا رحمن .

نصيحة

قال الحسن البصرى لرجل حضر جنازة : أتراه لو رجع الى الدنيا تعمل صالحا ؟

قال : نعم .

قال : فان لم يكن هو فكن انت !!

من التراث

- الظانين بالله ظن السوء
  عليهم دائرة السوء

- مجلة الأزهر
  من خمسين عامًا

- من نوادر مخطوطات
  مكتبة الأزهر

الظانين بالله ظنّ السَّوْءِ

عليهم دائرة السوء

للإمام الجليل المحدث المفسر الفقيه
شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى
المعروف بـ ابن قيم الجوزية

قال الامام — رضى الله عنه (١) :

« ..... أكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم ، وفيما يفعله بغيرهم .

ولا يسلم عن ذلك الا من عرف الله ، وعرف أسماءه وصفاته ، وعرف موجب حمده وحكمته ، فمن قنط من رحمته ، وأيس من روحه ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن جوز عليه أن يعذب أولياءه مع احسانهم واخلاصهم ، ويسوى بينهم وبين أعدائه ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به أن يترك خلقه سدى ، معطلين عن الأمر والنهى ، ولا يرسل اليهم رسله ، ولا ينزل عليهم كتبه ، بل يتركهم هملا كالأنعام ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب فى دار يجازى المحسن فيها باحسانه ، والمسىء باساءته ، ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله ، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن أنه يضيع عليه عمله الصالح الذى عمله خالصا لوجهه الكريم على امتثال أمره ، ويبطله عليه بلا سبب من العبد ، أو أنه يعاقبه بمالا صنع فيه ، ولا اختيار له ، ولا قدرة ، ولا ارادة فى حصوله ، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به ، أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التى يؤيد بها أنبياءه ورسله ، ويجريها على أيديهم يضلون بها عباده ، وأنه يحسن منه كل شىء حتى تعذيب من أفنى عمره فى طاعته ، فيخلده فى الجحيم أسفل السافلين ، وينعم من استنفد عمره فى عداوته وعداوة رسله ودينه ، فيرفعه

---

١ — العنوان من وحى المقال ، والقطعة من كتابه : « زاد المعاد فى هدى خير العباد » تحقيق الاستاذين شعيب وعبد القادر الارنؤوط ج ٣ ص ٢٢٩ نشر مؤسسة الرسالة — بيروت .

الظانين بالله ظن السوء..

الى أعلى عليين ، وكلا الأمرين عنده فى الحسن سواء ، ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر الابخبر صادق والا فالعقل لا يقضى بقبح أحدهما وحسن الآخر ، فقد ظن به ظن السوء

ومن ظن به أنه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل ، وتشبيه ، وتمثيل ، وترك الحق ، لم يخبر به ، وانما رمز اليه رموزا بعيدة ، وأشار اليه اشارات ملغزة لم يصرح به ، وصرح دائما بالتشبيه والتمثيل والباطل ، وأراد من خلقه أن يتعبوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم فى تحريف كلامه عن مواضعه ، وتأويله على غير تأويله ، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة ، والتأويلات التى هى بالألغاز والأحاجى أشبه منها بالكشف والبيان ، وأحالهم فى معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم ، لا على كتابه ، بل أراد منهم الا يحملوا كلامه على ما يعرفون من خطابهم ولغتهم ، مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذى ينبغى التصريح به ، ويريحهم من الألفاظ التى توقعهم فى اعتقاد الباطل ، فلم يفعل ، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان ، فقد ظن به ظن السوء .

فانه ان قال : انه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذى عبر به هو وسلفه (١) ، فقد ظن بقدرته العجز ، وان قال : انه قادر ولم يبين ، وعدل عن البيان ، وعن التصريح بالحق الى ما يوهم ، بل يوقع فى الباطل المحال ، والاعتقاد الفاسد ، فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء ، وظن أنه ، هو وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله ، وأن الهدى والحق فى كلامهم وعباراتهم . وأما كلام الله ، فانما يؤخذ من ظاهره التشبيه ، والتمثيل ، والضلال ، وظاهر كلام المتهوكين (٢) الحيارى ، هو الهدى والحق ، وهذا من أسوأ الظن بالله ، فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء ، ومن الظانين به غير الحق ظن الجاهلية .

ومن ظن به أن يكون فى ملكه مالا يشاء ، ولا يقدر على ايجاده وتكوينه ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به أنه كان معطلا من الأزل الى الأبد عن أن يفعل ، ولا يوصف حينئذ بالقدرة على الفعل ، ثم صار قادرا عليه بعد أن لم يكن قادرا ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به أنه لا يسمع ولا يبصر ، ولا يعلم الموجودات ، ولا عدد السماوات والأرض ، ولا النجوم ، ولا بنى آدم وحركاتهم

---

١ ـ أى القائل بهذا القول هو وسلفه .. الخ

٢ ـ التهوك : كالتهور ، وهو الوقوع فى الأمر بغير روية ، والمتهوك : الذى يقع فى كل أمر ، وقيل هو التحير ، وفى حديث جابر الذى أخرجه أحمد فى المسند ٣/٣٣٨ و ٣٨٧ ، أن عمر أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : انا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال : أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حيا ماوسعه الا اتباعى ، وهو حديث حسن له شاهد من حديث عبد الله بن شداد عند أحمد ٣/٤٧٠، ٤٧١ ، وآخر من حديث عمر عند أبى يعلى .. (الحاشية للمحققين) .

وأفعالهم ، ولا يعلم شيئا من الموجودات في الأعيان ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن أنه لا سمع له ، ولا بصر ، ولا علم له ، ولا ارادة ، ولا كلام يقول به ، وأنه لم يكلم أحدا من الخلق ، ولا يتكلم أبدا ، ولا قال ولا يقول ، ولا له أمر ولا نهي يقوم به ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به أنه فوق سماواته على عرشه بائنا من خلقه ، وأن نسبة ذاته تعالى الى عرشه كنسبتها الى أسفل السافلين ، والى الأمكنة التي يرغب عن ذكرها ، وأنه أسفل، كما أنه أعلى ، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ومن ظن به أنه يحب الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، ويحب الفساد كما يحب الايمان ، والبر ، والطاعة ، والاصلاح ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به أنه لا يحب ولا يرضى ، ولا يغضب ولا يسخط ، ولا يوالى ولا يعادى ، ولا يقرب من أحد من خلقه ، ولايقرب منه أحد ، وأن ذوات الشياطين في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين وأوليائه المفلحين ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به أنه يسوى بين المتضادين ، أو يفرق بين المتساويين من كل وجه ، أو يحبط طاعات العمر المديد الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها ، فيخلد فاعل تلك الطاعات في النار أبد الآبدين بتلك الكبيرة ، ويحبط بها جميع طاعاته ويخلده في العذاب ، كما يخلد من لا يؤمن به طرفة عين ، وقد استنفد ساعات عمره في مساخطه ومعاداة رسله ودينه ، فقد ظن به ظن السوء .

وبالجملة فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ووصفه به رسله ، أو عطل حقائق ما وصف به نفسه ، ووصفته به رسله ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن أن له ولدا ، أو شريكا أو أن أحدا يشفع عنده بدون اذنه ، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم اليه ، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم اليه ، ويتوسلون بهم اليه ، ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه ، فيدعونهم ، ويحبونهم كحبه ، ويخافونهم ويرجونهم ، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه .

ومن ظن به أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته ، كما يناله بطاعته والتقرب اليه ، فقد ظن به خلاف حكمته وخلاف موجب أسمائه وصفاته ، وهو من ظن السوء .

ومن ظن به أنه اذا ترك لأجله شيئا لم يعوضه خيرا منه ، أو من فعل لأجله شيئا لم يعطه أفضل منه ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به أنه يغضب على عبده ، ويعاقبه ويحرمه بغير جرم ، ولا سبب من العبد الا بمجرد المشيئة ، ومحض الارادة ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به أنه اذا صدقه في الرغبة والرهبة ، وتضرع اليه ، وسأله ، واستعان به ، وتوكل عليه أنه يخيبه ولا يعطيه ما سأله ، فقد ظن به ظن السوء ، وظن به خلاف ما هو أهله .

الظانين بالله ظن السوء..

ومن ظن به أنه يثيبه اذا عصاه بما يثيبه به اذا أطاعه ، وسأله ذلك في دعائه ، فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده ، وخلاف ما هو أهله وما لا يفعله .

ومن ظن به أنه اذا أغضبه ، وأسخطه ، وأوضع في معاصيه ، ثم اتخذ من دونه وليا ، ودعا من دونه ملكا أو بشرا حيا ، أو ميتا يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه ، ويخلصه من عذابه ، فقد ظن به ظن السوء ، وذلك زيادة في بعده من الله ، وفي عذابه .

ومن ظن به أنه يسلط على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أعداءه تسليطا مستقرا دائما في حياته وفي مماته ، وابتلاه بهم لا يفارقونه ، فلما مات استبدوا بالأمر دون وصية ، وظلموا أهل بيته ، وسلبوهم حقهم، وأذلوهم ، وكانت العزة والغلبة والقهر لأعدائه وأعدائهم دائما من غير جرم ولا ذنب لأوليائه ، وأهل الحق ، وهو يرى قهرهم لهم ، وغصبهم اياهم حقهم ، وتبديلهم دين نبيهم ، وهو يقدر على نصرة أوليائه وحزبه وجنده ، ولا ينصرهم ولا يديلهم ، بل يديل أعداءهم عليهم أبدا ، أو أنه لا يقدر على ذلك ، بل حصل هذا بغير قدرته ولا مشيئته ، ثم جعل المبدلين لدينه مضاجعيه في حفرته ، تسلم أمته عليه وعليهم كل وقت كما تظنه الرافضة ، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه ، سواء قالوا : انه قادر على أن ينصرهم ، ويجعل لهم الدولة والظفر ، أو أنه غير قادر على ذلك ، فهم قادحون في قدرته ، أو في حكمته وحمده ، وذلك من ظن السوء به ، ولا ريب أن الرب الذي فعل هذا بغيض الى من ظن به ذلك غير محمود عندهم ، وكان الواجب أن يفعل خلاف ذلك ، لكن رفوا هذا الظن الفاسد بخرق أعظم منه ، واستجاروا من الرمضاء بالنار ، فقالوا : لم يكن هذا بمشيئة الله ، ولا له قدرة على دفعه ونصر أوليائه ، فانه لا يقدر على أفعال عباده ، ولا هي داخلة تحت قدرته ، فظنوا به ظن اخوانهم المجوس والثنوية بربهم ، وكل مبطل ، وكافر ، ومبتدع مقهور مستذل ، فهو يظن بربه هذا الظن ، وأنه أولى بالنصر والظفر ، والعلو من خصومه ، فأكثر الخلق ، بل كلهم الا من شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن السوء .

فان غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ، ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله ، ولسان حاله يقول : ظلمني ربي ، ومنعني ما أستحقه ، ونفسه تشهد عليه بذلك ، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به ، ومن فتش نفسه ، وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها ، رأى ذلك فيها كامنا كمون النار في الزناد ، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده ، ولو فتشت من فتشته ، لرأيت عنده تعتبا على القدر وملامة له ، واقتراحا عليه خلاف ما جرى به ، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ، فمستقلٌّ ومستكثر ، وفتّش نفسك هل أنت سالم من ذلك :



فَإِن تَنجُ مِنْهَا تنج مِنْ ذِى عظيمةٍ
وَإلاَّ فـإنى لا إخَـالُكَ نَاجِيًـا

فليعتن اللبيب الناصـح لنفسـه بهـذا الموضع ، وليتب الى الله تعالى وليستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء ، وليظن السوء بنفسه التى هى مأوى كل سوء ، ومنبع كـل شر ، المركبة على الجهل والظلم ، فهى أولـى بظن السوء من أحكم الحـاكمين ، وأعـدل العادلين ، وأرحم الراحمين ، الغنى الحميد ، الذى له الغنى التام ، والحمد التام ، والحكمة التامة ، المنزه عن كل سوء فى ذاته وصـفاته ، وأفعاله وأسمائه ، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه ، وصفاته كذلك ، وأفعاله كذلك ، كلها حكمة ومصلحة ، ورحمة وعدل ، وأسماؤه كلها حسنى :

فَلاَ تَظْنُنَّ بربك ظـنَّ سَـوْءٍ
فَـإنَّ اللهَ أَوْلَـى بِالجميـلِ
ولا تَظْنُنَّ بِنَفْسِـكَ قَطُّ خيرًا
وكيف بظـالم جـانٍ جهُـولِ
وقل يَا نَفْسُ مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ
أَيُرجَـى الخيـرُ مِنْ مَيْت بخيلِ
وَظُنَّ بِنَفْسِـكَ السُّوآى تَجِدْهَا
كَذَاكَ وَخَيْـرُها كالمسـتحيلِ
وما بك مِنْ تُقَـى فيهـا وخيرٍ
فتلك مـواهب الـرب الجليـلِ
وَلَيْسَ بِهَـا وَلاَ مِنْهَـا ولكـنْ
من الرحمـن فاشكرْ للدليـلِ

د • ع • خ

مجلة الأزهر من خمسين عاما

أصول سعادة الأمة

للشيخ محمد الخضر حسين

السعادة : هى الخير ، وتمامه .

وتمام السعادة : هو الذى اذا بلغناه لم نحتج معه الى شىء آخر .

وكل الفضائل سعادة ، وأول مراتبها: أن يصرف الانسان اراداته الى مصالحه فى العالم وآخر مراتبها : ان تكون افعاله كلها الهية ، وهى الخير المحض .

فالسعادة ألذ الأشياء ، وأفضلها ، وأجودها وأوضحها .

وكل من كثرت فضائله كثر حساده عليها ، وانبعثوا لايقاع التلبيس فيها ومن السعادة الحكمة . « **وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** » (١) الآية .

وللحكمة زمان اظهار ، وزمان كتمان فلا يصلح زمان الكتمان لاظهارها ، ولا زمان الاظهار لكتمانها . وهى تنقص أهلها فى غير حينها ، كما تزيدهم فى حينها ، وتضعهم عند المستخفين بها ، وترفعهم عند المستحقين لها ، والموفق من يعرف ظروفها ويضعها فيما يناسبها .

وفساد الدين فى ثلاثة :

زلة العلماء ، وميل الحكماء ، وجهل الرؤساء فى التأويل ، ومن لم يكن معه قلب سليم ثم ينتفع بالقرآن الكريم ، فسلامة الانسان عن الخطأ رأسا ليس بمطموع فيها ، ولكن الطمع فى أن يكثر صوابه ويقل خطاه .

والسعادة فى الحكم : هى أن تكون نسبة الحاكم الى المحكوم نسبة أبوية ، ونسبة الرعية اليه بنوية ، ونسبة الرعية بعضها الى بعض أخوية . حتى تكون السياسات مأمونة محفوظة على شرائطها الصحيحة . « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** » (٢) الآية « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ** »(٣) الآية . واذا لم تراع هذه النسب صارت محبة الأخيار الى تباغض الأشرار . وتعود الألفة نفارا ، والمودة نفاقا . ويطلب كل واحد لنفسه مايظنه خيرا له وان أضر بغيره ، وتبطل

(١) سورة البقرة من آية رقم ٢٦٩ .

(٢) النساء من الآية رقم ٥٨ .

(٣) النحل من الآية رقم ٩٠ .

عرض وتقديم
الأستاذ أحمد حسن جابر رجب

الصداقات ، والخير المشترك بين النـــاس ، ويؤول الأمر الى الهرج الذى هو ضد النظام الذى رتبه الله لخلقه ، ورسمه لهم بالشريعة وأوجبه بالحكمة البالغة .

فلا أحد أخس مرتبة ممن يتتبع القبيـح ليستخرجه من بين ظهراني الحسن . والنفوس مجبولة على الاعجاب بالمناظر العظيمة .

ومن الواجب على كل ذى صنعة الا يحمله فرط الاعجاب بنفسه ، وبصـــناعته على الاستخفاف بمن سواه . والا يحمله الاغترار بما أوتيه من المهارة فى خاص صناعته علـى الخوض فيما ليس هو من شأنه ، بل يعمـل على تفويض كل صناعة الى أربابها ، ويـوف العارفين بها ، والمتقدمين فيها أبلغ حقوقهم من التبجيل والتعظيم ، خصوصا لمن لا يشهد له بالعصمة ، فان الحق لايعرف بالرجـال ، ولكن من يعرف الحق يعرف أهله :

من أصابه منهم ومن أخطاء .

والحق متاح لمن أراده وأحب أن ينطق به لكن للنفوس أوطارا تؤثر على طلب الأجر ، ولابد للفهم من قادح ، وللمنطق من واع .

واذا لم تقلع العقول بالتذكرة لم يحسن الصواب منها .

وعلى سبيل الله أعلام ظاهرة ، وشـواهد واضحة .

ولن يذهب عن الحق من سعى بصدق نيـة فى طلبه .

وان الدين كريم الصحبة يعز من لجأ اليه ويستر عيوب من اتصل به ، عدا مايذهب لـه فى عاقبته من السعادة الأبدية .

وكما أن من عدم العقل لم يزده السلطان عزا كذلك من عدم الايمان لم تزده الروايـة حكمة والعوام يقصدون الحسنات فيخطئون طريقها ، لجهلهم بشروطها .

والفجار يقصدون السيئات فيرتكبونهـا ، للشرارة التى ارتضعوها .

فقد جمعهما تنكب طريق الحسنات الصـحيح وأحدهما رداءة القصد لتعاطى الشر .

فنحن اذن جدراء بأن نسأل واهب العقل أن يرشدنا الى طريق الفضل لنلاحظ الحقائق بنور الحق .

وفضائل الناس لن تتم الا بامتزاج أحوال الدين بالدنيا ، واشتباك أسباب الآخـــرة بالأولى ، ودين الاسلام هو المنتظم لها كلهـا والواقى بعامة أبوابها ، وذلك ظاهر لمن تأمل مواقعها من كتاب الله ، فانه ما من مكرمـة الا وقد جرد ذكرها وتحرز عن ضدها .

وسعادة الأمة فى ظهور تمسكها بالفضائل التى من أهمها :

العفة وتتضمن : الحيـــاء ، والصبر ، والحرية ، والانتظام والمسالمة ، والورع .

والشجاعة وتتضمن : كبر النفس ، والنجدة والثبات ، والحلم .

أصــول سـعادة الأمـــة

والسخاء ويتضمن : الكـرم ، والايثـار ، والسماحة ، والمواساة .

والعدالة وتتضمن : الصداقة والألفـــة ، وصلة الرحم ، وحسن القضاء ، وترك الحقود .

وتفصيل ذلك فى كلمة : الامـام الأكبـر الشيخ محمد الخضر حسين ـ رحمه اللـه تعالى ـ بعنوانها المتقدم :

قال رحمه الله تعالى :

سعادة الأمة : أن تستنير عقولها .

وتسمو أخلاقها .

وتغتبط بالنظم التى تساس بها .

وترضى عن طرق تطبيقها .

وترتاح الى تنفيذها .

وتأمن أن تمتد يد غريبة الى حـــق من حقـوقها .

أما استنارة عقلها : فاقامة معاهد كافيـة للتعليم ، فان الأمة التى تتألف من متعلمـين وغير متعلمين يصعب على قادتها متى أرادوا توجيهها نحو الحياة الصالحة أن يجدوها لينة القياد خليقة الخطى (١) ، والتعليم الصحيح ما يؤخذ فيه بأرقى النظم وأحكم الأساليب ، وتلقى العلوم بأساليب غير مهذبة هو العلة فى تباطؤ النهضة العلمية ، وعدم انتظام طـرق البحث والتفكير .

ولاسبيل الى أن يغتبط الشعب بنهضـته العلمية حتى يتربى نشؤه على أن يطلبوا العلم بداعى اجتلاء الحقائق ، والحرص على أسمى الفضائل ، ومما يقعد بهم عن مرتبه النبوغ والابتكار فى العلوم أن يجعلوا لطلب العـلم غاية مادية حتى اذا أدركوها انقطعوا .

والتعليم الذى تؤمن عاقبته وتزكو ثمرته ما اهتدى فيه الطلاب الى طريقة نقـد الآراء وتمحيصها حتى لايقبلوا رأيا الا أن يستبينوا رجحـانه بدليل ، وقـد رأينا رأى العـين أن طائفة من أبنائنا قد انحرفوا عن طـريق الرشد ، ولو كانوا ممن يرد الآراء الى قوانين البحث المعقولة لاستقاموا على هدى اللـه وما كانوا من المفتونين .

وأما سمو أخلاقها : فلتستقيم أعمالهــا وتنتظم المعاملات بينها ، والأعمال الخطيرة انما تقوم على نحو الصبر ، والعزم ، والكرم والاقدام ، والمعاملات الرابحة لا تـدوم فى تماسك وصفاء الا أن تكون محفوفة بنحـو : الصدق ، والأمانة ، والحلم ، وسماحة النفس ورقة العاطفة ، وهذا الوجه من وجـوه السعادة ملقى فى عهدة من يتولى أمر التربية: كالأمهات ، والآباء ، ورجال التعليم ، ولايكون فى الأمهات والآباء والمعلمين كفاية لأن يخرج الطفل أو الفتى من بين أيديهم طاهر السريرة مستقيم السيرة ، **حتى يكون التعليم الدينى ضاربا باشعته فى جميع مدارسنا اولية كانت او عليا ، واذا وصلت التربية الدينيـة الى النفوس من طريقها الصحيح فلا ترى منها الا حياء وعفافا ، وصدقا وأمانة ، واستصغارا للعظائم وغيرة على الحقائق والمصالح وماشئت بعد من عزة النفس ، وكبر الهمة ، تلك خصال لاتثبت اصولها ، وتعلو فروعها الا ان يتفيا**

(١) كذا بالأصل .

عليها ظلال الهداية ذات اليمين وذات الشمال .

واما توفر وسائل الثروة : فلتكون مرافق الحياة بين يديها ، والعيش ميسورا لكل فرد من أفرادها ، وما أبعد الأمة عن سعادة الحياة اذا كثر فيها أولئك الذين يتكففون الناس فى أيديهم ، وأولئك الذين يترددون على الملاهى والنوادى فى الصباح كما يترددون عليها فى المساء .

من حقوق الأمة ان يهيىء لها ولاة الامور الوسائل للأعمال العامة وينظروا فى ترقية الصناعة والزراعة والتجارة وتوسيع دائرتها يعنون بها من الوجهة العلمية بفتح مدارس لتلقى ماله اختصاص بهذه الأصول الاقتصادية من علوم وفنون . ويعنون بها من الوجهة العملية بانشاء مصانع وتشجيع الزراع وتدبير الوسائل لرواج البضائع الوطنية ما استطاعوا . وبمثل هذه المساعى تجد الأيدى العاطلة مجالا للعمل . ولاتخرج اثمان ملابسنا وامتعة منازلنا وسائر مرافق حياتنا عن حدود أوطاننا .

وليست تبعة الحالة الاقتصادية ملقاة على عاتق اولى الأمر وحدهم بل على الموسرين حظ من هذه التبعة عظيم ، اذ فى ميسورهم تاليف شركات تراعى فى نظمها اصول الدين الحنيف فتفيض بربح مبارك غزير ويعيش من العمل بها خلق كثير .

اقمت فى عاصمة ألمانية وبعض مدنها وقراها زمنا غير قصير ، فلم أرقط سائلا سليم البنية بل لم أر فى تلك المدة متكففا غير نفر قليل هم ما بين رجل مقطوع اليد ، أو الرجل ، أو عجوز بلغت من الكبر مافت فى عضدها ، لم أر سليم البدن يتكفف اذلا يعدم سليم أن يجد هنالك عملا حيويا اذا شاء والتعليم هنالك الزامى يقبح لصاحبه أن يقف موقف الاستجداء .

وكثير من أمراء الاسلام كانوا ينظرون الى الأمة برأفة ويجتهدون فى أن يخففوا عنها متاعب الحياة ما قدروا وهذا طاهر بن الحسين يقول فى كتابه الذى بعث به الى ابنه عبد الله حين ولاه المأمون مصر والرقة وما بينهما : « وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم ، وأراملهم واجعل لهم أرزاقا من بيت المال وانصب لمرضى المسلمين دورا تأويهم ، وقواما يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك الى سرف فى بيت المال » .

وفى فتح طرق العمل للمستطيعين ، واقامة مستشفيات وملاجىء للمرضى والعاجزين انقاذ للامة من أن تقود الحاجة طائفة من أبنائها الى نواد أو مستشفيات يفتحها من **يقصد الى افساد عقائدهم الدينية أو اطفاء غيرتها الوطنية .**

أصــول
سـعادة الأمـة

وأما الاعتباط بالنظم المدنية : فــذلك مايدعوها الى أن تحترمها من صميم أفئدتهـا فتراعيها فى السر كما تتقيها فى العلانيـة ، فيكتفى الناس فى أكثر الخصومات بمعرفـة الحق من طريق الاستفتاء وأولو الامر هـم الذين يقررون النظم المدنية ويقومون عـلى تطبيقها ، فأولوا الأمر على اختلاف طبقـاتهم وتفاوت مقاماتهم طائفة من الأمة تولوا النظر فى شئونها العامة ، فيجب أن يتجلى فيهم روح النيابة عنهم ولايتجلى هذا الـروح الا أن يعملوا على مايكفل مصالحها ، ومقتضى هـذا أن تسـاس بنظم أحكم وضعا وأرعى للمصالح والأمة الاسلامية انما تشهد للنظم بالحكمـة ورعاية المصالح متى وافقت أصـول شريعتها ولم ينتهك بها شيء من حرماتها .

وأما الرضا عن حال التطبيق : فلان صـحة النظم انما يظهر أثرها على أيدى من وكل اليهم أمر تطبيقها وما مزية القانون العادل اذا وكل العمل به الى من لم تحسن المدرسة أدبه ؟؟ فتطبيق القوانين على الحوادث يرجع الى أدب الحـاكم ومبلغه من العلم والفهم فمن حـق الأمة الا يتـولى الحكم فيما شـجر بينها الا ذو ثقة وثقافة يجيد بها عمل التطبيق واستقامة يقف أمامها القوى والضعيف على سـواء ، وهذا مايدور عليه فضيلة العدل المأمور به فى قوله تعالى : « وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّـاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » (١) . وقوله تعالى : « وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » .

وأما الارتياح لطرق التنفيذ : فيعـود الى السلطة الاجرائية كادارة الشرط ، وحـق الشعب على هؤلاء أن تأخذهم به الرحمـة ويشعروا بأنه جسد هم بعض أعضائه .

أقمت فى بعض البلاد الشرقية فكنت أرى بين بعض رجال القوة المسلحة وسائر الوطنيين جفاء يتطاير شرره لأدنى مخاطبة تدور بينهما ثم رحلت الى عاصمة أوربية وطفت فى بعض المدن والقرى ، فكنت أرى تعاطفا وائتلافـا بين الجند والشرط وبقية الشـعب ولايكاد الناظر يفرق بينهما الا بما يحمله الأولون من هيئة رسمية أو سلاح كنت أشاهد سـائق العجلة يجادل الشرطى مدة غير قصـيرة وأصواتهما فى الارتفاع متساوية ولايكـون بعد هذا الا أن يقنع أحدهما الآخر ويفتـرقا .

نحن نعلم أن انتشار التعليم فى الشـعب يساعد رجال الأمن وغيرهم على تنفيذ النظم العامة بكلمة ينبهون بها من يروم مخالفتهـا ، ولكن المحروم من التعليم هو فى حاجـة الى النظر اليه بشفقة ويعالج بشيء من الرفق الا أن يخرق النظام متمردا قال معـاوية بن أبى سفيان : « لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى

---

(١) النساء من آية رقم ٥٨ .

ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني » .

وتطبيق النظم على الوقائع وتنفيذها بعدل حق من حقوق الأمة على ولاة الأمور . واذا توقف على شيء يرجع الخطاب فيه الى بعض أفراد الأمة كأداء الشهادة على وجهها كانت تبعته على أولئك الذين يستطيعون أن يشهدوا بحق ويكتمون الشهادة وهم يعلمون .

واما أمن الأمة من أن تسطو يد غريبة على حق من حقوقها : فلتطمئن على عزتها وكرامتها ولتشعر أن من تلدهم سيعيشون كما تعيش الأمم ذات الشوكة أحرارا ولا تأمن بأس خصومها ولاتنظر الى مستقبل أبنائها فتراه أغر حجلا الا أن يكون مابينها وبين رعاتها عامرا بالنصح من ناحية وبحسن الطاعة من الناحية الأخرى فبالنصح ترقى معاهد التعليم فتستغنى بعلم أبنائها وكفايتهم للعمل عن أن **تستمد وسائل الدفاع والمنعة من وطن غير وطنها ، وبحسن الطاعة ينتظم أمر الجند وتبلغ القوة المالية غايتها . وقد عنى الاسلام فيما عنى بهاتين الخصلتين العظيمتين : اخلاص ولاة الأمور للأمة وطاعة الأمة لولاة أمورها** فأوجب على الولاة أن يقيموا سياستهم على رعاية الحقوق والمصالح .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه الا لم يجد رائحة الجنة » (١) . ثم التفت الى الرعية فأمرهم بحسن الطاعة ، ومن شواهد هذا قوله عليه الصلاة والسلام: « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (٢) .

فالحق ان سعادة الأمة فى أيدى رؤسائها ، فاذا استقاموا على الطريقة وساسوها برفق وحرص على مصالحها وكرامتها سارت بجانبهم مستقيمة فلا تلبث ان تنجح فى سيرتها وتظفر ببغيتها (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٣).

محمد الخضر حسين

نور الاسلام (مجلة الأزهر)
السنة الأولى العدد الخامس جمادى الأولى ١٣٤٩ ..

---

(١) صحيح البخارى .
(٢) صحيح البخارى
(٣) يونس آية رقم ٦٣ ، ٦٤ .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب تحرير المقال (١)

هو أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيتمى السعدى الأنصارى ، شهاب الدين شيخ الاسلام أبو العباس : فقيه باحث مصرى مولده فى « محلة أبى الهيتم » من اقليم الغربية بمصر واليها نسبته . والسعدى نسبة الى بنى سعد من عرب الشرقية بمصر ، ولد سنة ٩٠٩ هـ (سنة ١٥٠٤ م) وتوفى فى مكة سنة ٩٧٤ هـ (سنة ١٥٦٠ م) (٢) .

تلقى العلم فى الازهر . وله تصانيف كثيرة منها « مبلغ الادب فى فضائل العرب » « الجوهر المنظم » « الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة » « تحفة المحتاج لشرح المنهاج فى فقه الشافعية » « والفتاوى الهيتمية » « وأشرف الوسائل الى فهم الشمائل » وغير ذلك .

وقد عرّف فن التربية طائفة من علماء المسلمين بحثوا فى مسائله وتكلموا فى نظرياته، وتفرقت بحوثهم ودراساتهم فى مؤلفات تداولها الناس أزمانا طويلة ، وشهدوا لأصحابها بطول الباع والتفوق والابداع ، وقدروا لهم سبقهم باختراع كثير من قواعده.

ومازال جهابذة علماء التربية فى الغرب يعجبون بها ويعترفون بصحتها . وقد عرف علم التربية المربى الماهر ، والمرشد الحكيم الامام الغزالى . فقرر قواعد التربية التى ينبغى أن ينهجها المربى لا فى تربية الصبيان فحسب ، بل فى تربية الكبار من المريدين والأتباع ، وفى كتابه المعروف « احياء علوم الدين » خلاصة لآرائه وتجاربه فى هذا الميدان .

وعرف امام التربية والاجتماع على وجه الدهر العلامة ابن خلدون بمبادئه التى قررها فى مقدمة تاريخه الخالدة المعروفة بمقدمة ابن خلدون . وعرف الفيلسوف الكبير ابن سينا فى رسائله المتفرقة . وعرف غيرهم من علماء الاسلام ببحوثهم فى التربية قبل أن يعرف كثير من علمائها فى الغرب . فى هذا الميدان .

وعلماء التربية من المسلمين فريقان :

فريق بنى آراءه فى التربية على دراسة نفسية وتجريبية تتصل اتصالا وثيقا بعلم

(١) رقم خاص ٧٤٣ ورقم عام ٣٤١٦ مكتبة حليم باشا علم التربية والاخلاق .
(٢) الاعلام للزركلى جـ ١ ص ٢٢٣ .

فى آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال

لابن حجر الهيثمى

تقديم الاستاذ محمد عميرة على

النفس كالغزالى وابن خلدون وابن سينا ..
وفريق بنى آراءه فيها على قواعد الدين ، بمعنى أنه يقررها مستندة الى أحكام الدين ، فيجوز ما تجوزه ، ويمنع مالا تقره . غير أنه ينبغى أن نلاحظ أن أكثر العلماء من الفريقين لم يفردوا مسائل التربية بمؤلفات خاصة كما فعل علماء الغرب ، بل أدخلوها تارة فى علم الأخلاق والتصوف كما فعل الغزالى ، وتارة فى علم الاجتماع كما فعل ابن خلدون . وعذرهم فى ذلك واضح ووجيه ، فمبادىء علم التربية وسيلة من وسائل تكوين الخلق الفاضل ، والسلوك المهذب الراقى ، كما أنها سبب من أسباب تكوين المجتمع المثالى النبيل ، كما ينبغى أن نلاحظ أن هؤلاء العلماء حين يتكلمون فى مبادىء التربية والتعليم أو آداب العلم والتعلم ، انما يجعلون همهم وكدهم أن يقرروا أولا آداب تعليم القرآن وتعليم السنة ، وما ينبغى أن يتحلى به معلم ومتعلم كل منهما ، وما الطريقة المثلى فى دراستهما وبلوغ الهدف منها ، ووجهة نظرهم فى ذلك أن القرآن كلام الله ، وهو دستور العالم الخالد الذى يجمع الأصول الصحيحة الثابتة فى مختلف العلوم يصل الناس به الى سعادتى الدنيا والآخرة . وكل علم من نبعه استفاض ، ومن نوره اقتبس واستمد ، فهو جدير بالرعاية واستنباط الوسائل التى تعين على سماعه وحفظه وتفهمه وتدبره وتليق بجلاله وقدسه .

ومن علماء الاسلام الذين تكلموا فى علم التربية ، وقرروا بعض مبادئه العلامة ابن حجر الهيتمى فى رسالة له سماها « تحرير المقال فى آداب وأحكام وقوانين يحتاج اليها مؤدبو الأطفال » وهى رسالة موجزة بنى فيها قواعد التربية على أحكام الدين فأقر من قواعد التربية ما أقرته أحكام الشريعة ، ورفض ما رفضته . فهو اذ يقرر ضرب من شرد من الصبيان من الكُتَّاب ، أو ضرب من نطق منهم بالفحش من القول ، ينظر الى أحكام الدين فما تأذن به يترخص فيه ، ويتحرج مما تمنع منه . فالرسالة فى بعض مبادىء التربية فى نطاق الشريعة .

وسبب تأليفها ــ فيما ذكر ــ أنه سئل فى موضوعها من مُعَلِّم كُتَّاب ، كان قاضيا ثقلت عليه أمانة القضاء ، فاعتزله وفر بدينه وأمانته الى الله ، مع ضيق الحال وعدم وجدانه لما يكفى

به الأهل والعيال ، فَيُنشئ الله له مكتبا بالصفات الآتية في السؤال .

وفي الاجابة عن هذا السؤال تتلخص رسالة ابن حجر في تربية الأطفال وهذا بعض ما في السؤال :

مكتب موقوف على عدة أيتام قرر ناظره فقيهـا لقراءتهم وتأديبهم ، فهل يلزمه أن يرسل خلف من غاب منهم أولا ؟ .

فان قلتم : نعم . فهل يلزمه ذلك من ماله أو يستأجر من يحضر غائبهم من مال الوقف أم لا ؟

وهل يرسل بعضهم خلف بعض لاحضار من تغيب وهرب منهم أم لا ؟.

وهل لـه ضرب من شرد منهم ، أو أخذ شيئا للغير أو ضربه أو سبه ، وعلم الفقيه بذلك منه أو ظنه بقول مقبول ، كما له ضربه على تعليمه وتأديبه ؟.

وهل يفترق الحال في ذلك بين المميز وغيره ، والمراهق للبلوغ وغيره ممن لم يراهق ؟.

وهل له الزام حاذقهم باقراء أو تعليم بليدهم ، لأن في ذلك مصلحة للحاذق بترسخه ما حفظ عنده فيأمن تشتته أولا ؟

وقد ختم السؤال بقوله :

وقد أشكل الأمر في هذه الأحوال فتفضلوا ببسط بيانها بذكر منقول المذهب وقواعده فيها ، ليحصل لكم بذلك الثواب .

وقد بنى ابن حجر رسالته على سبعة مقاصد :

المقصد الأول : في الأحاديث الدالة على شرف أهل القرآن .

ومن بين هذه الأحاديث ما أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ان لله تعالى أهلين من الناس هم أهل الله وخاصته » وفي رواية أخرى للطيالسي والنسائي وابن ماجه وغيرهم « ان لله أهلين من الناس ، قيل . من هم ؟ قال : هم أهل القرآن هم أهل الله وخاصته .

المقصد الثاني : في بعض الأحاديث الواردة في فضل معلمي القرآن وتعليمه،ويوضحه الحديث الذي أخرجه الحاكم في تاريخه أنه صلى الله عليه وسلم قال :

« حملة القرآن هم المعلمون كلام الله والملبسون بنور الله، من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله » .

المقصد الثالث : في الأحاديث الدالة على جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن والرقية به ونحوهما . روى البخاري عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا بماء أى بأهل ماء، فيهم لديغ أو سليم فعرض لهم رجل من أهل الماء ، فقال : هل منكم من راق فان في الماء رجلا لديغـا أو سليما ، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاة فبرأ فجاء بالشاة الى أصحابه فكرهوا ذلك . وقالوا : أخذت على كتاب الله أجرا حتى قدموا المدينة فقالوا يارسول الله أخذ على كتاب

الله أجرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » .

المقصد الرابع : فى الأحاديث الدالة على امتناع أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، وقد روى ابن ماجه عن أبى بن كعب قال علمت رجلا القرآن أى وهو الطفيل بن عمرو الدوسى فأهدى الى قوسا فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ان أخذتها أخذت قوسا من نار » فرددتها .

المقصد الخامس : فبيان اختلاف العلماء فى الأخذ بالأحاديث السابقة وأورد آراء العلماء على جواز أخذ الأجرة أم لا وبيان أدلتهم .

المقصد السادس : فى تجويز المعلم من نظر المرد الذى يعلمهم وفى بيان حل نظر المعلم الى الأمرد لحاجة التعليم من غير شهوة ولا خوف فتنة ، وقد روى مسلم وغيره عن جرير رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة فقال : « اصرف بصرك » قال بعض العلماء من المتأخرين والنظر بشهوة الى المرأة والأمرد زنا لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « زنا العين النظر » ولأجل ذلك بالغ الصالحون فى الاعراض عن المرد وعن الناظر اليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم .

المقصد السابع : فى الأسئلة والأجوبة التى هى السبب فى هذا التأليف ، وقد أوردها صاحب الكتاب وأجاب عنها فى تسعة مسائل .

وتقع هذه الرسالة المخطوطة فى ٦٤ صفحة وعدد سطور كل منها ٢١ سطرا ، وهى بخط معتاد واضح كتبت سنة ١٠٧٦ هـ ، أى بعد وفاة المؤلف بقرن تقريبا ، فقد توفى ابن حجر الهيتمى سنة ٩٧٤ هـ ، وابن حجر علم من أعلام المسلمين يمتاز بالذهن الخصب والثقافة الواسعة والانتاج الوفير ، حيث تربى بالجامع الأزهر وأتم دراسته به بعد دراسته الأولى بمقام السيد أحمد البدوى . وقد درس رغم حداثته على أكابر شيوخ عصره مثل زكريا الأنصارى . ولما كان ابن حجر مبرزا فى أصول الدين والفقه ، فقد نال ــ ولما يناهز العشرين من عمره ــ اجازة اصدار الفتاوى والقيام بالتدريس ، ويعتبر ابن حجر والرملى هما المفسران الموثوق بهما لمذهب الشافعى الصحيح (١) .

هذه رسالة مما جادت به قرائح العلماء أصحاب الذهن الصافى والقلوب المضيئة بنور الايمان نقدمها للقراء عرفانا بالجميل ، وتقديرا لما بذلوه من جهد متواصل أفنوا فيه أعمارهم ليضيئوا الطريق أمام أجيال المسلمين ، رحم الله ابن حجر جزاء ما قدم .

مدير مكتبة الأزهر

محمد عمره على

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ ص ١٣٢

في النذر والمنذور

س : من السيد ا · ع · ب ·

نذرت لله جديا ·· وقبل ذبحه فوجئت بسرقته ، ثم اعترف السارق بالسرقة ودفع مبلغ مائة جنيه تعويضا فمن المستحق لهذا المبلغ ؟

ج : هذا المبلغ ثمن وقيمة المنذور ، ولما كان المنذور للفقراء فتكون قيمته للفقراء بدلا منه ، وعليه فلك الحق في أن تشترى بهذا المبلغ جديا وتذبحه وتفرقه على الفقراء ، أو أن توزع المبلغ جميعه على الفقراء .

الإجهاض

س : من السيدة/ن · م الشرقية ·

انجبت ثلاثة أبناء ، وكنت أشعر بتعب شديد في المرتين الأخيرتين ، وفي المرة الثالثة كانت حياتي ستنتهي بسبب الحمل ونصحني الأطباء بعدم الحمل مرة أخرى لما أصابني ·

وأنا الآن حامل بجنين عمره شهر ، فهل يحل لي أن آخذ حقنة اجهاض حتى لا أتعرض للهلاك ؟

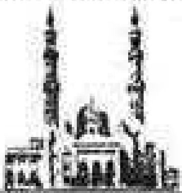
ج : يحرم الاجهاض ، لأنه قتل لكائن حي ، الا اذا كان في وجوده خطر على حياة الأم وقال بذلك طبيب مسلم عدل ، فانه يجوز الاجهاض في هذه الحالة حفاظا على حياة الأم المحققة .

الدعوى بالبينة

س : من السيد/م · ج ·

يلجأ بعض الناس اذا سرق منه شيء الى ما يسمى « بالبِشْعَة » وهي قطعة حديد محماة يلحسها المتهمون بألسنتهم ، فالبريء لا يصيبه منها أذى والمذنب تحرقه ·· فما حكم الشرع ؟

ج : الدعوى في الاسلام لابد لها من بينة ، رجلين أو رجل وامرأتين يشهدان بالدعوى ، فان لم تكن بينة وكان انكار من المدعى عليه كان عليه اليمين ·· « فالبينة على المدعي واليمين على من أنكر » فاذا حلف على انكاره برئت ذمته ، واذا امتنع عن اليمين كان على المدعي أن يحلف اليمين ووجب الحق على المدعى عليه ، وغير ذلك من الوسائل لا يقره الشرع .



إعــداد عبد الحميد السيد شاهين

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

الأخت من الرضاع

س : من السيد / ا ٠ ح ٠ ش ٠

اريد الزواج من بنت زوج اختى من زوجة اخرى ، ولكن الفتاة رضعت من اختى اكثر من خمس رضـــعات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع ٠٠ فما الحكم ؟

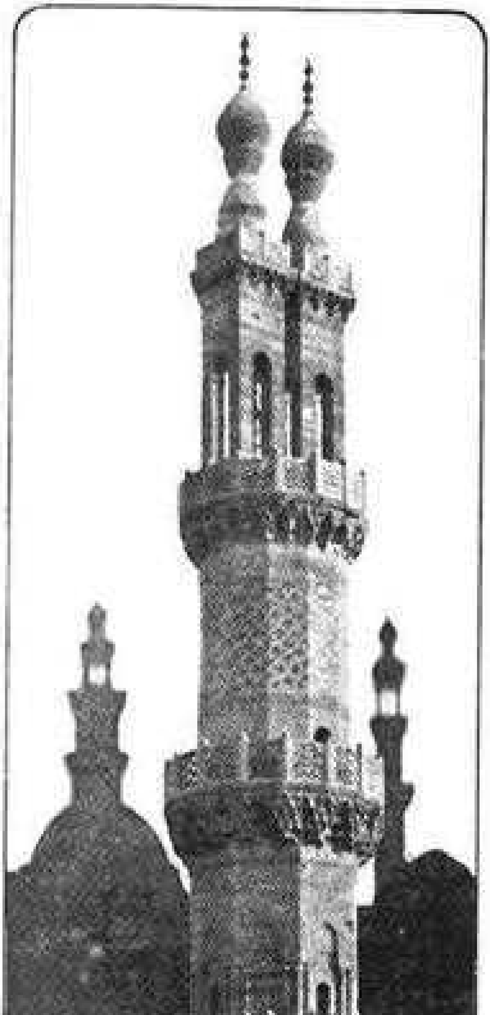
ج : برضاع الفتاة من أختك خمس رضعات فأكثر متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع وهو (حولان) صارت بنتا لأختك وبنت الأخت من الرضاع محرمة على خالها من الرضـــاع ٠٠ فهذه البنت محرمة عليك لأنهـا بنت أختك من الرضاع ٠ والرضاع يحرم به مايحـــرم من النسب ٠

الشبكة والمهر

س : من السيد / م ٠ ك ٠ ط ٠

توفيت فتاة قبل الدخول بها وتركت : زوجا، ابا ، وقد اعطى الزوج الأب مهرا وشـــبكة وللزوجة مؤخر صداق ٠ فما الحكم ؟

ج : الشبكة والمهر والمؤخر يعد تركة تقسم حسب الفريضة الشرعية ، للزوج النصـــف فرضا لعدم وجود الفرع الـــوارث ، والباقى للأب تعصيبا ٠ والله اعلم ٠٠



اللغة والأدب والنقد

- بين التهذيب واللسان
- أقسام المنادى
- الشعر الجديد
- شاه ولي الله
- الرسالة الخالدة
- صدى الأيام

بين التهذيب واللسان

للدكتور محمد عبد الحفيظ العريان

لقد قيل « ان أول التجديد قتل القديم دراسة » ..

من وحى هذا المبدأ الهام يتعين ـ فى نظرى ـ ان ننطلق لدراسة تراثنا العلمى واللغوى والأدبى ، اذ لا جديد بدون قديم أصيل ثابت . ولا فضل لقديم يقنع بنفسه ولايتطور أو يتجدد مع الزمن ، ومن ثم حرصت قدر الامكان فى هذا العمل ، على ربط الصلة بين الماضى والحاضر والقديم والحديث ، حتى يشعر القارىء بمواطن الالتقاء ومواطن الافتراق بينهما ، وحتى لا يشعر بالقطيعة بين فقه اللغة القديم وعلم اللغة الحديث ، فلا يختنق فى الحدود القديمة الضيقة ، ولا يتيه فى مجال النظريات الحديثة المتشعبة ومصطلحاتها العديدة المتجددة .

ولعل المعاجم اللغوية القديمة من أعظم التراث العربى المحتاج الى درس ومراجعة قصد احيائه وتيسير مادته وجعله فى متناول شبابنا .

لذا حاولت فى نطاق هذه النظرة ـ دراسة معجم لسان العرب لابن منظور الافريقى (١) باعتباره من أهم المعاجم اللغوية القديمة وأدقها ، وقد قال فيه شيخ المحققين الأستاذ عبد السلام هارون وقد جرى العلماء المعاصرون على توثيق هذا المعجم الجامع وجعلوه فى قمة مراجعهم اللغوية التى يعتمدون عليها (٢) بيد أن هذا المعجم القيم اذا استثنينا بعض الدراسات الجزئية ـ لم يظفر بدراسة مستقلة جامعة ، تبرز قيمته ومدى مساهمته فى ضبط مفردات اللغة وجمعها بالمقارنة للمعاجم السابقة واللاحقة .

لذا رأيت فى نطاق جهدى المتواضع ، أن أفضل طريقة تمكننا من دراسة هذا المعجم ، هى الرجوع الى مصادرة الخمسة التى اعتمدها ابن منظور ، وأخذ منها قصد المقارنة

(١) (ت ٧١١ هـ) .

(٢) مجلة المجمع اللغوى القاهرة : السنة الثامنة ، العدد ٩٦ ص / ١٠٢ .

بين التهذيب واللسان

بينها وبين اللسان ، لنعرف الى أى مدى كان ابن منظور أمينا فى نقله ، وماهو موقفه من أصحاب المعاجم السابقة .

اول المصادر :

وبما أن التهذيب لأبى منصور الأزهرى(١) كان أول المصادر التى ذكرها ابن منظور فى مقدمة اللسان ، والتى اعتمدها فى تأليف معجمه اذ وصفه بقوله « ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، (٢) فقد رأيت ضرورة المقارنة بين معجمى التهذيب واللسان وان كنت أعتقد أن هذه المقارنة ناقصة مبتورة اذ لابد من المقارنة بين المصادر الخمسة وبين اللسان لتكون أكثر دقة وشمولا .

وعلى هذا ، فانى أعتبر هذه المقارنة الجزئية بين التهذيب واللسان ، ليست سوى محاولة تمهيدية ، لدراسة واسعة شاملة مدققة تتناول مادة اللسان ومقارنتها بمادة المعاجم السابقة المعتمدة لدى العالم الجليل ابن منظور الأفريقى .

وقد ركزت بحثى هذا على عناصر ستة :

١ ــ الغاية من تأليف المعجمين .

٢ ــ منهجهما العام فى التأليف .

٣ ــ منهجهما الخاص فى جمع المادة اللغوية وطريقة ترتيب مشتقاتها .

٤ ــ وسائل التفسير والشرح فى المعجمين .

٥ ــ دور التهذيب فى بناء اللسان .

٦ ــ هل كان ابن منظور والأزهرى أمينين فى نقلهما ؟ .

١ ــ الغاية من تأليف المعجمين :

من الواضح للمشتغلين بأمور اللغة أن غاية أصحاب المعاجم القديمة هى حفظ اللغة العربية ، وصيانتها من التلاشى والانحلال بتسرب الساقط المبتذل من عجمة الموالى ، أو بطغيان الدخيل على لغة القرآن لغة الدين الاسلامى ، غير أنه من الثابت أيضا أن لكل عالم من هؤلاء غايته الخاصة ، التى تختلف باختلاف العصر الذى عاشه ، وتتكيف حسب العوامل الاجتماعية والفكرية التى أثرت فيه فدفعته لتأليف معجمه ــ فما هى أولا ــ غاية الأزهرى من تأليفه لمعجمه التهذيب وما هى غاية ابن منظور من تأليف اللسان ثانيا ؟

(أ) غاية الأزهرى :

لقد عاش الأزهرى فى أواخر القرن الثالث وفى القرن الرابع أى بين (٢٨٢ هـ ــ ٣٧٠ هـ) وهذه الفترة امتازت بظاهرتين متناقضتين وهما :

أولا : انحطاط الحياة السياسية والاجتماعية .

ثانيا : رقى فكرى ونضج علمى ــ وقد تولدت عن هذا التناقض حركات مذهبية متباينة وتيارات فكرية متصارعة كحركة اخوان الصفا وطوائف الشيعة المتطرفة ، وقد نتج عن ذلك ــ من الوجهة الدينية أن أصبحت

---

(١) (ت ٣٧٠ هـ) .

(٢) لسان العرب ١١/١/ ط . دار المعارف بالقاهرة .

الآيات القرآنية عرضة للتأويل والتفاسير المتكلفة التي تتفق ونزعات تلك المذاهب لأغراض مذهبية حينا ولأهداف سياسية حينا آخر .

وقد لاحظ الأزهري ذلك فصرح به في مقدمة التهذيب قائلا « فعلينا أن نجتهد في تعلم مايتوصل بتعلمه الى معرفة ضروب خطاب الكتاب ، ثم السنن المبينة لجمل التنزيل الموضحة للتأويل لتنتفي عنا الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء أهل الزيغ والالحاد ، ثم على رءوس ذوي الأهواء والبدع الذين تأولوا بآرائهم المدخولة فأخطئوا ، وتكلموا في كتاب الله — عز وجل — بلكنتهم العجمية دون معرفة ثاقبة فضلوا وأضلوا » (١) .

فالأزهري يؤمن حسب هذا النص — بضرورة دراسة اللغة العربية دراسة عميقة ، ومعرفة قواعدها معرفة شافية لتجنب التأويل الخاطئ للقرآن الكريم الناتجة عن الحاد وزيغ وعن جهل بالعربية لسيطرة العجمة — فهو يرمي — اذن — الى هدفين مزدوجين رئيسين من تأليف معجمه التهذيب ، أولهما: ديني ، وثانيهما : لغوي — وقد جسم الأزهري هاتين الغايتين المثاليتين في أمور ثلاثة فقال : « وقد دعاني الى ماجمعت في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها خلال ثلاث :

١ — منها تقييد نكت حفظتها ووعيتها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سنيات .

٢ — النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين في افادتهم لعلهم يحتاجون اليه .

٣ — والخلة الثالثة التي لها أكثر القصد أني .. : ألفيت طلاب هذا الشأن من أبناء زماننا لايعرفون من آفات الكتب المصحفة المدخولة ماعرفته ، ولا يميزون صحيحها من سقيمها كما ميزته ، وكان من النصيحة التي التزمتها توخيا للمثوبه من الله عليها أن أنصح عن لغة العرب ولسانها العربي .. وأن أهذبها بجهدي غاية التهذيب ، وأدل على التصحيف الواقع في كتب المتحاذقين .. لئلا يغتربه من يجهله ولا يعتمده من لايعرفه » (٢) .

هكذا نلاحظ اذن أن الأزهري كان يرمي من خلال تأليفه لمعجمه التهذيب الى غربلة اللغة وتنقيتها من الألفاظ التي تسربت اليها عن طريق معاصريه أو السابقين له من رجال اللغة — كما يرمي الى حماية القرآن من التأويل الباطلة .

(ب) غاية ابن منظور : أما ابن منظور — كما يبدو من خلال مقدمة اللسان فانه يؤمن كالأزهري بنفس الهدف ، بل انى أعتقد أن ابن‌منظور قد تأثر الى حد كبير بروح الأزهري ولعله قد استمد تسمية معجمه (بلسان العرب) من مقدمة التهذيب ، ودليلي على ذلك تكرار الأزهري لكلمة لسان العرب مايزيد عن

---

(١) التهذيب : ١ : ٤ لابي منصور الأزهري ، تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ومراجعة الشيخ محمد علي النجار نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة) ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م .

(٢) التهذيب : ١ : ٦ — ٧ .

بين التهذيب واللسان

ست مرات ثم على الحاحه وتاكيده على حماية العربية من العجمة ومن شوائب الغلط واللحن ، ومهما يكن من أمر فان ابن منظور كان معجبا بالتهذيب وقد قال فيه : « ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبى منظور محمد بن أحمد الأزهرى » (١) فماذا يعنى ابن منظور بكلمة (أجمل) ؟ ، لاشك أن (اجمل) أفعل تفضيل من فعل (جمل) وقد فسر ابن منظور الجمال بقوله : « الجمال مصدر الجميل ، والفعل جمل وقوله عز وجل **« ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون »** أى بهاء وحسن ــ ابن سيده : الجمال الحسن ويكون فى الفعل والخلق (٢)».

واذا كان الجمال هو الحسن والبهاء فان ابن منظور لايريد مدح التهذيب من جانب (الكم) أى وفرة المادة الموجودة فيه بقدر مايريد اطراء جانب (الكيف) أى تطريزه لشروح المادة بذكر آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأشعار وأشعارا فصيحة خاصة أن ابن منظور قد وصف (محكم ابن سيد) بكونه (أكمل) كتب اللغة أى أكثرها اتساعا وجمعاء.

وفكرة المزج بين الشرح وبين الشاهد القرآنى والشعرى غاية مشتركة بين الأزهرى وابن منظور حتى يثبتا الصحيح الفصيح كما

(١) لسان العرب : ١ : ١١ .
(٢) نفسه : ١ : ٦٨٥ .

ورد فى القرآن أو الحديث أو الشعر الذى يصح الاحتجاج به .

وخلاصة القول فانه يمكن حصر الغايات والدوافع المشتركة بين ابن منظور والازهرى لتاليف معجميهما فى أمور ثلاثة :

١ ــ ارتباط اللغة بالقرآن والحديث .
٢ ــ استقصاء المفردات اللغوية .
٣ ــ انتشار الجهل بين الناس بالعربية ومقاومة هذا التيار المدمر للغة .

وبما أن ابن منظور قد عاش فيما بين سنة (٦٣٠ هـ ــ ٧١١ هـ) فقد كانت ظروفه السياسية والاجتماعية تختلف عن ظروف الأزهرى ، فقد سيطر التقليد والاتباع واجترار ما ابتكره العلماء السابقون الذين ظهروا فى عصور الازدهار الحضارى ، كما كان عصر ابن منظور عصر الاسفاف الأدبى واللغوى اذ تهلهلت فيه أساليب الشعر وساد التكلف واصبح اللحن فى الكلام كما قال ابن منظور ــ « يعد لحنا مردودا وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا ، وتنافس الناس فى تصانيف الترجمانات فى اللغة الأعجمية وتفاصحوا فى غير اللغة العربية(١) » .

ونتيجة هذا الواقع الذى تألم منه ابن منظور تألما شديدا أراد زيادة عن الغايات الثلاثة المشتركة بينه وبين الأزهرى ــ أن

(١) لسان العرب : ١ : ١٢ .

يقاوم تلك النزعة المحقرة للعربيــة بتفضــيل لغة أجنبية عنها ــ تقف عند فعل (تفاصحوا) الذى يفيد التسابق والتبارى فى اتقان هــذه اللغات الأجنبية على حين أن العربية عند ابن منظور على الأقل هى لغة الفصاحة التى يتعين التنافس فى معرفة قواعدها وفى تأليف الكتب بلسانها .

هكذا نلاحظ أن غاية الأزهرى وابن منظور وغيرهما من مصــنفى المعاجم ، لم تكن فقط جمعا واستقصاء لمفردات اللغة ، بل كانت الى جانب ذلك تهدف الى غرض أسمى وهو حماية الروح العربية الاســلامية من تلك الحملات الشعوبية والتمهيدية التى تحلم بالقضاء على تلك الروح العربية الاسلامية منــذ القــديم ومازالت تحاول ...

١ ــ منهجهما العام : لم يبتكر ابن منظــور والأزهرى منهجهما التأليفى ، فقد كانا كلاهما مقلدين للسابقين من أصحاب المعاجم المتقدمة فقد اتبع الأزهرى منهج الخليل بن أحمد ــ كما اتبع ابن منظــور منهــج البنــدنيجى فى تقفيته(١) أو منهج الجوهرى فى صحاحه كما هو شائع بين المشتغلين فى الحقل اللغوى فكيف كان ذلك ؟

(أ) منهج الخليل : لقــد عدل الخليل عن نظام الأبجدية المألوفة مخيرا ترتيب الكلمات حسب مخارجها ، وقد قسم مخارج الحـــروف الى مجموعات تبدأ بالمجموعة الحلقيــة التى أولها العين وتنتهى بالمجموعة الشفوية ونهايتها حرف الميم ، ثم تراه قد سجل هذه الكلمات ـ كما ذكر ذلك الأزهرى فى مقدمة التهذيب على النحو التالى :

١ ــ الثنائى وهو ما اجتمع فيه حرفان من الحروف الصحيحة .

٢ ــ الثلاثى الصحيح وهو ما اجتمع فيــه ثلاثة أحرف صحيحة أصلية .

٣ ــ الثلاثى المعتل .

٤ ــ اللفيف « المفروق والمقرون » .

٥ ــ الرباعى والخماسى .

٦ ــ المعتل : وهو يشمل الهمزة باعتبار انها قد تسهل الى أحد الحروف المعتلة .

وأخيرا يشرح الكلمة ومقلوباتهــا فى موقف واحد ، ومعنى ذلك أن منهج التقليبات يعتمد على تقليب المادة على أوجهها ليرى منها ماهو مستعمل وماهو مهمل ومثال ذلك . أن المنهــج يفترض لمادة ــ ضرب ــ أوجها ستة نظــرية

---

(١) هو ابو بشر بن اليمان بن ابى اليمــان البندنيجى المتوفى عام ٢٨٤ هـ صاحب ، معجم التقفية فى اللغة ، وقد نشر هذا المعجم الجليل فى بغداد محققا بواسطة الدكتور خليــل ابراهيم العطية عام ١٩٧٦ م وفى مقدمته اثبت البندنيجى انه المؤسس الحقيقى لمدرسة القافية وليس الجوهرى كما هو شائع بين جمهور المشتغلين باللغة .

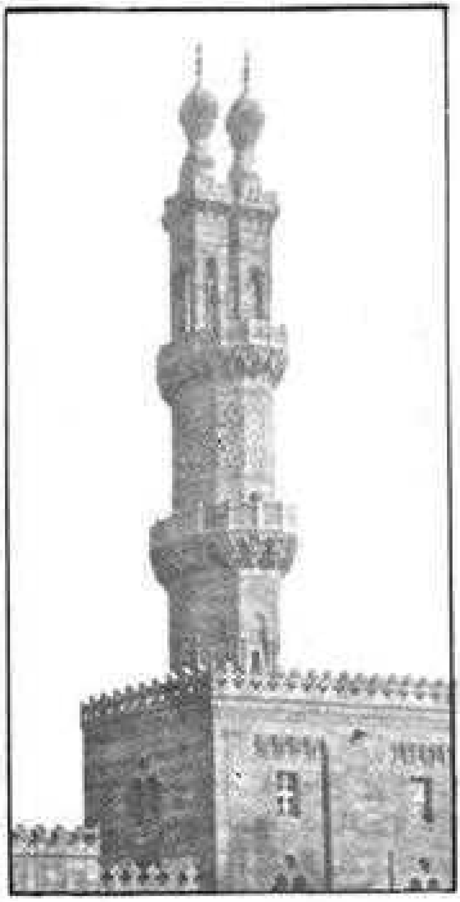
بين التهذيب واللسان

آتية من اجتماع لفظين مبدوأين بالضاد ـ (ضرب ـ ضبر) ومن اجتماع لفظين مبدوأين بالراء (رضب ـ ربض) ومن اجتماع لفظين مبدوأين بالباء ـ (برض ـ بضر) .

ثم يقع النظر بعد ذلك فما وافق منها الواقع سمى مستعملا والاسمى مهملا كما ذكرنا ذلك ويبدو الأزهرى من خلال مقدمة التهذيب معجبا بهذا المنهج ففضله على غيره ورتب عليه معجمه « وعلمت أنه لا يفوق أحد الخليل فيما أسسه ورسمه فرأيت أن أنقله بعينه(١) » .

غير أن ابن منظور لم يرتض هذا المنهج فنقده فى مقدمة اللسان أثناء تعرضه لمعجمى التهذيب والمحكم فقال : « غير أن كلا منهما مطلب عسر المهلك ومنهل وعر المسلك وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا وجلاهم عنه.

فأهمل الناس أمرهما وليس لذلك سبب الا سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب(٢) » فابن منظور ـ اذن ـ قد عدل عن هذا لما لاحظه فيه من خلط وفوضى ثم بحث عن منهج آخر فوجد تنظيم الجوهرى أكثر احكاما ويسرا « ورأيت أبا نصر اسماعيل ابن حماد الجوهرى (ت ٣٩٨ هـ) وقد أحسن



ترتيب مختصره وشهره بسهولة وضعه(٣) » فما منهج الجوهرى وما هى خصائصه ؟

(يتبع)

د / محمد عبد الحفيظ العريان

---

(١) التهذيب : ١ : ٤١ بتصرف .

(٢) لسان العرب : ١ : ١١ .

(٣) نفسه .

أقسام المنادى

للأستاذ أحمد حسن عبد العزيز الهلالي

المنادى أقسام أربعة :

اولها : مايجب بناؤه على ما يرفع به لو كان معربا أو على ما يرفع به نظيره من حركة ظاهرة أو مقدرة أو حرف ، وهو ما اجتمع فيه أمران :

الأول : التعريف سواء كان ذلك التعريف سابقا على النداء كالعلمية نحو (يا طارق) وتعريفه هذا بالعلمية باق بعد النداء وازداد به وضوحا ، وقيل : سلب منه تعريف العلمية ، وتعرف مجددا بالقصد والاقبال ، وهو مذهب الفارسى والمبرد ، ورد هذا بنداء ما لا يمكن سلب تعريفه ، وهو لفظ الجلالة ، واسم الاشارة فلا يمكن سلب تعريفهما لانهما لا يقبلان التنكير أو كان التعريف عارضا فيه بسبب القصد والاقبال مع كون الكلمة مناداة وهو النكرة المقصودة نحو يا غلام اقبل تريد به غلاما معينا .

الأمر الثانى الافراد : ويقصد به الا يكون مضافا ولا شبيها به ، فيدخل المركب المزجى نحو (يا بعلبك) والمركب العددى (يا خمسة عشر) والمثنى والمجموع على حده نحو (يا خالدان ، ويا خالدون) ، والمنكر كذلك فى التثنية والجمع السالم نحو (يا رجلان ، ويا مسلمون) ، وجمع التكسير للمذكر (يا زيود ، ويا فهود) وجمع السالم المؤنث نحو (يا فاطمات) وتكسيره أيضا نحو (يا فواطم) . فكل ما كان منها معربا صحيح الآخر غير مثنى ولا مجموع على حده ظهرت فيه ضمة البناء ، وما كان مثنى أو مجموعا على حده بنى على الحرف النائب عن الضمة وهو الألف فى المثنى والواو فى جمع المذكر السالم، وما كان مبنيا قبل النداء سواء أكان علما نحو سيبويه فى لغة من بناه والمركب العددى نحو (خمسة عشر) مسمى به وحذام فى لغة الحجاز أم غير علم نحو هؤلاء فى لغة الضم وهذا ، وأين ، وأنت ، وكذلك ما كان معربا معتل الآخر كفتى ، وموسى ومولى ، وقاض ومهتد ، قدرت فيه الضمة ففى نحو (ياسيبويه ، وياهؤلاء ، وياهذا ، ويا أنت) ضمة مقدرة فى آخره مجددة لبنائه ويظهر أثر ذلك التقدير فى تابعه ، فتقول (ياسيبويه العالم) برفع العالم مراعاة للضمة المقدرة فى آخر المنادى ، ونصبه مراعاة لمحله فان محله النصب كما تفعل فى تابع ما تجدد بناؤه بالقصد والاقبال ، نحو (يا زيد الفاضل)

أقسام المنادى

برفع الفاضل مراعاة للفظ ، ونصبه مراعاة المحل .

والمحكي كالمبني قبل النداء في جعل اعرابه تقديريا ، وأنه يبنى على ضم منوى ، ويرفع تابعه أو ينصب وانما بنى المنادى المعرفة لوقوعه في موقع ضمير الخطاب في نحو (أدعوك أو أطلبك) المشابه لفظا ومعنى لكاف الخطاب الحرفية في نحو (ذلك أو تلك أو هنالك) ومماثلته لها افرادا أو تعريفا . وانما ذهبنا الى القول : بمشابهة كاف الخطاب الاسمية لفظا ومعنى لكاف الخطاب الحرفية ، لأن الاسم انما يبنى لمشابهته الحرف لا لمشابهة اسم مبنى ، وخرج بقولنا : ومماثلته لها افراد المضاف وشبهه ، وبقولنا : وتعريف النكرة غير المقصودة لأنها لم تماثلها تعريفا ، وكان بناؤه على الحركة غالبا للاعلام بأن بناءه غير أصلى ، وكانت الحركة ضمة ، لأنه لو بنى على الكسر لالتبس بالمنادى المضاف الى ياء المتكلم عند حذف يائه اكتفاء بالكسرة، ولو بنى على الفتح لالتبس به أيضا عند حذف ألفه المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحه ، ولو قيل : ان المنادى المضاف للياء يجوز فيه الضم عند حذف يائه فلا يحصل الفرق ، أجيب بأنه قليل نادر فلا يلتفت اليه .

ويجوز في المعرف بالقصد والاقبال ، (النكرة المقصودة) النصب جوازا مرجحا اذا وصف بمفرد أو بجملة أو ظرف بل جعله كثير من النحاة واجبا ذاهبين الى أنه من الشبيه بالمضاف كما يفيده قول صاحب الهمع : أما الموصوفة بمفرد أو جملة أو ظرف فمن شبه المضاف فتنصب ، واستدلوا لهذا بما روى من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده : يا عظيما يرجى لكل عظيم ، ومثل : يا لطيفا لم يزل ، ويا حليما لا يعجل .

ويفيد صاحب التصريح أن أحوال النكرة الموصوفة ثلاثة :

أولها : وجوب النصب في حالة دخول النداء على الموصوف وصفته معا بأن يطرأ النداء بعد الوصف بالصفة ، لأنه حينئذ من الشبيه بالمضاف .

ثانيها : وجوب البناء في حال ورود الوصف بالصفة بعد وقوع النداء فيكون المنادى هو الموصوف وحده وهو مفرد مقصود بالنداء ، ثم يرد عليه الوصف بعد ندائه .

ثالثها : جواز الأمرين النصب والبناء عند امكان تقدير الاحتمالين وللموضح رأى في الجملة الواقعة بعد المنادى في مثل : يا عظيما يرجى لكل عظيم ويا حليما لا يعجل ، أن هذه الجملة حال من الضمير المستتر في الوصف وهو المخاطب بالنداء لا نعت للمنادى حال نصبه ، وهي حينئذ عاملة فيما بعدها فهو من الشبيه بالمضاف الواجب النصب ، وفيه رد على ابن مالك حيث جعل الجملة نعتا .

الثاني من أقسام المنادى : مايجب نصبه ، وهو أنواع ثلاثة .

١ ــ النكرة غير المقصودة جامدة كانت أو مشتقة في شعر أو نثر نحو قول الأعمى : (يا رجلا خذ بيدى) ، وقول عبد يغوث بن وقاص الحارثي :

فيا راكبا اما عرضت فبلغن
ندامای من نجران الا تلاقيا

وقول الواعظ مثلا : (يا غافلا والموت يطلبه) على اعتبار الواو استئنافية ليصح التمثيل للنكرة غير المقصودة اذ لو جعلت الواو حالية لكان من الشبيه بالمضاف ، والمعنى في الجملة ظاهر على الحالية لا على الاستئناف ولذا كان الأولى أن يجعل من الشبيه بالمضاف لا من المفرد المنكر .

وقد أنكر المازني وجود هذا النوع مدعيا أن نداء غير المعين لا يمكن ، ولا فائدة له ، وتنوينه شاذ أو ضرورة لأنه لا يحقق الغرض من النداء ، فلا يلبى ولا يستجيب بفعل مأمور به أو ترك منهى عنه ، فنداؤه لغو وعبث لا غناء فيه ولا ثمرة له ، فينبغي اغفاله وعدم الاعتداد به ، والالتفات اليه .

٢ ــ **المضاف** : سواء كانت اضافته محضة، أي خالصة من شائبة الانفصال نحو : (ياعباد الله اتقوا ربكم) أو غير محضة باضافة الوصف المشبه للفعل الى معموله نحو (يا حميد الخصال ، يا ناصر الحق) بشرط ألا يضاف الى ضمير الخطاب فان أضيف اليه فلا ينادى فلا يقال (يا غلامك) لأنه يستلزم اجتماع النقيضين لاقتضاء النداء خطاب الغلام ، واضافة الغلام الى ضمير الخطاب يقتضى عدم خطابه ، لوجوب تغاير المتضايفين ، وامتناع اجتماع خطابين لشخصين في جملة واحدة .

٣ ــ **الشبيه بالمضاف** : وهو ما اتصل به شيء يتمم معناه ، بأن يكون معمولا له : رفعا نحو (يا حسنا خلقه) أو نصبا نحو (ياقاصدا مكة) أو جرا نحو (يا محسنا الى الفقير ، يا رءوفا بالعباد) ، أو يكون المنادى مفردا نكرة منعوتا بمفرد نحو (يا رجلا كريما أقبل) أو بجملة نحو (يا صديقا يحفظ الجميل) أو بظرف نحو (يا سائرا أمام الركب تمهل) حيث أن النداء ورد على الموصوف والوصف معا ، أي أنه طرأ بعد الوصف بالصفة فعمل الموصوف وهو المنادى فيما بعده وهو الصفة فهو لهذا من الشبيه بالمضاف ، ويتبين من هذا أن الشبيه بالمضاف لا ينحصر فيما عمل فيما بعده أو عطف عليه ما بعده بل منه أيضا النكرة الموصوفة بمفرد أو جملة أو ظرف كما سلف أو معطوفا عليه قبل النداء نحو (يا ثلاثة وثلاثين) فيمن سميته بالكلمتين أي بمجموع المعطوف والمعطوف عليه معا فيجب نصبهما اتفاقا للطول ، أما نصب ثلاثة فلأنه شبيه بالمضاف من حيث أن الثاني من تمام الأول لأن التسمية حدثت باللفظين مع حرف العطف ، وحرف العطف يقتضى معطوفا ومعطوفا عليه، وهو بمنزلة العامل فصار كأنه بعض اسم عمل في آخر فأشبه (يا راكبا جملا) ، وأما نصب ثلاثين فبالعطف على ثلاثة ، ويمتنع ادخال (يا) على ثلاثين ، لأنه جزء العلم الثاني ، مثل شمس من عبد شمس .

وان ناديت جماعة عدتهم مساوية هذا العدد ، فان كانت غير معينة نصبتهما وجوبا لأن الأول نكرة غير مقصودة والثاني معطوف على المنصوب وان كانت معينة ضممت الأول ، وعرفت الثاني بأل وجوبا ونصبته أو رفعته لأنه اسم جنس أريد به معين فوجب ادخال أداة التعريف عليه ، ولم يكتف بحرف النداء لأنه لم يباشره ثم نصبته عطفا على محل الأول اذ محله النصب أو رفعته عطفا على لفظه الا ان أعدت معه (يا) فيجب ضمه وتجريده من أل ، لأنه لا يجمع بين (يا) و (أل) الا مع لفظ الجلالة والجمل المحكية المصدرة بأل .

أقسام المنادى

القسم الثالث من المنادى : ما يجوز ضمه وفتحه ، وهو نوعان :

الأول : منهما ما استوفى شروطا ثمانية : أن يكون المنادى علما ، مفردا ، موصوفا ، والوصف لفظ ابن أو ابنة ، متصل به ، مفرد ليس مثنى ولا مجموعا على حده ، مضاف الى علم ، والمنادى المنعوت ذا حركة ظاهرة أي صحيح الآخر ، فاذا اجتمعت تلك الشروط نحو : يازيد بن سعيد ، ويا مصعب ابن عمير ، جاز فيه الضم على الأصل ، لأنه علم مفرد ، وجاز فيه الفتح على ثلاثة أوجه :

١ ـ اما على الاتباع لفتحة ابن ، اذ أن الحاجز بينهما غير حصين لأنه ساكن .

٢ ـ أو على تركيب الصفة مع الموصوف وجعلهما شيئا واحدا كخمسة عشر .

٣ ـ واما على اقحام ابن بين المتضايفين ، واضافة زيد الى سعيد لأن ابن الشخص تجوز اضافته اليه لملابسته اياه .

وفتحة المنادى (زيد ، ومصعب) على الوجه الأول فتحة اتباع ، وعلى الوجه الثاني فتحة بناء وعلى الثالث فتحة اعراب ، وفتحة ابن فتحة اعراب اذا ضم المنادى أو فتح اتباعا أو نصب اعرابا ، وفتحة بناء على الوجه الثاني القائل بتركيب الصفة مع الموصوف .

والمختار عند البصريين عدا المبرد الفتح ، وهو عندهم أكثر من الضم لخفته ، وعليه قول الشاعر :

يا حكم بن المنذر بن الجارود
سرادق المجد عليك ممدود

بفتح حكم ، ويرى المبرد أن الضم أجود وهو القياس ، وأنه لو قال يا حكم بالضم لكان أولى اذ هو الأصل في المنادى المفرد العلم .

وتابع هذا المنادى الموصوف بابن أو ابنة يجب نصبه اذا كان المنادى مفتوحا بناء أو منصوبا اعرابا نحو يا راشد بن حبيب العاقل ، بنصب العاقل ، اما اذا كان مضموما فكذلك عند جماعة وكان الموجب للنصب والمانع من الرفع عند ضم المنادى هو الفصل بين التابع والمتبوع بالوصف (ابن أو ابنة) ، وفريق يرى أنه لا مانع من رفعه عند ضم متبوعه فاذا فقد واحد من تلك الشروط الثمانية : بأن كان المنادى غير علم نحو (يا رجل ابن جابر) أو كان غير مفرد أي مضافا نحو (يا عبد العزيز ابن هشام ، أو يا عبد الرحمن بن عوف) أو لم يكن الوصف لفظ ابن أو ابنة نحو (يا حسين الشهيد) أو لم يتصل به نحو (يا جميل العاشق ابن معمر ، ويا صالح المقدام ابن طريف) أو لم يكن الابن صفة ، نحو (يامحمد ابن جعفر ارحم الضعفاء) على أنه بدل أو بيان أو منادى مستأنفا حذف حرف ندائه أو كان مضافا الى غير علم نحو (يا علي ابن قريتنا) أو كانت الحركة فيه مقدرة نحو (يا عيسى ابن مريم ، يا موسى بن عمران ، يا مصطفى بن اسماعيل ، يا مرتضى بن جعفر) أو اذا ثني الوصف أو جمع ، وهو ما لا يعقل تصوره مع اشتراط افراد المنادى اذا فقد أحد هذه الشروط الثمانية ، وجب نصب غير المفرد ، وهو المضاف نحو (يا عبد المعز بن بدر) وتعين الضم في الباقي وعلة وجوب تقدير الضم في ذي الحركة المقدرة أي المعتل هو أن تقدير الفتحة لا فائدة له وقد أجاز الفراء تقدير

الضمة والفتحة ، فالضمة على الأصل ، والفتحة على الاتباع أو التركيب أو اقحام ابن واضافة مقدر الحركة الى ما بعد ابن ولم يشترط الكوفيون أن يكون الوصف ابنا فان أي وصف نصب مسوغ عندهم لجواز الفتح في المنادى الموصوف به بناء على أن علة الفتح عندهم هي التركيب ، واستدلوا بقول جرير يمدح عمر بن عبد العزيز :

فما كعب بن مامة وابن سعدى
باجود منك يا عمر الجوادا

بفتح عمر والجوادا ، وقافية القصيدة كلها منصوبة ، ورد استدلالهم بأن عمر في البيت أصله عمرا بالألف بناء على جواز زيادتها في غير ندبة أو استغاثة أو تعجب ، ثم حذفت ، ويحتمل أنه نون ضرورة ثم حذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وحكى الأخفش أن بعض العرب يضم ابن اتباعا للمنادى في حالة ضمه .

والوصف بابنة مثل الوصف بابن في جواز الضم والفتح في المنادى الموصوف به ، اذ هو ابن بزيادة التاء ، وهي في حكم الانفصال نحو (يا هند بنة عتبه) بضم هند على الأصل ، وفتحها اتباعا لفتحة ابنة لأن الحاجز بينهما ساكن فهو غير حصين ، أو للتركيب ، أو الاضافة واقحام ابنه بين المتضايفين .

بخلاف الوصف (ببنت) أو (ابن ، وابنة) مصغرين فانه لا تأثير له ، فنحو : (يا فاطمة بنت محمد ، ويا سعد بني سعيد ، ويا عاتكة بنية وائل) يتعين فيه الضم ويمتنع الفتح لتعذر الاتباع ، وذلك لوجود حاجز حصين بين الوصف والموصوف وهو تحرك الباء الموحدة في الوصف ، وجوز بعضهم فيه الفتح سماعا بناء على أن الفتح للتركيب لا للاتباع ، وهو جائز لا اعتراض عليه .

واذا وقع الابن بين علمين في غير النداء وكان صفة لما قبله فحكمه أن يحذف تنوين موصوفه لفظا ، وألف ابن خطا كما في النداء ، تقول : جاءني سهيل بن عمرو بحذف تنوين سهيل ، وألف ابن كتابة الا اذا جاءت ابتداء سطر ويجوز تنوينه ضرورة ، كقوله : جارية من قيس بن ثعلبة : تزوجت شيخا غليظ الرقبة بتنوين قيس للضرورة . وان كان الابن خبرا لا صفة انعكس الحكم فينون المخبر عنه اذا كان مصروفا تقول : بلال بن رباح ، وعمار ابن ياسر ، وعامر بن خزيمة ، وكذلك اذا لم يقع الابن بين علمين نحو : حضر محمود ابن أستاذنا بتنوين محمود واثبات ألف ابن كتابة، لهذا الحكم ، وهو حذف التنوين من الموصوف وألف ابن خطا رهن بتوفر شرطين .

أولهما : أن يقع الابن بين علمين .

وثانيهما : أن يكون صفة للعلم الذي تقدمه، فمتى فقد أحد الشرطين عاد الاسم الى أصله من التنوين ، وثبتت ألف الابن خطا .

القسم الثاني مما يجوز فيه الضم والفتح : أن يكرر المنادى مضافا ثاني المكررين ، علما كان أو غير علم ، نحو (يا سعد سعد الأوس لا تهن) أي لا تضعف أو لا تؤذ وتحقر أحدا ، فالثاني من المكررين واجب النصب أما الأول ، فيجوز فيه الضم والفتح ، أما الضم فهو الأصل والأكثر استعمالا ، لأنه علم مفرد ، ويكون الثاني حينئذ بيانا للأول أو بدلا منه أو منادى ثانيا بتقدير (يا) ، أو مفعولا باضمار (أعني) ونحوه ، أو توكيدا لفظيا وهو مذهب ابن مالك،

أقسام المنادى

واعترضه أبو حيان بأن التوكيد لا يجوز لاختلاف نوعي التعريف فيهما ، فالأول معرف بالعلمية أو بالنداء ، والثانى بالاضافة ، وثم مانع أقوى وهو اتصال الثانى بما لم يتصل به الأول ويستمسك ابن مالك بظاهر تعريف التوكيد اللفظى فانه صادق مع اختلاف وجهى التعريف ومع اتصال الثانى بما لم يتصل به الأول .

واما النصب فعلى ثلاثة أوجه :

اولها : أنه مضاف لما بعد الثانى وأن الثانى مقحم بينهما بناء على جواز اقحام الأسماء ، وهو محظور عند أكثر النحويين ، وعلى جوازه ففيه فصل بين المتضايفين ، وهما كالشيء الواحد وكان ينبغى أن ينون الثانى لقطعه عن الاضافة ، ويجاب بأن عدم تنوينه انما هو لمشاكلة الأول المؤكد به .

ثانيها : أنه مضاف الى محذوف مماثل لما أضيف اليه الثانى ، وأن التقدير (يا سعد الأوس ، سعد الأوس) فحذف المضاف اليه الأول لدلالة الثانى عليه ، نظير قولهم : قطع الله يد ، ورجل من قالها وهو قليل فى كلامهم وسعد الثانى حينئذ بيان للأول أو بدل منه أو توكيد لفظى أو منادى ثان حذف منه حرف النداء ويرى الفراء أن الاسمين مضافان لما بعدهما فهما منصوبان اعرابا للاضافة ، ولا حذف ولا اقحام ، وهو ضعيف لتوارد عاملين على معمول واحد ، الا أن يقال : ان العاملين هنا ، وهما المنادى المكرر متحدان لفظا ومعنى فكأنهما عامل واحد ، وهذا نظير قولك : جاء سعيد ، وأتى هاشم العاقلان .

ثالثها : أن الاسمين ركبا تركيب خمسة عشر ، ثم أضيفا بعد التركيب ، كخمسة عشر داود ، ورد هذا بأن فيه تكلف تركيب ثلاثة أشياء وجعلها كالشيء الواحد ، ولا وجه لهذا الاعتراض اذ المركب فى الحقيقة شيئان فقط أما الثالث فهو المضاف اليه .

ولا يشترط فى المنادى المكرر أن يكون علما، فان اسم الجنس نحو (يا غلام غلام كندة) و (يا رجل رجل الساعة) ، وكذلك الوصف نحو (يا جابر جابر العثرات ، ويا واهب واهب الجزيل ، ويا صاحب صاحب الأمير) كالعلم تماما فى كل ما تقدم ، وهو مذهب البصريين ؛ وأما الكوفيون ، فقد أوجبوا ضم الأول فى اسم الجنس ومنعوا فتحه ، كما أوجبوا الضم بلا تنوين أو النصب منونا فى الوصف .

رابع أقسام المنادى ما فيه وجهان :

الأول : ضمه مبنيا .

الثانى : نصبه معربا ولو فيما ضمه مقدر وهو المنادى المستحق للضم اذا اضطر الشاعر الى تنوينه ، سواء أكان علما أم نكرة مقصودة ، فالعلم نحو قول الأحوص .

سلام الله يا مطر عليها .

وليس عليك يا مطر السلام

بتنوين مطر الأول وبقاء ضمه مبنيا ، وقول المهلهل :

ضربت صدرها الى وقالت

يا عديا لقد وقتك الأواقى

بتنوين عدى معربا منصوبا . والنكرة المقصودة ، نحو قول كثير عزة :

ليت التحية كانت لى فأشكرها

مكان يا جمل حييت يا رجل

بتنوين جعل مبنيا على الضم وقول جرير :

اعبدا حل فى شعبى غريبا
الوما لا اباك واغترابا

بتنوين عبدا ونصبه اعرابا

لكن لا حاجة لجعل هذا المثال من المنون اضطرارا ، وانما هو من المفرد الموصوف الذى سبق أنه يجوز نصبه ويعتبره بعضهم من الشبيه بالمضاف ، فنصبه لهذا السبب لا لتنوينه ضرورة ، وأجاز فيه سيبويه وجها آخر وهو أن يكون حالا على تقدير : أتفخر عبدا ، أى حال عبودية ، والفخر لا يليق بالعبيد .

واختار الخليل وسيبويه والمازنى الضم مطلقا لأنه الأكثر فى كلامهم ، واختار أبو عمرو ابن العلاء وعيسى ويونس والجرمى والمبرد النصب مطلقا . ووافق الناظم والأعلم الخليل وسيبويه فى ضم العلم كمطر فى البيت الأول، فان الضم راجح فى العلم والنصب مرجوع فيه لقوة شبهه بالضمير ، ووافقا أبا عمرو ، وعيسى ، ويونس والمبرد فى نصب اسم الجنس كعبدا فى البيت الأخير ، اذ النصب راجح فى اسم الجنس والضم مرجوح لضعف شبهه بالضمير واذا ضم المنادى المفرد المنون اضطرارا جاز فى تابعه الضم مراعاة للفظ المنادى ، والنصب مراعاة لمحله وان نصب تعين نصب تابعه ، فان نون متصور للضرورة نحو : يا فتى ، فاذا نوى فيه الضم جاز فى تابعه الوجهان : الضم والنصب ، وان نوى فيه النصب وجب نصب تابعه .

واختلف فى تنوين المضموم فقيل : تنوين تمكين لأن هذا المبنى يشبه المعرب ، وقيل تنوين ضرورة ، وبه قال ابن الخباز ، ووافقه ابن هشام فى المغنى ، لأن الاسم مبنى على الضم ، وتنوين التمكين انما يلحق الأسماء المعربة فقط .

عامل النصب فى المنادى

انتصاب المنادى لفظا أو محلا فى رأى سيبويه على أنه مفعول به وناصبه فعل محذوف ، فأصل (يا ابراهيم أعرض عن هذا) مثلا ، أدعو ابراهيم فحذف الفعل (أدعو) حذفا لازما لكثرة الاستعمال ولدلالة حرف النداء عليه وأدائه وظيفته ، ويرى المبرد أن ناصبه هو حرف النداء نفسه لسده مسد الفعل فعلى كلا الرأيين (يا ابراهيم) جملة ، وليس المنادى ركنا فيها بل فضلة ، وانما ركناها ـ الفعل والفاعل ـ مقدران عند سيبويه ، وفى رأى المبرد ، حرف النداء سد مسد أحد ركنى الجملة وهو الفعل ، والفاعل محذوف تبعا لحذف الفعل الذى استتر فيه .

ويحتمل ان المراد ان الفاعل مستتر فى (يا) لانها لما عملت عمل الفعل جاز أن يستتر فيها ما استتر فى الفعل ، ولكن الاول أوفق بكلامه فى تقرير مذهب سيبويه ، وعلى الثانى يكون (يا جابر) مثلا بنفسه جملة تامة ، والمفعول به هنا على المذهبين واجب الذكر لفظا أو تقديرا اذ لا نداء بدون المنادى ، فى غير المواضع التى يجوز فيها حذفه قبل الأمر والدعاء على مذهب ابن مالك .

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

الشعر الجديد -٩-

— ٢ —

٥ — موسيقى القصيدة العمودية الداخلية والخارجية المتمثلة فى الوزن والقافية ، يجمع كل النقاد فى القديم ، واكثر النقاد اليوم، على انها من الأصول الفنية للقصيدة الشعرية .

وبهذه الموسيقى تمتلك القصيدة زمام التأثير الكبير فى الجماهير ، وتقودها دائما الى الصدارة والى الدعوة للحرية والرفاهية والتقدم الحضارى ، وخدمة قضايا العروبة والاسلام ، وقضايا الوطن والشعب ، وقد أكبر المستشرقون قيمتها الفنية ، حتى أن « المستر وليم جونز » المستشرق الانجليزى أكبر قصيدة المعلقات ، وترجم المعلقات الجاهلية الى الانجليزية ، ونوه بصورها وخيالاتها وبحيويتها أيضا ، ودعا فى آخر القرن الثامن عشر الشعراء الانجليز الى احتذائها وخلق نهضة شعرية على أساس أصولها الفنية .

ومنذ وضع الخليل بن أحمد(١٠٠ — ١٧٠م) عروض القصيدة العمودية ، أصبحت هذه القصيدة سهلة على الشباب والشداة ومحبى الشعر ومتذوقيه .

ومنذ أول قصيدة من الشعر الحر نظمتها الشاعرة العراقية « نازك الملائكة » عام ١٩٤٧ فى الكوليرا التى كانت قد انتشرت فى مصر فى ذلك العام ، وقصيدة « بدر شاكر » السياب التى نظمها بعد ذلك بعنوان « هل كان حبا » ، وما صاحب ذلك من بدء مدرسة عراقية من ملتزمى الشعر الجديد ، ومدرسة مصرية من الملتزمين لهذا الاتجاه ، بدأت موجة تشكيك فى القصيدة العموديه ، ورمى لها بالجمود والتقليد والقصور عن مطالب الحياة والعصر والناس .

ولا يزال الهجوم على القصيدة العمودية صناعة كثير من هؤلاء . فهذا « معين بسيسو » يقول كما كتب فى جريدة الأهرام : ان الشاعر العمودى يرتطم صوته ، وتسقط قافيته ، ويجىء الشعر الحر كالصاعقة الكهربائية التى تلتهم القصيدة العمودية وتذروها رمادا » .

ونحن نعلم أن الشعر الجديد أو الحر يفقد الموسيقى الداخلية ، كما يفقد الموسيقى الخارجية أيضا المتمثلة فى الوزن والقافية .

٦ — ومن العجيب أن هذا الشعر قد أصبح مذاهب شتى ، فمنه القصيدة الملتزمة بنظام التفعيلة العروضية مع اطلاق عددها فى البيت ومع الغاء نظام الشطرين فيه أيضا ، ومنه القصيدة النثرية ، ومنه ما يجىء مضطربا بلا قيد ولا نظام .

والدكتور « محمد النويهى » يرى هذا الشعر الجديد هو صوت الدعوة الواقعية المادية الشيوعية فى المجتمع العربى ، كما ذكر ذلك فى كتابه عن الشعر الجديد ، وكرر هذا

(١) نشر الجزء الاول فى عدد ربيع الآخر ١٤٠٢

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

أيضا الدكتور على عشرى فيما كتبه عن الشعر الحر .

على أن « نازك الملائكة » نفسها ، وهى التى حاولت وضع قواعد للشعر الجديد فى كتابها « قضايا الشعر المعاصر » عادت فى ديوانها الرابع « شجرة القمر » الصادر عام ١٩٦٨ تتنبأ بوقوف تيار الشعر الحر ، وبأن الشعراء لابد راجعون الى الأوزان الشطرية ، بعد أن خاضوا فى الاستهانة بها ، والخروج عليها .

ولها الحق فى ذلك بعد ظهور قصيدة النثر ، وبعد أن أصبح الشعر الجديد صوتا من أصوات الدعوة الى اليسارية عند لفيف من الشعراء ، وبعد أن أصبح الغموض والابهام والرمز والمضامين الغريبة تحيط بالشعر الجديد احاطة السوار بالمعصم ، وبعد أن صار اهتمامه بالاثارة والرمز الأسطورى والتفكير الدرامى أكثر من أى شىء آخر .

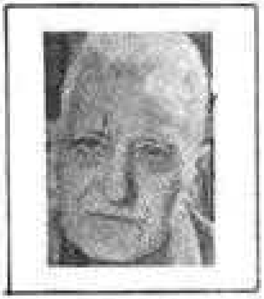
« والعقاد ، وعزيز أباظة ، والزيات ، وصالح جودت ، ووديع فلسطين » والعديد من الدارسين والنقاد يسمونه « الشعر المنثور » .

٧ ــ ولقد رفض العقاد الشعر الحر ، فحين رأى تجارب زميليه شكرى والمازنى فيه ، وهى أولى التجارب من الشعر الجديد ، قال كما فى « ص ٣٠٨ من كتاب فصول من النقد عند العقاد ، تقديم محمد خليفة التونسى » : لا مكان للريب فى أن القيود الصناعية ستجرى وتجرى عليها أحكام التغيير والتنقيح ، فان أوزاننا وقوافينا أضيق من أن تنفسح لأغراض شاعر تفتحت مغالق نفسه ، وقرأ الشعر الغربى ، ورحب العقاد آنذاك بالشعر المرسل والشعر المتعدد القوافى عند شكرى والمازنى . ثم عدل عن هذا الرأى بعد ذلك ، وذكر أنه هو وصديقه المازنى كانا يشايعان زميلهما شكرى بالرأى فى اهمال القافية ، دون استطابة اهمالها فى الأذن ، وأنه هو نظم القصائد الكثار من شتى القوافى ، ولكنه طواها كلها ، لأنه لم يستسغها ، وأشار الى أنه يوم كتب مقدمة الجزء الأول من ديوان المازنى ، ورحب فيها بهذه النزعات التجديدية ، ومنها الشعر المرسل ، وذلك عام ١٩١٤ كان يظن أن الأذن ستألفها . ولكنه الى اليوم لا يزال ينقبض لاختلاف القوافى بين البيت والبيت عن الاسترسال فى السماع ، وذكر أن سليقة الشعر العربى تنفر من الغاء القافية كل الالغاء .

الشعر الجديد



د. طه حسين



عباس العقاد

٨ ــ وللدكتور طه حسين رأي في الشعر الجديد نشره في بعض المجلات الأدبية، ويقول فيه : ان النزعة الى التجديد في الأوزان والقوافي دعوة غير جديدة ، وانما الجدير بالبحث في الشعر الجديد هو البحث عن توافر الأسس التي يجب أن تراعى في الفن الشعرى والخصائص التي ينبغي أن تتحقق فيه ، ولا يمكن أن نعد ذلك الجديد شعرا الا اذا قام على تلك الأسس ، وتوافرت فيه تلك الخصائص ، فقد نشر في مجلة الأديب البيروتية ــ عدد شهر مايو ١٩٦٠ ــ مقالا عن الشعر الجديد أكد فيه ذلك ، وجاء في خاتمة المقال : فليتوكل شبابنا من الشعراء على الله، ولينشئوا لنا شعرا حرا أو مقيدا ، جديدا أو حديثا بشرط أن يكون هذا الشعر شائقا رائعا .

وفي مقال لطه حسين نشر في مجلة الآداب البيروتية ــ عدد فبراير ١٩٥٧ ــ قال : انني لا أرى بهذا التجديد في أوزان الشعر وقوافيه بأسا ، ولاعلى الشباب المجددين أن ينحرفوا عن عمود الشعر ، وقديما خالف أبو تمام عمود الشعر ، وضاق به المحافظون أشد الضيق ، ولست أرفض الشعر لأنه انحرف عن عمود الشعر القديم ، أو خالف الأوزان التي أحصاها الخليل ، وانما أرفضه حين يقصر في أمرين :

أولهما : الصدق والقوة وجمال الصور وطرافتها .

وثانيهما : أن يكون عربيا لايدركه فساد اللغة والاسفاف في اللفظ . وقديما قال أرسطو : يجب قبل كل شيء أن نتكلم اليونانية فلنقل : يجب قبل كل شيء أن نتكلم العربية .

فمن مبلغ الدكتور طه بأن العربية هانت على لسان الشعراء الجدد هوانا ليس بعده من هوان .

٩ ــ ان الشعر الجديد تجديد متطرف لايقبله الذوق العربي ، ولايتفق مع تراثنا الشعرى ، ولايصلح منهجا شعريا لجيلنا العربي ، والكثير من الشعوبيين قد حشروا أنفسهم في زمرة الداعين الى حركة الشعر الجديد أو الحر حشرا ، وأصبحوا يهرفون بما لايعرفون ، ويقولون مالا يعقلون .

وشعراؤنا المعاصرون ، والشباب منهم بخاصة ، يمكنهم أن يجددوا في روح القصيدة الشعرية وجوهرها بالحرص على تمثل التجربة الشعرية كاملة في قصائدهم ، وعلى تمثل الوحدة العضوية للقصيدة . وبالتجديد في مضامين القصيدة العربية لتصبح أقدر على



عزيز اباظة



صالح جودت



عبد القادر المازني

التعبير عن حاجات العصر والحيـــاة والمجتمع والانسان العربي بآلامه وآماله .

أما التجديد في الوزن والقافية على غــير أساس ، ومع قطع الصلة بين حاضر الشعر وماضيه ، فذلك خروج على مقومات القصيدة ، وأصولها الفنية الرفيعة .

وللدكتــور يوسف خليف رأى في ذلك نشره في جريدة الأهرام (ص ١١ عــدد ١٣/٤/٨٢) وذهب فيـــه الى أن حركة الشعر الجديد أو الحر « محاولة مرتجلة تقوم على أسس غير ثابتة من الوعي الدقيق لأصــول شعرنا العربي الثابتة ، وقيمه الأصيلة ، من وحــدة الوزن ووحدة القافية » ، ويرى أن هذه المحاولة كـان من الأولى الاتجاه بها الى غــير الشعر الغنائي لأن شعرنا الغنائي استقرت أصوله منذ أكثـر من خمسة عشر قرنا من الزمان ، بحيث لم يعد من اليسير أن نسقطها من حسابنا ، أما الشعر القصصي والشعر التمثيلي فهما لونان جديدان ليست لهما جـــذور ضاربة في أعمـاق شعرنا العربي ، وطبيعة حركة الشعر الحـــر تجعله صالحا لهمـا .

١٠ ــ وبعد ، فان تراثنا الشعرى حفظ لغـة القــرآن ، ونشرها وأذاع بلاغاتهــــا بـين الناشئين والمتأدبين ، ونحن في أمس الحاجة الى أن تكون لغة الشباب هي اللغة العربية البليغة .

وبسبب ذلك ، ومن أجله أدعو الى المحافظـة على القصيدة العمودية الموروثة بكل قيمهــا الفنية ، كما أدعو الى احتذاء هــذه القصيدة فيما ننظمه من الشعر ، فقــد أصبحت ظاهرة فنية ، ومنهجا في الشعر متميزا ، ولمــاذا نبلبل عقول الشباب ، مما سوف يؤدى الى نفوره من الشعر جملة ، قديمه وجديده .

ان الشــعر العــربي الأصــيل هــو مربي الأذواق ، ومعلم الأجيال من الشباب ، والمثير للعاطفة ، وللوجــدان ، والمهــذب للنفس ، والداعي الى كل المبادىء النبيلة .

ولا أرى ان نستبدل به الشعر الجديد المملوء بالعجمة واللكنة والابهام والمعاني الغريبة ، والأفكار العقيمـــة ، والمذاهب المنحرفة .

وما توفيقي الا باللــه .

محمد عبد المنعم خفاجي

شاه ولى الله الدكنى (١)

رائد الشعر الأردى

حين نصل الى زمان ولى الله الدكنى تكون مدرسة الشعر الأردى قد عبرت ثلاثة قرون من الزمان وقد برز فى هذه المدرسة اتجاهان : الاتجاه الأول تمثل فى الاتجاه الهندوى بانماطه ومزاجه واساطيره ، ومع التطور الثقافى والحضارى لم يعد هذا الاتجاه بقادر على اثراء العقول وتغذيتها كما فقد قدرته على العطاء ، ومن هنا بدا الاتجاه الفارسى يحل محله .. وهكذا أخذ الاتجاه الهندوى يختفى رويدا رويدا وتبدو فى الأفق شمس الاتجاه الفارسى تشرق على بلاد الهند الواسعة .

ومع ظهور « ولى » كانت جميع أنماط الشعر الفارسى والبحور الفارسية والأساليب البيانية الفارسية قد انتشرت فى جميع أنحاء شبه القارة ، وامتلأ الأدب الدكنى ــ الذى ظل لفترة بعيدا عن تأثير الفارسية ــ بذخيرة ضخمة من أشعار المثنوى والغزل والقصائد وغيرها ، خلفها مئات الشعراء المشهورين ، والمغمورين ، وسقوا أشجار هذه الروضة الأدبية بسنوات من عمرهم ، وقد ساعد فتح « عالمكير » للدكن على تقوية هذا الاتجاه الأدبى فقد اتحد الشمال والجنوب ، وانتشرت لغة العامة من أهل الشمال (تلك اللغة التى خضعت لتاثير العربية والفارسية فى ظل راية الاسلام الخفاقة على شمال الهند) بين أهل الدكن ، ومن هنا جاء دور « ولى » الرائع فى مزج لغة الشمال داخل الاتجاه الأدبى العريق الذى راج لفترة طويلة فى الدكن ، وجعل الاتجاه الأدبى فى الشمال والاتجاه الأدبى فى الجنوب اتجاها واحدا ، رنت أصداؤه فى جميع أنحاء الهند وظلت مسموعة لحوالى مائتى سنة ، ومن هنا اعتبر مؤرخو الأدب الأردى شمس الله ولى الدكنى رائدا للشعر الأردى ظل الشعراء من بعده ينهلون من حوضه العذب .

وبرغم ان « أورنك زيب عالمكير » قدم من شمال الهند وفتح الدكن فى الجنوب الا أن الفتح الثقافى اتخذ طريقا معكوسا فقد نهض « ولى » من الدكن وفتح بشعره شمال الهند أو على الأخص « دهلى » عاصمة شمال الهند . وأوجد معيارا جديدا للغة والأدب واتجاها ظل يعرف لفترة طويلة باسم

---

(١) محمد باقر : مقدمه كلزار عشق انجمن ترقى اردو كراتشى .

للدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم

« ريخته » الذى يمثل النمط الشعرى المعروف باسم (الغزل) أدق تمثيل . ويعد « ولى » هو أول من أبدع فن « الغزل والريخته » بل هو استاذ الأساتذة وكما قال مير حسن : (ابتدائى ريخته ازوست أول استاذى أين فن بنام ادست) أى : كان أول من بدأ فن الريخته وأول أساتذة هذا الفن (١) .

بدأت اللغة الأردية (ريخته) فى اتخاذ شكل متطور وناضج حين انتهت الهندوية والكجرية والدكنية كلغات اقليمية محلية ، وقد كانت كلها أسماء اقليمية تطلق أصلا على اللهجات التى كانت تمثل اللغة الأردية بشكلها القديم ، وبدأت اللغة بشكلها الجديد تأخذ طابعا شاملا ضم جميع أقاليم الهند : شمالها وجنوبها — فقد تميز أسلوب الريخته بتقليد أسلوب البيان الفارسى والميل الى البساطة والسهولة والبعد عن التكلف والتعقيد بالاضافة الى أن هذا الشكل العام للغة الذى اتخذ طابعا شموليا على جميع مناطق البلاد قد صار مفهوما لدى الجميع بلا صعوبة ، وارتضته جميع مناطق الهند منهجا أدبيا واحدا ويمكن القول بأنه لو لم يتحد الشمال بالجنوب لما كان لولى الله أن ينال هذه المكانة التى يحظى بها الآن فى الأدب الأردى .

سافر « ولى » الى دهلى سنة ١١١٢ هـ/ ١٧٠٠ م وهناك قابل « شاه سعد الله كلشن (المتوفى ١١٤١ هـ/١٧٢٨ م) وكان هذا اللقاء بمثابة نقطة تحول فى تاريخ الأدب الأردى ، فقد استمع شاه كلشن الى أشعار « ولى » ، وأشار عليه أن يغير موضوعاته الشعرية بموضوعات أخرى لها قيمتها فى الأدب وأشار عليه أن يعب من معين الأدب الفارسى ، وأعجب ولى بهذه النصيحة*وبدأ فعلا فى صياغة أشعاره طبقا لاتجاه مدرسة الأدب الفارسى ، ونتج عن هذا امتزاج كيمياوى عجيب فتح أمام الشعر الأردى طريقا جديدا كان يتماشى مع العصر ذاته ، وتبرز أهمية ولى فى قدرته على مزج لغة بأخرى بطريقة لاتجعل هناك أى احساس بعملية المزج ذاتها لم تر له اللغة مثيلا رغم مرور العديد من التجارب المماثلة (٣) .

حين وصل ديوان « ولى » الى دهلى فى العام الثانى لجلوس محمد شاهى العرش (١١٣١ هـ ١٧٨١ م) رأى الشعراء فى الديوان ما فيه من بهاء وروعة ، وبدأت عيونهم تلمع وتروغ فتركوا قول الشعر الفارسى وقلدوا ←

(١) تذكرة مير حسن ص ١٨٤ انجمن ترقى هند
(٢) هذه الواقعة كل من صاحب « مخزن النكات » « جانديورى » ص ٢٢/٢١ مرتبة

* اقتدار حسن لاهور ١٩٦٦ م وصاحب نكات الشعراء مير تقى مير ص ٩٤ ط بدايون .
(٣) آب حيات محمد حسين ازاد ص ٨٩ ط لاهور .

شاه ولی الله الدکنی

هذا اللون من الشعر ، وهكذا بدأ « شعر جديد ودخل الأدب الأردى القديم الى مرحلة جديدة أطلق عليها مؤرخو الأدب « العصر الحديث للادب الأردى » .

ورغم أن الشعراء السابقين لولى كانوا على معرفة بالشعر العربى والفارسى والأنماط الأدبية للشعر العربى والفارسى الا أن ولى نقل هذه الأنماط الى الأدب الأردى وأرسى عمدها وجعل منها جزءا لايتجزء من الريختة فقد كان ذا حس شاعرى مرهف ، فبحث عن بحور الشعر الفارسية والعربية التى تتناسب ومزاج أشعار الريختة وألبسها قالب الأردية كما حدد مزاج الشعر الأردى باختياره لألفاظه ، ولم يقلد فقط التراكيب الفارسية بل بحث عن تراكيب جديدة فصبغ اللغة الأردية بلون جديد ، وبالمصطلح الحديث يجب القول أن ولى الدكنى أول شاعر « رومانسى » من الناحية الفنية ، كما أنه أول من يمكن أن نطلق على أسلوبه الشعرى بالمصطلح الحديث « الشعر الكلاسيكى » فقوته الابداعية وفطرته الذهنية تشد الانتباه ، وما قام به وجد رواجا شديدا ، وكان الناس جميعا كانوا فى انتظاره لقد ظل « محمد قلى قطب شاه » بقوته الفطرية كعصفور جبلى يغرد لحنا واحدا ، الا أن وليا هنا يتغنى بألحان عديدة متنوعة ، ونصرتى « كشاعر » أعظم من « ولى » ولكنه رغم مزجه للألفاظ العربية والفارسية فى أشعاره الا أنه نظرا لأسلوبه البيجابورى الخاص لم يبرز على المستوى الذى وصل اليه « ولى » نتيجة لقدراته وكفاءاته .

لقد قام ولى بما يمتاز به من توازن بمزج الفارسية والدكنية مع لغة أهل الشمال وجعل منها جميعها لغة واحدة برزت على السطح وأصبحت لغة جميع الاقاليم ، وكل هذا جعل مؤرخو الأدب الأردى يطلقون على « ولى » لقب « رائد الشعر الاردى » .

وقبل أن نطالع شعره نرى لزاما أن نلقى بنظرة سريعة على حياته ووطنه .

ورد اسم « ولى » فى كتب التذاكر بأسماء مختلفة واشتركت جميعها فى ذكر كلمة « ولى » فقد ورد فى (كلشن هند) «وتذكره مير حسن» وتذكره « كلشن سخن » « ومخزن نكات » « وسخن شعرا » « وآثار الشعراء » اسم شاعرنا كما يلى « ولى الله » أو « شاه ولى الله » أما مخزن شعرا وچمنستان شعرا وتذكره ريخته كويان ومجموعة نغز وتذكره مسرت افزا وغيرها فقد ذكرت « محمد ولى » وذكر « حميد أورنك آبادى » فى كتابه « كلشن كفتار » اسم ولى هكذا : ولى محمد (١) . وفى احدى النسخ الخطية لديوان ولى المكتوبة سنة ١١٣٨ هـ / ١٧٢٥ م وردت هذه العبارة (ديوان أشعار ولى مسمى سيد ولى محمد مرحوم بتاريخ چهاردهم شهر محرم الحرام سنة ٨ از جلوس ميمنت مانوس محمد شاه بادشاه غازى خلد

---

(١) انظر جميل جالبى : تاريخ ادب اردو جلد اول ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣

الله ملكه وسلطانه روز جهار شنبه وقت جاشت در بلده خير البلاد أحمد آباد حميت عن العناد بخط فقير حقير أضعف العباد وكلب محبوب سبحان نمود بى بود ثناء الله فاني سمت انجام وصورت اتمام بذير رفت) (١) .

وتؤكد الأبحاث الحديثة على أن اسم «ولى» هو « ولى محمد » (٢) وقد هاجر ابوه أو جده من الكجرات الى الدكن ورغم هذه الهجرة الا أن صلة العائلة ظلت قائمة لم تنقطع بمنطقة الكجرات ، أما ولى فبعد قدومه للدكن صار دكنيا واحتفظ بعد ذلك وبقية أفراد أسرته بارتباطه بالكجرات . ورغم اشارته الى وطنه الدكن فى العديد من أشعاره .

يو مكه كى شمع سون روشن هى صفت اقليم كى مجلس .

ولى بروانكى كرتا

ترى ملك دكن بهيتر

شمع وجهك يضيىء الاقاليم السبعة

يلولى : التحليق فوق بلاد الدكن أفضل

ذاعت شهرة « ولى » فى ايران وطوران مع أنه شاعر بلاد الدكن الا أنه لم يقل أبدا بالاقليمية ، فقد كان يعرف أن شخصيته فوق مستوى الاقليمية :

لاتقولوا ان وليا يعبد أصنام الوطن فلاهدف له فى أن يكون وطنه هنا أو هناك وقد انتقل ولى الى الرفيق الأعلى فيما بين سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠ م وسنة ١١٣٨ هـ/١٧٢٥ م (٣) .

حين فتح ولى عينيه وجد منطقة الدكن وقد عمتها ثقافة واحدة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والروحي ، وكانت أشعار حسن شوقى وتلاميذه وتابعيه قد ذاعت فى جميع أنحاء البلاد وبدأت مدرسة الغزل التى شهدت على ساحتها محمود وفيروز وخيالى وأخيرا حسن شوقى تثبت وجودها وبدأ هذا العصر يجارى المستلزمات الثقافية للحياة الجديدة آنذاك .

كانت عملية الابداع الفكرى لشمال الهند تشهد صراعا داخليا شديدا فى ذلك الوقت فقد كانت تريد الحفاظ على اللغة الفارسية كوسيلة للتعبير الا أنه كان هناك احساس أيضا بأن اظهار القوى الابداعية وعملية القلق الفكرى تجد صعوبة داخل اللغة الفارسية ذاتها وفى هذه الظروف بدأ ولى يضع مدرسة الأدب الدكنى فى قالب مدرسة الأدب الفارسى لشمال الهند وظهر نور دفع أدباء شمال الهند الى ترك الفارسية والاتجاه نحوه ، وأدى هذا اللون الجديد والأسلوب الجديد لولى الى وجود حالة من الراحة والسعادة لدى أولئك الذين لم تكن لديهم رغبة فى ترك الفارسية كلية كما أزال أيضا أسباب الصعوبة التى وقفت حائلا دون بعض الأدباء الذين كانوا يريدون التعبير عن أفكارهم على النهج الأدبى الفارسى .

---

(١) النسخة الخطية بمكتبة جامعة البنجاب وأيضا مجلة الكلية الشرقية لاهور عدد نوفمبر ١٩٤١ م ص ١٦ .

(٢) جميل جالبى . تاريخ أدب اردو ٥٣٤ — أيضا ظهير الدين مدنى ، ولى كجراتى بمبى ١٩٥٠ .

(٣) انظر بحث د . جميل جالبى عن سنة وفاة ولى تاريخ أدب اردو جلد اول ص ٥٣٥ وما بعدها فقد قدم فيه جميع آراء مؤرخى الادب الاردى فيما يتعلق بهذا الموضوع .

شاه ولى الله الدكنى

كانت صورة الغزل فى الدكن حين ظهر ولى كشاعر غزلى تقتصر علـى كونه النمط الأدبى الذى ينشد عن المرأة ، أو التعبير عن أحاديث المرأة ذاتها أو عن موضوعات تخص المرأة مثل الحسن والعشق والجمال والدلال ، الشوق وحرقة الشوق ، الاعراض ورفض الوصال ، الجنس .. كانت هذه هى الموضوعات العامة للغزل ، التى خلت من التجارب العميقـة أو الاحساس العميق وهذه صورة عامة نشاهدها فى أشعار «شاهى» و «نصرتى» و «هاشمى» وأسلوب « محمد قلى » و « قطب شـاه » و « وجهى » و « عبد الله » و « غواصى » . وكما رأينا فى ــ المقالات السابقة ــ (٢) حدث تغير فى هذا التصور لدى « حسن شـوقى » فتنوعت الموضوعات داخل الغزل ، وحين قدم « ولى » جعل من هذا الأسلوب منهجه فقام بادخال جميع تجارب الحياة المختلفة الى دائرة الغزل ليشكل بذلك حياة كاملة داخل غزلياته وهكذا قام ولى فى حياته بأداء دور شاعرين فى وقت واحد :

١ ــ مزج ولى لغة الشمال بلغة الجنـوب فأوجد شكلا أدبيا لقى ترحيبا لدى الجانبيـن فى وقت واحد ، وأحل هذا الشكل اللغة الأردية محل اللغة الفارسية وكانت هذه الرغبة الشديدة كامنة لدى جميع أفراد المجتمع ذلك الوقت .

٢ ــ قام ولى باتخاذ هذا الأسلوب اللغوى الجديد وسيلة لايضاح افكاره ومـزج فى موضوعاته بين الجانب المجازى والجـانب الحقيقى وجعل منهما جانبا واحدا ، ثم ضغط على الجانب « النسائى » فى غزله وعلى الجانب الشكلى وركز على العـواطف الداخليـة والاحساسات والعواطف القلبية وبهذا أوجـد شكلا أدبيا يدعى جميع الصلاحيات للتعبير عن التجارب المختلفة والمتنوعة للحياة وظهـرت علامات جديدة للغزل ، وتجارب للحيـاة الانسانية بكل ما فيها من تنوع .

بالاضافة الى هذا وضع « ولى » ــ كأى شاعر عظيم ــ أجمل وأحسن أجزاء المدرسة الأدبية القديمة داخل شعره ، واجتذب جميع الاصوات الى صـوته ، تلك الأصـوات التى كـانت تعـزف مختلـف الألحـان عـلى قيثـارة التـاريخ ، كـان ولى ينشد الشعر الدكنى بروح العصر القديم ثـم يقدم فى الوقت ذاته امكانات جديدة للجيـل الجديد ، وحتى يكمل شاعرنا عمله قام بكتابة غزلياته فى جميع الموضوعات وبجميع الأساليب التى كانت رائجة بين شعراء الدكن القدامى من مثل « محمود » و « فيروز » و « خيالى » و « حسن شوقى » و « محمد قلى قطب شاه» و « نصرتى » و « وشاهى » وغيرهم . كمـا أنشد غزلياته على نفس أسلوب الغـزليات الفارسية الذى كان يتطابق وروح ومـزاج الأردية وترك ما لايتماشى مع روح ومـزاج الأردية ؛ ولو طالعنا أشعار « ولى » لرأينـا بوضـوح تام كيف أن صوت « ولى » يلتقى مع أصواتهم جميعا ثم كيـف انه فى نفس

---

(٢) انظر المقالين السابقين بمجلة الأزهر عن الادب الاردى فى الدكن .

الوقت ينفصل عنهم جميعا ، فحين يتحدث « ولى » عن (المحبوب) نشعر بامتزاج المضمون مع الشكل وهو مايطلق عليه فى الأردية (خارجيت وداخليت) .

ومن الجدير بالذكر أن الأسلوب الذى اتخذه الغزل فى الفترة التالية والتى شهدت ثمة تطوره انما هو مستمد من منابع غزل « ولى » والموضوعات التى ارتبطت بالغزل الأردى فيما بعد تجدها جميعها عند « ولى » (١)ولهذا سيظل اسم « ولى » على رأس القائمة الأدبية لكونه مؤسس هذا الأسلوب وهذا المنهج .

الغزل نمط من شعر العشق ، فشعر الغزل يتضمن الأحوال المختلفة المتنوعة للمشاعر وللعواطف التى تطرأ على الشاعر من العشق ، وهذا نشاهده واضحا فى شعر ولى ، فالحسن والعشق واضحان فى شعره الا أن الحرقة والشوق فى شعره يظهران بأسلوب بسيط وذلك نتيجة أن هذا الصنف من الشعر جديد على اللغة الأردية من ناحية ومن ناحية أخرى فالشاعر حر فى التعبير عن نفسه بالأسلوب الذى يراه (٢) ، كما يقول ولى :

« كان الحسن أكثر الأشياء تجردا داخل ستارة التجريد ، سعى الى العشق فجاء فى صورة انسان ، وتجلى هذا الحسن فاختفى نور الشمس .. حسنك دائم قائم على حال واحد لا يتغير ، فلماذا ذهب ربيع جنتك .. والمسافر على طريق العشق له فى شارع العشق محطة عند كل خطوة ، فان شئت الانطلاق على طريق العشق فانطلق شجاعا لا تخش شيئا .. انطلق فقد تفتحت الورود وانتشت البلابل ، وانظر حيث شئت فى هذه الروضة ــ يا ولى ــ أسلوب العشق ليس سهلا فانا أحكى بعد تجربة ــ أنه صعب جدا » .

اما الدكتور سيد عبد الله فى كتابه (ولى سى اقبال تك ــ من ولى حتى اقبال) فله فى غزل ولى رأى آخر فهو يقول (٣) :

« ولى يملك أسلوبا خاصا فى الشعر الأردى فشعره يخلو من الألم كما يخلو أيضا من عنصر الفكر والفلسفة الى حد ما ، وعشق ولى يتعلق بالعين أكثر مما يتعلق بالقلب ، ولذا فموضوعاته فيما يتعلق بالهجر والفراق لا يشعر فيها القارىء بالصدق ، ولعل الشاعر لم يمر بهذه المراحل حتى يعبر عنها تعبيرا صادقا ، فقد كان عشقه مرتبطا بالنظر أو التصور لأنه عاشق للجمال فقط ، والجمال ليس قاصرا على شخص أو قاصرا على شكل معين بل هو شىء عام فهو كفراشة تجذبها الزهور وكالفراشة تدور حول الشمعة :

هر ذره عالم مين هى خورشيد حقيقى .

بون بوجه كه بابل هون هر اك غنجه دهان كا

الشمس الحقيقية تضىء فى كل ذرة من ذرات العالم وهكذا فانا بلبل كل روضة وكان

---

(١) جميل جالبى : تاريخ ادب اردو ص ٥٤٠ .

(١) جميل جالبى : تاريخ ادب اردو ص ٥٤٠ ، وما بعدها .

(٣) سيد عبد الله : ولى سى اقبال تك وما بعدها ص ١

شاه ولي الله الدكني

لولى أكثر من محبوبة جميلة والعشق عنده عشق مجازى •

ويصور ولى ما يطرأ على العاشق من أحوال وما يقاسيه من حرقة :

« أفلت العشق من اليد وتعمق فى القلب ولم يعد هناك فرق بين السلطان والفقير فى العالم لم تتقل الحياة على من أصابته سهام العشق ، لم يأت الصياد ولم يدر شيئا عن حالى فلعله لم يعد عالما بحالى ، أثقلنا شراب الشوق فانتشينا وسكرنا حينا ووعينا حينا »•

والحقيقة أن اللهجة الشعرية الغالبة على شعر « ولى » هى لهجة رجولية لاتزال حية فى الشعر الأردى ، فالأسلوب الفارسى ممتزجا بالأسلوب الهندى كون شكلا أدبيا يحمل ملامح ثقافتين فى ثقافة واحدة عرفت باسم (الثقافة الايرانية الهندية) تلك الثقافة التى أنتجتها الثقافة الاسلامية فى شبه القارة الهندية والتى تعد ميراثا لمسلمى شبه القارة الهندية :

من هذا الطائش الجاهل بالمعانى ، انه لم يفهم شيئا مما أوجده « ولى » •

ورغم أن غزل « ولى » تسيطر عليه أحيانا روح الغزل الأردى القديم الا أن مزاج ولى كان يتميز بالاتزان ، ولم ينزل الى المستوى الذى كان عليه « محمد قلى » و « شاهى » و « نصرتى » و « هاشمى » ، فشعر ولى كما يقول « جميل جالبى » (١) يمزج الشكل بالمضمون أو بعبارة أخرى المشاعر الداخلية بالشكل الخارجى •

(لا تغضب ممن أشعل الشعلة الملتهبة أطفىء النار بماء المحبة ، ان قلبى لايعرف قيمة شبابك فيا أيها المتدلل أخبرنى بقدرها ، أنت لاتنسى أحدا فى هذه الظلمة الحالكة وتسمع دبيب كل شىء ، من قبض على طائر قلبى الذى سلبته •• صرفت عمرى كله أعبد طلعتك ، ظللت أتحرق بشوقك فماذا لو احترق الجسد كله • لقد أصابنى هذا النور ووقع على ناظرى ، تحرق القلب فى عشقك وذاب •• أنا « ولى » سمح الطلعة ، قادم الى حضرتك اشتاق اليك فأرنى الشوق) •

وروح الشعر القديم تسيطر على هذا الغزل ، كما أنه يضم عديدا من ألفاظ المدرسة القديمة بالاضافة الى أن أسلوب التعبير يحمل روح الغناء ، والفرق أنه يحمل تصورا ساميا ويمثل صوتا جديدا نلمسه فى جدة العبارات الشعرية التى يستخدمها الشاعر :

آنكهون كو لكاتى جا : يرشق الين
بانى سون به آك بجها تى جا
أطفىء بالماء هذه النار
آواز سناتى جا يسمع الصوت

فالشعر القديم كان خاليا من مثل هذه العبارات وان وجدت كانت مجروحة مكتومة غير واضحة •

ورغم أن الدكتور سيد عبد الله يرى أن وليا لم يجرب الحب الا أن الدكتور جميل جالبى له رأى آخر يختلف عنه ، فهو يرى

(١) جميل جالبى : تاريخ ادب اردو ص ٥٤٥ وما بعدها .

أن عشق ولى لم يكن عشقا خياليا بل كان حقيقيا ولقد جرب جميع جوانب « العشق المجازى » الذى يعد فى نظر مدرسة الادب الهندية الايرانية أول مراحل العشق :

من وضع قدمه فى وادى الحقيقة كان أول خطوة يخطوها هى العشق المجازى ويتحول هذا العشق الى عشق حقيقى :

النور دائما يحيط بالعارفين فهن العشق فن عجيب .

وقد مزج ولى عشقه بموضوعات التصوف .

« الحياة كأس للمتعة ، لكن ما الفائدة اذا خلت الكأس من الصهباء ، خل نفسك أولا من الأنانية اذا ما أردت لضوء الشمعة أن يستمر ، وجدت أنا ـ ولى ـ سلطان دولة القناعة ، وهكذا اعتليت عرش الحق وصارت لى الأرض والسماء مرتعا ، فطمع المال عيب كله عيب ، وعيب أن تراودك أفكار الحصول على الكنز » . ويبدو أن الدكتور جميل جالبى يراجع نفسه بالنسبة لرأيه فى عشق ولى اذ يقول :

« وبالاضافة الى احساسنا بالشعر المجازى الا أننا نشاهد أيضا أن هذا الشعر لا يخرج من خانة خالية فى قلب الشاعر » (١) .

ويعرض ولى فى أشعاره تجارب الحياة العميقة المتنوعة لتصبح جزءا من مشاعرنا وأحاسيسنا واستخدامه للألفاظ السهلة البسيطة بالاضافة الى عمق العاطفة يترك أثرا عميقا على قلب القارئ» :

« سيظل الأمر معلقا أيها المسافر فلا وقت للبقاء ، القلب يضطرب والحبيب لا يدرى ، العمل أفضل من أمور العشق ، ما معنى الحقيقة وما معنى المجاز ، الرفاق والخلان بلا قرار فهذه ليلة الفراق ، عمهم الحزن والأسى ، والربيع كله يتلاشى ، لم تعد هناك قيمة للانسان والعالم خجل يا « ولى » لم يعد الا الافلاس .. الافلاس .. الافلاس

ولم يأت الصياد ليتقصى أمرى فلم يعد يذكر حالى ، وقلبى عامر بصورتك حتى أنه صار من الصعب التمييز بينك وبينه .. يا ولى ماذا أحكى عن محاسن منجم الجواهر هذا فلقد انتقل الى بيتى وجاءت ، مع درائك أسرار الحياة » .

ففى الأشعار السابقة نشعر بالتنوع مما ساعد على اتساع الرقعة الغزلية عند ولى لتتضمن جميع الأفكار والموضوعات والاحساسات والعواطف والتجارب وليجد الغزل الأردى اللون الأدبى الذى لايزال حيا باقيا حتى اليوم .

واللون الأدبى الذى نشاهده فى أشعار ولى انما هو نتاج اختلاط الطابع الهندى بالطابع الفارسى وقدرته كشاعر على ربط اللفظ بالمعنى والابداع التأثيرى الخلاق عنده وهى أمور استقاها ولى من شعراء الفارسية من

---

(١) انظر الصفحات السابقة .

مثل « انوری » و « وجمالی » و « جامی » و « عرفی » و « خاقانی » و « الفردوسی » و « هلالی » و « فیضی » و « قدسی » و « طالب » و « خسرو » و « صائب » وغيرهم ممن عاشوا فى الهند أو فى ايران : يا « ولى » أنت غواص فى بحر المعانى وكل مصرع درر من دررك المفقودة ، وكل حديث تنطق به انما هو كالجواهر تزين كل اذن ، ومع أننى متمثل بلفظ « الهوى » الا أن قلبى عاشق « للمعانى » .

وهكذا نلاحظ تمسك ولى بعرض التجارب المتنوعة بأسلوب بسيط سهل وهذا من مستلزمات الغزل فاذا ما وصلت البساطة الى تمتها أدى ذلك بالتالى،الى احداث عمق فى التأثير ، ويصبح من الصعب التمييز بين حدود الشعر والنثر ، ويطلق عليه البعض : السهل الممتنع وهذه درجة عالية من درجات الابداع، وكل شاعر يفخر دائما بوصوله الى هذه الدرجة وهذا المستوى وغالب الشاعر الذى كان يميل بكله الى التعقيد كان ينصح الشعر من أصدقائه الى اتباع الأسلوب السهل .

لا أدرى الى أين أمضى وماذا أفعل فالقلب حزين بائس ، وأرديتى تخضبت حزنا عليك فأنا أرتدى لباس العشق ، أنا لست وحيدا بفراقك فالحزن والغم يحيطان بى من كل صوب يا « ولى » لقد أصبت نفسك بما أصبتها به فقد نظرت الى من أشاحوا بوجوههم عنك، فمن سلك طريق العداء لا ينال الا العداء جزاء ، الا تدرى ان قاطع الطريق عدو للسراج .. من أصابه سهم العشق كيف لاتثقل عليه الحياة ، اليوم اخضوضرت الجبال والصحراوات وانتشرت المروج فى كل ناحية ، فلا تسأل نفسك كيف جاء الحبيب ، لأن هذا الحسود أسود الوجه هو منبع الفتنة » .

و « ولى » يستخدم فى أشعاره التشبيه والاستعارة والجناس والتلميح والمحاكاة والايهام وغيرها من فنون الكلام ، مما يزيد من تأثير أشعاره كما ينفرد ولى بلحن شعرى خاص تميزت به أشعاره الأردية وخاصة فى غزلياته ذات البحور الطويلة (١) .

نظرة نقدية على اللغة الشعرية عند ولى :

يقسم « صفير بلكرامى » (٢) ، اشعار ولى الى ثلاثة أقسام على أساس لغة هذه الاشعار :

القسم الاول : الأشعار الخاصة بذلك الوقت والتى لم يحدث عليها أى تغيير واحتفظت بطابع الأشعار فى تلك الفترة ، وهو الطابع القديم .

القسم الثانى : تلك الأشعار التى كونت بفعل المتغيرات اللفظية للفترة التى عاشها ولى .

القسم الثالث : الأشعار التى تعبر عن لغة تلك الفترة وتراكيبها واستمرت مشاهدة فى أشعار شعراء الفترة التالية حتى زمان

---

(١) جميل جالبى : تاريخ ادب اردو ص ٥٥٠ . الجزء الاول .

(٢) صفير احمد بلكرامى : جلوة خضر ص ٦٩ ــ ٧٦ ط الهند .

« مصحفى » و « مير » و « سودا » وبعضها ظـل يستخدم حتى زمان « ناسـخ » والوقت الحاضر .

وأشعار القسم الأول قليلة وفيها ألفـاظ دكنية خالصة وألفاظ كجرية وهندوية ، الا أنها لو قورنت بأشعار شعراء تلك الفترة لاعتبرت سهلة واضحة . وديوان ولى مليء بأشـعار القسم الثانى وفيه عدة ألفاظ خاصة كـانت تروج فى اللغة الدكنية وهى من حيث المجموع متشابهة فى اللغة مع أشعار القسم الثالث . التى تتشابه مع الشعر الحالى .

ويمكن القول دون تردد أن ولى قد نقـل اللغة التى بدأت منذ مائتى سنة على طـريق جديد أو ألبسها ثوبا قشيبا ، فقد مزج أشعاره باللغة التى ظلت تستخدم منذ قرنين ومن هنا يمكن لأى باحث أن يطلع من خلال أشعار ولى على اللغة التى كانت تروج منذ القرن العاشر الهجرى وحتى القرن الثالث عشر الهجرى .

وما قام به ولى فى الواقع انما يمثل تمثيلا رائعا وجهة النظر الحضارية والاجتماعية التى كان يمر بها المجتمع آنذاك . فقد انقسـمت اللغة فى الدكن الى صورتين : اللغة التى كانت تروج فى المناطق الداراوية للدكن خـارج منطقة دولة آباد وهذه اللغة لم يحدث لهـا أن اتصلت بدهلى مركز لغة شـمال الهند . والثانية هى اللغة التى راجت فى دولت آبـاد وحواليها وكانت دولت آباد هى المركز .

ودولت آباد تبعد عن أورنك آباد سبعين ميلا ، ونتيجة لحملات المغول وفتوحاتهم فى المنطقة سكن أهل شمال الهند دولة آبـاد وانتشرت لغة الشمال فى شوارع وحـوارى هذه المنطقة ، وكانت هذه هى اللغـة التى صادفها ولى والتى بدأ يستخدمها فى أشعاره بما يملك من قدرات ابداعية مع احساسـه بالأسلوب الفارسى واللغـة الفارسـية والأساليب واللهجة والموضوعات الفارسية . ويمكن القول بأنه اذا لم تكن رواية الشـعر متأصلة فى الدكن منذ فترة واذا لم تصل لغة الشمال الى الدكن لكان من الصعب على ولى أن يأتى بانتاجه هذا . فقد ولد ولى وسـط ظروف ومتغيرات سياسية واجتماعية وثقافية كان المجتمع نفسه واللغة نفسها والشعر نفسه حينها فى حاجة الى من يقوم بمزج الجنـوب بالشمال ، من يقوم بمزج أسلوب الدكـن بأسلوب الشمال والأسلوب الفارسى ليوجـد شكلا أدبيا يكون مقبولا لدى جميع الأطراف، بل يوجد أسلوبا توجد فيه امكانيات جـديدة للابداع ، وهذا ما قام به ولى الدكنى .

واذا أردنا أن نضـع ولى فى مـكانه فى المدارس الشعرية التالية له وضعناه بين اتجاه المدرستين اللتين ظهرتا بعده : مدرسة تتسم بطابع الأردية الخالصة ومدرسة يسيطر عليها الطابع الفارسى ووصل ولى الذى وقف بيـن الاتجاهين الى مقام عال كان بمثابة منـارة تضىء الطريق للأجيال القادمة من الشعراء[1]

---

(1) جميل جالبى ، تاريخ أدب أردو ص ٥٥٢ .

شاه ولي الله الدكني

تأثير الشعر الفارسي على اشعار ولي :

كما أشرنا قبلا فتح ولي قلبه للغة الفارسية يستفيد منها يستخدم لهجتها ويستخدم أمثالها ومصطلحاتها في قالب شعري أطلق عليه اسم (ريخته) ومن هنا امتلأ ديوان ولي بالاشعار التي تتماثل والاشعار الفارسية من ناحية الفكر والمضمون وقد أثبت «عبد السلام الندوي » في كتابه شعر الهند (١) نماذج من الأشعار الفارسية التي نقلها أو ترجمها ولي عن الفارسية الى الريخته . وأنصح الدارسين المتخصصين بالرجوع اليها .

وقام ولي بعمل عظيم وهو ترجمة المصطلحات والتعبيرات الفارسية الى الأردية فعمل على اثراء اللغة الاردية والشعر الاردي وهناك أمثلة كثيرة نورد بعضها :

نماز كردن الى نماز كرنا يقيم الصلاة

كمر بستن الى كمر باندهنا شمر عن ساعد الجد .

تماشا كردن تماشا كرنا : يتفرج ويتفسح ويتحلى بكذا خاصة الحسن والجمال .

دامن كرفتن دامن بكرنا : يمسك بتلابيب

ومن الجدير بالذكر أن أمر الترجمة لم يقتصر على العصر التالي لولي مباشرة بل تعداه الى العصور التالية واستمرت ترجمة المصطلحات الفارسية الى الأردية حتى زمان « مير » و « سودا » و « وناسخ » و « آتش » و « مير حسن » و « أنيس » و « غالب » و « اقبال » وقد أدى هذا الاتجاه الى اثراء اللغة الاردية وضاعف من قوتها التعبيرية وهذا هو حال ترجمة المصطلحات الانجليزية والاستعانة باللغة العربية في اللغة الأردية في العصر الحديث .

واذا كان الغزل هو النمط الشعري الرئيسي لولي تمثلت فيه جميع خصائصه الشعرية الا أن كليات ولي تضمنت أيضا قصائد وكانت كقصائد زمانه التي أنشدت في مدح الملوك والسلاطين الا انها لم تتضمن نفس الموضوع بل استخدم قصائده في مدح الرسول ورجال الدين ، وقصائد ولي ليست بالطويلة ولا هي بصعبة البحور لكنها تمتلىء بالأفكار الرائعة وألفاظها قوية جزلة .

وبالاضافة الى القصائد كتب ولي في الأنماط الشعرية الاخرى كالترجيع بند والتركيب بند التي غلب عليها لون القصيدة ، كما كتب « قطعات مدح فيها الكجرات ومدينة سورت . أما موضوع رباعياتها فكان نعت الرسول ودروس الاخلاق .

لقد كان ولي شاعرا عظيما وحتى يتضح ذلك علينا أن نرى تأثيره في شعراء زمانه وفي شعراء الفترة التالية له فالاتجاه الذي أشار اليه « ولي » كان هدف كل الشعراء من بعده .

دكتور سمير عبد الحميد ابراهيم

---

(١) الجزء الاول ص ٢٧ ، ٢٨ ط ١٩٤٢ .

الرسالة الخالدة

تأليف الأستاذ المرحوم عبد الرحمن عزام باشا

عرض وتلخيص دكتور عبد الودود شلبي

عبد الرحمن عزام « باشا » أول أمين عام لجامعة الدول العربية قد لا يعرفه كثير من الجيل المعاصر . والقليلون الذين يعرفونه . يعرفونه رجلا سياسيا تولى امانة الجامعة العربية عقب تكوينها فى اعقاب الحرب العالمية الأخيرة كما يعرفونه رجلا اشترك فى صنع الأحداث التى رافقت هذا الصراع الذى لاتزال رحاه دائرة فى العالم العربى ، وفى المحافل الدولية حول فلسطين والنزاع الاسرائيلى .

ولكن قلة من الناس من يعرفون الأستاذ عبد الرحمن عزام كاتبا ومفكرا اسلاميا .. وأقل من هذا القليل من يعرف أن الرجل كان من أصحاب السيف ، وأنه من المجاهدين الذين اشتركوا فى معارك الاسلام دفاعا عن حرية شعوبه وأوطانه وبخاصة فى ليبيا أثناء الغزو الايطالى وأنه وشقيقه المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام من دعاة الفكر الاسلامى والوحدة الاسلامية العالمية .

فى الأربعينيات من هذا القرن ظهر كتاب « الرسالة » الخالدة فى طبعته الأولى عن احدى دور النشر بالقاهرة . والنسخة التى بين أيدينا هى الطبعة الرابعة من هذا الكتاب باللغة العربية ، اذ أن هذه الرسالة ترجمت الى لغات عدة وظهرت . منها طبعات باللغة الأندونيسية ، والأردية ، والفارسية والتركية وأخيرا ترجم الى اللغة الانجليزية حيث لاقى رواجا كبيرا فى جميع البلدان التى تتحدث بهذه اللغة .

يقول الأستاذ « عبد الرحمن عزام » فى تعريفه بهذا الكتاب :

هذه الرسالة الخالدة ان كانت من عند الله ــ كما نعتقد نحن المسلمين ــ فيكفى أنها من الله لتمتاز على كل دعوة من غير الله .

.. وان كانت من (محمد) كما يزعم ذلك المنكرون .. فنحن على بينة من أمرنا ندعو الى سبيلها بالحكمة والموعظة الحسنة ندعو المنكرين لينظروا فيها ــ لا كمدين ــ بل ــ كنظرية تاريخية أتت بأفكار وشرائع فى

السياسة والاجتماع والاقتصاد ، فسيجدونها بصرف النظر عن التدين أسسا صالحة لنظام عالمي وسط بين المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يتطاحن عليها الناس الآن.

وسيجدونها حتى على أنها من البشر أصلح الدعوات وأرشدها وأقربها الى مبادىء العدل والحرية والاخاء والمساواة • وسيجدون طرائقها كمبادئها وسطا سهلا يلتقى الناس على قبولها بفطرتهم فيصلح بها الحال ، ويستقيم المجتمع • ويعم السلام بين الأمم وبين الطبقات في الأمم •

والطبعة الرابعة من هذا الكتاب صدرت عن دار الشروق في بيروت وتقع في حوالى ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير ويشتمل الكتاب على مقدمتين احداهما مترجمة عن الطبعة الانجليزية كما يشتمل على سبعة أبواب رئيسية في أصول الدعوة والاصلاح الاجتماعي والعلاقات الدولية • وأسباب الاضطراب العالمي ، وفي البحث عن سند روحي للحضارة وفي النظام الاساسي للدولة الاسلامية وأخيرا في انتشار الدعوة بين الأمم الوثنية ـ والمسيحية والأوروبية •

فما هي دعائم هذه الرسالة ؟

وما هو هداها في الاصلاح الاجتماعي ؟

وما هي سياستها في العلاقات الدولية ؟

وما هي نظرتها لأسباب الاضطراب العالمي ؟

وما هو النظام العالمي الجديد الذي يوافق روحها ؟

وما هو تاريخ انتشارها شرقا وغربا قديما وحديثا ؟

يقول الاستاذ « عبد الرحمن عزام » في الباب الأول من الكتاب :

ان الايمان بالله بارىء الكون : وحده لا شريك له هو أصل الرسالة المحمدية وحجر الزاوية في بنائها انه الينبوع الذي أفاضه الله في قلب محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى والحق والسلام والخير • انه الصدى العميق لذلك الهاتف الذي ناداه من السماء والأرض (**اقرأ باسم ربك الذي خلق**) والدعوة المحمدية بانتصارها على الشرك أزالت العقبة الأولى في سبيل السمو بالنفس البشرية • ورفعت الحجر عن عقول تحجرت فانطلقت للنظر والتبصر وبدت مثار ذلك بسرعة حتى كادت الدعوة المحمدية أن تكون في حد ذاتها معجزة •

فالأعراب الذين وأدوا بناتهم ، واعتزوا بسفك الدماء والنهب صاروا الخشع الركع الذين يبتغون فضلا من الله ورضوانا • والأسرة التي كان يرث فيها الرجل زوجات أبيه صارت الأسرة المطهرة ، والقبيلة التي لاتعرف حقا الا لعصبيتها ولا ترعى ذمة الا لمن هو منها صار فيها من يرد الجزية والأموال الى نصارى (حمص) لأنه عجز عن حمايتهم، والسادة والأشراف الذين استعبدوا الناس صاروا يخشون الله ولايخشون في الحق لومة لائم ، ومن الجفاة القساة جاء الخليفة الذي ترده امرأة في مجمع من الناس فيقول : أصابت امرأة وأخطأ عمر •

فالمؤمن لا يكون ظالما ، لأنه يعارض بالظلم

صفة من صفات الله وهي العدل . ولايكون غليظا قاسيا ، وسيده هو الرحمن الرحيم ، ولايكون مخادعا ولا منافقا لأن حسابه مع العليم الخبير الذي يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور .

وفي الفصل الذي عقده المؤلف عن « الاسلام والتكافل الاجتماعي » يقرر الفرق بين الاسلام وأكثر الملل الأخرى . فالاسلام ليس دينا فحسب يكتفي فيه المرء بأداء الشعائر والعبادات ثم يدع بعد ذلك مالقيصر لقيصر أو لغيره من الناس . ان الاسلام نظم المعاملات والعلاقات والحقوق والواجبات بين أفراد الأسر ، وبين أفراد الأمة ، وبين الأمم المختلفة فالأمة الاسلامية وحدة موثقة العرى متساندة متكاتفة متعاونة تدفع مايتطرق اليها من الفساد ان الفرد في المجتمع الاسلامي جزء من كل يكمله ويكمل به ، ويعطيه ويأخذ منه ويحميه ويحتمي فيه .

لقد رأيت بعض « قبائل الطوارق » في شمال أفريقية يحيون حياة هذا التكافل السعيد فليس فيهم من يعيش لنفسه وانما لجماعته . فأول مالفت نظري لحالتهم هذه أن رجلا من الفرنسيين نزل بينهم في « فزان » فجاورهم — وعاش بفضلهم ثم خرج يطلب الرزق ويريد أن يرد الجميل ، وترك أسرته في جوار هذه الجماعة الاسلامية غير أن النحس لازمه فلم يكتسب شيئا فجاءنا في « مصراتة » يطلب العون منا فأعناه ليعود الى أهله ولكنه رجع الى بعد سنة مرة أخرى فظننت انه عائد من عند أهله ، فقال لي : لا . ولكنني الآن أستطيع العودة الى أهلي . فقلت له ، وكيف ؟ قال : بعد لقائنا الأخير اتجرت بما حصلت عليه وأصبح الآن في يدي ما أعود به الى جماعة الطوارق ؟ فقلت : الى اولادك أم الى جماعة الطوارق ؟ قال : الى الطوارق أولا فهم أووا أولادي في غيبتي . وأنا سأكفل أولاد من أجده غائبا منهم وأقسم ما أعطى الله بين أولادي وأولاد جيراني . فقلت : هل تعيش جماعتكم كلها كما تعيش أنت مع جيرانك ؟ قال : كلنا في الخير والشر سواء .

وفي الفصل الذي عقده المؤلف عن أسباب الاضطراب العالمي يحصر أسباب هذا الاضطراب في أربعة أسباب هي الاستعمار . وصراع الطبقات . والتمييز العنصري . وهزيمة القوى المعنوية والروحية عند الناس .

واذا كان النزاع بين الطبقات هو حجر الزاوية في هذا القلق والاضطراب فقد أخذت الحكومات والشعوب في تلمس أسباب العلاج لهذا الصراع فذهبت مذاهب شتى . فبعضها ذهب الى استئصال طبقة الملاك كما حدث في روسيا وبعضها الى استئصال دعاة العمالية والشيوعية كما حدث في أسبانيا ، وبعضها عول على القهر والاستبداد كما حصل في المانيا وايطاليا — قبل الحرب العالمية الأخيرة — ومن الصعب جدا في مثل هذا العرض أن ندخل في بحث النظام الرأسمالي . ماله وما عليه . كما يصعب كذلك متابعة المشكلة الاجتماعية ومتابعة مافعل الأمريكان والأوروبيون هذا الشأن أو ذاك ، وأكثر من كل ذلك صعوبة تقرير ما انتهى عليه الحال بالنسبة للشيوعية التي فقدت بريقها الزائف في بوتقة التجربة والاختبار ولكن الذي لاشك فيه أن النظام الراسمالي فقد مبررات

الرسالة الخالدة

وجودهالقائمة على النهب والاستغلال ،والنظام الشيوعى فقد أسباب بقائه على ضوء التجربة والاختبار،ولقد كان الانسان وقيمه وروحه هو الضحية الوحيدة فى النظام القائم على رأس المال أو الحكم المزور باسم الفلاحين والعمال.

لقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة وفى يدها سلسلة من ذهب وهى تقول لامرأة عندها . هذه أهداها أبو الحسن ــ تقصد ــ عليا ــ فقال صلى الله عليه وسلم: يا فاطمة أيسرك أن يقول الناس ابنة رسول الله فى يدها سلسلة من نار .

ثم خرج ولم يقعد . وأرسلت فاطمة بالسلسلة فباعتها ، واشترت بثمنها عبدا فاعتقته وحين علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قال : الحمد لله الذى نجى فاطمة من النار .

ان لبس السلسلة ليس حراما فى حد ذاته .. والذهب ليس حراما على المرأة كما هو معروف فى الاسلام .. ولكن التحريم هنا يأخذ وجها آخر ، ان الترف والزينة والاغراق فى الكماليات ليس لهذا كله مبرر فى المجتمع الاسلامى . حين يوجد فى هذا المجتمع بائس أو مسكين لا يجد لقمة العيش .

ترى كم يكون عدد المحرومين فى المجتمع الاسلامى لو طبقت هذه القاعدة البسيطة ببساطة الاسلام فى علاج أمور الدين والدنيا .

وفى الفصل الذى عقده المؤلف عن « هزيمة القوى الروحية والمعنوية » فى العالم يتنبأ بأن الحضارة التى تميل احدى كفتيها الى جانب واحد لابد أن تندثر (وتهوى) لقد صارت الأمم صنوفا من الناس متقاطعة وصار البشر مشتتين فى عالم متنكر تبلبلت فيه الأفكار واختل فيه العرق البشرى ، وتقاطعت فيه الطبقات والطوائف . ففى جيل واحد هزمت حياة الروح هزيمة نكراء أمام حياة المادة وأخذت الآلة الصماء تفتك على غير هدى . وبغير ضابط من دين أو خلق ، أو شرف ، واندفعنا من غير تدبير فى سبيل تحويل الوسائل التى نتمتع بها الى هلاك مدمر لنا ولحضارتنا . وأخذنا نزيف آراء ونظريات نعتقد بها يوما . ثم ندمرها غدا .. فباسم حرية المرأة ندمر هدوء المنزل وحياة الأسرة . وباسم حرية الوطن تمزق الأوطان .

وباسم حرية العمل وحرية رأس المال سنمحو رأس المال ونستعبد العمال وباسم مقاومة الحريات سنفقد حرية الفرد . وحرية الجماعة وحرية الرأى ، ونحن الذين شاهدنا ويلات الحروب العالمية مرتين فى ربع قرن أحق الناس بالتساؤل عن القيمة الحقيقية للمدنية والحضارة التى هذه بعض آثارها .

ان انهزام القوى المعنوية بسيطرة المادة هو انهزام العقل والمروءة والوفاء والفروسية والتقوى والقناعة والرحمة واذا انهزم أولئك جميعا حل الجهل والغدر والخيانة والأثرة والرياء والفتك محلها .

والدعوة المحمدية حين وازنت بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة وأقامت الشريعة على ميزان من العدل يزن بين حاجات الروح وحاجات البدن انما تفعل ذلك لصالح المجتمع البشرى الذى لن يجد فى سواها نجاة ولا ملجأ ولا حلا .

وفى الفصل الذى عقده المؤلف عن انتشار الاسلام بهذه السرعة التى انتشر بها فى العالم كله يعزو المؤلف ذلك الى التسامح الذى اشتهر به المسلمون وميزهم عن غيرهم من الأمم فحين فتح المسلمون أسبانيا كان مجمع « طليطلة » الاكليركى السادس قد قرر أن يقسم الملوك عند توليهم الحكم على نفى أو قتل أو سجن كل من يفكر فى مناقشة أوامر الكنيسة وتعاليم الكثلكة ، ويقول « هلفزيخ » أن أوامر وحشية صدرت لتنصير اليهود الموجودين فى أسبانيا ، أو قتلهم فلما فتح المسلمون أسبانيا تلقاهم اليهود بالترحاب الذى يستحقه المنقذون والمحررون .. ولم يسمع فى أيام الفتح الاسلامى بأية محاولة للاكراه أو الاضطهاد . وقد بلغ من أثر هذا التسامح أن الاسبان لم ينقطعوا عن الدخول فى الاسلام حتى بعد سقوط دولته فى الأندلس فقد ذكر « ستزليخ ماكوسويل » بعد سقوط غرناطه أن كثيرا من الناس دخلوا فى الاسلام ثم هاجروا بعد ذلك هربا من النار التى تعرض لها المسلمون فى حملة الابادة الهمجية .

يقول توماس أرنولد : أن الكنيسة المسيحية قويت وتقدمت فى رعاية المسلمين وحكمهم فلم يحل الحكم الاسلامى بينها وبين الانتعاش والرقى ، بل ان النساطرة لم تدب فيهم الحمية والحماسة الا فى حماية الاسلام .

ولقد كانت جميع المذاهب المسيحية تتمتع بالرعاية والتسامح من الحكام المسلمين على حد سواء .

وقد ذكر السير توماس أرنولد كيف بلغت الخلافات بين الطوائف المسيحية الى درجة من العداوة والحرب ، ولم يكن يفصل بين هذه الطوائف المتعادية بالعدل الا الحكام المسلمون ، ويقول توماس أرنولد : تحت نظام من الأمن يكفل حرية الحياة والملك والعقيدة تمتع المسيحيون بثروات ونجاح كبيرين : فكان منهم أرباب النفوذ الواسع فى قصور الخلفاء، بل ان كثيرا من الخلفاء شيد الكنائس والمعابد لرعاياهم المسيحيين وبنى أحد الولاة الأمويين وهو « خالد القسرى » كنيسة لأمه المسيحية دون أن يتدخل لارغامها على اعتناق دين المسلمين .

ولقد اعترف كثير من المنصفين بهذه الحقيقة ، يقول أحد المؤرخين عند ذكر واقعة « بواتيه » التى قتل فيها عبد الرحمن الغافقى وأغارت جيوش « شارل مارتل » على المسلمين قال : لقد تأخرت المدنية والحضارة والتسامح عن أوروبا بسبب هذه الهزيمة عدة قرون .

وبعد :

فهذا الكتاب وثيقة فكرية لعبد الرحمن عزام المجاهد والسياسى ودليل على ان الرجال العظام الذين انجبتهم هذه الأمة انما هم الرجال الذين اشربت نفوسهم روح الايمان والعقيدة وعاشوا حياتهم للحق والخير والفضيلة ، ومضوا — كما جاءوا — شهبا فى سماء الاسلام والعروبة .

عبد الودود شلبى

ديوان شعر
صدى الأيام

للأستاذ الدكتور
محمد رجب البيومي

في طبعته الثانية صدر ديوان « صدى الأيام » للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي ، وصاحب الديوان غني عن التعريف لدى قرائه ومستمعيه الذين عرفوه عالما ومفكرا اسلاميا وشاعرا وكاتبا ومحدثا وخطيبا ، يملك منهم الأسماع والقلوب والعقول .

وعنوان الديوان يكشف عن فحواه ، فما يبوح به الشاعر من قول ليس في الواقع الا صدى لما تقوله الأيام ، حين ينصت جيدا الى وقع أحداثها ، من خلال شعور مرهف ، وحس متوفز ، وبصيرة نافذة .

ربما كان هذا ما يقصده الشاعر من التسمية وربما قصد أن ما يقدمه في هذا الديوان انما هو أثر من تأثير الأيام بأحداثها في نفسه ، وفي الديوان من القصائد ما يتسع لكل من هذين التفسيرين المحتملين .

وأيام الشاعر تنوعت فيها المشاعر ، واختلفت فيها الأحاسيس ، ولكن مع هذا فان الوجدان الصادق يجمعها جميعا في اطار واحد، اذ هو المتلقي الوحيد عنها ، وهو نفسه الذي يصوغ ما تلقاه في كلمات يشدو بها اللسان ، ويسطرها البنان مخطوطة من ذوب القلب والفؤاد .

وفي صدر الديوان مقطوعة تشبه أن تكون هي المقدمة بدلا من المقدمة النثرية ، وفيها يقول الشاعر عن ديوانه :

صدى الأيام ديواني
أصور فيه وجداني

ويؤكد على أنه يترجم عن صوت وجدانه هو دون أن يقلد في ذلك أحدا :

وما قلدت بل لبيت
صوتا منه ناداني
فان ينفح به أرج
فذلك عطر بستاني
وان تشعل به حمم
فمن جذوات بركاني

ويجمع الديوان بين دفتيه مائة وثلاثا وثلاثين قصيدة ومقطوعة ، يأتي أغلبها ترجمة عن خواطر ذاتية ، ويأتي القليل منها متصلا بموضوعات من خارج ذات الشاعر ووجداناته الخاصة .

٢

واذا كان الديوان « صدى الأيام » على اختلاف شياتها وألوانها فاننا نستطيع أن نسمع بعض موجات هذا الصدى في منعطفات

عرض ونقد أ. د طه مصطفى أبوكريشة

من حياة الشـاعر ، التى آثر أن يسـجلها فى بعض القصائد .

ان طفولة الشاعر كان لها صدى فى شعره ، وتسجل لنا قصيدته « مستقبل طفل ــ ٥٢ » طبيعة هذه الطفولة من خلال الحديث عن نوع معين من الأطفال وفى هـذا الحديث يلمح رد الفعل الايجابى عنده نحو صورة هذه الطفولة التى كان عليها ، انه لا يتنكر لها ولا يخفيها ، بل يراها دافعا لأن يكون صاحب قلب كبير يضم بين جوانحه كل طفل على صورته :

لم ألق طفـلا بائسـا
الا تذكرت طفـولتى
وعـرفت محنتـه التى
نهضـت تطابق محنتى
ورحمت شـقوته وان
لم يسـتفد من رحمتى
أسفى عليـه مؤرقى
اذ بـات يعرض صورتى
ولعـله فى عمره البا
قى يجـدد سيرتى

•• لكن الطفل يكبر ، ويدخل معترك الحياة ، ويشق طريقه بالكفاح والجهد والجلد ، وتنمو معه مواهبه وملكاته ، ثم تجود هـذه المواهب والملكات بفيض من نبعها الصافى الرقراق ،وفى لحظة من لحظات اليأس يظن الشاعر أن أحدا لا يرتوى من هـذا النبع ، وأن ما يجـود به يذهب عبثا ، كما تذهب قطرات الماء الصـافى فى ثنايا الرمال ، وفى قصيدته « النبع الخامل ٤٦ » صدى لهذا الاحساس الموجع المرير :

ضقت فى ساحة المدينة بالضـ
جة والجهد وازدحام الطريق
فصـحبت الصـحراء يوما طويلا
رائحـا غاديـا بغـير رفيـق
واعتـزال الورى يهـدىء نفسى
ان رمـانى الورى بشر محيـق

وفى الصحراء بعيـدا عن الناس ، حاول أن يطرد ما تراحم حوله من همـوم ، أبت الا أن تتابعه :

غير أن الشجون تتبـع أقـدامى
فى حشود سوداء تقفو حشـودا
أطرد الفوج جاهـدا فاذا ولى
بعيدا لمحت فـوجا جـديدا

وبينما هو كذلك اذا بـه يلمح فى الصحراء ما يجد فيه مثال حاله من خمول النابهين :

فتجلى نبـع من المـاء صـاف
رق فى العـين لؤلؤا منضـودا
يالسر الحياة جاد على الصحراء
لكـن تأففتُ ان يجـودا
انا أبكى خمـوله فى قفـار
عـاش فيهـا مضـيعا منكودا
إنهـا بيئة تجنت عليـه
لوعداها لنـال حظـا سـعيدا
مثل نبـع ينسـاب بين الروابى
يغرس الخصب والرخـاء الرغيدا

ديوان شعر
صدى الأيام

قدره مثل قدره فلماذا
بات في فقره يعاني الجحودا

أليس الشاعر هو هذا النبع ؟ بلى . انه هو :

فرأيت النبع الحزين يعاني
ما أعانيه في الورى من عقوق
أنظم الشعر رائعا مستطابا
فأنا كالنبع بالنمير الدفوق
ثم يجفى فليس يرويه راو
بل يوارى في جوف لحد عميق
كان أحرى أن يستجاد بتقدير وأن يستعاد بالتصفيق
أنا أبكي للدمع اذ صار يبكي
فكلانا في دمعه كالغريق

فاذا سألنا كيف كان هذا الخمول ، وما الذي تطلبه من القراء ؟ أجاب الشاعر في قصيدته « جنون الشهرة ١٣٦ » عن هذا السؤال :

يعذبني حب اشتهاري في الورى
فأسمو لآمال يضيق بها عزمي
أؤرق نفسي كي أخط مقالة
يطالعها القراء مهورة باسمي
وأسأل من لاقيت عنها فان يفه
حصيف بنقد ما توهمته خصمي
وان قال لم أقرأ لبعض شواغلي
نمت سجاياه فأسرفت في الذم

أطالب قرائي بحفظ روائعي
وأعتد تقديري من اللازم الحتم

فاذا حاول أن يعد جمهور قرائه ، لم يجد في العدد ما يرضي النفس ، ويسعد القلب بل كان العدد القليل المحصور سبيلا لمشاعر كثيرة من الحزن والقنوط :

جماهير قراء أحاول عدهم
فلا تنهض الأرقام بالعدد الضخم
تخيلت جمعا منهم مترقبا
محياي يعتد اللقاء من الغنم
ويرجع لي عقلي فأدرك واقعي
وحيدا أعاني الصمت في منزلي الجهم

لكنه ليس واقع من يستشعر العيب في نفسه وشعره ، وانما هو واقع مستمد من هؤلاء الذين لا يسمعون ما يقول ، لأنهم في صمم عقلي يحول بينهم وبين أن يسمعوا :

فأين قوافي الجياد أهكذا
تضيع أغاريدي لدى معشر صم؟

فالى أين يتجه الشاعر ، أليس هناك مفر من الوحدة والخلوة بعيدا عن الناس ، وهذا ما نجد صداه في قصيدته « هروب ١٥٢ » :

أخلو وحيدا بداري
فما يقر قراري
أحس مادمت فيها
لذعا كلذع النار
سأمان مثل أسير
يعاف قيد الاسار
أعد ساعات وقتي
عدا يغيب اصطباري

حيران أسال عما
به يتاح فرارى
فان تسنى سبيل
هربت دون انتظار
هربت لا لحبيب
تشتاقه أوطارى
هربت لا لصديق
أبدى له أسرارى
هربت لا لحديث
فى ندوة السمار

وفى مثل هذه الأحاسيس القاتمة تغيب بواعث الاحساس بالجمال •

الكون حولى جميل
ومقلتى فى ازورار
فلا ترى الأفق يزهى
بساطع الأنوار
بل دامس مدلهم
مسربل بالقار
الحسن زاه ولكن
عن خاطرى متوارى
ان تكدر النفس يوما
فالكون ذو أكدار

واذا كان هذا الصدى معروف السبب ، فهناك من أصداء الأيام ما يحرص الشاعر على اخفاء سببه وعلته ، اذ ليس كل ما فى النفس ما يمكن أن يعلن ويذاع ؛ وفى قصيدته « المحنة الخرساء ١٦٦ » شاهد على ذلك :

محنتى فيك محنة خرساء
تجهل الأرض كنهها والسماء
يعصف الهول بالضلوع ولكن
لا نوح لا ضجة لا بكاء
يسأل الناس أى خطب دهاه
فهو والثاكل الجزوع سواء
أيها الناس قد جهلتم مصابى
فظننتم وفى الظنون امتراء
فاتركونى ووحشتى وانقباضى
ثم فليصنع الأسى ما يشاء

٣

وفى غير هذا الجانب السابق نرى فى الديوان وقوفا عند بعض مظاهر الطبيعة ، والشاعر لايستجلى جمالها فحسب ، بل انه من خلال تذوق الجمال ، يتبادل معها الأحاسيس والمشاعر ، فهو لايقف عند ظاهرها المحسوس ، وانما يتخذ الظاهر وسيلة للولوج فى أعماقها مضفيا عليها مظاهر الحياة يقول الشاعر فى قصيدته «احساس النبات ٦»

سرت فى موكب الربيع وللطير
هتاف يرن فى الآذان
وعلى الدوح من غدائره الخضـ
ـر ثياب بهيجة الألوان
ما أجمل الربيع يغمر قلبى
بشعور يحيا به وجدانى

ديوان شعر صدى الأيام

ذلك ظاهر الطبيعة وشكلها المادى المحسوس ، أما الحياة التى يراها الشاعر فيها فيبدو مظهرها فى رده على صاحبه الذى هصر غصنا من أغصان الشجرة :

هصر الغصن كى ينال جناه
اى ذنب لديه للاغصان
صحت فى وجهه جنيت عليه
آثما فانتظر عقاب الجانى
ارحم الغصن لاتنله بسوء
قد يحس النبات كالانسان
واستمع للحفيف منه تجده
بات يشكو الانسان للانسان

ويشكر صاحبه أن يكون للنبات حس وشعور :

اى هزل تقول دون اكتراث
هل يحس النبات كالانسان
الديه روح تلاقى الرزايا
ثم تبكى بدمعها الهتان

لكن الشاعر يقابل انكار صاحبه بدليل عملى صادر من الشجرة ، ذلك حين يتساقط التوت نحوه دون صاحبه ، فيعد ذلك منحة له منها جزاء على رحمته بها !

ومضت ساعة فهب نسيم
لامس الدوح كالرفيق الحانى
فاذا الغصن يسقط التوت فوقى
دونه وهو لا صق متدانى
قلت ياصاحبى ملكت دليلى
اذ بدا الحق واضحا للعيان
ادرك الغصن رأفتى وحنانى
فحبانى ببره ورعانى
ان يكن لايحس كيف تراه
قام يجزى الاحسان بالاحسان
منطق قد يجادل العقل فيه
غير أن الفؤاد ذو ايمان

وفى قصيدته « رهبة الليل ١٧٩ » يصور الشاعر ظلام الليل الكثيف ، حين يغيب ضوء القمر ، وفى هذا التصوير ترى كيف أضفى الحياة على الليل وعلى الطبيعة من حوله ، فيقول عن ظلام الليل :

.عـوه على وجه الطبيعة يجثم
فليس له من دافع حين يهجم
تضج رعود الجو من جبروته
وتبكى عيون المزن لو كان يرحم
جرىء فما فى الكون عات نهابه
عشية يسطو كاسحا فيخيم

ويقول عن أثر هذا الظلام فى جنبات الطبيعة بدوحها وطيرها وجداولها ونباتها وانهارها :

أرى ما أرى لا الدوح يبهج ناظرى
ولا طير فوق الغصون يحوم
ولا الجدول الرقراق يالق صافيا
كعهدى به والبدر فى الماء يرسم
والمح محزون البنفسج عابسا
كثكلى تدارى شاقيا فهى تكظم
ويممت نهرا أستلذ جواره
وكنت أراه فتنة تتجسم
فاسمعنى منه خريرا متقطعا
كانى به ذو غصة يتالم

وحين يتوجه الشاعر الى الليل معاتبا له على كل هذه الرهبة التي أرعبت الانسان ، وسلبت الطبيعة بهجتها ، فان الليل يرد متظلما مدافعا :

هو الليل آذاه شديد تحاملى
فصاح على غيظ كمن يتظلم
الست اغثت الناس بعد عنائهم
فيرتاح مجهود ويبرا مسقم
واوحى لك المعنى الدقيق ميسرا
فيعلم رهط الفكر انك ملهم

وينهى الشاعر هذا الحوار مخاطبا الليل :

فقلت له أدهشت ياليل منطقى
كأنك سر فى الغيوب مطلسم
لئن كنت ذا خير تسوق نميره
الينا بلا من فشرك أعظم

والقارىء للديوان يرى قلة الشعر فى الطبيعة ، وربما كان استنطاق الطبيعة على هذا النحو السابق هو السبب فى قلة هذا الجانب ، فالشاعر لايقف عند ظواهرها التى قد تعطينا الكثير من الشواهد ، لكنه يريد أن يغوص فى أعماقها ، وربما عزف الشاعر عن تقديم الطبيعة الى قرائه على هذا النحو الذى لم يألفوه عند شعراء الطبيعة الذين يقفون عند الأشكال ولايعدون الظواهر .

٤

ويشغل شعر النسيب الجانب الأكبر فى الديوان ، وكثيرا ما ولج الشعراء هذا الباب حيث لا يخلو من مثله ديوان شعر ، ونحسب أن شاعرنا من هؤلاء الذين يلين لهم هذا اللون لرقة الشعور ورهافة الوجدان فيكثرون منه وان لم يمثل واقعا ، وربما كان هذا ما يوحى به قوله فى قصيدته السابقة « جنون الشهرة » :

واعمد للأشعار أنظم عقدها
لاغدو امير القول فى النثر والنظم
يقولون الهام القريض سوانح
تطير كلمح البرق فى صفحة الغيم
ولكن الهامى بواكب خاطرى
متى شئت قلت الشعر كالغيث اذ يهمى
افسر فى أعماق نفسى طلاسما
تدق خوافيها فيكشفها فهمى
خوالج احساس تتبعت نبضها
خفوت السرى فى عالم الدم واللحم
انمق منها كل عصماء أطفأت
مثيلاتها فى الرائعات من العصم
وأحسب ان الكون يصغى لشدوها
فيثمله سكر القريض بلا اثم

وفى هذا الشعر يلقى الشاعر بكثير من تأملاته ، ومن هذا القبيل قوله عن الذين يجنح بهم الهوى فى قصيدته « طريق الحب ٤٨ » :

لا تمضين مع الهوى
قدما فيرهقك المسير
فأمامك الصخر العتى
ودونك الشوك النثير

ديوان شعر
صدى الأيام

متخبطا تهوى ولا تدرى
بمن ذا تستجير

وفى قصيدته « رواسب الحيوان ٧٦ » يجعل الجرى وراء الهوى بقية من رواسب الحيوان فى الانسان :

كل فرد وان كان ذا اكتمال
تعتريه رواسب الحيوان
ومن الهول ان ترى حيوانا
مستكنا فى باطن الانسان
تبتغى أن تقلم الظفر فيه
وهو لا ينثنى عن العدوان
كلما صاحت الغريزة تدعو
الى الأرض هم بالاذعان

ويشيد بمن يتسامون عن جواذب الأرض محلقين فى أفق العلا والارتقاء وفى مقطوعته « ارتقاء ٣٧ » دعوة الى هذا التسامى :

علوت الأفق فابتسمت دهاء
وقالت كيف بت على النقيض
سلوت السفح لم تسعد كثيرا
بما فى السفح من روض اريض
تركت الزهر رفافا بهيجا
تضيق بوصفه حيل القريض
فقلت دعى الزهور تغش غيرى
بما سترت من القبح البغيض
يشع رواؤها فاذا تصبى
ملاكا راح ذا خلق مريض

مضى عهد السفوح ونازعتنا
هواتفنا الى الأفق العريض
ومن بلغ السماء فلا تلمه
اذا كره النزول الى الحضيض

٥

وفى الديوان جانب من قراءة البصيرة فى النفس والكون والحياة ، وفيه ترى الحكمة تنساب على لسان الشاعر لتسجل رجع تأملاته ، وصدى نظراته ومشاهداته •

يتأمل الشاعر نصيب العقلاء والجهلاء من متع الحياة وحظوظها فتروعه المفارقة ، حين يرى العقلاء يشقون ، والجهلاء يتنعمون ، ومن ثم تكون هذه الصورة الأسية الساخرة فى مقطوعته « الجهل جنة ٣٠ » :

لا تطلبن العيش فى كنف الحجا فالعقل محنة
تزداد تعذيبا لنفسك كلما تزداد فطنة
لا ترتضى عز الكمال ودونه وخز الأسنة
فاذا تعذر عفت طعم العيش واستحقرت شأنه
وأخو الجهالة سابح الخطوات منطلق الأعنة
دع جهله يحميه من كيد النهى فالجهل جنة

ويتأمل صور الناس وما يحملون من عقول، فتدهشه المفارقة فى بعضهم ، حين يرى المظهر عكس المخبر ، ومن ثم يدعو الى الحذر من خداع النظر فى قصيدته « ازدراء ١٤٢ » •

ترى الفارع العملاق تحسب عنده
اصالة راى فى وجاهة منظر

وتســمعه يهذى فتطرق واجما
لســامق مراى فى قمامة مخبر
ظننت صيال الليث فى روحاته
فراعك أن تلقى تفزع جؤذر
دع اللحظ لا تحكم به فهو خادع
يضل وان زايدت فيه بمجهر
ودونك فاسمع ثم زن ثم واحدا
من الألف توليه ثناء المقدر

ويتأمل الصداقة والصديق ، فيحزنه ماطرأ على بعض أصدقائه من تغير نحوه ، ويسجل ذلك فى قصيدته « صديق الأمس ١٦٠ » .

أسفت ولم آسف لجرم جنيته
سوى أننى أعلنت ودك للناس
وبالغت فى حبى فسقت مدائحى
اليك جزافا لم أزنها بقسطاس
وعذرى أنى قد خدعت ببهرج
بكفيك يخفى عنك تهمة افلاس
فان اك قد أسلفت مدحك غافلا
فتلك زهور بعثرت فوق أرماس
ملأت بمدحى الكأس صابا وعلقما
لنفسى فدعنى أحتسى علقم الكأس

٦

وللتاريخ الاسلامى وأحداثه الماضية جانب فى هذا الديوان ، وفى قصيدة بعنوان « آذان الفجر فى بلاط الشهداء ٨٩ » يسجل الشاعر بعض خواطره عن أمجاد المسلمين فى الأندلس:

احالوا ديارا لقوط فردوس جنة
ترعرع فيها العالم المتحضر
مدارس للتثقيف فاضت حياضها
وطوفانها الجياش بالعلم يزخر
محاكم للحق النزيه تسودها
مساواة شرع بالعدالة يجهر
مصحات طب ينتحيها اخو الضنى
فينشط لا يثنى خطاه مكدر
حدائق تكسوها الرياحين بهجة
وادواحها اللفاء تزهو وتثمر
ولو لم تتح للناس اندلس لما
غدا لجمال الكون فى العين منظر

وفى قصيدته « صلاح الدين الأيوبى يتحدث عن الوحدة العربية ١٩٩ » يلقى الشاعر بخواطره نحو الوحدة الاسلامية قائلا على لسان صلاح الدين الأيوبى :

قلت لابد أن أوحد قومى
وبهم أتقى جهد الكروب
زحف الغرب يستحث الزرايا
مزبدات فى موج جيش صليبى
فالتفت مصر والشام معا فى
وحدة ضمدت سخين الندوب
وحشدت الصفوف حولى ودا
همت قوى الزاحفين غير هيوب

ديوان شعر
صدى الأيام

روع الغاصب الدخيل لزحف
سد في وجهه طريق الهروب
فانثنى يطلب الفرار فـاطبقـ
ـنا عليه بجاحم من شعوب
فتهاوى على الدروب قتيلا
دنست منه طاهرات الدروب
هكذا الوحدة القديمة أهدت
راية النصر للثرى المطلوب

هذا وفي الديوان الى جانب ما ذكرنا شعر في الرثاء والهجاء والسخر والفكاهة لكنه شعر قليل النماذج ، وان كان يحمل نفس الطابع الذي اتسمت به الأغراض الأخرى .

٧

وبعد . ففي هذا العرض ما يكشف للقارئ عن شاعر أصيل مطبوع ، في شعره النظرة الصادقة ، والبصيرة النافذة والاحساس الرقيق والشعور الفياض ، وفيه الأسلوب السهل السلس ، والمعنى العميق الذي لا يتأبى على من يجتديه .

وللشاعر ملكة الخيال اليقظ الذي يبتكر الصور البيانية ، مجتناة من أدواح صاحبها. وهذه بعض من صور الخيال شاهدة على ما نقول :

يقول عن حفيف الأشجار في ظلام الليل (١٧٩) :

كأن حفيف الدوح تحت ستوره
شكاية مظلوم على الجور ينقم

ويقول عن زهر البنفسج في هذا الليل ١٧٩ :

والمح محزون البنفسج عابسا
كثكلى تدارى شامتا فهي تكظم

ويقول عن غياب القمر في هذا الظلام :

سموت لنور البدر فاغتلت سحره
وناحت لبلواه شموس وأنجم

واذا كان لابد لنا من شيء نتحاور فيه مع الشاعر الأديب فان هذا الشيء يتمثل في أن نطلب لشعر الديوان انصافا من الشاعر ، وما الانصاف الا أن يقدم الشاعر شعره للناس وهو مطمئن اليه من خلال توثيق وتعريف لهذه التي جاءت غفلا من تواريخها ومناسباتها ، وأستاذنا يعلم أن لهذا الجانب أهمية كبرى في البحث والدراسة والنقد . فهل نطمع أن نرى ذلك في الطبعة الثالثة للديوان ؟

وشيء ثان يتمثل في بعض الكلمات الغريبة التي تسربت الى الديوان وزادت غرابتها حين جاءت في ثنايا الشعر السلس ، وعلى سبيل المثال قول الشاعر ص ١١ :

واسال نفسي اذ أحلّ موقفي
فتهمي عزاليه كما فاض عيلم

وقوله ١٨٨ واصفا الليل في رمضان :

وافرح بالدجى فيفر منى
سريعا مثل مايعدو الظليم

وقوله ٢١٢ :

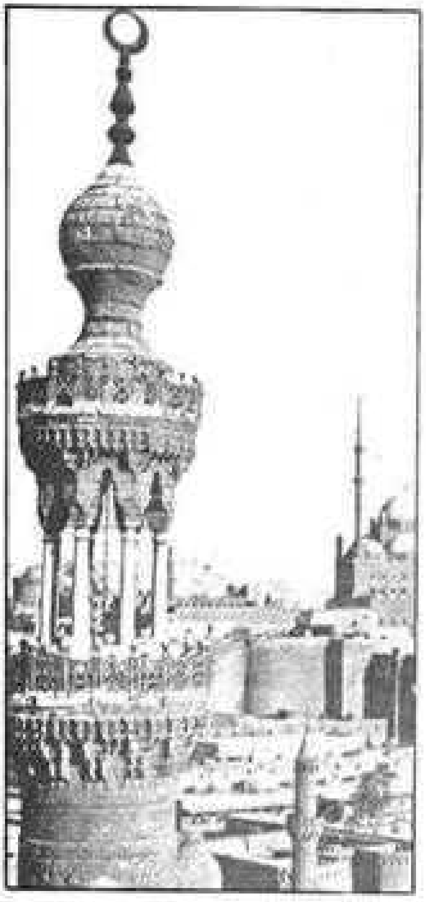
قالت الشمس له فى رعده
تدك قد اشعلت فى قلبى الضراما

وشىء ثالث ما نراه من ظل يسير لعاميتنا فى بعض الأبيات ومن ذلك ١٣٧ :

واسال نفسى اذ احلل موقفى
لاى اعتبار طاش فى ملا سهمى

وقوله ٧٧ :

واعتزل الرفاق اذا تصابوا
فكل حديثهم عَجّن ولت



وأخيرا فاننا لم نقدم خلال هذه الصفحات الدراسة الحقة التى يستحقها الديوان فان لذلك مجالا آخر ٠ وحسبنا هنا أن نكون قد اخذنا بيد القارىء فى تعريف يكشف عن معالم الطريق فى روضة غناء ٠ وبداهة فان السير فى الطريق ليس بديلا بحال عن استكناه جوانب الروض والتطواف بين وروده وزهوره ، ولعل فيما قدمنا ما يغرى المستزيد بمزيد من تنسيق طاقات الورود والأزاهير ٠

أ٠د طه مصطفى ابو كريشة
١٩٨٣/٤/٢٧

مع رسالة جامعية

انقضاء العقد بالالغاء والرجوع في القانون المدني

« انقضاء العقد بالالغاء والرجوع في القانون المدني دراسة مقارنة بالفقه الاسلامي » .

هذا هو عنوان الرسالة التي تقدم بها الطالب : اسماعيل عبد النبي عبد الجواد شاهين ـ للحصول على درجة « الأستاذية ـ الدكتوراه » في الفقه المقارن ـ كلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر .

وقد نوقشت الرسالة بمدرج كلية الشريعة والقانون في ٨ ربيع الآخر سنة ١٤٠٣ هجرية .

وتكونت لجنة المناقشة والاشراف من الأساتذة أ . د حسن على الشاذلى أستاذ الفقه المقارن وعميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالكويت ـ مشرفا شرعيا أ . د نزيه محمد الصادق المهدى . أستاذ القانون المدنى بكلية الحقوق ـ جامعة القاهرة ـ مشرفا قانونيا .

أ . د عبد الخالق حسن احمد استاذ القانون المدنى بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ـ عضوا .

أ . د احمد طه ريان أستاذ الفقه المقارن وعميد كلية الشريعة والقانون بأسيوط . عضوا

استغرقت مناقشة الرسالة نحوا من ست ساعات قررت اللجنة بعدها منح الطالب درجة العالمية « الدكتوراه » في الفقه المقارن مع مرتبة الشرف الأولى .

وقبل أن نتعرض لمنهج الرسالة وخطتها نقول :

الرسالة التي بين أيدينا تعالج موضوعا هاما في المعاملات المالية بين أفراد المجتمع : وذلك حين يستطيع أحد أطراف العقد أن يلغى العقد بارادته المنفردة دون موافقة أو رضاء الطرف الآخر في كل من الفقه الاسلامي والقانون المدني ، وذلك لايجوز الا في عقود معينة هي العقود الجائزة والعقود الزمنية . ولايكون للالغاء أثر رجعي وانما يحدث أثره من وقت انهاء الرابطة العقدية ويلاحظ أن هذا الموضوع تتفرق أجزاؤه في مختلف فروع الفقه الاسلامي كذلك لاينص عليه القانون المدني المصري ولم يبين أحكامه وآثاره .

لهذا كله قام الباحث بتنظيم هذا الموضوع بجمعه ثم وضعه في صورة مواد قانونية . مناشدا المقنن أن يراعيها وهو بصدد تقنين

دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي

الباحث : اسماعيل عبد النبي عبد الجواد شاهين

حمدى الليثى

القانون المدنى الحالى المستمد من الشريعة الاسلامية وهو مايسمى بـ « مشروع قانون اصدار المعاملات المدنية » الجديد .

« منهج الباحث فى رسالته » :

ينص الباحث فى رسالته على انه استخدم المنهج التالى :

١ ـ ابراز نظرية الالغاء والرجوع فى العقد بالارادة المنفردة من حيث مشروعيتها واحكامها وآثارها .

٢ ـ رجوع الباحث الى أكثر من مرجع فى كل كتب المذاهب الفقهية .

٣ ـ حرص الباحث على ابراز النصوص الفقهية الشرعية (والقانونية) .

٤ ـ جمع الباحث معظم أحكام الأشباه والنظائر (الالغاء) (والرجوع) وذلك لتماثلها فى بعض الأحكام .

« خطة الباحث فى رسالته » :

وقد وضع الباحث خطة لبحثه تمثلت فى تقسيم البحث الى أبواب وكل باب الى فصول وكل فصل الى مباحث . وتقسيم بعض المباحث الى مطالب .

فقسم الباحث رسالته الى : تمهيد . وأربعة أبواب . وخاتمة وذلك على النحو التالى :

فأما التمهيد فعنوانه : « الأسباب العامة لانحلال العقد » وقسمه الى فصول أربعة :

الفصل الاول : فى بيان فكرة العقد وأهميته ومقوماته واطاره فى الفقه الاسلامى ـ والقانون الوضعى .

وجعل الباحث لهذا الفصل أربعة مباحث :

المبحث الاول : فى ماهية العقد .

المبحث الثانى : فى أهمية العقد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى .

المبحث الثالث : فى أركان العقد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى .

المبحث الرابع : فى نطاق العقد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى .

والفصل الثانى بعنوان : « الامتناع عن الوفاء بالعقد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى » .

وقسمه الى ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : « الوفاء بالعقد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى » وفيه مطلبان :

الأول : مبدأ سلطان الارادة ومداه فى الفقه الاسلامى .

الثانى : مبدأ سلطان الارادة ومداه فى القانون الوضعى .

المبحث الثانى : « الامتناع عن الوفاء فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى » .

مـــع رســالـة جامعيــة

وفيه مطلبان :

الأول : تحليل فكرة الامتناع عن الوفـــاء في الفقه الاسلامي .

والثاني : شروط الامتناع عن الوفاء في الفقه الاسلامي والقانون المدني .

المبحث الثالث : آثار الامتناع عن الوفاء .

الفصل الثالث : « بطلان العقد وابطاله فـي الفقه الاسلامي والقانون المدني » .

وقسمه الى ثلاثة مباحث .

الأول : « ماهية البطلان في الفقه الاسلامي والقانون المدني » .

الثـاني : « التكييف الشرعي والقـــانوني للبطلان في الفقه الاسلامي والقانون المدني .

وفي هذا القسم ثلاثة مطالب :

الأول : التكيف الشرعي للبطلان في الفقــه الاســلامي .

الثاني : آثار بطلان العقد في القانون المدني

الثالث : « آثار بطلان العقد وابطاله في الفقه الاسـلامي والقانون المدني » .

وفيه ثلاثة مطالب :

الأول : آثار بطلان العقد في الفقه الاسلامي

الثاني : آثار بطلان العقد وابطاله فـــي القـــانون المدني .

الثالث : الموازنة والمقارنة بين آثار العقــد الباطل في القانون الوضعي والفقه الاسـلامي .

الفصل الرابع : « فسخ العقد وانفساخه في الفقه الاسلامي والقانون المدني .

وقسمه الى مبحثين : ــ

الأول : ماهية الفســـخ وأنواعه في الفقه الاسلامي والقانون المدني وفيه مطلبان :

الأول : ماهية الفسخ .

الثاني : أساس الفسخ في الفقه الاســلامي والقانون المدني .

المبحث الثاني : آثار فسخ العقد في الفقــه الاســلامي والقانون المدني وله مطلبان :

الأول : آثار الفسخ في الفقه الاسلامي .

الثاني : آثار الفسخ في القانون المدني .

يلي ذلك أبواب البحث الأربعة :

البـــاب الأول :

ويخص : انقضاء العقد بالالغاء في القانون المدني والفقه الاسلامي » .

وبــه أربعــة فصـــول :

الأول : « ماهية الالغاء والرجوع في الفقه الاسـلامي والقانون المدني » .

وقسمه الى مبحثين :

الأول : المسميات المختلفةلانهاء العقد وموقع الالغاء والرجوع فيها .

وفيه مطلبـــان :

الأول : ماهية الاقالة وشروطها وطبيعتها في الفقه الاسلامي .

الثاني : ماهية الاقالة وأركانها وشروطهـــا وطبيعتها في القانون الوضعي .

المبحث الثاني : « ماهية الرجوع والالغـــاء في الفقه الاسلامي والقانون المدني .

وقسمه الى ثمانية مطالب :

الأول : ماهية الرجوع والالغاء في الفقه الاسلامي .

الثاني : ماهية الرجوع والالغاء في القانون الوضعي .

الثالث : الموازنة بين الفقه الاسلامي والقانون الوضعي في ماهية الرجوع والالغاء .

الرابع : أثر الارادة المنفردة في الغاء العقد في الفقه الاسلامي والقانون الوضعي .

الخامس : نطاق الالغاء في الفقه الاسلامي والقانون المدني .

السادس : التطور التاريخي لالغاء العقد في الفقه الاسلامي والقانون المدني .

السابع : كيفية الالغاء في الفقه الاسلامي والقانون المدني .

الثامن : طبيعة الالغاء في الفقه الاسلامي والقانون المدني .

الفصل الثاني : خصائص الالغاء في الفقه الاسلامي والقانون المدني والقيود الواردة على حق الالغاء .

وقسمه الى مبحثين :

الأول : خصائص الالغاء .

وقسمه الى مطلبين :

الأول : خصائص الالغاء في الفقه الاسلامي

الثاني : خصائص الالغاء في القانون المدني .

المبحث الثاني : القيود الواردة على حق الالغاء .

وقسمه الى مطلبين :

الأول : القيود الواردة على حق الالغاء في الفقه الاسلامي .

وله ثلاثة فروع :

الأول : القيود الشرعية الواردة في حق الالغاء .

الثاني : الاتفاقية التي ترد على حق الالغاء .

الثالث : الشكلية التي ترد على حق الالغاء .

المطلب الثاني : القيود الواردة على حق الالغاء في القانون المدني .

وله أربعة فروع :

الأول : الشكلية التي ترد على حق الالغاء .

الثاني : القيود الاتفاقية التي ترد على حق الالغاء .

الثالث : القيود القانونية التي ترد على حق الالغاء .

الرابع : الموازنة بين الفقه الاسلامي والقانون الوضعي في القيود الواردة على حق الالغاء .

الفصل الثالث : شروط الالغاء وأسبابه .

الفصل الرابع : آثار الالغاء في الفقه الاسلامي والقانون الوضعي .

الباب الثاني :

« نماذج لأهم العقود التي تنقضي بالالغاء في الفقه الاسلامي والقانون المدني » .

ويشمل ثلاثة فصول :

الأول : انتهاء عقد الشركة بالالغاء في الفقه الاسلامي والقانون المدني .

مع رسالة جامعية

الفصل الثانى : « انقضاء عقد الوكالة بالالغاء » .

الفصل الثالث : « عقد التحكيم ومدى جواز انقضائه بالالغاء » .

الباب الثالث :

« انقضاء العقد بالرجوع فى القانون المدنى والفقه الاسلامى » .

وبه فصلان :

الأول : « ماهية الرجوع ومشروعيته والفرق بينه وبين ما يقاربه من نظم فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى .

الثانى : خصائص الرجوع فى العقد وشروطه فى الفقه الاسلامى والقانون الوضعى » .

الباب الرابع :

« تطبيقات الرجوع فى العقد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى » .

وقسمه الى فصلين :

الأول : « الرجوع فى عقد الهبة وآثاره » .

الثانى : « الرجوع فى العقد بمقتضى الخيار وآثاره فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى » .

وحوت الخاتمة أهم النتائج :

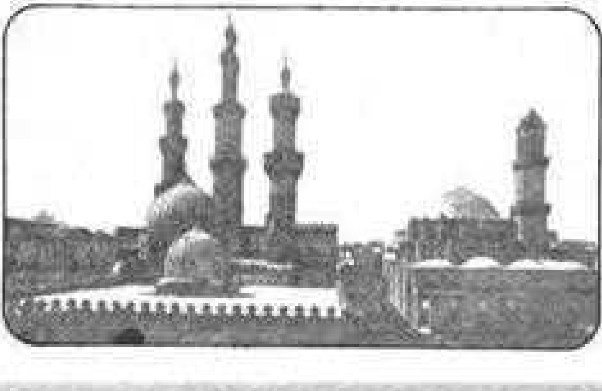
وبعد :

فان هذه الرسالة تبين ان الشريعة الاسلامية بالعمل على تطبيقها ستحل كثيرا من المشاكل التى يعانيها المجتمع المصرى ــ وبخاصة فى هذا الجانب الذى قد ينتج عن أزمة فى الأخلاق .

ثم هى تلقى ضوءا على ما تميز به التشريع الاسلامى لحفظ الحقوق وصيانة الناس .

وجزى الله الباحث
عن الاسلام خيرا

حمدى الليثى



تحقيـق : عبد العزيز أحمد جبره
عاطف زهـران

دور الأزهر في المستقبل

كما يراه علماء المسلمين

الأزهر قلعة الاسلام وحصنه الحصين له في كل مكان رجال افذاذ وفي كل وقت علم وفكر ، شدت اليه الرحال طلبا لعلم يندر أن يوجد الا فيه .

ومن أجل هذا فقد حضر للاحتفال بعيده الألفي وفود أكثر من ٨٥ دولة جاءت اليه من كل فج عميق منهم من تخرجوا منه ووصلوا في بلادهم الى قمة القيادة والسلطة كرئيس جمهورية المالديف السيد مأمون عبد القيوم خريج الشريعة والقانون ــ جامعة الازهر .

ومن اجل هذا الدور الذي قام به في الماضي عبر الألف عام في شتى أقطار العالم الاسلامي كان لنا هذا اللقاء مع عدد من الوفود الاسلامية لنستطلع رأيهم في أحوال العالم الاسلامي ، ونعرف ما يطلبون من الأزهر لبلادهم وأبنائهم لتكون للاسلام الكلمة والمنعة .

(وقف القتال بين المسلمين)

تحدثنا الى السيد فودي كامارا وزير الشئون الدينية بغينيا ، فقال : نريد من الأزهر الشريف أن يواجه التحديات والتيارات الفكرية التي تحارب الاسلام في بلاد العالم وأننا لعلى ثقة من أن الأزهر سوف يؤدي دوره ضد هذه التحديات كما أداها في الماضي ونقول للازهر الشريف : سر على بركة الله والشعوب المسلمة معك والله يرعاك . وان كنت اود أن اقول أيضا على الأزهر أن يحاول باعتبار مكانته المرموقة السامية أن يوقف الحرب التي تدور بين المسلمين بعضهم البعض وهذا حرام لأن دم المسلم على المسلم حرام وعرضه وماله أيضا حرام .

ونريد من الأزهر أن يزيد لنا المنح

دور الأزهر في المستقبل في رأى علماء المسلمين

١ العمل على وقف القتال بين أبناء الاسلام

٢ الأزهر قائد الأمة الاسلامية

٣ العلماء هم القدوة

٤ تطوير أسلوب الدعوة للاسلام

٥ الأزهر منارة العلم للإسلام والعرب

٦ أين مجلة الأزهر.. ولماذا لم تصل إلينا في بلادنا بأفريقيا؟

الدراسية لأن الاسلام عندنا ينتشر بسرعة وهو في أيد أمينة ومامن يوم الاياتى الى الخير باعتبارى وزيرا للشئون الدينية من آن هناك شخصية مرموقة أو حيا بأكمله قد اعتنق الاسلام وهذا يبشر بالخير للاسلام في بلادنا ولهذا نرجو المزيد من المنح الدراسية والتعاون بيننا وبين الأزهر الشريف .

توعية وتثقيف المسلمين

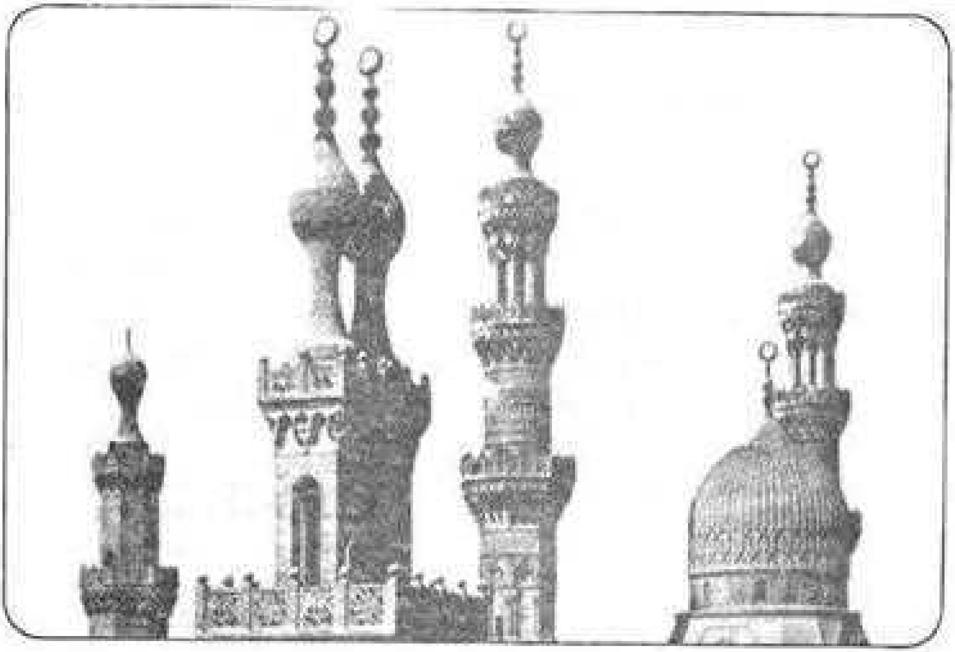
أما الأستاذ الدكتور/عبد الهادى التازى من المغرب فيقول :

ان كل مسلم في هذا العالم مدين للأزهر الشريف سواء من حيث العقيدة الاسلامية التى سادت سائر جهات الدنيا ، أو من حيث انتصار الحرف العربى عبر أنحاء العالم وكلنا يعرف ان الازهر هو القلعة الحصينة ضد اى تدخل أجنبى للبلاد وباعتبارى رئيسا لجامعة القرويين بالمغرب فانها قد قامت بنفس الدور الذى قام به الازهر من اعداد (الكوادر) الاسلامية التى كانت ركائز العالم الاسلامى ونظرا لأن هذه هى رسالة الأزهر عبر الألف عام الماضية فاننى آمل آن يقوم الأزهر في المستقبل بالدور المنتظر منه في توعية العالم الاسلامى وتثقيفه ونشر دعوة الاسلام في شتى بقاع العالم كله .

وان وجود مثل هذا الجمع الكبير من علماء المسلمين من مختلف البلدان والاقطار لخير دليل وبرهان على اهتمام المسئولين في بلادهم بمتابعة مسيرة الازهر الشريف هذه المسيرة الاسلامية الطيبة باركها الله وسدد خطاها .

حتى تظل علاقة الازهر بمسلمى الهند

أما الاستاذ الدكتور ظهور محمد خان رئيس وفد الهند في احتفالات الأزهر فيقول :



ان عدد المسلمين بالهند يصل الى ١٠٠ مليون مسلم والأزهر مهم جدا بالنسبة لنا لأنه يوجد لدينا والحمد لله مركزان اسلاميان كبيران : (دار العلوم ــ ندوة العلماء) ولهذين المركزين اتصال بالأزهر حتى يمكن عن طريق حل مشاكلنا نحن المسلمين بالهند وهذه المشاكل كثيرة وفى مقدمتها التعليم فانه لاتوجد الاستطاعة لدى المسلمين لتوفير التعليم نظرا لظروفهم الاقتصادية وقد قابلت فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وتحدثت معه عن مطالب المسلمين بالهند من الكتب المدرسية والاسلامية والمنح الدراسية لأبناء المسلمين حتى تظل الرابطة بين الأزهر والمسلمين بالهند قائمة .

ان لدينا ــ فى أكثر من ٣٠ جامعة ــ أقساما للدراسات الاسلامية والعربية بالكليات ويقوم بالتدريس فيها خريجو دار العلوم بالهند لكنهم لايجيدون الفصحي وهذه مشكلة أيضا ومن هنا يأتى دور الازهر تجاه المسلمين وأبنائهم فى الهند وهذا مانود أن يكون فى خطة الازهر فى المستقبل القريب .

تنفيذ التوصيات والمناقشات هو الأمل

أما الحاج داود مسلم بوكانى من وفد أفريقيا الوسطى فيقول :

نريد من الأزهر الشريف وهو قلعة الاسلام وحصنه الحصين أن يتبع ما قيل فى هذا المؤتمر من كلمات وما ألقى فيه من بحوث بالعمل لأن الأمل معقود على الأزهر الشريف وبالنسبة لنا فى أفريقيا الوسطى ــ وهى بلد كبير جدا ــ أن يزيد الأزهر منحه الدراسية لطلابنا ، كذلك زيادة بعثاته الدراسية الينا حتى تتسع

دور الأزهر في المستقبل كما يراه علماء المسلمين

دائرة الاسلام فى بلادنا ونتعلم ويتعلم أولادنا القرآن الكريم وتفسيره وعلوم الحديث وكل مايتعلق بالدين الاسلامى ، ولن يكون هذا الا من خلال بعثات الأزهر الشريف الى بلادنا وكل بلاد العالم الاسلامى الذى يشاركنا هذه المشاكل .

الأزهر هو قائد الأمة الاسلامية

أما فضيلة الشيخ/على عبد الرحمن الأمين رئيس وفد السودان الشقيق وعضو مجمع البحوث الاسلامية فيقول :

أننا نريد من الأزهر الشريف أن يكون القدوة العامة لكل من دخل ويدخل الاسلام وهذا ما سمعناه من جميع الأخوة المتحدثين فى هذا الحفل الكبير بل انهم كلهم يقررون قيادة الأزهر الشريف ويتحدثون عنه كدعوة شاملة وفكرة جامعة ونبراس يهدى الجميع الى الرشد .

وأننا نؤمن بأن الأزهر فى الماضى والحاضر والمستقبل هو القائد والدليل للأمة الاسلامية بما ساهم به من جهد فى نشر الاسلام ولذلك فاننى أريد منه التصدى لكل التيارات الفكرية التى تريد النيل منه وأن توفر له الوسائل الناجحة لهذا الغرض وعلى البلاد الاسلامية أن تدعم الأزهر بكل مايحتاجه من مساعدة وعون حتى يمكنه أن يؤدى دوره المطلوب منه

(على الأزهر انشاء المؤسسات الخدمية)

أما رمضان شول من جنوب السودان فيرى انه لابد للأزهر أن يتسع نشاطه أكثر فى كل بلاد العالم الاسلامى التى توجد بها التيارات المعادية للاسلام بل أننى أدعو الأزهر أن يقوم بانشاء المؤسسات العلاجية والمصانع حتى يكون هذا عامل جذب للاسلام كما يحدث من الحركات التبشيرية لان مثل هذا العمل يمكن أن يقدم للمسلم مايحتاجه وعلى بلاد المسلمين ان يقدموا له الدعم لهذا الأمر بالذات .

لابد من وجود علاقة بين الأزهر وقارة استراليا ..

أما الاستاذ ابراهيم السيد رئيس الرابطة الاسلامية بأستراليا فيقول :

لابد أن يكون هناك اتصال بين الاقليات الاسلامية والأزهر فى جميع أنحاء العالم الاسلامى بل لابد من وجود الداعية الاسلامى المتخرج من الأزهر الشريف بالذات لأن هذا الداعية سيكون هو الرباط بين المسلمين والأزهر الشريف فى المكان الذى يدعو فيه .

وباعتبارى من وفد استراليا فأنا أطلب من الأزهر أن تكون له علاقة مع الجيل الجديد من أبناء المسلمين باستراليا لأن الأزهر وهو أعرق جامعة اسلامية فى العالم الاسلامى لابد وأن يلفت النظر ويعطى الاهتمام الى قارة استراليا حيث يوجد فيها ٢٥٠ ألف مسلم وهم أقلية ومعظمهم يدين للأزهر لأنه القبلة العلمية الوحيدة التى اتجهوا اليها ليعرفوا منها أمور

الدين الاسلامي بل منهم من يرسل حتى الآن الى الأزهر للاستفسار عن أى أمر من الدين يعتريه في حياته ويجيب عنه الأزهر مشكورا لأن رد الأزهر هو الحجة والبرهان الاول والاخير مهما كان لدينا من علماء في الدين ففتوى الأزهر ليست فتوى فقط بل هي رباط أيضا بين المستفتي والبلد المفتي مصر وهو الازهر) فلابد من تدعيم هذه الصلة واننا نشكر السيد الرئيس محمد حسني مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية على خطابه الذى القاه في هذه المناسبة وأعلن فيه تدعيمه لرسالة الأزهر الشريف حتى يظهر بمظهره اللائق به .

(دور قيادى)

أما الشيخ محمد بن حمد الخليلي من سلطنة عمان فيقول :

المسلمون ينظرون الى الأزهر نظرة اعتزاز ونظرة أمل فهم يعتزون بماضيه المجيد ويأملون في مستقبله السعيد وحيث ان الاسلام دين حياة لعمقه وشموله فهو يتناول جميع جوانب الحياة البشرية وفيه حلول مشكلاتها ولذلك كله يأمل المسلمون في الأزهر ــ وهو قلعة من قلاع الاسلام ــ أن يكون له دور قيادى في حياة الأمة حتى تثوب الى رشدها وتعود لها عزتها .

الدين واللغة والمجلة

أما الشيخ صالح سعيد سينارى مستشار عام الجمعية المنظمة للشئون الاسلامية واللغة العربية في جمهورية غانا فيقول :

لقد تخرجت من الأزهر منذ ثلاثين عاما وبفضل علماء الأزهر يدخل في الاسلام الكثير في افريقيا ونحن ننتظر من الأزهر أن ينشط برسالته .. تعليم العربية ونشر الدين الاسلامي في افريقيا ويمنح الطلاب المجدين في اللغة والدين الاسلامي منحا علمية خصوصا أبناء غانا الذين أسلموا وتعلموا الدين باللغة الانجليزية وهم لايفهمون العربية فنأمل من الأزهر ان يفسح لهم المجال مما يزيد من قوة ونشاط الدعوة الاسلامية لدينا .. كما نريد من أزهرنا الشريف أن يرسل الينا الكتب الدينية ومجلته الغراء (مجلة الازهر) لنستعين بها على قراءة وفهم الدين ثم تعليم

أبناء بلدنا (غانا) بواسطة هذه المطبوعات فالمسلمون في غانا يمثلون ٤٥٪ من سكان البلاد ولغة البلاد الرسمية هي الانجليزية بحكم الاحتلال .

تطوير اسلوب الدعوة

ويقول فضيلة الشيخ محمد على الجوزو مفتي جبل لبنان : أننا نريد من الأزهر الشريف في الغد القريب أن يتخلص من الروتين وان يتطور في أسلوب الدعوة الى الله وينظمها في جميع شئونها في العالم الاسلامي خاصة وانه يعتبر الجامعة التى يتخرج منها هؤلاء الدعاة وانه وحده المؤهل للقيام بهذا الدور الرسالي حتى يستطيع أن يحتل المكانة اللائقة به في جميع أنحاء العالم الاسلامي

دور الازهر في المستقبل كما يراه علماء المسلمين

خاصة واننا فى عصر كثيرا ماتشتد فيه الهجمة على الاسلام من اعدائه وعلى هذا فلابد للازهر أن يكون يقظا لجميع تحركات أعداء الاسلا حتى يصدهم ويقنعهم بالحجة والبرهان .

زيادة البعثات والمنح الدراسية

أما محمد طاهر من وفد أندونيسيا فيقول ان الازهر الشريف قلعة الاسلام وحصنه الحصين فى الالف عام الماضية .

نريد منه فى السنين القادمة أن يقوم بزيادة أعداد الدعاة الاسلاميين والبعثات الدراسية للعالم الاسلامى بل أيضا نريد منه زيادة المنح الدراسية لأبناء المسلمين حتى يستطيع هؤلاء أن ينشروا الاسلام ويكونوا سفراء للازهر والاسلام فى بلادهم يدافعون عنه وينشرون الوعى بين أبنائه ومن الاشياء التى تعانى منها نحن فى أندونيسيا قلة الكتب الاسلامية بل أن مجلة الأزهر نفسه تكاد لاتصل الينا ومن هنا نرجو ارسال الكتب الاسلامية بما فيها مجلتى

الأزهر ومنبر الاسلام أيضا ولايفوتنى هنا أن الفت النظر الى النقص الذى طرأ على بعثة قراء القرآن الكريم التى توفد فى شهر رمضان الى أندونيسيا لاحياء ليالى هذا الشهر المبارك ولاندرى السبب رغم أن المسلمين يمثلون فى بلدنا نسبة ٩٥٪ من تعداد السكان .

الأزهر كان منارة للعرب والاسلام

أما الدكتور يوسف بلاويسكى رئيس قسم الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة وارسو ورئيس الوفد البولندى بالاحتفال يقول :

الأزهر يعتبر الجامعة الوحيدة التى ظلت واقفة وراسخة وشامخة رغم الظروف التى مرت بالعرب عامة من انحدار فكان منارة للعرب والاسلام وخدمات الازهر للاسلام واللغة العربية كثيرة جدا وقد كانت فى علوم مختلفة مثل الطب والفلك وغيرها بل أن للازهر مكتبة غنية جدا استفاد منها العرب كثيرا ومن هنا فالأزهر رائد فى الامور الاسلامية والعربية والثقافية أكبر من أية مراكز علمية أخرى وذلك يرجع الى اهتمامه بأبنائه الذين يتخرجون منه فكان لديهم العلم العميق وكانوا القدوة ليس فى مصر وحدها بل فى جميع بقاع العالم الاسلامى كل هذا كان للازهر وجامعته فى الماضى ومن أجل هذا الدور العظيم فالأمل معقود عليه فى المستقبل فى نشر العلوم والثقافة الاسلامية انتشارا أوسع مما هى عليه الآن باعتباره أكبر وأعرق الجامعات بل عليه أن يقوم بنشر التراث العربى القديم كتراث ابن خلدون فى علم الاجتماع وغيره من أفذاذ العرب ، وأن ينشط فى اداء دوره فى العالم حتى يسترد مكانته التى اقتنصها منه العالم الغربى مع أنه صاحبها من البداية .

واننى أريد منه الاهتمام بمشاكل المسلمين

وخاصة الأقليات الاسلامية ويقدم لهم الحلول •

زيادة اعداد مجلة الازهر وتطويرها ؟

ويقول سيد طاهر مولانا المستشار الدينى لرئيس جزر القمر أن الأمل معقود على الأزهر فى المستقبل ليقوم بحل مشاكل المسلمين فى العالم الاسلامى ونحن فى جزر القمر أحوج مانكون الى الأزهر لحل مشاكلنا التى تتمثل فى حاجتنا الى مدرسين من الأزهر لتعليم اللغة العربية وتدريس الدين الاسلامى لأن بلدنا اسلامى مائة فى المائة بل وتوجد مشكلة أخرى وهى الكتب الاسلامية التى كثيرا ما تقدمنا بطلبها بالحاح ولم تصل الينا حتى الآن والأهم من ذلك أطلبه وتحدثت عنه فى المؤتمر هو مجلة الأزهر الشريف •

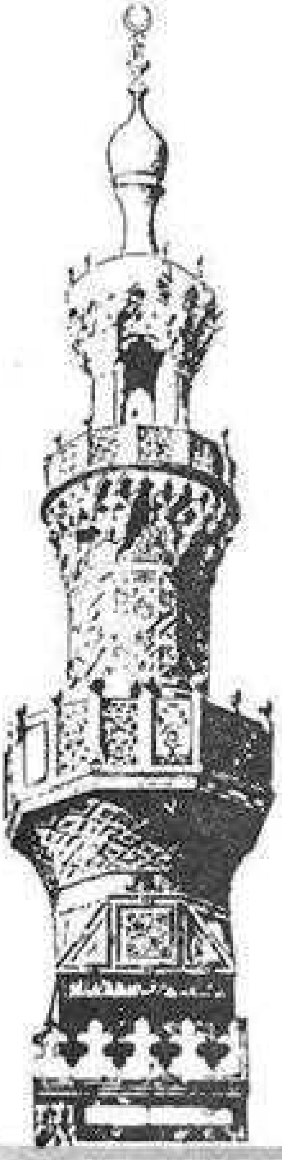
لابد من زيادة أعداد الطبع من هذه المجلة وتطويرها واضافة مايجب اضافته من الأبواب اليها ومناقشة شئون العالم الاسلامى فيها

لان هذه المجلة تعتبر حلقة الوصل بين الأزهر والمسلمين فى كل بقاع العالم ولذلك اوجه ندائى الى المسئولين والقائمين على شئون الأزهر ومجلته العظيمة تلبية هذا المطلب الاسلامى •

تحقيق

عبد العزيز احمد جبره

عاطف زهران



الامام الأكبر

استقبل فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر خلال الشهر الماضي الفريق أول / سوار خان نائب رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة الباكستانية والوفد المرافق له ·

حيث قدموا تهنئة الرئيس الباكستاني لفضيلة الامام الاكبر بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر ·

كما دار الحديث حول اثر الأزهر في العالم الاسلامي ودوره في دعم الروابط الدينية والحضارية ·

* كما استقبل فضيلته السيد / ذو القرنين زنباری محمد أمير ولاية لورين بنيجيريا والسيد سفير نيجيريا بالقاهرة لتقديم التهنئة بالعيد الألفي للأزهر وبحث أوجه التعاون بين الأزهر ونيجيريا ·

* كما استقبل فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الزعيم مشهود ابيولا رئيس قبائل اليوربا النيجيرية وصاحب مؤسسة كوتكور الصحفية ورجل الأعمال بنيجيريا ·

وتم خلال اللقاء بحث أحوال المسلمين والتعاون بين الأزهر ونيجيريا في المجالات الاسلامية ·

معاهد أزهرية جديدة

وافق الدكتور أحمد فؤاد محيى الدين رئيس مجلس الوزراء ووزير شئون الأزهر على انشاء المعهد الابتدائي ببنى سلامه مركز امبابة بالجيزة وضم المبنى المقام عليه الى الأزهر ·

* كذلك وافق على انشاء معهد ابو الشقاف الابتدائي بمركز حوش عيسى بالبحيرة ·

* ووافق على انشاء معهد شبراملس الاعدادي الثانوى بمركز زفتى بالغربية · وضم المبنى المقام عليهما للأزهر ·

* كذلك وافق على انشاء معهد العباسة الابتدائي بمركز أبو حماد شرقية وضم المبنى المقام عليه للأزهر ·

* ووافق على انشاء المعهد الابتدائي ببرطس مركز امبابة جيزة وضم المبنى المقام عليه للأزهر ·

تقنين الشريعة الإسلامية تحت الطبع

انتهت اللجان الخاصة بمجلس الشعب من اعداد تقنين الشريعة الاسلامية :

في العقوبات والمعاملات والتقاضى والتجارة ·· وذلك بعد تأصيلها طبقا لمبادىء الشريعة الاسلامية · وقد حرصت اللجان على

إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح •
عبد الفتاح السيد عبد السلام

استعراض رأى جميع الفقهاء فى كل قانون ٠ ثم الرأى القوى الذى يتمشى مع ظروفنا من ناحية ويحقق المصلحة العامة من ناحية أخرى فلا ضرر ولا ضرار ٠٠ هذا بالاضافة الى انه قد تمت مراجعة القوانين بالأزهر ومجمع البحوث الاسلامية ، والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية وقامت اللجان الفنية بالمجلس بمراجعة (بروفات) المطبعة وستناقش هذه القوانين بمجلس الشعب باذن الله ٠

تجربة تطبيق الشريعة الإسلامية

أكد الرئيس الباكستانى ضياء الحق أن الشريعة الاسلامية هى النظام الأمثل للحياة ، ودعا الى ضرورة بذل جهود منسقة لتطوير نظام حكومى فى باكستان يتناسب مع الظروف المحلية لها بحيث يستمد أساسا من الشريعة الاسلامية ٠

وأضاف فى كلمته التى ألقاها بمناسبة افتتاح الدورة الخامسة لمجلس الشورى الباكستانى : ان تجربة تطبيق الشريعة الاسلامية فى باكستان اثبتت عجز الكثير من الأنظمة المستوردة من الخارج بشكل أو بآخر فى مواجهة الحياة وتسييرها ، كما طالب بضرورة التوصل الى توصيات محددة بشأن أفضل السبل للتطبيق الكامل للشريعة الاسلامية ، حتى يمكن التخلص من كل الشرور الاجتماعية التى انشأتها الأنظمة المستوردة ٠

أول مؤتمر عالمى للسيرة النبوية فى أمريكا

عقد بالولايات المتحدة الأمريكية أول مؤتمر عالمى للسيرة النبوية الشريفة وذلك بدعوة من جمعية أورانج الاسلامية بلوس انجيلوس بولاية كاليفورنيا ٠

وشارك فى المؤتمر نخبة من العلماء والمفكرين المسلمين داخل القارة الأمريكية وخارجها ، وخاصة من العالم الاسلامى ٠ وقد ناقش المؤتمر عدة موضوعات اسلامية من اهمها : تطوير العمل الاسلامى على ضوء السيرة والاقتداء بالرسول فى تبليغ الرسالة الاسلامية فى بلاد المهجر ٠

وقد اقيم خلال المؤتمر معرض للكتاب الاسلامى عرضت فيه أشهر المؤلفات والكتب الاسلامية والفقهية والتاريخية والثقافية والعلمية لابراز مظاهر الحضارة الاسلامية وأثرها فى تقدم المجتمع الاسلامى فى مختلف العصور ٠

جمعية لإحياء التراث الإسلامى

فى الكويت تم تأسيس جمعية اسلامية تهدف الى احياء التراث الاسلامى ، والعمل على ابراز فضائله ، ودوره فى تطوير الحضارة الاسلامية ٠ والعمل أيضا على تجميع المخطوطات والكتب الاسلامية فى جميع أنحاء

أنباء وآراء ..

العالم وتوثيقها وتنظيمها فى مكتبة جامعة .

وتهدف الجمعية الى تشجيع العلماء والباحثين فى مجال الدراسات الاسلامية والعمل على نشر بحوثهم ، ونتاج علمهم اضافة الى العمل على تنقية التراث الاسلامى من البدع والخرافات التى شوهت جمال الاسلام، وحالت دون تقدم المسلمين .

كما أن الجمعية التى أطلق عليها : « جمعية احياء التراث الاسلامى » ستنشىء صندوقا للزكاة والاشراف على صرفها فى الوجوه المشروعة .

جامعة إسلامية للفتيات

طالب الحاج داتوك عثمان عضو مجلس الشيوخ فى ماليزيا بأن تقتصر « الجامعة الاسلامية الدولية » التى سيتم انشاؤها فى (كوالالمبور) على قبول الطلاب الذكور ، لتجنب انهيار الاخلاق وطالب بانشاء جامعة أخرى للفتيات .

وأعرب مجلس الشيوخ خلال مناقشاته فى المجلس لمشروع القرار الخاص بالجامعات عن تأييده لقبول غير المسلمين فى الجامعة الدولية الاسلامية حتى تتاح لهم فرصة معرفة تعاليم الاسلام بصورة أفضل .

أربعة آلاف شاب مسلم فى أمريكا يناقشون قضايا الساعة .

اختتمت رابطة الشباب المسلم العربى فى أمريكا الشمالية ، مؤتمرها السنوى الخامس الذى عقدته فى مدينة (فورت وورث) بولاية تكساس والذى استمر خمسة أيام كان موضوع المؤتمر لهذا العام « الهدى القرآنى » حيث ألقى فيه نخبة من العلماء والأساتذة والمفكرين المسلمين عدة محاضرات فى هذا الموضوع ، وعقدوا عدة حلقات وندوات دراسية اشتملت على موضوعات وقضايا اسلامية تعتبر قضايا الساعة التى تواجه العالمين : العربى والاسلامى .

وفى مقدمة هذه القضايا : المشكلة الفلسطينية والقضية الأفغانية واللبنانية ، وقضايا الأقليات الاسلامية الأخرى التى تواجه أعداء الاسلام ، وتكافح من أجل حريتها وتدافع عن عقيدتها وكيانها .

وقد حضر المؤتمر أربعة آلاف من شباب ونساء وأطفال قدموا من مختلف المدن والولايات المتحدة الأمريكية ومن كندا .

كما حضر المؤتمر عدد من العلماء والمفكرين والأساتذة من أقطار عربية واسلامية .

هذا وقد خصص المؤتمر قاعتين كبيرتين احداهما للشباب والأخرى للفتيات . وأهم المحاضرات التى تضمنها برنامج الرجال هى :

الاعجاز فى القرآن الكريم ، وأزمة الحرية والشورى فى العالم الاسلامى ، وقصة يوسف على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، والتفسير والمفسرين ، والدعوة الاسلامية بين الأصالة والانحراف ، والعمل الاسلامى فى أمريكا ، والتوحيد وأبعاده فى القرآن الكريم ، وقضايا اسلامية .. أما برنامج النساء فقد اشتمل على حلقات دراسية فى المواضيع التالية : القرآن والداعية ، القرآن وتنشئة الأمة ، خلق الانسان بين الطب والقرآن . المرأة المسلمة بين المعرفة القرآنية والالتزام بها . المرأة بين دعاة الاسلام وأدعياء الجاهلية . ندوة عن حركات الجهاد فى الاسلام .

٢ مليون مسلم فى جنوب السودان

بلغ عدد المسلمين فى جنوب السودان مليونى مسلم ... ومن المعلوم أن عدد سكان جنوب السودان يبلغ خمسة ملايين . منهم ثلاثة ملايين على الفطرة لا ينتمون لأية ديانة .

ثلاثة آلاف كورى يدخلون فى الإسلام

اعتنق ثلاثة آلاف وثلاثمائة كورى الاسلام بعد أن تعلموا مبادىء الاسلام داخل المركز الثقافى الاسلامى بجدة لمدة ثلاثة أشهر .

شعائر صلاة الجمعة فى التليفزيون البريطانى

تم التوصل الى اتفاق بين التليفزيون البريطانى ومجلس أمناء المركز الاسلامى بلندن لنقل شعائر صلاة الجمعة من المركز الاسلامى بلندن خلال المناسبات والاعياد الدينية ..

المعهد الدولى للبنوك الإسلامية

يستقبل المعهد الدولى للبنوك الاسلامية والاقتصاد الاسلامى بقبرص الدفعة الأولى من راغبى الالتحاق بالمعهد . وتشمل الدراسة بالمعهد التدريب على أعمال البنوك الاسلامية. ويقبل المعهد طلابه من شتى الدول الاسلامية. ويحصل خريجو المعهد على درجة الدبلوم فى البنوك والاقتصاد الاسلامى . ويتولى التدريس فيه أساتذة متخصصون من مختلف البلدان الاسلامية .

أنباء وآراء ..

تعميم البنوك الإسلامية

أوصى مؤتمر المنهج الاقتصادى فى الاسلام الذى عقد بالقاهرة بتعميم البنوك الاسلامية ، وانشاء جهاز لمراجعة أعمالها فى ضوء أحكام الشريعة الاسلامية ، والاستجابة الى توجيهات الامام الأكبر شيخ الأزهر بتدريس الاقتصاد الاسلامى فى كليات التجارة والمدارس الثانوية التجارية ، وأن يتولى علماء الأزهر توضيح المفاهيم الاسلامية حول الاستثمارات ، والاسراع فى تطبيق الشريعة .

كما أوصى المؤتمر بتوجيه السياسات المحاسبية للبنوك الاسلامية سواء المرتبطة بنتيجة أعمالها أو مركزها مع عدم تعارضها مع الشريعة الاسلامية ، وايجاد نظام تكاليف مال بالبنوك الاسلامية يحدد تكاليف العمل للمصرف وعدم المغالاة فيها ، وانشاء وحدة للمعلومات داخل المصرف الاسلامى ، وانشاء بنك للمعلومات على مستوى البنوك الاسلامية مجتمعة .

وطالب المؤتمر بضرورة تطوير قانون الشركات فى مصر بما يتناسب مع المجتمع الاسلامى ، والتنسيق بين البنوك الاسلامية فى خطة شاملة حتى يمكن التعرف على « العالم الاجتماعى » على مستوى الدول الاسلامية ، ومناشدة علماء الفقه محاولة تبسيط الموضوعات التى يثار حولها الجدل لاستنباط الأصول الاسلامية وفقا لمنهج الله .

مركز إسلامى فى السويد

تم وضع حجر الأساس لبناء أول مركز اسلامى فى الدول الاسكندنافية بمدينة « مالمو » بجنوب السويد .

ويحتوى المركز الاسلامى على مسجد وفصول دراسية لتعليم ابناء المسلمين الدين الاسلامى الحنيف ، الى جانب مكتبة تحتوى على العديد من الكتب الاسلامية المختارة .

● كتب السيد /الموافى عبد الله الموافى — كلية اللغة العربية — جامعة الأزهر المنصورة كلمة عن الأزهر تحت عنوان (الأزهر قبلة العلماء) جاء فيها :

ان للأزهر فضلا فى بناء النهضة الأدبية الحديثة فقد كان له دور فى تلك العصور التى سادها الظلام والفساد والفوضى ، فحفظ اللغة العربية وآدابها أما دوره فى النهضة الحديثة فهو دور المؤسس لبنيانها الرافع لأركانها — ثم شق الأزهر طريقه وسط الظلمات فأحياء القلوب المريضة المظلمة وأنارها بالايمان والتقوى وأبطل البغضاء والفحشاء بالعلم والايمان — ولايفوتنا فى هذا المقام أن نذكر قول شوقى :

ظلمات لاترى فى جنحها
غير هذا الأزهر السمح شهابا
قسما لولاه لم يبق بها
رجل يقرا أو يدرى الكتابا
حفظ الدين مليا ومضى
ينقذ الدنيا فلم يملك ذهابا

● كتب السيد : يحيى سعد محمد — كلية الحقوق — جامعة أسيوط .

مقترحا . أن تخصص المجلة بابا خاصا لنشر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم .

المجلة : نشكر للأخ الكريم اقتراحه ، ونسأل الله التوفيق .

● كتب السيد/نور الدين مصباح احمد — المحلة الكبرى — غربية — يقترح أن تخصص المجلة بابا لتفسير القرآن الكريم .

المجلة — يوجد بالمجلة باب (دراسات قرآنية) ليؤدى هذا الغرض .

● كتب السيد/حسن احمد هلال — قنا — قفط — شارع بورسعيد .

مقترحا . أن يستبدل بكتيب الرسالة جزءا من احد المجلدات الكبيرة حتى يستطيع محدودو الدخل الحصول عليها .

المجلة : لقد اهتم « التحرير » بهذه الرؤية، وسوف تقدم المجلة من حين لآخر كتابا من التراث .

● كتب كل من السادة :

عزت محمود سليمان — زوير — شبين الكوم

رضا على حسين عبد السلام — العامرية — غربية

عادل رشاد أحمد نصيف — كفر الشيخ — المنشاة الكبرى

محمد احمد على — السودان — قرية الروف

جمال عبد القادر السيد — كلية العلوم — جامعة الزقازيق

الى المجلة يبدون اعجابهم بمادة المجلة ومافيها من أبواب مختلفة متمنين لها دوام التوفيق .

والمجلة تتقدم لهم الشكر لهذا الشعور الطيب وتسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير للاسلام والمسلمين .

أنباء وآراء ..

تعقيب

من الاستاذ/عبد الله مبروك النجار ـ المدرس بكلية الشريعة والقانون .

السيد الأستاذ الدكتور/رئيس تحرير مجلة الأزهر ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد .

فقد قرأت بمزيد من الاهتمام الرسالة التي وردت لمجلة الأزهر عدد جمادي الأولى سنة ١٤٠٣ هـ . من السيد الأستاذ الفاضل محمد رزق الشافعي ـ الموظف السابق بادارة قضايا الحكومة ، والتي تدل على سعة اطلاع وحسن فهم لما كتبته في عدد ربيع الآخر سنة ١٤٠٣ هـ عن موضوع «حقوق غير المسلمين في ظل تقنين الشريعة الاسلامية» تقديرا مني لأهمية هذا الموضوع الذي يحاول البعض أن يتخذ منه ذريعة للهجوم على شريعة الله ظنا منهم أن تطبيق تلك الشريعة الغراء سوف ينال من المراكز القانونية لغير المسلمين في البلاد الاسلامية . ومن المؤكد أن مثل هذا التخوف لا معنى له ، لأن الشريعة الاسلامية ليست غريبة على حياة غير المسلمين كما أنها ليست بعيدة عن التطبيق عليهم .

ولاشك أن الأستاذ الفاضل لايخالفني في حقيقة ثابتة يعرفها كل مطلع على فقه الشريعة وهي أن شريعة الله تحمي حقوق غير المسلمين ولاتتفرط فيها وأنها تكفل لهم حرية العقيدة وتحمي دماءهم وأموالهم وأعراضهم ولايمكن الوصول بالقارئ، الى ذلك المقصود الا من خلال اعطائه فكرة تليق وظروف تلك الدراسة عن ملل طوائف غير المسلمين والأساس التاريخي لهذا التعدد الكثير والذي يمهد لشريعة الله أن تحكم مسائل أحوالهم الشخصية عند اختلاف المتنازعين في المذهب أو الطائفة . وفي تصوري أن التعرض لتلك المسألة على النحو الذي نوه عنه الاستاذ الفاضل وبالتفصيل الذي عرضه في رسالته سوف يزيد الأمر صعوبة أمام القارئ، وأمام هذه التفصيلات في الوصول الى فكرة الموضوع الرئيسية .

وانني لأشكر للأستاذ الفاضل حسن اهتمامه وتفضله في ابداء ذلك التفصيل الذي لا أشك أنه قد أكد معلوماتي .فيما اعرفه عن هذا الموضوع المهم وأرجو الله أن يوفقني لتأصيل هذا الموضوع في دراسة تستوعب مثل تلك التفصيلات.

وهو الموفق والمستعان .

عبد الله مبروك النجار

المدرس بكلية الشريعة والقانون

فهرس العدد

فهرس العدد

طبع بمطابع روزاليوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ

بين يدى رمضان

بعد مضى ليلتين خلتا من شعبان نزل الأمر الالهى بفرض صيام رمضان فى السنة الثانية من الهجرة :

«يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »(١)

والتنزيل العزيز يحوى آيات أربع تخص هذه الفريضة لم تنزل دفعة واحدة ، بل تخللها فترات ، وانتهت بما انتهت بـه الأولى لتؤكد أن الصيام واحد من أسباب يرجو بهـــا المؤمن

١ ـ اولى آيات صيام رمضان ـ البقرة ١٨٣ يليها الآيات الثلاث ١٨٤ ـ ١٨٥ ـ ١٨٧ .

* الجزء التاسع ـ السنة الخامسة والخمسون
* رمضـــان ١٤٠٣ هجرية
* يونيـــة ١٩٨٣ ميلادية

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

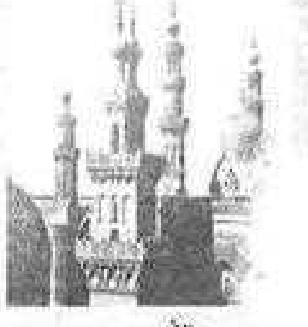
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهـــر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان :
ادارة الأزهـــر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف



الأزهـــر

التاريخ بين يدى رمضان

تحصيل التقوى(١) ، فيقى بدنه ما يؤذيه ، ويحفظ نفسه مما يُؤْثِمُها ، فجمعت له خَيْرَيِ الدنيا والآخرة .

فماذا كان من صوم قبل رمضان ؟..

ماذا كان قبل أن يخطو المسلمون الى المدينة المنورة مهاجرين ؟..

وماذا كان للقوم من صيام قبل أن يطرقهم الاسلام .. ؟

لقد عرف المجتمع العربى الصيام فى أكثر من لون قبل الاسلام :

عرفه صمتا عن الكلام ،وسكوتا مُطْبِقاً عنه ليوم أو أكثر ، وسمَّاه «الصَّرْس»(٢) وظل عنه فى أقاصى العرب وأشتاتها حتى عهد الصديق أبى بكر خليفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

قال قيس بن أبى حازم — رضى الله عنه :

« دخل أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — على امرأة من « أَحْمَسَ »(٣) يقال لها : زينب فرآها لا تتكلم ، فقال : مالها لا تتكلم ؟ فقالوا : حجت مصمتة . فقال لها : تكلمى ، فانهذا لا يحل . هذا من عمل الجاهلية !! فتكلمت »

قال على بن أبى طالب — رضى الله عنه :

« حفظت عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم : لا يُتْمَ بعد احتلام ، ولا

---

١ — الآيات الكريمة التى تحمل أسباب التقوى : سببا بعد سبب مبثوثة فى الكتاب العزيز فى اثنتى عشرة آية فى ختامها قوله تعالى : « لعلكم تتقون » أو « لعلهم يتقون » ففى البقرة : ٢١ — ٦٣ — ١٧٩ — ١٨٣ — ١٨٧ والانعام : ٥١ — ٦٩ — ١٥٣ — والاعراف : ١٦٤ — ١٧١ وطه : ١١٣ — والزمر : ٢٨ ، ومجموعة — فى الوصايا العشر — فى الانعام : ١٥١ — ١٥٣ .

٢ — كذا بفتح فسكون .

٣ — كان الجاهليون — فى تشريعهم لأنفسهم بالجزيرة — على مذهبين : الحمس والحلة ، فالحمس هم المتشددون فى التطبيق بخلاف الحلة ، وكانوا — فى الأصل — قريشا ثم انتشر المذهب فيمن صاهرهم من العرب حتى أقاصى الجزيرة .

مسَمَات يوم الى الليـل »(١)

قال ابن قدامة الحنبلي ـ رضى اللـه عنـه :

« ليس من شريعة الاسلام الصمت عن الكلام ، وظاهر الأخبار تحريمه »(٢)

واذ قد حرمه الاسلام شعيرة ، فقد حَبَّبَ فى الصمت ممارسة لضبط اللســان عن اللغو وما فيه من زلل الكلمة والخوض فى الناس ، قال ـ عليه الصلاة والسلام:

« من يضمن لى ما بين لحييه ، وما بين رجليه اضمن له الجنة » (٣)٠

قال الامام النووى ـ رضى اللـه عنـه :

« انه ينبغى لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما ظهرت فيه المصلحة ، ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة فالسنة الامساك عنه ، لأنه قد يَنْجَرُّ الكلام المبـاح الى حرام أو مكروه » (٤) ٠

كذلك صام العرب ـ فى جاهليتهم عاشوراء ، ويبدو ان مكة ـ ولهـا مقامها المقدس بينهم ـ صاحبة نشر هذه الشعيرة فيهم ٠ قال دلهم بن صالح :

« قلت لعكرمة : عاشوراء ، ما أَمْرُهُ ؟

قال : أذنبت قريش ـ فى الجاهلية ـ ذنبا فتعاظم فى صدورهم ، فســالوا : ما تَوْبَتُهُمْ ؟ قيل : صوم عاشوراء ، يوم العاشر من المحرم »(٥) ٠

وجاء الاسلام فظلوا عـلى صـيامه ٠٠٠

وفى الحق ان ليوم عاشوراء تاريخا كريما قديما ، فانه « يوم النجـاة » من عهد نوح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، وشـاء الله أن يكون يوم النجاة لموسى الكليم وقومه ـ على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ٠

روى الامام ابو عبد الله أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنـه ـ بسـنده الى

<

---

١ ـ انظر للعلامة الصديقى ـ دليل الفالحين ٢/٢٧١ ـ ٢٨٠ مطبعة حجازى ـ القاهرة ٠

٢ ـ نفس المرجع ٢/٢٠٨ ٠

٣ ـ صحيح البخارى ـ رقاق ٠ الحديث ٢٣ ، وانظر للامام النووى ـ رياض الصالحين ٠ باب تحريم الغيبة والامر بحفظ اللسان ٠

٤ ـ الامام النووى ـ رياض الصالحين ٠ نفس الباب ٠

٥ ـ ابن رجب الحنبلى ـ لطائف المعـارف ص ٤٥ دار احياء الكتب العربية ١٣٤٢ هـ ٠

ابى هريرة قال :

« مر النبى — صلى الله عليه وسلم — بأناس من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا من الصوم ؟

قالوا : هذا اليوم الذى نجى الله موسى وبنى اسرائيل من الغرق ، وغرق فيه فرعون . وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى فصامه نوح وموسى شكرا لله تعالى .

فقال النبى — صلى الله عليه وسلم :

انا احق بموسى ، واحق بصوم هذا اليوم ، فامر أصحابه بالصوم »(١) .

ويرى الأحناف والامامان : ابن القيم وابن حجر العسقلانى أن صيام المسلمين لعاشوراء فى المدينة ، وقبل نزول الأمر برمضان — كان فرضا وحججهم فى ذلك فوق النقض(٢) .

ثم صام القوم — بالمدينة — بعد عاشوراء هذا — ثلاثة ايام من كل شهر ، واستمر ذلك مدة ستة أشهر بدأت بصفر ، وانتهت بشعبان ، ويرى بعض العلماء انها كانت فرضا بدورها حتى جاء الأمر بصوم رمضان(٣) .

وإذا كان فى صيام عاشوراء مايصلنا بنبى الله نوح ثم بنبيه موسى، فان صيام ثلاثة ايام من كل شهر تصلنا بنبى الله ابراهيم الخليل — على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام(٤) .

ولقد صار ذلك كله سنة فى الاسلام

صراط نبوة كريمة عزيزة علينا نحن — المسلمين — الذين « لانفرق بين أحد من رسله » سبحانه وتعالى .

د. على الخطيب

---

١ — راجع للامام ابن حنبل — المسند ٢/٣٥٩ المطبعة الميمنية ، وانظر لابن حجر العسقلانى — فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٤/٢٤٧ المطبعة السلفية بالروضة ، القاهرة ١٣٨٠ هـ .

٢ — انظر كتابنا : الصيام من البداية حتى الاسلام ص ١٨١ — ١٨٦ ط اولى المكتبة العصرية — بيروت ١٤٠٠ هـ .

٣ — راجع بالتفسير قوله تعالى : « اياما معدودات » ثانية آيات الصيام — البقرة ١٨٤ ، وانظر مقدمة فى فضائل رمضان للعلامة الاجهورى

٤ — انظر كتابنا السابق ص ٩١ — ٩٦ .

دراسات قرآنية

ليلة القدر خير من ألف شهر

ليلة القدر خير من ألف شهر

هى ليلة من ليالى الزمان ، خصها الله بمزيد من الفضل ، فعظمت فى نفوس المسلمين ، واعتاد الصالحون منهم ان ينتظروها كل عام ، ليحلقوا بأرواحهم فى جوها ، وليقتبسوا من انوارها ، ولينالوا من عطاء ربهم بقيام ليلها ، والتعبد فى أسحارها .

وأهل الحاجات منهم يرفعون أكفهم ضارعين خاشعين ، يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ، وكشفا للنوازل وتفريجا للكروب ، ورحمة ربى وحنانه وسلامه وسعت جميعهم ، وصدق الله اذ يقول **« ورحمتى وسعت كل شىء »** ويقول **« سلام هى حتى مطلع الفجر »**

والزمان كله عند الله سواء ، فليس لبعضه فضل على بعض ، الا بتشريع ينزل فيه ، أو غايات تترتب عليه ، وكذلك كان الأمر فى ليلة القدر ، فانها وان كانت حصة من الزمان ، فقد رفع الله منزلتها بنزول القرآن ، وشرفها بذلك على جميع الأزمان ، وجعلها من أجله متنزلا للرحمات ومهبطا للسلام ، من غروب شمسها الى مطلع فجرها ، فتعال معى — أيها القارىء — لنتعرف فضلها ، من هذه السورة التى نزلت بشأنها :

يقول الله تعالى **« انا أنزلناه فى ليلة القدر »**

والقدر هنا : بمعنى الشرف والمنزلة الرفيعة .

والمعنى : انا أنزلنا القرآن فى ليلة الشرف السامى ، والقدر العالى ، لنزول القرآن العظيم فيها ، ولأن العبادة والدعاء فيها يعلو قدرهما ويرتفع ثوابهما عند الله تعالى .

وتفسير القدر بالشرف معروف لغة ، يقال: فلان له قدر عند الناس ، أى شرف ومنزلة كريمة .

والضمير فى (أنزلناه) : عائد الى القرآن العظيم وان لم يسبق ذكره ، لاستغنائه عن التصريح باسمه ، فهو العلم الذى لا يغيب عن عقل مؤمن .

وقيل : القدر هنا : بمعنى التقدير ، فعن ابن عباس — رضى الله عنهما — وغيره : أن الله تعالى يقدر فى هذه الليلة ما يكون فى تلك السنة ، من مطر ورزق واحياء واماتة وغيرها الى السنة القابلة ، أى : انا أنزلنا القرآن فى ليلة تقدير شئون الخلائق — أى اظهار هذه الشئون واعلانها للملائكة المأمورين بتنفيذ مقدورات الله فى الكون ، وهم الذين يعرفون بمدبرات الأمور كما فى قوله تعالى **« فالمدبرات أمرا »**

أما تقدير الله لأمور الكون فأزلى سابق

للأستاذ مصطفى الحديدى محمد الطير

عضو مجمع البحوث الاسلامية

على خلق السموات والأرض ، كما جاء فى الحديث الصحيح : « رفعت الأقلام وجفت الصحف »(١) .

وبهذا التأويل تطابقت الآية مع قوله تعالى فى سورة الدخان **« انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم »** .

قيل للحسين بن الفضيل : أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال : بلى قيل : فما معنى « ليلة القدر » قال : ليلة سوق المقادير الى المواقيت ، وتنفيذ قضاء الله وقدره .

وقد عظم الله تلك الليلة فقال : **« وما أدراك ما ليلة القدر »** يعنى : وأى شىء أعلمك يا محمد ما هى ليلة القدر فى علو منزلتها عند الله تعالى .

يعنى أن فضلها لا يعلم مداه سوى علام الغيوب .

ثم عظمها بطريقة أصرح فقال :

« ليلة القدر خير من ألف شهر »

فأنت ترى أن الله تعالى جعلها خيرا من ألف شهر ، وكيف لاتكون كذلك وقد نزل فيها أعز كلام من أعز متكلم ، على أعز رسول لأعز أمة **« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »**

وقد أجهد المفسرون أنفسهم فى فهم المراد من هذه الآية الكريمة .

فقيل : معناها أن العمل الصالح فيها خير منه فى ألف شهر ليست فيها .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما — أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا من بنى اسرائيل حمل السلاح فى سبيل الله ألف شهر ، فعجب لذلك وقال :يارب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا ، فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر لكل عامل الى يوم القيامة : وكذلك روى عن ابن مسعود — رضى الله عنه — .

وهذا الخبر لا صحة له رواية ولا موضوعا ، لأنه يصور النبى — صلى الله عليه وسلم — بأنه يعترض على ربه ويشكو من قضائه ، ولأن بنى اسرائيل ليسوا أطول منا أعمارا ، بل ان قدماء المصريين ليسوا أطول من المعاصرين أعمارا ، كما أثبته علم الآثار ، ولأنهم كانوا يتهربون من قتال العمالقة حفاظا على أرواحهم ووهنا فى ايمانهم . فهم الذين قالوا لموسى حينما أمرهم بجهادهم : **« اذهب أنت وربك**

---

(١) رواه الترمذى — وانظر مسند أحمد ١/٢٩٣ الميمنية .

ليلة القدر

خير من ألف شهر

فقاتلا انا هاهنا قاعدون »(١) ولأنه ليس مقبولا أن يعدل قيام ليلها جهادا في سبيل الله قل أو كثر ، منا أو من غيرنا ، فان تعريض الأجساد والأرواح لأخطار الجهاد في تأييد دين الله والدفاع عنه ، لا يعقل أن يفضله قيام ليلة واحدة — مهما كان قدرها وفضلها ، ولأنه لو كان قيام ليلها يغني عن الجهاد ألف شهر ، لتعرض الاسلام لخطر كبير بالاكتفاء بقيامها عن الجهاد .

والذي أفهمه أن هذه الليلة — وان كان يعظم فيها قدر الأعمال ، لقوله — صلى الله عليه وسلم : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »(٢) فان كونها خيرا من ألف شهر جاءها من أن القرآن العظيم نزل فيها ، فهو مصدر التشريع الالهي، فكانت هذه الليلة خيرا من ألف شهر لم ينزل فيها ، لما فيه من المنافع التي تعود على الجنس البشري في عقيدته وأخلاقه وقوانين معاشه ومعاده .

لقد كان الناس يعيشون قبل الاسلام في حروب متتابعة ، فلا تكاد تنتهي حرب حتى تشتعل حرب أخرى أشد وأقسى ، لأغراض ضالة أو عابطة لا تقتضيها ، الى ما كانوا يعتقدونه من ألوهية الأنصاب ، وربوبية الكواكب والبشر ، وما كانوا يقترفونه من

(٢) الدخان ٢ — ٤ .
(١) المائدة : ٢٤ .

مفاسد الأخلاق وأدران الذنوب والمظالم ، فكانت هذه الليلة التي نزل فيها القرآن حدا فاصلا بين هذا كله ، وبين العلم والعرفان ، ومعرفة الواحد الديان ، وقوانين السلوك والأخلاق الفاضلة ، لقد فتح القرآن صفحة جديدة نظيفة للبشرية ، تسجل فيها التجمع والاستقرار والمساواة ، وتبادل المصالح على أساس من النفع والخير والمحبة والسلام ، تحت دين واحد لرب واحد ، يرجون رحمته ويخشون عذابه ، فكيف لا تفضل الليلة التي نزل فيها ألف شهر سواها والناس في جهالتهم يعمهون ، أليست ليلة الشفاء خيرا من ألف شهر يقضيها المرء عليلا مهدما .

وقال بعض العلماء ان كونها خيرا من ألف شهرللايذان بكثرة ثوابها ، وليست للحصر العددي : اهـ والمراد من انزال القرآن فيها ابتداء انزاله — كما قاله الشعبي — فقد بدأ انزاله فيها ثم تتابع انزاله حسب الوقائع التي نزل بشأنها لمدة ثلاث وعشرين سنة هي مدة البعثة المحمدية .

وروى عن ابن عباس أن القرآن كله أنزل ليلة القدر الى السماء الدنيا ، ثم تتابع نزوله منها منجما على النبي — صلى الله عليه وسلم — حسب الوقائع ، ولكن هذا الخبر لم يرفع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولعله من قبيل الرأي القابل للخطأ والصواب ، فانه لا حاجة لأن ينزل الى السماء الدنيا ، لأن نقله من اللوح المحفوظ ميسور لجبريل عليه السلام من وقت لآخر .

وقت ليلة القدر

أكثر العلماء على أنها في أوتار العشر الأخير

من رمضان ، ومعظم هؤلاء على أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وعمادهم فى ذلك ما روى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين » وما صح من رواية أحمد ومسلم وأبى داود والترمذى وغيرهم عن زر بن حبيش أنه قال : قلت لأبى ابن كعب : ان أخاك عبد الله بن مسعود يقول: من يصم الحول يصب ليلة القدر ، فقال : يغفر الله لأبى عبد الرحمن ، لقد علم أنها فى العشر الأخير من رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين ، ولكنه أراد أن لا يتكل الناس ، ثم حلف لا يستثنى (– أى لا يقول ان شاء الله –) أنها ليلة سبع وعشرين » الى آخر الحديث ، قال الترمذى حديث حسن صحيح، وخرجه مسلم وبقية من ذكرنا .

وقال أبو بكر الوراق : ان الله تعالى قسم ليالى هذا الشهر – شهر رمضان – على كلمات هذه السورة ، فلما بلغ السابعة والعشرين أشار اليها فقال « هى » وأيضا فان ليلة القدر كرر ذكرها ثلاث مرات ، وهى تسعة أحرف ، فتجىء سبعا وعشرين .

وبعد ما تقدم نقول : ان اختلاف العلماء فى تحديد وقتها تابع لاختلاف الروايات فى ذلك ، ولعل الله تعالى أخفى وقتها ليتعدد طلب العبد لها بألوان الدعاء والعبادة ، كما أخفى الاجابة فى الدعاء ليبالغ العبد فيه ، وكما أخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة ، ليجتهد فى الدعاء فى جميع يومها ، وكما أخفى موعد قيام الساعة ليديموا الحذر من مفاجآتها .

ونحن نرجح أنها فى العشر الأخير من رمضان ، لأن النبى – صلى الله عليه وسلم – كان يعتكف فى المسجد فى هذه العشر ، وأغلب الظن أنه كان يفعل ذلك طلبا لها ، ويساعد على هذا الترجيح ما نقلناه من حديثى ابن عمر وزر ابن حبيش – رضى الله عنهم – .

قالت عائشة – رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الأخير (– أى من رمضان –) شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله »

« تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر »

أى تنزل الملائكة كثيرا والروح فى تلك الليلة باذن ربهم وأمره اياهم ، من أجل كل أمر قضاه سبحانه فى تلك السنة المقبلة ، ليباشروا البدء فى تنفيذه ، فان فيها يفرق كل أمر حكيم كما سبق بيانه والملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل **« لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»** والروح هو جبريل عليه السلام ، قال تعالى **« نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين »** .

وقيل الروح بمعنى الرحمة .

وقيل طائفة أعلى من الملائكة ، وما قلناه أولا هو الظاهر .

« سلام هى حتى مطلع الفجر »

أى يسلم فيها الملائكة على مؤمنى أهل الأرض تحية لهم .

ليلة القدر خير من ألف شهر

وقيل : يسلم الله عليهم .

والسلام من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار .

ويجوز أن يكون المعنى : أن الله يسالم فيها عباده ويتجاوز عن سيئاتهم السابقة ، اذا أقبلوا على عبادته ــ جل وعلا ــ ويستمر هذا السلام حتى مطلع الفجر .

من يحرز فضلها ؟

يحرز فضل هذه الليلة من قامها احتسابا لوجه الله تعالى ، قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » . أخرجه البخارى ومسلم .

وقال الامام النووى فى شرحه لمسلم : لاينال فضلها الا من أطلعه الله عليها ، فمن قامها ، ولم يشعر بها لم ينل فضلها ، وخالفه المتولى والأوزاعى ، حيث قالا : ان فضلها يناله من قامها باخلاص لله تعالى .

احياء ليلة القدر

احياء هذه الليلة يكون بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن والسنة النبوية فى وقت منها ، فلا ينام ليلها كله .

أخرج الامام مالك فى الموطأ عن سعيد ابن جبير : من شهد العشاء من ليلة القدر ، فقد أخذ بحظه منها : أى من صلاها فى جماعة فقد نال حظا من قيامها الذى يحرز به فضلها، قال القرطبى : ومثله لايقال بالرأى .

وأخرج البيهقى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : من صلى المغرب والعشاء فى جماعة حتى ينقضى شهر رمضان ، فقد أصاب من ليلة القدر بحظ وافر » .

وأخرج أحمد والترمذى ــ وصححه ــ والنسائى وابن ماجة وغيرهم عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : قلت : (يارسول الله ان وافقت ليلة القدر فما أقول؟ قال : « قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى » .

وقال سفيان الثورى : الدعاء فى تلك الليلة احب من الصلاة ، وقال : اذا قرا ودعا كان حسنا ــ والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

الصيام

في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

- رمضان شهر البركات
- الصوم جُنة

رمضان

عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة . وغلقت ابواب النار . وصفدت الشياطين ، متفق عليه . واللفظ لمسلم.

لقد تفضل الله تبارك وتعالى على أمة حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم بنعم عظمى ومنن كبرى قال تعالى « وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً » (١) وقال تعالى « وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » (٢) فخصها بشهر مبارك وجعله موسما للرضوان والرحمة والغفران ، ولم يذكر غيره باسمه فى القرآن ، فقال : « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ » (٣) وخصه بنزول القرآن الكريم فيه ليكون هدى للمتقين ورحمة للعالمين ومطهرا للنفوس ومزكيا لها . وشفاء لما فى الصدور ، وهاديا الى الحق والى طريق مستقيم . جعله نورا وكتابا مبينا ودستورا للخلق أجمعين قال تعالى : « قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (٤) .

وقال تعالى : « وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (٥) .

وقال تعالى : « قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِى الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ » (٦) .

وفضله بليلة مباركة هى خير من ألف شهر فقال تعالى : « إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ » (٧) .

---

(١) لقمان : ٢٠ .
(٢) ابراهيم : ٣٤ .
(٣) البقرة : ١٨٥ .
(٤) المائدة : ١٥ ، ١٦ .
(٥) الشورى : ٥٢ .
(٦) يونس : ٥٧ .
(٧) سورة القدر .

شهر البركات

لفضيلة الدكتور محمد محمود شعبان

وكرمه بفرض الصيام فيه فقال تعالى « فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » (١) وهذه الفريضة المباركة تناسب حال القرآن الكريم ودعوته وتتفق مع أهدافه وغاياته .

فالقرآن يحث على التقوى والعدل والاحسان . ويأمر بالصدق والاخلاص في القول والعمل . وينهى عن كل خلق ردىء من الفحشاء والمنكر والبغى والغش والخداع والحقد والحسد والمكر والسوء فكذلك الصيام فانه يحث على التقوى وتزكية النفوس وتطهير الأجساد ، وتمرين النفس على الجلد ، وتربيتها على الصبر ، لذلك قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٢) .

فصوم رمضان احياء سنوى لذكرى نزول القرآن لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى عناية فائقة بتعظيم هذا الشهر الجليل والاحتفال به بكثرة العبادة والبر والاحسان .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن . فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » . متفق عليه .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر » متفق عليه .

وعن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لاينتقص من أجر الصائم شىء » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وجعل لمن صامه من المسلمين مغفرة ذنوبه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » متفق عليه .

---

(١) البقرة : ١٨٥ .
(٢) البقرة : ١٨٣ .

رمضان شهر البركات

وكذلك لمن قام ليله بالذكر والتسبيح والصلاة وقراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم : **« من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه »** متفق عليه .

وروى النسائي والبيهقي عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« ان الله تعالى افترض صوم رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا ويقينا كان كفارة لما مضى »** .

واننا لو بحثنا في جزاء العبادات لوجدنا أن لكل عبادة جزاء معلوما للعابد يعود عليه الا الصوم فان جزاءه لا يعلم به الا رب العباد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولايصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل : انى صائم . والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : اذا أفطر فرح ، واذا لقى ربه فرح بصومه » متفق عليه .

ولقد خصص الله عز وجل بابا في الجنة لا يدخل منه الا الصائمون :

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لايدخل معهم أحد غيرهم ، يقال أين الصائمون ؟ فيدخلون منه فاذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » متفق عليه .

ولقد كان هذا الشهر العظيم وما يزال شهر النصر لعباد الله المؤمنين المجاهدين فما من غزوة أو سرية خرجت لتجاهد فيه في سبيل لله الا كان النصر حليفها . وأصدق دليل على ذلك غزوة بدر الكبرى وفتح مكة . وفتح بلاد المشرق والمغرب . وعين جالوت وفي زماننا الحاضر نصر المصريين على اليهود في قناة السويس وسيناء في العاشر من رمضان المبارك .

ومن هنا كان شهر الصبر ، والصبر نصف الايمان ، وجزاء الصبر بغير حساب قال تعالى: **« إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (1) »** . ويوفى الصائم أجره بغير حساب .

وأي بشرى أعظم من بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين في هذا الحديث الذي بين أيدينا حيث يقول : « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » .

وفي رواية أخرى : اذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة . وغلقت أبواب جهنم . وسلسلت الشياطين » .

---

(١) الزمر : ١٠ .

من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه

حديث شريف

وفي رواية ثالثة : اذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين » .

وكل هذه الروايات تفيد معنى واحدا سواء كان بلفظ جاء أو دخل أو (كان) التي بمعنى (وجد) ، لأنها تامة . والمعنى اذا هل هلال رمضان ويؤيد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : صوموا لرؤيته » .

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الجنة لتبخر وتزين من الحول الى الحول لدخول شهر رمضان فاذا كان أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة فتصفق ورق أشجار الجنة .. الحديث

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر يوم من شعبان فقال : أيها الناس انه قد أظلكم شهر عظيم مبارك فيه ليلة القدر وهي خير من ألف شهر . شهر فرض الله صيامه ، وجعل قيام ليله تطوعا ، فمن تطوع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه . وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة » الحديث .

وسمي رمضان برمضان لأمور منها : ١ — ارتماض (١) الذنوب فيه . ٢ — أو لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش . ٣ — أو لوقوعه أيام رمض الحر حيث نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة وسموها بالأزمنة التي وقعت فيها ، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر بناء على أن الاشتقاقات من وضع العباد . ٤ — أو من رمض الصائم اذا اشتد حر جوفه .

وفي الحديث دليل لمن قال يجوز أن يقال دخل رمضان بدون ذكر لفظ شهر وهذا ما اختاره البخاري ومسلم ورجحه النووي رضي الله عنهم . وأما من قال انه لايجوز فالحديث حجة عليه .

ومن قال : ان رمضان اسم من أسماء الله تعالى فليس بصحيح كما بين ذلك النووي ، لأن أسماء الله تعالى توقيفية لا تطلق الا بدليل صحيح .

وقوله : فتحت — بضم الفاء وكسر التاء بالتخفيف والتشديد .

أبواب الجنة : أي الثمانية .

وفتح أبواب الجنة حقيقة فمن مات في هذا الشهر دخل الجنة .

---

(١) ارتماض الذنوب فيه : ابادتها عن الصائم

رمضان شهر البركات

وفى تفتيح أبواب الجنة وتغليق أبواب جهنم وتصفيد الشياطين علامة لدخول الشهر وتعظيم لحرمته .

ويكون التصفيد للشياطين ليمتنعوا عن ايذاء المؤمنين الصائمين والتهويش عليهم حتى لا يفسدوا عليهم صيامهم .

ويحتمل أيضا المجاز . ويكون ذلك اشارة الى كثرة الثواب من الله تعالى للصائمين والعفو عن سيئاتهم وقلة اغواء الشياطين لهم

ويؤيد هذا الرأى الرواية الثانية وهى : فتحت أبواب الرحمة :

والمراد : قبول الأعمال ورفعها الى السماء، ويؤيد ذلك قوله تعالى : « **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** (١) » .

وكذلك الرواية الثالثة للحديث وهى : فتحت أبواب السماء :

وقوله : غلقت أبواب جهنم : أى أقفلت دونهم حقيقة .

و (جهنم) اسم من أسماء النار كلظى . وسقر . والسعير . والهاوية .

ويجوز أن يكون كناية عن تنزيل الرحمة وازالة الغلق عن مصاعد أعمال العباد تارة ببذل التوفيق . وأخرى بحسن القبول . والغلق كناية عن تنزه أنفس الصائمين عن رجس الفواحش والتخلص من البواعث على المعاصى بقمع الشهوات .

وقوله : صفدت الشياطين : صفدت بمعنى غُلّت . والصَّفَد بفتح الفاء معناه . الغُل . بضم الغين : وهو معنى سلسلت فى الرواية الأخرى . ويكون المعنى بناء على هذا ربط الشياطين بالسلاسل حقيقة .

والمراد بالشياطين : اما أنهم الذين كانوا يسترقون السمع زمن نزول القرآن . ويقع تسلسلهم فى أيام رمضان دون لياليه زيادة فى الحفظ .

أو مردة الجن : كما ورد فى رواية الترمذى صفدت الشياطين مردة الجن :

وفى رواية أخرى : وتغل فيه مردة الشياطين:

أو يكون المراد بتصفيد الشياطين . كناية عن أنهم لا يصلون الى المسلمين لافساد صيامهم الى ما يصلون اليه فى غير رمضان لاشتغالهم فيه بالصيام والذكر الذى فيه قمع للشياطين ، لأن الصائم ضيق على الشيطان مجاريه ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع » متفق عليه فان قيل اننا نرى الشرور والآثام تقع فى رمضان نهارا جهارا فلو صفدت الشياطين لم تقع هذه الشرور والمعاصى .

فالجواب عن ذلك : ان الشياطين تغل عن

---

(١) فاطر : ١٠ .

إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه

صدق الله العظيم

الصائمين الذين صاموا صوما راعوا فيه الشروط والآداب التى سنتها الشريعة .

أو تقول : لا يلزم من تصفيد جميعهم الا يقع شر ولا معصية لأن لذلك أسبابا أخرى غير الشياطين وذلك مثل النفوس الخبيثة والعادات القبيحة وشياطين الانس الذين لا يبالون بشرع ، ولا يعملون بدين ، ولا يوجد فيهم حياء وفيهم قال الله تعالى : « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا » (١) .

وقال تعالى : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَٰهِ النَّاسِ ، مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ ، الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ » (٢) .

لذلك وجب علينا الشكر لربنا باتباع أوامره واجتناب نواهيه ولزم علينا أن نستجيب لله سبحانه وللرسول صلى الله عليه وسلم حيث دعانا لما يحيينا وأن نعتصم بحبل الله جميعا حتى نكون من الراشدين .

وأن نستقبل شهر رمضان بما تستقبله به الحسنات .

وان نبتعد عن الشحناء والبغضاء وارتكاب المعاصى ، حتى نكون من المقبولين .

وان ندعو دائما بما كان يدعو به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان . «اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنا» . اللهم آمين .

محمد محمود شعبان

---

(١) الانعام : ١١٢ .
(٢) سورة الناس .

الصوم جنة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وانا أجزى به والصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد او قاتله فليقل انى صائم » رواه البخارى .

اولا ــ اللغــة :

١ ــ جنة : أى وقاية من النار والمعاصى ومن الشهوات . ٢ ــ الرفث : الكلام الفاحش . ٣ ــ الصخب : اللغط . ٤ ــ سابه تعرض له بالسب ، وقاتله : نازعه ودافعه .

ثانيا ما يشتمل عليه الحديث :

١ ــ تشريع الصوم ليس جديدا .
٢ ــ الاسلام حين شرع الصيام يهدف الى معان سامية . ٣ ــ الصوم سر بين العبد وربه
٤ ــ الصوم جامعة تربية وتهذيب وعلاج .
٥ ــ أثره فى الفرد والمجتمع .

١ ــ تشريع الصوم ليس جديدا :

تشريع الصوم ليس جديدا وانما هو تشريع قديم شرعه الله للأمم السابقة وحينما يعلم المسلمون أن الصيام قد شرع من قبل فلا يكون لديهم شعور بالمشقة والحرج وتستريح نفوسهم لما يفرض عليهم من صوم ويقبلون على هذه العبادة بصدر رحب ونفس راضية متشوقة قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » ١٨٣ البقرة .

٢ ــ تشريع الصوم يهدف الى معان سامية :

والاسلام حين شرع الصيام لم يهدف الى مجرد ترك الطعام والشراب والشهوة ، وانما هدف الى معان سامية ، وأسرار عالية يستوحيها الصائمون من صومهم ، وهكذا شأن الاسلام فى سائر العبادات ، فهو لا يرمى الى ظواهر الأمور ومباهجها ولا الى رسوم العبادات وصورها ، وانما يرمى الى أصولها

للشيخ محمد صابر البرديسي

وجوهرها ، ويهتم بلبها وروحها ، قال (صلى الله عليه وسلم) : « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » (١) .

والصوم رياضة روحية ممتازة تغرس فى النفس الصفات النبيلة ، وتطبعها على حب الخير ، وتربى فى الانسان الأمانة الخالصة لوجه الله تعالى ، المبرأة من شبهة النفع وصفة الرياء ، وبذلك يكتسب المرء ثقة الناس واحترامهم وتتوثق الصلة بينه وبين الله تعالى ، وكلما ازدادت الثقة بالله وتوطد الاخلاص له كلما أجزل الله الثواب لعبده وضاعف احسانه اليه ، وهذا معنى قول الرسول (صلى الله على وسلم) فيما يحكيه عن ربه : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وانا أجزى به » .

٢ ــ الصوم سر بين العبد وربه :

اذا صدق الصائم فى المحافظة على صومه ، وأخلص فى الوفاء بحقه ، فلم يخالف مظهره مخبره ، ولا سره علانيته ، كان امينا فى أدق العلاقات مع ربه ، وأشقها على نفسه ، وحينئذ يتولاه الله برعايته ، ويمده باحسانه وتوفيقه ، ويجزيه بأحسن عمله .

(١) رواه الامام احمد ومسلم والنسائى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) .

والأمانة خلق لازم فى علاقات الناس بعضهم مع بعض لتستقيم أمورهم على أساس المحبة والاخلاص ، فالعامل والصانع والموظف والقاضى والحاكم مؤتمنون على أموال الناس ودمائهم وأعراضهم ، ولا يستقيم عملهم على جادة الحق ، وطريق الصواب الا اذا كان لهم من أمانة الضمير حافز ووازع .

الصوم جامعة تربية وتهذيب :

وصوم رمضان هو جامعة تربية وتهذيب ، فيها تسمو النفس بجليل الخصال ، ومحامد العادات ، وأطهر العلاقات .

والصوم يربى الارادة ، ويقوى العزيمة ، فان الصائم الذى يملك نفسه فيمنعها فى نهار رمضان عن مطالبها الضرورية فى الحياة ، لاشك قادر على وقفها عند حدها ، وحجزها عن الشرور والآثام .

والصوم يعلم الصبر ، والصبر أثر من آثار العزيمة ، فان المرء اذا لم يتدرع فى حياته بقوة العزيمة ، لم يستطع الصبر على المكاره والشدائد والمتاعب ، وما نجح المصلحون والمكتشفون الا بفضل عزيمتهم وصبرهم .

ولقد سمى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شهر رمضان شهر الصبر ، وجعل الصوم علاجا لثورة النفس عندما يستفز الانسان

الصوم جنة

بالمشاتمة والمسابة والمقاتلة والعدوان حيث يقول عليه الصلاة والسلام « **فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه احد او قاتله فليقل انى صائم** » .

فالصوم وقاية من المنكرات والآثام والفسوق والعصيان واللغو والسباب وقبح الكلام ، وزلات اللسان .

ومن لم يستفد بدرس الصيام فى تهذيب نفسه وتأديبها كان صومه صورة مجردة من روح الحياة وفى هذا المعنى يقول صلى الله عليه وسلم (**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه**) (١) .

٥ ـ أثر الصوم فى الفرد والمجتمع :

وللصوم آثار جليلة وثمرات طيبة مباركة تعود على الفرد والمجتمع، ومن ثمراته للفرد انه يرقق الحواس فيجعل الانسان يحس بنعمة الله عليه الذى أطعمه بعد جوع وسقاه بعد ظمأ فيشكر الله على هذه النعم ، ولهذا ختم الله آية الصوم بقوله : « لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » ١٨٣ البقرة .

والمراد أن يعتقد الصائم انه صام ليتقى شر حيوانيته فهو عندما يقول : (انى صائم) فهو بذلك يذكر انه انسان وليس بحيوان فبالصوم قد وقى الصائم نفسه من الوقوع فى الشرور والمعاصى ، ووقاها من النار فى الآخرة .

والصائم لارقيب عليه الا الله ، فاذا ترك شهوته ابتغاء مرضاة الله واتقاء غضبه وسخطه، وعلم أن الله مطلع عليه فى سريرة نفسه ، فان ذلك يعود عليه بالخير ، اذ تتربى عنده ملكة الحياء من الله ، ومراقبته تعالى وخشيته ، وهو بعد ذلك يكون مع الله ، فلا يحب أن يراه الله حيث نهاه فيترك متاع الحياة الدنيا وملذاتها الفانية ، الا بالقدر الذى شرعه الله ، وفى الحدود التى أمر بها ، مما يكون فيه صلاحه وهداه ، وبذلك تصبح أعماله كلها خيرا ،ويكون دائما محوطا برعاية الله ، يعيش فى أمن وسعادة .

وبجانب هذه الفوائد الروحية له فوائد بدنية ، فان الصوم قد جعل علاجا لبعض الأمراض الجسمية ، فقد قرر علماء الطب : أن الصوم يريح المعدة ، ويدرأ عنها العلل والأسقام .

وللمجتمع من الصوم فوائد جليلة ، فان الصائم اذا أحس حرارة العطش والجوع وذاق مرارتهما ،رق قلبه وتحركت فيه دوافع الشفقة والرحمة ، وتذكر اخوانه الفقراء والمساكين فمد اليهم يد المساعدة وعاش جميع أفراد الأمة فى رخاء وسعادة (لو تراحم الناس ما كان بينهم بائس ولا محروم) وحينئذ تصبح الأرض وكأنها جنة ويصبح الناس وكأنهم ملائكة ، والله الموفق .

محمد صابر البرديسى

(١) رواه البخارى .

دراسات في السنة

- نقد المتقدمين لبعض أحاديث صحيح البخاري
- نحو الإقتداء بالسنة النبوية المطهرة
- الوقت وقيمته في الكتاب والسنة

نقد المتقدمين لبعض أحاديث صحيح البخارى

نقد الرجال وقيمته

قد توجه النقد الى ما حكم فيه بالوهم على بعض الرجال ، وهذا منه مـا يؤثر ذلك الوهم قدحا ومنه مالا يؤثر .

والمراد بالتأثير انما هو فى قيمة الرجال والحكم عليهم ، وان كان ذلك لا يؤثر فى متن الحديث .

وقد علمنا أنه لم ينفرد الرواة الضعفاء بالحديث فى صحيح البخـارى الا فى حديثين .

وقد تبين أن كلا منهما قد توبع ومعنى ذلك أنه ثبت أنه لم ينفرد ضعيف بالحـديث ، فعلى فرض ثبوت ضعف الراوى لم يتأثر المتن الذى ثبت أنه قد روى من طرق أخرى صحيحة غير الطريق الذى توهم فيه الضعيف لمتابعته من طريق صحيح ، وهذا ما بينه ابن حجر فقال: بعد أن أورد الرجال الذين ورد فيهم طعن : «فجميع من ذكر فى هذين الفصلين ممن احتج به البخارى لا يلحقه فى ذلك عيب لما فسرناه ، وأما عـدا من ذكر فيهما ممن وصف بسوء الضبط أو الوهم أو الغلط ونحو ذلك فبيّن أيضا أنه لم يلحقه عيب قال : فلم يخـرج لهم الا ما توبعوا، عليه عنده أو عند غيره .

وبذلك فقد أصبحت قيمة النقد فى الرجال انما هى بالنسبة الى الحكم عليهم ، والتعريف بهم ، وسلم المتن لمجيئه من طريق آخر صحيح وأن قيمة السند كما هى لصحة الحديث .

وهى أيضا للبركة بالاسناد المتصـل الى صاحب السنة صلى الله عليه وسـلم حتى تتصل الروحانية النبوية فى سلسلة كريمـة عطرة الى راوى الحديث وقارئه وهـذا ممـا اختصت به الأمة الاسلامية فى حفظ تراثهـا حيا نابضـا بالحياة ، وهى احدى الحكم التى عُدَّت فى اعجام أوائل السور حتى لا يستطيع انسان أن يقرأها بدون شيخ حتى يتأكد المُتَلَقِّى أن النقل من شيخ الى ما فوقه كان بالمشافهة باتصال روحى تلقاه مقرىء عن مقرىء حتى فم النبى (صلى الله عليه وسلم) المطهـر الذى تلقاه من جبريل عن رب العزة ، سلسلة مباركة مطهرة تتجلى فيها الروحانية والبركة .

مقاييس الطعن فى الرجال

ونرتاد الى رياض ابن حجر فى مقاييس نقد الرجال ومدارها وقيمة رجال الصحيح .

قال ابن حجر : لا يقبل الطعن فى أحـد

للدكتور الحسين هاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

منهم (أى من رجال الصحيحين) الا بقادح واضح لأن أسباب الجرح مختلفة ومدارها على خمسة أشياء .

١ ـ البدعة .

٢ ـ المخالفة .

٣ ـ الغلط .

٤ ـ جهالة الحال .

٥ ـ دعوى الانقطاع فى السند بان يدعى فى الراوى أنه كان يدلس أو يرسل .

فأما جهالة الحال فمندفعة عن جميع من أخرج لهم فى الصحيح ، لأن شرط الصحيح أن يكون راويه معروفا بالعدالة فمن زعم أن واحدا منهم مجهول ، فكأنه نازع المصنف فى دعواه انه معروف ولاشك أن المدعى لمعرفته ، مقدم على من يدعى عدم معرفته ، لما مع المثبت من زيادة العلم ، ومع ذلك فلا تجد فى رجال الصحيح أحدا يسوغ اطلاق اسم الجهالة عليه أصلا .

وأما الغلط ، فتارة يكثر من الراوى وتارة يقل .

فحيث يوصف بكونه كثير الغلط فيما أخرج له ان وجد مرويا عنده أو عند غيره من رواية غيره غير هذا الموصوف بالغلط علم أن المعتمد أصل الحديث لا خصوص هذه الطريقة ، وان لم يوجد الا من طريقه فهذا قادح يوجب التوقف عن الحكم بصحة ما هذا سبيله وليس فى الصحيح بحمد الله من ذلك شىء ..

وحيث يوصف بقلة الغلط ، كما يقال سىء الحفظ ، أوله أوهام أوله مناكير ، وغير ذلك من العبارات ، والحكم فيه كالحكم الذى قبله ، فتارة يكثر وتارة يقل وينظر فيما أخرج له .. الخ وليس فى الصحيح بحمد الله شىء من ذلك .

الا أن الرواية عن هؤلاء فى المتابعات أكثر منها عند المصنف من الرواية عن أولئك مع عدم التفرد فلا طعن أى هى للاستئناس والشواهد وتكثير الطرق فهى معاده .

وقد نص على ذلك ابن حجر فى باب ما طعن عليه من رجال المعلقات أذكره لأهميته فهو خير دليل لسلامة متن ونصوص المعلقات وبذلك يسلم كل ما جاء بالصحيح من المعلقات ، كما سلم ما جاء من الأصول ، وقد عقد ابن حجر فصلا فى سياق من علق البخارى (١) شيئا من أحاديثهم ، ممن تكلم فيه : قال وما يعلقه البخارى من أحاديث هؤلاء انما يورده فى مقام الاستشهاد وتكثير الطرق ، ومعنى ذلك أنه معاد فى صورة غير معترض عليها فى الكتاب ، ولذا رتب النتيجة المنطقية قائلا (فلو كان ما قيل فيهم قادحا ما ضر ذلك) ثم أورد الأسماء على التفصيل .

(١) المقدمة ص ١١١ .

نقد المتقدمين لبعض أحاديث صحيح البخاري

والأمر الثالث (١) : المخالفة ويثبت بها الشذوذ والنكارة فاذا روى الضابط والصدوق شيئا ، فرواه من هو أحفظ منه ، أو أكثر عددا ، بخلاف ما روى بحيث يتعذر الجمع على قواعد المحدثين ، فهذا شاذ ، وقد تشتد المخالفة بأن يضعف الحفظ ، فيحكم على من يخالف فيه بكونه منكرا ، وهذا ليس فى الصحيح منه الا نذر يسير .

وقد تقدم فى نقد المتن فى قصة جمل جابر ، والروايات الضعيفة فى مقابل الروايات القوية ، والأكثر عددا التى رجحها البخارى بعد ذكر الجميع ، وقد علمت أن البخارى ينبه عليه ، ويذكر فيه رأيه ، فلا اعتراض عليه .

٤ ـ قال ابن حجر : وأما دعوى الانقطاع فمدفوعة عمن أخرج لهم البخارى كما علم من شرطه ، ومع ذلك فحكم من ذكر من رجاله بتدليس أو ارسال أن تسبر أحاديثهم الموجودة عنده بالعنعنة ، فان وجد التصريح بالسماع فيها اندفع الاعتراض والا فلا ، وقد ثبت فى المعنعن فلا وجه للاعتراض .

والأمر الخامس : البدعة ، والموصوف ، اما أن يكون ممن يكفر بها أو يفسق ، فالمكفر بها لابد وأن يكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة كما فى غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول الالهية فى على أو غيره ، أو الايمان برجوعه الى الدنيا قبل يوم القيامة ، أو غير ذلك ، وليس فى الصحيح من حديث هؤلاء شىء البتة ، والمفسق بها كبدع الخوارج والروافض الذين لا يغلون ذلك الغلو وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين لأصول السنة خلافا ظاهرا لكنه مستند الى تأويل ظاهره سائغ ، فقد اختلف أهل السنة فى قبول حديث ما هذا سبيله اذا كان معروفا بالتَّحَرُّز من الكذب مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة ، موصوفا بالديانة والعبادة فقيل يقبل مطلقا وقيل يرد مطلقا ، والثالث التفصيل بين أن يكون داعية لبدعة أو غير داعية ، فيقبل غير الداعية ، ويرد حديث الداعية ، وهذا المذهب هو الأعدل ، وصارت اليه الطوائف من الأئمة ، وادعى ابن حبان اجماع أهل النقل عليه لكن فى دعوى ذلك نظر ، ـ ثم اختلف القائلون بهذا التفصيل ، فبعضهم أطلق ، وبعضهم زاده تفصيلا ، فقال : ان اشتملت رواية غير الداعية على ما يشيد ببدعته ويزينه ويحسنه ظاهرا فلا تقبل ، فان لم تشتمل فتقبل ، وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه فى عكسه فى حق الداعية ، فقال : ان اشتملت روايته على ما يرد ببدعته قبل والا فلا ، وعلى هذا اذا اشتملت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له ببدعته أصلا ، هل ترد مطلقا ، أو تقبل مطلقا ، ومال الفتح القشيرى الى تفصيل آخر فيه ، فقال : ان وافقه غيره فلا يلتفت اليه هو ، اخمادا لبدعته واطفاء لناره ، وان لم يوافقه أحد ، ولم يوجد ذلك الحديث الا عنده ، مع ما وصفنا من صدقه ، وتحرزه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته ، فيجب أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ،

ونشر تلك السنة على مصلحة اهانته ، واطفاء بدعته ، والله أعلم .

واعلم أنه قد وقع من جماعة الطعن فى جماعة بسبب اختلافهم فى العقائد ، فينبغى التنبه لذلك ، وعدم الاعتداد به الا بحق ، وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة دخلوا فى أمر الدنيا فضعفوهم لذلك ، ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط .

وأبعد من ذلك كله من الاعتبار تَضْعِيفُ من ضَعَّفَ بعض الرواة بأمر يكون الحمل فيه على غيره أو للتحامل بين الأقران ، وأشد من ذلك ، تضعيف من ضعف من هو أوثق منه أو أعلى قدرا أو أعرف بالحديث ، وقد بين ابن حجر القطع بعدالتهم وحفظهم . قال : « ينبغى لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأى راو كان ، مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه ، وعدم غفلته ، ولاسيما ما انضاف الى ذلك ، من اطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين ، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه فى الصحيح فهو بمثابة اطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما ، هذا اذا خرج له فى الأصول ، فأما ان خرج له فى المتابعات والشواهد والتعاليق ، فهذا تتفاوت درجات من أخرج له — منهم فى الضبط وغيره من حصول اسم الصدق لهم ، وحينئذ اذا وجدنا لغيره فى أحد منهم طعنا ، فذلك الطعن مقابل لتعديل الامام ، فلا يقبل الا مُبَيَّن السبب مفسر بقادح يقدح فى عدالة هذا الراوى ، وفى ضبطه مطلقا أو فى ضبطه الخبر بعينه ، لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة ، منها ما يقدح ومنها مالا يقدح ، وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسى يقول : فى الرجل الذى يخرج عنه فى الصحيح : هذا جاز القنطرة ، يعنى بذلك ، أنه لا يلتفت الى ما قيل فيه .

قال الشيخ أبو الفتح القشيرى فى مختصره ، وهكذا نعتقد وبه نقول ، ولا نخرج عنه الا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد فى غلبة الظن على المعنى الذى قدمناه ، من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين ، ومن لوازم ذلك ، تعديل رواتهما ، وبهذا فقد اندفع الاعتراض عن نقد رجال البخارى ، وبالتالى ثبت المتن سليما ، المسند منه والمعلق .

ويؤكد ذلك المعنى وصل ابن حجر لما لم يوصل فيه ، وقول البخارى ، ولست أروى حديثا من حديث الصحابة والتابعين الا ولى فى ذلك أصل أحفظه من كتاب أو سنة (١) .

وهذه نتيجة يعتز بها المسلمون ، وحق لهم أن يباهوا بها تراث الانسانية جمعاء .

وصدق رسول الله « صلى الله عليه وسلم » القائل « لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » (٢) وصدق الله العظيم الذى قال : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٣) .

والقائل (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) (٤) .

الحسينى هاشم

---

(١) الطبقات جـ ٢ ص ٨ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة الحجر آية ٩ .

(٤) سورة الرعد آية ١٧ .

نحو الاقتداء بالسنة النبوية المطهرة

نحن – المسلمين – نوقن بان كتاب الله الكريم لا ريب فيه هدى للمتقين ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . وحفظه الله تعالى من التغيير والتبديل والتحريف ، وعلى هذا توارثه المسلمون جيلا بعد جيل ، منذ بعثة النبى الخاتم – صلى الله عليه وسلم – وسيظل على هذا الحفظ ، وهذه الرعاية والعناية من المسلمين الى أن يرث الله الأرض ومن عليها بفضل الله .

واذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الاسلامى ، فان السنة النبوية الصحيحة هي المصدر الثانى . وقد اقترنت السنة النبوية بكتاب الله سبحانه ، تبين مقاصده وأهدافه ، وتشرح مالم يكن مفصلا من أحكام القرآن ، وتفسر وقائعه ، وتتتبع الصور والجزئيات ، مما جاء على وجه الاجمال فى مصدر التشريع الأول : فقد جاء ذكر الصلاة والزكاة ، والحج – مثلا – فى القرآن .. مجملا ، وتكفلت السنة النبوية بتفصيل وتفسير هذا الاجمال ، ليصبح الأمر فى غاية الوضوح والبيان ، ونفى اللبس والغموض ، ويعين بالتالى على امكانية الطاعة والتنفيذ فى قبول ويسر وسهولة ، بضميمة اليسر ، ورفع الحرج ، ودفع الضرر ، وبساطة الشعائر والتعاليم ، وتلك ميزة الاسلام فى سماحته ، : **« هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج »** ؛ وما خير رسولنا – صلى الله عليه وسلم – بين أمرين الا اختار أيسرهما ، ولطالما أوصى : بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا ، لأن هذا الدين يسر لا عسر .

وكما كانت السنة الشريفة لهذه المهمات الجليلة والعميقة الأثر فى حياة المسلمين .. كانت أيضا للتشريع فى مسائل عديدة ، ذكرها العلماء الأقدمون فى كتبهم ، وبينوا وضعيتها ومناسباتها ، ورتبوا عليها ما تمليه من أحكام وتشريع ، ومن هذا التشريع النبوى بالسنة المطهرة باذنه تعالى :

– جعله – صلى الله عليه وسلم – المدينة المنورة حرما ، كما جعل الله تعالى مكة المكرمة حرما آمنا .

– وتحريم لحوم الحمر الأهلية ، وكل ذى ناب ومخلب من الطيور والسباع .

– وتحريم زواج المتعة – لأن الأصل فى

للدكتور توفيق محمد شاهين

«زواج التأبيد» ، وهي مؤقتة — وكانت أحلت في الحرب لأيام ، ثم حرمها الرسول — صلى الله عليه وسلم — الى يوم القيامة ، بأحاديث صحيحة مستفيضة .. الأمر الذي جعل أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يعتبره زنا ، وقال : (لو أتيت بناكح متعة لأقمت عليه حد الزنا) .

— وكتحريمه — صلى الله عليه وسلم — الجمع في الزواج بين المرأة وعمتها ، أو خالتها ، حتى لا تتقطع أرحامهن .

—وكاقراره — صلى الله عليه وسلم — ميراث الجدة ، وليس له ذكر في كتاب الله سبحانه .

— وهناك مسائل أخرى كثيرة في هذا الصدد ، مثل : التشريع في مسائل الشفعة والمساقاة ، وغير ذلك .

وتشريع الأحكام بالسنة الصحيحة كتشريعها بالقرآن الكريم ، لقوله تعالى : **« وما ينطق عن الهوى »** ، **« وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول »** ، **« وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا »** .

وإخباره — صلى الله عليه وسلم بقوله : **« الا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه »** ..

ونلاحظ أن حظوظ الناس في التمسك بالسنة جد مختلف : فمنهم من يراعيها في كل شئونه وهذا مطلوب محمود ، ومنهم من يراعيها فيما يسهل عليه فقط ويترك ما صعب عليه وهذا تفريط ، ومنهم من يهملها كلية وهو آثم .

ونحن نعلم أن سنة النبي — صلى الله عليه وسلم — وأحاديثه ، هي : أقواله ، وأفعاله ، وتقريراته وأحواله ... لكن يجب أن نعرف أن من سنته ما هو تشريع عام ، صدر عنه — صلى الله عليه وسلم — على وجه التبليغ ، أو لبيان وجه الحلال والحرام ، كما سلف ، وهذا أمر واجب الاتباع تماما ، كما هو واجب في القرآن الكريم .

ومن سنته ما ليس بتشريع عام ، بل فعله النبي — صلى الله عليه وسلم ، أو صدر عنه ، أو أقره لسبب من الأسباب ، أو في مسألة بعينها .. فلا يجوز لأحد أن يقدم عليه أو يحاول فعله بنفسه — اليوم أو بعد اليوم بحجة أن النبي — صلى الله عليه وسلم — فعله أو أقره ، بل لابد من اذن الوالي أو الدولة :

فقد بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — الجيوش للدفاع والغزوات ، وصرف أموال بيت المال ، وصدر عنه ذلك كوال للمسلمين وامام لهم .

ومن السنة ما صدر عنه بوصفه قاضيا للمسلمين ، كقوله — عليه الصلاة والسلام : « من أحيا أرضا ميتة فهي له » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « من قتل قتيلا فله سلبه » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « خذى لك

نحو الاقتداء بالسنة النبوية المطهرة

٢

ولولدك ما يكفيك بالمعروف » .. الخ . قال بعض العلماء هذا تشريع عام فيتبع ، وقال آخرون ليس شرعا عاما ، لأنه صدر في وقائع بعينها ، أو تحريضا في وقائع تخصها ، أو فتوى في مسألة بعينها ، أو بصفة القضاء فلا يجوز التعميم ، أو كانت خصوصية له صلى الله عليه وسلم . كاباحته لمن واقع أهله عامدا في رمضان — ولم يكن لديه مقدرة على الفدية بأنواعها — أن يأكل هو وآله تمر الهدية التى أهديت للرسول ، وأهداها الرسول اليه ليكفر بها عن خطيئته ، لكن لم يكن بين لابتي المدينة من هو أفقر من الرجل وآله ، كما ذكر . وقد اختلف العلماء أيضا هنا : أهي خصوصية للرسول ؟ لأن القرآن يوصى في الكفارة بأن تكون لاطعام ستين مسكينا ؟ أو يجوز لمن في مثل حالة ذلك الرجل ؟ أو لا يجوز ، وما صدر عنه — صلى الله عليه وسلم — في هذا الشأن انما هو خصوصية له ، بوصفه رسولا ؟

وكذلك من السنة النبوية ، ما صدر عن الرسول الأكرم ، موافقا لما هو عرف أو خبرة أو جبله ، أو عادة جارية في البيئة بين قومه ومخالطيه ، مثل :

تفضيل لبس الأبيض ، والأكل باليد ، والجلوس على الأرض ، وغطاء الرأس بعمامة أو نحوها والسواك من شجر الأراك .. الخ .

أو يكون فعله أو قوله لتجربة اشتهرت بين قومه وذاعت ، ولكنها — بالضرورة — لا يخضع لها جميع الأشخاص ، ولو لنفس أعراض المرض ، كقوله — صلى الله عليه وسلم — لمن سأله عن شفاء لبطن أخيه المصاب بالاستطلاق — ثلاث مرات : «اسقه عسلا» . فليس العسل دواء من كل اسهال ، ولا داعى للتكلف في القول بأن من أنواع الاسهال مايكون دواؤه بما يعين على شدة الاسهال ، وبخاصة والتجربة على هذا القول ما تزال في طورها التجريبي والاختباري .

ولا نحب — في هذا المقام — أن يفتح غير الفاهمين ، أو المبطلون ، أو من في قلوبهم مرض ، الباب على مصراعيه : بمثل هذا الحديث الشريف : « أنتم أعلم بشئون دنياكم » ، للتفلت من اتباع السنة النبوية ، التى هى واجبة الاتباع مثل القرآن الكريم ، أو المطالبة بالغاء السنة من دنيا المسلمين ، أو الفصل بين شئون الدنيا والدين في مسائل التشريع ، ليبقى الاسلام دائرا في فلك العبادة وأمور الآخرة وشئون الغيبيات وحدها — لا يقول بهذا الا مغرض أو حاقد ، أو جاهل أو متحلل .

بقى أن نشير الى أن هناك أشياء في السنة حرمها الرسول — صلى الله عليه وسلم — أو كرهها ، أو فعلها وليست لأحد غيره :

فالرسول كغيره من الانبياء لا يورثون ، وما يتركونه بعد التحاقهم بالرفيق الأعلى انما هو صدقة .

كما لا يحل للرسول وأهل بيته الصدقة ، لأنها من أوساخ الناس ، وطهرة مالهم .

والرسول تزوج أكثر من أربع — وهو ما قرره القرآن الكريم — وكان زواجه بأكثر من أربع زوجات خصوصية له — صلى الله عليه وسلم لمقام التشريع، ومصلحة الرسالة، وليست مسألة شهوة وهوى، كما فصله العلماء والمفسرون في كتبهم. كما حرم الله عليه استبدالهن، أو زواجهن من بعده — صلى الله عليه وسلم —.

وأهل الصحراء يحبون أكل «الضب»، وهو حيوان شبيه بالتمساح أو ما شبيه بـ «السحلية» الكبيرة. وعرض خالد بن الوليد — رضي الله عنه — قطعة من الضب، على النبي — صلى الله عليه وسلم ليأكلها، ولكنه — صلى الله عليه وسلم — لم يقبلها منه. فسأله خالد: أهو حرام يارسول الله؟ قال: «لا، ولكن نفسي تعافه».

فالرسول لم يأكله، ولم يقبل هدية خالد منه، لأن معدته لا تقبله، وشهيته لا تتفتح له، ونفسه لا تقبل عليه.. ومع ذلك لم يحرمه النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو حلال لمن يأكله ويشتهيه.

ذكرت ذلك لنعلم: أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم في التشريع، وأحاديثه لتحريم الحرام وحل الحلال.. انما هي أمر واجب الاقتداء والاتباع، وبها تكون الأسوة والقدوة، وحسن الاتباع.

أما ما ليس كذلك — مما ضربنا له الأمثلة — فأمر يفعله المسلم اذا أحب أن يقتدى برسول الله في كل أموره وأحواله، وهذا شيء محبوب ومرغوب لا شك في ذلك. لكن لو لم يفعله بعض الناس فلا يليق بمسلم اطلاقا



أن يعنفه، أو يوبخه، أو يؤنبه، أو يختلف معه اختلافا كبيرا لأنه لم يفعله، فضلا عن أن نقع في المصيبة العظمى فيكفره والعياذ بالله.

فلو استاك انسان بفرشاة أسنان، أو سواك من غير شجرة الأراك، أو أكل بالشوكة والسكينة، أو جلس على الخوان والمائدة ليأكل، أو شرب الماء في كأس، أو ربط على رسغه ساعة أو لبس طربوشا أو عرى رأسه أو لبس سروالا أو (بنطلونا)، وصلى فيه، أو لم يكتحل في عينيه، أو لبس يرخ (عذبة) من عمامته على ظهره، أو لبس ماله لون مناسب، فيه الحشمة والوقار بما ألفه قومه، أو ركب سفينة أو قطارا أو طائرة في سفره أو سيارة في تنقلاته.. الخ هذه القوائم التي يتشبث بها من يتعلقون بالسنة الشريفة ويصرون على فعلها بأنفسهم، وحمل غيرهم على ذلك والا رموه بتهم أخفها وأرشقها البدعة والمخالفة.

أقول: هذه الأشياء — من السنة غير التشريعية — لو لم يفعلها انسان — مع أن فعلها أفضل لمن قدر على ذلك — ولقى ربه، فلن يضر ايمانه شيء ان شاء الله.. فهو مؤمن على ملة الاسلام، وسنة رسوله.

نحو الإقتداء بالسنة النبوية المطهرة

٥

وفي رأيي : أن الخلاف العنيد ، والجدل الخشن ، والتسفيه في الرأي ، ومحاولة حب الغلبة في النقاش وسوق الرأي لافحام الغير ، وما يتبع ذلك من هجر أو اجتناب أو خصومة أو احتقار للغير .. في رأيي أن هذه هي البدع والمعاصي التي لا يحبها الله ورسوله .. وتعظم المصيبة وتشتد اذا تمسكنا بمثل هذه السنن وأهملنا الفرائض أو تجاهلناها .

وقد سقت ما سقت : لأني رأيت في أسفاري وبخاصة فيما وراء البحار — كثرة من الخلافات التي تبدأ صغيرة ، وسرعان ما تكبر الى حد العداء أو توهمه بين مسلمين غير فاهمين ، فيتدابرون بسبب ذلك بدلا من لقياهم على مودة ومحبة وتعارف وتآلف كما يأمرهم بذلك دينهم الحنيف .

وسمعت من ظريف : أن بعض الداعين للاسلام في البلاد غير الاسلامية ، يصرون على دعوة غير المسلمين الى الاسلام بمثل الأمثلة التي ذكرناها من السنة غير التشريعية ، ويتمثلون أمام من يدعونهم للشرب جلوسا ، والأكل باليد ، ولعق الصحن ، والجلوس على الأرض ، وارتداء جلباب أبيض فوق البنطلون ، ووضع السواك دائما في الفم ، وكأنما الاسلام ليس فيه الا هذه الأشياء .. بينما أغفل أو غفل — بمعنى أصح — هؤلاء عن أساسيات الاسلام ، وشعائره وأثرها ، وفضائله ومغزاها .. فحبذا لو دعا هؤلاء الدعاة — جزاهم الله الخير — الناس الى الاسلام بادئين بالشهادة ومعناها في تحرير الفرد وأمنه وسعادته ، ومثنين بالفرائض والأخلاق ومحاسن الآداب الاسلامية .

وحبذا لو اختفت نهائيا هذه الخلافات : ليحل الوئام والمودة محل الشقاق والنفرة ، لأن بعض المتدينين والدعاة — أحيانا — لهم أمور : تغيظ ولا تسر ، وتضر ولا تنفع ، وتنفر ولا تبشر :

يقول أستاذنا الشيخ محمد الغزالي : ان الاسلام كمنجم ملىء بالجواهر واليواقيت، يدخله بعض الدعاة فلا يخرج منه الا « بقفة تراب » على رأسه يخرج بها ليبشر الناس بالاسلام بما في قفته ، بدلا من أن يعرض عليهم جواهره وذهبه . ويقول : ان بعض الناس لا يفهم من السنة النبوية الا أنها جلباب أبيض ، وسواك من أراك .. والحق أن السنة منهج حياة راقية نافعة ورفيعة ومهذبة، السنة منهج حياة متكامل ، ترويها لنا حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وسيرته عليه الصلاة والسلام كما رواها الثقات الأعلام :

في أحوال الرسول — صلى الله عليه وسلم ، وأخباره ، وعاداته ، وسجاياه ، وخلقه القويم، وتدبيره الصائب .

يقول الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله:

— من شاهد أحوال النبي صلى الله عليه وسلم .

— أو أصغى الى سماع أخباره المشتملة

على أخلاقه وسجاياه وعاداته .

ــ وسياسته لأصناف الخلق وهدايته التي ضبطهم .

ــ وتآلفه أصناف الخلق . وقوده اياهم الى طاعته .

ــ مع ما يحكى من عجائب أجوبته فى مضايق الأسئلة .

ــ وبدائع تدبيراته فى مصالح الخلق .

ــ ومحاسن اشارته فى تفصيل ظاهر الشرع .

لم يبق لديه ريب ولا شك فى أن ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية .. بل لا يتصور ذلك الا باستمداد من تأييد سماوى وقوة الهية بل كانت شمائله وأحواله شواهد ساطعة بصدقه » .

هذا كلام الامام الزاهد أبو حامد الغزالى رحمه الله ، عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولنا فى نبينا أسوة حسنة كما يقول القرآن الكريم ، وحبذا لو اقتدينا به فى مهمات الأمور قبل دقائقها وجزئياتها :

فهو ــ صلى الله عليه وسلم ــ ساس بحكمته أصناف الخلق وهداهم ، وتلك معجزة له ، فى أن يتآلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، مع ما عرف عنه من لين ورقة ورأفة ، فيبكى للعظة وسماع القرآن ، يتآلف الصديق مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع ما عرف عنه من شدة شكيمة فى الحق ، حتى لو سلك طريقا لسلك الشيطان غيره ــ وهما الشريفان يتآلفان مع سليمان الفارسى وصهيب وبلال رضى الله عنهم أجمعين ، فيكونون أخوة فى الاسلام تفوق أخوتهم أخوة النسب ، لأن الأولى صلة السماء .

وأجوبة الرسول فى مضايق الأسئلة تحملنا على طلب العلم ، والعلم النافع المنظم المفيد الذكى العميق ، المستمد من كلام الله تعالى ، والأحاديث النبوية وفعل الصحابة وقولهم ، وتفسيرات الأئمة والتابعين رضوان الله عليهم . وبدائع التدبير فى مصالح الخلق تقتضى أن يتنوع الطلاب فى طلب صنوف العلم وألوانه ، لرقى الحياة ، وازدهارها، ونهضة الأمة ورفعتها ، نطلبه فى أماكنه ، لنخدم به أمتنا قبل غيرنا ، ونرفع به من شأن جماعتنا قبل غيرها ، ونضحى فى سبيل الآخرين من أمتنا والانسانية قبل ذواتنا .. وتلك هى سنة الرسول الأمجد ، والأسوة



نحو الإقتداء بالسنة النبوية المطهرة

٥

والقدوة ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

وختاما : يجب أن ندرك أن القرآن الكريم، والسنة النبوية ، هما مصدر التشريع الاسلامى ، وهما وما يتبعهما من روافد الاجتهاد ، والقياس ، والاستحسان ، والمصالح المرسلة .. يتسعان للحركة الفكرية العاقلة ، والاستنباط الذكى ، فى تشريعات الاسلام ، (ما عدا العقائد وأصول التشريع ، فهى ثابتة راسخة) .

وبهذه الحركة الفكرية لا يقف الاسلام على لون واحد من التفكير ، وساير الثقافات الصحيحة ، وأسهم فى الحضارات النافعة وكل ما فيه صلاح البشرية ورفاهيتها ، مهما نمت الحياة وارتقت ، ومهما تغيرت أنماط السلوك البشرى السوى فيها ، ومهما ارتقى العقل البشرى فى آفاقه التى جدت وتجد .

وبهذا صلح الاسلام لكل زمان ومكان الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

وكان نتاج الحركة الفكرية الذكية ثروة فقهية ضخمة ، لا نجد لها مثيلا عند غيرنا من الأمم . ثروة تهدى ولا تردى ، وتسير ولا تحجم ، وتعين ولا تعوق ، وتصون ولا تبدد ، وتغنى ولا تحوج ، وتريح ولا ترهق ، وتعقل ولا تشتط ، وتنتهى الى خير طريق .

(وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

وحرى بنا أن نعض على سنة نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالنواجذ ، فكتاب الله تعالى وسنة نبيه خير هاد وخير عاصم .

ولقد خاب وخسر من يحاول النيل من السنة النبوية ، أو يقول بتركها اكتفاء بالقرآن الكريم ، وبرغم الدفع القوى فى تنشيط هذه الفتنة من قبل ــ ومازالت لها جذور الى الآن ، لان الباطل لا يهدأ ولا يكل ولا يمل ــ فان وعى المسلمين بمقدراتهم ومقررات اسلامهم بقى عاصما من التردى فى الخطأ ، وحافظا للشعلة من الانطفاء .. ولنا أن نحمد الله تعالى على نعمه وحفظ دينه .. ولهم أن يحمدوا الله على خيبتهم .. فالحق احق ان يتبع .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

د. توفيق محمد شاهين
مدير المركز الاسلامى
اتوا ــ كندا

الوقت وقيمته في ضوء الكتاب والسنة

للدكتور محمد أبو النور الحديدي صقر

قيمة الوقت ..

للوقت في الاسلام قيمة كبيرة واهمية قصوى ، يتضح ذلك مما يلي :

اولا : ربط العبادة والذكر باوقات الليل والنهار المختلفة .

فقد امرنا الله سبحانه بتسبيحه في اوقات الليل والنهار ، فنسبحه حين المساء ، وحين الصباح ، وفي وقت العشى ووقت الظهيرة ، قال الله تعالى :

« فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ » (١) .

ومن العلماء من ابقى التسبيح على أصله « وهو تنزيه الله تعالى عما لا يليق به في هذه الأوقات .

روى أبو داود ــ بسنده ــ عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال حين يصبح : سُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ.وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ » أدرك ما فاته من يومه ذلك ، ومن قالهن حين يمسى أدرك ما فاته في ليلته (٢) .

ومنهم من قال : المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس فقوله « حين تمسون » صلاة المغرب والعشاء ، وقوله « حين تصبحون » صلاة الصبح ، وقوله « وعشيا » صلاة العصر وقوله « وحين تظهرون » صلاة الظهر .

أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال :

(١) سورة الروم الآيتان ١٧ ، ١٨ .

(٢) سنن أبي داود جـ ٧ ص ٣٢٥ .

الوقت ..

وقيمته .. في ضوء الكتاب والسنة

جمعت هذه الآية مواقيت الصلاة « فسبحان الله حين تمسون » قال : المغرب والعشاء « وحين تصبحون » ، « الفجر ، وعشيا ، العصر ، وحين تظهرون الظهر » (١) .

ثانيا : رفع أعمال العباد في الليل والنهار .

مما يدل على أهمية الوقت أن الأعمال التى يعملها العباد في النهار ترفعها الملائكة الى الله ـ عز وجل ـ قبل الليل ، والأعمال التى يعملونها بالليل ترفع عند الفجر ، روى البخارى في صحيحه بسنده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر ، وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ـ وهو أعلم بهم ـ كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون (٢)) .

فطائفة الملائكة التى ظلت مع العبادة بالنهار عندما تصعد في آخر النهار تسأل عن العباد ، وطائفة الملائكة التى باتت مع العباد عندما تصعد بعد صلاة الفجر تسأل كذلك عن العباد .

ويكون الاقتصار في هذا الحديث ـ على سؤال الذين باتوا دون الذين ظلوا ، من باب الاكتفاء بذكر أحد المثلين عن الآخر كقوله تعالى « سرابيل تقيكم الحر » أى والبرد ، فالله تعالى يسأل كلا من الطائفتين في الوقت الذى تصعد فيه ، ويدل على هذا رواية موسى ابن عقبة عن أبى الزناد عند النسائى ولفظه « ثم يعرج الذين كانوا فيكم » وقد وقع التصريح بسؤال كل من الطائفتين في الحديث الذى رواه ابن خزيمة في صحيحه بسنده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر وصلاة العصر ، فيجتمعون في صلاة الفجر ، فتصعد ملائكة الليل ، وتبيت ملائكة النهار ، ويجتمعون في صلاة العصر ، فتصعد ملائكة النهار ، وتبيت ملائكة الليل ، فيسألهم ربهم : كيف تركتم عبادى » (٣) ، الحديث ، ثم يقول ابن حجر : وقد ورد أن الرزق يقسم بعد صلاة الصبح ، وأن الاعمال ترفع في آخر النهار ، فمن كان في طاعة بورك في رزقه وفي عمله » (٤)

ثالثا : القَسَمُ بالزمن :

أقسم الله تعالى بالزمن ، لما في مروره من أصناف العجائب ، وليبنها الى قيمته وأنه ينبغى أن يستفاد بكل لحظة منه ، وأن يكون في كل جزء من أجزائه طاعة لله وذكر وعمل خير .

أقسم بالزمن عامة في قوله تعالى « **وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

---

(١) فتح القدير جـ ٤ ص ٢٢٢ .

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ ٢ ص ٣٣ .

(٣) فتح البارى لابن حجر جـ ٢ ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٤) المرجع السابق جـ٢ ص ٣٧ .

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ»

وعلى الرأى القائل أن المقصود بالعصر صلاتها ، أو العشى ، كما أقسم بالضحى ، فلا يخلو أيضا من لفت أنظارنا الى وقت من الزمان وما وقع فيه ، لنقترب الى الله تعالى فيه ، كما أقسم تعالى بالليل ، والنهار على أن عمل الناس مختلف طاعة وعصيانا فى قوله تعالى « وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى » (١) كذلك أقسم تعالى بالفجر ، وبليال عشر ، وبالليل ، فى السورة المسماه بسورة « الفجر » ، وذكر أن فى الاقسام بهذه الأشياء بيانا لقيمتها وقدرها ، قال تعالى :

« وَالْفَجْرِ ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ » (٢) .

والفجر الذى أقسم الله ــ تعالى ــ به هنا هو الوقت المعروف ، وسمى فجرا ، لأنه وقت انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم ، وقيل : صلاة الفجر ، والأول أرجح .

والليالى العشر : هى الليالى العشر الأول من ذى الحجة ، وقيل : العشر الأول من المحرم وقيل : العشر الأواخر من رمضان .

والشفع عند العرب : الزوج ، والوتر : الفرد ، والمقصود : اما نفس العدد ، أو مايصدق عليه من المعدودات بأنه شفع ، أو وتر ولذا رجع أن المعنى : شفع كل الأشياء ووترها، ثم أقسم تعالى بالليل اذا يسر أى يمضى .

(١) سورة الليل من الآية ١ ــ ٤ .
(٢) سورة الفجر من الآية ١ الى ٥ .

ثم يستفهم تعالى لتقرير تعظيم ، وتفخيم ما أقسم به من هذه الأمور المذكورة .

يقول الشوكانى : فى معنى الآية « هل فى ذلك قسم لذى حجر » هل فى ذلك المذكور من الأمور التى أقسمنا بها ، قسم أى مقسم به حقيق بأن تؤكد به الأخبار لذى عقل ولب فمن كان ذا عقل ولب علم أن ما أقسم به الله من هذه الأشياء حقيق بأن يقسم به ، ومثل هذا قوله « وانه لقسم لو تعلمون عظيم » (٣) .

كما أقسم تعالى بالضحى ، وبالليل على أن نبينا محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما تركه ربه منذ اختاره ، وما أبغضه منذ أحبه فى قوله تعالى : « وَالضُّحَى ، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » .

يقول النسفى فى تفسيره : المراد : وقت الضحى ،وهو صدر النهار ،حين ترتفع الشمس وأنه خص وقت الضحى بالقسم ، لأنها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا ، أو : النهار كله ، لمقابلته بالليل فى قوله « وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى » أى سكن، والمراد سكون الناس والأصوات فيه ، وجواب القسم « مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » وذلك لما تأخر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما ، فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت (٤) .

وسبب النزول هذا يرويه لنا البخارى بسنده عن جندب بن سفيان ــ رضى الله عنه ــ قال: اشتكى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

(٣) فتح القدير جـ ٥ ص ٤٣٣ ــ ٤٣٤ .
(٤) تفسير النسفى جـ ٤ ص ٣٦٣ .

الوقت وقيمته ..

في ضوء الكتاب والسنة

فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة (١) فقالت: يا محمد انى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا ، فأنزل الله عز وجل « وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ » (٢) .

رابعا : الأمر بذكر الزمن للاعتبار بما وقع فيه من أحداث .

من المعلوم أن الزمن وعاء للأحداث ، وأن الأحوال والوقائع الماضية ينتفع الناس بذكرها، ويعتبرون بها ، لذا فقد أمر الله — تعالى — ورسله الناس بذكر أزمنة وقعت فيها أحداث معينة تدعو الى العظة والاعتبار .

من ذلك دعوة نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام قومه أن يذكروا وقت أن كانوا قليلا فصيرهم الله كثرة . في قوله تعالى حاكيا عنه « وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ » (٣) .

والمعنى :

واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم ، فكثركم الله ووفر عددكم .

كذلك أمر الله تعالى المسلمين الذين كانوا قلة مستضعفين خائفين في مكة ، لكثرة أعدائهم أن يذكروا الوقت الذى كانوا فيه على هذا الحال ، ثم أواهم الى المدينة ، وأيدهم بنصره بمظاهرة الأنصار ، وامداد الملائكة يوم بدر، ورزقهم من الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلهم، قال تعالى « وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (٤) .

قال ابن كثير — رضي الله عنه — في تفسير هذه الآية : ينبه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم ، واحسانه لهم ، حيث كانوا قليلين فكثرهم ، ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم ، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات ، واستشكرهم فأطاعوه وامتثلوا جميع ما أمرهم وهكذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة قليلين مستخفين ، مضطهدين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله من مشرك ومجوسي ورومي كلهم أعداء لهم ، لقلتهم وعدم قوتهم ، فلم يزل دأبهم حتى أذن الله لهم بالهجرة الى المدينة ، فآواهم اليها ، وقيض لهم أهلها آووا ونصروا يوم بدر وغيره ، وواسوا بأموالهم ، وبذلوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال قتادة بن دعامة السدوسي : كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلا ، وأشقاه عيشا ، وأجوعه بطونا ، وأعراه جلودا ، وأبينه ضلالا ، من عاش منهم عاش شقيا ، ومن مات منهم ردى في النار ، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلا منهم حتى جاء الله بالاسلام فمكن به البلاد ، ووسع به في الرزق

(١) هي أم جميل بنت حرب امرأة ابى لهب .
(٢) صحيح البخاري جـ ٨ ص ٧١٠ .
(٣) سورة الأعراف الآية ٨٦ .
(٤) سورة الأنفال الآية ٢٦ .

وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا الله على نعمه ، فان ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله (١) .

كذلك أمر الله تعالى نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يذكر وقت أخذ الله تعالى من النبيين عهدهم المؤكد أن يفوا بما التزموا ، وأن يصدق بعضهم بعضا ، وأن يؤمنوا برسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ورسالاتهم في قوله تعالى :

« وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا » (٢) .

وأمر الله تعالى المؤمنين أيضا أن يذكروا فضله تعالى وانعامه عليهم وقت مجيء جنود الأحزاب ، وتألبهم عليهم في قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا » (٣) .

قال أبو السعود في تفسيره لقوله : « اذ جاءتكم جنود » المراد بالجنود الأحزاب، وهم قريش وغطفان ، ويهود قريظة والنضير، وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا ، فلما سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي ، ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره ، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام ، واشتد الخوف ، وظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق في المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر أن نذهب الى الغائط .

وقال في تفسيره لقوله : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا » وبعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية ، فأخصرتهم (٤) ، وسفت التراب في وجوههم ، وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد ، وقطعت الأطناب (٥) وأطفأت النيران ، وأكفأت القدور ، وماجت الخيل بعضها ببعض ، وقذف في قلوبهم الرعب ، وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم ، فقال طليحة بن خويلد الأسدي : أما محمد فقد بدأكم بالسحر ، فالنجاة النجاة فانهزموا من غير قتال (٦) .

خامسا : المسارعة الى الأعمال الصالحة .

يجب على المسلم أن يبادر بالأعمال الطيبة قبل أن يأتي وقت لايتمكن فيه من تأدية هذه الأعمال ، بأن تعرض له حالات تحول بينه وبين أدائها ، أو ضعف أو مرض يقعده عن القيام بها ، أو يفاجئه الموت ، أو تقوم عليه الساعة ، وقد أمرنا ربنا بالمسارعة الى البر والخير ، وما به يغفر الذنب ، وتنال الجنة ، قال تعالى:

« وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (٧) ».

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٠٠ .
(٢) سورة الأحزاب الآية ٧ .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٩ .
(٤) أخصرتهم : آلمتهم ببردها .
(٥) الأطناب : الحبال التي تربط بها الخيام .
(٦) تفسير أبو السعود جـ٧ ص ٩٢ ، ٩٣ .
(٧) سورة آل عمران الآية ١٣٣ .

الوقت وقيمته..
في ضوء الكتاب والسنة

وروى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال : كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل .

وكان ابن عمر يقول : اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك(١).

وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالأعمال سبعا ، هل تنتظرون الا فقرا منسيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا (٢)، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة ، فالساعة أدهى وأمر » (٣) .

ولنا في نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ الأسوة الحسنة ، في المبادرة بتأدية ما هو مطلوب منا حتى تنفك من تبعته ، ونتخلص من مسئوليته ، روى البخاري بسنده عن أبي سروعة عقبة بن الحارث ــ رضي الله عنه ــ قال : صليت وراء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالمدينة العصر فسلم ثم قام مسرعا، فتخطى رقاب الناس الى بعض حجر نسائه ، ففزع الناس من سرعته ، فخرج عليهم ، فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته ، قال : ذكرت شيئا من تبر (٤) عندنا (٥) فكرهت أن يحبسني (٦) فأمرت بقسمته » .

وفي رواية أخرى للبخاري أيضا عن عقبة قال : صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم العصر فأسرع ثم دخل البيت ، فلم يلبث أن خرج فقلت أو قيل ــ له ، فقال : كنت خلفت في البيت تبرا من الصدقة ، فكرهت أن أبيته فقسمته (٧) » .

قال ابن بطال : في الحديث أن الخير ينبغي أن يبادر به ، فان الآفات تعرض ، والموانع تمنع ، والموت لا يؤمن ، والتسويف غير محمود . وزاد غيره : وهو أخلص للذمة ، وانفى للحاجة ، وأبعد من المطل المذموم ، وأرضى للرب ، وأمحى للذنب (٨) » .

ومن هنا أوصى الاسلام المسلم أن يعد وصيته مكتوبة ، والا يؤجل كتابتها أكثر من ثلاث ليال .

روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي به ، يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده (٩) » .

وفي رواية مسلم ، يبيت ثلاث ليال « قال ابن عمر : ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندي وصيتي » .

---

(١) صحيح البخاري جـ ١١ ص ٢٣٣ .
(٢) مؤديا لضعف الرأي .
(٣) أعظم بلية .

(٤) قطع من ذهب أو فضة .
(٥) كان من الصدقة .
(٦) يشغلني التفكير فيه عن التوجه والاقبال على الله .
(٧) صحيح البخاري جـ ٢ ص ٢٣٧ .
(٨) فتح الباري جـ ٣ ص ٢٩٩ .
(٩) صحيح البخاري جـ ٥ ص ٣٥٥ .

سادسا : أداء الطاعات فى وقت متقدم أكثر ثوابا من أدائها فى وقت متأخر .

ينبغى العلم بأن أداء الطاعات وأعمال الخير فى وقت متقدم يفوق فى الثواب أداءها نفسها فى وقت متأخر .

فأداء الصلاة فى أول وقتها أكثر ثوابا من أدائها فى وسط وقتها ، وفى آخره .

روى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :

سألت النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « أى العمل أحب الى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قال : ثم أى ؟ قال : ثم بر الوالدين قال : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قال : حدثنى بهن ولو استزدته لزادنى » (١).

ونقل ابن حجر عن ابن بطال قوله : فى الحديث ان البدار الى الصلاة فى أول أوقاتها أفضل من التراخى فيها ، لأنه انما شرط فيها أن تكون أحب الأعمال اذا أقيمت لوقتها المستحب .

ثم يقول ابن حجر : اتفق أصحاب شعبة (أحد رواة هذا الحديث) على اللفظ المذكور فى الباب وهو قوله « على وقتها » وخالفهم على بن حفص ، وهو شيخ صدوق من رجال مسلم فقال : « الصلاة فى أول وقتها » أخرجه الحاكم والدارقطنى والبيهقى من طريقه»(٢).

وروى أبو داود عن أبى ذر قال : قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر كيف أنت اذا كانت عليك أمراء يميتون الصلاة ـ أو قال يؤخرون الصلاة ـ ؟ قلت : يا رسول الله فما تأمرنى ؟ قال : صل الصلاة لوقتها ، فان أدركتها معهم فصله فانها لك نافلة » (٣) .

والمبادرة بالذهاب الى الجمعة تفوق فى الثواب الذهاب اليها متأخرا ، روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة (٤) ثم راح (٥) ، فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » (٦) .

وأيضا القتال والنفقة فى سبيل الله قبل فتح مكة أكثر ثوابا منهما بعد الفتح ، قال تعالى : « **لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** » (٧) .

المراد بالفتح : فتح مكة عند أكثر المفسرين وقال الشعبى والزهرى : انه فتح الحديبية ، قال قتادة : كان قتالان : أحدهما أفضل من الآخر ، ونفقتان : احداهما أفضل من الأخرى

---

(١) صحيح البخارى ج ٢ ص ٩ .
(٢) فتح البارى ج ٢ ص ٩ ، ١٠ .
(٣) سنن أبى داود ج ١ ص ٢٤٨ .
(٤) أى كغسل الجنابة ، فالتشبيه للكيفية لا للحكم .
(٥) زاد أصحاب الموطأ عن مالك فى الساعة الأولى .
(٦) صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٦٦ .
(٧) سورة الحديد آية ١٠ .

الوقت وقيمته..
في ضوء الكتاب والسنة

كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك ، وفي الكلام حذف والتقدير : لا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل ، فحذف لظهوره ، ولدلالة بقية الآية عليه .

وانما كانت النفقة والقتال قبل الفتح أفضل من النفقة والقتال بعد الفتح ، لأن حاجة الناس كانت اذ ذاك أكثر ، وهم أقل وأضعف.

وقال الزجاج : لأن المتقدمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم ، وكانت بصائرهم أيضا أنفذ (١) .

وأخرج الامام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : « كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها ، فبلغ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : دعوا لي أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبا ما بلغتم أعمالهم .

سابعا : الحساب على الوقت في الآخرة .

يسأل العبد ـ يوم القيامة ـ عن أشياء منها علمه ، وماله ، وجسمه ، ومما يسأل عنه أيضا عمره ، هل فنى أيامه وسنواته فيما ما هو أنفع له في الدنيا والآخرة ، أو أمضى عمره لاهيا عابثا ، يضيع أوقاته فيما لا يجدي ويبدد ساعاته فيما لايعود عليه بنفع عاجل وآجل ، فالأول رابح فائز ، والثاني خاسر هالك .

روى الترمذي بسنده عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه » .

فسؤال العبد يوم القيامة عن عمره يدل على ما للعمر من أهمية ، وما لأوقاته من قيمة في نظر الاسلام ، وأنه ينبغي الحفاظ على العمر بتمضيته في طاعة الله ، وتقع الناس وأن تضييعه سدى ، وتبديده هباء ذنب كبير ، وجرم خطير يهان به العبد يوم القيامة على رءوس الأشهاد ، ويعذب به في جهنم وبئس المهاد .

الآثار الناجمة عن الانتفاع بالوقت وعن تضييعه :

لا يصح أن يغيب عن بال امرىء أن الأعمار محددة ، والآجال مقدرة ، اذا انقضت لا تمد واذا انتهت لا يزاد عليها ، فأي اضاعة لها ، أو ـ لبعضها خسارة لا تعوض وغرم لا غنم بعده ، قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ، وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » (٢) .

---

(١) فتح القدير جـ ٥ ص ١٦٨ .

(٢) سورة المنافقون الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ .

ولقد تنبه بعض المسلمين الى قيمة الوقت، وقدروه قدره ، واستشعروا حرمته ، وقبحوا اهداره وتضييعه ، فشغلوا أوقاتهم بطاعة الله تعالى واتخذوا منها زادا للآخرة فأظمأوا نهارهم ، وأسهروا ليلهم ، أو كانوا كما قيل : رهبانا بالليل فرسانا بالنهار ، وأدوا من كبريات الأعمال وجلائلها ما يستغرب حصوله فيما عاشوه من أعمار ، حيث مات بعضهم في سن الأربعين أو الخمسين ، وتركوا من الأعمال المجيدة ، والآثار الطيبة مالا يبلغ شأوه من تجاوزوا الثمانين ، أو قاربوا المائة لكن انتابهم شيء من الكسل أو الفتور في العمل .

ومن هؤلاء أصحاب الأعمار القصيرة المباركة على سبيل المثال لا الحصر الامام الشافعي صاحب المذهب المشهور فان له نتاجا علميا ضخما مع أنه عاش أربعا وخمسين عاما فقط (١) وأيضا الامام الغزالي صاحب المؤلفات القيمة مع أنه لم يعش أكثر من خمس وخمسين عاما (٢) .

والأمم والشعوب كذلك تتفاوت في الانتفاع بالزمن .

فبعضها ينجز في فترة قصيرة أعمالا رائعة تقوى بها عسكريا ، وتزدهر بها اقتصاديا ، وتتفوق بها ثقافيا وعلميا ، وتسبق غيرها في شتى المجالات .

وبعضها الآخر لا تعرف للزمن أهمية ، ولا للوقت قيمة ، فتبدد أوقاتها هباء وتضيعها سدى ، وتمضي عليها الأعوام والقرون ، ولا تظهر لها منجزات ذات قيمة وأثر ، فتبقى كما هي ضعيفة ومتخلفة في اقتصادها ، وجيوشها، وعلومها ، ومعيشتها ، وتصبح عالة على غيرها من الأمم والشعوب الناهضة المتقدمة تستورد منهم ماهي بحاجة اليه ، وتعتمد عليهم حتى في ما هو ضروري لحياتها .

ان أمسكوا عنها ما بأيديهم تهددها الخطر، وانتابها القلق ، وان منعوا عنها ما هي بحاجة اليه خضعت لهم ، واستكانت ، واستجدتهم العون ، وناشدتهم المساعدة ، وشعوب المسلمين — الآن — معظمها في حالة ضعف ، واعتماد على الشعوب الأخرى في شتى مطالب الحياة ، ولوازم العيش ، ان حبسوا عنا منتجاتهم الوفيرة ، واحتجزوا دوننا مصنوعاتهم المتطورة ساءت أحوالنا ، واضطربت معيشتنا .

وما ذلك الا لأنهم انتفعوا بالوقت وأضعناه نحن ، وجدوا وتكاسلنا ، في حين أن ديننا يدعو الى احترام الوقت ، واستغلاله فيما ينفع ، والى الجد في العمل ، والاخلاص فيه، ويعتبر السعي على المعاش قربة وطاعة ، وأن نفع الآخرين بما ينتجه المسلم صدقة .

روى أبو داود الطيالسي في مسنده عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا فيأكل منه بهيمة أو انسان أو طير الا كان له صدقة » (٣) .

وأهل الايمان حقيقة أحق من غيرهم بحسن التصرف ، والدقة في تسيير الأمور واجتياز الصعاب والشدائد بحكمة وحنكة ، فقد حكى لنا القرآن الكريم — في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام : أنه بعد أن عبر رؤيا ملك

---

(١) ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفي سنة ٢٠٤ هـ .
(٢) ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفي سنة ٥٠٥ هـ .

(٣) منحة المعبود في ترتيب مسند ابي داود للشيخ احمد عبد الرحمن البنا جـ ١ ص ٢٦٠ .

الوقت وقيمته ..

في ضوء الكتاب والسنة

مصر : « قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ » (١) .

وجد الملك الكافر أنه أعجز من أن يصرف أمر خزائن مصر في هذه الحقبة العصيبة فأسندها الى الأمين يوسف على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام « وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ » (٢) .

وان أمانة يوسف عليه السلام وحفظه وعلمه كل مكن له في الأرض ـــ وهي صفات نابعة من ايمانه وصدق يقينه ، وسلامة عقيدته التي جعلته أهلا لرحمة الله وثوابه في الدنيا والآخرة .

الا فليعتبر أبناء الاسلام ، وليتذكر أهل الايمان « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » .

---

(١) سورة يوسف الآيات ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .
(٢) سورة يوسف الآيتان ٥٤ ، ٥٥ .

المراجع

اسم الكتاب	المؤلف
اولا : كتب التفسير	
١ ـ تفسير ابي السعود	ابو السعود
٢ ـ تفسير ابن كثير	ابن كثير
٣ ـ تفسير النسفي	النسفي
٤ ـ فتح القدير	الشوكاني
٥ ـ في ظلال القران	سيد قطب
ثانيا : كتب السنة	
٦ ـ صحيح البخاري	البخاري
٧ ـ صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج
٨ ـ سنن ابي داود	ابو داود السجستاني
٩ ـ سنن الترمذي	الترمذي
١٠ ـ مسند أبي داود	ابو داود الطيالسي
١١ ـ فتح الباري	ابن حجر العسقلاني
١٢ ـ معاجم اللغة	

وليغتنموا أفرادا وشعوبا أوقاتهم ، وليشغلوها بما ينفعهم في الدنيا ، ويرفع شأنهم بين العالمين ، وبما يتزودون به للآخرة فيتبوأوا عند ربهم المقام الأمين في جنات وعيون .

والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

د . محمد ابو النور الحديدي صقر

■ قادة النبي

صلى الله عليه وسلم

دراسات في السيرة النبوية

■ الوصية الجائزة

قادة النبي صلى الله عليه وسلم

٢٢ عمرو بن أمية الضمري

هو عمرو بن اميه بن خويلد بن عبد الله الضمرى من كنانة ، يكنى : ابا امية ، أسلم قديما(١) وهاجر الى الحبشة ، ثم هاجر الى المدينة .

شارك فى بئر معونة ، وانفرد بسرية ، وكان رسولا لرسول الله — صلى الله عليه وسلم الى النجاشى ملك الحبشة .

فأما بئر معونة فأول مشاهده(٢) ، وفيها أسرته بنو عامر ، وانتهز عامر بن الطفيل أسره فأطلقه فى نذر وقال له : انه كان على أمى نسمة ، فاذهب فأنت حر عنها .

كان عمرو من فتاك الجاهلية ، فكان مشهورا معروفا بين العرب ، ويعتبر من القناصة النادرين ، فارس شديد على جرأة وشجاعة ونجدة وجراءة .

حدث أن أبا سفيان بن حرب قال لنفر — من قريش — قبل اسلامه : الا احد يغتال محمدا فانه يمشى فى الأسواق ، فتقدم اليه أعرابى يرشح نفسه لذلك فأعطاه بعيرا ونفقة، فانطلق الى المدينة المنورة .. فما رآه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى قال : ان هذا ليريد غدرا ، فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة ازاره فاذا بالخنجر فأسقط فى يديه ، وقال : دمى ... دمى ... ثم لم يملك أن اعترف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتدب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عمرو بن أمية ، وأرسل معه سلمة بن أسلم ، أو جبار بن صخر الأنصارى ليقتلا أبا سفيان، فدخلا مكة ، وما رآه أبو سفيان يطوف بالبيت حتى عرفه ، فأوجس شرا ، وأدرك عمرو الأمر ففر واختبأ بأحد جبال مكة ، فطلبوه وصاحبه دون جدوى وبينما كان — رضى الله عنه فى كهف بهذا الجبل اذ دخل عليه عبيد الله بن مالك بن عبيد الله التيمى ، وهو من أعداء الله فقتله ، ثم أتبعه آخر كان يتغنى قائلا :

ولست بمسلم مادمت حيا
ولست أدين دين المسلمينا

ثم زحف فى خفية الى « التنعيم » حيث صلب كفار قريش خبيب بن عدى الذى أسر فى « معونة » وأرسل به الى مكة — رضى الله عنه — فانتهز عمرو غفلة من حراسه ، فأنزله ، وانطلق به فوارى جثته بجرف فى مسيل يأجج (٣) .

---

(١) هذا هو الارجح .
(٢) انظر المنذر بن عمرو — رضى الله عنه
(٣) واد قرب مكة .

للأستاذ إبراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

وأسرع الى المدينة فلقى رسولين لقريش بعثت بهما يتحسسان الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر ، وقدم به على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكانت سريته مباركة .

وقد أرسل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عمرا الى النجاشى ملك الحبشة — رضى الله عنهما — سنة ست من الهجرة يدعوه الى الاسلام ، فأسلم ، وطلب اليه — بأمره — صلى الله عليه وسلم أن يخطب أم حبيبة(١) — رضى الله عنها للرسول — صلى الله عليه وسلم ، ويرسلها ومن عنده من المسلمين ، فخطبها النجاشى وأصدقها أربعمائة دينار من عنده هدية للرسول — صلى الله عليه وسلم ، ثم جهزها وأرسل بها معززة مكرمة الى المدينة .

طال العمر لعمرو فمات فى أواخر حكم معاوية — رضى الله عنهما ، وكانت وفاته نحو سنة ٦٠ هـ رضى الله عنه .

٢٣ غالب بن عبد الله الليثى

رضى الله عنه

هو غالب بن عبد الله بن مسعر الكنانى الليثى من أهل الحجاز ، أسلم وسكن المدينة . أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سريتين ، قاد فى الأولى ثلاثين رجلا الى « الميفعة » (٢) الى بنى مرة فقاتلهم وغنم منهم .

وأرسله الرسول صلى الله عليه وسلم — فى الثانية — الى بنى الملوح بالكديد (٣) وفى هذه السرية وقع أكثر من حادث :

١ — ففى الطريق لقوا الحارث بن مالك بن قيس الكنانى الليثى المعروف بابن البرصاء — رضى الله عنه — فأسروه ، فقال : انى جئت أريد الاسلام ، فقالوا له : « ان تك مسلما فلن يضيرك رباط ليلة ، وان تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك » وشدوا رباطه ، ووضعوا عليه حارسا ، فعلت السرية ذلك آخذا بمبدأ ضمان السلامة وما تقتضيه من الحرص والحذر .

٢ — أرسل غالب رضى الله عنه جندب بن مكيث الجهنى ليكون عينا على بنى الملوح ، فاعتلى تلا يشرف على القوم ، وثبت مكانه لا يأتى بأية حركة حتى لا يراه أحد وظل يرصد القوم ، ولكن رجلا من القوم رأى فى العتمة زوال جندب رضى الله عنه وأراد أن يتأكد : هل هو عين لقوم أو شىء ثابت ؟، فرماه بسهم، أصاب جنبه ، فنزعه ولم يتحرك ، ثم رماه بسهم آخر أصاب منكبه فنزعه ولم يتحرك .

سبحان الله !.. سهمان أصاباه فما تحرك

---

(١) هى أم المؤمنين رملة بنت أبى سفيان . كانت زوجة لعبيد الله بن جحش الذى تنصر فى الحبشه وبقيت — رضى الله عنها — على اسلامها

(٢) من أرض نجد .

(٣) من أرض الحجاز .

أو تند عنه صرخة حتى لا يدل القوم على سرية المسلمين .

وفي السحر هاجمت سرية غالب رضي الله عنه بني الملوح واستاقوا غنائمهم من الأنعام وغيرها ، واتجهوا الى المدينة ، وابن البرصاء معهم .

٣ ــ وصرخ صارخ القوم وتجمع بنو الملوح وخرجوا في مالا قبل لسرية المسلمين بهم ، واقترب القوم من سرية المسلمين ، ولكن الله سبحانه وتعالى أرسل سحابا أنزل مطرا غمر وادي قديد(١) فحال بينهم وبين المسلمين .

وكان غالب بن عبد الله رضي الله عنه في مقدمة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في غزوة الفتح ليمنع وصول الأخبار الى قريش ، وكان يأخذ نفسه بالحرص ، مؤخرا من يسبق جيش المسلمين من غيرهم ، حتى دهم المسلمون مكة ، وقد أخذ الله العيون ، فلم تصل الأخبار قريشا ، وتم الفتح باذنه تعالى ، فكان فتحا مبينا ونصرا عزيزا .

٢٤ أبو بكر الصديق

رضي الله عنه

هو عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي القرشي ، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة ــ رضي الله تعالى عنه ــ قيل : أن اسمه كان « عبد الكعبة » فسماه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم « عبد الله » .

وقيل : ان أهله سموه « عبد الله » ، ويقال له : « عتيق » لحسن وجهه وجماله ، أو لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به .

وقيل انما سمي « عتيقا » ، لأن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال له : (أنت عتيق من النار) ، أما لقب « الصديق » فأمره مشهور معروف ، فبعد الاسراء والمعراج ، أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم القوم بهذا الأمر فكذبوه ، ثم ذهبوا الى « أبي بكر » يخبرونه بما قال محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لعله يترك الاسلام ، فقال لهم : « اني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة ، والله لو أخبرني أنه عرج به الى السماء لصدقته » .

ولذلك سمي أبو بكر الصديق .

أسلم أول الرجال ، وقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم عنه في اسلامه : « ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت له كبوة وتردد ونظر ، الا أبا بكر ماعتم حين ذكرته له ماتردد فيه » .

كان له في الجاهلية أمر الديات ، اذا أنفذ أمرا وافقت عليه قريش ، وتحملت معه ماتحمل من الديات ، وكان من أعلم العرب بأنسابها .

كان سباقا في الخير ، ففي غزوة تبوك ــ جيش العسرة ــ طلب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أصحابه المساعدة في اعداد الجيش ، فأحضر أبو بكر رضي الله عنه كل ماله ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم :

(١) قديد : واد بالحجاز بين مكة والمدينة

« ماذا تركت لأولادك »؟، قال ـ رضى الله عنه : « تركت لهم الله ورسوله » .

حضر مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم كل مشاهده لم يتخلف عن غزوة ، كان ممن ثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحد وحنين ، وكان صاحب راية الرسول صلى الله عليه وسلم يوم تبوك .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم قائدا لسرية وجهها الى قبيلة فزاره فهاجمهم وسبى منهم وقتل ، وكان جنديا فى جيش أسامة ابن زيد رضى الله عنهما فلم يستنكف أن يكون تحت امرة هذا الشباب .

ويختاره الصحابة أول خليفة للمسلمين ، يقولون : « ارتضاه الرسول لديننا أفلا نرضاه لأمور دنيانا » .

ويقوم بالعبء خير قيام ويقود سفينة المسلمين بحكمة وشجاعة فى ظلمات الردة الحالكة حتى يعيد للجزيرة العربية اسلامها ووحدتها .

ويلقى ربه له من العمر مثل ما للرسول صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثة وستون عاما .

رحم الله أول الخلفاء ، وأول الرجال اسلاما ، وأول من بشره الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة .

٢٥ عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

عمر بن الخطاب بن نفيل قرشى عدوى ـ من بنى عدى ـ كان سفير قريش فى الجاهلية اذا وقعت داخلها وقيعة ، أو حدث بينها وبين غيرها أمر ، وهو مقدمهم ان فاخرهم مفاخر أو نافرهم منافر .

لما انتشرت دعوة الاسلام تأخر عمر بن الخطاب عن تلبية النداء ، وكان شديد الأذى للمسلمين ، حتى قيل ـ « لو أسلم حمار الخطاب ما أسلم عمر » .

وقصة اسلام عمر ـ رضى الله عنه ـ معروفة مشهورة .

وبالرغم من أنه تأخر فى اسلامه الا أنه صار وزير صدق لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

شهد عمر رضى الله عنه بدرا وأحدا وجميع المشاهد ، وثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية من ثلاثين رجلا الى (تربة) ـ من الحجاز ـ يريد هوازن ولكنهم هربوا خوفا ولم يجد منهم أحدا ، وكان أيضا جنديا فى جيش أسامة بن زيد رضى الله عنهما فكان كصاحبه أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما لم تستشعر نفسه غضاضة ، بل رضى أن يكون تابعا لقائد أصغر منه سنا .

ثم شاء الله ـ سبحانه ـ أن يؤول اليه أمر الأمة فكان قائدها وحاكمها وكان يخطط بالمدينة المنورة ـ لقواده فى معاركهم ، وكأنهم بين يديه ، أو كأنه معهم ، فأدى الأمانة ثم لحق بالرفيق الأعلى شهيدا مجيدا ـ رضى الله عنه .

ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

الوصية الجائرة

لما حضرت الوليد بن المغيرة المخزومى الوفاة دعا بنيه ، وكانوا ثلاثة : هشام ابن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد ابن الوليد ، فقال لهم : اى بنى ، اوصيكم بثلاث فلا تضيعوا فيهن :

ـ دمى فى خزاعة فلا تطلنه ، والله انى لاعلم انهم منه براء ، ولكنى اخشى أن تسبوا به بعد اليوم .

ـ ورباى فى ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه .

ـ وعقرى عند ابى ازيهر فلا يفوتنكم به .

هذه هى الوصية التى أوصى بها الوليد بنيه ، وهى ليست من الوصايا النافعة العادلة، ولكنها من الوصايا المدمرة الجائرة وهذا الذى نقوله يحتاج الى توطئة وتمهيد ليتجلى شأن الوصية وما انتهى اليه أمرها ، وصلتها بالاسلام وأهله ، وما كان عليه المجتمع القرشى فى مكة ، والمجتمع الاسلامى حين ذاك ، فالحوادث وقعت بعد الهجرة وبعد موقعة بدر ، كان الوليد بن المغيرة حين أوصى آخر من بقى من بنى (المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم) وكان يمثل زعامة بنى مخزوم التى انتهت اليه والتى يستقل بنقلها الرجل المشئوم أبو جهل بن هشام (ابن أخى الوليد) وقد عانى المسلمون من موقف الوليد وعداوته للاسلام منذ ظهوره ، وكان يقول : « أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ؟ » ففى ذلك يقول القرآن الكريم « **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** »

وبعيد من المنطق أن أوازن بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين الوليد بن المغيرة ، بيد ان لى أن أوازن بين آباء كل من الرجلين على طريق العرف الدنيوى ، فليس فى بنى مخزوم من يضارع قصى بن كلاب الذى جمع قريشا ورد اليها ولاية الكعبة ، وقصى ابن عم مخزوم تجدهما معا (مرة بن كعب بن لؤى) وليس فى بنى مخزوم بعد قصى من يضارع هاشم بن عبد مناف ولا عبد المطلب بن هاشم ولولا هاشم لماتت مخزوم جوعا ، فقد روى القرطبى فى تفسيره (سورة قريش) وحديثه عن « الايلاف » أن قريشا كانوا اذا أصابت واحدا منهم مخمصة جرى هو وعياله الى موضع معروف ، فضربوا على أنفسهم

للأستاذ السيد حسن فترون

خباء فماتوا حتى كان عمرو بن عبد مناف (هاشم) وكان سيدا فى زمانه ، وله ابن يقال له أسد (هو أبو فاطمة أم على بن أبى طالب) وكان له ترب من بنى مخزوم يحبه ويلعب معه فقال له : نحن غدا نعتفر ، وتأويله : ذهابهم الى ذلك الخباء وموتهم واحدا بعد واحد . فدخل أسد على أمه يبكى ، وذكر ما قاله تربه ، فارسلت أم أسد الى أولئك بشحم ودقيق فعاشوا به أياما ، ثم ان تربه أتاه أيضا فقال : نحن غدا نعتفر ، فدخل أسد على أبيه يبكى ، وخبره خبر تربه ، فاشتد ذلك على عمرو بن عبد مناف ، فقام خطيبا فى قريش ، وكانوا يطيعون أمره . فقال : انكم أحدثتم حدثا تقلون فيه وتكثر العرب ، وتذلون وتعز العرب ، وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم والناس لكم تبع .. ثم بين مقصده فقال : ابدءوا بهذا الرجل — يعنى المخزومى — فأغنوه عن الاعتفار ، ففعلوا ، ثم انه نحر البدن وذبح الكباش والمعز ، ثم هشم الثريد وأطعم الناس فسمى (هاشما) قال الشاعر :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مسنتون عجاف

ثم جمع كل بنى أب على رحلتين : فى الشتاء الى اليمن ، وفى الصيف الى الشام للتجارات ، فما ربح الغنى قسمه بينه وبين الفقير حتى صار فقيرهم كغنيهم ، فجاء الاسلام على هذا فلم يكن فى العرب بنو أب أكثر مالا ولا أعز من قريش ، وهو قول شاعرهم :

والخالطون فقيرهم بغنيهم
حتى يصير فقيرهم كالكافى

وقد أخذ هاشم لهم المواثيق من أمراء الشام وقيصر الروم والقبائل المنتشرة بين الشام واليمن ، فكانوا فى أمان فى الوقت الذى كان الناس يتخطفون من حولهم ، وكان عبد المطلب يسمى صاحب عير قريش ومعناه : رئيس الرفقة التجارية كما نقول اليوم وقد استفاد بنو مخزوم من تلك الرحلات فأثروا ثراء عظيما ، وكثر أولادهم ، وامتازوا بالقوة الجسدية وجمال النساء .

وباستقراء كتب التراث يتبين لنا أن بنى مخزوم ظهروا — كسبط قوى فى قريش — بعد وفاة عبد المطلب بن هاشم وتقسمت بطون قريش وظائف السيادة فيها ، وظهرت وظائف لم يحدثها قصى بن كلاب ، وبعد أن كان الأمر منوطا ببنى عبد مناف شاركهم غيرهم فيه ولذا قالوا :

انتهى الشرف الى عشرة بطون هم : هاشم وأمية ، ونوفل ، وعبد الدار ، وأسد ، وتيم ، ومخزوم ، وعدى ، وجمح ، وسهم :

فكانت لأمية راية الحرب يخرجها عند القتال ليسلموها الى قائدهم المختار .

ولهاشم سقاية الحاج .

وكانت لنوفل الرفادة وهى اعانة الحجاج المنقطعين بالمال .

الوصية الجائرة

وكانت لعبد الدار السدانة والحجابة واللواء .

وكانت لبني أسد المشورة .

وكانت لبني تيم الديات والمغارم .

وكانت لبني مخزوم القبة وهي مجتمع الجيش والأعنة وهي قيادة الفرسان .

وكانت لبني عدي السفارة .

ولبني جمح الايسار أو الأزلام (١) .

ولبني سهم الحكومة والأموال المحجرة .

وظلوا يتولونها حتى ظهر الاسلام .

وينبغي أن نعلم أن تلك الوظائف خاصة ببني « كعب بن لؤي » .

وحين تسمع « بطون قريش » يدخل في ذهنك أن قريشا جميعها من عامر بن لؤي والحارث بن فهر وبنو الأدرم وغيرهم من تلك البطون !!.

فالحقيقة أن البطون العشرة هي من خصوصية « كعب بن لؤي » وحين قامت الخلافة الاسلامية لم تخرج عن بني كعب بن لؤي ، ثم انحصرت في بني قصي ، ثم صارت الى فرعي عبد مناف : أمية وهاشم .

يقول العقاد(٢) : ولم يكن لهذه الوظائف الموزعة شأن واحد في جميع الأوقات والأحوال بل كانت تعلو وتهبط على حسب الزعيم الذي يتولاها وعلى حسب القوة التي عليها بيته عند ولايته اياها ، ولكننا اذا نظرنا اليها نظرة مجملة وجدنا منها ما كان يقصد به « جبر الخاطر » والارضاء ، وما كان يشبه الوظائف الشورية أو الادارية الثانوية في حكوماتنا الحاضرة ولم نجد بينها « سلطات » فعالة خليقة أن تتعاقب مع الزمن غير ثلاث متفرقات، وهي السلطة الروحية لهاشم وعبد الدار ، والسلطة السياسية لأمية ، والسلطة العسكرية لمخزوم » .

وقد ظهرت مخزوم كقوة ضاربة في حرب الفجار ، وقعت تلك الحرب ومحمد الأمين — صلى الله عليه وسلم — في سن الرابعة عشرة واستمرت خمس سنوات الا قليلا ولذا ترى كتاب السيرة يختلفون ، فيقولون كانت سنه أربعة عشر عاما ، وبعضهم يقول كان في العشرين من عمره ، وكان ينبل على أعمامه أي يرد عنهم نبل عدوهم ، وهذه الحرب أظهرت رجالا لهم قدراتهم الحربية وفي مقدمتهم بنو المغيرة من مخزوم . قال عبد الله بن الزبعري:

الا لله قوم و
لدت أخت بني سهم
هشام وأبو عبد
مناف مدره الخصم
وذو الرمحين أشباك
من القوة والحزم
فهذان يذودان
وذا من كثب يرمي

وهو شعر لا يتساوى مع البطولة ولكنه يشير اليها ، وابن الزبعرى من بني سهم

١ — الأيسار : جمع يسر وهم المقامرون .
٢ — عبقرية خالد : قريش ومخزوم .

ــ رهط عمرو بن العاص ــ ولذا يفخر ببني المغيرة لأن أمهم من بني سهم . ولقد أبلى في تلك الحرب بلاء حسنا : هشام بن المغيرة والد أبي جهل . ونافس بني عبد مناف في القيادة والسيادة كما نافسهم عبد الله بن جدعان من رهط أبي بكر الصديق فكان يحمل الرجال على مطاياه ويسلحهم بالمئات . وكان كل بطن له زعيمه وكانت الرياسة العامة لحرب بن أمية (حسب رواية العقد الفريد) وأنكر الزبير بن عبد المطلب ما جرى من حرب الفجار فدعا الى حلف الفضول .

أخذت مخزوم مكانتها منذ اليوم فلما مات هشام بن المغيرة لم تقم قريش في مكة سوقا ثلاث سنوات حزنا عليه واظهارا للحقيقة فيه حتى قال شاعرهم :

واصبح بطن مكة مقشعرا
كأن الأرض ليس بها هشام

وتعرضت الكعبة للهدم لسيل نزل بها وأرادوا هدمها وبناءها من جديد . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في الخامسة والثلاثين من عمره . وقد ظهر بنو مخزوم قوة لها فعاليتها في أمر الكعبة . فحين هاب الناس هدمها قال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها . فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم ترع . اللهم انا لا نريد الا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين . وانتظر الناس أن يصاب فلما أصبحوا ووجدوه سليما أقبلوا على الهدم .

واختلفت قريش في أمر الحجر الأسود فيمن له حق وضعه في مكانه . وحسم النزاع أبو أمية المخزومي أخو الوليد حيث قال اجعلوا بينكم ــ فيما تختلفون فيه ــ أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه . ففعلوا فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رأوه قالوا : هذا الأمين . رضينا . هذا محمد . فلما حكموه قال : هلم الي ثوبا فأتي به . فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده . ثم قال ــ صلى الله عليه وسلم : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب . ثم ارفعوه جميعا ففعلوا . حتى اذا بلغوا به موضعه . وضعه هو بيده . ثم بنى عليه .

وكان أحد الأربعة أخ آخر للوليد هو أبو حذيفة بن المغيرة حيث اشترك في رفع الثوب . ومعنى هذا أن بني المغيرة لهم القدح المعلى بين قريش . ويرى العقاد أن بني مخزوم في ثروتهم وعددهم وبأسهم أقوى البطون القرشية حين ينفرد كل بطن منها على سائر بطونها . ولكنهم لم يستأثروا بالزعامة القرشية لأنهم كانوا ينافسون بني هاشم وبني أمية وبني عبد الدار وهم ثلاثة بطون يلتقون في جد واحد (قصي) أقرب من الجد الذي يجمعهم ببني مخزوم . وهو مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر جد قريش أجمعين .

وما قاله العقاد لا ندفعه ولكنا نرى حسب ما نصت عليه كتب السيرة أن بني مخزوم لم ينافسوا أبدا بني عبد الدار . بل كانوا الى جانبهم حين قام بنو عبد مناف قومتهم لأخذ الوظائف التي أسندها قصي لابنه عبد الدار وهي الحجابة والسقاية والرفادة واللواء لشرفهم بين قومهم . فكان بنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر مع بني عبد مناف . وكان بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب مع بني عبد الدار .

الوصية الجائرة

وخرجت بنو عامر بن لؤي وبنو محارب بن فهر فلم يكونوا مع أحد من المتنازعين ، وفريق عبد مناف سموا (المطيبين) ، لأنهم غمسوا أيديهم في جفنة ملئت طيبا ، وفريق عبد الدار سموا « الأحلاف » فبنو مخزوم كانوا ردءا لبني عبد الدار ، ولكن العقاد نظر الى النسب ولم ينظر الى تنازع أصحاب النسب ، وقولي هذا لا ينفي مقدرتهم ومكانتهم في قريش وحرب الفجار وما ترتب عليها من الدعوة الى عقد حلف الفضول شطرت المطيبين ، فكان ممن خرج منها بنو أمية وبنو نوفل وهم من بني عبد مناف ، وجاء الاسلام ، فكان بنو أمية وبنو نوفل مع قريش ضد بني هاشم وبني المطلب وقد نعى أبو طالب عليهما موقفهما منه ، وخذلانهما له ، وانقيادهما لغيرهما وهما القادة في قصيدة طويلة ، يقول :

فعبد مناف أنتم خير قومكم
فلا تشركوا في أمركم كل واغل(١)
لعمري لقد وهنتم وعجزتم
وجئتم بأمر مخطىء للمفاصل(٢)

في ذلك الحين كان الوليد بن المغيرة يحارب الدعوة الاسلامية بكل ما يملك من تعال وفعل ، وأشد موقف له سجله القرآن الكريم في سورة المدثر ، وقصته كما ذكرها ابن هشام . قال : ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش — وكان ذا سن فيهم — وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، انه قد حضر هذا الموسم ، وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول به . قال : بل أنتم فقولوا أسمع . قالوا : نقول كاهن . قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة(٣) الكاهن ولا سجعه . قالوا : فنقول مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر . قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول ساحر . قال : ماهو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم وانتهت بضاعتهم عند هذا الحد ، وأوقعهم في حيرة ، وهنا قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لغدق وان فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل ، وهنا سقط على جهد في التفكير جعله يأتي بحركات تشمل جسمه كله وصفها القرآن وصفا كاشفا ساخرا ، قال الوليد : ان أقرب القول فيه أن تقولوا « ساحر » جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء

---

١ — الواغل : الهاجم على القوم في شرابهم ولم يدع .

٢ — مخطىء للمفاصل : بعيد عن الصواب .

٣ — زمزمة الكاهن : كلامه الخفي .

وزوجه ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه وقاموا لينفذوا خطته ، فجلسوا على أفواه الطرق للقادمين من كل صوب للموسم ، لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه ، وذكروا لهم أمره .

قال ابن اسحاق : « فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس ، وصدرت(١) العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها » . وهكذا كانت الضارة نافعة ، فخدم الدعوة خصومها ، وباء الوليد بسخط الله وغضبه . وقد ذكر القرآن الكريم ما حدث . قال تعالى :

« ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ . لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ »(٢) .

وهذه الآيات تصف الموقف كله ، وتضع موضع السخرية في فكره وحركة وجهه واقباله وادباره ، وقد بين الله عقابه الذي يستحقه ، وقد أشار القرآن الكريم الى أبنائه وأمواله وحياته الراغدة ، والمعلوم من تاريخه أنه كان يلقب بالوحيد وبريحانة قريش ، له ثراؤه الكبير من الذهب والفضة والبساتين والكروم والتجارة والعروض والخدم والجوارى والعبيد ، ويروى سفيان الثورى أنه كان يملك ألف ألف دينار ويروى ابن عباس أنه كان يملك من الفضة تسعة آلاف مثقال .

ولم يكن يرحل أبناؤه لطلب الرزق في التجارة كما تفعل قريش ، بل كانوا بجانبه ويقوم خدمهم بشئون التجارة وغيرها ومن ثم قال القرآن « **وبنين شهودا . ومهدت له تمهيدا** » وهؤلاء الأبناء قالوا : انهم عشرة وبعضهم قال ثلاثة عشر منهم بنتان ، وبعضهم جعل العدد سبعة ، والذين عرفوا منهم خمسة: الثلاثة الذين حضروا الوصية ، واثنان أحدهما يكنى به وهو عبد شمس ، والآخر (عمارة بن الوليد) وعمارة هذا هو الذى عرضته قريش على أبى طالب ليأخذه بدلا من ابن أخيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويسلم اليهم محمدا ــ عليه الصلاة والسلام ــ ليقتلوه . فقال لهم أبو طالب قولته الحكيمة : والله بئس ما تسوموننى : أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ هذا والله ما لا يكون أبدا ، وعمارة في نظر قريش يعادل محمدا في الجمال والفصاحة والأسرة وشتان بين الرجلين : محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ رحمة للعالمين ، وعمارة نكبة على أسرته وقومه: ذهب مع عمرو بن العاص الى الحبشة ليردا المهاجرين اليها ، فغازل امرأة عمرو في محضره، وغازل زوجة النجاشى ، ثم هرب الى الأدغال في حالة جنونية فقالوا انه من فعل السواحر .

أما الثلاثة الذين حضروا الوصية فقد

---

١ ــ صدرت : رجعت .
٢ ــ المدثر من الآية ١١

الوصية الجائرة

أسلموا بعد ذلك وحسن اسلامهم ، ومنهم سيف الله وبطل الاسلام خالد بن الوليد .

كانت قريش حين الوصية فى تجمل تخفى أحزانها لفقد أبطالها فى موقعة بدر . والأبناء لابد وقد دفنوا آباءهم أن ينفذوا وصيته ، والا لحق بهم العار — كما يعتقد الأب والأبناء .

من الوصية : « دمى فى خزاعة فلا تطلنه » ماذا حدث من خزاعة للوليد ؟ ان القرآن يقول مخاطبا الرسول :

« انا كفيناك المستهزئين ، الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون » ومن هؤلاء المستهزئين الوليد بن المغيرة ، فكيف كفى الله رسوله منه ؟ تقول كتب السيرة : ان الوليد مر على رجل من بنى كعب بن عمرو من خزاعة وهو يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش فى رجله خدشا وليس بشىء ، ومرت سنوات وقد شفى منه الوليد ولكن الله أنفذ وعيده فيه ، فأشار جبريل الى اثر الجرح فى رجله فانتقض به فكان هلاكه . ولكن أبناء الوليد طالبوا بالثأر ، وكان لبنى كعب من خزاعة حلف من بنى عبد المطلب بن هاشم فأبت عليهم خزاعة ما طالبوا به ، ودارت مناوشات كلامية بين المخزوميين وبين خزاعة . فقال عبد الله بن أبى امية المخزومى — وهو ابن أخى الوليد — :

انى زعيم أن تسيروا فتهربوا
وأن تتركوا الظهران(١) تعوى ثعالبه
وأن تتركوا ماء بجزعة اطرقا(٢)
وأن تسألوا اى الأراك اطايبه ؟
فانا أناس لا تطل(٣) دماؤنا
ولا يتعالى صاعدا من نحاربه

فأجابه الجون بن أبى الجون الخزاعى :

والله لا تؤتى الوليد ظلامة
ولما تروا يوما تزول كواكبه
ويصرع منكم مسمن بعد مسمن(٤)
وتفتح بعد الموت قسرا مشاربه
اذا ما أكلتم خبزكم وخزيركم(٥)
فكلكم باكى الوليد ونادبه

وعرف الناس أن مخزوما تخشى السبة ورأت خزاعة مجاملتهم فأعطتهم بعض الدية، وهدأت الثورة ، ولكن شاعر خزاعة جعل من الباطل حقا فافتخر بقتل الوليد وجعل صاحب النبل فاتكا ميمون النقيبة ، ولولا حلف بنى عبد المطلب من خزاعة لتغير الموقف .

والثانى من الوصية أو الثالث حسب الترتيب : « عقرى عند أبى أزيهر » وما عقره؟ كان أبو أزيهر قد زوجه بنتا ثم أمسكها عنه ، فلم يدخلها عليه حتى مات ، ولكن هشام بن الوليد عدا على أبى أزيهر وهو بسوق ذى المجاز فقتله بعقر أبيه ، وكان أبو سفيان

---

١ — الظهران واد قريب من مكة تسكنه خزاعة

٢ — الجزعة : ماانثنى من الوادى واطرقا موضع .
٣ — تطل : تهدر .
٤ — المسمن : الشريف .
٥ — الخزير : نوع من الحساء .

ابن حرب بن أمية عنده عاتكة بنت أبي أزيهر، وأزيهر رجل شريف من قبيلة « دوس » ومعنى هذا أن بني امية لا يقبلون ان يقتل ازيهر لأمر لا يستحق القتل ، فخرج يزيد بن أبي سفيان فجمع بني عبد مناف (أبقة وهاشما ونوفلا والمطلب) للقتال والتصدي لبني مخزوم وأبو سفيان بذى الحجاز ، فقال الناس : أخفر أبو سفيان في صهره فهو ثائر له ، وسمع أبو سفيان بأن ابنه سيقاتل بني مخزوم وكان يحب قومه حبا شديدا ولاسيما وهو في نكبة بدر ويعد نفسه لحرب المسلمين فأسرع الى مكة وخشى أن يكون قد حدث في أبي أزيهر مايفرق بين بطون قريش فبلغ ابنه وهو في الحديد بين بني عبد مناف والمطيبين ، فأخذ الرمح من يده، ثم ضرب به على رأسه ضربة هده منها . ثم قال له : قبحك الله ، أتريد أن تضرب قريشا بعضهم ببعض في رجل من دوس ، سنؤتيهم العقل ان قبلوه ، وأطفأ ذلك الأمر .

وانتهز حسان بن ثابت الفرصة فأرسلها نارا على أبي سفيان يجبنه ويحرض على أخذ الثأر لأبي أزيهر فقال :

غدا اهل ضوجى ذى الحجاز كليهما
وجاء ابن حرب بالمغمس ما يغدو(١)

فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال : يريد حسان أن يضرب بعضنا ببعض في رجل من دوس ، بئس والله ما ظن .

وحاولت دوس أن تأخذ ثأرها من قريش ، وحدث أن الشاعر ضرار بن الخطاب الفهري خرج في نفر من قريش الى أرض دوس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس، فأرادت دوس قتلهم بأبي أزيهر ، فقامت دونهم أم غيلان ونسوة معها حتى منعتهم ، فقال ضرار بن الخطاب في ذلك :

جزى الله عنا أم غيلان صالحا
ونسوتها اذ هن شعث عواطل
فهن دفعن الموت بعد اقترابه
وقد برزت للثائرين المقاتل

ويختلف الرواة في التي حمت ضرارا من القتل ، أهي أم غيلان أم أم جميل ؟ قال ابن هشام : ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه .

وحين كان عمر بن الخطاب خليفة أتته أم جميل وهي ترى أن ضرار أخو عمر ، فلما انتسبت له عرف القصة ـ والقصة كانت في الجاهلية ـ فقال لها : انى لست بأخيه الا في الاسلام ، وقد عرفت منتك عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سبيل . وهكذا انتهت الوصية في أبي أزيهر .

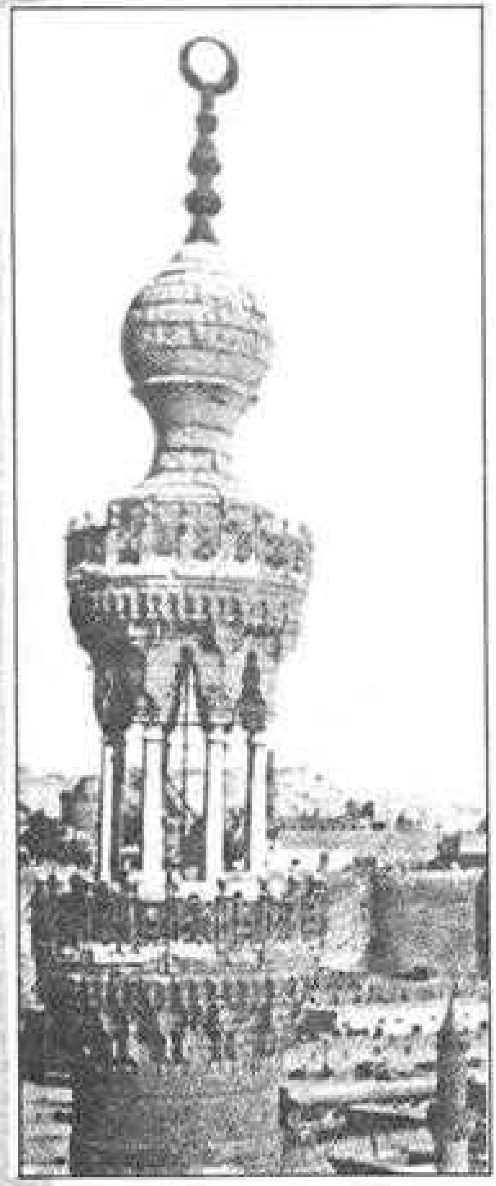
فأما الوصية في ربا الوليد فقد قال ابن هشام :

لما أسلم أهل الطائف كلم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالد بن الوليد في ربا الوليد الذي كان في ثقيف ، لما كان أبوه أوصاه به ، فلم يتفق الرسول ـ صلوات الله

---

(١) ضوجى ما انعطف من الوادي والمغمس موضع بطريق الطائف .

الوصية الجائرة



وسلامه عليه ـ تلك الوصية ، قال ابن اسحاق: ذكر لى بعض أهل العلم : أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقى من الربا بأيدى الناس نزلن فى ذلك من طلب خالد الربا : قال تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » (1).

وفى تفسير الكشاف للزمخرى وفى تفسير القرآن العظيم لابن كثير انها نزلت فى ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا . وارى أن ما جاء بكتب السيرة فى هذا الشأن اولى بالرواية ، لأن الأمر راجع الى وصية الوليد ، وقد جرت لها أحداث فى جوانبها الثلاثة ، ولأن الوليد كانت له اموال يتعامل فيها بالربا على طريقة المصارف فى العصر الحديث ، وبتحريم الربا انتهى عهد الجاهلية ، كما انتهى ابناء الوليد من عقابيل وصية ابيهم الجائرة .

السيد حسن قرون

---

١ ـ البقرة ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

من أعلام الأزهر

الشيخ مصطفى مجاهد عبد الرحمن العشرى



للدكتور علي الخطيب

فقيه شافعي عرف نفسه – عن تَصَفُّحٍ – فعرف قدره ، وادرك واجبه – عن وعي – فالتزم أمانته ، واعطى العلم – عن صدق – فآتى ثمره .

عالم صحب العلم بفكر بصير ، وتحصيل مستمر ، ووعي عميق . تسره « فريضة » العلم من حب وإخلاص وأمانة وبذل وحماس، فرضي بكل ذلك يوسعى إلى العلم بحثه وعرف العِلْمُ فيه هذا الرضا والوفاء فأقبل عليه ، والتزما حتى تبادلا السخاء .

أعطى العلم عقله ووعيه بكل قوة في صحته، واستمر في العطاء حتى بعد أن عسعس الليل إلى ما تبقى من نور عينيه ، فلم يُبْقِ منهما الا قَبَسًا من بصيص يستطيع « التوقيع » به ، فاستعاض عنهما بأهله وتلاميذه ، ولم يتوقف، وقد أعانه ربه – سبحانه – ببصيرة علوية السمات ألقت الرضا بالقضاء في نفسه ، وأنزلت سكينة « حمد الله » في قلبه ، فكان بها سعادته في تحصيل هذا العلم الشريف .

وسخا له العلم والناس ، وأعطاه في غير قصد ، وَنَحَلَهُ في غير مَنّ ، فتفتقت له كنوزه

الشيخ مصطفى مجاهد عبد الرحمن العشري

فعب من روافده ، ونهل من منابعه .

ولم يكن العقل والوعي كل ما قدم للعلم ، فكان له من حر ماله مكتبتان عامرتان جمعهما بحذق ومهارة ودقة ودراية :

احداهما بالقاهرة ، والأخرى بالاسكندرية فكان منزله بكلتا المدينتين لا ينقصه أن يقدم للشيخ زاده في الدين واللغة والأدب وما برز الشيخ فيه من فقه وأصول .

وعنيت أسرة الشيخ ـ رحمه الله ـ بقراثه فأفردت له مبنى خاصا بمنزله في القاهرة ، وقامت تصونه حفظا وعناية .

.. .. ..

كان اسلامه وأزهريته هما الإطار الذي يحدد شخصيته ، ويبسط منها العطاء ، بل إن كلتا السمتين تستمد من الأخرى ، ثم تعود وَتَرْفِدُهَا ، فكانت أزهريته من اسلامه ، وإسلامه من أزهريته :

فهذا الدين العظيم دفع بوالده أن يهبه للأزهر(١) فسلك فيه سبيله ، وَصَعَّدَ فيه حتى أعلى قمة في تخصصه ، وأرقى درجة في سلكه الجامعي(٢) ، فكان أول من رأس قسم «الفقه المقارن» بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر(٣) .

وهكذا كانت أزهريته دفعة من إسلامه .

وامتاز إسلامُهُ بأزهريته :

فإن الأزهر ـ وكذلك شاء الله الحكيم ـ أن يكون ، وأن يظل ـ النبع الوحيد لعلوم هذا الدين ، وما عِلْمٌ منها إلا هو جدول من هذا النبع يفيض بإشراقة خاصة من الإسلام لا تستبين إلا منه ، ولا تَجْتَنِي ثمارها الا من غرسه ، فمدت أزهريته علوم الإسلام في نفسه حتى ملأت عليه حياته ، فصار حبه للأزهر إيمانا منه بالاسلام .

ولقد كان هذا الحب عنيفا على عمق وجلال، وعنف هذا الحب وعمقه يفسران لنا صدق شيخنا وشدته ـ رحمه الله ـ على من تناول الأزهر بغير فهم ولا مبالاة ولا انصاف .

.. .. ..

وإسلامه وأزهريته شكلا وطنيته :

فكان من « الدين » حُبُّ مصر ، وكل أرض إسلامية ، وكان من « الأمانة » حفظه مصر وكل

---

(١) بشر والده بولادته ببلدته فارسكور يوم ٥ من يناير ١٩٠٥م . وكان يقرأ ـ مع صحبة له ـ في سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ، فسماه مصطفى تيمنا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وعمل على تحفيظه لكتاب الله العزيز .

(٢) نال « العالمية النظامية » عام ٢٩/١٩٣٠ ، ثم « التخصص القديم » (الدكتوراه) عام ٣٣/١٩٣٤ م ثم عمل :

(أ) اماما وخطيبا بمسجد الخواجه عثمان بالاسكندرية من ديسمبر ١٩٣٥ ـ الى اكتوبر ١٩٣٧ م .

(ب) ثم مدرسا بالقسم العام بالجامع الازهر في ١٤ من اكتوبر ١٩٣٧ . فكانت فرحته بهذا العمل شديدة لأنه رأى نفسه يدرس في ذات المعهد العتيق ، وهناه والده وتنبأ له بمستقبل عظيم .

(و) ثم نقل الى معهد شبين الكوم في ٢٥ من الشهر نفسه واستمر يعمل حتى السادس من نوفمبر ١٩٣٨ .

(ء) وفي السابع من نوفمبر ١٩٣٨ م تسلم عمله مدرسا بمعهد الاسكندرية فعمل به عشر سنوات .

(هـ) باشر ـ بعدها العمل بكلية الشريعة في ١٨ من اكتوبر ١٩٤٨ .. ثم توالت ترقياته .

(٣) رأس هذا القسم في ١٨ من سبتمبر ١٩٦٥ .

أرض إسلامية ، وما من شك في أن هذا « العمق » للوطنية في أوج جوهرها إنما هو من غرس الأزهر في كل نفس سعدت بالتربية في كنفه ، وبالتعلم في معاهده ، فكانت مصر — لديه — مثل أي بلد إسلامي لا تصلح إلا بهذا الدين ، فكانت وطنيته — رحمه الله — من « دينه » والإخلاص لها من أمر ربه — عز وجل .

ووطنية الشيخ على هذا المدى النفسي والمادي متسقة مع « قوميته » وما قوميته إلا قومية هذا الدين ...قومية أوعب من الجنس، وأطهر من أن تنتمي إلى شرق أو غرب ، أو تتسلق باسم « الدين » أهدافا ذاتية ليس لها من سموه نصيب ، فعاش لا ينتمي إلى جماعة تنفرد بشعار ، ولا يرضى أن يكون « سورا » من أبواقها .

وعلى هذا الوضع امتدت وطنيته واطردت، وزادتها معاصرته للاستعمار — نحوا من نصف قرن حدة ، تركت سماتها في نفسه ، فكان لوطنيته حذر وحساسية وقصد شجيع في طرح الثقة بكل من لاذ بالاستعمار بسبب ، هذا الاستعمار الذي اتخذ من « الملقي » مدرسة لتقليم صلابة الوطنية وبث « المرونة » مكانها، ومن العجيب أن اقرأ مصداق رأي الشيخ هذا فيما كتبه مؤرخ مصر عبد الرحمن الرافعي — رحمه الله ورحم شيخنا —(١) .

ولهذا كم كان يؤلمه أن يرى أزهريا «وفديا» أو «سعديا» أو « دستوريا » أو عضوا في جماعة ...

(١) راجع مذكرات هدى هانم شعراوي الصادرة عن دار الهلال .



لماذا يكون هذا ؟!!

ألم يغنه الإسلام ثم الأزهر عن هذا الوضع ؟!

وهل العمل للإسلام لا يكون إلا من خلال جماعة أو شخص ..؟!

وإذا كان لابد من ذلك فليكن باسم « الأزهر » قلب الإسلام .

أليس هو ميداننا ..؟

ماذا يطلب « عالم » من هذا الوضع ..؟!

بل صرح — رحمه الله — بالرضا عن رجال الأزهر الذين تجنبوا هذه الحالات لينجو الأزهر من شرها .

.. .. ..

وله — من أزهريته — فقهه :

وقد كان — رحمه الله — شافعيا قد أوعب مذهبه ودرس « أصوله » ثم امتدت دراسته إلى غير مذهب الشافعي — رضي الله عنه ، فخرج إليه بمقارنة تستهدف الأقوم الأثبت على حرص والتزام ، فقد كان — رحمه الله — محافظا شديد المحافظة على أمانة وفهم في غير صخب أو خيلاء .

وشدة محافظته أطلقته إلى غوص أكثر ، فكان « تجويده » وثيق الصلة بالقديم وأصوله غير متمرد عليها ، ومن هنا تميزت فيه « المحافظة » عن « الجمود » فليس الجمود

من أعلام الأزهر

إلا توقفا عند قدر محدود لا استيعاب بعده ، فلا يملك صاحبه العطاء إلا من خلال ما تقوقع عليه ، أو يرضى لنفسه أن يمرق — والعياذ بالله — متخليا عن « الأصول » .

فأما المحافظة — في الشيخ رحمه الله — فكانت على تجديد لا يريب .

وهل كان الصعود إلى الكواكب تخليا عن قواعد الطبيعة ...؟!

ألم يكن انطلاقا منها ومحافظة عليها ...؟ ولكن ... على أيدى علماء راسخي العلم يعلمون مَأْتَى القديم ، وفيض عطائه .

.. .. ..

ثم تأتى — من بعد — صفات أُخَرُ للشيخ — رحمه الله — تتسق إلى جانب إسلامه وأزهريته ... صفات العالم المسلم ...

لمسناها في الشيخ : رفعة في غير كبر ، ومروءة في غير ملق ، وصبر في غير أذى ، وكرم على طبع يشح بعزة المؤمن أن تذل لغير الله ، فلم يسهم في ريبة ، أو يداهن في معصية .

ولسنا نعلم أنه طرق بابا لمن يرأسه إلا مطلوبا ، فإن لم يكن فقد استقر بمقام عزيز — رحمه الله — .

ثم كان — رحمه الله — ساخرا بطبعه ، يسعفه « التعليق الخاطف » الذى اشتهر به ، وكان تعليقا يصاغ تلقائيا في (تَوْرِيَةٍ) أو عاريا منها ، وكثيرا ما كانت لاذعة قد تنتزع منا الضحك في غير احتشام حين تفجؤنا فلا تملك خيالها استمساكا بينما هو — على ما هو عليه — من سمت ووقار ، وما كان يزيد إعجابه بالشيء عن قوله : الله ... الله .

.. .. ..

وكان له — رحمه الله — صفة تندر في غيره ، وما وجدتها فيمن عاصرت إلا فيه .. كانت « المفاجأة » وما يلزمها من « دهشة » وما تطلق من « حيرة » وتقبض من « فكر » لا تكاد تمر به ، ولم أدرك تحليلا لهذه الظاهرة الا بعد سنين عديدة من صحبته .

ربما وقع الحدث فاثر في الملايين ، وفاجأهم على غرة فاعقب سعادة أو مرارة ، بينما شيخنا — رحمه الله — ثابت لا يتوقع غير ما حدث ، ولست أشك في أن «الايمان بما له من البصيرة» يحال هذه الظاهرة في شيخنا — رحمه الله — كان حسابه لمقدمات الأحداث جامعا .

والمامه بما يحيط بها شاملا .

وتفريقه بين واقعها وما يطلق حولها دقيقا .

ثم إيمانه باطراد سنن الله الكونية موجودا .

فمن أين تأتى المفاجأة ، أو تَصَّاعد دهشتها على وجهه ، أو تلزمه الحيرة وعجز الفكر .

انما تكون المفاجأة أو لا تكون بمقدار ما في النفس من حساب وإلمام وتفريق وإيمان .

فمن ثقلت موازينه منها خفت مفاجآته أو عدمت .

ومن خفت موازينه منها ثقلت مفاجآته أو أذهلت .

واذا لم تكن مفاجأة ، ولا دهشة ، ولم تكن حيرة وانقباض فكر ، فانما لدى الشيخ — رحمه الله — بشر مقدم ، أو حزن مسبق نتيجة حساباته — رحمة الله عليه .

ولكن الحق يقال : إن حسابات الشيخ

— على اضطرادها — ادركها الخطأ مرتين أو ثلاثة فيما أعلم ، ولقد رأيته وسمعته على أبى — بآخرة من حياته — من نقده الامام الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج — رحمه الله ورحم شيخنا — ، ولعل فضيلة الشيخ تاج نزه من الشيخ حينها منزلة الامام الأكبر الشيخ مأمون الشناوى الذى كان له — رحمه الله — فى قلب شيخنا منزلة كريمة لعمله الصامت الجليل من أجل الأزهر وعامة المسلمين .

وربما كان الأسى قد لازم شيخنا أيضا من عمل بعض تلاميذه ، ويرحم الله الجميع . وحسب الشيخ أن تطيح حساباته فى أحداث معدودة ، فما كان — وهو على هذا الخلق — ليمر سليما معافى من بين فرث المجتمع وعمله والله ولى الصابرين .

وللشيخ — رحمه الله عطاء العلمى :

وقد أعطى العلم من حَضَرَهُ ، أو شاركه من عالم أو تلميذ ، وتلاميذه من جلس بين يديه من أبناء الأزهر على اختلاف جنسياتهم ، أو من غيرهم ممن لجأ إليه مستفتيا فى مسجد أو طريق أو سعى الى منزله ، أو صحيفة رأى الشيخ وقتها أنها مستقلة النهج على غير انتماء .

كُلّ ذلك أعطى لوجه الله ، وبمشيئته وحده ، فما تناول أجرا ، ولا ألمع بمشقة تستمطر أجرا .. عف منه الضمير والكيان فكان الغرس طيبا والعطاء مثمرا .

حضره مرة شهر رمضان ببلدته ، والتقى ثمة بكوكبة من إخوانه العلماء ، ففطن الى ما يخلو — فى رمضان — من سهر وسمر ، وخشى أن يمر الشهر المبارك على ذلك، فاقترح



عليهم أن يقرءوا كل أمسية جزءا من تفسير الامام النسفى — رضى الله عنه — فما انقضى رمضان حتى أتم العلماء قراءة هذا السفر الجليل .

كان مجلسه يكثر — اذ يكثر صباحا — بمكتبة كلية الشريعة قبل الدرس أو بعده ، ومساء بمنزله بالقلعة ، ثم بمصر الجديدة ، وهو مجلس لا يخلو من عالم او طالب علم ، فإذا تُلِيَ كتابٌ أو فصل من كتاب دار حول القارىء منا عديد من كتب تلاحق النص المقروء حتى تنتهى القراءة ، وما فيها شىء ند عن ذهن أو ثقل على إدراك .

فاذا أشرفت السنة على النهاية ، وآذن الوقت باختبار « التعيين » وهو اختبار لا تتعدى مادته أسطرا معدودة تحوى نصا لأحد المراجع الأمهات ، يدور فيه وحوله اختبار شفهى يتناوله من كل جوانبه التى تخطر على البال ... اختبار كالحديث ... والحديث ذو شجون على الطالب أن يكون مستعدا فيه لكل ما له حساب ... وما لا حساب له ... عندئذ يستعد الشيخ — رحمه الله — فيلزم منزله ، ويمنح أهله اجازة مبكرة يقضونها بين ذويهم ، أو فى الاسكندرية ، وكانت له حينئذ عبارة ضاحكة ، اذ يقول — عن نفسه : لقد نلت استقلالا ذاتيا .

ويتوافد الطلبة إلى داره ، وعليهم أن يعدوا أنفسهم فى وحدات : بعضها يلتزم

الشيخ مصطفى مجاهد عبد الرحمن العشرى

بإعداد الطعام وادارة شئونه على نفقة الشيخ، والبعض يقرأ ويسمع شرح الشيخ واعتراضاته واجاباته ... والبعض عليه أن يصحب من حان وقت اختياره الى الكلية على مرح ، وهذا شرط الشيخ ، حتى تكون نفسية الطالب على خير حالها تـوكلا على المولى ـ عز وجل ـ وغبطة بالأمل فيه .

ويظل المنزل على ذلك من الصباح الباكر الى وقت متأخر من المساء .

وقد يلم به المرض فيستمر فى العطاء ، بل يرى فيه الشفاء ، وأجره ـ فى ذلك كله ـ على المولى ـ عز وجل .

والكتاب عنده ـ على قيمة مختارة نتيجة فحص وخبرة ينتهيان ببيان لما تميز به الكتاب، ولست أذكر عنه حكما عاما على مرجع حتى ما اشتهر منه على ألسنة الناس ، ومن هنا انتفعنا منه بالاهتمام بتفسير الامام الخازن ـ رضى الله عنه ـ ولم ننزع الى تركه ، أو الغض منه ـ حاشا لله ، فان فيه معالم نفيسة لا ندركها ـ وبخاصة فى عصرنا الحديث ـ اذا ذهبنا نلتمسها فى غيره .

وأثمر تحذيره لنا ممن يغلو فى الحكم على الحديث الشريف ، فكان يقول : فلان ـ وهو من علماء القرن الثالث عشر يمسك بموسى لحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك يعنى الا نعتبر مرجعه الضخم قولا فصلا فى الحكم على حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، أو آثار الصدر الأول من سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد دفعته مادة كتاب نادرة فى تاريخ الحرمين ، وما اتصل بهما فى مطلع هذا القرن الى نَسْخِهِ وقد وفق الله وَنُسِخَ له .

وكذلك حرص ـ رحمه الله ـ على أن يحوز تفسير القرطبى من طبعة دار الكتب المصرية ، واستطاع ـ بتوفيق من الله ـ أن يحوز الكتاب عدا الجزء الثالث عشر منه ، فطلب الى تلاميذه :

الأستاذ الشيخ محمد النادى البدرى ، والشيخ سعيد أحمد ادريس ، « وثالث » أن ينسخوا له صورة « طبق الأصل » من الطبعة النافدة : سطورا بداية ونهاية ، وأرقاما ، وحواشى مع الدقة وسلامة الخط وحسنه ، وأنجز الاخوة العمل ... ثم ظهرت النسخة المطبوعة مرة أخرى فاشتراها ، وعبثا حاول الاخوة أن يستردوا الجزء الذى نسخوه ، فقد كان استمساكه به أقوى ، وحرصه عليه أوفر لما فيه من رمز جليل لوفاء نبيل .

ويتمثل عطاؤه العلمى ـ من بعد تلاميذه ـ فيما كتبه فى السبعينيات والثمانينيات الهجرية ـ فى الاعتصام بأبواب ثابتة ، وأخرى تناولت شئونا مختلفة .

ومقالاته ـ ذات الشئون المختلفة ـ أسبق فى تحريرها من ذات الأبواب الثابتة ، إذ بدأ كتابتها فى رمضان من عام ١٣٧٢ هـ ـ مايو ١٩٥٣ .

وعنى فى كتاباته الأولى بالدولة والشورى ، ومنها جمع كتابه « من سجل الخالدين » الذى حظى بتقدير رجال الحكم ، وتلقى عنه كتاب



شكر وتقدير من « الصاغ أركان حرب كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة » فى ٦/٩/١٩٥٣ م . ونشر نصه بعدد الاعتصام غرة ربيع الآخر ١٣٧٣ ــ ديسمبر ١٩٥٣ .

وفى هذا اللـــون كتب عن « الوالدين » ــ « رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » وكانت كلمة طيبة حارة ذات رصيد مفعم بالحب والاجلال فقد كانت تأبينا لوالدته ــ رحمها الله .

والأبواب الثابتة التى تناول الكتابة خلالها ثلاثة :

« من فم الوحى » ومقالاته ــ فى هذا الباب ــ شرح لأحاديث نبوية شريفة بدأها بقوله ــ عليه الصلاة والسلام :«أربع من كن فيه كان منافقا خالصا».. الحديث ، وعنْوَنَ له بـ « علامة المنافق » ونشر بغرة ربيع الآخر ١٣٧٣ هـ ــ ديسمبر ١٩٥٣ .

و « دروس من السماء » وأخلص مادته فيه لتفسير آيات من الكتاب العزيز بدأها بقولـــه تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ .. ﴾ الآية ونشرها فى ذى الحجة من عام ١٣٧٣ هـ أغسطس ١٩٥٤ م .

و « لمحات إسلامية » بدأها فى ربيع الأول من عام ١٣٧٤ هـ ــ نوفمبر ١٩٥٤ وافتتحهـــا بمقاله : « المؤتمر الإسلامى والأزهر » .

وفى عام ١٣٧٩ هـ ــ ١٩٥٩ م أصدر كتابه « فى الفقه المقارن » وأهداه : إلى كل مخلص أمين من أهل العلم .

وإلى أرواح الأئمة المجتهدين الذين حملوا فقه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .. ثم إلى أرواح من مضى من علماء المسلمين .. فوالده .. فإخوانه المخلصين .

وعرض فى هذا الكتاب لتسعة مباحث فقهية ذكر منهجه إزاءها فى مقدمته : فقال : « هذه بحوث فقهية تحريت فيها صحة النقل عن الأئمة المجتهدين ، والتزمت فيها بما أيـــده الدليل الواضح ونصرته الحجة الدامغة » .

وفى ضوء هذا المنهج تناول المسائل الآتية :

(ا) انتفاع المرتهن بالمرهون .
(ب) من تثبت له الشفعة .
(ج) النكاح بعبارة النساء .
(د) إجبار البكر البالغة على التزوج .
(هـ) حكم الاشهار فى النكاح .
(و) الشرط فى عقد النكاح .
(ز) نكاح المتعة .
(ح) نكاح المحلل .
(ط) نكاح أصول المزنى بها وفروعها .

ويعتبر هذا السفر عمدة فى البحوث الحديثة التى تناولت المسائل الفقهية بدراسة مقارنة بين المذاهب ، ومرجعا فريدا لطلاب الدراسات العليا فى بابه .

ومع أن الشيخ ــ رحمه الله ــ أحد أساطين « الفقه المقارن » فى العصر الحديث ، وأول من تولى رياسة قسمه ــ بكلية الشريعة إلا أنه نفض يديه من « التقريب » بين أهل السنة وغيرهم .

ثم ما كان يغيب عنه تيار الفكر فى قومه .

أقرانى ــ على أيام ــ «فن الأدب» لكاتب مسرحى ، ذكر فى أوائل فصوله أنه يعالج قضاياه على أساس أنه «شرقى مسلم» ولعل

الشيخ أعجب ببعض ... الكتاب ، وربما مات راجيا أن يستمر هذا الأديب على الصالح من مادته حين كان من الممكن أن تحاور « النية الحسنة » فتكون دفاعا عن هذا الأديب فى بعض قوله قبل أن تهب عليه رياح «المانسونية» فتمتزج ــ فى شغف ــ برغبته فى أن يكون فيلسوفا فينتهى الى معادلة عقيمة وفكر سقيم .

ونهجه ــ رحمه الله ــ فى تحليل الشخصيات عين نهجه فى تقييم الكتاب ، فكان للشخصية عنده جوانب عدة ، لكل جانب منها حُكْمُهُ .

وهذا شىء مما علق بذهنى من عباراته :

احمد حسن الزيات ثروة قومية .

د/ محمد البهى عبقرية فَذّة فى «العقيدة» .

د/ طه حسين على وفاء لشيخه عبد المطلب

الشرشيمى يزوره فى « القبة الفداوية » ويقبل

يــــده .

ابن حزم ــ رضى الله عنه ــ أديب أكثر منه

فقيــه .

وصداقته ــ رحمه الله ــ وفاء بلا حدود ، يعليها طابع نقى واقتناع وافر :

ويعتبر الدكتور محمود حَبّ الله ــ رحمه الله ــ أعز الناس على نفسه ، وأقربهم الى قلبه .. تحابا فى الله .. اجتمعا عليه .. وافترقا عليه .. جمع بينهما ــ بعد الايمان بالله والوفاء لدينه ــ إحساس عريض بأوضاع المسلمين فى أنحاء العالم ، والإسهام ــ قدر الطاقة ــ فى خدمتهم .

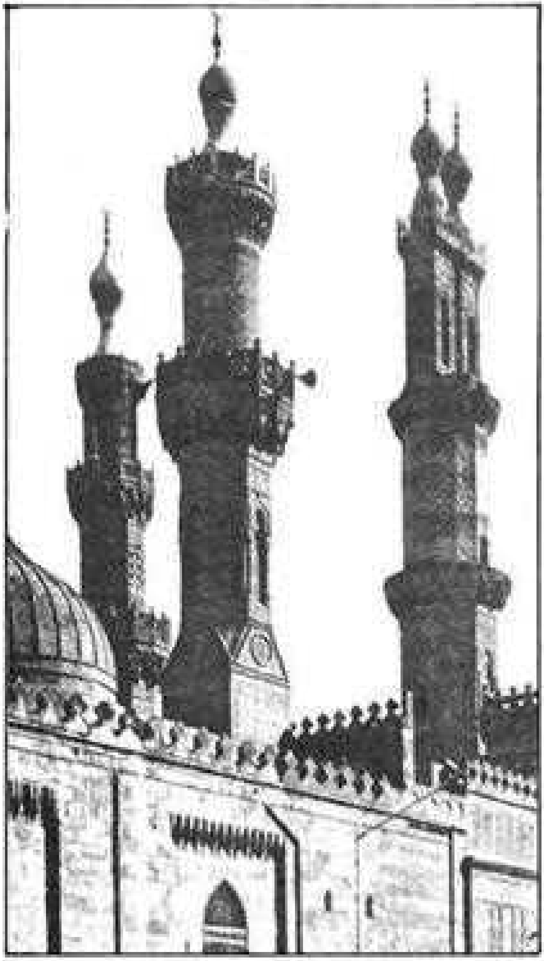
ولقد كان « مجمع البحوث الاسلامية » ــ بحكم قانون انشائه ، وطابعه ــ ميدانا طيبا

لهذا الاسهام ، فهو الامتداد الطبيعى لهيئة كبار العلماء ، وهو الذى نيط به بحث أمور المسلمين وأحوالهم وما يطرأ على مجتمعاتهم فى العصر الحديث ، وكان الدكتور محمود حب الله اول « أمين عام » لهذا المجمع ، فوقف الشيخ إلى جوار زميله وصديقه جنديا مجهولا فى تكوين هذا المجتمع ، وترك به آثارا راسخة ــ إلى يومنا هذا ــ إعدادا وتكوينا وتوجيها :

فأغلب الجهاز العامل بهذا المجمع ــ عند انشائه ــ كان من اختيار الشيخ ، فتكونت أروقته بطاقات ممتازة رباها الشيخ ومرّسها ،

فقامت بالعمل دون أن تنوء بمشقته ، وتسامت به فوق واجبه ، فأعطت ــ بإحسان ــ شرف به هذا المجمع . والشيخ ــ من وراء ذلك كله ــ

يوجه لهؤلاء الأبناء النصيحة حتى صار الإحساس بالإحسان شعورا طبيعيا فى نفوس الزملاء فبذلوا عن رضا ، وأعطوا بسخاء .



ثم مضى الشيخ ـ قبل أن يتقاعد (١) ـ الى الحجاز ـ اقتنع بالذهاب لأمر قدره الله •• كانت الخاتمة بانتظاره ••

ولم يكن رفضه للعمل خارج مصر ـ من قبل ذلك ـ ليمر دون أسف صادق ، واحتجاج شديد أمين عليه لهذا الرفض من أخلص أصدقائه المقربين إليه ، وفى مقدمتهم الدكتور محمود حب الله ـ رحمه الله ••

وشاء الله أن يقبل فضيلة الدكتور أمين المصرى الذى أوفدته جامعة أم القرى بكل شروط الشيخ ••

فذهب ••

ذهب ليساعد فى إنشاء قسم الدراسات العليا بأم القرى (٢) •

وأقام عاما بالجوار المبارك •• ثم زار القاهرة والإسكندرية صيفا •• وفى العام التالى (٣) أصر على النزول بالمدينة المنورة فى الإجازة الصيفية •• فمضى اليها •• ومضى القضاء إليه فيها ••

وتلقى كل منا رسالة بعث بها اليه •• كانت الأخيرة •• ثم اشتد به المرض ••

وفى جوار المصطفى الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسلم الشيخ مصطفى وديعة خالقه ـ عز وجل ـ ولحق بالرفيق الأعلى فجر الخميس ٢٨ من ربيع الآخر ١٣٩٠ هـ ـ ٢/٧/١٩٧٠ وثوى جسمانه بالبقيع ••

وربما سرى الخبر الى القاهرة متهاديا •• لكن استقباله كان عاصفا ••

كان احساسا بالكنز المفقود فى هذا الفقيه النادر ، والانسان العظيم •

---

(١) أحيل الى التقاعد ـ رحمه الله ـ فى ٥ ـ ١ ـ ١٩٧٠ عن خمس وستين سنة عملها فى الأزهر الشريف •

(٢) سافر للعمل بهذه الجامعة ـ بمكة المكرمة فى ٢٦ أكتوبر ١٩٦٨ م واستمر حتى وفاته رحمه الله

(٣) كان سفره الى مكة فى هذا العام فى ١١ من سبتمبر ١٩٦٩ •

من أعلام الأزهر



رحم الله شيخنا .. واجزل مثوبته .. وجزاه عنا وعن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

وكان لفقده أثره فى نفس الشيخ محمد توفيق النحاس مراقب البحوث والثقافة الاسلامية بالأزهر ، فقال – رحمه الله :

حالفتك المنى فنادتك طيبه   وانتهى الشوط فى البلاد الحبيبة

وجرى الشوق بالمحبين حتى   جاور الوافد المحب حبيبه

مصطفى : قد دعاك للقرب منه   مصطفى مجتبى فكنت مجيبه

وعبرت الدنيا مجاهد صدق   لتكون العقبى مهاجر طيبه

كل قلب بكاك يغبط مثوا   ك ، وإن مد فى نواك نحيبه

صرت فى جنة النعيم وصيّر   ت قلوبا تصلى عذاب المصيبة

الحجاز الذى ينقب عن كنـ   ـز المنى كنت حظه ونصيبه

فرأى فيك ما رأى فى رعيـ   ـل السلف الثبت من صفاء النقيبة

ينقل الأزهر الشريف إلى من   يتلقاه بالصدور الرحيبة

ينقل العلم وهو دين تؤديـ   ـه فتحيى حكيمه وأريبه

المعانى البعيدة الغوص طاعت   لك غورا إلى معان قريبة

واذا المعضلات لم تلق حلا   فاض من علمك الحلول العجيبة

واذا شكا من الريب شاك   كنت هيا حكيمة وطبيبه

فى « دروس من السماء » يطوعـ   ـن شباب الجيل العصى وشيبه

واذا الباطل استقر غرورا   كنت للحق بزعة ورقيبه

دائب الدرس راضى النفس مهما   ساورتك المعوقات العصيبة

كنت فى مصر للشريعة نجما   سار حتى كان الحجاز مغيبه

د . ع . خ

■ رؤية الهلال

■ الصيام وشريعة الإسلام

التشريع

■ الصيام والعقيام

■ ليست التخمة من هدى الإسلام

رؤية الهلال

روى أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصارى قالا : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة .

هنا نزل قوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ »(١) فالتساؤل وقع عن حقيقة فلكية تتعلق بالقمر ، فجاء الجواب على أسلوب الحكيم بأن أرشدهم الى حكمة ذلك ، وهى أن الأهلة معالم يعرف الناس بها معاملاتهم وفرائض دينهم فى التوقيت . ؟

وقد ارتبطت بالهلال أركان الدين الأساسية فالحج أشهر معلومات هى شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة ، والصيام فى شهر رمضان ، والزكاة تجب بانقضاء الحول ، كما ارتبطت بالهلال الأشهر الحرم التى جعلها الله دينا قيما وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب .. قال الله سبحانه :

« إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ » (٢) وتعلقت بالهلال أحكام فقهية كثيرة مثل عدة النساء فى الطلاق والوفاة ، تلك الفترة الزمنية التى يتحتم أن تقضيها المرأة قبل الاقتران بزوج آخر .. قال الله جل شأنه : « وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ » (٣) ، وقال عز اسمه : « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » (٤) .

وهكذا كان للهلال ارتباط وثيق بحياة المسلمين ، ولذا فمن السنة أن يقول المسلم عند رؤية الهلال :

الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ، ربى وربك الله .

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٩

(٢) التوبة آية ٣٦

(٣) سورة الطلاق آية ٤

(٤) سورة البقرة آية ٢٣٤

دكتور محمد سيد أحمد المسير

والشهر القمرى لا يزيد عن ثلاثين ليلة ولا ينقص عن تسع وعشرين ، وفي الصحيح أن ابن عمر رضى الله عنهما حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : انا أمــة أمية لا نكتب ولا نحسب ، والشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الابهام في الثالثة ، والشهر هكذا وهكذا وهكذا يعنى تمام الثلاثين .

ومعنى « هكذا » الاشارة بأصابعه العشرة .

والمقصود بقوله « انا أمة أمية » أن العرب في ذلك الوقت لم يكن لهم كبير عناية بالعلوم والمعارف .

وذات يوم أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يدخل على أزواجه شهرا ، قالت عائشة رضى الله عنها — لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله انك أقسمت ألا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال : ان الشهر تسع وعشرون » .

أى أن هذا الشهر الذى وقعت فيه تلك الحادثة كان تسعا وعشرين ليلة .

وعلى هذا فان المسلمين مطالبون شرعا باستطلاع الهلال عقب تسع وعشرين ليلة من كل شهر قمرى فان شهدوا الهلال كان ذلك بدءا للشهر التالى والا أتموا الشهر الذى هم فيه ثلاثين يوما .

وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان أغمى عليكم فاقدروا له » .

ومعنى « أغمى » أو « غم » أو « عمى » أو « غبى » كما في روايات أخرى — أى حال بينكم وبين رؤيته غيم .

وقد اختلف العلماء في معنى فاقدروا له » :

فقالت طائفة من العلماء معناه ضيقوا له وقدروه تحت السحاب ، وممن قال بهذا أحمد بن حنبل وغيره ممن يجوز صوم يوم ليلة الغيم عن رمضان .

وقال جماعة منهم ابن قتيبة معناه قدروه بحساب المنازل والفلك .

وذهب مالك وأبو حنيفة والشافعى وجمهور السلف والخلف الى أن معناه قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما ، واحتج الجمهور بالروايات الأخرى الصحيحة التى تقول « فأكملوا العدة ثلاثين » .

وليكن معلوما أن هذا الاختلاف كله انما هو في ليلة الغيم والسحب ، أما حيث يكون الجو مكشوفا وصحوا ثم لم ير الهلال فيجب اكمال العدة ثلاثين يوما .

بقيت قضية مثارة وهى هل لكل بلد رؤيته أو أنه اذا ثبت الهلال في بلد ثبت حكمه لما بعد من البلاد ؟ !

رؤية الهلال

وليس فى القضية نص صريح ، وكل ما ورد فى الصحيح أن أم الفضل بنت الحارث بعثت كريبا الى معاوية بالشام قال : فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل على رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة فى آخر الشهر ، فسألنى عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما ، ثم ذكر الهلال

فقال : متى رأيتم الهلال ؟

فقلت : رأيناه ليلة الجمعة .

فقال : أنت رأيته ؟

فقلت : نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية .

فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه .

فقلت : أولا نكتفى برؤية معاوية وصيامه ؟

فقال : لا ، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

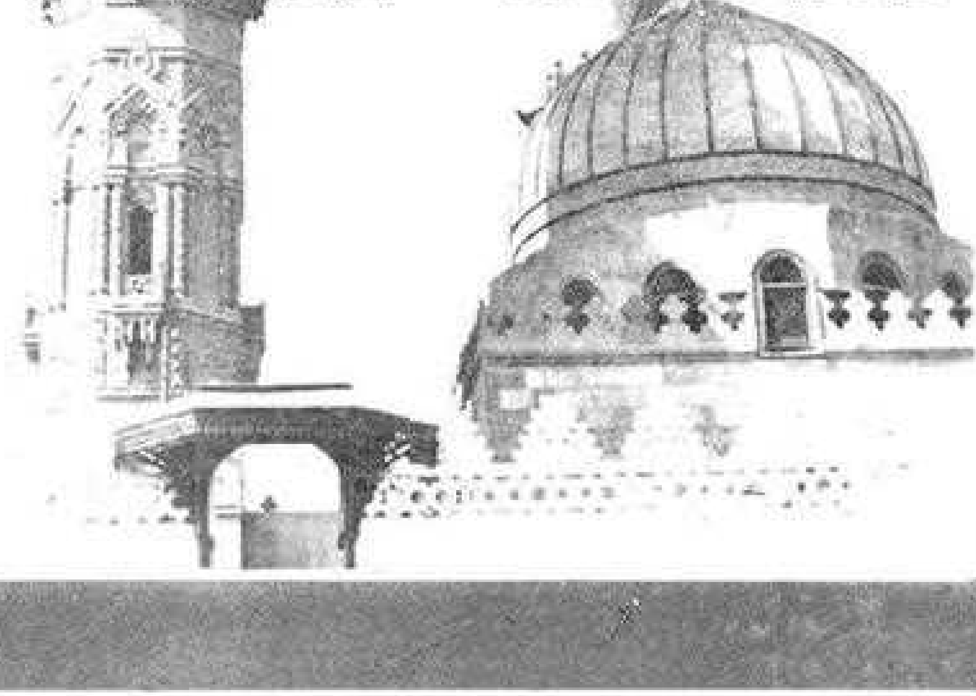
فلعل ابن عباس لم يعمل بخبر كريب ، لأنه شهادة فلا تثبت بواحد .

ثم ان سبل الاتصال لم تكن موفورة حتى يمكن ابلاغ الخبر فى حينه .

وخلاصة الموضوع ان القضية مرتبطة بثبوت رؤية الهلال وبلوغ الخبر على جهة التصديق الى المكلفين سواء إتفقت المطالع او اختلفت واشتركوا فى جزء من الليل .. هذا ادعى للتآلف والرحمة .

دكتور

محمد سيد أحمد المسير



الصيام في شريعة الإسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

الصوم فطرة مألوفة وعادة معروفة يلجأ اليه كل كائن حى فترة أو فترات من الزمان حتى أننا نجد بعض الحيوانات كالجمال والثعابين وأنواع من الضب تصوم فترة من الزمان ، وهو عبادة قديمة جاءت بها الأديان السابقة فلقد كان المصريون القدماء يصومون وانتقل منهم الصوم الى اليونان والرومان .

وتوراة اليهود تفرض الصوم فى (يوم الكبور) ويسمونه بيوم الغفران كما يسمى بعاشوراء اليهود ويقع فى العاشر من شهر تشرى وماعدا هذا اليوم فهو نفل لاحرج لمن قام منهم بالصيام فيه ويحدثنا مفسرو القرآن الكريم أن موسى عليه السلام صام أربعين يوما أنزل الله عليه التوراة بعدها وكلمه عند انتهائها وذلك فى تفسير قوله تعالى (وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) سورة الأعراف ١٤٢ والأمر كذلك فى أناجيل النصارى (١) .

الصوم فى الاسلام تكليف تعبدى :

يتميز الصوم بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين سائر الأركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم (كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به) (٢) .

فهو تكليف الهى صادر عن الله الذى له بمقتضى ربوبيته والوهيته أن يكلف عباده بما شاء من التكاليف وأن يرسم لهم مايريد من مراسم العبادة ودلائل الخضوع والعبودية .

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

---

(١) الاصحاح الرابع من انجيل لوقا عددا .
(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث أبى هريرة .

الصيام
فى شريعة الإسلام

(الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) سورة البقرة ١٨٣ .

فهو فرض على كل مسلم بالغ عاقل مقيم مالم يكن مأمورا بالفطر كالحائض والنفساء أو مرخصا له به كالمريض والمسافر .

عن على كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم) (١) .

كيف يكون الصيام :

يكون ذلك بالامساك عن الطعام والشراب والأفعال الجنسية من طلوع الفجر الى غروب الشمس ايمانا واحتسابا لله سبحانه قال تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) سورة البقرة ١٨٧ .

اليسر فى الصوم الاسلامى :

جرى الاسلام فى تشريعه للصوم على منهجه فيما كلف به العباد بما لايشق عليهم ولايعنتهم تطبيقا لقوله تعالى (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) سورة البقرة ١٨٥ (هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) سورة الحج ٧٨ لذلك فهو يجعل المسلمين امام الصوم أقساما ثلاثة .

(١) رواه احمد وابو داود والترمذى .

القسم الاول : المقيمون الأصحاء القادرون على الصوم بلا ضرر يلحقهم ولا مشقة تصيبهم وهؤلاء يجب عليهم أن يصوموا شهر رمضان كله ومن انتهك حرمته بالافطار فيه فقد استوجب غضب الله وباء بسخطه عليه .

القسم الثانى : المرضى والمسافرون وهؤلاء يباح لهم الافطار وعليهم قضاء ما أفطروا فى أيام أخر قال تعالى : (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) سورة البقرة ١٨٤ ، ويلحق بهذه الطائفة الحامل والمرضع والحائض والنفساء فعليهن القضاء بعد زوال عارض الحمل والارضاع والحيض والنفاس

وقد قضت شريعة الاسلام بذلك لأن شأن المرض والسفر التعريض للمشقة ، وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان الله وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن المسافر والحبلى والمرضع الصوم أو الصيام (٢) .

وعن عائشة أم المؤمنين قالت كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة (٣) .

القسم الثالث : وهم من يشق عليهم الصوم ويجهدهم جهدا شديدا لسبب من الأسباب التى لايرجى زوالها كالشيخوخة والمرض المزمن وما شابه ذلك فهؤلاء أباح الله لهم أن يفطروا وكلفوا بالاطعام بدلا من الصوم يقول تعالى (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ

(٢) رواه احمد والترمذى وابو داود والنسائى وابن ماجه واللفظ له .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

مِسْكِينٍ) ـــــورة البقرة ١٨٤ أى يتحملونه بمشقة وجهد .

فقد روى عن ابن عباس أن الآية الكريمة المشار اليها خاصة بالشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لايستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا (١) .

وهناك من العلماء من قال : لا فدية عليه لأنه لا يطيق الصوم لكبره والله تعالى يقول (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) سورة البقرة ٢٨٦ ـ واذا ـ فهو غير مكلف أن يصوم وبناء عليه لاتلزمه فدية طعام مسكين عن كل يوم يفطره (٢) .

مراتب الصوم : للصوم فى الاسلام مراتب ثلاث :

المرتبة الأولى : صوم العموم ويتحقق ذلك بالامساك عن الطعام والشراب والشهوة وهذا هو الصوم الظاهر الذى عليه أكثر المسلمين ويظنون أنهم أدوا به ماوجب عليهم .

المرتبة الثانية : صوم الخصوص وهو الامساك عما ورد فى المرتبة الأولى مضموم اليها صوم الجوارح عن ارتكاب الآثام من عدوان وفساد ومشى الى مايغضب الله والامساك عن قول المنكر والزور واللغو والكذب والهذيان والغيبة والنميمة أو الاستماع الى الأكاذيب أو النظر الى المحرمات والتطلع الى الأسرار يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه)(٣) .

ويقول عليه الصلاة والسلام (الصيام جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ، ولا يجهل فان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم انى صائم) (٤) .

المرتبة الثالثة : صوم خصوص الخصوص : وفيه كل ما تقدم فى المرتبة الأولى والثانية مضموم اليهما صوم القلوب وتطهيرها عن كل مالا يناسب الايمان ولا يلائم الاخلاص ومنه ترك التفكير فى الخطايا وتدبير الفتن والتوجه الى غير الله وصرف الهمم فى دنيات الأمور والبراءة من الحسد والحقد والتهاون فى اقامة الحدود ورد المظالم والعبث بأمور دولة الاسلام أو بمصالح المسلمين .

من حكم فرضية الصيام فى الاسلام :

لم يكن جانب الحرمان من الطعام والشراب هو الهدف الذى قصد اليه الشارع الاسلامى بافتراض الصوم على المسلمين ، ولكنه قصد الى اهداف أخرى تتحقق بالصيام وهى غرس خلق المراقبة وخلق الصبر فى نفوس المسلمين وبهما تصدق النية وتقوى العزيمة فيثبتون لحوادث الدهر ، وما يعترضهم من عقبات فى الحياة من نوازع الشهوة والهوى ودوافع الغيرة والغضب والانتقام والتقلب بين السراء والضراء والنزوح عن الأوطان ومفارقة الأهل والأحباب ، وقد يتحتم الجهاد فى سبيل الله والدفاع أو الحرب فى سبيل الذود عن البلاد والأوطان .

فما أحوج المسلمين الى أن يتذرعوا بخلق

(١) رواه البخارى وهذا مذهب الجمهور .

(٢) من القائلين بذلك الامام مالك والامام الشافعى فى أحد قوليه وأبو ثور وداود وابن حزم .

(٣) رواه البخارى وأحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه .

(٤) رواه البخارى فى الأدب والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الايمان .

الصيام
في شريعة الإسلام

الصبر ليثبتوا أمام المحن ويصمدوا أمام الأحداث ، وما أكثرها في زماننا المعاصر وما أحوجهم الى أن يتسلحوا بسلاح المراقبة والاستعانة بالله والرجوع اليه والاعتماد عليه ومن يتتبع تاريخ المعارك الحاسمة في الاسلام والتي انتصر فيها المسلمون على أعدائهم يجدها حدثت في رمضان مثال ذلك غزوة بدر الكبرى وفتح مكة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد ومعركة عين جالوت بقيادة حاكم مصر السلطان قطز ضد جيوش التتار .

ولذلك فرض الله صوم رمضان ليغرس بصومه المتتابع ملكة الصبر والمراقبة . ثم جعله في كل عام ليتكرر الدرس على المسلمين وينمو الغرس بينهم مما يقتضي على الصائم أن يتذرع بالصبر ويتسلح بالمراقبة فلا يسرف فيما كان محظورا عليه بصومه حتى لاينطفىء عليه مصباح الاشراق القلبي الذى أحسه في نهاره ولا ينقطع عنه التتابع الروحي الذى ألم به في أوقات صيامه (١) .

بهذا تتحقق حكمة الله في التعبد بالصوم فيه تزكو القلوب وتصفو النفوس وتتهذب الأرواح فيعيش المسلمون وهم منابع للخير في أوطانهم عيشة راضية سداها المحبة والوئام فيما بينهم ولحمتها التعاون والسلام بينهم وبين سائر الناس وبهذا يتم اقترابهم من الملا الأعلى فيسعدون وتسعد البشرية بسعادتهم وليس أدل على أهمية صوم رمضان وقدسية ذلك على المسلمين من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أفطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صوم الدهر وان صامه (٢) .

هل هناك فوائد صحية من عبادة الصيام :

يقول الدكتور محمود أحمد نجيب أستاذ الجراحة بكلية طب جامعة عين شمس في أبحاثه (ان في الصيام استعادة للقوى ونماء للصحة وتجديدا للخلايا المرهقة طبقا لما يلي :

أولا ــ في الصيام يقل حجم الدم نظرا لفقد السوائل في العرق والتبخر من سطح الجسم والبول وذلك دون تعويض هذه السوائل بسبب الصيام ، وقلة حجم الدم ينتج عنها أن المجهود الذى تبذله عضلة القلب في ضخ الدم من الأوردة الى الشرايين يكون قليلا ، وهذا من شأنه أن يعطى عضلة القلب فترة من الراحة تمتد الى مايقرب من ست عشرة ساعة ــ وعضلة القلب هذه التي تعمل ليل نهار طول العام لاتتاح لها ساعات من العمل دون اجهاد كبير الا خلال ساعات الصيام الذى يمتد على مدى ثلاثين يوما مما يتيح للعضلة المذكورة أن تجدد حيوية وقوة الألياف العضلية ، ولا يستطيع العقل أن يفكر في وسيلة يمكن أن تحقق لعضلة القلب البناء والاصلاح والتجدد الا بصيام شهر رمضان .

ثانيا ــ الجهاز الهضمي يعمل بصفة دائمة طوال العام ، وحين يجىء شهر رمضان تتاح الفرصة للمعدة ولباقي الأمعاء أن تظل على مدى ساعات متتالية خالية تماما من أى طعام

(١) كتاب الاسلام عقيدة وشريعة للمرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت .

(٢) صحيح البخارى .

وهذا شيء تريد في حد ذاته لأنهـا بخلو فترة من الطعام تهدأ حركاتها وافرازاتها ويمكن أن تكون هي الفرصة الملائمة التي تشفى فيها القروح أو الجروح بالأغشية المخاطيـة .

ثالثا ـ نتيجة توقف الامتصاص من الأمعاء لا يصل الى الكبد أحماض أمينية أو «جلوكوز» أو أملاح وعلى هذا فان الخلايا الكبـديـة لاتستطيع أن تقوم بتكـوين مركبـات « جليكوجين » أو « بروتينيـات » أو ـ « كوليسترول » لعدم وصول مكونات هـذه المركبات وذلك نتيجة خلو الأمعاء من أي طعام وبالتالي توقف الامتصاص ولما كان تكـوين هذه المركبات هو أهم عامل للخليـة الكبـدية فان ساعات الصيام تتيح الظـروف الملائمـة للبناء والاصلاح واعادة التكوين وكذلك يتيح الصيام الفرصة للخلايا الكبدية للتخلص ممـا قد يكون قد ترسب في داخلها من دهنيات ذلك، لأنه من الأمراض الشائعة ترسيب وتخـزين الدهنيات داخل الخلايا الكبدية وهو ما يعرف بالتآكل أو الهدم الدهني وفي الصـيام تنخفض الدهنيات في الدم الذي يصـل الى الكبد بسبب عدم امتصاص أي دهنيات على مدى ساعات متتالية وهذا قد يكون سـببا لخروج الدهنيات عبر جدار الخلية الكبدية .

رابعا : من الحقائق التي لاجدال فيها في أمر الصيام أن المسلم المعافى الجسم في فترة صومه من النادر جدا أن يصاب بأزمة صحية طارئة مثل الذبحة الصدرية أو جلطة أو نزيف المخ أو النزيف المعوي وسجلات أقسـام الاستقبال بالمستشفيات خـير دليـل على ذلك (١) .

ولنختم هذا المقال عن فوائد الصـيام **بشهادة طبيب انجليزي لا يدين بالاسـلام اذ** يقول دكتور الان كوت (ان الصوم يباعـد بين الصائم وبين العادات غير المستحبة ويقلل من البدانة ويشعره بأنه أكفأ ذهنيا وجسديا ويريح أجهزة الجسم من عناء الطعام في غير أوقـات الصـيام ويداوي بعض الأمـراض ويخفف التوتر ويدعو الى الهدوء والطمأنينة ويساعد الجسم على مداواة نفسه بنفسـه ويجعل الصائم أهدأ نوما كما يشحذ حواسه ويقوي ارادته ويمنحه صفاء روحيا ويشعره بأنه قد أصبح أصغر سنا أو أكثر شـبابا ومتعاطفا مع الجائعين والمحرومين ويقـوي صلته بربه كما يجعله سباقا لخدمة النـاس واجابة حاجاتهم (٢) .

ويقرر دكتور بول براج أن الصـيام هو الوسيلة الفعالة لتخليص الجسم من اعبائه وسمومه وقيوده (٣) .

اما رب العالمين فيقول في محكـم كتابه الكريم (وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) سورة البقرة ١٨٤ .

المستشـار
محمد عزت الطهطاوي

---

(١) كتاب الطب الاسلامي شفاء بالهدى القرآني دكتور محمود احمد نجيب استاذ الجراحة بكلية طب جامعة عين شمس .

(٢) كتاب الصيام الغذاء الأمثل تاليف الطبيب الانجليزي دكتور الان كوت .

(٣) عن كتـاب معجزة الصيـام تاليف دكتور بول براج .

طب وإسلام

ليست التخمة من هدى الإسلام

قال ربنا جل شأنه فى كتابه العزيز « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » .

ان أمراض البطن لا تخرج عن التخمة والاسراف فى الأكل دون وعى وبغير أناة ، وهنا ندرك مدى حرص الحق تبارك وتعالى على الصحة البدنية للانسان الذى يتجلى فيه صنع الخالق وروعة اتقانه جل شأنه . ١

ويقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »(٢) .

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : اياكم والبطنة من الطعام والشراب ، فانها مفسدة للجسم ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فى الطعام والشراب ، فانه أصلح للجسد ، وأبعد من السرف ، وأن الله تعالى ليبغض الحبر السمين وأن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

وقال معاوية رضى الله عنه : البطنة تذهب بالفطنة(٣) .

وقال أبو قراط(٤) : الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع . وهنا يجلى لنا أبوقراط مخاوفه من التخمة وأنها تؤذى البدن فى كل أحوالها .

ولن نعدو الحقيقة اذا ما قلنا أن القرآن الكريم قد جمع طب الباطن كله فى عبارة جميلة(٥) رائعة بالغة الدقة والاتقان ، وهى قوله تعالى : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا » .

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

١ ـ من ملاحظات وتجارب الكاتب العملية .

٢ ـ روح المعانى للامام الألوسى البغدادى ج ٨ ص ١١٠ .

٣ ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ج ٣ ص ٣٤٢ طبعة مصورة عن دار الكتب .

٤ ـ أبو قراط حكيم اليونان وأبو الأطباء المعروف .

٥ ـ العجائب للكرمانى . بتصرف فى العبارة فقط .

للدكتور السيد الجميلى

(ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع) (١) .
صدق رسول الله .

وسئل رجل : هل أتخمت قط ؟ قال : لا .
قيل : ولم ؟ قال : لأنا اذا طبخنا أنضجنا ، واذا مضغنا دققنا ، ولا نملأ المعدة ولا نخليها .

ولا تخرج بحوث الطب القديم أو المعاصر عما قرره الطب القرآنى والطب النبوى ، لأن الحق تبارك وتعالى وهو الذى جمع شتات الانسان ، وركب أسراره ، وجمع أنحاءه هو الذى أوحى لنبيه صلى الله عليه وسلم « وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى » .

وكما أن الاسلام فى نصحه وارشاده يكره الشبع والتخمة والامتلاء فانه يكره للانسان أن يأكل كل ما اشتهاه ، لأن النفس قد تشتهى ما يضر البدن ، وفى ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت »(٢) .

ويقول الامام الغزالى ــ رحمه الله ــ يجب الا يمد المرء يده الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع آحد ما لابد من تقديمه على الطعام ثم ينبغى أن يرفع اليد قبل الشبع ، ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب »(٣) .

ثم يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أكثر الناس شبعا فى الدنيا ، أطولهم جوعا يوم القيامة »(٤) .

وأكثر الأمراض انما تنشأ من ادخال الطعام على الطعام ، والزيادة فى القدر الذى يحتاج اليه الانسان ، وتناول الأغذية القليلة النفع البطيئة الهضم ، والاكثار من الأغذية المختلفة التراكيب(٥) .

ولا شك أن القلب الذى يقوم بخدمة جسم يزن كيلو جراما أقل جهدا وارهاقا من نظيره الذى يخدم جسما يزن مائة كيلو جرام ، ونحن نعلم أن الناعورة(٦) التى تقوم برى خمسين فدانا أكثر جهدا وارهاقا من تلك التى تروى عشرة فدادين ولا جرم أن الأولى تصدأ ويبلى جسدها مبكرا عن زميلتها ، ومن ثم نرى فى الناس من ضخام الجسوم كللا فى القلب وعدم الوفاء بالمطلوب من الانقباض القوى النشيط ، وهذه القلوب المكبوتة تنشط وتقوى بنيتها بتقليل الوزن ، واذابة الشحم والدهون فى الدم لاسيما مادة الكولسترول .

ويتأثر الكبد وكذلك الكلى والبنكرياس فى جسم يربو على المائة كيلو .

وهذه الأوزان الثقيلة للجسوم المترهلة تضغط على مفاصل الجسم وتسبب أوجاعا

١ ــ راجع صحيح البخارى فى الاحكام وبدء الخلق والاعتكاف وأبا داود فى الصوم ، والسنة والادب .
٢ ــ ابن ماجه ج ٢ ص ١١١٢ .
٣ ــ احياء علوم الدين للغزالى ج ٢ ص ٤ .

٤ ــ نفس المصدر السابق .
٥ ــ هذا رأى ابن القيم .
٦ ــ الناعورة : الساقية .

ليست التخمة من هدى الإسلام

روماتيزمية مفصلية ، فكلما خف وزن الجسم كان ذلك أجمل وأعظم .

يجب أن يتحرر الغذاء الانسانى من الشحوم والدهون والنشويات الكثيرة بكميات هائلة حتى نسلم من أذى هذه المواد التى تفتك بالمعدة وتسمم الكبد بدهونها الضارة القتالة ، وأهمها تصلب الشرايين واشتداد أو ضيق مجارى الشرايين المختلفة بالجسم .

من أهم أخطار ومضاعفات التخمة والسمنة التعرض للامراض المعدية بكثرة واطراد لضعف مقاومة الجسم ، والتهاب الحوصلة المرارية ، وحدوث حصوات المرارة ودوالى الأطراف وارتشاح عضلة القلب فضلا عن النزلات الشعبية المزمنة وفوق ذلك كله وأخطر منه « الذبحة الصدرية » .

لذلك يجب الاعتدال فى الأكل والشرب وتجنب الاسراف وتفادى الشره — قاتل الله الشره — وعدم الانسياق والانقياد الى شهوة النفس التى تجرى وراء كل ممنوع وتعزف عن كل متبوع ، والكثير من حالات ارتفاع ضغط الدم الى درجات عالية تهدد الحياة انما مرجعه الى السمنة والتخمة والافراط فى الطعام .

والاسراف فى كل أمر مضر وخيم العواقب، اذ أن الترف فى كل شىء له مصائبه ونوائبه وبلاياه ، ومن ثم نرى فى سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم شواهد على ذلك فكان لا يأكل الا أقل القليل ، ثم يرفع يده عن الطعام تاركا اياه لمشاركيه .

وكانت فى سيرته صلى الله عليه وسلم الشريفة دلائل وأمارات على طيب نفسه ، فكان يأكل مما يجد ، فان لم يجد الا ثريدا(١) أكل ، وان لم يجد الا الخل والزيت أكل ، وان أصاب لحما أكل بلا مخيلة ولا اسراف .

هذه هى النفس المطمئنة التى ارتقت وتسامت بالبشرية ، من بنى الانسان الى أقصى غايات العظمة والتكريم ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيما فى هديه ، عظيما فى سلوكه عظيما فى التلقى عن ربه ، وعظيما فى تبليغ رسالة ربه الى خلقه فكان خير من أظلته الغبراء من خلق الله ، صاحب الشفاعة فى فصل القضاء ، وصاحب المقام المحمود صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، الى يوم الدين .

اللهم نسألك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونبيك الكريم شفيعا لنا ، وأن تتقبل منا انك انت السميع العليم .

د. السيد الجميلى

---

١ — وكان الثريد هو الغذاء السائد فى الجزيرة العربية آنئذ .

الصيام والقيام

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

يتعانق الصيام في نهار شهر رمضان مع القيام في لياليه .. من حيث ان كلا منهما متمم لعمل الآخر .. فالاول عبادة نهارية .. والثاني عبادة ليلية .. فكان الليل والنهار مشغولان معا بالعبادة .. وهذا ما لا يتفق مثله في شهر من شهور السنة العربية كلها .

والصيام عبادة سلبية لأن عمادها سكون الجوارح عما تعودت عليه طيلة السنة من تناول الوجبات الثلاث في أوقاتها الرتيبة .. وفي رمضان يخلو النهار كله من تناول المفطرات كلها حقيقة بالكف عن الأكل والشرب والجماع .. أو حكما .. كمن أكل ناسيا أو شرب أو جامع كذلك .. فانه ممسك حكما ، صائم شرعا .. ويجب تذكير الناس لمن يشاهد افطاره .. ليكف عما يصوره بصورة المفطرين .. وفي حق الضعيف لا يجب ذلك رحمة به (حاشية الطحطاوى على الدر المختار ج ١ : ٤٤٩) .. حتى اذا جن الليل ، وتناول الصائم افطاره .. ومرت عليه فترة استجمام واسترواح من بين المغرب والعشاء .. سن له أداء صلاة التراويح .. ثماني ركعات .. كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي نافلة الليل وبعدها ثلاث وتر .. أو عشرين ركعة كما ندب اليها عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ابان خلافته بعد جمع الناس على امام واحد وقال : (نعمت البدعة هذه) .

واذا عرفنا أن وقت أداء التراويح متأخر عن وقت صلاة العشاء أدركنا مدى ما في هذا التشريع الحكيم من أهداف تيسيرية وصحية .. اذ أن الحركة الكثيرة عقيب الأكل مباشرة لا تتفق مع المفهوم الصحي المتعارف .. وقد

الصيام والقيام

شرع صيام رمضان فى السنة الثانية للهجرة بعد موقعة أحد .. وبعد تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة بنحو نصف شهر فى رواية الاكثر .. أو بشهر ونصف فى رواية غيرهم ، ويبدأ يومه من الصبح الصادق وهو البياض الذى يعترض الأفق من جهة المشرق .. الى المغرب .. أى الى زمان غياب جرم الشمس كله .. بحيث تظهر الظلمة فى جهة المشرق .. وفى البخارى عنه صلى الله عليه وسلم : (اذا أقبل الليل من هنا (وأشار الى جهة المشرق .. أى اذا وجدت الظلمة حسا فى هذه الجهة) فقد أفطر الصائم) .. أى صار مفطرا فى الحكم ، لأن الليل ليس ظرفا فى الصوم .. وقد شرعه الله تعالى لتحقيق آثار حميدة ، ومصالح شتى تتناول الروح والنفس والجسد معا .. بعد مراعاة حقوقه : الصورية بالامساك عن سائر المفطرات ، وحقوقه المعنوية .. بالكف عن الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان والأذن والفرج ، فان الصيام يضعف حركتها فى محسوساتها . ولهذا قيل فى الحكم : (اذا جاعت النفس شبعت الأعضاء ، واذا شبعت النفس جاعت الأعضاء) فاذا استكمل الصائم آداب صومه حسا ومعنى أورثه ذلك تقوى فى القلب ، وصفاء فى الروح ، وعافية فى الجسد .. ولذ اختتمت آية الصيام بقوله تعالى : (لعلكم تتقون) وذلك بعد قوله عز وجل : (**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) البقرة / ١٨٣ . فاذا عرف الصائمون ما أنعم الله به عليهم فى صومهم من يسر وتخفيف شكروا ربهم اذ أباح لهم الافطار فى كل الليل حتى مطلع الفجر .. وكان فى مبدأ الاسلام اذا ناموا بعد المغرب .. أو دخل عليهم وقت العشاء الآخرة وهم فى يقظة .. حرم عليهم تعاطى المفطرات .. الى الليلة القابلة فينسخ هذا الحكم بحكم أخف وأسهل ، وذلك بقوله تعالى : (**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**) البقرة ١٨٧ .. الى قوله تعالى : (**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**) .

وقد ذكر المفسرون فى سبب هذه الآية : (أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء الآخرة .. فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من نفسى هذه الخاطئة .. انى رجعت الى أهلى .. فوجدت رائحة طيبة ، فسولت لى نفسى .. فجامعت أهلى .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما كنت جديرا بذلك يا عمر .. فقام رجال .. فاعتذروا بمثله) .. فنزلت الآية .. ولا مانع من تعدد أسباب النزول لآية واحدة .. فقد ذكر فى سبب نزولها حادث آخر يستدعى الرحمة والرفق وهو : أنه ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم أن بعض الصحابة سقط مغشيا عليه بسبب الصوم (١) .. فسأله صلى الله عليه وسلم .. فأخبره بأنه أهل زرع وحرث ، وأنه جاء لينظر ما تعمله له زوجته ليتعشى به .. فغلبته عينه فنام .. فلم يستيقظ الا بعد الغروب ، فلم يتناول شيئا) فنزلت هذه الآية .. هذا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

صدق الله العظيم

بالاضافة الى ألوان أخر من السماحة والتجاوز في صيام شهر رمضان على الرغم من شدة الوصاية بصيامه ، وقوة التحذير من افطاره بقوله صلى الله عليه وسلم : **(من افطر يوما من رمضان بغير عذر لم يقضه عنه صيام الدهر كله وان صامه)** .. رواه الترمذى فقد شرع الله تعالى رخصا بالفطر فيه للمريض الذى يعلم بتجربة أو اخبار طبيب ثقة أن الصيام يزيد في مرضه أو يؤخر شفاءه .. وللمسافر الذى يقطع مسافة القصر في سفره (٨٩ كيلو) برا .. أو بحرا .. أو جوا . لأن علة التخفيف مظنة الشدة .. سواء تحققت أم لم تتحقق ، ومن شأن الأسفار أيا كانت وسيلتها .. أن تعرض صاحبها للمشقة ولو نفسيا وعصبيا ، وقد ارتبطت الرخصة بمطلق السفر .. في قوله تعالى **« فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ »** . أى اذا أفطر .. وما جاء به القرآن مطلقا ولم تقيده السنة الصحيحة .. فليس لأحد كائنا من كان أن يقيده .. أو يحدد مفهومه .. الا اذا ثبت له ذلك بنص آخر من قرآن أو سنة .. وقد أذن للكبير الفانى وللشيخة الفانية .. وكذلك للمريض مرضا لا يرجى برؤه .. أن يفطروا شهر رمضان مع وجوب فدية عن كل يوم أفطروه **(صاعا من طعام وتجزىء الكيلة المصرية من البر أو ثمنها عن أربعة أيام)** . وكذا رخص للحامل والمرضع اذا خافتا على نفسهما أو على ولدهما أو على الامرين معا الفطر مع القضاء في غير رمضان بدون فدية على الراجح عند الحنفية .. ومثل ذلك من تقتضى طبيعة عمله على مر السنة كلها عدم احتماله للصوم حيث يباح له الفطر .. وينتظر فرصة للقضاء .. فاذا ضاق عمره عن ذلك فدى عن كل يوم طعام مسكين وقيل : لا فدية عليه .

كل هذه التسهيلات والرخص في صيام هذا الشهر المبارك تحرك قلب المؤمن وعقله بعواطف الشكر لله تعالى ، خلجات الامتنان والاعتراف بالفضل لصاحبه .. واذا كانت فريضة الصيام لا تعقب الا التقوى والشكر .. فقد تكامل الخير كله للصائم ، واستجمع البر من أطرافه ولذلك قال الله تعالى : **(فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** .. وصلاة

الصيام والقيام

التراويح سنة مؤكدة لمواظبة الخلفاء الراشدين عليها .. للرجال وللنساء .. والمراد معظم الخلفاء الراشدين لأن أبا بكر رضى الله عنه لم يفعلها ، وفى رمضان يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(ان الله تعالى فرض عليكم صيامه ، وسننت لكم قيامه .. ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)** .. وروى سعيد بن منصور من طريق عروة : أن عمر جمع الناس على أبى بن كعب فكان يصلى بالرجال ، وكان تميم الدارى يصلى بالنساء .. أى التراويح كما فى المواهب .. وأفضل أوقاتها بعد العشاء ، وقبل الوتر .. ولوقاته بعضها .. صلاة بعد الوتر .. ولو وحده .. ولا تقضى اذا فات الليل .. والجماعة فيها سنة كفاية فى الأصح .. والأفضل فى زماننا (المرجع السابق) : ٢٩٧ : أن يقرأ فيها قدر ما لا يثقل على الناس .. قال فى المجتبى : **(لو صلى المصلى فى الفرض بثلاث آيات قصار او آية طويلة فقد أحسن ولم يسىء .. فماظنك بالتراويح)** .. بل أفتى أبو الفضل الكرمانى والوبرى : اذا قرأ فى التراويح الفاتحة.. وآية .. أو آيتين .. لا يكره .. مراعاة لأهل زمانه .. ومن لم يكن عالما بأهل زمانه فهو جاهل .. ويكتفى عند شعور الامام بملل من وراءه : باللهم صل على محمد فى التشهد .. لأنه الفرض عند الشافعية .. ويسلم بعده .. وتكره من قعود مع القدرة على القيام ، ولا يصلى النفل والوتر بجماعة الا فى رمضان .

وافضل صور الوتر ثلاث ركعات .. اما متواصلات كالمغرب وهو رأى الحنيفة .. واما مفصولا بينها بقعود أوسط وسلام كما هو رأى الشافعى .. ويجوز اقتداء حنفى بشافعى فيه وفى غيره .. كما يجوز اقتداء شافعى بحنفى ، ويتابع كل منهما فى كل ما يفعله امامه ، لانه امر مجتهد فيه .. وليس فيه صفة القطع والالزام ، وفى ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة فيقول : من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

د . محمد محمد الشرقاوى

الشعر

- تائب بالباب
- من نفحات رمضان
- اليتيم الشهيد
- الأزهر في ألف عام

تائب بالباب

شعر شوقي محمود أبو ناجي

صفاء الضياء بنفسي ألمّ ... فضوّأ دربي لتسعى القدمْ
الى حيث أنشد عفو الاله ... وذنبي كالجرح لم يلتئمْ
سعيت الى الباب .. باب المتاب ... وبي خشية الخائف المتهمْ
أقدم رجلا فترتد أخرى ... كأني فوق اللظى المضطرمْ
وتطفو الذنوب بوجه كريهٍ ... على صفحةٍ موجها مُدْلَهِمّ
على صفحة الأمس والأمس ضمّ ... ضلالات نفس تحس الألمْ
ضلالات نفس صرير الذنوب ... يؤز بأسماعهم كالحممْ
ويجثو دعائي وقد بللته ... دموع تسر شعور الندم
وهمس الضراعة في كفتي ... يناجي بضعف مفيض النعم
على الباب يارب ها قد وقفت ... ذليلا وذنبي بصدري جثم
وللذنب عند اختلاج الدعاء ... أنين يترجم ما ينكتم
ولكن توبة عاص يدق ... على باب رحمة من لم ينمْ
ستحملها نفحات الملائك ... في سمتها المشرق المبتسم
فاسمع صوتا عميق النداء ... من الغيب يهتف منذ القدم
انا الله أصفح عن كل عبد ... مسيء اذا ما احس الندم
وليس سواي يجيب الدعاء ... ويكشف ما ساء مهما عظم

من نفحات رمضان

للأستاذ خالد محمود ابراهيم سالم

رمضان أقبل فانتبه يا صاح ... لجماله المتألق الوضاح

فلتنشرح صدرا له مستقبلا ... ومودعا في غدوة ورواح

فالنور فيه يعم كل موحد ... يرقى به عن عالم الأشباح

إذ تشرق الأرواح فيه وهل هناك أجل من إشراقة الأرواح

والذكر أنزل فيه بارك ليلة ... مجلوة الإمساء والإصباح

عن ألف شهر فضلت محظوة ... بمعين خير للجميع متاح

للقائمين الليل في أسحارهم ... يرجون فضل المنعم الفتاح

والقارئين كتابه في همة ... متدبرين على هدى وصلاح

والواصلين على تقى أرحامهم ... بصفاء نفس مشرق وسماح (١)

بدر به والفتح كل قد غدا ... آيا وتاريخا ورمز كفاح

في بدر عز المسلمون بنصرهم ... عن قلة في عدة وسلاح

ومن احتمى بالله كان بساحه ... فالزم حماه تكن مليك الساح

والفتح أشرق حكمة لم يستبن ... أسرارها غير الحجا اللماح

دخل الرسول وصحبه أم القرى ... في روعة جلت عن الإيضاح

بسطوا براح للسلام لو انتقوا ... هزوا جحافلها بتلك الراح

أرأيت أعظم منهمو في قوة ... وأجل منهم لالتئام جراح

ورأيت كيف تطايرت أخبارهم ... أخاذة من نشرها الفياح

ورأيت كيف تسربلت أرواحهم ... تاج اليقين وربقة الإصلاح

فاسلك سبيلهمو جهادا مشرقا ... والنفس قومها تلذ بنجاح

واسنن شهرك منهجا تحيا به ... دوما طهور النفس جب فلاح

صم فيه عن دنس يلم فترتدي ... ثوب الرباح منطقا بجناح

وعن المباح فصم مجاهدة متى ... كان الطريق إليه غير مباح

واصحب كتاب الله في شغف وفي ... ترنيمة المتدبر الصداح

إن الكتاب لمن تدبر نهجه ... مشكاة هدي مشرق المصباح

---

(١) مشرق صفة لصفاء .. وسماح : جود .. وهو عطف على صفاء .

الشعر

زفراتُ هذا الغيظ من زفراته ... ودموعُ هذا الغيم من عبراتِهِ

ضاق النّهار اسىً بحَمْل همومه ... وانشقّ صدر الليل من أنّاتِهِ

عارٍ تكأّكأ للخطوبِ فلا أبٌ ... يحنو ولا أمٌّ هوتْ سَوْآتِهِ

لله واهي الخفقِ بين ضلوعه ... زادت كوارثُه على دقّاتِهِ

أشْوانُ تُدْرِكُ شجوه من صوته ... وتحسُّ ذلّ اليُتْمِ من نبراته

واخو محيا كالخِضَمِّ مغضنٍ ... يطوى الشحوب أساه فى طيّاتِهِ

خط الشقاءُ عليه قصةَ يُتْمِهِ ... ان تلقه تعرفْه من قَسَماته

وطريدُ كَوْنٍ ضلَّ فى آفاقِهِ ... تجميعُها – إن سار – من غاياته

واذا أقام فما يفىء إلى حِمَىً ... يحنو على المشبوب من لوعاتِهِ

حمل الفوادحَ راسةً ما قَسَّه ... صدْرٌ يلمُّ الشعثَ من أشتاتِهِ

ومشى يئنّ فما أقاله يدٌ ... مسحت على المكدود من شَعَراته

عقمت أمانيه ، ولكنْ دهرُهُ ... أعيا مناكبَهُ بعبء بَنَاتِهِ

كم حسرة قد أورثتها نظرةٌ ... لمنى الطفولة فى وجوه لِدَاتِهِ

ويرى البشاشة فى مواكب لهوهم ... فيذوق طعم الموت قبل مماتِهِ

يارُبَّ طفل صاح منهم : يا أبى ... فيكاد يصعقه صدى صيحاتِهِ

أو صاح : يا امىّ فكانت هتفةٌ ... تنشق منها النفس عن حسراتِهِ

وكأنه من دهرهم تقطيبةٌ ... لعبوسه غامتْ على صفحاتِهِ

وهمو أغاريد الحياة شدت بها ... شفة الربيع الطلق فى بسماتِهِ

ان ساجلوه الشدو فى افراحهم ... غنى من الأشجان فى آهاتِهِ

أو رام تنغيمَ السرور له فمٌ ... ماتت أغانى البشر فوق لهاته

أبدا تُغَالبُه الدموع كأنها ... خُلِقَتْ مع الأجفانِ فى حَدَقَاتِهِ

للدكتور حسن جاد

وَإذا أهَلَّ العيدُ فى آفاقه
وأشاع فى الدنيا سنا بَهَجَاتِهِ

وتسابق الأطفالُ فيه مواكبا
نشوى سقاها العيدُ من نَشَواته

وعلى جُسُومهمو جديدُ ثيابه
وعلى وجوههمو سنا لمحاته

ابصرت مُطْوِيًّا على اسماله
يطوِى الضلوع اسى على جمراته

حيرانَ ينظرهم فيرجع باكيا
متعثرا فى الذُّل من خطواته

العيدُ يملأُ كأسهم من شهده
ويصب مُرَّ الصَّاب فى كاساتِهِ

ما العيدُ للمحزون إلاَّ لوعةٌ
تَفْنَى وتجديدٌ لِظُلْم حيَاته

ذكرى لآلام اليتيم مريرة
يحيا بها فيتيه فى غَمَرَاتِهِ

مَنْ لليتيم يحوطه برعاية
ويقيله فى العيش من عَثَرَاته ؟

سُدُّوا غرائمه فَرُبَّ إساءةٍ
للدهر صارت بعدُ من حسناته

واحْمُوا مواهبه يجِئْكُمْ فى غدٍ
بالمعجزات الغُرّ من آياته

إنَّ الذى خلق النبوغ مواهبا
قد صيَّر الإغفالَ مِن آفاتِهِ

ولَرُبَّ مغمورِ الطفولةِ خاملٍ
يومها يهاب الليثُ من وثباته

ولربما نهض اليتيم بقومه
واظلت الآمال من راياته

اليُتْمُ انجبَ للزمانِ (مُحَمَّدًا)
فمحا دُجَاهُ وكانَ خَيْرَ هُدَاتِهِ

الأزهر

في ألف عام

يا منهل الوراد قدرك أكبر … نحن الظماء وأنت نعم الكوثر

عزفت بك الأقدار أروع لحنها … لحنا تهز به القلوب وتسحر

اليوم عيدك مدحة شاعر … غراء يحملها الرواة فتبهر

اليوم يختال المعز بمجده … ويتيه عجبا بالمفاخر جوهر

واليوم تشمخ مصر ترفع راسها … شرفا بأزهرها الشريف وتفخر

ان كنت منتسبا لمصر فقد كفى … انى انتسبت لها وفيها الأزهر

واذا انتسبت لمجدها ولمجده … فقت السحاب وعانقتنى الأقمر

يا معهدى انى أحبك كعبة … كالكعبة الأولى تؤم وتقدر

منحت شراعك ريح مجدك قدرة … تجرى بها عبر العباب وتبحر

البصرة انتقلت اليك بطلبها … والكوفة ارتحلت اليك تشمر

والجامع الأموى منذ تشاوته … ألقى اليك العهد لا يتنكر

أنت المنار لكل عزم مؤمن … بالله لا يكبو ولا يتعثر

مهما تنكر للوفاء معاند … حقدا عليك فلن يناك منكر

انى أحبك معهدى لكرامة … هى منك لى هبة وكنز ينضر

وأنا أحبك للعروبة موئلا … للضاد تحرسها وأنت غضنفر

وأنا أحبك فى الشدائد منبرا … فيه يجلجل صوتك المتجبر

للدكتور عز الدين على السيد

فلسانه سيف البيان وعزمه ... للثائرين قناته لا تكسر

كم هز ركن الظالمين فزلزلوا ... وعنوا لصوت فى الكريهة يزأر

صرخات أبطال الكفاح ترددت ... فى جانبيك كان ساحك محشر

لما استطاع على حماك (كليبر) ... ذاق الردى بيدى فتاك كثير

لا ينصر العادى ولو بلغ الذرا ... فاسلم سلمت لنا تقود وتنصر

فى ألف عام مرت حامل راية ... لا تستكين ولا تنى أو تفتر

تسعى بلا من ووجهك باسم ... وربيع زهرك فى الأنام منضر

يأيها العلماء كنتم مشعلا ... للمسلمين اذا أضاتم أبصروا

كالنور ينقشع الظلام بضوئه ... وبدونه كشف الدجى يتعذر

ما كان للاسلام يوم كريهة ... كاليوم حولكم العدا تتنمر

من ذا لدين الله غير سيوفكم ... سيف الحقيقة بالاله مؤزر ؟

فبألف ألف مقولات أبشروا ... وليبق للمجد التليد الأزهر

■ تأثير الأزهر
في الخارج
بين الماضي
والحاضر

من الدعوة إلى الإعلام

■ التليفزيون وأثره
في سلوك أطفالنا

تأثير الأزهر في الخارج

بين الماضي والحاضر

للدكتور محمد شتا زيتون

في يوم السبت ٢٤ من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ ٩٧٠ م بدأ تأسيس الجامع الأزهر واستمر العمل فيه الى أن تم بناؤه وافتتح للصلاة بإقامة أول جمعة فيه في السابع من شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ(١) ، في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي .

وفي عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥ ــ ٣٨٦ هـ) جعله معهدا علميا عندما طلب منه وزيره يعقوب بن كلس سنة ٣٧٨ هـ تخصيص رزق جماعة من الفقهاء بلغ تعدادهم خمسة وثلاثين رجلا فوافق العزيز وأعطاهم ما يكفي كل واحد من الرزق الناض وبنى لهم دارا بجانب الجامع الأزهر ، وبذلك تحول الأزهر من جامع للصلاة فقط الى جامع للصلاة وجامعة علمية كبرى لها تأثيرها العميق في الداخل والخارج ، وبدأت تعم شهرة الأزهر الآفاق ، وأتت اليه الوفود من جميع البلاد الاسلامية : لتعلم العلوم نقلية وعقلية ، شرعية وعربية .

وسوف يقتصر هذا البحث على تأثير الأزهر في الخارج بين الماضي والحاضر ، حيث قام هذا التأثير على دعامات متعددة سلكها الأزهر خلال عمره المديد منها :

الدعامة الأولى : الطلاب الوافدون :

فقد قام الأزهر باستقبال الطلاب الوافدين من أبناء البلاد الاسلامية وتزويدهم بالعلم والثقافة والمعرفة ، وتربيتهم تربية اسلامية وتعليمهم اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ثم عودة هؤلاء الوافدين الى بلادهم بعد أن تزودوا بثقافة

١ ــ انظر كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي ج٣ ص ١٥٧ ، اصدار دار التحرير للطبع والنشر عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ ، الخطط الجديدة لمصر القاهرة لعلي مبارك المطبعة الاميرية الطبعة الاولى ١٣٠٤ هـ ج٢ ص٩ دائرة المعارف الاسلامية ص ١٨٣ .

تاريخ الأزهر في الخارج

الاسلام وتعاليمه حيث يعملون على نشرها وتعليمها للناس ، فكانوا بذلك هداة مرشدين ، ودعاة مصلحين مبلغين لرسالة الأزهر — رسالة الاسلام — في كافة أنحاء العالم وقد بدأ ذلك منذ تحول الأزهر الى جامعة علمية ، وتطور ذلك مع مرور الأيام على مدى عمر الأزهر المديد .

ولم تمدنا المصادر بعدد الطلاب الذين كانوا يدرسون في الأزهر في عهده المبكر ولكن المقريزي يذكر أنه في سنة ثمان عشرة وثمانمائة بلغت عدة من يلازمون الاقامة في الجامع الأزهر سبعمائة وخمسين رجلا ما بين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم(١) ولم يبين لنا المقريزي عدد العجم والزيالعة والمغاربة من مجموع العدد الذي ذكره ، ولكنه حدد الجهات التي وفدوا منها مما يدل على وجود وفود من البلاد الاسلامية في بداية القرن التاسع الهجري .

وقد خصص عدد كبير من أروقة الأزهر للوافدين عليه من أساتذة وطلاب الأمم الاسلامية المختلفة لتسهيل أمر سكنهم واعاشتهم فوفر الأزهر لهم منذ وقت مبكر من حياته اقامة مستقرة في هذه الأروقة كما أجرى عليهم المرتبات النقدية والعينية حتى يحقق لهم التفرغ الكامل لتوصيل العلم والمعرفة كما اشتملت بعض هذه الأروقة على مكتبات يستعين بها الطلاب وتكون قريبة منهم ، ومن هذه الأروقة :

١ — رواق الحرمين ويسكنه مجاورو أهل مكة والمدينة والطائف وشيخه الشيخ محمد عبد الله الطائفي وأهله قليلون كانوا سبعة طلاب في القرن التاسع عشر الميلادي ، له مرتب وجراية كل يومين اثنا عشر رغيفا وربع رغيف(٢) .

٢ — رواق الدكارنة (الفورية) الدارفورية وأهله قليلون وهو لطلبة اقليم دارفور السوداني وأهله قليلون وله مرتب وجراية كل يومين ثلاثة وثلاثون رغيفا وشيخه الشيخ حسن عبد الوهاب الدكروري وبلغ عدد طلبته في القرن التاسع عشر الميلادي خمسة وثلاثين طالبا سودانيا(٣) .

٣ — رواق الشوام: أنشأه السلطان قايتباي سنة ٨٧٣ هـ وله أوقاف جارية وأهله كثيرون من جميع بلاد الشام وشيخه الشيخ عبدالقادر الرافعي الطرابلسي أحد مدرسي الأزهر ولهم مرتب من النقود والجراية كل يومين ثمانمائة وستة وخمسون رغيفا وعدد طلبته في القرن التاسع عشر الميلادي مائة وثلاثون طالبا

---

١ — الخطط للمقريزي ج٣ ص ١٦٣ .
٢ — الخطط التوفيقية ج٤ ص ٢٢ ، مجتمع علماء الازهر في مصر ابان الحكم العثماني د. عبد الجواد صابر رسالة دكتوراه ص ٩٩٥ .
٣ — خطط توفيقية ج ٤ ص ٢٢ ، مجتمع علماء الازهر مرجع سابق ص ٥٩٤ تاريخ الجامع الازهر لعبد الله عنان ص ٢٠٢ .

شاميا(١) .

٤ ــ رواق جاوة أندونيسيا ويسكنه طلبة اندونيسيا والفلبين والملايو وسيام وهم قليلون ولهم جراية كل يومين أحد عشر رغيفا وشيخه الشيخ محمد الجاوى وبلغ عدد طلبته فى القرن التاسع عشر تسعة طلبة(٢) وبه خزانة كتب .

٥ ــ رواق السليمانية (الأفغان) ويؤمه طلبة الأفغان وما وراء النهر وأهله قليلون ومرتبهم من الجراية كل يومين أربعون رغيفا وبلغ عدد طلبته فى القرن التاسع عشر الميلادى نحو عشرة طلاب وبالرواق خزانة كتب(٣) . وشيخه الشيخ محمد جان محمد الأعوانى .

٦ ــ رواق المغاربة : وأهله كثيرون من طرابلس وتونس والجزائر والمغرب وشيخه الشيخ أحمد عبد السلام المنورى المغربى ومرتبه كل يومين ثمانمائة واثنان وستون رغيفا ولا يستحق جرايته الا من كان مالكى المذهب وبلغ عدد طلابه فى القرن التاسع عشر الميلادى خمسين طالبا(٤) .

٧ ــ رواق السنارية أنشأه العزيز محمد على باشا وشيخه الشيخ محمد على وداعة السنارى ورتب لطلبته ثمانون رغيفا كل يوم(٥) .

٨ ــ رواق الأتراك أنشأه السلطان قايتباى وفى العصر المملوكى كان يرتاده طلبة الأتراك وفى العهد العثمانى كان يقصده الطلبة من تركيا وتركستان وألبانيا واليونان ويوغسلافيا وروسيا وله مرتبات كثيرة منها جراية كل يومين مائتان وستة وخمسون رغيفا ونقود يأخذونها وايراد أوقاف يستحقها كل مجاور من هذه البلاد وشيخه الشيخ راشد أفندى أحد مدرسى الأزهر وبلغ عدد طلبته فى القرن التاسع عشر الميلادى خمسين طالبا(٦) .

٩ ــ رواق البرنية ويسكنه طلبة ساحل الذهب والسنغال وغينيا ونيجيريا ومرتبه كل يومين واحد وخمسون رغيفا وشيخه الشيخ أحمد محمد الجبرتى وكان طلبته فى القرن التاسع عشر الميلادى عشرة طلبة(٧) .

١٠ ــ رواق الجبرتية . وأهله قليلون ويؤمه طلبة أريتريا والحبشة والصومال ومرتبه كل يومين واحد وخمسون رغيفا وشيخه الشيخ أحمد محمد الجبرتى وعدد طلبته فى القرن التاسع عشر خمسة وعشرون طالبا(٨) .

١١ ــ رواق اليمنية . للطلبة القادمين من اليمن وله جراية كل يومين أربعة وثلاثون رغيفا وشيخه الشيخ أحمد باعلور اليمنى وبلغ عدد طلبته القاطنين به عشرين طالبا فى القرن التاسع عشر الميلادى(٨) .

---

١ ــ المرجعان السابقان الاول نفس الجزء والصفحة والثانى ص ٥٩٦ تاريخ الجامع الازهر لعبد الله عثمان ص ٣٠٢ .

٢ ــ المرجعان السابقان الاول نفس الجزء والصفحة والثانى ص ٥٩٢ تاريخ الجامع الازهر لعبد الله عنان ص ٣٠٢ .

٣ ــ المرجعان السابقان الاول نفس الجزء والصفحة والثانى ص ٥٩٥ تاريخ الجامع الازهر لعبد الله عنان ص ٣٠٢ .

٤ ــ المرجعان السابقان الاول نفس الجزء والصفحة والثانى ص ٥٩٨ تاريخ الجامع الازهر لعبد الله عنان ص ٣٠٢ .

٥ ــ الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٢٢ .

٦ ــ الخطط التوفيقة ج ٤ ص ٢٢ ، مجتمع علماء الازهر د . عبد الجواد صابر ص ٥٩٠ .

٧ ــ الخطط التوفيقة ج ٤ ص ٢٢ ، مجتمع علماء الازهر د . عبد الجواد صابر ص ٥٩٢ .

٨ ــ الخطط التوفيقة ج ٤ ص ٢٢ ، مجتمع علماء الازهر د . عبد الجواد صابر ص ٥٩٩ .

١٢ ـ رواق الأكراد : وقد هدم وبنى مكانه الرواق العباسى ونقل اليه طلبة الأكراد الذين بلغ عددهم فى القرن التاسع عشر تسعة طلاب وله جراية كل يوم خمسة وستون رغيفا وشيخه الشيخ عبد الله الكردى(١) .

١٣ ـ رواق الهنود : للطلبة القادمين من الهند وباكستان وبلغ عدد القاطنين به فى القرن التاسع عشر الميلادى عشرة طلاب ومرتبهم كل يومين ثلاثون رغيفا وشيخهم الشيخ مصطفى امام هندى(٢) .

١٤ ـ رواق البغدادية : للطلبة القادمين من ايران والبحرين والعراق وكردستان والكويت وكان يسكنه فى القرن التاسع عشر تسعة طلبة ومرتبه كل يوم ثلاثون رغيفا ، شيخه الشيخ عيسى البصرى(٣) .

١٥ ـ رواق البرابرة يسكنه مجاورو البربر من موريتانيا وما اليها وهم يزيدون على أربعين طالبا وشيخه الشيخ محمد نور البربرى ومرتبه كل يومين أحد عشر رغيفا وربع رغيف (٤) .

١٦ ـ رواق دكارنة صليح ويسكنه الطلبة الوافدون من منطقة تشاد فى وسط افريقيا وكان عدد طلبته فى القرن التاسع عشر الميلادى خمسة طلاب وشيخه الشيخ جمعه عبد الرحمن الصليحى ولهم جراية كل يومين سبعة عشر رغيفا وربع رغيف(٥) .

١٧ ـ رواق الصين : وقد أنشىء حديثا وينتمى اليه أبناء الصين(٦) .

ومن احصاء الطلبة الوافدين الذين يقطنون فى هذه الأروقة حسب ما أمدتنا به المصادر فى القرن التاسع عشر الميلادى ، يتبين لنا أنهم يقاربون خمسمائة طالب من مختلف أنحاء العالم الاسلامى يوفر لهم الأزهر الغذاء والمسكن .

ومن هنا يتبين لنا أن الأزهر كان موئلا لكل الطلاب المسلمين مهما اختلفت لغاتهم وجنسياتهم وألوانهم وفى رحابه تحققت المساواة وانعدمت الامتيازات بين الطلاب وكانت أروقة الأزهر مفتوحة لجميع الطلاب وحلقاته ترحب بكل الوافدين اليها وبعض الوافدين يأتون اليه عن طريق حكوماتهم وبعضهم ترسلهم هيئات اسلامية ، وكثيرون منهم يأتون بأنفسهم ، والأزهر يرحب بالجميع ويقدم لهم كل ما يحتاجون اليه من نفقات ورعاية مادية ومعنوية ، ثم يلحقهم بالفرق الدراسية التي تناسبهم، وبعد دراسات خاصة باللغة العربية لمن يحتاج اليها ليتابع دراسات الأزهر(٧) .

وفى القرن العشرين تمدنا الاحصائيات بعدد الطلاب الوافدين المقيدين فى الأزهر مع اغفالها لغير المقيدين وهم كثير .

ففى سنة ١٩٣٨ بلغ عدد الطلاب الوافدين

---

١ ـ الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٢٣ ، مجتمع علماء الازهر د. عبد الجواد صابر ص ٥٩١ .

٢ ـ الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٢٣ ، مجتمع علماء الازهر د. عبد الجواد صابر ص ٥٩٩ .

٣ ـ الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٢٣ تاريخ الجامع الازهر لعنان ص ٣٠٢ ، مجتمع علماء الازهر د. عبد الجواد صابر ص ٥٩٢ .

٤ ـ الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٢٤ .

٥ ـ الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٢٣ تاريخ الجامع الازهر لعنان ص ٣٠٣ ، مجتمع علماء الازهر د. عبد الجواد صابر ص ٥٩٤ .

٦ ـ تاريخ الجامع الازهر لعنان ص ٣٠٣ .

٧ ـ الازهر تاريخه وتطوره ص ٥٧٠ ـ ٥٧٤ .

٧٠٠ سبعمائة طالب .

وفى سنة ١٩٤٨ بلغ عدد الطلاب الوافدين ٩٩٩ تسعمائة وتسعة وتسعين طالبا .

وقد كثر عدد الطلاب الوافدين على الأزهر من البلاد العربية والاسلامية وغيرها من عام ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٦٤م فكان كالتالى :

١ ـ مجموعة الدول العربية من آسيا وتشمل : فلسطين والاردن وسوريا ولبنان واليمن والسعودية والعراق والبحرين والكويت وامارة عمان .

٢ ـ مجموعة دول افريقيا وتشمل : الجزائر وليبيا وتونس والمغرب والسودان والحبشة وأريتريا والصومال والسنغال وغينيا ومالى ونيجيريا والنيجر وغانا وغامبيا وساحل العاج ومدغشقر وموريتانيا وفولتا العليا وسيراليون والكنغو وداهومى وراوندى أو راندى وليبيريا وتوجولاند وتنجانيقا وكينيا وتشاد وأوغندا وزنجبار .

٣ ـ مجموعة دول شرق آسيا وتشمل : اندونيسيا والفلبين والملايو وسيام وتايلاند والهند وباكستان ومالديف وبورما وايران وكمبوديا والأفغان وسيلان وسنغافورة والاتحاد السوفيتى .

٤ ـ مجموعة دول : تركيا وقبرص واليونان ويوغسلافيا وألبانيا واليابان وأمريكا وانجلترا وألمانيا واستراليا .

والمجموع الكلى لجميع الطلاب الوافدين على الأزهر ليرتشفوا من رحيقه خلال تلك الأعوام هو :(١)

سنة ١٩٥٢ م ٢٥٤٨ طالبا
سنة ١٩٥٣ م ٢٨٤٨ طالبا
سنة ١٩٥٤ م ٤٠٨٢ طالبا
سنة ١٩٥٥ م ٤٢٩١ طالبا
سنة ١٩٥٦ م ٣٢٩٣ طالبا
سنة ١٩٥٧ م ٣٠٧١ طالبا
سنة ١٩٥٨ م ٢٥٢٧ طالبا
سنة ١٩٥٩ م ٢٧٨٨ طالبا
سنة ١٩٦٠ م ٢٩٣٠ طالبا
سنة ١٩٦١ م ٢٨١٧ طالبا
سنة ١٩٦٢ م ٢٧٢٥ طالبا
سنة ١٩٦٣ م ٢٨٨٤ طالبا
سنة ١٩٦٤ م ٣٦٢٧ طالبا

وزيادة فى رعاية هؤلاء الطلاب الوافدين الى الأزهر(١)والاهتمام بهم أنشأ الأزهر لهم مدينة جامعية تخصص لسكناهم على أحدث طراز وعلى رقعة كبيرة بأرض الغفير بالدراسة حيث ضمت واحدا وأربعين عمارة سكنية تتسع كل منها لسكنى ١٢٠ طالبا وبكل منها ابهاء للاكل والاستقبال وأطلق على المدينة اسم « المدينة السكنية لطلبة البعوث الاسلامية » وهى تتسع لسكنى خمسة آلاف طالب .

وفضلا عن توفير السكنى المريحة لطلاب البعوث الاسلامية فان الأزهر يمنح هؤلاء الطلاب اعانات شهرية تبدأ من خمسة جنيهات(٢) للطلاب الذين يتمتعون بالسكن فى مدينة البعوث وهذا يعبر عن الرعاية الفائقة من الأزهر للطلاب الوافدين عليه (٣) .

---

١ ـ انظر الازهر تاريخه وتطوره ص ٣١٠ ، ص ٥٦٧ ، ٥٦٩ ـ ٥٧٤ .

(٢) زادت الآن زيادة كبيرة فهى تبدأ بـ ٢٥ جنيها للمعاهد الازهرية و١٥ جنيها للجامعة و٣٥ جنيها للدراسات العليا عدا ما تقدمه لهم المدينة من مأكل ومسكن ورعاية صحية واجتماعية

٣ ـ تاريخ الجامع الازهر محمد عبد الله عنان الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

تاريخ الأزهر في الخارج

وعندما أنشئت كلية البنات بجامعة الأزهر اتسع صدرها لقبول طالبات وافدات من شتى أنحاء العالم الاسلامي بحيث بلغ عدد الطالبات الوافدات في العام الجامعي ٧١/١٩٧٢ م ١٣٤ أربعا وثلاثين ومائة طالبة من دول آسيا وأفريقيا يقدم لهن المسكن والمأكل (١) وهكذا يعمل الأزهر على أن يؤثر في الخارج عن طريق تعليم الطالبات أمهات المستقبل كما يؤثر عن طريق الطلاب أما عدد الطلاب الوافدين في مرحلة الاجازة العالية في الجامعة موزعين حسب سنوات الدراسة في كلياتهم خلال العام الجامعي ٧١/١٩٧٣ فقد بلغ مجموعهم في الكليات كالتالي :

كلية أصول الدين ٣٢٥ طالبا .
كلية العلوم ١٢ طالبا .
كلية الشريعة والقانون ٧٥٩ طالبا .
كلية التربية ٥٩ طالبا .
كلية اللغة العربية ٣٨٤ طالبا .
المعهد العالي ٩٤ طالبا .
كلية التجارة ١٠٤ طلاب .
معهد اللغات ٩٥ طالبا .
كلية الزراعة ١١٠ طلاب .
كلية الطب ٣٤٦ طالبا .
كلية البنات كما ذكرنا ١٣٤ طالبة .
كلية الهندسة ٣٦٢ طالبا .
المجموع ٢٥٨٤ طالبا . (٢)

وبلغ عدد الدول القادمين منها اثنتين وخمسين دولة من قارة آسيا وأفريقيا وأوروبا(٣) .

وقد قدم الأزهر في العام الجامعي ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ ١٩٨١-١٩٨٢ م منحا الى اثنتين وثمانين دولة ليتعلم أبناؤها في الأزهر ويرتشفوا من رحيقه وينعموا بالحياة العلمية فيه ثم يرجعوا الى بلادهم هداة ومرشدين وقد بلغ عدد طلاب هذه الدول المتمتعين بمنح الأزهر حسب احصاء مراقبة البعوث الاسلامية كالتالي :(٤)

(أ) من الوطن العربي : من السودان والصومال وموريتانيا وسلطنة عمان ، وفلسطين ولبنان والجزائر واليمن الشمالية وتونس وجيبوتي والبحرين وسوريا والأردن والعراق ٣٢٥ طالبا .

(ب) ومن أفريقيا : من تنزانيا وفولتا العليا والنيجر وغينيا كوناكري والسنغال والكنغو برازافيل والكاميرون وغامبيا وبنين (داهومي) وكينيا وغينيا الاستوائية وموريشيوس وزامبيا وتوجو ومالي وجزر القمر وأوغندا ونيجيريا وغانا وسيراليون وساحل العاج وكينشاسا (زائير)وبوروندي وتشاد ومدغشقر وغينيا بيساو والرأس الأخضر وليبيريا وموزمبيق ورواندا والجابون وزيمبابوي وسلطنة الأوسا واثيوبيا وجنوب افريقيا وناميبيا وسويزيلاند

---

١ ـ ...

٢ ـ تقويم جامعة الأزهر في اربع سنوات دار المعارف ص ٦٦٦ .

٣ ـ تقويم جامعة الأزهر في اربع سنوات دار المعارف ص ٦٠٧ .

٤ ـ انظر تفصيل ذلك في تقويم جامعة الازهر في اربع سنوات دار المعارف ص ٦٢٤ ، ٦٢٥ .

٥ ـ احصائية مراقبة البعوث الاسلامية ببيان عدد الطلاب الوافدين المقيدين على منح الازهر عام ١٤٠١ ـ ١٤٠٢ هـ الموافق ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ م

وملاواى وأريتريا وبوتسوانا وأفريقيا الوسطى وليسوتو ١٤٥٦ طالبا .

(جـ) ومن آسيا : من الفلبين والباكستان ومالديف وبنجلاديش ونيبال وسيريلانكا واندونيسيا وماليزيا وبورما وجزر فيجى واليابان والهند وأفغانستان وسنغافورة وكمبوديا وايران والصين وبرونى وتايلاند واستراليا وكوريا الجنوبية ١٠٢٥ طالبا .

(د) ومن أوربا وأمريكا : من تركيا واليونان وروسيا وأمريكا وألمانيا الغربية وفنزويلا والبرازيل وبلجيكا ويوغسلافيا ورومانيا وانجلترا والمكسيك والنمسا وترينداد وفنلندا وفرنسا ٢٠٧ طلاب .

وبذلك يكون المجموع من كل الدول هو ٣٠١٣ طالبا (١) .

هذه الاحصائيات السابقة التى تبين عدد البلاد الاسلامية وغير الاسلامية وعدد الطلاب القادمين منها حتى هذا العام ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م خير دليل على التأثير الحقيقى للأزهر فى الخارج حيث يعود هؤلاء الطلاب الى بلادهم بعد تخرجهم منه أو بعد حصولهم على قدر كبير من التعاليم والمعارف الاسلامية فيقومون بنشر هذه التعاليم فى بلادهم فى المدارس وفى المساجد وفى الجامعات وفى شتى انحاء مجتمعاتهم المتعددة ، والكل يكن لهم كل تقدير واحترام ويهتدى بآرائهم ويسير عليها، لأنهم قد اغترفوا من تعاليم الاسلام فى رحاب الأزهر الشريف وتفقهوا فى الدين على أيدى علماء الأزهر الأجلاء .

وهم الآن يوضحون لقومهم فى شتى أنحاء العالم بلغات قومهم حقيقة الاسلام ويشرحون تعاليمه ومبادئه ، ويتحقق فيهم قول الله تعالى : « فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (٢) » .

وبعض هؤلاء الطلاب الوافدين الى الأزهر يكون لهم شأن كبير فى بلادهم عند عودتهم اليها حيث يتولون فيها قيادات سياسية ، وتعليمية وغيرها من الخدمات الاجتماعية المتعلقة بشئون بلادهم ، فيتفوقون فيها ويكون لهم تأثير كبير فى بلادهم ، ولا شك أنهم يعتبرون لسان الأزهر المعبر فى تلك البلاد وصورته المشرقة وصوته المدوى بتعاليم الاسلام ، ومنارته المشعة بأهدافه السامية فى شتى أرجاء العالم وقد اغترفوا ذلك من تعاليم الاسلام السمحة ومبادئه السامية التى يقوم الأزهر وعلماؤه الأفذاذ على حمايتها ونشرها فى أنحاء العالم .

وقد ادت هذه الوفود الطلابية بجوار ذلك الى توثيق الصلات بين الأزهر وبين سائر الامم والشعوب العربية والاسلامية فى شتى انحاء العالم ، بل اننا نجد أن الصلات التى تقوم بين ابنائه الطلاب من شتى انحاء العالم تعمل على توثيق الصلات بين الامم بعضها وبعض .

د. محمد محمد شتا زيتون

---

(١) هذا هو مجموع الوافدين على منح الأزهر أما الطلاب الوافدون الذين بدرسون بالأزهر — معاهد — كليات دراسات عليا بما فيهم هؤلاء فلا يقلون عن اثنى عشر الف طالب (١٢٠٠٠)

٢ — سورة التوبة آية ١٢٢ .

التليفزيون وأثره في سلوك أطفالنا

* **الأبـــاء** : أولادنا يديرون ظهـورهم لنا .. ويقبلون على هذا الجهـاز .. !!

* **الأمهات** : لم أعد أحتمـل أولادي وهم يرددون الكلمات النابية التي يســمعونها من التليفزيون .. !

* **علماء الدين** : لقد هبط بمستوى الـذوق والخلق لدى أطفالنا وأفشى الكثير من أسرار العلاقات الزوجية .

* **رجال الشرطة** : انه يعلم الجريمـة .. **وينشر العنف ــ وعندنا الأدلة .. !**

* **رجال الاعلام** : لا خـوف على أطفالكم منـه .. ولكن ..

* **علماء النفس والتربية** : انه يساعد على النضج العقلى للطفلقبل الأوان .

ترى أين الحقيقة ؟ وسط هـذا الخليط من الآراء ؟

الآراء التى صادفناها ونحن نبحث هـذه القضية ــ والى أى مدى يؤثر هذا الجهـاز فى حياة أطفالنا .. ؟

ومن من هؤلاء الذين قدمنا على صـواب فى مخاوفه ..

وهل علماء النفس محقون فى تفاؤلهم ..؟!

حقيقة .. ، ان الموضوع جـد خطـير ، ولا تكفينا هذه السطور العجلى فى تنـاوله ، وانما الأمر يحتاج الى بحوث ميدانية تجرى فى هذا الشأن ، وان كنا فى هذا المقام سنأخذ بنتائج بحوث أجريت من قبل ، ولكن فى دول أوربية وأمريكية وبحث واحد أجرى فى مصر عام ١٩٧٨ م .. ولسـت أدرى لـماذا ــ فى العـالم العربى والاسـلامى بالـذات ــ لا يحظى الطفل الا بأقل القليل من اهتمامات الباحثين والمفكرين ؟ وســوف تدهش معى حين تعلم أن نسبة الأطفال فى العالم العـربى يشكلون حوالى ٤٣٪ من تعداد السكان (١) ؛ وســوف تزداد الدهشـة والحيرة حين تعلم أن هذه النسبة لا تحظى من الانفاق عليهـا من ميزانية حكوماتها الا بفتات المائدة ٠٫٠٣٪.

أولا : التليفزيون فى قفص الاتهام : ــ

فى خلال السنوات العشر الماضية ، شـغل التليفزيون الكثير من أوقات العلماء والباحثين فى مجالات التربية وعلم النفس والاجتمـاع والاعلام والعاملين فى مجـالات الاتصـال .. ولقـد أطالوا البحث فى قضية التأثير عـلى الطفل على وجه الخصوص ، وتعرضوا للآثار السلبية التى يتركها هذا الجهاز على أطفالنا !

غير أنه من الملاحظ أن كثيرا ممن كتب فى هذا الميدان ــ ، كتب بحرارة زائدة ، وخوف والفز على أطفالنا ــ وهم محقون فى ذلك ــ

---

١ ــ د. فوزية فهيم : التليفزيون فن ، سلسلة اقرأ ، العدد ٤٦٥ .

للأستاذ حسن على محمد المنيسى

ولكن متى كان التحيز من سمات البحث العلمى ؟ ومتى أفادت العاطفة فى قضايا خطيرة كهذه القضية ؟ .

والباحث فى هذا الميدان يجد أمامه كثيرا من علامات استفهام تطرح نفسها على بساط البحث ومازالت مثل هذه الاستفهامات — فى الدول النامية بالذات — لم تجد اجابة واحدة شافية مفيدة .. فما يكون مضرا للطفل من برامج فى دول أوربا قد يكون غير ذى ضرر للطفل الأفريقى وما يراه الباحث مفيدا للطفل المسلم قد لا يراه كذلك من هو فى أمريكا !؟ .

الا أن هذا لا يمنع من وجود أمور محددة قد تؤثر على الطفل — أى طفل — تأثيرا خطيرا بسبب الكثير من السلبيات التى تظهر فيما بعد وهنا مكمن الخطر .. ! ، ونجمل أهم الاتهامات الموجهة الى التليفزيون فيما يلى :

— التليفزيون هبط بمستوى الذوق والخلق لدى الأطفال .

— التليفزيون يعمل على الاقلال من معرفة الطفل ويأخذ من وقت القراءة .

— التليفزيون يساعد على انتشار العنف بين الأطفال ويعمل على نشر الجريمة .

— التليفزيون لم يجعل فى الحياة الأسرية أسرارا . فقد وصل حتى غرفة النوم .

التليفزيون يأخذ الطفل من أحضان أمه ولا يوفر وقتا للعلاقات العائلية ، وبالتالى يساعد على غربة الطفل فى بيته وشعوره بالانعزال .. !

— التليفزيون هبط بالقيم والمبادىء .. ويمجد القيم الهابطة ويقدم صورا مشوهة للعلاقات الانسانية .. مما يشوه فكرة الطفل عن مجتمعه .

هذه تساؤلات طرحها كثير من العلماء ، والباحثين وأجروا تجاربهم وأبحاثهم وحاولوا وضع أجابات لها .. سنقدمها بين يديك .

*** ولنا الى جانب هذه الاتهامات .. اتهام :**

اذا كان فى مجال السينما توجد أفلام « للكبار فقط » ولا يسمح بمشاهدتها للاطفال .. ، فلماذا لا يراعى التليفزيون هذه الأمور وهو الذى يدخل « كل بيت » أى أنه للجميع كبارا وصغارا ، واذا دخل كل بيت فان برامجه تصبح فى متناول الجميع الطفل .. والكبير .

واذا كان منتجو « الأفلام السينمائية » والمسرحيات يتنافسون فى انتاج الافلام المثيرة بكل صنوف الاثارة سعيا وراء الربح المادى ، وكسبا لمزيد من المشاهدين ، فان التليفزيون غنى عن مثل هذه الامور ، حيث أن مصدر تمويله مضمون ، من مال هذا الشعب تقدمه له الحكومة سنويا ، كما أن **جمهوره مضمون** ، كل أسرة تقتنى تليفزيون ، اذن لماذا ينسى هذا الجهاز هذه الحقائق !؟ .

التليفزيون
وأثره في سلوك أطفالنا

ولقد نشرت مجلة الاذاعة والتليفزيون (١) في عدد سابق عبارة شهيرة لأحد النقاد المعروفين قال فيها : —

« لقد كنا نخاف على البنت أو الولد ونمنعهما من دخول « الكباريه » ، فأدخل التليفزيون « الكباريهات » الى كل بيت .. !!

حتى العلاقات الزوجية فقدت قدسيتها وتحولت الى مجموعة من المشاهد المثيرة التي تدور حول علاقات حجرة النوم بين الزوجين ..!

ونحن هنا نتساءل : لماذا لا ينقي التليفزيون برامجه .. كل برامجه .. من هذا الغثاء .. !! من كل الأنماط السيئة .. لماذا ؟

وفي هذا الصدد فانني لست مع الذين يقولون : ان على الآباء منع أولادهم بطريقة ما من مشاهدة مثل هذه الأفلام التي تحوي مشاهد جنسية أو مشاهد عنف ، من حيث أن ذلك صعب عمليا ولن يكون الأب رقيبا مستديما على أولاده .. !

كما أنني لست مع الذين يرفضون التليفزيون كلية ويرون أن ندعه لبلاد الكفار (٢) وأن نخرجه من دائرة الاهتمام ونستغني عنه بوسائل أخرى .. !!

ان كثيرا من برامج التليفزيون تعرض مشاهد العنف والقسوة والسلوك المنحرف بدرجة خطيرة تؤكد ما يقال بأن المواجهة الأولى للطفل مع العنف والسلوك الوحشي تحدث على شاشة التليفزيون ، ويرى كثير من علماء النفس انه توجد علاقة ارتباطية بين زيادة جرائم العنف وازدياد البرامج المليئة بالسلوك الوحشي وفي دراسة قام بها د. وليام بيلسون (٣) لمعرفة العلاقة بين مشاهدة الأطفال للعنف في التليفزيون وبين اكتسابهم صفة العنف في حياتهم العملية .. ومن نتائج هذه الدراسة وجد : —

— أن الأطفال الذين يشاهدون برامج العنف يتسم سلوكهم بالعنف الى درجة كبيرة تزيد حوالي الضعف عن أولئك الذين لا يشاهدون الا أقل القليل من هذه البرامج .. !!

— وتوجد خمسة برامج تليفزيونية تسبب هذا العنف ، وسوف نذكرها ، لأن التليفزيون المصري مصمم على اذاعتها وإتحاف أطفالنا بها : —

هذه البرامج هي :

أفلام رعاة البقر ، مباريات الملاكمة والمصارعة والكاراتية ، أفلام الجريمة والافلام البوليسية ، والتمثيليات التي تظهر أبطالها وهي تمارس العنف ضد بعضها البعض الآخر (٤) .

ولخطورة القضية يكفي أن نشير الى تصريح خطير للرئيس الراحل جون كيندي رئيس

---

١ — مجلة الاذاعة العدد رقم ١٨٧٢ الصادر في ٦ — ٢ — ١٩٧١ م .

٢ — صاحب هذا الرأي د. عمارة نجيب استاذ الدعوة بجامعة الأزهر في كتابه المدخل الى الاعلام الاسلامي وهو كتاب جديد في بابه الا أن لدينا تحفظات على كثير من آرائه .

٣ — د. فوزية فهيم ، المرجع السابق ، ص ١٠٤

٤ — وتشتد الخطورة اذا علمنا أن الاطفال يشاهدون اكثر من ٥٩٪ من البرامج المخصصة للكبار .

الولايات المتحدة الامريكيــة .. يقــول أن الجريمة زادت بسبب التليفزيون وأن مكافحة انحراف الأحداث يكلف بلاده حوالى خمســة بلايين دولار سنويا » .

ومن المفيدأن نذكر فى هــذا المقــام ، أن الولايات المتحدة الامريكية ، التى تتوافر فيها الحرية المطلقة ، الى حد بعيد ، تمارس انشاء لجــان فنية ــ موجودة فعلا ــ وهذه اللجــان معنية بمجالات الفنون الاذاعية الموجهة الــى الأطفال والشباب ، وتقوم بمتابعة ما يــذاع ، ومراقبة الشبكات التليفزيونية التى تخرج عن القصد وتوقع عليها العقــوبات المــــلائمة للمخالفات ، وقد تصل العقوبة الى حد سحب ترخيصها ، كما أنه توجــد شــبكات اذاعيــة وتليفزيونية متخصصة ، موجهة الى الشباب ، ومنها ما هو مخصص للأطفال ..

ومن هنا نرى الى أى مدى تحرص الدولــة على حماية أطفالها من تجاوزات الوســـائل الاعــلامية ومنها التليفــزيون على وجــــه الخصـــوص ، وذلك لأن الأطفال هم الثــروة الحقيقية لبلادهم .. !

ولكن ليس معنى هذا أننا نقول هنا أن يجب الغاء التليفزيون نهائيا من حياتنا ، وحيـــاة أطفالنا حتى نستريح ، ونريح ، ولكنى أقــول ان الاستخدام الخاطىء لهذا الجهاز هو الذى يؤدى الى هذه النتــائج الخطــيرة ، وهــذا الاستخدام يتمثل فيما يقدمه التليفــزيون من قيم ومبادىء تختلف تماما مع قيمنا الاسلامية فى بعض الأحيان .

● ثانيا : مشاهدة التليفزيون بين الاطفال :

لو انك سألت طفــلا .. لماذا تشــاهد التليفزيون (١) ؟ فلن تجد لــديه جــوابا شافيا ، فقد يجيب بأنه يشــاهده لأنــه يحب التليفزيون ، أو لأنه يسليه ، أو لأن « ماما تشاهده » !! وذلك دون أن يقدم لك شــيئا مفيدا عن سبب الاقبال على المشاهدة كسبب حقيقى ، ولهذا لجأت الى دراستين ألتمس فيها جوابا عن هــذا الســؤال : ــ

الأولى : قــام بهــا العــالم ويلبور شرام وجاك ليــل ، وباركر .. وســــوف نذكــر نتائجها فقط .

والثانية : فى بحث لتقييم برامج الاطفــال بالاذاعة والتليفزيون قام به اتحاد الاذاعة فى عام ١٩٧٨ وقد أجرى فى مدينة القــاهرة .

(ا) البحث الذى قام به شرام وزميلاه :

قدم ديلبور شرام وزميـــلاه الســؤال السابق الذكر الى الاطفال بطريقة غير مباشرة فوجد الآتى : ــ

ــ أنه يوجد سبب واضح لمشاهدة الأطفال للتليفزيون وهو الاســاس الســلبى بالسرور نتيجة للترفيه الذى يقدمه الجهاز حيث يعيش الطفل فى جو خيــالى ليتخلص من مشــاكل الحياة الواقعية ..

ــ كذلك فان الأطفال يكتســـبون جانبا من المعرفة عن طريق التليفزيون دون قصد منهم لذلك ، رغم أن الأطفــال يضــيقون بالبرامج التعليميــة ، وذلك لأنهم يريــدون أن يجىء

---

١ ــ حاولت أن اوجه هذا السؤال بصــيغ مختلفة الى كثير من الاطفال فى منازل كثير من أصدقائى وراعيت أن يكونوا من شرائح اجتماعية مختلفة ، وفى الحق أنى وجدت تأثرا كبيرا لدى الاطفال بالتليفزيون وتأثيرا واضحا على الطفــل فى مفردات الالفاظ ، وخبراته فى الحياة ، وكم المعلومات عن الحياة العامة ، لاسيما أســماء الاماكن والممثلين والفنانين والاغانى !!

التليفزيون
وأثره في سلوك أطفالنا

التعليم من التليفزيون بطريق غير مباشر .

ــ يجد الطفل في التليفزيون ما يعينه على الهرب من الصراع النفسي ، كما أنه يشبع رغباته النفسية ، ويسرح معه بخياله ..

ــ التليفزيون يحتوى على كل مميزات الوسيلة السمعية والبصرية ومن هنا تأتى جاذبيته في الصورة .. والصورة المتحركة .. والملونة . .والمكبرة أحيانا ..!!

ب ــ البحث الذي أجرى بمدينة القاهرة في ج . م . ع : (١)

أجرت هذا البحث الأمانة العامة لاتحاد الاذاعة والتليفزيون في مدينة القاهرة في ١٩٧٨م ، على : أطفال المدارس الابتدائية .. في السن التي تتراوح بين ٨ ــ ١٢ سنة أي بين تلاميذ الصف الثالث وحتى السادس الابتدائي .

وقد روعى في تحديد السن .. أنها السن التي يمكن للطفل فيها أن يعبر عن رأيه فيما يقدم له بوضوح ، وكانت عينة الدراسة : عينة عشوائية منتظمة قوامها «٤٠٠» طفل وطفلة ، وهي تضم حوالي « ١٣٦ » مدرسة ابتدائية منتشرة على أربعة أقسام ادارية هي :ــ قصر النيل ، بولاق ، عابدين ، الموسكي .

النتائج :

وبالبحث اتضح أن ٩٨٪ من أفراد العينة(٢) يشاهدون برامج التليفزيون بصفة عامة ، وهذا مكمن الخطورة حيث يشاهد الأطفال برامج الكبار ، بما لايتناسب مع السن أو التفكير .. ووجدوا أيضا أن ١٠٠٪ من الاطفال في العينة « ذكور » يشاهدون برامج التليفزيون ، في حين أن ٩٥٪ من الاناث يشاهدون برامج التليفزيون ..

وفيما يلى أهم البرامج التي يفضل أطفالنا ــ في القاهرة مشاهدتها :

الترتيب	اسم البرنامج	معدل المشاهدة
الاول	برامج الاطفال	٩٠٫٨٪
الثاني	الفيلم العربي	٧٩٫٦٪
الثالث	المسلسلات	٦١٫٢٪
الرابع	عالم الحيوان	٣٥٫٥٪
الخامس	افلام الكرتون	٣٤٫٤٪

ويلاحظ أن الفيلم العربي يحتل المرتبة الثانية .. ونظرة واحدة على مضامين أفلامنا العربية تؤكد لنا الى أين نحن نسير .. وكيف نجنى على هؤلاء الاطفال ..!

أما عن البرامج التي يقدمها تليفزيون جمهورية مصر العربية للأطفال فهي كالآتي مرتبة حسب أولويات مشاهدتها لدى الأطفال:

الترتيب	اسم البرنامج	معدل المشاهدة
الأول	سينما الأطفال	٧٠٫٢٪
الثاني	عصافير الجنة	٦٤٪
الثالث	فنافيت السكر	٥٢٫٥٪
الرابع	نادى العلم والايمان	٣٣٪
الخامس	عالم الصغار	١٦٪

ويلاحظ أن البرامج ذات الجرعة الدينية الخفيفة تأتي في المؤخرة « الترتيب الرابع » ، ويرجع هذا الى مسألة التوجيه .. اذ لابد أن يوجه الآباء والامهات أولادهم ويساعدونهم

١ ــ راجع بحث تقييم برامج الاطفال بالاذاعة والتليفزيون ــ اتحاد الاذاعة والتليفزيون ــ الأمانة العامة ط ١٩٧٨ ــ بمكتبة كلية الاعلام ــ جامعة القاهرة .

٢ ــ نفس المرجع ، ص ١ ، ٣ ، ٦ ، ١٦ .

فى اختيار ما يشاهدونه وما لا يشاهدونه !! قدر المستطاع .. !

ويقدم البحث (١) عدة مآخذ على برامج الأطفال يحسن بنا أن نذكرها فى هذا المقام :

١ ـ أن هذه البرامج غير مفهومة لكل الأعمار

٢ ـ أن موضوعاتها مكررة فى مختلف البرامج ٠

٣ ـ توجد مبالغة فى القصص الخرافية ٠

٤ ـ ضعف مستوى الشكل والمضمون ٠

٥ ـ لا تهتم بالمشاكل الحقيقية للأطفال ٠

٦ ـ قلة ما يعرض من أفلام الكرتون ٠

٧ ـ كثرة ثرثرة المذيعات .. مما يأخذ من وقت البرنامج ٠

٨ ـ عرض اللقطات المخيفة ٠

وذكر البحث عدة أوجه للافادة من هذه البرامج منها :

١ ـ أن ٥٢٪ من أطفال العينة تعلمهم هذه البرامج احترام الوالدين ٠

٢ ـ أن ٤٢٪ من أطفال العينة تعلمهم حب المدرسة ٠

٣ ـ أن ٣٧٪ من أطفال العينة تعلمهم الشجاعة والصدق فى القول :

ثالثا : متى يبدأ الطفل فى استعمال التليفزيون ؟ ومن أكثر الأطفال مشاهدة له ؟ ٠

أن «التليفزيون» ليس بأول الوسائل التى يتعرف عليها الطفل فى حياته .. وليس هو مصدر المعرفة الأوحد لدى الأطفال .. فهناك الحواس التى أودعها الله فى الانسان ، وهناك المشاهدات اليومية للطفل ، وقصص الأم للأولاد .. !

ويمكن القول أن أول وسيلة للمعرفة لدى الطفل هى الكتاب (٢) ، ويتم اتصاله بها عندما يسمع قصة على لسان والدته قبل النوم وعليه فان الطفل يتعرف على الكتاب عن طريق قصة يسمعها وليس عن طريق القراءة المباشرة .. !

ولقد أثبتت بعض الدراسات العلمية أن أول اتصال يتم بين الطفل والتليفزيون يتم فى سن الثانية ، وذلك عندما ينصت مصادفة الى برنامج يستمع له شخص آخر ، حتى اذا بلغ سن الثالثة من عمره استطاع أن يحدد أى البرامج يحبها ويفضلها مثل برامج الأطفال وبرامج الصور المتحركة وأفلام الكرتون وقصص الحيوان .. الخ ٠

وفى الفترة من الثالثة وحتى سن السادسة يبدأ الطفل فى معرفة بقية وسائل الاتصال فيتعرف على « الراديو » ، وقد يصحبه أحد الكبار من أسرته الى « السينما » ويبدأ فى معرفة الوسائل المطبوعة ، ويبدأ بعد ذلك نشاطا ايجابيا نحو الكتاب خصوصا بعد دخوله المدرسة .. ويمكن أن نجمل عدة حقائق حول بداية تعرف الطفل على التليفزيون منها :

١ ـ أن طبيعة البرامج التى يتعرف الطفل عن طريقها بالوسيلة : (راديو أم تليفزيون) ترتبط ارتباطا وثيقا بمادة هذه البرامج ٠

٢ ـ أن الطفل حين يتعرف على هذه الوسائل السمعية والبصرية فانه يتعرف اليها على أنها مجالات خيالية أو أنها خبرات سمعية وبصرية ، كما أن الكيفية التى يستعمل بها الطفل التليفزيون توضح لنا أنه يعتبره جسرا الى عالم الخيال ..

---

١ ـ نفس المصدر ، ص ٦ ٠

٢ ـ نفس المصدر ، ص ١٦

التليفزيون
وأثره في سلوك أطفالنا

والملاحظ أن الاقبال على التليفزيون يطغى على جميع وسائل الاتصال لدى الأطفال وهنا – في الحقيقة – خطورة الموقف اذ يسيطر التليفزيون ويستأثر بنصيب الأسد في عدد المشاهدين من الأطفال .. ومن هنا تنادى بضرورة التدقيق فيما يقدم من موضوعات!!

وفي تجربة أجراها الباحثون في هذا الميدان (١) تبين لهم أن معدل السن الذي يبدأ فيه الأبناء التعرف على التليفزيون هو ٢,٨ سنة ، وفي تجربة قام بها نفس الباحثين في سان فرانسيسكو للتمييز بين استعمال الطفل للتليفزيون وبين الاستعمال المنتظم فوجدوا أن : –

٣٧٪ من الأطفال يستخدم هذا الجهاز في سن الثالثة .

٦٦٪ من الأطفال يستخدم هذا الجهاز في سن الرابعة .

أكثر من ٨٠٪ من الأطفال يستخدم هذا الجهاز في سن الخامسة (وهي سن الذهاب الى رياض الأطفال) .

وأكثر من ٩٠٪ من الأطفال يستخدم هذا الجهاز بانتظام في سن السادسة (وهي سن المرحلة الابتدائية في السنة الأولى) .

واذا ما قارنا بين استخدامهم للتليفزيون واستخدامهم لأية وسائل اعلامية أخرى لوجدنا أن التليفزيون في المقدمة فمثلا في سن الثالثة يشاهد الطفل ٤٥ دقيقة يوميا ، كذلك فان ٩٠٪ من الأطفال يعرفون « التليفزيون » حتى المعرفة قبل أن يقرأوا أول صحيفة .

٨٠٪ من الأطفال يتعرفون على «التليفزيون» قبل أن يتعلموا في المدرسة نطق أى كلمة مكتوبة .

٦٦٪ من الأطفال يتعودون على المشاهدة قبل أن يذهبوا الى « السينما » هذه الحقائق تشير الى أن هذا الجهاز يحتكر وقتا كبيرا من وقت أطفالنا ويصل اليهم قبل أية وسيلة أخرى ، واذا كان العلم في الصغر كالنقش على الحجر – فان هذا العلم الذي يقدمه التليفزيون ينبغي أن يكون مفيدا وبناء .. !

وتشير نتائج أحد الأبحاث التي أجريت لمعرفة كم من الزمن يقضيه الطفل مع التليفزيون فوجدوا الآتي :

– الطفل الذي في سن الثالثة يقضي ٤٥ دقيقة في المشاهدة في الأيام العادية وتزداد هذه المدة مع كبر السن حتى تصل الى ساعتين ونصف في سن الخامسة .

– وفيما بين الخامسة الابتدائية والثانية الاعدادية تزيد مدة المشاهدة حتى تصل الى أكثر من ثلاث ساعات .. !!

والأرقام السابقة الذكر لها دلالات خطيرة .. فمعناها أن الطفل خلال سنوات تعلمه في المدرسة يقضي مع التليفزيون ٥٪ من الزمن الذي يقضيه في المدرسة ومن سن الثالثة الى السادسة عشر يبلغ مجموع الزمن الذي يقضيه الطفل مع التليفزيون أكثر من الذي يقضيه في

---

١ – التليفزيون واثره في حياة اطفالنا : مرجع سابق ص ٤٤ ونحن لا نتفق مع المؤلف في مسالة ان الكتاب اسبق الى الطفل من التليفزيون حتى وان كان عن طريق قصة يسمعها وذلك لان الثابت علميا ان الطفل يتعرف الى التليفزيون في الثانية من عمره !!

المدرسة . ويقول الباحثان : شرام وباركر .. **ان الطفل يقضى من وقته فى مشاهدة التليفزيون زمنا أطول من الذى يستغرقه فى أى نشاط آخر الا النوم واللعب ..!! .**

والغريب أن الباحثين وجدوا أن أكثر الأطفال مشاهدة للتليفزيون هم الذين رزقوا ذكاء أقل من غيرهم .. لأن الأكثر ذكاء يتحول الى القراءة والى الكتاب والى أشياء تتحدى مستواه العقلى .. !!

ويلاحظ أن ٥٠٪ من الأطفال يشاركون الكبار فى مشاهدة برامج التليفزيون فى الفترة الأولى من السهرة وهنا أيضا مكمن الخطورة الذى يجب أن يراعيه التليفزيون ، ولهذا يبدى الكثير من الآباء مخاوفهم من الانطباعات التى تحدثها برامج العنف والجريمة على عقول أبنائهم الصغار ، وكلما زادت ثقافة الوالدين كلما كان خوفهم أكبر على أولادهم من هذا الجهاز .. !!

والحقائق والأرقام السالفة الذكر تقول لنا ان التليفزيون يقتطع بعض الوقت المخصص للعب لأن فى برامجه ما يشبع نفس الرغبات التى يجنيها الطفل عن طريق اللعب .. !!

رابعا : ادمان الطفل لمشاهدة التليفزيون وعلاقته بالمشاكل العائلية فى المنزل :

هناك دراسات كثيرة تتصل بموضوع العلاقة بين المشاكل الاجتماعية للطفل ومشاهدته للتليفزيون . واحدى هذه الدراسات أجرته السيدة « لوت بيلين » حيث اكتشفت هذه السيدة أنه توجد علاقة بين الذكاء والطبقة الاجتماعية والدين ومدى مشاهدة التليفزيون.

كما أن المشاكل الشخصية للطفل ، مثل أن يكون دميما أو سمينا بدرجة لافتة للنظر أو منطويا .. الخ لها علاقة بمحتوى البرامج التى يشاهدها الطفل ، ووجدت هذه السيدة أن الطفل الذى يعانى من بعض هذه المشاكل يميل الى مشاهدة الأفلام التى يقوم البطل فيها بأعمال عدائية .. !!

كما أن المشاكل العائلية ونزاع الوالدين يشعر الطفل بعدم الأمان ، فيرى الأمور بعين ساخطة وتطول مدة مشاهدته للتليفزيون ويتأثر بما يشاهده الى حد بعيد .. لأنه افتقد القدوة فى منزله .. !

ولهذا فان الأطفال الذين يشعرون بالاحباط يميلون الى التنفيس عن مشاعرهم بطريقة تعويضية بمشاهدتهم للبرامج الخيالية ، ويتأثر سلوكهم بأعمال الاعتداء التى يرونها فى التليفزيون .

وقد وجد الباحث شرام وباركر أنه كلما زادت حدة الصراع بين الطفل ووالديه حول مواقف معينة أو نظرته ونظرتهم لأمور ما :

ــ تزيد مدة مشاهدته للتليفزيون

ــ تزيد مدة استماعه للراديو

ــ يزيد عدد مرات ذهابه الى السينما

ــ يقل عدد المجلات التى يقرأها

ــ يقل عدد الكتب التى يقرأها

ولهذا ، فاننا لا نعفى الوالدين وطريقة تعاملهم مع أطفالهم وأسلوب حياتهم ونظام معيشتهم من التأثير على الطفل فى زيادة المشاهدة من عدمها .. !!

*** التليفزيون .. وما يحدثه من آثار على أطفالنا :**

لشد ما أخاف على رجال المستقبل ، وشباب الغد من هذا الجهاز ــ رغم ما يطمئننا به

التليفزيون
وأثره فى سلوك أطفالنا

باحثو الاعلام ــ ذى الجاذبية الشـديدة للطفل الذى يهوى الصورة والحركة والألوان . وكلها أدوات متوفرة للتليفزيون .. !

وفى بحثنا عن هـذه الآثار التى يحدثهـا التليفزيون ، فانه لا يمكننا مناقشة هـذه القضية دون أن نفهم الرابطة التى تربط بين الطفل والصورة التى يراها فى التليفزيون ، ولا يمكننا فهم هذه الرابطة ، دون أن نفهم خصائص كل منهما ، أى خصـائص الطفل وطبيعته ، وخصائص الصورة ..

أ ــ طبيعة التليفزيون :

❋ من خصائص هذا الجهاز أنه له قدرة كبيرة عـلى جـذب الانتباه .. الى حـد الاستغراق .. ! وكيف لا ؟ وهو الذى يخاطب العين والأذن ، ومن ثم يركز انتباه المشاهد على الحركة فى مساحة صغيرة جـدا وهى شاشته .. !

❋ أن يسهل الحركة والنقل من مكان الى مكان ، خصوصا بعد ظهور الأحجام الصغيرة التى تعمل على بطارية السـيارة والاحجام الأخرى التى تعمل فى جهاز « كاسيت » !! ، وبالتالى فانه يصاحب المشـاهد فى خلوته ورحلاته وفى بيته كذلك ..

❋ أن « كاميرا » التليفزيون دائما تبحث عن كل ما هو غريب وطريف ومثير مما يزيد من جاذبيته وسلطانه على الأطفال .

❋ امكانيات الاخراج التليفـزيونى التى تضخم الصورة أو تعرضها بأشـكال فنية جـذابة ، وانتشـار الخـدع التليفـزيونية السينمائية ..

❋ يوفر على المشاهد كثيرا مـن الجهـد والانتقال .. فهو يشـاهد الكثير مما يروقه عن طريق الأفـلام بـدلا مـن الذهاب الى السينما .. ودفع ثمن تذكرة .. وقد لا يعجبه « الفيلم » .. !

❋ أنه ينقل الأحداث حية على الهواء ــ ويتميز بهذا عن السينما والمسرح ــ ويقـدم الأخبار التى تهم المشاهد مما يزيد من التصاق المشاهد به .. هذا الى جانب العـديد مـن المزايا والخصائص التى يتمتع بها هذا الجهاز ونحن نذكرها كمؤشرات اذا ما قارنا ذلـك بطبيعة الطفل لنعرف الى أى مدى والى أى حد يمكن أن يؤثر هذا الجهاز ..

ب ــ طبيعة الطفل :

الطفل كائن حى .. يولد صفحة بيضاء ، لديه الاستعداد الكامل للتعلم ، واستثمار ما وهبه الله سبحانه من ذكاء وفطنة ، ولهذا فان الطفل انسان صغير يتدرب اجتماعيا على يد مـن هم أكبر منه ، ويتلقى عنهم الخبرات المختلفة .. والطفل فى بداية حياته توجد لديه طاقة ضخمة للتعلم ، والتشكل ، ومن هنا فان التأثير يكون سهلا والتغيير يكون واضحا .!

وقد قالوا ان الطفل فى العصر الحديث لـه ثلاثة مربين : الآباء ، والتليفزيون ، والمدرسة .. وأصـبح التليفزيون لا يقل تأثيرا عـن الوالدين أو المدرسـة فى تنشئة الأطفال ..!!

وتتداخـل مرحلة الطفـولة مـع مرحلـة

المراهقة ، وهى مرحلة تتميز بتقلب الأحاسيس والمشاعر ، وقد يستولى على المراهق شعور بعدم الاطمئنان والخوف ، وقد يمر بخبرات اجتماعية قاسية تجعله سريع التأثر ، وقد يثور على المجتمع ، والأسرة ، ثم يأتى التليفزيون فيشعل الفتيل .. !!

ومن هنا فان الطفل انسان يكون فى أمس الحاجة الى من يفهمه ، ويقدر مشاكله ، ويساعده على حلها ، ويأخذ بيده الى بر الأمان ، بدلا من الصياح فى وجهه ، ومقابلة مشاكله بعدم الاكتراث ، ومن هنا يهرب الطفل الى الخيال .. ويستعين بجهاز التليفزيون على ذلك حيث يرى فيه وسيلة للتنفيس عما عجز عن حله من مشاكل .. !

كما يجب أن نعلم يقينا أن الظروف المحيطة بالطفل والحاجات التى يحس بها وظروف العائلة ، ومستواها الاجتماعى ، ودرجة الوعى لدى الأم والأب ، كل هذه الأمور هى التى تقرر كيفية استعماله للتليفزيون ، وبالتالى تقرر النتائج المترتبة على هذا الاستعمال ..

بعد ان :

عرضنا ــ سريعا ــ طبيعة التليفزيون ، وطبيعته أو خصائص الطفولة ، فانه يمكن القول أن الآثار التى يحدثها التليفزيون ــ أيا كانت ــ هى عبارة عن نتيجة التفاعل بين خواص البرامج التى يشاهدها الطفل ، وبين خصائص الطفل النفسية والعقلية والاجتماعية .

كما يجب الا نغفل جانبا هاما فى مسألة التأثير الا وهو أن اثر البرنامج المذاع يتوقف على ما به ــ أيضا ــ من قيمة بالنسبة للمشاهد تهمه ، أو هو يسعى اليها ، أو جديدة عليه ، أو تدعم اتجاها لديه من قبل ..

ولهذا فان كثيرا من الدراسات والبحوث التى أجريت فى مجال التأثير من جانب التليفزيون على الطفل اظهرت أن ذلك التأثير يتم وفقا لعدة عناصر :

* **القدرة العقلية :** وهى المؤشر الأساسى الذى يحدد لنا قدرة الطفل على التعلم ، والى أى مدى يستطيع أن يفرق بين الحقيقة والخيال ، وبين الغث والسمين من البرامج ، وتكون رؤيته للبرامج رؤية ناقدة ، ولا يأخذها كمسلمات .

* **السن أو العمر :** وقد سبق أن عرضنا مدى أهمية السن فى تحديد ساعات التعرض للتليفزيون فكلما كبر الطفل زادت ساعات مشاهدته حتى يصل الى الحد الذى لا يزيد عليه الا وقت النوم واللعب فقط ..

* **العلاقات الاجتماعية :** ونقصد بها تلك العلاقة الكائنة بين الطفل ووالديه ، وبين والديه وكل منهما مع الآخر ، ومدى الاستقرار العائلى من عدمه ، والاشباع العاطفى للطفل من عدمه أيضا ..

التليفزيون وأثره فى سلوك أطفالنا .

والتليفزيون يعطى الطفل بديلا عن النشاط الواقعى فى الحياة ، فعندما ترى طفلا يمص أصبعه وهو يشاهد التليفزيون فانه يمكن القول أن هذا الفعل حل محل ما يفقده من الحنان فى علاقته مع أمه (١) .

غير أنه يمكن القول ان التليفزيون لا يمكنه ان يقدم للطفل الراحة النفسية التى يشعر بها عندما يكون فى حضن أمه ولن يكون بديلا عن الأم ..

وترى بعض الدراسات الاعلامية ، أن التليفزيون ليس بقوة التأثير التى يتصورها أكثر الناس ، وأن التليفزيون قليل الأهمية اذا قورن بالمؤثرات الاخرى على الطفل مثل ظروف العائلة ، والتربية ، والجماعة التى يتعامل معها ، والمدرسة التى يتعلم فيها ، والأصدقاء الذين يلعب معهم ..

ويرى كثير من الباحثين أنه من الصعب أن نشير الى عمل سلوكى محدد منسوب الى طفل ما ونقول أن هذا السلوك بسبب مشاهدة التليفزيون .. !!

ونحن نرى أن فى هذا الرأى كثيرا من التجنى وعدم الواقعية ، فمن خلال زيارتى لدار الأحداث فى الجيزة ، وجدت أكثر من حالة لأطفال ارتكبوا جنايات عقب مشاهدتهم

لأفلام يعرضها التليفزيون وتحفل الكثير من كتب الدراسات الاعلامية بالعديد من القضايا التى تؤكد تأثير التليفزيون على الطفل .

كذلك فاننا نتفق مع الرأى القائل بأن الطفل الذى يشاهد أحد البرامج ، ويتعلم منها — مثلا — كيفية ارتكاب جريمة سرقة ، وقام بها فعلا ، فان هذا الطفل بلا شك — غير طبيعى ، يختلف عن غيره من الأطفال فى خصائص نفسية كثيرة .. وأن لديه الاستعداد أصلا ثم قد **ساعده على ذلك ما يراه فى التليفزيون ..**

وهنا الخطورة .. **حين يقوم التليفزيون بدور الباعث أو المثير** .. !! . فمهما حاول رجال الاعلام أن يخففوا من تأثير التليفزيون على الطفل فاننا نقول بدلا من ذلك ابحثوا كيف ننقى هذا الجهاز من الشوائب التى يعرضها .. !

ومن الآثار السيئة للتليفزيون أنه يسبب ارهاقا لعين الطفل ، نتيجة استمرار تركيز البصر على الصورة ، وذلك نتيجة عدم فهم الطفل للجلسة الصحية الصحيحة أمام التليفزيون ، أو حين تتم المشاهدة فى حجرة مظلمة حيث يزيد ذلك من حدة الضوء الذى تستقبله العين ، ومن هنا وجب على الآباء أن يعلموا أولادهم القواعد الصحية للمشاهدة ومن الآثار السلبية أيضا أنه يعود الطفل على

---

١ — شرام وآخرين ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠

السهر والنوم متأخرا مما يجعله متوترا عندما يستيقظ مبكرا ، وينام أثناء الدرس فى المدرسة .. ومن أخطر الآثار السلبية أيضا ـ انه ثبت بالفعل ـ أنه يعلم الطفل العنف وينمى استعداده للجريمة . وكما يقولون اذا كان السجن هو الكلية التى تخرج المجرمين ، فان برامج العنف هى المدرسة الاعدادية التى تبذر بذور الشر فى نفس الطفل .. !

وتشير الاحصائيات التى أجريت فى الولايات المتحدة الى أن التليفزيون يساعد على انحراف الأحداث ، حيث انه خلال السنوات العشر الأخيرة التى انتشر فيها التليفزيون زادت عدد الجرائم لدى الأحداث المقيدين فى السجلات الى أكثر من الضعف ..!

ويشجع التليفزيون على الانطوائية لدى الطفل نتيجة عدم التفاعل مع أسرته أو بين أفراد الأسرة فهم دائما صامتون ـ الا فيما ندر ـ وهم يشاهدون التليفزيون ، وبعد المشاهدة يكونون قد تعبوا ولا توجد رغبة فى الحديث أو المناقشة .. !

وتأتى خطورة تأثيرات هذا الجهاز فى كونها لا تحدث مباشرة أو فى ساعتها وانما بعد مدة طويلة وتأثيرها تراكمى وعلى المدى البعيد .

خاتمة :

هذه المامة سريعة لآثار التليفزيون على أطفالنا وقد دفعنى لكتابة هذه السطور ما أراه من ظواهر غريبة على أطفالنا بدأت تنتشر ، وذلك التقليد لأبطال الأفلام الذى أراه لدى الأطفال عند زيارتى بيت صديق أو قريب .

وفى النهاية لا أرانى قد وفيت الموضوع حقه فانما الامر يحتاج الى وقت وامكانيات وبحوث تخرج عن طاقتنا وقدرتنا .. لهذا آثرنا أن نسوق هذه السطور العجلى لنتبين الخطر ونهتم له ..

حسن على محمد العنيبس

طرائف

سر الزهد

جاء رجل الى الحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ يسأله عن سر زهده في الدنيا ، فقال : أربعة أشياء :

علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي

وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي .

وعلمت ان الله مطلع علي فاستحييت أن يراني على معصية .

وعلمت أن الموت ينتظرني فاعددت الزاد للقاء ربي .

صلاح الأمة وفسادها

اول صلاح الأمة : في الزهد واليقين .

واول فسادها : في البخل وطول الأمل .

أجود الناس

من جاد من قلة ، وصان وجه السائل عن المذلة .

قالوا ...

* أقرب ما يكون العبد الى الله اذا سأله ، وأبعد ما يكون من الناس اذا سألهم .
* من اشترى ما لا يحتاج اليه باع ما يحتاج اليه .
* اذا أردت أن تعرف من أين حصل الرجل على المال فانظر في أي شيء ينفقه .
* أصعب الأشياء أن ينال المرء ما لا يشتهيه ، وأصعب من ذلك أن يشتهي ما لا يناله .
* من بلغ غاية ما يحب ، فليتوقع غاية ما يكره .
* الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها .
* صمتك حتى تستنطق خير من نطقك حتى تسكت .
* من كثر رضاه عن نفسه كثر الساخطون عليه .
* كان الناس يفعلون ولا يقولون ثم صاروا يقولون ولا يفعلون .

مواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

قالوا عن الثقلاء

كان أبو هريرة – رضى الله عنه – اذا استثقل رجلا يقول : « اللهم اغفر له وأرحنا منه » .

وكان الامام الأعمش – واسمه سليمان بن مهران – اذا رأى ثقيلا ، قال : « ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون » .

وقيل للأعمش : لم عمشت عيناك ؟ قال : من نظرى الى الثقلاء .

ونقل عن السدى المفسر أنه قال : لقد ذكر الله الثقل فى القرآن فى قوله تعالى : « فاذا طعمتم فانتشروا »

وذكر الزمخشرى أن الشعبى – رحمه الله عاده ثقيل فأطال الجلوس ، ثم قال ما أشد ما مر عليك فى مرضك ؟ فقال الشعبى : قعودك عندى !!

حقيقة

قيل لعبد الله بن بسام : فلان غيرته الوزارة فقال : اذا ولى الرجل ولاية فرآها أكبر منه تغير ، واذا وجدها أقل منه لم يتغير .

حقاً

أخو العلم حى خالد بعد موته
وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى
يظن من الأحياء وهو عديم

دعاء

اللهم انى أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك ، وتقنع بعطائك .

من التراث

- مجلة الأزهر من خمسين عاما
- من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

مجلة الأزهر من خمسين عاما

من الواجب على الانسان ان يعرض جميع ما يسنح لخياله من الابواب الاعتقادية على عقله ، ليأمن من آفات الكذب ، غير انه ربما كره عرضه على عقله تفاديا من ان يُزَنَّ(١) بالنقص ، او يُؤنب بالكذب .

وكما أن العمل الأحكم هو ما يكون الاقدام عليه بعد التقدير ؛ فان مثل العمل القول الأحكم هو ما يكون اطلاقه بعد الروية . كذا العلم الأحكم هو ما يكون الاعتقاد له بعد التهذيب . اذا عرف هذا نقول :

ان العلم هو الاحاطة بالشيء على ما هو عليه من غير خطأ ولا زلل وأعز أنواع العلم : العلم الملى وأربابه : هم المصطفون من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وكل نبى حكيم وليس كل حكيم نبيا .

واستفادة العلم عمارة القلب .

ومجالسة العلماء والحكماء تجلية للابصار . وبدو سلاح العقلاء تطيعة أصناف الجهلاء وأعون الأشياء على تذكية العقل الخضوع للتعلم .

وما الذل والنقيصة الا في الجهل والغباوة .

ومن الواجب على كل انسان أن يلتزم التعليم لمن هو دونه . والتعلم ممن هو فوقه؛

---

١ ـ يعاب .

صدق العزيمة أو قوة الإرادة

لفضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

عرض وتقديم

الأستاذ أحمد حسن جابر رجب

ولن يسلك سبيل الطعن على أهل العلم الا من ثكل التعظيم من الناس ، وحاول اماتة الرغبات في العلم تسخطاً على ما يراه من محلهم في قلوب العباد . ومتى أحب العالم أن تنظر العيون اليه بالاجلال فليقترن بعلمه القناعة والزهد . ومهما فعل ذلك فقد صار مصباحا يقتدى به في ظلمات الشبهة ؛ فان من هزه علمه الى الاعجاب بنفسه فقد أورثه الكبر والخيلاء ، وعرضه للعداوة والمقت .

وأحسن أدب الأفاضل ألا يفخروا بشيء مما فضلوا به على الدهماء . ولم يزل العائبون آفة المحسنين . وابن آدم الى عيب أخيه أسرع من السبع الى فريسته .

ومن قال : ان الأحكام الدينية من حقها أن تتبع فيها الكتاب والسنة فقط فقد دل من نفسه على جهل عظيم :

أما أولا : فان الله تعالى يقول : «**فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**» التوبة / ١٢٢ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها ، فَرُبَّ حاملِ فقه الى من هو أفقه منه » ابن ماجه في السنن ١/٩٣ في باب من بلغ علما . وقوله صلى الله عليه وسلم : « نَضَّرَ الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فَرُبَّ مبلغ أوعى من سامع » حديث صحيح رواه أحمد ، والترمذي ، وابن حبان عن ابن مسعود .

وقال صلى الله عليه وسلم : « نضر نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » حديث صحيح رواه الترمذي ، والضياء عن زيد بن ثابت .

ثم رضى صلى الله عليه وسلم من معاذ حين وجهه الى اليمن فقال : « بم تحكم بعد كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم : فقال : أجتهد رأيي » .

فى الحديث الذى رواه أحمد بن حنبل : ٥ / ٢٢٠ قال : حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا الى اليمن قال له : « كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟ قال : اقضى بما فى كتاب الله ، قال : فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله . قال : فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيى لا آلو . قال : فضرب رسول الله صدرى ثم قال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » .

وأما ثانيا : فلأن الصحابة كلهم بعد رسول (٣) الله صلى الله عليه وسلم : كانوا فرقتين : فرقة أقدمت على استعمال المقاييس . وفرقة آثرت الكف عنها من غير أن توجه المعابة على الفرقة الأولى ، وليس يشك أنه لو كان القياس محظورا فى الدين ، لوجد منهم طائفة تستنكر صنيع أولئك واذن فقد دل سكوتهم عنه على انهم لم يعتقدوا فيه الحظر فصار استعماله على الحقيقة حكما اجماعيا .

وأما ثالثا : فلأن الآثار المروية ـ وان كثرت ، فانها تنحصر بحيث لا يحتمل الزيادة عليها والحوادث العارضة الخليقة هى فى القوة غير منحصرة ، ولا متناهية ، ومهما حظر الاجتهاد على المفتين لم يوجد بد من الرجوع الى أحد الوجهين .

وأما رابعا : فلأن الله تعالى أقام للخليقة أصول الأغذية ثم هداهم لجهات تمييزها ، ليستخلصوا باجتهادهم خصائص الموافق منها ، لتصحيح الجسم . كذلك أيضا شرع لهم فى أمر دينهم أصولا جامعة ووهب لهم العقول الصحيحة ليستعملوها فى رد الفروع اليها ، لتصحيح الروح ، لينهض بالجسم ، واليه يرجع الى قوله تعالى : « فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ » الآية ١٧ من سورة الزمر .

وكل ذلك مرجعه : العزيمة الصادقة التى تعبر عن النية التى ارتضاها الشرع وأشار اليها فضيلة الامام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين فى كلمته بعنوانها المتقدم قال (١) :

يخطر فى النفس أمر فتثق بأنه حق أو نافع ، فتحرص على حصوله ، فاذا أضافت الى هذا الحرص النظر فى وسيلة بلوغها اياه ، وبدا لها أنه فى حدود استطاعتها فسرعان ما تقبل عليه ، وتبذل سعيها للوصول اليه ، وذلك ما تسميه بالعزم والارادة .

فما يخطر فى النفس مما تعتقد حقيقته أو نفعه ، وتود أن يكون حاصلا لديها ثم لاتسعى له سعيه ، ولا تضع لبلوغه خطة ، فانما هو التمنى الذى لا يفرق بين المحال والمستطاع ، والذى يخطر فى نفوس القاعدين كما يخطر فى نفوس المجاهدين وما مثله الا كمثل الشرر الذى يلمع حول النار ثم يتصاعد هباء .

واذا تحدثنا فى هذا المقال عن قوة الارادة وذهبنا فى حديثها مذهب خصال الحمد ، فانما نعنى الارادة المتوجهة الى ما هو خير . ومن أفضل ما يمدح به الرجل أن يتوجه بعزمه القاطع الى اظهار حق أو اقامة مصلحة .

---

١ ـ نور الاسلام (مجلة الأزهر) الجزء السادس جمادى الآخرة ١٣٤٩ هـ .

تنشأ قوة الارادة من التجارب ، فمن تعلق همه بأمر كان قد عرف بطريق التجربة أنه ميسور وان عاقبته سلامة ونجاح ، انقلب همه في الحال عزما صادقا أما من لم يسبق له تجربة فقد يتخيل الأمر بمكان لا تناله يده ، أو يخشى من أن يلاقى وراء السعى اليه خيبة فيقف في تردد واحجام • فذو العمر الطويل من أولى الألباب قد يكون أسرع الى بعض الأمور ، وأشد عزما عليها من حديث السن ؛ لما تفيده التجارب من امكانها ونجاح السعى لها •

وتنشأ قوة الارادة من درس التاريخ ، فالذى يخطر في باله أمر قرأ في سيرة شخص أنه كان قد هم بمثله وعمل لحصوله فنجح عمله وصلحت عاقبته ، شأنه أن يعزم على ذلك الخاطر ويجعله بعد العزم عملا نافذا •

فمن يخطر في باله أن يدعو الحاكم الجائر بالموعظة الحسنة ، وقد قرأ سير العلماء الذين كانوا يأمرون بعض الجبارين بالمعروف ، فيأتمرون ، أو يكظمون في الأقل غيظهم ولا يبطشون ، يكون أقوى عزما على الدعوة ممن لم يقرأ في هذا الشأن خبرا ، لما عرفه من أن للحق الذى يخرج في أسلوبه الحكيم سطوة على النفوس وان كانت طاغية ، فيتقدم على وعظه في رفق وحسن خطاب ، فان لم يهتد سبيل الرشد قضى حق النصيحة له ، وما على الذين أوتوا الحكمة الا البلاغ •

وتنشأ قوة الارادة من أدلة خاصة تجعل الرجل على يقين من نجاح العمل وحسن العاقبة واعتبروا في هذا بتصميم أبى بكر الصديق رضى الله عنه — على قتال أهل الردة ومانعى الزكاة فانه كان عالما بأنه على حق من قتالهم ، وكان على ثقة من أنه سينتصر بفئته القليلة على جموعهم الكثيرة • ومما دله على أنه الظافر وأن المرتدين عن الدين لا يفلحون قوله تعالى : « **هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** » الصف / ٩ ولو تقاعد أبو بكر عن جهاد تلك القبائل وخلى الردة تتفشى في جزيرة العرب وباء فاتكا لانفصمت عرى الوحدة العربية الاسلامية ولم يستقم أمر تلك الفتوح التى كانت عاقبتها ظهور دين الحق على سائر الأديان •

وتنشأ قوة الارادة من كمال بعض السجايا الأخرى وبلوغها غاية قصوى ، كسجية اباء الضيم تهز الضعيف وتثير في نفسه العزم على أن يدافع القوى عن حقوقه ما استطاع دفاعه ، وكذلك خلق الشجاعة يجعل الرجل أمضى عزما وأسبق الى الحروب من الجبان الذى يتمثل له الموت في كل سبيل •

ومما يساعد الرجل على صدق العزيمة خلق التعفف وشرف الهمة ، فلتجدن أنزه القوم نفسا وأبعدهم عن الطمع وجهة أشدهم عزما على أن يقول حقا ، أو يعمل صالحا وان لم يرض عن قوله الحق أو عمله الصالح ذو مال أو سلطان •

تتفاوت الارادة في القوة ، وتفاوتها على قدر قوة شعور الرجل بما للشيء من حقيقة أو نفع ، وعلى قدر ثقته من تيسره وامكان حصوله ، فالذى أتقن علما فأحاط بأصوله

وغاص على أسراره يكون عزمه فى الدعاية الى الأعمال المرتبطة به أقوى من عزم ذلك الذى وقف فى دراسته عند حد لا يجعله من أعلامه ، والرئيس العادل يكون أقوى عزما على حرب أعدائه من الرئيس الجائر . لأن العادل يثق من قومه بحسن الطاعة ، أكثر مما يثق الجائر، ومن ظفر من قومه بحسن الطاعة فقد ظفر بأكبر الفوز والانتصار .

نقرأ فى التاريخ أن المنصور بن أبى عامر الذى جذب عنان الملك من يد هشام بن الحكم فى قرطبة قد غزا ستا وخمسين غزوة دون أن تنتكس له راية أو يتخاذل له جيش ، أو يصاب له بعث ، أو تهلك له سرية . ومن درس سيرته لم يعجب لهذا الانتصار المطرد ، اذ يجد فيها عدلا ومساواة يأخذان النفوس الى أن تلقى اليه بالمودة والامتثال .

ومن الأخبار الشاهدة بما وصفنا أن رجلا من العامة وقف بمجلسه وقال له : ان لى مظلمة عند ذلك الوصيف الذى على رأسك ، وأشار الى الفتى صاحب الدرقة(١) ، وكان للفتى فضل محل عنده ، فقال المنصور : ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية ، ثم نظر الى الفتى وقال له : ادفع الدرقة الى فلان وانزل صاغرا وساو خصمك فى مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك ، ثم قال لصاحب شرطته الخاص به : خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره ، وبعد أن جازاه القضاء بما يستحق أبعده المنصور عن خدمته .

وصاحب مثل هذه السيرة حقيق بأن يكون له – متى هم بالحرب – عزم لا يختلج بتردد فمن وضع أمامه غاية شريفة ورام من قومه العمل لها بعزم لا يخالطه فتور فما عليه الا أن يريهم بالأسلوب السائغ والدليل المقنع وجه شرف تلك الغاية ، ثم يصف لهم طريقها الناجح فلا يكون منهم الا أن يتسابقوا اليها ويقتحموا كل عقبة تلاقيهم فى سبيلها .

فاذا رأيت قوما يذكرون فى صباحهم ومسائهم شيئا من معالى الأمور ولم ترهم يسعون له سعيه ولا يتقدمون اليه بخطوة ، فاعلم أن العزم لم يأخذ من قلوبهم مأخذه فهم اما أن يكونوا عن حقيقته وشرف غايته غائبين، واما أنهم ضلوا طريقه وما كانوا مهتدين .

واذا ذكرنا العزم النافذ فى خصال الشرف فانما نريد الاقدام على الأمر بعد استبانة نتيجته ولو على وجه الظن الغالب ، وذلك ما يعنيه عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فى قوله : « ولكن الحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث » والمكيث من لا يخف الهجوم الا بعد روية وتدبير .

ولا يُعَدّ فى قلة العزم أن يستبين الرجل الحق أو المصلحة ويقف دون عزمه مانع ، كأن يعلم أن عقول الجمهور لا تتسع لقبوله ويخشى الفتنة فيرجئه ريثما يعد له بما يجعله مقبولا

---
(١) الدرقة : الترس

سائغا قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر : ياأبت مالك لا تنفذ الأمور ؟ فوالله لا أبالى فى الحق لو غلت بى وبك القدور . فقال له عمر : لا تعجل يابنى ان الله تعالى ذم الخمر مرتين وحرمها فى الثالثة ، وانى أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه وتكون فتنة .

ولا يعد فى قلة العزم أن يرى الرجل رأيا ويعقد النية على انفاذه ثم يبدو له على طريق الحجة أنه غير صالح فينصرف عنه ، وقوى العزيمة هو الذى تكون ارادته تحت سلطان عقله فيقبل بها على ما يراه صوابا ويدبر بها عما يراه فسادا .

واذا قال الشاعر مادحا :

> اذا هَمَّ ألقى بين عينيه عزمَهُ
> ونكبَّ عن ذكر العواقب جانبا

فانما يريد الهم الناشىء عن رجاحة رأى .

وقوى العزم متى بصر بالأمر ووثق بأنه سداد قطع نظره عن العواقب ونهض له فى قوة .

أما ضعيف العزم فانه يترك نفسه مجالا للخواطر وذكر العواقب هذه تغريه على العمل، وهذه تصده عنه حتى تفوت الفرصة ويذهب وقت العمل ضائعا .

ومن صرامة العزم أن تفرغ فؤادك من كل داعية شأنها أن تلحق بعزمك وهنا أو تصرف وجهك عنه صفحا . وتتمثل هذه الصرامة فى عبد الرحمن الداخل « صقر قريش »(١) اذ خرج من البحر أول قدومه على الأندلس وأهديت له جارية بارعة الجمال ، فنظر اليها وقال : ان هذه من القلب والعين بمكان وان أنا شغلت عنها بما أهم به ظلمتها ، وان أنا اشتغلت بها عما أهم به ظلمت همتى ، فلا حاجة لى بها الآن وردها على صاحبها .

وكثيرا ما يجىء التردد فى الأمر من ناحية الشهوات والعواطف : كالذى يثق بما فى طلب العلم من خير وشرف ويقعده عنه حب الراحة وايثار ما تنزع اليه النفس من اللذات الحاضرة والذى يقول :

> اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة
> فان فساد الرأى أن تترددا

انما ينبه على التردد الناشىء عن نحو الشهوات والعواطف ، فذلك هو التردد المفسد للرأى والموقع فى خسر .

لقوة الارادة أثر فى انقلاب حال الأفراد والجماعات عظيم ، فكم من فتى يساويه فى نباهة الذهن وسائر وسائل السؤدد فتيان كثيرون ، ولكنه يجد من قوة الارادة ما لا يجدون فيكون له شأن غير

---

١ ـ قال أبو جعفر المنصور لأصحابه يوما : أخبرونى عن صقر قريش فذكروا له طائفة من الخلفاء وهو يقول «لا» فقالوا من ياأمير المؤمنين ؟ فقال : عبد الرحمن بن معاوية الذى عبر البحر وقطع القفز ودخل بلدا أعجميا مفردا فمصر الأمصار وجند الأجناد ودون الدواوين وأقام ملكا بعد انقطاعه ، لحسن تدبيره وشدة شكيمته .

شأنهم ، ويبلغ فى المحاور شأوا ابعد من شأوهم . ولو نظرت الى كثير ممن ظهروا أكثر مما ظهر غيرهم ، وأقمت موازنة بينهم وبين كثير من لداتهم لم تجد فى أولئك الظاهرين مزية يرجح بها وزنهم غير أنهم يهمون بالأمر فيعملون .

واذا جعلت تتقصى أثر دولة الموحدين التى وضعت قدمها فى « فاس » وبسطت أجنحتها على الأندلس والجزائر وتونس وجدت أقصى هذه الدولة همة طمحت بها نفس محمد بن تومرت بعد انصرافه عن مجالس أبى حامد الغزالى ، وأبى بكر الطرطوشى وغيرهما عائدا الى بلده بالمغرب الأقصى .

وكم من أمة أو دولة لم ينقذها ممن يبتغى بها سوءا سوى قوة الارادة ، وقد يكون فيما صنع هارون الرشيد بالبرامكة غلو فى الانتقام وسرف فى القتل ولكن تنقية مناصب الدولة منهم لم تكن الا نبت اليقظة والارادة التى لا يأخذها التردد فى قطع المكر السيىء من جذوره واذا صح ما يصفهم به بعض أهل العلم (١) من أنهم كانوا يكيدون للاسلام كيد الباطنية كان لهرون الرشيد موقف خير من موقف المنتقم لملكه أو ملك أسرته من بعده .

فاذا كان صدق العزيمة من أفضل خصال الشرف وأجلها فى الاصلاح أثرا فجدير بأساتيد التربية أن يعطوه من عنايتهم نصيبا وافرا ، وحقيق بالرجال القوامين على الشئون العامة أن يأخذوا به أنفسهم ، ويقيموه شاهدا على كفايتهم فان ما بيننا وبين المدنية الفاضلة والحياة الآمنة مسافة طويلة المدى صعبة المرتقى ، اذا لم نقطعها بالعزم الصارم والعمل المتواصل ظلمنا أنفسنا ، ولم نقض حق الأجيال بعدنا فمن واجبهم علينا أن نبنى لهم صروحا من العز شامخة ، فان لم نستطع هيأنا لهم أسسا ليرفعوا عليها قواعد الشرف والمنعة ، فاذا هم أحرار فى أوطانهم حقا مكرمون لنزلائهم طوعا .

وما اقترن العزم الصحيح بأدب التوكل على من بيده ملكوت كل شىء الا كانت عاقبته نجاحا ورشدا « فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ».

محمد الخضر حسين

١ ــ هذا ما قرر القاضى ابو بكر بن العربى فى كتاب القواصم والعواصم .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

فضائل رمضان (١)

للأجهوري

وهو العلامة ابو الارشاد نور الدين محمد بن أبي محمد زين الدين عبدالرحمن ابن علي المعروف بالاجهوري المالكي المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ .

فسر فيه آية الصيام وذكر كثيرا من فضائل رمضان أوله بعد المقدمة « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » وقد شرح الشيخ الأجهوري هذه الآية الكريمة وبين فيها آراء بعض العلماء من الناحية اللغوية والشرعية وقال :—

أتى بياء النداء الموضوعة لنداء البعيد ، وان كان المنادى هنا قريبا ، اذ قد تستعمل فيه لتنزيله منزلة البعيد ، للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه . وقال البيضاوي عند قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ » ما نصه : «يا» حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد ، اما لعظمته كقول الداعي يارب ، ويا الله وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، أو لغفلته وسوء فهمه ، أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه .

١ — الكتاب بمكتبة الازهر برقم خاص ٦١٢ ورقم عام ٤١٨٨١ في علم الآداب والفضائل .

فضائل رمضان

وفى قوله تعالى « كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ » أى الأنبياء والأمم من لدن آدم توفيه توكيد للحكم ، وترغيب على الفعل ، وتطييب النفس ، وأراد بالترغيب التخفيف وبالتطييب التسهيل ، فلذا عدّى بعلى .

والتشبيه يحتمل أن يكون فى مطلق الايجاب لا فيه وفى العدد وتعيين الزمان ، ويحتمل أن يكون فيه وفى العدد وتعيين الزمن ، والى هذا الثانى أشار البيضاوى بقوله :

« وقيل : معناه صومكم كصومهم فى عدد الأيام وفى زمنه ، لما روى أن رمضان كتب على النصارى فوقع برد أو حر شديد ــ فحولوه الى الربيع أى لأنه أعدل فصول السنة ، اذ لا تتغير كيفية الهواء فيه تغيرا فاحشا ، وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله » .

وقيل : زادوا ذلك لموتان ــ بضم الميم ــ أى موت كثير أصابهم .

وقال غيره : التشبيه يحتمل أن يكون فى النوعية ، وأن يكون فى الكمية والتعيينية ، والى هذا القول ذهب طائفة كالشعبى وقتادة ومن وافقهما ، فان الله تعالى كتب على عيسى صوم رمضان فغير فرقة من قومه ذلك ، وذلك لأنه كان ربما يقع فى الحر الشديد أو البرد الشديد ، وكان يشق عليهم فى أسفارهم ويضرهم فى معاشهم ، فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم فى فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه فى الربيع ، وزادوا عليه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين يوما .

وقال الشيخ الأجهورى ــ رحمه الله ــ :

مما يدل على أن صوم رمضان فرض على النصارى حديث عقيل(1) بن حنظلة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كان على النصارى صوم شهر رمضان فمرض رجل منهم ، فقالوا: لان شفاه الله لنزيدن عشرا ، ثم كان ملك آخر أكل لحما فأوجع فاه فقالوا لان شفاه الله لنزيدن سبعا ثم كان ملك آخر فقالوا لنتمن هذه السبعة عشرا ، ونجعل صومنا فى الربيع ، قال فصار خمسينا » وقد ورد هذا الحديث فى مجمع الزوائد للهيثمى الجزء الثالث ص ١٣٩ عن (دغفل بن حنظلة) رواه الطبرانى فى الأوسط مرفوعا ورواه

استعينوا بطعام السحر على صيام النهار أو بالقيلولة على قيام الليل

حديث شريف

١ ــ وصحة اسم من روى الحديث هو دغفل ابن حنظلة الشيبانى كما وردت ترجمته فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٢ ص ١٣٢ .

الطبراني في الكبير موقوفا على دغفل ورجال اسنادهما رجال الصحيح .

وقال المؤلف — في فضائل شهر رمضان ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان أبواب السماء وأبواب الجنة لتفتح لأول ليلة من شهر رمضان فلا تغلق الى آخر ليلة منه » ولما ذكر في البستاني من حديث « ان لله ملكا رأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض ، له جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب ، أحدهما من ياقوتة حمراء ، والآخر من زمردة خضراء ، ينادي كل ليلة من شهر رمضان هل من تائب فيتوب عليه ، هل من مستغفر فيغفر له ، هل من طالب حاجة فيستعد لحاجته ، يا طالب الخير أبشر ويا طالب الشر أقصر » .

وقولي : ويقبل الدعاء وينجح أي أن الدعاء يقبل بشهر رمضان بليله ونهاره ، كما ذكره في عدة الحصن الحصين ، من أن : من أوقات الاجابة شهر رمضان .

وقال في فضل السحور : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « استعينوا بطعام السحر على صيام النهار ، وبالقيلولة على قيام الليل » .

وفي رواية : « من أحب أن يقوى على الصيام فليتسحر ، وليشم طيبا ، ويأكل قبل أن يشرب وليُقِلّ » .

وفي بستان الواعظين روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« ان العبد المؤمن اذا قام في رمضان الى السحور فتوضأ وصلى ركعتين جعل الله خلفه سبع صفوف من الملائكة فاذا فرغ أمنوا على دعائه ويكتب الله له بعددهم حسنات ويرفع له بعددهم في الجنة درجات ، ويمحو الله له بعددهم سيئات ثم لايزالون يدعون ويستغفرون له الى يوم القيامة » .

وأنشد الأجهوري في فضل صلاة القيام فقال :

وفيه قد صلى نبي المرحمة
قيامه بليلتين فاعلمه
او بثلاث ثم لم يخرج له
خشية أن يفرض عليهم فعله
ثمة كان الجمع فيه من عمر
لما وعاه عن علي من خبر
من انه تنزل أملاك كرام
برمضان كل عام للقيام
فمن لهم قد مس أو مسوه
يسعد والشقوة لا تعروه

أشار بذلك لما في البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع أكثر منهم ، فخرج عليه الصلاة والسلام في الليلة الثانية فصلى فصلوا ،

فضـــائل رمضان

فلما أصبح النـــاس يذكرون ذلك فكثر أهـل المسجد فى الليلة الثالثة ، فخرج فصلوا بصلاته فلما كان فى الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج اليهم ، حتى خرج لصلاة الفجر ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس ثم تشـهد ، فقال :

أما بعد : فانه لم يخف على شـأنكم الليلة ولكن خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليـل فتعجزوا عنها .

قال السائب بن يزيد لما جمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس فى قيام رمضان قدم أُبىّ ابن كعب وسلمان الفارسى رضى الله تعـالى عنهما يصليان بالناس فكان القـارىء يقـرأ بالمائتين وكنا نعتمد على العصى من طول القيام ولا ننصرف الا فى بزوغ الفجر .

وقال على رضى الله عنه : انما اتخـذ عمر رضى الله عنه صلاة التراويح لحديث سمعه منى . قالوا وما هـو يا أمير المؤمنين ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان لـلـه تبارك وتعـالى موضـعا عن يمين العرش يسمى « حظيرة القدس » وهو من نور فيها ملائكة لا يحصى عددهم الا الله سـبحانه وتعالى يعبدون الله تعالى عبـادة لا يفترون سـاعة فاذا كان أول ليلة من شـهر رمضـان استأذنوا ربهم أن ينزلوا الى الأرض فيصلون مع جماعة المؤمنين فيأذن لهم ربهـم تبارك وتعالى فينزلون كل ليلة الى الأرض فمن مسهم أو مسوه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا » .

فقال عمر ـ رضى الله تعالى عنه : نحن أحق بهذا وجمع الناس وصلى بهم التراويح .

وقال فى ليلة القـدر ما رواه عبـد الله بن مسعود قال : لقد أحييت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وسلمان الفارسى رضى الله عنهم فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسـلم ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان فصلى بنا الى الصباح فقلنا : يارسول الله لقد أحددت بنا فى هذه الليلة وما فترت حتى أصبحنا فما يقـال لهذه الليلة ؟ قال : « ليلة القدر » .

وقال فى بستان الواعظين قال محمد بن كعب رضى الله عنه : اجتمـع جماعة من أصـحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم عنـد عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فتذاكروا ليلة القدر وكان منهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فتكلم كل واحد منهم بما سمع من رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ وابن عباس ساكت فقال عمر ـ رضى الله عنه : مالك لاتتكلم يا ابن عباس . تكلم ولا تمنعك الحداثة » (١)

« الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون »

صدق الله العظيم

---

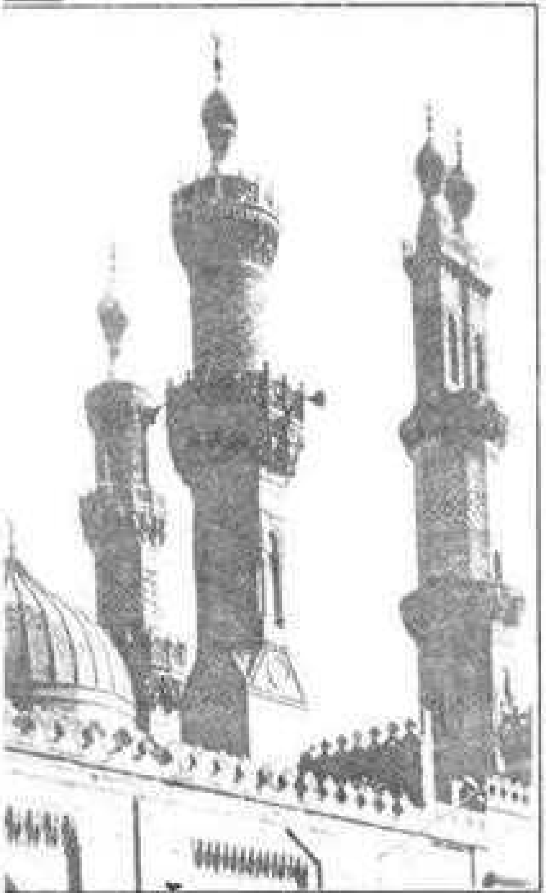
١ ـ صفو السنن .

فقال : ان الله تعالى وتر يحب الوتر ، وقد جعل الله أيام الدنيا تدور على سبع ، وخلق الانسان من سبع ، وخلق أرزاقنا من سبع ، وجعل فوقنا سبع سماوات ، وجعل تحتنا سبع أرضين ، وجعل البحار سبعا ، وجعل أعضاء السجود سبعا ، وحرم من نكاح الأقربين سبعا ، وجعل رمي الجمار سبعا ، وأظن — والله أعلم — أنها الليلة السابعة من العشر الأواخر من رمضان ، فتعجب عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — وقال : ياقوم من كان يروى هذا كما رواه ابن عباس رضي الله عنه .

واستطرد المؤلف رحمه الله في ذلك حتى ذكر بعض الفضل الذى يناله الصائم يوم صلاة العيد ، لما روى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وقف بعد صلاة يوم العيد وقال:

اللهم انك قلت — وقولك الحق — « إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » فان كنت من المحسنين فارحمنى ، وان لم أكن من المحسنين، فقد قلت « وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا » فارحمنى ، فان لم أكن من المؤمنين أى كامل الايمان فانت أهل التقوى وأهل المغفرة ، لأنك قلت « وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ » فاغفر لى ، وان لم أكن مستحقا لشيء من ذلك ، فانا صاحب مصيبة ، وقد قلت « الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ » اللهم فارحمنى .

والنسخة في مجلد بقلم معتاد بخط



أحمد محمد على سنة ١٢٢٧ هـ وتقع في ١٧٠ ور[illegible] سبعة عشر سطرا . نسال [illegible]قنا الى ما فيه رضا[illegible]

مدير
مكتبة الأزهر
محمد عبده على

الفتاوى

زواج المسلمة بغير المسلم

س : من السيد ا . ب . أبو علي .
١ ـ ما حكم زواج المسلمة بغير المسلم كتابيا أو غيره ؟
٢ ـ وما مدى مسئولية الوالدين والمسلمين الذين يرون هذا الزواج ؟

ج : نفيد عن الأول أن الله تعالى يقول : **« وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ، وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا »** الآية (٢٢١) من سورة البقرة .

وبذلك حرم الله على المسلم أن يتزوج من مشركة ـ كتابية أو غيرها ـ كما حرم على المسلمة أن تتزوج المشرك ـ كتابيا أو غيره . ثم أباح الله بعد ذلك للمسلم أن يتزوج الكتابية يقول تعالى : **« الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ »** الآية (٥) من سورة المائدة .. وبقى تحريم زواج المسلمة من الكافر على تحريمه ، وذلك لأن المسلم يؤمن بجميع الرسل فهو أمين على من يتزوجها فلا يضارها في عقيدتها ، أما الكتابي فلأنه لايؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو غير أمين على امرأته المسلمة.

وزواج المسلمة من الكتابي منكر محرم شرعا بالكتاب والسنة والاجماع .

أما عن الثاني : فإن زواج المسلمة من الكتابي ما كان الا نتيجة للبيئة التي تحيط بها والذي وضعها هذا الموضع هما والداها ، وواجبهما وواجب المسلمين الذين يرون ذلك أن يمنعوه قدر طاقتهم .. ومسئوليتهم بعد ذلك أمام الله يفعل بهم ما يشاء .

مصارف الزكاة

س : من السيد / م . ف . رياض .
هل يجوز صرف الزكاة للداخلين في الاسلام حديثا ، أو الراغبين في الدخول فيه .
وهل يجوز دفعها للانفاق في أغراض تعليم العلوم الاسلامية مثل بناء المدارس وطبع الكتب الاسلامية وتوزيعها مجانا .. ما الحكم ؟

ج : يجوز صرف الزكاة للداخلين في الاسلام حديثا اذا كانوا محتاجين لذلك لقوله تعالى : « وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ » .

إعداد عبد الحميد السيد شاهين

يجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

كما يجوز دفع الزكاة لغرض طبع الكتب الاسلامية وتوزيعها مجانا للمسلمين ، وكذا بناء المدارس وغير ذلك من المنافع العامة لقوله تعالى : « وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ »من الآية (٦٠) من سورة التوبة .

يمين الطلاق

س : من السيد م . م .ص .

غضبت الزوجة وذهبت لبيت والدها فقال لى أبى : «روح هات زوجتك فقلت له : على الطلاق بالثلاثة ما أنا رايح جايبها من عند والدها .. ثم جبتها .

ومرة ثانية قلت لها على الطلاق بالثلاثة ما انت رايحه بيت والدك الا بعد ستة اشهر ، ثم توفى والدها قبل مرور المدة المذكورة فذهبت الى بيت والدها .

ومرة ثالثة حلفت عليها قائلا : روحى « طالق طالق طالق » محرمة على زى امي واختي وشافعي ومالكي .. فما الحكم ؟ .

ج : اليمين الأول والثانى يمينان لا يقع بهما طلاق وذلك حسب القانون الجارى به التقاضى فى مصر والمأخوذ من الشريعة الاسلامية .

أما اليمين الثالث:فبقولك لزوجتك «روحى طالق طالق طالق» ومحرمةعلى زى امى وأختى وشافعى ومالكى .. يقع به طلقه واحدة رجعية ، فلك مراجعة زوجتك مادامت فى العدة ، فاذا انقضت عدتها منك لا تحل لك الا بعقد ومهر جديدين وبرضاها .. وتبقى معك على طلقتين . هذا اذا كان الحال كما ذكر فى السؤال .

فى الميراث

س : من السيد / ع . فتح الله .

توفيت امراة عن اخوة ذكور اشقاء ، أولاد أخ شقيق . فمن يرث ؟ .

ج : التركة كلها للاخوة الأشقاء تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى ، ولا شىء لأبناء الأخ الشقيق لحجبهم بالاخوة .

س : من السيد / ن . س سراج .

توفى رجل عن أخت شقيقة ، أبناء عم شقيق ذكور واناث ، بنات اخ شقيق . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للاخت الشقيقة النصف لعدم وجود من يعصبها أو يحجبها ، والباقى للذكور من أبناء العم الشقيق تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى ، ولا شىء للاناث من أبناء العم ولا لبنات الأخ الشقيق ، لأنهن من ذوات الأرحام المؤخرات فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

والله أعلم ..

في اللغة والأدب والنقد

- حذف حرف النداء والمنادى
- التقويم النفسي للأدب عند العرب
- الحية في النصوص العبرية.. ومدلولاتها
- حقيقة التوسل والوسيلة
- ديوان عامر

حذف حرف النداء والمنادى

أحمد عبد العواض هلالى

حذف حرف النداء جائز مع كل منادى اذا وجدت قرينة تدل عليه ، نحو (يوسف اعرض عن هذا) و (سنفرغ لكم ايها الثقلان) ، (ان ادوا الى عباد الله)ونحو (خيرا من سعيد اقبل) ونحو (من لا يزال محسنا احسن الى) .

ولا فرق بين أن يكون المنادى مفردا أو مضافا أو شبيها بالمضاف ، ولا فرق فى المفرديين أن يكون مقصودا للنداء لذاته كيوسف أو صلة لنداء غيره كأى ، ولا بين أن يكون معربا قبل النداء مثل (يوسف) أو مبنيا مثل (من) أو معربا قبل النداء فى بعض حالاته ومبنيا فى بعضها الآخر (كأى) .

وقل الحذف مع اسم الجنس المعين ، وهو المبنى للنداء نحو (أطرق كرا) ، و (افتد مختوق) . و (أصبح ليل) ، ومع قلته فانه يقاس عليه لكثرة وروده نظما ونثرا ، وهو مذهب الكوفيين ، أما اسم الجنس المفرد غير المعين نحو : يا رجلا خذ بيدى فقد أجاز بعضهم حذف الحرف معه لكن الصحيح غير ذلك وأن الحرف يلزمه .

كذلك يجوز حذف حرف النداء مع اسم الاشارة على قلة نحو (هذا امش فى طريقك) ، و (هؤلاء اتقوا ربكم) وهو مقصور على السماع اذ لم يرد الا فى الشعر ، ومنعه البصريون وحملوا ما ورد منه على الشذوذ فى النثر والضرورة فى الشعر ، واحتجوا المتنبى فى قوله :

هذى برزت لنا فهجت رسيسا
ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

لكن ينفى وقوع اللحن أن المتنبى كوفى ، والكوفيون يجيزون حذف حرف النداء مع اسم الاشارة كما مر ، وأخرج بعضهم قول المتنبى هذا على أنه ليس من قبيل حذف حرف النداء من اسم الاشارة ، فجعل (هذى) مفعولا مطلقا نائبا عن المصدر ، أى برزت هذه البرزة ، وحينئذ فلا شاهد فيه ، لكن ابن مالك رد هذا بأنه لا يشار الى المصدر على طريق المفعول المطلق الا منعوتا بذلك المصدر ، نحو : فهمت هذا الفهم ، وسرت ذلك السير ، ودعوت تلك الدعوة .

الحالات التى يمتنع فيها حذف حرف النداء

هناك حالات يمتنع فيها حذف حرف النداء من المنادى لأن الحذف فيها يوهم خلاف المراد ويفوت الغرض المقصود من النداء ، من هذه الحالات :

١ ـ المندوب : فان حذف حرف الندبة معه ، وهو (وا) أو (ياء) عند أمن اللبس ، ان هذا الحذف لا يحقق الغرض من نداء المندوب ، وهو اظهار التفجع عليه أو التوجع منه بمد الصوت الذى لا يحصل الا بوجود حرف النداء .

٢ ـ المستغاث به : وهو اما مجرور باللام ،

حذف حرف النداء

او مفتوح مع زيادة الألف فى آخره ، أو مجردا منهما وجميع تلك الحالات يطلب فيها مد الصوت ، وحرف النداء هو الذى يعين على مد الصوت ، فحذفه يفوت الغرض المقصود من الاستغاثة .

٣ ـ المتعجب منه ، لأنه كالمستغاث به لفظا وحكما .

٤ ـ المنادى البعيد حقيقة أو تقديرا : لأن حذف الحرف منه لا يتأتى معه مد الصوت المطلوب فى نداء البعيد ليسمع فيقبل ويجيب .

٥ ـ ضمير المخاطب لقلة ندائه واقتصاره على الشعر فقط كقول الشاعر :

يا أبجر ابن أبجر يا أنتا

أنت الذى طلقت عام جعتا

أما ضمير المتكلم والغائب فيمتنع نداؤهما اتفاقا فلا يقال (يا أنا) ولا (يا هو) . وأما ما سمع من مثل (يا هو : يا من لا هو ، الا هو) فان (هو) اسم للذات العلية لا ضمير .

٦ ـ لفظ الجلالة : لأن نداءه على خلاف الأصل لوجود (أل) فيه فلو حذف حرف النداء لم يوجد دليل على حذفه .

٧ ـ اسم الجنس المفرد غير المعين نحو (يا غافلا والموت يطلبه) فحذف حرف النداء معه يوهم أنه غير منادى لعدم وجود قرينة لفظية أو حالية تدل على الحذف ، ولأن الحذف غير جائز الا اذا كان المنادى ـ بالفتح ـ مقبلا على المنادى ـ بالكسر ـ متهيئا لسماع مايقوله وهذا انما يتأتى فى المعرفة دون النكرة .

حذف المنادى : هل يجوز حذف المنادى وابقاء حرف النداء ؟.

ذهب ابن مالك الى جواز ذلك قبل الأمر والدعاء، نحو (يا ... أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم) و (يا ... الله ييسر لك كل أمورك) وأتى بشواهد على ذلك. وحجته فى اجازته قبل الأمر والدعاء أنهما مظنة النداء ووقوعه معهما كثير غالب فحسن التخفيف معهما بالحذف .

ومنعه أبو حيان وعلل المنع بأن الجمع بين حذف الفعل النائب عنه حرف النداء، والمنادى فيه اجحاف وهدم لبناء الجملة المكونة من المنادى وأداة النداء ، ولم يرد بذلك سماع عن العرب ، (ويا) فى الشواهد التى جاء بها ابن مالك للتنبيه مثلها قبل : رب ، وليت، وحبذا .

ذلك أن المنادى فى حقيقة أمره مفعول به ، فاذا قلت : (يا عبد الله) فان أصله (يا أدعو عبد الله) فيا حرف تنبيه ، وأدعو فعل مضارع قصد به الانشاء لا الاخبار ، وفاعله مستتر فيه (وعبد الله) مفعول به ومضاف اليه . ولما كانت الحاجة تدعو الى استعمال النداء كثيرا فى لغة الحديث اليومية أوجبوا حذف الفعل اكتفاء بأمرين اثنين : أحدهما دلالة قرينة الحال ، والثانى الاستغناء بما جعلوه كالنائب عنه والقائم مقامه ، وهو (يا) وأخواتها .

ومن هذا يتبين ان حق جميع انواع المنادى أن تكون منصوبة لانها مفعولات، وانما يظهر نصبها اذا لم يكن المنادى مبنيا ، وانما يبنى المنادى اذا ما أشبه ضمير الخطاب المشبه لكاف الخطاب الحرفية لفظا ومعنى كما سيأتى تفصيلا فى مبحث : أقسام المنادى ، وأحكام كل منها ان شاء الله تعالى .

أحمد عبد العوافى هلالى

الحيّة

في النصوص العبرية ومدلولاتها

للأستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

لا يوجد حيوان على الأرض تضاربت حوله الأفكار والمشاعر مثل الحية ، فهي مقدسة عند المصريين ، رمز للحكمة والدهاء ، والخلود عند الساميين ، أداة الغواية في التوراة المتداولة كما هي آية هداية فيها ، طالبة للانسان ومطلوبة منه للعداوة بينهما ، آية تصديق لموسى — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — برسالته — التوراة .

ثم للحية خصائصها وصفاتها ، فهي — كما ورد في كتاب الحيوان للجاحظ تحت عنوان « القول في الحيات » أعجوبة من الأعاجيب في الحيلة والدهاء فلكي تحصل على طعامها تدس ثلثها في الرمال عندما تشتد الحرارة وتحتتم الأرض على الحافي والمنتعل وتنتصب كالرمح المركوز بباقي جسمها فيظنها الجراد وصغار الطيور عودا فتقع وهي لا تدرى على رأسها فتقبض الحية عليها وتلتهمها فان أشبعها انصرفت والا ظلت على حالتها غير مكترثة بحرارة الرمل .

ويدهش الجاحظ — أكثر — قوة بدنها التي يقول فيها : انها لو تمكنت من الدخول في جحر أو صدع صعب اخراجها منه على أقوى الرجال ان أمكنه أن يمسك بذنبها ولو بكلتا يديه لشدة اعتمادها وتعاون أجزائها ووجه الغرابة في ذلك انها ليست بذات قوائم لها أظفار أو مخالب أو

الحية
في النصوص العبرية

أظلاف تنشبها في الأرض وتتشبث بها وتعتمد عليها كما أنها لدنة ملساء علكة .

كذلك يقال فيها : ان عيونها تضيء بالليل وانها لا تموت حتف أنفها وانما بعرض يعرض لها ، أما عن صبرها فليس في الحيوان من هو أصبر منها على الجوع في شبابها ولا تشتهي الطعام في هرمها . وهي تعجب باللبن فان وجدته في اناء بدون غطاء كرعت فيه وربما مجت ما صار في جوفها منه فيصيب شارب ذلك اللبن أذى ومكروه كبير(١) .

والذي لا شك فيه أن خصائصها وصفاتها التي ذكرناها كانت تثير من الاعجاب بقدر ما تثير من الرعب فتضاربت المشاعر والأفكار فيها وذلك وضع طبيعي بالنسبة لما تحمله من دلالات وايحاءات ولما أدركه الناس من دلالاتها وايحاءاتها ولذلك اختلف رد الفعل لديهم وتراوح في جاهلية الناس بين العداء والتقديس .

فهم عادوها من ناحية دلالتها الحسية التي ظهرت لهم في حيلتها ودهائها وقوتها وافسادها ولما كانت هذه تهدد حياتهم وممتلكاتهم تجنبوها وتحاشوها فاذا لزم الأمر طاردوها وسحقوا رأسها تخلصا من شرها .

ثم هم بالغوا في تقديرها من ناحية دلالتها المعنوية — الايحاءات — التي ظهرت لهم في صبرها وحكمتها التي تمثلت في قدرتها الفريدة على التقاء النقيضين فيها — الرأس والذنب . ورأوا هذه الايحاءات تمثل قيما كبرى ومثلا عليا وحقائق ثابتة ترتبط بالكون والحياة توسع ادراكهم وتقوي شعورهم وترقى بسلوكهم رفعوا منزلتها وأعلوا شأنها .

وبعبارة موجزة وجدناهم يقتلون الصفات السيئة فيها ويحيون الصفات الأخرى باتخاذها هي رمزا لهذه الصفات فالرمز — من وجهة نظرهم — يسمح لهم بزيادة الاقتراب منها دون ما ضرر وزيادة التأثير والايحاء دون ما حاجز .

فأما الحاجز الذي يمكن أن يفصل بينهم وبينها في غير الرمز فهو الواقع الذي ينذر بالخطر القائم على ما يعرفونه منها .

وهنا نسأل : هل الدلالات والايحاءات التي ارتبطت بالحية هي نفسها التي استخلصها اليهودي منها ؟

نقول : ان الأمر عند اليهودي مختلف عنه عند العامة اذ تراه قد جمع بين مساوئها ومحاسنها دون ما تفرقة وجعلهما شيئا واحدا استحقت به الحية عنده التقدير والتقديس مما أدى الى ، خلودها لديه وأرجع خلودها هنا الى

---

١ — تهذيب الحيوان للجاحظ — بتصرف من ٧٤ — ٧٧ .

حكمتها التى تمثلت فى قدرتها الفذة على التقاء مطلق النقيضين فيهـا وليس مجـرد الرأس والذنب وهذا فى نظره فقط الذى يتطلب الحيلة والدهاء والصبر .

والذى يترتب على هــذه الدلالة التى خرج بها من تركيبته هذه على النحو الذى بيناه هو أنـه اذا أردنـا ــ أى اليهـود ــ الخلـود فلنتسلح بحكمة الحية ، وأن نعمل بكل الحيلة على جمع ما يبدو متناقضا واحتوائه فينا دون ما عجلة أو تسرع أما الايحاء الذى نقصده فهو أن تكون لنا خصائص الحيات وصفاتها معا دون ما تفرقة .

نخلص من ذلك الى أن دلالة الحية وايحاءها عند اليهودى أن يكون هو والحية شيئا واحدا، فاليهودى مرادف للحية فى الخصائص والصفات ونستطيع أن نتبين هذه الحقيقة فى نداء المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لهم بـ « أيها الحيات . أولاد الأفاعى » فهذا النـداء يدل على قوة هــذه العـلاقة وشـدة ظهـور الخصائص والصفات بدلالاتها وايحاءاتهـا فى سلوكهم الذى كان من مظاهره تحريف وصـايا الرب سبحانه بحيث تصير الى ضدها حتى فى أقرب المقربين اليهـم كالوالدين ، وربطهـم الوصايا العشر بالقريب(١) .

أيضا نجد جمع المتناقضين بالحيلة والدهاء لا يختلف ولا ينقطع وان النظر فى مفهوم الأمن عندهم لكفيل باثبات هذا التناقض فهم يرفعون شعار السلام ويطالبون بالأمن وهما أمران لا يقبلان الاعتراض عليهما حتى من معارضيهم الا أن تحقيقـه وفـق مفهـومهم لا يعنى الا الاستيلاء على مزيد من أرض الغير بالقدر الذى يرونه يحقق لهم الأمان وبذلك ينقلب الأمن الى عملية سلب لأراضى الغير .

ومما عرضناه وقدمناه يتضح لنا عدم مفارقة الخصائص والصفات المأخوذة من الحية لليهودى وكان ذلك سببا فيما يشاع عنهم من أن اليهودى فى أى مكان وزمان هو نفسه فى كل مكان وزمان .

محمد عبد العزيز عبد اللطيف

---

١ ــ قارن سفر الخروج ٢٠ ــ ١٢ بما ورد فى متى ١٨ ، ١٩ .

التقويم النفسي للأدب عند العرب

شهد النقد العربي في القرن الثالث الهجري جهودا في التقويم النفسي للأدب العربي ، واذا كان الأمر كذلك في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الحياة النقدية عند العرب فان القرن الرابع الهجري وهو عصر النضج والازدهار في النقد الأدبي ــ قد تقدمت فيه جهود النقدة من أمثال ابن طباطبا سنة ٣٢٢ هـ ، والرماني سنة ٣٨٦ هـ ، والخطابي سنة ٣٨٨ هـ الى مدى بعيد .

فيما يتصل بالاعتبار النفسي عند تقويم الأدب وتفسيره ، بل ان هؤلاء النقدة قد ركزوا في كتاباتهم على هذا الاتجاه النفسي ، وأولوه المزيد من العناية والاهتمام ، ففي كتاب ابن طباطبا (عيار الشعر) صورة كاملة للصناعة الشعرية ، سماها بعض المعاصرين : نظرية شعرية (١) . ولقد بسط فيها شارحا حقيقة الشعر ، وطريقة عمله ، وأساليبه وفنونه ، ومسلك العرب في التشبيهات ، ثم حدد المعايير الموضوعية لتقدير الشعر وتقويمه ، مستنبطا من عرضه المسهب مقياسا لقبوله وهو الاعتدال اذ الشعر المقبول هو ما جاء صحيحا يقبله العقل ، وما كان عذب اللفظ يستنفه الأذن ، صحيح الوزن يؤنس السمع ، فان علة كل حسن مقبول الاعتدال كما أن علة كل قبيح منفي الاضطراب ، والنفس تسكن الى كل ما وافق هواها ، وتقلق مما يخالفه ، ولها أحوال تتصرف بها ، فاذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له ، وحدثت لها أريحية وطرب ، فاذا ورد عليها ما يخالف قلقت واستوحشت .

وللشعر الموزون ايقاع يطرب الفهم لصوابه ، وما يرد عليه من حسن تركيبه ، واعتدال أجزائه ، فاذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى ، وعذوبة اللفظ ، فصفا مسموعة ومعقوله من الكدر تم قبوله له ، واشتماله عليه ، وان نقص جزء من أجزائه التي يعمل بها وهي : اعتدال الوزن ، وصواب المعنى ، وحسن الألفاظ ، كان انكار الفهم اياه على قدر نقصان أجزائه(٢) .

وهكذا استطاع ابن طباطبا ان يصل الى نتيجته تلك بعد أن ربط بين الحواس المتنوعة ومحسوساتها ، مسجلا ملاحظته عليها التي

١ ــ عباس : د. احسان (تاريخ النقد الادبي عند العرب) ص ١٣٣ ط أولى ببيروت .

٢ ــ ابن طباطبا : محمد بن أحمد (عيار الشعر) ط فن الطباعة بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م.

دراســـة نقـــدية

للدكتور عبدالحميد العبيسي

انتهت على الرغم من اختلاف الحواس ــ الى النفرة من التبيع ، والاقبال على الجميل .. وما الشعر بناى عن هذه الحواس ومحسوساتها ، فان النفس تطرب له حين يكون مقبولا ، وتنصرف عنه حين يأتي مرذولا .

كما امكن لابن طباطبا أن يبرز عنصرا جديدا في النقد العربي وهو العنصر النفسي ، من خلال ربطه بين الأدب والنفس البشرية ، ذلك أن الاعجاب بالشعر ، والهيام به لا يقف عند ألفاظه وأوزانه وأفكاره وأنفاسه ، بل يكون أقوى وأوضح حين يتجاوب هذا الشعر مع تلك النفس ، فتقبل عليه ، وتطمئن اليه(١) .

ولا شك في أن صنيع ابن طباطبا رائع ورائد يستحق التقدير والاعجاب ، حيث تناول الجانب الجمالي والنفسي معا في بحثه عن علة حسن الشعر ، مما سوغ لبعض المعاصرين أن يقرر فيه ــ وهو على حق ــ : « ان العملية الشعرية عمل عقلي واع تمام الوعي ، وان التأثير الجمالي وهو الاعتدال ــ تأثير في الفهم على شكل لذة ــ كاللذات التي تجدها الحواس المختلفة في مدركاتها ، واذا كان الاعتدال ميزة الجمال في الكيان الكلي ، فان الصدق على اختلاف مفهوماته ــ هو الذي يهيىء الفهم لقبول المحتوى والتجربة ، ذلك موقف نقدي فيه شذوذ حتى على بعض مفهومات النقد المعاصرة حينئذ ، الا أنه موقف متكامل ، وفي تكامله سر انفراده بين سائر المحاولات النقدية : (٢) فاذا ما اتجهنا صوب الرماني الفينا كتابه (النكت في اعجاز القرآن) نموذجا مبتكرا لدراسة الأثر الجمالي والنفسي معا في الصورة القرآنية ، وعلى الرغم من أنه اعتبر البلاغةكما اعتبر الصرفةجزءا منوجوه الاعجاز القرآني السبع(٣) ــ فانه قد بذل قصارى جهده في تجلية الصورة الفنية في القرآن ، مع تركيزه على العنصر النفسي فيها ، بما جعل تلك الصورة تسيطر على شعور الدارس ، وتوقظ الكامن من حسه ، فيرى مدى صدقها المؤدي الى غاية الجمال السافر الخالب !! ولقد أدرك الرماني أيما ادراك حقيقة البلاغة ومضمونها في جانبيها النفسي والفني دون فصل بينهما ــ حين قرر : أنها ايصال المعنى الى القلب بأحسن صورة من اللفظ ، وليست افهام المعنى ؛ لأنه قد يفهم المعنى متكلمان : أحدهما بليغ ،والآخر عيي ، وليس كذلك تحقيق اللفظ على المعنى ، لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى ، وهو غث مستكره ، ونافر متكلف .

وبيان الرماني هذا انما هو تعبير صادق عن دور البلاغة بين المتكلم والسامع ، أو الأديب والقارىء ــ وهو تعريف مستحدث عنده

١ ــ العبيسي : د. عبد الحميد (في نقد الادب عند العرب) ط عام ١٩٧٧ (محاضرات) .

٢ ــ عباس : د. احسان (تاريخ النقد الادبي عند العرب) ص ١٤٥ ــ ١٤٦ ، بتصرف ، .

٣ ــ الرماني : أبو الحسن (النكت ــ ثلاث رسائل) ط دار المعارف سنة ١٩٦٨ م .

التقويم النفسي للأدب عند العرب

للبلاغة — لم أجده عند من سبقوه ، بل انه ليرفض باصرار التعريفات التقليدية التي سادت جو البلاغة منذ الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ مؤسس البيان العربي .

ولقد استنبط بعض المعاصرين(١) من تعريف الرماني الى أنه يهدف الى تحقيق معنيين :

١ — أحدهما : متعلق بالأثر النفسي للبلاغة ، وهو « ايصال المعنى الى القلب »

٢ — ثانيهما : متعلق بالأسلوب ، أو الصورة البيانية للبلاغة من اللفظ والصياغة ، وهو « في أحسن صورة من اللفظ » .

والمتأمل في صنيع الرماني هذا يجد أن المعنى الاول غاية وسيلتها المعنى الثاني ، بل ان المعنى الاول يتوقف تحقيقه على تحقيق المعنى الثاني ، مما يدل على مدى الارتباط والتلازم بينهما ، حتى لكأنهما شيء واحد(٢) . ثم يقسم الرماني البلاغة عشرة أقسام هي : الايجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة وحسن البيان(٣) .

والذي نلحظه في عرضه التطبيقي لهذه الأنماط هو أنه حريص غاية الحرص على

١ — سلام : د . محمد زغلول (اثر القرآن في تطور النقد العربي) ص ٢٢٤ ط المعارف عام ١٩٥٥ م .

٢ — العيسى : د . عبد الحميد (الاعجاز النظمي للقرآن) ص ٢٤ ج١ ط الحلبي بالقاهرة عام ١٩٨٠ م .

٣ — الرماني : ابو الحسن (النكت) ص ٧٦ .

ابراز الأثر الجمالي والنفسي معا — على تفاوت — في تلك الأقسام ، ولعل حديثه عن التشبيه والاستعارة — فيما اصطلح عليه حديثا بالصورة الأدبية — برهان تلك الحقيقة ، فان الرماني قد عالج سبع عشرة آية لتشبيهات متنوعة ، منها قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا »(٤)

فهذا بيان ماقد أخرج مالا تقع عليه الحاسة الى ماتقع عليه ، وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة ، وعظم الفاقة ، ولو قيل : يحسبه الرائي ماء ، ثم يظهر على خلاف ما قدر لكان بليغا ، وأبلغ منه لفظ القرآن ، لأن الظمآن أشد حرصا عليه ، وتعلق قلب به ، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره الى عذاب الأبد في النار ، وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه ، فكيف اذا تضمن مع ذلك حسن النظم ، وعذوبة اللفظ ، وكثرة الفائدة ، وصحة الدلالة(٥) .

ولقد رأيت الرماني في تقسيمه التشبيه يطلق على التشبيه المعنوي ، كتشبيه قوة فلان بقوة فلان مثلا اسم التشبيه النفسي ، كما يقرر في تعريفه أنه لايخلو من أن يكون في القول ، أو في النفس (٦) . أما تناوله للاستعارة فانه يمثل قمة اتجاهه في التصوير البياني ، والتفسير النفسي ، اذ حلل أربعا

٤ — سورة النور : ٣٩

٥ — الرماني : ابو الحسن (النكت) ص ٧٧

٦ — المصدر السابق ص ٧٩ من الآية ١٨ في سورة الانبياء .

واربعين آية قرآنية ، سأكتفي بثنتين منهـا ،

قال الله تعالى : « **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ** » ، فالقذف ، والدمـغ هنـا مستعار ، وهو أبلغ ، لأن في القذف دليلا على القهر ، لأنك اذا قلت : قذف به اليه ، فانمـا معناه : القاه اليه على جهة الاكـراه والقهر ، فالحق يلقى على الباطل فيزيله على جهة القهر والاضطرار ، وعلى حالة الشـك والارتياب ، ويدمغه أبلغ من يذهبه ، لما في « يدمغه » مـن التأثير فيه ، فهو أظهر في النكاية ، وأعلى في تأثير القـــوة •

ومنها قوله تعالى : « **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** » الآية : ١٨ من سورة التكوير •

وتنفس ها هنا مستعار ، وحقيقة اذا بـدأ انتشاره ، وتنفس أبلغ منه ، ومعنى الابتداء فيهما (أى الانتشار والتنفس) ، الا أنه في التنفس أبلغ لما فيــه من الترويح على النفس! بل ان التنفس هو سر الحياة ، وما فيها مـن متعة ونزهة وجمال !!

فانظر مسلك القرآن في جعل الصبح ــ وهو مشهد مألوف مكرور ــ قد ظهـر جديدا لـم تشهده من قبل عينان !! (٢) •

ومما يلفت النظر عند الرمـانى أن الألوان البلاغية الاخـرى التى تغلب عليهـــا صفة اللفظية كالتلاؤم والفواصل ــ قد حفل بالأثر النفسى لها حـين عرضهـــا ، فان التلاؤم : تعديل الحروف في التأليف ــ وفائدته تظهر في حسن الكلام في السمع ، وسهولته في اللفظ ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها ، مـن حسن الصـــورة ، وطـريق الدلالة كمـا أن الفواصل القرآنية : حروف متشـاكلة فـى المقاطع توجب حسن افهام المعانى ، والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، ذلك أن الفواصـل تابعة للمعانى ، وأما الأسجاع فالمعانى تابعـة لهـــا •

وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ، لأنهـا طريق الى افهام المعانى التى يحتاج اليهـا في احسن صورة يدل بها عليها(٣) » •

فأنت تـرى معى الرمانى جماليـا يحس بموطن الابداع والتأثير في الصـورة البيانية وغيرها ، كما يبدو ملحا عـلى الأثر النفسى فيها ، مما جعله ملهما لكل المهتمين من بعـده بالتصوير البيانى ، ومدى تأثيره العاطفى والوجـدانى !!

اما (الخطابى) فلقد كان في كتابه « بيـان اعجاز القرآن » مكملا لجهد (الرمانى) ، الا أنهمـا ــ بلا ريب ــ صـورة زاهيـة مشرقة للذوق البلاغى المصفى الذى صقله وهـذبه القرآن الكريم ، وستجد هذه الصورة متألقة تواكبها أصـالة في النظر ، وقـوة في الفكر ، وعمـق في البحث ، وقدرة على الاسـتنباط ، ودقة في الملاحظة ، وروعة في التحليل لـدى الخطـابى الذى تميز عن الرمـانى بابرازه

---

١ ــ المصدر السابق ص ٩١ •

٢ ــ قطب : الاستاذ (التصـوير الفنى في القرآن) ص ١٩١ ، بتصرف • •

٣ : الرمانى : أبو الحسن (النكت) ص ٩٦ ــ ٩٨ •

التقويم النفسي للأدب عند العرب

المعارضة الادبية بأصولها ومقاييسها ، مما كشف عن ذوق أدبي رفيع ، وحس بياني مرهف يدل على ممارسة الجمال القرآني ، وتمكن من أساليب اللغة ، وادراك لمذاهبها في التعبير ، واستيعاب لأنماط صياغاتها في دلالاتها على التصوير !!

وموقف الخطابي هذا يبدو أكثر وضوحا في تصويره للنظم الذي هو سر الاعجاز ، اذ النظم يقوم على لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم .

وأن القرآن انما صار معجزا ، لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أحسن المعاني ، وجمع بين المعاني الرائعة وبين الموضوعات المتباينة الى ذلك النظم العجيب ، مودعا أخبار القرون الماضية(١) .

ويمضي الخطابي الى غايته المثلى ليقرر أن النوع الأفضل من الكلام ، والأمثل هو ما جاء به القرآن ، وهو الذي جمع البلاغة والفخامة مع العذوبة والسهولة !!

ولم يقف الخطابي عند النظم الذي يعتبر بحق رائد النقدة العرب في تصويره فكرته ، بل انه جعل وجها نفسيا يراه مناط الاعجاز القرآني كذلك ، مبينا أن هذا الوجه النفسي وجه آخر ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه الا الشاذ من آحادهم ، وهو من رزق الشفافية ، ومنح الصفاء الروحي ، وذلك صنيعه بالقلوب ، وتأثيره في النفوس ، فانك لاتسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا اذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه اليه ، تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور ، حتى اذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق ، وتغشاها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلود ، وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها ، فكم من عدو فتاك للرسول (صلى الله عليه وسلم) يريد اغتياله ، فاذا ما سمع آيات من القرآن أسقط في يده ، وكف عن معاداته (٢) ولاينسى الخطابي دفاعه عن النص القرآني ، وقوة تصويره ونفاذه ، فتجده يبدو بين الاعجاز النظمي وبين الاعجاز النفسي — فارسا مغوارا يتصدى للأباطيل ، ويفضح الأكاذيب —

فمثلا في هذه الصورة الاستعارية عنده من قصة (يوسف) على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : « فأكله الذئب » قال المتوهمون المشككون : كان ينبغي أن يقال : فافترسه الذئب ، لأنهم يقولون : افترسه الوحش : الاسد أو الذئب ، فالافتراس : فعل الوحوش الكاسرة ، ولا يقولون : أكله الأسد ، ولما كان مقصد اخوة يوسف اخبار أبيهم بأن الذئب قد أتى على يوسف ، فلم يبق منه شيئا وأكل جميعه ، ولاريب في أن كلمة « أكل » هي التي تفيد ذلك أيما افادة ، وقد حكى عن

---

١ — المصدر السابق ص ٢٧ — ٢٨ .

٢ — الخطابي : ابو سليمان (بيان اعجاز القرآن) ص ٧٠ .
من الآية ١٧ في سورة يوسف .

(ابن السكيت) فى « ألفاظ العرب » قولهم : « أكل الذئب الشاة ، فما ترك منها تامورا » ، وعليه جاء قول الفرزدق :

فتى ليس لابن العم كالذئب ان رأى
بصاحبه يـــوما دما فهـــو آكلـــه

كما ورد قول العباس بن مرداس :

أبا خراشـــة اما أنت ذا نفر
فان قومى لم تأكلهم الضبع

فأنت ترى أن لفظ الأكل شائع الاستعمال فى الذئب ، وغيره من السباع كالضبع ..

وعلى هذا فالتعبير القرآنى بـــ « فأكلـــه » أبلغ وأدل !! ، اذ يتضمن القتل وزوال جثـــة المقتول ، بخلاف « افترس » ، فانها لاتفيـــد الا القتل فحسب ، اذ الافتراس هو فعـــل السبع : القتل فقط وأصل الفرس : دق العنق مع بقاء الجثة أو بقاء جزء منها ، فان أباهم قد يطالبهم بأثر باق منه يشهد بصدقهم ، الا أن خوفهم من تلك المطالبة هـــو الـــذى جعلوم يزعمون الاكل ، ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة ، وكذلك الحال فى قوله تعالى : « **وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ** » من الآية : ٣٧ من ســـورة يس ، والسلخ ها هنا مســـتعار ، وهو أبلغ منه لو قال : يخرج منه النهار ، وان كان هـــو الحقيقة ..

وكذلك قوله تعالى : « **فَاصْدَعْ بِمَـا تُؤْمَرُ** » هو أبلغ من قوله : فاعجل بما تؤمر ، وان كان هو الحقيقة ، والصدع مستعار ، وانما يكون ذلك فى الزجـــاج ونحـــوه من فلز الارض ، ومعناه : المبالغة فيما أمر بـــه (ص) ، حتى يؤثر فى النفوس والقلوب تأثير الصدع الحسى فى الزجـــاج وغيره ..

وفى القرن الخامس الهجرى الذى هو بحق عصر النضج البلاغى نرى الامام عبد القاهر الجرجانى ســـنة ٣٧١ هـ فى كتبـــه : « أسرار البلاغة » ، « دلائل الاعجاز » ، « الشـــافية فى اعجاز القـــرآن » قد أبدع أيما ابداع فى الكشف عن نظـــرية (النظم) أو (العلاقات) بما لم يسبق به ، وكان الدافع النفسى واحدا مع الدافعين الآخرين وهمـــا الدينى والتعليمى الذى جعله يبسط تلك النظرية فى ثنايا كتابيه : الأسرار والدلائل ، فان علم البيان (أى النظم عنده) قد لقى من الضيم ما لقيه ، ومنى من الحيف ما منى به »(١) .

فلا مناص من أن يدرأ الامام هـــذا الظلم ، ويدفع ذلك الضيم . ويدعى أن كلمة «البيان» عنده مرادفة للبراعة ، والفصاحة ، والبلاغة ، والنظم ، خلافا لمـــا نراه لدى البـــلاغيين من المتأخرين فى تقسيمهم البلاغة ثلاثة فنون هى : المعانى ، والبيان ، والبديع .

ومهما يكن الأمر فان عبد القاهر بمنهجـــه التحليلى الفذ الوضىء قد اســـتطاع أن يكون مثلا فريدا للناقد الجمالى النفسى الأصـــيل ، وقد اجتمع له من احساس صـــادق بالجمال ، وذوق أدبى صاف ، وقدرة عالية على التعليل والتوجيه ، ونظرة شاملة عميقة هى آية عمقه

---

١ ـــ الجرجانى : عبد القادر (دلائل الاعجاز) ص ٢١ ط المنار سنة ١٩٦٠ القاهرة .
من الآية ٩٤ فى سورة الحجر .

التقويم النفسي للأدب عند العرب

الوجداني والفكري ، فلا عجب أن نراه في النظم يلح على الاعتبارين : الجمالي والنفسي في وقت واحد ، وسأورد بعضا من نماذجه التطبيقية التي تكشف بجلاء عن ملامح منهجه النقدي الجمالي النفسي ، وتحدد لنا أبعاد هذا المنهج .

وأول ما يصادفنا هو كتابه «أسرار البلاغة» الذي عرض فيه صور البيان ، وفق مفهوم وتحديد الآخرين ــ مضيفا اليه بعض ألوان البديع ــ كما هو معروف الآن . وهذه الصور من التشبيه ، والتمثيل ، والمجاز ، والكناية هي من مقتضيات النظم عنده ، اذ انها أصول كثيرة كان جل محاسن الكلام ــ ان لم نقل كلها ــ متفرعة عنها ، وراجعة اليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها ، وأقطار تحيط بها من جهاتها(١) .

بل انه ليرى لتلك الصور في كتابه : « دلائل الاعجاز » دورا في تحقيق الاعجاز بالنظم الذي اشتمل عليها ، « لأن هذه المعاني التي هي الاستعارة ، والكناية ، والتمثيل ، وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم ، وعنها يحدث ، وبها يكون .. (٢) » .

وفي مدخله الى تلك الصور في كتابه « الأسرار » نراه يركز على الاختصاص في الترتيب ، فانه يقع في الألفاظ مرتبا على المعاني ، المرتبة في النفس ، المنتظمة فيها على قضية العقل ، ومن أجل هذا لو قلت في بيت امرىء القيس من مطلع معلقته المشهورة :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فجعلته هكذا من مصراعه الأول :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
منزل قفا ذكرى من نبك حبيب

كان ذلك اخراجا له من كمال البيان الى مجال الهذيان ، نعم وأسقطت نسبته من صاحبه ، وقطعت الرحم بينه وبين منشئه .

وفي ثبوت هذا الأصل ما تعلم به أن المعنى الذي كانت له هذه الكلم ... بيت شعر ، أو فصل خطاب ، هو ترتيبها على طريقة معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة ...»(٣)

ويمضي عبد القاهر في بسط فكرته عن فضيلة النظم ، منبها الى أن هنا أقساما قد يتوهم في بدء الفكرة ، وقبل اتمام العبرة أن الحسن والقبح فيها (أي الكلمة) لا يتعدى اللفظ والجرس الى ما يناجي فيه العقل النفسي ، ولها (أي للفصاحة والفضيلة) اذا حقق النظر مرجع الى ذلك ، ومنصرف فيما هنالك ، منها التجنيس ، والحشو »(٤) .

وهكذا نرى عبد القاهر ينظر الى الجمال من خلال نظرة عقلية نافذة تتراءى للناظر أكثر اتضاحا في كتابه : « الدلائل » حول بيت امرىء القيس نفسه قائلا : « انه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد الى

---

١ ــ الجرجاني : عبد القاهر (أسرار البلاغة) ص ١٨ ط المنار القاهرة .

٢ ــ الجرجاني : عبد القاهر (دلائل الاعجاز) ص ٢٥١ .

٣ ــ الجرجاني : عبد القاهر (أسرار البلاغة) ص ١٤ ــ ١٥ .

٤ ــ الجرجاني : عبد القاهر (أسرار البلاغة) ص ١٦ .

صورة وصنعة ان لم يقدم فيه ما قدم ، ولم يؤخر ما أخر ، وبدىء بالذى ثنى به ، أو ثنى بالذى ثلث به لم تحصل لك تلك الصورة ، وتلك الصنعة .. »(١)

وليست الصورة عنده الا النظم الذى يتحقق بين تلاحم اللفظ والمعنى ، وتوخى معانى النحو فيما بين الكلم ، وترتيب المعانى أولا فى نفسك ، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ فى نطقك .. »(٢)

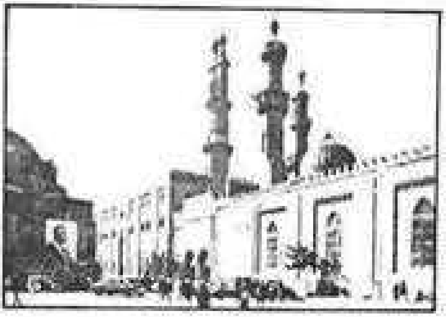
بل ان الصورة ــ فى رأيه ــ تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذى نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البينونة بين آحاد (أفراد)الأجناس تكون من جهة الصورة ، فكان بين انسان من انسان ، وفرس من فرس ، بخصوصية تكون فى صورة هذا لا تكون فى صورة ذاك ، وكذلك كان الأمر فى المصنوعات ، فكان بين خاتم من خاتم ، وسوار من سوار بذلك ، ثم وجدنا بين المعنى فى أحد البيتين وبينه فى الآخر بينونة فى عقولنا ، وفرقا عبرنا عن ذلك الفرق، وتلك البينونة بأن قلنا : للمعنى فى هذا صورة غير صورته فى ذلك ، وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر ، بل هو مستعمل مشهور فى كلام العلماء ، ويكفيك قول الجاحظ : « وانما الشعر صناعة وضرب من التصوير .. »(٣)

والامام بهذا البيان التفسيرى الذى أبرزه فى معرض حديثه عن أسلوب الموازنة الأدبية

١ ــ الجرجانى : عبد القاهر (دلائل الاعجاز) ص ٢٢٤ .

٢ ــ الجرجانى : عبد القاهر (دلائل الاعجاز) ص ٢٨٧ .

٣ ــ الجرجانى : عبد القاهر (دلائل الاعجاز) ص ٣٢٠ .



بين الشعرين ، ومعاييرها الفنية يكون قد خطا بمصطلح الصورة خطوات كبيرة على درب الموازنة التى ــ أراها ــ أرقى المناهج النقدية وأدقها فى القديم والحديث على السواء ، والا فانظر الى طريقته فى الموازنة بين البحترى والمتنبى ، « فليس يتصور فى نفس عاقل أن يكون قول البحترى :

واحب آفاق البلاد الى الفتى
ارض ينال بها كريم المطلب

وقول المتنبى :

كل امرىء يولى الجميل محبب
وكل مكان ينبت العز طيب

ــ سواء .. » (٤) .

وواضح أن عبد القاهر كان حريصا كل الحرص على استخدام العقلية فى الكشف عن جمال الصورة ، وتفاوت الصور ، طريقا الى تقرير الاعجاز ، أما عنايته بالدلالات النفسية لأشكال التعبير فحدث عنها ولا حرج .

د. عبد الحميد العبيسى

٤ ــ الجرجانى : عبد القاهر (دلائل الاعجاز) ص ٣١٩ .

حقيقة التوسل والوسيلة

على ضوء الكتاب والسنة

لفضيلة الشيخ موسى محمد على

فى هذه الآونة التى تشهد فيها أمة الاسلام بزوغ القرن الهجرى الجديد بما يحمله من اشراقات الصحوة الاسلامية المباركة : تحفل الساحة الاسلامية بالعديد من التيارات المذهبية المختلفة التى يشق بعضها طريقه فى تؤدة واتزان واستقامة ، بينما يصطرع بعضها الآخر ويلتوى عن الجادة مهدرا طاقته وحيويته فى دوامة الصراع المذهبى التى تعوق الانطلاقة الاسلامية المنشودة بما تثيره من جدل فى عديد من القضايا الفرعية ، ومن ابرز هذه القضايا : قضية « التوسل والوسيلة » التى تصاعد الجدل فيها الى مستوى التوحيد أو الشرك .

وفى غمرة هذا الجدل والخلاف والتساؤلات جاء هذا الكتاب على قدر يحمل النور من كتاب الله وسنة مصطفاه الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ومن هدى سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين . فجاء بحق ـ كتاب الساعة فى المكتبة الاسلامية ، ليعالج أخطر قضايا الساعة الدينية ، بروح النصفة العلمية والتجرد للحق من كل هوى ، اللهم الا هوى التبعية المطلقة لما جاء به سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحابته أجمعين .

فمؤلف هذا الكتاب عالم فاضل أخرج للمكتبة الاسلامية عديدا من المؤلفات والأبحاث فى علوم القرآن والسنة وتاريخ آل البيت الأطهار رضى الله عنهم أجمعين ، كما حقق للمكتبتين القرآنية والحديث كنوزا من التراث العلمى النفيس مثل كتاب أحكام القرآن لأبى الحسن الكياالهراسى وكتاب مشكل الحديث للامام أبى بكر بن فورك . وكتاب الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة للحافظ الذهبى وغير ذلك .

تناول المؤلف بالبحث والتمحيص كافة أبعاد قضية التوسل وجوانبها مستجمعا فى بحثه شتات ماتفرق فى أمهات المصادر والمراجع التى تصدت من قبل لهذه القضية قديما وحديثا ، مع اضافة الرؤية المعاصرة وادراجها تحت منظار البحث القرآنى والسنى بمنهجية علمية ثاقبة وتنسيق موضوعى رائع .

واناخذ أولا فى العرض الاجمالى لمباحث الكتاب ومحتوياته :

يشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة أبواب

للدكتور جودة محمد أبو زيد المهدى

ناهزت فى الكم خمسمائة صحيفة من القطع الكبير .

أما المقدمة : فقد جسد فيها المؤلف منطلقه فى بحث القضية ، ومنهاجه فى تناولها ، ويتمثل ذلك فى الاتباع المطلق والكامل للرسول الكامل صلوات الله وسلامه عليه ، وتحكيمه فى كل ما اختلف فيه ، مع الأذعان الكامل والقبول الكلى والجزئى لحكمه وانتفاء الحرج بصدده والتسليم المطلق به عملا بقوله

تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » .

من هذا المنطلق عالج المؤلف جوانب القضية فى مباحث كتابه على النحو التالى :

ففى الباب الأول : فصلان : تناول فى « أولهما » : (مشروعية التوسل والاستدلال لها من القرآن العظيم والسنة المطهرة) فبين

مداول التوسل والوسيلة فى اللغة وشمول مداول الوسيلة ـ فى مفهوم اللغة والشرع ـ للاعمال الصالحة المشروعة وللذوات الفاضلة المقربة عند الله تعالى من الأنبياء والصالحين ثم تناول ـ بالتدليل المتضافر بالأحاديث الصحيحة ـ مشروعية التوسل بذات النبى صلى الله عليه وسلم وبذوات غيره من الصحابة والصالحين ، وأقام الأدلة لجواز التوسل به صلى الله عليه وسلم فى الأحوال الثلاثة . قبل التشرف بظهوره صلى الله عليه وسلم فى هذا العالم ، وأثناءه ، وبعد انتقاله الى الرفيق الأعلى ، كما بين أن التوسل به صلى الله عليه وسلم يشتمل على أنواع ثلاثة :

أولها : طلب الحاجة من الله تعالى مع التقرب اليه سبحانه بذاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو بجاهه وبركته قبل خلقه أو بعده فى حياته الدنيا ، أو بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه .

وثانيها : طلب الدعاء منه ، فى حياته الدنيا أو فى حياته البرزخية ، أو فى عرصات القيامة .

وثالثها : طلب الأمر المقصود منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على معنى التسبب فيه بالدعاء والشفاعة . عند الله عز وجل : فيئول هذا النوع ـ فى حقيقته ـ الى النوع الثانى المتقدم وقد أتى المؤلف بالعديد من الأدلة على مشروعية الأنواع الثلاثة .

ثم تناول الفصل الثانى : من هذا الباب : (مشروعية الزيارة للنبى صلى الله عليه وسلم ولقبور الأولياء الصالحين) .

فأبرز العديد من أدلة الكتاب والسنة لذلك ، كما أبرز بالتدليل والاستشهاد

مشروعية شد الرحال لهذه الزيارة وبين آدابها الشرعية وما تسفر عنه من أثر روحى عظيم .

وأما الباب الثانى : فقد تصدى فيه المؤلف لتلك الشبهات التى طرحها خصوم التوسل

>

حقيقة التوسل والوسيلة

فى القضية وتتمثل فى خمس شبهات رئيسية:

أولاها : شبهة انكار التوسل والاستغاثة •

وثانيتها : شبهة انكار الاستغاثة بالموتى •

وثالثتها : شبهة انكار زيارة قبور الأنبياء والصالحين •

ورابعتها : شبهة انكار الصلاة فى المساجد التى بها قبور •

وخامستها : شبهة انكار وصول ثواب قراءة القرآن والدعاء للميت •

وقد فند المؤلف — بتوفيق عظيم من الله تعالى — كل هاتيك الشبه ، ورد عليها بشوامخ الحجج النقلية والعقلية بما لايدع لذى منصف لاحق مرية ولا ارتيابا •

وأما الباب الثالث : فقد ضمنه المؤلف فصولا ثلاثة تبرز خلفيات قضية التوسل التى يجب ان يتعرفها من يتصدى للخوض فيها على منهاج علمى مستقيم •

فالفصل الأول : يتناول : حياة الأنبياء وغيرهم فى قبورهم • والاستدلال لذلك من الكتاب والسنة •

والفصل الثانى : يتناول حقيقة الولاية لله تعالى وبيان معنى الولى — بالمعنى العام وبالمعنى الخاص — من دلالة النص القرآنى المحكم ، كما يتضمن اثبات الكرامات لأولياء الله تعالى فى الحياة وبعد الموت وبيان خطورة معاداة الأولياء وما ورد فيها من الوعيد الالهى الشديد •

وأما الفصل الثالث : فقد عقده المؤلف لبيان جواز التقبيل والتبرك بآثار الصالحين •

وقد استند فى ابراز مشروعية ذلك الى الأحاديث النبوية الصحيحة والآثار المروية المتعاضدة والى آراء أئمة المذاهب الفقهية الكبرى ، ونخبة أقوال جهابذة السلف الصالح رضوان الله عليهم ، التى تؤكد — بيقين — هذه المشروعية •

وفى الباب الرابع : تناول المؤلف موضوع (الذكر) الذى هو منشور الولاية ومعراج التقرب من الله عز وجل وقد تضمن هذا الباب فصولا ثلاثة :

الفصل الأول : فى بيان منزلة الذكر من العبادة ، وحكمة مشروعيته على ضوء الكتاب والسنة • وقد عرف فيه بأقسام الفكر وأنواعه وكيفياته فتضمن الأدلة النقلية على مشروعية الذكر الجهرى والسرى ، والذكر المنفرد والذكر مع الجماعة ، والذكر المقيد والذكر المطلق كما أثبت فيه المؤلف — بالأدلة القرآنية والحديثية — مشروعية الحركة فى الذكر ردا على من يزعم حرمة ذلك •

وفى الفصل الثانى : تناول المؤلف فضل الذكر وثمرته التى ينالها الذاكر ، وقد حفل هذا الفصل بروائع الأحاديث والآثار التى تجسد عظمة الذكر وضرورته وثماره المتعددة•

وأما الفصل الثالث : فقد أفرده المؤلف المسبحة (١) دليل مشروعيتها ، وهو مبحث جد بالغ الأهمية اذ هو محل جدل ولغط •

فأفاض المؤلف باركه الله فى ايراد الأحاديث الصحيحة والآثار المتضافرة عن الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين — التى تؤكد بيقين مشروعية اتخاذ المسبحة وتدحض غربة بدعيتها كما توه فى تناوله ببعض

(١) بزنة مفعلة — بكسر الميم وفتح الباء ، ومن المولد — بعد عصر الرواية لفظ : السبحة : بضم السين •

المؤلفات التي أفردها بعض الأساطين في هذا الصدد كمصنف ابن علان — شارح كتاب الأذكار — المسمى (ايقاد المصابيح لمشروعية اتخاذ المسابيح ، ومصنف الامام السيوطي : (المنحة في السبحة) . ثم يأتي الباب الخامس والأخير ، متناولا فيه المؤلف — في أربعة فصول — تلك المسائل المتنوعة والمتفرعة الداخلة في اطار قضية التوسل كاشفا — بالأدلة النقلية الصحيحة — حقيقة ماتطرق اليه النزاع واحتدم فيه الخلاف ، وصوبت اليه الاعتراضات رغم شرعيته المؤكدة بمنطوق ومفهوم الكتاب والسنة .

ففي الفصل الأول : تناول مشروعية اطلاق السيادة على سيدنا ومولانا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ورد بالأدلة القرآنية والحديثية الصحيحة على من زعم اختصاص السيادة بالخالق دون المخلوق فحكم بالاشراك على من يطلق السيادة على سيد ولد آدم — صلى الله عليه وسلم — أو على غيره من صالحي أمته . وبين بالدلائل الساطعة استحباب اطلاق السيادة عليه صلوات الله وسلامه عليه بما لا مزيد عليه .

وفي الفصل الثاني : — من هذا الباب — تناول مشروعية الصلاة والسلام على سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فبين فضلها ومنزلتها وأجلى معناها ومغزاها وبين حث السنة الشريفة عليها وترغيبها فيها لنيل ثمارها .

وأما الفصل الثالث : فقد أفرده المؤلف لبيان مواطن الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — وفوائدها . فبين تلك المواطن التي يتأكد فيها طلب الصلاة عليه — صلى الله عليه وسلم — على سبيل الوجوب أو الاستحسان المؤكد فأثبت تسعة وثلاثين موطنا بأدلتها ، وهو تسجيل رائع يحمد عليه المؤلف كذلك عدد من ثمار هذه الصلاة ما يناهز عدد تلك المواطن ، وأثبت في هذا الفصل باقة عاطرة من مأثور الصيغ في الصلاة على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزا خواصها وفوائدها المتعددة .

ثم جاء الفصل الرابع : بمسك الختام — في الشفاعة وأدلة اثباتها لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبيان أنواعها في الآخرة ، وقد ختم المؤلف بها كتابه القيم مؤكدا بثبوتها ثبوت مشروعية التوسل والوسيلة ، ومؤملا — ونحن معه — أن تكون هي خاتمة أمرنا ان شاء الله تعالى .

وبعد هذا العرض الاجمالي لمباحث الكتاب: نأتي الى :

الجانب التحليلي من هذه الدراسة :

في محتويات هذا البحث منهج علمي سديد متكامل ، ومعالجة موضوعية رائعة ، مستوعبة لأطراف الموضوع ، حافلة بثراء المادة العلمية وغزارة المصادر مع عظم الافادة منها بتوفر الأداة وعمق النظر في فهم مرامي النصوص وتوجيه الأدلة في مسارها الصحيح دون تعسف أو التواء .

ثم اننا نجد — من خلال تلك الدراسة في رحاب الكتاب والسنة — ذاتية علمية تجسد منهج (الاتباع) بحق وحقيقة — وهو المنهج الذي رفع لواءه الامام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله ورضي عنه ، فقد كان شعاره هذا الحديث الشريف . « اتبعوا

ولا تبتدعوا فقد كفيتم » (١) .

والمؤلف من خاصة تلاميذ الامام الراحل عليه رضوان الله ، وقد طبق مناهجه هذا في كتابه هذا على أكمل وجه .

وأما عن المنهج الذي اختطه المؤلف في هذه الدراسة العلمية : فاننا نجد سمتين بارزتين للاطار المنهجي الذي تناول به الكاتب موضوعه وهما : الشمول ، والتكامل ، فقد رسم المؤلف خطته العلمية على أساس شمولي لكل جوانب وأبعاد موضوع التوسل والوسيلة وما يتعلق به من فرعيات مرتبطة بجوهره فألفينا هذا الاستيعاب لأجزاء الموضوع وما يناط به من مباحث : كالزيارة ومشروعية السفر اليها ، واثبات حياة الأنبياء وغيرهم في قبورهم ، وجواز التقبيل والتبرك بآثار الصالحين .

ومشروعية الذكر الجهري مع الجماعة ، والحركة في الذكر ، والمسبحة ودليل مشروعيتها واطلاق السيادة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصلاة والسلام عليه ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام واثبات الشفاعة له صلى الله عليه وسلم ، الى غير ذلك من متعلقات الموضوع التي يثار حولها جدل كبير . كذلك تتمثل ظاهرة التكامل الموضوعي في منهج المؤلف في كتابه تمثلا بارزا ، حيث نجد كل مبحث من مباحثه يدعم الآخر في اقامة بناء متكامل ، كما نجد سريان علاقتي اللزومية والاقتضاء عبر أبواب الكتاب وفصوله بشكل ملحوظ ، وبترتيب منطقي محكم .

فالفصل الاول من الباب الاول يحمل عنوان القضية (التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة) وهذا هو جوهر الموضوع والمنطلق لبحث متعلقاته ، نجد المؤلف يتبعه الفصل الثاني عن (الزيارة ودليل مشروعيتها) ، من حيث ان الزيارة للنبي — صلى الله عليه وسلم — من أقوى الوسائل للفوز بشفاعته فالزيارة مظهر بارز من مظاهر التوسل .

ولما كانت هناك شبهات عديدة تثار حول مشروعية التوسل والزيارة . أفرد المؤلف الباب الثاني وكتابه لرد هاتيك الشبه من منطلق الرجوع الى الكتاب والسنة وتسليط ضوئها الوهاج لتقشع غياهب تلك الشبهات كشبهة انكار التوسل بدعوى أنه اشراك وكشبهة انكار زيارة قبور الصالحين ، وشبهة انكار الصلاة في المساجد التي بها قبور الى غير ذلك . فصنيع المؤلف هنا في غاية الاحكام ، اذ أنه يتصدى بعد تقرير الحقيقة لتنفيذ الشبه التي تثار حولها حتى تستقر شرعيتها في القلوب فازالة الشبه بعد تقرير الاثبات تأكيد له بنفي ضده ، — وسنورد فيما بعد أمثلة لذلك — ثم بعد معالجة تلك الشبهات التي تصدى لها البحث — ومنها شبهة انكار الاستغاثة بالموتى تحتم موضوعية البحث وتكامله على المؤلف أن يتصدى لاثبات حياة أولئك الصالحين من الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — وغيرهم في قبورهم فيفرد لذلك : الفصل الأول من الباب الثالث ، ثم يتبعه بحيثيات وصلاحيات نفع أولئك الصالحين من الأولياء العارفين في الفصل الثاني مبينا حقيقة الولاية لله عز وجل ومعرفا بصفات هؤلاء الأولياء وما أكرمهم

(١) رواه الطبراني والدارمي — في العلم من مسنده — عن ابن مسعود موقوفا (انظر الجامع الكبير) .

الله تعالى به من الكرامات في الحياة وبعد الممات .

ولما كان من مظاهر التوسل بهؤلاء الأولياء التبرك بهم وبآثارهم : جعل الفصل الأخير من هذا الباب في بيان جواز التقبيل والتبرك بآثار الصالحين .

ثم لما كان مدلول الوسيلة شاملا — في مفهوم اللغة والشرع — للعمل الصالح وللذوات الصالحة : عقد المؤلف الباب الرابع للذكر الذي هو ذروة العمل الصالح ، مبرزا تكامله مع قسيمه — في مدلول الوسيلة — في التقرب الى الله سبحانه ، ثم يختم المؤلف أبواب كتابه بمتممات البحث ومؤكدات شرعية الحكم في هذه القضية وفي الباب الخامس الذي ختمه بشفاعة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه وورثته الطيبين الطاهرين .

وهكذا يبرز اتساق المنهج وتكامله في استجماع جوانب الموضوع وأطرافه المتعددة وتسلسله باحكام رائع ، وترابط وثيق .

ثم نأتي أخيرا : للتعرف على صورة المعالجة العلمية التفصيلية في هذا البحث لنرى كيف استطاع المؤلف — بتوفيق الله تعالى — أن يسلط ضوء الكتاب والسنة على هذا الموضوع بمختلف جوانبه وابعاده ، وأن يدلل لمشروعية التوسل بكافة أنواعه ومظاهره التي اتسعت لها دائرة الشرعية الالهية .

ان نقطة البدء في الموضوع هي اثبات شرعية أصل التوسل الذي هو التقرب الى الله تعالى بالوسيلة وهي كل ما جعله الله سببا في التقربى عنده ووصله الى قضاء الحوائج عنه سبحانه . هنا يدلل المؤلف على ذلك بقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ » (١) . وبقوله تعالى : « أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ » (٢) .

ولاريب في دلالة كل من الآيتين الكريمتين على مشروعية اتخاذ الوسيلة ، ولكن أول اعتراض يطرأ في القضية انما هو بتخصيص مدلول الوسيلة وقصره على العمل الصالح من العبد المتوسل نفسه . ونفي شرعية اتخاذ أي ذات — مهما كانت مقربة عند الله تعالى — وسيلة اليه ، وهنا : يؤكد البحث من منطلق الكتاب والسنة شمول الوسيلة في الآيتين الكريمتين للاعمال الصالحة وللذوات الصالحة المقربة عند الله تعالى من الأنبياء والصالحين .

اما أدلة التوسل بالأعمال الصالحة فهي كثيرة ولا خلاف عليها ، وقد أورد المؤلف منها حديث أصحاب الغار الذين توسلوا بصالح أعمالهم وهو مروى في صحيح البخاري . وأما أدلة التوسل بالذوات — الصالحة الى الله تعالى فقد تضمن الكتاب العديد منها وخاصة أدلة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم البالغة الكثرة .

وفي هذا المقام تجلت روعة المعالجة العلمية المنهجية للمؤلف ، اذ صنف هذه الأدلة تحت انواع ثلاثة يشمل كل نوع منها أحوالا ثلاثة :

فالنوع الأول : من التوسل به صلى الله عليه وسلم : هو طلب الحاجة من الله تعالى مع التقرب الى الله سبحانه بذات النبي صلى الله عليه وسلم أو بجاهه أو ببركته ، وهذا

---

(١) سورة المائدة ٣٥ .
(٢) سورة الاسراء ٥٧ .

حقيقة التوسل والوسيلة

التوسل جائز مشروع في الأحوال الثلاثة : قبل خلقه • وبعد خلقه ــ في الحياة الدنيا ــ وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ــ في حياته الأخرى •

أما الدليل على مشروعية التوسل به قبل وجوده ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الدنيا فقد ساق المؤلف لذلك مارواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين بسنده عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما اقترف آدم ــ عليه السلام ــ الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد الا غفرت لي ، فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟؟ قال : يارب لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا « لا اله الا الله محمد رسول الله » فعرفت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك، فقال الله تعالى • صدقت يا آدم ، انه لأحب الخلق الي ، واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك » (١) •

وأما الدليل على مشروعية التوسل به صلى الله عليه وسلم : ــ في الحالة الثانية من النوع الأول ــ أي بعد خلقه أثناء وجوده صلى الله عليه وسلم في الدنيا تقربا الى الله تعالى بذاته الشريفه فقد ساق المؤلف لذلك مارواه الامام الترمذي ــ في كتاب الدعوات من سننه ــ عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافينى ، قال : « ان شئت دعوت ، وان شئت صبرت فهو خير لك » قال : فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم انى أسالك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد انى توجهت بك الى ربى في حاجتى لتقضى لى ، اللهم شفعه في (٢) ــ قال البيهقي : وزاد محمد بن يونس في روايته : « فقام الرجل وقد أبصر » ا هـ •

كذلك استدل المؤلف على مشروعية التوسل به صلى الله عليه وسلم في الحالة الثالثة من النوع الأول ــ أي التقرب بذاته أو بجاهه بعد انتقاله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الرفيق الأعلى ــ مارواه الطبرانى في معجمه الكبير عن عثمان بن حنيف : أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له ، فكان عثمان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فلقى ابن حنيف فشكا ذلك اليه ، فقال له عثمان بن حنيف : ايت الميضاة فتوضأ ، ثم ايت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل : اللهم انى أسالك وأتوجه اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة ، يامحمد انى أتوجه بك الى ربك فيقضى حاجتى ، وتذكر حاجتك • فانطلق الرجل ، فصنع ما قال له ، ثم أتى باب عثمان بن عفان فجاء البواب حتى أخذه من يده فأدخله على عثمان بن عفان • فأجلسه معه على الطنفسة فقال : ماحاجتك ؟؟ فذكر حاجته وقضاها له ، ثم قال له : ماذكرت حاجتك حتى كان الساعة وقال : ماكانت لك من حاجة فاذكرها • ثم

(١) رواه الحاكم ــ في المستدرك ــ وقال : هذا صحيح الاسناد ، ورواه البيهقى أيضا في (دلائل النبوة) وذكره الطبرانى وزاد فيه : (وهو آخر الانبياء من ذريتك) .

(٢) قال الترمذي : راويه « هذا حديث صحيح» ورواه أيضا النسائي والبيهقي •

ان الرجل خرج من عنده ، فلقى عثمان بن حنيف ، فقال له : جزاك الله خيرا ، ماكان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت الى حتى كلمته فى: فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته ، ولكنى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتاه ضرير فشكا اليه ذهاب بصره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أو تصبر » ؟ فقال : يارسول الله ، انه ليس لى قائد وقد شق على، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « ايت الميضاة ، فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات » .

قال ابن حنيف ، فوالله ماتفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط أ هـ كذلك أورد المؤلف العديد من الأدلة على مشروعية النوع الثانى من التوسل ، وهو طلب الدعاء منه صلى الله عليه وسلم فى الأحوال الثلاثة : أثناء حياته الدنيا ، وبعدها فى حياته البرزخية ، ثم فى عرصات القيامة الكبرى يوم يشفع فى أمته صلى الله عليه وسلم وقد نص القرآن الكريم صراحة على مشروعية هذا النوع فى حياته صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** » (١) والآية صريحة كل الصراحة فى ابراز تلك المشروعية .

وقد أورد المؤلف استدلاله بهذه الآية الكريمة على مشروعية التوسل به صلى الله عليه وسلم بمعنى طلب الدعاء منه بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى — فى

(١) سورة النساء ص ٦٤ .

حياته البرزخية — وهى الحالة الثانية من النوع الثانى من أنواع التوسل — وذلك فى الفصل الثانى من الباب الثانى بصدد رده على شبهة انكار الاستغاثة بالموتى ، فأورد مارواه الحافظ ابن حجر الهيثمى عن أبى سعيد السمعانى أنه روى عن سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه (٢) ، أنهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم أعرابى فرمى بنفسه على القبر الشريف — على ساكنه أفضل الصلاة والسلام — وحثى من ترابه على رأسه ، وقال : يارسول الله ، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك ، وكان فيما انزله الله عليك قوله تعالى : « **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** » . وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى الى ربى ، فنودى من القبر الشريف أن قد غفر لك أ . هـ وقد حفل الكتاب بنظائر كثيرة لهذا الدليل من الأحاديث والآثار الصحيحة .

وأما الاستدلال لمشروعية النوع الثانى للتوسل فى حالته الثالثة — فى عرصات القيامة بالشفاعة فقد أفرد المؤلف له آخر فصول الكتاب كما أسلفنا .

وأما النوع الثالث من أنواع التوسل وهو طلب الحاجة منه صلى الله عليه وسلم فانه — كما قدمنا فى العرض — راجع الى النوع الثانى ، اذ أن حقيقة : طلب المتوسل أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم أو الصالح المتوسل

(٢) ابن حجر — الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم . وانظر ايضا للشيخ ابراهيم السمنودى المنصورى ١/١٧٧ .

به سببا فى حصول المطلوب بالدعاء أو التشفع ونحوه ومن هذا قول الصحابى للنبى صلى الله عليه وسلم : أسألك مرافقتك فى الجنة ، فقال له صلى الله عليه وسلم « اعنى على نفسك بكثرة السجود » .

وقد أبرز المؤلف مشروعية التوسل بغير النبى صلى الله عليه وسلم ممن له نسبة اليه صلى الله عليه وسلم من آل بيته الأطهار وأولياء أمته الأخيار الذين نالوا أهلية القرب والتحقق والصلاح والخيرية ، وناهيك فى هذا الصدد بحديث توسل سيدنا عمر بسيدنا العباس رضى الله عنهما ، المروى فى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانوا اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: « اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا قال : فيسقون » آ هـ .

فالاستدلال قائم بهذا الحديث على مشروعية التوسل بغير النبى صلى الله عليه وسلم من الأولياء الصالحين .

وقد دفع المؤلف توهم الواهمين أن عدول سيدنا عمر عن التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم الى التوسل بعمه العباس يفيد انكار التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، بأن التوسل ههنا انما هو باخراجه الى المصلى ليباشر صلاة الاستسقاء ويؤم المصلين ويدعو الله على مرأى ومسمع منهم وهم يؤمنون على دعائه ، ثم ان سيدنا العباس رضى الله عنه من جملة المستسقين المنتفعين بالسقيا فاجتمعت فيه الحاجة وقربه من النبى صلى الله عليه وسلم وثمة فائدة أخرى عظيمة لهذا العدول : وهى افادة مشروعية التوسل بغيره صلى الله عليه وسلم . ثم تأتى النقطة الحاسمة فى فهم حقيقة التوسل ـ فى ختام الفصل الأول ـ والتى ينبغى أن يعيها جيدا كل راغب فى تفهم الحقيقة ، وهى معقد الحكم فى جوهر القضية بقول المؤلف : « وخلاصة » القول : ان المراد من الاستغاثة بالأنبياء والصالحين ، والتوسل بهم : هو أنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود ، والله تعالى هو الفاعل كرامة لهم ، لا أنهم هم الفاعلون ـ كما هو المعتقد الحق فى سائر الأفعال ، فان السكين لا يقطع بنفسه ، بل القاطع هو الله تعالى ، والسكين : سبب عادى خلق الله تعالى القطع عنده » .

ومن منطلق تفهم هذه الحقيقة البينة لدى الفطر السليمة والعقول المستنيرة والقلوب الفاقهة عن الله تعالى : عالج المؤلف ـ فى الفصل الأول من الباب الثانى ـ شبهات المنكرين بزعم أن المتوسلين قد أشركوا فى الألوهية والربوبية ، وحملوا عليهم كل الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين وعباد الأصنام من مثل قوله تعالى : « وَالَّذِينَ تَدْعُونَ

مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ • إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » (١) •

ومثل قوله سبحانه : **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ••** » (٢) الى غير ذلك من الآيات المنزلة فى المشركين •

ثم كان أولى بالمعترضين أن يدركوا الحقائق التالية :

أولا : ان الذين نزلت فيهم هذه الآيات مشركون قد جعلوا الأصنام آلهة كما اتخذ غيرهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وأما المتوسلون فانهم موحدون لايعتقدون الها ولا ربا الا الله وحده جل شأنه وكل ماسواه ومن سواه من الأنبياء والأولياء عبيد له سبحانه •

ثانيا : ان المشركين اعتقدوا أن آلهتهم التى أشركوها بالله تعالى مستحقة للعبادة وأما المتوسلون فانهم لم يعتقدوا معبودا الا الله وحده ، ولا خالقا ولا رازقا الا هو •

ثالثا : ان المشركين قد عبدوا تلك الآلهة بالفعل كما حكى الله عنهم فى قوله(**مانعبدهم الا ليقربونا الى الله**) • وأما المتوسلون فانهم لم يعبدوا الأنبياء ولا الأولياء ولم يتخذوا ربا معبودا سواه سبحانه فاذا احتج المعترضون بأن القرآن قد قرر بأن دعاء غير الله عبادة له والمتوسلون يدعون الأنبياء والصالحين • نقول : ان الدعاء يأتى فى اللغة لمعان شتى ، وأصله : الطلب ، وفى هذه الآيات المحتج بها من نحو قوله تعالى : « **فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** » (٣) قد جاء الدعاء بمعنى العبادة ، فلا ينبغى أن تحمل على عمومها فى الدلالة اللغوية فالعلاقة بين الدعاء اللغوى والعبادة الشرعية انما هى العموم والخصوص الوجهى ، ومن ثم فليس كل دعاء عبادة ، كما انه ليس كل عبادة دعاء •

ومن ثم فان التوسل أو التشفع أو الاستغاثة ــ وكلها بمعنى واحد ــ لا يقصد بها عبادة غير الله على الاطلاق بدليل مشروعيتها التى نطقت بها نصوص الكتاب والسنة •

فالمؤثر والموجد والنافع والضار هو الله سبحانه وتعالى وحده • هذه هى عقيدة الموحدين المحمديين • فليعلمها المعترضون جيدا قبل الحكم على أهل (لا اله الا الله) بما لايرضى الله ورسوله •

على هذا المنهاج والمنوال سار المؤلف على بركة الله شامخا •

(١) سورة فاطر ١٣ ــ ١٤ •
(٢) سورة الزمر ٣ •
(٣) سورة الجن ١٨ •

حقيقة التوسل والوسيلة

وفى مسألة مشروعية الصلاة فى المساجد التى بها قبور • نجد المؤلف يقرر لها الفصل الرابع من الباب الثانى ويقيم صروح الأدلة من السنة المطهرة مستهلا بالحديث الذى رواه الامام ابن حبان وحكم له بالصحة •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أسرى بى الى بيت المقدس مربى جبرائيل الى قبر ابراهيم — عليهما الصلاة والسلام — فقال : انزل صل هاهنا ركعتين فان هاهنا ولد أخوك عيسى عليه السلام » أ هـ دلالة لاشك فيها على مشروعية الصلاة بجوار القبور •

وأما حديث (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) فان الامام البيضاوى قد وضح المراد به خير توضيح فقال :

لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتجهون فى الصلاة نحوها واتخذوها أوثانا — لعنهم الله — ومنع المسلمين عن مثل ذلك • فأما من اتخذ مسجدا فى جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه فلا يدخل فى هذا الوعيد أ هـ هذا هو الفهم المستقيم الذى هو مشرب السلف الوضاء ومرتضى جمهور الأمة ، فالقبر النبوى الشريف فى مسجده الشريف منذ القرن الأول فى الاسلام ولم ينكره أحد من السلف والمسجد الحرام به قبر سيدنا اسماعيل — فى حجر اسماعيل — وقد قال صلى الله عليه وسلم (ما بين زمزم والحطيم تسعون نبيا موتى)• وائمة المذاهب الفقهية الكبرى كالامام مالك رضى الله عنه لم يروا بأسا بالصلاة فى المقابر : وقد ساق المؤلف العديد من النصوص والأدلة لذلك •

بهذا المنهج وبتلك الروح العلمية المسكة بمقاليد الأدلة الصحيحة عالج المؤلف مباحث قضية التوسل فى ضوء الكتاب والسنة (٢) •

وانني لأود — مخلصا — أن يقرأ هذا الكتاب كل مسلم حريص على تعرف حكم الله ورسوله فى هذه القضية بروح مخلصة لله ولرسوله بعيدة عن التعصب الذى يبدد وحدة الصف الاسلامى ولنكن جميعا أمة واحدة على كلمة الله مجتمعين على ما اتفقنا عليه•وليعذر بعضنا البعض فيما اختلف فيه •

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل

دكتور جوده محمد أبو يزيد المهدى

مع رسالة جامعية

العلاقة بين العقيدة والأخلاق فى الاسلام

للباحث : سامى عفيفى حجازى



عرض وتقديم (عبد العزيز أحمد جيرة

فى كلية اصول الدين ــ جامعة الأزهر بالقاهرة ــ وفى يوم ٣٠ يناير ١٩٨٣ نوقشت رسالة بعنوان (العلاقة بين العقيدة والأخلاق فى الاسلام) تقدم بها الطالب سامى عفيفى حجازى المعيد بقسم العقيدة والفلسفة بالكلية لنيل درجة التخصص (الماجستير) وتكونت لجنة المناقشة من :

الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم الفيومى عميد كلية الدراسات الاسلامية والعربية ــ مشرفا ·

الأستاذ الدكتور عوض الله جاد حجازى رئيس جامعة الأزهر سابقا ــ عضوا ·

الأستاذ الدكتور محمد احمد مصطفى الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين ــ عضوا

وبعد مناقشة استغرقت أكثر من ثلاث ساعات قررت لجنة المناقشة منح الطالبدرجة التخصص (الماجستير بدرجة امتياز) ·

ونحاول على هذه الصفحات أنتقدم عرضا لهذه الرسالة حيث أنها تمس موضوعا حيويا كما قال احد أعضاء المناقشة ، ونبدأ بالحديث عن الرسالة ومكوناتها فنقول أنها تتكون من :

١ ــ المقدمة ٢ ــ ثلاثة أبواب ٣ ــ الخاتمة

اولا : المقدمة

أما المقدمة فتحدث فيها الباحث عنالعقيدة التى جاء بها الاسلام للناس فانها النافذة التى يطل منها المسلمون على العوالم الحية كما أنها المنظار الذى ترى بواسطته كافة حقائق الحياة ، ويفسر الانسان على ضوئها مجرى حياته ومرساها ثم بين الباحث اثر العقيدة فى تقويم الأخلاق ، فرأى أنها تقوم فى جوهرها على بناء الانسان عقلا وفكرا وروحا وسلوكا بالامتثال لما أمر به الله سبحانه ، والاقتداء برسوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ ومن منطلق العقيدة يكون السلوك لسلطانها على صاحبها وانقياده لها ، ولذلك يكون الدين هو العبادة التى توجهها العقيدة وتكون الأخلاقالاسلامية هيالمحور الأساسى الذى ترتكز عليه انسانية الانسان ، ومن هنا كانت الأخلاق محل التركيز فى دعوات الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام جميعا ــ ·

سبب الاختيار

ثم يطلعنا الباحث على سبب اختياره لهذا الموضوع قائلا :

ان السبب الذى دفعنى لاختيار هذا الموضوع ما رأيته من فجوة كبيرة بين القول

والعمل والاعتقاد والسلوك ، ولما رأيته من تدهور يرحف على المجتمع الاسلامى لا سيما فى عقيدته فى هذا العصر الذى طغت فيه الماديات على الروحانيات وأصبح كأنه بلا عقيدة ، ونتيجة لهذا تفككت الأسر والمجتمعات وأظلم الجانب الروحى فحال بينه وبين السعادة النفسية والطمأنينة القلبية ، ثم توصل الباحث الى أنه لا خروج لبنى البشر من ذلك الا اذا صحت عقيدتهم واستقام سلوكهم عليها لأن الاسلام هو النظام الذى تصلح به الحياة

ثانيا : أبواب الرسالة

الباب الأول ــ العقيدة الاسلامية

ويشمل فصولا ثلاثة هى :

(مفهوم العقيدة والحاجة اليها) وبدأ التحدث فيه عن معنى العقيدة فى اللغة فعرفها بأنها العهد المشدود والعروة الوثقى ، وذلك لاستقرارها فى القلب ورسوخها فى الأعماق .

أما فى الاصطلاح الشرعى فهى : عبارة عن مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والفطرة والسمع يعقد عليها الانسان قلبه ويثنى عليها صدره جازما بصحتها قاطعا بوجودها وثبوتها كاعتقاده بوجود خالقهوعلمه به ولقائه به بعد موته ونهاية حياته ثم تحدث الباحث عن وحدة العقيدة وبين أن كلمة الاسلام ليست اسما لدين خاص وانما هى اسم للدين الذى هتف به كل الأنبياء اذ هو عقيدة التوحيد كما قال القرآن الكريم « **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ** » الآية ، ثم قال : ان الاسلام يشتمل على :

١ ــ **العقيدة** : وتتعلق بالأمر القلبى .

٢ ــ **الشريعة** ، وتطلق على ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام والمعاملات والعبادات .

٣ ــ **الأخلاق** ، وهى المحور الأساسى الذى ترتكز عليه انسانية الانسان ، بل انها السياج الذى يحمى صاحبه عن أن يقدم على أى عمل أو فعل لا يستريح اليه ضميره الحى أو نفسه الطيبة .

وأخيرا ختم الفصل بحاجة الانسانية الى الاسلام باعتبار أنه عنصر ضرورى لأن الانسان جسم وغذائه الطعام والشراب . أما الروح فغذائها الايمان والعقيدة .

الفصل الثانى (أركان العقيدة) .

وقد بين فى هذا الفصل أركان العقيدة الستة وهى بالترتيب : ١ ــ الايمانبالله تعالى أى التوحيد المطلق بالربوبية والاعتقاد بأنه ــ سبحانه ــ اله واحد فرد صمد لا معبود غيره ولا اله سواه موصوف بكل كمال منزه عن كل نقص ، وهذا الاعتقاد هو القوة الدافعة للخير والرادعة للشر ، وعلى ذلك فهو الحصن الأمين الذى يلجأ اليه الانسان اذا أصابه ضرر وبه يتحرر من العبودية لغير الله أو الخوف من أحد من عباده « **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** » .

٢ ــ **الايمان بالملائكة** .

٣ ــ **الايمان بالرسل** .

٤ ــ **الايمان بالكتب** : وهىالكتب السماوية التى انزلها الله لرسله

٥ ــ **الايمان باليوم الآخر** : وهو يوم

القيامه الذى يجزى فيه الانسان ويحاسب على كل ما قدمه فى حياته الدنيا ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا .

٦ ــ **الايمان بالقدر ، ومعناه :** الايمان بتقديم علم الله تعالى لكل ما كان وما هو كائن وما سيكون وأنه تعالى قد كتب كل شىء فى لوح محفوظ ولا يقع أى شىء للانسان الا بارادته ومشيئته سبحانه وتعالى« **وماتشاءون الا ان يشاء الله** » ، ويكون الرضا بالقضاء والقدر خيره وشره هو ثمرة الايمان بالله

الفصل الثالث :

وعنوانه :

(العوامل النفسية لتكوين العقيدة الاسلامية)

فى هذا الفصل تحدث الباحث عن العوامل النفسية لتكوين العقيدة الاسلامية وهى :

(أ) العقل : وهذا يعد اعظم نعمة من الله للانسان ، وهو ميزته على سائر المخلوقات فعن طريقه يفكر ويتدبر ويتصور ويفهم فيعرف الحق ويعلم الصواب ، ولذا فهو موطن العقيدة .

والاسلام دين عقلى يحث على استعمال العقل والتفكير والتدبر فى ملكوت الله ومخلوقاته كما ورد فى كثير من آيات القرآن الكريم « **أفلا يتدبرون ــ أفلا تبصرون** » .

(ب) الارادة : وهى فى الأصل (قوة فى ذات الانسان) ، وقد جعلت اسما لنزوع النفس الى الشىء مع الحكم فيه بأنه ينبغى أن يفعل أو لايفعل ، وتوصل الباحث الى أن العقل لا يصدر فى أفعاله الا عن الارادة ، ولهذا كانت هى أساس المسئولية والمميزة للاعمال كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) .

٥ ــ **الوجدان :** وهو شعور متكامل فى النفس الانسانية يدوم بدوام الحياة وينفعل به الفرد ويحتل الجانب الاكبر من تفكيره ولأهميته فانهمتصل اتصالا وثيقا بكلتصرفات الشخص وسلوكه ولهذا فهو العلة الحقيقية لتكوين العقائد على العموم والدينية على وجه الخصوص .

ثم واصل الباحث بعد ذلك الحديث عن (خصائص العقيدة الاسلامية) فرآها :

١ ــ **الربانية :** وهى تصور اعتقادى موحى به من الله .

٢ ــ **التوحيد :** وهو يعنى وحدانية الاله وأحديته (لا اله الا الله محمد رسول الله) ويمكننا القول بأننا نجد فى كلمة التوحيد الركن الاول للاسلام وأصول الايمان التى كلف الله بها عباده .

٣ ــ **الحياة والفطرة :** وهما خاصية من ثمرات الربانية التى هى نور باطنى موثوق به يحتوى على ضمان أحقيته من ذاته بخلاف « التقليد » وهو نوع من التبعية ولذلك فعقيدة الاسلام عقيدة الفطرة تتناسق تعاليمها مع الفطرة السليمة البعيدة .

٤ ــ **العقل والوضوح :** وهما خاصية كثيرا ما تتحدث عنها الآيات القرآنية التى تحث فيها المسلمعلى التدبروالتبصر والتفكروالتعليم وذلك واضح فى أول سورة نزلت من القرآن الكريم « **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ الى قوله تعالى عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ** » وقوله « **وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** » والحث على التفكر لاشك من مميزات الاسلام حيث ارتباطه بالعقل .

الباب الثاني « الاخلاق الاسلامية ومعيارها » قسم الباحث هذا الباب الى فصلين

وتحدث فيه عن مفهوم الأخلاق فهي في اللغة جمع خلق ــ بضم الخاء واللام ــ وتطلق على السجية والتطبع بمعنى أنها الصورة الباطنة للانسان أما في الاصطلاح عند الاسلاميين فهي: عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الافعال حميدة سميت الهيئة خلقا حسنا وان كانت غير حميدة فهي خلق سيء .

أما الاخلاق عند المحدثين : عادة الارادة بمعنى تغليب ميل من الميول على غيره باستمرار، وبهذا التعريف تصبح الاخلاق عند الاسلاميين جوهر الدين وروحه ، والاتيان بكل مشروع والابتعاد عن كل مرفوض اثر من آثارها .

غاية الأخلاق : لا يخفى علينا أن الاسلام قد ربط بين جوانبه برباط أخلاقي فتطهير الباطن أساس كل اصلاح ظاهري وعلى ذلك فغاية الأخلاق الاسلامية تحقيق السعادة النفسية والطمأنينة القلبية للانسان وتهيئة الحياة الآمنة والعيشة الراضية في كل حياته العاجلة والآجلة ومن هنا كان تركيز الاسلام على الجانب الباطني الذى يترجم عنه أفعال الانسان وحركات جوارحه الظاهرية فالغاية هي الفوز برضى الخالق سبحانه وتعالى .

أما ضرورة الاخلاق الاسلامية وحاجة الانسان اليها : فمما لا شك فيه أن الانسان في حاجة الى الأخلاق الاسلامية فهى المقياس الذى يقاس به أعمال الانسان الارادية فيحكم عليها بأنها خير أو شر . ولذلك نجدها تدعو كل انسان أن يكون خيرا في الدنيا والآخرة .

الفصل الثاني وعنوانه (المعيار الخلقى ومصدره في الاسلام) وقد تحدث الباحث في هذا الفصل عن المعيار الخلقى في الاتجاهات الفلسفية فقال أنها عدة معايير هي :

١ ــ **المعيار العقلى :** وهو الذى يعنى بدراسة الاخلاق على اساس ارتباطها بالعقل.

٢ ــ **المعيار النفسى :** ويقوم في دراسته للاخلاق على أساس من العوامل النفسية ومدى تأثيرها في السلوك الانسانى .

٣ ــ **المعيار الاجتماعى :** ويقوم على ربط الدراسات الاخلاقية بعلم الاجتماع ربطا وثيقا حتى غدت جزءا منه .

٤ ــ **المعيار الحيوى** .ويعتمد في دراسته للاخلاق على علم الحياة فتخضع الاخلاق للحياة وما فيها من تطور وتكيف وفقا للبيئة التى يعيشها الانسان .

٥ ــ **المعيار الدينى :** ويعتمد في دراسته للاخلاق على العقيدة الدينية التى أساسها القرآن الكريم الذى يعتبر مصدر العقيدة والاخلاق .

وقام الباحث بنقد للمعايير غير الاسلامية من المعايير السابقة ثم تحدث بعد ذلك عن معيار الاخلاق الاسلامية وقسمها الى قسمين .

الاول الخارجى : وهو المبادىء الاخلاقية الموضوعية أو المشروعة وذلك مثل : الاخلاص ــ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ــ العدل ــ المساواة ــ الامتثال للسلوك الطيب والاجتناب للسلوك الخبيث ــ المحافظة على العهود .

الثانى الداخلى : ويشمل الارادة ــ العقل ــ الوجدان ــ الغاية » فالغــاية والارادة تتناولان السلوك الاخلاقى من حيث الظــاهر والباطن ، اما العقل والوجدان فيقومان بتمييز السلوك الأخلاقى من غيره وتحدث الباحث عن سمات الاخلاق الاسلامية وطبيعتها فقال : انها أربع سمات وهى :

(أ) **العمومية :** وتعنى أنها لم تدع جانبا من جوانب الحياة الا رسمت له المنهج •

(ب) **الثبات :** ومعناه أنها ثابتة فى جميع أدوار الانسانية وتطورها مع الزمن •

(حـ) **الكمــال :** بمعنى أنها كاملة حيث أن مرجعها عين مرجع الاسلام أى عن : اللــــه عز وجل •

(د) **الالزام السماوى :** ويعنى ذلك أنها تنبثق من الوحى الآلهى والامر الألهى الذى يسمو فوق كل الزام •

الباب الثالث وعنوانه « مظاهر العلاقــــة بين العقيدة والاخلاق »

يتكون هذا الباب من ثلاثة فصـــــول هى الاول : (بنية الاخلاق فى الاسلام) تحدث فى هذا الفصل عن العلاقة والاخلاق وأوضــــح أن تأثير العقيدة فى الأخلاق أمر لا يستطيع أحد أن ينكره بل ان الجانب التطبيقى للاخلاق هو تأكيد لرسوخ العقيدة فى نفس الشــــخص السـالك ثم انتقل الى صلة الشريعة بالأخلاق قائلا : ان العبادة اذا لم تقترن بالأخلاق تصبح عبــادة جوفاء لا فائدة فيها حيث أن الأخلاق تقوم بتهذيب الوجدان وتربية الضــــمير فى الانسان ثم قام الباحث بتعريف الضــــمير فى اللغة بأنه هو : السر وأيضا هــو الشيء الذى تضمره فى قلبك أما فى الاصــطلاح فهو : تلك القوة الروحية الخفية التى يشعر بها الانسان فى نفسه تحثه على فعل الواجب وتحضــــه له وتشجعه عليه • ثم ختم هذا الفصل بالحديث عن الالزام الخلقى فى الاسلام : وأوضــح أن هنــاك من الناس من يلتزم بالأخـــــلاق الاســـلامية لمافيها من راحة نفس وهدوء بال واستقرار فى الحياة الاجتماعية ومنهم من يلتزم بها تحت التهديد والوعيد ومنهم من يلتزم بها طلبا للثواب والأجر أى أن الناس يختلفون فى التزامهم بالأخلاق • الفصل الثانى بعنوان « المسئولية الاخلاقية » وتحـــدث فيه عن المسئولية « بمعناها العـــــام » وهى التزام الشـخص بما يصــــدر عنه قولا أو عمــلا **اما شروطها فهى : «أهلية التصرف ــ العلم ــ الارادة »** •

انواعهــا ثلاثة هى : (اخلاقية ــ دينية ــ اجتماعية) والثلاثة مجتمعة فى قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)** •

الفصل الثالث : (الجزاء الخلقى) : وقد تحدث الباحث عن الجزاء بمعناه العام قائلا هو : المكافأة على الشيء أو المثوبة على عمل الخير أو العقوبة على عمل الشر وباعتبار المصدر فان الجزاء ينقسم الى(**مثوبة ــ عقوبة**) أما بحسب الوقت فينقسم الى (أ) **دنيوى :** ويدل عليه قوله تعالى : **« وَعَدَ اللَّــهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً** (ب) **اخروى : ويدل عــلى**

ذلك قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا » .

واختتم الفصل بالحديث **عن خصائص الأخلاق الاسلامية المتعلقة بالجزاء وهي :**

١ ـ ان الاسلام ربط الاخلاق بالجزاء ربطا لانفصام له سواء كان هذا الجزاء عاجلا فى الدنيا أو آجلا فى الآخرة .

٢ ـ أن الاخلاق الاسلامية شملت كل من الظاهر والباطن ولقد رعى الاسلام الجانبين معا عندما قرر للسلوك الاخلاقى الجزاء المادى والمعنوى . ٣ ـ ربط الاسلام لمصير الانسان من حيث السعادة والشقاوة فى الدنيا والآخرة بالعمل الاخلاقى .

(الخاتمة)

وأنهى الباحث هذه الرسالة القيمة بالخاتمة التى تحدث فيها عن النتائج التى توصل اليها قائلا بأنها هى ١ ـ ان العقيدة فطرة فى الانسان وذلك لاستقرارها فى القلب ورسوخها فى الأعماق .

٢ ـ وحدة العقيدة بمعنى أن الاسلام هو اسم الدين الذى حمله جميع الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام . ٣ ـ أثبت البحث أن ينابيع العقيدة الاسلامية موجودة فى النفس الانسانية وهى الوجدان والارادة والعقل على خلاف ما ذهب اليه الكثيرون .

٤ ـ الأخلاق هى القواعد والمبادىء المنظمة للسلوك الانسانى . ٥ ـ توصل الباحث الى أن خصائص العقيدة الاسلامية تتركز فى (الربانية ـ التوحيد ـ الفطرة ـ العقل والوضوح) . ٦ ـ المعيار الدينى قائم على التكامل بين الظاهر والباطن . ٧ ـ اتفاق الاخلاق والاسلام على معيار الحق والباطل والخير والشر ولذا ارتبطت الأخلاق الاسلامية بالالزام كما أنه يرتبط بالالزام ناتجان يستلزم أحدهما الآخر .

أهم التوصيات التى اوصى بها الباحث فى رسالته بعد هذه الدراسة هى : ١ ـ استعمال عبارة (الأخلاق الاسلامية) بدل عبارة (الأخلاق فى الاسلام) .

٢ ـ عدم استعمال عبارة الأخلاق الفلسفية فيما يخص الأخلاق الاسلامية لأن هذه فى رأى الباحث أخلاق الفلاسفة أما الأخلاق الاسلامية فمصدرها الحق الوحى الألهى . التأكيد على دراسة مادة « الأخلاق الاسلامية » بهذا المفهوم السابق فى جميع مراحل التعليم .

واذا كان لنا من تعليق على الرسالة ، فقد مرت أمامنا على خطة البحث ولكنا افتقدنا منهج الباحث ، وكان ينبغى أن يحدده لخطة البحث نفسها حتى ندرك مدى تطبيق المنهج على كل أبواب البحث وفصوله ، وندرك ـ الى جانب ذلك ـ استيفاء البحث لمادته أو قصوره عنها . وجزى الله الباحث خيرا .

عبد العزيز أحمد جيرة

أنبـــاء وآراء

بعث مجمع البحوث الاسلامية بالأزهـــر الشريف برقية شكر الى السيد / محمـــد حسنى مبارك رئيس الجمهورية بمناسبة انعقاد المؤتمر التاسع للمجمع هذا نصها :

« السيد / محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

وبعـــد .

فان مجلس مجمع البحوث الاسلامية فى أول انعقاد له بعد احتفالات مصر والعالم الاسلامى بالعيد الالفى للأزهر ، وبعد انعقاد المؤتمـر التاسع للمجمع ليتقدم الى سـيادتكم بعظيم الشكر ووافر التقدير على تفضلكم برعاية هذه الاحتفالات وحرصكم على نجاحها وافتتاحهـا بكلمتكم التاريخية التى اتخذها مؤتمر مجمـع البحوث الاسلامية التاسع الوثيقة الاولى من وثائقه لما تحملهمن تجسيد لدورالأزهر واشادة بمكانته العلمية والوطنية على مدى تاريخـه الطويل ، وما هو مأمول منه فى نشر الدعـوة الاسلامية وجمع كلمـة المسلمين على العمل بشريعة الاسلام .

والله المسئول ان يحقق عـــلى أيديكم وفى عهدكم المبارك مزيدا من الرعاية حتى يتمكن من تحقيق ما ترجونه وما يرجوه العالم الاسلامى منـــه .

وفقكم الله وأبقاكم ذخرا للاسلام وأهله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

جاد الحق على جاد الحق

شـيخ الازهر

ورئيس مجلس مجمع البحوث الاسلامية

الامام الأكبر يرأس اللجنة العليا لشئون الدعـوة الاســلامية

* اصدر الدكتور أحمد فؤاد محى الـدين رئيس مجلس الوزراء ووزير شئون الأزهـر قرارا بانشاء اللجنة العليا لشـــئون الدعـوة الاسلامية بالأزهر على أن يرأس اللجنة فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر وعضوية كل من :

وزراء الاوقاف والتعليم والثقافة والاعلام ووكيل الأزهر ومفتى الجمهورية ورئيس جامعة الأزهر ، ورئيس المجلس الاعلى للشـــباب والرياضة وشيخ مشايخ الطرق الصوفية وأمين عام مجمع البحوث الاسلامية ، ورئيس الادارة المركزية لشـئون الدعـوة بوزارة الاوقـاف والشئون الاجتماعية ورئيس ادارة المعـاهد الأزهرية ومدير عام الوعظ بالأزهر ومـدير عام المساجد بالاوقاف ومدير عام الارشـاد والثقافة الاسلامية بوزارة الاوقاف وسكرتير المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وممثـل عن الجمعيات المهتمة بشئون الدين الاسـلامى يختاره شيخ الأزهر وخمس من الشـخصيات الاسلامية المهتمة بأمور الدعوة بترشـيح من وزير الاوقاف ويقوم بتعيينهم شيخ الأزهر .

ويكون عمل هذه اللجنـة : اقتـراح خطط وسياسات الدعوة الاسـلامية فى الداخـل والخارج ودراسة الوسـائل والامكانيات التى تساعد على نشر الدعوة الاسلامية والتنسيق بين الأجهـزة العاملـة فى مجـال الدعـوة الاسلامية .

ودراسة المشـكلات التى تواجه الدعـوة واقتراح الحلول لها ودراسة تقارير لجـان

<

التوعية الدينية بالمحافظات والمشاركة فى وضع منهج التوعية الدينية بين حجاج بيت الله الحرام ، وتنظيم أداء مناسك الحج والعمرة.

والمشاركة فى وضع التخطيط الذى يدعم القيم الدينية فى أجهزة الاعلام المختلفة .

ودراسة أحوال الاقليات الاسلامية فى البلاد الأجنبية والعمل على مساعدتها ماديا ومعنويا .

معجم مصنفات القرآن الكريم

انهى الدكتور على شواخ اسحاق أستاذ الأدب المساعد بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية فى الرياض اعداد « معجم مصنفات القرآن الكريم » بعد أحد عشر عاما من البحث فى المخطوط والمطبوع من كتب علوم القرآن الكريم . وقد رتب المعجم ترتيبا « الفبائيا » ـ وهو يتناول عدةمواضيع منها : آى القرآن، أحرف القرآن ، أحكام القرآن ، أسباب النزول ، اعجاز القرآن ، تجويد القرآن ، تفسير القرآن ، دراسات قرآنية ، رسم القرآن ، غريب القرآن ، قراءات قرآنية ، المحكم والمتشابه ، معانى القرآن ، الناسخ والمنسوخ ، لغات القرآن ، الوجوه والنظائر فى القرآن : وسيصدر المعجم قريبا .

باحث امريكى يعتنق الاسلام

أعلن الباحث الامريكى « وليام بوفاك » اعتناقه للدين الاسلامى ، وأطلق على نفسه اسم : محمد توفيق .

وكان الباحث الامريكىيعد رسالة للدكتوراه فى علم الاجتماع عن القبائل السودانية ، وقضى بين افراد قبيلة « الرشايدة » السودانية ثلاث سنوات يدرس عاداتهم وتقاليدهم ..

وقد أعلن المسلم الامريكى بعد عودته الى (لوس انجلوس) أنه تمكن من اقناع والدته وخالته باعتناق الدين الاسلامى .

ألف يابانى يعتنقون الاسلام

أفادت مصادر المركز الاسلامى اليابانى فى طوكيو ان الف يابانى قد أعلنوا اعتناقهم للدين الاسلامى .

وقد أعلن المسلمون الجدد أنهم وجدوا فى الاسلام المبادىء والقيم الانسانية العليا .

وقد طلب زعيم المسلمين فى اليابان ، من دول العالم الاسلامى ايفاد عدد كبير من الدعاة والقراء لنشر الوعى الدينى بين المسلمين الجدد .

المؤتمر السنوى لتاريخ العلوم

عقد معهد التراث العلمى العربى بجامعة حلب مؤتمره السنوى السابع لتاريخ العلوم عند العرب ، والاحتفال بمرور أثنى عشر قرنا على ميلاد العالم الاسلامى أبى عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى . وذلك بالتعاون مع الجمعية السورية لتاريخ العلوم .

الدكتور عبد الودود شلبى أمينا عاما للجنة العليا لشئون الدعوة الاسلامية

* أصدر فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قرارا باسناد أعمال الامانة العامة للجنة العليا لشئون الدعوةالاسلامية الى فضيلة الدكتور عبد الودود ابراهيم شلبى الأمين العام المساعد لشئون الدعوة الاسلامية بمجمع البحوث الاسلامية .

تطلع المؤتمر الى أبحاث أصيلة لم تنشر سابقا فى موضوع تاريخ العلوم والطب والتكنولوجيا عند العرب وذلك تمشيا مع أهداف معهد التراث للنهوض بالأبحاث المتعلقة بتاريخ العلوم والقيام بالدراسات والبحوث الأساسية الرامية الى بيان مكانة العلوم العربية ومدى ما أسهم به العلماء العرب فى تقدم العلوم عامة ٠

فهرسة المخطوطات العلمية

يعمل الدكتور عدنان جواد الطعمة المحاضر بجامعة جيسن بألمانيا الغربية فى فهرسة المخطوطات العلمية العربية الموجودة فى مكتبة الدولة ببرلين الشرقية ٠ ومخطوطات الرياضيات المحفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس ، والمتحف البريطانى ، ومكتبة برلين الاتحادية ٠

كتب الاخ محمد السيد احمد ــ كلية أصول الدين ــ جامعة الازهر كلمة عن شهر رمضان ونحن فى استقباله تحت عنوان (شهر رمضان شهر القرآن) جاء فيها :

ان شهر رمضان من أفضل الشهور عند الله تعالى ففيه نزل القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى فى سورة البقرة **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) ٠**

فمن هذه الآية الكريمة يتضح لنا أن هذا الشهر شهر مبارك فيه نزل القرآن وهو هدى للناس وهو معجزة الله الخالدة فى كل زمان ومكان الى أن تقوم الساعة ٠ وفيه ليلة القدر التى هى خير من الف شهر قال تعالى : **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ٠ سَلَامٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ)** سورة القدر ٠

فيجب علينا ونحن فى هذا الشهر الكريم أن نحيى الشهر بتلاوة القرآن واتباع أحكامه ونجعله دستورنا لكى لانضل ولا نذل ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتى) أو كما قال ٠

كتب الاخ احمد الطاهر على ــ القاهرة ــ حلوان ٠

مقترحا ٠ زيادة عدد صفحات باب الفتاوى الاسلامية ٠ لما فيه من الافادة الكثيرة ٠

والمجلة : لايسعها الا ان تشكر لك هذا الاهتمام ــ وتعمل على زيادة عدد صفحات باب الفتاوى ٠

- **عبد الفتاح السيد عبد السلام**
- **احمد عبد الرحيم السايح**
- **الشافعى عبد الراضى**

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

طبع بمطابع روزاليوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٩٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف



الأزهر

هذا العدد

مع العيد الألفى للأزهر الشريف ، انعقد المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الاسلامية باعضائه كبار العلماء ، فالتقى العيد التاريخى بالعمل العلمى فكان حدثان نشطت لهما مصر : دولة وشعبا ، ونشط الأزهر خاصة فى كلا الميدانين ليقدم للتاريخ جلال الحفل ، وللناس أعمال المؤتمر ، وقد كان فى كليهما خير للاسلام والمسلمين .

فأما الأمانة العليا للجنة الاحتفال بالعيد الألفى فقد سارعت باصدار كتاب تذكارى جمع خلاصة الفكر والأمل فى صرح مصر الغالى :

أزهرها الحبيب ، وحوى الكتاب تاريخ الأزهر ، وعمله العلمى والسياسى والاجتماعى الذى سعدت به مصر ، ونالت به مركزها فى العالمين .

● شوال ١٤٠٢ هجرية

● يوليو ١٩٨٢ ميلادية

الجزء العاشر

السنة الخامسة والخمسون

هذا العدد

وفى هذا العدد طرح الكتاب فيه تقدهم وآمالهم وتوقعاتهم لهذا المعهد العتيق .

وأما مجلة الأزهر فقد توالت تقديم أعمال المؤتمر العلمى التاسع للقراء فقدمت — الى جانب كلمات الحفل من واقع تسجيلاتها — أعمال المؤتمر وقراراته وتوصياته عن الفترة الأولى (١) ، وصدر عددها التذكارى فى شهر رجب ١٤٠٣ هـ يحمل — فى مواده — أربعة عشر بحثا ، ألقيت فى الدورة الأولى للمؤتمر .

ونظرا لحجم المجلة فقد أوردت بعض البحوث بتمامها ، وملخصا وافيا عن بقيتها .

ولكى تتابع المجلة أداء رسالتها ، كان عليها أن تتمم ما بدأته فى عدد رجب فتقدم أعمال الدورة الثانية للمؤتمر التاسع وقراراتها وتوصياتها (٢) حتى يكون لدى القارىء أعمال المؤتمر تامة ، وشاء الله سبحانه — أن يكون هذا العدد سجلا لهذه الأعمال ، الى جانب أبواب المجلة الأخرى .

وتتصل بحوث هذه الفترة فى موضوعات ذات صلة حيوية بالمجتمع الاسلامى فى ظروفه الراهنة التى يشعر رجال الأزهر — أمامها — بوجوب متابعتها فحصا ودرسا لاخراج أحكامها الاسلامية للناس ، فلا تدع فى نفوسهم — ازاءها — حرجا ، أو اضطرابا يبلبل الفكر ، ويسمح بالرأى النافذ والمروق المهين .

والله نسأل كريم السداد وجميل التوفيق

---

(١) الفترة الاولى من السبت ٤ — الى الخميس — ٩ من جمادى الآخرة ١٤٠٣
الموافق ١٩ — ١٩٨٣/٣/٢٤

(٢) الفترة الثانية من الاحد — ١٢ — الى الخميس ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٣
الموافق ٢٧ — الى — ١٩٨٣/٣/٣١

دكتور على الخطيب

بحوث

المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية

أعمال الفترة الثانية

من الأحد ١٢ - إلى الخميس ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هجرية

الموافق ٢٧ - إلى ٣١ من مارس ١٩٨٣

إعداد الأساتذة

- عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
- محمد صابر البرديسي
- علي حامد عبد الرحيم
- عبد الفتاح حسين الزيات
- عبد الفتاح السيد عبد السلام
- جلال محمد عفيفي
- سعيد عبد الحي
- عبد العزيز أحمد جبرة

أعمال الفترة الثانية
للمؤتمر التاسع
لمجمع البحوث الإسلامية

للأستاذ / محمد أمين البدوى
مدير الأمانة الفنية لمجمع البحوث الاسلامية

جرت العادة بالنسبة لمؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية ان ينعقد المؤتمر على فترتين .

* الفترة الأولى :

ويشترك فيها السادة : —

(ا) اعضاء المجمع من داخل الجمهورية وخارجها .

(ب) علماء المسلمين المدعوون من جميع أنحاء العالم .

(جـ) المهتمون بالشئون الاسلامية من داخل جمهورية مصر وخارجها .

وقد خصصت مجلة الأزهر عددها السابع : رجب ١٤٠٣ هـ — ابريل ١٩٨٣ لاحتفالات العيد الألفى للأزهر الشريف ، واعمال المؤتمر التاسع فى فترته الأولى ، وها هى تخصص عددها العاشر : شوال ١٤٠٣ هـ — يوليو ١٩٨٣ م لبقية اعمال المؤتمر ، فنقدم :

* الفترة الثانية :

التى اشترك فيها السادة : —

اعضاء مجمع البحوث الاسلامية من داخل جمهورية مصر وخارجها والباحثون الذين لهم ابحاث تلقى فى هذه الفترة .

عقد المؤتمر جلساته فى فترته الثانية بقاعة الاجتماعات بادارة الأزهر فى الفترة من الاحد ١٢ الى الخميس ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٧ الى ٣١ من مارس ١٩٨٣م .

ورأس جلسات هذه الفترة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الاسلامية .

وابحاث هذه الفترة : —

١ — التلقيح الصناعى لتوالد الانسان ، والاجهاض .

لفضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق — شيخ الأزهر — .

٢ — الأزهر وعنايته بقدسية القرآن وتيسير تفسيره .

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير عضو المجمع .

٣ — منهج الاسلام فى علاج المشكلات الاجتماعية .

لفضيلة الشيخ عطيه صقر عضو المجمع

٤ — نقل الاعضاء من انسان لآخر .

لفضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق — شيخ الأزهر — .

٥ — الطب الاسلامى للأستاذ الدكتور على مطاوع العميد السابق لكلية طب الأزهر .

* ثم أصدر المؤتمر قراراته وتوصياته عن هذه الفترة .

* واليكم هذه البحوث ، فالقرارات والتوصيات :

نقل الأعضاء من إنسان لآخر (١)



لفضيلة الإمام جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

موجز العناصر

١ ـ هل تجوز الوصية بقطع عضو او جزئه الميت اذا أوصى بذلك أو بموافقة عصبته ؟

٢ ـ هل ينطبق على هذه الوصية ـ المعنى الشرعى أو القانونى او اللغوى ـ؟

٣ ـ هل يجوز تبرع انسان حى بعضو من اعضاء جسده لشخص آخر مهدد بالموت أو التبرع ببعض دمه ، وما معيار ذلك ؟ وهل يجوز اقتضاء مقابل مادى فى نظير العضو أو الدم المتبرع به ؟ .

٤ ـ هل يمكن نقل عضو ميت دون وصية منه أو ترخيص من ورثته ، ومن أصحاب الحق فى هذا الترخيص شرعا ؟ .

٥ ـ ما هو التعريف الفقهى للموت ، ومتى يعتبر الانسان ميتا ؟ .

٦ ـ شق بطن من ماتت حاملا وجنينها حى وما اذا مات الجنين فى بطن امه ، شق بطن الميت لاستخراج ما يكون ابتلعه من مال قبل وفاته وآراء الفقهاء فى ذلك والرأى المختار للفتوى ؟ .

(*) القى البحث صباح الأحد ١٢ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هجرية ٢٧/٣/١٩٨٣ .

٧ ــ ما حكم المفاضلة بين عدد من المرضى تساوت حالتهم المرضية فى وجوب نقل عضو او نقل دم مع عدم وجود اعضاء او كمية من الدم او الدواء كافية لانقاذ الجميع ؟ .

٨ ــ ما حكم الاسلام فى استعمال الاجهزة الطبية التى تساعد على التنفس والنبض مع التاكد من موت الجهاز العصبى ؟ .

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده .

ان الوصية فى اصطلاح فقهاء الشريعة الاسلامية : (تمليك مضاف الى ما بعد الموت) ، وبهذا المعنى تكون الوصية شرعا جارية فى الأموال والمنافع والديون، وقد عرف القانون الوصية بانها تصرف فى التركة مضاف لما بعد الموت) .

وبهذا فان الايصاء ببعض اجزاء الجسم كما جاء فى السؤال لا يدخل فى نطاق الوصية بمعناها الاصطلاحى الشرعى ، لأن جسم الانسان ليس تركة ، ولكنه يدخل فى المعنى اللغوى للفظ الوصية ، اذ هذا اللفظ يطلق بمعنى : (العهد الى الغير فى القيام بفعل شىء حال حياة الموصى أو بعد وفاته) كما أن التبرع بجزء من الجسم حال الحياة يجوز شرعا باعتبار أن الانسان صاحب التصرف فى ذاته أو غير جائز باعتبار أن هذه الارادة ليست مطلقة بدليل النهى شرعا عن قتل الانسان نفسه .

والذى أختاره أن كل انسان صاحب ارادة فيما يتعلق بشخصه وان كانت ارادة مقيدة بالنطاق المستفاد من قول الله تعالى فى سورة البقرة من الآية ١٩٥ : (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وقوله سبحانه فى الآية رقم ٢٩ من سورة النساء (وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) .

يدل لذلك ما ساقه الفقهاء من نصوص فى شأن الجهاد بالنفس وتعريضها بذلك للقتل ، وما أوجبه الاسلام فى شأن انقاذ الغرقى والحرقى والهدمى مع ما قد يترتب على ذلك من هلاك المجاهد أو المنقذ ، فاذا جزم طبيب مسلم ذو خبرة أو غير مسلم كما هو مذهب الامام مالك بأن شق أى جزء من جسم الانسان الحى باذن وأخذ عضو منه أو بعضه لنقله الى جسم انسان حى آخر لعلاجه اذا جزم أن هذا لاضرر فيه بالمأخوذ منه أصلا ، اذ الضرر لا يزال بالضرر ، ويفيد المنقول اليه جاز هذا شرعا بشرط الا يكون الجزء المنقول على سبيل البيع أو بمقابل لأن بيع الانسان الحر أو بعضه باطل شرعا .

وبعد هذا فان السؤال المطروح : هل يجوز شرعا للانسان التبرع أو الايصاء ببعض أجزاء جسمه بعد الوفاة خدمة للمرضى المحتاجين (كالكلى) (والقرنية) وغيرها أو لا يباح ذلك ؟

لاجدال فى أن الله سبحانه كرم الانسان وفضله على كثير من خلقه ونهى عن ابتذال ذاته ونفسه والتعدى على حرمانه حيا وميتا

وكان من مقاصد التشريع الاسلامي حفظ النفس كما تدل على ذلك الآيتان الكريمتان المتلوتان آنفا ، ويدل على تكريم الاسلام للموتى من بني الانسان ما شرع من : التكفين والدفن وتحريم نبش القبور الا لضرورة كما يدل على هذا نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن كسر عظم الميت بقوله : **(كسر عظم الميت ككسره حيا)** •

واذا كان الاسلام كرم الانسان حيا وميتا فهل يجوز شق جسده بعد الوفاة ومتى ؟ •

حين ترجع الى كتب الفقه الاسلامي التي بأيدينا نرى أن الفقهاء قد تحدثوا في باب الجنائز عن شق بطن من ماتت حاملا وجنينها حي وما اذا مات الجنين في بطن أمه ، وعن شق بطن الميت لاستخراج ما يكون قد ابتلعه من مال قبل وفاته وفي هذا يقول فقهاء المذهب الحنفي :

حامل ماتت وولدها حي يضطرب ، شق بطنها من الجانب الايسر ويخرج ولدها ولو بالعكس • بأن مات الولد في بطن أمه وهي حية قطع وأخرج وذلك لأنه متى بانت علامة غالبة على حياة الجنين في بطن الأم المتوفاة كان في شق بطنها واخراجه صيانة لحرمة الحي وحياته وهذا أولى من صيانة حرمة الميت ، ولأن الولد اذا مات في بطن أمه الحية وخيف على حياتها من بقائه ميتا في بطنها ولم يمكن اخراجه دون تقطيع كان للقابلة ادخال يدها بآلة تقطعه بها وتخرجه حفظا لحياة الأم •

وفي شأن شق بطن لاخراج ما ابتلعه الميت من مال قالوا : أنه اذا ابتلع الانسان مالا مملوكا له ثم مات فلا يشق بطنه لاستخراجه لأن حرمة الآدمي وتكريمه أعلى من حرمة المال فلا تبطل الحرمة الأعلى للوصول الى الأدنى :

أما اذا كان المال الذي ابتلعه لغيره فان كان في تركته ما يفي بقيمته أو وقع في جوفه بدون فعله فلا يشق بطنه لأن في تركته وفاء به ولأنه اذا وقع في جوفه بغير فعله لا يكون متعديا ، أما اذا ابتلعه قصدا فانه يشق بطنه لاستخراجه لأن حق الآدمي صاحب المال مقدم في هذه الحال على حق الله تعالى سيما وهذا الانسان صار متعديا ظالما بابتلاعه مال غيره فزالت حرمته بهذا التعدي •

وفي فقه الشافعية : أنه ان ماتت امرأة وفي جوفها جنين حي شق بطنها لأنه استبقاء حي باتلاف جزء من الميت فأشبه اذا اضطر الى أكل جزء من الميت وهذا اذا رجي حياة الجنين بعد اخراجه ، أما اذا لم ترج حياته ففي قول لاتشق بطنها ولاتدفن حتى يموت ، وفي قول تشق ويخرج ، وعن ابتلاع الميت المال قالوا · وان بلع الميت جوهرة لغيره وطالب بها صاحبها شق جوفه وردت الجوهرة وان كانت الجوهرة له ففيه وجهان : أحدهما يشق لأنها صارت للورثة فهي كجوهرة الاجنبي ، والثاني لا يجب لأنه استهلكها في حياته فلم يتعلق بها حق الورثة•

وفي فقه المالكية : أنه يشق بطن الميت لاستخراج المال الذي ابتلعه حيا سواء كان المال له أو لغيره ولا يشق لاخراج جنين وان كانت حياته مرجوه •

ويقول فقه الحنابلة : أن المرأة اذا ماتت وفي بطنها ولد يتحرك فلا يشق بطنها ويخرجه القوابل من المحل المعتاد ، وان كان الميت قد بلع مالا حال حياته فان كان مملوكا له لم

نقل الأعضاء من إنسان لآخر

يشق لأنه استهلكه في حياته اذا كان يسيرا وان كثرت قيمته شق بطنه ، واستخراج المال حفظا له من الضياع ولنفع الورثة الذين تعلق به حقهم بمرضه وان كان المال لغيره وابتلعه باذن مالكه فهو كحكم ماله لأن صاحبه أذن في اتلافه ، وان بلعه غصبا ففيه وجهان .

أحدهما : لا يشق بطنه ويخرج من تركته .

والثاني : يشق ان كان كثيرا لأن فيه دفع الضرر عن المالك يرد ماله اليه وعن الميت بابراء ذمته وعن الورثة بحفظ التركة لهم .

وفي فقه الزيدية : أن المرأة اذا ماتت وفي بطنها ولد حي شق بطنها واستخرج الولد لقوله عز وجل : **(ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)** وذلك بشرائط أن يكون الولد قد بلغ وقتا ومدة يعيش اذا خرج حيا ، وأن يكون الشاق بصيرا باخراجه وأن يكون هناك من يكفله ويقوم به اذا خرج حيا وروى صاحب الروض النضير عن الحسن بن زياد قال : كنت عند أبي حنيفة فجاءه رجلان على حمارين فسلما عليه ثم مضيا .

قال لي أبو حنيفة : أتدرى من هذا يعني أحدهما فقلت لا ؟

فقال : هذا ماتت أمه وهي حامل به فجاءوا فسألوني عن امرأة ماتت وفي بطنها ولد حي فقلت : الحقوا الساعة فشقوا بطنها وأخرجوا الولد قال : فهذا هو .

وينص فقه الشيعة الامامية على أنه اذا مات ولد الحامل قطع وأخرج ، ولو ماتت هي دونه يشق جوفها من الجانب الأيسر وأخرج وفي رواية يخاط بطنها .

وخلاصة ماتقدم أن فقه مذهبي الامامين أبي حنيفة والشافعي يجيزان شق بطن الميت سواء لاستخراج جنين حي أو لاستخراج مال ، وأن فقه مذهبي مالك وأحمد ابن حنبل الشق في المال دون الجنين .

والذى أختاره في هذا الموضع هو ما ذهب اليه فقهاء الحنفية والشافعية من جواز شق بطن الميت لمصلحة راجحة سواء كانت لاستخراج جنين حي أو مال للميت أو لغيره اذا كان ذا قيمة معتد بها عرفا ينتفع بها الورثة أو تقضى به ديونه ، وأما الحديث الشريف الذى رواه البيهقي في السنن الكبرى كما روى في سنن أبي داود وسنن ابن ماجه عن عائشة — رضي الله عنها — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : (كسر عظم الميت ككسره حيا) فالظاهر أن معناه أن للميت حرمة وكرامة كحرمة الحي فلا يتعدى على جسمه بكسر عظم أو غير هذا مما فيه ابتذال له لغير مصلحة راجحة ، وهذا المعنى ظاهر مما ذكره المحدثون في بيان سبب الحديث من أن الحفار الذى كان يحفر القبر اراد كسر عظم انسان دون أن تكون هناك مصلحة في ذلك .

(البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ج ٢ ص ٦٤) .

وبهذا المفهوم يتفق الحديث مع مقاصد الاسلام المبنية على رعاية المصالح الراجحة وتحمل الضرر الأخف لجلب مصلحة تفويتها أشد ، وفي استدلال الفقه الزيدي بالآية

الكريمة (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) اشارة الى رجحان العمل بهذه الرخصة التى ارتآها فقهاء مذاهب الحنفية والزيدية والشافعية والشيعة الامامية كما تقدم فى النقل عنهم .

واذ قد انتهينا الى اختيار شق بطن الميت لاستخراج ما ابتلعه من مال أو لاستخراج جنين حى ترجى حياته فهل يجوز هذا شرعا لأخذ جزء من جسم الميت واضافته الى جسم الانسان الحى على سبيل العلاج والدواء أو لايحل هذا ؟.

أو بعبارة أخرى : هل يحل شرعا نقل جزء من جسم انسان ميت الى جسم انسان حى بقصد علاج هذا الأخير أو لا يحل ؟ .

وتقدمة للاجابة على هذا التساؤل يتعين التعرف على حكم الاسلام على الانسان بعد الموت ، هل جسده ميتة نجس كسائر الميتات ، وهل ما ينفصل منه حال حياته يصير ميتة نجسا كذلك ؟

يقول الامام النووى الشافعى فى « المجموع » شرح المهذب فى بيان الجلود النجسة أن الصحيح فى المذهب : ان الآدمى لاينجس بالموت لكن استعمال جلده ولاشىء من اجزائه بعد الموت لحرمته وكرامته وان قولا ضعيفا فى المذهب قد قال : بنجاسة الآدمى بالموت.

وفى الفقه الحنفى أن الآدمى ينجس بالموت ثم اختلف فقهاء المذهب هل هى نجاسة خبث باعتباره حيوانا دمويا فيتنجس كسائر الحيوانات أو هى نجاسة حدث يطهر بالغسل كالجنب والحائض اعمالا لحديث أبى هريرة - رضى الله عنه - كما جاء فى « فتح القدير » للكمال بن الهمام (سبحان الله المؤمن لاينجس حيا ولا ميتا) وحديث ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : (لا تنجسوا موتاكم فان المؤمن ليس ينجس حيا ولا ميتا) أخرجه الحاكم والدار قطنى مرفوعا كل بسنده .

والأظهر فى الفقه المالكى أن الآدمى الميت ولو كافرا طاهر كما جاء فى « الشرح الكبير » « وحاشية الدسوقى » فى بيان الأعيان الطاهرة والنجسة ، وأن ما انفصل منه حيا أو ميتا طاهر كذلك ، والصحيح عند الحنابلة كما جاء فى « المغنى » لابن قدامة فى بيان ماينجس به الماء أن الآدمى طاهر حيا وميتا ومقابل الصحيح أنه ينجس بالموت ويطهر بالغسل .

ويرى فقه الزيدية : أن جسد الآدمى المسلم طاهر حيا أو ميتا وأن مايلحقه هو الحدث الأكبر أو الاصغر ويقول ابن حزم فى كتابه « المحلى » ان كل ماقطع من المؤمن حيا أو ميتا طاهر .

ومن هذا العرض الوجيز نرى أن كلمة الفقه الشافعى والمالكى والحنبلى والزيدى والظاهرى متفقة على أن الصحيح أن جسد الانسان المسلم طاهر حيا وميتا ، واذا أخذنا من الفقه الحنفى القول بأن النجاسة بعد الموت : انما هى نجاسة حدث لا خبث ويطهر بالغسل كالجنب والحائض - فان رأى هذه المذاهب يكاد يتفق على طهارة جسد -

نقل الأعضاء من إنسان لآخر

المؤمن بعد الموت وعلى طهارة ما انفصل منه حال الحياة كذلك .

ثم ننتقل بعد هذا للبحث فى أقوال الفقهاء عما اذا كان يحل قطع جزء من جسم انسان حى أو ميت ونقله الى جسم انسان حى لعلاجه أو بديلا لجزء تالف فى جسد هذا الأخير أو لايحل ذلك ؟ .

يقول الفقه المالكى ـ كما جاء فى « الشرح الكبير » « وحاشية الدسوقى » ـ اذا سقطت السن جاز ردها وربطها بشريط من ذهب او من فضة ، وانما جاز ردها لأن ميتة الآدمى طاهرة ، وكذا يجوز أن يرد بدلها سنا من حيوان مذكى وأما من ميتة فقولان : بالجواز والمنع ، وعلى الثانى فيجب قلعها فى كل صلاة مالم يتعذر عليه قلعها والا فلا .

وفى الفقه الحنفى نقل العلامة ابن عابدين فى حاشيته « رد المحتار على الدر المختار » فى الجزء الاول فى بيان حكم الوشم عن « خزانة الفتاوى » فى مفسدات الصلاة : كسر عظمه فوصل بعظم كلب ولاينزع الا بضرر جازت الصلاة .

وفى « بدائع الصنائع للكاسانى » فى أواخر كتاب « الاستحسان » ولو سقط سنه يكره أن يأخذ سن ميت فيشدها مكانها بالاجماع ، وكذا يكره أن يعيد تلك السن الساقطة مكانها عند أبى حنيفة ومحمد ـ رحمهما الله ـ ولكن يأخذ سن شاة ذكية فيشدها مكانها وقال أبو يوسف ـ رحمه الله ـ لا بأس بسنه ويكره سن غيره ، ونقل صاحب « البحر الرائق فى كتاب الحظر والاباحة عن الذخيرة » : رجل سقط سنه فأخذ سن الكلب فوضعه فى موضع سنه فثبتت لا يجوز ولا يقلع ، ولو أعاد سنه ثانيا وثبت .

قال : ينظر ان كان يمكن قلع سن الكلب بغير ضرر يقلع وان كان لايمكن الا بضرر لايقلع .

وفى الفقه الحنبلى قال ابن قدامة فى « المغنى » فى الجنائز : وان جبر عظمه بعظم فجبر ثم مات لم ينزع ان كان طاهرا وان كان نجسا وأمكن ازالته من غير مثله أزيل لأنه نجاسة مقدور على ازالتها من غير مضرة .

وفى الفقه الشافعى : كما جاء فى « المجموع » للنووى فى باب طهارة البدن ـ اذا انكسر عظمه فينبغى أن يجبره بعظم طاهر قال أصحابنا : ولا يجوز أن يجبره بنجس مع قدرته على طاهر يقوم مقامه فان جبره بنجس نظر ان كان محتاجا الى الجبر ولم يجد طاهرا يقوم مقامه فهو معذور وان لم يحتج اليه أووجد طاهرا يقوم مقامه أثم ووجب نزعه ان لم يخف منه وسواء اكتسى العظم لحما أم لا ؟ هذا هو المذهب .

وهناك قول : انه اذا اكتسى العظم لحما لا ينزع وان لم يخف الهلاك ، حكاه الرافعى ومال اليه امام الحرمين والغزالى ، وهو مذهب أبى حنيفة ومالك ، وان خاف من النزع

هلاك النفس أو عضو أو فوات منفعة عضو لم يجب النزع على الصحيح من الوجهين .

ثم قال : فى مداواة الجرحى بدواء نجس وخياطته بخيط نجس كالوصل بعظم نجس ولو انقلعت سنه فردها موضعها . قال أصحابنا العراقيون : لا يجوز لأنها نجسة وهذا بناء على طريقتهم — ان عضو الآدمى المنفصل فى حياته نجس وهو المنصوص عليه فى « الأم » ولكن المذهب طهارته وهو الأصح عند الخراسانيين ، فلو تحركت سنه فله أن يربطها بفضة وذهب وهى طاهرة بلا خلاف .

وفى استبدال جزء من جسم الانسان بالذهب ورد حديث بن أسيد الذى أصيب أنفه يوم الكلاب ، فاتخذ أنفا من فضة فأنتن ، فأمره رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يتخذ أنفا من ذهب ، وقد أخذ بهذا الحديث فقهاء الحنفية فى باب الحظر والاباحة وفقهاء الحنابلة كما نقله ابن قدامة فى غير موضع من كتابه « المغنى » وفقهاء الشافعية ، فقد أورده النووى فى باب الآنية وغيره ، ونص الشافعية على أنه يحل لمن ذهبت سنه أو أنملته أن يتخذ بديلا لها من الذهب امضاء لحديث عرفجة ، سواء أمكنه اتخاذ ذلك من فضة أم لا .

واختلفت كلمتهم فيمن ذهبت أصبعه أو كفه أو قدمه ، هل له أن يتخذها من فضة أو من ذهب بين محرم ومبيح ؟ .

وفى جواز اكل لحم الآدمى عند الضرورة قال فقهاء الحنفية — على ماجاء فى « الدر المختار » للحصكفى وحاشية « رد المختار » لابن عابدين فى الجزء الخامس — ان لحم الانسان لايباح فى حال الاضطرار ولو كان ميتا لكرامته المقررة يقول الله سبحانه وتعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) من الآية ٧٠ من سورة الاسراء .

وكذلك لايجوز للمضطر قتل انسان حى وأكله ولو كان مباح الدم كالحربى والمرتد والزانى المحصن لأن تكريم الله لبنى آدم متعلق بالانسانية ذاتها فتشمل معصوم الدم وغيره وبهذا أيضا يقول الظاهرية بتعليل آخر غير ما قال به الحنفية .

ويقول الفقه المالكى : انه لايجوز أن يأكل المضطر لحم آدمى وهذا أمر تعبدى وصحح بعض المالكية أنه يجوز للمضطر اكل الآدمى اذا كان ميتا بناء على أن العلة فى تحريمه ليست تعبدية وانما لشرفه ، وهذا لايمنع الاضطرار على ما أشار اليه فى « الشرح الصغير » بحاشية الصاوى فى الجزء الأول .

وأجاز الفقه الشافعى والزيدى : أن يأكل المضطر لحم انسان ميت بشروط منها ألا يجد غيره كما أجاز للانسان أن يقتطع جزء نفسه كلحم من فخذه ليأكله استبقاء للكل بزوال البعض كقطع العضو المتآكل الذى يخشى من بقائه على بقية البدن ، وهذا بشرط ألا يجد محرما آخر كالميتة مثلا وأن يكون الضرر الناشىء من قطع الجزء أقل من الضرر الناشىء من تركه الأكل فان كان مثله أو أكثر لم يجز قطع الجزء ، ولايجوز للمضطر قطع جزء من آدمى آخر معصوم الدم ، كما لا يجوز للآخر أن يقطع عضوا من جسده ليقدمه للمضطر لأكله .

نقل الأعضاء من إنسان لآخر

وفى الفقه الحنبلى أنه لا يباح للمضطر قتل انسان معصوم الدم ليأكله فى حال الاضطرار ولا اتلاف عضو منه مسلما كان أو غير مسلم ، أما الانسان الميت ففى اباحة الأكل منه فى حال الضرورة قولان :

أحدهما لا يباح :

والآخر يباح الأكل منه لان حرمة الحى أعظم من حرمة الميت قال ابن قدامة فى « المغنى » ان هذا القول هو الأولى .

ونخلص مما سلف الى أن فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة قد صرحوا بأنه اذا كسر عظم الانسان فينبغى جبره بعظم طاهر — على حد تعبير الشيرازى الشافعى فى (المهذب)، وأنه لا يجوز جبره بعظم نجس الا عند الضرورة ، كما اذا لم يوجد سواه ، وأنه يجوز رد السن الساقطة الى مكانها وربطها بالفضة أو بالذهب ، كما يجوز استبدالها بسن حيوان مذكى .

ونص الفقه الحنفى على أنه لو وصل عظم انسان بعظم كلب ولا ينزع الا بضرر جازت الصلاة معه وهذا النوع وأمثاله من فروع الحنفية يتخرج عليه أنه اذا قضت الضرورة بوصل العظم المكسور بعظم نجس فلا حرج فى ذلك ولا اثم ، بدليل اجازة الصلاة ما دام يتعذر نزعه الا بضرر .

كما نخلص الى أن جسم الانسان الميت طاهر وما انفصل منه حال حياته كذلك طاهر والى جواز شق بطن الآدمى الميت لاستخراج جنين حى ترجى حياته أو مال ابتلعه قبل وفاته على الاختلاف بين فقهاء المذاهب كما تقدم بيانه والى أنه يجوز اضطرارا أكل لحم انسان ميت فى قول فقهاء الشافعية والزيدية وقول فى مذهب المالكية ومذهب الحنابلة ، ويجوز أيضا عند الشافعية والزيدية أن يقطع الانسان من جسمه فلذة ليأكلها حال الاضطرار بالشروط السابق الاشارة اليها ، ويجوز وصل عظم الانسان المكسور بعظم طاهر على نحو ماتقدم أيضا فى سنده الفقهى .

وتخرجا على ذلك وبناء عليه يجوز شق بطن الانسان الميت وأخذ عضو منه أو جزء من عضو لنقله الى جسم انسان حى آخر يغلب على ظن الطبيب استفادة هذا الأخير بالجزء المنقول اليه ، رعاية للمصلحة الراجحة التى ارتآها الفقهاء القائلون بشق بطن التى ماتت حاملا ، والجنين يتحرك فى أحشائها وترجى حياته بعد اخراجه ، واعمالا لقاعدة : الضرورات تبيح المحظورات ، وأن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف التى سندها الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، فان من تطبيقها كما تقدم جواز الأكل من انسان ميت عند الضرورة صونا لحياة الحى من الموت جوعا المقدمة على صون كرامة الميت اعمالا لقاعدتى اختيار أهون الشرين .

واذا تعارضت مفسدتان روعى أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما ، واذا جاز الأكل من جسم الآدمى الميت ضرورة جاز أخذ بعضه

نقلا لانسان آخر حي صونا لحياته متى رجحت فائدته وحاجته للجزء المنقول اليه .

هذا عن الانسان الميت ، أما عن الانسان الحي واقتطاع جزء منه فقد تقدمت الاشارة الى أن فقه كل من الشافعية والزيدية يجيزان أن يقتطع الانسان الحي جزء نفسه ليأكله عند الضرورة بشرط ألا يجد مباحا ولا محرما آخر يأكله ويدفع به مخمصته وأن يكون الضرر الناشيء من قطع جزئه أقل من الضرر الناشيء من تركه الأكل .

ومتى كان الحكم هكذا فانه يجوز تخريجا عليه القول بجواز تبرع انسان حي بجزء من جسده لايترتب على اقتطاعه ضرر به متى كان مفيدا لمن ينقل اليه في غالب ظن الطبيب لأن للمتبرع – كما تقدم – نوع ولاية على ذاته في نطاق الآيتين الكريمتين (**وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**) و (**وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**) ولايباح أي جزء بل الجزء أو العضو الذي لا يؤدي قطعه من المتبرع الى عجزه أو الى تشويهه وبهذا المعيار يكون حكم نقل الدم من انسان لآخر واذا قد انتهى الرأي الى اجازة شق جسم الميت أو تشريحه لأخذ عضو أو جزء منه وجواز نقله الى جسم انسان حي يستفيد به .

والى جواز تبرع انسان حي بأخذ عضو منه أو جزء وجواز نقل هذا الى انسان آخر حي بالشروط سالفة الاشارة فانه يمكن ايجاز الاجابة على الأسئلة المرددة في هذا الموضوع على الوجه التالي :

أنه يجوز نقل عضو أو جزء عضو من انسان حي متبرع لوضعه في جسم انسان حي بالشروط الموضحة آنفا ، ومن هذا الباب أيضا نقل الدم من انسان لآخر بذات الشروط .

ويحرم اقتضاء مقابل للعضو المنقول أو جزئه كما يحرم اقتضاء مقابل للدم لأن بيع الآدمي الحر باطل شرعا لكرامته بنص القرآن الكريم وكذلك جزؤه ويجوز كذلك اخذ جزء من انسان ميت ونقله الى انسان حي مادام قد غلب على ظن الطبيب استفادة هذا الأخير بهذا النقل باعتباره علاجا ومداواة وذلك بناء على ماتقدم من أسس فقهية .

ويكون قطع العضو أو قطع جزئه من الميت اذا أوصى حي بذلك قبل وفاته أو بموافقة عصبته بترتيب الميراث اذا كانت شخصية المتوفى المأخوذ منه معروفة وأسرته وأهله معروفين ، أما اذا جهلت شخصيته أو عرفت وجهل أهله فانه يجوز أخذ جزء من جسده نقلا لانسان حي آخر يستفيد به في علاجه أو تركه لتعليم طلاب كليات الطب لأن في كل ذلك مصلحة راجحة تعلو على الحفاظ على حرمة الميت وذلك باذن من النيابة العامة التي تتحقق من وجود وصية أو اذن من صاحب الحق من الورثة أو اذنها هي في حالة جهالة شخص المتوفى أو جهالة أسرته .

ولايقطع عضو من ميت الا اذا تحققت وفاته والموت – كما جرى بيانه في كتب الفقه هو زوال الحياة ، وعلامته ، اشخاص البصر وأن تسترخي القدمان وينعوج الأنف

نقل الأعضاء من إنسان لآخر

وينخسف الصدغان وتمتد جلدة الوجه فتخلو من الانكماش .

وفي نطاق هذا يجوز اعتبار الانسان ميتا متى زالت مظاهر الحياة منه وبدت هذه العلامات الجسدية وليس مايمنع من استعمال أدوات طبية للتحقيق من موت الجهاز العصبي لكن ليس هذا وحده آية الموت بمعنى زوال الحياة ، بل أن استمرار — التنفس وعمل القلب والنبض كل أولئك دليل على الحياة وان دلت الأجهزة الطبية على فقدان الجهاز العصبي لخواصه الوظيفية فان الانسان لايعتبر ميتا بتوقف الحياة في بعض أجزائه بل يعتبر كذلك شرعا وتترتب آثار الوفاة من تحقيق موته كلية فلا تبقى فيه حياة لأن الموت زوال الحياة ، ويمتنع تعذيب المريض المحتضر باستعمال أية أدوات أو أدوية متى بان للطبيب أن هذا كله لاجدوى منه وأن الحياة في البدن في سبيل التوقف .

وعلى هذا فلا اثم اذا أوقفت الأجهزة التي تساعد على التنفس وعلى النبض متى بان للمختص القائم بالعلاج أن حالة المحتضر ذاهبة به الى الموت .

ولعل من التتمة بيان حكم ما قد يثار عن المفاضلة بين عدد من المرضى الذين تساوت حالتهم المرضية في ضرورة نقل عضوا أو نقل دم أو اعطائه دواء حالة أن الموجود هو عضو واحد أو كمية من الدم أو الدواء لاتكفي لانقاذ الجميع ، فهل تجوز المفاضلة بين المرضى في هذه الحال المتعلقة بأمور الحياة والموت أم ماذا ؟

ولا مراء في أن الآجال موقوتة عند الله سبحانه وتعالى وأمر غيبي يصل اليه علم الانسان وأن المرضى ليس دائما علامة على قرب الاجل أو على حتمية الموت عقبه ، وغلبة الظن أساس شرعي تقوم عليه بعض الأحكام فاذا غلب على ظن الطبيب المختص بحكم التجربة — والممارسة وبشرط اجادته وحذقه مهنة الطب أن أحد هؤلاء المرضى يفيده هذا العضو أو تلك الكمية من الدم أو الدواء كان له ايثاره بذلك باعتبار أن العلامات .

والقرائن قد أكدت انتفاعه بهذا العضو أو بالدم اذا نقل اليه ، اما اذا لم يغلب على ظن الطبيب ذلك بقرائن وعلامات مكتسبة من الخبرة والتجربة ، فإن الاسلام قد أرشد الى اتخاذ القرعة طريقا لاستبانة المستحق عند التساوى في سبب الاستحقاق وانعدام أوجه المفاضلة الأخرى ، وهذه القرعة قد فعلها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في أمور كثيرة منها الاقراع لمعرفة من ترافقه من نسائه امهات المؤمنين في سفره .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

جاد الحق على جاد الحق

الطب الإسلامي

القى البحث صباح الاحد ١٢ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ ، ١٩٨٣/٣/٢٧ .



للأستاذ الدكتور علـى مطـاوع

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ، ونور العيون وضيائها وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ـ « قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ (١) » .

اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام ياذا الجلال والاكرام ..

ايها الاخوة المسلمون السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

(١) سورة المائدة من الآتين ١٥ ، ١٦

موضوع بحثنا هو « الطب الاسلامى » .

لقد عجب قوم من هذه التسمية وقالوا انه لايوجد طب يهودى ولا طب نصرانى فلماذا يكون هناك طب اسلامى ؟

والحقيقة أن الناس على مر العصور والأيام لم تسمع عن طب يرتبط بدين من الديانات السابقة . ولكن الناس سمعت وقرأت عن الطب النبوى وهو مايجب أن نبحث ونتوسع فيه ونطلق عليه « الطب الاسلامى » .

وهو الطب الذى يرجع فى قيمه وتعاليمه وأصوله ووسائله الى معتقداتنا الاسلامية النابعة من الكتاب والسنة يعلمها ويطبقها كل من الطبيب والمريض .

وعجبت من هؤلاء الذين يدينون بالاسلام وينكرون أن في الاسلام طبا للقلوب والأبدان لأنهم نسوا أو تناسوا أو أنساهم الشيطان أن كتاب الله الخالد لم يترك صغيرة ولا كبيرة تهم المرء في دينه الا واحتواها • ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — المكلف ببيان ما في الكتاب قد بين للناس ما سألوه عنه من الكتاب وتكفل الله — عز وجل — ببيان مالم يبينه الرسول — صلى الله عليه وسلم — مما لم يسألوا عنه مصداقا لقول الله — عز وجل — : (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ) (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (١) (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) (٢) •

فاذا كان الكتاب لم يفرط في شيء مما يهم المسلم في دينه ودنياه • أفتراه فرط فيما ينفع المسلم في سلامة نفسه وصحة بدنه وصلاح بيئته لا ، والله الذي لا اله غيره • مافرط ربي سبحانه وتعالى في الكتاب من شيء ولكن كثيرا من الناس لهم قلوب لايعقلون بها وكم من آية يمرون عليها وهم عنها غافلون هذا وبالاحالة الى كتب الله السابقة لانجد في التوراة ولا في الانجيل مثل قوله — عز من قائل — (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) ٣ •

وقوله تعالى عن النحل (يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ) (٣) •

ومن أجل هذا لم يقل أحد ان هناك طبا يهوديا أو طبا نصرانيا ولاينكر مسلم يلقى السمع وهو شهيد أن في كتاب الله طبا وأن هذا الطب الاسلامي حقيقة يجب الا نظل عنها غافلين • فقد آن الأوان لكي نبحث في كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — ونستخرج الكنوز التي قال الله عنها (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (٤) •

ان رسولنا — صلى الله عليه وسلم — رد الطبيب الذي أهداه المقوقس عظيم القبط في مصر اليه وقال له : نحن قوم لاناكل حتى نجوع واذا أكلنا لانشبع • لاحاجة بنا لطبيب •

فهو — صلى الله عليه وسلم — لم يقبل الطبيب من أهل الكتاب لأنه لايلتزم بالحلال والحرام في ديننا • والرسول — صلى الله عليه وسلم — يقول « ماجعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليهم » •

والرسول — صلى الله عليه وسلم — لاينطق عن الهوى وانما بما علمه الله « وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ

(١) سورة النحل من الآية ٤٤

(٢) سورة فصلت من الآية ٥٣ •

(٣) سورة النحل من الآية ٦٩ •

(٤) فصلت الآية ٥٣ •

تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» والرسول صلى الله عليه وسلم ـ الذى رد طبيب المقوقس قائلا له : لاحاجة بنا لطبيب أمر المسلمين بالتداوى . وقال : « تداووا عباد الله . فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء » .

ومعنى هذا أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد للمسلمين طبا يرجع فى قيمه وتعاليمه وأصوله ووسائله الى معتقداتنا الاسلامية النابعة من الكتاب والسنة والشامل للناحية الوقائية والعلاجية مستهدفا سلامة النفس والجسد فى مراحل الحياة المختلفة جنينا وطفلا وشابا يافعا وكهلا وشيخا بل وما قبل الحياة الجنينية أى فى مرحلة الزوج وهو ما زال فى الأصلاب (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) .

ويجب على الطبيب والمريض وأهل المريض أن يعلموا أن لكل أجل كتاب ، وأن كل نفس ذائقة الموت وأنه اذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، وأن الشافى هو الله وأن الطبيب لايشفى ولا يطيل العمر ولا ينقص عمر الانسان .

وأن المرض اما ابتلاء من الله للعبد أو نتيجة خطأ مصداقا لقول الله تعالى (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) (١) وقوله تعالى (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) (٢) وقوله تعالى : (وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ) (٣) وأن على المريض فى كلا الحالين أن يلجأ الى الله فانه لا ملجأ من الله الا اليه . فيسأل الله الشفاء مستعينا بما بينه الله برسوله من الاستغفار (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (٤) والتوبة الى قراءة القرآن وبذل الصدقات أو شرب ماء زمزم لمن كان فى رحاب البيت أو استعمال العسل أو الحجامة أو الكى .

وهذا الأسلوب فى التداوى هو ما يتفق مع معتقداتنا وأصول ديننا الحنيف ويجب على المسلم أن يعلم تمام العلم أن الله هو الفعال لكل شىء وأنه فعال لما يريد وأنه اذا أراد شيئا فلا راد لارادته وأنه اذا قضى أمرا فلا راد لقضائه وأن ارادته وقضاءه لايتعلقان بالأسلوب ، وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وأنه لطيف خبير عليم حكيم يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وأنه مع الانسان أينما كان ومطلع عليه ويعلم ما فى نفسه وأن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا (٥)) .. (وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

(١) الانبياء من الآية ٣٥ .
(٢) الشورى من الآية ٣٠ .
(٣) النساء من الآية ٧٩ .
(٤) الانفال الآية ٣٣ .
(٥) الزمر من الآية ٥٣ .

الطب الإسلامى

إلاّ الله (١)) . (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) (٢) .

ولما كان ابن آدم خطاء فعليه اذا أخطأ أن يسأل ربه العفو والمغفرة والتوبة فان اللـــه يقبله ويفرح بتوبته ويتجاوز عن أخطائه ومن الناس من يبدل الله سيئاتهم حسنات وطلب العفو والمغفرة لايحتاج الى واسطة فاللـــه معنا فى كل وقت وفى كل مكان ويسمع كلامنا ويعرف مايدور فى أنفسنـا .

ويجب على الانسان أن يعرف أعداءه فى هذه الحياة الدنيا لأنهم هم الذين يدفعونــه الى الخطأ وارتكاب الذنوب والتى من نتائجها ابتلاؤه بالأمراض .

١ ــ وأول عدو للانســان هو الشــيطان « ابليس وأعوانه » لقوله تعالى حكاية عن ابليس (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (٣)) . (وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَــادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (٤) وقوله تعالى : (كَالَّــذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) (٥) .

٢ ــ **النفس** : والنفس هى الـــــروح اذا دخلت الجســم واشتغلت بمطالب الجســد وشهواته والنفس اذا وسوست للانســـان كانت أشد خطرا عليه من وسوسة الشــيطان لأن النفس أمارة بالسوء أى شديدة الالحاح وأما الشيطان فانه يخنس عند ذكر الله واذا رفض الانسان وسوسة الشيطان بمخالفة ما فانه يتركها ويلجأ الى مخالفة أخرى يوسوس بهـــا .

٣ ــ ان للنفس طاقات قوية اذا استخدمت فى الشر امكنها أن تدمر الانسان . هذه القوى الروحية عند النفوس غير القوية فى ايمانهـا يمكنها أن تؤثر تأثيرات سيئة فى الانســـان نفسه وفى غيره من الناس . هـــؤلاء الذين الذين لايحبون الخير للناس ويحقدون عليهم عندهم من الطاقات الروحية ما يكفى للتدمير هذه القوة تسمى « الحسد » ولقد قـــال رسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ « العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر » ولقــــد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وســلم أن نستعيذ بالله من شر الحاسد اذا حسد بقراءة المعوذتين .

٤ ــ شياطين الانس يوسوســـــون له ليخرجوه عن سواء السبيل فيرتكب المعاصى ويكتسب السيئات . وليعلم الانسان أن الله غنى عن عباده . (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ، إِن يَشَــأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَـــلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) (٤) .

وحياة الانسان أو موته لاتؤثر فى استمرار

---

(١) آل عمران من الآية ١٣٥ .
(٢) البقرة من الآية ١٨٦ .
(٣) الأعراف الآية ١٦ .
(٤) الحجر من الآية ٣٩ و ٤٠ .
(٥) البقرة من الآية ٢٧٥ .

(٤) فاطر الآيات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

الكون وبقائه . وموت الانسان لايضار بـه أحد لأن الله هو القائم على كل نفس وهو رب العالمين فهو الخالق والرازق والمدبر لأمور العباد .

فاذا صحت عقيدة الانسان وأسلم أمره الى الله فلن يجد القلق الى نفسه سبيلا ،لأن الأمور مقدورة . وما كان لك سوف يأتيك . ولو اجتمعت الانس والجن على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك . ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء فلن يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك . جفت الأقلام وطويت الصحف وجرى القلم بما هو كائن والشافى فى الحقيقة هو الله عز وجل ـ(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) (١) والطبيب لايطيل عمر المريض ولايمنع عنه الموت اذا جاء الأجل .

واذا كان الأمر كذلك فما هو اذا دور الطبيب أو الهدف من الطب ؟

الهدف من الطب هو الوقاية من المرض ومنع حدوثه . وهذا هو فرع الطب الوقائى وفن المداواة عند حدوث المرض وهذا هو الطب العلاجى . ولما كانت الوقاية خير من العلاج كان فرع الطب الوقائى هاما ولازما للفرد وللمجتمع بشطريه المحدود والواسع اى على مستوى الدولة وعلى المستوى العالمى ويشمل سلامة النفس والجسد والبيئة .

والطب الوقائى يشمل وقاية النفس ويسمى هذا الفرع الطب الوقائى النفسى

(١) الشعراء الآية ٨٠ .

وأساسه سلامة العقيدة . فاذا اعتقد الانسان أن الله هو الخالق والرازق والمربى والمحيى والمميت والشافى والنافع والضار بيده الرزق وبيده الأجل فلن يذل لمخلوق مثله ولن يلجأ فى أى شىء الا اليه . فاياك نعبد واياك نستعين .

وفى هذا المعنى يقول رسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ــ اسأل الله فى كل شىء حتى شراك نعلك وملح طعامك فاذا تركزت حاجات الانسان فى جهة واحدة وهى الله عز وجل فان ذلك أدعى الى راحة باله واطمئنانه وعدم تشتته فيمن يلجأ اليه لقضاء حاجاته .

والطب الوقائى يشمل سلامة الجسد ويسمى الطب الوقائى الجسدى وهو ينبع من مجموعة الأوامر والنواهى فى فرع العبادات والتى تهدف فى غالبيتها الى المحافظة على سلامة الجسم من الأمراض حتى تتمكن النفس وهى مناط التكليف من القيام بالتكاليف الشرعية .

ففيما يختص بالاكل مثلا حدد الشارع لنا ما نأكل ومقدار ما نأكل وكيف ومتى نأكل .

فقال تعالى : (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) (٢) وقال :

(كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) (٣) وقال :

(٢) المؤمنون من الآية ٥١ .
(٣) البقرة من الآية ١٧٤ .

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) (١) وقال : (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) (البقرة ١٧٣) وقال : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) . (المائدة ٣) .

وقد أثبتت الأبحاث أن لحـم الخنزير عسر الهضم لاحتوائه على الدهنيات أكثر من أى لحم آخر كما أنه مصـــدر للعدوى بديدان التريخيلا التى تسبب آلام روماتيزمية شديدة فى العضلات كما أنها مصدر للعدوى بالدودة الشريطية (تينيا سوليم) والدودة وبويضاتها تصيب الانسان بخلاف الدودة الشريطة التى تعيش فى البقر فان بويضاتها لاتصيب الانسان هذا فضلا عن آكلى لحم الخزير لا يغيرون على زوجاتهم كما يفعل الخنزير أى أنهم يكتسبون صفات الخنزير وسلوكه نحو زوجته .

وقال رسول الله صلى الله عليه وســـلم « **بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان ولابد فثلث لطعـــامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** » .

وسألت السيدة عائشة رضى الله عنها النبى صلى الله عليه وسلم عن حد الاسراف فى قول الله تعالى : (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُـوا) فقال لها يا عائشة الأكل فى اليوم مـــرتين اسراف والله لا يحب المسرفين .

وقال رسولنا صلى الله عليه وسلم « كلوا الطعام شتى فان حر هذا يطفىء برد هـذا وهذا يعنى أن تعدد مصادر الطعام واجبـــة لاستكمال المواد الغذائية اللازمة للانسان ــ فالطعـــام يجب أن يشـــتمل على المـــواد الكربوهيدراتية والمواد الزلالية والمواد الدهنية والأملاح والفيتامينات .

وفى حالة المرض قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم « لا تكرهوا مرضاكم عـلى الطعام والشراب فان الله يطعمهم ويسقيهم . وقال « اذا اشتهى مريض أحدكم شيئا فليطعمه وفيما يختص بالشراب فان الماء سيد الشراب لقوله تعالى : (وَجَعَلْنَـــا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) ( ) .

ويجب أن يكون صافيا لالوان له ولارائحة . عذب الطعم حلو .

ويجب عدم الاسراف فى الماء والشراب عموما لقوله تعـــالى : (وَكُلُـــوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) (٢) .

وحرمت الخمور والمسكرات لقوله تعالى : (إِنَّمَـا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَـــابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّـــيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة ٩٠) .

ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم ماأسكر كثيره فقليله حرام .

---

(١) الاعراف من الايه ٣١ .

(٢) الانبياء من الآية ٣٠ .
(٣) الاعراف من الآية ٣١ .

ونحن نعلم تأثير المسكرات (أى كل ما يحتوى على الكحول) على الكبد وأنه يسبب تليف الكبد ويؤثر بالتالى على وظائف الكبد الحيوية اللازمة للحياة .

وكمية الماء التى يجب على الانسان أن يشربها يوميا تتوقف على ما يفقده الجسم من الماء فى البول والعرق والنفس ليظل حجم الدم فى الجسم ثابتا ومن كثر شربه كثر دمه . ومن كثر دمه طال نومه ومن طال نومه قلت بركة عمره . وبالعكس من قل أكله قل شربه قل دمه قل نومه زادت بركة عمره لزيادة عدد ساعات العبادة والعمل .

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها كان أحب الشراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلو البارد أى الماء العذب الممزوج بالعسل أو المنقوع فيه التمر أو الزبيب .

وقال صلى الله عليه وسلم « **لا تعبوا الماء عبا فانه يورث الكباد ولكن مصوه مصا** » . (عن عبد الله بن المبارك والبيهقى وغيرهما)

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب من فم السقاء . وكان يشرب جالسا ويتنفس أثناء الشرب ثلاثا ويقول أن ذلك أروى وأمرأ وأبرأ .

كما نهى عن التنفس القدح وأمر بابعاد الاناء عن الفم حتى يتنفس وروى الترمذى فى جامعه عنه صلى الله عليه وسلم « لا تشربوا نفسا واحدا كشرب البعير . ولكن اشربوا مثنى وثلاث . وسموا اذا أنتم شربتم . واحمدوا الله اذا أنتم فرغتم » .

وقال صلى الله عليه وسلم « غطوا الاناء وأوكوا السقاء فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء وسقاء وليس عليه وكاء الا وقع فيه من ذلك الداء » .

ونهى رسول الله عن الشراب فى ثلمة القدح وأن ينفخ فى الشراب « أى نهى عن الشرب فى القدح المشروخة لصعوبة تنظيفها » .

وفيما يختص بالاخراج فالمفروض أن الانسان بفطرته يستجيب لاحساسه بالرغبة فى التبول أو التغوط . ولكن الاسلام حدد الطريقة التى تكفل سلامة الفرد ومن يعيش معه عند قضاء الحاجة .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبول واقفا ونهى عن التبول والتبرز فى موارد المياه وفى الظل « تحت الأشجار » وفى الطرقات وسماها الملاعن الثلاث .

كما نهى النبى — صلى الله عليه وسلم — عن استقبال القبلة وقت التبرز .

كما أمر بالاستعاذة من شر الشياطين ووساوسهم وأن يحضروا وقت قضاء الحاجة

(**وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ**) .

كما أمر بالاستجمار وبالاستنجاء عند وجود الماء واشترط أن يكون الحصى للاستجمار جافا .

ومن جهة المسكن والملبس : نذكر قول الله تعالى فى سورة النحل (آية ٨٠ ، ٨١)

(**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ**

ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ) .

(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) .

ومن جهة المنكح : قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) . الروم ٢١ وقال تعالى :

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۔ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) . الآية ٢٣ ، ٢٤ من سورة النساء .

ولقد وجد أن زواج الأقارب يؤدى الى ظهور تشوهات خلقية فى النسل ولذلك قال رسولنا صلى الله عليه وسلم « اغتربوا لا تضووا » وهذا ملاحظ فى اليهود الذين يتزاوجون فيما بينهم فقد وجد أن نسبة التشوهات الخلقية والتخلف العقلى كبيرة بينهم فى هذه المجتمعات .

وقال تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ) البقرة ٢٢٣ .

وقال تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) . البقرة ٢٢٢ .

ويلاحظ أن مباشرة النساء فى المحيض فيها أذى للرجال وللنساء على السواء فدم الحيض بيئة صالحة لنمو الميكروبات التى قد تصيب الرجل بالتهاب فى مجرى البول .

كما أن المرأة فى فترة الحيض تكون الأوعية الدموية فى جدار الرحم مفتحة وان انقباضات الرحم التى تحدث أثناء الاتصال الجنسى قد

تؤدي الى دخول أجزاء من محتويات تجويف الرحم (وهي الخلايا التي كانت مبطنة لجدار الرحم) الى الأوعية الدموية ومنها الى أجزاء الجسم المختلفة حيث تنمو وتسبب أوراما يتسبب منها نزيف وقت العادة الشهرية .

وقال تعالى : ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ وقاية من الميكروبات توجد في الشرج والتي قد تصيب قناة مجرى البول في الرجل ان هو خالف الأمر وأتى زوجته في دبرها .

وفي العلاقة الزوجية ومباشرة الزوجة يقول صلى الله عليه وسلم ان الرجل يجب أن يلاعب زوجته قبل اتيانها وأن لا يتركها حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها وعدم مراعاة ذلك سبب لكثير من فشل الزيجات أو الحياة الزوجية غير السعيدة أو الأمراض النفسية عند الزوجين .

وفي الأمومة :

يقول الله تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ .

وفي هذه الآية أمر للأمهات بارضاع أولادهن وقد ثبت أن لبن الأمهات هو أحسن غذاء للطفل وأنه في فترة الرضاعة الأولى بعد الولادة مباشرة يكون لبن الأم غنيا بالبروتينات التي تعطي الطفل مناعة ضد كثير من الأمراض ، كما أن لبن الأم معقم ليس به ميكروبات تسبب نزلات معدية أو معوية وهو جاهز في كل وقت تحت طلب الطفل كما أن تركيبه يتغير تبعا لاحتياجات الطفل وتغير سنه .

كما وجد أن اللبن الذي يعطى للطفل له دخل في تكوين جسم الطفل وعقله وسلوكه ولذلك يجب اختيار المراضع ذوي البنية الجيدة والخلق الحسن والسلوك الجيد لأن الطفل كما يتأثر بوالده ووالدته من حيث تركيب الحيوان المنوي والبويضة فانه يتأثر كذلك باللبن الذي يرضعه في سني حياته الأولى لأن جسمه ومخه يكون في دور التكوين والبناء .

والرسول صلى الله عليه وسلم يوصي ألا ترضع الوالدة الحامل ولدها لأن الطفل الذي يرضع من لبن الحامل ينشأ ضعيف البنية .

ويصح أن نقف وقفة فان في هذه الآية وسيلة لتنظيم النسل اذ أن ارضاع الطفل حولين كاملين ومنع الحمل أثناء الرضاعة يعني أن الأم يجب ألا تنجب الا مرة كل ٣ سنوات على الأقل : سنتين فترة الرضاعة وسنة أخرى مدة الحمل .

ومن جهة النوم :

يقول الله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ . الروم ٢٣ .

ويقول جل شأنه : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ .

وقوله تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الزمر ٤٢) .

ويجب على الانسان أن ينام اذ النوم ضرورى لاستعادة النشاط فى الأعضاء وفى المخ . وقد وجد أن عدم النوم يؤدى الى اختلال القوى العقلية . وعدد ساعات النوم تتوقف على سن الشخص فالطفل يحتاج الى فترة أطول من الشخص البالغ وهذا يحتاج الى فترة أطول من الشيخ وكلما كان النوم أعمق كلما استفاد منه الجسم أكثر اى أن النوم لفترة قصيرة نوما عميقا أفضل من النوم مدة طويلة نوما خفيفا سطحيا حيث تكثر الضوضاء .

ومن جهة الوباء :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا ظهر الوباء فى أرض وأنتم خارجها فلا تدخلوها واذا ظهر فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » وهذه القاعدة هى المتبعة حاليا لمنع انتشار الأوبئة بعمل كردونات حول البلدة الموبوءة ومنع الدخول والخروج الى أن يتم القضاء على الوباء .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لاعدوى ولاطيرة » فهذا شأن الرجل القوى الجسم القوى الايمان . فالميكروب لايصيب الرجل القوى لأن عنده من القوى المناعية مايمكنه من وقاية نفسه ضد الميكروبات . وعنده من قوة الايمان مايبعد عنه التطير لثقته فى الله تعالى وأنه لايصيبه الا ماكتب الله له أو ما كتبه عليه .

وهذا يجب أن يكون شأن الطبيب والمرضى حتى يجد المرضى من يقومون على خدمتهم أما ضعيفى الايمان ضعيفى الأجسام فان قوتهم المناعية تتأثر بخوفهم وعدم ايمانهم وقلة المناعة تجعلهم عرضة للاصابة بالأمراض ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم وفر من المجذوم فرارك من الأسد لأن خوفك من المريض يقلل من قواك المناعية ويجعلك عرضة للمرض ويتضح من ذلك أن الخوف هو سبب المرض .

وهذا يفسر المثل الشائع ، « اللى يخاف من العفريت يطلع له » .

وفى هذا المقام يجب أن نتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن العدوى « فمن أعدى الأول » . ان سبب مرض الأول هو عدم اتباعه تعاليم الاسلام وانحرافه عن الطريق المستقيم مما كان سببا فى نقص المناعة عنده فأعطى الفرصة للميكروبات الموجودة فى جسمه والتى تعيش عيشة تعاونية وفى حالة غير مرضية أن تصبح مرضية وتسبب له المرض . مصداقا للمثل الشائع « ايه اللى خلى فرعون يتفرعن قالوا مالقاش حد يوقفه عند حده » وكذلك الميكروب الذى كان يحيا حياة تعاونية ولايسبب مرضا لأن الجسم به من وسائل المناعة ما يوقفه عند حده فاذا قلت هذه القوى المناعية نتيجة للخوف وللصدمات النفسية والعاطفية والقلق النفسى فان الأمراض تجد سبيلها الى الجسم وهذه تشمل الالتهابات

والأورام .

وفي الموت يقول الله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) (آل عمران ١٨٥) .

وقال : (وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) .

وقال : (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) الاعراف ٣٤ وفي الموت تترك النفس الجسد ولا تعود اليه كما هو واضح من قوله تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) . (الزمر ٤٢) .

ومن مات يجب أن يقبر والقبر أول منازل الآخرة وفي عملية دفن الموتى يقول الله تعالى على لسان ابن آدم الذى قتل اخاه : (قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) المائدة ٣١ .

وفي هذه الأمثلة السابقة من الآيات والأحاديث التى تهدف الى وقاية الانسان من الأمراض قليل من كثير مما في الاسلام من تعاليم تهتم بوقاية الفرد من الأمراض ووقاية المجتمع أيضا .

اما الطب العلاجي :

او فن المداواة أو الاستشفاء

فالهدف منه هو :

تخفيف الالام

وقف النزيف

اصلاح الكسور والخلع

ازالة الأجسام الغريبة الضارة من الجسم .

تخليص الجسم من السموم الفكرية .

تخليص الجسم من السموم المادية مهما اختلفت مصادرها .

تخليص الجسم من الأجزاء الزائدة مثل الأورام .

تعويض الأجزاء التالفة منه .

واخيرا وصول الجسم او النفس أو هما معا الى حالة الاتزان والاستقرار .

ولحصول الشفاء نلجأ الى وسائل مختلفة، أهمها وأقواها وأسرعها وأبسطها هو طلب الشفاء من الله . أى الدعاء . اما مباشرة أو بالواسطة أى بواسطة الصالحين من عباده . وله أن يستعين بوسائل تقربه الى الله مثل قراءة القرآن أو تقديم الصدقات ولا يلجأ الى هذه الوسيلة الا قوى الايمان .

الذى يعتقد .. في قوله تعالى : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ) (الاسراء ٨٢) . وفي قوله تعالى : (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ) . (البقرة ٢٧١) .

وقوة الايمان تعنى قوة الصلة بين النفس وخالقها فهى تقوم بأداء ما أمرها الله به وتنتهى عما نهاها الله عنه فيصدق عليها قول الله عز وجل في الحديث القدسى « عبدى أطعنى أجعلك ربانيا تقول للشىء كن فيكون » .

الا ترى أنه بالرياضة الروحية وبالتدريب

الطب الإسلامي

يمكن للنفس أن تتحكم فى عدد ضربات القلب وسرعة التنفس وتوزيع الدورة الدموية فى أجزاء الجسم المختلفة والاحساس بالألم أيا كان سببه .

وذلك لأن الانسان خليفة الله فى أرضه وقد سخر الله جسد الانسان للنفس لتستعين به فى القيام بالتكاليف الشرعية التى أمر الله بها الانسان فكان لزاما على الجسد أن يكون تحت امرة النفس طالما أن النفس قائمة بما كلفها الله به . فاذا قصرت النفس فى القيام بما كلفت به ضعف سلطانها على الجسد .

وخروج النفس عن الطريق المستقيم المرسوم لها يتبعه خروج الجسد عن حالة الاتزان فى تركيبه ووظائفه فينتابه المرض — (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) (الشورى ٣٠) .

ويبدأ فى البحث عن العلاج . ولضعف صلته بالسماء يلجأ الى الأرض وما يخرج منها لمداواة أمراضه — وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تداووا عباد الله فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء » .

وهكذا يلجأ المريض الى الأسباب ويستشير الأطباء عملا بقوله تعالى (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (الانبياء ٧) وطبعا أخذه بالأسباب لا يؤدى الى النتائج المطلوبة الا بأمر الله .

والمحافظة على الجسد فى حالة صحية جيدة أمر لازم لقيام النفس بالتكاليف الشرعية المطلوبة منها والمكلفة بها من الله عز وجل . ويجعل الجسد فى حالة صحية طيبة يجب عدم الافراط أو التفريط فى احتياجات الجسد من مأكل ومشرب وملبس ونوم ومنكح . ولذلك بين الله للانسان ما يلزم من هذه الاحتياجات حتى يظل الجسد فى حالة تمكنه من القيام بهذه التكاليف .

ولم يشأ الله أن يجعل الانسان ملكا لا يأكل الطعام ولا يعصى الله ولكن رزقه من الطيبات وبين له حدود الاستمتاع بالطيبات وأمره الا يتجاوز الحد زيادة أو نقصا فيتلف نفسه . (وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ) (النساء

وذلك لأن تلف الجسد يؤدى الى تلف النفس لعجزها عن القيام بالتكاليف الشرعية . كما أن تجاوز النفس فى طلب شهوات الجسد يودى الى اتلافه ومرضه . ولذلك أمرنا الله جل شأنه بتدريب النفس على شهوات الجسد بالقيام بالتكاليف الشرعية فالصوم تدريب على قهر شهوة البطن والفرج ، والزكاة تدريب لقهر شهوة حب المال ، والحج تدريب على ترك شهوة الملبس والمسكن الفاخر والتدريب على حياة الجندية فى التقشف وطاعة الأوامر والصلاة تدريب على نظافة الجسم والملبس والوقوف بين يدى الله على الأقل خمس مرات فى اليوم ليكون على صلة دائمة به فلا يسمح لهوى النفس أو الشيطان بجرها بعيدا عن الطريق المستقيم كما أن صلاة الجماعة تدريب على تقوية الصلات الاجتماعية والاهتمام بحياة المجتمع الاسلامى .

والأمراض الناشئة عن تجاوز النفس في طلب شهوات الجسد مادية كانت أو معنوية تؤدى بالانسان الى الانحطاط الخلقي وارتكاب الرذائل والبعد عن الفضائل والسير في ركاب الشيطان وهو يعلم أن الشيطان للانسان عدو مبين ويصبح كل همه دنياه ولم يعد يهتم بأخراه وهؤلاء هم حطب جهنم الا ما شاء الله.

(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(البقرة ٢٦٨) ومن خاف الفقر أصبح حريصا بخيلا يحب جمع المال ولاينفقه فلا ينتفع هو به ولا المجتمع الذى يعيش فيه • وفي سبيل جمع المال قد يسرق ويقتل ويكذب ويشرب الخمر ويلعب القمار • وهكذا نرى أن حب الدنيا رأس كل خطيئة •

وأن حب الله وحب الآخرة والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره هى السبيل الى سلامة النفس وشفائها من جميع أمراضها •

أما أمراض الجسد فقد تكون كما قلنا سابقا ناشئة عن انحراف الانسان عن الطريق المستقيم مصداقا لقوله تعالى : (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)(الشورى ٣٠) وقد يكون ابتلاء من الله • (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) (الانبياء ٣٥) •

والمؤمن الكامل اذا أصابه المرض لجأ الى الله يدعوه طالبا منه المغفرة والشفاء وقد يتوسل الى الله بقراءة القرآن (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) (الاسراء ٨٢) • وخصوصا آيات الشفاء وسورة الفاتحة والصمدية ويس •

وقد يتوسل الى الله بالصدقات امتثالا لقول الله تعالى : (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ) (البقرة ٢٧١) • والأمراض من السيئات • وامتثالا لقول رسولنا صلى الله عليه وسلم « داووا مرضاكم بالصدقة » •

وقد يتوسل الى الله بشرب ماء زمزم لمن يكون في الرحاب المكية امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « ماء زمزم لما شرب له •

فاذا لم يحصل الشفاء لجأ الى الأخذ بالأسباب المادية تطبيقا لقوله صلى الله عليه وسلم « تداووا عباد الله فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء » •

وقوله « ماأنزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله » •

وأول الأدوية المادية التي يجب التفكير فيها بعد ماء زمزم هو العسل « عسل النحل » لقول الله عز وجل فيه (يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ) (النحل ٦٩)•

وقد أثبت تحليل عسل النحل أن به حوالى ٤٠٪ من سكر الجليكوز ومثلها من سكر الفاكهة

أو سكر الليفيلوز وهو سكر أحادى يدخل خلايا الجسم مباشرة بدون حاجة الى أنسولين وهو يختلف فى ذلك عن الجليكوز الذى لايمكن أن يدخل خلايا الجسم والاستفادة منه الا فى وجود الأنسولين . كما أن الجسم يختزن من الليفيلوز على هيئة جليكوجين ثلاثة أمثال مايختزن من الجليكوز . ولما كان الكبد الذى يختزن قدرا كبيرا من الجليكوجين أقدر على أداء وظائفه وخصوصا التخلص من السموم من الكبد المحتوى على قدر أقل من الجليكوجين فان عسل النحل يعتبر دواء ناجعا لأمراض الكبد ومساعدتها على التخلص من السموم حتى فى مرضى البول السكرى .

وقد .. أثبت تحليل عسل النحل أيضا وجود مضاد حيوى فيه يمنع البكتريا بجميع أنواعها كما يمنع نمو الفطريات . واذا وضعت فى عسل النحل قطعة من اللحم الطازج فانها تظل على حالها لمدة عام أو أكثر بدون أن يتغير طعمها أو يصيبها التلف . ولذلك يعتبر عسل النحل أحسن غيار للجروح والالتهابات الجلدية بأنواعها .

ويحتوى عسل النحل على الكثير من عناصر الأرض التى تدخل فى جسم الانسان وخصوصا العناصر النادرة وذلك لأن النباتات المختلفة تمتص هذه العناصر وتختزنها وتختلف النباتات فى أنواع العناصر النادرة التى تمتصها وتختزنها فمنها ما يختزن اليود ومنها ما يختزن الكبريت ومنها مايختزن الذهب وغيره والنبات يختزن هذه العناصر فى أجزائه المختلفة ومنها رحيق الأزهار الذى سخر الله نحل العسل يمتص هذا الرحيق من شتى الأزهار ولذلك فان عسل النحل يحتوى الكثير من هذه العناصر التى يتكون منها جسم الانسان والتى لو نقصت عن حد معين ينتابه المرض فيجد فى عسل النحل الدواء الناجع لأنه يعوض له مانقص من جسمه من عناصر .

ويحتوى عسل النحل علاوة على الرحيق : حبوب اللقاح من مختلف الأزهار وهذه تحتوى علاوة على العناصر المعدنية الهرمونات والفيتامينات ومواد أخرى وحتى لاتنبت حبوب اللقاح فى العسل فان النحل تفرز موادا تمنع نمو حبوب اللقاح . وهذه المواد وجد أنها تعطل نمو الخلايا السرطانية فى الانسان والحيوان .

ولكن الحقيقة التى يجب أن نعيها وأن نستفيد منها هى أن الله سبحانه وتعالى الذى خلق الانسان أخبرنا أن فى العسل شفاء حيث قال فى محكم كتابه : (**وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ . فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**) (النحل ٦٩) .

واطلاق لفظ الشفاء بدون تحديد نوع المرض ولا كمية العسل ولا كيفية الاستعمال يوجب علينا أن نبحث فى هذه الأمور . (**وَاللَّهُ يَهْدِي**

لِلَّتِي هِيَ أَقْوَم) . (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّه) .

وكما قلت آنفا ان النباتات المختلفة تركـز العناصر فى كل أجزائها مع تركيزها أكثر فى بعض أجزاء النباتات المختلفة أحيانا فى الجذور وأحيانا فى الأوراق وأحيانا فى الأزهار وأحيانا فى الثمار . ولذلك فان الانسان يستعمل هذه الأجزاء المختلفة من النباتات حسب وجـود العناصر الشافية فيها وهذا يتوقف على البيئة التى ينمو بها النبات . فقد ينمو نفس النبات فى بيئة ما فيحتوى على كمية أقل أولا يحتوى اطلاقا على هذه العناصر الشافية لاختـلاف طبيعة التربة والبيئة التى ينمو فيها النبات .

وقد وجد أن استعمال الخلاصات النباتيـة فى العلاج أفيد للانسان من استعمال الأدوية المصـنعة لأن الأدوية الكيميائية المركبة التى يصنعها بالتخليق الكيميائى فى مصانع الأدوية لها من الآثار الجانبية ما يسبب أضرارا كثيرة للانسان بينما عسل النحل والخلاصات النباتية والخلاصات الحيوانية من أجزاء الحيوان التى تركز العناصر المختلفة ليس لها هذا القـدر الكبير من الآثار الجانبية والمضـاعفات التى تحاول التقليل من آثارها السيئة باعطاء المزيد من الأدوية الأخرى لعلاج هذه المضاعفات .

ولقد استن لنا رسولنا ـ صـلى الله عليه وسلم ـ الذى لا ينطق عن الهوى نظاما للحياة ونظاما للتداوى فعلمنا كيف نعيش وأمرنا أن نسأل أهل العلم كل فيما تخصص فيه (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ) (الانعام ٣٨) (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (الانبياء ٧) .

وأخبرنا فيما يختص بالتداوى فى قوله صلى الله عليه وسلم « شفاء أمتى فى ثلاث » شربة عسل ، وشرطة محجم ، والكى ، وما أحب أن أكتوى » وفى حديث آخر » آخر الدواء الكى « فلا نلجأ اليه الا بعد أن نستعمل وسـائل التداوى المختلفة بدءا بالالتجاء الى الله ندعوه ونتوسل اليه بالاسـتغفار والتوبة وقراءة القرآن وتوزيع الصدقات بنية الشفاء ثـم استعمال ماء زمزم ثم استعمال عسل النحل ثم استعمال الخلاصات النباتية مع تدبير الغذاء واستفراغ محتويات الجسم الضارة من المعدة والأمعاء . والاحتراز عن استعمال ما حرم شرعا من مأكل أو مشرب أو ملبس الا عند الاضطرار عملا بقول رسول الله صلى اللـه عليه وسلم « ماجعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليهم » ، فمثلا فى الخلاصات النباتيـة يجب الا نستعمل الخلاصـات الكحولية وفى المشروبات يجب مراعاة الحديث الشريف : ما أسكر كثيره فقليله حرام . وفى المأكولات يجب مراعاة قوله تعالى (قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الانعام ١٤٥) كمـا يجب مراعـاة قـوله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (الأعراف ٣٢) وقوله تعالى (كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ

الطب الإسلامى

مَا رَزَقْنَاكُمْ) (البقرة ١٧٢) وقوله تعالى : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) (الاعراف ٣١).

وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » .

وقوله أيضا « بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه . فان كان ولابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

وهكذا يتبين لنا أن الله جلت قدرته قد بين لنا ما يلزمنا فى حياتنا لنحيا الحياة الطيبة التى أرادها لعباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (الاعراف ٩٦) .

والدين الاسلامى يطلب من المسلم أن يكون قويا فى جسمه معافى فى بدنه سليما فى عقله ونفسه . فالمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وفى كل خير .

ومن بات آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يوم فقد حيزت له الدنيا ولقد خلق الله الانسان ليكون خليفة فى الأرض . ومناط هذا التكليف انما هو النفس البشرية . والنفس لاتقوى على أداء التكاليف الا اذا كان الجسد سليما معافى ومن أجل هذا أمرنا بالتداوى .

ولو أنعمنا الفكر فى المعتقدات الدينية لوجدنا فيها أفضل وسيلة للوقاية من الأمراض النفسية وفى الشريعة أفضل الوسائل للوقاية من الأمراض الجسدية .

واذا وقع الانسان فى المخالفة وانتابه المرض فليلجأ الى الله يستغفره ويدعوه يطلب منه الشفاء مستعينا بالقرآن وبالصدقات ـ (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) (هود ١١٤) .واذا عز الشفاء يستمر فى الطلب من الله مع اللجوء الى الأسباب فى المنهج الذى أوضحه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شفاء أمتى فى ثلاث » .

وهذه الوسائل يجب على المسلمين العاملين فى الحقل الطبى البحث فيها ومقارنتها بما استوردناه من وسائل العلاج الأخرى والتى يقوم الدواء المصنع فيها بالقسط الأوفى خصوصا بعد ما لمسناه من الآثار الجانبية الضارة فى هذا الدواء المصنع وأن ما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسائل العلاج يمتاز بأنه ليس آثار جانبية ضارة فضلا عن أنها أرخص وأسرع فى نتائجها العلاجية .

ولوتدبرنا قول الله تعالى عن عسل النحل (فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ) بدون تحديد لطريقة الاستعمال وبدون تحديد للامراض التى يشفيها . بل أطلق ذلك فان هذا يعنى أن فى العسل شفاء للامراض على اطلاقها بما فى ذلك مرض السرطان .

وبالاطلاع على ماكتب عن عسل النحل فى بعض المراجع وبالبحث والتجربة وجد أنه استعمل بنجاح فى شفاء أمراض الجلد وأمراض العين واستعمل للغيار على الجروح حتى السرطانية منها . والغرغرينة التى تصيب الأقدام والأيدى فى مرض السكر والتى أوصى

الجراحون ببترها . وكانت النتائج فوق ماكنا نتصور لأن بعض هذه الحالات كان الالتهاب قد أصاب عظام القدم أو عظام اليد .

واستعمل العسل كغيار على الثآليل المزمنة فى باطن القدم (عين السمكة) مع الأشعة فشفيت فى وقت أقل من المعتاد عند الاستعمال للعلاجات الأخرى . وبعلاج واحدة فقط يشفى غيرها من الثآليل مهما كان عددها . وشفاء الثآليل بهذه الصورة يدل على أن العسل مادة مضادة للفيروسات . وهذا يفسر استعمال الروس للعسل فى الوقاية من مرض شلل الأطفال .

واستعمل العسل فى علاج أمراض الجهاز التنفسى وخصوصا الرشح والحساسية والتهاب الجيوب الأنفية والربو وغيره من الأمراض .

واستعمل العسل فى علاج أمراض المعدة والأمعاء .

وفى أوراق البردى الخاصة بالطب أوصى قدماء المصريين باستعمال العسل فى الجروح وفى ادرار البول ولاراحة الأمعاء .

وفى الطب الهندى القديم كان الدواء الذى يجلب السعادة ويحفظ الشباب مصنوع أغلبه من العسل . وكانوا يوصون بوجبة معينة لاطالة العمر أهم عناصرها العسل واللبن وكان — أبقراط يأكل العسل باستمرار ويستعمله فى طبه كعلاج لكثير من الأمراض .

وكتب ديسقوريدس الاغريقى : ان العسل يستعمل بنجاح فى علاج أمراض الأمعاء والجروح المتقيحة والبواسير .

وكان جالينوس الاغريقى يصفه لعلاج حالات التسمم المختلفة ولأمراض القناة الهضمية .

وكان ابن سينا يقول اذا أردت أن تحتفظ بشبابك فاطعم العسل وكان يوصى من جاوزوا الخامسة والأربعين أن يأكلوا العسل بانتظام وخصوصا مع عين الجمل المسحوق لأنه غنى بالزيت .

وجاء القرآن الكريم يقول عن عسل النحل ان فيه شفاء للناس .

ويقول رسولنا صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى والذى قال الله فيه « وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » .

تداووا عباد الله — وعليكم بالشفاء بين العسل والقرآن .

وشفاء أمتى فى ثلاث : شربة عسل وشرطة محجم والكى — وآخر الدواء الكى .

ولفهم خصائص العسل العلاجية يجب أولا معرفة نتائج تحليل العسل وما به من مواد يحتوى العسل على :

١ — سكر الجليكوز بنسبة ٤٠٪ .

٢ — سكر الفركتوز (الليفيلوز) بنسبة حوالى ٤٠٪ .

٣ — الخمائر : دياستيز — انفريتز — كاتاليز — بيروكسيداز — ليباز .

٤ — المواد المعدنية : الكالسيوم — الصوديوم — البوتاسيوم — المغنسيوم — الحديد — الكلور — الفوسفور — الكبريت —

الطب الإسلامى

اليــود .

وبعض أنواع العسل يحتوى على مــواد مشــعة .

وبالتحليل الطيفى وجد أن العسل يحتوى على كميات قليلة من :

المنجنيز ــ الســيليكون ــ الالومنيوم ــ البورون ــ الكروم ــ النحاس ــ الليثيوم ــ النيكل ــ الرصاص ــ القصدير ــ التيتان ــ الخارصين (الزنك) ــ الازميوم .

والأملاح المعدنية مهمة جدا للجسم . وقد عملت تجارب معملية على الحيوانات فأعطيت طعاما يحتوى على الزلاليات والنشــويات والدهنيات والفيتامينات وخاليا من الأمــلاح فماتت الحيوانات بينما استمرت مثيلاتها التى أعطيت نفس الغذاء مضــافا اليه الأملاح المعدنية على قيد الحياة .

لقد خلق الله الانســان من تراب الأرض والماء ، والتراب والماء يحتويان كل العناصر الموجودة فى الكون وبذلك يصير جسم الانسان محتويا على جميع العناصر المعروفة ولكــن بنسب متفاوتة تبعا للوظيفة التى يؤديها كــل عنصر فى الجسم . فالصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والحديد والفوســفور والكبريت واليود والكربون والاكسجين والايدروجيــن تشكل الكميات الكبيرة من العناصر . أما باقى العناصر فهى موجودة بكميات ضئيلة . ولذلك تســمى العناصر النادرة ولكن وجودها فى الجسم ضرورى لعمل بعض الخمائر الموجودة فى الجسم .

ويحتفظ الجسم بهذه العناصر فى حــــدود معلومة لو زادت عنها أو نقصت عنها لأدى ذلك الى اختلال فى الجسم وظهرت العلل والأمراض التى تختفى لو عادت نسبة هذه العناصر الى مقاديرها الطبيعية التى فطر الله الانســــان عليهــا .

ونسبة هذه العناصر فى الجسم فى تغــير مستمر ما دامت الحياة . فاذا ما نقصت فــان الجسم يعوض النقص من الغذاء الذى يتناوله الانسان وهو اما أن يكون من أصل حيــوانى أو نباتى والحيوان يتغذى على حيوان آخــر أو نبات . أى أن مصدر العناصر الموجودة فى جسم الانســان ترجع فى النهاية الى النباتات التى تتغذى منه الأرض والماء .

وقد وجد أن النباتات تختلف فيما تحتويه من عناصر كما ونوعا .

فهناك نباتات تحتوى على كمية عالية مــن الحديد ومنها ما يحتوى على نسبة عالية من الكالسيوم ومنها ما يحتوى على نسبة عالية من الكبريت أو اليود . وقد وجد أن هناك نبات يختزن عنصر الذهب . ولله فى خلقه شئون .

والعبرة من هذا أن تناول الانسان لهــذه النباتات يعوض ما ينتاب الجسم من نقص فيها فيظل سليما معافى .

والانســان قد لايستطيع أن يأكل من كــل النباتات التى تحتوى مايلــــزم من العناصر وخصوصــا العناصر النادرة . ومن حكمة الله ورحمته بالانسان خليفته فى الأرض أن ســخر له نحل العسل وأوحى اليها أن « **كُلِى مِن كُــلّ**

الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً . يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ » .

ومن الأمثلة على دور هذه العناصر النادرة فى جسم الانسان عنصر اليود اللازم لتكوين هورمون الغدة الدرقية وهو لازم لنمو الجسم واذا نقص عن حد معين أثناء الحياة الرحمية أو فى سنى الطفولة فان يصاب بقصر القامة ويصير « قزما بطىء التفكير والحركة » . وعنصر الزنك ضرورى لتكوين مادة قاتلة للميكروبات فى غدة البروستاتا فى الرجل تحافظ على قناة مجرى البول خالية من الميكروبات المرضية . واذا نقص هذا العنصر أدى ذلك الى التهاب البروستاتة ومجرى البول والاحتباس البولى . فتبارك الله رب العالمين .

٥ ـ والعسل يحتوى أيضا على بعض الأحماض العضوية مثل التفاحيك والترتريك والليمونيك واللبنيك والأوكساليك . كما يحتوى على قليل من الزلاليات والفيتامينات .

والفيتامينات الموجودة فى العسل هى ب ٣ ، ب٦ ، هـ ، ك ، ج وغيرها . وقد دلت الأبحاث على أن العسل يحتوى على كمية كبيرة من الريبوفلافين ب٢ يعادل الموجود منه فى لحم الدجاج . وخمسة أضعاف الموجود منه فى الجبن القليل الدسم وفيتامين ب٣ حمض اليانتوثنيك وهو عامل مهم ضد التهابات الجلد .

وفيتامين هـ (بيوتين) وهو يمنع انتشار الأكزيما والقوباء والدمامل والصدفية .

وفيتامين ب١٢ (حمض الفوليك) يستعمل بنجاح فى علاج فقر الدم (الأنيميا الخ وفيتامين ك يستعمل فى حالات النزيف .

وفيتامين ج يزيد مناعة الجسم ضد العدوى ويساهم فى عمليات التأكسد والاختزال والتكوين العادى للدم .

ولو أن الفيتامينات الموجودة فى العسل بكميات صغيرة . ولكنها ذات أهمية كبيرة لأنها متحدة مع مواد أخرى من الأحماض العضوية والكاربوهيدرات والأملاح المعدنية التى تسهل على الجسم الانتفاع بها .

وحبوب اللقاح الموجودة فى العسل تحتوى على معظم الفيتامينات وكذلك بعض الهورمونات الجنسية . وترشيح العسل لتخليصه من حبوب اللقاح يفقده ما به من الفيتامينات والهورمونات التى توجد بكثرة فى الغذاء الملكى وهو جزء خاص من العسل تصنعه النحل الشغالة لغذاء الملكات .

وكمية الفيتامينات الموجودة فى كيلو جرام من العسل هى كالآتى :

فيتامين ب٢ (ريبوفلافين) حوالى ٥ر١ ميلى جرام

فيتامين ب١ (انيورين) حوالى ١ر٠ ميلى جرام

فيتامين ب٣ (حمض البانتوثينيك) حوالى ٢ر٠ ميلى جرام

فيتامين ب٥ (حمض النيكوتينيك) حوالى ١ر٠ ميلى جرام

فيتامين ب٦ (بيريد وكسين) حوالى ٠ر٥ ميلى جرام

فيتامين ج (حمض الاسكربوط) حوالى ٠ر٣٠ ــ ٠ر٥٤ ميلى جرام .

٦ ــ مضادات حيوية غالبا نتيجة نشاط افرازى في النحلة الشغالة وقد عملت مزارع ميكروبية مختلفة عمرها ٢٤ ساعة في سم٣ محلول ملح فسيولوجى ثم أخذت نقطتان من المستحلب وأضيفت الى ٣ سم٣ من العسل وتم مزجها بعناية ثم وضعت في فرن عند درجة ٣٧ مئوية ثم عملت مزارع منها يوميا فكانت النتيجة كالآتى :

الميكروب السبحى (ستربتوكوكس) : ماتت كل البكتريا بعد اليوم الثالث .

الميكروب العنقودى (ستافيلوكوكس) : ماتت كل البكتريا بعد اليوم الثالث .

ميكروب التيفود والباراتيفود وبكتيريا ياكولاى وميكروب جارتنر وميكروب شيجا	ماتت كلها بعد يومين

وقد أثبتت التجارب أن البكتريا تنمو بعد دور الحضانة في وسط عالى التركيز من السكر يحتوى على ٤٠٪ جليكوز و ٣٠٪ فركتوز و ٠ر٠٢٪ حمض التحليك .

ولايمنع العسل نمو البكتيريا فقط ولكنه يمنع نمو الفطريات كذلك ويمكن حفظ قطعة من اللحم في العسل لمدة عام محتفظة بكل خصائصها وطعمها وقد أثبتت التجارب أن قتل البكتريا والفطريات لا يرجع الى النسبة العالية للمواد السكرية الموجودة بالعسل ولكن الى مضادات حيوية تفرزها النحل الشغالة . وقد أوضحت التجارب أن العسل كلما خفف كان تأثيره القاتل أكبر وذلك التخفيف الى حد معين .

٧ ــ يحتوى العسل على مادة تمنع انقسام الخلايا . اذ تقوم النحل الشغالة بافراز مادة تمنع نمو حبوب اللقاح بمنع نمو وانقسام خلاياها .

٨ ــ يحتوى عسل النحل على مادة مضادة للفيروسات . وذلك يكون العسل هو الدواء الوحيد في العالم الذى يحتوى على هذه المادة والتى يمكن للانسان أن يتعاطاها حيث أن المادة التى يعرفها العلماء المضادة للفيروسات « الانترفيرون » والموجودة في كرات الدم البيضاء سريعة التلف في درجة الحرارة العادية .

ولقد قمت شخصيا بعلاج الثآليل التى يسببها فيروس معروف بجلسة أشعة مع الغيار بالعسل على واحدة فقط من الثآليل فشفيت كل الثآليل في أقل من الوقت المعتاد اذا لم يستعمل العسل بعد الأشعة .

واحتواء العسل على مادة مضادة للفيروسات يفسر سر استعمال الروس للعسل كمادة واقية من الاصابة بمرض شلل الاطفال (البوليو) .

ومن الحقائق المعروفة عن سكر الفركتوز الموجود في العسل انه أحلى من سكر الجليكوز وأنه يدخل الخلايا ويتم احتراقه فيها بدون

احتياج الى وجود الأنسولين كما هو الحال فى سكر الجليكوز • وهو لذلك مفيد لمرضى السكر اذ يمنع التسمم الخلوى اذا استعطه المريض بالسكر فى احتياجاته اليومية بدل السكر العادى (سكر القصب) • كما أن الكبد يختزن من سكر الفركتوز ثلاثة أمثال مايختزن من سكر الجليكوز على صورة جليكوجين •

ومعروف أن الكبد يختزن كمية كبيرة من السكر أقدر على أداء وظائفه من الكبد الذى يختزن اقل • ومن وظائف الكبد الأساسية تخليص الجسم من السموم •

ومن هذا نتبين قيمة العسل لمرضى السكر وقيمته فى مقاومة السموم •

٩ ــ هذا ولايزال هناك ٣٫٧٪ من محتويات العسل لم تعرف طبيعتها بعد • وهكذا يتبين لنا قيمة العسل كغذاء وكدواء •

ويتبين لنا أن العسل باستعماله منفردا أو مع غيره من العناصر أو المواد يمكن أن يكون دواء شافيا لكثير من الأمراض التى تصيب الانسان •

لقد استخدمته مع فوق أكسيد الايدروجين (بوريا بيروكسيد) كدهان لعلاج سرطان الجلد فى المرحلة الأولى وكانت النتائج مدهشة •

ولقد قمت بالقاء محاضرة فى هذا الموضوع فى ندوة دولية لعلاج سرطان الرحم والمثانة فى مارس ١٩٧٩ بمعهد التغذية بالقاهرة بينت فيها أسباب التحول السرطانى للخلايا وعلى أساس هذه الفكرة استخدم العسل والأكسيجين فى العلاج • وفى هذه الطريقة لا نرمى الى قتل الخلايا السرطانية وانما أعادتها الى حالتها الطبيعية بامدادها بما يلزمها من الغذاء (الفركتوز) والأكسيجين •

هذا بخصوص العسل وهو أحد وسائل العلاج الثلاثة التى قال عنها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم •

أما بخصوص الحجامة فمعروف منها نوعان: الحجامة الجافة والحجامة الرطبة •

وقد كانت معروفة ومنتشرة فى مصر الى عهد قريب وتعرف « بكاسات الهواء » وكانت تستعمل فى علاج الالتهابات والآلام الروماتزمية وكانت هناك أجهزة صغيرة للقيام بعمل التشريط فى حالات الحجامة الرطبة فى أقل من ثانية وبدون ألم يذكر •

وللحجامة أساس علمى معروف وهو أن الأحشاء الداخلية تشترك مع اجزاء معينة من جلد الانسان فى مكان دخول الأعصاب المغذية لها فى النخاع الشوكى أو النخاع المستطيل أو قنطرة فارول أو فى المخ المتوسط •

وبمقتضى هذا الاشتراك فان أى تنبيه للجلد فى منطقة ما من الجسم يؤثر على الأحشاء الداخلية المقابلة لهذا الجزء من الجلد •

وهى نفس النظرية التى على أساسها تستخدم الابر الصينية فى علاج الأمراض وتخفيف الآلام • ولقد شاهدت بنفسى تجربة على استعمال الابر الصينية فى علاج المغص الكلوى وألم البطن اثناء نزول العادة عند بعض البنات والسيدات وكانت النتيجة زوال الألم فى دقائق معدودة وبدون اعطاء أى دواء أو حقن •

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحتجم وقال « خير ماتداويتم به الحجامة » : في الصحيحين والنسائي وأحمد .

وقال ابن عباس قال نبي الله صلى الله عليه وسلم حيث عرج به ـ مامر على ملأ من الملائكة الا قالوا عليك بالحجامة .

وقال صلى الله عليه وسلم ان خير ماتداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي .

والحجامة الرطبة تنقي سطح البدن لأنها تستخرج الدم من نواحي الجلد بينما الفصد ينقي أعماق البدن . والفصد هو قطع أحد الأوردة وترك الدم يسيل منه بقدر معلوم لا يتسبب عنه أذى للجسم . والفصد في الأوردة المختلفة يفيد كل منها في أمراض خاصة كما أن الحجامة في أمكنة خاصة تفيد في أمراض معينة .

والحجامة الجافة والرطبة وسيلة من وسائل علاج الألم قائمة على القاعدة التي يطبقها كل منا تلقائيا عندما يشعر بالم (اكلان) في أي جزء من جلده فانه يقوم بتدليك (هرش) المكان فلا يشعر بالألم بعد ذلك وتعليل ذلك يقوم على النظرية العلمية للعالم الفسيولوجي بافلوف والتي تسمى التثبيط الواقي للجهاز العصبي . فعندما يصل تنبيه الى المخ عن طريق الأعصاب فان المخ يترجم هذا التنبيه حسب مصدره ونوعه أي يحدد نوع التنبيه الما كان أو حرارة أو برودة أو لمسا ولكن اذا وصل عدد التنبيهات التي تصل الى المخ في وقت واحد عددا كبيرا فان المخ لايستطيع التمييز عندئذ ويتوقف عن العمل فيلغي الشعور من المنطقة التي زاد فيها عدد التنبيهات وفي حالة الحجامة تخرج التنبيهات من نهايات الأعصاب في المنطقة المحتجمة بأعداد كبيرة فيقوم المخ بالغاء الشعور من المنطقة ويزول الألم .

وهي نفس النظرية التي يقوم عليها التخدير بالابر الصينية مع الفارق أن في الابر الصينية يكون التنبيه عند نهاية عصبية واحدة ولكن عدد التنبيهات تزيد عن المائة والعشرين في الثانية وذلك يتم اما بهز الابرة يدويا أو بايصال الابرة بجهاز كهربائي يعمل بتيار متقطع بذبذبة ـ تصل الى ١٢٠ في الثانية وعندها يقوم المخ بوقف الاحساس في المنطقة التي تخرج منها التنبيهات من الجلد ومن العضو الداخلي الذي يشترك مع هذه المنطقة من الجلد في مكان الدخول للاعصاب في الجهاز العصبي المركزي .

الكي نوعان :ـ

١ ـ كي طبي .

٢ ـ كي جراحي .

والكي الطبي يقوم تقريبا بنفس عمل الحجامة أو الابر الصينية . ولقد شاهدت

بنفس تجربتين احداهما فى علاج حالة التهاب رئوى بالكى بين الأضلاع من الخلف . والأخرى حالة اسهال ومغص (دوسنتاريا) فشل العلاج بالأدوية فى وقفه . وفى هذه الحالة تم الكى على الكعبين وكانت النتيجة فى كلتا الحالتين اختفاء الأعراض المرضية فورا بصورة كانت بالنسبة لى كأنها السحر .

أما الكى الجراحى فقد تفنن فيه الأطباء الجراحون العرب أمثال أبو القاسم الزهراوى الذى صنف فيه أبوابا فى كتابه عن الجراحة تستحق الدراسة والتجربة .

وأخيرا وليس آخرا فان هناك توجيهات علاجية أوصى بها رسولنا صلى الله عليه وسلم فى علاج حالات مرضية مختلفة ودراستها تفتح لنا أبوابا من المعرفة تضاف الى المعرفة التى أمرنا الله عز وجل باكتسابها من تنفيذنا لقول الله تعالى (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات ٢١) .

وبعد اكتسابنا لهذه المعارف فان هناك أمرا آخر أمرنا الله عز وجل بالقيام به وهو قوله تعالى : (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (النحل ١٢٥) .

اليس الطب فرعان من فروع الحكمة ، ولقد وعى أهل الكتاب هذا الأمر فقاموا بنشر دينهم عن طريق انشاء المتوصفات والمستشفيات لتخفيف آلام الناس والاحسان اليهم بعلاجهم . والنفس البشرية جبلت على حب من أحسن اليها . ومن أحب انسانا أطاعه فاذا عالجه ثم دعاه بالموعظة الحسنة الى الدخول فى دينه فانه يستجيب له .

ودعوتنا الى الطب الاسلامى لاتعنى وقف العلاج بالطرق المتبعة حاليا ولكننا ندعو الى اجراء البحوث وعمل مقارنة بين أسلوبى العلاج لاتباع الأمثل (والله يهدى للحق ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم) وربما كان الأمثل هو المزج بينهما .

الطب الإسلامى

الخلاصة من هذا البحث :

لقد صدق فينا قول رسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحــــر ضب خرب لدخلتموه وراءهم » .

لقد آن الأوان ان نعود الى ديننا الى كتاب ربنا ، الى تعاليم وتوجيهات رسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

قال تعالى : (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ) (الانعام ٣٨) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « لقد تركت فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضــــلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى » .

وارى ان الازهر الشريف وقد مضى ألــف عام على انشائه . وفى فرصة احتفالنا بعيده الالفى ان تقوم كلية الطب بجامعة الأزهــر بانشاء قسم للطب الاسلامى بجميع فروعــه ويقوم على جمع المعلومات النظرية والعملية وعمل الدراســات العلمية والتطبيقية ويشرف على هذا القسم مع الأطباء أساتذة من الكليات الاســلامية الدينية : أصــول الــدين والشريعة والدعوة يقوم كل منهم بالاسهام فى قيام هذا الركن من أركان الحياة الاســلامية والذى طال انتظار المسلمين له . والــذى يحارب اعداء الدين فى ظهوره ولكن الله متم نوره ولو كره المشركون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أ . د . على محمد مطــاوع

عميد طب الأزهر سابقا



الأزهر وعنايته بقدسية القرآن وتيسير تفسيره

الحمد لله الذى اعزنا بعز الاسلام وأكرمنا بهداية القرآن ، وجعلنا خير امة اخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ونؤمن بالله .

والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، ورسوله الى الناس أجمعين ، ورحمته المهداة الى العالمين ، حفيد ابراهيم واسماعيل وسليل عدنان والغر المايامين من احفاده ، محمد بن عبد الله خير الأطهار والأبرار وعلى آله وأصحابه وأتباعه .

وبعد ففى هذا المؤتمر التاريخى العتيد ، يجتمع الصفوة البررة من علماء المسلمين فى أرض الله — للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر المعمور وما من أحد من السادة المشتركين فى هذه الندوة الحافلة ، الا لديه شعور قوى بأنه وثيق الصلة بالأزهر ، اما بطلب العلم فى كلياته ومعاهده ، او بالتلمذة على أساتذته المبثين فى شتى الجامعات الاسلامية أو على ما أنه قدامى علمائه والمعاصرون منهم فى شتى فنون العلوم والمعارف فالأزهر فى واقع الحياة جامعة المسلمين فى أنحاء الأرض وهو السلسبيل العذب الذى روى الظماء ولا يزال يرويهم ، من شريعة الديان الكبير المتعال ، ومن جداول الفنون والمعارف المختلفة ، واذا كانوا يقولون : ان العلم رحم بين أهله ، فان من الصدق والحق أن نقول : أن الأزهر رحم بين علماء المسلمين ومثقفيهم والطبقات المختلفة من شعوبهم أجمعين .

الأزهر والتفسير الوسيط

وبعد فنقول : اذا كان الأزهر فى الأمة الاسلامية بهذه المثابة فمن حق المسلمين على علمائه أن يقدموا لهم من العلوم مايزكو به الايمان ويدفع عن الاسلام زيف المزيفين ، وحملات الحاقدين ، وأن يطهر الكتب الدينية من الاسرائيليات الدخيلة عليها ، والآراء الهابطة التى تسربت اليها ، وبخاصة تفسير كتاب الله الذى لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد — كما قاله الرسول المعصوم

لفضيلة الشيخ

مصطفى محمد الحديدى الطير



ألقى البحث صباح الاثنين ١٣ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ٢٨/٣/١٩٨٣ م .

صلى الله عليه وسلم ــ بل هو كما قال الحق تبارك وتعالى « ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ » .

ولقد رأى مجمع البحوث الاسلامية ، ان التفاسير القرآنية على اختلاف الأحقاب والدهور ، أتحم عليها كثير من الاسرائيليات والآراء الهابطة ، التى لا تليق بمعجزة القرآن الخالدة ، ودستوره التليد العتيد الباقى ما بقى الزمان ، ووجد أن تطهيرها جميعا مما أقحم عليها يكاد يتعذر لكثرة التفاسير التى ألفت فى القرآن كله أو بعضه أو اتساع مداها ، وتعذر جمع عدد كبير من ثقات العلماء القادرين على تمييز الغث من السمين والضعيف من القوى ، والاسرائيلى من المروى ، لتفرقهم فى الجامعات الاسلامية ، ولاحتياج هذا العمل الى فترة طويلة ، وميزانية مالية ضخمة وكل ذلك لا يتيسر تحقيقه ، فاذا تصفحتم الجزء الأول من فهرس دار الكتب ، وجدتم كتب التفسير فيه تبدأ من الصحيفة رقم ١٢١ وتنتهى برقم ٢٢٣ أى أن أسماء كتب التفسير فيها تشغل أكثر من مائة صفحة ، وتبلغ مئات من الموضوعات وسواها ، مما لا يحصى فما ظنك بما يوجد فى مكتبات الأقطار الاسلامية ، وما منها الا فيه من الاسرائيليات والآراء الواهنة مما لا يليق بكتاب الله ، ولا يتفق مع واقع الحياة ، ولا تستسيغه العقول ولا يناسب تطور الزمن .

فلهذا وجد الأزهر أن أفضل علاج سريع لحسم هذه المشكلة التى تؤرق العيون وتؤلم القلوب ، أن يخرج للمسلمين

تفسيرا نقيا من الاسرائيليات ، دقيقا فى شرح الآيات ، سهل العبارة ، جيد الأسلوب محببا الى القلوب ، بعيدا عن التعقيدات الفنية ، حتى يستطيع كل مسلم كيفما كانت ثقافته ، أن ينتفع بكتاب الله تعالى فى عقيدته وأخلاقه بيسر ومتابعة دون كلالة أو ملالة .

وقد ندب مجمع البحوث طائفة من علماء الأزهر ، وعهد الى كل اثنين منهم تفسير حزب من أحزابه ، ثم اختار عددا من خبراء التفسير الثقات ، وعهد اليهم تنسيق ما كتبه المفسرون وتحقيقه .

وقد انتهت لجنة الخبراء من مراجعة أربعة وثلاثين حزبا وتنسيقها ، فى أسلوب جزل ، واخراج علمى دقيق متناسب ، بحيث يتابع القارىء الاستفادة منه فى شوق ودون ملل ،

الأزهـــر

وعنايته بقدسية القرآن .. وتيسير تفسيره ..

وقد طبع المجمع منها واحدا وثلاثين حزبا حتى الآن ، على ورق جيد وبصورة مشوقة وبكميات وفيرة لتوزيعها على العالم الاسلامي وقد ورد الى مجمع البحوث الاسلامية رسائل من شتى البلاد الاسلامية ، تثنى على هذه الخطوة المباركة في تفسير كتاب الله تعالى ، وتنزيهه عن أباطيل الاسرائيليات ومنكرات الآراء ، وتيسير فهمه على الوجه السديد لجميع الثقافات .

*** نماذج من التفاسير الهابطة ***

وقد رأينا أن نذكر لكم نماذج من الاسرائيليات والآراء الهزيلة التي تورطت فيها كتب التفسير ، ومما كتبناه في التفسير الوسيط ، ليتضح لكم المنهج السديد الذي سلكناه ، فاليكم مايلي :

١ ــ يقول الله تعالى في شأن اليهود « **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** .. » الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

وقد كتب فيها القرطبي خمس عشرة صفحة ٤٣٢ ــ ٤٤٦ فكيف يستطيع القارىء استيعاب هذه الصفحات الكثيرة في شرح آية واحدة وفيها الكثير مما يصعب فهمه أو تصديقه ، وكيف يخرج منها بفهم مستقيم للآية ؟

ومما ذكره القرطبي ما نقله عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمرو وكعب الأحبار ، والسدي والكلبي ، وخلاصته أنه لما كثر الفساد من أولاد آدم في زمن ادريس عليه السلام عيرتهم الملائكة ، فقال الله تعالى لو كنتم مكانهم ، وركبت فيكم ما ركبت فيهم لعملتم مثل أعمالهم ، فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ذلك ، قال الله : فاختاروا ملكين من خياركم ، فاختاروا هاروت وماروت ، فأنزلهما الى الأرض فركب منهما الشهوة ، فما مر بهما شهر حتى فتنا بامرأة اسمها (ناهيل) اختصمت اليهما وراوداها عن نفسها ، فأبت الا أن يدخلا في دينها ويشربا الخمر ، فأجاباها وشربا الخمر وألما بها ، فرآهما رجل فقتلاه ، وسألتهما عن الاسم الذي يصعدان به الى السماء ، فعلماها اياه ، فتكلمت به ، فعرجت الى السماء فمسخت كوكبا ــ فانظروا الى تلك المساخر تروى في تفسير كتاب الله .

وفي رواية أخرى أن الله خير هاروت وماروت بعد ما فعلوه من المخازي ــ خيرهما ــ بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا ، فهما يعذبان في بابل في سرب من الأرض هناك ، كذا قال الوضاعون فض الله أفواههم .

وأفحش من ذلك أن يروى ابن كثير عن الامام أحمد بسنده عن ابن عمر أنه سمع

نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان آدم لما أهبطه الله الى الأرض ، قالت الملائكة أي رب « أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم ، قال الله تعالى للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة حتى تهبطهما الى الأرض فننظر كيف يعملان ، قالوا ياربنا : هاروت وماروت ، فأهبطا الى الأرض ، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر ، فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الشرك ، فقالا لا والله لا نشرك بالله شيئا أبدا ، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى تقتلا هذا الصبي ، فقالا : لا والله لا نقتله أبدا ، فذهبت ثم رجعت بقدح من الخمر تحمله فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى تشربا هذه الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي ، فلما أفاقا قالت المرأة : والله ماتركتماشيئا أبيتماه علي الا فعلتماه حين سكرتما ، فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا) وهكذا رواه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه ، وعقب عليه ابن كثير بقوله : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيح الا موسى بن جبير ، يعني أن ضعف الحديث جاء من جهة موسى بن جبير هذا .

والواقع أن أسباب ضعفه بل وضعه كثيرة : منها أنه يخالف نص القرآن .

فان الله أخبر في القرآن أنه قال للملائكة قبل خلق آدم : « إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » أي أن الملائكة قالوا لربهم (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا) قبل أن يخلق آدم ، وذلك حين أخبرهم بأنه سيخلقه ويجعله خليفة في الأرض ، يريدون بسؤالهم هذا معرفة الحكمة في جعله وذريته خلفاء في الأرض وهم بهذه الحالة من الافساد المنتظر منهم ، فرد الله عليهم بقوله « إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » لكن هذا الحديث جعل سؤال الملائكة لربهم بعد اهباط آدم الى الأرض وهو مخالف لنص القرآن ، كما أن الملائكة لما عجزوا عن الاخبار بأسماء المسميات التي علمها الله لآدم ، ثم أخبرهم بها آدم بأمر من ربه اقتنعوا بأهليته للخلافة في الأرض ، فعظموه وسجدوا بأمر ربهم، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة البقرة « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ . وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ » .

واذا كان أمر الملائكة من آدم على هذا الحد من الاجلال والاقتناع الى درجة

الأزهر وعنايته بقدسية القرآن

وتيسير تفسيره ..

السجود تعظيما ، فكيف يعودون الى سؤال ربهم بعد اهباطه الى الأرض قائلين مرة أخرى (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ..) الآية كما جاء فى هذه الرواية المزورة التى أسندت الى الامام أحمد .

ومن العجيب أن تتورط كتب التفسير فى هذه الأكذوبة الحقيرة على ملائكة الله الذين (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ثم انظروا معى كيف استساغوا أن يتحول كوكب الزهرة الى امرأة تنزل الى الأرض وتترك مدارها بين المجموعة الشمسية فى فترة الاختبار التى زعموها وفيه من الخطورة الكونية ومخالفة الحكمة الالهية ما فيه ، فأى حاجة لتحويل كوكب الى امرأة ، والنساء الجميلات كثيرات فى الارض — ان صحت أكذوبتهم فى هاروت وماروت — وحاشا أن تصح ثم انظر معى كيف استساغوا أيضا هذا التناقض الذى حدث بين الرواية الأولى التى تقول : ان امتحان هاروت وماروت كان بامرأة من الانس تسمى ناهيل ، ضحكت عليهما حتى فعلا المنكر معها وامتثلا أمرها فى الشرك والقتل وشرب الخمر ، وسرقت منهما الاسم الذى يصعدان به الى السماء ، فلما تكلمت به عرجت الى السماء وتحولت الى كوكب الزهرة ، أى أن الزهرة لم تكن موجودة ثم وجدت — كيف استساغوا هذا مع الرواية الأخرى التى تحكى العكس ، وهو أن الزهرة كانت موجودة ثم تحولت الى امرأة لاختبار الملكين .

وهذا ابن كثير المعروف بالتحرى والدقة ، لقد شغل قراءه بست صفحات حكى فيها مهازل تلك الروايات معزوة زورا الى عدد من الصحابة وتابعيهم ، ومصدر البلاء فيما عزى اليهم راجع الى كعب الأحبار الذى كان يهوديا وأسلم ، وقص على الناس هذه القصة الاسرائيلية ، ثم دست على المسلمين فى تفسير كتاب الله .

يقول ابن كثير ما خلاصته بعد عزوه رواية ابن عمر الى كعب الأحبار — يقول : قصها خلق كثير من المفسرين القدامى والمتأخرين ، وحاصلها راجع فى تفصيلها الى اخبار بنى اسرائيل وليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد الى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن اجمال القصة من غير بسط ولا اطناب ، فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ما أورده الله تعالى ، والله أعلم بحقيقته .

ألا ترون معى أن هذا الاسفاف الساقط ما كان يصح ذكره فى تفسير كتاب الله تعالى وان عقبوا عليه بالضعف ، فان أعداء الاسلام يستخدمون أمثال هذه الأكاذيب فى الطعن على دين الله الذى بعث رسوله ليظهره على الدين كله .

لهذا رفضنا ذكر ذلك وأمثاله فى التفسير الوسيط ، وفسرنا الآية تفسيرا مستفيضا لأهمية الموضوع ، وانتى أقتطف منه ما يتصل

بموضوع الملكين مرتبطا بصدر الآية ، واترك ما وراءه لمن أراد الاستزادة ، فاليكم بعض ما كتبنا .

« وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ... » الآية .

أخبر الله سبحانه فى الآية السابقة أن اليهود الذين أوتوا التوراة ، لما جاءهم رسول من عند الله ، نبذوا كتاب الله الذى جاءهم به وهو القرآن مع أنه مصدق لما معهم من التوراة ، واشتغلوا بالسحر الذى كان عليه آباؤهم من قبل ، واستمروا على اتباع كتبه التى ورثوها عنهم ، وكانت الشياطين على عهد سليمان ، تتلوها على كهان اليهود ، وتعلمهم قواعد السحر ، وتخبرهم كذبا أن ملك سليمان وسلطانه على الانس والجن والطير والريح ، لم يقم الا على تلك القواعد ، فكانوا يدونونها عن الجن فى كتب لديهم توارثها الخلف عن السلف ، حتى وصلت الى يهود المدينة ، فكانوا يشتغلون بها قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، ولما بعث رفضوا كتاب الله الذى جاءهم به ، وفضلوا عليه الاستمرار فى مزاولة السحر الذى قامت الديانة الموسوية على ابطاله والقضاء عليه فى يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ، فقد ألقى السحرة حبالهم وعصيهم فى هذا المهرجان ، وخيل الى موسى من سحرهم أنها تسعى « فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى . قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى . وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى . فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى » .

ولما كان السحر يؤدى الى الكفر ، وكان اتهام الشياطين لسليمان بمزاولته يشينه ، نفاه الله عنه بقوله « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ » فكذبهم الله بهذا ، ونزه سليمان عن السحر الذى نسبه اليه الشياطين ، وتبعهم فى ذلك اليهود الذين اعتادوا تلويث الأنبياء ، كما نلمسه فى أسفار العهد القديم .

وللعلماء فى حكم تعلم السحر والشعوذة ومزاولتهما كلام طويل هام ، وقد ذكرنا بعضه فى التفسير الوسيط ، والمقام لا يسمح ببسط الحديث عن ذلك ، فليرجع الى ما كتبناه أو الى المطولات .

وكما اتبع اليهود فى مزاولتهم السحر ما زعمته الشياطين فى شأن ملك سليمان من قيامه على السحر الذى لقنوه كهانهم فأضلوهم عن سواء السبيل ، اتبعوا أيضا ما أنزل على الملكين هاروت وماروت ببابل ، وبابل احدى مدن العراق ، كان يسكنها الصابئة الذين يعبدون الكواكب ، وكانت فيهم طائفة يزاولون السحر ، ويدعون الناس الى الكفر بتقديس الكواكب والشياطين زاعمين لها سلطانا على أهل الأرض ، وكانوا يسيطرون عليهم بالسحر ليحملوهم على عبادتها .

الأزهـــر
وعنايته بقدسية القرآن .. وتيسير تفسيره ..

ومن رحمة الله تعالى أنه جعل من نواميسه أن لا يذر الشر يسيطر على عباده ، فلهذا سخر رجلين صالحين من البشر اسمهما هاروت وماروت لتحذير الناس ، فكانا لصلاحهما يشبهان الملائكة ، فلهذا أطلق عليهما لفظ الملكين ، أو هو من الألوكة وهي الرفعة .

ولما كان لكل شيء آفة من جنسه ، فلذا ألقى الله في قلبيهما علم السحر ، فكانا يعلمان الناس السحر لكي يتخلصوا بمعرفته من سحرة الصابئة ويتقوا شرورهم ويفلتوا من التبعية لعقائدهم ، وكانا يمزجان التعليم بالتحذير ، فيقولان لمن يعلمانه : انما نحن فتنة — أي امتحان — من الله تعالى لعباده ، لينظر أينتفعون بسحرنا في اتقاء الشر وجلب الخير ، أم يسيئون استخدامه في الاضرار بالناس وافساد العقائد ، فهو سلاح ذو حدين ، فكما ينفع يضر ويفسد العقيدة ، وفي مثل هذا الابتلاء يقول الله تعالى « **وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** » ويحكي الله تحذير الملكين للناس بقوله سبحانه « **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** » أي فلا تكفر بما يخالف شروط الايمان من قول أو عمل أو اعتقاد .

والمقصود من انزال السحر على هذين الرجلين الشبيهين بالملائكة لصلاحهما القاؤه في قلبيهما وتعليمهما اياه ، فكل العلوم والمعارف تهتدي اليها القلوب ، وتهبط اليها من عند الله بالهامه اياها ، وقيل انهما ملكان حقيقة ، وان السحرة كثروا في ذلك العهد ، واخترعوا فنونا غريبة من السحر ، يموهون بها على الناس ، وربما زعموا أنهم أنبياء ، فبعث الله هذين الملكين ، ليعلما الناس السحر حتى يميزوا بينه وبين المعجزة ، فيحذروا الكذابين ولا يخدعوا بسحرهم .

ولكن ما قلناه من أن هاروت وماروت رجلان يشبهان الملائكة بصلاحهما هو الرأي الحق ، وتؤيده قراءة (الملكين) بكسر اللام كما أنه ليس من سنة الله أن يبعث الملائكة لتحذير الناس ، بل سنته أن يبعثهم من البشر ، ولهذا لما طلبت قريش من الله أن يكون رسوله اليهم من الملائكة رد عليهم بقوله « **وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ** » .

وقد ذكر الله بعض ما كان الملكان يعلمانه لأهل بابل من السحر ويحذرانهم منه فقال « **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ** » واختص الله هذا النوع بالذكر ، لأنه من الصور التي تظهر منها مفسدة السحر بأشد ما يكون ، فلهذا آثر ابرازها ، ليعلم الناس منها مدى ما يصل اليه السحر من الاضرار بالمجتمع ، فان افساد الأسرة افساد للمجتمع ، لما فيه من تشريد الأولاد الذين هم أساسه ، ثم بين الله أن السحر ليس ضارا بذاته ، بل بمشيئة الله تعالى من باب ربط المسببات بأسبابها .

ثم بين خطأ اليهود فى حرصهم على تعلم السحر والعمل به مع سوء عاقبته فقال « **وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ** » لأنهم يقصدون به الاضرار بالناس فى سبيل مآربهم الخبيثة وان ساءت عاقبتهم ، ولهذا كشف الله سوء نياتهم وشؤم عاقبتهم ، وعدم اكتراثهم بما يعلمون من حرمته وسوء مآله بقوله « **وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** » أى ولقد علم اليهود الذين نبذوا كتاب الله واتبعوا السحر ، أن من استبدل السحر بكتاب الله وآثره على شرعه ، ليس له حظ من الجنة ، ولا أى نصيب من الخير يوم القيامة ، اذ ليس له ايمان ولا عمل صالح صالح يكافأ عليه « **وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** » شروا هنا بمعنى : باعوا ، كما فى قوله تعالى « **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ** » أى وباعوا يوسف بدراهم قليلة .

والمعنى : ولبئس هذا الذى باعوا به حظ أنفسهم من الخير وهو تعلم السحر والعمل به ، ولو كان عندهم علم وعقل لأدركوا أن هذا السحر ضار مفسد للنفس والعقل وللناس ، فكيف آثروه على الايمان ؟

وبعد : فهانحن أولاء قد جئناكم بخلاصة ما كتبناه عن قصة هاروت وماروت ، وليس فيها شىء من الاسفاف الذى الحقته الأساطير الاسرائيلية بقصتهما ، ونقلتها كتب التفسير القديمة عن تلك الأساطير ، ومع أنهم عقبوا عليها بتنزيه ساحة الملائكة عما جاء بها من الاسفاف ، لأنهم أمناء الله على وحيه ، وسفراؤه لرسله ، ولكنه من الخطأ البين الاهتمام بها الى درجة ذكرها فى كتب التفسير، وشغل القارىء بها ، وتحريض أعداء الاسلام على اتهام الاسلام بقيامه على تلك الأساطير .

❋ الأرضون السبع ❋

ومن أمثلة التفسير بالروايات الحقيرة ، ما قيل فى تفسير قوله تعالى « **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** » من آخر سورة الطلاق : الأرضون سبع ، وبين كل أرض والتى تليها خمسمائة عام ، والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه فى السماء ، والحوت على صخرة ، والصخرة بيد ملك ، والثانية مسجن الريح ، والثالثة فيها حجارة جهنم ، والرابعة فيها كبريت ، والخامسة فيها حيات ، والسادسة فيها عقارب والسابعة فيها سقر ، وفيها ابليس مصفد بالحديد ، يد أمامه ويد خلفه يطلقه الله تعالى لمن يشاء .

وعنايته بقدسية القرآن .. وتيسير تفسيره ..

ومن عجب ان يروى هذا الهراء الحاكم عن ابن عمر مرفوعا ، وفيه يقول الذهبى : حديث منكر لا يعول عليه أصلا ـ يعنى أنه موضوع ، فكيف يوضع فى تفسير آية هامة من القرآن ، وعندما نصل اليها فى التفسير الوسيط ـ ان شاء الله ـ سيكون لنا فيها تأويل هام بتوفيق الله رب العالمين .

* الجراة على التفسير ممن لا يعلمون *

من الأمور المسلمة عقلا أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، وأن من لا علم له بأصول الحكم فى قضية ولا تصور عنده لجزئياتها ، فانه لا يستطيع الحكم فيها ، وأن الذى يمارس فنا ، لا يصلح لابداء الرأى فى فن آخر لاعلم له به ، فلا يصح لمهندس فى المبانى ، أن يمارس مهنة الطبيب الجراح ، والا قتل المريض ، كما لا يصح لطبيب أن يمارس هندسة المبانى ، والا انهارت المبانى التى أقحم نفسه فيها .

ومن هذا المنطلق لا يصح عقلا ولا شرعا أن يمارس تفسير كتاب الله من لا علم له بأصول التفسير وقواعده وأحكامه وارتباط آياته المطلقة بآياته المقيدة ، وبسنة رسول الله الذى أنزل الله اليه الذكر ليبين للناس ما نزل اليهم ، وبقواعد اللغة وفقهها ، وبأصول الفقه، على أن من علم كل ذلك لابد له من أن يطلع على ما كتبه علماؤنا المتخصصون ، وأن يتتلمذ على كتبهم ، ويتعرف آراءهم ويستفيد منهم قبل أن يطلع على الناس بآراء فاسدة .

فمثلا يقول الله تعالى فى سورة البقرة « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » فيخرج علينا بعض الكتاب بمقال فى صحيفة الأخبار ويزعم أن الآية يستفاد منها أن من آمن بالله وعمل صالحا يدخل الجنة وان لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولا شك أن هذا الحاد فى دين الله ، فلو كان ايمان اليهود والنصارى والصابئين بالله يكفى فى نجاتهم مع كفرهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، لما بعث النبى الى هرقل عظيم الروم يدعوه الى الاسلام الذى جاءت به الرسالة المحمدية فيقول له (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، وان توليت فان عليك اثم الأريسيين ، و (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) فانت ترى من النص الشريف أنه

قال تعالى

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون

صلى الله عليه وسلم لم يسلم على هرقل ، بل سلم على من اتبع الهدى ، ولو كان هرقل على الهدى ، لقال له السلام عليكم كما دعاه الى الاسلام ، لأن ما عليه هرقل ليس هو الاسلام الذي شرعه الله ، كما أنه ليس ايمانا بالله لما يشوبه من اعتقاد الولدية والشركة الثلاثية ، والكفر برسوله الذي جاء بالاسلام ولهذا ختم الرسول كتابه اليه ، بانه ان تولى وأعرض عن الاسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فليشهد هو ومن معه أن النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه ، هم المسلمون دونهم ، فاقرأ هذا الحديث في البخاري كتاب بدء الوحي ، ففيه فصل الخطاب وشفاء القلوب .

ولو كان ايمان هذه الطوائف بالله وباليوم الآخر معتبرا عند الله ومنجيا ، لكان نظم الآية هكذا « **ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » لكنه تعالى لم يعتبرهم مؤمنين فلهذا دعاهم الى الايمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات واشترطه لنجاتهم بقوله « **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ** » الآية أى من آمن من هذه الطوائف غير المؤمنة وعمل صالحا فلا خوف عليهم ... الخ(١) .

والواقع أن الآية الكريمة اختصت المسلمين بوصف الايمان في صدرها ، ودعت الطوائف الثلاث الذين بعدهم الى الايمان ليحصلوا على الأجر ، ويأمنوا من الخوف والحزن .

ومن دواعي الأسف أن يعتبر الكاتب كل من يؤمن بالله ناجيا ، مهما شاب ايمانه من شرك ولو كان الأمر كما زعم ، لوجب الحكم بأن عباد الأصنام ناجون ، لأنهم يؤمنون بالله « **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** » العنكبوت (٦١) ، ومثلهم الصابئون فهم يؤلهون الكواكب مع ايمانهم بالله .

الا فليعلم كل من ضل في فهم هذه الآية انه ملحد لابد له أن يتوب ، ألم يقرأ قوله تعالى : « **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا** » ، وقوله سبحانه حكاية

(١) أى فلا خوف عليهم مما مضى من كفرهم ، ولا هم يحزنون على فوت ثواب لهم .

الأزهـــر
وعنايته بقدسية القرآن .. وتيسير تفسيره ..

لدعاء موسى ربه من أجل قومه ، وما رد به تعالى اذ يقول : « وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ • الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » الأعراف : ١٥٦ — ١٥٧ .

الم يقرأ قوله تعالى « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » الأعراف (١٥٨) ، وقوله سبحانه « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ » .

ان المطلوب منا أن لا نكره أحدا على دين الاسلام ، وأن نسالم من يسالمنا منهم ، وأن ندعهم لعقائدهم ولكن لا يصح أن نصل فى مجاملة أهل الأديان الى قلب الحقائق فى النصوص القرآنية أو النبوية ، فذلك هو الخطر الأكبر الذى تعرضنا لدرء أمثاله فى الصحف العامة والكتب المؤلفة ، ولا نزال له بالمرصاد بمشيئة الله رب العالمين ، ونحيلكم على ما كتبناه فى التفسير الوسيط على هذه الآية فى سورتى البقرة والمائدة .

نعيم الجنة وعذاب النار كما يراها بعض المغامرين

وقد حاول أديب معاصر أن يظهر جلال القرآن وجماله وفضله على البشرية كما يقول فاختار أمورا كان القرآن صريحا فيها ، وحمل فيها النص على غير ظاهره ، وخالف بذلك اجماع المسلمين سلفا وخلفا ، ومن ذلك قوله(١) فى تفسير « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ » حيث يقول : ان ما جاء فى الآية من

(١) اى فى ص ٦٥ من كتابه .

أنهار العسل والخمر في الجنة ، كان سببا في انصرافه عن الدين في أول أمره ، وبعد أن هداه الله السبيل انقدح في نفسه أنها ضرب مثل على سبيل التقريب ، وليست ايراد أوصاف حرفية ، فهذا مستحيل — كذا يقول — ويعقبه بقوله : كما تصور اللذة الجنسية لطفل لا يعرفها بأنها شيء مثل السكر ، وذلك التمثيل لتقريب نعيمها للبدوى الذى أعز أمانيه الماء العذب والخمر والعسل واللبن — ثم قال — « **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** » .

وهذا الكلام واضح الخطأ ، اذ لو أريد التمثيل لقيل مثل الجنة كمثل كذا ، على حد قوله تعالى « **مثلهم كمثل الذى استوقد نارا** » فقد شبه حالهم بحال الذى استوقد نارا ، فذكر المشبه والمشبه به ، وكقول المؤلف (اللذة الجنسية مثل السكر) ففيه المشبه وهو اللذة ، والمشبه به وهو السكر — وان كنت أرى هذا التمثيل ممجوجا — أما الآية (مثل الجنة) فانها لم يذكر فيها الممثل به ، فالحق أن المثل فيها بمعنى الصفة ، أى صفة الجنة وحالها أنها فيها أنهار من ماء غير آسن .. الخ ، فكما يستعمل المثل بمعنى الشبه ، يستعمل أيضا بمعنى الصفة والحال ، وأى مانع من النعيم المادى الى جانب النعيم الروحى اليست الخلائق تبعث باجسادها وارواحها ، ولماذا يمنع المؤلف تناول هذه المطعومات بالجنة ويقول باستحالتها فيها في حين أنه يقرر في كتابه أن آدم باشر حواء في الجنة مباشرة جنسية — كما زعم — لأن الشجرة التى أكلا منها أطلقت فيهما الشهوة الجنسية كما ادعى، فأى الأمرين أقوم قيلا ، أن يضاجع آدم حواء دون دليل ، أو أن يشرب المنعم في الجنة من هذه الأنهار وهى منصوصة في كتاب الله ؟.

واعجب العجب أن ينسى المؤلف هذا الذى قاله ويعترف بنقيضه فيقول في ص ٧٣ (ويروى القرآن عن أهل الجنة أنهم يتذاكرون وهم يأكلون فاكهة الجنة : فيقولون : انهم رزقوا من أنواع هذه الفاكهة وهم في الدنيا مع الفارق في الجودة) هكذا قال ، ثم أتبعه في ص ٧٤ ما هو أصرح في تناقضه ، اذ قال : (واذا فكر العقل في مثل هذه الجنة ، فهو عسل ولكن لا كما نعرف من عسل ، واللبن هو اللبن، ولكن لا كما نعرف من لبن ، والنساء لا كما نعرف من نساء) الى آخر ما قال .

أفلا تعجب معى اذ تراه حين أعرض عن الدين في أول أمره كان اعراضه بسبب العسل والخمر واللبن ولكنه عاد اليه ليفسره بأنه رمز للذة في الجنة ، ثم يعود فيعترف بالطعام والشراب والفاكهة في الجنة ، وأن أهل الجنة يتذاكرون بأن الفاكهة تشبه فاكهة الدنيا فهل يصح أن يفسر كتاب الله بمثل هذا التناقض ؟.

وتراه في ص ٦٦ من كتابه يقول : ان ماجاء في وصف الجحيم حقيقة مستحيلة ، وما هى الا الوان من ضرب المثل ، ولكننا نقول له : أى تمثيل في . [illegible] تعالى : « **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي**

وعنايتـــه بقدسـية القرآن .. وتيســـير تفسـيره .

وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » وقوله « لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ » وتراه بعد أن أيقظته صرائح القرآن يقول في ص ٧٤ من كتابه (وبالمثل ما يروى القرآن عن النار ، فهى نار لا كما نعرف من نار ، والمعذبون بهـا يتكلمون ويتحاورون ، فأجسادهم لا يمكن أن تكـون لهـا نفس الكيميـاء التى نعلمهـا فى الأجساد ، والا لتبخرت فى لحظـات ، ولمـا استطاعوا أن يتبادلوا كلمة) ففى هذا الكلام يعترف بالنار وبالعذاب المادى بالنار بعـد أن أنكره ، ويجد حلا لذلك فيقول : ان لأجسادهم كيمياء أخرى تخالف كيمياءها فى الدنيا ، والا لتبخرت فى لحظات ، ثم يقول فى نفس الصفحة (ولهذا يمكن أن يتضـاعف العـذاب حسيا ومعنويا بطريقة نجهلها) والواقـع أن اللـه تعالى كشـف عن ذلك بعض الكشف بقـوله « كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ » فانظر كيف يتناقض ويبلبل الأذهان فى السمعيات ما بين نفى واثبات ، كما تناقض فى أمور كثيرة ، وارتكب أخطاء خطيرة، لم نر داعيا لبسطها فى هذا المقام ولقد كتبنـا تقريرا عن الكتاب بينـا ما فيـه من أخطـاء وتناقضات ، وطلبنا ايقاف نشره عقب صدوره، فان خطره على قارئه شديد ، ومن أراد معرفة المزيد عن هذا الكتاب وغيره فليرجع الى كتابنا (اتجاه التفسير فى العصر الحديث) .

وانا نحمـد الله على أن هذا الكتاب الآن فى موقف ممتاز من الخـير والفضـل وحسن القدوة فى الأخذ بتعاليم الاسـلام والدعـوة اليه ـ نسأل الله لنا وله دوام التوفيق .

❋ رسالة الفتح ❋

تقع هـذه الرسالة فى ٤١٦ صـفحة ، وهى مليئة بالخرافات والهـوس فى تأويل آيات من القرآن ، وكان صـاحب هـذا الكتاب يوزعه مجانا كأنه عميل لهيئة خطيرة معادية للاسلام، لا يهمها ما تنفقه فى سـبيل ذلك ، وقـد زعم المؤلف أمورا خطيرة ، فأنكر وجـود المسجد الأقصى واسراء النبى اليه ، وابتدع تشريعات من عنده ، وشرع حدودا لم يشرعها الله ولم يقل بها أحد من المسلمين ، وهام فى أوديـة التحريف وسوء التأويل ، وسنذكر فيمـا يلى نماذج مما قاله هذا المخرف .

يقول فى ص ١٠ من كتابه تفسـيرا لقـوله تعالى « انى أرى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ » .

معنى (بقرة) طـائر ، وفى موضـع آخر (بقرة واضحة) فقـد رأى العـزيز فى المنام سبع طيور سمان يأكلهن عجاف ، والتى سماها المحرفون بقرة ، واستقام لسان العرب عـلى المحرف بعد الجيـل الثالث الاسـلامى ، تلك الماشية اسمها (المها) والمها لا تأكل المها ، أما

الطير تبعضه يأكل بعضا — ثم يمضى فى هذا التخريف .

ونحن نقول لهذا المجنون : أنت تقرأ فى الآية أنها رؤيا منام ، ولا يمتنع فى النوم أن يخيل للرائى أن البقرات بمعناها اللغوى يأكل سمانها عجافها ، تمثيلا لسنوات الجدب التى تلت السنين الخضراء ، وأكل الناس فيها محاصيل السنين المخصبة ، وكانت هذه الرؤيا ليتهيأ الناس وتتخذ لخزن المحاصيل استعدادا لسنين السبع الشداد ، ولست أدرى ما الذى حمل المؤلف على هذا التأويل الفاسد .

*** بقرة بنى اسرائيل ***

وتراه فى ص ١٢ يقول فى تفسير قوله تعالى: « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً** » ما يثير العجب من جنونه اذ يقول (بقرة) أى دجاجة، (لا فارض) لم ينقطع منها البيض (عوان بين ذلك) وسط بين الصغيرة والمسنة تبيض البيض (صفراء فاقع لونها تسر الناظرين)— صفراء — اسم للطير المسمى بالأوز والبط — كذا قال — ومعنى صفراء تحدث صفيرا (فاقع لونها تسر الناظرين) أبيض ناصع تشغل خاطر من ينظر اليها (**لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا**) تلك صفة الغراب فالغراب بقرة ليست بذلول (مسلمة) يحجل اذا سار — ثم يقول : واصطاد كل اسرائيلى غرابا وقام بذبحه وقالوا لموسى عندما سمعوا أمر المولى بذبح الغراب (الآن جئت بالحق) .

فهل سمعت ما قاله هذا المؤلف المعتوه ، الذى حول البقرة المطلوبة الى دجاجة تبيض البيض ، ثم حولها الى غراب أصفر فاقع ، مع أن الغراب لونه أسود ، وارتضى أن يوصف الغراب بما وصف الله به البقرة ، من أنها لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ، وبأنه ليس ذلولا يثير الأرض ولا يسقى الحرث ، هكذا قال هذا المعتوه ولله فى خلقه شئون .

تفجير الفراعنة للذرة وشق مجرى النيل

ويقول هذا المؤلف شفاه الله من مرض الغرور الذى أخرجه من دائرة العقلاء — يقول فى ص ١٩ ما يأتى فاسمعه وحاول أن تكتم ما يثيره من الضحك : (ان سر حضارة الفراعنة هو معرفتهم لعلم تفجير الذرة الذى ورثوه من قوم ثمود الذين عاشوا فى بلاد النوبة جنوب صعيد مصر ، فأرسل فيهم رسولهم صالحا ، واتخذوا من أشعة الذرة سبيلا لشق مجرى النيل ، وقطعوا حاجز الصخور ، وأجروا النيل فى مجراه الحالى .

وهذا الذى قاله المؤلف افتراء على التاريخ وعلى الحقيقة فثمود تسمى عادا الثانية وهم من العرب الأولين كانوا يسكنون الحجر بين الحجاز والشام ، فى طريق الذاهب الى تبوك من المدينة ، ولكن عقلية المؤلف جعلتهم فى جنوب صعيد مصر ، وتخيلتهم يفجرون الذرة ليشقوا مجرى النيل ، مع أن الله تعالى أجراه بمسيل مياه البحيرات الاستوائية من أعلى الى أدنى .

وعنايته بقدسية القرآن .. وتيسير تفسيره .

*** سورة الفجر .. والتحنيط ***

وفى ص ٢٣ - ٢٤ يقول المؤلف فى تفسير قوله تعالى : « وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ » يقول ما يأتى - وما أغرب ما يقول - الواو فى (والفجر) للعطف ، والمعطوف عليه قوله تعالى « عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ » من سورة الحشر كذا قال أيها المستمعون الكرام - وعقبه بقوله : والمولى لا يحلف لمخلوقاته التى خلقها ، والحلف لايصدر الا من ضعيف لقوى ، ومحال أن يحلف المولى وهو القوى العزيز - ثم يقول من وحى خياله المريض : والفجر فجر الدم فى الشرايين ، والأشعة بتفجير الذرة « وليال عشر » أولى ليالى التحنيط - كذا قال - والشفع شفع الليالى العشر عشرون ليلة (والوتر) مثل الليالى العشر - عشر ليال - (والليل اذا يسر) الدنيا هى الليل بمعنى الحجاب ، والقسم هو الحظ والنصيب - كذا قال - (لذى حجر) لذى تحجر وذى صمغ - ثم يقول : وفى كل مدة من مدد التحنيط الذى يتم عند الفراعنة فى أربعين ليلة يوضع الحجر ومعناه الصمغ - هكذا قال شفاه الله - فانظر يا أخى المسلم : كيف طوعت له نفسه ، وساقه خياله الى أن يعطف الفجر على آية فى سورة الحشر ، وبينهما ثمان وعشرون سورة وأن يهذى هذا الهذيان الشنيع .

و ما جناه خياله المريض تفسيره العجل الحنيذ باسحاق عليه السلام ، مع أنه هو العجل المشوى الذى قدمه ابراهيم عليه السلام لضيوفه الذين كان يحسبهم من البشر ، وهم من الملائكة جاءوا ليهلكوا قوم لوط فى صورة شبان حسان من البشر .

وفى صفحات ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ أنكر الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وفسر المسجد الحرام بالقرآن ، والمسجد الأقصى بسدرة المنتهى ، وفسر الآيات التى رآها النبى فى تلك الليلة بأرواح القدس السبعة المزعومة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ومناة واللات والعزى ، كما أنكر استقبال بيت المقدس قبل تحويل القبلة الى الكعبة وهو بهذا وبكثير من أمثاله ينكرها علم من الدين بالضرورة ، كغزوة الفتح ونبوة ادريس ، وادعى أن الرسول لم يتزوج بغير عائشة الى غير ذلك مما يقطع بسطحية هذا المعتوه ، وأنه مدفوع من جهة معادية للاسلام ، أعانت جهالته وغروره بالاغراء على ارتكاب هذا الاثم الذى يشبه سيل العرم ، وقد أنكرناه وطلبنا مصادرة كتابه الملىء بهذه الخرافات .

*** هل خلق محمد فى كوكب آخر ***

ومن الكتاب من ينعته بعض الصحف بالمفكر الاسلامى ، خرج على الناس بكتاب له جاء فيه ما لا يحل لمسلم أن يقوله ، فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خلق فى كوكب

آخر وحفظ فيه القرآن قبل أن ينزل الى الأرض ، فلهذا كان يعجل بقراءته أثناء نزول الوحي به عليه

وهذا كلام واضح البطلان ، ولا يقوله الا من يعتقد تناسخ الأرواح ، أو وجود انسان واحد في مكانين في وقت واحد ، وكلاهما باطل نقلا وعقلا ، ألم يقرأ هذا الكاتب قوله تعالى في حق نبيه في سورة الشورى « مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا » (١) ، وكيف ساغ له أن يؤلف تلك القارعة المهلكة ، ويستنتجها من قوله تعالى « لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ »، لقد كان النبي أميا « وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ » فلهذا كان حريصا على متابعة جبريل حين الوحي بتحريك لسانه بما يسمعه من جبريل ، خوفا من أن تعزب عنه كلمة منه ، وكان يلاقي من ذلك مشقة وعناء ، فلهذا أراحه الله من هذا العناء ضامنا له حفظه في صدره من غير أن يحرك لسانه أثناء الوحي بقوله جل ثناؤه « لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » فامتثل صلى الله عليه وسلم، فكان يجد نفسه حافظا بعد انتهاء جبريل من الوحي ، فيمليه على كتابه لاثباته ، وكان ينزل عليه جبريل في شهر رمضان ليدارسه القرآن، لمزيد تثبيته في حفظه ، ومن هنا لا تجد كتابا اكتملت فيه أسباب اليقين مثل القرآن العظيم.

ارفعوا أيديكم عن القرآن

أيها المجترئون على حرم القرآن وقدسيته ارفعوا أيديكم عن ممارسة تفسيره ، فليس هذا الوحي الالهي هينا أمره حتى على العلماء الأعلام ، ان من السداد أن تتركوا الأمر لأهله ، يتحملون عبئه ، مستعينين بسنة رسول الله وما يفتح الله به على السلف الصالح من فهم جيد فيه ، ينقله الينا الثقات الذين يخشون جلاله ، اتركوه للذين يعيشون في ظلاله ، ويعملون في حقله ، فهم أولى الناس به ، وأحرصهم على قدسيته ، ولا تورطوا أنفسكم في معان فاسدة فتهلكوا ، فمن قال في القرآن برأيه هلك ، كما روى عن الرسول المعصوم ، اتركوه للعلماء ليقدموا للامة معانيه السامية بعيدة عن الخرافات ، وهذا ما أخذ به الأزهر نفسه ، وعاهد ربه ونبيه على تحقيقه في التفسير الوسيط ، الذي تعرفون خبره ودقته وأمانته ، فيما نشر منه .

وليعلم السادة الكاتبون ، أن الخطأ في تفسير كتاب الله ، بسوء تأويله ، أو بالاستناد الى روايات موضوعة أو واهنة ، يستغله أعداء الاسلام ضده ، فأعطوا القوس باريها ، واكتبوا فيما شئتم من بيان أمجاد الاسلام وما أكثرها ، والله يعيننا ويعينكم .

* كيف تؤول المتشابهات في القرآن *

يوجد في النصوص القرآنية آيات متشابهات

---

(١) من الآية رقم : ٥٢ .

وعنايتــه بقدسـية القـرآن .. وتيســير تفســيره .

فمن أراد تفسيرها فليكن حذرا ، حتى لايخرج بتأويلها عن محكمات القرآن وما علم من الدين بالضرورة العقليـة والشرعيـة ، فيسيء الى الاسلام باعطاء أعدائه سلاحا يحاربونه به ؛ وقد علمنا من كتاب الله أن المحكمات هى مرجع المتشابهات وأم الكتاب وأساس تأويله ، وذلك لقوله سبحانه « هُـوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَـاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَـابِ وَأُخَـرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ»(١).

ومن تلك المتشابهات قوله تعالى فى سـورة يونس « فَإِن كُنتَ فِي شَـكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَـا إِلَيْكَ فَاسْـأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَـدْ جَـاءَكَ الْحَـقُّ مِن رَّبِّكَ فَـلَا تَكُـونَنَّ مِـنَ الْمُمْتَرِينَ » (٩٤) .

وقد أخطأ من قبلنا فى تفسير هـذه الآية ، وأعطوا أعداء الاسلام ما يشـغبون به عليه ، ويفتاتون على رسوله ، حيث زعم الأعداء أن الرسول كان شاكا فى رسالته ، ولهذا كلفه الله أن يسأل أهل الكتاب ليثبتوه وقد افتروا بذلك على الحق ، وكان لمن قبلنا قسط فى تشجيعهم على ما يزعمون ، بسـوء تأويلهم للآية ، وهم لا يدرون أنهم بمـا قالوا أسـاءوا الى دينهم وهم لا يشـعرون .

فقد قالوا : ان الخطاب فيها للرسـول صلى الله عليه وسـلم ، لغـرض تهييجه واثارته ، ليزداد ثباتا على دينه ، من غير احتمال وقوع شـك منـه .

ونحن نقول ان هذا التأويل لا يصح قبـوله بحال من الاحـوال ، فان فرض الشك فى الرسول لأى غرض من الأغراض ، وبأى تأويل مما قالوه ، مخالف للنقـل مرفوض من جهـة العقل ، اذ كيف يصح عقلا أن يفرض الشـك فى الرسول لغرض اثارته وزيادة تثبيته ، فهل كان محتـاجا الى مزيـد التثبيت ، ليـزداد استمساكا بتبليغ دعوة ربه ، وكلا والقمرة كلا، فقد قال تعالى « فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ٠ مَا كَـذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ٠ أَفَتُمَارُونَهُ عَـلَى مَا يَرَى ٠ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ٠ عِندَ سِـدْرَةِ الْمُنتَهَى ٠ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ٠ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ٠ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ٠ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى » (٢) .

وكيف يحتاج الى التثبيت وهـو الذى كان يقول : (والله لو وضـعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى عـلى أن أترك هـذا الدين ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) .

وكيف يحتاج الى التثبيت والى سـؤال أهـل الكتاب ليزداد طمأنينة ، وهو الذى تحمل من

---

(١) سـورة آل عمران من الآية رقم : ٧ .

(٢) سـورة النجم : الآيات ١٠ ـــ ١٨ .

ايذاء قومه ثلاثة عشر عاما ما لا تحتمله الشم الرواسي،وشاركه في ذلك من معه من المؤمنين، حتى مات بعضهم من شدة التعذيب ، ألم يقاطعهم المشركون لايؤاكلونهم ولايزاوجونهم ولا يبيعونهم الطعام ، حتى اضطروهم الى الاقامة في شعب أبي طالب ثلاث سنين ، ووصل بهم الجوع الى أن يأكلوا أوراق الشجر وهم صابرون ، وكيف يستطيع أن يحمل عبء هذه الدعوة من هو بحاجة الى التثبيت ، وكيف يعمل لها بصدق وعزيمة لا تعرف الكلل حتى دخل الناس في دين الله أفواجا ، فوالله لولا أنه ثابت الجنان عظيم الاطمئنان لما استطاع أن يفلت من حصار أهل الشرك له بمكة ، بل كان يستجيب لعروضهم المالية والشرفية .

واذ عرفت هذا تبين أن الخطاب في قوله تعالى «فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ» ليس للرسول بل لمن يشك فيما جاء به صلى الله وسلم ، واليك فيما يلي بعض ما قلناه في تفسير الآية :

تفسير الآية على الوجه الرشيد

بعد أن تحدثت سورة يونس عن قصص بعض المرسلين مع أممهم ، وآخرها قصة موسى مع فرعون وقومه جاءت هذه الآية تطالب من يشك في صدق هذه القصص التي ساقها الله للعبرة والدلالة على صدق محمد في نبوته ـ جاءت هذه الآية تطالب من يشك من أهل الدعوة ـ أن يسأل الذين يقرءون الكتاب من علماء اليهود والنصارى ، ليتأكد من وجود هذه القصص في كتبهم ، وليحمله ذلك على الايمان بنبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

واعلم أن القرآن كما أنزل الى الرسول وحيا وتبليغا ، أنزل الى أمته أفرادا وجماعات عملا وتكليفا ، فمن الأول قوله تعالى في سورة النساء « إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ » ومن الثاني قوله تعالى خطابا للامة : « لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(١) » واجتمع الخطاب للرسول وأمته بهذا الأسلوب في قوله تعالى « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ »(٢) .

والمعنى : فان كنت أيها المكلف من أمة الدعوة المحمدية ، في شك من صدق ما أنزلناه من هذه القصص على رسولنا اليك لتعرف به صحة نبوته ورسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاسأل علماء اليهود والنصارى الذين يقرءون كتبهم ويعرفون أن هذه القصص قد وردت بها منقولة من جيل الى جيل قبل وجودك ، حتى تعلم من وجودها قديما في كتبهم أن

---

(١) سورة الانبياء : الآية ١٠ .
(٢) سورة النحل : الآية ٤٤ .

وعنايته بقدسية القرآن .. وتيسير تفسيره .

محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ صادق فى نبوته ، وثقة فى رسالته فانه أمى لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يجالس من قرأ كتبهم ، فقد نشأ بين قريش عبدة الأوثان ، فهذا دليل على أن الله تعالى هو الذى أعلمه بها وأوحاها اليه ، وأنه صادق فيما ابلغكم عن الله وأن الايمان بنبوته فيه النجاة ، وأن الكفر بها يستتبع الهلاك لقد جاءك الحق من ربك أيها المكلف فلا تكونن من الممترين الشاكين .

والدليل القاطع على أن الخطاب فى قوله تعالى : « فان كنت فى شك » لكل من يعتريه الشك من أهل الدعوة وليس للرسول ، أنه تعالى قال بعد تلك الآية فى هذه السورة ، يسلى نبيه صلى الله عليه وسلم عن كفر من كفر من قومه وشك من شك منهم « إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ • وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ »(١) ثم قال: « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ »(٢) ثم قال : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » (٣) .

أيها السادة : هذا بعض ما كتبناه فى تفسير هذه الآية رجوعا فيه الى المحكم من آيات الله ضاربين صفحا عما كتبه من قبلنا وأخطأوا فيه ، ويسروا لأعداء الاسلام استغلاله ضده ولكنا لخصوم الحق بالمرصاد والله من ورائهم محيط .

❋ عهد وميثاق ❋

وبعد : فاننا باسم لجنة بحوث القرآن ، ولجنة التفسير الوسيط ، نعاهدكم ــ أيها السادة ــ على التزام ما التزمناه من الدفاع عن القرآن العظيم ، ورد العدوان على تفسيره ، ممن يسيئون الى معانيه السامية ، كما نعاهدكم على التزام ما التزمناه من البعد عن الاسرائيليات والمعانى الهابطة فى تفسيره . وعلى بذل الوسع فى ابرازه بصورة مشرقة تبعث على فهم كتاب الله والانتفاع بهديه ، وختاما اسأل الله لى ولكم التوفيق والسداد ،،

والسلام عليكم ورحمة الله

مصطفى محمد الحديدى الطير

عضو مجمع البحوث الاسلامية

(١) سورة يونس : الآيتان ٩٦ ، ٩٧

(٢) سورة يونس : الآية ٩٩ .

(٣) سورة يونس : الآية ١٠٤ .

التلقيح الصناعى
لتوالد الانسان
والاجهاض

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية

اولا :

١ ــ هل يجوز تلقيح الزوجة بنطفة زوجها الذى تعيش معه ؟ ٠

٢ ــ أو يجوز تلقيح امرأة بمنى رجل غير زوجها ؟ ٠

٣ ــ إذا لقحت بويضة امرأة بمنى رجل غير زوجها ثم نقلت بعد التلقيح الى رحم امرأة هى زوجة صاحب المنى ٠ فما الحكم شرعا ؟ ٠

٤ ــ اذا اخذت بويضة امرأة ولقحت خارج الرحم بمنى زوجها (انابيب) ثم بعد الاخصاب تعاد البويضة الملقحة الى رحم هذه المرأة ٠ فما الحكم ؟ ٠

٥ ــ إذا كان مكان الانابيب فى الغرض السابق حيوانات تصلح لاحتضان هذه البويضة الملقحة اى تحل محل رحم المرأة لحين أو لفترة يعاد بعدها الجنين الى رحم المرأة ٠ فما الحكم ؟ ٠

٦ ــ ما حكم الزوج الذى يوافق على هذا العمل أو ينسب أطفالا ولدوا بواحد من تلك الطرق الى نفسه ، أو يستمر فى حياته الزوجية مع زوجته التى لقحت بنطفة رجل آخر ؟ ٠

التلقيح الصناعي لتوالد الإنسان والإجهاض

٧ ـ ما حكم الطفل الذى يولد بهذه الطرق ؟ .

٨ ـ ما حكم الطبيب الذى يجرى مثل تلك الاعمال ؟ .

قال الله سبحانه وتعالى (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) فى هذه الآية امتن الله سبحانه على عباده بالنسب والصهر وعلق الاحكام فى الحل والحرمة عليهما ورفع قدرهما ومن أجل هذه المنة كانت المحافظة على النسل من المقاصد الضرورية التى استهدفتها أحكام الشريعة الاسلامية وفى هذا قال حجة الاسلام الامام الغزالى :

(ان جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الحق وصلاح الخلق فى تحصيل مقاصدهم ، لكننا نعنى بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ، ومقصود الشرع من الخلق خمسة : وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم ، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة) (٢) .

ومن أجل ضرورة المحافظة على النسل شرع الله النكاح وحرم السفاح (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) . (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) ذلك لأن الولد ثمرة الزواج الصحيح ينشأ بين أبويه يبذلان فى سبيل تربيته والنهوض به والمحافظة عليه النفس والنفيس ، أما ولد الزنا فانه لأمه ولقومها اذ لا يعرف له أب بذلك ينشأ فاسدا مفسدا مهملا ويصبح آفة فى مجتمعه .

وان كان فقهاء الشريعة قد عرضوا لهذا النوع من الأولاد وحثوا على تربيته والعناية به واصلوا أحكامه فى كتب الفقه تحت عنوان « باب اللقيط » ذلك لأنه انسان لا يسوغ اهماله وتحرم اماتته ويجب احياؤه .

(وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)

وذلك ارتقابا لخيره واتقاء لشره .

ومن هنا كان حرص الاسلام على سلامة الأنساب بالدعوة الى الزواج وتشريع أحكامه وكل ما يضمن استقرار الاسرة منذ ولادة الانسان وحتى مماته وبالجملة فقد نظم حياة الناس أحسن نظام وأقومه بالحكمة والعدل مع الاحسان ومراعاة المصلحة .

واذ كان النسب فى الاسلام بهذه المثابة فقد أحاطه ـ كغيره من أمور الناس ـ بما

(١) الآية ٥٤ من سورة الفرقان .

(٢) كتاب المستصفى للغزالى ج ١ ص ٢٨٧ .

يمس نقاءه ويرفع الشك فيه فجاء قول الرسول صلى الله عليه وسلم كما رواه البخارى ومسلم عن عائشة : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) والمراد بالفراش أن تحمل الزوجة من زوجها الذى اقترن بها برباط الزواج الصحيح فيكون ولدها ابنا لهذا الزوج والمراد بالعاهر الزانى ، وبهذا قرر هذا الحديث الشريف قاعدة أساسية فى النسب تحفظ حرمة عقد الزواج الصحيح وثبوت النسب أو نفيه تبعا لذلك ومن ثم فمتى حملت امرأة ذات زوج من الزنا مع رجل آخر أو من غصب ، فان حملها ينسب لزوجها لا الى من زنا معها أو اغتصبها لأن فراش الزوجية الصحيحة قائم فعلا .

ومن وسائل حماية الأنساب — فوق تحريم الزنا — تشريع الاعتداد للمرأة المطلقة بعد دخول الزوج المطلق بها أو حتى بعد خلوته معها خلوة صحيحة شرعا .

كما حرم الاسلام بنص القرآن الكريم الصريح التبنى بمعنى أن ينسب الانسان الى نفسه انسانا آخر نسبة الابن الصحيح لأبيه أو أمه مع أنه يعلم يقينا أنه ولد غيره وذلك صونا للأنساب ولحفظ حقوق الأسرة التى رتبتها الشريعة الاسلامية على جهات القرابة وفى هذا قال الله سبحانه :

(.. وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ . ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) (١) . وبهذا لم يعترف الاسلام بمن لانسب له ولم يدخله قهرا فى نسب قوم يأبونه .

ولما كانت عناية الاسلام بالأنساب والتحوط لها على هذا الوجه بدءا بتنظيم صلة الرجل بالمرأة واختلاطهما ووجوب أن يكون هذا فى ظل عقد زواج صحيح تكريما لنطفة الانسان التى منها يتخلق الولد (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) (٢) (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) (٣) ولا يتخلق نطفة الرجل الا اذا وصلت الى رحم المرأة المستعد لقبولها ، وقد يكون هذا الوصول عن طريق الاختلاط الجسدى الجنسى وعندئذ يكون نسب الوليد من هذا الاتصال موصولا بأبيه متى كان قد تم فى ظل عقد الزواج الصحيح (الولد للفراش) وقد يكون ادخال نطفة الرجل فى رحم المرأة بغير الاتصال الجسدى .

ففى شرح المنهاج لابن حجر الشافعى وحواشيه ؛ (وانما تجب عدة النكاح .. بعد وطء . أو بعد استدخال منيه « أى الزوج » المحترم وقت انزاله واستدخاله .. ومن ثم لحق النسب .. أما غير المحترم عند انزاله بأن أنزله من زنا فاستدخلته زوجته وهل يلحق به ما استنزله بيده لحرمته أولا للاختلاف فى اباحته كل محتمل والأقرب الأول

---

(١) من الآيتين ٤ ، ٥ من سورة الأحزاب .
(٢) الآيات ٥ ، ٦ ، ٧ من سورة الطارق
(٣) من الآية ٢ من سورة الدهر .
(٤) ج ٨ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ فى كتاب العدد .

التلقيح الصناعي..
..والإجهاض

فلا عبرة فيه ولا نسب يلحقه واستدخالها من نطفة زوجها فيه عدة ونسب كوطء الشبهة ..) وعلق في حاشية الشنواني في هذا الموضع على قول الشارح (وقت انزاله واستدخاله ..) بقوله (.. بل الشرط الا يكون من زنا ..) وفي فروع الدر المختار للحصكفي وحاشية رد المحتار عليه لابن عابدين : (أدخلت منيه في فرجها هل تعتد ؟ في البحر بحثا نعم لاحتياجها لتعرف براءة الرحم وفي النهر بحثا ان ظهر حملها نعم والا لا ..) وعلق ابن عابدين بقوله : أي منى زوجها من غير خلوة ولادخول .. ولم أرحكم ما اذا وطئها في دبرها أو ادخلت منيه في فرجها ثم طلقها من غير ايلاج في قبلها وفي تحرير الشافعية وجوبها فيهما ولابد أن يحكم على أهل المذهب به في الثاني لأن ادخال المنى يحتاج الى تعرف براءة الرحم أكثر من مجرد الايلاج .. ثم نقل : عن البحر عن المحيط ما نصه : اذا عالج الرجل جاريته فيما دون الفرج فانزل فاخذت الجارية ماءه في شيء فاستدخلته فرجها في حدثان ذلك فعلقت الجارية وولدت فالولد ولده والجارية أم ولد له . فهذا الفرع يؤيد بحث صاحب البحر ويؤيده أيضا اثباتهم العدة بخلوة المجبوب وما ذلك الا لتوهم العلوق منه بسحقه ..) .

وفي التعليق على عدة الموطوءة بشبهة قال ابن عابدين (ومنه ما في كتب الشافعية اذا أدخلت منيا فرجها ظنته منى زوج أو سيد عليها العدة كالموطوءة بشبهة قال في البحر ولم أره لأصحابنا والقواعد لاتاباه لأن وجوبها لتعرف براءة الرحم ..) .

هذه الاقوال لفقهائنا تصريح بأن شغل رحم المرأة بنطفة الرجل وحدوث الحمل قد يحدث بغير الاتصال العضوى بينهما وتترتب عليه الآثار الشرعية من عدة ونسب .

واذا كان ذلك وكان الفقهاء قد رتبوا على ادخال الزوجة منى زوجها في موضع التناسل منها وكذلك الجارية اذا أدخلت منى سيدها

وحملت ثبت النسب من الزوج أو من السيد ووجبت العدة تعين النظر فيما جاء من تساؤلات على هدي ما تقدم .

عن السؤال الأول :

لما كان الهدف الأسمى من العلاقة الزوجية هو التوالد حفظا للنوع الانساني وكانت الصلة العضوية بين الزوجين ذات دوافع غريزية في جسد كل منهما أضحى هذا التواصل والاختلاط هو الوسيلة الاساسية والوحيدة لافضاء كل منهما بما استكن في جسده واعتمل في نفسه حتى تستقر النطفة في مكمن نشوئها كما أراد الله وبالوسيلة التي خلقها في كل منهما لا يعدل عنها الا اذا دعت داعية كأن يكون بواحد منهما ما يمنع حدوث الحمل بهذا الطريق الجسدي المعتاد مرضا أو فطرة وخلقا من الخالق سبحانه .

فاذا كان شيء من ذلك وكان تلقيح الزوجة بذات منى زوجها دون شك في استبداله أو اختلاطه بمنى غيره من انسان أو مطلق حيوان جاز شرعا اجراء هذا التلقيح فاذا ثبت ثبت النسب تخريجا على ما قرره الفقهاء في النقول المتقدمة من وجوب العدة وثبوت النسب على

من استدخلت منى زوجها فى محل التناسل منها .

عن السؤال الثانى :

تلقيح الزوجة بمنى رجل آخر غير زوجها سواء لأن الزوج ليس به منى أو كان به ولكنه غير صالح محرم شرعا لما يترتب عليه من الاختلاط فى الأنساب ، بل ونسبة ولد الى أب لم يخلق من مائه وفوق هذا ففى هذه الطريقة من التلقيح اذا حدث بها الحمل معنى الزنا ونتائجه ، والزنا محرم قطعا بنصوص القرآن والسنة .

عن السؤال الثالث :

وصورته تلقيح بويضة امرأة بمنى رجل ليس زوجها ثم نقل هذه البويضة الملقحة الى رحم زوجة الرجل صاحب هذا المنى ، هذه الصورة كسابقتها تدخل فى معنى الزنا والولد الذى يتخلق ويولد من هذا الصنيع حرام بيقين لالتقائه مع الزنا المباشر فى اتجاه واحد اذ أنه يؤدى مثله الى اختلاط الأنساب ، وذلك ما تمنعه الشريعة الاسلامية التى تحرص على سلامة أنساب بنى الانسان والابتعاد بها عن الزنا وما فى معناه ومؤداه .

ذلك لأنه وان كان المنى هو للزوج ـ ولكنه كما هو معروف ـ لا يتخلق الا باذن الله وحين التقائه ببويضة الزوجة ، وهذه الصورة افتقدت فيها بويضة الزوجة وجيء ببويضة امرأة أخرى ، ومن ثم لم تكن الزوجة حرثا فى هذه الحال لزوجها مع أن الله سمى الزوجة حرثا له فقال : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ .. ﴾ فكل ما تحمل به المرأة لابد أن يكون نتيجة الصلة المشروعة بين الزوجين سواء باختلاط أعضاء التناسل فيهما كالمعتاد أو بطريق استدخال منيه الى ذات رحمها ويتخلق وينشأ كما قال سبحانه : ﴿ .. يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ .. ﴾ .

واذ كانت البويضة فى هذه الصورة ليست لزوجة صاحب المنى وانما لامرأة أخرى لم يكن نتاجها جزءا من هذين الزوجين ، بل من الزوج وامرأة محرمة عليه فلا حرث فعلا أو اعتبارا بين الزوجين يثبت به الولد فصارت هذه الصورة فى معنى الزنا المحرم قطعا كسابقتها .

عن السؤال الرابع :

وصورته أن تؤخذ بويضة الزوجة التى لا تحمل وتلقح بمنى زوجها خارج رحمها (أنابيب) وبعد الاخصاب والتفاعل بينهما تعاد البويضة الملقحة الى رحم هذه الزوجة مرة أخرى .

فى هذه الصورة اذا ثبت قطعا أن البويضة من الزوجة والمنى من زوجها وتم تفاعلهما واخصابهما خارج رحم هذه الزوجة (أنابيب) وأعيدت البويضة ملقحة الى رحم تلك الزوجة دون استبدال أو خلط بمنى انسان آخر أو حيوان وكان هناك ضرورة طبية داعية لهذا الاجراء كمرض بالزوجة يمنع الاتصال العضوى مع زوجها أو به هو قام المانع ونصح طبيب حاذق مجرب بأن الزوجة لا تحمل الا بهذا الطريق ولم تستبدل الأنبوبة التى تحضن فيها بويضة ومنى الزوجين بعد تلقيحهما كان الاجراء المسئول عنه فى هذه الصورة جائزا شرعا ، لأن الأولاد نعمة وزينة وعدم الحمل لعائق وامكان علاجه أمر جائز شرعا ، بل قد يصير واجبا فى بعض المواطن فقد جاء

التلقيح الصناعي .. .. والاجهاض

أعرابي (١) فقال يارسول الله أنتداوى ؟ . قال : نعم . فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله رواه أحمد ، فهذه الصورة والصورة في السؤال الأول من باب التداوي مما يمنع الحمل والتداوي بغير المحرم جائزة شرعا ، بل قد يكون التداوي واجبا اذا ترتب عليه حفظ النفس أو علاج العقم في واحد من الزوجين .

(ب) وصورته :

هل يجوز أن تحل مكان (الأنابيب) حيوانات تصلح لاحتضان هذه البويضة أي تحل محل رحم هذه الزوجة لحين أو لفترة معينة يعاد الجنين بعدها الى رحم ذات الزوجة ؟ .

أنه لما كان التلقيح على هذه الصورة بين بويضة الزوجة ونطفة زوجها يجمع بينهما في رحم أنثى غير الانسان من الحيوانات فاذا مرت البويضة الملقحة بمراحل النمو التي قال عنها القرآن الكريم : **(ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)** (٢) . سيكتسب هذا المخلوق صفات هذه الانثى التي اغتذى بدمها في رحمها والتف معها حتى صار جزءا منها ، فإذا تم خلقه وآن خروجه يدب على الأرض كان مخلوقا

(١) منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكاني ج ٢ ص ٢٠٠ في أبواب الطب .
(٢) سورة المؤمنون ١٣ ، ١٤ .

آخر . الا ترى حين ينزو الحمار على الفرس وتحمل ، هل تكون ثمرتهما لواحد منهما ؟ . انه يكون خلقا آخر صورة وطبيعة . هذا ان بقيت البويضة بأنثى غير الانسان الى حين فصالها ، أما ان انتزعت بعد التخلق وانبعاث الحياة فيها وأعيدت الى رحم الزوجة فلامراء كذلك في أنها تكون قد اكتسبت الكثير من صفات أنثى الحيوان التي احتواها رحمها،فانه كان غذاؤها وكساؤها ومأواها ولامرية في أن هذا المخلوق يخرج على غير طباع الانسان ، بل على غرار تلك التي احتضنته رحمها لأن وراثة الصفات والطباع أمر ثابت بين السلالات حيوانية ونباتية تنتقل مع الوليد والى الحفيد ذلك أمر قطع فيه العلم ومن قبله الاسلام (**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ..**) (٣) .

يدلنا على هذا نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته في اختيار الزوجة فقد قال : **« تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء »**(٤) **قال : « اياكم وخضراء الدمن ــ وهي المرأة الحسناء ــ في المنبت السوء »** هذه التوجيهات النبوية تشير الى علم الوراثة وان ارث الفضائل أو الرذائل ينتقل في السلالة ، ولعل الحديث الشريف الأخير واضح الدلالة في هذا المعنى لأن لفظ (الدمن) تفسره معاجم اللغة بأنه ما تجمع وتجمد من السرجين وهو روث الماشية فكل ما نبت في هذا الروث وان بدت خضرته ونضرته الا أنه يكون سريع الفساد .

(٣) من الآية ١٤ سورة الملك .
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ١٠٢ باب اي النساء خير .
(٥) رواه الدار قطني من حديث ابي سعيد الخدري ــ احياء علوم الدين ج ٤ ص ٧٢٤ .

وكذلك المرأة الحسناء فى المنبت السوء تنطبع على ما طبعت عليه لحمتها وغذيت به ، ولعل نظرة الاسلام الى علم الوراثة تتضح جليا من هذا الحوار الذى دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمضم بن قتادة اذ قال : يارسول الله ان امرأتى ولدت غلاما أسود . قال : (هل لك من ابل ؟ .) قال : نعم . قال : فما ألوانها ؟ . قال : حمرة قال : هل فيها من أورق ـ فى لونه سواد ـ قال : نعم . قال : فأنى ذلك ؟ . قال : لعله نزعة عرق . قال : فلعل ابنك هذا نزعة عرق رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة (١) .

وبهذا نرى أن تلك البويضة الملقحة التى نقلت الى رحم أنثى غير الانسان تأخذ منه مالا تكاك لها منه ان قدرت لها الحياة والدبيب على الأرض ، وبذلك ان تم فصاله ودرج هذا المخلوق على صورة الانسان لا يكون انسانا بالطبع والواقع ومن يفعل هذا يكون قد أفسد خليفة الله فى أرضه ومن القواعد التى أصلها فقهاء الاسلام أخذا من مقاصد الشريعة أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح لأن اعتناء الشرع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات ، يدل على هذا قول الله سبحانه : (**.. فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**اذا امرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه**)(٢)

واذ كان فى التلقيح بهذه الصورة مفسدة أى مفسدة فإنه يحرم فعله

عن السؤال الخامس :

تقدم القول بجواز التلقيح بالطريقة المبينة فى السؤال الاول وبالطريقة المبينة كذلك فى الفقرة الاولى من السؤال الرابع بشرط التحقق قطعا من تلقيح بويضة الزوجة بمنى زوجها دون غيره ودون اختلاطه بمنى رجل آخر أو منى أى حيوان وبشرط وجود داع وضرورة لسلوك واحد من هذين الطريقين كأن يكون بأحد الزوجين مانع يعوق الحمل عند اختلاطهما عضويا .

وتقدم القول كذلك بأن باقى طرق التلقيح المطروحة فى هذه التساؤلات محرمة ، اما لأنها فى معنى الزنا واما درءا للمفاسد التى تحملها .

لما كان ذلك فان الزوج الذى يتبنى أى طفل انفصل وكان الحمل به باحدى الطرق المحرمة لا يكون ابنا له شرعا لأنه مشكوك فى أبوته له ، بل يكون مقطوعا بنفيه حين تكون النطفة من رجل آخر أو حيوان وبهذا يكون أشد نكرا من التبنى بمعنى أن ينسب الانسان الى نفسه ولدا يعرف قطعا أنه ابن غيره ، لأنه مع هذا المعنى قد التقى مع الزنا والزوج الذى يقبل أن تحمل زوجته نطفة غيره سواء بالزنا الفعلى أو بما فى معناه كهذا التلقيح رجل فقد كرامة الرجال ومن ثم فقد سماة الاسلام ديوثا وهذا هو شأن الرجل الذى يستبقى زوجة لقحت من غيره بواحد من هذه الطرق المحرمة التى لا تقرها الشريعة لأنها تبتغى فى أحكامها كمال بنى الانسان ونقاءهم . هذا والتبنى على

---

(١) بلوغ المرام لابن حجر العسقلانى وشرحه سبل السلام للصنعانى جـ ٣ ص ٢٤٦ فى باب اللعان .

(٢) الاشباه والنظائر لابن نجيم الحنفى فى القاعدة الرابعة .

التلقيح الصناعي .. والإجهاض

اى صورة قد حرمه القرآن فى محكم آياته كما تقدم القول فى ذلك .

عن السؤال السادس :

لما كان ماتقدم كان كل طفل ناشىء بالطرق المحرمة قطعا من التلقيح الصناعي حسبما تقدم بيانه لقيطا لا ينسب الى أب جبرا وانما ينسب لمن حملت به ووضعته باعتباره حالة ولادة طبيعية كولد الزنا الفعلى تماما إذ ينسب لأمه فقط .

واننا نضع أمام الأزواج حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية المتلاعنين (١) .

(أيما امرأة ادخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولم يدخلها الله جنته . وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه — أى يعلم انه ولده — احتجب الله عنه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين) .

هذا قضاء الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (.. **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (٢)) .

عن السؤال السابع :

ما هو وضع الطبيب الذى يجرى التلقيح بهذه الصورة ؟ .

(١) بلوغ المرام وشرحه سبل السلام ص ٢٤٦ جـ ٣ فى باب اللعان .

(٢) من الآية رقم ٦٣ من سورة النور .

إن الاسلام أباح التداوى من العلل والأمراض ففى الحديث الشريف الذى رواه ابن ماجه والترمذى وصححه عن أسامه ابن شريك قالت الأعراب يا رسول الله الا نتداوى ؟ . قال : نعم . عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء إلا وضع لشفاء أو دواء إلا داء واحدا قالوا يا رسول الله وما هو ؟ قال : الهرم ، وفى صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكل داء دواء فاذا أصيب دواء الداء برىء بإذن الله (٣) .

لما كان ذلك وكان التداوى بالمباح أمرا جائزا فى الاسلام ، بل قد يصير واجبا حفظا لنفس الانسان من الهلاك، فإن الطبيب هو الوسيلة الى التداوى بتشخيص الداء ووصف الدواء تبعا لخبرته وتجربته وعلمه ومن ثم كانت مسئوليته إذا قصر أو أهمل أو سلك طريقا محرما فى الاسلام .

واذا كان الطبيب هو الخبير الفنى فى اجراء التلقيح الصناعي أيا كانت صورته تعين أن ينظر الى كل صورة يجريها حتى يتحدد وضعه ومسئوليته شرعا ، فان كانت الصورة مما تبين تحريمه قطعا على الوجه المبين فى الأجوبة عن الاسئلة الثانى والثالث والفقرة (ب) من السؤال الرابع كان الطبيب آثما وفعله محرما، لأن الاسلام اذا حرم شيئا حرم الوسائل المفضية اليه حتى لا يكون ذريعة للتلبس بالمحرم ولقد أشار القرآن الكريم والسنة

(٣) منتقى الاخبار وشرحه نيل الاوطار للشوكانى فى باب اباحة التداوى جـ ٨ ص ٢٠٠ .

النبوية الشريفة الى أساس قاعدة سد الذرائع بتحريم الوسائل المؤدية الى المحرم فهذا قول الله تعالى : (١) (.. وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ..) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى رواه أربعة من صحابته **(لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعهاوعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه) (٢)** .

ففى الآية الكريمة تأصيل لقاعدة سد الذرائع فقد نهت عن سب آلهة المشركين حتى ليعتدوا ويتخذوا هذا ذريعة لسب الله ورسوله وفى الحديث الشريف دليل على أن من أعان على محرم كان آثما بإثم مرتكبه ولقد حرم الاسلام النظر الى محاسن المرأة الاجنبية أو الخلوة بها لأن الخلوة والنظرة من وسائل الوقوع فى المحرم وهو الزنا ، كما حرم على المسلم المشى الى مكان ترتكب فيه الكبائر كحانة الخمر أو بيت القمار حتى لا يقع فيه ومن هذا القبيل جاء الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ . قال : يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه ويسب أمه فيسب امه)** .

واذ كان ذلك وكانت هذه النصوص وغيرها من القرآن الكريم والسنة الشريفة قد وضعت أصلا قويما فى سد الذرائع ، فمتى أدى العمل أو الوسيلة الى محرم صار محرما كذلك .

لما كان ذلك فاذا أعلن الطبيب بعلمه وعمله فى التلقيح الصناعى على حصوله بالصور غير المشروعة بل والمحرمة بالبيان السالفه يكون آثما اذ — كما تقدم — ما كان وسيلة للمحرم يكون محرما شرعا ويكون كسبه فى هذه الحال كسبا محرما غير مشروع وعليه أن يقف عند الحد المباح وهو منحصر فى تلقيح بويضة زوجة بنطفة زوجها بادخالها رحمها ، أو باستبقائها بعد التلقيح فى (أنبوبة) الى حين ثم تستدخل فى رحم ذات الزوجة ، كما هو مبين فى الجواب عن السؤال الاول والفقرة الاولى (١) من السؤال الرابع وبالشروط المبينة فيهما .

اذا تم ذلك كان العمل مشروعا لا اثم فيه ولا حرج ولاحذر من اختلاط الأنساب أووقوعه فى دائرة الزنا لأن التحقيق تام من أن المنى والبويضة الملقحين للزوجين فقط لم يختلطا بمنى انسان آخر أو منى حيوان ، وبهذا يقع فى دائرة اباحة التداوى التى قد تكون سبيلا للرزق بولد شرعى تمتد به ذكرى والديه بعد مماتهما ومن بعد أن تكتمل به سعادتهما النفسية والاجتماعية فى هذه الحياة ، وقد تدوم وتتأكد بينهما المودة والرحمة بهذا المولود الشرعى .

هذا ولايغيب عن البال أن الاسلام فى تكريمه للانسان والحفاظ على نوعه واستمرار نسله يعمر الارض الى أن يشاء الله حريصا على أن يعيش فى أسرة متوادة متحابة متعارفة لا جماعات تقطعت أوصالها وانحلت عصباتها وغاضت أرحامها ، فهو يأمر بتكوين الأسرة ويتحمل الوالدين عبء أولادهما صغارا من

---

(١) من الآية ١٠٨ من سورة الانعام .

(٢) رواه ابو داود — المنتخب من السنة المجلد التاسع من مطبوعات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

التلقيح الصناعي ..
.. والإجهاض ..

التعليم والتربية الجسدية والنفسية والعلمية وطرق اكتساب المال الحلال ويضع على عاتق الأب ولاية النظر الدائم في مصلحة أولاده وإن ارتفعت ولاية الجبر عليهم ومن هذه الولاية أن يكسبهم خبرته في الحياة ويتولى النصح والإرشاد .

ومن هنا لايجوز في نطاق الإسلام الانطلاق في عمل التلقيح الصناعي بمعنى نقل منى الرجل أي رجل وتلقيحه ببويضة امرأة أي امرأة ، لأن تلك تجارب تصلح لتحسين السلالات ومحلها بين أنواع مختلفة من الحيوان لاتعرف لها أبا ومن النبات تسبق سيقانه حاطة وفير الثمرات وذلك أمر مشروع ومن هنا كان القول الحكيم القديم :

« اليتيم من ابن آدم من مات أبوه ، ومن الحيوان من ماتت أمه » .

فإذا نحن انطلقنا في مجال التلقيح الصناعي في الانسان وانشأنا مستودعا (بنكا) تستحلب فيه نطف الرجال الأذكياء أو ذوى الأجسام الأقوياء لتلقح بها أنثى رشيقة القوام سريعة الفهم لاثراء الصفات في الجنس البشرى ، كان

هذا شرا مستطيرا على نظام الأسرة ونذير انتهاء الحياة الأسرية كما أرادها الله فمن باب سد الذرائع وحفظا لروابط الأسرة وصونا للأنساب يحرم الإسلام الانطلاق في التلقيح الصناعي لتوالد الأنساب ولا يجيزه ــ كما سبق ــ إلا بين الزوجين بالشروط المتقدم بيانها .

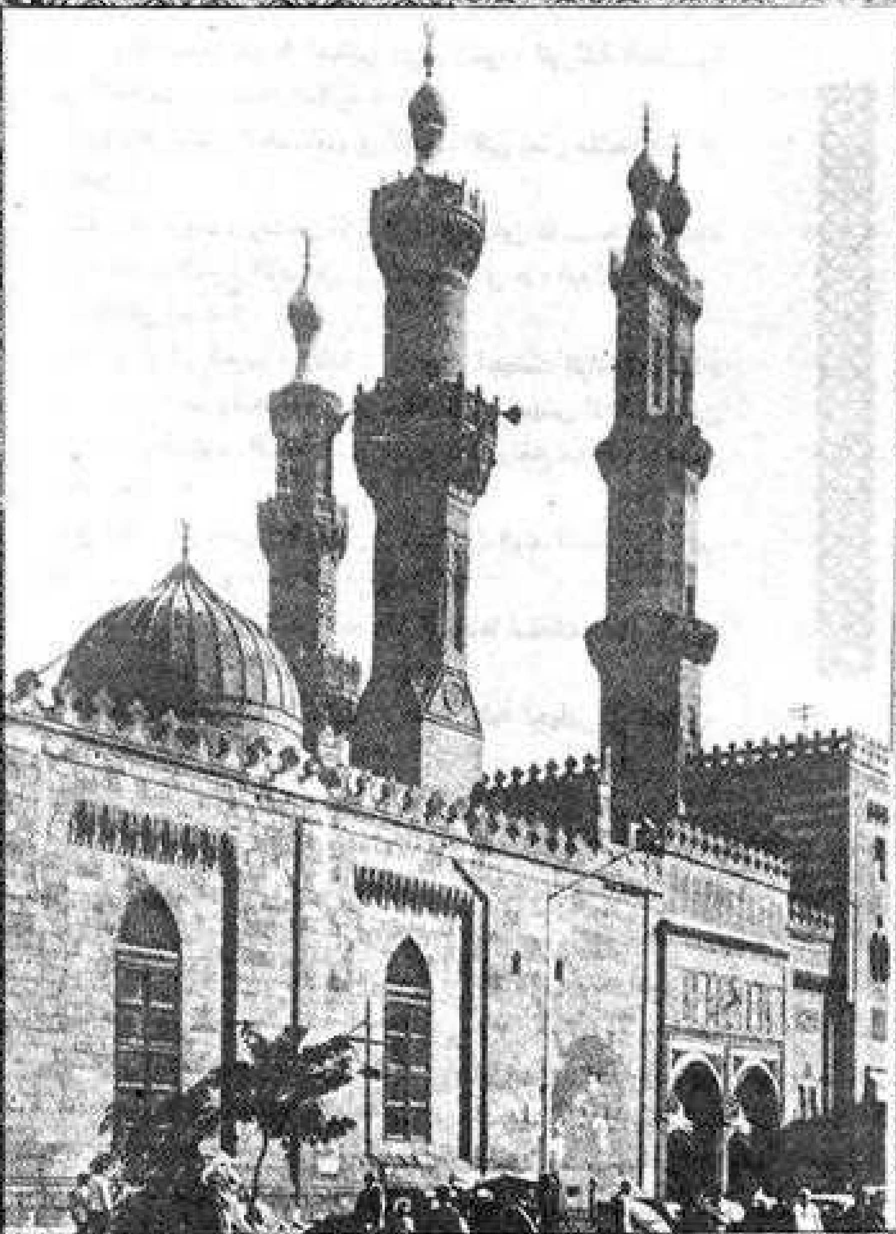
وبديلا لهذه البنوك وجه الاسلام الانسان الى المحافظة على قوة نسله وسلامة نفسه وجسده وذلك باحسان اختيار كل من الزوجين للآخر والى الاغتراب في الزواج بمعنى ترك الزواج بين ذوى القربى القريبة حتى لايضوى النسل ويضعف كما قال عمر بن الخطاب ناصحا احدى القبائل (قد أضويتم فانكحوا الغرائب) وقيل قديما (بنات العم أصبر والغرائب أنجب) هذه هي المعايير المشروعة التي يقرها الاسلام للحفاظ على النسل ــ نسل الانسان . سليما قويا لاتلك التي يتنادى بها بعض الناس مقلدين أقواما أغوتهم المادية وانغمسوا فيها وتحللوا من كل قيم الدين ، فحسبوا الانسان ونسله مزرعة تجارب كأي مزرعة للنبات أو الحيوان مع أن الله قد كرم الانسان وأعلى قدره وسخر له مافي السموات والأرض .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (١) .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) الآيتان ٢٤ ، ٢٥ من سورة الانفال .



ثانياً: الإجهاض

(١) هل يجوز شرعا اجهاض المرأة للعيوب الوراثية الخطيرة التى لاتتلاءم مع الحياة العادية ؟

(ب) وهل يجوز الاجهاض فى العيوب التى يمكن علاجها طبيا او جراحيا ؟ ·

(جـ) توجد عيوب تورث من الاب أو الام للذكور فقط أو الاناث فقط · ماحكم الشرع الاسلامى فى الاجهاض فى هذه الحالات ؟

الاجهاض لغة :

جاء فى لسان العرب فى مادة : جهض / أجهضت الناقة اجهاضا ، وهى مجهض ألقت ولدها لغير تمام ويقال للولد مجهض اذا لم يستبن خلقه ، وقيل الجهيض السقط الذى قد تم خلقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش ·

وفى القاموس : الجهيض والمجهض : الولد السقط او ما تم خلقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش ·

وفى المصباح : اجهضت الناقة والمرأة ولدها اسقطته ناقص الخلق فهى جهيض وجهيضه بالهاء ، وقد تحذف ·

وعبارة المصباح تشير الى جواز استعمال كلمة اجهاض فى الناقة والمرأة على السواء ·

الاجهاض عند الفقهاء :

جرت عبارة فقهاء المذاهب عدا الشافعية والشيعة الجعفرية على استعمال كلمة اسقاط فى المعنى اللغوى لكلمة اجهاض ، وبهذا يكون الاسقاط عند الفقهاء الذين درجوا على استعمال هذا اللفظ معناه القاء المرأة جنينها قبل أن يستكمل مدة الحمل ميتا أو حيا دون أن يعيش وقد استبان بعض خلقه بفعل منها كاستعمال دواء أو غيره أو بفعل من غيرها ·

حكم الاجهاض دينا وهل يأثم من يفعله ؟ ·

قال فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة (١) :

يباح اسقاط الحمل ، ولو بلا اذن الزوج ، قبل مضى أربعة أشهر ، والمراد قبل نفخ الروح وهذا لايكون الا بعد هذه المدة ، وفى باب الكراهة من الخانية : ولا أقول بالحل ، اذ المحرم لو كسر بيض الصيد ضمنه ، لأنه أصل الصيد ، فلما كان مؤاخذ بالجزاء فلا أقل من

(١) حاشية رد المحتار لابن عابدين جـ ٢ ص ٤١١ وفتح القدير للكمال بن الهمام جـ ٢ ص ٤٩٥ ·

أن يلحق المرأة اثم هنا اذا اسقطت من غير عذر ، كأن ينقطع لبنها بعد ظهور الحمل وليس لأبى الصبى مايستأجر به المرضع ويخاف هلاكه (١) .

وهل يباح الاسقاط بعد الحبل ؟ .

يباح مالم يتخلق منه شيء وقد قالوا فى غير موضع : ولايكون ذلك الا بعد مائة وعشرين يوما ، وهذا يقتضى أنهم أرادوا بالتخلق نفخ الروح ، وفى قول لبعض فقهاء المذهب انه يكره وان لم يتخلق لأن الماء بعد ما وقع فى الرحم مآله الحياة ، فيكون له حكم الحياة كما فى بيضة صيد الحرم ونحوه . قال ابن وهبان: اباحة الاسقاط محمولة على حالة العذر أو أنها لا تأثم اثم القتل .

وفى فقه مذهب الامام مالك (٢) :

لايجوز اخراج المنى المتكون فى الرحم ولو قبل الاربعين يوما ، واذا نفخ فيه الروح حرم اجماعا ، هذا هو المعتمد وقيل يكره اخراجه قبل الأربعين ، وهذا يفيد أن المراد فى القول الأول بعدم الجواز التحريم ، كما يفيد النقل جميعه : أنه ليس عند المالكية قول بإباحة اخراج الجنين قبل نفخ الروح فيه ، فبعده بالأولى ، ونص ابن رشد : على أن مالكا استحسن فى اسقاط الجنين الكفارة ولم يوجبها لتردده بين العمد والخطأ واستحسان الكفارة يرتبط بتحقق الاثم .

وفى فقه مذهب الامام الشافعى (٢) :

اختلف علماء المذهب فى التسبب فى اسقاط الحمل الذى لم تنفخ فيه الروح ، وهو ما كان عمره الرحمى مائة وعشرون يوما ، والذى يتجه الحرمة ، ولا يشكل عليه العزل لوضوح الفرق بينها ، بأن المنى حال نزوله لم يتهيأ للحياة بوجه بخلافه بعد الاستقرار فى الرحم وأخذه فى مبادىء التخلق وعندهم أيضا : اختلف فى النطفة قبل تمام الاربعين على قولين : قيل لايثبت لها حكم السقط والوأد وقيل لها حرمة ولا يباح افسادها ولا التسبب فى اخراجها بعد الاستقرار ، وفى تعليق لبعض الفقهاء : قال الكرابيسى : سألت أبا بكر بن ابى سعيد الفراتى عن رجل سقى جاريته شرابا لتسقط ولدها فقال مادامت نطفة أو علقة فواسع له ذلك ان شاء الله وفى احياء علوم الدين للغزالى فى التفرقة بين الاجهاض والعزل أن ماقبل نفخ الروح يبعد الحكم بعدم تحرمه أما فى حالة نفخ الروح فما بعده الى الوضع فلا شك فى التحريم وأما ماقبله فلايقال انه خلاف الأولى .

بل يحتمل للتنزيه والتحريم ويقوى التحريم فيما قرب من زمن النفخ لأنه جريمة .

(١) من الاعذار المبيحة للاجهاض شعور الحامل بالهزال والضعف من تحمل اعباء الحمل لا سيما اذا كانت ممن يضعن بغير طريقه الطبيعى (الشق الجانى) المعروف الآن بالعملية القيصرية ، فهذا وامثاله يعتبر عذرا شرعا مبيحا لاسقاط الحمل قبل نفخ الروح دون اثم او جزاء جنائى شرعى .

(٢) حاشية الدسوقى على شرح الدردير جـ٢ ص ٢٦٦ وبداية المجتهد جـ ٢ ص ٣٤٨ .

(٢) حاشية البيجرمى على الاقناع جـ ٤ ص ٤٠ وحاشية الشبراملسى على نهاية المحتاج .

التلقيح الصناعي .. والإجهاض

وفي فقه مذهب الامام احمد بن حنبل (١) :

أنه : يباح للمرأة القاء النطفة قبل أربعين يوما بدواء مباح . ويؤخذ من هذا أن الاجهاض بشرب الدواء مباح في هذه الفترة حكمه الاباحة ونقل ابن قدامة في المغني:أن من ضرب بطن امرأة فالقت جنينا فعليه كفارة وغرة واذا شربت الحامل دواء فالقت به جنينا فعليها غرة وكفارة ، ومقتضى وجوب الكفارة أن المرأة آثمة فيما فعلت ويؤخذ من النصوص التى ساقها ابن قدامة أن الضمان لايكون الا بالنسبة للجنين الذى ظهرت فيه الروح على الصحيح.

وفي فقه المذهب الظاهري (٢) :

أن من ضرب حاملا فأسقطت جنينا فان كان قبل الأربعة الأشهر وقبل تمامها فلا كفارة في ذلك لكن الغرة واجبة فقط لأن رسول الله حكم بذلك ، لأنه لم يقتل أحد لكنه أسقط جنينا فقط واذا لم يقتل أحدا فلا كفارة في ذلك ، ولايقتل الا ذو الروح وهذا لم ينفخ فيه الروح بعد ، ومقتضى ذلك حدوث الاثم على مذهبهم في الاجهاض بعد تمام الأربعة الأشهر ،اذ أوجبوا الكفارة التى لاتكون الا مع تحقق الاثم ولم يوجبوها في الاجهاض قبل ذلك .

(١) الروض المربع باب العدد ص ٤٤٧ والمغنى لابن قدامة جـ ٨ في كتاب الديات .

(٢) المحلى لابن حزم جـ ١١ ص ٣٥ — ص ٤٠ .

وفي فقه الزيدية (٣) :

لاشىء فيما لم يستبين فيه التخلق كالمضغة والدم ، ولا كفارة في جنين ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالغرة ولم يذكر كفارة ، ثم ان ما خرج ميتا لم يوصف بالايمان واذا خرج حيا ثم مات ففيه الكفارة ، ومقتضاه وجود الاثم في هذه الجزئية .

وفي فقه الشيعة الامامية (٤) :

انه تجب الكفارة بقتل الجنين حين تلجه الروح كالمولود ، وقيل مطلقا سواء ولجت فيه الروح أم لم تلج فيه الروح .

وفي فقه الاباضية (٥) :

أنه ليس للحامل أن تحمل مايضر بحملها من أكل أو شرب ، كبارد وحار ورفع ثقيل فان تعمدت مع علمها بالحمل لزمها الضمان والاثم والا فلا اثم .

ونخلص من أقوال فقهاء تلك المذاهب في هذا الموضع الى أن في مسألة الاجهاض قبل نفخ الروح في الجنين أربعة أقوال :

الأول : الاباحة مطلقا من غير توقف على وجود عذر وهو قول فقهاء الزيدية ويقرب منه قول فريق من فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة وان قيده فريق آخر منهم بأن الاباحة مشروطة لوجود عذر ، وهو مانقل أيضا عن بعض فقهاء الشافعية .

الثاني : الاباحة لعذر أو الكراهة عند انعدام العذر وهو ماتفيده أقوال فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة وفريق من فقهاء مذهب الامام

(٣) البحر الزخار جـ ٥ ص ٢٦٠ و ٢٥٧ .

(٤) الروضة البهية جـ ٢ ص ٤٤٥ .

(٥) شرح النيل جـ ٨ ص ١١٦ ، ١٢١ .

الشافعي .

الثالث : الكراهة مطلقا وهو رأى بعض فقهاء مذهب الامام مالك .

الرابع : الحرمة وهو المعتمد عند المالكية والمتفق مع مذهب الظاهرية فى تحريم العزل

حكم الاجهاض بعد نفخ الروح وعقوبته الجنائية شرعا :

تدل أقوال فقهاء المذاهب (١) جميعا على أن اسقاط الجنين ، دون عذر ، بعد نفخ الروح فيه أى بعد الشهر الرابع الرحمى ، محظور . وقد نصوا على أنه تجب فيه عقوبة جنائية ، فاذا — أسقطت المرأة جنينها وخرج منها ميتا بعد أن كانت الروح قد سرت فيه ، وجب عليها ما أطلق عليه الفقهاء اصطلاح (٢) الغرة وكذلك الحكم اذا أسقطه غيرها وانفصل عنها ميتا ولو كان أبوه هو الذى أسقطه ، وجبت عليه الغرة أيضا ، وبعض الفقهاء أوجب مع ذلك كفارة .

ومقتضى هذا أن هناك اثما وجريمة فى اسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه ، وهذا حق ، لأنه قتل انسان وجدت فيه الروح الانسانية ،فكان هذا الجزاء الدينى بالاثم وفيه الكفارة ، والجزاء الجنائى بالتحريم وهو الغرة .

اما اذا قامت ضرورة تحتم الاجهاض كما اذا كانت المرأة عسرة الولادة ورأى الأطباء المختصون أن بقاء الحمل فى بطنها ضار بها ، فعندئذ يجوز الاجهاض ، بل يجب اذا كان يتوقف عليه حياة الأم عملا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين وأهون الشرين ولامراء فى أنه اذا دار الامر بين موت الجنين وموت أمه كان بقاؤها أولى لأنها أصله ، وقد استقرت حياتها ولها حظ مستقل فى الحياة .

كما أن لها وعليها حقوقا ، فلا يضحى بالأم فى سبيل جنين لم تستقل حياته ولم تتأكد .

وهناك تفصيلات فى فقه المذاهب فى اسقاط الجنين ونزوله حيا ثم موته وفى التسبب فى الاسقاط وفى موت الأم بسبب الاسقاط ومتى تجب الدية أو الغرة والكفارة فى بعض الصور ، ولمن أراد الاستزادة فى هذه الاحكام أن يطالعها فى كتاب الديات فى فقه المذاهب .

واذ قد تبينا من هذا العرض الوجيز : أقوال الفقهاء فى شأن اباحة الاجهاض أو عدم اباحته فيما قبل تمام الأربعة الأشهر الرحمية ، وفيما بعدها والجزاء الدينى والجنائى الدنيوى شرعا فى كل حال كما تبينا جواز الاجهاض اذا كان هناك عذر سواء قبل نفخ الروح أو بعدها .

فهل يدخل فى الأعذار المبيحة للاجهاض

١ — فى الفقه الحنفى — حاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار جـ ٥ ص ٤١٠ و٤١٣ وفتح القدير للكمال بن الهمام على الهداية جـ ٤ ص ١٥٣ — وفى الفقه المالكى حاشية الدسوقى وشرح الدردير جـ ١ ص ٢٦٨ وبداية المجتهد جـ ٢ ص ٣٤٧ وفى الفقه الشافعى نهاية المحتاج جـ ٧ ص ٣٦٠ و ٣٦٤ — وفى الفقه الحنبلى — المغنى لابن قدامة فى كتاب الديات جـ ٨ وفى الفقه الظاهرى المحلى لابن حزم جـ ١١ص ٣٧ — ٤٦ — وفى الفقه الزيدى — البحر الزخار جـ ٧ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ وفى فقه الامامية — الروضة البهية جـ ٢ ص ٤٤٤ و ٤٤٥ وفى الفقه الاباضى — شرح النيل جـ ٨ ص ١١٩ وص ١٢١ .

٢ — الغرة تساوى نصف عشر الدية الكاملة أى ما يقابل ٥٪ من الدية التى قدرها جمهور الفقهاء بألف دينار او عشرة الاف درهم سواء فى ذلك ما اذا ما كان السقط ذكرا او انثى ، والدينار من الذهب يساوى وزنا الآن ٤/٢٥٠ جراما والدرهم من الفضة يساوى وزنا الآن ٢/٩٧٥ جراما ، ثم يحتسب السعر وقت الحادث موضوع التغريم بالغرة .

التلقيح الصناعي .. والإجهاض .

ما يكشفه العلم بالأجنة من عيوب خلقية أو مرضية وراثية تعالج بالجراحة أولا تعالج على نحو ما جاء بالصور المطروحة بالسؤال ؟ .

قبل الاجابة على هذا ينبغي أن نقف على الحكم الشرعي في وراثة الأمراض وغيرها .

حكم الاسلام في وراثة الأمراض والصفات والطباع وغيرها :

إن وراثة الصفات والطباع والأمراض وتناقلها بين السلالات ـ حيوانية ونباتية ـ وانتقالها مع الوليد والى الحفيد أمر قطع به الاسلام (.. **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ** ..) (١)؟ وكشف العلم عنه . يدلنا على هذه الحقيقة نصائح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوجيهاته في اختيار الزوجة فقد قال : **(تخيروا لنطفكم ..) (٢) وقال : (اياكم وخضراء الدمن وهى المرأة الحسناء في منبت السوء) (٣) .**

وتفسر معاجم اللغة لفظ (الدمن) بأنه ما تجمع وتجمد من روث الماشية وفضلاتها ، فكل ما نبت في هذا الروث وان بدت خضرته ونضرته الا أنه يكون سريع الفساد ، وكذلك المرأة الحسناء في المنبت السوء تنطبع على ما طبعت عليه لحمتها وغذيت به .

ومن هذا القبيل تحريم أكل لحم السباع وغيرها من الحيوانات سيئة الطباع والمتوحشة منعا لانتقال طباعها وصفاتها الى الانسان .

ولعل نظرة الاسلام الى علم الوراثة تتضح جليا من هذا الحوار الذى دار بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين رجل من بنى فزارة اسمه ضمضم بن قتادة حين قال(٤) هذا الرجل : ان امرأتى ولدت غلاما أسود وهو بهذه العبارة يعرض بأن ينفى نسب هذا الولد اليه ـ فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (هل لك من ابل) ؟ . قال : نعم ، قال ما ألوانها ؟ . قال : حمر . قال : (فهل فيها من أورق) ؟ . (أى لونه لون الرماد) قال : نعم . قال : أنى ترى ذلك ؟ . قال : أراه نزعة عرق . قال : فلعل هذا نزعة عرق) .

قال الشوكاني في نيل الأوطار (٥) في شرح هذه العبارة الأخيرة : المراد بالعرق الأصل من النسب تشبيها بعرق الشجر ومنه قولهم فلان عريق في الأصالة أى أن أصله متناسب .

وهذا عمر بن الخطاب الخليفة الثاني في الاسلام يقول (٦) لبني السائب وقد اعتادوا التزوج بقريباتهم قد أضويتم (٧) فانكحوا الغرائب ومعناه تزوجوا الغرائب ، ويقال اغربوا ولا تضووا ، وهذا دليل على أن الزواج

---

(١) من الآية ١٤ من سورة الملك .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ ٩ ص ١٠٢ في باب أى نساء خير .

(٣) رواه الدار قطني من حديث ابى سعيد الخدرى احياء علوم الدين للغزالى جـ ٤ ص ٧٢٤ .

(٤) هذا الحديث متفق عليه ـ شرح السنة للبغوى باب الشك في الولد برقم ٢٣٧٧ جـ ٩ ص ٢٧٣ وبلوغ المرام لابن حجر العسقلاني وشرحه سبل الاسلام للصنعاني جـ ٣ ص ٢٤٦ في باب اللعان .

(٥) جـ ٦ ص ٢٧٨ باب النهى عن ان يقذف زوجته لانها ولدت ما يخالف لونهما .

(٦) المغنى عن حمل الاسفار في تخريج ما في الأحياء من الاخبار للحافظ العراقى المطبوع على هامش احياء علوم الدين للغزالى ص ٧٢٤ في كتاب اداب النكاح .

(٧) في المصباح المنير : ضوى الولد من باب تعب اذا صغر جسمه وهزل واضويته اضعفته

بين ذوى القربى مؤد الى الضمور والضعف ؛ ومن أجل هذا كان توجيه عمر بالزواج من غير القريبات حتى لا تتكاثر الصفات أو الأمراض الموروثة المتداولة في سلالة واحدة ، فتضعف الذرية بوراثة الأمراض .

ولم يفت علم الوراثة أئمة الفقه الاسلامي، فان الامام الشافعي رضوان الله عليه لما قال بجواز فسخ الزواج بسبب الجذام والبرص، كان مما أورده تعليلا لهذا : أن الولد الذي يأتي من مريض بأحد هذين الدائين قلما يسلم ، وان سلم أدرك نسله .

قال العلامة ابن حجر الهيثمي في تحفة (١) المحتاج بشرح المنهاج في نقل تعليل الامام الشافعي : والجذام والبرص يعديان المعاشر والولد أو نسله كثيرا كما جزم به في الأم وحكاه عن الأطباء المجربين في موضع آخر .

واذا كان ذلك هو ما جرى به فقه الاسلام إما صراحة كهذا النقل عن الامام الشافعي أو ضمنا واقتضاء لنصوص الفقهاء في مواضع متعددة وكان سنده ماجاء في نصوص القرآن والسنة الشريفة من تحريم أكل بعض الحيوانات وما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم في العديد من أحاديثه الشريفة عن هذه الوراثة حسبما مضى من القول كان انتقال بعض الآفات الجسدية والنفسية والعقلية من الأصول الى الفروع حقيقة واقعة لامراء فيها .

وقد أثبت العلم بوسائله الحديثة أن أنواعا من الأمراض تنتقل من المصاب بها الى سلالته وأنها اذا تخطت الولد ظهرت في ولد الولد أو في الذرية من بعده ، فالوراثة بانتقال بعض الأمراض والطباع والصفات من الأصول الى الفروع والأحفاد صارت واقعا مقطوعا به ، أو على الأقل ظنا راجحا بالاستقرار والتجارب واذا كان انتقال بعض الأمراض والعيوب الجسدية وراثة من الأصول للفروع على هذا الوجه من الثبوت الشرعي والعلمي ، فهل يجوز التعقيم نهائيا بمعنى منع الصلاحية للانجاب لمن يثبت اصابته من الزوجين أو كليهما بمرض لابرء منه ، وكان من خصائصه وسماته الانتقال بالوراثة ؟ . وهل يجوز الاجهاض ، بمعنى اسقاط الجنين ، اذا اكتشفت عيوبه الخطيرة التي لا تتلاءم مع الحياة العادية .

وهل يجوز الاجهاض اذا كانت هذه العيوب يمكن أن يعيش بها الجنين بعد ولادته حياة عادية ؟

وهل يجوز الاجهاض اذا كانت العيوب من الممكن علاجها طبيا أو جراحيا ؟ أولا يمكن علاجها حاليا ؟ ثم العيوب التي تورث من الأب أو الأم للأجنة الذكور فقط أو للاناث فقط ، هل يجوز الابقاء على السليم واجهاض المعيب ؟ .

للاجابة على هذه التساؤلات نعود الى القرآن الكريم والى السنة الشريفة فلا نجد في أى منهما نصا خاصا صريحا يحرم التعقيم، بمعنى جعل الانسان ذكرا كان أو أنثى — غير صالح للانجاب نهائيا وبصفة مستمرة بجراحة أو بدواء أو باية وسيلة أخرى لكن النصوص العامة فيهما تأباه وتحرمه بهذا المعنى واعمالا لهذه النصوص قال جمهور الفقهاء ان تعقيم الانسان محرم شرعا اذا لم تدع اليه الضرورة، وذلك لما فيه من تعطيل الانسال المؤدى الى اهدار ضرورة المحافظة على النسل وهي احدى

(١) حواشي تحفة المحتاج بشرح المنهاج جـ ٧ ص ٣٤٧ في باب الخيار في النكاح .

التلقيح الصناعي .. والإجهاض

الضرورات الخمس التي جعلها الاسلام من مقاصده الأساسية في تشريع أحكامه (١) .

اما اذا وجدت ضرورة داعية لتعقيم انسان، كما اذا كان به مرض عقلي او جسدي أو نفسي مزمن عصي على العلاج والدواء ، وهو في الوقت نفسه ينتقل الى الذرية عن طريق الوراثة ، جاز لمن تأكدت حالته المرضية بالطرق العلمية والتجريبية أن يلجأ الى التعقيم الموقوت ، لدفع الضرر القائم فعلا ، المتيقن حدوثه اذا لم يتم التعقيم ، وذلك باتخاذ دواء او أي طريق من طرق العلاج لافساد مادة اللقاح أو باذهاب خاصيتها ، سواء في هذا الذكر والأنثى ونعني باباحة التعقيم الموقوت أن يمكن رفع هذا التعقيم واستمرار الصلاحية للانجاب متى زال المرض .

والى مثل هذا المعنى أشار الفقهاء في كتبهم فقد نقل ابن عابدين (٢) في حاشيته رد المحتار على الدر المختار في الفقه الحنفي عن صاحب النهر انه يجوز للمرأة أن تسد فم الرحم منعا من وصول ماء الرجل اليه لأجل منع الحمل ، واشترط صاحب البحر لذلك اذن زوجها .

ونقل البيجرمي (٣) من فقهاء الشافعية ، أنه : يحرم استعمال ما يقطع الحمل من أصله ، اما ما يبطىء الحمل مدة ولا يقطعه فلا يحرم بل ان كان لعذر كتربية ولده لم يكره والا كره .

وقد فرق الشيراملسي الشافعي (٤) بين ما يمنع الحمل نهائيا وبين ما يمنعه مؤقتا وقال : بتحريم الأول وأجاز الثاني باعتبار شبيها بالعزل في الاباحة .

وصرح الرملي الشافعي نقلا عن الزركشي بأن استعمال ما يمنع الحمل قبل انزال المني حالة الجماع مثلا لا مانع منه (٥) .

وقال القرطبي المالكي في كتابه الجامع لأحكام القرآن : ان النطفة لا يتعلق بها حكم اذا ألقتها المرأة قبل أن تستقر في الرحم.

هذه النصوص تشير بلا شك الى تحريم التعقيم النهائي المانع للانجاب حالا ومستقبلا أما التعقيم المؤقت بمعنى وقف الحمل فتجيزه تلك النصوص وغيرها .

ذلك لأن التطور العلمي والتجريبي دل على أن هناك أمراضا قد تبدو في وقت ما مستعصية على العلاج ، ثم يشفى منها المريض في الغد القريب أو البعيد ، اما لعوامل ذاتية واما بتقدم وسائل العلاج من الأدوية والجراحة وغيرهما وعندئذ يمكن رفع التعقيم المؤقت عملا بقاعدة : ما جاز بعذر بطل بزواله .

هذا بالاضافة الى أن التعقيم بمعنى وقف الانجاب مؤقتا بوضع الموانع أو العوامل المفسدة لمادة اللقاح لدى الزوج أو الزوجة أو كليهما بصفة وقتية ، ريثما يتم العلاج أو انتظارا للشفاء من المرض أمر من الأمور التي تدخل في باب التداوي المأمور به شرعا في

---

(١) الموافقات للشاطبي جـ ٢ ص ٨ وما بعدها في مقاصد الشريعة .
(٢) جـ ٢ ص ٤١٢ .
(٣) حاشية الخطيب على الاقناع جـ ٤ ص ٤٠ .

(٤) نهاية المحتاج وحواشيه جـ ٨ ص ٤١٦ .
(٥) ج ١٢ ص ٨ .

أحاديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومنها قوله للاعرابي الذى سأله : أنتداوى يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فان الله لم ينزل داء الا أنزل له شفاء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله (١) . رواه أحمد .

أما عن التساؤلات المطروحة عن الاجهاض فى تلك الصور المبينة فى السؤال فقد تقدم بيان أقوال فقهاء المذاهب فى مراحل الحمل ، ويؤخذ من تلك الأقوال أن الحمل متى استقر رحميا لمدة مائة وعشرين يوما أو أربعة أشهر فقد ثبت بالقرآن والسنة الشريفة نفخ الروح فيه بعد اكتمال هذه السن الرحمية، وبذلك يصير انسانا له حقوق الانسان الضرورية ، حتى جازت الوصية له والوقف عليه ويستحق الميراث ممن يموت من مورثيه ، ويكتسب النسب لأبويه ومن يتصل بهما بشروط مبينة فى موضعها وتكاد كلمة فقهاء المذاهب تتفق على أهلية الحمل لهذه الحقوق الأربعة فله أهلية وجوب ناقصة تجعله قابلا للالزام دون الالتزام .

واذا كان الحمل قد نفخت فيه الروح وصارت له ذاتية الانسان وحقوقه الضرورية ، صار من النفس التى حرم قتلها فى صريح القرآن الكريم فى آيات كثيرة منها قوله تعالى: (.. وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ .. (٢) .

وبهذا الاعتبار ومتى أخذ الجنين خصائص الانسان وصار نفسا من الأنفس التى حرم الله قتلها ، حرم قتله بالاجهاض بأية وسيلة من الوسائل المؤدية الى نزوله من بطن أمه ، قبل تمام دورته الرحمية ، الا اذا دعت ضرورة لهذا الاجهاض ، كما اذا كانت المرأة الحامل عسرة الولادة وقرر الأطباء المتخصصون أن بقاء الحمل ضار بها ، فعندئذ يباح الاجهاض بل أنه يصير واجبا حتما اذا كان يتوقف عليه حياة الأم عملا بقاعدة (٣) يزال الضرر الأشد بالضرر الأخف وبعبارة أخرى : إذا تعارض مفسدتان روعى أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما . ولهذه القاعدة أمثلة كثيرة أوردها الفقهاء . ولاشك أنه اذا دار الأمر بين موت الأم الحامل بسبب الحمل وبين موت هذا الحمل واسقاطه كان الأولى بقاء الأم لأنها الأصل ، ولا يضحى بها فى سبيل انقاذ الجنين، لاسيما وحياة الأم مستقرة ولها وعليها حقوق وهو بعد لم تستقل حياته ، بل هو فى الجملة كعضو من أعضائها ، وقد أباح الفقهاء قطع العضو المتآكل أو المريض بمرض لا شفاء منه حماية لباقى الجسم وبهذا المعيار الذى استنبطه الفقهاء من مصادر الشريعة ، هل تصلح العيوب التى تكتشف بالجنين ، أيا كانت هذه العيوبمبررا لاسقاطه بطريق الاجهاض؟ بعد أن نفخت فيه الروح باستكماله مائة وعشرين يوما رحمية . لاشك أنه متى استعدنا الأحكام الشرعية التى أجملناها فيما سبق نقلا عن فقهاء المذاهب الفقهية جميعا ، نرى أنها قد اتفقت فى جملتها على تحريم الاجهاض

---

(١) منتقى الاخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكانى فى باب اباحة التداوى جـ ٢ ص ٢٠٠
(٢) من الآية ١٥١ من سورة الانعام .

(٣) الاشباه والنظائر لابن نجيم الحنفى المصرى فى القاعدة الخامسة واتحاف الابصار والبصائر بترتيب الاشباه والنظائر فى الحظر والاباحة .

التلقيح الصناعي ..
والإجهاض

بعد نفخ الروح ، حتى أن مذهب الظاهرية قد أوجب القود أى القصاص فى الاجهاض العمد ، وحتى أن قولا فى بعض المذاهب يمنع اسقاطه حتى فى حال اضراره بأمه مساواة بين حياتيهما .

واذ كان ذلك وكان الاجهاض بعد نفخ الروح قتلا للنفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ، لم تكن العيوب التى تكتشف بالجنين مبررا شرعا لاجهاضه أيا كانت درجة هذه العيوب من حيث امكان علاجها طبيا أو جراحيا ، أو عدم امكان ذلك لأى سبب كان اذ قد تقدم القول بأن التطور العلمى والتجريبى دال على أن بعض الأمراض والعيوب قد تبدو فى وقت مستعصية على العلاج ثم يجد لها العلم العلاج والاصلاح وسبحان الله الذى علم الانسان ما لم يعلم ، بل يعلمه بقدر حسب تقدم استعداده ووسائله (**وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**) (١) .

واذا كانت العيوب وراثية أمكن منع انتشارها فى الذرية الالتجاء الى وقف الحمل مؤقتا حسبما تقدم بيانه . أما اكتشاف العيوب المسئول عنها فى الصور المطروحة بالسؤال بالجنين قبل نفخ الروح فيه ، فانه قد تقدم بيان أقوال الفقهاء فى الاجهاض فى هذه المرحلة وأنه يجوز دون حرج عند فقهاء الزيدية وبعض فقهاء المذهب الحنفى وبعض الشافعية الاجهاض لأى سبب ، بل وبدون سبب ظاهر ، لان الجنين عند هؤلاء ـ قبل نفخ الروح فيه لم يأخذ صفة الانسان وخاصية النفس التى حرم الله قتلها .

والذى أختاره وأميل اليه فى الاجهاض قبل استكمال الجنين مائة وعشرين يوما رحميا أنه يجوز عند الضرورة التى عبر عنها الفقهاء بالعذر .

وفى كتب الفقه الحنفى (٢) أن من الأعذار التى تبيح الاجهاض من قبل نفخ الروح انقطاع لبن الأم بسبب الحمل ، وهى ترضع طفلها الآخر وليس لزوجها والد هذا الطفل ما يستأجر به المرضع له ويخاف هلاكه وفى نطاق هذا المثال الفقهى ، واذا لم يمكن ابتداء وقف الحمل بين زوجين ظهر بهما أو بأحدهما مرض أو عيب خطير وراثى يسرى الى الذرية ، ثم ظهر الحمل ، وثبت ثبوتا قطعيا دون ريبة بالوسائل العلمية والتجريبية أن بالجنين عيوبا وراثية خطيرة لاتتلاءم مع الحياة العادية ، وأنها تسرى بالوراثة فى سلالة أسرته جاز اسقاطه بالاجهاض مادام لم تبلغ أيامه الرحمية مائة وعشرين يوما .

---

(١) من الآية ٨٥ من سورة الاسراء .

(٢) حاشية رد المحتار على الدر المختار ج ٢ ص ٤١١ .

أما الأجنة المعيبة بعيوب يمكن علاجها طبيا أو جراحيا ، أو يمكن علاجها حاليا ، والعيوب التى من الممكن أن تتلاءم مع الحياة العادية هذه الحالات لا تعتبر العيوب فيها عذرا شرعيا مبيحا للاجهاض لأنه واضح من فرض هذه الصور أنه لا خطورة منها على الجنين وحياته العادية فضلا عن احتمال ظهور علاج لها تبعا للتطور العلمى .

أما الأجنة التى ترث عيوبا من الأب أو من الأم ، للذكور فقط أو للاناث فقط فيجوز اسقاطها اذا ثبت أنها عيوب وراثية خطيرة

مؤثرة على الحياة مادام الجنين لم يكتمل فى الرحم مدة مائة وعشرين يوما .

ومن هذا يتضح أن المعيار فى جواز الاجهاض قبل استكمال الجنين مائة وعشرين يوما رحميا هو أن يثبت علميا وواقعيا خطورة ما به من عيوب وراثية ، وأن هذه العيوب تدخل فى النطاق المرضى الذى لا شفاء منه وأنها تنتقل منه الى الذرية ، أما العيوب الجسدية كالعمى أو نقص احدى اليدين أو غير هذا ، فانها لا تعتبر ذريعة مقبولة للاجهاض ، لاسيما مع التقدم العلمى فى الوسائل التعويضية للمعوقين .

وأن المعيار فى جواز الاجهاض للحمل الذى تجاوزت أيامه الرحمية مائة وعشرين يوما

وصار بذلك نفسا حرم الله قتلها ، هو خطورة بقائه حملا فى بطن أمه على حياتها سواء فى الحال أو فى المآل عند الولادة كما اذا ظهر هزالها وضعفها عن احتمال تبعات الحمل حتى اكتمال وضعه وكما اذا كانت عسرة الولادة ، أو تكررت ولادتها بما يسمى الآن بالعملية القيصرية ، وقرر الأطباء المختصون أن حياتها معرضة للخطر اذا ولدت هذا الحمل بهذه الطريقة واستمر الحمل فى بطنها الى حين اكتماله .

ويحرم بالنصوص العامة فى القرآن والسنة ــ الاجهاض بعد نفخ الروح فى الجنين بسبب عيوب خلقية أو وراثية اكتشفها الأطباء فيه بوسائلهم العلمية ، لأنه صار انسانا محصنا من القتل كأى انسان يدب على الارض لا يباح قتله بسبب مرضه أو عيوبه الخلقية وسبحان الله الذى كرم الانسان وجعله خليفته ، وصانه عن الامتهان ورسول الاسلام ــ صلى الله عليه وسلم ــ وان ابتغى فى المسلم القوةبقوله:

(المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير) (١) الا انه لم يأمر بقتل الضعيف ، بل أمر بالرحمة به وهذا الجنين المعيب داخل فيمن طلب الرسول صلى الله عليه وسلم شمولهم بالرحمة فى كثير من احاديثه الشريفة .

---

(١) سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٤١ فى باب القدر من ابى هريرة رضى الله تعالى عنه .

التلقيح الصناعى لتوالد الإنسان.. والإجهاض

ما موقف الطبيب من الاجهاض شرعا ؟ ·

لقد قال سبحانه تعليما وتوجيها لخلقه (١) **(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ·**

والطبيب فى عمله وتخصصه من أهل الذكر ، والعلم أمانة ومن ثم كان على الطبيب شرعا أن ينصح لله ولرسوله وللمؤمنين واذا كانت الأعذار المبيحة للاجهاض فى مراحل الحمل المختلفة منوطة برأى الطبيب حسبما تقدم بيانه كان العبء عليه كبيرا ، ووجب عليه الا يعجل بالرأى قبل أن يستوثق بكل الطرق العلمية الممكنة وأن يستوثق بمشورة غيره فى الحالات التى تحتاج للتأنى وتحتمله ·

وقد بين الفقهاء جزاء المتسبب فى اسقاط الحمل جنائيا دنيويا بالغرة أوالدية فى بعض الأحوال وبالاثم دينا على الوجه السابق اجماله ·

هذا وقد حرم القانون الجنائى المصرى الاجهاض وعاقب عليه فى جميع مراحل الحمل (٢) · فالقانون يعاقب المرأة الحامل وكل من تدخل فى إجهاضها إذا رضيت به ، كما يعاقب من يدلها عليه، او يجريه لها أو يعاونها فيه حتى لو كان ذلك برضائها وسواء كان طبيبا أو غير طبيب وذلك مالم يكن الإجهاض قد أجراه الطبيب لغرض العلاج إنقاذا للأم من خطر محقق أو وقاية للأم من حالة تهدد حياتها إذا استمر الحمل وهذه الحالات يقرها الفقه الاسلامى كما تفيده النصوص سالفة الاشارة ·

والله سبحانه وتعالى أعلم ·

جاد الحق على جاد الحق

---

(١) من الآية ٧ من سورة الانبياء .

(٢) المواد ـــ من ٢٦٠ الى ٢٦٤ عقوبات .

منهج الإسلام
فى علاج المشاكل الاجتماعية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، اما بعد : فان المنهجية فى عصرنا الحديث قد احتلت مكانا بارزا فى كل نشاط ثقافى أو اجتماعى أو اقتصادى أو سياسى ، وفى سائر انواع الانشطة البشرية ، وكثر الحديث عن اهميتها كأنها شىء من مبتدعات العصر ، واكتشافات رواد الفكر ، لم يقل به انسان سبق ، ولم يأت به تشريع تقدم .

ان المنهج هو الاسلوب الذى تمارس به الاعمال ، وهو الطريق الذى يضمن الوصول الى الغاية بسلام ، وتشتد الحاجة اليه فى المشاكل المعقدة والقضايا الهامة ، حيث تتبادل الآراء فيختار أدقها وأحسنها ، وتطرح الحلول فيختار أوفقها وأيسرها ويراقب التنفيذ ليكون متساوقا مع التخطيط الموضوع ، وذلك ليؤمن العثار ويختصر الزمن ويوفر الجهد .

ان المنهج يحمل فى طياته معنى النظام وللنظام أهميته الكبرى فى الوجود كله ، فهو الصورة التى أقام الله عليها الكون كله ، علويه وسفليه ، ماديه ومعنويه ، دنيويه



لفضيلة الشيخ عطية صقر
عضو مجمع البحوث الاسلامية

وأخرويه ، وهو السياسة الحكيمة التى سار عليها البشر وسائر من خلق .

قال تعالى : « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ » القمر ٤٩ ، وقال : « وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ » الرعد ٨ .

ومن الأشياء التى ظهر فيها هذا التقدير المحكم ولفت الله نظرنا اليه ما جاء فى قوله سبحانه : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » الانبياء ٣٣ وما جاء موضحا اكثر فى قوله تعالى: « وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم

منهج الإسلام

في علاج المشاكل الاجتماعية

مُظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ، لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » يس ٣٧ ــ ١٠ .

وسياسة الله للبشر قائمة على النظام الدقيق الذى لا يتأثر بهوى شخص ولا باقتراح انسان ولا بتوجيه أية قوة خارجة عن سلطان الله وحده . فكم اقترح الكفار على الانبياء آيات فلم يستجب الله لهم ، لان كل شيء له أجله المعلوم . قال تعالى : « وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ » الرعد ٣٨ وقال : « وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ » المؤمنون ٧١ وقال : « وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » العنكبوت ٥٣ .

واذا كان الله سبحانه قد خلق الكون وسيره حسب نظام دقيق محكم ، فهو يحب لنا أن نكون في حياتنا ملتزمين قانون النظام ، ومهتدين بهديه في علاج مشاكلنا بالذات ، ذلك أن العقل البشرى، على الرغم من قوته الجبارة مشدود بعوامل كثيرة قد تحيد به عن الجادة فيتنكب الطريق المستقيم. وقد رأينا الفلاسفة الذين تحدث عنهم التاريخ واتخذهم الناس قدوة في فكرهم وسلوكهم كانت لهم هنات وقعوا فيها تحت تأثير عقيدة مسيطرة أو عرف غالب ، أو هوى متحكم ، أو قصور نظر لم يحط بكل الظروف علما ، حتى ان بعضهم كان يقول : الحق ما أراه أنا ، والخير هو ما حقق مصلحة لى . ومنهم من حاول اصلاح المجتمع بنظريات مثالية ، تجاهل فيها ظروف الواقع ففشل ، كأفلاطون الذى أخفق في اقامة جمهوريته المثالية على الرغم من اتاحة الفرصة عدة مرات .

ان مشاكل المجتمعات لا تقف عند حد ، ذلك أن طبيعة الحياة هي التغير والتطور ، والمشاكل بالتالى تتكاثر وتتعقد .

والملاحظ أنه كلما جدت في مجتمع اسلامى مشكلة انعقدت المؤتمرات وتبودلت الآراء وطرحت الحلول ، ثم كانت الحصيلة مجرد توصيات أو قرارات ، وكثيرا ما يكون هذا النشاط المكثف لحل المشكلة قائما على أساس النظريات الفلسفية والاجتماعية التى قال بها مفكرو الغرب ، الذين يختلفون عن عالمنا الاسلامى الذى تبحث مشكلته ، يختلفون عنه في عقيدته وعرفه وظروفه ورسالته وسائر أوضاعه . وقل أن يطرح فيها حل قال به الدين وما أدرى أذلك لجهل بالدين أم لتجاهل

له ، ولم هذا التجاهل ؟ هل هو لشعور بأنه نظام قديم لا يصلح للحياة في هذا العصر ، أو بأنه ناقص لم يستوعب مشاكل البشر ، وكيف وقد قال الله سبحانه : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » المائدة ٣ وقال : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ » النحل ٨٩ وقال : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » الاحزاب ٣٦ وقال : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » النساء ٦٥

ومن هنا جاءت الرسالات متتابعة بما يساعد على تقويم الفكر والسلوك ووضع الحل الأمثل لمشاكل الناس ، وكان أول بلاغ من الله لآدم أبي البشر عندما أهبطه الى الأرض « فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ » طه ١٢٣ فاتباع هدى الله والاسترشاد بنظامه يحمي الانسان من ضلال الفكر وسط الآراء البشرية المتشعبة والحلول المختلفة ، ويحميه من الارهاق النفسي والجسمي ، وما ينتج عن ذلك من استحكام العلة وضنك المعيشة .

والقرآن الكريم وهو خاتمة هدايات الله للبشر قرر هذه الحقيقة فقال : « إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ » الاسراء ٩ ودعا الى اتباع منهج الله فقال : « قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » المائدة ١٥ ، ١٦ .

بعد بيان أهمية المنهج الديني لعلاج المشاكل الاجتماعية نقول : ان من أهم خطوط هذا المنهج دراسة المشكلة دراسة وافية تستقصي فيها الاسباب على المستوى الأفقي والعمودي معا ، ذلك أن المشكلة كالمرض ، بل هي في حقيقتها مرض اجتماعي قد تكون من سبب واحد وقد تكون من أسباب متعددة تعاونت على خلقها أو سرعة انتشارها أو طول مقامها فاذا عرفت الاسباب كلها وضع العلاج المناسب لكل سبب ، مع مراعاة أن العوامل حين تكون منفصلة متباعدة تحتفظ بخواصها المميزة لها فاذا التقت وتلاحمت تغيرت الخصائص واكتسبت مميزات أخرى وبالتالي تتغير نتائجها وآثارها ، والحكيم اذا عالج المشكلة لاحظ هذه الظاهرة ملاحظة دقيقة ، ليكون علاجه ناجحا ، فاذا عالج سببا وترك آخر ، أو عالج علاجا ظاهريا دون الغوص الى أعماق المشكلة كان العلاج مبتورا لا يرجى منه الشفاء التام ، واذا كان له بعض الأثر فهو مؤقت تختفي معه العلة زمنا لتبرز في زمن آخر ويخشى أن تكون بعده نكسة للمرض يكون فيها أشد وقعا وألما ، وقد يستعصي معه العلاج .

منهج الإسلام

في علاج المشاكل الإجتماعية

فلو نظرنا مثلا الى علاج الاسلام لمرض انتهاك الأعراض بالزنى نجد انه علاج لكل الأسباب المؤدية اليه ، فحرم على المرأة كشف عورتها واظهار مفاتنها للأجنبي عنها . فالقط لا يهجم على اللحم الا اذا كان مكشوفا . وحرم في الوقت نفسه على الرجل أن يمد نظره الى محاسن من لا تحل له ، وأمره أن يقنع بما عنده من حلال أو يتعفف حتى يجد الله له مخرجا . كما حرم على الطرفين كل اتصال مريب على أى نحو من الأنحاء ، كالخلوة التى يكون فيها الشيطان ثالثهما ، وكالكلام اللين الذى يطمع من فى قلبه مرض ، وسد جميع الثغرات التى يقترب فيها عود الثقاب من المادة الملتهبة ، كالصور الفاضحة والأفلام المثيرة .

هذه مشكلة رأينا كيف أن الاسلام استقصى كل أسبابها على الامتداد الافقى ووضع العلاج لكل سبب، وبالمثل على الامتداد الرأسى والعمودى فى استقصاء الأسباب الخفية المؤدية الى كل سبب ظاهر ، فالسبب الظاهر قد تكون له أسباب خلقته وتتابعت سلسلتها ماضية فى أغوار بعيدة لجذور قديمة، والعلاج الصحيح لابد فيه من دراسة كل هذه الأسباب ليمس أعماق المشكلة ، والا كان دهانا على الوبر .

فمشكلة انحراف الأحداث مثلا لابد فيها من تقصى أسبابها على المستوى الأفقى لمعرفة كل المؤثرات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والأوضاع القائمة وغيرها ، ثم يكون البحث فى كل عامل من العوامل الأساسية البعيدة التى خلقته ، فيقوم المعالج ببحث أحد الأسباب للانحراف وهو كثرة الشقاق بين الزوجين مثلا ، فيرى من أسبابه غيرة الزوج على زوجته التى تكثر الخروج فى سفور وفتنة ، فيبحث عن سبب هذا السلوك فيراه فى سوء اختيار الزوج لزوجته عند الخطبة ، حيث أعجب بجمالها أو مالها متغاضيا عن دينها وخلقها ، فكان لهذه الغلطة الأولى أثرها فى كثرة الشقاق الذى هو أحد أسباب انحراف الأحداث .

ان الطبيب الماهر يفحص المريض أولا فحصا شاملا ، ويدقق فى الفحص حتى يصل الى جذور العلة ، ثم يشخص المرض ويصف له الدواء المناسب . واذا كانت الأسباب متعددة كان الدواء متعددا أو مركبا ، وكان على المريض بدوره أن يتناول كل هذه الأدوية مراعيا تعليمات الطبيب فى كيفية الاستعمال ، ولو أن المريض خالف ما وصف له كان العلاج ضعيفا أو عقيما .

واذا علمنا أن المشكلة قد تكون لها عدة أسباب ولكل سبب منها أسباب أخر كان العلاج محتاجا الى خبرات متعددة وتخصصات متنوعة تتعاون على حسم الداء أو تخفيفه ، ولا يمكن لفرد واحد أو جماعة معينة أن تقوم بهذه المهمة الضخمة بعيدا عن الآخرين ومن

أجل هذا كان توزيع المسئولية مبدأ من أهم المبادئ في الاصلاح ، وكان التعاون بين المسئولين أمرا ضروريا لنجاح أى مشروع ، يقول الله تعالى : « **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** » المائدة ٢ ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الأمير راع والرجل راع على اهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » رواه البخارى ومسلم .

ان علاج المشكلة كالحرب لابد أن يشترك فيها المجاهد بسلاحه والغنى بماله والمفكر برأيه والصانع بصنعته والزارع بانتاجه وتموينه ولو قصر أحد هؤلاء في واجبه لا يكون النصر ولو لم تتوحد الجهود وتتضامن الأنشطة بعد الهدف واستعصى الحل .

وقصور النظر عند بعض الكاتبين والناقدين عند بحث مشكلة من المشاكل يجعله يلقى التبعة على فرد معين أو طائفة خاصة ويركز نقده عليها كأنها هى وحدها التى خلقت المشكلة أو هى وحدها التى بيدها حلها ، مغفلا الأسباب الأخرى ومتغاضيا عمدا أو عن غير عمد عن جهات أخرى قد يفوق دورها في المشكلة وجودا وعلاجا دور من ركز النقد عليه أو استحثه .

ان مسمارا بسيطا في آلة قد يخلق مشكلة كبرى ، وقد يكون الحل على يد فنى بسيط لا يأبه له كثير من الناس ، ومن هنا يخطىء من يتملصون من التبعة ، أو يؤثرون العزلة ويضنون بالجهد كأن الأمر لا يعنيهم ، وليس من المسلمين ، كما جاء في المأثور من لا يهتم بهم ، ويخطىء أكثر وأكثر من يتعمدون وضع العراقيل في طريق الاصلاح ، أو يسيرون في اتجاه مضاد لاتجاه الركب ولسان حالهم يقول:

اذا أنت لم تنفع فضر فانما
يرجى الفتى كيما يضر وينفع

ان الاسلام يحذر القاعدين ، وينذرهم بأن السيل سيجرفهم لا محالة ان لم يتعاون الجميع على صده أو وقف تدفقه ، قال تعالى : « **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** » الأنفال ٢٥ ، ووضح النبى صلى الله عليه وسلم هذه النتيجة بقوله : « **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم اعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها اذا استقوا مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا نستقى منه ولا نؤذى من فوقنا ، فلو تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا ، ولو أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا** » رواه البخارى .

ومن الخطوط الأساسية لمنهج الاسلام في علاج المشاكل التدرج ، وبخاصة اذا كانت للمشكلة جذور غائرة في الأعماق كأثر لعقيدة سائدة أو غريزة متسلطة أو طول عهد بالممارسة من العسير انتزاع المألوف البعيد العهد والمصبوغ بصبغة تكيفت بها الأعصاب والأحاسيس ومن الحكمة أن يكون العلاج على التدرج شيئا فشيئا وقليلا قليلا .

والاسلام في دعوته العامة لاصلاح العقائد وتقويم السلوك راعى هذه الناحية مراعاة دقيقة ، والدارس للدين الاسلامى دراسة عميقة واعية يستطيع أن يلمس ذلك بوضوح

منهج الإسلام

في علاج المشاكل الاجتماعية

في الفرق مثلا بين التشريع في العهد المكي والعهد المدني ، وفي الاهتمام أولا بالعقائد والأصول العامة لأنها هي التي تحكم السلوك ثم الانتقال الى الشريعة والجزئيات ، والبدء بتعليم الفرائض الأساسية أولا للمبتدئين الداخلين في الاسلام ، بل قبول بعض التكاليف وارجاء بعضها الآخر حتى يستقر الايمان في قلوبهم وتنير أشعته جوانب نفوسهم ، وتطرد منها ظلام الشك والنفور من الدين الجديد كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد ثقيف في الابقاء على الالتزام بالصلاة مع ارجاء الزكاة والجهاد الى حين ، رواه أحمد ، وكما فعل مع فضالة الذى اكتفى منه بفرضين من الصلوات الخمس حتى يتعودها ، رواه أبو داود .

ومن أصدق الأمثلة على سنة التدرج في علاج المشاكل ، تحريم الخمر ، فقد كان العرب يشربونها بكثرة ويحرصون عليها في مناسبات متعددة وكم قالوا فيها من أشعار ذهب فيها خيالهم الى حد بعيد ، فكان من الحكمة في العلاج أن يكون بأسلوب تؤمن معه النكسة ، التى أفسدت على بعض الدول الحديثة خطتها في معالجة المخدرات .

كان أول قرآن نزل بشأنها في مكة ، وما كان تحريما بل لفتا للأنظار الى ما فيها من متعة كان حقها أن تشكر ، قال تعالى : « وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » النحل ٦٧ . ثم ترك أمرها على هذه الفترة حتى انتقل المسلمون الى المدينة والخمر تشرب فيها كما تشرب في مكة فنزل فيها قوله سبحانه : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا » البقرة ٢١٩ ، وليس في هذه الآية نص على تحريمها بل فيها ايماء واشارة الى أن ما كثر ضرره وقل نفعه ينبغي للعاقل أن يبتعد عنه وبهذا الضوء من الحكمة اختار جماعة من العقلاء البعد عنها .

وبعد مدة كانت صلاة جماعة قرأ فيها الامام فغلط تحت وطأة السكر فقال :

« قل يايها الكافرون . أعبد ما تعبدون »

فنزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ » النساء ٤٣ . وكانت هذه أول آية صرحت بتحريمها ولكنه تحريم جزئي . وفي حفل شرب فيه القوم حتى قامت مشادة بينهم خشيت معها فتنة كبيرة دعا عمر وجماعة معه ربهم قائلين : اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر ، فنزل قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » المائدة ٩٠ وكان تحريمها النهائى سنة أربع من الهجرة وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة ، وذلك بعد نحو عشرين سنة من بدء الدعوة الاسلامية ــ تهيأت فيها النفوس للاقلاع عنها فاستجاب المسلمون لتحريمها طوعا وسارعوا الى التنفيذ فأراقوا قدور الخمر وطهروا دنانها ، وكانت مقاطعة اجماعية أو شبه اجماعية نتيجة لهذا التدرج الحكيم فى العلاج . ان جرعة الدواء اذا كانت كبيرة وقوية ربما كان فيها القضاء على المريض بدل القضاء على المرض ، فالطفرة فى مثل هذه الأمور الخطيرة قل أو ندر أن تنجح يقول عمر بن عبد العزيز ، عندما لامه ولده على ارجاء تنفيذ ما يراه حقا : يابنى أخشى أن أحمل الناس على الحق جملة فيرفضوه جملة .

ان من أهم ما يراعى فى علاج المشاكل الاجتماعية الدراية التامة بطبائع النفوس وأحوالها ، ومعرفة مدى التأثير عليها بالأسلوب الموضوع لعلاجها ، ومن الخطأ اهمال نوازع النفس أو التفكير فى القضاء عليها ، فذلك مضادة للطبع يستحيل معها العلاج .

وكم من المصلحين فى التاريخ وضعوا مناهج خيالية ، انتحوا فيها ناحية المثل العليا ، مهملين واقع الحياة ، أو متناسين حقيقة الطبع البشرى ، ففشلت تلك المناهج لأنها سارت ــ كما يقال ــ فى طريق مسدود . وجمهورية أفلاطون أكبر شاهد على ذلك .

ان الواقعية فى التخطيط لابد فيها أولا من تقوية الوعى وتعميق الفهم لأخطار المشكلة ، بعرض مفاسدها وآثارها وحشد كل من ينفر عنها ، والترغيب فيما يقابلها بالأسلوب القوى الذى ينفر من الشر ويرغب فى الخير . ولاشك أن ادراك سر التكليف من أهم الأسباب فى سرعة الاستجابة . ومن أمثلة الواقعية فى الدعوة الى تغيير المنكر وعلاج المشكلة تصويرها للمغتابين حين ينهى عن الغيبة بمن يأكلون لحوم أمواتهم ، فهى أولا لحوم آدمية تنفر منها الطباع السليمة ، وهى ثانيا ميتة منتنة قذرة تعافها النفوس حتى لو كانت لحوم حيوانات تؤكل .

وكذلك حين حارب الانعزالية ودعا الى قوة الروح الاجتماعية ، جعل من أطعم جائعا أو سقاه فكأنما أطعم الله وسقاه ، ومن زار مريضا وجد الله عنده ، وذلك فى حديث مسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : **« يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى » ، قال : يارب كيف اعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : اما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده ، اما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنده ، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى . قال : يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال اما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى .. الخ الحديث .**

والاسلام حين يعالج فى الناس مشكلة التكالب على الدنيا والنهم عند الأكل والحرص والطمع ، يزهد فى الدنيا ويرغب فى الجوع وعدم الشبع ، ويشنع على ذوى البطنة بصورة تدخل الرعب فى القلوب المقبلة على الدنيا وتحسب أنها هالكة لا محالة ، وحكمة هذا

منهج الإسلام
في علاج المشاكل الاجتماعية

الاســلوب المبنى على العلم التام بطبائع النفوس يبينها الامام الغزالى عند كلامه على فضل الجوع وذم الشبع فيقول : وما أوردناه من فضائل الجوع بما يومىء الى أن الافراط فيه مطلوب ، وهيهات ، ولكن من أسرار حكمة الشرع أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومىء عند الجاهل الى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان ، والعالم يدرك أن المقصود الوسط ، لأن الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغى أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا ، فيتقاومان ويسلح الاعتدال . فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد .

تلك صورة من صور الواقعية في أسلوب الدعوة الى الاصلاح تكون معها واقعية التخطيط ، ورسم الطريق للتنفيذ ، ومن صور ذلك ربط التكليف بالاستطاعة . قال تعالى : « **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** » البقرة ٢٨٦ . وقال : « **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** » الحج ٧٨ . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « **ان لربك عليك حقا ، وان لنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فاعط كل ذى حق حقه** » رواه البخارى من اقرار النبى لسلمان فيما قاله لأبى الدرداء .

ومن صور الواقعية أيضا ايجاد البديل لما يراد القضاء عليه ومعالجته ، فحين حرم الله الجشع وحب الدنيا عن طريق الربا جعل له بديلا حلالا وهو التجارة بالبيع والشراء ، قال تعالى : « **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** » البقرة ٢٧٥ ، وأباح السلم والقراض وسائر وجوه النشاط الاقتصادى البعيدة عن الاستغلال .

ومن الخطوط الأساسية لعلاج المشاكل أن تكون هناك قوة تراقب التنفيذ وتتابع العلاج ، وتمنح المحسن جزاء احسانه وتوقع على المسىء عقاب اساءته ، وهذه القوة اما باطنية أساسها الضمير المهذب بأدب الدين ، واما خارجية عن طريق الرأى العام والسلطة الحاكمة ، فالرأى العام الممثل في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يستطيع أن يفعل الشىء الكثير ، والقوة الحاكمة لها أثرها الذى لا ينكر في هذا السبيل ، والسلطان ظل الله في أرضه ، ويزع به ما لا يزع بالقرآن .

ومن الخطوط أيضا أن يكون الطبيب المعالج أول من يلتزم وأسرع من يقبل ويطبق وأحرص على أن يكون قدوة ، وذلك حتى يحس الناس صدق التشريع ويؤمنوا بفائدة العلاج ، وهنا تكون سرعة الانقياد والمبادرة بالاستجابة ، وكلنا يعلم ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم من سلوك كان دعاية قوية الى الاستجابة ، وموقفه معروف في اقامة الحدود دون تدخل لاعتبارات الا تنفيذ أوامر

الله «والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» رواه البخاري ومسلم .

أن علاج المشاكل أمر ليس بالسهل ، فقد توضع في طريقه عقبات وعقبات ، ولن يتم العلاج في يوم وليلة ، فان عوامل النجاح متعددة قد يتحقق بعضها ويتخلف بعضها الآخر ، والنفس من طبيعتها حب العاجل والشوق الى جنى ثمار الغرس في أقصر وقت، لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ، ومن هنا تلزم المتابعة والمثابرة وقوة التحمل والأمل .

والآيات التي تحث الرسول على الصبر والأمل في النصر كثير ، منها « **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** » الحجر ٩٧ ــ ٩٩ . « **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ** » الأحقاف ٣٥ .

والرسول عليه الصلاة والسلام يلفت نظر المؤمنين الى ذلك فيقول لخباب بن الأرت حين شكا اليه قسوة معاملة قريش للمستضعفين وسأله الدعاء أن يخفف الله عنهم « **والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون** » رواه البخاري .

وبعد ، فهذه هي أهم الخطوط الرئيسية في منهج الاسلام لعلاج المشاكل الاجتماعية يجب أن تحتذى في علاج كل مشكلة ، فهي صنع الله الذي أتقن كل شيء ، مستنكرين أبدا أن

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

الاستعانة بالله مع صدق النية من أهم عوامل النجاح « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » البقرة ١٥٣ .

عطية صقر

عضو مجمع البحوث الاسلامية

● ألقى البحث صباح الأربعاء ١٥ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ٣٠/٣/١٩٨٣ .

قرارات وتوصيات
المؤتمر التاسع

الفترة الثانية

المنعقدة من ١٢ ــ الى ــ ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ
٢٧ ــ الى ــ ٣١/٣/١٩٨٣ م

بتوفيق من الله وفضله ، وفى رحاب الأزهر الشريف ، وفى ظل الاحتفال بعيده الألفى ، اتم المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الاسلامية الفترة الثانية من انعقاده ، برئاسة فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

وبحضور أعضاء مجمع البحوث الاسلامية ..

فى المدة من ١٢ جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٧ من مارس ١٩٨٣ م الى ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ الموافق ٣١ من مارس ١٩٨٣ م .

وكان المؤتمر قد اهتم فى فترته الأولى بدراسات تتصل بالأزهر ورسالته ، وتاريخه وتطوره ، ومكانته فى العالم ، وما ينتظره منه بمناسبة الاحتفال بعيده الألفى .

كما تناول حالة الأمة العربية والاسلامية فى العصر الحاضر ، وما يجب أن يكون ــ عليه ، واصدر بذلك توصياته ..

وفى فترته الثانية عرضت عليه مجموعة من الدراسات تتصل بعناية الأزهر بقدسية القرآن الكريم وتيسير تفسيره ، ومنهج الاسلام فى علاج المشكلات الاجتماعية ، ونظرة الفقه الاسلامى الى بعض طرق العلاج الحديثة مثل : نقل الأعضاء من انسان لآخر والتلقيح الصناعى لتوليد الانسان ، والاجهاض ، ومسئولية الطبيب فى الشريعة والقانون



وبحوث علماء المسلمين فى الطب ..

وانتهى المؤتمر الى اصدار القرارات والتوصيات الآتية : ـ

١ ـ التأكيد على العناية بالقرآن الكريم حفظا ودراسة ونشرا .

٢ ـ اقرار المنهج الذى سارت عليه اللجنة المكلفة بوضع التفسير الوسيط مع ـ العناية بالتنبيه على الدخيل فى كتب التفسير القديمة ، مما يتنافى مع المقررات الدينية ، والحقائق العلمية ..

٣ ـ العناية بربط الحياة بالاسلام فكرا و سلوكا فى كل المجالات ، لابراز مقوماته الأصيلة وصلاحيته للتطبيق فى كل زمان ومكان .

٤ ـ المبادرة بابداء الرأى فى القضايا المعاصرة على ضوء أحكام الدين وقواعده .

٥ ـ الاهتمام بدراسة أفكار علماء المسلمين فى الاقتصاد والعلوم الاجتماعية والفلكية والطبية ، وبيان مدى ارتباط الحقائق العلمية بالمقررات الاسلامية .

٦ ـ دعوة الحكومات والجامعات والهيئات العلمية والناشرين وأغنياء المسلمين الى احياء كتب التراث الاسلامى ونشره .

٧ ـ احالة البحوث التى قدمت فى الفترة الثانية على اللجان المختصة بالمجمع ..

هذا وبالله التوفيق ..

صدر بالقاهرة بتاريخ ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٣ هـ

الموافق ٣١ من مارس سنة ١٤٠٣ هـ .



مع القرآن والسنة والتشريع

■ مع آيات الله في كتاب الله

■ ثبات النبي صلى الله عليه وسلم

■ عقد الزواج

مع آيات الله في كتاب الله

قال تعالى : وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) البقرة ١٤٥ .

فى الاية قسم محذوف تقديره : أو الله لئن أتيت ألخ وجواب القسم المحذوف هو : ماتبعوا قبلتك . وقد سد جواب القسم مسد جواب الشرط (ولئن) والمراد بكلمة الآية فى هذه الآية : البرهان القاطع والدليل الحاسم .

والمعنى والله لئن أتيت الكتابيين من اليهود والنصارى بكل دليل وبرهان على ان التوجه الى الكعبة هو الحق . لانها اول بيت وضع للناس ، بناه ابراهيم ورفع قواعده معه اسماعيل . وقد ولد فى جواره خير خلق الله محمد ودرج فى رحابه طفلا . وملا قلبه من قدسيته صبيا وشابا .

وقد راه الله يقلب وجهه فى السماء ينتظر امر تحويل القبلة الى الكعبة فولاه الله نحو القبلة التى يرضاها قبلة جده ابراهيم . وان الكتابيين بعد ذلك التحويل مهما اتيتهم ببينة فهم لم يتبعوا قبلتك الجديدة على الرغم من كل محاولات الاقناع التى يمكن بذلها . لان موقفهم منك ليس عن شبهة يمكن ان تدفعها الحجة وانما هو العناد والمكابرة والجموح عن الحق . وما انت بتابع قبلتهم . بعد ان امرك الله بتولى وجهك شطر المسجد الحرام انقاذا لك من الحيرة التى كانت تثيرك الى تقليب وجهك فى السماء (وما بعضهم بتابع قبلة بعض

فاليهود يولون وجوههم نحو بيت المقدس ، والنصارى نحو الشرق . فهؤلاء واولئك وان اتفقوا على مخالفتك فهم مختلفون مع بعضهم فى شان القبلة ، فلكل وجهة وقد حسم الله اطماعهم جميعا فى استقبال قبلة كل من اليهود النصارى بقوله « وما انت بتابع قبلتهم » فى تعبير يؤكد عدم اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم لاى من قبلة هؤلاء واولئك .

وقد قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذى ننتظره ، والله يعلم انهم لكاذبون فقد صلى الى قبلتهم ستة عشر

للدكتور محمد محمد خليفة

شهرا بل يزيد ومع ذلك فقد كابروا ، ولم يتبعوه فيما جاءهم به من الاسلام .

« ولئن اتبعت اهواءهم » وملت الى الزائف من طباعهم « ومن بعد ما جاءك من العلم » ببطلان اهوائهم وحقية ما انت عليه عن طريق الدلائل والايات « انك اذا لمن الظالمين » وفى ذلك تحذير عن متابعة الهوى واستعظام لصدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ؟ لان وقوع الذنب منهم اقبح من وقوعه من غيرهم .

وقد يكون المراد بقوله تعالى : « ولئن اتبعت اهواءهم » اى فى كل الامور « انك اذا لمن الظالمين » فكنت بمنزلة الذين ظلموا انفسهم . والغرض من ذلك الزجر . ولعله صلى الله عليه وسلم كان يتبع اهواءهم فى بعض الامور ، مثل ترك المخاشنة فى القول والغلظة فى الكلام لاستمالتهم اليه فنهاه الله عن ذلك الاتباع سبحانه . وقد قال تعالى فى غير هذا الموضع مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ الاسراء ٧٤

وقال تعالى : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ١٥١

الكاف فى قوله تعالى : كما ارسلنا ، اما ان يتعلق بما قبله . والمعنى : ولاتم نعمتى عليكم فى الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم فى الدنيا بارسال رسول منكم . او بما بعده . والتقدير : كما ذكرتكم بارسال رسول فاذكرونى . ومرجع الضمير فى قوله تعالى : فيكم . ومنكم : الى العرب . اى كما أرسلنا فيكم ايها العرب رسولا منكم « اى من العرب »

وقوله تعالى : « يتلو عليكم اياتنا » اى ايات القران لانه معجزة خالدة تؤدى به العبادات فيحصل من تلاوته خير الدنيا باستفادة العلوم التى تستنبط منه . ويحصل منه خير الاخرة بالثواب « ويزكيكم » بالثناء والمدح . او التزكية بمعنى التكثير والتنمية « ويعلمكم الكتاب » اى يعلمكم ما فيه وما يحمله من المعانى « والحكمة » ويراد بها العلم بسائر الشريعة التى يشتمل القران على تفصيلها « ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » مما تحتاجون اليه فى دينكم .

●●●

وقال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة ١٦٤

قيل فى سبب نزول هذه الاية : ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نزل عليه قوله تعالى « والهكم اله واحد » فقال كفار قريش : كيف يسع الناس اله واحد ؟ فنزلت الاية : ان فى خلق السموات والارض الخ

— وقد ذكرت الاية ثمانية دلائل تدل على وجوده سبحانه . وتحمل براهين قدرته :

الدليل الاول : أحوال السموات : من

مع آيات الله في كتاب الله

حيث خلقها ورفع بنائها وجعلها سبعا شدادا ومن حيث تدبير حركة الأفلاك ومقادير تلك الأفلاك . وحركات بعضها من المشرق الى المغرب وبعضها من المغرب الى الشرق ومن حيث تركيبها وائتلاف حركاتها . واختلاف ألوانها بين الصفرة والبياض والحمرة وكل ذلك يشير الى اثبات الصانع القادر المدبر .

الدليل الثانى : احوال الارض من حيث العرض واختلاف أطوال جوانبها ومن حيث اختلاف ساحاتها برا وبحرا وسهلا وجبلا ومن حيث سطحها ترابا أو رملا أو غورا أو نجدا وجدبا أو خصبا وكل ذلك الاختلاف يشير الى وجود التدبير الذى له مدبر حكيم .

الدليل الثالث : اختلاف الليل والنهار : من حيث الطول والقصر والنور والظلمة واختلاف ذلك باختلاف الأماكن وسير الأفلاك .

الدليل الرابع : الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس : والبحر : الشق فى الأرض أو من الاستبحار وهو السعة والانبساط . وقد سخره الله على الرغم من عظمه لتجرى الفلك فيه بأمره ، وجريان الفلك فيه بواسطة الريح المسخرة لتحريكها أو الآلات التى صنعتها العقول لتسيير الفلك فوق مياه البحر الرقيقة لينتفع الناس بها فى الأسفار أو حمل التجارات .

الدليل الخامس : ما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها : ان فيما خلق الله من ماء انزله من السماء وما اشتمل عليه ذلك الماء من صفات الرقة والرطوبة والعذوبة وغير ذلك من الخواص دليل على الخالق الذى لا يقدر أحد على مثل خلقه وقد جعل الله الماء سببا فى الحياة وهو أحد العنصرين اللذين صنع الله منهما الانسان الأول : ادم : الماء والتراب وفى حمل السحاب وهو بخار للماء على عظمه وثقله دليل على أن الله سخره لذلك الحمل .

وقد أحيا الله بذلك الماء النازل من السماء والأرض بعد موتها ، وحياة الأرض ظهور النبات فيها والكلا والشجر وكأنها حين تنبت ذلك وغيره قد دبت فيها الحياة . وذلك يدل على الصانع الذى أخرج النبات من الأرض وأطلع الزهر المختلف الألوان والثمر المختلف الطعوم والروائح والألوان .

الدليل السادس : وبث فيها من كل دابة . والدابة كل ما يدب على الأرض من انسان أو حيوان ، ومعنى البث : النشر والتفريق ، وتوالد الانسان والحيوان يدل على وجود القادر الخالق . وان تشريح الانسان والحيوان والوقوف على تأليف الأجزاء والأعضاء والتركيب وما خلق الله فيهما من أجهزة تحتاجها حياتهما ليحمل الدليل على عظم تدبير الصانع الحكيم .

وان حياة الأجنة فى الأرحام وغذاءها مما تمتص من دماء الأمهات وربط الأجنة بروابط الأرحام فى كل ذلك الدليل الناطق بقدرة الله وحكمته . وان فى اختلاف طبائع الانسان والحيوان واختلاف غرائزهما وأمزجتهما وقواهما العقلية وادراكهما فى كل ذلك . كذلك الدليل على ابداع صنعة الصانع سبحانه .

الدليل السابع : تصريف الرياح أو خلقها على وجه يقبل التصريف من حيث الرقة واللطف وأنها تحمل ما يحتاج اليه الانسان والحيون والنبات من (أوكسيجين) في ذلك التصريف دليل قدرة الله .

الدليل الثامن : السحاب المسخر بين السماء والأرض ، وقد سمى السحاب سحابا لانسحابه في الهواء ، ومعنى التسخير : التذليل ، وتسخيره في أن جعل الله الماء ثقيلا ، وثقله يقتضى نزوله فبقاؤه محمولا في الجو خلاف الطبع فلذلك سماه بالمسخر والسحاب لا يقف في موضع ، بل يسوقه الله بواسطة الرياح الى حيث يريده الى بلد ميت فيحيى به الزرع والضرع والانفس والثمرات وفي تحريكه بين السماء والارض مايدل على تسخيره للغاية التى يريدها الله .

وكل هذه الأدلة التى ذكرها في هذه الاية تحمل للعقول البراهين الساطعة على وجود الصانع الخالق القادر المدبر فهى نعم دينية تهدى من شاء الله الهدى وهى كذلك نعم دنيوية انعم الله بها على عباده لعلهم يعقلون مافيها من الأدلة والايات ولعلها تقود الجاحدين منهم الى الايمان بخالق كل ذلك ومسخر كل ذلك لمصلحة خلقه .

وقال تعالى : « ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ » البقرة ١٨٧

تشير الاية الى أن صوم الليل غايته واتمامه انما يكون بدخول الليل ، ويكون دخول الليل بغروب شمس النهار وراء الافق ، ومغيبها يختلف باختلاف الأقطار ولذلك ارتبط بدء الافطار بالغروب .

ونهت الاية عن مباشرة النساء في حالة الاعتكاف نهارا وليلا لأن المعتكف حبس نفسه في طاعة الله فلا ينبغى أن تستعبده الشهوات حيث يعيش في معتكفه مع ربه . والمراد بالمباشرة : الجماع ليلا أو نهارا . والاعتكاف في اللغة : حبس الانسان نفسه عن الشيء . وشرعا : المكث في بيت الله تقربا اليه . ولا يكون الاعتكاف الا في المسجد . وقد حرم الله على المعتكف الجماع أو الملامسة بشهوة ليلا ونهارا طول مدة الاعتكاف .

واختلف الفقهاء في الاعتكاف مع الصوم . فقال بعضهم : يجوز الاعتكاف بغير صوم . وقال البعض الا يجوز الا بالصوم ثم اشار الى الحدود التى بينها من أول أيات الصوم ونهى عن قرب تلك الحدود . والحد : هو الحاجزبين الحق والباطل . فعلى الانسان أن يبعد عن الاقتراب من الحدود فضلا عن تجاوزها وتخطيها . وقد قال عليه الصلاة والسلام

« ... ألا وان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه فمن وقع حول الحمى يوشك أن يقع فيه » .

ومعنى : لا تقربوها : لا تتعرضوا لها

والمراد بالايات في قوله تعالى : كذلك يبين الله أياته للناس : الفرائض (لعلهم يتقون) رجاء أن يتقى الناس الحدود فلا يقعوا فيها » .

وقال تعالى « سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » البقرة ٢١١ .

أمر الله رسوله أن يسال بنى اسرائيل . وليس المراد ، أن يسال ليخبروه عن شيء يجهله . وانما أريد بالسؤال : التبكيت

مع آيات الله في كتاب الله

والزجر والتقريع والمعنى فلتسأل يامحمد المعاصرين لك من بنى اسرائيل عن ايات الله البينات التى عرفها السلف منهم - وما أكثرها - ولكنهم أنكروها فاستحقوا عقاب الله . وفى ذلك تنبيه للمعاصرين من بنى اسرائيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم كذلك لو انكروا بعثة محمد صلى الله عليه وسلم والايات التى أيده الله بها سيقعون فى العذاب الذى وقع فيه اسلافهم والمراد بالاية التى نكرها للتكثير فى قوله تعالى : من اية : المعجزات التى أيد الله بها رسوله موسى عليه السلام وغيره من انبيائهم وكم من اية ايد الله بها موسى من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونتق الجبل فوقهم وتكليم الله لموسى وانزال التوراة عليه وغير ذلك وكلها ايات بينات على صدق رسالته .

او كم من اية فى التوراة تدل على صحة دين الاسلام وانه خاتم الاديان للبشرية . .

وقد يكون المراد بالاية : الحجة البينة والمعنى . سل بنى اسرائيل كم اتيناهم من حجة بينة على صحة نبوتك مما جاءهم من ذلك فى التوراة والانجيل وانك يسألهم عن تلك الايات تلزمهم الحجة فان ابوا الا العناد فلهم خزى الدنيا وعذاب الاخرة .

(ومن يبدل نعمة الله) اى اياته وهى اجل نعمة لانها اسباب الهدى وتبديلهم اياها معناه ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم أو المراد أنهم حرفوا ايات الكتب الدالة على صحة دين محمد عليه الصلاة والسلام ومن يبدل تلك النعم من بعد ما جاءته وتمكن من معرفتها (فان الله شديد العقاب . ولامثاله ممن بدلوا نعمة الله او حرفوا اياته او كتموها عن اتباعهم .

وقال تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » البقرة ٢١٩ .

كثيرا ما سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتونه فى أمر من أمور دينهم أو دنياهم أو أحوالهم أو أحوال نسائهم ونزل القران يحكى أسئلتهم ويسوق الجواب عن كل منها الا الروح والساعة حين سأله اليهود عنهما فكان الجواب عن الروح : « الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا » وكان الجواب عن الساعة : « علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو » .

وفى هذه الاية سؤالان أولهما : عن الخمر والميسر . وثانيهما ماذا ينفقون ؟

أما عن الخمر والميسر فقد نزل فى شأنهما القران أربع مرات .

الاولى قوله تعالى : « وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا » بين أن من تلك الثمرات يتخذ الناس الخمر الرزق الحسن .

والثانية : حين سأل معاذ وعمر وبعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتنا فى الخمر فانها مذهبة للعقل سالبة للمال . فكان الجواب الذى نزل به الوحى : قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس (فى التجارة والكسب) واثمهما أكبر من نفعهما

فشربها بعد نزول هذه الاية البعض وتركها البعض .

الثالثة : حين دعا عبد الرحمن بن عوف بعض الصحابة الى شراب فشربوا حتى سكروا وقام ابن عوف فصلى بهم فقرا :

قل يا أيها الكافرون اعبد ما تعبدون

فنزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ » فما كانوا يؤدون الصلاة وهم سكارى .

الرابعة : حين دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابى وقاص فلما شربوا وسكروا راح سعد يفتخر وأنشد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

اما السؤال الثانى فى هذه الاية فكان عن ماذا ينفقون من اموالهم . وكان الجواب قل : العفو . والعفو : نقيض الجهد ومعنى ذلك : ان ينفق الانسان من ماله مالا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ المال .

ومثل ذلك البيان الذى بينه وفصله فى الجوابين يبين الله لكم الايات التى توضح الاحكام الشرعية فيما سألتم عنه : لعلكم تتفكرون وتقفون على مقاصدها وتعملون بما فيها بعد التفكر السليم الذى يقودكم الى الاقتناع بان الله يهدى الى ما فيه خير الدنيا والاخرة .

وقال تعالى : « وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » البقرة ٢٢١ .

نهى الله عن نكاح المشركات حتى يؤمن فى اول الاية ثم نهى المسلمين عن انكاح بناتهم للمشركين حتى يؤمنوا . ثم بين ان العبد المؤمن على الرغم من ذل المملوكية خير من المشرك الذى يتمتع بالحرية وبما يملك ولو أعجبكم ما هو فيه من أسباب الرغبة وبين ان أولئك المشار اليهم من المشركين والمشركات يدعون من يصاهرهم ويقترن بهم الى النار اى الى ما يؤدى اليها من الفسق والفجور والله بواسطة عباده المؤمنين يدعو الى الجنة والمغفرة اى الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح وما يؤدى الى المغفرة باذنه وتوفيقه . وبهذا يبين الله اياته المشتملة على الاحكام العظيمة للناس لعلهم يتفكرون . اى ليتذكروا ويعملوا وليفوزوا بما دعا اليه الله وأولياؤه من الجنة والمغفرة وعبر بالتذكر فى قوله تعالى : « لعلهم يتذكرون » للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر » .

وقال تعالى : « وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » البقرة ٢٣١ .

يبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الاية :

مع آيـــات الله في كتـــاب الله

إنه اذا وقع الطلاق منكم على زوجاتكم (فبلغن أجلهن) اى قاربن نهاية العدة وهذا هو معنى بلوغهن أجلهن ، لأنه اذا انتهى أجل العدة فلا سبيل للزوج عليها أما اذ قاربته فهذا ما تنص عليه الاية وقد أمر الله الأزواج عندئذ بأحد أمرين ، اما أن يمسكوهن بمعروف بمعنى أن يراجعها دون أن يبغى بالمراجعة ضررا واما ان يسرحهن بمعروف أى يخلى المرأة حتى تنقضى عدتها وتبين من غير ضرار . وقد نهى الله الأزواج أن يمسكوا الزوجات ضرارا ، وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها لا عن حاجة ولكنه يريد اطالة عدتها بتلك المراجعة فحسب ، وهذا هو الامساك ضرارا (لتعتدوا) وتظلموهن أو تلجئوهن الى الافتداء ، ومن يفعل ذلك الامساك للاضرار فقد ظلم نفسه حين عرضها لعقاب الله (ولاتتخذوا ايات الله هزوا) أى الايات المنطوية على الأحكام والتكاليف كالعدة والمراجعة وترك المضارة . والمعنى : ارعوا ايات الله حق رعايتها واعملوا بها ، وانكم ان لم تعملوا بها فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ، وقد قيل ، ان الرجل كان يطلق ويعتق ويتزوج ، ويقول : كنت لاعبا . وقد بين الرسول الموقف في هذا فقال عليه الصلاة والسلام : ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : النكاح والطلاق والرجعة

ثم قال تعالى : واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءكم في شريعته من أحكام وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به لتعملوا بما فى الكتاب وما تقتضيه الحكمة (واتقوا الله) في أوامره ولا تخالفوا نواهيه واعلموا أن الله بكل شىء عليم فلا يخفى عليه شىء وهو محاسبتكم على أعمالهم فتزودوا من دنياكم بما يرضيه » .

وقال تعالى : « وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ . كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » البقرة ٢٤١ ، ٢٤٢

والمعنى : وللمطلقات سواء كن مدخولات بهن أولا (متاع) اى مطلق المتعة وظاهر الاية يقتضى وجوب هذه المتعة لكل المطلقات ولهذا تمسك بعض الفقهاء بظاهرها فأوجب المتعة لجميع المطلقات . وهذا هو قول سعيد بن جبير

وابى العالية والزهرى . وقال الشافعى : لكل المطلقات الا المطلقة التى فرض لها مهر .

وقيل المراد بالمتعة : النفقة والنفقة قد تسمى متاعا .

ومثل ذلك البيان الواضح (يبين الله لكم أياته) الدالة على الأحكام التى شرعها الله لعباده (لعلكم تعقلون) .

رجاء أن تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها ان شاء الله

يتبع .

د . محمد محمد خليفة

من نفحات
السنة المباركة

ثبات النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين

لفضيلة الدكتور محمد محمود شعبان

عن البراء ابن عازب ـ رضى الله عنه ـ انه قال له رجل : أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟!

قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لم يفر . ان هوازن كانوا قوما رماة . وانا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا . فأقبل المسلمون على الغنائم . واستقبلونا بالسهام . فأما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يفر . فلقد رأيته وانه لعلى بغلته البيضاء وان أبا سفيان آخذ بلجامها . والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « أنا النبى لاكذب . أنا ابن عبد المطلب » متفق عليه . واللفظ للبخارى .

لما فتح الله تبارك وتعالى مكة على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى رمضان من السنة الثامنة من الهجرة ودانت له قريش ، وحطمت الأصنام وانتهى عهد الشرك بالبلد الحرام . وطهر البيت العتيق الذى جعل للناس مثابة وأمنا وهدى للعالمين .

هذا الفتح الذى أعز الله تعالى به رسوله والمؤمنين ونصر به جنده وحزبه الأمين واستبشر به أهل السماء . وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا . وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا .

كان هناك فى الطائف قبيلة ثقيف التى

لم تقبل الاسلام عندما ذهب اليها الرسول الامين يدعوها اليه بل اعزت به سفهاءها وسلطت عليه صبيانها .

وكذلك كانت هناك قبيلة هوازن فيما بين مكة والطائف فخشيتا ان يغزوهما ويدخلهما فى طاعته . فاجتمع قادة القبيلتين وتشاوروا فى الامر واتفقوا على قتاله واجتمع معهم بعض القبائل المجاورة حتى بلغ عددهم ثلاثين الفا . ثم اعطوا القيادة لمالك بن عوف وكانت سنه ٣٠ سنة على شريطة أن يستشير دريد بن الصمة وكان اكبرهم سنا قيل كانت سنه ١٢٠ سنة وكان اعلاهم رايا واعرفهم بالحرب واكثرهم تجربة فيها لكثرة خوضه لها .

وقد امر مالك بن عوف القوم : بجمع اموالهم ونسائهم وابنائهم وان يسوقوها خلفهم فلما سمع دريد بن الصمة بذلك أرسل الى مالك فلما حضر بين يديه قال يامالك : مالى اسمع هذه الضوضاء ؟

فقال : مالك . سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ليكون خلف كل رجل اهله وماله يقاتل عنهم . فقال له دريد : أنت راعى غنم والله . ياهذا هل يرد المنهزم شيء ؟ انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه . وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك . فابى مالك أن يطيعه . عندئذ غضب دريد وقال : انك تقاتل رجلا قد أخضع العرب . وخافته العجم . واجلى اليهود . ثم اعتزل دريد الحرب .

ولما علم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بخروج هذه الجموع اليه وكان قد مكث فى مكة بعد الفتح نصف شهر ، خرج اليهم فى يوم السبت السادس من شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة فى جيش عدته أثنا عشر ألفا . منهم عشرة الآف الذين حضروا معه لفتح مكة والفان من اهل مكة ممن دخلوا فى الاسلام بعد الفتح . وكان بينهم كثير من ضعاف الايمان وممن لا يبغون سوى الغنائم .

خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بهذا الجيش وهو لابس درعين وبيضه « خوذه من حديد تلبس على الرأس » وكان قد استعار من صفوان بن أمية وهو حينئذ مشرك دروعا . فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح . وسار الجيش حتى وصلوا الى وادى حنين وهو بعد عرفات بين مكة والطائف .

وقد قام مالك فى قومه فقال لهم : اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد عليهم . وقد بعث عيونا من رجاله لينظروا امر المسلمين فأتوه وقد تفرقت أوصالهم فقال لهم : ويلكم ما شأنكم ؟ فقالوا : رأينا رجالا بيضا على خيل بلق والله ما تماسكنا ان اصابنا ما ترى وقد أرسل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبد الله بن أبى حدرد وأمره أن يدخل فيهم ليعلم أخبارهم فدخل فى القوم حتى علم ما جاءوا من أجله ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبرهم .

فلما سار الجيش الاسلامى ورأى المسلمون كثرتهم داخلهم شيء من الزهو حتى قال بعضهم : لن نغلب اليوم عن قلة « هذه المقالة التى أغضبت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم » !!

ولما تمت تعبئة الجيش انحدر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بجنوده فى الوادى

عند غبش الصبح، وكان رجال من هوازن قد كمنوا فى بعض شعاب الوادى ومضايقه، فلما حمل المسلمون على جيش العدو لم يلبث جيش العدو ان انهزم.

وقال البراء ـ رضى الله عنه: فاكببنا على الغنائم فخرج علينا من كانوا كامنين فى الشعاب والمضايق واستقبلونا بالسهام فولينا مدبرين لا يلوى احد منا على احد وقد بلغ بعض المنهزمين مكة.

وقد انهزم جيش المسلمين، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم واركان حربه وكان عددهم عشرة وقيل ثمانون لم ينهزموا، وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء يدفعها نحو جموع الاعداء والعباس ماسك بلجامها وابو سفيان ابن الحارث ماسك بركابها.

وفى ذلك روى مسلم عن العباس رضى الله عنه قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، فلزمت انا وابو سفيان بن الحارث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم نفارقه، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفاثة الجذامى، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يركض بغلته قِبَل الكفار.

قال: عباس وانا وابو سفيان اخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، «اى عباس ناد اصحاب السمرة» فقال عباس: وان رجلا صيتا، فقلت باعلى صوتى: اين اصحاب السمرة قال: فقالوا: يالبيك يالبيك: قال: فاقتتلوا والكفار.

والدعوة فى الانصار يقولون: يامعشر الانصار يامعشر الانصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج، فقالوا: يابنى الحارث بن الخزرج، يابنى الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا حين حمى الوطيس».

قال: ثم اخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال: «انهزموا ورب محمد». قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما ارى، فوالله ما هو الا ان رماهم بحصياته، فمازلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا.

وفى رواية للبراء بن عازب: فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: «انا النبى لاكذب، انا ابن عبد المطلب»، «اللهم نزل نصرك».

قال البراء: كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع للذى يحاذى به يعنى النبى ـ صلى الله عليه وسلم.

وفى رواية لمسلم ايضا عن سلمة ابن الاكوع قال: فلما غشوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نزل عن البغلة ثم قبض قبضته من تراب من الارض ثم استقبل به وجوههم فقال: «شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل وقسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غنائمهم بين المسلمين وتبعهم المسلمون يقتلون وياسرون، فما امسى المساء حتى طار الخبر الى مكة بان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انتصر على اعدائه ففرح بذلك المسلمون وحزن المشركون ثم امر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجمع النساء

من نفحات السنة المباركة

والأطفال والاستيلاء على ما تركه العدو من مال وسائمة وقد أحصيت فبلغت ٢٤ ألف بعير و٤٠ ألف شاة و٤ آلاف أوقية من الفضة و٦ آلاف نفس وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بجمعها وحفظها عند الجعرانة حتى يرى رأيه فيها بعد عودته من حصار الطائف .

ولما رجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حصار الطائف قسم الغنائم وأعطى المؤلفة قلوبهم أكثر من غيرهم حتى انه أعطى أبا سفيان بن حرب مائة من الابل وكذلك ابنه يزيد وابنه معاوية وأربعين أوقية من الفضة ولكن ترك الأنصار حتى أن بعضهم تأثر من ذلك وتكلم بعضهم مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجمعهم فى خيمة ومدحهم ورضاهم حتى أنه أبكاهم وكان فيما قال لهم : « ألا ترضون أن يرجع الناس بالمال وترجعون أنتم برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم » فقالوا : رضينا .

ثم أقبل وفد من هوازن فأسلموا وبايعوا وطلبوا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يرد اليهم نساءهم وأطفالهم لأن أسرهم عار لا يحتمل فأجاب طلبهم ورد اليهم نساءهم وأطفالهم ولكنه أمسك الأموال وفى ذلك نزل قوله تعالى :

« لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (١)

ولما كان الفرار من أشنع العار عند العرب وقد توعد القرآن صاحبه بالغضب سأل رجل البراء ـ رضى الله عنه ـ سؤال انكار بقوله : أفررتم .. وكأنه يقول انى لفى حيرة من هذا الأمر اجبنتم والبعتم الشيطان ففررتم يوم حنين فكيف يصدر منكم هذا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيكم فبادر البراء رضى الله عنه بدفع شبهة الفرار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بل أثبت عكسه ثم حاول الاعتذار عما فرط من الفرار وذلك بأن القوم كانوا رماة واقبال المسلمين على الغنائم فكانت هزيمتهم فجأة لانصباب العدو عليهم دفعة واحدة ولاختلاط أهل مكة معهم .

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر . تضمن جواب البراء اثبات الفرار لهم لكن لا على طريق التعميم كما يتبادر من اطلاق السائل حتى يشمل الجميع حتى النبى صلى الله عليه وسلم . ثم أوضح سبب ذلك وختم الحديث بأنه لم يكن احد أثبت منه ولذلك قال : كنا والله اذا حمى الوطيس او البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم . وانما لم يعترف البراء صراحة بالفرار لأن العرب تنفر منه بطبعها . فكما تكره وقوعه تكره الاعتراف به لبشاعته وقبحه وهذا الجواب من بديع الأدب .

ويحتمل ان السائل فهم العموم من قوله تعالى : « ثم وليتم مدبرين » فأراد البراء ان يبين له بأنه من العام الذى اريد به الخصوص . ولذلك قال : لم يفر .. اى فأما نحن فقد فررنا واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر وفرار من كان قد فر لـ

---

(١) التوبة من ٢٥ ـ ٢٧

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ

يكن على نية الاستمرار وانما انخشعوا من دفع السهام . واما الفرار المتوعد عليه هو ان ينوى عدم العود اذا أمكنه ذلك .

وقوله عليه السلام : « انا النبى لا كذب . انا ابن عبد المطلب » ى لا كذب فى نبوتى فانا الصادق الامين الذى وعدنى ربى بالنصر « ونصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر » فلا انهزم لان الله تعالى وعد بذلك ووعد الله حق لا يتخلف .

واما قوله : « انا ابن عبد المطلب » : اى انا ابن سيد قومه المعروف بالشجاعة والكياسة والسيادة . والشهير بين الناس بما رزق من نباة الذكر وطول العمر وحسن الخلق . وانما لم يذكر أباه عبد اللاه لأنه مات شابا ولم يكن له ذكر بين القوم كما كان لابيه عبد المطلب .

وقد كان كثير من العرب يدعون محمدا صلى الله عليه وسلم بابن عبد المطلب وانما اراد النبى صلى الله عليه وسلم تذكيرهم بذلك وتنبيههم بأنه لابد من ظهوره على الاعداء وان العاقبة له لتقوى نفوسهم .

فان قال قائل : كيف افتخر النبى صلى الله عليه وسلم بالاباء وقد نهى عن ذلك ؟ فالجواب : ان الافتخار المنهى عنه انما هو الذى يكون فى غير الحرب اما فى الحرب فجائز لما فيه من ارهاب العدو والفتّ فى عضده وذلك اذا كان صادرا ممن عرف بالقوة والعزيمة الصارمة والنية الصادقة وهاتان الجملتان الصادرتان عنه صلى الله عليه وسلم ليستا من الشعر ولا من قبيل الشعر لان الشعر لابد ان يكون مقصورا وموزونا ومقفى وهاتان الجملتان بذكرهما فى هذا الموقف يدلان دلالة قاطعة على أن يقينه بصدق رسالته متغلغل فى أعماق قلبه لأنه لو كان غير ذلك « حاشاه » لنسى فى وقت الشدة ما كان يدعيه فى وقت الرخاء . لان الباطل قليل من الصدمات يذيبه . فضلا عن مثل هذا الموقف الحرج . ولما كان صلى الله عليه وسلم واثقا بصدق دعواه فان الحوادث مهما اشتدت حلقاتها فانها تجلو هذا اليقين وتبرز آثاره . فانظر الى حسن بصره صلى الله عليه وسلم ودقة فكره حتى فى وقت الشدة حيث قدم الحافز على الثبات الناشىء عن الدين على الحافز الناشىء عن النسب

واذا ضممنا الى هذا انه صلى الله عليه وسلم كان فى هذا اليوم لم ير المسلمون خصما اكثر منه عددا وقوة راكبا بغلة وهى من الدواب التى لا تسعف راكبها بالسرعة علمت انها النبوة المؤيدة بالقوة الالهية المثبتة بالسكينة الربانية المردفة بالملائكة ومصداق ذلك قوله تعالى « فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها » ..

وان لنا فى هذا الحديث وغيره التى سيقت فى هذه الغزوة لعبرا شتى وعظات بالغة لا تحد ولا تحصى ومن ذلك :

١ ــ ان النصر لا يكون الا من عند الله

من نفحات السنة المباركة

العزيز الحكيم ، مهما كانت العدة والعدد ومهما بلغ الجيش من قوة وليس النصر بفلان او علان .

٢ ـ ان هزيمة المسلمين مع كثرتهم كانت بسبب الدخيل فيهم من ضعفاء الايمان والذين كانت نيتهم الاستيلاء على الغنائم . وغرور بعضهم بكثرة عددهم حتى قالوا لن نغلب اليوم عن قلة » .

ولكن ما أن وَعَوْا ما هم فيه وانكسرت له قلوبهم حتى أرسل الله تعالى اليهم خلع الجبر مع بريد النصر . وقد اقتضت حكمته تعالى أن خلع النصر وجوائزه انما تفيض على أهل الانكسار .

٣ ـ ومن بديع ما فى هذه الغزوة . أن الله تعالى افتتح غزو العرب بغزوة بدر واختتم غزوهم بحنين وهما مشتركتان فى خصائص كثيرة من نزول الملائكة للتثبيت للمؤمنين وتضرع الرسول عليه الصلاة والسلام الى ربه ودعائه له بنصر عباده . ورمى الأعداء بالحصى وأن كلا منهما أطفأت جمرة كفار العرب . فالاولى خوفتهم وكسرت من شوكتهم والثانية استفرغت قواهم .فرفعت الغشاوة عن اعينهم فلم يجدوا بدا من الدخول فى دين الله أفواجا .

٤ ـ معجزات ظاهرة للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ معجزة فعلية عندما قبض قبضة من التراب ورمى بها فى وجوه الأعداء فلم يبق واحد منهم الا دخل التراب فى عينيه وفمه .

ومعجزة قولية وهى أنه عليه الصلاة والسلام أخبر بأن الأعداء هزموا وأقسم برب محمد أو برب الكعبة وقد حدثت بالفعل هزيمة الأعداء .

وكذلك أخبر شيبة بن عثمان الحجبى بما أضمر فى نفسه حيث قال شيبة لما كان عام الفتح دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأثأر منه فأكون أنا الذى قمت بثأر قريش كلها ولو لم يبق من العرب أحد الا اتبع محمدا ما اتبعته أبدا وكنت مرصدا لما خرجت له لا يزداد الأمر فى نفسى الا قوة . فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بغلته فأصلت السيف فدنوت اريد ما اريد منه ورفعت سيفى حتى كدت أشعره اياه . فرفع الى شواظ من نار كالبرق كاد يمحشنى فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه فالتفت الىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادانى

ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

يا شيب ادن منى فدنوت منه فمسح صدرى ثم قال : « اللهم أعذه من الشيطان » قال فوالله لهو كان ساعتئذ أحب الى من سمعى وبصرى ونفسى وأذهب الله ما كان فى نفسى . ثم قال : فتقدمت أمامه أضرب بسيفى الله أعلم انى أحب أن أقيه بنفسى كل شىء الى ان قال : فدخل خباءه فدخلت عليه فقال : يا شيب الذى أراد الله بك خير مما أردت لنفسك ثم حدثنى بكل ما أضمرت فى نفسى ما لم أكن أذكره لأحد قط فقلت فانى أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثم قلت : استغفر لى فقال : « غفر الله لك » .

ه ـ ولقد اكرم الله عز وجل اهل مكة وجبر كسرهم وفرحهم بما نالوه من النصر والمغنم وكانت كالدواء لما نالهم وعرفهم تمام نعمته عليهم بما صرف عنهم من شر هوازن فانه لم يكن لهم بهم طاقة وانما نصروا عليهم بالمسلمين .

وأما الاحكام الفقهية فمنها ما يأتى : موجزا

١ ـ ان الامام ينبغى له أن يبعث العيون لتاتى له بخبر الأعداء .

٢ ـ أنه اذا سمع بقصد عدوه له وفى جيشه قوة ومنعة لا يقعد ينتظرهم بل يسير اليهم .

٣ ـ وله أيضا أن يستعير سلاح المشركين وعدته لقتال عدوه .

٤ ـ جواز عقر الحيوان الذى يحارب عليه العدو واتلاف عدته اذا كان ذلك عونا على قتله كما فعل على رضى الله عنه بعقر جمل العدو .

ه ـ جواز انتظار الامام بقسم الغنائم اسلام الكفار ودخولهم فى الطاعة فيرد عليهم غنائمهم وسبيهم .

٦ ـ وان من قتل قتيلا فله سلبه اذا قام البينة على ذلك .

٧ ـ جواز قبول هدية اهل الكتاب لان الرسول عليه السلام قبل هدية المقوقس عظيم القبط وهدية فروة بن نفاثه . وأما هدية المشركين فلا ينبغى قبولها وعليه ردها لمهديها والا وضعت فى أموال المسلمين .

٨ ـ جواز الفخر بالقول والفعل أثناء الحرب مع العدو كما قال عليه السلام « أنا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب » وكما قال : سلمة بن الأكوع خذها وأنا ابن الأكوع . وكمال قال على رضى الله عنه : أنا الذى سمتنى مى حيدرة وكما فعل أبو دجانة عندما تعصب بعصابته ثم هز سيفه وأخذ يختال فى مشيته أمام العدو ليريهم من نفسه وغير ذلك من الاحكام التى يطول ذكرها ومن أراد ذلك فعليه بكتب الفقة والسيرة .

والله نسال ان يثبت المسلمين فى عقيدتهم وفى كل امورهم وأن يجمع شملهم وينصرهم على أعدائهم انه نعم المولى ونعم النصير . أمين

وبالله التوفيق

كتبه

د . محمد محمود شعبان

المدير العام للتعليم الثانوى الأزهرى

عقد الزواج

أشراطه الشرعية والقانونية

الزواج فى اللغة العربية هو الاقتران والازدواج يقال زوج الرجل ابله اذا قرن بعضها ببعض (١) ومنه قوله تعالى (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ) سورة الصافات ٢٢ ، ٢٣ أى وقرناءهم .

أما الزواج فى الشريعة الاسلامية فهو عقد يفيد حل استمتاع كل واحد من الزوجين بالآخر على الوجه المشروع ويجعل لكل منهما حقوقا قبل صاحبه وواجبات عليه .

فهو من عقود التمليك والملك فيه وارد قصدا على متعة كل واحد من الزوجين بالآخر ولذا عرفه بعض الفقهاء بقوله (هو عقد يرد على ملك المتعة قصدا) .

وهو من عقود التمليك التى يترتب عليها أثرها فى الحال غير محدود بزمن ولذا لاتقبل اضافته الى زمن مستقبل ولا توقيته بوقت ما طويل أو قصير .

فمتى تحققت أركان العقد وتوافرت شرائطه الشرعية حل استمتاع كل واحد من الزوجين بالآخر بعد ما كان حراما عليهما .

واستحقت الزوجة على زوجها المهر والنفقة والعدل بينها وبين ضرائرها اذا تعددت الزوجات .

واستحق الزوج على زوجته الطاعة وعدم خروجها عن اذنه والقوامة عليها وذلك فى قوله تعالى (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) سورة النساء ٣٤) .

واستحق كل منهما على الآخر حسن المعاشرة وحرمة المصاهرة والتوارث (٢) .

الحكمة فى تشريعات الزواج :

ولقد شرع الله الزواج تكريما للنوع الانسانى ولبقائه على أكمل وجوه البقاء الى

(١) كتاب المفردات فى غريب القرآن تاليف أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى .

(٢) كتاب أحكام الاحوال الشخصية فى الشريعة الاسلامية تاليف المرحوم الاستاذ عبد الوهاب خلاف .

المستشار محمد عزت الطهطاوي

الأجل الذى قدر الله أن ينتهى بقاء الانسان اليه بدلا من توالده بمجرد الاختلاط بين ذكورة وأنوثة كما تفعل أنواع الحيوانات .

ولأن موجب الزواج الشرعى الاختصاص وأن تكون الزوجة حلالا لزوجها وحده لايملك غيره حق الاستمتاع بها كان فى هذا الاختصاص بقاء النوع الانسانى على أكمل وجوه البقاء من نواح عدة .

احداها : أن يحول دون تزاحم عدد من الرجال على امرأة واحدة فيأمن الناس التظالم والتقاتل اللذين يودى اليهما ذلك التزاحم .

والثانية : أنه يحفظ الأنساب ويجعل لأولاد كل زوجة أبا معروفا يتكفل برعايتهم والمحافظة عليهم فى طفولتهم وبعدها حتى يبلغوا أشدهم فيأمنوا الضياع والفناء .

والثالثة : تحصن النفس وقضاء حاجاتها الجنسية من الطريق التى أحلها الله والبعد عن انتهاك الحرمات وفى ذلك حفظ الأخلاق والأعراض ووقاية من الشحناء والبغضاء يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) (١) والباءة تعنى مؤنة الزواج ـ والوجاء تعنى الوقاية .

كما يقول عليه الصلاة والسلام (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة) (٢) ومادام اجتماع الذكور بالاناث من الضروريات التى اقتضتها الفطرة الجنسية كان لابد من تشريع نظام يقوم على أساسه هذا الاجتماع حتى يأمن احداهما عدوان صاحبه ويثمر الاجتماع ثمرته المقصودة من تعاون الزوجين وقيام الزوج بأعباء الحياة الخارجية وقيام الزوجة بالشئون المنزلية وسكون أحدهما الى الآخر وأنسه به واطمئنانه اليه وتبادلهما المودة والرحمة التى أشار الله سبحانه وتعالى اليها بقوله (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) سورة الروم ٢١ .

اركان عقد الزواج :

هى العاقدان والمعقود عليه وصيغة العقد

" الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ . "

صدق الله العظيم

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه مسلم والنسائى .

عقد الزواج

المكونة من الايجاب والقبول لما كان وجود الصيغة يستلزم وجود العاقدين والمعقود عليه اقتصر أكثر الفقهاء في بيان أركان الزواج على قولهم (أركان الزواج الايجاب والقبول) .

فالايجاب هو ما صدر أولا من أحد العاقدين تعبيرا عن ارادته وايجاد الارتباط وانشائه . والقبول هوما صدرثانيا من الآخر للدلالة على موافقته ورضاه بما أوجبه الأول .

ولا بد في الايجاب والقبول من تحقق أمرين :

أحدهما : من حيث صورتهما اللفظية .

والثاني : من حيث مادتهما واشتقاقهما .

فأما من حيث صورتهما اللفظية فلابد أن يكونا على صورة الفعل الماضي مثل زوجتك موكلتي ، قبلت — أو وهبت لك نفسي ، قبلت لأن الغرض من الصيغة التعبير عن حصول رضا من الطرفين وتوافق بين ارادتيهما والذي يدل على حصول هذا فعلا وقت التعاقد هو ما كان على صيغة الماضي .

وأما من حيث مادتهما واشتقاقهما فالقبول لا يشترط اشتقاق لفظه من مادة خاصة بل بأي لفظ يدل على الموافقة والرضا من أي مادة كانت مثل قبلت رضيت وأما الايجاب فلابد أن يكون بلفظ مشتق من الزواج أو النكاح أو مشتق مما يدل على تمليك العين في الحال مثل الهبة والتمليك والبيع وما يرادف ذلك من أي لغة (١) .

شروط عقد الزواج :

عقد الزواج له شروط كثيرة ومتنوعة اشترطها المشرع الاسلامي وتسمى بالشروط الشرعية وله شروط وضعية أو قانونية اشترطها المشرع الوضعي بمصر وذلك لسماع دعوى الزواج عند انكاره أمام المحاكم في دوائر الأحوال الشخصية في جمهوريتنا المصرية العربية ، ولاتوجد مثل هذه الشروط القانونية في بلاد أخرى مثل جمهورية السودان والمملكة العربية السعودية وغيرها (٢) .

أولا : الشروط الشرعية لعقد الزواج :

هذه الشروط هي شروط الانعقاد وهي التي تلزم مراعاتها في أركان العقد ولو تخلف شرط منها صار وجود الأركان بمنزلة العدم وبالتالي انعدم العقد ولا يترتب عليه حكم من الأحكام ويسمى العقد في هذه الحالة بالعقد الباطل وهذه الشروط نوجزها في الآتي ومن أراد التوسع والتفصيل فيها فعليه بما حسب فقهاء الاسلام وأئمه المذاهب الاسلامية في كتب الفقه الاسلامي المختلفة .

١ — شروط خاصة بالعاقدين وما يجب أن يتحقق لهما من أهلية وتمييز وأن يسمع كل منهما كلام الآخر ويفهم أن المقصود من كلامه هو انشاء الزواج .

---

(١) كتاب احكام الاحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية تأليف المرحوم الاستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف .

(٢) كتاب نظام الاسرة في الشريعة الاسلامية للدكتور محمد علي محجوب الاستاذ بكلية الحقوق جامعة عين شمس .

"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"

صدق الله العظيم

٢ ــ شروط المعقود عليه وهى المرأة فيشترط لكى ينعقد الزواج بها الا تكون محرمة على الرجل تحريما قطعيا كالأم والبنت والأخت وغيرهن مما كانت حرمتهن مؤبدة .

٣ ــ شروط خاصة بصيغة العقد وهى (الايجاب والقبول) فيتحد مجلس الايجاب والقبول ، وأن يكون القبول موافقا للايجاب ومطابقا له فى موضوع العقد وفى مقدار المهر، وأن تكون صيغة العقد منجزة غير معلقة ولا مضافة .

٤ ــ شروط صحة الزواج وهى التى يلزم توافرها فى العقد بعد استيفائه شروط الانعقاد ولو تخلف شرط منها صار العقد فاسدا وهى الشهادة على الزواج مع شروط فى الشهود وهى التعدد والبلوغ والاسلام والا تكون المرأة محرمة على الرجل حرمة مؤقتة أو محرمة عليه تحريما مؤبدا .

٥ ــ شروط نفاذ الزواج بأن يكون كل من الزوجين كامل الأهلية (أى بالغا عاقلا حرا) وأن يكون الزوج رشيدا أى غير سفيه والا يكون العاقد وكيلا خالف موكله والا يكون فضوليا .

٦ ــ شروط اللزوم وهى التى يترتب على وجودها أن يكون العقد لازما بمعنى أنه لا يجوز فسخه من أحد العاقدين أو من غيرهما كأن يكون الزوج كفؤا للزوجة وأن يكون المهر هو مهر مثلها وأن يكون العقد خاليا من التغرير ، والزوج خاليا من العيوب (١) .

ثانيا : الشروط القانونية لعقد الزواج :

أصدر المشرع المصرى القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ قرر فيه الآتى :

١ ــ الا تقل سن الزوجة عن ست عشرة سنة ، وسن الزوج عن ثمانى عشرة سنة هلالية وقت الدعوى فاذا كانت سن أحدهما تقل عن ذلك فلا تسمع دعوى الزوجية (٢) .

٢ ــ الزواج المدعى وقوعه فى المدة من أول أغسطس سنة ١٩٣١ الى الآن لا تسمع الدعوى به عند الانكار الا اذا كان ثابتا فى وثيقة زواج رسمية صادرة من الموظف المختص بتوثيق عقود الزواج كالقاضى فى المحكمة والمأذون فى القرية والقنصل خارج البلاد (٣) .

وكما ذكرنا سابقا أن هذه الشروط القانونية لاتوجد فى بلاد أخرى حيث يكتفون فقط بالشروط الشرعية لعقد الزواج وهو ما اشتهر

---

(١) المرجع السابق .

(٢) نصت على ذلك الفقرة الخامسة من المادة ٩٩ من القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ .

(٣) نصت على ذلك الفقرة الرابعة من المادة ٩٩ من القانون سالف الذكر .

عقد الزواج

بين الناس في مصر باسم « الزواج العرفي (١)

فالزواج العرفي :

هو الزواج الذي لايكتب في الوثيقة الرسمية التي قررها القانون المصري وهو عقد ان استكمل الأركان والشروط المعتبرة شرعا كان صحيحا وبه تثبيت جميع الحقوق من حل الاتصال بين الزوجين ومن وجوب النفقة على الرجل ووجوب الطاعة على المرأة ونسب الأولاد من الرجل وهو العقد الشرعي الذي كان معهودا عند المصريين المسلمين الى عهد قريب اذ كان الضمير الايماني كافيا عند الطرفين في الاعتراف به وفي القيام بحقوقه الشرعية على الوجه الذي يقضي به الشرع الاسلامي ويتطلبه الوازع الايماني .

فاذا كان المدعى عليه مقرا بدعوى الزوجية عومل باقراره في اية مدة أدعى حصول الزواج فيها فلاحاجه لاشتراط المسوغ الكتابي لسماع دعوى الزواج الا عند انكار الزوجية .

كيف دعت الحاجة المشرع المصري الى تقرير الشروط القانونية في عقد الزواج .

لما رأى أولياء الأمور في مصر أن ميزان الايمان قد خف في كثير من القلوب ، وأن الضمير الايماني في بعض الناس قد ذبل فوجد من يدعي الزوجية زورا ويعتمد في اثباتها على شهادة شهود لايتقون الله ولا يرعون الحق فما تشعر المرأة الا وهي زوجة لمزور أخرجها الى بيته اشباعا لشهوته أو كيدا لها ولأسرتها ، كما وجد من أنكر الزواج تخلصا من حقوق الزوجية أو التماسا للحرية في التزوج بمن يشاء ويعجز الطرف الآخر اثباته أمام القضاء وبذلك لا تصل الزوجة الى حقها في النفقة أو لايصل الزوج الى حقه في الطاعة ، وقد يضيع نسب الأولاد ويلتصق بهم وبأمهم العار الأبدي فوق حرمانهم حقوقهم فيما تركه والدهما من ميراث (٢) .

لذلك قرر المشرع الوضعي المصري حفظا للأسر وصونا للحياة الزوجية وقطعا لهذا العبث شروطا قانونية لاجراء عقد الزواج وبذلك التشريع صار الذين يقدمون على الزواج دون التزام تلك الشروط هم وحدهم الذين يتحملون تبعات ما يتعرضون له من آثار سيئة كما يتحملون اثم ضياع الأنساب للأولاد وحرمانهم الميراث عند الانكار وهم وحدهم المسئولون عن تصرفاتهم أمام الله وأمام الناس .

المستشار

محمد عزت الطهطاوي

(١) كتاب نظام الاسرة في الشريعة الاسلامية للدكتور محمد على محجوب .

(٢) كتاب الفتاوى لفضيلة المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت .

■ الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم

مع الفكر الغربي

■ من مزاعم المستشرقين

الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم

(٤)

... وكالشارح ألقى نظرة في الكتاب الأصلى فوجده عظيم المحتوى ، ونظرة أخرى في وجوه الدارسين فوجدها صفراء من التعب ، فأدرك واجبه على الفور — دخل N.J. Dawood ميدان ترجمة القرآن الكريم ، وظهرت الطبعة الأولى من كتابه في ١٩٥٦ م

فمن داود هذا وان اسمه — بالحروف اللاتينية — ليزعق بعربيته ، وان اليسر الذى تجرى به مقدمته لينفى أجنبيته عن موضوعه !؟

لا أحد يدرى !!

وقد حدست الدكتورة بنت الشاطىء أنه يهودى عراقى ..

وفي كتابه جمع بين المترجم الملتزم والمؤلف الحر في نثر أدبى سهل ، جامعا الايات — في أغلب الأحوال — في فقرات يراها متوالية ..

ولم تخل مقدمته ، ولاترجمته من تلك الايحاءات الممجوجة التى يريد بها الغرب اثبات اى تهافت على الاسلام ، ورمى العيب لرسوله — صلى الله عليه وسلم — وكتابه العزيز ، او حصر هذا الكتاب الكريم في حيز « الاثر الكلاسيكى العربى » ..

كان عنوان الترجمة الاولى لداود « القران - ترجمة جديدة » .

The Koran a New Translation

وصار اسمها في طبعاتها التالية « القران » فحسب مع انه غير فيها ترتيب السور تغييرا لايهدف الى تعلقها بأوقات النزول ، وانما « بأثرها الادبى في نفس القارىء الأجنبى » حسب رأيه ..

ونقدم مقتبسات من هذه الترجمة تكشف عن تعمد داود بث فيها من ايحاءات تهدف الى أن القران الكريم ليس من عند الله ، وأن الرسول — صلى الله عليه وسلم قد تأثر بالتعاليم اليهودية والمسيحية وبالحنفاء من قومه — صلى الله عليه وسلم ..

هذا الى تعمد داود تجاوز الواقع من الأسباب الى طرح بعض فصولها في غموض يوحى بانقطاع التسلسل فيما كتبه عن الوحى وتدوين القران كذلك يعتبر داود وجود هذه القراءات نتيجة لكتابة القران الكريم بالخط الكوفى . والصحيح الثابت أن القراءات المتواترة تليت في عهده صلى الله

للأستاذ سليمان بركات

عليه وسلم ، بل بين يديه عليه الصلاة والسلام ..

ويحيل ترتيب السور الى عمل الكتبة لا الى الوحى ..

ويدهى أن الرجل لايقدم ترجمته لمسلم عربى على علم بتاريخ القرآن وأسباب النزول وانما يقدم نتاجه هذا الذى يصر فيه على أن القرآن رائعة أدبية لقارىء الانجليزية على أى مستوى كان لتكون حصيلة هذا القارىء هذه المضامين التى يريدها داود ..

نقول ذلك ـ للقارىء ـ بين يدى هذه المقتبسات حتى يكون على وعى حاذر لما يرمى له الرجل

يقول ـ فى مقدمة كتابه :

« القرآن أول وأفصح أدب نثرى كلاسيكى ، وهو ـ بالنسبة للمسلمين ـ كلام الله المعصوم ، استنسخ من لوح محفوظ فى السماء ، وأوحى الى محمد (١) (صلى الله عليه وسلم) بواسطة جبريل (عليه الصلاة والسلام(٢) وباستثناء الفاتحة وبضعة أيات أخر يتكلم فيها النبى أو الملك ، فالمتكلم عبر القرآن كله هو الله بضمير المفرد وضمير الجمع »

ومما يقول عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم :

« وفى سن الخامسة والعشرين تزوج خديجة بنت خويلد ، وهى ارملة غنية تكبره بخمس عشرة سنة ، وكان قد صار له سمعة طيبة لامانته وحكمته ، كما كان قد تأثر بالتعاليم اليهودية والمسيحية »

وعن الوثنية الجاهلية يقول :

« كانت العرب تعبد فى الكعبة مع الله الاهات اناث هن : اللات والعزة ومناة ، يمثلن بالترتيب الشمس والزهرة والسعد ..

« قبل دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم بزمن طويل تبدت على الوثنية العربية أعراض الانهيار ..

« فبتأثير من التوحيد اليهودى والمسيحى كان عدد من العرب يعرفون بالحنيفيين قد نبذوا الوثنية الى ديانة

---

(١) يسميه Mohammed وصحة الاسم Muhammad صلى الله عليه وسلم

(٢) هذه الصلاة ليست الأصل

فيه آيات بينات مقام ابراهيم

الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم

متقشفة خاصة بهم ».

« ويظهر ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) قد تأثر بهم . فقد اعتاد الاعتكاف بغار في الجبل ليخلو الى التحنث والتفكر »

وعن أول الوحي يقول :

« ويروى في الخبر انه بينما كان محمد نائما او في غشية ذات ليلة من رمضان حوالى ٦١٠ م جاءه الملك جبريل وقال له « اقرأ » فتساءل محمد « فما أقرأ » (١) وتكرر الامر ثلاثا وبعدها تلا جبريل « اقرأ باسم ربك الذى خلق ».

« وحينما استيقظ محمد كانت هذه الكلمات كما يحكى عنه ، كأنما نقشت في قلبه ».

وفي نبوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم يقول :

« وكان محمد الذى ينكر قدرته على الاتيان بمعجزات ، يؤمن ايمانا جازما انه رسول الله مبعوث لتأكيد الكتب السابقة ».

« فقد أوحى الله مشيئته الى اليهود والمسيحيين عن طريق رسل مختارين ولكنهم (٢) خرجوا على امر الله وتفرقوا شيعا منشقة على بعضها ».

« ويتهم القرآن اليهود بتحريف الكتب المقدسة والمسيحيين بعبادة المسيح كابن لله ، مع أنهم لم يؤمروا الا بافراد الله وحده ـ بالعبادة »

« ولأنهم ـ بذلك ـ قد ضلوا ، فقد وجبت اعادتهم الى طريق الدين الحق الذى دعا اليه ابراهيم ، والذى هو الاسلام ، أى الاذعان التام والتسليم المطلق لمشيئة الله »

وعن دعوة القرآن يقول :

« ينادى القرآن بوحدانية الله ويؤكد على رحمته ومغفرته ».

« والله عزيز ، عليم ، ومع رحمته بعباده فهو شديد العقاب ».

« وهو يأمر بالعدل والاحسان ، والشفقة على اليتامى والأرامل والتصدق على الفقراء »

« وأهم الفروض على المسلم : الايمان بالله ورسوله ، والصلاة والزكاة ، والصوم ، وحج البيت المقدس في مكة الذى بناه ابراهيم بعبادة الله الواحد »

وعن الوحى وتدوين القرآن يقول :

« وكان الوحى القرآنى يتوالى على فترات قصيرة ، وكان يقوم على استظهاره بادىء الأمر حفاظ محترفون »

« وفي حياة محمد كانت الآيات تكتب على سعف النخيل والحجارة وأى مادة مناسبة متيسرة »

« وتم تجميع هذه الآيات ابان خلافة عمر ، الخليفة الثانى »

« ثم تحددت نسخة معتمدة في خلافة عثمان »

« والى يومنا أصبحت هذه النسخة هى كلام الله المعتمد به »

« ولما كان الخط الكوفى الذى دون به القرآن أول الأمر خاليا من النقط والضبط ،

---

(١) الخبر المتواتر : « ما انا بقارىء » كرره ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرتين يريد به النفى وفي الثالثة تساءل : « ماذا أقرأ ؟ »

(٢) أى اليهود والنصارى

قال الله سبحانه وتعالى

قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين

فان للقران قراءات مختلفة بها على قدم المساواة لدى المسلمين ».

« ومن سوء الحظ أن ناسخي القران في تجميعهم لاياته لم يلتزموا تسلسلها الزمني، بل رتبوا السور بصفة عامة حسب أطوالها مبتدئين بالسور الطويلة ..

« وقد حاول نولدكه Noldeke وجريم - Grimme ورودويل Rodwell وبل Bell ترتيب هذه السور زمنيا ولكن العلماء متفقون على استحالة الترتيب الزمني الدقيق للقران بدون تقسيم بعض السور ايات متفرقة، لورود ايات مدنية في سور مكية سبقتها في النزول ».

ويتحدث داود عن ترجمته فيقول :

« وفي اعدادي لهذه الترجمة كان هدفي أن أقدم للقارىء الحديث نصا مفهوما للقران بالانجليزية المعاصرة .

« وفي يقيني أن القران ليس فقط واحدا من أعظم كتب الأدب الديني وانما هو كذلك رائعة أدبية باهرة .

« وقد فشلت في رأيي ترجمات سابقة له عجزت عن نقل معانيه وجلال فصاحته وبلاغته بسبب التزامها المتزمت بالترجمة الحرفية ».

وعن المتشابه والغيبيات في القران يقول :

« ويجدر بالذكر أن القران يضم العديد من المعطيات والأخبار التي ان لم يسلم القارىء بغموضها وعويص مقصدها فسيكون لها اكثر من تأويل .

« وقد بذلت جهدا عظيما في صياغة هذه الغوامض حيثما عرضت، وقدمت تذييلات تفسيرية حتى لاتخرج الترجمة الى التأويل .

« ولبعض السور فواتح شفرية من حروف مقطعة .

« ومع أن هناك نظريات مختلفة لعلماء المسلمين، والغرب لتفسيرها الا أن نظرية شافية منها لاتوجد .

« وقد درج المفسرون المحافظون على صرف نظرهم عنها بقولهم :

« الله أعلم بمراده » ».

وعن مراجعه التي اعتمد عليها في صياغة المتشابهات يقول :

« وقد التزمت في هذه الصياغة بتفاسير الزمخشري والبيضاوي والجلالين، وهي من التفاسير القيمة » .

ويقول داود انه تخلي في طباعته الجديدة (١) لترجمته عن ترتيب سور القران الترتيب التقليدي ويبرر ذلك بسببين :

« أولهما، أن هذا الترتيب لايستند الي تفويض النبي « صلي الله عليه وسلم، وهذا خطأ كما سبق أن أوضحنا .

« وثانيهما : افتقار القران الكريم - حاش

---

(١) اعتبارا من طبعة ١٩٥٩ التي أعيدت في ١٩٦١ ، ١٩٦٤ ثم عاود المراجعة في ١٩٦٦ .

الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم

لله ـ الي تسلسل السيناريو » لمعطياته وللمرحوم الشيخ دراز كتاب « النبأ العظيم » في الرد علي هذه الفرية .

كذلك أسمي المترجم « الفاتحة » The Exordium ومعناها الافتتاحية (!

ولذلك ـ حسب رواية داود ـ فقد بدا كتابه بالسور ذات الطبيعة الشاعرية (١) واخر السور ذات الطول والموضوعات المتعددة .

ففي رأيه أن القارىء المبرأ من تلقين سابق كثيرا ماتصده أمثال سورة البقرة وسورة النساء بموضوعاتها الدنيوية وهما أوائل الترتيب المتوارث للقران . وهو يعزو هذا الصد الي أسباب لم يذكرها وانما وصفها بأنها مفهومة ! وعلي اي حال فقد نبه في الفهرس الي الرقم المتواتر ، أو التقليدي لكل المصحف في سورة .

كما أكد أنه لم يتعرض للمسائل الخلافية ، ومنها مثلا ، ما يتعلق بطبيعة نبوة محمد ، صلي الله عليه وسلم ، ومصادره العقائدية ، وانما لكل قارىء أن يكون اراه بفكر حر غير متحيز » (كذا) . ومقصده من هذه العبارة لايخفي علي قارىء .

وأعقب (داود) مقدمته بجدول زمني لاهم الاحداث في حياة النبي صلي الله عليه وسلم ، فيذكر العام ، والي جواره « عنوان » الحدث الذي وقع فيه .

ويهمنا أن نلفت النظر هنا الى أنه جعل لما يتعلق من هذه الاحداث باليهود ظلالا مضللة وهي كما يلي :

عام ٦٢٦ م ـ اخضاع يهود النضير وطردهم .

عام ٦٢٧ م ـ محمد يغير علي يهود قريظة ، ويعدم ثمانمائة (يهودي واحد تخلي عن دينه لينجو) ويبيع كل النساء والأطفال عبيدا .

عام ٦٢٩ م ـ اخضاع يهود خيبر .

وكذلك ترجم داود سورة الروم الي سورة الاغريق وجعل « ص » Sad و (س) في فواتح بعض السور Sin .

مثلما فعل آربري .

وكان يجدر بهما وضع نقطة تحت « S » للتعبير عن « ص » العربية . وتحت « d » للتعبير عن « ض » وتحت « t » للتعبير عن « ط » وتحت « dh » للتعبير عن « ظ » ووضع شرطة قصيرة فوق « ا » في « sin » حتي تعبر عن « س » في فواتح السور .

---

(١) كذا قال المترجم .

إن الله عنده علم الساعة

ولاتعطي معنى الاثم او الذنب .

وعوضا عن مقارنة محدودة لبعض النصوص عن اربري بنظائرها في المصحف الشريف . ومثل ذلك عند داود . نرجو بعون الله ان نقوم بدراسة تحليلية لهذه الترجمات الاربع : مكتول . وعبد الله يوسف . واربري . وداود .

وانما نحاول التنبيه على الخصائص الفذة للغة العربية . وعلى أن الله سبحانه وتعالى كما ادب نبيه عليه الصلاة والسلام فأحسن تاديبه . قد أعد اللغة العربية للرسالة فأحسن اعدادها .

ونقتصر على امثلة من الصلاحيات النحوية والبلاغية لبعض الحروف الأبجدية المفردة . كمثال على التفرد المعجز للغة العربية حتى في اقل الاشياء .

فاين من لغة . اي لغة . اداة كالهمزة في « قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين » ٩ فصلت

أو الباء في : « وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر » ٩٦ البقرة او الفاء في : « فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى » ٤٨١ الحج .

او اللام والنون في : « لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين » ٦١ ، ٧ التكاثر .

فالترجمة الى العربية ليست كالترجمة عنها .

واخشى مانخشاه ان يكون كثرة الترجمات الاجنبية للقران نوع من الخوض في محرم باحتمالات الاحلال والابدال التي هي من جنس التحريف .

ولنتصور الامر وقد اصبح ذلك متاحا او متواترا . وكل امرىء يسمي ترجمته تنزيلا ومايترتب على ذلك ١..

ان التحريف الذي لم يدخل القران الكريم في نصه العربي بحال يمكن بسهولة أن تسلل الى ترجمة معانيه حتف أنف مترجميه .

ونحن نعلم ان الأزهر الشريف اعتمد ترجمة Picthall لكن هذا الاعتماد لم يحبس ناشري الغرب عن اخراج غيرها . لذلك نرى ــ تماما ــ أن على الأزهر وكافة الجامعات الاسلامية مسئولية متابعة الترجمات التي تصدر بالتصحيح والتعليق والزام الناشرين باخذ توصيات هذه الهيئات الاسلامية الكبرى مأخذ الامتثال والتنفيذ الفوري .

١- أنظر . مجرة الأحجار الكريمة بمنبر الاسلام شوال ١٤٠٣

سليمان بركات

من مزاعم المستشرقين حول .. الفكر الإسلامي

لابيه LABIET

لا بييه من المستشرقين الذين بذلوا جهدا كبيرا فى التقليل من شأن العربى المسلم واضفاء وصف التبعية على العقلية الاسلامية .

والرجل فى هذا الزعم يسلك مسلكا يصطبغ من الناحية الشكلية بالصبغة العلمية .

فقد عمد الرجل الى أسلوب الدراسة المقارنة بين الروح الاسلامية والروح اليهودية والروح الاوربية وقد عبر عن ذلك فى كتابه « المدنيات التونسية » .

وقد حاول الرجل من خلال هذه الدراسة المقارنة . الوصول الى نتيجة مؤداها . قصور العقل الاسلامى خاصة والعقل السامى عامة عن أى ابداع فلسفى .

ونحن نصحب الرجل فى دعاواه . ونناقش دلائله . ومبناه . وسوف نرى قيمة ما يذهب اليه . من الناحية المنهجية والناحية الموضوعية معـا .

يقول فى كتابه المذكور :

ان النفس اليهودية متجردة بفطرتها صوب المستقبل ، بينما النفس العربية متجردة صوب الماضى .

والنفس الأوربية تختلف عنهما .

ثم يقول :

المستقبل . هذا هو مركز الدائرة الذى تنجذب اليه نزعات الاسرائيلى فى تونس .

كما أن الماضى بالنسبة لروح العربى هو مركز الدائرة الأوحد » .

أما عن الأوربى فيقول لا بييه :

الأوربى — بلا شك — يفكر فى رفاهية المستقبل كما لا يهمل التمتع بالحاضر .

وهنا يقترب عنده العنصر اليهودي السامى من العنصر الأوربى ثم يقول :

ان المدنية الأوربية تجبرنا على التبصر وتشاركها فى ذلك المدنية اليهودية .

أما فيما يتعلق بالعربى . فان حب الماضى وعدم الاحتفال بالمستقبل يؤديان الى عدم مقدرته على التبصر . والعربى فى نظر لابييه لا يشغل الا بالماضى . ولم يعد يأبه بأى تفسير عقلى أو فلسفى مما يحيط به وأن ما

الدكتور محمود عبدالمعطي بـــــركات

يشغله هو البكاء على الآثار والزمن .

وقد بنى الرجل هذا الرأى ــ فى زعمه ــ على دراسة اجتماعية ميدانية لهـذه الأجناس حسبما عبرت عنها مدينة تونس التى هى الحقل الذى أجرى فيه دراسته هذه . على اعتبار أنها حقل اجتمعت فيه كل هــــذه العناصر الثلاثة .

وبالرغم من أن مدينة تونس قد يجتمع أو قد اجتمع فيها فعلا كل هذه العناصر . الا أن نتائج هذه الدراسة يجب أن تبقى محلية بحيث لا يصح بحال من الأحوال تعميمها على هــذه الأجناس الثلاثة فى امتدادها الواسع والمنتشر فى أرجاء المعمورة بعيدا عن مدينة تونس .

اذ قد تكون هناك عوامل محلية أو قومية أدت الى مالاحظه الرجل من شـــواهد على فرض سـلامة منهجه .

ونحن نرى أن حكم لابييه ــ على فــرض صحته ــ لا يصح تعميمه على هذه الأجناس فى أوطانها الواسعة وامتدادها العريض ، لأنه ينبغى أن يكون خاصا بالعناصر المـوجودة فى تونس وحدها كبقعة محدودة من العالم .

ومن وجهة نظر علم الاجتماع فيما يتعلق بدراسة الظواهر عقلية كانت أو مادية . لجماعة من الجماعات أو مجتمع من المجتمعات . لابد من تمثل الْعَيِّنَةُ . التى هى محل الدراسة . الجماعة التى يراد الحكم عليهــا بنتـــائج الدراسة . تمثيلا صادقا ــ أعنى أن تكـــون العينة مصنفة من جميع الطبقـــات ومختلف الأنواع والبيئات التى ينتمى اليها عنصر مـا من هذه العناصر . المراد الحكم عليها .

والعنصر الســامى . كالعنصرين كالآخرين ــ كما نعرف ويعرف لابييه ــ يمتـــد وطنه امتدادا كبيرا . فلا ينحصر فى مـدينة تونس وحدها بل انه من الجائز جدا أن تنفرد هــذه المدينة بخصائص جغرافية أو ســـياسية أو غيرها . فلا تكون هذه الخصائص موجودة فى الاطار العام الذى يحتوى العنصر الكلى المراد الحكم عليه . والذى من المفروض أن تمثلـه هذه العينة .

هذه الخصائص التى يمكن أن تكون سياسية أو طبيعية أو اقتصادية أو ثقافية . وكل هذه العوامل ذات تأثير على العنصر الى حد ليس بالامكان تجاهله . وأظننا فى غنى عن الحديث عن بعض ما تمتاز به مدينة تونس من خصائص على رأسها الموقع الجغرافى . والوضع السياسى وقت الدراسة .

ولا أظن أن الرجل قد صـــنف عينته ــ موضوع الدراسة ــ حسبما تقتضيه قواعد علم الاجتماع ومناهجه فى هذا الصدد ودراسة مثل هذه الظواهر ، ذلك لأن هناك فى علم الاجتماع ما يسمى بتصميم الاطار وهو أن يحصـــل الباحث على مجموع واقعى من الحـــالات

من مزاعم المستشرقين
حول الفكر الاسلامي

لاستخدامه كاطار لعينة تمثل المجموع تمثيلا صادقا . ثم بعد ذلك يختار الباحث من هذا الاطار عينة تحقق درجة عالية من التشابه بين العينة المختارة والاطار الكلى المختارة منه(١).

هذا هو بعض ما يقوله علم الاجتماع من الناحية المنهجية فى مثل هذه الدراسات ولا أظن أن لابييه قد راعى ذلك . فمدينة تونس قد يجتمع فيها فعلا الأجناس الثلاثة . الا أن درجة تمثيل العينة للاطار تمثيلا صادقا . قد تكون غير دقيقة أو قل هى كذلك . ومن ثم يصبح التمثيل غير صادق والنتيجة غير دقيقة.

وذلك أن الاطار العام الذى يجب أن تصدق العينة فى تمثيله اطار واسع عريض لدرجة كبيرة حتى ليكاد ينتشر فى معظم بقاع العالم هذا علاوة على أنه اطار مركب من ثلاثة اطارات فرعية واستعراض الاطارات يتعذر معه اختيار العينة ممثلة لها تمثيلا صادقا . ويكفى مثلا أن نعلم أن أحد هذه الاطارات ــ المحكوم عليها وهو الاطار اليهودى اطار واسع جدا حتى انه قد يشمل معظم بقاع الأرض وذلك لأنهم متفرقون فى شتى أنحاء العالم . فلم تكن قد قامت له دولة بعد .

وواضح أن لابييه لم يتخذ ميدان دراسته هذا الامتداد الكبير ولو أن ذلك لم يكن ليغير من النتيجة كثيرا . لأن أساس نظرية لابييه ليس علميا بمقدار ما هو تعصبى واذا كان هذا شأن الاطار اليهودى فان الاطارين الأخرين أيضا يصعب حصرهما حصرا دقيقا .

وبذلك تكون دراسة الرجل مختلة منهجيا فاقدة للاسس العلمية فى ميدانها . هذا بعض ما سمح به المقام من ملاحظات على دراسة لابييه من الناحية المنهجية ، فالمنهج مختل وقواعده هشة وبالتالى فان نتائجه مهتزة ، أما من الناحية الموضوعية :

فمن ناحية التمسك بالماضى كظاهرة فى سلوك العربى المسلم وكطابع للعقلية العربية . وعدم الاحتفال بالمستقبل وعدم التبصر ، وما يراه من البكاء على الزمن .

فلا شك ان هذا الاتهام لا يقوم على أساس صحيح . وذلك أن العربى باعتباره مسلما بصفة عامة يحتل المستقبل عنده منزلة رفيعة فهو يعمل له ويبنى من أجله بل من أجله يحيا حاضره ومستقبله ذلك لأن الاسلام يعتبر الحياة الدنيا بماضيها وحاضرها طريقا لمستقبل واسع هو الآخرة الأبدية التى تؤمن بها الأديان الثلاثة .

وقد أمر المسلمون على لسان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالجد فى العمل حتى لو دهمتهم الكوارث ، حدث هشام بن زيد قال : سمعت أنس بن مالك قال قال : رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : ان قامت الساعة ، وبيد أحدكم فسيلة ؛ فان استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل (١) .

---

(١) راجع مبادىء علم الاجتماع د . محمد محمود الجوهرى وآخرون طبع دار المعارف .

(١) الفسيلة بزنة الشعيرة : النخلة الصغيرة تقطع من الام او تقلع من الأرض فتغرس ، وجزء من النبات يفصل منه ثم يغرس .

والالتفات الى الماضي انما يكون بمقدار ما فيه من عظة وعبرة ودروس حتى يأخذ المسلم من دفعات ماضية وثبات الى المستقبل على نور هذا الماضي وهداه .

والمسلم في ذات الوقت لا يهيم بالحاضر الى درجة كبيرة بل يتعامل معه في حدود الوسط بين الافراط والتفريط . وهو في الحالتين يدعم المستقبل . وعمارة الدنيا بماضيها وحاضرها بل ومستقبلها تعتبر معبرا لمستقبل عريض هو الخلود والدوام اللذان لا ينقطعان . هذا الخلود الذي يمثل الايمان به عقيدة أصيلة من عقائد الدين الاسلامي وهو جزء في بنية الايمان الكامل الحقيقي .

ووقوف المسلم عند الماضي ورجوعه اليه محاولا تمثله ؛ يمثل قمة التبصر وهو في ذلك لا يتقهقر وانما هو يحاول العودة الى تسنم قمة كان يحتلها في يوم ما . قمة مجده التي كان يحتلها والعالم ينظر اليه من أسفل وقد انحدر عنها بفعل التهاون في مسئوليتها أو بفعل عوادي الزمان ونوائبه .

وفي هذه الحالة . وان بدا المسلم لغير المدقق أنه يختلف أو يتقهقر فهو في صحيح النظر . عائد الى الماضي المشرق الذي استنارت به الدنيا يوما ما .

فالمسلم حينما ينظر الى الماضي . فانه ينظر الى مثل أعلى ونموذج أمثل مما يحيط بحاضره . بل وبمستقبله الدنيوي .

وبناء على هذه النظرة . فان النظر الى الماضي هو قمة التبصر الواعي خلافا لزعم الرجل .

وقد يكون لابيبه صادقا في نظرته هذه في اطار عينته المحدودة بمكانها المعين « تونس » .

لأن هذا الميدان موضوع الدراسة ربما لا يتمثل فيه المسلم الحر الصحيح بالمعنى الكامل لهذه العبارة . فالمسلم في ميدان الدراسة مسلم مغلوب على أمره فهو مستعمر لا يكاد يتنفس بحرية ـ ومن هنا فهو يتطلع الى ماضيه العزيز الحر ويحن اليه وكان على لابيبه وهو بصدد تحديد السمات للروح الاسلامية أن يلجأ الى الاسلام ذاته يستوضح منه الصورة التي يرسمها للمسلم الحقيقي ليرى أي الطرفين قد جنى على الآخر ؟ الاسلام أم المسلمون ؟ !!

أما فيما يتعلق بالحكم بالبكاء على الأطلال والزمن فأحسب أن لابيبه قد استوحى ذلك من قصص الأدب العربي العاطفي القديم كقصة قيس وليلى مثلا . وبكائه على أطلالها . فيما يحكى عنه من قوله :

أمر على الديار ديار ليلى
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا

ولا شك ان هذه النوعية من العرب وهي نوعية هازلة فارغة لا يصح أن تؤخذ أنموذجا للعربي الذي تتمثل فيه صفات أخرى ممتازة يضيق عنها الحصر ليست هذه الصفة المذكورة من أهمها وان كانت منها .

أما فيما يتعلق بالأوربيين واليهود وعدم تعلقهم بالماضي فربما صدق في ذلك من جهة معينة .

وتعليله فيما أرى ليس التبصر وانما لأنه ليس لأي منهما من الماضي ما قد يستحق الالتفات اليه . والاستفادة منه . والاستضاءة بهداه بل ربما كان من المصلحة أن يصرف النظر

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامي

عنه ويتخلى عن محل الاهتمام فليس فيه ما يبهج الحاضر أو يرسم الطريق الى المستقبل .

فماضى الأوربيين باعترافهم جهل وظلام ووحشية ولم يخرجوا من غياهب ذلك الا على نور مصابيح علوم العرب الاسلامية وثقافتهم المتنوعة باعتراف بنى وطنه أنفسهم .

ومن شاء التثبت من ذلك فعليه أن يقرأ كتاب أثر الثقافة الاسلامية فى بناء الانسانية لبريفولت ، أو كتاب حضارة العرب لجوستاف لوبون ، أو كتاب تاريخ الفكر الأندلسى لجنثالث باليثيا .

وكلها تدل على مدى الاستفادة التى استفادها الغرب من الاسلام والمسلمين وخرج بها الى نور الحضارة .

هذا هو ماضى المسلمين . وهذا هو أثره الايجابى فى تعديل مسار ماضى الأوربيين ترى .

أيهما أعظم وأعرق ؟ !!

اما ماضى اليهود :

فهو التشتت والضلال وقراءة تاريخهم كفيلة ببث الرعب فى أعماق نفوسهم من هذا الماضى البغيض . فقد تشتتوا فى البلدان وتفرقوا فى الأقطار وداهمتهم الويلات بعد الويلات .

اما ماضى المسلمين فغنى عن البيان :

انه ماض مشرق مبهج ولا سبيل الى النهوض بالحاضر والمستقبل للمسلمين الا بتمثل هذا الماضى والعودة اليه كواقع عملى .

والمسلمون وان بعدوا عن مقتضى الاسلام كدين ودنيا معا الا أن الاسلام باق كما هو بنصاعته وبساطته وعبقريته . ولا ينبغى الرجوع الى غيره كمقياس للحكم له أو عليه .

وقد أدرك بعض المستشرقين أحقية ما ندعيه من أنه لا نهوض للمسلمين الا بالعودة الى ماضيهم المجيد بل كان أكثر تفاؤلا حينما قرر أن ما بالمسلمين من تأخر انما هو مرض مصيره الى الشفاء وقد بدأ هذا الشفاء فعلا .

تقول المستشرقة الألمانية لوزافا جليرى فى كتابها تفسير الاسلام من ٧٠ وما بعدها « انه الى الكتاب المقدس الذى لم يصبه تحريف أبدا .. تعنى القرآن الكريم — ذلك الكتاب الذى لا يبلى بل يبقى كما أنزله الله على نبيه البدوى البسيط آخر الأنبياء والمرسلين . انه الى ذلك النبع النقى سيعود المسلمون فعندما ينهلون مباشرة من هذا الكتاب المقدس لن يفشلوا فى العودة الى نشاطهم القديم» .

والشواهد قوية على أن هذه العملية قد بدأت فعلا هذا هو الماضى . وهذا هو طريق العودة الى سابق مجد المسلمين ونحن نهدى هذا النص الى مثل لابييه ومن سار على دربه .

والله أعلم .

دكتور
محمود عبد المعطى بركات

الشعر

المكفوف

مَنْ لسار في الليل طال سُرَاهُ ... ضل في دربه وتاهت خُطَاهُ

كل ليل يمضي فياليت شعري ... ليلةُ السرمدي ما منتهاهُ!

الضحى والأصيل والصبح والليل ... تساوت فكلها أشباهُ

وضروب الألوان متفقات ... في سواد تحده مقلتاهُ

لا يرى جلوة الربيع اذا اختال ... ولا البدر حين يبدو سناه

لا ولا يجتلي سنا الشمس رقراقا ... اذا فضّضَ الوجود ضحاه

واذا ذهب الأصيل روابيه عدا ... طرفه اجتلاء رباه

واذا الطير ردد اللحن في الدوح ... مضى لا يحس الاصداء

كل ما في الوجود من فتن الدنيا ... لوته عن سحره دنياه

أبدا يحتويه سجن لياليه ... وما فيه من سجين سواه

حين يمشي يسير مرتعش الخطو ... وئيدا تخشى الأذى قدماه

واذا لم يجد رفيقا وفيّا ... أرشدته إلى الطريق عصاه

أودع اللهُ نفسه دقة الحسّ ... ففي حسه الدقيق هُداه

وجلا سمعه فلا يخطىء الهمس ... وتجرى النسيم في مسراه

يرهف الأذن حين لاتسعف العين ... خداه فعينه أذناه

واذا ضل راح يفغر فاه ... مستغيثا ولوحت كفاه

لو تراه محملقا مصغي الجيد ... رأيت العجيب فيما تراه

لهفة للرؤى تشير مناه ... فتروم اجتلاءها عيناه

ثم يرتد شوقه حسراتٍ ... «للشوق الأعمى» وبالمناه

ليس أشقى من فاقدٍ نور عينيه ... وأغلى ما في الفتى ناظراه

أيُّ طعم للعيش ان لم ير الدنيا ... وما حظه وما جدواه

ماله في حياته من عزاء ... أو رجاء يسليه الا الله

للدكتور حسن جاد

هون الخطب يا أخى ان هذا … زمن لم تعد تسر رؤاه

حسبك العزلة التى أنت فيها … حين شاهت دنيا بنيه وشاهوا

ان فى نفسك الجميلة دنيا … من جمال يغنيك عما عداه

لك يارب في النوازل سر … عى فهم العباد عن معناه

كل خطب قدرته لك فيه … يا الهى لطف يدق خفاه

قد سلبت الأعمى وأعطيت حتى … صح عدل القضاء فيما قضاه

ان تكن قد حرمته نور عينيه … ففى قلبه يشع ضياه

ليس بالعين مبصر أو كفيف … يبصر المرء قلبه أو عماه

رب أعمى منحته منك نورا … ورفعت الحجاب حتى رآه

وسكبت الذكاء في حسه المرهف … حتى أنسيته ماذهاه

يدرك الخاطر الخفى بحس … يسمع النمل في دبيب خطاه

وأديب ماضى اليراع براه … خالق النابغين حين براه

وفريد فى شعره عبقرى … ينفث السحر أو يفض رقاه

وصناع تجيل أنمله النول … على لحمة الكسا أو سداه

وشجى الألحان ان رتل الذكر … أتى الله تائبا من عصاه

وفتاة غطى الجمال عماها … وكساها من سحره وحلاه

نعم هانت المصائب فيها … وعزاء ينسى المصاب أساه

أيها الناعمون بالحدق النُّجْل … وما فاتهم غنى أو جاه

اذكروا نعمة الاله عليكم … وأعينوا الأعمى على بلواه

أطلعوا صبح ليله بالأمانى … وأصيخوا الى مرير نداه

وانشلوه من بحره الهادر الموج … ومن لجه الذى قد طواه

واكفلوه فربما صار يوما … علما يهتدى الحمى بهداه

شر مايقتل المواهب اغفال … وداء النبوغ أن تنساه

لايضيع الاله حسن صنيع … فاغنموا شكره وحوزوا رضاه

من التراث

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

وهو اسماعيل بن محمد بن الفضل بن على القرشى الطليحي التيمى الأصبهانى ابو القاسم ، الملقب بقوام السنة : من أعلام الحفاظ . كان اماما فى التفسير والحديث واللغة وهو من شيوخ السمعانى فى الحديث . من كتبه : « الجامع » فى التفسير ، « الايضاح » فى التفسير ، « وتفسير بالفارسية » ، « دلائل النبوة » ، و « التذكرة » و « سير السلف فى تراجم الصحابة والتابعين » ولد سنة ٤٥٧ هـ (سنة ١٠٦٥ م) وتوفى سنة ٥٣٥ هـ (سنة ١١٤١ م) .. (٢)

قال ابن العماد عنه فى شذرات الذهب : ذكره أبو موسى المديني فقال : أبو القاسم امام ائمة وقته وأستاذ علماء عصره . وقدوة اهل السنة فى زمانه . وقال ابن السمعانى : هو استاذى فى الحديث وعنه أحدث هذا القدر وهو امام فى التفسير والحديث واللغة والأدب عارف بالمتون والأسانيد . أملى بجامع أسبهان قريبا من ثلاثة الاف مجلس . وقال أبو عامر الفندرى ما رأيت شابا ولا شيخا قط مثل اسماعيل التيمى ، ذاكرته فرأيته حافظا للحديث عارفا بكل علم متفننا ، وقال ابن منده فى الطبقات ليس فى وقتنا مثله . وكان أئمة بغداد يقولون ما رحل الى بغداد بعد أحمد بن حنبل أفضل ولا أحفظ منه ولم ينكر أحد شيئا من فتاويه قط ..

والكتاب الذى نعرضه ونعرفه هو « سير السلف » ضمنه المصنف سير السلف الصالحين ، وبدأ بذكر جماعة من مشاهير الصحابة ، بعد ذكر العشرة . ثم بجماعة من التابعين المعروفين بالزهد والورع ثم بجماعة من أتباع التابعين ، ورتبه على حروف الهجاء ..

وقال فى أول الكتاب : « الحمد لله محيي الأموات ، وسامع الأصوات ، ومقدر الأقوات وفاطر الأرض والسموات ، عالم السر وكاشف الضر والبلوى ، مدبر الأمور بقدرته ، ومنزل

سير السلف الصالحين والأئمة المهديين ⊙

للأصفهاني

القطر برحمته، ومنشىء الخلق بحكمته، وابتعث محمدا صلى الله عليه وسلم بنبوته والهيمنة على رسالته، وجعله مهيمنا على رسله على حين فترة من الرسل، فصدع بامر ربه وبلغ ما تحمل رسالته حتى أتاه اليقين، وظهر أمر الله وهم له كارهون ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى أصحابه صلاة دائمة طيبة زاكية.

والحمد لله الذى عمر كل حين وزمان بعلماء وحفاظ وأولياء وزهاد وجعل كونهم فى حياتهم سبب نجاة الخلق والامان وجعل ذكرهم بعد مماتهم سبب الرحمة والغفران، لقد ورد فى الأثر عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، وروى عن أحمد بن مهران قال، كنت اماشى أبا مسعود الرازى فى سوق اصبهان، فتذاكرنا فضل سفيان الثورى فقال ابو مسعود أرجو أن الله يغفر لنا بذكر فضائل سفيان، وأنا اقول ونحن نرجو أن يغفر الله لنا بذكر من ذكرنا هم فى هذا الكتاب من السادة الأخيار والعباد الأبرار».

قال الشيخ رحمه الله بعد الديباجة: «قد اقترح على جماعة من أهل العلم أن أملى عليهم فى ذكر سير السلف وأحوالهم كتابا مختصرا، احذف منه أكثر أسانيده طلبا للتخفيف، وكان من قبلنا من العلماء صنفوا فى هذا المعنى، فصنف بعضهم (تاريخ المحدثين وبعضهم تاريخ العارفين وبعضهم تاريخ طبقات اهل العلم، فصنفت أنا هذا الكتاب وسميته «كتاب سير السلف».

وبدات بذكر جماعة من مشاهير الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على حروف المعجم بعد ذكر العشرة، ثم بجماعة من التابعين المعروفين بالزهد والورع، ثم بجماعة من اتباع التابعين ثم بتتبيع الاتباع. وتركت جماعة لم اذكرهم ايثارا للتخفيف، أو غفلة عنهم، وحين أردت أن أختم الكتاب تأملت فى احوال القوم فرأيت أن أجعل اخره ذكر الشيخ الامام «أبى عبدالله بن منده» ثم نظرت الى أحوال العارفين فأردت أن أختمه

⊙ (١) الكتاب بمكتبة الأزهر رقم خاص ٣٣٤ ورقم عام ٦٦٣٤ مكتبة سليمان باشا اباظة.

(٢) الاعلام للزركلى جـ ١ ص ٢٢٦

بالشيخ «أبى منصور معمر رحمه الله» ..

وقال الشيخ الامام رحمه الله نبدأ بذكر الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن الصحابة بذكر العشرة فأولهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه بما بذكر نسبه وصفته ومولده ووفاته، ورتب ترجمته فى عدة فصول، ثم قال فى اسلامه: «انه كان أول الناس اسلاما وروى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه قال: لما رأى أبو بكر - رضى الله عنه - تناقل الناس قال: ألست أول من أسلم،، وعن الشعبى قال: سألت عبدالله بن عباس: من أول من أسلم؟ فقال: أبو بكر الصديق، ثم قال أما سمعت قول حسان بن ثابت:

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبى وأوفاها بما حملا
الثانى التالى المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

وقال فى ورعه روى عن زيد بن أرقم قال: كان لأبى بكر رضى الله عنه مملوك يغل عليه فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: مالك كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة، قال: حملنى على ذلك الجوع من أين جئت بهذا قال مررت بقوم فى الجاهلية فرقيت لهم، فوعدونى فلما كان اليوم مررت بهم فاذا عرس لهم فأعطونى، قال أف لك كدت أن تهلكنى فأدخل يده فى حلقه فجعل يتقيأ، وجعلت لا تخرج، فقيل ان هذه لا تخرج الا بالماء فدعا بعس من ماء وجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها، فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة قال لو لم تخرج الا مع نفسى لأخرجتها، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» فخشيت أن ينبت شيء من جسدى بهذه اللقمة ..

واستطرد فى كونه بالغار مع النبى - صلى الله عليه وسلم - ووقايته اياه بنفسه ودعاء النبى - صلى الله عليه وسلم - له، روى عن أنس رضى الله عنه قال: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر - رضى الله عنه - دعنى يا رسول الله لأدخل قبلك فان كانت رجبة أو شيء كانت بى قبلك، قال: «ادخل» فدخل أبو بكر - رضى الله عنه - فجعل يلتمس بيديه فكلما رأى جحرا مال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، فبقى جحر فوضع عقبه عليه ثم دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أصبح قال له النبى عليه الصلاة والسلام - «اين ثوبك يا أبا بكر»؟ فأخبره بالذى صنع فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يده - وقال: «اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى يوم القيامة» فأوحى الله تعالى اليه أن الله قد استجاب لك.

وأورد بعض فضائل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة» وعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن حفصة بنت عمر بن الخطاب أنها قالت لأبيها: يا أمير المؤمنين ما عليك

لو لبست الين من ثوبك هذا - وأكلت طعاما غير هذا - قد فتح الله عليك الارض وأوسع الرزق -.

فقال، أخاصمك الى نفسك. اما تعلمين ما كان يلقى النبى - صلى الله عليه وسلم - حتى اتكاها. قال قد قلت لك انه كان لى صاحبان سلكا طريقا وانى ان سلكت غير طريقهما سلك بى غير طريقهما فانى والله لاشركنهما فى مثل عيشهما الشديد لعلى أدرك معهما عيشهما الرخى يعنى لصاحبيه النبى - صلى الله عليه وسلم - وأبا بكر وعن سعيد بن المسيب أن عمر رضى الله عنه لما نفر من منى أناخ بالابطح فكوم كومة من بطحا فالقى عليها طرف ثوبه ثم استلقى عليه ورفع يديه الى السماء وقال: «اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى غير مضيع ولا مفرط» ثم قدم المدينة وخطب الناس فقال: «أيها الناس فرضت لكم الفرائض وسنت لكم السنة وتركتم على الواضحة الا ان تضلوا بالناس يمينا وشمالا فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن فمات وقال معاوية توفي عمر رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة -.

وقال عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه: «روى عن ابى الطفيل قال كنت عند على رضى الله عنه فأتاه (ابن ملجم) فامر له بعطاء ثم قال ما يحبس اشقاها أيخضبها من أعلاها يخضب هذه من هذه - وأوما الى لحيته ثم قال:

أشدد حيازيمك للموت
فان الموت يأتيك
ولا تجزع من الموت
اذا حل بواديك

قال الواقدى قتل على - رضى الله عنه - ليلة سبع عشرة من رمضان ليلة جمعة سنة ٤٠ هـ ودفن بالكوفة.

وختم كتابه بذكر الامام عبدالله بن منده رضى الله عنه وقال فضائل هذا الامام كثيرة كان مقدم أهل عصره فى الحفظ والديانة ونصرة السنة وامانة البدعة طاف الدنيا فى طلب الحديث عرفت منزلته فى العلم فى شبيبته، كتب اليه أبو أحمد القفال وهو بنيسابور يسأله عن حديث أشكل عليه فأجابه عن ذلك وبينه له. قال أبو اسحق بن حمزة: ما رأيت مثل أبى عبدالله بن منده سمعت عمر السمار غير مرة يقول جرى ذكر أبى عبدالله ابن منده عند ابى نعيم فقال كان جبلا من الجبال حكى عن أبى عبدالله أنه قال كتبت صحيح مسلم بقلم واحد فلم أصلحه.

والنسخة فى مجلد بقلم معتاد قديم بمكتبة الأزهر كتبت سنة ٧٢٦ هـ. بها اكل ارضة وترميم فى ٢٢١ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا.

هذه نماذج لعقول العلماء الأوائل جادت بها أذهانهم الصافية نقدمها للقراء عرفانا بفضلهم وتقديرا لجهودهم المتواصلة لينيروا الطريق أمام أجيال المسلمين.

مجلة الأزهر
من خمسين عامًا

الغيرة على الحقائق والمصالح

للشيخ محمد الخضر حسين

الغيرة على الحق والمصالح يكون صاحبها رافضا للتوسع فى الشهوات والملذات وداعيا للزهد فيها، عازفا عن المال الجم، غير راغب فى حب الرياسة والجاه صابرا على ما يناله فى حال ضنكه وفاقته، ولا يكون فى غيرته أمام من يناوئه قاصدا ازالة نعيمه، ولا انتهاب قينته، بل يود من صميم قلبه هدايته.

ولا شك أن من يكون كذلك لا يكون منه قساوة، بل يكون مأثرة ورحمة. قدوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته - رضى الله عنهم - وتابعوهم باحسان - فى ما نالهم من عنت المعاندين، وجهل المتكبرين، الذين انهمكوا فى أبواب العبث والفساد، وقصدوا ازهاق الحق - وكل من درس سيرته - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين يزداد ايمانا لأن كل من يعد بصلاح العواقب فقد اغتفر له سوالف المكاره. وان الداعى الى الحق متى اصاب نجح العاقبة صارت المكاره عنده غير محفول بها.

وليس فى وسع الحق قهر الانفس على الاقرار به، وتسخيرها للاعتراف به، واستعمال السيف والسوط قد يقع على صورة الجهاد، فيصير محمدة لصاحبه ورحمة للعالمين.

وقد يقع على صورة الفتنة فيصير مذمة لصاحبه، ومحنة على العالمين.

والاختلاف فى الدين - تبعا للهوى - داعية للمماراة. والمماراة فاتحة للتعادى.

والتعادى سلم الى العصبية. والعصبية هى الداء العضال فهى تستخف الاحلام الراجحة، وتستاصل النعم المتأثلة..

وافات المبتدع المتبع هواه - وان نسب الى التدين - اربع :

احدها ان يعجب بعقله، ويغتر بذكائه، ليركب نوعا من المقاييس الفاسدة قبل احكام المعرفة بمقدماته، فتنتج نتيجة

عرض وتقديم

الأستاذ أحمد حسن جابر رجب

كاذبة وهو يـــخالـــها صادقة ليعتقدها دنيا، ويدعو الناس اليه جهلا، فتعم البلوى به وتقوى بمكانه الخليقة.

والثانية: ان يولع الانسان من نفسه بالاغراب والتعمق باستثارة معنى بديع لم تتجه له خواطر الناس، وقلما يبالى تنكب الجادة شغفا بان يسلك طريقة يصير فيها قدوة، او يشير نادرة يحكم له باصابتها على بعد الغور ولطف الرؤية فيوطن به لنفسه لذكر والسمعة.

والثالثة: ان يكون قصد الانسان عناد جميع ما يسمع من الاقوال الصادقة والمذاهب الحقيقية، وان يتبع أبدا الاراء المسترذلة التى ينخدع بها طبقات العامة، اذ ليس شيء عند الدهماء اروج من المذهب المستضعف والرأى المدخول..

والرابعة: ان يتعمد تزييف الدين، وتوهين اساسه: اما لتعصب سياسى، او لتعصب نسبى، او لسوس الخلاعة، او لايثار طرق المجانة، فهو يجتهد فى الصاق المعايب بمن لا يسير فى طريقه ـ باخبار مزورة وينسبها الى ائمة الحديث او الى احد رؤساء العامة، فيوهم الضعفة من اهله انها اساس الملة، احتيالا منه للنكاية فيما ابغضه واحب الانتقام منه.

فهذه هى الطرق للافات المتواترة على الاديان والملل..

واما حيل هؤلاء المبتدعين للمذاهب المنحرفة المتعصبين لهواهم ـ بزعم التدين ـ لترويج ما يحاولونه من اوجه الضلال والاضلال ـ فهى ثلاث:

احدها: ان يبذل له الاقرار اولا بالاصل، ليستدرجه بذلك الى مكان الاغتيال ثم يأخذ معه فى تمويهات يبهرج بها ما استند اليه، فيستنزله بمكانها عما استمسك بعراه من قواعد دينه..

والثانية: ان يأخذ فى شرح ما احب ترويجه عليه بعبارات انيقة والفاظ شهية واشباع فى الوصف، واقناع بجودة الرصف، والتلفيق للمعانى، والتجويد للاداء صنع صاحب السلعة المغشوشة عند عرضه اياها على من لا بصر له فيها.. ليحسنها فى عينه، ويحببها الى نفسه.. ولا كذلك صاحب الدين الصادق، والمذهب الحق الا احد من صحح نيته فى ابتغائه المثوبة وطلب الاجر.

والثالثة: ان يعزو المذهب الذى يدعوه اليه الى رجل جليل القدر مثل علماء الرسول صلى الله عليه وسلم ـ من الصحابة والتابعين وتابعيهم ـ وحكماء الفلاسفة او عقلاء اهل زمانه: من وزير وملك، ورئيس، او اديب مبرز.. فيسمع هذا المغفل المريض قوله اياه فيحسن به الظن، ويرضاه اماما لنفسه ذهابا منه الى انه ـ مع جودة فطنته ـ ما كان ليختاره لولا انه هو الاصوب فى ذاته، ثم لكل من هذه الابواب الزائفة الزائغة عن الحجة اهل ينتسبون، وقوم

يلتقطونه ـ فتراهم يتسارعون بغرائزهم المختلفة الى قبوله ، فيزداد على الايام عددهم ويتضاعف عليها مددهم فيصير بعد المدة اليسير نحلة يحامى دونها بالسيف .

وهذه افات يبتلى بها اهل كل ملة . وليس لاحد من اربابها ان يثلب الاسلام نسبتها فاما الاحاطة بما تضمنه القران من خاص فوائده على الحقيقة فهى مما لن يكمل العقل البشرى له الا بتقدمه فى شرائط التفسير . واذا استبد الانسان برايه عميت عليه المراشد . فهذه لمحة ترشد الى ما فصله الامام الاكبر الشيخ محمد الخضر حسين ـ رحمه الله تعالى ـ فى كلمته بعنوانها المتقدم ..

قال رحمة الله عليه : متى نظر الانسان

او تدبر امرا ووثق بانه حقيقة ، او مصلحة وجد في نفسه ارتياحا عندما يلاقى شخصا يشاركه في الشعور به . ويكون ارتياحه اشد حيث يراه يعمل على مقتضى هذا الشعور . كما أنه يتالم حينما يشاهد امرءا ينكر تلك الحقيقة او المصلحة ، ويكون تالمه اشد حيث يراه مجدا في مناواتها سالكا غير سبيلها . وهذا التالم الذى يشتد فيدفعك الى ان تسهب في ايضاح وجه الحقيقة او المصلحة ، او تعمل على ان تكف يد من يبغى عليها ما أمكنك هو ماتعنيه بالغيرة ..

فاذا حدثك الرجل في امر واراك انه مطمئن الى انه حق ثم لاتلبث ان تراه متحيزا الى من يكيد له ويدعو الى من ينقضه ، فاعلم انه خالى القلب من الاطمئنان اليه وانما اراك ظاهرا يخالف مايكنه صدره ، وتطمئن اليه نفسه . والعقل السليم لايستطيع ان يفهم كيف يجتمع الايمان بالحق موالاة من يحاربه في السر او العلانية فالغيرة على الحق من مقتضيات الايمان به تقوى بقوته ، وتضعف بضعفه وتفقد حيث لايكون القلب مؤمنا .

وفى الناس من يلهج بكلمة « التسامح » يملأ بها فمه حتى لا تنكر عليه حين تراه قد اتخذ من المضلين أو المفسدين فى الارض ـ اولياء ـ يطيل التردد على أعتابهم . ويغمس لسانه اقيما جلس فى اطرائهم ، ويجهد نفسه فى تمويه باطلهم ، والتسامح المعقول الا تؤذى من خالفك فى العقيدة فتنسب اليه زورا ، او تنفى عنه مكرمة أو تهضم له حقا ، او تنكث له عهدا ، او تخلف له وعدا ..

ومن التسامح المقبول ان تبره وتقسط اليه وتمد اليه يد التعاون على المصالح المشتركة . وقد حرمت الشريعة الاسلامية الاساءة الى المخالفين الذين لم يخرجونا من ديارنا ، ولم يطعنوا فى ديننا ولم يوقدوا نارا لحربنا . ووردت احاديث تنهى عن مس الناس بشيء من الاذى ، فحمل الفقهاء النهى فيها على وجه يعم المخالفين المقيمين فى ظل الاسلام . كما قالوا فى حديث : لا يبع بعضكم على بيع اخيه ـ ان النهى شامل لبيع المسلم على بيع غير المسلم ، لما ينشا عن صرف المشترى عنه من تقاطع وشحناء . واذنت فى ان نبرهم ونقسط اليه اليهم قال تعالى : « لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » الممتحنة : ٨

وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نداری من ينتمون الى الاسلام ، ونعاشرهم بالمعروف وان عرفنا فى لحن اقوالهم ، او غيره من الدلائل الخفية انهم من طائفة المنافقين ..

اما الرجل يملك قلما ، او لسانا ، او حساما ، او جاها فيصرفه فى نقض اساس ما هو دين حق أو شريعة صالحة ، فذلك ما لا يتولاه الا غبى لايفرق بين الاعمى والبصير ، او زائغ عن سبيل الرشد فماله من نور ، وقد انكر الله على من يتزلف لاشياع الغبى فقال : (ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا) النساء : ١٣٩ وفى الاية شاهد صدق على ان العزة بيد الله يخلعها على من يغار على الحقائق غير مكترث بمن يناوئونها وان كانوا أولى جاه او سلطان .

فمن الغيرة على الحق : ان تقاوم المبطلين او المفسدين قاطعا النظر عن كل صلة وعاطفة .

ومن التسامح المقبول : ان تدفعهم بالتى هى احسن حتى كانك لا تعرف شيئا من شئونهم غير ما تصديت لمناقشتهم فيه ، وذلك ما يستبين به التالى انك لا تقصد الا ان تكف بأسهم وتحمى النفوس من وباء دعايتهم .

تتفاضل الحقائق والمصالح من ناحية ما يتصل بها من خير ، فوجود الخالق ، او صدق محمد صلى الله عليه وسلم فى رسالته مثلا ـ يقوم على الايمان به من سعادة الافراد والاقوام اكثر مما يقوم على الايمان بعدل ابى بكر وعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة يترتب عليها الفلاح فوق ما يترتب على زيارة أخ أو عيادة مريض .

وكذلك الغيرة على الحقائق والمصالح تكون على قدر تفاضلها فيما يترتب عليها من العواقب .

فالغيرة الصادقة : ان يتألم الرجل من الجهل على مقام الالهية أو الرسالة العظمى اشد مما يتألم للطعن فى نفسه أو فى أخ له أو صديق ، ويتألم لهدم مسجد ، أو الغاء مدرسة اشد مما يتألم لهدم بيت أو اهمال حديقة .

بعيد من الغيرة على الحقائق ذلك الذى يسمع سوء القول فى الله أو فى رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يجد فى نفسه لسماع هذا السعة أثرا ، واذا مس جانب من يتصل به نسبا او يمد له من متاع هذه الحياة سببا ، هاج غضبه وارتعدت فرائصه .

بعيد من الغيرة على المصالح ذلك الذى يكون تحت يده مال فيبخل به على بناء مدرسة يستنير فيها الناشئون ، أو اقامة ملجأ يأوى اليه البائسون ، ويبسط به يده فى انشاء مرقص او ملهى يتخذ فيه الفتيان والفتيات انصابا يسفكون عليها دم الفضيلة .

ضعف الغيرة على الحق او فقدها نقيصة تنزل بصاحبها الى الحضيض .

وكذلك ينبغى للانسان أن يملك الغيرة عند ثورتها فلا يخرج فى معاملة المنتهك لحرمة الحق عن حدود العدل ، فالذى يغار على امر جعل الشارع لمنتهكه حدا مفروضا لا يحل له ان يتجاوز ما حده الشارع استرسالا مع طغيانها ، فان كان الجزاء موكولا لاجتهاد القاضى اجتزأ القاضى

بالمقدار الذى يكفى للردع ، وليس من الغيرة المحمودة ان يتعدى فى جزاء السيئة ما يكفى للزجر عن اقترافها ، والغيرة الصادقة هى التى تنهض بصاحبها الى مكافحة المبطل او المفسد وتقويم عوجه فى تثبت وحزم .

الغيرة تبعث الرجل على الجهاد فى الحق باى وسيلة استطاعها ، فالرئيس الغيور يذود عن الحق بما فى يده من قوة متى كان الهاجم عليه فى غشاوة تمنعه من أن يفقه الحجة ، والعالم الغيور لا يفتا يذب عن الحق بلسانه او قلمه ، ولا يسوقه طمع او رهبة الى الخمول او الصمت ، وما خمول العالم وسمته سوى قلة الثقة بما وعد الله به انصار الحق من فوز وحياة طيبة ، والموسر الغيور ينفق فى سبيل الاصلاح باليمين واليسار ، ومن كان صافى البصيرة يرتاح لظهور الحق وقيام المصلحة العامة اكثر مما يرتاح لان يكنز ذهبا او تكون له قصور فيحاء وحدائق غناء .

واذا اردت ان تميز فاقد الغيرة على المصالح ممن يغارون عليها فهو الذى يجرى وراء منافعه الخاصة أينما راها او تخيلها ، يراها بجانب مصلحة عامة فيظهر فى زى الداعى الى هذه المصلحة ويملأ الجو نداء للتعاون عليها ، حتى اذا تراءت له منفعة لا يصل اليها الا أن يقضى على ما ينفع الناس جميعا داسه بكلتا قدميه ، وذهب الى منفعته توا لا يلوى على شيء .

قد يسلك الرجل طريق العدل محافظة على المنصب او رغبة فى حسن الاحدوثة ، ولكن الغيرة على الحق هى التى تجعل الحاكم عادلا فى كل قضية ، فالغيرة على الحق هى التى تقف بالقاضى فى حدود الانصاف حين ترفع اليه خصومة بين ذى سلطان واشعث اغبر ذى طمرين فلا يبالى ان ينصف ذا الطمرين (١) ويقضى على ذى السلطان ، وكذلك يفعل القضاة العادلون .

دعى العلامة محمد بن بشير الى قضاء قرطبة فاستشار صديقا له فى قبول الولاية فقال له : كيف حبك لمدح الناس لك وثنائهم عليك ؟ وكيف حبك للولاية وكراهيتك للعزل ؟ قال : والله ما ابالى من مدحنى او ذمنى ، وما اسر للولاية ولا استوحش للعزل . فقال : اقبل الولاية ولا بأس عليك .

وفى سيرة ابن بشير هذا ما يشهد بصدق غيرته على الحق ويحقق ما وصف به نفسه من انه لا يسر للولاية ولا يستوحش من العزل .

ومن الحظر على الحقوق والمصالح ان يتولى أمرها محروم من الغيرة عليها ، وكم من حق اهمل ومصلحة اميتت والسبب فى اهمال ذاك واماتة هذه ان الفى أمرهما الى من لم يذق للغيرة عليهما طعما .

ماذا يكون العمل فى قضية الاعتداء على

---

(١) الطمر : الثوب الخلق

هتك عرض الفتاة اذا اسندت الى من تقلب فى بيئة لا تعرف للعفاف سبيلا ؟

وماذا يكون الحل فى قضية الاعتداء على الدين اذا وضعت بين يدى من لا يرى له حرمة ولا يرعى للامة التى تعتصم به ذمة ؟

وكيف تدار مدرسة ترجع نظم التعليم فيها الى من يؤثر اللهو على الجد ويفتنه زخرف الحياة عن طرق الرشد التى تخرج رجالا يعملون صالحا ويبتكرون عظيما ؟

ونحن نرى فى الشعوب من حيل بينها وبين واجبات دينها واكرهت على التعامل بغير ما تاذن به شريعتها ، واستبد عليها فى طريق تعليم ابنائها . ذلك لانها وقعت تحت ذى قوة استضعفها ولم يكن له نصيب من الغيرة على شريعتها ، ان امة لها دين قيم وشرع حكيم ومجد لم يصف التاريخ له من نظير ، لا يستقيم امرها الا لمن يغار على شرعها او يتودد لها باحترامه والمحافظة على اصوله .

واذا حكى لنا التاريخ ان ذا سلطان اذى امة اسلامية فى دينها او قهرها بالسيف او بوسيلة التعليم على ان تنسلخ من هداية ربها ، فلانه انما وضع سلطانه على رءوس جماعات متفرقة غافلة . اما الامم المتيقظة التى تقدر الحق قدره فليس من السهل على ذى القوة ان يؤذيها فى دينها ، ويستخف بالحقوق التى قررها شرعها الا ان يكون جهولا بالعواقب ، او غير راغب في ان يكون سلطانه ثابت القواعد .

الغيرة على الحق تتمثل فى من ينظر الى الدليل ويصدع بما اراه الله وان كره السائلون .

حضر لدى ابن هبيرة الحسن البصرى فاستفتاه ابن هبيرة فى كتب تاتيه من عند يزيد بن عبد الملك وفيها من الامر ما لم يأذن به الله ، وقال : « ان انفذتها وافقت سخط الله وان لم انفذها خشيت على دمى » فقال الحسن : «ياابن هبيرة خف الله فى يزيد ولا تخف يزيد فى الله .يا ابن هبيرة ان الله مانعك من يزيد ، وان يزيد لا يمنعك من الله .

يا ابن هبيرة لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله تعالى فانفذه وما خالف كتاب الله فلا تنفذه . فان الله اولى بك من يزيد ، وكتاب الله اولى بك من كتابه» فضرب ابن هبيرة على كتف الحسن وقال : « هذا الشيخ صدقنى ورب الكعبة » .

وتتمثل الغيرة على الحق فيمن يفسح له بعض الوجهاء فى الاكرام مكانة ولا يمنعه ذلك من ان ينظر الى ما اكرمه الله به من عقل ورفعه به من علم فلا يسكت لذلك الوجيه عما ياتى من منكر ويذهب فى تقويمه كل مذهب ممكن . واضرب المثل لهذا بابراهيم بن محمد بن طلحة اذ قربه الحجاج

مجلة الأزهر
من خمسين عامًا

وعظم منزلته وقدم به على عبد الملك ابن مروان وقال له : قدمت عليك برجل الحجاز لم أدع له بها نظيرا فى الفضل والادب والمروءة وهو ابراهيم بن محمد طلحة .

ولكن ابراهيم بن طلحة قال لعبد الملك : عندى نصيحة لا اجد بدا من ذكرها ولا أقدر على ذلك الا وانا خال . فصرف عبد الملك الحجاج من المجلس وقال لابن طلحة : قل نصيحتك . فقال : « تالله يا امير المؤمنين لقد عمدت الىّ الحجاج فى تغطرسه وتعجرفه وبعده عن الحق وقربه من الباطل فوليته الحرمين وهما ماهما . وبهما من بهما من المهاجرين والانصار والموالى والأخيار . يسومهم الخسف ويحكم فيهم بغير السنة بعد الذى كان من سفك دمائهم وما انتهك من حرمهم . ولم يخبر عبد الملك الحجاج بما قال طلحة ولكنه عزله عن الحرمين وولاه العراقين واعتذر لابن طلحة عن توليته العراقين بان فيها من الامور مالا يدحضها الامثله .

وفصل القول فى هذا ان الغيرة على الحق والمصلحة ما غلبت على نفوس الا استقامت سيرتها وعلت فى الأمم سمعتها . وحسنت فى كلتا الحياتين عاقبتها ولاحق اجلى مما يدعو اليه الخلاق العليم ولا مصلحة أعظم مما تهدى اليه أصول شرعه الحكيم . فاذا لم نرسم فى نفوس نشئنا الغيرة على حقائق الدين وما ارشد اليه من مصالح . وما سنه من اداب . ضلوا عن أسمى الحقائق واضاعوا اكبر المصالح . وتجردوا من اسنى الاداب . وهل غير هذه هذه العاقبة من خسران مبين .

فمن اهم واجباتنا ان نربى نشأنا على الشعور بعظمة الله ثم لا نفتأ نذكر لهم ايات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حتى يطمئنوا الى صحتها . ولا ندع ان نقرر لهم اصول الشريعة على وجه يجعلهم على بصيرة من حكمتها . وهذا ما يربىٍّ فيهم الغيرة المهذبة ويعدهم لان يكونوا للحقائق والمصالح انصارا (١) .

---

(١) مجلة نور الاسلام العدد السابع المجلد الأول رجب ١٣٤٩ ـ مجلة الأزهر .

مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

١٣٩٢

فضيلة الشيخ

محمد حسنين مخلوف العدوى

من أعلام الأزهر

رحمه الله

الدكتور محمد سعاد جلال

الإمام الحجة الشيخ

محمد حسنين مخلوف العدوى

بقلم أحد تلامذته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

أستاذنا العلامة الجليل الامام الحجة فى المنقول والمعقول تعلما وتعليما ، وفى الدعوة القوية لدراسة العلوم الاسلامية والعربية وتدريسها الشيخ الامام (محمد بن حسنين بن محمد بن على مخلوف العدوى المالكى الأزهرى) من بلدة (بنى عدى) أشهر بلدان الصعيد الأوسط بالقطر المصرى تابعة لمركز منفلوط بمديرية أسيوط بالوجه القبلى ، وهى بلدة قديمة عربية مشهورة ينسب أهلها الى (عدى بن كعب) أبى قبيلة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله ، ولايزالون الى الآن محتفظين بكثير من العادات العربية الكريمة واللهجة الفصيحة وبمحبة العلم ودراسته وحفظ القرآن الكريم وتلاوته وبالسنن النبوية وبمسانيدها الصحيحة تعلما وتعليما ودراسة وتدوينا مع الاحتفاظ دواما بكثير من العادات العربية المأثورة واللهجة الفصيحة الموروثة .

وكانت فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجرى بلغيما قبلهما أيضامصدر اشعاع علمى اسلامى لعناية أهلها بحفظ القرآن الكريم وتجويد تلاوته ودراسة علومه فى كثير من المكاتب والمساجد الجامعة كمسجد الشيخ العياط ببنى عدى البحرية ومسجد العارف بالله الشيخ أبى صالح ببنى عدى القبلية وغيرهما ولا تزال محتفظة بمكانتها العلمية ، وفيها (معهد دينى أزهرى) يضم العديد من الطلاب والعلماء من أهل البلدة والبلاد المصرية الأخرى .

وقد خرجت خلال هذه الأزمان كثيرا من العلماء الاعلام الذين انتشر ذكرهم وامتد صيتهم الى بلاد الاسلام وأسهموا باوفر نصيب فى اذكاء الروح العلمية فى العالم الاسلامى بأسره .

ومن أشهرهم شيخ شيوخ الاسلام بالأزهر العلامة الشيخ على الصعيدى العدوى المالكى) وتلميذه الأكبر العلم الأشهر (القطب أبو البركات أحمد بن حامد بن أحمد الشهير بالدردير العدوى الأزهرى الخلوتى المالكى) المتوفى بالقاهرة سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) رضى الله عنهما .

ولهما من الآثار العلمية وخاصة فى الفقه المالكى ماسارت به الركبان فى سائر أقطار الاسلام وخاصة فى البلاد المغربية .

ومنها الشيخ محمد عبادة المالكى صاحب حاشية الشذور فى علم النحو والشيخ البيلى



وكثيرون يضيق المقام عن استيعابهم (١) .

وفي هذه البلدة العريقة والبيئة الصالحة ولد الفقيه الحجة العالم الأصولي المحقق الشيخ (محمد حسنين مخلوف) العدوى المالكي الأزهري الخلوتي في ٥ من شهر رمضان سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦٠ م) وترعرع في كنف والده وأسرته العريقة في المجد والحسب والعلم والعرفان (٢) والتي منها علماء أجلاء، ومنهم والده العلامة الشيخ (حسنين محمد علي مخلوف) العدوى المالكي الأزهري الذي درس بالأزهر الشريف بعد دراسته في بلدته (بني عدي) على شيوخ أجلاء ثم عاد بعد مدة غير قليلة الى مسقط رأسه فاشتغل بالتدريس والتعليم والافتاء والارشاد فأفاد وأجاد وأنجب تلاميذ أوفياء صلحاء متفقهين في الدين ناشرين للعلوم على تنوعها ، وله من المؤلفات (الكلمات الحسان في فضائل ليلة النصف من شعبان) .

ومن علماء بني عدى المشهورين جد المترجم لأمه العلامة الشيخ خضاري العدوى المالكي الأزهري وله كتاب في النحو مخطوط بالمكتبة الأزهرية .

وقد حفظ شيخنا الفقيه الحجة صاحب الترجمة القرآن الكريم ببلدته (بني عدى) ثم جوده على الأستاذ الشيخ حسن رفاعي الهواري العدوى الشهير في العصر الأخير .

ودرس بها مبادىء العلوم عليه وعلى آخرين منها ثم قصد بعد ذلك الى الأزهر الشريف لينهل من علومه ، وظل به طالبا مجدا في دراسته حاد الذهن متوقد الذكاء متطلعا الى احراز المكانة العلمية التي تجمل بأسرته وبلدته وتتلمذ على شيوخ أئمة أعلام في تلك الحقبة من الزمن كالعلامة الشيخ محمد خاطر العدوى المالكي ، والعلامة الشيخ حسن داود العدوى المالكي شيخ رواق الصعايدة بالأزهر وأحد كبار العلماء ، والشيخ كابوه الكبير العدوى المالكي

---

(١) راجع الخطط التوفيقية الجديدة جـ ٩ ص ٩٣ لعلي باشا مبارك .

(٢) راجع الكنز الثمين لعظماء المصريين جـ ١ ص ١٧٩ لفرج سليمان .

الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى

والشيخ أحمد الرفاعى الفيومى شيخ مشايخ الأزهر والشيخ محمد راضى الكبير البحراوى والشيخ محمد الروبى الفيومى والشيخ أحمد أبى خطوة المتوفى والشيخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى المشهور والشيخ الفيلسوف المنطقى حسن الطويل وشيخ شيوخ الأزهر الشيخ محمد الامبابى صاحب التآليف الشهيرة فى مختلف العلوم والشيخ عرفه المالكى وغيرهم من الاعلام الأزهريين .

وقد امتدت دراسته بالأزهر على هذا النحو اثنى عشر عاما ظهر فيها نبوغه وتفوقه على أقرانه فاختاره شيخ الازهر (الشيخ محمد الامبابى) ثانى اثنين من المالكية لنيل شهادة العالمية فى ذلك الحين وكلفه بوضع رسالة شافية فى مبادىء العلوم وعين له موضوعا فى علم أصول الفقه ليناقش مع الرسالة ويؤدى درسا فى هذا الموضوع أمام لجنة برئاسته من كبار الشيوخ بالأزهر وكان من أعضائها العالمان الجليلان الشيخ أحمد الرفاعى والشيخ سليم البشرى .

فألف الرسالة وتوفر على تحضير الدرس المعين ومثل أمام تلك اللجنة فى منزل شيخ الازهر الشيخ الامبابى فى اليوم المحدد ونوقش فى الرسالة والدرس ساعات عديدة انتهت بنيله شهادة العالمية من الدرجة الاولى الممتازة فى شعبان سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) .

وأذن بالتدريس بالازهر فى مختلف العلوم دون تحديد بعلم أو كتاب كما هو المتبع فيمن حصل على درجة الامتياز العلمى .

وكان ذلك نظام الامتحان والتدريس للنابهين من علماء الازهر الشريف اذ ذاك .

ومن هذا الوقت تألق نجمه وأخذ فى تدريس العلوم على اختلافها للطلاب بالازهر .

* * *

ذلك ما حدثنى به نجله صاحب الفضيلة العالم الفقيه الشيخ (حسنين محمد مخلوف) العدوى الازهرى مفتى الديار المصرية الاسبق وعضو جماعة كبار العلماء بالازهر حينما قصدت زيارته بمنزله العامر بالقاهرة أستوضحه بعض معلومات فى ترجمة والده الامام رحمه الله وأثابه .

ومما حدثنى به أيضا أن والده بعد أن تخرج فى الازهر اشتغل بتدريس العلوم الازهرية فيه دراسة بحث وتحقيق وتحليل على ما كان متبعا فى ذلك المعهد فى التدريس الذى يربى ملكات العلوم ويغذى النفوس بحفظ المعلومات وتحقيقها فى كل فن .

وقد عنى أستاذنا المترجم بدراسة (علم الفلسفة الممزوج بعلم الكلام) فى كتبه المعروفة كاشارات ابن سينا « والمواقف » لعضد الملة والدين « والمقاصد والتهذيب » لسعد الدين التفتازانى «والطوالع» للبيضاوى « والهداية » لأثير الدين الأبهرى .

كما عنى بفن المنطق ودراسة كتبه كالقطب على الشمسية والطوالع وشرح (الخبيصى) على تهذيب التفتازانى وغير ذلك .

وقد عنى مع ذلك بعلم الهيئة فطالع كتاب (الجغمينى) المعروف واختصره ، وبعلم

الحساب والجبر والمقابلة فدرس رسالة بهاء الدين العاملى ثم شرحها وطبع الشرح ودرسه لكثير من الطلاب .

وكان ذلك نواة عد علم الحساب والجبر من العلوم الازهرية الاساسية فى النظم الحديثة بالازهر اذ ذاك .

وقد تخرج على يديه فى هذه العلوم نخبة من طلاب الازهر فى ذلك العهد وتولوا تدريسها بالازهر حينما قررها قانونه فيما قرر من النظم الحديثة وكان الامام المترجم نفسه من مدرسى الحساب والجبر فى هذا العهد فى الازهر الشريف .

وكانت له سمعة واسعة فى مختلف العلوم لم يزاحمه فيها كثير من علماء الازهر فى عهده .

* * *

وفى أثناء تدريسه بالازهر اجتمع بالامام القدوة عمدة السالكين ومربى المريدين العلامة المحقق الصوفى أبى المعارف الشيخ (أحمد ابن شرقاوى) العلم الشهير بمصر والصعيد فتلقى عليه وتتلمذ له وأخذ منه العهد بيده فكان من أخلص مريديه وأحبهم اليه وآثرهم لديه .

ومن ذلك الحين كان يذهب العطلة الصيفية بالازهر الى أستاذه ببلده (دير السعادة) التابعة لفرشوط بالصعيد ويمكث فى رحابه فترة من الزمن فيها غذاء الروح وصفاء النفس والزلفى الى الله تعالى بالاستغفار بالأسحار والعبادة فى أكثر النهار ومذاكرة العلوم وخاصة التصوف ، وكان لذلك أعظم الأثر فى نفسه وفى دراسته وتآليفه كما يتبين ذلك بعد .

ولقد نبه شأن الامام المترجم بالازهر وعرف عنه الجد والاجتهاد فى كل أمر يتولاه



والميل الكثير الى الاصلاح والنظام فحينما اتجه الاصلاح فى الازهر الى انشاء مكتبة جامعة خاصة به على النظام الحديث والترتيب المعروف فى المكتبات العامة اختير الاستاذ المترجم (أمينا لها) وكان ذلك فى عهد مشيخة (شيخ الازهر الشيخ حسونة النواوى) فتوفر على جمع شتات الكتب من مكتبات أروقة الازهر وشراء ما تمس اليه الحاجة من الكتب المطبوعة والمخطوطة وعين معاونيه والعمال بالمكتبة فظهرت فى أقرب وقت بالازهر مكتبة عامة علمية هامة حديثة النظام والتنسيق حافلة بالمطبوعات والمخطوطات فى العلوم القديمة والحديثة .

وبدأ فى انشاء فهرس حديث لها أتمه من تولى أمر المكتبة بعده وهو الآن بين يدى العلماء الباحثين .

وكان مع ذلك دائبا على التدريس فى الصباح والمساء بالازهر ومسجد محمد بك أبى الذهب قبالة الازهر واحدى قاعات المكتبة الازهرية ــ فدرس فيها علم الحساب والجبر والمقولات الحكمية لطلابه .

* * *

ثم عين (مفتشا أول للازهر والمعاهد الدينية) ولم يشغل هذه الوظيفة أحد قبله .

ثم عين (عضوا بمجلس ادارة الازهر) الذى

الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى

كان يضم أعلام الازهر منهم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فكانت له فيه جولات اصلاحية هامة .

ثم عين (شيخا للجامع الأحمدي بطنطا) فاهتم بأمره اهتماما بالغا كان من آثاره :

١ ـ تصفية الطلاب من الدخلاء الذين يقيدون أسماءهم فى سجلات المعهد ولا يدرسون ، ويحسبون من أبنائه وهم عنه غرباء .

٢ ـ وتخصيص كل عالم بدراسة ما يحسنه من العلوم ويقدر عليه من الكتب ، فوضع الأمور فى نصابها ورفع مرتبات العلماء الى ما يليق بهم ، وسار المعهد فى طريقه من هذا العهد كأعظم المعاهد العالية بعد الازهر الشريف .

وبنى للمعهد بناء فخما على أحدث الأبنية الدراسية قريبا من محطة طنطا لتكون الدراسة فيه على النظم الجديدة بدل الجلوس على الأرض فى الحلقات أمام المدرسين .

وفى هذه الآونة عهد اليه بالاشراف على (معهد دسوق ، ومعهد دمياط الدينيين) فسار فيهما سيرته فى المعهد الاحمدي وحمد السرى وعز فيهما العلم وأقبل فيهما العلماء ، والطلاب على الدراسة بانشراح وآمال .

ثم عين (مديرا للازهر والمعاهد الدينية) ولم يكن لهذه الوظيفة اسم ولا شأن فى ميزانية الازهر ولا فى وظائفه وعهد اليه بترسيخ أقدام النظام فى الازهر ومواصلة خطته الاصلاحية التى بدأها وهو مفتش أول للازهر والمعاهد الدينية ، وجرى عليها بجد وثبات فى مشيخته للجامع الأحمدى فسار فيها سيرته المحكمة وتغلب على العقبات الكأداء والدسائس الوضيعة التى يكيد له بها أعداء الاصلاح وأنصار الفوضى والهمجية ، مستعينا بالله تعالى واثقا من أن الزبد سيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تحويلا .

وقد حرص على تقويم الدراسة بالمدرس الصالح والطالب الصالح وحمايتها من العناصر الضارة ، وعلى تثبيت قواعد النظام وارساء اسسه على صخر لا يتأثر بالزوابع والتيارات .

وأنصف العلماء المهضومين وأرضى ربه ودينه وضميره فى الجامعة الاسلامية الكبرى التي يعدها المسلمون قلعة الاسلام الحصينة فى العالم الاسلامى أجمع .

ومن ذلك مارآه من اعداد طائفة من نابهى الطلاب للمساهمة فى الحياة الادبية المعاصرة كتابة وخطابة ومحاضرة ولتكون عنوانا مشرفا للازهر فى العصر الحديث .

وكان يرى أنه لا يتم للعالم فضله واحسانه الا باللسان والقلم فاذا افتقدهما لم يكن لعلمه أثر ولا فائدة فوضع مشروعه وأقره مجلس الادارة وألف لجنة علمية قيمة من الادباء الازهريين النابهين وتقدم اليها بعض نبهاء الطلاب فتولت برياسته التوجيه والارشاد وتعالت الاصوات بالخطب والبيانات وسرت بين الطلاب روح أدبية عالية اسلامية متحمسة باستقبال باهر ينتظرهم فى عدة مجالات شريفة .

وكان الاجتماع بقبة مسجد محمد بك

أبي الذهب في أوقات غير أوقات الدراسة أسبوعيا بل يوميا في بعض الأشهر .

وكان هؤلاء الطلاب الذين ساهموا في تحقيق هذه الفكرة بالأزهر نواة التحرير والخطابة والارشاد والتوجيه والزعامة الازهرية في الحركة الوطنية المباركة في سنة ١٩١٩ حيث كانوا قد بلغوا في هذه السنة مبلغ الاساتذة المدرسين والدعاة المصلحين .

والنتائج وليدة المقدمات (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا) عسرا أو قليلا لا خير فيه .

* * *

وقد كان في عهد ادراته الازهرية محط انظار القادة المصلحين وموضع تقديرهم العظيم .

وفي أثناء هذه الحقبة أنعم عليه من الدولة العلية بالنشان المجيدى الثالث ثم بالنشان العثماني الثاني ، وممن يلي الامر بمصر بكسوة التشريف العلمية من الدرجة الاولى .

وسافر الى الآستانة وأزمير وقولة ثم سافر بعد ذلك الى الحجاز للحج والزيارة النبوية . والتقى في الكل بكثير من العلماء الامجاد .

وعين (عضوا بجماعة كبار العلماء بالازهر) أول ما سنها القانون وكان عددها ثلاثين عضوا من المذاهب الاربعة .

ومن نظامها اذ ذاك بقاء العضوية مدى الحياة مادام العضو صالحا للبحث العلمي أو التدريس أو التأليف وكان أعضاؤها كبار الشيوخ وأعلامهم الذين يدين لهم كل العلماء بالسبق والفضل .

وعين كذلك (عضوا بمجلس الازهر الاعلى) وهو اذ ذاك مجلس مستحدث حافل بأعضاء أجلاء فنيين مجربين .



واستمر في وظائفه الادارية جادا عادلا شجاعا في الحق حريصا على سمعة الأزهر والمعاهد الدينية وحسن انتاجها .

وقد ضمت اليه وظيفة وكالة مشيخة الازهر فجمع بين الوظيفتين في عهد مشيخة الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الازهر وكان جهده في هذه الآونة موزعا بين جلب المصالح ودرء المفاسد وهو جهد كبير ينوء بحمله العصبة أولو القوة .

* * *

وفي سنة ١٩١٥ م اختلف مع السلطان حسين كامل في بعض الشئون الازهرية وأصر على رأيه فيها فعز ذلك على السلطة الحاكمة التي ألفت الخنوع والطاعة لها فأقصى عن وظائفه الادارية فسرى عنه كثيرا وألقى عن عاتقه ذلك العبء المضنى وأقبل على التدريس للعلماء وكبار الطلاب في مختلف العلوم كالتوحيد والمنطق والفلسفة والاصول والتفسير فكانت دروسه كل يوم بمسجد محمد بك أبي الذهب حافلة جامعة عظيمة يحضرها العلماء وكبار الطلاب من الازهر وغيره .

وكان يقرؤها مساء بين المغرب والعشاء قراءة متواصلة في شيخوخته كأنشط مدرس شاب قوى . وكانت قراءته في الكتب العالية في الفنون كما يريد طلابه بحثا وتحقيقا وبيانا وتقريرا .

الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى

وقد تخرج على يديه نخبة من العلماء في تدريسه قبل تولى الوظائف الادارية وبعد انصرافه عنها أعنى من سنة ١٣٠٥ هـ الى ما بعد سنة ١٣٣٣ م ـ نذكر منهم .

العلامة الشيخ عبدالله دراز والعلامة الشيخ عبد المجيد الشاذلى والعلامة الشيخ عبد الفتاح المكاوى والعلامة الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الازهر فيما بعد والعلامة السيد محمد عاشور الصدفى عضو المحكمة العليا الشرعية والعلامة الشيخ عبد الهادى مخلوف والعلامة الشيخ على ادريس العدوى والعلامة الشيخ ابراهيم الجبالى والعلامة الشيخ محمود الدينارى والعلامة الشيخ محمد شريت والعلامة الشيخ فرغلى التيجى والعلامة الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية ثم شيخ الجامع الازهر فيما بعد والعلامة الشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة العليا الشرعية ونجله الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الاسبق وعضو جماعة كبار العلماء وغيرهم من العلماء الاعلام الذى تولوا مناصب عليا في الازهر والمعاهد الدينية والقضاء والافتاء .

وممن تلقى عنه بالازهر في عهده السالف السيدان الجليلان أبو الحجاج يوسف الحجاجى الاقصرى وأخوه الحسين يوسف الحجاجى الاقصرى وكثير ممن لهم آثار خالدة بالصعيد والوجه البحرى والاقطار الاسلامية الشقيقة .

❋ ❋ ❋

وبالجملة فقد قضى أستاذنا الامام المترجم حياته كلها في خدمة العلم والدين والازهر الشريف ونشر الثقافة الاسلامية وفي الدعوة الى الحق والقيم الروحية والاخلاقية في دروسه وأحاديثه ومؤلفاته واجتماعاته في الازهر وغير الازهر في كل مجال وحال .

وكان مع ذلك كله مواظبا على أوراده وعباداته وتبتله على نهج أستاذه الامام القدوة سيدى أبى المعارف الشيخ أحمد بن شرقاوى الخلفى رضى الله عنه .

وقد كان عف اللسان مهابا في مجلسه موقرا محترما من جميع عارفيه ، شديد الصلابة في الحق لا تلين قناته فيما يعتقده ويراه حقا صريح المقال يكره المداورة والمصانعة عالى الهمة لا يرد قاصد خير ولا ينهر سائل رفد جوادا كريما يبذل غاية الجهد في اغاثة الملهوف ومعونة الضعيف .

وكان فصيح اللسان قوى البيان في دروسه محققا مدققا في العلوم وفي تآليفه الكثيرة واستمر يدرس ليلا بعد المغرب في مسجد محمد بك أبى الدهب للعلماء وكبار الطلاب جمع الجوامع (في علم أصول الفقه) أكثر من عشر سنوات وأعظم الكتب في التوحيد والفلسفة الى أن توفى رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته .

❋ ❋ ❋

وكان خديوى مصر عباس باشا حلمى الثانى يجله ويحبه كثيرا ويعمل بما يشير به في الشئون الازهرية ويحترمه كثيرا .

وكان أصدقاء كثيرون من علية القوم وعظمائهم يجلونه ويحترمونه ويقدرونه حق



قدره ومنهم الامام الشيخ محمد عبده وكان عضوا بمجلس ادارة الازهر حينما كان الاستاذ المترجم أمينا للمكتبة الازهرية وكان ساعده الايمن ، ومنهم الزعيم الخالد (سعد زغلول) وكان به حفيا وله مجلا: والاستاذ حسن صبرى رئيس مجلس الوزراء والاستاذ الهلباوى كبير المحامين بمصر والأستاذ أحمد شفيق باشا رجل السياسة فى عصره وغيرهم من الاعلام فى مصر فى ذلك العهد .

ثم قرأ لطلابه تفسير البيضاوى للقرآن الكريم وهو آخر كتاب درسه بالازهر وبينما هو يقرؤه طرأ عليه مرض لم يلبث يعالجه سوى شهر ثم توفى فى شهر المحرم سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) ودفن فى قرافة الغفير قرب العباسية بالقاهرة رحمه الله وأثابه عداد حسناته .

وقد ترك من الأولاد الذكور فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الاسبق وعضو جماعة كبار العلماء بالازهر أمد الله فى عمره ، واللواء أحمد الظاهر مدير البوليس سابقا . ومحمد كامل .

آثاره العلمية

لقد ترك أستاذنا صاحب الترجمة الكثير من المؤلفات فى العلوم العقلية والنقلية التى تدل دلالة واضحة على مبلغ ثقافاته من جانب وعلى رسوخ قدمه وعلو منزلته وباعه الطويل فى الكتابة والتأليف من جانب آخر . وهذه المؤلفات بعضها مطبوع وبعضها مازال مخطوطا ومنها .

١ ــ اتحاف الوراد بأشعة الاوراد للسادة الخلوتية الفه بامر استاذه الامام ابى المعارف رضى الله عنه .

* * *

٢ ــ الافاضة القدسية فى بيان بعض الاصطلاحات الحكمية .

٣ ــ التبيان فى حكم زكاة الأثمان .

٤ ــ التصورات الأولية فى المطالب الحكمية .

٥ ــ تعليقات على الافاضة القدسية فى الحكمة .

٦ ــ تعليقات على رسالة العاملى فى علمى الجبر والحساب .

٧ ــ التعليق على نخبة الفكر فى مصطلح اهل الاثر .

٨ ــ الحاشية الأولى على شرح المقولات الحكمية فى الفلسفة .

٩ ــ الحاشية الكبرى على المقولات الحكمية فى الفلسفة .

١٠ ــ حكم ترجمة القرآن وقراءته وكتابته بغير اللغة العربية .

١١ ــ حكم التوسل بالانبياء والأولياء .

الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى

١٢ ــ دليل الحاج على المذاهب الاربعة الفه بعد عودته من الحج والزيارة ٠

١٣ ــ الرحلة المهمة فى ازالة الرين عن قلوب الأمــة ٠

١٤ ــ رسالة فى اخراج الزكاة طعاما وثبوت رؤية هلال رمضان بالتلغراف ٠

١٥ ــ الاستصباح فى المساجد بالشموع ٠

١٦ ــ رسالة فى حكم زكاة الاوراق المالية٠

١٧ ــ رسالة فى أن الصلاة الفتحية ليست من الأحاديث القدسية ٠

١٨ ــ رسالة فى سكر النهر الاعظم ٠

١٩ ــ رسالة فى شرح الصلاة الكمالية ٠

٢٠ ــ رسالة فى فضائل ليلة النصــف من شعبان ٠

٢١ ــ رسالة فى مبادىء الفنون ٠

٢٢ ــ شرح لحديثين شريفين ٠

٢٣ ــ شرح المورد الرحمانى فى التـوحيد والتصوف لشيخه الامام الشيخ أحمد بـن شرقاوى ٠

٢٤ ــ شرح نصيحة الذاكرين لشيخه الشيخ احمد بن شرقاوى ايضا ٠

٢٥ ــ عنوان البيان فى علوم التبيان :

٢٦ ــ الفصول الوافيات فى أحكام المعاملات وفيها تحدث عن حكم الربا بانواعه ٠

٢٧ ــ الفوائد الحسان فى الكلام حال جلوس الامام على المنبر والترقية والأذان ٠

٢٨ ــ القول الجامع فى الكشف عن مقدمة جمع الجوامع فى أصول الفقه تحت الطبع ٠

٢٩ ــ القول المبين فى حكم المعاملة بيـن الأجانب والمسلمين ٠





٣٠ ـ القول الوثيق فى الرد على ادعياء الطريق .

٣١ ـ كشف الغطاء عما ورد على السنة الأدعياء من كلام الاصفياء .

٣٢ ـ لباب الصبوح فى سر تحريم اللحم الممنوح .

٣٣ ـ بلوغ السول فى مدخل علم الاصول .

٣٤ ـ المدخل المنير فى مقدمة علم التفسير .

٣٥ ـ المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية .

٣٦ ـ المقالة الفيحاء فى اولية خلق النور والهباء .

٣٧ ـ منهج اليقين فى بيان أن الوقف الأهلى من الدين ويليه كلمة حول ترجمة القرآن (1) .

---

(1) زكى مجاهد ، الاعلام الشرقية ، جـ ٢ ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

المراجع

١ ـ خير الدين الزركلى (الاعلام) جـ ٦ ص ٢٢٦ القاهرة ، مطبعة كوستا ١٩٥٥ .

٢ ـ زكى مجاهد (الاعلام الشرقية) . جـ ٢ ص ١٦٠ ـ ص ١٦١ التضامن الحديثة ، ١٩٤٥ .

٣ ـ عمر رضا كحالة (معجم المؤلفين .. جـ ٩ دمشق ، مطبعة الترقى ١٩٦٠) .

٤ ـ فرج سليمان فؤاد (الكنز الثمين لعظماء المصريين) .

٥ ـ فهرس المكتبة الأزهرية ، جـ ٤ ص ١٥٣ جـ ٦ ص ١٤٣ .

٦ ـ حديث خاص مع نجله الشيخ حسنين محمد مخلوف المفتى الاسبق للديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر .

٧ ـ على باشا مبارك (الخطط التوفيقية جـ ٩ ص ١٧٩) .

رحمه الله

الدكتور محمد سعاد جلال



عالم جليل من علماء الأزهر الخالدين، ترك أثره في حياة مصر الثقافية والدينية ودوي صوته شرقا وغربا، وذاعت كلماته ومقالاته في كل مكان.

كان العمود الذي يكتبه في جريدة الجمهورية بعنوان «قرآن وسنة» حبيبا الى نفوس القراء وقلوبهم يحمل آثارا من علمه وثقافته وروحه وفكره.

وكان صدى لمطالب الحاضر ولصوت الماضي، ولنداء المستقبل.

ولد الشيخ من أبوين كريمين، وكان أبوه من العلماء، وذلك في قرية (تلة) من أعماق المنيا عام ١٩١٠.

وحفظ القرآن الكريم، ودخل الأزهر الشريف، وتدرج في معاهده حتى دخل كلية الشريعة عام ١٩٤١ وتخرج منها عام ١٩٤٧، وعمل مدرسا في معاهد الأزهر الشريف عدة سنوات، ثم عين مدرسا في كلية الشريعة الاسلامية عام ١٩٤٧.

وتدرج في سلك وظائفها العلمية، حتى صار رئيسا لقسم الأصول، ثم أحيل الى المعاش، وعندئذ انطلق صوته خارج الأزهر بالدفاع عن الاسلام، وبابداء الراي في مشاكلنا العامة والخاصة ويشرح وجهة نظر الاسلام في كل مشكلة وكل مناسبة.

كان بليغ العبارة، فصيح الاسلوب شديد التأثير في نفوس قرائه: يمتاز

أسلوبه بالموضوعية التامة ، وبالعمق وسعة الاطلاع والتضلع في مسائل الدين والدنيا .

وكان الى ذلك خطيبا مفوها واديبا مجودا ، وطالما شارك بخطبه المدوية في كل أمور الأزهر العامة والخاصة طيلة حياته ، وكنا زملاء نجتمع لنفترق ، ونفترق لنجتمع ، فاذا اجتمعنا كان الحب الصافي ، والود المكين والاخاء الكامل ، والوفاء الشديد .

واذا افترقنا كان الثناء والتقدير والذكر الطيب ، والتنويه الحميد بمآثره وشجاعته فى الحق . وبطولته فى تحمل الاعباء

وكان مدرسا يملك قلوب طلابه ومريديه ، يؤثرونه ويؤثرون محاضراته علي كل شيء ولايكاد تلاميذه يفارقونه .

وكان في مؤلفاته مقنع الراي ، مقنع الحجة ، مقنع الدليل والحوار والحجاج .

صديق من اصدقاء العمر ، كان يدرس في قسم الفقه والأصول في الدراسات العليا بجامعة الأزهر ، ويتبع هذا القسم كلية الشريعة الاسلامية .

وكنت انا أدرس في قسم البلاغة والادب والنقد في قسم الأستاذية - العالمية - من درجة أستاذ ويتبع هذا القسم كلية اللغة العربية . . ومع ذلك كان المكان واحدا ، وهو مكان الكليتين في شارع البراموني ، وكان الاخاء والصفاء والوفاء هي خلالنا العامة ، وكان الحب المكين يجمعنا ويكفلنا ، رحمه الله .

ولم اكن أتصور في يوم من الأيام أن أنعي الصديق الدكتور محمد سعاد جلال .

ولكن هكذا كانت مشيئة الله ، وارادته الغالبة القاهرة .

أخي الدكتور محمد سعاد جلال لست أبكيك ولا أرثيك فانت حاضر في القلب أبدا ، وأنت حي بيننا لأنك شهيد العلم والأزهر والاسلام .

ولكنها الذكري ، واللوعة والحزن العميق . تهتصر نفوسنا ، وتعتصر أرواحنا . فالي رحمة الله ، وفي جنات الخلد ، وعليك من الله وملائكته ومن الناس اجمعين صلوات ورحمة .

د . محمد عبد المنعم خفاجي

الفتاوى

● الإفطار خطأ

س : من السيد / ..... بشركة كنوريه

بمناسبة حلول شهر رمضان واعلانه متاخرا ، فان بعض العاملين بالمنطقة الصناعية قد تناولوا الافطار صباح اول رمضان الموافق ١١ / ٦ / ١٩٨٢ بعد شروق الشمس وبعدها علموا بدخول الشهر فما الحكم ؟

ج : الافطار مع عدم العلم بحلول شهر رمضان يعد من باب الخطا . فيجب على من افطر ان يمسك عن الطعام وعليه ان يقضي يوما بدله بعد رمضان .

● حق الشفعة

س : من السيد / ع . عبد العزيز

ما هي ارجح الاقوال في انتقال حق الشفعة بالارث الى الورثة ؟

ج : راى الائمة : مالك ، والشافعي ، والليث ، واحمد ، ان حق الشفعة يورث كما تورث الاموال . خلافا لابي حنيفة الذي يقول انها تورث الاموال دون الحقوق .

وقد رد عليه بانه يقول بارث حق الرد بالعيب .

● التعجيل بالقران

س : من السيد / ع . م . ب

اراد شاب خطبة فتاة والعقد عليها ، ولكن والده وافق على الخطبة ولم يوافق على التعجيل بعقد القران .

فمن الذي يتحمل ذنوب النظر وغيره الى المخطوبة ؟ وهل يكون الشاب عاقا اذا رفض راى والده وتم عقد القران ؟

ج : الافضل التعجيل في عقد القران بعدا عن الشبهات وما قد يجر الى المعصية ، وعلى الوالد ان يوافق على هذا .

وترك راى الوالد في تاخير العقد ليس عقوقا ، حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

● في الزكاة

س : من السيد / عبد الباقي على سابق .

امتلك مزرعة دواجن لم اشاركه بقرض لم يسدد منه شيء ، فما قيمة الزكاة المفروضة على هذا المشروع ؟ علما بانه يتم انتاج خمس دورات في العام . وهل يتم اخراج الزكاة عن كل دورة ام كل عام ؟

وهل يتم اخراجها نقدا ام عينا ؟

إعداد عبد الحميد السيد شاهين

تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

ج : الزكاة تجب كل عام على كل الايرادات التى تجمعت لديه بعد مصاريفه ومصاريف المزرعة اذا بلغ ذلك نصابا ، وبعد خصم الديون ، فان الصدقة لاتجب الا عن ظهر غنى .

والزكاة المطلوبة ربع العشر = ٢ر٥٪ ويصح اخراج الزكاة عينا كما تصح نقدا .

● فى الميــراث

س : من السيد / م . هـ . م

توفى رجل عن : زوجة ، خمس بنات ، اخت لاب ، اولاد عم شقيق ذكور واناث . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة : الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث .

وللبنات الخمس : الثلثان فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى . والباقى للاخت لاب تعصيبا .

ولا شىء للذكور من اولاد العم الشقيق ، لحجبهم بالاخت لاب لانها صارت عصبة مع البنات .

كما لاشىء للاناث من اولاد العم لانهن من ذوات الارحام المؤخرات فى الميراث عن اصحاب الفروض والعصبات .

● وفــاة الزوجــة

س : من السيد م . س . يحيى

شاب عقد قرانه على ابنتى ، واثناء العقد دفع لى الزوج مقدم المهر وهو الف جنيه وكتب فى وثيقة الزواج مؤخر صداق لها قدره سبعمائة جنيه كما قدم لى شبكة قيمتها خمسمائة جنيه : ذهب وادوات منزلية كما انه دفع اجرة خياطة الملابس وثمن قطن التنجيد .. ثم توفيت الزوجة قبل الدخول بها وتركت : ام اب ، زوجا ، اخوة اشقاء .

ج : الشبكة جزء من المهر ، والمهر تستحقه المراة بالعقد عليها ، وحيث انه عقد عليها فقد اصبح المهر والشبكة ملكا خالصا لها ، ويضاف اليهما مؤخر مهرها وما قدمه من مال لشراء القطن وخياطة الملابس ، وبموتها يصير الجميع تركة توزع على الورثة وفقا للشريعة الاسلامية فيكون للزوج من ذلك كله النصف فرضا ، لعدم وجود الفرع الوارث وللام السدس فرضا ، لوجود عدد من الاخوة والاخوات .

وللاب الباقى تعصيبا .. ولاشىء للأخت لحجبهم بالاب .

والله أعلم

في اللغة والأدب والنقد

- بين التهذيب واللسان

- مدارسنا الأدبية مدرسة البعث

- ديوان عامر

- محمود سامي البارودي والشعر الحديث

بين التهذيب واللسان

للدكتور محمد عبد الحفيظ العريان

تساءلنا في ختام مقالنا الاول عن منهج الجوهرى وخصائصه ، ونجيب فنقول :

منهج الجوهرى : يبدو أن الجوهرى قد عدل عن منهج الخليل لصعوبته فاتبع ـ كما ترى ـ نظام البندنيجى في معجمه « التقفية في اللغة » وهذا النظام يقوم على ترتيب الكلمات حسب أواخرها . وقد حدد الجوهرى منهجه في مقدمة صحاحه قائلا « وانى قد أودعت هذا الكتاب ماصح عندى من هذه اللغة التى شرف الله تعالى منزلتها وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها على ترتيب لم أسبق اليه وتهذيب لم أغلب عليه في ثمانية وعشرين بابا ، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلا على عدد حروف المعجم وترتيبها » (١) ..

فالجوهرى كما يبدو من النص يعتبر نفسه أول من استعمل نظام القافية في ترتيب الكلمات في كتابه لأسباب لاداعى للتعرض اليها هنا . وهذا الرأى لانطمئن اليه ولاناخذ به حيث يوجد من هو أسبق منه وهو البندنيجى كما أشرنا خلال هذا البحث ..

وابن منظور قد قلده في المنهج واتبع في تأليفه لسان طريقة الصحاح ، فخالف بذلك الطريقة التى سار عليها الأزهرى . فابن منظور وان لم يبتكر المنهج العام الا انه رجح القافية على منهج التقليبات بشقيها ، الصوتى والهجائى سعيا للتيسير وجعل المعجم في متناول الطالب والدارس على السواء . كما لاحظ هو ذلك في مقدمة اللسان ..

(٢) ـ منهجهما الجزئى : يختلف العالمان ـ أيضا ـ في منهجهما الجزئى وفي طريقة جمع المادة ( ) .. فما هذه الطريقة ؟

أ ـ طريقة الأزهرى

لقد حدد الأزهرى في مقدمة التهذيب طريقته وحصرها في قواعد ثلاث وسنتولى تحليلها وبسطها انطلاقا من كلام الأزهرى .

(١) الصحاح ١ : ٣٣ للجوهرى ، تحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار مطبعة دار الكتاب العربى بمصر ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م .

بين التهذيب واللسان

أما القاعدة الأولى، فهى تتمثل فيما سمعه الأزهرى مشافهة من كلام الأعراب عندما وقع في أسر القرامطة «وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربا ... نشأوا في البادية .. يتكلمون بطباعهم البدوية .. ولايكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش. فبقيت في اسارهم دهرا طويلا .» (١) ..

ويظهر من هذا الكلام ان الأزهرى قد استفاد من اختلاطه بالاعراب. ولذلك نجده في التهذيب يستعمل عبارة (قالت العرب) عندما يريد النقل عن هؤلاء الأعراب ـ الا أن الدكتور عبد الله درويش يذهب الى أن «الأزهرى لم ينقل عن هؤلاء الأعراب الا نادرا» (٢) ودليله على ذلك أن تعبير (قالت العرب) موجود بكثرة في كتب اللغة المتأخرة مما لايدل دلالة واضحة قاطعة على أن المقصود هو مشافهة الأعراب لا النقل عنهم. بيد أن هذا الرأى يبدو غير مدعم بأدلة مقنعة لاحتمال أن يكون المتأخرون قد اقتبسوا هذا التعبير (قالت العرب) عن الأزهرى نفسه والدليل على أنه قد أخذ عن الأعراب مباشرة هو نقله في معجمه ماليس شائعا ولايمكن اعتباره صحيحا لدى البعض من أصحاب المعاجم وأمثلة ذلك كثيرة في التهذيب. على أنه من المؤكد أن الأزهرى لم ينقل كل ماسمعه من الأعراب بدليل تسميته لمعجمه بالتهذيب. أى أنه قام ـ كما ذكرنا آنفا ـ بغربلة الألفاظ اللغوية التى سمعها وانتقى منها ما اعتبره هو صحيحا شائعا ..

أما القاعدة الثانية، التى اعتمدها في نقله فهى مارواه عن النقاد من اللغويين فيقول مثلا «وأخبرنى المنذرى عن أبى العباس أنه قال، ثم يروى الشرح» ..

أما القاعدة الثالثة، فهى مانقله عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت اليها معرفته فيقول مثلا، «ثعلب عن ابن الأعرابى أو قال الأصمعى عن أبى تراب» ..

على أنه لم يقف موقفا سلبيا من رواته، فقد كان شديد النقد والتحرى ملتزما طريقة علمية دقيقة عمادها التثبت والدرس، فقد قسم الرواة واللغويين الى قسمين، ثقاة وغير ثقاة ووضع في القسم الأول من تثبت لديه نزاهته كالأصمعى وأبى عبيدة. وفي القسم الثانى من لم تثبت لديه معرفة ثاقبة كالخارزنجى صاحب (تكملة العين) وأبى الأزهر البخارى صاحب (الحصائل) ..

ومهما تكن وجاهة نقد الأزهرى لرواته أو عدم وجاهته فان هذا العالم كان صاحب شخصية متميزة جريئة في ابداء الرأى وان اتهمه البعض بالحيف والكبرياء وازدراء جهود السابقين لابراز قيمة معجمه ..

وموجز القول فان الأزهرى في طريقة نقله لم يكن مقلدا بل كان ناقدا مبتكرا قد سلط العقل على مروياته فكان مجتهدا لغويا وكل مجتهد عرضة للاصابة والخطأ.

طريقة ابن منظور

ولعل هذا الاجتهاد الذى اتسمت به شخصية الأزهرى. هو الذى جعل ابن منظور

---

(١) التهذيب، ١ / ٧.

(٢) المعاجم العربية، ٩٩ و٠. عبد الله درويش ط الأنجلو المصرية.

يفضل عليه في بعض الاحيان . ابن سيده في محكمه ذلك لان ابن منظور بحكم تاخره الزمنى ـ قد اتبع طريقة النقل المباشر عن مصادره الخمسة دون أن يبدى رأيا شخصيا او اجتهادا في الترجيح او التفسير وقد صرح هو بذلك « ولم ابدل منه شيئا .. بل اديت الامانة في نقل الاصول بالنص . وماتصرفت فيه بكلام غير مافيها من النص فليعتمد من ينقل عن كتابي هذا انه ينقل عن هذه الاصول الخمسة » (١) على انه بامكاننا ـ من خلال مواد اللسان ان نستشف طريقته في النقل وهي تتلخص في :

(١) حذف الاسانيد التي اعتمدها الازهري او غيره والاستغناء عنها بذكر المصدر المنقول عنه فيقول مثلا « حكى الازهري ـ وتراه احيانا اخرى ينقل سلسلة الرواة نقلا عن الازهري » على انه من الصعب ان نعرف سر الابقاء والحذف لهذه الاسانيد سوى ان ابن منظور كان همه النقل والجمع للمادة ..

(٢) المزج بين منقولاته عن الازهري ومنقولاته عن بقية مصادره بطريقة مشوشة لم تهتد للغاية منها . فهو ينشر في كلام الازهري كلام غيره ويقحم كلام الازهري في كلام غيره . واذا كان قد اخذ على الازهري وابن سيده وقوعهما في الخلط والاضطراب وتكديس المادة فانه هو نفسه قد وقع في نفس ذلك العيب . اذ أصبح معجم لسان العرب متخما بمادة مشوشة صعبة المنال .

(٣) عدم ابداء الرأي في كل ماينقل . وهو بذلك يختلف عن الازهري الذي كان قوي الشخصية ..

ب ـ ترتيب مشتقات المادة في المعجمين :

لايجرى ترتيب مشتقات المادة في المعجمين على نظام معين دقيق يساعد الطالب على اخذ بغيته بيسر وسهولة . كما هو الامر بالنسبة للمعاجم الحديثة التي التزمت طريقة معروفة وقد لخصت اللجنة التي وضعت المعجم الوسيط هذه الطريقة في مقدمة هذا المعجم وهي تقوم على اساس :

(١) تقديم الأفعال على الأسماء .

(٢) تقديم المجرد على المزيد من الأفعال .

(٣) تقديم المعنى الحسي على المعنى العقلي والحقيقي على المجازي .

(٤) تقديم الفعل اللازم على المتعدي الى آخره ..

غير اني ـ بالرغم من صعوبة هذا العمل ـ حاولت البحث عن طريق الترتيب في المعجمين بالاعتماد على المواد الثلاث الاتية : جعب ـ عرب ـ نوا قصد استخلاص سمات عامة لهذه الطريقة .

وقد ركزت عملي ـ بصورة ادق ـ على مادة : عرب فوجدت ان الازهري قد خصص في معجمه لهذه المادة : عرب من طبعة التهذيب المحققة : ١٤ نهرا اي من صفحة : ٣٦٠ الى ٣٦٧ من الجزء الثاني وقد استغرقت هذه الصفحات سبعا وعشرين كلمة مرتبة على النحو التالي :

(١) عرب عاربة (٢) الاعاريب (٣) عربي (٤) معرب (٥) اعرابي (٦) اعرب (٧) تعرب (٨) استعرب (٩) عرب (١٠) عرباني (١١) عرب مستعربة (١٢) العرابة

---

(١) لسان العرب / ١ / ١٢

(١٣) عروب (١٤) عربة (١٥) العرب
(١٦) عرب (١٧) العبرب (١٨) العروبة
(١٩) العراب (٢٠) عربونة (٢٢) عريب
(٢٣) العربون (٢٤) العربات (٢٥) عربة
(٢٦) العراب (٢٧) العربية .

والذى يمكن استنتاجه من ترتيب هذه المادة أن الازهرى لا يسير وفق خطة محددة مضبوطة وانما هو ينقل ماورواه دون احكام في التنظيم والتنسيق الا انه بدا لى ان الازهرى من خلال هذه المادة ومن غيرها من المواد التى امكن لى الاطلاع عليها كان يقدم في الاغلب الاسماء على الافعال والمستعمل قبل النادر . كما كان يمزج بين اسماء الاشخاص والقبائل وبين معانى الافعال دون خطة متدرجة تتيح للمطالع الاستفادة من المادة بسهولة ..

اما ابن منظور فقد رتب مادة (عرب على النحو الاتى : (١)

فهى تحتوى على (٥٢) كلمة (١) عرب
(٢) عرب (٣) عريب (٤) عاربة
(٥) عرباء (٦) متعربة (٧) مستعربة
(٨) عربى (٩) اعرابى (١٠) اعراب
(١١) اعاريب (١٢) عروبة (١٣) عروبية
(١٤) تعرب (١٥) التعرب (١٦) العربة
(١٧) عربة (١٨) العربات (١٩) عربانى
(٢٠) اعرب (٢١) عرب (٢٢) الاعراب
(٢٣) التعريب (٢٤) تعرب (٢٥) استعرب
(٢٦) استعرابا (٢٧) معرب (٢٨) عرب
(٢٩) عروب (٣٠) عرابة (٣١) عرب
(٣٢) عريب (٣٣) عراب (٣٤) اعرب
(٣٥) الاعرابة (٣٦) العرابة (٣٧) معاربة
(٣٨) العرب (٣٩) العروب (٤٠) العربة
(٤١) العرب (٤٢) العراب (٤٣) العربان
(٤٤) العربون (٤٥) العربون (٤٦) عربن
(٤٧) عروبة (٤٨) العبرب (٤٩) عبربية
(٥٠) العراب (٥١) يعرب (٥٢) العارب ..

والذى نستخلصه من هذه المادة ان ابن منظور كالازهرى لم يلتزم نظاما دقيقا فقد بدا هنا باسم ثم اتبعه باسماء وافعال الا انه في بعض المواد الاخرى قد يبدا بالفعل مثل مادة (ناء فهو يستهلها هكذا « ناء بحمله ينوء نوء وتنواء : نهض بجهد ومشقة » (٢) ثم يتعرض بعد ذلك لاسماء اخرى مكررا حينا الصيغة ليعطى معنى جديدا واحيانا يكررها والمعنى واحد .

وخلاصة القول فان ابن منظور والازهرى في منهجهما الداخلى لايسيران على نهج معين مضبوط الا انهما :

(١) يبدان في الاغلب باسم .

(٢) انهما يمزجان بين الاسماء والافعال بصورة متقطعة مشوشة .

(٣) ان ابن منظور قد ينهل المادة بذكر الاعلام سواء كانت اعلام اشخاص كقوله « ابن العروبة رجل معروف » ام قبائل (عريب حى من اليمن ام بلدان (العربات طريق في جبل بطريق مصر » وقد يفسر خلال ذلك بعض الالفاظ اللغوية او العكس على حين ان الازهرى قد ينهى المادة بذكر نوادر اللغة (عرب الرجل : اذا غرق في الدنيا وعرب اذا افصح بعد لكنة في لسانه » (٣) .

(٤) وسائل التفسير في المعجمين : من

---

(١) لسان العرب / ٤ / ٢٨٦٣ ـ ٢٨٦٥ (عرب) .

(٢) نفسه / ٩ / ٤٣٦٦ (نوا) .
(٣) التهذيب / ٢ / ٣٦٧ .

الوسائل الهامة التي تعتمدها المعاجم الحديثة لتوضيح معاني الالفاظ وتقريبها من الدارس والمطالع، التفسير بالسياق اللغوى او الاجتماعى او التعليلى والازهرى وابن منظور كثيرا مايستعملان هذه الوسائل فكيف كان ذلك ؟

أ ـ السياق اللغوى : ان مايميز معجمى « التهذيب واللسان » هو عدم اقتصارهما في الشرح على شرح كلمة بكلمة أخرى مرادفة او مضادة على اعتبار أن الكلمة ليست مستقلة بذاتها بل هى عنصر اساسى في بناء الجمل والتراكيب ولايمكن تصور معنى لهذا العنصر الجزئى الا في كنف المعنى العام الذى توحى به الجملة ولذلك نجد هذين المعجمين يدعمان شرحهما اللغوى بنصوص من القرآن والحديث النبوى او من امثال العرب واشعارهم . ولاداعى الى ذكر الامثلة نظرا لكثرتها فلاتخلو مادة من مواد المعجمين من اية او حديث او بيت شعرى ..

ب ـ السياق الاجتماعى : لقد ذهب كثير من الباحثين المعاصرين الى أن اللغة ليست فقط اداة تعبير عن الفكر ، بل هى الى جانب ذلك تعبر عن الواقع الاجتماعى الذى يحيط بالانسان . وقد انتبه الازهرى ومن بعده ابن منظور الى هذه النظرة فانهما يوردان في معجميهما كثيرا من المعانى الاجتماعية التى تصور لنا عقائد العرب ومفاهيم الاجتماعية واذا أردنا امثلة فهى كثيرة من ذلك في مادة « عرب » رجل اعرابى اذا كان بدويا صاحب نجعة وانتواء وارتياد للكلا وتتبع لساقط الغيث ، وسواء كان من العرب او مواليهم .. والاعرابى اذا قيل له ياعربى فرح بذلك وهش له والعربى اذا قيل له يا اعرابى غضب له « ١ » ..

هكذا نلاحظ من خلال هذا المثال تفسيرا اجتماعيا لكلمة الاعراب والعرب تستشف فيه ميل الاعرابى الى التحضر . ولذلك فهو يفرح عندما يدعى ياعربى على حين ان العربى ساكن المدن يتقزز من نعته بنعوت الاعراب . كما يعطينا المثال صورة عن حياة الاعرابى المعاشية في تتبعه لساقط الغيث وفي البحث عن الكلا لماشيته التى هى سبب رزقه ومعاشه ..

كذلك نجد في مادة « ثوا » مايؤيد هذا المعنى الذى كنا بصدد توضيحه .

وبالجملة فان اغلب المواد في « التهذيب واللسان » تحتوى على الكثير من المعانى الاجتماعية مما يجعل للمعجمين قيمة حضارية وتاريخية تساعد الباحثين المعاصرين على دراسة بيئة العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ..

جـ ـ السياق التعليلى : بالاضافة الى الوسيلتين السابقتين ـ التفسير اللغوى والاجتماعى ـ نجد في المعجمين وسيلة ثالثة هامة وهى تعليل بعض الصيغ . وبيان سبب استعمالها . وقد نجد هذه الوسيلة ـ بصورة خاصة لدى الازهرى الذى كان كلفا بالتعليل وابداء الراى مثال ذلك « وجعل الله عز وجل القرآن المنزل على النبى المرسل محمد صلى الله عليه وسلم عربيا لانه نسب الى العرب الذين انزله بلسانهم » « ١ » .

كذلك نجد الأزهرى يعلل سبب تسمية العرب عربا فينقل اولا راى غيره ثم يدلى

« ١ » لسان العرب : ١، ٥٨٦
« ١ » التهذيب : ٢، ٣٦١

برايه الشخصي مستعملا صيغة (قلت) ولعل هذه الفقرة تكشف لنا مدى تفلسف الازهرى في تعليل الالفاظ وتدقيق مدلولاتها وهى قوله « واختلف الناس في العرب انهم لم سموا عربا ؟

فقال بعضهم ـ اول من انطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان وهو ابو اليمن ، وهم العرب العاربة ونشأ اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما معهم فتكلم بلسانهم فهو واولاده العرب المستعربة وقال اخرون نشأ اولاد اسماعيل بعربة وهى من تهامة .. (قلت) والاقرب عندى انهم سموا عربا باسم بلدهم العربات » (١) هكذا نلاحظ ان الازهرى يتوسع في التعليل والمناقشة وقد نقل عنه ابن منظور ذلك نقلا حرفيا ـ كعادته ـ دون ان يبدى رايه .. او وجهة نظره ..

والخلاصة ـ في هذا الصدد ـ أن معجمى التهذيب واللسان اعتمدا في تفسيرهما للمفردات وسائل تكاد تكون عصرية . فقد أعطيا للمفردات معانى دقيقة في نطاق ما اكتسبته في الجمل والتراكيب من ضبط وتحديد ..

« يتبع »

(١) نفسه ، ٢ : ٣٦٥ ، ٣٦٦

مدارسنا الأدبية

١

شهد الأدب العربى قبل العصر الحديث أحداثا جساما . وعاش فى ظلال دول لم توجه اهتمامها الى الأدب والشعر . وسكن الى الراحة والنوم العميق . لم يعبر عن صخب الحياة وضجيجها من حوله . ولم يصور المحن والآلام التى كانت تعيش فيها شعوب العرب . وباعد بينه وبين الحياة والناس والطبيعة من حوله ..

فكان الشعر أيام الاتراك العثمانيين على ما عرف من ركاكة الاسلوب وضعف المعنى والولوع بالمحسنات البديعية . والنظم فى تافه الاغراض وسقيم المعانى . ووجدنا العامى والدخيل يملأ الفاظه بالعى والعجز والحصر . وعاش الشعراء بعيدا عن الامراء واشياعهم . اذ لم يجدوا فيهم اذانا صاغية او قلوبا واعية ولم يجدوا فيهم نفوسا تطمح الى نهضة ادبية مزدهرة . فلم يجد الشعر من اسباب النهوض ما يرفع شأنه او يقوى فى الوجود سلطانه . وكان لسوء الحالة الاجتماعية من فقر ومرض وجهل أثره الشديد فى ركود الشعر وضعفه البديعيات والالغاز والتاريخ الشعرى تملأ صفحة الشعر بالوهن الى الخيال السقيم والصور الشعرية الباهتة .

ومضى على ذلك الحال عصر « محمد على » ومن بعده الى « اسماعيل » وكانت حركة الاصلاح السريعة مادية عسكرية ولم تكن ادبية او فكرية فلم ينتفع بها الشعراء

مدرسة البعث

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

الا قليلا - بيد ان بعض الولاة عرفوا للشعراء مكانتهم فقربوهم وادنوا منهم مجالسهم واختصوهم بقصورهم - فكان السيد على الدرويش شاعر عباس الاول - وعلى الليثى شاعر اسماعيل - واتصل الشعراء بالامراء وسجلوا محامدهم - وكانت هذه ظاهرة اجتماعية جديدة فى الشعر - كما انهم ولعوا بالتاريخ الشعرى ولعا شديـــدا يسجلون به اعمال الامراء ومنشاتهم ووفياتهم وكان من بين شعراء هذا العصر :

ـ السيد اسماعيل الخشاب المصرى المتوفى عام ١٨١٥ م

ـ الشيخ محمد المصرى المتوفى عام ١٨١٥ م

ـ السيد احمد البيروتى المتوفى سنة ١٨١١ م

وفى عهد اسماعيل اخذ الشعر ينهض من كبوته - ويفيق من رقدته - وتظاهرت على رقى الشعر اسباب كثيرة - فالمطابع اخرجت كثيرا من كتب الادب العامة ودواوين الشعر فتمرس الادباء والشعراء باساليبها - وتعمقوا عباراتها ووعوا معانيها - واستظهروا بلاغتها - وهجرة ادباء الشام الى القاهرة حيث عاشوا فيها بالقرب من قصر اسماعيل - ينالون بره ورعايته ويرفعون من شان الشعر ويشيدون بذكر القصر - ثم الصحف والمجلات ودار الكتب المصرية والبعثات العلمية التى سافرت الى اوربا وعادت الى وطنها - حيث أفاد أعضاؤها من معارف الغرب وادبه وفنه - الى ما نقل من اداب الغرب الى اللغة العربية - مما هذب ذلك كله من اذواق الادباء والشعراء ونظم من افكارهم واخيلتهم .

وكان لاسماعيل شاعران من خاصة - هما : الشيخ على الليثى - والشيخ على ابو النصر المنفلوطى - فنهض الشعر وقوى نسجه واستحكم معناه ورق لفظه .

ونبغ من الشعراء فى هذا العهد

ـ السيد صالح مجدى

ـ الساعاتى المصرى المتوفى عام ١٨٨٠ م

ـ على ابو النصر المنفلوطى المتوفى عام ١٨٨٠ م

ـ محمود قبادو التونسى من ادباء تونس (١٨٦٨ م وسواهم

٢

وظهر البارودى وصار علما فى الشعر العربى واصبحت نماذجه صورا للبلاغة الجديدة وعلامة من علامات البعث الادبى الجديد - وصار الشعر العربى الحديث الذى نقرؤه ونتذاوقه ونحفظ روائعه التى ابدعها الشعراء العرب فى كل مكان مدينا لمحمود سامى البارودى رائد شعراء النهضة الادبية الحديثة بدين كبير .

ظهر البارودى فى سماء الشعر العربى ، نجما ساطعا ليجدد للشعر شبابه ويحيى له

دارس عروضه . وقد كان منذ حداثته يميل الى الادب . ويتذوق روائع الشعر . ويستمع الى ما يلقى فى انديته ومجالسه من منثور ومنظوم ثم صار يقرأ على الادباء والشعراء النماذج المختارة ويشاطرهم فقه ما يقرأ ثم استقل وحده بقراءة الدواوين الشعرية لاعلام الشعر القديم . وبخاصة الشعراء الجاهليون والاسلاميون والمحدثون حتى وصل فى قليل من الزمن الى ما لا يدرك فى متطاول الايام . فنظم الشعر وهو دون العشرين وصار يحذو فيه حذو القدامى . فلا يقصر عنهم ولا يقع دونهم .

والبارودى مع انه لم يدرس فى مطلع حياته قواعد العروض والقافية . ولا قرا النحو والصرف ولا طاف بمفاهم اللغة الا انه اتخذ الادب هوايته والشعر حرفته تذوقا وطبعا لا اثر لصناعة فى شيء من ذلك كله . ووصل الى ما وصل اليه عن طريق محاكاته لبلاغات القدماء حتى لا نجد له لفظا نابيا ولا اسلوبا ضعيفا وكانما هو من الاعراب الناشئين فى البلاغة والادب فطرة سليمة ونفس صافية وذوق رفيع والهام صادق .

وكان شعره في مطلع شبابه يمثل طموحه الادبى . وامنيته في الوقوف بجانب فحول الشعراء الاقدمين . وبخاصة شعراء العصر العباسى . جزالة لفظ . وفحولة نظم . ورصانة قافية . واشراق ديباجة وصفاء عبارة وجمال اسلوب .

وكان الامام محمد عبده يقوم في النثر بما يقوم به البارودى في الشعر . احياء للقديم . وبعثا له . ليقوم عليه جديدنا في الادب والشعر وبلاغة القول .

وعن البارودى يقول استاذه المرصفى صاحب كتاب « الوسيلة » الادبية .

اولع البارودى . وهو غض الحداثة . بحفظ الشعر . واخذ نفسه بدراسة دواوين الفحول من الشعراء المتقدمين حتى شب فصيح اللسان . مطبوعا على البيان . دون ان يتعلم النحو . فانطلق يقول الشعر في اغراضه المختلفة . ونهض به نهضة عظيمة . فاعاد اليه حلته العربية حتى شاكل شعر الشريف الرضى والمتنبى . فى جزالة اللفظ ومتانة النسج . وقوة الاسلوب . وروعة الديباجة . ولم يتخلف عن متقدمى الشعراء في شيء . على انه ربما اربى عليهم . بما جال به في فنون المعانى . التى تجلت بها الحضارة الجديدة . وما وصف من مخترعات كشف عنها العلم الحديث .

وبذلك كان البارودى اول شعراء النهضة الحديثة . وهو الذى رد الديباجة الشعرية الى بهائها وصفائها القديمين . ووضع البارودى في القوالب الفنية المأثورة تفكير عصره . واحلام حق معاصريه .

وصار يطلق على شعره وشعر معاصريه ممن تأثروا به شعر مدرسة البعث والاحياء والتجديد .

كان يعاصره في العراق ، عبد الغفار الاخرس . ومحمد سعد الحبوبى النجفى . وحيدر الحلى . وعبد الحميد الشاوى . وكان اشهرهم هو الحبوبى الذى اشتهر بموشحاته الغنائية . وشعر الوجدانى ، كما اشتهر الشاوى بوطنياته وكان الموجه للشعر والشعراء فى العراق محمود شكرى الالوسى وفى السعودية كان من معاصريه ، ابن

عثيمين واحمد ابراهيم الغزاوى . وابن بليهد .

وفى تونس : صالح السويسى وحسين الجزيرى ، ومحمد الشاذلى خزانة دار وسعيد ابو بكر . وسواهم .

وفى المغرب : محمد المختار السوسى ، والمكى الناصرى . ومحمد بن ابراهيم . وعبد الرحمن حجى حمد العثمانى ، وغيرهم .

ولكن البارودى من بينهم كان اكبر تأثيرا فى النهضة الادبية والشعرية الحديثة وكان اكثر اصالة وتجديدا للشعر من كل معاصريه . وكان رائد حركة البعث وزعيم مدرسة الاحياء فى الشعر الجديث

٣

وورث البارودى فى مصر شاعران كبيران ، هما : ـ امير الشعراء احمد شوقى (١٨٦٩ ـ ١٩٣٢)

ـ حافظ ابراهيم شاعر النيل ١٨٧٢ ـ ١٩٣٢ .

وبجوار هذين الرائدين الكبيرين عاش اعلام من كبار الشعراء من مثل : اسماعيل صبرى ، واحمد محرم ، ومصطفى صادق الرافعى ، وحفنى ناصف وسواهم ممن تابعوا خطا البارودى وساروا فى ميدانه ، وجالوا فى حلبته ، رافعين اعلام البلاغة العربية ، والذوق الادبى الرفيع وتأثر بالبارودى امثال : الزهاوى ، والرصافى والشبيبى والصافى النجفى فى العراق ، وفؤاد الخطيب وشكيب ارسلان وخليل مردم وبشارة الخورى وفخرى البارودى فى الشام ، وهذه الطبقات من الشعراء ، اثروا الشعر العربى ، وجعلوه تعبيرا صادقا عن كل ما يتعلق بالمجتمع العربى فى مختلف شئونه والامه وآماله وكان امير هؤلاء هو احمد شوقى الذى كان شعره كما يقول هو نفسه :

كان شعرى الغناء فى فرح الشر
ق ، وكان البكاء فى احزانه .

واذا كان البارودى هو الرائد الاول لمدرسة البعث ، فان شوقى هو الرائد الثانى لها ، ومدرسة البارودى وشوقى ، وهى مدرسة الاحياء والعمودية ، ومدرسة البلاغة العربية ومدرسة الاصالة والتجديد فى الشعر الحديث ، لاتزال مؤثرة فى ميدان الشعر ، ولاتزال اعلامها مرفوعة .

فى العراق وجدنا : محمد على اليعقوبى ، وحافظ جميل ، ومحمد بهجة الاثرى ، والسيد بحر العلوم ومحمود الحبوبى ، ومحمد على الحومانى .

وفى مصر وجدنا حفنى ناصف ومحمد عبد المطلب ، والسيد محمد توفيق البكرى ، وعلى الجارم كما وجدنا محمد الاسمر (١٩٠٠ ـ ١٩٥٦) وعلى الجندى (٤ يوليو ١٩٧٣) ومحمود غنيم (١٩٠٢ ـ ٢٤ سبتمبر ١٩٧٢) وعزيز اباظة (١٨٩٥ ـ ١٩٧٣) ومحمد عبد الغنى حسن ، ومحمد مصطفى الماحى ، والشاعر على الفقى ، وسواهم ، من شعراء الكلاسيكية كما يطلق عليهم او شعراء العمودية والاصالة والتجديد كما اسميهم .

ويقول العقاد عن رائد مدرسة البعث محمود سامى البارودى وذلك فى كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى »

ان له ميزة واضحة لانظير لها فى تاريخ الادب المصرى الحديث . وتلك انه وثب

بالعبارة الشعرية وثبة واحدة . من طريق الضعف والركاكة . الى طريق الصحة والمتانة . كانه القمة الشاهقة وهذه وثبة قديرة في تاريخ الادب ترفع الرجل بحق الى مقام الطليعة .

وكان من أعظم المظاهر في تطور الشعر على أيدى مدرسة البعث هو النزوع به الى أساليب البلاغة العربية ، والى مستوى ثقافة العصر وأفكاره ومعانيه واخيلته وصوره الشعرية وموضوعاته التى يتحدث عنها .. مع ترك الافراط والمبالغة وعدم الاكتراث باللفظ ومحسناته البديعية . ما دام اللفظ سليما وصحيحا وعربيا فصيحا .

والتجديد عند البارودى يتمثل في حركة البعث والاحياء . وعند شوقى يتمثل في الارتقاء بالشعر الى مستوى الشعر العالمى من حيث الافكار والمعانى والاغراض والاخيلة . وثقافة العصر . ومن حيث اثراء حركة الشعر العربى بالشعر القصصى والملحمى والمسرحى . وينظمه في السياسة والاجتماع والتامل . والوصف للطبيعة ولمشاهد الحضارة . ومن حيث الحرص فيه على وحدة القصيدة . وعمق تجربة الشاعر . والارتقاء بموسيقى الشعر الى مستوى موسيقى البحترى وابن زيدون والشريف الرضى وأمثالهم .

وقد جعل شوقى من الشعر فنا جديرا بخطره وتاريخه العريق . والبـه حلة يخطر فيها في مواكب الحياة كلهاوكان شوقى صداحة العروبـــة والاسلام في العصر الحديث .

ومن البارودى وأترابه في القرن التاسع عشر امثال ، امين الجندى ، وبطرس كرامة . وناصف اليازجى وعبد الغفار الاخرس . ونجيب الحداد . وابراهيم الاحدب . وعلى الليثى وخليل الخورى اللبنانى .. الى شوقى وانداده في القرن العشرين ظلت مسيرة الشعر متصلة ومواكبه مرفوعة اللواء . في طريق البعث والاحياء . مشبعة بروح الاصالة والتجديد والعمودية الرفيعة البليغة .

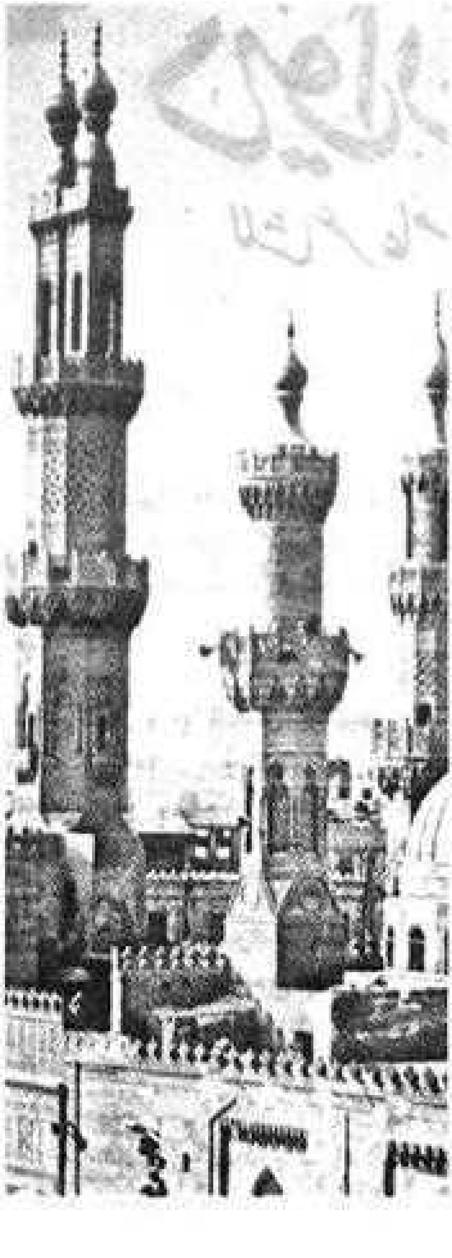
ومن عجب أن يعيش البارودى حياة المنفى والاغتراب وان يعيش شوقى كذلك هذه الحياة نفسها . منفيا غريبا . فالبارودى عاش في سيلان نحو تسعة عشر عاما . وشوقى عاش في الاندلس نحو ست السنوات وكلا الشاعرين اثرى الشعر بما نظم في منفاه من جديد وعبقرى .

وقال حافظ في مبايعة شوقى بامارة الشعر :

امير القوافى قد اتيت مبايعا
وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

وموسيقى شوقى الشعرية تبلغ غاية جمالها وتاثيرها وروعتها . حتى ليقال فيه ما قد قيل في البحترى من قبل ، اراد ان يشعر فغنى وبها تاثر كل الشعراء في عصرنا .

ولا ريب ان شوقى في شعره اثار مرحلة



تقدمية في الشعر العربي الحديث كما يقول الدكتور أحمد زكى أبو شادى .

وكان اعجاب حافظ بالبارودى كثيرا ورأى له فضل التقدم . وكان شعر البارودى جسرا عبر عليه شعرنا الى العصر الحديث ، وكان تجديد حافظ في الموضوعات والاغراض . فنظم شعره في الاغراض الجديدة ، التى جعلها محور شعره ، وهى الشعر الوطنى والاجتماعى والسياسى .

وبعد فتلك مدرسة البعث والاحياء ، او مدرسة العمودية والعموديين ، التى تحافظ على عمود الشعر محافظة أصيلة ، او مدرسة الاصالة والتجديد وهى مدرسة ما أعز مكانها في الشعر الحديث ، على انها لاتزال مرفوعة اللواء ، مسموعة النداء قوية الاصداء ، وفيها تمثلت البلاغة العربية قوية اخاذة ، وعليها وقفت مواكب الشعراء ، تتأمل معجزة البيان ، وجلال اعجاز الفرقان وعبقرية الشاعر وحكمة الانسان .

محمد عبد المنعم خفاجى

ديوان عامر

للشاعر عامر محمد بحيرى

— ١ —

« ديوان عامر » عنوان للديوان الذى يضم شعر الشاعر عامر محمد بحيرى والذى قامت بنشره الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وفى صدر الديوان مقدمة بقلم الشاعر ، وضح فيها أن هذا الديوان المنشور يضم خلاصة منتخبة من خمسة عشر ديوانا ، تمثل مراحل حياة الشاعر مع الشعر على مدى أربعة وخمسين عاما ، هى الفترة من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٨١ . وهذه الدواوين المشار اليها منها ما صدر مطبوعا من قبل ومنها ما ظل مخطوطا حتى صدور هذه الخلاصة .

ومع أن الديوان يضم خلاصة تلك الدواوين ، الا أن هذه الخلاصة ليست ضيقة الحجم ، ولا محدودة الكم ، كما قد يتبادر الى الذهن من هذه الكلمة ، فالديوان يقع فى أربعمائة وأربع وسبعين صفحة من القطع الكبير ، واذا كان هذا هو حجم الخلاصة فكيف يكون حجم الأصل ؟ وكم فى ذلك من دلالة على غزارة المنبع الذى فاض بكل هذا النتاج ؟ .

وعنوان الخلاصة « ديوان عامر » هو العنوان الذى أطلقه الشاعر على أول ديوان سجل فيه شعره سنة ١٩٢٧ ، أما بقية الدواوين فانها تحمل عناوين أخرى هى على التوالى مرتبة ترتيبا زمنيا :

على شاطىء الحياة — اليخت الذهبى — فى عالم الملائكة — عطر وبارود — على ربى الالهام — ثورة الشعر — تحت لواء العروبة — قصائد أفريقية — أزهار السلام — الأزهار الجديدة — فى طريق العودة — مع مبادرة السلام — شاطىء النهاية — فى رياض النبوة » وقد سارت الخلاصة المنتخبة فى الديوان الذى بين أيدينا على ترتيب هذه الدواوين .

واذا كان مما يحمد للشاعر هذا الترتيب الزمنى ، فانه يحمد له أيضا أنه قدم كثيرا من قصائده ومقطوعاته مصحوبة بالتعريف والتاريخ لها ، وهذا أمر له قيمة كبرى فى فهم بواعث الشعر وغاياته .

— ٢ —

وكل ديوان من هذه الدواوين يحمل سمة عامة له ، تشير الى طبيعة الفترة التى صيغ فيها الشعر ، فالديوان الأول « ديوان عامر » الذى يحمل تاريخ ١٩٢٧ نرى فيه المحاولات الأولى للشاعر فى عالم القريض وهى

محاولات تنبىء عن الاستعداد المبكر ، وعن مدى تجاوب الشاعر مع أصداء هذا الوقت ، وقد كان أبرز هذه الأصداء ما يتصل بالسياسة والحالة التى كانت عليها البلاد من صراع مرير مع المستعمر .

فمما ينبىء عن قوة الشاعرية المبكرة قول الشاعر عن الدنيا (١٩) :

هى الدنيـا تُريق ولا تَـروق
فليس من الرجال لها صـديق
لهـا غدر وعـذر بعـد غـدر
وغـدر بعـد عـذر لا يليق
تقلب كـل آونـة بشـكل
وتغرب شمسها ولهـا شروق

ومن تجاوب الشاعر مع الأحداث التى تحيط بالبلاد فى وقته قوله مشيرا الى الشر المدسوس فيما يعرضه المحتل من حلول مع زعماء السياسة (١٤) :

كشفوا لنا عن قصدهم فاذا به
سم زعـاف سـال عن أكـوابه
حَسَـنًا بدا للناظرين وسَيِّئـًا
لـو فكروا فيـه وفى أسـبابه
يبغـون شَرًّا بالضـعيف وطالما
ظلمـوا وظلم المرء رأس خرابه
انا فقـدنا العزم منـذ نهوضنـا
لا نستكين لغاصـب وعـذابه
فليحـذر الجبنـاء أن يتعرضـوا
يوما لغضـبة شـعبنا وعقـابه

وتتسع نظرة الشاعر ، فتتجاوز حدود بلاده الى الشرق كله ، ويسجل شجونه لتأخر الشرقى عن نظيره الغربى ، مشيرا الى الأسباب التى أدته الى ذلك فيقول (١٨) :

الا انما الشرقى فى النـوم غـارق
تـراه على ما نـاله غـير جَازِع
يسير رجـوعا الوراء وغـيره
يقطـع أعنـاق النجوم الطوالع
وما فَـوّق الشرقيَّ إلا بخمسـة
قيـام المعاصى واندثار الشرائـع
وتضييع ما قـد خلفتـه جـدوده
وتقليـده الغـربى فى غـير نافع
وموت شـعور فيه قـد كان حاميا
كألسنة النيـران او كالقـواطع

وديوان « على شاطىء الحياة » الذى يضم شعر الفترة (١٩٣٠ ــ ١٩٣٣) نرى فيه ما نراه على الشاطىء من تعدد المرئيـات ، ونرى فيه أحاسيس الشـاعر ومشاعره وهو قابع على الشاطىء يسجل ما يحس وما يرى .

يفتتن الشاعر بالربيع فيشدو به مغـردا بجمال الطبيعة التى ازدانت بأبهى حللها (٢٠):

إن الربيـع هـو الحيـا
ة اذا أصـاب فتى سـعوده
إن الربيـع هـو الجمـا
ل لشـادنٍ تدماس عوده
يحيى القلـوب وصـاله
ويكـاد يقتلهـا صـدوده

وعلى الشاطىء يتأمل الشاعر ذاته واختلاف حظوظ الحياة بها ، فتظلل نفسه سحابة عابسة واجمة وتكون هذه اللمحات الخاطفة (٢٥) :

نظمت الشعر رقاف الحواشى
لنفسى لا لمكتسب النضار
فعدت به غريبا لا ابالى
بما فى الأرض من دار وجار
ولى صدر السماء فحين ابكى
على حظى ارصعها نجوما
ولى دنيا على أوج المعالى
اعلم أهلها النطق الحكيما

وديوان « اليخت الذهبى » يضم مجموعة من الشعر نشرت ١٩٣٦ ، وهى أول ما نشر مطبوعا من شعر الشاعر ، وفى هذه المجموعة قصيدة بنفس العنوان الذى صدر به الديوان ، وفيها يوضح الشاعر المقصود من هذا العنوان الرمزى ، مشيرا الى أحلام الشباب التى تحلق بهم فى أجواز الفضاء حاملة آمالهم وطموحهم وما يستمسكون به من مثل عليا (٣٤) .

وثب الشباب يجدد العصرا
وجماعة قد جددوا الشعرا
يبنون دنيا غير خاملة
لا تخفض الدنيا لها ذكرى
وطفت بحار الليل تملأهم
رعبا وتدفع جمعهم قسرا
فاتوا بيخت صيغ من ذهب
سرعان ما صعدوا به البدرا
قل الهزيع رسوا بشاطئه
ورأوا مدينة عاجه الكبرى

أما الغاية التى يرسو عندها اليخت الذهبى فهى أحداث التغيير فى الأيام وتجديد الآراء الحرة :

ويطوف من بلد الى بلد
ويغير الأيام والدهرا
لابد للانسان من مثل
متطلع يسمو به قدرا
والمرء لا يحيا بلا امل
حتى يجدد رأيه الحرا
والمرء ينكر نفسه علنا
ان انكر التجديد والعصرا
ايعيش فى يخت يطوف به
وحنينه للوحش والصحرا

والحنين الى الحرية يردده الشاعر فى قصيدة ثانية نرى فيها أيضا مثل هذا التطواف والتحليق (٤٥) :

حرّرونى كما تحرّرَ شعرى
فلقد ضاق بالتقيد صدرى
واتركونى كما اشاء قليلا
فكفانى انى اعيش لغيرى
انا طير من جنة النور والأز
هار والنهر ذى الحصى الذهبىّ
انا لحنٌ من الهوى والأمانى
يددنه أوتار عود خفىّ
فاذا كان ذاك حالى فخلّو
نى أعِش فى الحياة كيف اشاءُ
انا حر والموت حر ويبقى
الشّعرُ وتهدى بنوره الأحياء

وديوان « في عالم الملائكة » يحمل تاريخ ١٩٣٩ ، وفيه قصيدة تحت هذا العنوان ، يسجل فيها أن روح الشعر من هذا العالم ، أو هو الأنشودة التي يستوحيها الشاعر من عالم روحي فيه النور والحق والايمان (٦٥) :

يقولون هذا الشعر من أي عالم ؟
فقلت لهم هذا نشيد الملائك
من الملأ الاعلى ومن شرفة السما
ومن غرفة الأنوار ذات الأرائك
يوقعه ناي من الخلد ساحر
قريب الى الأرواح داني المسالك
وينشده في ساحة الحق شاعر
بنشوة شوق وايمان ناسك
وليس من الدنيا ولا من معينها
وإن يك لحنا عسجدي السبائك

ويتطلع الشاعر الى صاحبة يرضاها وترضاه ، فيتمنى أن يكون لها من طهر الأرواح ، وحنان القلوب ، ما يجعلها على مثال الحوريات في جنان الخلد (٧٣) :

وكل ما أتمنى اليوم صاحبة
كريمة الروح أرضاها وترضاني
اذا أراد زماني أن يساورني
تحنو عليّ وتاسو جرح أزماني
يمر بي كل يوم طائف غرد
من وحيها فاناجيه بالحاني
ارى لها صورة في القلب خالدة
كالشمس تزهو بأضواء وألوان
فمن تكون ؟ أحقا صنع عالمنا
أم تلك حورية من عالم ثاني ؟

وديوان « عطر وبارود » (١٩٤٣) يأتي جزء من عنوانه مشيرا الى فترة الحرب العالمية الثانية ، وقد سجل الشاعر خواطره نحو بعض مراحل هذه الحرب ، فقال مصورا الخسائر التي نزلت بالقوى المتحاربة عند مشارف البلاد في العلمين (١١٣) .

يا يوم مطروح جزا
ك الضحى من فلق مبين
غادرت جند عدونا
صرعى الفلاة مطرحين
وكتائب آرية
لا تستفيق من الفتون
وفيالق رومية
شتى هزائمها فنون
سوق الرياح فرارها
من وجه طالبها اللعين
فكذاك أعداء الحمى
والحرب مشعلة الأتون
يترقب الوادي وهم
يتصارعون ويصرعون

وديوان « على ربى الالهام » (١٩٤٨) يحوي كثيرا من القصائد التي صاغها الشاعر وسجل فيها خواطره نحو موضوعات تتصل بالأماكن المقدسة في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة ، وفي قصيدة بعنوان « حمام الحرم » مثال من هذه الخواطر التي امتلأ بها قلب الشاعر في رقة وخشوع (١٣٧) .

أشعاع مجنح منشور
ما أرى أم زبرجد منثور؟

أم جمـوع من المـلائك تترى
فيض إلهامهـا قـوى غـزير
ام طيوف الأحلام صيغت خيالا
لا ورب السـماء هذى الطيـور
ويح عينـى .. لمـا أراه بعينى
إننـى بالـذى أرى لقـرير
احمام غـدا يطـوف بالبيت ؟
فللـه حجـه المبـرور
آيـة الله فيـه دين وتقـوى
ومن الطـير مؤمن وكفـور

ويقف الشاعر أمام الغار الـذى لجـأ اليه النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته فيبعث فى نفسه هذه المشاعر التى تسترجع المـاضى وأحداث السيرة العطرة (١٣٩) .

رأيت فى الصـحراء فردًا مشى
لمطلبٍ فى نفسـه مفـرد
لم يصـطحب من احـد يهتـدى
بـه اذا ضـل بـلا مرشـد
يسـير مـن واد الـى مثلـه
وقـدْ فَـدٍ يفضى الى فـد فـد
وقـد تبـدى جبـل شـاهق
فى الافق خلف الوُهْـدِ والانجـدُ
وكلمـا قـرب منـه نـاى
لا ينتهـى السـير ولا يبتـدى
حتى إذا أوفى على سـفحه
روع مـن منظـره الأربـد
ومن ثبـات الصـخر فى اصـله
علـى تـوالى عمـره السرمـدى

وفى الحرم النبوى تكون الرشفات الروحية التى تسعد القلب والروح (١٤٣) .

صـليتَ فى حـرم النبـى
وسـعيتَ فى العطـر الشـذى
ومشـيتَ ميمـون الخطـا
فـوق البسـاط الأحمـدى
وهبطتَ فى نـور اليقيـن
مدينـة النـور السـنى
تتلـو الكتـاب وتعمـر
المحـراب بالقـلب التقـى
فـإذا وقفت ببـابه
فاطلتَ إيـواء المطـى
وإذا نـزلت بروضـه
وتعمت بالنفـح الزكـى
فانهض بشـكر زيـارة
هـى منحـة الحـق العلـى

وديوان « ثورة الشعر » (١٩٦٠) يضم قصائد سابقة على هذا التاريخ ، فيها ثورة على المحتل ، ودعوة الى اخراجه من البلاد ، ومن قصيدة بعنوان « اخرجوا من بلادنا » ١٦١ » يقول الشاعر فى ثورة عارمة :

اخرجـوا من بـلادنا ودعـونا
طفـح الكيـل ايهـا المعتدونا
كم شـقينا بعهدكم فشكينـا
وبكينـا وانتم تضـحكونا
كم سـمعنا من الوعـود صنوفا
وبلونـا من الخـداع فنـونا
لا تقـولوا محـررون كفـانا
انكـم للبـلاد مسـتعمرونا
لا تقولوا سننشر العـدل فيكم
اى عـدل وانتم الظـالمونا

ويتابع الشاعر بيان المآسى التى حدثت بسبب الاحتلال ، ثم يطالب بالاسراع فى الجلاء عن البلاد حتى يخلص خيرها لأهلها :

الجلاءَ الجلاءَ إنجاز وعد
شيبتنا أعوامُه السبعونا
أمن النيل دوننا تشربونا
ولخيرات أرضنا تنهبونا
منزل الحرّ كم يعز عليه
أن يراه بغيره مسكُونا

وينزل الشاعر قضية السودان الشقيق منزلة قضية مصر ويطالب له بمثل ما يطالب به لها ، ومن قصيدة بعنوان « يوم السودان » ١٦٤ : يقول مؤكدا على المعانى التى تجمع القطرين :

لا فرق بين مصرى وسودانى
هما وإن كره العادى شقيقان
تسقيهما بنمير الحب مترعة
من خمرة النيل تروى كل ظمآن
فرعان للنيل من بحر ومن جبل
من جنة الكوثر الأعلى يفيضان
يا أمة النيل لا أرضى الهوان لكم
إن الهوان سبيل العاجز الوانى

وديوان « تحت لواء العروبة » (١٩٦٠) يضم قصائد من الشعر الوطنى والقومى الذى ألهمت به الأحداث التى مر بها الوطن العربى خاصة حرب فلسطين التى يقول عنها ١٧٧ — :

بكينا فى فلسطين الشهيدا
وحين استنجدت نشكو اليهودا
أسلنا فى بواديها الجنودا
لواءً مرَّ فى إثر اللواء

مضت فرساننا تغزو الأعادى
وتنزل بالحواضر والبوادى
وأصبح خافقا قلب البلاد
لموكبهم تجاوب بالدعاء

ومن قصيدة بعنوان العروبة (١٨٥) يسجل الشاعر مآثر الشرق العربى ، وما حظيت به أرضه من كونها مهبط الرسالات :

الشرق ميلاد العقائد حافل
بهدى السماء ووحيها الفيداق
موسى براس الطور يحمل لوحه
والليل فى الإرعاد والإبراق
ونداء عيسى رحمة ومحبة
هذا نبى الحب والإشفاق
ومحمد بحراء يعجز قوله
إلهام مستوّج ورقية راق
يسقى الورى بعد الضلالة بالهدى
ويفضُّ فعل السم بالترياق
عالٍ يؤم الأنبياء جبينه
بهر الوجود بنوره الآلاق

وديوان « قصائد أفريقية » — ١٩٦٢ — يضم قصائد يدور معظمها حول موضوعات أفريقية ، ومن هذه القصائد قصيدة بعنوان « طبول الحرب ٢٣٣ » يسجل فيها ثورة القارة على الغزاة المستعمرين مشيدا بهذه اليقظة التى سرت فى جسد أبنائها :

لا تسالى لحنا ولا موسيقى
دقت طبول الحرب فى أفريقا
فتجاوبت أمم على بعد المدى
لتشق فى ركب الحياة طريقا

فجـرُ التحرر لاح منها فانظرى
لا تـذكرى الرومـان والإغريقا
لا تذكرى القرصـان فى رحـلاته
ليخـوض ضحلا او يجوز عميقا
اللص ابصره حمـاة ديـارهم
فتحلقـوا من حـوله تحليقـا
اخـذوه وهـو على موائد سكره
فافاق منـه ولم يكن ليفيقـا

وفى قصيدة بعنوان « الدار البيضاء ٢٣٦ » يسجل الشاعر أيضـا هذا البعث التحررى :

شـعوب افريقيـا بالبعث تنتشر
والقـادة الأسـد الا انهم بشر ؟
نداؤهم غضـبة التاريخ أم سَمَرٌ
وخاطر يبعث الأمجـاد ام خطر ؟

وديوان « أزهار السـلام » ١٩٦٨ يضـم قسمين : أولهما قصائد عاطفيـة ووجـدانية وثانيهما قصـائد إجتماعية ـ ومن الجـانب العاطفى يقول الشاعر من قصيدة بعنـوان « ابتهال ٢٧٨ » :

يـارب حبك فى قلبى لـه سَكَنٌ
رَطْبٌ مـددت عليه خُضْرَ افيـاء
يارب وحبك اغلى حين أسـمعه
من كل أنشودة تسرى باعضـائى
يارب هـديك يهدينى وإن خبطت
فى ظلمة الشك روحى خبط عشواء
يارب هب لى سرورا منك يبهجنـى
فى روضـة بزهور الحب غنـاء

وفى الجانب الاجتمـاعى يرثى الشـاعر الأستاذ العقاد فيحفل تأبينه فيقول من قصيدة بعنـوان « العقاد ٣٠٨ » :

نـزح العقـاد من بلـدته
وهـو من ايامه فى المُقْتَبَـلْ
جـاء من اسـوان حـرا ثائرا
يطلب العلم شريفـا والعمـلْ
نـازح الأمس غـدا من يومه
رائد الفـكر وعمـلاق الجَـدَلْ
السـياسى فـكم من مـوقف
صرع الخصـم وبالراى قتل
والأديب الحـر كم من آيـة
من سـماء الفكر كالوحى نزل
عجبـًا عـاشٌ يطـويه الردى
مَنْ إذاً يبقى إذا الطود انتقل ؟

وديوان « الأزهار الجديدة ١٩٧١ » يضـم بعض القصـائد التى قيلت بعد حرب ١٩٦٧ ، وفيها نرى الدعوة الى الأخذ بالثأر والاتجاه الى الاعداد لهذا اليوم ، ومن قصـيدة بعنوان « الشعر والنضال ٣٢٣ » يقول الشاعر داعيـا الى العمل والاقلال من الكلام :

ليس بالشـعر وحـده نسـتقل
يارفاق فاكثـروا او اقلـوا
اتظنـون ان للشـعر جيشا
سيزيل العـدوان والحربُ هَوْل
صـدقونى فقد صـدقت مقالى
ليس بالشـعر وحده نستقل

والى جانب ذلك نرى بعض حديث الشـاعر عن نفسـه وشعره من خلال قصيدة بعنـوان « تمشى مع الزمن » (٣٥) :

حيـاتي مع الأشعار تحكي حكايتي
ونكري مع الأخبار يروي روايتي
ومـا أنا بالفذ الـذي فاق عصره
بعـلم ولا في الشـعر جاء بآية
حياتي وشـعري جانبـان لفكرة
إذا اجتمعا كانا إطـارا لصورتي
وإنك لو حققت رسـمي لحظـة
رأيت همومي في ابتسامي وضحكتي
يقل حديثي وهو قيـد لخـاطري
ويكثر صمتي وهـو قدح لفكرتي

وديوان « في طريق العودة ١٩٧٣ » يسجل الشاعر فيه خواطره بعد حرب العـاشر من رمضـان ، مشيدا بالنصر الـذي تحقق على الأعداء وفي قصيدة بعنوان « هـذه مصر » « ٣٥٦ » يقول الشاعر :

هذه مصر وهـي تبني طـريق
العـز بعـد عزها المتقـادمُ
هـذه مصر فليسـجل لها التا
ريخ ولتشهد القرى والعواصم
هذه مصر لم تحارب لنشر الظلم
لكنهـا تـرد المظـالم
هـذه مصر دافعت عن فلسطين
صنوفا من العـداة الأغاشم

وفي أول ذكرى تمر لهذه الحـرب يقـول الشاعر من قصيدة بعنـوان « صانع القرار ٣٥٨ » :

وكان اليوم من رمضـان صحْوًا
ووجـه البدر ما عـرف التَّرارا
وقـد صام العبـاد عن الدنايـا
وصلّوا فرضهم ودعـوا جهـارا
وكـان الجيش يربض عن قـريب
ليعبـر نحـو غايتـه البحـارا
هنـاك تلفّت التـاريخ يُصغي
الى الأنبـاء تنتشر انتشـارا
رأوا مصر الأبيـه وهـي تمضي
مُضِيّ السـهم تنتصر انتصـارا

وديوان « مع مبادرة السلام ١٩٧٧ » يسجل الشاعر فيه خواطره نحو الحرب والسـلام ، ويشيد بعودة الأرض التي احتلها المعتدون ومن قصيدة بعنوان « أفراح العريش ٤١٧ » يقول الشاعر مسجلا ابتهاجه وفرحته بعودة الأرض لأصحابها :

خـرج الشـعب رافعـا أعلامه
بالفَـنَـا من يـد الزمـان مرامه
هـاتفا للسـلام في موكب النصر
معيـدا في مجـده أيـامه
فرحـة بالعـريش عـادت لمصر
وجـلا الليـل عن رباها قتـامه
خرجت مصر يوم عـودة سـينا
ء فبـات الفسيح يشكو زحامه
لـرُؤى خضراء تنبت بالـذهن
وتجلـو عن الطـريق ظـلامه

وديوان « شاطىء النهاية ١٩٧٩ نرى فيـه مجموعة من قصـائد الرثاء الى جانب قصائد أخرى تمثل بعض ذكريات الشاعر الماضيـة ، وعن ذكرياته في جماعة أبولو يقول في قصيـدة بعنوان « مفاجأة أبولو ٤٣٩ » داعيـا الى اعادة تكوين الجماعة والمجلة :

جـددي نضر إهـابي
واقـرئي سـطر كتـابي

وابعثى ما فيه من ذكرى
لصبير وعذاب
وابدئى من أول الرحلة
سرّدًا للمآب
يا شباب الشعر هاتوا
انما الشعر الحياة
عاطر الأنفاس فيه
لمحات مشرقات

أما الديوان الأخير فهو بعنوان « فى رياض النبوة ١٩٨١ » وواضح من العنوان نوع ما يضمه من قصائد ، وللشاعر فيه قصيدة بعنوان « نهج البردة ٤٩٧ » وهى قصيدة وجدانية فيها روحانية ظاهرة ومما قاله :

لاحت لك القبة الخضراء فاقترب
وَجُدْ بدمع على الخدين منسرب
واذكر عهودًا بهذا الحى قد سلفت
بلغت فيهن ما أملت من رغب
محمد صفوة الدنيا وبهجتها
واشرف الخلق فى علم وفى نسب
اخلاقه المثل العليا لامته
لما احتذوه فكانوا انجب النجب
هذا نبى الهدى أدى رسالته
إلى العباد والقى ابلغ الخطب
ما بين منبره الأسنى وحجرته
روض من الخلد او من ظله الرطب

وهى قصيدة طويلة ربما كانت أطول ما فى الديوان من القصائد .

— ٣ —

وبعد . فهذه خلاصة من الخلاصة ، وثبنا فيها وثبا على صفحات الديوان ، وطوينا أوراقه طيا متتابعا ونحن نقف عند بعض الشواهد .

وقد وضح من خلال العرض أن الشاعر صاغ الشعر فى مختلف الفنون والأغراض ، وكان شعره متابعا أمينا لأحداث عصره عبر نصف قرن من الزمان ؛ ظل فيه متوهج العطاء ، عالى النغمة ، حاد العاطفة والوجدان .

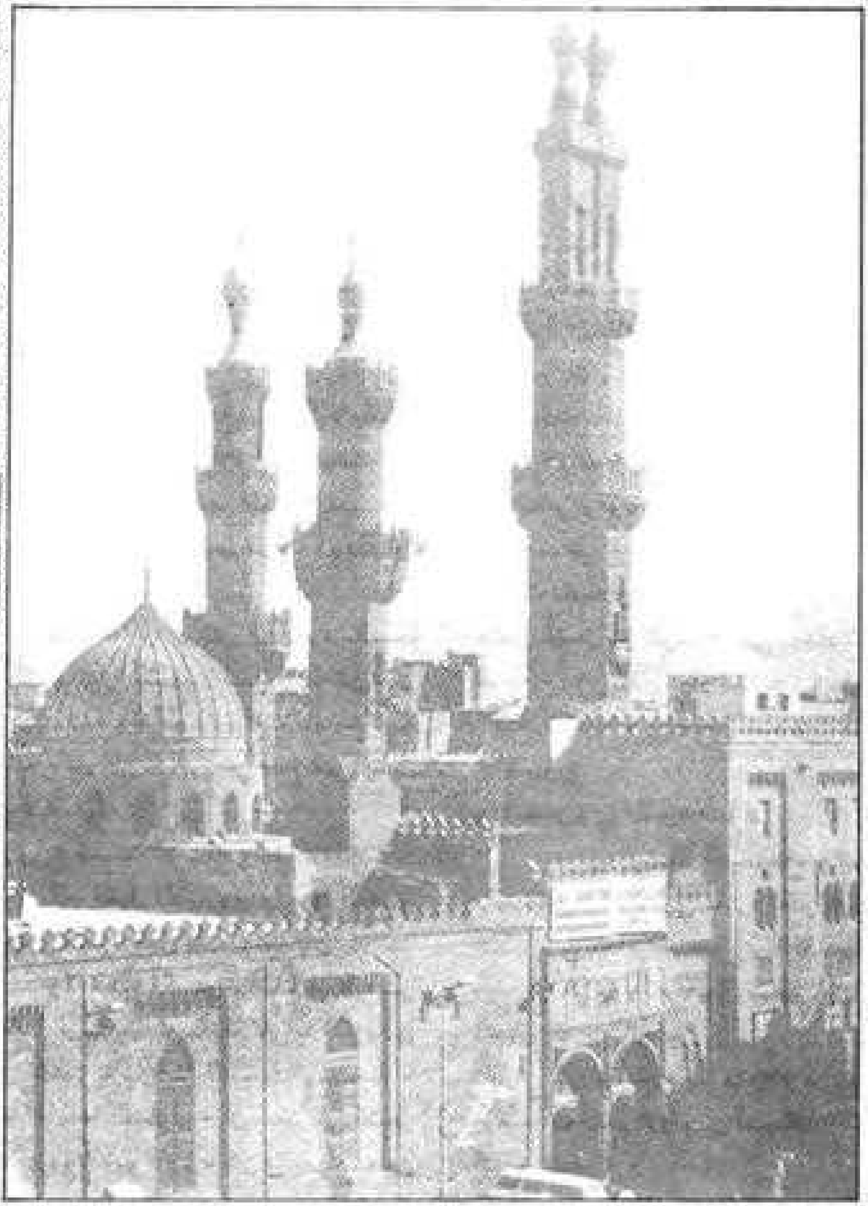
والشاعر من جيل الشعراء المحافظين الذين يعنون ببناء العبارة بناء تختار فيه الكلمة وتنسق فيه الجملة ، وينظمها البحر المأثور الذى يؤلف بين هذا الشعر وبين نظيره من شعر التراث خلال عمر الشعر العربى المتصل فى فحول الشعراء قديما وحديثا .

نقرأ شعر الشاعر فنحس فيه قرب المعانى ودقتها ، كما نرى فيه عمق الثقافة وتنوعها التى تعكس عقلا قارئا فاهما وثيق الصلة بالتراث وبالثقافة الجديدة وغير خاف أن الشاعر حريص على الانتماء لماضيه وأنه لم تخدعه الدعوات الزائفة التى دارت حول الشعر وكان صموده فى الصياغة على النحو الذى جاء عليه ديوانه أبلغ رد على هؤلاء الذين لم يستطيعوا اقتحام ميدان الشعر العمودى فحاولوا أن يحطموا بناءه الشامخ بمعاول العجز والقصور .

ثم يبقى بعد هذا العرض أن نشير الى ان الديوان جدير بدراسة موضوعية فنية اشمل واوسع من خلال نظرة فاحصة متأنية .

ولتيسير البحث نأمل ان يقوم الذين اشرفوا على النشر بصنع فهرس شامل لقصائد الديوان فى طبعته القادمة — إن شاء الله .

د. طه مصطفى أبو كريشة



محمود سامي البارودي

يكاد يجمع النقاد على أن البارودى يعتبر علامة بارزة فى حركة البعث والتطور فى الشعر العربى الحديث . ذلك لأن الشعر قبل البارودى كان يتهالك ضعفا .

ركاكة فى اللفظ . وتفاهة فى المعنى . وضعف فى العبارة . وضيق فى الأفق . وتهافت على الزخرف والصنعة . وانصراف عن المعانى الشعرية الرائعة . واضطراب فى دائرة الأغراض الموروثة .

فلما جاء البارودى كان شعره بالنسبة لهذا الشعر تيارا جديدا ليس فيه شىء من جهد الصنعة . أو معاناة البديع وضروبه وألوانه . بل كان صادرا عن طبع فنى أصيل أشار اليه بقوله :

أقول بطبع لست أحتاج بعده
الى المنهل المطروق والمنهج الوعر
اذا جاش طبعى فاض بالدر منطقى
ولا عجب فالدر ينشأ فى البحر

ويبدأ الشعر مرحلة جديدة على يد البارودى الذى أتاحت له موهبته الفنية الأصيلة . وذوقه المهذب المصقول . أن يعيد الى الشعر العربى رونقه وبهاءه . وما كان يشيع فيه من نضرة وحياة . فارتفع به الى منزلة الفحول من الشعراء العباسيين . وأعاد اليه ديباجته القوية وفصاحة عبارته . ومتانة قوافيه . وخلصه من تلك القيود والأغلال التى كان يرسف فيها ابان عصور الضعف من حلى لفظية ومعنوية يختفى وراءهما المعنى الغث . والفكرة المبتذلة . وجدد فى كثير من أغراضه على غير مثال من سبقه من معاصريه . واستحدث نماذج لمن أتى بعده من الشعراء فى أبواب الوصف والشعر السياسى . والهجاء الاجتماعى والرثاء والمديح . وأظهر أن للشاعر رسالة سامية . وهى أن يعبر باخلاص عن خلجات نفسه وتجاربه فى وضوح وقوة . كما خلص الشعر من الوصمة التى لحقت به آمادا طويلة . وهو أنه وسيلة للتكسب . فترفع عن المديح الكاذب . والهجاء الشخصى وقال بيته المشهور :

والشعر زين المرء ما لم يكن
وسيلة للمدح والذام

والبارودى بمقياس عصره الذى تردى فيه الشعر الى حمأة الضعف والركاكة هو دون ريب أو خلاف رائد حركة التطور والبعث فى الشعر العربى الحديث .

وقد أقر له عصره بما قدم له من تجديد . فوضعه فى المقام الأول بين أدبائه . وجعله أشعر الشعراء .

وهذه المكانة المرموقة التى وصل اليها البارودى تدعونا الى التعرف على الظروف التى هيأته لهذا الدور العظيم الذى أداه بنجاح

وحركة التطور فى الشعر الحديث

للدكتور طه عبد الرحيم عبد البر

باهر منقطع النظير فى النهوض بالشعر والارتقاء به .

وقد ولد شاعرنا بمصر سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة وألف أفرنكية لأسرة جركسية تنتمى الى حكام مصر المماليك . وكان البارودى يعرف هذا النسب ويعتز به :

انا من معشر كرام على الدهر
افادوه عزة وصلاحا
عمروا الأرض مدة ثم زالوا
مثلما زالت القرون اجتياحا

وتيتم البارودى صغيرا وهو فى السابعة من عمره فحرم بذلك حنان الأبوة ورعايتها . وقد أشار الى ذلك بقوله :

لا فارس اليوم يحمى السرح بالوادى
طاح الردى بشهاب الحرب والنادى
مات الذى ترهب الاقران صولته
ويتقى بأسه الضرغامة العادى
مضى وخلفنى فى سن سابعة
لا يرهب الخصم ابراقى وارعادى

وكفلته أمه . فقامت على تربيته خير قيام . وأحضرت له شأن لداته وأترابه من ذوى النعمة واليسار المعلمين كى يؤدبوه ويلقنوه القرآن الكريم وشيئا من الفقه والتاريخ والحساب والشعر وحين بلغ الثانية عشرة من عمره التحق بالمدرسة الحربية مع أمثاله من الجراكسة والترك وأبناء الطبقة الحاكمة .

وتخرج البارودى فى المدرسة الحربية وهو فى السادسة عشرة من عمره فى عهد عباس الأول . وكان عباس من المعوقين للنهضة . فسرح معظم الجيش وأقفرت ميادين القتال من ألوية مصر . فلم يجد البارودى عملا وأبت عليه نفسه الطموح أن يركن الى الدعة . وأن يخلد للراحة فعكف على كتب الأقدمين يقرؤها بشغف ونهم . وكانت ملكة الشعر كامنة فى نفسه . فراعه من التراث الأدبى شعر الحماسة والفخر . ورأى فى هذا الأدب تصويرا للحياة كلها . حلوها ومرها . فازداد شغفه به وحرصه على حفظه وتدوينه . وتحركت نفسه لقول الشعر . فقلد فحول الشعراء فى أروع قصائدهم ونسج على منوالهم بعد أن ملك أداته اللغوية المعبرة وفى ذلك يقول :

تكلمت كالماضين قبلى بما جرت
به عادة الانسان ان يتكلما
فلا يعتمدنى بالاساءة غافل
فلابد لابن الأيك ان يترنما

محمود سامي البارودي

وقد أفادت عليه قراءاته للشعر العربي • وحفظه الكثير منه تنمية لموهبته الموروثة • ورعاية لها • فتفجر ينبوع الشعر على لسانه • ومضى يشدو بأنغام تفيض قوة وحماسه وطموحا الى مجد لا حد له •

هو ما قلت فاصدرنها صباحا
غارة تملأ الفضاء رماحا
لا ترى بينها سوى عبقري
يألف الطعن نجده وارتياحا
لهج بالحروب لا يألف الخفض
ولا يصحب الفتاة الرداحا
مسعر للوغى أخو غدوات
تجعل الأرض مأتما وصياحا
لا يرى عائبا على شيم الدهر
ولا عابثا ولا مزاحا
يفعل الفعلة التى تبهر الناس
وترنو لها العيون الطماحا

وظلت نغمة المجد تتردد على أسلة لسانه أنشودة حلوة فاذا هو يترنم فى مطلع حياته بمثل قوله :

سواى بتحنان الاغاريد يطرب
وغيرى باللذات يلهو ويعجب
وما انا ممن تأسر الخمر لبه
ويملك سمعيه اليراع المثقب
ولكن اخو هم اذا ما ترجحت
به سورة نحو العلا راح يدأب
نفى النوم عن عينيه نفس أبية
لها بين أطراف الأسنة مطلب
ومن تكن العلياء همة نفسه
فكل الذى يلقاه فيها محبب

اذا انا لم اعط المكارم حقها
فلا عزنى خال ولا ضمنى أب
خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة
على يدا أغضى لها حين يغضب

وكان من الطبيعى أن تضيق به مصر حيث لا عمل له •• فسافر الى الاستانة مقر الخلافة والتحق بوزارة الخارجية • وهناك تعلم التركية والفارسية وحفظ الكثير من أشعارهما • وكان مقامه بالاستانة نعمة على شاعريته الفذة •• فقد زادها خصبا على خصب •

وتمضى به الايام • ويفد الخديوى اسماعيل الى مقر الخلافة ليرفع الى السلطان العثمانى شكره على تنصيبه واليا على مصر •• ويتعرف الخديوى على البارودى ويلحقه بحاشيته •• ثم يعود معه الى مصر •• ليعين فى الحرس الخاص •• وتفتحت أمامه أبواب الامل فى مستقبل باهر •• كى يحقق لنفسه ما يريد من أمجاد حربية وغير حربية •

ويرقى البارودى سريعا فى مناصب الجيش ثم تتاح الفرصة لابراز فروسيته وشجاعته حين يرسل اسماعيل حملة خاصة لمساعدة دولة الخلافة فى حربها مع ثوار جزيرة كريت عام ١٨٦٥ •• وكان البارودى أحد ضباطها العظام •

وتنشب ذات ليلة معركة عنيفة تدور فيها على أهل كريت الدوائر •• فيتغنى البارودى نشوة وطربا بالنصر •• ويصف وقائع المعركة وصفا جديدا على الشعر العربى الحديث فى ذلك الوقت •• وذلك فى قصيدته النونية التى يقول فيها :

اخـذ الكرى بمعاقد الاجفان
وهفا السرى باعنة الفرسان

والليل منشور الذوائب ضارب
فوق المتالع والربى بجران
قوم ابى الشيطان الا خسرهم
فتسللوا من طاعة السلطان
وضعوا السلاح الى الصباح واقبلوا
يتكلمون بالسن النيران
حتى اذا ما الصبح أسفر وارتمت
عيناى بين ربى وبين مجان
فاذا الجبال أسنة واذا الوهاد
أعنة والماء احمر قانى

ويعود البارودى الى مصر يحمل وساما من الدولة العثمانية اعترافا بما أبداه من شجاعة وفروسية .. ويلحقه اسماعيل ياورا بمعيته . ومكث نحو اثنتى عشرة سنة يعمل فى القصر . معتدا بنفسه .. معتزا بكرامته ويستشعر بالقرب من اسماعيل مظاله .. فعافت نفسه حياة القصر واتخذ من الوسائل ماجعله يرد الى الجيش .

ولم يمض غير قليل حتى أعلنت روسيا الحرب على تركيا عام ١٨٧٨ ويرسل اسماعيل جيشا ليعاون الخليفة فى حربه مع عدوه ... وسافر البارودى مع الحملة المصرية .. وأبلى فى المعارك بلاء حسنا .. فأنعم عليه برتبة اللواء وكان فى ميدان القتال والحرب التى خاضها ولفحه هجيرها ما ألهب شاعريته .. فصور الحرب وعناءها فى قصيدته التى يقول فيها :

هو البين حتى لا سلام ولا رد
ولا نظرة يقضى بها حقه الوجد

أدور بعينى لا أرى غير أمة
من الروس بالبلقان يخطئها العد

ويعود البارودى الى وطنه مرفوع الرأس . فيعين مديرا للشرقية فمحافظا للعاصمة .. ثم وزيرا للاوقاف فى وزارة شريف .. فوزيرا للحربية فى وزارة رياض .

ولما رأى رياض نزعاته الشعبية . وصلته بالوطنيين . دس عليه لدى توفيق فعزله . ودفعه ذلك الى اعتزال السياسة فترة من الوقت فترك القاهرة وجوها القلق . وولى وجهه شطر ضيعة له فى المنصورة حيث آثر العزلة فى الريف وفى هذا يقول :

صبح مطير ونسمة عطرة
وأنفس للصبوح منتظرة
قدر بعينيك حيث شئت تجد
ملكا كبيرا وجنة خضرة
وخلنا من سياسة درجت
بين أناس قلوبهم وغرة
يقضون ايامهم على خطر
فبئس عقبى السياسة الخطرة

وكان يرى فى رياض معولا هداما للحركة الوطنية . ولم يغفر له وشايته به لدى توفيق . فعرض به . وسخر منه . وهجاه هجاء مقذعا . وسقطت وزارة رياض تحت ضغط الوطنيين . وعاد البارودى وزيرا للحربية فى وزارة شريف بعد أن ترضاه « توفيق » ثم مالبث أن تولى رياسة الوزارة . وعين أحمد عرابى وزيرا للحربية فى وزارة البارودى .

وسارت وزارة البارودى فى طريق الاصلاح بخطى واسعة . ولكن انجلترا كانت تتربص بمصر الدوائر . فأخذت فى الدس والايقاع بين توفيق وحكومته حتى اتسعت هوة الخلاف

محمود سامي البارودي وحركة التطور في الشعر الحديث

بينهما . وتنادي كثيرون بوجوب خلع الخديوي .

وتحتدم الثورة في نفس البارودي . ومايلبث أن يصيح بتوفيق في جرأة وشجاعة لا نعهدها في شاعر من شعراء عصره :

عدادك في سلك البرية خزية
ودعواك حق الملك ادهى واعظم

لقد هانت الدنيا على الناس عندما
راوك بها في ملك يوسف تحكم

فان تك اولتك المقادير حكمها
فقد حازها من قبل عبد مزنم

وشتان عبد بالمحجة ناطق
وحر اذا ناقشته القول افحم

وتوثقت صلة البارودي بالشعب . ولم يعد خالصا لنفسه . فقد أصبح لسان أمته المعبر عن آلامها وآمالها .

وكان هذا تطورا هاما في الشعر العربي الحديث . اذ تحول به البارودي من المشاعر الذاتية الفردية الى مشاعر الشعب الوطنية والسياسية والاجتماعية .

وبذلك كان أول من فتح أمام الشعراء المعاصرين أبواب الشعر الاجتماعي والسياسي والوطني . وتلك يد للبارودي على من سواه من شعرائنا المحدثين .

وثار الجيش على العرش . ووهب البارودي الثورة حبات قلبه وروحه وماله . ينشد الأشعار يلهب بها المشاعر ويقوى العزائم ويثير النفوس الخائرة . ويدفعها الى الاقدام والتضحية .

فياقوم هبوا انما العمر فرصة
وفي الدهر طرق جمة ومنافع

أصبرا على مس الهوان وانتم
عديد الحصى انى الى الله راجع

وكيف ترون الذل دار اقامة
وذلك فضل الله في الأرض واسع

أرى ارؤسا قد اينعت لحصادها
فاين ولا اين السيوف القواطع

فكونوا حصيدا خامدين او ادفعوا
الى الحرب حتى يدفع الضيم دافع

ويصور بشعره فساد الحكم في مصر وعبثهم بمصالح الأمة ومقدراتها وذلك في قوله :

قامت به من رجال السوء طائفة
أو هى على النفس من بؤس على شكل

من كل وغد يكاد الدست يدفعه
بغضا ويلفظه الديوان من ملل

ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت
قواعد الملك حتى ظل في خلل

وأصبحت دولة الفسطاط خاضعة
بعد الاباء وكانت زهرة الدول

وتنتكس الثورة نتيجة للخيانة والغدر . ويقبض على زعمائها ومن بينهم البارودي . ويحكم عليه بالنفي المؤبد . ومصادرة أملاكه وتجريده من رتبه وألقابه . وينتزع من أحضان أمته وأسرته . فلا تهن نفسه ولاتضعف بل يظل صامدا للمحنة .

وفي طريقه الى منفاه بسرنديب . لاتفارقه عظمته . ويردد شعرا خالدا يصور فيه ارتفاعه عما أصابه من ضيم وما أتاح به من ظلم .

انا إن عشت لست اعدم قــوتا
واذا مت لســت اعــدم قبــرا
همتى همــة الملــوك ونفسى
نفس حــر تــرى المذلة كفــرا

وفى المنفى أخذ يرسل قصائد ملتهبة يندد فيها بظلم الحكام فى مصر وعلى رأسهم توفيق، ويدعو الشعب الى ثورة تعصــف بحكامه المستبدين به .

ولنستمع الى هذه الكلمات التى كان يخشى باسها على البعد حكام مصر :

ابى الدهــر الا ان يســود وضيعه
ويملك اعنــاق المطــالب وغــده
تــداعت لدرك الثــار فينا سـعالة
ونامت عــلى طــول الوتيرة أسـده

فحتام تسرى فى دياجــي محنــة
يضيق بها عــن صحبة السيف غمده
إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت
عليه فلا يأســف اذا ضــاع مجــده
واقتــل داء رؤية العيــن ظــالما
يسىء ويتلى فى المحافــل حمــده
عــلام يعيش المــرء فى الدهر خاملا
ايفــرح فى الدنيــا بيــوم يعــده
يرى الضيم يغشــاه فيلتذ وقعه
كذى جــرب يلتــذ بالحك جلــده
عفاء عــلى الدنيــا اذا المرء لم يعش
بهــا بطــلا يحمى الحقيقة شــده

ويبقى له اعتداده بنفسه ، واعتزازه بكرامته واحساسه ببعد همته ومن ثم تتابعت قصائده يتغنى فيها بأمجاده العسكرية ، ومواقفه السياسية ، ويمتدح صراحته وشجاعته .

انا لا اقــر عــلى القبيح مهابة
ان القــرار على القبيح نفــاق
قلبى عــلى ثقة ونفسى حــرة
تابى الــدنى وصــارمى ذلاق
فعلام يخشى المــرء فرقة روحــه
او ليس عاقبــة الحيــاة فــراق
لا خير فى عيش الجبــان يحوطه
من جانبيه الــذل والامــلاق
عابــوا عــلى حميتى ونكايتى
والنــار ليس يعيبها الإحــراق

ويأسى لقلة الاصــدقاء ، وندرة الوفاء ، وعنت الزمان فيقول :

انا فى زمــان غــادر ومعــاشر
يتلونــون تلــون الحــرباء
اعــداء غيب ليس يسلم صاحب
منهم وإخــوة محضر ورخــاء
اقبــح بهم قوما بلــوت إخاءهم
فبــلوت اقبح ذمــة وإخــاء

واشــد مايلقى الفتى فى دهــره
فقــد الكرام وصحبة اللؤماء

وزاده النفى حبا لوطنه ، وتعلقــا به ، وترديدا لمحاسنه ، يتمثله على البعد جنة دانية القطوف ، عبقة الشذى ، متأرجة العبير ، ويحن الى مراتع لهوه ، وملاعب صباه .

لبيك يا داعى الأشــواق من داعى
اسمعت قلبى وان اخطات اسماعى
مرنى بما شئت ابلغ كل ماوصــلت
يــدى اليه فانى ســامع واعى

محمود سامي البارودي وحركة التطور في الشعر الحديث

يا حبذا جـرعة من مـاء محنية
وضجعة فـوق برد الرمل بالقاع
ونسمة كنسيم الخلد قـد حملت
ريا الأزاهـر من ميث وأجـراع

وانبجس في نفسه حنين لاينضب معينه الى وطنه وأهله ٠ ويشعر بمرارة البعد ٠ وقسوة الغربة ٠ وعذاب الوحدة ٠ ومحنة الضياع ٠ فينشد قائلا :

هـل من طبيب لداء الحب اوراقي
يشفي عليـلا اخا حـزن وايراق
قد كان أبقى الهوى من مهجتي رمقا
حتى جرى البين فاستولى على الباقي
حزن براني وأشـواق رعت كبـدي
ياويح نفسي من حـزن واشـواقي
أكلـف النفس صـبرا وهي جازعـة
والصبر في الحب اعيا كـل مشتاق

وتعاوده الذكرى ٠ ذكرى أيام الصفاء التي كان يرشف رحيقها قبل اضطرام الثـورة العرابية ٠ وقبل النفي والتشريد ٠ ويهفو بـه الحنين الى الوطن ٠ وتضطرم في قلبه نـيران شوق لا تنطفىء ٠

فيهتف قائلا :

ياروضة النيـل لامسـتك بائقة
ولا عدتك سـماء ذات اغـداق
ولا برحت من الأوراق في حلـل
من سندس عبقـري الوشي براق
يا حبـذا نسم من جـوها عبـق
يسري على جدول بالمـاء دفـاق
بل حبـذا دوحة تدعو الهديل بها
عند الصبـاح قمـاري باطواق

اين ايـام لذتي وشـبابي
اتراها تعـود بعـد الذهـاب
ذاك عهـد مضى وابعـد شيء
أن يـرد الزمـان عهد التصابي
لم تـدع صـولة الحوادث مني
غير أشلاء همـة في ثيـاب
فجعتني بوالـدي وأهـلي
ثـم أنحت تكـر في أترابي
كل يـوم يـزول عني حبيب
ياالقلبي من فـرقة الأحبـاب
أين مني حسـين بـل اين
عبد الله رب الكمـال والآداب

مرعى جيادي ومأوى جيرتي وحمى
قومي ومنبت آدابي وأعـراقي

وما من شك في أن البارودي يروعنا بهـذا التنويع الواسع في تصوير حنينه الى وطنه ٠ وانه ليرفعه الى الذروة من شعراء العربيـة قدامى ومحدثين ٠

وتمضي به السنون متباطئة ثقيلة ٠ ويحمل اليه البريد فيمـا يحمـل نعي بعض أهـله وأصحابه ٠ فيجزع جزعا شديدا ٠ ويصـور أساه ولوعته في مرات حزينة باكية ٠

ومن ذلك قصيدته التي يرثي فيها صـديقيه الشيخ حسين المرصفي وعبد الله فكري ٠

ثم يفجؤه على حين غـرة نعي زوجتـه ٠ فيعتصره الألم ٠ ويعصف به الحزن ٠ فان التي كانت تنشر أجنحتها على فلذات كبـده قـد صوح عودها ٠ وينظم في رثائها قصـيدة ٠

يعدها نقاد الأدب من عيون قصائد الرثاء فى أدبنا العربى الحديث ، وفيها يقول :

يادهر فيم فجعتنى بحليلة
كانت خلاصة عدتى وعتادى
ان كنت لم ترحم ضناى لبعدها
افلا رحمت من الأسى اولادى
افردتهن فلم ينمن توجعا
قرحى العيون رواجف الأكباد
القين در عقودهن وصغن من
در الدموع قلائد الأجياد
يبكين من وله فراق حفية
كانت لهن كثيرة الاسعاد
ولهن عليك مصاحب لمسيرتى
والدمع فيك ملازم لوسادى

وتتكاثر عليه الخطوب والمحن ، فيتجه الى ربه ، ويلجأ اليه داعيا مبتهلا يسأله أن يحل وثاقه ، ويفك أسره ، ويعيده الى وطنه :

سل مالك الملك فهو الآمر الناهى
ولا تخف عاديا فالحكم لله
يارب قد طال بى شوقى الى وطنى
فاحلل وثاقى والحقنى بأشواهى
وامنن على بفضل منك يعصمنى
من كل سوء فإننى عاجز واهى

ويردد البارودى هذه النغمة كثيرا فى شعره وقد أضاف اليها نغمات شجية فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، لعل أروعها تلك التى يقول فيها :

هو النبى الذى لولا هدايته
لكان اعلم من فى الأرض كالهمج
ماجت بذكراه نفسى فاكتست ولها
وأى صب بذكر الشوق لم يهج
يارب بالمصطفى هب لى وان عظمت
جرائمى رحمة تغنى عن الحجج
ولا تكلنى الى نفسى فان يدى
مغلولة وصباحى غير منبلج
مالى سواك وأنت المستعان اذا
ضاق الزحام غداة الموقف الحرج

وتكثر الحكمة فى شعره ، وتبدو واضحة فى ثنايا قصيده ، وهى تأتى طبيعية دون تكلف أو تمحل .

ومما لاشك فيه أن أحداث حياته التى مرت به ، وما تقلب فيه من أعطاف النعيم ، وماذاقه من آلام النفى ، وما اختلف عليه من عوامل النجاح والفشل ، كل ذلك جعل حياته غنية بالتجارب ، ومن ثم أتاح لشعره أن يزخر بها ، وتلك آية التجديد فى شعره ، فقد جعل حياته وفنه شيئا واحدا وكان شعره تعبيرا عن شخصيته .

وتمتد به الاقامة فى منفاه حتى بلغت سبعة عشر عاما ، وأورثه طول النفى السقام والعلل حتى كف بصره ، وضعف سمعه ، ووهن جسمه وصار كما عبر عن نفسه :

كيف لا اندب الشباب وقد
اصبحت كهلا فى محنة واغتراب
اخلق الشيب جدتى وكسانى
خلعة منه رثة الجلباب
ولوى شعر حاجبى على عينى
حتى أظل كالهداب

محمود سامي البارودي

لا ارى الشيء حين يسنح
إلا كخيال كانني في ضباب
واذا مادعيت حرت كأني
اسمع الصوت من وراء حجاب
كلما رمت نهضة اقعدتني
ونية لا تقلها اعصابي
لم تدع صولة الحوادث مني
غير أشلاءهمة في ثياب

وابتدأ الفتاء يدب اليه ٠ وحين آمنوا جانبه أصدروا أمرا بالعفو عنه ٠ وعاد البلبل الى روضته الغناء في مايو عام ١٩٠٠ ٠ وما كادت قدماه تلامسان أرض الوطن ٠ حتى غلبه حنينه وانسكبت دموعه ٠ وانطلقت شاعريته بأنغام عذبة :

ابابل مرأى العين أم هذه مصر
فإني ارى فيها عيونا هي السحر
رضيت من الدنيا بحبك عالما
بأن جنوني في هواك هو الفخر
وكيف اسوم القلب صبرا على الهوى
ولم يبق لي في الحب قلب ولا صبر

وتستقبل مصر شاعرها الكبير بالحفاوة والترحاب ٠ وتضم ابنها البار الى صدرها حانية عليه ٠ وتصبح داره ندوة أدبية يرتادها الادباء والشعراء فيأنسون به ٠ ويأنس بهم ٠ ويعكف خلال هذه الفترة على مراجعة ديوانه وتدوين مختاراته ٠

وأحس بالموت يقترب منه ٠ فلم يشأ أن يخلف دنياه دون أن يؤرخ ذات نفسه :

انا مصدر الكلم الفوادى
بين الحواضر والبوادى
انا فارس انا شاعر
في كل ملحمة ونادى
فاذا ركبت فانني
زيد الفوارس في الجلاد
واذا نطقت فانني
قس بن ساعدة الايادى

وفي الثالث عشر من ديسمبر عام ١٩٠٤

كانت خاتمة المطاف ٠ فسكت البلبل عن الشدو وانطفأت هذه الشعلة المتأججة ٠ وخبا ذلك السراج الوهاج ٠ وخرجت مصر تشيع شاعرها المغوار الى مقره الاخير ٠ وفي النفس حزن وأسى ٠ وفي القلب حسرة والتياع ٠ وكان الشرق يطوي صدره على جرح غائر عميق وهو يودع عبقرية فذة عاشت من أجله ٠ وأحس العالم العربي يومئذ بالفراغ الذي خلفه البارودي في عالم الشعر والأدب ٠

وحسبه مفخرة أنه أعاد لنا بشعره صورة أمجادنا الشعرية التي كانت تندثر معالمها في واقعنا ٠ ووصل بها حاضرنا بماضينا ٠ وهو من أجل ذلك جدير بأن يتسنم ذروة المجد الأدبي ٠ وأن يذكر في تاريخ الأدب العربي بين الخالدين ٠٠

دكتور : طه عبد الرحيم عبد البر

جولة بالمتحف الإسلامي



كانت زيارة متحف الفن الاسلامي جزءا من برنامج علماء المسلمين الذين شاركوا في احتفالات الأزهر الشريف بعيده الألفي. لذا كان لابد أن نعرف أشياء مجهولة عن هذا المتحف ودوره والغرض من انشائه. وعن محتويات المتحف من النفائس وكيف تم تجميعها ؟

عديد من التساؤلات تبحث عن اجابة. وكان الأستاذ عبد الرءوف على يوسف مدير عام متحف الفنون الاسلامية خير من يجيبنا ويزود القراء بخطوط المعرفة لهذا المتحف، فكان بيننا هذا الحوار:

تحقيق محمد فتحي محمد

نود من سيادتك ان تعطينا نبذة تاريخية عن المتحف والغرض من انشائه ؟

انشيء هذا المتحف بمقتضى مرسوم من لخديوي توفيق باشا صدر عام ١٨٨١م وينص على ضرورة جمع الآثار المتخلفة من

جـــولة بالمتحــف الإســلامى





عبد الرءوف علي يوسف
مدير المتحف الاسلامي

المباني الأثرية الاسلامية وحفظها في رواق القبلة بجامع الحاكم بامر الله المجاور لباب الفتوح شمال القاهرة الفاطمية. وبدا المتحف بذلك عمله تحت اسم « دار الآثار العربية » ثم حفظت القطع الصغيرة في مبنى خاص في صحن جامع الحاكم بامر الله. ومع تزايد قطع الآثار الاسلامية التي جمعت بدات تظهر الفكرة في اقامة مبنى خاص كبير للمتحف وكان هذا المبنى الحالي. وخصص الطابق الاسفل « لدار الآثار العربية » والدور العلوي « لدار الكتب الخديوية » كما كان يسمى في ذلك العصر وقد افتتح المتحف في ٢٨ ديسمبر عام ١٩٠٣ في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني.

لكن كيف تم تجميع التحف والنفائس التي توجد بالمتحف.. وماهو العدد التقريبي لها. نريد بعض المعلومات في هذا الصدد ؟

ـ كان اهم مصدر لجمع التحف غير الآثار القائمة التي سبقت الاشارة اليها هو اجراء حفائر اثرية في اماكن العواصم العربية التاريخية في مصر، فتمت مثلا الحفائر في الفسطاط. والعسكر. والقطائع. وقام بهذه الحفائر علي بك بهجت ـ وهو اول مدير مصري للمتحف ـ وقد زودت هذه الحفائر المتحف بآلاف القطع الأثرية من مختلف المواد. ويعتبر متحف الفن الاسلامي الذي يحمل هذا الاسم منذ عام ١٩٥١ بدلا من دار الآثار العربية من اكبر متاحف الآثار الاسلامية في العالم قاطبة ويمتاز بما يضمه من مجموعات فريدة ليست من مصر فقط بل من بلاد عديدة من انحاء العالم الاسلامي.

وقد كان المتحف عند افتتاحه يضم نحو سبعة الاف قطعة اثرية بينما يضم الآن اكثر من ٨٢ الف قطعة اثرية من الخزف والفخار





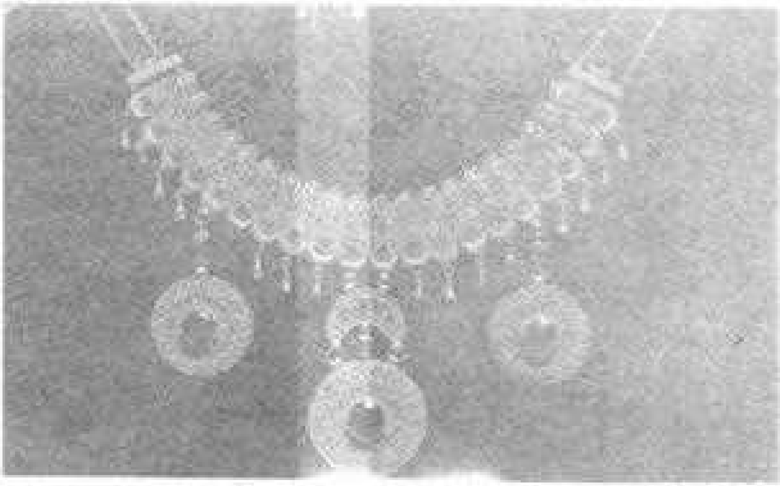
والعاج والاحجار والرخام والمخطوطات والعملات والاوزان والمكاييل وغيرها .. ومن ثم قامت الحاجة منذ فترة طويلة للحصول على المبنى باكمله .

هل مازال البحث عن الآثار الاسلامية مستمر . وما الجديد من التحف والنفائس التي تم تزويد المتحف بها ؟

ـ بالفعل مازال البحث جاريا عن الآثار الاسلامية ولست ابالغ اذا ماقلت ان مايوجد بالمتحف قليل جدا ازاء ما نتوقعه ، لان الحضارة الاسلامية غنية جدا بامجادها .. ومما لاشك فيه ان هناك الكثير من التحف مازالت مطمورة سواء في مصر أو العالم الاسلامي . واحدث ماوصل الينا منها قدر كبيرة لها مقبضان من الخزف من نوع القدور المسماة بالقدور الحمراء من غرناطة بالاندلس . ويوجد تاريخها الى القرن الثامن الهجري ، ووصل الينا من المعادن ابريق من البرونز ينتسب لعهد الخليفة مروان اخر خلفاء بني امية ، ومنضدة من النحاس المطلي بالفضة باسم الناصر محمد ابن قلاوون . ومن الخزف مجموعة من أطباق العهد الفاطمي ذات بريق معدني عليها رسوم ادمية منها صياد الباز ـ التحطيب ـ السيدة وتابعاتها ـ عازف العود ، وكلها تصور الحياة الاجتماعية في ذلك العصر ، ومن الزجاج ١٧ مشكاة من جامع السلطان حسن وهي من الزجاج المزخرف بالالوان والتذهيب .

الى مجموعة من النسيج الفاطمي من الحرير والكتان باسم الخلفاء الفاطميين : المعز ، والمعتز ، والحاكم بأمر الله ، والمنتصر بالله . ويوجد أيضا مجموعة من النسيج ترجع الى لعصر المماليك ، وهي باسماء سلاطين منهم الأشرف خليل بن قلاوون فاتح عكا ـ اخر معقل للصليبيين في الشام ـ والناصر محمد بن قلاوون .

جولة بالمتحف الإسلامى



ومن المخطوطات مصحف كريم مكتوب بالخط الكوفي على الرق (جلد الغزال ويرجع للقرن الثاني الهجري .

ومن العملات أول دينار اسلامي يعود تاريخ اصداره الى عام ٧٧ هجرية في عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مراون .

ما التطوير الذي ترجوه سيادتك للمتحف في المرحلة القادمة ؟

ـ توجد بالفعل عملية كبيرة تشمل المبنى بأكمله وذلك بعد انتقال المكتبة المركزية لمبنى هيئة الكتاب الكائن بـ « كورنيش النيل » ولقد أنشأت حديقة أثرية بجوار مبنى المتحف بها عناصر معمارية لأنواع الأعمدة الاسلامية . وتحتوي أيضا على باب يرجع الى العصر المملوكي وباب آخر من ايران يرجع للعصر الصفوى في القرن الثامن عشر الميلادي . وأزيار رخام على حاملات للأزهار وتتوسط الحديقة نافورة من الفسقاء الرخامية من العصر التركي وأربعة ألواح من الرخام عليها رسوم طواويس وأسود وكلب صغير يمسك غزالا ورسوم لأشجار مورقة ، وأسماك ، وترجع للعصر الفاطمي .

وأستطيع أن أقول ، أن المتحف بدأ يمارس الآن نشاطه في الاشعاع الثقافي للفن الاسلامي لخدمة زواره والمترددين عليه على مختلف مستوياتهم : من الطلاب والمتخصصين والدارسين والزوار العاديين أيضا .

كذلك يعرض المتحف برنامجا « بالفيديو » ثلاث مرات في اليوم لمدة ٥٠ دقيقة عن مجموعات المتحف مع ربطها بالعمائر الاسلامية بالقاهرة وغيرها من العواصم الاسلامية فى أسلوب سهل مبسط للتعريف بالفن الاسلامى .

ونأمل في استمرار وتطوير العمل العلمى بالمتحف للوصول به الى المستوى العالمي للدول المتقدمة .

محمد فتحي أحمد

أنباء العالم الإسلامي

معهد إسلامي في اليابان

افتتحت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية فرعا لها باليابان أطلق عليه اسم « المعهد العربي الاسلامي ».

وقد أنشىء هذا المعهد ليلبي الاحتياجات الدينية والثقافية للمسلمين المقيمين فى طوكيو .. وليتيح لعامة اليابانيين معرفة الاسلام ويمدهم بالتوجيه عن طريق تعيين الدعاة بالمراكز والجمعيات الاسلامية .

مركز إسلامي بطوكيو

افتتح مؤخرا بطوكيو المركز الاسلامى اليابانى وهو عبارة عن هيئة مستقلة للدعوة الاسلامية ذات شخصية اعتبارية . والهدف منه : نشر الدين الاسلامى باليابان بكافة الوسائل المتاحة . وقد تمكن المركز من نشر عدد من الكتب الاسلامية الهامة .

والمركز الاسلامى بطوكيو يصدر مجلة باسم « مجلة السلام » ربع سنوية وتعتبر لسان المركز تصدر بانتظام وتوزع مجانا ويهتم المركز بتنظيم ندوات . وعقد مؤتمرات في فروع العلوم الاسلامية المختلفة .

إفتتاح أول مسجد فى أثينا

تم افتتاح اول مسجد في أثينا عاصمة اليونان والمسجد يعتبر تحفة فنية رائعة صممه المهندس المصرى صلاح جوهر .

ادى صلاة الجمعة بالمسجد اعضاء الجالية الاسلامية وعدد كبير من المسلمين .

ويبلغ عدد المسلمين فى أثينا عشرين الف مسلم ويتركزون فى المناطق الشمالية .

راهب يعتنق الاسلام فى تنزانيا .

أعلن الراهب النصرانى « كامبو كالوس » أحد المبشرين بالكنيسة الرومانية في تنزانيا اعتناقه للدين الاسلامى . أطلق على نفسه اسم : « عباس كامبو » وأصدر كتابا باللغة السواحلية عنوانه : « لماذا اعتنقت الاسلام » حيث قدم الاسلام الى النصرانية في صورته الاصلية . وأشار في كتابه الى مواضع الضعف في معتقدات الرهبان والمبشرين .

أنباء العالم الإسلامي

تحصيل العشور في باكستان

بدأت الحكومة الباكستانية بجمع العشور من المزارعين في اطار خطة الحكومة لتطبيق الشريعة الاسلامية، وكانت لجان الزكاة المنتشرة في كافة البلاد قد بدأت في وضع التقديرات الخاصة بالعشور على كل مزارع ويتوقع المسئولون أن تكون حصيلة العشور ٤٨٠ مليون دولار توزع على المستحقين حسب مصارف الزكاة.

قلق السوفييت لانتشار الإسلام

حذرت صحيفة «كومسمو لسكايا برافدا» الناطقة باسم منظمة الشباب السوفيتية من انتشار الايمان بالدين الاسلامى بين شباب الجمهوريات السوفييتية الاسلامية في جنوب الاتحاد السوفييتى، وقالت الصحيفة ان اتجاه الشباب في هذه الجمهوريات الى الدين الاسلامى بدأ يثير قلق المسئولين الشيوعيين هناك.

وقال تقرير للصحيفة كتبه البروفيسور أيابا سوليمبايف استاذ الفلسفة الماركسية ان المنظمات الاسلامية في جمهوريات الجنوب اكتسبت خبرة كبيرة وبدأت تجتذب أعدادا كبيرة من الشباب المتعلم تعليما عاليا بالاضافة الى المؤمنين التقليديين.

منهج لنوابغ العلماء المسلمين

قررت المؤسسة الاسلامية للعلوم «والتقنية» بجدة تخصيص منح لنوابغ المسلمين في العلوم والتقنية، وسوف تعطى هذه المنح للعلماء المسلمين الذين قاموا ببحوث علمية على مستوى رفيع في هذه الشئون.

التعاون العلمى والتكنولوجى الإسلامى

ناقشت اللجنة الدائمة للتعاون العلمى والتقنى التابعة لمنظمة المؤتمر بباكستان حاجة الدول الاسلامية الى العلوم الحديثة، والاعتماد في ذلك على أبناء المسلمين لتحقيق الامال في ابراز ملامح الشخصية الاسلامية.. ولتتحقق الجهود المرتقبة لتنمية التعاون العلمى «والتقنى» بين الدول الاسلامية لاعادة الأمة الاسلامية الى موضع الصدارة والاشعاع.

مجلة كلية أصول الدين بالمنوفية

أصدرت كلية أصول الدين فرع جامعة الازهر بالمنوفية مجلتها السنوية «حولية كلية أصول الدين» وتضم الابحاث والدراسات التى تعالج قضايا الفكر الاسلامى والعقيدة والفلسفة والتفسير والحديث. يشرف على المجلة الدكتور مصلح بيومى عميد الكلية، ويرأس التحرير احمد عبد الرحيم السايح المدرس بكلية اصول الدين.

إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

>

فهرس العدد

طبع بمطابع روزاليوسف

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر

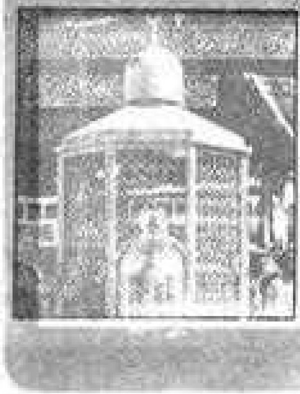
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

يا إلهي

إلهي

يارب مكة ، والكعبة ، والبيت الحرام .

يامن جعلت البيت قلدة أكباد المؤمنين ، ورجاءهم ، وَمُدَمّعَ الشوق من آمالهم .. شُعاعاً لنور الابد .. وَمَطْهَرَ التوابين ، وَمَجْمَعَ المؤمنين .

إلهي بيتك عفة الرجاء .. وخير الارض وَقِبْلَتُها .. ورحمة السماء .

دفعت اليه الحجيج . من كل فج عميق .. الى المطاف والمقام .

الى منى .. وعرفة .. والمشعر الحرام

اليك ربي .. جاءوا توابين .. آملين .. راكعين ساجدين .

إلهي .. حنانيك يارحمن

إلهي مَيِّلْنا ـ في رحمتك ـ بين دعوتهم الى بيتك الحرام واكرمنا بِهُداك حتى ترضى لنا خير البقاء .

الخطيب

الجزء الحادي عشر
السنة الخامسة والخمسون

ذي القعدة ١٤٠٢ هـ
اغسطس ١٩٨٢ م

نص الحوار الدائربين :

فضيلة الدكتور

والدكتور ليونارد بايندر

أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فقد اتصل بي الدكتور (ليونارد بايندر) أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو، وزميل مركز البحوث الأمريكي بمصر - إتصل بي (تليفونيا) يوم الثلاثاء الرابع من مايو سنة ١٩٨٢ طالبا تحديد موعد ومكان نلتقي فيهما، لكي أجيبه عن أسئلة معينة في الدين الاسلامي، فحددت له الساعة العاشرة من صباح السبت الثامن من شهر مايو سنة ١٩٨٢، بمقر لجنة التفسير الوسيط بمجمع البحوث الاسلامية بمدينة نصر، وهنالك التقينا في الموعد تماما، وبعد تبادل التحية والتعارف سألته : هل أنت مسلم ؟ فأجاب بالنفي، وقال : انه يريد التعرف على نظام الحكم في الاسلام، وعلى أسلوب معالجته للأمور السياسية والمشاكل الاجتماعية وغير ذلك.

وكان يتحدث معي بلغة عربية شعبية

وأول سؤال وجهه الى : هل الاسلام دين ودولة، أو هو دين فحسب، وطلب منى أن تكون الاجابة مقرونة بالدليل،

فاجبته بانه دين ودولة، وذكرت له الدليل اجمالا، ورايته يلخص الاجابة في ورقة صغيرة بغير اللغة العربية، فخشيت ان لايحسن اختصار ماأقول وترجمته لان ادراكه للتخاطب الشفوى سوف يكون دون المستوى المطلوب في التحقيق العلمى، كما رايت ان تكون الاجابة شاملة وافية تبين حقائق الاسلام في الدين والدولة، لأن سائلى رجل سياسى، وفي مركز علمى وسياسى مرموق الى جانب أنه مسيحى، فلهذا طلبت اليه أن يملى أسئلته لأكتبها ثم أجيب عنها في وقت لاحق، فاملاها واتفقنا على ان يتسلم الاجابة يوم السبت الرابع من يونية سنة ١٩٨٢، نظرا لأنه مسافر الى أمريكا يوم الخميس ١٣ من مايو، وسوف يعود قبيل التاريخ الذى سوف يتسلم فيه الاجابة بمشيئة الله تعالى،

سيادة الدكتور (ليونارد بايندر)

سألتنى عن الاسلام : اهو دين ودولة، أم هو دين فقط، وطلبت منى الدليل على ما أجيب به واليك فيما يلى الاجابة عن هذا السؤال، مع بيان

مصطفى محمد الحديدى الطير

عضو مجمع البحوث الإسلامية



عن الموضوعات التالية

(١) هل الاسلام دين ودولة أم هو دين فحسب ؟

(٢) اذا كان الاسلام دولة مع الدين فما الدليل على ذلك ؟

(٣) هل كان الاسلام دولة لها نظام سياسى كامل ، أو دولة بدائية ؟

(٤) هل من الممكن تطبيق نظام الدولة في العصر الحديث ؟

(٥) هل يجب على المسلمين أن يفعلوا في السياسة وغيرها مافعله الرسول ؟

(٦) هل يتفق الفكر الاسلامى مع الديموقراطية ؟

(٧) هل أتى الاسلام بالقواعد الكلية العامة في معالجة جميع المشكلات أو أتى بالتفصيلات ؟

واف عن حقيقة الدين فيه . فقد أساء المغرضون في الحديث عنه تعصبا ، وأنصفه المحققون وان كان بعضهم لايدين به .

جـ ١ (الاسلام دين ودولة)

فأما الدين فيه فهو قائم على توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشريك

والمعنى ان الله واحد لاشريك له في الوهيته ، ولايصح أن يعبد سواه ، هو الحى الذى لايموت ، القائم بأمور العالم خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا ، لايغلبه نوم خفيف ولا ثقيل ، ولا قليل ولا كثير ، له وحده ما فى السموات وما فى الأرض من اجزائهما وما استقر فيهما ، لا أحد يشفع عنده يوم القيامة الا ان يأذن له بالشفاعة ، يعلم امور خلقه جميعا ، ماتقدم منها وما تأخر ، ولايستطيع احد ان يعلم شيئا من الغيبيات والعلوم المختلفة ، الا بقدر يسير منها اراده الله له .

اما ما وراء ذلك من العلوم الخطيرة ، والغيبيات القريبة والبعيدة التى لا تناسب علم الخلائق ، فقد استأثر الله وحده بعلمها ، ومع سلطانه السموات والأرض ، فكل شىء فيهما خاضع لقدرته وتدبيره وحفظه ، ولا يثقله حفظ السموات والأرض من النقص او الضعف أو الفساد ، وهو العلى فوق كل شىء العظيم الذى لامنتهى لعظمته .

ويقيم الله الدليل على وحدانيته بقوله « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا »

وكما أنه تعالى منزه عن الشريك فهو منزه

عن الزوجة والولد . فان الولد يحتاج اليه أبوه لكي يعينه في أموره ويرثه بعد موته . والله سبحانه خلق الخلق وحده دون شريك أو ولد يعينه كما أجمعت عليه الديانات . وبما أنه دائم القدرة ولا تعتريه شيخوخة ولاضعف . وهو حي لايموت أبدا . فلا يحتاج الى ولد يعينه او يرثه بعد موته . ولا يحتاج الى زوجة يستولدها . قال تعالى في سورة ال عمران : « وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (١) وقال في سورة هود « إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ »(٢) وقال في سورة مريم « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٣) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ● أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ● وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ● إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ● لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ● وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا » (٤) .

وقد جمع الله تعالى كل ذلك في سورة قصيرة فقال سبحانه : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ● اللَّهُ الصَّمَدُ ● لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ● وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » .

ومعناها : قل أيها المسلم ، الله واحد لاشريك له . صمد يصمد اليه الخلق ويقصدونه في قضاء حوائجهم ورفع الضر عنهم . لم يتخذ ولدا ولم يكن له والد . لعدم حاجة الاله الى ذرية . ولم يكن له أحد يكافئه ويماثله كما قال تعالى « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (٥) .

وبالجملة فعقيدة المسلمين تتمثل في أن الاله واحد أزلي أبدي . فلا أول لوجوده ولا اخر . وأنه منزه عن عالم المادة . وأنه خلق كل شيء بقدر . وأن العقول تؤمن بوجوده بدلالة اياته . وان لم تدرك الحواس ذاته . فكما أن العقل والروح في الانسان . والكهرباء في المصانع والبيوت تعرف باثارها . وان لم تدرك الحواس حقيقتها وذاتها . فكذلك المولى سبحانه . تؤمن به العقول بأثار قدرته وتدبيره وحكمته . وان لم تقع ذاته تحت حواسنا . فالعقل يدرك الغيوب باثارها . والحواس تدرك الظواهر حسب الاتها .

أما العقيدة عند غيرنا فهي مخالفة لذلك . فهي عند البوذيين أن الله له ولد من العذراء (مايا) وأنه نزل من مقعد الأرواح الى جسد مايا فنشأ عن ذلك ابنه « بوذا » وأنه هو الابن الوحيد له . وأنه تجسد في الناسوت . وقدم نفسه لمن صلبوه ليكفر عن ذنوب البشر . ويسمونه المسيح والمخلص . مع انه يستطيع أن يغفر لهم ذنوبهم من غير أن يعرض نفسه للمهانة والمذلة ودون ان يجعل البشر يرتكبون فيه ابشع جريمة ويحملهم تبعتها وعارها . كان يستطيع ان يقول لهم غفرت لكم ذنوبكم وهو في مجد الحياة والعزة والكرامة .

---

١ ـ من الاية رقم ٦٢
٢ ـ الاية رقم ٦٦
٣ ـ أي قلتم قولا فظيعا خطيرا لايصح ابدا .
٤ ـ الايات ٨٨ ـ ٩٥

٥ ـ سورة الشورى الاية رقم ١١

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

صدق الله العظيم

ولايمنعه من ذلك مانع ، فكيف خفى هذا على أصحاب تلك العقيدة ، ومن عجب أن يقول بمثل هذه العقيدة البراهمة في (كريشنا) وأن يقول بمثلها النصارى في نبى الله عيسى عليه الصلاة والسلام ، بعد أن كانوا موحدين ، فقد كانت لهم أناجيل ناطقة بالتوحيد ، فأهدرها مؤتمر المجمع المسكونى ، وهم يحاولون أن يجعلوا من ثالوثهم إلها واحدا ، ويتحملون جهدا جهيدا في تذليل هذا المستحيل .

وعقائد اليهود مبنية على أن الله يتجسد ويندم على مايصنع بعد أن يتضح له خطؤه ، ويصارع البشر ولايقدر عليهم ، وفيهم من جعل لله ولدا ، وفيهم فرقة أنكرت قيام الأموات وحسابهم ، الى غير ذلك من العقائد المدونة في سفرى التحويل وسوبل الأول .

ومن الدين الاسلامى الايمان بالرسل جميعا ، وأنهم صفوة الله من خلقه من البشر ، اختارهم من أممهم لارشادهم وهدايتهم الى الحق ، لقصور العقول عن ادراك دقائق العقائد والعبادات والمعاملات على ما ينبغى وهؤلاء الرسل جميعا عباد الله تعالى ، قال سبحانه حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام « قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا » (١) .

وقال عن محمد صلى الله عليه وسلم « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (٢) وقال في شأن جميع الرسل ، « وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ● وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ » (٣) . وقال في شأن الانس والجن « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ● مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ● إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ » (٤) .

ومن الدين الاسلامى الايمان بما أنزله الله من الكتب على رسله ، ليبلغوا عباده طريقة عباداتهم ومعاملاتهم ومبدأهم ومعادهم . قال تعالى : « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » (٥) . فالمسلمون

---

١ ـ سورة مريم : ٣٠ ـ ٣١
٢ ـ أول الاسراء .
٣ ـ سورة الصافات ١٧١ ـ ١٧٣
٤ ـ سورة الذاريات ٥٦ ـ ٥٨ .
٥ ـ سورة البقرة : ٢٨٥

يؤمنون بجميع الرسل وبالكتب التى انزلها الله عليهم . ويجب على جميع ارباب الملل والنحل ان يؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم . فقد بعثه الله الى الناس اجمعين . لاحياء شرائعه الدارسة . التى ذهبت اصولها المنزلة . واصبح لكل دين كتاب استحدث بعد مئات السنين . واختلفوا فى نصوصه .

يقول الاستاذ (موريس فورن) ناظر مدرسة العلوم العليا فى باريس . ومدرس القسم الدينى بها . لو سألنا عن التوراة فى اى وقت جمع كل كتاب منها . وفى اى حال وظروف وباقلام من كتب ؟ لانجد حدا يجيبنا عن تلك الاسئلة وما شابهها الا بأجوبة متباينة مختلفة جدا . وان كل ماكتب مشكوك فى كاتبه . وان كل مافى التوراة هو عبارة عن خليط من كتابات عديدة . جمعت فى اجيال متباينة . وان المذاهب العلمية . ترفض اغلب اقوال علماء النقل التى هى اساس اعتقاد اليهود والنصارى . وتُقَوِّض بنياته إدّعاء السابقين . وتبرىء الانبياء من تلك الكتب . ثم قال :

وان اقدم نسخة من الاناجيل الاربعة الرسمية الحالية . كتبت فى القرن الخامس بعد المسيح . اما الزمان الممتد بين الحواريين والقرن الخامس . فلم يخلف لنا نسخة من هذه الاناجيل الاربعة . وفضلا عن حداثتها وقرب عهد وجودها . فقد حرفت هى نفسها تحريفا ذا بال . وقد صدق على شهادة الاستاذ موريس فورن خمسمائة عالم فى جمعية دار المعارف الكبرى (1)

على أن التوراه جميعها فقدت بعد وفاة موسى وارتداد بنى اسرائيل الى عبادة الاصنام . فسلط الله عليهم ملوك الوثنيين فحاربوهم وهزموهم وأخذوا منهم تابوت العهد الذى كانت فيه التوراة . وهى النسخة الوحيدة . واستمروا بعد ذلك ٤٥٠ اربعمائة وخمسين سنة الى عهد سليمان بدونها . ولما فرغ سليمان من بناء الهيكل استحضر التابوت من مغتصبيه ليضعه فى المحراب . فلم يجد فيه التوراة . وانما وجد فيه لوحا كتبت عليه الوصايا فقط . وهذه الأحداث مذكورة فى سفر القضاة وسفر الملوك . اصحاح ٨ فقرة (١ ـ ١١) وسفر الايام اصحاح ٥ فقرة ١٠ (2) .

ويقول القسيس (ميل) ان الاختلاف بين نسخ العهد القديم والجديد تصل عند معان النظر الى مائة وخمسين الفا (3) وهذا قليل من كثير من كتب علماء اهل الكتاب عن كتبهم .

اما القران الكريم فقد كتبت اياته عقب نزول الوحى بها . فكان كلما نزل منها شىء امر النبى صلى الله عليه وسلم كتاب الوحى . أن يكتبوه اولا بأول . ويحدد لهم مواضع الايات . وكذلك كان يفعل الصحابة . اذ كان الذين يحسنون الكتابة منهم يكتبون مايسمعونه من الايات فى مواضعها التى امرهم النبى صلى الله عليه وسلم بها . وكان الاميون منهم يحفظونه على هذا النمط حفظا جيدا . فقد كان للعرب ميزة الحفظ الممتاز لامجادهم وأحسابهم وأشعارهم . ولهم

1 ـ كتاب محمد نبى الاسلام فى التوراة والانجيل والقرآن للمستشار محمد عز الطهطاوى ص ٩٥ ـ ٩٦

2 ـ المصدر السابق ص ٩٢

3 ـ المصدر السابق ص ٨٣

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا

صدق الله العظيم

شهرة تاريخية في ذلك .

وكان جبريل سفير الوحي ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ويدارسه القرآن تثبيتا لحفظه وتوكيدا لما كتب منه في مصحفه ولما توفي صلى الله عليه وسلم جمع أبو بكر رضي الله عنه القرآن في مصحف ، وقد كان مكتوبا عند الرسول في رقاع مرتبة وفق النزول ، ولما آلت الخلافة الى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، كتب منه أربع نسخ وزعها على العواصم الاسلامية ، وقام بكتابة المصحف لأبي بكر وعثمان كتابا الوحي الذين كانوا يكتبونه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه النسخ الأربع كتب المسلمون مصاحفهم ، ولهذا لاتجد مصحفا يخالف الآخر في جميع البلاد الاسلامية ، وكل ذلك كان وفاء بعهد الله لنبيه « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » . (الحجر ـ ٩) .

ومن الدين الاسلامي الايمان بالملائكة ، وانهم عباد مكرمون لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » وهم أجسام نورانية قادرة على التشكل .

ومن الدين الاسلامي الايمان بان كل شيء بتقدير الله تعالى والايمان باليوم الآخر ، حيث يحاسب الله عباده ويجزيهم على ايمانهم وكفرهم وطاعتهم ومعصيتهم .

ويجمع ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم جوابا لسائله عن حقيقة الايمان « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره » أخرجه الامام البخاري وغيره .

والله تعالى يقول في ثواب المؤمنين : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا . خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا » (١) .

ويقول في عقاب الكافرين وثواب المؤمنين : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ● أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ● وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (٢) .

---

(١) سورة الكهف : ١٠٧ ـ ١٠٨

(٢) ـ سورة النساء : ١٥٠ ـ ١٥٢

ويقول في عقاب الكافرين « وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا » (١) .

جـ ٢ (والاسلام دولة أيضا)

تقدم الكلام على أن الاسلام دين والآن أتكلم على أن الاسلام دولة ، وأقيم الدليل على ذلك استجابة لسؤالكم الثاني ونصه :

« اذا كان الاسلام دولة فما الدليل على ذلك من النصوص الدينية ؟ فأقول وبالله التوفيق :

تتكون الدولة من أمة ذات جهاز ادارى على رأسه حاكم ، يحكم أمته وفقا لقانون ينظم علاقة أفرادها بعضهم ببعض ، وعلاقتهم بوطنهم وجيرانهم ، وبسائر الأمم .

والاسلام قد أعطى الدولة حقها من العناية ، فشرع لها القوانين المنظمة لها في ادارتها وقضائها ومعاملاتها ، وما على الفرد من واجبات لوطنه ولنفسه وغيره ، وماله من حقوق عند سواه ، سواء كان هذا الفرد مسلما أم غير مسلم ، فكلاهما له حقوق وعليه واجبات .

وقد شرع الاسلام للأمة أميرا يحكم بين أفرادها بالعدل وفقا لشريعة الله ، وأوجب عليهم طاعته في ذلك . قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ** » (٢) وقال سبحانه : « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** » (٣) .

وأخرج الامام مسلم بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصى أميرى فقد عصانى » .

وأخرج الامام مسلم أيضا عن يحيى بن حصين قال : (سمعت جدتى تحدث أنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو يقول : « لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » .

وأخرج أيضا بسنده عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « على المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، الا أن يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

وأخرج بسنده أيضا عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية (٤) يغضب لعصبة أو يدعو الى عصبة ، فقتل فقتلة جاهلية ، ومن خرج من أمتى على أمتى ، يضرب برها وفاجرها ، ولايتحاشى من مؤمنها ، ولايفى لذى عهد عهده فليس منى ولست منه » .

« وأوجب قتال من يقاتل أمير الأمة وحاكمها أو يخرج عليه »

أخرج مسلم بسنده عن عرفجة قال

١ ـ سورة النساء ١٣٦
٢ ـ سورة النساء ٥٩
٣ ـ سورة النساء ٥٨
٤ ـ العُمِّيَّة الأمر الأعمى الذى لايستبين وجهه لمن يريده

أ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » .

وحرصا على وحدة الأمة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر على الامام الجائر ، فقد اخرج الامام مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كره من اميره شيئا فليصبر عليه ، فانه ليس احد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه ، الا مات ميتة جاهلية » .

وجاء في حديث أخرجه مسلم « اسمعوا وأطيعوا فانما عليهم ماحملوا وعليكم ما حملتم » . وقد حث النبي الحكام على الرفق بالأمة ، ودعا على من يجور عليهم فقال : « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به » .

وتوعد من يغش الامة ولا يهديها سواء السبيل بالحرمان من الجنة ، قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، الا حرم الله عليه الجنة » .

وأوجب على الحكام أن يجتهدوا في مصلحة أمتهم ، فعن معقل بن يسار قال : « سمعت رسول الله يقول : مامن أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح الا لم يدخل معهم الجنة » أخرج هذه الاحاديث الامام مسلم في صحيحه .

وحرم الاسلام على الأمراء والحكام ان يأخذوا لانفسهم هدايا من الأمة أثناء ولايتهم ، حتى يمضي حكمهم في الناس على مستوى واحد ، فلايحابي أحدهم صديقا اهدى على حساب اخيه المسلم ، فعن أبي حميد الساعدي قال « استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد ، على صدقات بني سليم ، يدعى ابن اللتبية ، فلما جاء حاسبه قال : هذا مالكم وهذا هدية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلا جلست في بيت أبيك وأمك تأتيك هديتك ان كنت صادقا ، ثم خطبنا فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد فاني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله ، فيأتي فيقول : هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ان كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئا بغير حقه الا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة » من حديث اخرجه الامام مسلم .

الامارة لمن يستحقها لا لمن يطلبها

وقد حرص الاسلام على أن يجعل ولاية الحكم بين الناس لمن هو أهل لها ، لا لمن يطلبها ، أخرج الامام مسلم عن أبي موسى الاشعري قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بني عمي ، فقال أحد الرجلين : يارسول الله امرنا على بعض ماولاك الله عز وجل ، وقال الاخر مثل ذلك ، فقال : « انا والله لانولي هذا العمل أحدا سأله ، ولا أحدا يحرص عليه » .

وأخرج بسنده عن أبي ذر قال : قلت يارسول الله : الا تستعملني قال فضرب بيده على منكبي ، ثم قال « يا أباذر انك ضعيف وانها أمانة ، وانها يوم القيامة خزي وندامة ، الا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها » .

نص الحوار ...

الشورى في الاسلام

جعل الله الحكم في الاسلام شورى في كل عصر ، ابتداء من العصر النبوى حتى تقوم الساعة . قال الله تعالى لنبيه : « **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** » وقال في شأن قضايا المسلمين على امتداد الحياة الدنيا « **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** » ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم بحاجة الى استشارة اصحابه ، لأنه نبى يوحى اليه ، ولكن الله تعالى امره بالشورى توكيدا لامر المسلمين بها . قال الحسن رضى الله عنه : قد علم الله انه مابه اليهم حاجة ، ولكنه اراد ان يستن به من بعده »

وكان النبى صلى الله عليه وسلم حريصا على الارشاد الى الشورى قولا وعملا . فأما قولا ففى نحو قوله : « ماتشاور قوم قط الا هدوا لأرشد امرهم » .

وأما عملا فلأنه كان يستشير أصحابه في غزواته قبل الخروج اليها . كما كان يستشيرهم في أسارى الحرب وفي غير ذلك من الشئون العامة .

وفي غزوة الأحزاب ، علم النبى صلى الله عليه وسلم بقدوم قريش وحلفائها لغزو المدينة . فاستشار اصحابه : أيمكث بالمدينة للدفاع عنها ، أم يخرج للقاء هذا الجيش الجرار . فأشار عليه سلمان الفارسى بحفر خندق حول المدينة . ولم يكن مثل هذا تعرفه العرب في حروبهم . وبهذا وبمعونة الله وثبات المؤمنين فشلت قريش في اقتحام الخندق وغزو المدينة وابادة المسلمين ـ كما كانوا يحلمون ـ وارتدوا على ادبارهم خاسرين ، برغم خيانة بنى قريظة من اليهود الذين كانوا ساكنونهم بالمدينة ، ونقضوا عهدهم مع النبى ، وحالفوا قريشا ضده « **لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ** » .

مصدر القوانين في الدولة الاسلامية

تقدم الكلام على الامارة ورياسة الحكم في الدولة ، وأنها تكون للأكفاء الذين يستحقونها ، لالمن يحرصون عليها أو يطلبونها . وأن على الحاكم أن يلتزم بالشورى في الأمور التى يحتاج فيها الى رأى أصحاب الكفايات . والآن نتكلم عن مصادر القوانين في الدولة الاسلامية فنقول :

ان قوانين الدولة في الاسلام ترجع الى القرآن العظيم ، وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم أى سنته القولية والعملية . قال تعالى : « **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ** (١) » وقال : « **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** (٢) » وقال سبحانه « **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** (٣) » .

كما ترجع الى الاجماع الذى يستند الى اصل من الكتاب او السنة . والى القياس على

---

١ ـ سورة النساء من الآية ١٠٥

٢ ـ سورة النحل من الآية ٤٤

٣ ـ سورة الحشر الآية ٧

حكم منصوص أن لم يوجد نص . فالخمر مثلا حرمها الله تعالى بقوله : « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . وحرم النبيذ وكل شراب مسكر قياسا على الخمر المنصوصة لعلة الاسكار المشتركة بين الخمر المتخذة من عصير العنب . وبين سائر المسكرات سواها .. ويأخذ بعض الأئمة بعمل الصحابة ، لأنهم عاصروا الوحي وكانوا يقتدون بالرسول . كما يأخذون بالمصالح المرسلة وبالاستحسان . فيما لم يرد فيه نص أو لم يوجد مايقاس عليه .

والفقه الاسلامي الذي نشأ عن هذه المصادر يعتبر مفخرة من مفاخر الاسلام ، وثروة قانونية عديمة النظير . وقد اعترف المنصفون الغربيون بفضل الفقه الاسلامي في التشريع والتقنين . واعتبروه من مصادره .

والواقع أن الفقه الاسلامي لم يترك مشكلة أو امرا من امور الحياة . دون أن يقدم له الحكم اللائق به . ولذا تتضمنه موسوعات ضخام . واليك بعض النماذج العجيبة .

لقد كتب الامام الماوردي موسوعة في الفتاوى في عشرين مجلدا . وسماها (الحاوي في الفتاوى وكتب الامام السيوطي موسوعة أخرى في عشرين مجلدا . وسماها بنفس الاسم . وكل مجلد في أكثر من أربعمائة صفحة . وكتب القزويني موسوعة ثالثة في ستة مجلدات وسماها بنفس الاسم . وكلها على مذهب الامام الشافعي . ولو فرغت هذه الموسوعات في قوانين لأفادت البشرية في حل مشكلاتها . ولقد كان بعض الأئمة يؤلف كتبا مستقلة في بعض أبواب الفقه . فأبو يوسف الف في الخراج . وغيره الف في الحسبة

وحديثنا في هذا المقام على سبيل الاجمال ، لاحتياج التفصيل الى وقت طويل وموضوعات عديدة . واليكم موجزا بعض الابواب الفقهية .

كتاب الزكاة

باب زكاة الماشية
باب زكاة الزروع والثمار
باب زكاة النقد
باب زكاة المعدن والركاز
باب زكاة التجارة
كتاب البيع
باب الربا
مانهى عنه من البيوع
باب الخيار في البيع
خيار المجلس ـ خيار الشرط
خيار العيب
بيع الأصول والثمار
بيع الثمر والزرع
كيفية التعاقد على البيع
كتاب السلم
القرض والقراض
الرهن
التفليس
مايفعل بمال المحجور عليه بالفلس
باب الحجر
فصل فيمن يتولى أمر الصبي
باب الصلح
فصل في التزاحم على الحقوق
باب الحوالة
باب الضمان
كتاب الشركة
كتاب الوكالة

نص الحوار...

مايجب على الوكيل
كتاب الاقرار
أنواع الاقرار
متى يصح الاستثناء
الاقرار بالنسب
كتاب العارية
كتاب الغصب
حكم الغصب وضمانه
اختلاف المالك والغاصب
مايطرأ على المغصوب
من زيادة
كتاب الشفعة
كتاب القراض
كتاب المساقاة
كتاب الاجارة
كتاب احياء الموات
كتاب احياء الموات
حكم المنافع المشتركة
حكم الأعيان المشتركة
كتاب الوقف
كتاب الهبة
كتاب اللقطة
كتاب اللقيط
كتاب الفرائض
وبيان كيفية التوريث
كتاب الوصية
كتاب الوديعة
قسم الزكاة
كتاب الزواج
كتاب الصداق
وليمة العرس
القسم والنشوز
حكم الشقاق

كتاب الخلع
كتاب الطلاق
كتاب الرجعة
كتاب الكفارات
كتاب العدد ـ عدة الطلاق والوفاة
نفقة المعتدة وسكناها
كتاب الرضاع
كتاب النفقات
أحكام الجنايات
كتاب الزنى ـ حد القذف .
كتاب السرقة ـ قطع الطريق
كتاب الأشربة ـ كتاب الجهاد
كتاب الهدنة
كتاب القضاء ـ مايقتضى عزل القاضى
اداب القضاء ـ التسوية بين الخصمين
القضاء على الغائب
كتاب الشهادات ـ كتاب الدعوى
والبينات كيفية الحلف
تعارض الشهود
الى غير ذلك مما لايحصى من اصول
الأحكام وفروعها

الاسلام دولة لها نظام سياسى كامل

وسألتم يادكتور ليونارد عن الاسلام ، أهو دولة لها نظام سياسى كامل ، أم هو دولة بدائية .

والجواب انه دولة لها نظام سياسى كامل نموذجى ينبغى ان يحتذى وليس دولة بدائية فالدولة فيه تقوم على نظام المسئولية التامة . فكل فرد فيها مسئول امام القانون

الذى شرعه الله لعباده، حاكمين ومحكومين، وهم جميعا امام القانون سواء.

وهذا هو ماعرفه أبو بكر رضى الله عنه، حينما انتخبه المؤمنون أميرا لهم عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فقد قال:

أيها الناس انى وليت عليكم ولست بخيركم، فان أحسنت فاعينونى وان أسأت فقومونى. الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه، والقوى ضعيف حتى آخذ منه الحق ـ ان شاء الله ـ ثم قال: أطيعونى ما اطعت الله ورسوله، فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم. قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قبل وفاته قد جهز بعثا الى الشام، وجعل قيادته لأسامة بن زيد، فلما ولى أبو بكر الخلافة بعد وفاته، أمر بسير أسامة وجيشه الى الشام، برغم الأحداث التى حدثت باليمن عقب وفاته. وقد فعل ذلك تنفيذا لأمر الرسول، وقياما بحق الاسلام، حتى لايظن الناس أن دولة الاسلام قد انتهت أو كادت بوفاة الرسول، فيتألبوا عليها.

وأوصى أبو بكر اسامة قبل مسيره بقوله: لاتخونوا ولاتغدروا ولاتغلوا ولاتمثلوا. ولا تقتلوا طفلا ولاشيخا كبيرا ولا امرأة ولاتعقروا نخلا وتحرقوه ولاتقطعوا شجرة مثمرة ولاتذبحوا شاة ولابقرة ولابعيرا الا للاكل. وسوف تمرون بقوم فرغوا انفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ثم قال للجيش: اندفعوا باسم الله واوصى اسامة ان يفعل ما امره به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

فانت ترى أبابكر يوصى أسامة بما أوصى به الله، من عدم الخيانة والغدر، والابقاء على الشيوخ والأطفال من أعدائهم، وعدم الافساد في أرض العدو بالاحراق وقطع الشجرة وذبح الانعام، كما أوصاه بترك العابدين في صوامعهم دون ازعاج، وعدم التعرض الا لمن يناجزونهم من أهل الشر والعدوان. فقارن بين هذا وبين مايصنعه الغزاة قديما وحديثا من استعمال كل أسباب التدمير والاهلاك بين المدنيين الذين لاحول لهم ولا قوة.

ان للفرد من الرعية حق مقاضاة الأمير لدى القضاء عن الحقوق التى له عنده، كما يقاضى أى فرد من الرعية، وعلى الأمير أن يقف صاغرا امام القضاء كخصمه، حتى يحكم له أو عليه، والانصاف شرعة الاسلام في الناس جميعا، مسلمين أو غير مسلمين، ومن الأمثلة الرائعة في ذلك ماحدث من عمر ابن الخطاب لمواطن مصرى، حيث انصفه من ابن أميره الذى يحكم مصر يومئذ، وهو عمرو بن العاص.

روى أنس قال: بينما أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب قاعدا، اذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك، فقال: لقد عذت بمجيب فما شأنك؟ قال: سابقت على فرس ابنا لعمرو بن العاص، فجعل يقمعنى بسوطه ويقول: انا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرا اياه فخشى ان اتيك فحبسنى، فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص: اذا اتاك كتابى هذا فاشهد الموسم [1] أنت وولدك فلان، وقال

---

[1] ـ المراد من الموسم، موسم الحج الى البيت الحرام بمكة.

نص الحوار ...

للمصرى : اقم حتى يأتيك . فقدم عمرو فشهد الحج ، فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس ، وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه ، قام المصرى وتقدم بشكواه ،فاعترف ابن عمرو بما اتهمه به ، فرمى اليه عمرو رضى الله عنه بالدرة[٢] قال انس : ولقد ضربه ونحن نشتهى ان يضربه ، فلم ينزع[٣] حتى احببنا ان ينزع من كثرة ماضربه ، وعمر يقول له : اضرب ابن الاكرمين ، قال يا امير المؤمنين ، قد استوفيت واشتفيت ، قال : ضعها فى صلعة عمرو ، فقال يا أمير المؤمنين ضربت من ضربنى ، قال : اما والله لو فعلت لما منعك أحد حتى تكون انت الذى تنزع ، ثم قال : ياعمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، فجعل يعتذر ويقول : انى لم أشعر بهذا .

ومن نظام الدولة فى الاسلام تعيين الولاه والقضاة فى الأقاليم ، وكان نظامها المالى يقوم على الزكاة والأوقاف الخيرية والخراج والتبرعات ، والضرائب العادلة عند الاقتضاء .

وتاريخ الدولة الاسلامية ، منذ عهد الرسول حتى العهدين الأموى والعباسى ، شاهد بقيامها على اسس نظامية قوية وعلى العلوم والمعارف بشتى فروعها وانواعها .

وبالجملة فقد نشأت الدولة الاسلامية عقب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، بكل ما تحتمله الدولة من معنى – كما يعرفه الفقه المعاصر ، وظل اقليم الدولة يتسع شيئا فشيئا فى حياة الرسول وفى عهود الخلفاء والامراء بعده ، حتى احتلت الدولة الاسلامية المكانة الاولى فى الشرق الاوسط .

وكتاب الخراج لابى يوسف وكتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيبانى ، يمتاز كلاهما بتخصصه فى شرح القواعد التى تنظم العلاقات الدولية فى الاسلام فى زمن الحرب ، ويقع كتاب الشيبانى فى ستين (دفترا بعث به الشيبانى الى الرشيد ، وهو يتضمن كل اصول الحرب واحكامها ، وقد سبق به الشيبانى جهابذة القانون الدولى الغربيين مثل جروسيوس وفيتوريا .

وقواعد القانون الدولى فى الاسلام لاتخضع لهوى المشرع ، فهى نابعة من الكتاب والسنة ، وراجعة اليهما .

(الاسلام يمكن تطبيقه فى العصر الحديث)

وسألتنى : هل من الممكن تطبيق نظام الدولة الاسلامى فى العصر الحديث .

والجواب ان ذلك ممكن ، فهو يعطى كل ذى حق حقه ، ويقتص من المظلوم للظالم ، ويمنع طغيان الحكام على الشعوب ، وينظم الحرب والسلام ، فلا حرب الا عند الضرورة ، لانه دين سلام كما يدل عليه اسمه ، فالحرب فيه اما للدفاع عن النفس ، او التامين من عدو متربص لايريد المسالمة وحسن الجوار .

ولقد فشل ميثاق عصبة الامم وميثاق باريس فى منع الحرب ، كما فشلت الامم المتحدة ومجلس الامن فى ذلك ، واصبحت الدول القوية تغرى الدول الضعيفة بالحرب فيما بينها ، وتمدها بالاسلحة والخبرات

---

٢ ــ الدرة عصا يضرب بها

٣ ــ أى لم يرجع

الفنية ، لتستفيد ببسط نفوذها وسلطانها عليها ، والحصول على مواقع استراتيجية ضد من تنافسها ، ولو كانت شريعة الاسلام هي التي تحكم بين الدول برغبة قلبية من أهلها ، وحب لشريعة الحق وتبادل المعونة لمصلحة البشر ، لعاش الناس في سلام ، ولامن بعضهم شر بعض .

يقول الأستاذ (هاك) في كتيب نشر في لاهور بالهند سنة ١٩٢٢ : ان الامم تبذل الكثير من الجهد وتعقد المؤتمرات لمنع التسليح ومنع الحرب ، او للتقليل من فرص اعلانها ، ولكن جهودها باءت بالفشل ، لان الدول اذ تتعهد لاتقيد نفسها بالمعاهدة ، الا حين تنعدم عندها الوسيلة لنقضها حتى اذا توفرت عندها القوة الكافية لذلك ، اعلنت أن المعاهدة التي ارتبطت بها اصبحت حبرا على ورق - ثم قال : ولو طبقت احكام الاسلام فيما يتعلق بالحروب والجهاد تطبيقا كاملا ، لوجد العالم فيها جنته التي يبحث عنها ، بدلا من الجحيم التي هو مسوق اليها ليطمع كل منا دعوة الله تعالى التي يقول فيها : « **كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** » (١) .

ولو عاش المستر هاك الى يومنا هذا ، لرأى الخراب الذى عم كثيرا من الامم ، بسبب مؤامرات الدول القوية ، حتى اضطر المستضعفون الى اللجوء الى سلاح الجريمة والاغتيال وحرب العصابات الخفية في كل دول الأرض . ولا حول ولاقوة الا بالله ، فمتى يعود الناس الى شرعة العدل والمساواة وحب الخير للناس ، وغير ذلك من المبادىء الشريفة التي ينادي بها الاسلام : « لافضل لعربي على عجمي ، ولا لابيض على اسود الا بالتقوى » .

س ٥ - وسألتني : هل يجب على المسلمين أن يفعلوا في السياسة وغيرها مافعله الرسول ؟

جـ ٥ والجواب :

نعم يجب عليهم ذلك ، فقد كانت سياسته اما بوحي من الله تعالى ، واما باجتهاد منه أقره الله عليه ، وكلاهما واجب الاتباع لقوله تعالى : « **مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**(٢) » أي أن من أعرض عن طاعة الرسول ، فليس الرسول مكلفا بحفظه ومنعه من الاعراض ، فما على الرسول الا البلاغ ، والله يتولى حسابه وعقابه على اعراضه ، ولقوله سبحانه : « **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا**(٣) » ولان السياسة التي كان يتبعها هي السياسة الرشيدة التي أنقذت الرعايا المعذبين من عدوان الاقوياء ، ولانها مبنية على قوله تعالى : « **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** »(٤) وقوله : « **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** » (٥)

---

١ - سورة النساء ٦٠

٢ - سورة النساء ٨٠

٣ - سورة المائدة ٩٢

٤ - سورة الأنفال ٦١

٥ - سورة البقرة ١٩٠

نص الحوار ...

ولأن القوانين التي يعامل بها الناس على اختلاف طبقاتهم عادلة ومنصفة ، فالقرآن يقول في شأن اللاجيء من المشركين «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ» (١) .

فقد أوجب على المسلمين أن يجيروا من استجار بهم من المشركين ولا يغدروا بهم ، وأن يعرضوا عليهم الاسلام ، فان لم يقبلوه لانكرههم عليه ، بل نبلغهم مكانا يأمنون فيه على انفسهم . ويقول في الوالدين المشركين : «وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا» (٢) .

ومع أن قريشا اذت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخرجته من مكة مع المؤمنين ، فانه لما حدثت المجاعة في قريش بعد هجرته ، بعث الى أبي سفيان بخمسمائة دينار ، ليفرقها على فقراء المشركين الجائعين ، ليشتروا بها طعاما . وقد كان للدينار في ذلك الوقت قيمة شرائية عظيمة .

ولما فتح مكة عفا عن أهلها وقال لهم : «من دخل المسجد الحرام فهو امن ، ومن دخل داره فأغلق بابه فهو أمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو امن ثم قال : «اذهبوا فانتم الطلقاء» .

ويقول الرسول في حق اهل الكتاب : «من آذى ذميا فقد اذاني» ويقول : «لهم مالنا وعليهم ماعلينا» واذا جاءونا للتحاكم بشرعنا وجب العدل بينهم . قال تعالى : «وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ» (٣) ولنا الحق في ان نردهم الى قضاتهم في كنائسهم . قال تعالى : «فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ» (٤) .

ويقول القرآن في حريتهم الدينية : «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» (٥) ويقول في الجدال معهم : «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (٦) .

ومن الحقائق التاريخية ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى وفد نجران المسيحي ، نصف مسجده ليقيموا فيه شعائر دينهم حسب عقيدتهم ، وذلك حين قدموا المدينة ، وهذا أمر لايحدث مثله طواعية من زعيم ديني في وقت السلم ، فما لم يكن مقهورا فانه لا يسمح بذلك .

وقد مر بك مافعله عمر بن الخطاب ، من انصاف مصري من ابن واليه على مصر عمرو ابن العاص ، والسماح له بان يضربه كما ضربه على مشهد من المسلمين .

ولما هاجر الى المدينة عقد معاهدات مع اليهود الذين حولها ـ وسمح للمسلمين ان يتعاملوا معهم تجاريا ، ولما خانوا العهد وتآمروا عليه واذوا المسلمين ، اضطر لإجلاء الناقضين للعهد منهم ، حيث اصبحوا خطرا يهدد الدولة الاسلامية من داخلها وحولها ، ولكنه ابقى المسالمين منهم كاهل تيماء

---

١ ـ سورة التوبة ٦

٢ ـ سورة لقمان ١٥

٣ ـ سورة المائدة ٤٩

٤ ـ سورة المائدة ٤٢

٥ ـ سورة البقرة ٢٥٦

٦ ـ سورة العنكبوت ٤٦

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ .

صدق الله العظيم

واهل لدك . وعقد معاهدة صلح معهم .

وقد كتب عمرو بن العاص عهدا لمسيحى مصر ، يعتبر مثلا للسياسة الاسلامية المثلى مع من يخالفنا في الدين وفيما يلي نصه .

« بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما أعطى عمرو بن العاص اهل مصر . من الامان على انفسهم وملتهم واموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم . ثم قال : وعلى أهل مصر ان يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين الف الف ـ ثم قال : وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى . رفع عنهم بقدر ذلك الى اخر ما في العهد من التفاصيل وقد شهد على هذا الزبير بن العوام وولداه . ويلاحظ ان الجزية على اهل الكتاب ضريبة للدولة . يقابلها في المسلمين الزكاة . والغرض من كلتيهما الانفاق على امن الدولة ومصالحها .

وقد اوصانا الاسلام بحفظ العهد مع غيرنا واعتبره عهدا مع الله فقال : « **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ** »(١) وقال : « **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا** »(٢) وجعل نقض العهد من النفاق . قال صلى الله عليه وسلم : اربع من كن فيه كان منافقا خالصا . ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها . اذا ائتمن خان . واذا حدث كذب . واذا عاهد غدر . واذا خاصم فجر . اخرجه البخارى وتلك نماذج يسيرة من التشريع الاسلامى الذى لايدانيه تشريع في العالمين .

١ ـ سورة النحل ٩١
٢ ـ سورة الاسراء ٣٤

س ٦١ ـ هل يتفق الفكر الاسلامى مع الفكر الديمقراطى ؟

جـ ٨ : نعم يتفق الفكر الاسلامى مع الديموقراطية لانه في الأمور السياسية والادارية والحربية قائم على التشاور ـ كما سبق بيانه ـ اما في التشريعات فان مصادرها فيه الكتاب والسنة . واجماع أهل الرأى ـ ويعبر عنهم باهل الحل والعقد شرعا ـ والقياس والمصالح المرسلة فيما لانص فيه . على ان يرجع ذلك الى اصل عام من اصول الشريعة . فالتشريع الاسلامى تشريع الهى كتب له الدوام فلا تغيير فيه ولا تبديل .

اما اختلاف المجتهدين فناتج لاختلاف فهمهم في نص . او لمرجحات أخرى لدى المخالف . كالاستدلال بنص لم ينتبه اليه المجتهد الاخر . ولايرجع التشريع الى هوى المقننين والمشرعين ورغباتهم او رغبات المجتمع . بل لابد من ان تكون له صلة بنص من الكتاب او السنة . حسب الضوابط المعروفة في علم اصول الفقه . والاجتهاد بابه مفتوح للعلماء ذوى الدراية العلمية المتبحرة في علوم الشريعة .

مع الامانة والعدالة . على ان يكون في

نص الحوار ...

نطاق الشريعة وأصولها . وفي الأمور الظنية فقط ، دون القطعية المعلومة من الدين بالضرورة . وانما كان امر التشريع الاسلامى على هذا النمط من الدقة ، لانه تعالى هو الذى يعلم مصلحة المجتمع ، فلا يشرع للناس الا ما يصلحهم .

اما التشريع الذى لايرجع الى شريعة الحق تبارك وتعالى ، فانه لايضبط مصلحة البشر على وجهها السديد ، ولذا نراه يعدل من آن لاخر ، وقد يجنح التشريع الوضعى الذى يضعه المشرعون الى ما يعبث بالقيم العليا أو يفسد الاخلاق ، كاباحة الشذوذ الجنسى في بعض الدول .

س ٧ ـ هل أتى الاسلام بالقواعد العامة في معالجة المشكلات أو اتى التفصيلات ؟

جـ ٧ جاء الاسلام بقواعد عامة ، وباحكام مفصلة . وفي ذلك يقول الله تعالى : « **وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً** » (١) ويقول « **وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً** » (٢) والامثلة كثيرة تحتاج الى مجلد كبير ، وسنذكر بعض النماذج فنقول :

أوجب الله تعالى كتابة الديون والاشهاد عليها ، منعا للخلاف على الحق ، قال سبحانه : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ** » ثم قال « **وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ** » (٣)

واحل الله البيع وحرم الربا بقوله : « **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** » (٤) وحرم الخمر والميسر محافظة على عقول الناس وأجسامهم واموالهم ، وحرم عبادة الأوثان واستعمال السهام في معرفة الحظ والنصيب ، فقال في سورة المائدة « **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** » .

وكانوا في الجاهلية يتخذون قطعا من الخشب يتعرفون بها سهمهم وحظهم من الغيب ، مكتوب على أحدها : أمرنى ربى ، وعلى الثانى نهانى ربى . أما الثالث فلا كتابة عليه ، وكانت هذه السهام توضع في كيس وتحرك ، ويضع الكاهن يده فيه ، فيأخذ منه السهم الذى يسترشد به السائل .

وعند المعاهدات شرع الاسلام كتابة بنودها والاشهاد عليها كما حصل في صلح الحديبية وفي عهد عمرو بن العاص لاهل مصر وبين احكام المواريث في قوله تعالى : « **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ**

١ ـ سورة الاسراء ١٢
٢ ـ سورة الانعام ١١٤
٣ ـ سورة البقرة ٢٨٢
٤ ـ سورة البقرة ٢٧٥

يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ » الى اخر الآيتين الحادية عشرة والثانية عشرة من سورة النساء وقوله تعالى في اخر سورة النساء « يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ، فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ... » (٤)

وبين المحرمات في الزواج بقوله « وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ... » وبقوله « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ... » ثم قال « وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ »(١) واوجب حسن الجوار بقوله : « وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ »(٢) واوجب اعطاء الصدقة عن النفس في رمضان ، وعن الذهب والفضة وعروض التجارة والزروع والثمار وغير ذلك قال تعالى « واتوا الزكاة »(٣) وبينت الاحاديث الاصناف التي تزكى والمقادير التي يزكى عنها ومقدار الزكاة منها . وبين القران الكريم الاصناف التي تصرف لها الزكاة ، قال تعالى : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ »(٤)

وعند اختلاف المسلمين حرم عليهم القتال واوجب رجوعهم الى حكم الله ورضاهم بالصلح وفقا لشرعه . فان رفضت طائفة الصلح وبغت على الاخرى قاتلها المسلمون حتى ترجع الى حكم الله . قال تعالى : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ

---

١ ـ سورة النساء الآيات ٢٢ ـ ٢٤

٢ ـ سورة النساء من الآية ٣٦

٣ ـ سورة البقرة من الآية ٤٣

٤ ـ سورة التوبة من الآية ٦٠

نص الحوار...

«فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» (١).

وما من عام في القرآن الا وله تفصيلات في السنة، فالبيع الذى أحله الله له في السنة فيها أنواعه وشروطه والخيار فيه، وكذا الاجارة والزراعة والقرض والقراض وغير ذلك من انواع المعاملات الاسلامية التى مر ذكر جدول صغير منها. وما من مشكلة في الحياة الا أوجد الله لها حلا. والفقه الاسلامى غنى الحلول التى لاتخطر على بال.

وبالجملة فالاسلام هو أنشودة الانسانية، وبخاصة في هذا الزمان، ليعيش الناس في سلام.

ولقد شهد بذلك المنصفون من الاجانب، قال الكونت هنرى الفرنسى: ان العقيدة الاسلامية لاتقف عقبة في سبيل التفكير، وكما ان الاسلام صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والاجناس، فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات، وهو كما يهيج من نفس الرجل العملى في أسواق لندن، حيث الوقت من ذهب، اذ هو يأخذ بلب الفيلسوف الروحانى، وكما يتقبله الرجل الشرقى ذو التأملات يأخذ بمجامع الغربى الذى أفناه الفن.

ويقول الكونت دى كاسترى - وهو مسيحى متعصب - ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى ليس فيه مرتدون عن دينهم، ولايقام وزن لمن كانوا يرتدون تحت تأثير العذاب الذى كانت تقوم به محاكم التفتيش الاسبانية في الاندلس، ولا لاولئك الذين تركوه لاغراض مادية دنيئة كما انه ليس من فخار المسيحية ان تضم في تعدادها أولئك الذين يباعون لها من اولاد العبيد واليتامى الذين ينشئون في مهدهم نشأة دينية مسيحية. أما الذين يعتنقون الاسلام في وقتنا هذا - القرن العشرين - من المسيحيين وغيرهم فانما هم من الخاصة، سواء أكانوا من الهيئات الاجتماعية الاوروبية أم الامريكية. كما ان اخلاصهم في ذلك لاشك فيه، لانهم أبعد ما يكونون عن الاغراض المادية.

وبعد فانى أختم حديثى معك يادكتور ليوناردبايندر بهذه الوصية التى أوصانا بها القرآن العظيم «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» وبقوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» وأسأل الله لك وقتا سعيدا وحظا كريما.

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

---

١ - سورة الحجرات الآية ٩

دراسات قرآنية

من آيات

الله

فى كتاب الله

قال تعالى : « وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ » البقرة ٢٤٨

طلب بنو اسرائيل من نبيهم اية تدل على أن الله اصطفى طالوت ملكا عليهم ، وقال لهم نبيهم : ان الاية والمعجزة الخارقة التى تدل على اصطفاء طالوت ملكا (أن يأتيكم التابوت) الصندوق ولابد أن يكون ذلك على وجه خارق للعادة حتى يصلح أن يكون اية . وقد جاءهم التابوت والملائكة يحفظونه حتى نزل عند طالوت ووجدوه فى داره (وهذا قول ابن عباس) وقوله « فيه سكينة من ربكم » اى فى اتيانه سكون لكم واطمئنان . أو فى التابوت ما تسكنون اليه وتقرون لطالوت بالملك وهو التوراة التى كانت مودعة فيه (وبقية مما ترك ال موسى وال هارون) قد يراد نفس ال موسى وال هارون وقد يراد العلماء من أتباع موسى وهارون وهى رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وبعض من التوراة (تحمله الملائكة) اى يجىء التابوت محمولا للملائكة (ان فى ذلك لاية) عظيمة ومعجزة خارقة تدل على ملك طالوت (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بدلالة تلك المعجزة على صدق المدعى .

وقال تعالى : « تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ » البقرة ٢٥٢ .

تلك اشارة الى القصص التى قصها الله على نبيه عليه الصلاة والسلام من حديث الألوف الذين أماتهم الله ثم أحياهم وتمليك طالوت والمعجزة التى تدل على ملكه وهى التابوت . كل ذلك ايات الله ومعجزاته التى أيد بها أنبياءه وما ساق خلال ذلك من قصص يتلوها الله على نبيه عليه الصلاة والسلام بواسطة جبريل وهى ملتبسة بالحق واليقين الذى لا ريب فيه . وانك يا محمد لمن جملة المرسلين الذين أرسلوا الى الأمم لتبليغ رسالة الله وأوامره وأحكام شريعته . وقد أخبرت بتلك القصص عن طريق الوحى وما كنت تعرف القراءة والكتابة حتى ترمى بأنك اطلعت على تاريخ هؤلاء أو ما كتبت عنهم أممهم من الكتب وما كنت كذلك على معرفة سابقة بأخبار تلك الأمم مع أنبيائهم حتى تقصها على قومك . لم يكن هذا أو ذاك ولكنها الرسالة التى وافاك بها ربك . وفى قران ربك اليك اخبار بأحوال الأمم من

للدكتور محمد محمد خليفه

قبلكم وذلك يعد من معجزات القران الذى انزله عليك ربك بالحق .

وقال تعالى : « أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » البقرة ٢٥٩

قدم فى الاية السابقة قصة الذى حاج ابراهيم فى ربه ثم عطف عليها قصة الذى مر على القرية الخاوية على عروشها وكان المار كافرا بالبعث يدل على ذلك تعجبه الذى حكاه القران : انى يحيى هذه الله بعد موتها . ومعنى ذلك استبعاد احياء هذه القرية بعد تهدمها . ور. ان المار : هو عزيز . وقيل الخضر قال. قتادة والربيع والضحاك .

وقد أراد الله ان يريه كيف يحيى الموتى ليزداد يقينا كما طلب ابراهيم فى الاية التى بعد هذه : رب أرنى كيف تحيى الموتى لا ليطمئن قلبه . أما القرية . فقد قيل : انها بيت المقدس بعد تخريب بختنصر لها . وقيل هى التى خرج منها الالوف التى قصها القران فى قوله : « الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ألخ » (وهى خاوية على عروشها اى ساقطة على سقوفها اى سقطت العروش ثم الحيطان أو المعنى أنها تهدمت وقوله تعالى : « أنى يحيى هذه الله بعد موتها » يراد به استبعاد عمارتها بالبناء والسكان (بعد موتها) فهو يستبعد وقوع الاحياء بعد الاماتة .

وقد أراه الله الدليل فى نفسه (فأماته الله وامكثه فى الموت (مائة عام) وقد روى أنه ربط حماره وطاف بالقرية الخاوية فلم يجد أحدا فقال ما قال : « انى يحيى هذه الله » ؟ ثم جمع من فاكهة القرية ما جمع وأكل وترك بقية طعامه الى جانبه فأماته الله مائة عام . وكان شابا . وصرف الله عنه عيون الناس فلم يره أحد . ثم بعثه الله بعد مائة سنة وهو على هيئته يوم موته . وهذا سر التعبير بقوله (ثم بعثه) قال كم لبثت ؟ وقد أجمعوا على أن الله هو القائل لأن الخطاب اقترن بما كان معجزا وذلك قوله تعالى : « فانظر الى طعامك » وانظر الى حمارك . وقد سأله الله : كم لبثت ؟ فاجاب : لبثت يوما أو بعض يوم ورد الله عليه قوله : « بل لبثت مائة عام » ثم وجهه الى النظر فى الطعام والشراب وهو لم يتغير . ثم وجهه الى النظر الى حماره وقد تفرقت أجزاؤه ليقدم له بذلك الدليل على طول المكث وأن الله فعل به ما فعل من الاماتة والاحياء ليجعله اية للناس تحمل

الدليل على البعث ثم وجهه الى النظر فى العظام كيف ننشزها وتركب بعضها فوق بعض ثم نكسوها لحما فلما تبين له ماتبين من قدرة الله على البعث (قال أعلم أن الله على كل شىء قدير

والمراد بالاية هنا : المعجزة الخارقة والدليل الذى لا ينكر على حقيقة البعث .

وقال تعالى : « أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » البقرة ٢٦٦

هذا مثل يصور الله به حال من يتبع الانفاق بالمن والاذى .

والهمزة فى قوله تعالى : « ايود » للاستفهام الانكارى وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يريد بها وجه الله بل يتبع عمله وانفاقه بالمن والاذى لمن يعطى . فاذا جاء يوم القيامة لم يجد غير الحسرة والندامة . وهو يشبه فى هذه الصورة صورة رجل كانت له جنة من اعظم الجنات فيها النخيل والاعناب وغيرهما من كل الثمرات وبين تلك الجنات تجرى الانهار فترويها وتزيد من اعطائها . ثم واتته الشيخوخة وهو احوج ما يكون الى الانتفاع بتلك الجنات وما تعطيه فى شيخوخته حين عجز عن الكسب . وله الى جانب ذلك ذرية ضعفاء عاجزون عن الكسب وهم احوج ما يكونون فى طفولتهم الى الانتفاع بثمر الجنات . ثم شاء الله ان ينزل بتلك الجنات اعصار فيه نار فاتى على الجنة وعلى امال الرجل وامال بنيه . وهكذا تكون صورة المنفق الذى اضاع جزاء انفاقه ـ وهو أحوج ما يكون الى ذلك الجزاء ـ بالمن والاذى وكان المن والاذى كان الاعصار الذى حمل النار فاحرق الثمار والامال ولم يخلف غير الندم حيث لا ينفع الندم وكما بين الله لكم اياته ودلائله وعظاته للترغيب والترهيب يبين لكم اياته ودلائل قدرته لعلكم تتفكرون فى كل شئونكم الدنيوية والأخروية ليقودكم تفكيركم الى ما فيه خير الدنيا والاخرة لكم وتقديم ما يرضى الله من العمل ومن الانفاق الخالص لوجهه بحيث لا يشوب الانفاق شىء من المن والاذى .

وبهذه الصورة المحسوسة ضرب الله المثل ليقدم الصورة المفزعة امام عيون من يعملون ثم يضيعون على انفسهم جزاء اعمالهم .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ » آل عمران ٤

بعد ان بين الله فى الايات السابقة من اول ال عمران ما يتعلق بمعرفة الاله وتقرير النبوة اتبع ذلك بزجر المعرضين عن تلك الدلائل العظيمة وبين ما ينتظرهم من العقاب على كفرهم بايات الله ودلالة الدالة عليه وعلى قدرته فاوضح ان عقابهم سيكون شديدا ثم ذيل الاية ببيان عزته وانه ذو انتقام شديد لمن اعرض عن الايمان باياته فالذين كفروا بالايات الناطقة بالحق

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ

صدق الله العظيم

ولا سيما التوحيد فكذبوا بالقران وبما جاء به وبالكتب الالهية الناطقة بتوحيده وتنزيهه لهم العذاب الشديد الذى لا يقدر قدره بسبب كفرهم وان الله لا يغلبه غالب ، وهو منتقم له سطوته وجبروته واختلف فى المراد بالكافرين فى الاية الى قولين :

الاول : انها نزلت فى اليهود وهو قول مقاتل .

الثانى : ان من اول سورة ال عمران الى اية المباهلة ، نزلت فى النصارى وهو قول محمد بن اسحاق . وقد انزل الله تلك الايات على اثر قدوم وفد نجران من النصارى على الرسول عليه الصلاة والسلام وما دار بينه وبينهم من حوار ذكره بعض المفسرين عند تفسيرهم لاول سورة ال عمران وذكروا ان سبب نزول الايات هو قدوم وفد نجران وما دار من الجدل بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حول خلق عيسى وغيره من المسائل التى اثارها ذلك الوفد .

وقال تعالى : « هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ » آل عمران ٧

قسمت الاية ايات القران المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم الى قسمين : محكم ومتشابه .

فالمحكمات من الايات هى قطعية الدلالة على المعنى المراد محفوظة من الاحتمال والاشتباه وهذه الايات المحكمات هى ام الكتاب واصله .

والمتشابهات : هى المحتملة لمعان لا يمتاز بعضها عن بعض . ولا يتضح الأمر فيها الا بالنظر الدقيق والتامل ولما كان من شأن الامور المتشابهة أن يعجز عن التمييز بينها سمى كل ما لا يهتدى اليه العقل متشابها وقد ورد فى القران ما يدل على انه محكم كله كقوله تعالى : « كتاب أحكمت اياته » ومعنى الاحكام هنا ، انها حفظت من الخلل او من النسخ أو ايدت بالبراهين الدالة على حقيقتها ، أو جعلت حكيمة لانطوائها على الحكم البالغة كما ورد ما يدل على انه متشابه كله كقوله تعالى : « كتابا متشابها مثانى » ومعنى ذلك التشابه هنا ان أجزاءه يشبه بعضها بعض فى صحة المعنى وجزالة اللفظ وعظم المدلول .

والاية التى معنا تشير الى ان بعض ايات الكتاب محكم وبعضه متشابه . وقد بينا الكلام على القسمين فى اول الشرح .

وقال تعالى : « كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ » آل عمران ١١

اما أن يكون التقدير : « دأب هؤلاء

مع آيات الله

في كتاب الله

الكفرة كدأب آل فرعون والذين من قبلهم أو لن تغنى عنهم أموالهم مثل ما لم تغن آل فرعون والذين من قبلهم أموالهم.

ومعنى الدأب: الكدح والتعب وغلب استعماله فى الشأن والحال.

وعلى التقدير الأول يكون المعنى: أن دأب هؤلاء الكفرة وحالهم فى الكفر وعدم النجاة من عذاب الله كدأب آل فرعون ومن قبل آل فرعون من الأمم السابقة. ثم ساق التفسير لهذا الدأب والحال بقوله تعالى: «كذبوا باياتنا» فعاقبهم الله على ذلك التكذيب بأن أخذهم بسبب ذنوبهم أو أخذهم متلبسين بذنوبهم ثم ذيل الاية بأنه شديد العقاب. وهذا التذييل مقرر لمضمون الجملة التى قبل ذلك من حيث الأخذ.

والمراد بالايات فى قوله تعالى: كذبوا باياتنا: المعجزات. واذا كذبوا بالمعجزات فقد كذبوا الأنبياء الذين أيدوا بتلك المعجزات.

ومفهوم الاية تنبيه الكفار وهم يعرفون ما حل بفرعون وغيره ممن سبقوا لنتيجة تكذيبهم رسل الله وأنبيائه وكذبوا بالمعجزات. والخليق بالكفار بعد أن عرفوا ذلك الا يكون شأنهم كشأن آل فرعون من حيث التكذيب فينزل بهم عذاب الله ويأخذهم بذنوبهم وهو شديد العقاب للمكذبين باياته ورسله. وفى ذلك من التهديد ما فيه بعد أن شاهدوا استئصال من قبلهم وقد عبر بالأخذ لان من ينزل به العقاب يصير كالاسير المأخوذ حيث لا فكاك له من العذاب الذى قدر له.

وعلى التقدير الثانى: لن تغنى عنهم أموالهم مثل أنه لم تغن آل فرعون ومن قبله أموالهم حين كذبوا بايات الله فأخذهم الله بذنوبهم ولم تغن عنهم أموالهم من الله شيئا.

وقال تعالى: «قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ» آل عمران ١٣

لقد ذكر الله فى الاية السابقة على هذه ان الكفار سيغلبون ويحشرون الى جهنم وقد نزلت فى شأن اليهود حين دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فتمردوا وقالوا: لسنا كقريش فى الضعف وقلة المعرفة بضروب القتال. وانما معنا القوة والمعرفة فقيل لهم: وان كنتم أقوياء وأصحاب عدد. ولكنكم ستغلبون. ثم ساق هذه الاية كدليل وهى قوله تعالى: «قد كان لكم اية فى فئتين» أى لقد وجدت الاية والمعجزة فى مجموعتين (التقتا) ويشير بذلك الى وقعة بدر حيث كانت الكثرة والعدة فى جانب الكفار. وقلة العَدَدِ وَالْعُدَد كانت فى جانب المسلمين. ومع ذلك نصر الله المسلمين فليس النصر بالكثرة والسلاح ولكنه بتاييد الله وقد كان المشركون يرون المسلمين مثلى عدد المشركين وفى تلك الرؤية على هذه الصورة اية. وقد أمدهم الله بخمسة الاف من الملائكة وفى ذلك اية. وفى كل ذلك دليل على أنه صلى الله عليه سيهزم اليهود كما هزم من قبل كفار مكة والفئة التى قاتلت فى سبيل الله هم المسلمون. والأخرى الكافرة هم مشركو مكة.

وقد ذكرت كتب السيرة ان عدد المشركين كان تسع مائة وخمسين رجلا حملوا على سبعمائة بعير ومعهم مائة فرس وكانوا كاملى العدة والدروع أما المسلمون فكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا يتعاقب كل أربعة منهم على بعير ومعهم ستة دروع وفرسان . وكانت غلبة القلة المسلمة على الكثرة المسلحة الكافرة معجزة وكان اخبار النبى بنصر المسلمين قبل بدء المعركة وبيان مصارع المشركين اية ثانية وامداد المسلمين بالملائكة اية ثالثة ورؤية الكفار للمسلمين أنهم كمثليهم اية رابعة وكلل الله المعركة بنصر القلة المؤمنة « والله يؤيد بنصره من يشاء » « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » آل عمران ٢١

ذكر الله فى الايات السابقة أن أهل الكتاب قد أصروا على الكفر على الرغم مما جاءهم من الايات ثم قال الله لرسوله : « فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله » الى قوله « فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ » ثم قدم فى هذه الاية صفات المتولين المعرضين من الاسرائيليين وعقب على ذلك ببيان جزائهم :

الصفة الأولى : أنهم يكفرون بايات الله . ويراد بالايات هنا : القرآن ومحمد . ويعنى بالكافرين بالايات : المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ممن أنكروا القرآن وانكروا ما فى كتابهم من نعت الرسول الخاتم فكأنهم انكروا النبى ومعجزته .

الصفة الثانية : أنهم يقتلون النبيين بغير حق : ويعنى : الاسرائيليين السابقين الذين قتلوا الكثير من انبيائهم ومن بينهم يحيى ابن زكريا وقد زعموا أنهم قتلوا عيسى ابن مريم « وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه » وأى جريمة أشد من قتل أنبياء الله .

الصفة الثالثة : أنهم يقتلون الذين يامرون بالقسط وقد قيل : أنهم قتلوا ثلاثة واربعين نبيا فقام لهم مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر وقتل أولئك الأنبياء فقتلوا اولئك العباد جميعا .

والاية تدل على أن الامر بالمعروف الناهى عن المنكر منزلته تلى منزلة الانبياء وقد قال عليه الصلاة والسلام : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر » (١)

أولئك الذين اتسموا بتلك الصفات او بعضها بشرهم بعذاب أليم فى الاخرة حيث حبطت اعمال من كفروا بايات الله ومن قتلوا الانبياء والدعاة الى الخير الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وليس لهؤلاء وهؤلاء ناصر من عذاب الله الذى وعدهم به .

وقال تعالى فى قصة زكريا عليه السلام : حين بشره بالولد :

« قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا » آل عمران ٤١ .

لقد بشر الله زكريا عليه السلام بوليد بعد ان بلغ من الكبر عتيا . ولشدة سروره بتلك البشرى سأل ربه أن يجعل له اية وعلامة

(١) الترمذى فتن ١٣ ، النسائى بيعة ٣٧ ، ابن ماجه فتن ٢٠

على تحقيق هذه البشرى فاوحى الله اليه : آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا : وقد حبس لسانه ثلاثة أيام فلم يستطع الكلام أو التخاطب الا عن طريق الرمز والاشارة وقيل حبس لسانه عن أمور الدنيا . أما التسبيح وذكر الله فكان لسانه منطلقا فيه . وأخبر أنه متى حصل ذلك الصمت حصل الولد . وجاءه الولد فكان معجزة فى هذه الشيخوخة ويراد بالاية هنا : العلامة وكان عدم القدرة على الكلام العلامة وخلص لسانه لشيء واحد هو ذكر الله .

وقال تعالى فى شان عيسى عليه السلام : « وَرَسُولاً إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ » آل عمران ٤٩ ، ٥٠

قوله « ورسولا » منصوب بفعل مضمر تقديره ويجعله رسولا ليعطف الفعل على قوله فى الاية السابقة : ويعلمه الكتاب والحكمة : وقيل : أول أنبياء بنى اسرائيل يوسف واخرهم عيسى . وقيل : أولهم موسى وآخرهم عيسى . وقوله : وأنى قد جئتكم معمول لرسول لانه يدل على معنى النطق أى رسولا ناطقا بانى قد جئتكم باية من ربكم . والمراد بالاية هنا : المعجزة أى جنس المعجزة . لانه عدد بعد ذلك أنواعا من الايات هى خمس معجزات :

الاولى : أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله . ومعنى أخلق : أصور واقدر وأسوى وتلك هى مهمة عيسى بالاضافة الى مهمة أخرى وهى النفخ فى ذلك الذى صوره وسواه . أما خالق الحياة فى ذلك الطير فهو الله وحده ولكنه اظهر المعجزة على يد عيسى وليس عيسى خالق الحياة ولذلك قال : باذن الله للاشارة الى أن الخلق كان باذن الله وأمره : كن فكان الثانية والثالثة : : وأبرىء الأكمه والابرص . : والاكمه : الذى ولد اعمى أو الممسوح العين . والبرص : البياض الذى يظهر فى الأطراف ويسميه الناس : الوضح . وهذان المرضان عجز عن ابراء أصحابهما الأطباء المعاصرون لعيسى فكان من المعجزات التى أيد الله بها عيسى قدرته على إبراء المرضى من هذين المرضين بالدعاء لهم .

الرابعة : وأحيى الموتى باذن الله : وقوله : باذن الله ليدفع توهم اللاهوتية فيه . وقد أحيا عازر وكان صديقا له كما قام بإحياء غيره . وقد اتهموه بانه يحيى من كان قريب عهد بالحياة وأنهم ربما يكونون أصيبوا بسكتة ثم يتقظوا ولكنه أحيا بإذن الله ميتا قديما .

الخامسة : الإخبار بالغيب فى قوله تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى

قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا

صدق الله العظيم

بيوتكم » واراد بذلك ما غاب عنه من أحوالهم التى لم يشكوا فيها فراح يخبرهم بما أكلوا وما ادخروا فى بيوتهم من الطعام والمتاع .

وفى ذلك كله اية وعلامة واضحة على صدق رسالته ان كانوا مؤمنين أو يتأتى منهم الايمان على صحة رسالته بعد تلك الايات وبعد ان بين ما بين أعلن انه رسول من عند الله وبين رسالته وما ارسل به فيما يأتى :

أولا : انه مصدق لما بين يديه من التوراة : فعيسى مصدق لموسى ومصدق بالتوراة . وكانه بعث ليقرر ما جاء فى التوراة ويبعد عنها تحريف الجاهلين والمنتفعين .

ثانيا : انه يحل لبنى اسرائيل بعض ما كان محرما عليهم ، وقد كان الأحبار قد وضعوا شرائع من أنفسهم ونسبوها الى موسى فابطلها عيسى ليعيد الشريعة الى ما كانت عليه مما جاء به موسى بالاضافة الى ان الله قد عاقب اليهود على بعض ما صدر منهم وذلك ماحكاه القرآن فى قوله تعالى .

« فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » فحرم الله على اليهود فى زمن موسى الشحوم ولحوم الابل والسمك وكل ذى ظفر . وقد أحل لهم عيسى بعض ذلك قيل : أحل لهم بعض السمك والطيور . ثم بين عيسى أنه جاءهم باية من ربهم . وقد يراد بالاية جنسها أى المعجزات التى تقدمت او المراد : الاية الدالة على صحة نبوته (فاتقوا الله) فى عدم قبولها (وأطيعون) فيما امركم به وما أنهاكم عنه .

وقيل : الاية التى جاءهم بها قوله تعالى : « ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » .

وقد يكون الاية : تكرير لما سبق : أى جئتكم باية بعد اية فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات : من الكلام فى المهد وخلق الطير وإبراء الاكمه والابرص وإحياء الموتى بإذن الله وإنبائكم بما غيب من الاخبار مما تاكلون وتدخرون فى بيوتكم .

يتبع

د . محمد محمد خليفة

■ بيعة
الرضوان

دراسات في الحديث

■ النقد الحديث
في صحيح البخاري

■ الحج
في الإسلام

بيعة الرضوان المباركة

سبب في الفتح المبين

للدكتور محمد محمود شعبان

عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة . والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا نحن وركابنا » رواه البخارى ..

الحديبية بئر سمى المكان بها ، وقيل شجرة حدباء صغرت سمى المكان بها .

وقال الطبرى : الحديبية قرية قريبة من مكة .. وهى تسمى الآن الشميسى يحرم على غير المسلمين الدخول اليها ، بينها وبين مكة مايقرب من عشرين كيلومترا ..

والبيعة : العقد والميثاق ..

والرضوان : الرضا والقبول ..

والشفير : الحافة ..

اصدرتنا : أى أرجعتنا وقد روينا .. ركابنا : أى ماتركبه من ابل وخيل ..

لقد استبشر المسلمون وفرحوا عندما سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يخبرهم بانه رأى في منامه أنه هو وأصحابه دخلوا المسجد الحرام امنين ، خصوصا وقد تاقت نفوسهم الى وطنهم الاول مكة أم القرى ، ومشاهدة البيت العتيق والطواف حوله ، والجلوس في الأماكن التى ولدوا فيها والتربة التى نشأوا عليها ، وهى أحب بلاد الله الى الله والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فاستعد جمع كبير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عددهم ألفا

<

بيعة الرضوان المباركة

وأربعمائة للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في أول ذى القعدة من سنة ست للهجرة ، فعن المسور بن مخرمة رضى الله عنه قال : « لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره ، وأحرم منها بعمرة ، وبعث عينا له من خزاعة وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير الاشطاط أتاه عينه ، قال : ان قريشا جمعوا لك جموعا ، وقد جمعوا لك الاحابيس وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك . فقال : أشيروا أيها الناس على ؟ أترون أن أميل الى عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت . فان يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين ، والا تركناهم محروبين . قال : ابوبكر : يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لاتريد قتل أحد ولاحرب أحد فتوجه له : فمن صدنا عنه قاتلناه . قال : امضوا على اسم الله ».

فسار بهم صلى الله عليه وسلم حتى وصلوا الى الحديبية فبركت الناقة ، فقال بعضهم ، انها خلات : اى حرنت ، فقال صلى الله عليه وسلم : والله ماخلات ولكن حبسها حابس الفيل .

وكانت قريش قد سمعت بمسيره عليه السلام الى مكة فتاهبوا للذود عنها وصده عن دخولها وفي أثناء ذلك جاءه رجال من مكة يسألون عن سبب قدومه فكان يخبرهم بأنه ماجاء الا زائرا لهذا البيت ومعظما له فلم يرض هذا قريشا فارسل اليهم عثمان ابن عفان ليبلغ قريشا ماجاء لاجله فاحتبست قريش عثمان وقد قال بعض المسلمين : ان عثمان قد طاف بالبيت ولكن الرسول عليه السلام قال لهم : ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون ، ثم شاع بين المسلمين بأن عثمان قد قتل عندئذ صمم الرسول صلى الله عليه وسلم على الحرب فبايعه أصحابه تحت الشجرة بيعة الرضوان على الا يفروا ، او على الموت . فعن يزيد بن ابى عبيد قال : قلت لسلمة بن الأكوع : على اى شىء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ؟ قال : على الموت ».

وروى عن جابر رضى الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لانفر !!

وكان أول من بايع أبوسنان الأسدي ، واول من نكث عن البيعة الجد بن قيس وكان منافقا ، وكان معقل بن يسار اخذا بغصن الشجرة يرفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن عفان ، وانكشف الامر بعد ذلك بان عثمان لم يقتل عندما حضر الى الحديبية ».

وفي هذا الوقت الشديد بشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : انتم خير أهل الارض ، فعن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : أنتم خير اهل الأرض ، وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة ».

واخبر الله تعالى عنهم بأنهم ببيعتهم هذه انما يبايعون الله لان بيعة رسوله بيعة له ، وتفضل عليهم بالرضا والسكينة والفتح

المبين فقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ» (١) الاية وقال تعالى «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» (٢). وهو فتح خيبر او فتح مكة او فتح بلاد المشرق والمغرب وانتصار الاسلام واقبال الوفود الى المدينة للدخول في الاسلام..

كما أن الله تعالى من عليهم بالرى بعد العطش والظمأ الشديد كما قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم؟ قالوا: يارسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولانشرب الاماني ركوتك قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قال: فشربنا وتوضأنا فقلت لجابر كم كنتم يومئذ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا. كنا خمس عشرة مائة.

ولما رأت قريش تصميم رسول الله صلى الله عليه وسلم على دخول مكة أرسلت اليه رسلا وكان اخرهم سهيل بن عمرو ليصالحه على أن يرجع عامه هذا لئلا يقال دخل قريش عنوة. وتم بينه وبين سهيل بن عمرو الصلح على الشروط الاتية منها

١ ـ وضع الحرب بين الفريقين عشر سنين.

٢ ـ أن المسلمين يرجعون هذا العام ولهم في العام القادم أن يدخلوها ويقيموا بها ثلاثة ايام فقط وسلاحهم يكون في قرابهم. وأن تخليها لهم قريش هذه المدة.

٣ ـ من أتى محمدا من قريش مسلما رده اليهم. ومن أتى قريشا من المسلمين لايردونه اليهم..

٤ ـ من دخل في عقد محمد دخل فيه ومن دخل في عقد قريش دخل فيه.

وكتب على رضى الله عنه كتاب الصلح بعد مناقشة طويلة جرت في أمر الكتاب. ولما انتهى الصلح على هذا الوجه ظهر على المسلمين كآبة وغم لما رأوه من رجوعهم دون أن يطوفوا بالبيت وقد كانوا لايشكون في ذلك ولايتسرب اليهم الشك في صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم..

ولما رأوه من هذه الشروط التى ظنوا انها لاتليق بالمسلمين حتى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال لأبى بكر رضى الله عنه: أليس هذا نبى الله حقا. قال: بلى. قال ألسنا على الحق وعدو على الباطل؟ قال: بلى. قال: فلم نعطى الدنية في ديننا اذن؟ قال أبوبكر: أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره فوالله انه على الحق. قال عمر: أليس كان يحدثنا انا سنطوف بالبيت قال: بلى. أفأخبرك أنك تأتيه هذا العام؟ قال: لا.. قال أبوبكر فانك آتيه ومطوف به. ولقد صدق الله تعالى رسوله عليه السلام بقوله: «لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا» (٣)..

---

(١) سورة الفتح اية رقم ١٠
(٢) سورة الفتح اية رقم ١٨
(٣) سورة الفتح اية رقم ٢٧

بيعة الرضوان المباركة

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب قال لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » قال مروان بن الحكم : فوالله ماقام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد اشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة رضى الله عنها فقالت : هلك المسلمون وأمرتهم فلم يفعلوا فقالت : يارسول الله اخرج فانحر واحلق أمامهم فخرج ففعل فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما :

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وبينما هم في الطريق اليها أنزل الله تعالى سورة الفتح بأسرها وسميت هذه البيعة ببيعة الرضوان والفتح المبين . كما قال البراء في هذا الحديث وكما روى البخارى عن عمر رضى الله عنه . قال : انه كان يسير مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : ثكلتك امك ياعمر نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لايجيبك قال عمر : فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فى قران فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بى فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قران وجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد أنزلت على الليلة سورة لهى أحب الى مما طلعت عليه الشمس مثلها . ثم قرأ : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » ..

وبذلك أمن الرسول عليه السلام والمسلمون شر قريش وحلفائهم وتفرغ لمكاتبة الملوك والرؤساء . وأمن الناس في حلهم وترحالهم وتمكن من كان يخشى الدخول في الاسلام والوصول الى المدينة من الوصول الى غرضه كما حدث لخالد بن الوليد . وعمرو بن العاص وغيرهما .

ودخل في هاتين السنتين بين الحديبية وفتح مكة مثل ماكان دخل في الاسلام قبل ذلك أو أكثر لأنه دخل مكة فاتحا وفتح مكة مثل ماكان دخل في الاسلام قبل ذلك او اكثر لأنه دخل مكة فاتحا ومعه عشرة الاف بعد ان كانوا في الحديبية الفا وأربعمائة وصدق البراء رضى الله عنه في قوله : تعدون أنتم فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية

وقد تضمنت هذه الهدنة المباركة حكما عظيمة وأحكاما جليلة وعظات بالغة تهدى المسلمين الى الطريق المستقيم وتنير قلوب المتقين فمن هذه الحكم والاحكام :

١ ـ أن رؤيا الانبياء حق لابد من تحققها لأنها عن طريق الوحى ..

٢ ـ أن للنبى صلى الله عليه وسلم معجزات حسية كثيرة شاهدها أصحابه ورأوها رأى العين ..

٣ ـ ثقة الرسول عليه السلام بربه ثقة لاحدود لها ..

٤ ـ ايمان أبى بكر رضى الله عنه هو الايمان الراسخ الذى لاتزحزحه النوائب ولاتنقصه الشدائد بل تزيده ايمانا على ايمانه وتصديقا على تصديقه بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥ ـ أن العمر التى اعتمرها النبى صلى الله عليه وسلم كانت في ذى القعدة فى كل

مرة كما ورد في صحيح البخارى .

٦ ـ ان الاحرام من الميقات بالحج او العمرة افضل ..

٧ ـ يسن سوق الهدى في العمرة المفردة .

٨ ـ اشعار الهدى سنة وليس بمثله منهى عنها ..

٩ ـ ان الحلق في العمرة او الحج افضل . وان الحلق نسك في العمرة كما في الحج . وانه نسك في عمرة المحصور .. وان المحصر ينحر هديه حيث احصر من الحل والحرم ..

١٠ ـ ان المحصر لايجب عليه القضاء لانه صلى الله عليه وسلم امرهم بالحلق والنحر ولم يامر احدا بالقضاء بدليل ان العمرة في العام القادم لم تكن واجبة ولاقضاء عن عمرة الاحصار لانهم كانوا في عمرة القضية اقل من عمرة الاحصار .

١١ ـ مشاورة الامام للرعية والجيش استخراجا لوجه الراى واستطابة للنفوس وتعرفا للمصلحة التى يعلمها البعض دون البعض .

١٢ ـ رد الكلام الباطل ببيان الحقيقة والصواب .

١٣ ـ جواز الحلف على الخبر الدينى الذى يريد تاكيده وقد حفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم الحلف في اكثر من ثمانين موضعا .

١٤ ـ جواز التفاؤل وانه ليس من الطيرة المكروهة لقوله عليه السلام لما جاء سهيل ابن عمرو « سهل امركم » .

١٥ ـ جواز ابتداء الامام بطلب الصلح مع العدو اذا رأى المصلحة للمسلمين فيه .

١٦ ـ جواز قيام الحرس على رأس الامام للحفظ عند قدوم رسل العدو .

١٧ ـ جواز مصالحة المشركين ببعض مافيه ضيم على المسلمين للمصلحة الراجحة ودفع ماهو شر فيه .

١٨ ـ جواز الصلح مع الكفار على رد من جاء منهم الى المسلمين وان لايرد من ذهب اليهم من المسلمين وهذا في غير النساء ..

١٩ ـ اظهار فضل من بايع تحت الشجرة بانهم افضل الخلق ..

٢٠ ـ اخذ العهود والمواثيق على فعل الامور الجليلة والوفاء بها .

٢١ ـ نقض العهد مع الامام يسبب لعنة الله اذا لم يكن في معصية .

٢٢ ـ وجوب اقتداء الرعية بالامام في فعل الاحكام الشرعية ..

٢٣ ـ طهارة فضل وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الصحابة كانوا يشربونه ويتدلكون به .

٢٤ ـ بيان منزلة المبايعين تحت الشجرة عند الله تعالى في الدنيا والاخرة ..

٢٥ ـ الصدق في النيات يسبب النصر المبين لقوله تعالى : « فعلم مافي قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا » .

فاللهم بصرنا بامور ديننا وثبت الايمان في قلوبنا وادبنا بادب القران وخلقنا باخلاق النبى الكريم . امين .

د . محمد محمود شعبان
المدير العام للتعليم الثانوى

النقد الحديث في صحيح البخاري

لقد كانت الحرب الصليبيّة الأوربيّة في بلاد الشام نابعة بدافعين أساسيين

الدافع الاول : العصبيّة العمياء من رجال الكنيسة معرضين على تخليص مهد المسيح من أيدى المسلمين مقترين بالتّشويش على عقائد الاسلام ومقاييسه .

الدافع الثانى : وهو استغلال ثروات المسلمين ، وكانت النتيجة أن هزمت الجيوش الصليبية ، واخفقت عسكريا فرأوا أن يتجهوا الى دراسة عقائد المسلمين لغزوهم ثقافيا وألّفت الجمعيات المسيحيّة واليهودية لهذا الغرض ، وهؤلاء هم المبشرون من رجال الدين الذين عنوا بدراستهم لأصول الاسلام وقواعده ، لِيُبَلْبِلوا هذه الثقافة الحيوية الاسلامية ، وكان منهم من يتسم في الظاهر بإنصاف الاسلام والاشادة به ، لا لشيء الا ليطمئن الباحث الى أفكاره ، ثم يأتى بجزئية صغيرة في حروفها ، خطرة في سمومها بالنسبة الى الاسلام وأصوله ، وسواء أكان ذلك عن جهل بطبيعة الاسلام أم عن سوء النية ، فقد كان خطرا على قواعد الاسلام ، والتهوين من شأن مصادره الصافية ، ورجاله المعنيين به ، وكان لهم

مدرسة فتن بها بعض الباحثين الاسلاميين الذين يطربون لكل جديد شعورا ساذجا منهم الى ان ذلك يعلى قدرهم عن صفوف رجال الدين ، وكان من أشد هؤلاء المستشرقين خطرا المستشرق اليهودى المجرى (١) جولد تسيهر ، وحسبك ان ترى افتراء هذا المستشرق في ارائه .

في كتابه « مذاهب التفسير الاسلامى » ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار وفي كتابه « العقيدة والشريعة في الاسلام » الذى ترجمه الاساتذة الدكتور : محمد يوسف موسى ، والدكتور على حسن عبد القادر ، والاستاذ عبد العزيز عبد الحق ، وكان من قواعد هذا المستشرق ما هو هدم لكيان السُّنّة بصفة عامة .

مثال ذلك دعواه ان الحديث نتيجة لتطور المسلمين ، يقول « جلد تسيهر » ان القسم الاكبر من الحديث ، ليس الا نتيجة للتطور الدينى والسياسة والاجتماع للاسلام في القرنين الاول والثانى . وهذه دعوة خطيرة للغاية ، ومنهارة امام المقاييس الثابتة من الكتاب والسنة فمن اواخر ما نزل على النبى (صلى الله عليه وسلم) (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا) ولم يتوف الرسول الا وقد اكمل الشرائع ، وترك فينا سبيل الهداية ممثلا في الكتاب والسنة (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما .. كتاب الله وسنتى) .

---

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع الاسلامى للسباعى .

للدكتور الحسينى هاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

وأما من السنة فقد روى البخارى . قال الرسول « صلى الله عليه وسلم »: « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » والعناية بالسنة ، ووضع المقاييس الثابتة لحفظها ، والمنهج المستقيم الذى لم يتوفر لأى ثقافة كان شغل المسلمين يتلقاها خير خلف عن خير سلف الى أن اوصلوها الينا صحيحة ثابتة ، كما قالها الرسول . ويعلم ذلك من درس منهجهم القويم في كتب المصطلح وما كان هجوم « ابو ريه » وأمثاله من التشكيك بالسنة الا ترديدا لقضايا هذا المستشرق وامثاله (جبرنجر) دوائر المعارف الاسلامية البريطانية وما ماثلهم .

آراء المستشرقين

وقد وضع (جولد تسيهر) ايضا قاعدة خطيرة رددها من بعده ، المفتونون بكل جديد ، المغرورون بعقولهم ، أو تبريزهم في ميادين أخرى غير ميدان الحديث . وهذه القاعدة هى (أن الاعتراف بصحة الحديث امر شكلى . قال « جولد تسيهر » : « وقد شعر المسلمون في القرن الثاني بأن الاعتراف بصحة الأحاديث يجب أن يرجع الى آ الشكلى فقط لانه يوجد بين الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الاحاديث الموضوعة وساعدهم على هذا ما ورد من الحديث(سيكثر التحديث عنى ، فمن حدثكم بحديث ، فَطَبِّقُوه على كتاب الله ، فما وافق فهو منى قلته ، أو لم أقله هذا هو المبدأ الذى حدث بعد قليل عند انتشار الوضع .

الرد على المستشرقين

وقد رد الدكتور السباعى في كتابه « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامى » على هذه الفرية فقال :

(افترى المستشرقون هنا على علماء الاسلام في موضوعين :

ـ الاول ـ زعمه بأن الاعتراف لصحة الحديث شكلى فقط ، وأنه يوجد بين الاحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث الموضوعة . وهذا افتراء منه عليهم ، وهم لم يقولوا بذلك قطعا ، وكيف يقرون بان هنالك كثيرا من الاحاديث الموضوعة هى جيدة الاسناد ؟ وانما الذى قاله العلماء حين بحثوا مسألة العمل بخبر الواحد ، هل يفيد القطع او الظن ؟ فذهب بعضهم الى أنه يفيد القطع ، وذهب الجمهور الى أن يفيد الظن لأنه وان

النقد الحديث

في صحيح البخاري



كان صحيحا بحسب الشروط والقواعد العامة الا انه يحتمل الا يكون صحيحا » في الواقع » وهذا منهم مجردا احتمال عقلى دعاهم اليه الاحتياط في دين الله . والتثبُّت في الأحكام فاين هذا مما ينقله عنهم ؟ هذا المستشرق ؟

٢ ـ الثانى ـ زعمه أن المبدأ الذى حدث بعد قليل هو حديث (سيكثر التحديث عنى ....) الخ وهذا افتراء محض اذ أن هذا الحديث ، نقده الائمة ، وحكموا بوضعه كما قال الشافعى وابن حزم ويحيى بن معين وعبد الرحمن بن مهدى فكيف يكون هذا الحديث الذى حكموا بوضعه هو القاعدة التى ساروا عليها . والمبدأ الذى قالوا به ؟

وهذا شان المستشرقين واتباعهم ، يشككون في الادلة الصحيحة .

ومن الغريب أنهم يتشبثون لتقويض الصحيح بكل ضعيف وأى مكذوب . فيأخذونه قاعدة مسلمة وهم بذلك يناقضون انفسهم ، اذ الوضع لوصح في الحديث الصحيح كما يدعون على مذهبهم لالزمهم مذهبهم بالوضع من باب اولى فيما يستدلون به من الضعيف الواهى ، او على الأقل يتطرق الاحتمال اليه . فلا يستدل به . وكأنهم ما علموا ان الاعتناء بالسند انما هو من اجل العناية بالمتن . وأن المحدثين يقولون « السند للخبر كالنسب للمرء . يقول محمد بن سيرين عن ذلك :

لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة . قالوا : سموا لنا رجالكم . فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم » وهم الذين لا يكذبون ، واصحاب المقاييس الصحيحة وينظر الى أهل البدع » « فمن يظن فيهم الكذب أو الضعف » فلا يؤخذ حديثهم (١)

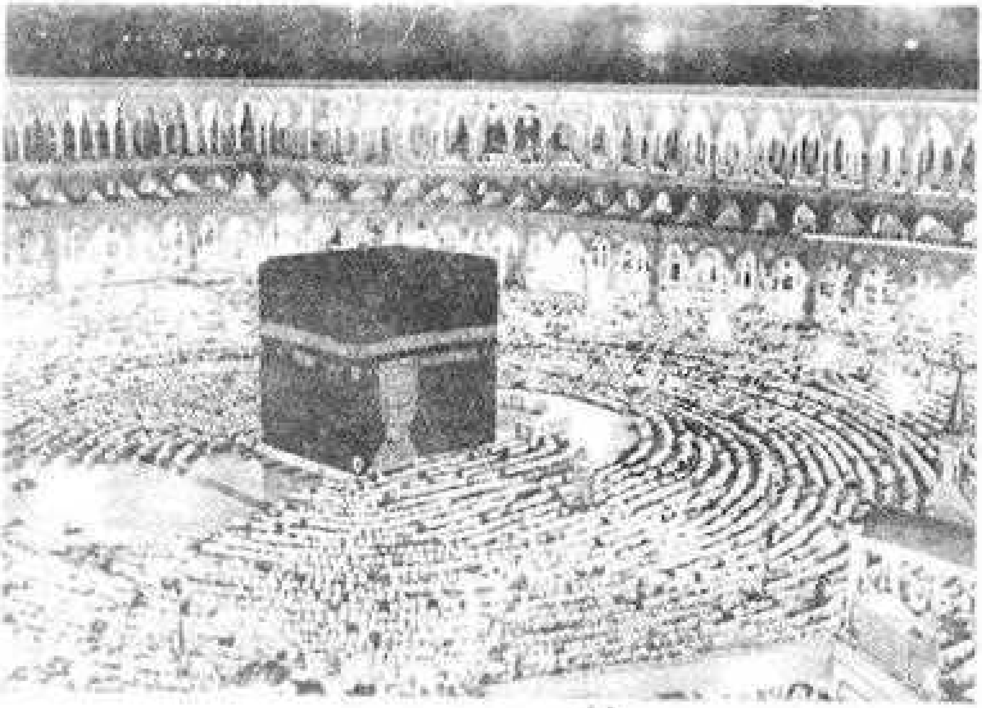
وقال سفيان : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » (٢) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ٨٨

(٢) الكامل لابن عدى ج ٢ ص ٩

د . الحسينى هاشم



الحج في الإسلام

للشيخ محمد صابر البرديسي

عن أبي هريرة قال : خَطَبَنَا رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : (أيُّها النَّاسُ قد فرضَ اللهُ عليكم الحجَّ فَحُجُّوا . فقال رجلٌ : أكُلَّ عامٍ يارسولَ الله . فسكت ، حَتَّى قالها ثلاثاً . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لَوْ قُلْتُ نَعَم ، لَوَجَبَتْ ، وَلَمَا استَطَعْتُم . ثُمَّ قال : ذَرُونِي مَاتَرَكْتُكُمْ . فإنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قبلكم بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِم ، واختلافهم على أَنْبِيَائِهِم . فإذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا منه مَا استَطَعْتُم ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَن شَيْءٍ فَدَعُوهُ) رواه مسلم

الحج

فى الإسلام

أولا ـ اللغة : ١ ـ الحج = معناه لغة القصد - وشرعا = قصد بيت الله الحرام لاداء النسك .

٢ ـ لوجبت = أى لأصبح ذلك واجبا وفرضا .

٣ ـ ذرونى = اتركونى

٤ ـ فدعوه = أى فاتركوه .

ثانيا : مايشتمل عليه الحديث :

١ ـ تعريف بالحج . ٢ ـ الحج المبرور . ٣ ـ الحج فى العمر مرة للمستطيع ٤ ـ وقت الحج ٥ ـ هل الحج واجب على الفور أو على التراخى . ٦ ـ فى الحج تتجلى وحدة المسلمين ٧ ـ واجب المسلم اذا أمره المشرع بامر فانه يأت بالمستطاع منه . واذا نهاه عن امر فليتركه .

البيان

١ ـ تعريف الحج : ـ الحج هو القصد بيت الله الحرام للزيارة والنسك على وجه التعظيم بأفعال مخصوصة . فى أشهر معلومة . هى شوال . وذو القعدة الى انقضاء أعماله من ذى الحجة استجابة لأمر الله تعالى . وابتغاء مرضاته . وطمعا فى مغفرته . وحسن مثوبته .

٢ ـ الحج المبرور : ـ الحج عبادة تنتظم من الانسان قلبه وبدنه وماله . وتعود عليه بخيرى الدنيا والاخرة . قال تعالى : **(وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ)** (١)

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الحج المبرور . ليس له جزاء الا الجنة . قيل : ومابِرُّه ؟ قال : إطعام الطعام . وطيب الكلام (٢) .

الحج المبرور جزاؤه الجنة . والجنة مافيها من نعيم مقيم ومقام كريم هى أمل الطائعين . وجزاء المتقين . المهاجرين الى ربهم . الحاجين بيت الله الحرام . وَبِرُّ حجهم أن تصفو نفوسهم . وتخشع قلوبهم فتكون ينابيع بِرّ وخير . يطعمون الطعام . وينفقون فى سبيل الله . مما اتاهم الله على الفقراء والمساكين مواساة لهم ورحمة بهم . وتآلفا وتعاونا على الخير . والبر . والاحسان دَلِيلٌ على صدق الايمان » .

ومن بِرّ حَجِّهم « طِيبُ الْكَلَام » .

وطيب الكلام كلمة جامعة تشمل كل كلام مقبول عند الله . من علم نافع يدعو اليه الحاج العالم . يوجه الناس ويفقههم فى دينهم ويشرح لهم مناسكهم . وَمِنْ نُصْح للمسلمين لتجميع كلمتهم . وتوحيد صفوفهم . والسلام على من نعرف ومن لانعرف . وهداية الحجيج التائهين . والسائلين الى مقاصدهم بالرفق واللين والأسلوب الحسن . فاذا ساد الكلم الطيب حجاج بيت الله الوافدين على البلد الحرام . وشملهم البيان الواضح والمشاركة بالرأى فيما يَجِدُّ لهم من قضايا . واجتمعت قلوبهم على محبة الله فان مقاصدهم تتحقق . ويعيشون أيام حجهم فى سعادة . ويجتمعون

---

(١) سورة الحج ـ اية ٢٧ ، ٢٨

(٢) رواه احمد وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح الاسناد

على الكلم الطيب ويذهبون مع الأمل الباسم ، ويرجعون مع الرضى السعيد ، يلبون الله ويسألونه فيجيب دعواتهم ، ويحقق امالهم ، انهم دعاة الله وجنوده وهم في ضيافته وضيافة بيته ، فاستحقوا التكريم والأجر العظيم .

٢ ـ الحج في العمر مرة للمستطيع ، والحج فريضة في العمر مرة عندما تتوافر الاستطاعة من الصحة ، وامكان السفر ، وأمن الطريق . قال تعالى : (**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**) (١).

وقد تقررت هذه الفريضة بهذا النص القاطع الذى يجعل لله حق حج البيت على الناس من استطاع منهم اليه سبيلا .

وسبب الحج هو قصد بيت الله الحرام ، وقد أضيف الى البيت في قوله تعالى « حج البيت » ولهذا لايجب في العمر الا مرة واحدة لعدم تكرار السبب ، الا اذا نذر المرء فيجب عليه الوفاء بما نذره ، ومازاد فهو تطوع .

والحديث الذى معنا يقول فيه الأقرع بن حابس لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « أفى كل عام يارسول الله ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم ، لوجبت ولما استطعتم » .

وروى الدارقطنى عن انس بن مالك (رضى الله عنه قال : « قالوا : يارسول الله الحج كل عام ؟ قال : لا بل حجة ، قيل : فما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة » .

٤ ـ وقت الحج : ووقت الحج يكون في شوال وذى القعدة وعشر من ذى الحجة استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته . فمن فرض الحج فعليه ان يلتزم بادابه ، فلا رفث ولافسوق ولاجدال فى الحج .

قال تعالى : « **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** » (٢) .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » . (٣) .

وظاهر الاية ان للحج وقتا معلوما وان وقته الأشهر المعلومات التى أوضحناها ، وعلى هذا فلايصح الاحرام بالحج الا في هذه الأشهر المعلومات ، فمن فرض الحج في هذه الاشهر المعلومات أى أوجب على نفسه التامه بالاحرام فلارفث ولافسوق ولاجدال في الحج ، والرفث : ذكر الجماع ودواعيه ، والجدال : المناقشة الحادة والمشادة حتى يُغضِبَ الرجلُ صاحبَه ، والفسوق : إتيان المعاصى كَبُرت أم صَغُرت والنهى عنها ينتهى الى ترك كل ماينافى التجرد لله ، والارتفاع عن دواعى الخبيث ، وفي ذلك رياضة روحية وتعلق بالله دون سواه ، والتادب في بيت الله الحرام .

٥ ـ هل الحج واجب على الفور او على التراخى : القادر على الحج والمستطيع لادائه قال بعض العلماء ـ ومنهم أبو حنيفة والمالكية وبعض أصحاب الشافعى يجب عليه الحج فورا بلاتراخ ويأثم لتأخيره لحديث عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم قال : (من أراد الحج فَلْيَتَعَجَّل . فانه يَمْرَضُ الْمَرِيضُ ، وتَضِلُّ الراحلةُ وتَكُونُ الحَاجَةُ) (٤) .

---

(١) سورة ال عمران اية ٩٧

(٢) سورة البقرة اية ١٩٧

(٣) رواه البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . ثم ذكر الحديث .

(٤) رواه ابن ماجه وأحمد والبيهقى

الحج في الإسلام

وعن ابن عباس « رضى الله عنهما » ان النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : تعجلوا الى الحج « يعنى الفريضة » فان أحدكم لايدرى مايعرض له » . « أى مايحدث له من مرض أو حَاجَة » (١) .

وقال بعض العلماء منهم الشافعى والثورى وبعض المالكية انه يجب على التراخى وعليه فيؤدى في اى وقت من العمر ، ولايأثم من وجب عليه تأخيره متى أداه قبل مماته ، وان كان يستحب تعجيله ، والمبادرة اليه متى توفرت لدى الانسان القدرة والاستطاعة لادائه ، عملا بقوله تعالى : (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) (٢) وقد ثبت أن النبى (صلى الله عليه وسلم) لم يحج سوى حجة واحدة هى (حجة الوداع) وكانت في السنة العاشرة من الهجرة ، وكان معه أزواجه (صلى الله عليه وسلم) وكثير من أصحابه ، مع أن الحج فرض سنة ست أو تسع ولان العلماء أجمعوا على عدم تفسيق القادر على الحج اذا أخره ، وأنه متى حج بعد مضى أعوام من وقت استطاعته ، فقد سقط عنه الفرض وأدى الحج الواجب عليه في حينه .

٦ ـ في الحج تتجلى وحدة المسلمين : الامة الاسلامية أمة واحدة قال تعالى : (إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (٣) وتتجلى وحدة المسلمين في كثير من عباداتهم ومن مظاهر هذه الوحدة المباركة ، مؤتمرهم الاكبر « الحج » فهم في وحدة المكان يجتمعون بعرفة من كل جنس ولون يتعارفون ويتشاورون ويتعاونون ووحدة في الزمان الذى تؤدى فيه الفريضة (الحج أشهر معلومات) ووحدة في أقوالهم في التلبية والتكبير والذكر ، ووحدة في العمل المفروض في مناسك الحج وواجباته وأركانه وسننه ومستحباته ووحدة في مظهرهم ولباسهم الواجب على كل الحجاج والعمار وهو لباس الاحرام .

فالحج يجمع المسلمين في اسمى رابطة هى رابطة الدين ، فتوحد بين صفوفهم وتجعلهم قوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

واجب المسلم ان يمتثل لامر الله .

واجب المسلم ان يستجيب لامر الله اذا دعاه وان يبتعد عما نهاه وان يطيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة لله .. (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (٤) واذا امرنا الله او رسوله بامر فانا نأتى منه مانستطيعه ، وقدر طاقتنا ، وهذا معنى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الحديث .. (فاذا امرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم) .

وهذا الحكم الذى ورد في الحديث من قواعد الاسلام المهمة ، ومن جوامع الكلم التى اعطيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويدخل فيها مالايحصى من الاحكام ، ولناخذ لذلك مثلا (الصلاة) بانواعها ، فاذا عجز المرء عن بعض اركانها او بعض شروطها اتى بالباقى قدر استطاعته ولم يأمر الله سبحانه الا بالمستطاع ، قال تعالى : (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (٥) وقال

---

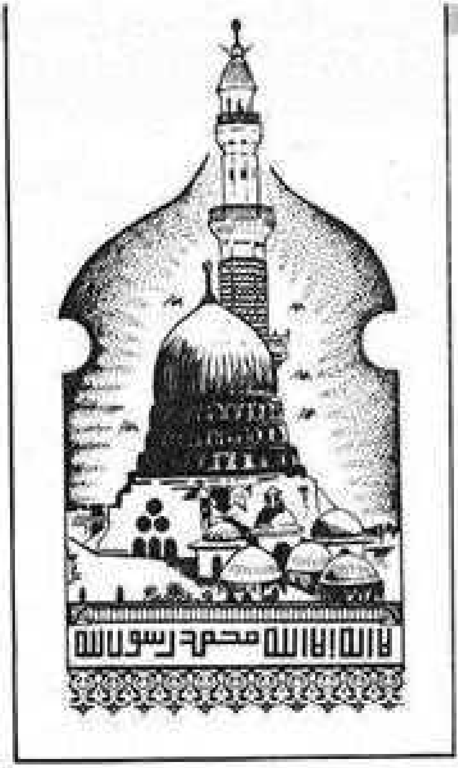
(١) رواه أحمد والبيهقى والأصبهانى

(٢) المائدة ٤٨

(٣) سورة الانبياء آية ٩٢

(٤) النساء ـ ٨٠

(٥) سورة البقرة ـ آية ٢٨٦



تعالى : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (١) .

وفي قوله (صلى الله عليه وسلم) : (ذروني ماتركتكم) دليل على أن الأصل عدم الوجوب وأنه لاحكم قبل ورود الشرع) .

وفي قوله (صلى الله عليه وسلم) : (واذا نهيتكم عن شيء فدعوه) صريح في أن تجتنب مانهى عنه ، وواجبنا أن نستجيب لأمر الله ورسوله ونهيهما ، لأن في ذلك حياة لنفوسنا وتهذيبا لأرواحنا وسعادة لنا في الدارين قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (٢) .

فاذا ما اضطر المرء لفعل المنهي، وارتكاب المحظور لعذر قهري ، وضرورة لامفر منها ، ووجد عذر يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة أو اكراه على تناول محرم ونحو ذلك فذلك ليس منهيا عنه في هذه الأحوال ..

وبعد ـ فالحج من أفضل الأعمال وهو طريق الى الخير في الدنيا ، والى الجنة في الآخرة ، والحاج في تلبيته ودعائه وتجرده من الزينة وأداء نسكه وخضوعه ، يكون قد عاهد الله على ان يكون برا تقيا مخلصا ، صادقا في شعوره القوى الذى صاحبه في حجه ، وعلى أن يستمر ويبقى معه هذا الشعور طيلة حياته ، شاكرا لانعم الله حامدا الله على ماهداه ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

محمد صابر البرديسى

(١) سورة الحج ـ آية ٧٨

(٢) سورة الأنفال آية ٢٤

قادة النبي
صلى الله عليه وسلم

أثر الإسلام
في الأولين

في السيرة النبوية والقضاء

من المواقف الخالدة
لرجال القضاء

قادة النبي

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

ـ ابن أبى حَدْرَدٌ الأسلمى رضى الله عنه ..

هو عبد الله بن أبى حدرد وابوه هو سلامة بن عمير بن سلامه من قبيلة أسلم

أسلم وله صحبة وأول مشاهده الحديبية وخيبر .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية الى بطن إِضَمٍ(١) فى نفر من المسلمين منهم ابو قَتَادةَ الحارث بن رِبْعىّ ومُحَلِّم بن جَثّامة بن قيس . وبينما هم فى بطن وادى اضم مر عليهم عامر بن الاضبط الأشجعى . وألقى عليهم السلام فأمسكوا عنه(٢) ولكن مُحَلّم ابن جَثّامة رماه فقتله . لشىء كان بينهما فى الجاهلية واستولى على متاعه . فنزل فى محلم قول الله سبحانه وتعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا »(٣)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم لمُحَلِّم : « أَمَّنْتَه بالله ثم قتلته .. اللهم لا تغفر لمحلم ابن جثامة » ومات محلم بعدها بسبعة أيام ودفن ولكن الأرض لفظته مرتين رضموا(٤) عليه الحجارة حتى وَارَوْهُ .

وطلب ابن أبى حدرد رضى الله عنه مساعدة الرسول صلى الله عليه وسلم فى صَدَاقِهِ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « والله ما عندى ما أعينك به »

وما ان أفاء الله سبحانه على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أعان ابن أبى حدرد بثلاثة عشر بعيرا فى صداقه ـ رضى الله عنه ويجمع رفاعة بن قيس من بنى

١ ـ واد من أودية قبيلة أشجع وهى من غطفان

٢ ـ لم يهاجموه

٣ ـ النساء / ٩٤

٤ : ألقوا

جُشَم لحرب الرسول صلى الله عليه وسلم . وينزل رفاعة بجمعه الكثيف الغابة[1] فيرسل الرسول صلى الله عليه وسلم ابن ابى حدرد الى رفاعة ويكمن الصحابى وليس معه غير اثنين صاحبين . حتى اذا تمكن من رفاعة ابن قيس رماه بسهم وقطع رأسه وكَبَّر وصاحباه وهاجم الصحابة الثلاثة ـ فقط ـ ذلك الجمع الكثيف الذى جاء يريد بالاسلام شرا . ففر المعتدون بنسائهم وأبنائهم وما خف من أموالهم واستولى ابن ابى حدرد على غنيمة هائلة من الابل والغنم جاء بها أصحابها معتدين ثم فروا عنها منخذلين ..

ـ عمرو بن العاص رضى الله عنه :

هو عمرو بن العاص بن وائل قرشى من بنى سهم . داهية من دهاة العرب . وفصيح من فصحائهم وشجاع من شجعانهم .

كان رسول قريش الى النجاشى ليسترد مهاجرى الحبشة ـ انتقاما من المسلمين . ولكن النجاشى لم يسلمه المهاجرين . ويقال ان النجاشى قال له : « ياعمرو . وكيف يَعْزُب عنك أمر ابن عمك . فوالله انه لرسول الله حقا ..

ويقال انه أسلم عند النجاشى وهاجر الى النبى صلى الله عليه وسلم . والأرجح أن اسلامه كان فى صفر سنة ٨ هـ قبل الفتح بستة أشهر . ذهب الى المدينة هو وخالد بن الوليد رضى الله عنهما وقال الرسول صلى الله عليه وسلم عندما رآهما قادمين : لقد رمتكم مكة بفلذات أكبادها . وتقدم عمرو بعد خالد رضى الله عنهما فأسلم وبايع على أن يُغْفَر له ما كان قبل الاسلام . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : الاسلام يجُب[2] ما قبله . أو كما قال ـ عليه الصلاة والسلام

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم أميرا على سرية الى أخوال ابيه الى قضاعة[3] يستميلهم الى الاسلام ويستنفرهم الى الجهاد . وكان أصحابه ثلاثمائة ; وعندما وصل الى ماء يقال له السلاسل[4] فى ارض جذام[5] خاف وطلب المدد من الرسول صلى الله عليه وسلم فأمده بجيش يقوده أبو عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه . وفى الجيش أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى عبيدة رضى الله عنه : لا تختلفا فقال عمرو ـ لأبى عبيدة رضى الله عنهما : « أنت مدد لى فانا الأمير » ولان أبو عبيده فصلى عمرو بالناس .

وارسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية الى هذيل[6] فكسر صنمهما سواع ..

واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على عمان فظل عليها حتى توفى عليه الصلاة والسلام .

وفى زمن أبى بكر اشترك فى حروب الردة . وتولى قيادة أحد جيوش الشام . واشترك فى فتحها . وفتح وحده مصر والنوبة وبرقة . وأنشأ مدينة الفسطاط وجامعه بها مشهور حتى الآن فى مصر القديمة . واستمر أميرا على مصر طوال

---

(١) قرب المدينة

٢ ـ يقطع ويمحو

٣ ـ قبيلة عربية تسكن شمال المدينة

٤ ـ سرية ذات السلاسل .

٥ ـ قبيلة عربية

٦ ـ قبيلة عربية

خلافة عمر رضى الله عنه . وبعض خلافة عثمان رضى الله عنه . وبعض خلافة معاوية رضى الله عنه

٢٨ ـ الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه ..

هو الطفيل بن عمرو بن طريف ـ أزدى دوسى ـ ويلقب « ذا النور » كان شريفا شاعرا لبيبا مقدما فى قومه .

أسلم والاسلام فى مدارجه الأولى ما زال غريبا فى مكة . قدم مكة فقابلته رجالات قريش يخوفونه من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذى فرق بينهم ويحدثونه ان كلامه كالسحر . فقرر الطفيل الا يسمع لمحمد حتى انه وضع قطنا فى أذنيه فلا يستمع (سحر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى زعمهم .

ويغدو الطفيل الى الكعبة . وشاء الله سبحانه وتعالى أن يستمع للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فيشعر بأن محمدا عليه الصلاة والسلام ليس بساحر . وان قوله ما هو بقول بشر . فيتبعه حتى يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم بيته . ويدخل عليه . ويطلب منه ان يعرض عليه الاسلام ثم شهد شهادة الحق .

ويقول رضى الله عنه للرسول صلى الله عليه وسلم « انى امرؤ مطاع فى دوس وسارجع ادعوهم الى الاسلام . فادعو الله أن يجعل لى اية تكون لى عونا عليهم فيما ادعوهم اليه » .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (اللهم اجعل له اية) .

وعاد الطفيل رضى الله عنه الى قومه . ولما اقترب من ديار قومه جعل الله له نورا بين عينيه مثل المصباح فقال الطفيل رضى الله عنه « اللهم فى غير وجهى » فكان النور[1] فى طرف سوطه كالقنديل المعلق .

وأخذ يدعو دوسا الى الاسلام فأبطأوا عليه فطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يدعو على قومه . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا لهم (اللهم اهد دوسا . ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم) .

وفى عام خيبر لحق الطفيل رضى الله عنه بالرسول صلى الله عليه وسلم ومعه من أسلم من قومه فأعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم من غنائم خيبر .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية الى صنم ذى الكفين[2] فاحرق الصنم الذى كان من خشب وهو يقول

يا ذا الكفين لستُ من عِبَادِكا
ميلادُنا أقدم من ميلادكا
إنى حشوت النار فى فؤادك

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . اشترك الطفيل رضى الله عنه مع المسلمين فى حروب المرتدين واستشهد رضى الله عنه فى اليمامة فى قتال مسيلمة الكذاب .

٢٩ ـ قطبة بن عامر رضى الله عنه

هو قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو ابن غنم بن سواد . خزرجى من بنى سلمة . من اوائل اهل المدينة اسلاما . فهو أحد الستة الذين هداهم الله الى الاسلام حضر بيعة العقبة الأولى والثانية وحضر المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بدرى . وفى أحد جرح تسع جراحات .

---

[1] ـ وكان هذا سبب لقبه (ذا النور)

[2] ـ صنم فى طريق الطائف

وفى فتح مكة كانت معه راية بنى سلمة
أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية ليهدم صنما قرب تربة بجوار مكة.
وكان قطبة رضى الله عنه فى عشرين من أصحابه ونصرهم الله. وحطموا صنم تربة وقتلوا واسروا وغنموا وعادوا الى المدينة.
توفى قطبة فى خلافة عثمان رضى الله عنهما.

٣٠ ــ الضحاك بن سفيان الكلابى

هو الضحاك بن سفيان بن عوف عامرى كلابى يكنى أبا سعيد أسلم وكانت له صحبة. وكان ينزل بادية المدينة. وجعله الرسول صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه. كتب له الرسول صلى الله عليه وسلم ان يُوَرِّث امرأةَ أشيم الضبابى من دية زوجها الذى قتل خطأ وأخذ عمر بن الخطاب بقول الضحاك فى هذا الأمر..

كان يقف على راس الرسول صلى الله عليه وسلم متوشحا سيفه حارسا له.

وكان من شجعان العرب. يعد وحده بمائة فارس. جعله الرسول صلى الله عليه وسلم اميرا على بنى سليم فى فتح مكة لانهم كانوا تسعمائة فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: هل لكم فى رجل يعدل مائة يوفيكم الفا. فوفاهم بالضحاك رضى الله عنه.

وذكره العباس بن مرداس السلمى فى شعره

ان الذين وفوا بما عاهدتهم
جيش بعثت عليهم الضحاكا

ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية الى بنى كلاب بالْقُرَطَاءِ فدعاهم الى الاسلام فلما ابوا قاتلهم وهزمهم وغنم منهم.

رحم الله ذلك الصحابى الذى يعدل مائة فارس.

٣١ ــ علقمة بن مُجَزِّز المدلجى رضى الله عنه

هو علقمة بن مجزز بن الاعور بن جعدة مدلجى كنانى. أسلم وحضر غزوة بنى قريظة. وقيل الخندق أيضا وما بعدهما فى سنة ٦ هـ أغار عيينة بن حصن الفزارى الغطفانى على المدينة وطارد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة المعتدين(١) وقتل فى الغزوة وقاص بن مجزز المدلجى رضى الله عنه.

فطلب علقمة بن مجزز رضى الله عنه من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يرسله فى سرية طلبا للقوم لعله أن يدرك ثأره

وخرج علقمة رضى الله عنه فى اصحابه مطاردا القوم ولكنه عاد ولم يلق كيدا

٣٢ ــ قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه

هو قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى الأنصارى من بنى ساعدة. كان من فضلاء الصحابة وأحد كرماء العرب ودهاتهم; ومن ذوى الراى الصائب والمكيدة فى الحرب مع النجدة والشجاعة. وكان ــ رضى الله عنه ــ الى ذلك جميلا.

دفعه ابوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ليخدمه وكان بمنزلة قائد الشرطة للرسول صلى الله عليه وسلم.

وفى غزوة فتح مكة كان هو صاحب راية الانصار وراية الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) غزوة ذى قرد

خرج وهو شاب فى سرية كان فيها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . وكانت السرية فى جهد وقلة مال وطعام . فاستدان قيس رضى الله عنه على تمر أبيه وأطعم الناس اكثر من مرة . حتى خاف أبو بكر وعمر رضى الله عنهما على مال سعد بن عبادة أن يهلكه قيس رضى الله عنه . ولكن عند عودة السرية الى المدينة اقر سعد بن عبادة رضى الله عنه فعل ابنه ومنحه بستانا يتصرف فيه ويدفع من تمره ما عليه من دين .

ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم قيسا فى سرية عددها اربعمائة الى قبيلة صُداء فى اليمن ولكن زياد بن حارث الصدائى قدم المدينة والتزم امام الرسول صلى الله عليه وسلم بالاتيان بقومه فأتى بهم بعد خمسة عشر يوما واسلموا على يدى الرسول صلى الله عليه وسلم فمنع القوم من المسير اليهم .

تولى قيس رضى الله عنه امرة مصر لعلى ـ كرم الله وجهه ـ وشهد معه حروبه . وقال قيس رضى الله عنه أيام الفتنة : لولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المكر والخديعة فى النار » لكنت من امكر هذه الأمة .

سعد بن زيد الأشهلى الأنصارى رضى الله عنه .

هو سعد بن زيد بن مالك بن عبد الأنصارى الأوسى الأشهلى شهد بدرا ـ على الأرجح ـ وشهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد غزوة بنى قريظة بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم بسبايا من قريظة الى نجد فابتاع لهم بها



خيلا وسلاحا(1)

ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية من عشرين فارسا لهدم الصنم(2) الذى كان للأوس والخزرج بالمُشَلَّل شمال المدينة . فخرجت سادنته سوداء ثائرة الرأس عريانة . تدعو بالويل والثبور وتضرب صدرها تخوف من يقترب من معبودها فقتلها سعد رضى الله عنه وهدم الصنم واستولى على ما كان له من أموال . وتخلصت الأرض من أصنام كانت تعبد فيها

---

١ ـ و وكان هذا بداية اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بسلاح الفرسان لما له من اهمية .
٢ ـ قيل مناة وقيل منار .

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الفيط

من المواقف الخالدة

لرجال القضاء في دولة الاسلام

الاسلام هو الدين العام على وجه الأرض جمع بين الدين والدنيا لذلك اهتم بجميع النواحي البشرية والانسانية ومنها القضاء ووضع له الأساس السليم الذي يحقق الخير والنفع ويضمن سلامة الحقوق وهو العدل فقال الله سبحانه وتعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ) سورة النساء ٥٨ ..

كما وضع أساس المساواة بين الناس فهم جميعا أمام الله سواء وفي هذا يقول سبحانه وتعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) سورة الحجرات ١٣ ..

ولقد كان لسيرة أئمة الاسلام أثره الكبير في استقامة ولاية القضاء حتى استقر في نظام دولة الاسلام أن القاضي مستقل في قضائه ليس لأحد عليه من سبيل وهو مايعبر عنه في زماننا المعاصر باستقلال القضاء أو السلطة القضائية ..

ولقد كان قضاء النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لصيانة الحقوق والتسوية بين الخصوم والحرص على اقامة الحدود بين الناس مهما كانت منزلتهم في الهيئة الاجتماعية (١)

فعن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقالوا ومن يجترىء عليه الا أسامة ابن زيد رضي الله عنهما حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة رضي الله عنه فقال : « أتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟ » ثم خطب فاختطب ، ثم قال : « انما أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم

---

(١) كتاب « القضاء في الاسلام تاريخه ونظامه » تأليف الأستاذ / ابراهيم نجيب محمد عوض من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ..

الضعيف اقاموا عليه الحد . وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها (١) » .

ومما لاجدال فيه ان القضاء كان ولايزال وسيظل مقياسا للشعوب في تقدمها ورقيها او تاخرها وانحطاطها فعدل القاضي يؤمن المجتمع كما يؤمن الفرد الى التفرغ لعمله امنا على ماله وعرضه ودمه لاينال من ذلك كله الا بحقه .

عزة الدولة في عزة قضاتها :

والدولة الاسلامية منذ نشأتها ومع اختلاف عصورها انما عزت بعدل قضاتها وسمو قضائها وسنسوق على ذلك من الامثلة على ماقام به أولئك الاعلام فيما يصدرون من احكام لايبغون الا وجه الله عز وجل ، مهما كان من وراء ذلك من تبعات وأثقال ، حيث اجبروا الولاة والحكام مع ماهم عليه من جبروت على النزول على تصرفات قضاتهم والخضوع لاحكامهم ..

أولا : موقف محمد بن عمران الطلحي في خلافة أبي جعفر المنصور العباسي :

قال نمير المدني : قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد ابن عمران الطلحي في منصب القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجمالين واستعدوه على امير المؤمنين المنصور في شيء ذكروه فامرني ان اكتب كتابا الى المنصور بالحضور معهم او انصافهم فقلت له : تعفيني من ذلك فانه يعرف خطي .

فقال : اكتب فكتبت وختم الكتاب ثم قال : والله مايمضي به غيرك فمضيت به الى الربيع حاجب الخليفة وجعلت اعتذر اليه فقال : لاباس عليك ودخل بالكتاب على الخليفة ثم خرج الربيع ــ وقد حضر وجوه أهل المدينة وأشرافها وغيرهم لتحيته والسلام عليه ..

فقال : لهم الربيع ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : (أني قد دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولايبدأني بالسلام) .

قال : ثم خرج وبين يديه المسيب والربيع وانا خلفه وهو في ازار ورداء فسلم على الناس فما قام اليه أحد ثم مضى حتى بدأ بقبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ثم التفت فلما رآه ابن عمران الطلحي القاضي أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتبى به ودعا بالخصوم والجمالين ثم دعا بالمنصور فادعى عليه القوم وقضى لهم ثم انصرف فلما عاد المنصور الى داره قال للربيع اذهب فاذا قام القاضي من مجلسه فادعه فلما دعاه ودخل على المنصور وسلم عليه فرد عليه

---

(١) اخرجه الخمسة وهكذا ورد بكتاب « تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم » تأليف المحدث عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الربيع الشيباني الزبيدي الشافعي ، الجزء الاول .

السلام قال له : « جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء قد أمرت لك بعشرة الاف ، صلة لك فاقبضها فكانت عامة أموال محمد بن عمران الطلحي القاضي من تلك الصلة ».

ويعلق نمير المدنى على موقف القاضي المذكور بقوله « فما ابرك سلوك السنن القويم واتباع الصراط المستقيم » (١) .

ثانيا : شجاعة شريك بن عبد الله قاضي الكوفة :

روى عمر بن هياج بن سعيد قال اتت امراة يوما شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم فقالت انا بالله ثم بالقاضي . قال : من ظلمك قالت الأمير موسى بن عيسى بن عم امير المؤمنين .

ثم حكت قضيتها للقاضي فقالت : « كان لى بستان على شاطىء الفرات فيه نخل ورثته عن أبي وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطا وجعلت فيه رجلا فارسيا يحفظ النخل ويقوم به فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع اخوتي وساومني ورغبني فلم أبعه فلما كان هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئا واختلط بنخل اخوتي .

فقال القاضي ياغلام أحضر رسالة ثم ختمها وقال : لها امضي الى بابه بالختم حتى يحضر معك فجاءت المرأة الشاكية بالرسالة المختومة فاخذها الحاجب ودخل على الامير موسى فقال : قد اعدى القاضي عليك وهذا ختمه فكلفه الامير باستدعاء صاحب الشرطة فلما حضر اليه امره بالرجوع الى شريك القاضي وان يقول له « ياسبحان الله مارايت اعجب من امرك امراة ادعت دعوى لم تصح اعديتها على ».

فقال : صاحب الشرطة : ان راى الامير ان يعفيني من ذلك فقال : امض ويلك فخرج صاحب الشرطة وفي طريقه الى شريك القاضي طلب من اهله وغلمانه ان يحملوا الى حبس القاضي بساطا وفراشا له وكل ماتدعو الحاجة اليه ..

ثم مضى الى شريك بن عبد الله القاضي فلما وقف بين يديه ادى رسالة الامير وعندئذ امر القاضي حاجب مجلس القضاء بان ياخذ بيده ويضعه في الحبس فقال : صاحب الشرطة : والله قد علمت انك تحبسني فقدمت ما أحتاج اليه في الحبس . وبلغ الأمير موسى بن عيسى الخبر فوجه حاجبه الى القاضي يقول له رسول الله أدى رسالة اي شيء عليه ؟ فلما وصل الى القاضي شريك امر بأن يذهبوا به الى رفيقه في الحبس فحبس ..

فلما صلى الأمير موسى العصر بعث الى اسحق بن الصباح الأشعثي والى جماعة من وجوه الكوفة من اصدقاء القاضي شريك وقال لهم : امضوا الى القاضي وأبلغوه السلام وأعلموه انه استخف بي وأني لست كالعامة فمضوا اليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر وأبلغوه الرسالة فلما انقضى كلامهم

(١) كتاب « العقد الفريد » للملك السعيد تأليف ابي سالم محمد بن طلحة القرشي الوزير .

قال لهم : مالى أراكم جئتمونى في عشرة من الناس فكلمتمونى ثم استدعى جماعة من فتيان الحى وأمرهم أن يأخذ كل واحد منهم بيد رجل من هؤلاء الأصدقاء ووجوه الكوفة فيذهب به الى الحبس وقال لهم ما أنتم الا فتنة وجزاؤكم الحبس فسألوه ان كان جادا في قراره فقال حقا حتى لاتعودوا برسالة ظالم فحبسهم ..

وعندئذ ركب الأمير موسى بن عيسى في الليل الى باب السجن وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان الغد وجلس شريك بن عبد الله للقضاء جاءه السجان فأخبره بما فعل الأمير فماذا عساه القاضى الحريص أن يفعل حفاظا لحرمة القضاء واحتراما لقدسية العدالة ؟

بعد دعا بقمطر القضايا فختمه ووجه به الى منزله وهناك كلف حاجب جلسة القضاء لينقله معه الى دار الخلافة في بغداد وأخذ يردد قوله : والله ماطلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا عليه ولقد ضمنوا لنا فيه الاعزاز اذ تقلدناه لهم ومضى نحو الكوفة في طريقه الى بغداد وبلغ الخبر الى الأمير موسى بن عيسى فركب في موكبه ولحقه وجعل يناشده الله ويقول : يا أبا عبد الله تثبت انظر اخوانك تحبسهم فرد عليه القاضى شريك : نعم لأنهم مشوا لك في أمر لم يجز لهم المشى فيه ولست ببارح أو يردوا جميعا الى الحبس والا مضيت الى أمير المؤمنين المهدى فاستعفيته . مما قلدنى فاضطر الأمير موسى بن عيسى أن يردهم جميعا الى الحبس وهو واقف والله مكانه حتى جاءه السجان فقال قد رجعوا جميعا الى الحبس فقال لأعوانه خذوا بلجام دابة الأمير بين يدى الى مجلس الحكم فمروا به بين يديه حتى أدخل المسجد (١) وجلس في مجلس القضاء فجاءت المرأة المتظلمة فقال القاضى شريك هنا خصمك قد حضر فطلب الأمير وهو مع المرأة بين يديه أن يخرج أعوانه المحبوسين فقال القاضى شريك أما الآن فنعم أخرجوهم من الحبس ثم التفت الى الأمير وقال ماتقول فيما تدعيه هذه المرأة ؟ فأجاب صدقت قال القاضى : ترد ما أخذت منها . وتبنى حائطها سريعا كما كان . قال الأمير : أفعل ذلك كله ..

ثم نظر القاضى الى المرأة المتظلمة وقال لها أبقى لك عليه دعوى قالت : بيت الرجل الفارسى ومتاعه . قال الأمير موسى بن عيسى : ويرد ذلك كله فسألها القاضى أيضا : أبقى عليه دعوى بعد ذلك . قالت المرأة : لا وبارك الله عليك وجزاك خيرا فأذن لها بالانصراف وقامت من مجلسه .

فلما فرغ القاضى من مجلس القضاء قام وأخذ بيد الأمير موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه وقال السلام عليك أيها الأمير أتأمر

---

(١) كان من ضمن وظائف المسجد في ذلك الزمان أن تعقد فيه مجالس القضاء .

من المواقف الخالدة لرجال القضاء

بشيء ؟ فقال : اى شيء امر فقال له شريك القاضى : ايها الامير ذاك الفعل حق الشرع وهذا القول الان حق الادب فقام الامير موسى وانصرف الى منزله وهو يقول من عظم أمر الله اذل الله له عظماء خلقه (١) :

ثالثا : عدل عبيد بن ظبيان قاضى الرشيد بالرقة :

روي الزبير بن بكار عن عمه مصعب قال كان بن ظبيان قاضى الرشيد بالرقة وكان الرشيد اذ ذاك بها فجاء رجل الى القاضى فاستعدى اليه على الامير عيسى ابن جعفر فكتب اليه القاضى ابن ظبيان اما بعد ابقى الله الامير وحفظه واتم نعمته اتانى رجل فذكر انه فلان بن فلان وان له على الامير خمسمائة الف درهم فان راى الامير ان يحضر مجلس الحكم او يوكل وكيلا يناظر خصمه او يرضيه فعل ودفع الكتاب الى حاجبه فاتى باب الامير ابن جعفر فدفع الكتاب الى حارسه فقال له : قل للقاضى : كل هذا الكتاب فرجع الحاجب الى القاضى فاخبره فكتب اليه : ابقاك الله وامتع بك حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر ان له عليك حق فسر معه الى مجلس الحكم او وكيلك ان شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عونين من اعوانه فحضر باب الامير عيسى ابن جعفر ودفعا الكتاب اليه فغضب ورمى به فانطلقا فاخبرا القاضى عبيد بن ظبيان فكتب اليه للمرة الثالثة : حفظك الله وامتع بك لابد ان تصير انت او وكيلك الى مجلس الحكم فان ابيت أنهيت امرك الى امير المؤمنين ان شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من اعوانه فقعدوا على باب الامير عيسى بن جعفر حتى طلع فقاما اليه ودفعا اليه كتاب القاضى فلم يقرأه ورمى به فعادا فابلغا قاضى الرقة بذلك ..

وعندئذ قام القاضى عبيد بن ظبيان فختم قمطر القضايا واغلق بابه وقعد فى بيته فبلغ الخبر الى الخليفة هارون الرشيد فدعاه وساله عن امره فطلب اعفاءه من القضاء وقال : يا امير المؤمنين اعفنى من هذه الولاية فوالله لا افلح قاض لايقيم الحق على القوى والضعيف فقال له الرشيد : من يمنعك من اقامة الحق . فقال : هذا عيسى بن جعفر فامر الخليفة بان تغلق ابوابه وتختم ولايخرج منها احد ولايدخل اليها احد حتى يخرج الى الرجل عن حقه او يسير معه الى مجلس الحكم ..

فلما اغلقت ابواب البيت على الامير عيسى بن جعفر توهم ان الخليفة حدث عنده راى في قتله وارتفع صراخ أهله داخل البيت ثم ارسل في طلب احد اعوانه ليأتيه

(١) كتاب « العقد الفريد » للملك السعيد تأليف ابى سالم محمد بن طلحة القرشى الوزير »

وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ

صدق الله العظيم

بسبب حصاره فاخبره بامر مقابلة القاضى عبيد بن ظبيان للخليفة وعندئذ أمر الأمير عيسى باحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فاحضرت ثم أرسلها الى الرجل الشاكى فلما قبضها وتحقق الخليفة من ذلك رفع عنه حصاره وأمر بفتح أبواب بيته وعرفه « ان القاضى من عمل حكمه فيك مارايت فاياك ومعصيته » ..

وبعـــد ..

فتلك كانت حال دولة الاسلام فى رعاية القضاء ورجاله وصيانة استقلاله فلما تولى أمورها نفر من الدخلاء والمرتزقة سلبوا قضاتها استقلالهم وأولوا قانونها حسب اهوائهم وشهواتهم فضعفت وذلت وتمكن منها أعداؤها حتى عاد اليها فى زماننا المعاصر استقلال بعض شعوبها فأخذ الأمل يراودنا بأن عصر النهضة الحديثة لأمة الاسلام قد بدأت تباشيره ولاحت أنواره ..

وبما اكد لنا قرب اشراقة هذا الامل وبزوغ فجر هذا اليوم ان القضاة المصريين ظلوا يرفعون رايات العدالة ويردون لضحايا الطغيان حقوقهم دون أن تلين لهم قناة أو تتزعزع لهم حصاة مع تحليهم بعفة النفس وتدرعهم بشعار النزاهة وتزينهم برداء الوقار رائدهم قول الله سبحانه وتعالى : (وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) سورة الشورى ١٥ ..

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

أثر الإسلام في الأولين

التحليل العلمي شيء والاحتيال الذهني شيء آخر، فالتحليل العلمي الصحيح يسير على نهج بيّن من الوضوح تخلص فيه المقدمات الى النتائج (وتسلم فيه الألف الى الباء الى التاء) حتى تنتهي السلسلة متسقة الحلقات منسجمة المظهر والمخبر. وأما الاحتيال الذهني فتلفيق تتكلف له العلل وتتمحل له الشواهد..

ويعتسف صاحبه اعتسافا يضرب بخطواته حتى ما يستقيم. وصاحب الاحتيال الذهني يستطيع أن يجادل في البديهيات بما يحتمل من شبه، وما يتكلف من تخريج، وقد يدل على البسطاء بغرابة منحاه، وقوة تخريجه ولكنه مكشوف الثوب عاري الحقيقة أمام من يعرفون الحق من الباطل ويميزون بين الخبيث والطيب.

لقد قدر للتاريخ العربي في هذا الزمن أن يكتبه غير أهله، بل قدر له أن يكتبه أشد الناس عداوة له وتجنيا عليه، ثم قدر لهؤلاء العداة أن يكون لهم نفوذ سياسي وأدبي يمكن لدراساتهم الملتوية من الذيوع، ويوجد لهم من التلاميذ والأتباع من يهيمون بحبهم في كل واد، فيجعلون

● كتاباتهم المشبوهة مثلا للدراسة الفاحصة والتمحيص المنصف والتأني البصير، حتى أن من لا يعرف غير العربية من هؤلاء المخدوعين، يتظاهر بالنقل عنهم فيما ترجم وعرّب، وله عند ذلك مباهاة مريضة يدفعها مركب النقص المتغلغل في أعماقهم منذ جهلوا تاريخهم الصحيح. أما الذين رزقوا نفاذ الرأي وخلوص النية وسلامة الاستشفاف فقد احتقروا كل مموّه كريه.

لقد كتب المغرضون عن مجتمع ما قبل الاسلام في الجاهلية، وعن أثر الاسلام في رقي هذا المجتمع بخاصة وفي رقي المجتمع الانساني بعامة، فدفعتهم أحقادهم المريضة الى الاعتساف الظالم، ولئن اختلفوا في توجيه الرأي وتعليل الدليل، لقد اجتمعوا على هدف واحد هو محاولة الحط من العروبة والاسلام معا، وسبيلهم في ذلك خاف الا على البصير. فأحدهم يتظاهر بتقدير الاسلام ليرمي العروبة بالافتراء والتجني، وأحدهم يتظاهر بتقدير العروبة ليجعل الاسلام ضئيل الأثر فيما أحدث من اصلاح وكلا الفريقين أثم بغيض، يعرف كلمة الحق صريحة سافرة في أعماقه، ولكنه يحاول اخفائها بأعظم ما يملك من أساليب الخداع. وقد كشفهم الله

للدكتور محمد رجب البيومي

حين قال في أمثالهم من السابقين: « وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ »(١).

يقول فريق هؤلاء: ان العرب في جاهليتهم رعاع أو شاب، يتقاتلون ويتناصرون، وقد ألفوا الفوضى في جهالتهم الأمية، وخشونتهم البدوية يخضع الرجل منهم لسيد القبيلة، فيسوق الجماعة سوقا الى الهجوم على القبائل واشاعة الذعر والاضطراب ليخرج بغنيمة لاتتجاوز عددا من الابل والغنم والسبايا من الفتيات، كأن الأسر لايلحق الا الاناث، فلما جاء الاسلام ورأى هذه الفوضى المنكرة جاء بتشريع صارم قاس لايصلح الا لهؤلاء البداة فشرع الرجم ليمنع الزنى المنتشر بين القبائل على وجه ضاعت فيه الأنساب، وأوجب قطع يد السارق ليقف أمام زعازع الفوضى القائمة فى النهب والاغتصاب، والسطو، فالاسلام في رأيه تشريع وقتى كان علاجا لواقع بدائى متقهقر.

وقد أدى دوره الطبيعى في زمنه وبيئته، فكان دورا اصلاحيا تقيد بزمان ومكان!.

ويقول فريق ثان من هؤلاء: ان الاصلاح الاجتماعى والدينى لا يظهر في أمة من الامم ولا يلوح في بيئة من البيئات الا اذا وجد المناخ الملائم للدعوة الاصلاحية وقد كان العرب على أبواب نهضة تقدمية اذ كانت مكة مركزا للاتصال التجارى بين الشرق والغرب وقد عرفت من أساليب الحضارة والتقدم، ووسائل الترف والنعيم ما هيأها لحركة اصلاحية مثمرة ووقف بها على طريق يرجى منه التقدم، وقد انتقلت الحبشة الى اليمن، وتمكن الروم من الشام والفرس من العراق، وامتدت الرحلات بين الجزيرة وما حولها حتى نشأت بمكة وهى قلب الجزيرة حينئذ يقظة تدعو الى الاصلاح وجاء محمد رسول الاسلام ليرى أسباب النصر مواتية فهتف بدعوته الاصلاحية في أمة تهيأت للاصلاح، وتم له النصر من أقرب طريق!.

وقبل أن نذكر على ما في هذين القولين من الانحراف نعلن انهما معا يتضاربان تضاربا يجعل أحدهما باطلا لا محالة، فقد اتجه الرأى الأول، الى ضعة العرب والتهوين من شأنهم، ولم يصل الى نتيجته اللئيمة وهى: « بدوية الشريعة الاسلامية » الا على أساس من ازدراء المجتمع العربى قبل الاسلام، على حين قد اتجه الرأى الثانى الى اعلاء شأن هذا المجتمع العربى، والاشادة ببوادر يقظته، والهتاف بانتفاعه بما حوله من الممالك والشعوب ليصل الى أن رسول الله مصلح اجتماعى رأى الطريق ممهدا لا صعوبة فيه فقام بدعوة اصلاحية لا تعتمد على تأييد سماوى من الله، فهو اذن مصلح لا رسول!

ساء ما يأفكون.

---

(١) النمل - ١٤

أثر الإسلام في الأولــــين

وأنا ـ والله ـ في كتابة هذا المقال أنشد الحق لوجه الحق دون اعتساف . وقد نظرت الى الفريق الاول . فوجدته يشتط كل الشطط في الحط من المجتمع العربي الذى خرج من بيته خاتم الانبياء وقد اختاره الله من اعرق الاسر في اعرق البيوتات في اعرق القبائل فهو خيار من خيار من خيار .
لقد كان هذا المجتمع مضرب المثل في البطولة والفروسية . يحمل كل فرد فيه من عناصر الرجولة ما يمنعه ان يقر على الضيم او يقبل الهوان . ولكن هذه البطولة كانت في حاجة الى توجيه مثالى يرفع الحق ويهوى بالباطل . فجاء الاسلام ليستغل هذه البطولة في أداء رسالة سامية هى اخراج العالم من الظلمات الى النور والدعوة الى الصراط المستقيم . وكان هذا المجتمع مضرب المثل في الفتوةوالأريحية اللتين تدفعان الى اطعام الجائع واكرام الضيف وحماية المستجير . فجاء الاسلام لينمى هذه الفضائل ويذود عنها ما يعلق بزهورها من الاشواك . فيجعل هذه الفتوة ذات امتداد الى حماية الفضائل النزيهة والدعوة الى المكارم السامية . واذا اضطرتهم هذه الفتوة الى الاغارة والسلب ليجدوا ما ينفقون فقد وضع الاسلام حدودا صريحة بين الواجب والحق . كما بسط من ظل هذه المروءة فجعلها تشمل كل انسان وتمتد الى الحيوان وتساعد على انعاش سبل الراحة والاطمئنان . وكان هذا المجتمع يخضع لبعض النزوات المتعالية من مباهاة بالأصل والأحساب ومفاخرة بالجاه والأنساب وتكاثر بالأموال والاولاد فجاء الاسلام ليجعل التقوى وحدها سبيل المباهاة . وباب المفاخرة وصرح بذلك تصريحا لا لبس فيه حين قال الله عز وجل في كتابه العزيز : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » الحجرات ١٣ فماذا بقى من الحجة لهؤلاء الذين يعتسفون الراى فيريدون النيل من العرب لينالوا تبعا لذلك من دعوة الاسلام حين يحاولون حاقدين ان يحصروا نورها الساطع في اضيق نطاق !.

اما الفريق الثانى فقد أنكر البداءة الملموسة في حياة الرسول الأعظم وسيرته الطاهرة المطهرة صلى الله عليه وسلم ، اذ صوّر الرسالة الاسلامية وكأنها ثمرة مشتهاة سقطت تلقائيا من اغصان شجرة ناضجة هب عليها النسيم ! فالمجتمع كان يتوق الى الاصلاح بفعل الرحلات ، وتأثير القوافل الرائحة الغادية من الجزيرة واليها ، فلما جهر الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته وجد الاستجابة التى يجدها كل مصلح يجد من البيئة انفعالا صادقا ، وتجاوبا حارا ، وكأنه بذلك قد سار في طريق مملوء بالورد والرياحين .

واقل منذ يعلم كم تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوان الايذاء في سبيل دعوته . لقد قام اقرب اقربائه ابو لهب بسبّه حين دعا الى الله . فثابر مجاهدا دون يأس . وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة ووضع الأذى في طريقه ، وسقط عليه الدنس وهو ساجد بين يدى ربه حتى اماطته عنه ابنته وهى تبكى من اجله ! اما اصحابه فقد لقوا من صنوف العذاب ما جعل بعضهم

إن الدين عند الله الإسلام

والله يريد أن يتوب عليكم

صدق الله العظيم

يموت شهيدا وبعضهم الاخر يشرف على التلف حتى نفده اموال الكرماء فيشترى ويعتق احتسابا لوجه الله . وماجعلهم يضطرون الى الهجرة مرتين فرارا بدينهم من عذاب الطغاة . وماجعلهم يتعرضون لأقسى المحاصرة الاقتصادية حين ينحصرون في شعب بنى هاشم اذ يحرم عليهم الطعام عن طريق البيع والشراء حتى يضطروا الى أكل أوراق الشجر دون رأفة من هؤلاء العتاة الطغاة وحتى ييأس الرسول من مكة فيخرج ساعيا على قدميه الى الطائف مجاهدا بدعوته فلايجد غير الشر والوبال اذ تتساقط علي الحجارة من بلهاء المشركين . ويصعب الموقف عليه فيصيح من أعماقه « اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى أو الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والاخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولاحول ولاقوة الا بك » ..

فاذا واصل جهاده دون يأس . واذن الله فهاجر مع اصحابه الى المدينة بعد مؤامرة جماعية لاستئصال حياته الشريفة ، اذ تضافرت قريش على قتله في مكيدة جماعية لم يسلم من شرها بيت ! أقول اذا واصل جهاده وارتحل الى المدينة وجد الكيد ينتظره من اليهود والمنافقين . فيقع بين مجموعة من الاعداء تتضافر على هزيمته وتسعى لذلك مع المشركين . فيقع المسلمون بين المطرقة والسندان اذ جاءوهم من فوقهم ومن أسفل منهم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وهنا لك ابتلى المسلمون وزلزلو زلزالا شديدا . ثم يجزى الله الصادقين بصدقهم ويرد الاعداء بغيظهم لم ينالوا خيرا . بعد كرب خانق وعذاب شديد ! .

ليت شعرى ! اين الثمرة الدانية التى سقطت تلقائيا . واقل فرد من بنى الاسلام يعلم ما كابد الرسول صلى الله عليه وسلم من سوء المكاره . وما عانى من ظلام المحن حتى تم النصر على يده وصارت كلمة الاسلام هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ! لقد كان على الذين يجعلون من رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلحا اجتماعيا لم يتأيد برسالة سماوية أن يبحثوا عن أسباب معقولة تجعل باطلهم بعض البريق اما أن يصادموا بحق سافر بباطل زائف ، فخبل مأفون

أثر الاسلام في الأولين

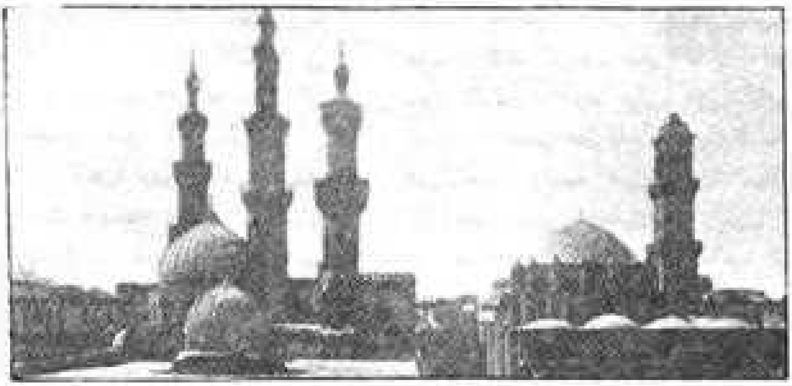
وشذوذ كريه .

. ان وجه الحق في قضية المجتمع العربي ودعوة الاسلام واضح سافر لا يحتاج الى تمويه ، فكما يعمد العاقل الى أرض جيدة ذات تربة سخية وحيوية خصيبة فيشقها ويحرثها ويضع فيها أطيب البذور ليجني احسن الثمر ، فكذلك ـ ولله المثل الاعلى في السموات والارض ـ قد اختار الله الأمة العربية لتكون مشرقا لرسالته فكانت الارض الطيبة التي مهدها الاسلام اكمل تمهيد فشق تربتها واجرى ينابيعها ، وغرس بذورها ووالى سقيها وتشذيبها حتى اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج فاذا رأيت متعسفا يقول لا فضل للارض في الثمرة ! فيرد عليه متعسف اخر يقول لا فضل للثمرة مع جودة الارض فاعلم ان كلا الفريقين في ضلال مبين وان الحق كالنهار لا يحتاج الى دليل .

على ان من الغيظ مواقف تغيظ أن تجد بعض المنتسبين الى العرب والمسلمين يتحدثون عن مجتمع أجنبي في فرنسا او انجلترا فلا يتركون فضيلة تتخيل الا حاولوا نسبتها الى هذا المجتمع الأجنبي .

ثم يلمسون بحديث عن المجتمع العربي فيتجاهلون محاسنه تجاهلا يدل على الداء العياء والسل المريض ، ويحسبون أنهم على شيء ، وهم مزدرون حتى من أفراد المجتمع الذى يتباهون بفضائله ، لانهم أدرى بنقائصه ومثالبه ويعدون هؤلاء الذين يبالغون في تمجيده اغرارا يخدعهم السطح عن العمق ، و جهلة يتعسفون السبيل .

د . محمد رجب البيومي



دراسة
تاريخية
موثقة

هيئة كبار العلماء

صفحات مطوية من تاريخ الأزهر

للدكتور مجاهد توفيق الجندي

خرج الجامع الأزهر ومازال يخرج علماء أجلاء هم ملء السمع والبصر، ملئوا الدنيا علما وحضارة ونورا وزعامة وطنية شعبية ووقفوا ضد الظلم والطغيان دفاعا عن الحق المهضوم ..

كانوا القدوة الطيبة، والأسوة الحسنة والأمثلة الكريمة للمسلمين في مشارق الارض ومغاربها، سواء كانت هذه القدوة روحية، ام ثقافة اسلامية، أم زعامة سياسية، أم فضائل سلوكية، مع القول السديد والتوجيه الرشيد.

وتاريخ أعلام الازهر قديما وحديثا يلقى اضواء ساطعة على تاريخ العالم الاسلامي بصفة عامة وعلى تاريخ المصريين بصفة خاصة، وهو امتداد لتاريخ الازهر الذي استمر لاكثر من ألف عام يحافظ على اسلام مصر وعروبة مصر وذوق مصر.

ونحن المسلمين في اشد الحاجة اليوم الى الأسوة الحسنة والقدوة المثالية بل ان حاجتنا الى هذه القدوة الآن تفوق حاجتنا الى العلم، فان العلم حاليا اصبحت وسائله ميسرة، بعد أن تعددت وكثرت مصادر العلم من معاهد وجامعات ودور نشر وصحافة واذاعة، واضحت مناهل العلم في متناول الدارسين والباحثين.

وسنتحدث في بحثنا هذا عن مجموعة من

هيئة كبار العلماء

أعلام العلماء هم سادة السادات الذين وقفوا في الملمات يلاطمون التيارات الجارفة التى كادت تقضى على الأزهر في حقبة من أحلك الحقب التى مرت بها مصر في تاريخها المعاصر. وهى الحقبة التى جثم فيها الاستعمار الانجليزى على صدر مصر وقلبها، وكان من مهمة الانجليز في مصر القضاء على الأزهر ولم تكن القوة بقاضية عليه، فلجأوا الى الدهاء والمكر لترك الأزهر يموت موتا بطيئا.

لهذا فكر المسئولون بالأزهر والغيورون عليه في محاربة الانجليز بنفس سلاحهم

هيئة كبار العلماء

كان لابد من تطوير الأزهر بإدخال العلوم الحديثة اليه حتى يستطيع مواكبة العصر ويصمد أمام تلك الصعوبات التى تعتوره من كل مكان .. فكان القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م وهو من أهم القوانين التى صدرت في ذلك الوقت في عهد الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر.

ومن بين ماتضمنه هذا القانون انشاء « هيئة كبار العلماء » وهى هيئة وكل اليها اعادة الحياة الجديدة الى الجامع الأزهر، وتتكون من علماء المذاهب الأربعة.

وقد وقع الاختيار بالانتخاب على السادة العلماء الثلاثين الآتية أسماؤهم :

أ ـ فمن السادة المالكية :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / سليم البشرى.

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد أبو الفضل الجيزاوى.

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد حسنين العدوى.

٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / هارون عبد الرازق.

٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد راشد

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الروبى.

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / دسوقى العربى.

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / أحمد نصر.

٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد طموم.

ب ـ ومن السادة الحنفية :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / حسونة النواوى.

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / بكرى الصدفى.

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد بخيت.

٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد شاكر.

٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / مصطفى أحمد حميدة.

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / أحمد ادريس.

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمود

الجزيرى .

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد أحمد الطوخى .

٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / ابراهيم الحديدى .

١٠ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد بخاتى .

١١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد راضى .

جـ ومن السادة الشافعية :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / سليمان العبد .

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الرفاعى المحلاوى .

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد ابراهيم القاياتى .

٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد نجدى .

٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد الحميد زايد .

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / سعيد الموجى .

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد المعطى الشرشيمى .

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / يونس موسى العطافى .

٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد قنديل الهلالى .

د ـ ومن السادة الحنابلة :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / أحمد البسيونى (١) .

اللائحة الداخلية لهيئة كبار العلماء

كان لابد لهذه الهيئة الكبيرة من قواعد ترجع اليها في نظامها وسيرها وسائر مايتعلق بها وبخاصة أن أعضاءها وكل اليهم تدريس العلوم المختلفة بالجامع الأزهر ولهذا كان اختيارهم دقيقا وبعد امتحان شاق ، وقد تكونت لجنة من داخل هيئة كبار العلماء لوضع اللائحة الداخلية للهيئة وللاشراف على التدريس وتطبيق مواد اللائحة بكل الدقة الممكنة .

تنص المادة الأولى من اللائحة على :

● أن الغرض من تدريس هيئة كبار العلماء تربية الملكات ، ومعرفة كيفية استنباط الاحكام من أدلتها ، فيجب على كل واحد من الهيئة المذكورة أن يكون قبل القاء الدرس محيطا بكل مايتعلق بالموضوع الذى يلقيه احاطة تامة .

يلى ذلك المواد :

٢ ـ توزع لجنة هيئة كبار العلماء أول كل سنة دراسية العلوم المنوه عنها في قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية على أعضاء هيئة كبار العلماء ، وتختار الكتب والأوقات التى تلائم حال الأشخاص ، ودراسة كل علم من العلوم المذكورة ..

٣ ـ يراعى في توزيع العلوم والكتب اختصاص كل واحد من الأعضاء وامتيازه فيما يعهد اليه تدريسه ..

---

(١) رجعنا في هيئة كبار العلماء الى دفاتر « الكوديا » والى مجلس الأزهر الأعلى سنة ١٣٢٩ هـ ، ١٩١١ م ص ٤٠ ، ٤١ طبع مطبعة الاصلاح ، ورجعنا كذلك الى بعض العلماء أو ابنائهم ـ الذين كانوا ضمن هيئة كبار العلماء ومازالوا على قيد الحياة كالشيخ صالح شرف وغيره .

٤ ـ يراعى في طريقة التدريس مع ما أشير اليه في المادة الأولى الاعتناء بتربية ملكة المناقشة والبحث وتعويد الطلبة على تمام الاستقلال بالفهم، وأن يؤخذ بهم في طريق تربية القوى الجدلية على وجه يقدرهم على دفع مايرد عليهم من الشبه النظرية ويمكنهم من تمييز الأدلة اليقينية.

٥ ـ للجنة أن تنتدب من أعضاء الهيئة واحدا أو أكثر للمرور على الدروس التى يلقيها هيئة كبار العلماء، وتقديم مايراه من الملاحظات الى اللجنة للنظر فيه، وتقرير مايلزم بشأنه.

٦ ـ اذا طرأ لواحد من هيئة كبار العلماء عذر يمنعه من اداء الدرس المكلف به فعليه ان يخطر شيخ الجامع الأزهر بالعذر المانع له من اداء دروسه والمدة التى تلزم لانقضائه.

ولشيخ الجامع الأزهر بصفته رئيس اللجنة أن يمنحه أجازة لاتتجاوز شهرا وفيما زاد على ذلك يجب رفعه الى اللجنة للنظر فيه، وكذلك اذا تأخر أى واحد من هيئة كبار العلماء بدون اذن ولم يبد عذرا مقبولا فيرفع امره الى اللجنة لتقرير ماتراه بشأنه..

٧ ـ تختص اللجنة بالنظر في كافة الشكاوى التى تتعلق بأى واحد من هيئة كبار العلماء وكذلك تنظر اللجنة في طلبات هيئة كبار العلماء المتعلقة باستحقاق المرتب المنصوص عليه بالمادة التاسعة بعد المائة من القانون، وترفع ماتقرره في هذا الى المجلس الأعلى للأزهر ليقرر فيه مايراه..

٨ ـ اذا اشتغل احد هيئة كبار العلماء ممن يتناولون المرتب المقرر للهيئه بما يمنعه عن القيام بالقاء الدرس المكلف به على الوجه المطلوب، قطعت اللجنة مرتبه ورفعت قرارها الى المجلس الأعلى ليقرر مايراه..

٩ ـ اذا رفع لرئيس اللجنة اقتراح من احد أعضاء الهيئة بشأن الغاء او تعديل او زيادة أى مادة من مواد هذا النظام، رفعه الرئيس اليها لتنظر فيه وتقرر ماتراه.

١٠ ـ تنعقد اللجنة في كل شهر مرة على الأقل، ولرئيس اللجنة عقدها اكثر من ذلك ان دعا الحال.

١١ ـ تعتبر قرارات اللجنة نافذة اذا اجتمع من أعضائها خمسة منهم الرئيس، واذا غاب الرئيس أو حصل له مانع قام مقامه أكبر الأعضاء سنا.

١٢ ـ كل ماتقرره اللجنة يعرض على المجلس الأعلى للأزهر ليتحقق من مطابقته لآخر المادة (١١٢) من القانون.

١٣ ـ يخصص لاعمال اللجنة احد كتاب المشيخة، ويكون لديه دفتر لقيد القرارات الخاصة بها.

١٤ ـ اذا لم يبلغ من يتناولون الراتب من هيئة كبار العلماء العدد الكافي لتنفيذ نص المادة السادسة بعد المائة من القانون جاز ندب من يكمل العدد الكافي من الموظفين الذين هم من هيئة كبار العلماء..

● هذه هى مواد اللائحة الداخلية التى سارت عليها هيئة كبار العلماء طيلة عمرها الى أن سميت «جماعة كبار العلماء» ـ كما سيأتى.

وقد جاء في مشروع قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية الذى وضعته اللجنة المؤلفة بقرار مجلس الوزراء في ١٨ اكتوبر سنة

١٩٢٨ م تعديلا للقانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م وكانت هذه اللجنة برئاسة الشيخ الامام محمد مصطفى المراغى شيخ الازهر .

جاء فيـــه ..

مادة ١١ : تشكل برياسة شيخ الجامع الازهر هيئة من ثلاثين عالما اختصاصيا تسمى (هيئة كبار العلماء ويعتبر ضمن اعضائها هيئة كبار العلماء الذين تتالف منهم هيئة كبار العلماء عند صدور هذا القانون ..

مادة ١٢ : يشترط فيمن ينتخب ضمن هيئة كبار العلماء :

اولا : ان تكون سنه خمسا واربعين سنة ميلادية على الاقل .

ثانيا : ان يكون حائزا لشهادة العالمية مع لقب استاذ من مدة لاتقل عن خمس سنين .

ثالثا : ان يكون مشتغلا بالتدريس في احدى الكليات او ان يكون شاغلا لاحدى وظائف القضاء الشرعى او الافتاء او التدريس في المعاهد . او شاغلا لمنصب من المناصب الدينية السامية التى يكون التعيين فيها بامر ملكى ..

رابعا : ان يكون معروفا بالورع والتقوى وليس له ماض يشينه .

خامسا : ان تقرر هيئة كبار العلماء قبول ترشيحه باغلبية ستة عشر عضوا على الاقل .

سادسا : ان يكون قد الف كتابا قيما في مادة من المواد المقررة في احدى الكليات الثلاث .. واقرته لجنة مشكلة من عشرة اعضاء على الاقل تنتدبها هيئة كبار العلماء لمناقشة المرشح في مؤلفه ..

مادة ١٣ : الى ان يحين الوقت لتطبيق الشرط الثانى من المادة السابقة يجوز انتخاب اعضاء هيئة كبار العلماء من بين الحائزين لشهادة العالمية بشرط ان يكون قد مضى على المرشح خمس عشرة سنة من تاريخ نيله هذه الشهادة . وان يكون قد اشتغل بالتدريس في القسم العالى مدة خمس سنوات على الاقل . أو ان يكون شاغلا لوظيفة في القضاء الشرعى او الافتاء او الوظائف العلمية بادارة الجامع الازهر والمعاهد الدينية . بحيث يكون وصل مرتبه الى تسعمائة جنيه سنويا . وكذلك يجوز ترشيح العالم لعضوية هيئة كبار العلماء اذا نال منصبا من المناصب الدينية السامية حيث يكون مضى عليه خمس عشرة سنة من تاريخ نيله شهادة العالمية .

مادة ١٤ : يضع مجلس الازهر الاعلى لائحة داخلية لهيئة كبار العلماء . ويوزع الكراسى على المواد المختلفة .

مادة ١٥ : يعين كبار العلماء بامر ملكى ..

مادة ١٦ : اعضاء هيئة كبار العلماء الذين لهم امتياز مالى بصفتهم هذه عند صدور هذا القانون يبقى لهم حق التمتع بهذا الامتياز ..

مادة ١٧ : تجتمع هيئة كبار العلماء بدعوة من شيخ الجامع الازهر . ويكون اجتماعها صحيحا متى حضره اكثر من نصف الاعضاء . وتصدر قراراتها بالاغلبية المطلقة للاعضاء الموجودين فيما عدا الاحوال المنصوص عليها في القانون ..

مادة ١٨ : اذا وقع من احد من العلماء ايا كانت وظيفته او مهنته مالايناسب وصف العالمية . بان طعن في الدين الاسلامى . او انكر ماعلم ضرورة من الدين او سلك سلوكا شائنا يحكم عليه بناء على طلب شيخ

هيئة كبار العلماء

الجامع الأزهر وباجماع تسعة عشر عالما معه من هيئة كبار العلماء باخراجه من زمرة العلماء . ويكون حكم هذه الهيئة بالاغلبية المذكورة غير قابلة للطعن فيه .

ويترتب على هذا الحكم محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الدينية . وطرده من كل وظيفة وقطع مرتباته في اية جهة كانت وعدم أهليته للقيام باية وظيفة عمومية دينية كانت او غير دينية ..

مادة ١٩ : يجوز لمن صدر الحكم عليه بمقتضى المادة السابقة ان يطلب بعد مضى خمس سنوات من تاريخ هذا الحكم اعادة النظر في أمره ومتى اثبت انه سلك سلوكا يتفق وكرامة رجال الدين وعدل عما صدر الحكم لاجله . جاز اعادته لزمرة العلماء .

لائحة هيئة كبار العلماء الداخلية في المرسوم الصادر بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ م

لم تختلف قواعد هيئة كبار العلماء في قانون سنة ١٩٣٠ م عنها في مرسوم قانون سنة ١٩٢٨ م الا في تعديلات طفيفة حينما تولى الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى مشيخة الجامع الازهر فكان الاختلاف فقط في اللائحة الداخلية لهذا القانون .

فقد قرر مجلس الأزهر الأعلى بجلسته بتاريخ ٨ من ذى الحجة ، ٢٦ من ابريل سنة ١٣٤٩ هـ ، ١٩٣١ م اللائحة الداخلية الجديدة لهيئة كبار العلماء التى تنص على المواد الآتية

مادة ١ ـ يدعو شيخ الجامع الازهر هيئة كبار العلماء للاجتماع كلما رأى لزوما لذلك ويجب دعوتها فى أواخر كل سنة دراسية لتقرير خطة الأعمال العلمية التى يقوم بها كل واحد من أعضائها فى السنة الدراسية التالية . وتوزيعها عليهم حسب اختصاصهم مع تحديد نوع العمل ومقداره .

مادة ٢ ـ لا يجوز للهيئة أثناء انعقادها أن تنظر فيما عدا ما يعرضه عليها الرئيس ولا يعتبر اجتماعا صحيحا الا اذا حضره شيخ الجامع الأزهر . فان منعه مانع عن الحضور قام مقامه فى رياسة الجلسة شيخ السادة الحنفية .

مادة ٣ ـ اذا لم يحضر العضو احدى جلسات الهيئة بغير عذر مقبول يعتبر مخلا بواجبات مركزه . ويثبت ذلك فى محضر الجلسة . ويبلغ الى العضو فاذا بلغت مرات الغياب بدون عذر أربع مرات متواليات اعتبر العضو مستقيلا من مركزه ويصبح كرسيه خاليا .

مادة ٤ ـ الأعمال العلمية التى تقوم بها هيئة كبار العلماء يجب أن تكون فى حدود المواد المقررة للكليات الثلاث بالجامع الأزهر . وتكون على نوعين : ـ

النوع الأول : تدريس يعنى فيه بتربية الملكات ومعرفة طرق استنباط الأحكام من أدلتها وبتحقيق المسائل العلمية .

النوع الثانى : عمل أبحاث علمية فى المواضيع الهامة من المواد المذكورة تنشر فى شكل رسائل .

مادة ٥ ـ تختار الهيئة الكتب والأوقات التى تلائم حال الأعضاء فيما يتعلق بالنوع الأول . ولها أن تعين موضوعات الأبحاث فيما يتعلق بالنوع الثانى

مادة ٦ ـ توزيع الكراسى تقسم مواد الدراسة فى الكليات الثلاث الى المجموعات الاربع الاتية :

(أ) الفقة واصول الفقة مع حكمة التشريع وتاريخ التشريع الاسلامى .

(ب) التفسير والحديث متنا ورجالا ومصطلحا .

(ج) التوحيد والمنطق والمناظرة والفلسفة (مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها) والتوحيد والسيرة النبوية والاخلاق الدينية وعلم النفس .

(د) علوم اللغة العربية .

ويجب أن تمثل كل مجموعة من هذه المجموعات فى هيئة كبار العلماء بحيث لا يقل عدد كراسى المجموعة الأولى عن ثمانية كراسى (ثلاثة للحنفية ، واثنان للشافعية ، واثنان للمالكية وواحد للحنابلة) ولا يجوز أن يزيد عدد كراسى أى مذهب من المذاهب الثلاثة الاولى ـ عن كراسى مذهب اخر منها الا مذهب الحنفية ، فان كراسيه تزيد كرسيا واحدا ، كما لا يجوز للحنابلة الا كرسى واحد فى هذه المجموعة . ولا يقل عدد كراسى المجموعة الثانية عن اثنين ، وكراسى كل من المجموعتين الثالثة والرابعة عن ثلاثة .

مادة ٧ ـ اذا لم يقم العضو بما تفرضه عليه الهيئة من الاعمال العلمية بغير عذر مقبول عرض امره على الهيئة ويجوز لها ان تحرمه من راتبه عن المدة التى لم يقم فيها بما فرضته عليه .

مادة ٨ ـ يجوز لشيخ الجامع الازهر ان يعطى عضو الهيئة فى مدة الدراسة من كل سنة أجازة اعتيادية لمدة لا تزيد عن شهر . وأن يعطيه كذلك اجازة مرضى لمدة لا تزيد على شهرين . فان زادت الأجازة على ذلك رفع الامر الى المجلس الاعلى

مادة ٩ ـ اذا أصبح احد اعضاء الهيئة غير قادر بصفة مستديمة على اداء عمله تقرر الهيئة احالته الى التقاعد .

مادة ١٠ ـ تختص هيئة كبار العلماء بالنظر فى جميع المسائل التى تتعلق باعضائها او بنظام العمل فيها مما لا يخالف نصوص قانون الجامع الازهر والمعاهد الدينية او نصوص هذه اللائحة .

مادة ١١ ـ يخصص لأعمال الهيئة احد كتاب المشيخة ويكون لديه دفتر لقيد القرارات الخاصة بها .

مادة ١٢ ـ على وزير الاوقاف تنفيذ هذا المرسوم ابتداء من تاريخ نشره فى الجريدة الرسمية(١)

هيئة كبار العلماء وتدريسهم بقسم التخصص والقسم العام للأزهر !!

كان هناك صلة قوية وعرى وثيقة لا تنفصم بين هيئة كبار العلماء وقسم التخصص فقد انعقدت لجنة هيئة كبار العلماء التى اشرنا اليها سابقا ـ بادارة مشيخة الجامع الازهر فى يوم الاربعاء ٩ من جمادى الاولى سنة ١٣٤٩ هـ (أول اكتوبر سنة ١٩٣٠ م) برياسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الاحمدى الظواهرى شيخ الجامع الازهر . وبحضور كل من اعضاء اللجنة :

١ ـ صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ / عبد الرحمن قراعة .

(١) ـ صدر هذا المرسوم بسراى القبة فى ١٨ ذى الحجة سنة ١٣٤٩ هـ ٦ مايو سنة ١٩٣١ م وكان وزير الاوقاف فى ذلك الوقت ، محمد حلمى عيسى باشا ، ورئيس الوزراء اسماعيل صدقى باشا

٢ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد حسنين العدوى

٣ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / دسوقى العربى(١)

٤ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / عبد المعطى الشرشيمى(٢)

٥ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الحلبى

ولم يحضر صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخيت لسفره ..

وقد نظرت اللجنة مسائل شتى ضمن جدول أعمالها ومنها توزيع جدول الدروس على حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة سنة ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠ م الدراسية وقررت :

أولا : الفقة وأصول الفقة

ويقوم بتدريس هاتين المادتين :

للحنفية : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد بخيت فى علم الفقه ..

: حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / أحمد الدلبشانى فى علم الفقه ..

: حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / عبد الرحمن عليش فى علم أصول الفقه ..

للشافعية : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد النجدى فى علم الفقة

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / عبد المعطى الشرشيمى فى علم الفقة بقسم التخصص

للمالكية حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد حسنين العدوى فى علم « أصول الفقة »

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / دسوقى العربى فى علم أصول الفقة

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / أحمد نصر فى علم الفقة بقسم التخصص

للحنابلة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد سبيع الذهبى فى علم الفقة

ثانيا : الحديث

ويقوم بتدريسه كل من :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الحلبى .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد السمالوطى .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ

---

١ ـ ولد الشيخ دسوقى العربى بقرية « منشأة عبد الله » احدى قرى مركز السنطة غربية وتعلم بالأزهر على كبار الشيوخ وتخرج بهم وكان من العلماء البارزين بالأزهر . وكان رئيسا للجان امتحان شهادة العالمية بالأزهر وله نوادر مع الطالب طه حسين وغيره من الذين لم يوفقوا فى الحصول على شهادة العالمية .

٢ ـ نسبة الى « شرشيمه » احدى قرى محافظة الشرقية وكانت تتبع الى سنة ١٩٢٩ م مركز بلبيس (راجع جدول وزارة الداخلية بأسماء البلاد المصرية ص ٣٤)

الشيخ / عبد الرحمن قراعة .

ثالثا : التفسير

ويقوم بتدريسه :

حضرة صاحب فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد شاكر .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / يوسف أحمد نصر الدجوى .

رابعا : علوم اللغة العربية

ويقوم بتدريسها :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / مصطفى الهيهاوى . فى علم النحو .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / سيد على المرصفى . فى علم أدب اللغة .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / حسين والى . فى علم البلاغة بقسم التخصص .

خامسا : التاريخ والسيرة النبوية والأخلاق الدينية

ويدرسها :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد أحمد الطوخى فى علم السيرة .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمود حمودة فى علم الأخلاق الدينية

التوحيد والمنطق

ويقوم بتدريسهما :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم بصيلة فى علم التوحيد

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الشافعى الظواهرى فى علمى التوحيد والمنطق بقسم التخصص

وكانت اللجنة المذكورة قد نظرت مذكرة صادرة فى فبراير سنة ١٩٣٠ بان يكون بينها وبين قسم التخصص بالأزهر اتصال عند انعقادها فى كل عام لتوزيع الدروس على حضرات أعضاء الهيئة للاتفاق على من يقوم منهم بالتدريس فى هذا القسم والعلوم التى يسند اليهم تدريسها فيه . وتنفيذا لقرار لجنة الهيئة هذا كتب الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ رئيس قسم التخصص فى هذا الصدد بتاريخ ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٠م فجاء رد فضيلته بتاريخ ١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٠ انه يرى الاحتفاظ بحضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة / أحمد نصر / والشيخ عبد المعطى الشرشيمى والشيخ / حسين والى والشيخ / دسوقى العربى / والشيخ محمد السمالوطى (١) والشيخ محمد الشافعى الظواهرى (٢)

واما فضيلة الأستاذ الشيخ / محمود حموده فيرى انه يعفى من التدريس نظرا لنقل القسم الى شبرا وبعد المسافة عليه .

---

١ ـ نسبة الى « سمالوط » احدى قرى محافظة المنيا قديما والآن مركز مشهور من مراكزها (راجع جدول وزارة الداخلية باسماء محافظات ومديريات وبلاد مصر سنة ١٩٣٩ (ط المطبعة الأميرية سنة ١٩٣٩ م ص ٢١٤ .

٢ ـ نسبة الى قرية الظواهرية احدى قرى مركز فاقوس شرقية (جدول وزارة الداخلية ص ٤١ ـ ٩١) لكننا عثرنا فى مركز فيها على كفر الشيخ الظواهرى ، عبارة عن تسع عزب كانت تابعة لناحية التجلف ومباك . راجع الجدول المذكور ص ٩٥ نمرة ٥٩ وكان الشيخ محمد الشافعى الظواهرى شقيقا للشيخ محمد الأحمدى الظواهرى ، والدهما الشيخ ابراهيم الظواهرى شيخ المعهد الأحمدى بطنطا وهو مدفون بزاويته بشارع السباعى بطنطا (الباحث .

وبعد المداولة فى ذلك وفيما بسطه كل من حضرتى صاحبى الفضيلة الشيخ دسوقى العربى والشيخ محمد السمالوطى عضوى اللجنة من انهما يعتذران عن التدريس بقسم التخصص لبعد مكانه ومشقة الانتقال اليه عليهما :

قررت اللجنة الموافقة على ما رأته رياسة القسم من استمرار حضرات اصحاب الفضيلة اعضاء الهيئة المشار اليهم فى التدريس بقسم التخصص ما عدا حضرات اصحاب الفضيلة الاساتذة الشيخ دسوقى العربى والشيخ محمد السمالوطى والشيخ محمود حموده فقد قررت اعفاءهم من التدريس بهذا القسم اجابة لطلباتهم .

وقررت اللجنة ان يلتمس من حضرات اصحاب الفضيلة اعضاء الهيئة الذين تقررت دراستهم بقسم التخصص ان يقرأوا خمس حصص فى العلوم التى اسندت اليهم بهذا القسم فى كل اسبوع مراعاة لمصلحة الدراسة فيه .

كما نظرت اللجنة مذكرة تتضمن تقريرين قدمها الشيخ ابراهيم بصيلة مراقب الدراسة للهيئة عن سير الدراسة لحضرات اصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة فى سنة ١٣٤٨ هـ الماضية يفيد انه وجد حضراتهم قائمين بتدريس العلوم والكتب المقررة عليهم على الوجه المرغوب فيه .

وقد طلب بهذه المذكرة النظر فى ذلك وفيمن ترى اللجنة ندبه للمرور على الدروس التى يلقيها حضرات اصحاب الفضيلة اعضاء هيئة كبار العلماء فى سنة ١٣٤٩ الدراسية وفقا للمادة الخاصة من القواعد التى تسير عليها الهيئة .

فقررت اللجنة الموافقة على التقريرين المشار اليهما وان يندب حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم بصيلة مراقبا لدراسة الهيئة فى سنة ١٣٤٩ الدراسية .

مرتبات هيئة كبار العلماء فى ميزانية الأزهر سنة ١٩٢٠ م

لم نعثر فى الوثائق المعاصرة ـ على مبلغ علمنا وبحثنا ـ على المرتبات الاولى لاعضاء هيئة كبار العلماء وقت انشائها فى ميزانية الازهر فى ذلك الوقت . لكننا عثرنا فقط على كشف رقم ٣ ، رقم ٤

تعيين هيئة كبار العلماء الجدد كان بأمر ملكى بناء على ترشيح أعضاء الهيئة القدامى

عندما كان يستقيل أحد أعضاء هيئة كبار العلماء او يحال للمعاش او يتوفى كان لابد من تعيين عالم جديد بدله ليكتمل باستمرار النصاب القانونى للهيئة وهو ثلاثون عضوا وكان يتم اختيار العضو الجديد بناء على ترشيح واختيار أغلبية هيئة كبار العلماء .

وقد عثرنا على بعض الوثائق الهامة التى تؤكد ان عضو الهيئة الجديد يرشح اولا من اعضاء الهيئة القدامى . ثم ترسل بأسمه الى القصر الملكى (١) فيوافق على العضو

(١) صدر الامر الملكى رقم ٤٥ هذا بسراى المنتزه بالاسكندرية فـى ٨ ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م فى عهد الملك فؤاد وكان رئيس الوزراء هو اسماعيل صدقى وكان شيخ الأزهر ورئيس مجلسه الاعلى هو الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى وقد حصل كل من الثلاثة الجدد على كشا التشريف العلمية من الدرجة الاولى ..

العدد	الاسم	المذهب	المرتب الحالي – الأصلي – مليم	المرتب الحالي – الأصلي – جنيه	المرتب الحالي – [illegible] – مليم	المرتب الحالي – [illegible] – جنيه	المرتب الجديد – مليم	المرتب الجديد – جنيه	العلاوة – مليم	العلاوة – جنيه	ملاحظات
١	فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي	شيخ مالكي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
٢	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد [illegible]	مالكي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
٣	فضيلة الأستاذ الشيخ دسوقي العربي	مالكي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
٤	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد حسنين العدوي	مالكي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
٥	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد [illegible]	مالكي		١٢	٥٠٠	١٢		٩٠	٥٠٠	١٤	اعتبارا من ٦ أغسطس سنة ١٩٣٠
٦	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف نصر الدجوي	مالكي		١٣	٦٠٠	١٢		٩٠	٥٠٠	١٤	اعتبارا من ٦ أغسطس سنة ١٩٣٠
٧	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد النجدي	شيخ الشافعية		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
٨	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد [illegible]	شافعي		٩٠		٣٦	٤	٩٠		٩	
٩	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد [illegible]	شافعي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
١٠	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المعطي الشرشيمي	شافعي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
١١	فضيلة الأستاذ الشيخ [illegible]	شافعي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
١٢	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد [illegible]	شافعي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
١٣	فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى [illegible]	شافعي		١٢	٥٠٠	١٢		٩٠	٨٠٠	١٢	اعتبارا من ٦ أغسطس سنة ١٩٣٠ م
١٤	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف [illegible]	شافعي	٩٥٠	١٨	[illegible]	١٣		٩٠	٥٠٠	١٥	اعتبارا من ٦ أغسطس سنة ١٩٣٠ م
١٥	فضيلة الأستاذ الشيخ محمود [illegible]	حنفي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
١٦	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد [illegible]	حنفي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
١٧	فضيلة الأستاذ الشيخ محمود [illegible]	حنفي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
١٨	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد [illegible]	حنفي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
١٩	فضيلة الأستاذ الشيخ [illegible]	حنفي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	
٢٠	فضيلة الأستاذ الشيخ [illegible]	حنبلي		٩٠		٣٦		٩٠		٩	اعتبارا من ٩ يونيو ١٩٣٠ م
٢١	فضيلة الأستاذ الشيخ [illegible]	مالكي		١٢	٥٠٠	١٢		٩٠	٥٠٠	١٥	اعتبارا من ٦ أغسطس سنة ١٩٣٠ م
٢٢	فضيلة الأستاذ الشيخ [illegible]	حنفي	٩٥٠	١٢	٥٠٠	١٢		٩٠	٥٠٠	١٥	اعتبارا من ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٠ م
٢٣	فضيلة الأستاذ الشيخ محمود [illegible]	حنفي		١١	٥٠٠	١٢		٩٠	٥٠٠	١٦	اعتبارا من ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٠ م
٢٤	فضيلة الأستاذ الشيخ [illegible]	شيخ الحنابلة		[illegible]	٩٥٠٠			٩٠	٥٠٠	٢٠	اعتبارا من ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٠ م
٢٥	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد [illegible]	حنبلي						٣٠			اعتبارا من أول أكتوبر سنة ١٩٣٠ م قرار المجلس في ٦ أكتوبر سنة ١٩٣٠

الجديد ويصدر به أمر ملكى دون تدخل من القصر فى تعيين العضو الجديد .

(١ فـفى سـنة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣٠ م وبناء على ما قررته هيئة كبار العلماء فى ٢ من شعبان ـ ٢ يناير عين فى هيئة كبار العلماء ثلاثة من العلماء هم :

١ ـ الشيخ / عبد المجيد اللبان الشافعى المذهب وشيخ معهد الاسكندرية

٢ ـ الشيخ / عبد الحكم عطا المالكى المذهب وشيخ معهد الزقازيق

٣ ـ الشيخ / محمد الشافعى الظواهرى الشافعى المذهب ومن علماء الأزهر

(٢) فى سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣١ م ـ ١٥ يونية ـ فى ٢٨ محرم ـ عين الشيخ / محمد عبد اللطيف الفحام شيخ المعهد الأزهرى بالقاهرة ووكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية ضمن هيئة كبار العلماء بناء على ما عرضه وزير الأوقاف فى ذلك الوقت (١)

(٣) وفى سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م ـ ٢٨ صفر ١٠ يونية ـ عين ضمن هيئة كبار العلماء (بناء على ما عرضه وزير الأوقاف[٢] ثلاثة هم :

١ ـ الشيخ / محمد مأمون الشناوى شيخ كلية الشريعة

٢ ـ الشيخ / ابراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية

٣ ـ الشيخ / محمود الدينارى شيخ معهد طنطا .

هذا بعض ما عثرنا عليه من وثائق تؤيد ما ذهبنا اليه من ان القصر الملكى كان لا يتدخل فى تعيين اعضاء هيئة كبار العلماء انما كان يوافق على ترشيح اعضاء الهيئة القدامى .

شيخ الأزهر كان ينتخب من هيئة كبار العلماء

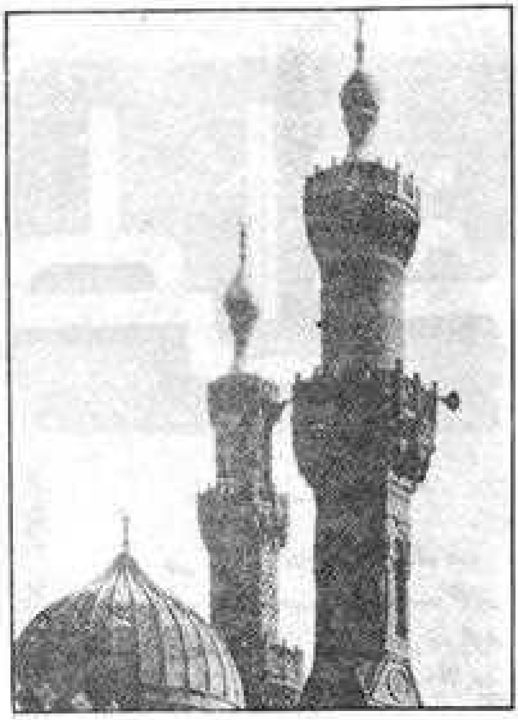
شيخ الجامع الأزهر هو الامام الأكبر لجميع رجال الدين . والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين بالنسبة الى اهل العلم وحملة القران الشريف سواء كانوا منتمين الى الأزهر أو غير منتمين اليه وهو المنفذ الفعلى العام لجميع القوانين والمراسم والاوامر الملكية واللوائح والقرارات المختصة بالجامع الأزهر . والموظفون تابعون له بهذه الصفة وخاضعون لاوامره .

وهو الذى يعين مشايخ الاروقة والحارات ويفصلهم مع مراعاة شروط الواقفين وطبقا لأحكام اللائحة الداخلية .

ويختار شيخ الجامع الأزهر من بين هيئة كبار العلماء ثم يرسل باسمه الى القصر

١ ـ صدر الأمر الملكى هذا برقم ٥٩ لسنة ١٩٣١ م بسراى القبة بالقاهرة فى عهد الملك فؤاد وكان وزير الأوقاف هو على جمال الدين

٢ ـ صدر الأمر الملكى هذا رقم ٣٥ لسنة ١٩٣٤ م بسراى القبة بالقاهرة فى عهد الملك فؤاد وكان وزير الأوقاف هو محمد نجيب الغرابلى .



فيصدر بتعيينه بأمر ملكي (١)

ففي سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨م - ٧ ذي الحجة ٢٧ من مايو - عين الشيخ محمد مصطفى المراغي من هيئة كبار العلماء ورئيس المحكمة العليا الشرعية شيخا للجامع الأزهر (٢).

جماعة كبار العلماء

رأى بعض المسئولين في الأزهر تغيير اسم «هيئة كبار العلماء» الى «جماعة كبار العلماء» ولم تختلف عن سابقتها الا بالقدر الذي سمحت به الظروف ويرأسها شيخ الجامع الأزهر ايضا وتتكون من ثلاثين عالما ويكون لكل منهم كرسي للتدريس ولا تقل سن العضو عن ٤٥ سنة وأن يكون معروفا بالزهد والورع والتقوى وليس له ماض يشينه وان يكون حائزا لشهادة العالمية من درجة استاذ وان يكون قد ألف كتابا قيما في مادة من المواد المقررة في احدى الكليات وأقرته لجنة مشكلة من عشرة أعضاء على الأقل ... الخ (٣)

مجمع البحوث الاسلامية

بقيت جماعة كبار العلماء تؤدي دورها في خدمة الاسلام والمسلمين

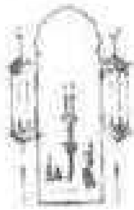
متضلعة بمصالحهم الى ان صدر قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١م فحل مجمع البحوث الاسلامية محل هيئة كبار العلماء متصلعا بواجباتها وصار للمجمع تكوين أوسع رقعة وأعمالا اكثر شمولا.

د / مجاهد توفيق

١ - راجع المواد رقم ٦، ٧، ٨ من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م للمعاهد الدينية سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م ص ١

٢ - صدر الأمر الملكي رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٨م بسراي عابدين في عهد الملك فؤاد وكان رئيس الوزراء هو مصطفى النحاس.

٣ - راجع المواد ١، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩ القانون ٢٦ لسنة ١٩٣٦ السابق ذكره



طرائف

إياك والعجلة

فإن العرب كانت تكنيها أم الندامة لأن فيها عيوباً ستة :
يقول صاحبها قبل أن يعلم .
ويجيب قبل أن يفهم .
ويعزم قبل أن يفكر .
ويقطع قبل أن يقدر .
ويحمد قبل أن يجرب .
ويذم قبل أن يختبر .

العفو والعقوبة

ليس الافراط في شيء أجود منه في العفو . ولاهو في شيء أقبح منه في العقوبة ..
قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه :
« إن أُخطيء في العفو خير من أن أخطيء في العقوبة » ..
ذلك أن الخطأ في العقوبة لايستدرك فمن عوقب ظلماً . كيف يستدرك ماوقع عليه .

قيمة مصيبة

ذكر أعرابي مصيبة نالته ، فقال : انها والله مصيبة جعلت سود الرءوس بيضاً ، وبيض الوجوه سوداً ، وهونت المصائب ، وشيبت الذوائب .

نصيحة

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :
« احفظوا عني خمساً . لو ركبتم الابل في طلبهن لأنضيتموهن قبل أن تدركوهن : لَايَرْجُوَنَّ عَبْدٌ إِلَّا رَبَّه . ولايخاف الا ذنبه . ولايستحي جاهل أن يسأل عما لايعلم . ولايستحي عالم اذا سئل عما لايعلم أن يقول : الله أعلم . والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد . ولا ايمان لمن لاصبر له » .

من توجيهات عمر بن الخطاب إلى ولاته

● اجعلوا الناس عندكم في الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم .
● اياكم والرشا ، والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب .
● قوموا بالحق ولو ساعة من نهار .

ومواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقاً

اذا نال الشريف رتبة تواضع فيها ، واذا نال الوضيع رتبة تكبر فيها .

علم وعمل

ما أحسن الايمان يوفيه العلم ، وما أحسن العلم يوفيه العمل وما أحسن العمل يوفيه الرفق .

فتبارك الله أحسن الخالقين

ألقى الامام الشافعي عظة فقال :

- هذا ورق التوت لونه واحد وطعمه واحد يأكله الدود فيخرج منه الحرير ..

ويأكله النحل فيخرج منه العسل ..

وتأكله الشاة والبقر فتلقيه بعرا أو روثا ..

وتأكله الظباء فيخرج منه المسك ..

فتبارك الله أحسن الخالقين .

من علامات الجاهل

إن مزح أسخط ، وإن اعتذر أفرط ، وإن حدَّث أسقط ، وإن قدر تسلط ، وإن عزم على أمر تورط ، وإن جلس مجلس الوقار تبسط .

من جيد المناجاة

قال سفيان بن عيينة : سمعت أعرابيا يقول عشية عرفة : اللهم لاتحرمني خير ماعندك لشر ماعندي ، وإن لم تتقبل تعبي ونصبي فلاتحرمني أجر المصاب على مصيبته .

دعاء

اللهم إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك ، أو أضل في هواك ، أو أذل في عزك ، أو أضام في سلطانك ، او أضطهد والأمر اليك .

من أعلام الأزهر

■ الشيخ الزنكلوني

من
أعلام الإسلام

الشيخ الزنكلوني

بقلم محمد الطاهر الزنكلوني

علم من أعلام النهضة الحديثة ، وامام من أئـــــمة الـــــفـــــكر ، ومفكر من مفكرى الاسلام . ذلك هو العالم الجليل المرحوم الشيخ على ابن عبد الفتاح بن سرور الزنكلونى .

نشأتــــه

ولد فقيدنا العظيم في قرية الزنكلون من أعماق ، محافظة الشرقية بتاريخ ٨ / ٦ / ١٨٧٨م من أبوين كريمين ، وعرف والده رحمة الله تعالى عليه بالتصوف وكان ينتسب الى العارف بالله سيدى أحمد الرفاعى رضوان الله عليه الذى يوجد ضريحا جدين له بجوار منزل الشيخ بالزنكلون ، ضريح العارف بالله « الشيخ عثمان الرفاعى وضريح ابنه العارف بالله الشيخ أحمد الرفاعى رضى الله عنهما » ..

وكان لوالده الشيخ على كرامات وبركات عرفت في أيامه وتداولها الناس .

في هذا البيت الصوفي وبين أحضان هذا الرجل التقى الورع نشأ شيخنا الفاضل وحفظ القران الكريم وجوده ثم أرسله والده الى طنطا ليتلقى العلم بالجامع الاحمدى مع نفر من ابناء الشرقية منهم « الشيخ لاحمدى الظواهرى والشيخ الشافعى الظواهرى » رحمهما الله وبعد أن نال الشيخ ـ رحمه الله قسطا وافرا من العلوم الشرعية والعربية على يد العلماء الأجلاء في طنطا .. انتقل الى الأزهر ليرتشف من معينه ويتلقى العلم من منبعه وهناك التقى بالعلماء العاملين وتركزت معلوماته وتبلورت افكاره ورأى في الأزهر أفقا أ.حب وعلما أغزر وتيارات متباينة .

وتاقت نفسه للاستماع الى الشيخ الامام محمد عبده وخاصة بعد أن علا صخب معارضيه ومناوئيه بسبب ارائه الاصلاحية ومناداته بادخال العلوم الحديثة في الأزهر

الشـــيخ الزنكلـــونى

الشريف ليساير ركب الزمن والتطور .. ولم يطل تردده فقد اصطحبه زميل لسماع درس الشيخ الامام وانصت الشاب الى درسه والى حديثه وارائه الاصلاحية بكل جوارحه واعجب بالامام أيما اعجاب لعرضه الشيق وتعجب ان يكون هناك من يناوىء هذا المصلح العظيم وصار بعد ذلك من تلامذة الامام ومؤيديه ومحبيه والداعين لمنهجه المدافعين عنه وعن ارائه والسائرين على دربه ..

وقد تحدث الامام محمد عبده مع شخصيتنا الكريمة طالبا منه ان يترك مذهب الشافعى الى المذهب الحنفى . اذ رأى الامام في تلميذه النجابة والفطانة وحسن الراى وقوة الحجة وطمع في أن يرشحه يوما لمنصب القضاء والافتاء ..

ورد شيخنا على أستاذه الامام قائلا ان هذه رغبة والدى وانا لا اخالف له امرا . فابدى الامام رغبته في مقابلة والده وتم اللقاء في سراى سليمان باشا اباظة .. بالشرقية وكان الامام ينزل عنده يوم الخميس من كل اسبوع واخذ الشيخ والده لمقابلة الامام في منزل « الباشا » وهناك تحدث الامام الى الشيخ برغبته في ان يدرس ولده مذهب الحنفية ؟ فرد عليه الشيخ رد الواثق بالله قائلا :

سيدى الشيخ .. حججت بيت الله وتعلقت باستار الكعبة وطلبت من الله ان يكون ابنى عليا من كبار علماء الشافعية . فان كان الله قد قبل دعوتى فسيكون عليا كما دعوت . وان لم يقبل دعوتى فسيغير علىّ ولدى مذهبه وامرى وأمره الى الله .

فُسُرّ الامام من ثقة الرجل في ربه واخذ يردد : من كبار الشافعية ان شاء الله .

ويواصل صاحب الشخصية دراسته حتى يحصل على الشهادة العالمية من الازهر الشريف سنة ١٩٠٤ وكان ترتيبه الاول ..

ويصدر القرار بتعيين الشيخ مدرسا بالقسم الثانوى بالازهر حتى سنة ١٩١٩ ثم انتقل للتدريس بالقسم العالى وسار فى تدريسه على منهج استاذه محمد عبده فالتف حوله طلاب العلم لينهلوا من ارائه وعلمه ويستفيدوا من خبرته .

الشيخ الزنكلونى وثورة سنة ١٩١٩

وفي نوفمبر ١٩١٨ عقدت الهدنة بين دول الوسط (المحور) والحلفاء وبدا الناس يتحدثون عما يجب ان يقوم به المصريون للحصول على استقلالهم طبقا للمبادىء التى اعلنها الرئيس « ولسن » رئيس جمهورية امريكا تلك المبادىء الخاصة بتحرير الشعوب على ان يكون كل شعب حرافى تقرير مصيره واختيار نظام الحكم الذى يرضيه . وتعددت الاجتماعات في قصور الزعماء السياسيين بغية ارسال وفد مصرى الى مؤتمر باريس وكانوا فريقين : فريقا من بقية رجال الحزب الوطنى المقيمين في مصر يريدون ان يتألف منهم الوفد المصرى لحضور المؤتمر . وفريقا اخر بزعامة سعد زغلول وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ومعه محمد محمود وعلى شعراوى وحمد الباسل واسماعيل صدقى وغيرهم .



وبعد المناقشات التى دارت بين الزعيم سعد زغلول والمستر برونيت مستشار وزارة الحقانية وبعد زيارة ثلاثة من الباشوات هم : سعد زغلول وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى للمندوب السامى السير ونجت ألقت السلطة الانجليزية القبض على سعد ، وصدقى ، ومحمد محمود وحمد الباسل .

عندئذ تحولت عواطف المصريين الى سعد ورفاقه فاندلعت المظاهرات وخرجت أولاها باسم الأزهر بعد صلاة العصر من مسجد الفاكهى(١) لذى كان الشيخ على الزنكلونى يدرس فيه .

وفي صبيحة يوم الاثنين عمت المظاهرات القاهرة واشترك فيها أبناء الأزهر وعلماله وطلاب المدارس والشعب ..

وفي يوم الجمعة ١٤ مارس سنة ١٩١٩ اجتمع فريق من العلماء في الجامع الأزهر ليتفقوا على :

اولا : تحديد موقفهم من الثورة .

ثانيا : تنظيم جمع التبرعات لأبنائهم الطلبة الذين انقطعت عنهم الموارد بعد تعطيل السكك الحديدية والبريد وكافة المواصلات بين القاهرة وسائر البلاد .

وبعد صلاة الجمعة حضر عدد من الطلبة وثيابهم ملوثة بالدماء يصيحون أنتم هنا ونحن نقتل في ميدان الحسين . لقد حدث أن فريقا من الجنود الانجليز ، المسلحين اطلقوا الرصاص على الخارجين بعد صلاة الجمعة من مسجد الامام الحسين رضى الله عنه وقتل كثير من افراد الشعب ومن الطلاب . وهنا اتجه الأستاذ الزنكلونى الى منبر الأزهر وألقى خطابا هادئا فيما يجب أن يقوم به العلماء وهو أول خطاب لعالم في ثورة ١٩١٩ م وتبعه الشيخ مصطفى القاياتى فالشيخ أبو العيون في أسلوب حماسى .

وفي يوم السبت ١٥ مارس تجمهر بالأزهر صباحا عدد لايحصى من فئات الشعب والأزهريين وكان فريق من العلماء مجتمعين في الرواق العباسى مشغولين بانتخاب لجنة منهم تشرف على الحركة وتكمل العمل في تنظيم جمع التبرعات للطلاب الذين انقطعت عنهم الموارد بسبب تعطيل المواصلات ..

وفي الوقت نفسه كان المتظاهرون يندفعون الى الخروج من الأزهر ليقوموا بمظاهرة كبيرة وكان الجند يسدون الطرق الموصلة الى الأزهر ، وهم مدججون بالسلاح وقد بلغ الحماس بشاب أزهرى يندفع الى الميدان وحده ثم اختطف مدفعا من أيدى الانجليز وأقبل على اخوانه يحمله ولكن الرصاص أخذ يتدفق عليه من كل جانب فقتل لساعته رحمه الله .

---

(١) التسمية العامة (الفاكهانى)

الشيخ الزنكلونى

وفي يوم الاحد ١٦ من مارس تحرج الموقف وطلب حكمدار المحافظ الانجليزى التدخل لمساعدته لمنع المظاهرات فأفهموه أن منع الآلاف المتظاهرة من تحقيق مايريدون أمر متعذر وطلبوا اليه أن يمكن الشعب من السير في المظاهرة التى يرغبون فيها حتى تنتهى بسلام . ولم يتمكن أفراد الشعب في هذا اليوم أن يجتازوا ميدان الأزهر بعد أن أصر الانجليز على عدم السماح لهم بالمرور .

جاء في مذكرات الشيخ الزنكلونى ـ رحمه الله قوله :

« وقد رأينا أنه من المستحسن أن نزور بعض الزعماء من زعماء الأحزاب لنعرف رأيهم في تنظيم هذه الحركة وعلاقتهم بها فذهبت مع بعض اخوانى الى مكتب الدكتور (١) اسماعيل صدقى بميدان الأوبرا وكان يتكلم باسم الحزب الوطنى وحدثناه في الأمر . وبعد أن أطلعنا على بعض المذكرات السياسية في القضية المصرية وما اتخذه الحزب من الاحتجاجات على « اعتقال الباشوات الأربعة » وجه الينا بعض النصائح وكان أخصها أن نبعد الأزهريين عن الظهور في المظاهرات والاشتراك فيها حتى لانعتبر في نظر الأجانب متعصبين تعصبا دينيا وقد أفهمناه خطر هذا الرأى لأن الأزهريين اذا لم يشتركوا في هذه الحركة بكل صورها بدافع من ايمانهم وحماستهم وتحملهم المشاق فلن تكون هناك حركة ثم انصرفنا متجهين الى بيت الأمة وقابلنا هناك سكرتير الوفد الأول الأستاذ محمد بك بدر .. قابلنا مضطربا وملتاعا يطلب منا أن لانتردد كثيرا على أعضاء الوفد لأن سلطات الاحتلال تحملهم كل مسئولية . فقلنا له :

ذلك شأن الزعماء واذا لم يتحمل الزعماء مسئولياتهم كلها وابتعدوا عن الحركات الشعبية فمامعنى هذه الزعامة ؟ » ا هـ .. .

واستمرت المظاهرات اليومية والاجتماعات بالأزهر بعد صلاة المغرب من كل ليلة وفي هذا الوقت كان أكثر الخطباء في البناء من شبان الحزب الوطنى الذين كانوا على اتصال دائم بعبد اللطيف بك الصوفانى بمنزله رقم ٧ بشارع المدارس بالحلمية ..

وكان يتناول الخطابة من الشبان ابراهيم عبد الهادى الطالب بالحقوق وكان من أكفأ الخطباء والشيخ عبد الرحمن الجديلى الطالب بمدرسة القضاء الشرعى . وهما من الطلاب الوفديين ومحمد أفندى شكرى كرشاه الطالب بمدرسة الظاهر الثانوية الابتدائية . والشيخ أحمد يوسف الطالب الأزهرى والشيخ مصطفى عبية . والشيخ عبد العظيم حجاب الأزهرى وعدد كبير من الطلاب الأزهريين ومن العلماء جدى المرحوم الشيخ الزنكلونى والشيخ مصطفى القاياتى والشيخ أبو العينين والشيخ محمد عبد اللطيف دراز رحمهم الله وغيرهم كثير ..

وكان الشيخ الزنكلونى يواصل الخطابة بين منبر الأزهر وكنيسة الروم بالحمزاوى وينتقل معه القمص سرجيوس الى الأزهر

---

(١) كذا بالمذكرات .

ممثلا بذلك الوحدة الوطنية في أكمل معانيها وأقوى مبادئها .

الزنكلونى وفصل العلماء

ابان تولى المغفور له الشيخ الظواهرى مشيخة الأزهر ، كانت البلاد ترزح تحت أعباء ثقيلة ، تنوء بها ، وكان يتردد على الألسنة اسم الخلافة الاسلامية كذلك يتردد اتجاه النية الى جعلها في الملك الأسبق أحمد فؤاد ، فخرج الشيخ ومعه بعض زملائه العلماء محتجا واعتلى منبر الأزهر ، وخطب خطبته المشهورة يعارض فيها الرأى في هذه الخلافة ، في اطار الحديث الشريف : اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظروا الساعة .. أو كما قال سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ..

وثار المسئولون وغضبوا على الزنكلونى وزملائه فنالهم من عنت الملك ما نالهم ، وحتى جاء اليوم السابع عشر من سبتمبر سنة ١٩٣١ فصدر قرار بفصل سبعين عالما ، على رأسهم الشيخ الزنكلونى والشيخ دراز والشيخ شلتوت والشيخ الغمراوى والشيخ نوار وغيرهم رحمهم الله وأطال في عمر الأحياء منهم وكان هؤلاء هم النواة الأولى لحزب الزنكلونى الذين لم يتخلوا عن مبدئهم وعقيدتهم ورضوا بالعيش بعيدا عن الأزهر ست سنين الى ان قيض الله له العودة اليه عندما أعيد الامام المراغى الى المشيخة وفي الحفل التكريمى له ولهم وقف الشيخ الزنكلونى الخطيب الثائر المصلح ليقول :

« اذا تنكب الأزهر الطريق يوما فليس ذلك من طبيعة الدين الذى يقوم على حفظه ، وانما منشأ هذا التنكب هو القوى التى تتسلط عليه ، وتوجهه الى طريقها ، واذا فلاتلوموا الأزهر مادام غير قائم على قدميه بنفسه ، وانما اللوم على من يمتلكون أمره ، ويوجهونه حيث تأبى الطبيعة أن توجهه » ..

واسترسل الشيخ في نقده حتى رقت أعصابه فبكى وأبكى الحاضرين ..

شجاعتــــه

كان الشيخ ـ رحمه الله ـ يرى أن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد مات ، ويحدث بذلك في تفسيره لتلاميذه بالرواق العباسى ، وأغضب ذلك الرأى بعض الطلبة حتى هموا بالثورة عليه ..

وحدث في اليوم التالى لتفسيره أن زار الأزهر المستشرق (زويمر) ووقف على درس الشيخ يستمع اليه ، وأثناء ذلك اكتشف الشيخ أن (زويمر) يوزع منشورات ضد الاسلام وترغيبا في النصرانية ، فهاج الشيخ ، وطرده من الأزهر وهنا هتف بحياته الطلبة الذين أغضبهم تفسيره بالأمس وأسرعت الحكومة بطرد المستشرق عقب ذلك ، وتناقلت الصحافة الحادث ورددته ..

منهجه في الدعوة

من مؤلفات الشيخ ـ رحمه الله ـ كتابه « الدعوة والدعاة .... » وفي هذا الكتاب بسط الشيخ منهجه في اصلاح الدعوة وتوجيه الداعية من رجال الأزهر « الكتاب يعبر تعبيرا واضحا عن شخصية مؤلفه ، ويبرز مقدرة الشيخ في ريادة الدعوة ..

الشيخ الزنكلوني



ويبدو في هذا المؤلف تأثره بالامام محمد عبده ـ رحمه الله ـ سواء في فكره الاسلامى ام منهجه الاصلاحى للأزهر وابنائه من العلماء والطلبة ..

وهذا الكتاب وضع معالم الطريق للافادة من الكتاب العزيز والحرص على هدايته، فتناول القرآن الكريم في صلته بواقع الحياة، وفي اعجازه، وتناول التفسير فبين مدى تعبيره عن كتاب الله ـ عز وجل، وقيمة عمل القائمين به ..

وصد الطعن على السنة، وزاد عنها، وتناول الفقه، ودعا الى الاجتهاد فيه ... الخ ..

● والفكر في الكتاب يتصل بالحركة التى اسسها أحمد بن تيمية الحرانى، وتبعه فيها، في القرن التاسع عشر، جمال الدين الافغانى ثم محمد عبده ..

ولم يقتصر الكتاب على هذا الاطار فقط بل واجه في تفكيره،

ماسيطر على العالم المعاصر منذ القرن التاسع عشر من المادية واتجاه الماديين، كما واجه جمال الدين الاستعمار في كل وطن اسلامى، وأدرك خطر المادية في خداعها وفتنتها على الروحية الاسلامية ..

« وكل مانراه في المادية من قضايا الحق، والعدل والآثار الصالحة التى أثبتتها التجارب وأيدتها العقول، لايعمل بها الماديون الا في دائرة شهواتهم، ومن ظن بالماديين خيرا، وتطلب السعادة الصحيحة من جانبهم، فقد ظن الخطأ، وضل الطريق .. ولايبهرنا ماتفيض به عقول الماديين من آثار الابداع والاختراع فليس ذلك من حب الخير في شىء، وانما هى النفوس البشرية تختال على ابراز أسباب القوة اذا اشتد بها الجشع والطمع » ..

وبعد، فالكتاب يعيش بتفكيره اليوم بيننا، وفي اطار مشاكلنا الاسلامية كما عاش بالامس، ويعيش غدا كذلك لانه ارتبط بالقرآن وحده، في الايمان به وفي النصح بالعمل بمبادئه، وفي دفع الانحراف عنها، وتوضيح اسباب الانحراف وهى أسباب تتعدد ولكنها في جوهرها واحدة.

شخصيته

نستطيع ان نلتمس ـ مما تقدم بسهولة ـ حدود شخصية الشيخ الزنكلونى ـ رحمه الله ـ وطابعها تلك الشخصية المفعمة حماسا وحيوية، عاش بهما الشيخ لعلمه ووطنه، وترك آثار ذلك في تاريخ مصر، وريادة الأزهر، وعرفت له الوطنية جهاده المشرق ضد المحتلين واتباعهم من المستشرقين وترك ـ رحمه الله ـ مذكرات سجلت الكثير من الاحداث، وكنت بصدد استملاء شيخنا الفاضل عبد الجليل عيسى ـ رحمه الله ـ الكثير عن جهاد الشيخ، وأملانى، فعلا، عدة نقاط ثم دهمه المرض الثقيل فالوفاة، ففقدت ـ برحيله ـ مصدرا حيا لأحداث هذه الفترة من جهاد الشيخ الزنكلونى ..

وقد تميز الزنكلونى ـ رحمه الله ـ بوفاء نادر لدينه ولبلده ولاساتذته وزملائه واصدقائه وتلاميذه ومحبيه عارفى فضله،

وما اكثرهم . وبخاصة ال عبد الرازق فقد كان زميلا واخا لفضيلة الامام الراحل الشيخ مصطفى عبد الرازق واخيه الشيخ على عبد الرازق ..

وكان كثير الاستفسار عن زملائه وعن احوالهم .

وبادله اخوانه وفاء بوفاء . فقد شفى ذات مرة من مرض الم به . فكتب له الشيخ محمد الاسمر ابياتا عدة يداعبه فيها قال :

لما شفاك الله سبحانه
شفا كثيرا من شئون الهدى
فالبس من الصحة أثوابها
وعش بها العمر الطويلا المدى
فأنت في مصر التقى الذى
يَعْرِفُ من قبَّل منه اليدا
وكم يد في مصر ممدودة
يلثمها الناس وفيها الردى
لينة الملمس لكنها
أخشن من كف هزبر عدى
جئنا الى الشيخ بأشعارنا
لارهبة أو رغبة في الندى
أهديت ماغنى به خاطرى
شوقا ومالبى به غرّدا
لو اننى استطعت لسطرته
في ورق الورد بقطر الندى ا
تحمله في الفجر ريح الصبا
لسيد أكرِمْ به سيدا
يغضب الله ويرضى له
ليس كبعض الناس مستعبدا

وفاته

بعد مرض طال بالشيخ الزنكلونى شهورا عدة . وفاه القدر الرحيم في اليوم الحادى والعشرين من رمضان عام ١٣٥٩ هـ الموافق للعاشر من شهر اكتوبر ١٩٤٠

وفي هذه الفترة من مرضه كان بيته مزارا لاعلام الدين والوطنية من امثال : الشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ مصطفى المراغى . والشيخ عبد المجيد سليم والشيخ محمود شلتوت . والشيخ عبد اللطيف دراز وغيرهم ..

كذلك زاره مصطفى النحاس . وحنفى محمود . ومحمد حسين هيكل . وطه حسين ..

وشيعته الجموع الغفيرة الى مثواه بمقبرته بالغفير في القاهرة ..

واعترافا بفضله اطلقت وزارة التربية والتعليم اسمه على أحدى مدارسها وفاء له وتخليدا لذكراه ..

رحم الله العالم الجليل . والمجاهد النبيل ..

سيدى الشيخ على عبد الفتاح سرور الزنكلونى ..

ولداك
محمد الطاهر الزنكلونى
مدير الشئون الادارية لمجمع البحوث الاسلامية .

من وحي الريف

محراب شاعر

للدكتور حسن جاد

خميلةَ الشعر كم حرّكتِ أوتاري ... للشدو فيك وكم ألهمتِ أفكاري

يامبعث الروح في الأبدان هامدةً ... ومَهبِط الوحى من آيات أشعارى

حَيَّيتُ فيك مكانا كم نظمت به ... لآلىءَ الشعر فوق الجدول الجارى

من كل عصماء من نجواك رائعةٍ ... عذراءَ تختال في وَشْى وأنْوار

ساجلت طيرك فيها شاكيا غرداً ... كأنني طائر ما بين أطيارِ

تَبكتْ أليفا عن الوكر الجميل نأى ... فرحتُ أبكى أليفاً نائِىَ الدارِ

والبدر يشرق أحيانا فيؤنسُنى ... وتارة يتوارى خَلْفَ أستارِ

والأرض مجلوّة الآفاق وادعةٌ ... تجلو المزارعُ فيها قدرةَ البارى

والكون حولك قد ساد السكونُ به ... عداد نسيمٍ رقيق النفح معطار

والكون معبد روحى، في محاربه ... أُسَبح الله في صمتٍ وإسرار

●●●

خميلة الشعر كم من أنجمٍ عَظُمَتْ ... أسوتُها لك في حُبّ وإكبارِ

كم عشت في جوّك النشوان منفردا ... مُطَهِّر النفس من حِقْدٍ وأوضارِ

سئمت من معشرٍ بيض ظواهرهم ... لكن بواطنهم سوداء كالقارِ

وجدت فيك ـ غَنَاء عن صداقتهم. ... خِلاًّ وَفِيَّاً، ومحرابا لأفكارى

■ جاذبية الإسلام

الإسلام والفكر الغربي

■ تصويب وتعقيب على مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

جاذبية الإسلام

للمستشرق مكسيم رودنسون

Maxime Rodinson La Fascination de l'Islam

• جاذبية الاسلام • عنوان لكتاب من تأليف المستشرق مكسيم رودنسون وقامت بنشر ترجمته الى العربية عن أصل فرنسى دار التنوير ببيروت .. وربما يعنى العنوان للوهلة الأولى أن المؤلف سوف يعرض فيه شيئا من مزايا الاسلام ، التى ينبغى أن تكون موضع جذب للذين يريدون الدخول فيه . ولكن هذا الفهم سرعان مايتبدد ، حين تتخطى العينان الغلاف الى صفحات الكتاب ، وحينئذ سوف نرى أن المؤلف يكتب في موضوع مخالف تماما لما تبادر الى الذهن من وراء هذا العنوان الخادع ..

فالمؤلف يعر- ي [illegible] الكتاب بالتسجيل للعلاقة التى نشأت بين الغرب وبين الاسلام منذ الفتوحات الاسلامية حتى الآن . ومعنى ذلك أن الجاذبية هنا تعنى الجاذبية التى نشأت عنها الدراسات التى حاولت أن تقتحم أسوار هذا الحصن ، الذى غير ابناؤه وجه التاريخ - في سنوات معدودات ، ووصلوا في سبيل التبليغ بدينهم الى اعماق هذا العالم الغربى الذى لم يجد بدا من الدراسة والتعرف ، مهما كان هناك من نفور أو اغراض ، على نحو يذكرنا بما كان يصنعه كفار قريش ، حين كانوا يصدرون عن سبيل الله ، وفي الوقت نفسه يسترقون السمع الى صوت القرآن الكريم ، لأن هناك جذبا خفيا يدعو الى الأنصات والاستماع .

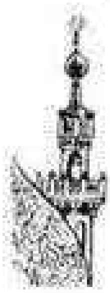
والكتاب في حقيقته يضم محاضرتين للمؤلف ، الأولى قائمة على بحث مراحل النظر الغربى على العالم الاسلامى ، والثانية تلقى الضوء على الدراسات العربية والاسلامية في أوربا ..

والمؤلف يقدم معلوماته من خلال هاتين المحاضرتين في تركيز شديد ، يصل في بعض الاحيان الى الاشارات الخاطفة ، التى لايقف عليها الا المتخصصون في ميدان الاستشراق ، وقد أداه هذا التركيز الى الاحالة على مصادر كثيرة ومتنوعة ، تدل من ناحية على القيمة العلمية لما يسجله وتدل من ناحية اخرى على الدراسات الوفيرة التى قامت حول الاسلام ، هادفة الى الحق ، أو قاصدة الى الباطل لغايات يتغياها الدارسون .

ولقد كان المؤلف موضوعيا وهو يعرض بالنظر لمراحل الرؤية الغربية للعالم

عرض وتعليق
د. طه مصطفى أبو كريشة





الاسلامى فلم يشا أن يخفى النظرات الخاطئة القائمة على التعصب، خاصة في المراحل الأولى التى حملت من التعصب المقيت اوزارا ثقالا، أعمت العيون عن رؤية الحق الواضح، وغطتها بغشاء كثيف من الحقد والبغضاء.

ونظن أن الكتاب في أصله الفرنسي المترجم عنه، أوضح بكثير من الترجمة العربية التى بين أيدينا، فهذه الترجمة شابتها العجمة في اللغة، ومن ثم ألقت عليها ظلالا كثيفة من الغموض والتعقيد وخلخلة البناء الأسلوبى، بالاضافة الى كثرة الألفاظ الأجنبية، التى لم تشفع بما يوضح معانيها..

ومثل هذا المسوخ في الترجمة أمر شائع في الترجمات اللبنانية التى تكشف عن مدى بعد أصحابها عن بلاغة اللغة العربية بعدما أشاع في أساليبهم شيئا من التعتيم والاغراب والتعقيد، وهو أمر بالغ الخطورة حين ينشر على الناس مثل هذا الاسلوب في التاليف أو الترجمة، فتذوى شجرة اللغة، وتصاب أوراقها اليانعة بالجفاف..

ولو أتيح لهذا الكتاب مترجم على قدم راسخة في اللغتين العربية والفرنسية لكان للكتاب شأن أكبر واحظى من هذا اللون الذى قدم من خلاله الى قراء العربية، ونأمل أن يتاح ذلك..

- ٢ -

اما المحاضرة الأولى التى تبحث مراحل تطور النظر الغربى على العالم الاسلامى فان المؤلف يقسم هذه المراحل الى مايلى:

أ - مرحلة الصراع المحتدم بين الغرب وبين الاسلام خلال القرون الوسطى، وهى مرحلة حافلة بكل نظر خاطىء، وبكل معرفة زائفة، وكل من الخطأ والزيف متعمد من قبل القائمين به، والمؤلف يسجل للغربيين نظرتهم الى الاسلام في هذه المرحلة حين

جاذبية الإسلام

كانوا يصورون المسلمين بأنهم غزاة بربريون مخربون . اجتاحوا العالم الاسلامى في شمال افريقيا وفي جنوب اوربا وغربها حتى اسبانيا ..

ويدخل في هذا المرحلة سنوات الحروب الصليبية . وسنوات الصراع في الاندلس . خاصة في تلك السنوات الاخيرة التى شهدت نهاية المسلمين في هذه البلاد .. ويرى المؤلف ان العالم الاسلامى بقى في هذه الفترة العدو الاول للعالم المسيحى . ولم تعد المعارك التى تخاض ضده في اسبانيا وايطاليا الجنوبية وصقلية مجرد معارك صمود ومقاومة . وانما اصبحت تهدف الى القضاء على الاسلام والاعداد لغزوه في عقر داره ..

وقد تكونت خلال هذه الفترة صورة شائهة عن الاسلام . صنعها اولئك الذين ارادوا ان يقدموا لجمهورهم صورة كريهة عن الاسلام . وفي هذا المجال يذكر المؤلف أن المؤلفين اللاتين في القرن الحادى عشر اخذوا يكتبون عن الاسلام . وفي سبيل تلبية الحاجة عند الجمهور الكبير من شعوبهم ركزوا جهودهم على حياة النبى (صلى الله عليه وسلم) دون ان يتحروا الدقة والصواب في كتاباتهم . مطلقين العنان لسبحات الخيال الذى يذهب في الشطط والتزيد والتحريف الى مدى بعيد ..

ولقد كان لهذا النشاط المشوه اثره فى الأجيال اللاحقة . التى تلقت هذه المعلومات وكأنها الحقائق المسلمات . التى لاتقبل نقدا ولانقضا .

ويذكر المؤلف على سبيل المثال ان بعض هذه المعلومات كان يصور المسلمين على أنهم عبدة اصنام . وانهم كذلك يعبدون نبيهم !!

ويؤكد المؤلف ان هذه المواقف ليست موضوعية بطبيعة الحال لانها تهدف الى تاصيل الحقد والعداء في نفوس جمهورهم ضد الاسلام ..

لكن اذا كانت الموضوعية بعيدة كل البعد عن كل مايتصل بالدين فان هذه الموضوعية يعثر عليها ـ كما يرى المؤلف ـ في جانب اخر ليست له صلة بالعقيدة الدينية الا من طريق بعيد وغير مباشر .. هذا الجانب هو ميدان العلوم منذ مطلع القرن العاشر .. وهنا يسجل المؤلف أن العرب كانوا يملكون تراجم مؤلفات العالم القديم الاساسية . التى لم يكن يعرفها الغرب . ولم يعرفها الا عن طريق الترجمات العربية ..

ويذكر المؤلف حسنة لهذا الجانب . اذ ان الوقوف على هذا الجهد العربى المبذول ادى الى تكوين نظرة معتدلة . عند بعض المستشرقين الذين أرادوا أن ينصفوا الاسلام والمسلمين . وان يكتبوا في هذا المجال كتابة موضوعية منصفة بعيدة عن اسلوب ادب التسلية والترويج الذى حشدت فيه خرافات كثيرة عن الاسلام ..

وهنا بدا الاعداد لنقل الثقافات العربية الاصيلة والمترجمة الى لغات الغرب . لكن لم يكن هذا النقل من أجل خدمة الاسلام بداهة . وانما كان من اجل خدمة العالم الغربى . وتعزيز مكانته العلمية . التى بدت

متأخرة كثيرا عن نشاط العلماء المسلمين ..

ومنذ ذلك الوقت اخذوا يقفون على جهود العلماء المسلمين في ميادين الطبيعة والفلسفة والطب . وبرزت أمامهم في شموخ اسماء الفارابى . وابن سينا وابن رشد وابن خلدون ..

ويذكر المؤلف ان اللاتين اكتشفوا حينئذ صورة عن الاسلام ، مضادة بعنف لتلك الصورة التى صنعوها بايديهم في الاطار الدينى ..

ويبرز المؤلف اثر ترجمة الكتب الفلسفية الى اللغات الغربية ، ويذكر ان هذه الكتب احدثت تأثيرا هائلا في اوربا ، وأبرز هذا التأثير مافيه من دعوة لاعادة النظر في الدراسات الخاصة بالألوهية والعالم والانسان على نحو أصيل .

وقد أخذ هذا التأثير يصنع صنعه في العقلية الغربية حين بدأت في انشاء مدارس مؤسسة على اراء ونظرات الفلاسفة المسلمين ، وقد قامت هذه المدارس بدور فعال في تقديم معلومات اقرب الى الصحة عن جغرافية العالم الاسلامى وعن عاداته وتقاليده ، وعن حضارته ونظم حياته ، وان كان قد تسرب في هذا المجال كثير من المعلومات الخاطئة التى الصقت الصاقا على انها من تعاليم الأسلام ، دون تفرقة بين عادات الجهلاء والعامة ، وبين مظاهر الدين الصحيح ..

واذ كانت هناك أسباب سياسية وعسكرية وعلمية ، جعلت الغرب يتجه الى معرفة كثير من احوال العالم الاسلامى ، فان هناك عاملا اخر ، وهو عامل الاقتصاد والسعى وراء الربح التجارى فقد كان العالم الاسلامى ميدانا اقتصاديا مغريا لعدد كبير من التجار الاوربيين ، ويذكر المؤلف أن هؤلاء التجار مهما كان تعلقهم بايمانهم المسيحى ، فانه لم يكن بامكانهم الأخذ بالاحكام المتسرعة ، التى اطلقت على العالم الاسلامى في أوربا ، ومن ثم تكون لديهم نوع من الاحترام المتبادل ..

ولايغفل المؤلف في ختام عرض هذه المرحلة الكبيرة الاشارة الى ماحظى به السلطان صلاح الدين الأيوبى من اعجاب كبير لدى الغربيين ، الذين لمسوا فيه عن قرب كثيرا من الامور التى تستحق الاعجاب والاكبار .

وقد أشار المؤلف الى أن بعض هذه الأمور يعود الى انه خاض الحرب مع أعدائه بانسانية وفروسية ، لكن المؤلف ينسى أو يتناسى أن هذه الانسانية التى أعجبتهم ناشئة أساسا من اتباع صلاح الدين لتعاليم دينه فيما يتصل بشئون الحرب ، وهى تعاليم لايراها هؤلاء المعجبون لافيما يدينون به ، ولافيما يسلكونه عمليا في حروبهم مع المسلمين ..

وقد عز على بعض هؤلاء المعجبين - من منطق العصبية - أن يجعلوا صلاح الدين منحدرا من أصول اسلامية خالصة ، فأباحوا لانفسهم أن يجعلوا بعض هذه الأصول متصلا بعروق مسيحية ، كما صنعوا هذا الصنيع بالنسبة لكثير من العلماء المسلمين الكبار !! (١٥ - ٢٩) ..

ا ب مرحلة النمو وتخفيف حدة الصراع : يصور المؤلف مقدمات هذه المرحلة بقوله : « ان تراكم معارف صحيحة عن الاسلام واصوله وعن الشعوب الاسلامية والعلاقات العملية الكثيرة في الميدان السياسى وميدان التجارة على حد سواء ،

جاذبيـــة الإســـلام

والاحترام المتبادل الذى كان ينشأ من جرائها في بعض الاحوال . والتقدير الكبير لمذاهب علمية أو فلسفية كان مصدرها مغروسا في أرض الاسلام . هذا كله مضافا اليه التطور الداخلى البطىء للذهنية الغربية . كان يقود شيئا فشيئا الى تغير الزاوية التى منها كان يرى هذا العالم الغريب » .

فكيف تغيرت هذه الزاوية ومامظاهرها ؟ لقد تغيرت الرؤية الشرسة الشيطانية التى كان ينظر بها الى العالم الإسلامى الى رؤية اخرى اهدا واكثر وضوحا واشراقا في بعض المواقع . وليس فيها كلها . لان الصورة المغروسة في الاذهان في العصور الوسطى مازالت تؤثر في عقول الجماهير البسيطة . ويضرب المؤلف مثلا على هذه الرؤية المتسامحة بما كان يصنعه « فريدريك الثانى » الذى كان يتناقش بالعربية مع المسلمين في الفلسفة والمنطق وفي الطب والرياضيات . وكان ينقل الى حياته الخاصة بعض العادات الاسلامية . بالاضافة الى العلاقات الشخصية الحميمة التى كان يقيمها مع الأمراء المسلمين في ذلك الوقت في النصف الاول من القرن الثالث عشر » .

وفي سبيل البحث عن سر قوى هذا التحول يرى المؤلف ان التطور في هذا الاتجاه قواه الخطر المغولى الذى اخذ يهدد ويهاجم البلاد الاسلامية في القرن الثالث عشر . ذلك لان الغربيين راوا ان الخطر سيجتاحهم حتما اذا ماتغلب التتار على المسلمين واذن فمن المصلحة عدم شغل المسلمين بمعارك جانبية تحول بينهم وبين التفرغ لهذا العدو القادم من الشرق » .

ويتابع المؤلف بيان الاسباب القوية فيذكر انه من وجهة النظر الفكرية كان كبار المؤلفين المسلمين عنصر تجديد للحياة الفكرية في الغرب . ولذلك اصبحوا محل دراسة واستيعاب في الثقافة العامة المشتركة . واصبحت كتبهم دائرة بين النسخ والشرح والمدارسة .

هذا الى جانب التاثر بالثقافة الاسلامية والادب الاسلامى بفضل العلاقات التجارية التى كانت اكثر نظاما واشد توثيقا (٢٩ ـ ٣٥) .

(جـ مرحلة التقارب والمشاركة . وهى المرحلة التى تم فيها نمو الامبراطورية العثمانية بدءا من القرن الرابع عشر .

ويرى المؤلف ان نمو هذه الامبراطورية ايقظ الى حين الاهتمام بالدين الاسلامى في دوائر البحث الدينى بعيدا عن دائرة البحث العسكرى والصراع الدموى .

ويحاول المؤلف ان يرد سبب هذا التقارب الى ان الغرب لم يكن يخشى الدولة العثمانية من الناحية الدينية . وانما كان يخشاها من الناحية السياسية والثقافية . ومن ثم بدا السعى الى التعايش والمهادنة . وخلق جو من الاحترام . تقام في ظله علاقات سياسية وطيدة . ويضيف المؤلف الى هذه الاسباب سببا اخر ربما كان موضع نظر وذلك حين يسوق راى القائلين بان الاتراك كانوا في حقيقة الامر قوة اوروبية . فليس من الحتم اذن مبادرتهم بالعداء . لكن هذا لم يصدق على مرور الايام .

ويوجز المؤلف الانطباع العام لهذه المرحلة فيقول « بقى الاتراك المسلمون مع ذلك اقوى

امبراطورية في اوربا .. وكانت أبهة الباب العالى تثير انطباعا قويا لدى الاوربيين وقوته تفرض نفسها على اذهانهم» (٣٥ ـ ٣٩) .

(د) مرحلة النظرة الموضوعية خلال القرن الخامس عشر والسادس عشر : في هذه المرحلة تزداد الدراسة الموضوعية للعالم الاسلامى . ويرى المؤلف ان الذى سهل ذلك هو قرب المسافة . والعلاقات السياسية الوثيقة ، والعلاقات الاقتصادية النامية . وكثرة عدد الرحالة الذين يجوبون الشرق ، مع ضعف وحدة الكنيسة في اوربا .

ويرى المؤلف ان الدراسة الموضوعية في هذه المرحلة التالية لمرحلة التعايش والتقارب السابقة ، اصبحت امرا ضروريا عما كان من قبل فرجال السياسة ورجال التجارة في هذه الاونة محتاجون معا الى اعمال مفصلة ، واوصاف محددة ومقنعة ، ومن ثم بدات دراسة النظم الاسلامية ، ودراسة العادات والاخلاق من وجهة نظر محايدة بعيدة عن التاثر بالخلفية التى صنعتها مرحلة الصراع المحتدم . (٣٩ ـ ٤١) .

(هـ) مرحلة الاستشراق : في القرن السابع عشر : في هذا الصدد يتناول المؤلف الاسباب التى ادت الى بدء الاستشراق فيذكر منها خدمة العمل التبشيرى منذ العصور الوسطى ، والاهتمام بوحدة الكنائس الشرقية . والمصالح السياسية والتجارية ، ونمو المذهب الانسانى الباحث عن ثقافة كونية شاملة .

وقد ادت هذه الاسباب الى نمو الدراسات العربية الخاصة باللغات واللهجات والشعوب ، مع جمع المخطوطات . ووضع المطبعة في خدمة طباعته .. فبدأ بذلك مولد شبكة استشراق وثيقة انتشرت فيها كراسى اللغة العربية في معاهد الاستشراق التى أخذت تعمل في نشر الاعمال العلمية تباعا من خلال تمويل ومساندة علمية متخصصة . (٤١ ـ ٤٤) .

(و) مرحلة عصر الانوار في القرن الثامن عشر : وهو العصر الذى مضى فيه الجيل التالى من الموضوعية الى الاعجاب بالدارسات العربية والاسلامية .

ويرى المؤلف ان سبب ذلك هو ماشهده الغرب من تسامح الامبراطورية العثمانية مع شتى انواع الاقليات الدينية ، وكذلك فان تركيا اصبحت ماوى المضطهدين الذين كانوا يديرون بصرهم نحو الباب العالى هربا من الاضطهادات الدينية الكاثوليكية والارثوذكسية .

ومن الاسباب الاقتناع بان الاسلام دين العقل الذى يدعو الى حياة اخلاقية مع احترام مقبول لمتطلبات الجسد والحواس والحياة الاجتماعية .

ومنها الاعتراف بالحضارة التى نقلها العرب الى اوربا والتى انعكست على حياتهم بشكل ملموس لم يعد في وسعهم انكاره .

وفي هذا المجال ـ مجال الاعجاب ـ يشير المؤلف الى حشد من المستشرقين الذين الفوا ونشروا مؤلفاتهم دفاعا عن الاسلام واعجابا به . من خلال نظرة متفهمة فيها كثير من الحيدة . وفيها كثير من النقد للافكار

السابقة التى تكونت خطا عن العالم الاسلامى . (٤٤ ـ ٤٨) .

(ز) مرحلة التخصص العلمى في القرن التاسع عشر : في هذه المرحلة ازدادت الحاجة الى العمل العلمى المتخصص ، المبنى على الدراسات المسبقة ، والمؤسسة على النصوص الاصلية وبالتالى على معرفة متعمقة للغات سكان البلاد .

ويكشف المؤلف عن دور الارساليات التبشيرية في هذه المرحلة التى ازدادت فيها الحاجة الى التخصص ، ويرى ان رجال هذه الارساليات استغلوا حالة الضغط في العالم الإسلامى للقيام بهجماتهم التبشيرية مركزين في دعوتهم على ان نجاح الامم الاوروبية انما كان بسبب اتباع الدين المسيحى ، وان ضعف العالم الاسلامى كان بسبب اتباع الاسلام ، بغية الوصول الى أن المسيحية بطبيعتها محبذة للتقدم ، وأن الاسلام داع للركود والتأخر الثقافيين .

ولذلك فان ابرز مظاهر هذه المرحلة هو اشتداد الهجوم على الاسلام في عدوان شرس ظاهر ، مع التنبيه الى خطر قيام اية دعوة اسلامية تدعو الى توحيد المسلمين .. ويضرب المؤلف مثلا لذلك الدعوة الى الجامعة الاسلامية التى كانت تؤرق وتفزع من يحاولون مهاجمة الاسلام (٤٩ ـ ٦٠) .

(ح) مرحلة القرن العشرين المعاصرة : في هذه المرحلة يشير المؤلف الى مجموعة من الحروب والثورات في مطلع هذا القرن بدءا من الحرب العالمية الاولى . ويرى المؤلف ان هذه الحرب زعزعت ثقة الحضارة الاوروبية في ذاتها . كما ان الثورات المتعددة في كثير من البلاد الاسلامية ، اكدت انه ليس من السهل ان يروج المبشرون بضاعتهم الزائفة عن الاسلام ، هذا الى جانب نمو الوعى الثقافى والفكرى لدى ابناء الشرق الاسلامى .

ولا يخفى المؤلف ان الغرب قد حاول ان يستغل الاسلام لخدمته ضد الشيوعية الملحدة ، وهذا مايفسر محاولة التقريب بين الاسلام والمسيحية التى سعى ونادى اليها رجال الفاتيكان في السنوات القريبة الماضية ، وكذلك يفسر التريث الدقيق في اصدار الاحكام على الاسلام وبنى الاسلام على نحو يبعد عن تلك الاحكام التى كانت تذيع في العصور الوسطى ولايعنى ذلك ان هذا الشعور امر عام بين جميع ذوى الرأى بل ان هناك من هؤلاء من لايزال مصمما على الدفاع عن الحضارة المسيحية والاوروبية ضد الموج الاسلامى الصاعد .

ويشير المؤلف الى تزايد الاهتمام بالدراسات الشرقية الاسلامية في شتى الميادين ، ولكن في شىء كثير من الصعوبة ، حيث تعقدت المشكلات مع تقدم العلوم الانسانية .. وتلك خاتمة المطاف في هذه المراحل (٦١ ـ ٦٧) .

ـ ٢ ـ

اما المحاضرة الثانية فهى التى خصصها المؤلف لبيان الدراسات العربية والاسلامية في اوربا ، وفيها يعدد الجهود المختلفة التى بذلت فى هذا الميدان ، والتى منها على سبيل الايجاز (٦٩ ـ ١٠) .

أ ـ تطور البحث العلمى فى ميدان العلوم الانسانية .

ب ـ نشر المخطوطات الشرقية الأكثر أهمية ، مع فهرستها وفك رموزها ، وترجمتها وشرحها .

جـ محاولة تفصيل الفهارس القديمة بشكل أدق وأخص .

د ـ تقدم البحوث فى علم الآثار وتاريخ الفن الاسلامى .

هـ ـ العناية بتاريخ العلوم وتاريخ الشريعة الاسلامية .

و ـ تحسن دراسة اللغات بفضل المناهج الحديثة .

ز ـ دراسة تاريخ الأدب على ضوء المناهج الجديدة .

ح ـ دراسة العقيدة الاسلامية فى شىء من التعاطف الناتج عن شعور بالذنب على الاساءة القديمة للمسلمين .

ط ـ افساح المجال لدراسة التصوف الاسلامى .

وفى نهاية المطاف يطرح المؤلف تساؤلا : كيف يمكن النظر الى مستقبل الدراسات عن العالم الاسلامى ؟ ويجيب من خلال رؤية شخصية بانه فى المقام الأول يجب عدم ترك الرصيد العلمى الثمين الذى تم فى القرنين الماضيين . ثم يجب على الباحث أن يبذل كل جهوده للوصول الى رؤية موضوعية ، حتى وان كان من المؤكد تماما أن الموضوعية الكاملة ليست فى متناول الانسان ، وان عليه ان لا يهمل الأوضاع الراهنة فى حقل الدراسات المعنية ان مسيرة البحث سوف تستمر ، لأن العلم موجود ، وسيوجد طالما البشرية باقية ، ان تقدما ما سيظهر الى النور حتى ولو كان جمعا للمعارف العلمية فحسب .

ـ ٤ ـ

وبعد ، فان القيمة العلمية لهذا الكتاب انما تبرز فى القسم الأول منه ، وهو القسم الذى حدد فيه المؤلف مراحل الاحتكاك الغربى بالعالم الاسلامى على النحو السابق . وتأتى القيمة العلمية لهذا الجزء من كونه صادرا من مستشرق ، قدم الأبيض والأسود والمقبول والمرفوض فى مراحل هذا الاحتكاك ، فهى شهادة لها قيمتها ، حين يخاطب المؤلف أبناء جلدته ، مبينا ماكانوا عليه من خطأ أو صواب ، وما شاع بينهم من حقائق أو خرافات عن الاسلام والمسلمين ، فلعل هذه الشهادة تردهم يوما ما الى صواب ينتهى بهم الى الرشاد الذى يرون فيه الحق حقا والباطل باطلا دون أن يلتبس هذا بذاك عن تعمد مقصود ، أو عن قصور فى الفهم والادراك .

د . طه مصطفى أبو كريشة

تصويب وتعقيب على

مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى

في حديثنا في مقالاتنا الست السابقة عن مزاعم المستشرقين فيما يتعلق بقضية الفكر الاسلامى. قدمنا بعض مفترياتهم وحاولنا ردها بما فتح به الفتاح العليم لايدفعنا الا التماس الحقيقة من طريقها الطبيعى وهو طريق البحث الموضوعى في القضايا موضوع المناقشة. فأتينا بشبهاتهم محققة قدر الامكان ثم أتيناها من القواعد فمادت القواعد وانهار البنيان ..

لا انه كان هناك سؤال يلح على خاطرى دائما اثناء معالجة قضاياهم فحواه.

اذا كانت الحقيقة بهذه الدرجة من الوضوح فما الذى اغفل عقول هؤلاء شترقين عنها سيما وانهم علماء ؟

وما الذى اصم اذانهم عن سماع صوتها المدوى ؟

وبادىء ذى بدء اريد ان انبه الى ان هذه المزاعم ـ وان خرجت من افواه بعض المستشرقين ـ الا انه لامناص لنا من الاعتراف بان بعض المنصفين من المستشرقين قد القى السمع الى الحقيقة فاسفرت بحوثهم عن نتائج علمية تنصف الاسلام والمسلمين.

وهذا الصنف من المستشرقين لم نتحدث عنه الا قليلا في ثنايا هذه المقالات من منطلق اهتمامنا بما يثيره البعض الاخر من الشبهات حول الاسلام والمسلمين ولم نعتمد عليهم كثيرا في الرد من منطلق ان صاحب الحق هو احق الناس بالدفاع عنه وهو في ذات الوقت اقدر من غيره على التعبير عن الحقيقة وابرازها لانه معنى بالدفاع عن حما والذود عن حياض دينه.

ونعود الى السؤال المطروح فنقول :

ان الدافع عند اصحاب هذه المزاعم ليس دافعا علميا وانما هو دافع تعصبى ضد الاسلام والمسلمين ..

والتعصب من شانه ان يعمى عن الحقيقة . او يعمل على تشويهها اذا استطاع المتعصب ادراك بعض جوانبها

والتعصب ضد الاسلام والمسلمين ظاهرة غالبة على تفكير بعض المستشرقين يدفعهم الى التماس بعض المطاعن الموهومة.

وهذا التعصب في نفس الوقت تعصب مزدوج او مركب. فهو تعصب دينى اساسه

للدكتور محمود عبد المعطي بركات

الحقد على الاسلام دين الله الخالد - بغية التشكيك في صلاحيته لتسيير حياة من يدينون به الى التقدم والرقى - بل يعزون مظاهر التخلف في حياة المسلمين الى تمسكهم باهداب هذا الدين !

ويعلم الله ويعلم كل منصف متامل ان المسلمين لو مارسوا اوامر هذا الدين حقا وصدقا وتجنبوا مانهى عنه عفة وزهدًا .. لما ال امرهم الى ما ال اليه من حالتهم الراهنة -

ولا صعوبة في ان يحكم كل منصف للحقيقة بان مايوجد في حياة المسلمين من مظاهر التخلف لايرجع الى التمسك بالدين ، بل يرجع الى البعد عنه والتحلل منه كمنهج معصوم يقود حركة المسلم في الحياة دينا ودنيا -

والاسلام الان ـ كمبادىء وعقائد ـ هو نفسه الاسلام الذى نهض به المسلمون الاوائل وأنتجوا حضارة باهرة بهرت الدنيا حيث مدنوا العالم بعلمهم وشقت ثقافتهم نورا في ظلام الغرب الدامس ومن المعروف تاريخيا انه كان لعلم المسلمين وثقافتهم دور لاينكر في حضارة اوربا الحديثة - وقد لهج بذلك قدماء الاوربيين ومحدثيهم - وقد استمعت قريبا الى حديث « هيلموت كول » مستشار المانيا الغربية اثناء زيارته للقاهرة حيث قرر الرجل في صراحة : ان معرفة المانيا بالعرب قديمة فقد اخذ الالمان عن العرب الطب والعلوم -

وهناك شق اخر من التعصب هو هذا التعصب ضد المسلمين كجنس وعقليات والهدف منه طبعا هو تشكيك المسلمين في انفسهم بعد تشكيكهم في الاسلام .. وهذا هو مايعرف بالتعصب الجنسي - وقد حاولوا ان يلبسوا دعاواهم في هذا الميدان ثوب العلم وهى ابعد ماتكون عن العلمية والموضوعية وقد فعلوا ذلك ليوهموا المسلمين ان نتائج دراساتهم في تقسيمهم البشر الى منتج وعقيم دراسات علمية لاسبيل الى الشك فيها وقد بينا ماتنطوى عليه هذه الدراسات من اوهام في حديثنا عن المستشرق « رينان » -

ويعجبني في هذا المقام قول العقاد رحمه الله في كتاب مطلع النور !

« ان كثيرا من هؤلاء المستشرقين يقرنون سوء الفهم بسوء النية » -

والحق ان سوء الفهم تترتب عليه نتائج مختلفة نتيجة لمشكلة اللغة ومايتبعها وقد ينتج عن سوء الفهم التعميم في الاحكام وعدم الدقة في الحكم وقد مرت بنا نماذج من ذلك كما قال « تنمان » في حب العرب لارسطو وكما كان التعميم الشائن في مسالة القضاء والقدر في مقالنا عن « ميلر » -

وقد يؤدى سوء النية الى سوء الفهم فيلتقطون ظاهرة من هنا او هناك وينفثون من خلال فهمهم المغرض لها بعض سمومهم الناقعة -

ومهما كان من امر هذه التشخيصات - ومهما كان من امر هذه المزاعم فانهم يرمون

مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

من ورائها الى نتيجة مؤداها ، انه لاتوجد فلسفة اسلامية اصيلة ، وان هذه الفلسفة عالة على فلسفة اليونان او هى فلسفة يونانية مكتوبة بالعربية وقد لاتاخذ هذه النتيجة من الاهمية ـ رغم خطورتها ـ بمقدار ماياخذ ما اقيمت عليه هذه النتيجة من أسس ومقدمات ، فالاخطر من هذه النتائج في الحقيقة هو الاساس الذى يستندون اليه في انكار اصالة الفكر الاسلامى والفلسفة الاسلامية ، فهذا الاساس ، كما تقدم في خلال المقالات كثيرا مايقوم على حساب المساس بالقران والاسلام ، وهذا من وجهة نظرى اخطر مافي القضية وهذا مادعانى الى التركيز على الشبهات التى يستندون اليها ، سواء ماتعلق منها بالاسلام او بعقلية المسلمين وسحقها واذا ما انهار الاساس انهار بالتالى ما اقيم عليه من بناء .

ولاشك ان الاعتقاد بالتقليد المطلق في الفلسفة الاسلامية لفلسفة اليونان ينطوى على جهل مطبق بعدة حقائق من اهمها :

أولا : ان الفكر الاسلامى ليس وليد عصر الترجمة لتراث اليونان الى العربية وانما ماج العالم الاسلامى بحركات فكرية قبل عصر الترجمة ، فكانت مسائل علم الكلام قد نشات وعالجت مشاكل عقلية تتعلق بالجانب الالهى والجانب الانسانى قبل الترجمة بكثير ، فبحث علماء الكلام في الصفات الالهية كذلك بحثوا في الحرية الانسانية والمسئولية والجزاء .

وكانت هذه البحوث على درجة من العمق الفكرى لايمكن انكاره الا من جاحد مكابر وقد تقدم لنا شيء من ذلك في حديثنا عن مدرسة الجهم بن صفوان وفلسفة مذهب الجبر وموازنة بينه وبين مذهب المعلم الاول في الاله وعلاقته بالكون والتاثير فيه .

بل لانغالى اذا قلنا : ان جزيرة العرب نفسها قبل الاسلام قد ماجت فيها تيارات فكرية ، عند الحنفاء وغيرهم .

ثانيا : حركة معارضة الفكر اليونانى من قبل بعض المفكرين المسلمين وهذه المعارضة واقع تاريخى يعرفه العدو والصديق ، واهم مافي هذه المعارضة انها كانت تنطلق دائما من وجود بديل لهذا الفكر الوافد ويمكن ان ناخذ مثالا على ذلك من الناحية المنهجية ـ المنهج الاصولى الذى وضع اصوله الاولى الامام الشافعى رضى الله عنه .

فالحركات المعادية لفكر اليونان الوافد لم تنطلق من الواقع من فراغ وانما انطلقت من البديل من الناحية المنهجية والموضوعية .

ولامناص لنا من الاعتراف بإسلامية هذا الفكر البديل فقد كان الاسلام كدين وعقلية المسلمين كاناس رباهم الاسلام تربية فكرية بالحث المتواصل على الفكر والنظر اقول كان هذا كله هو المنبع الاصيل لهذه الحركة الفكرية .

ثالثا : مسالة التوفيق بين الدين والفلسفة في الوسط الاسلامى .

فهذا التوفيق يفترض سلفا أن هناك ميدانا لالتماس وجوه من التقارب ، وهذا يعنى ان هناك مسائل عقلية طرحها

الدين الاسلامى وتناولتها عقول المسلمين على نحو من الأنحاء .

ولو أن مسألة التوفيق هذه مبنية على بعض التسامح وكانت تتم في غالب الأحوال لحساب الفلسفة على حساب الدين من جانب الموفقين .. علما بأنها لاتخلو من خلل ان في المنهج أو في الموضوع .

فمن الناحية الموضوعية ينطوى التوفيق على اجحاف بحق الدين من وجهة نظرنا ـ وذلك لأن الدين الاسلامى معصوم المصدر . والفلسفة مهما كانت عبقرية فهى غير معصومة لأن مصدرها بشرى . أما مصدر الدين فهو إلهى .

ومن هنا كان ظلم التوفيق بين الدين والفلسفة .

ويزداد تصورنا لشناعة هذا الظلم اذا عرفنا ان هذا التوفيق كان يتم دون مساس يذكر بالفلسفة بل كان التاويل ينصب غالبا على نصوص الدين كيما توافق هذا الرأى او ذاك من هذه الفلسفة أو تلك .

اما من الناحية المنهجية :

ففى تجربة التوفيق من القصور ما لا يخفى . وقد تسبب في هذا القصور سمة لازمة للفلسفة اليونانية الالهية .. وهذه السمة هى التناقض والاختلاف وذلك لأن هذه الفلسفة لاتمثل اراؤها واجهة معينة متفقة حول موضوع معين . ولامناص لنا من الاعتراف بأن كل مذهب فيها يقوم غالبا على أشلاء سابقة . ومن ثم كان هذا الحصاد الفكرى المتنافر عند اليونان في المجال الميتافيزيقى .

والسؤال الذى يرد هنا هو :

بين من من الفلاسفة نوفق وبين الدين ؟

ولماذا يكون التوفيق بين هذا الفيلسوف بالذات وبين الدين .

وقد جرَّ الفلاسفة المسلمين الى عملية التوفيق اعتقاد خاطىء هو أن الفلسفة حق . والدين حق والحق لايضاد الحق .

وهذه فكرة خاطئة . فلاشك أن الحق لايناقض الحق .. فكيف بهذا التناقض المريع بين الفلاسفة بعضهم والبعض الاخر في الفلسفة اليونانية نفسها وكان ينبغى أن تلويهم هذه السمة عن هذا الاعتقاد الخاطىء بعصمة الفلسفة اليونانية .

وَبِيَّنةُ الاختلاف في الفكر اليونانى هذه ترتب عليها خطأ اخر عند بعض هؤلاء الذين تناولوا فلسفة فلاسفة الاسلام بالدراسة من حيث الاصالة والتقليد والذين حكموا على هذه الفلسفة . حيث نتج عن ذلك تمزيق فلسفة هذا الفيلسوف أو ذاك من فلاسفة الاسلام الى شرائح ورد كل شريحة الى ما يناظرها من رأى لهذا الفيلسوف أو ذاك من فلاسفة اليونان .

وهو عمل ينطوى على كثير من التعسف والتكلف عادة

ربما ، لامناص من الاعتراف بأن في تراث فلاسفة الاسلام التقليديين كالكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد وغيرهم . عناصر أصالة وابتكار في المجال الفلسفي وكانت لهم اراؤهم الخاصة بهم وقد تقدم لنا شىء من ذلك في مناقشاتنا للمستشرقين على وجه الالزام ..

ويكفينا هنا أن نشير مرة أخرى الى

مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامى

مسألة أو مشكلة العلم الالهى لدى فلاسفة الاسلام . ومعقد الأصالة الفلسفية لفلاسفة الاسلام في هذه المسأله هو :

أن فلاسفة الاسلام انطلقوا الى ماقرروه في هذه المسألة من منطلق أرسطى . أو قل من مبدأ أرسطى . هو أن العلم بالمتغير يؤدى الى التغير في العالم .

وهذا الأساس عند أرسطو أدى به الى انكار العلم الالهى بالكون انكارا تاما فهو قد نفى العلم بالغير عن الله مطلقا من هذا المنطلق ولكن فلاسفة الاسلام ـ بعد اعتماد مبدأ أرسطو ـ لم يذهبوا الى نفى العلم الالهى بل قرروا علم الله بغيره على وجه لايؤدى الى التغير في الذات في نظرهم وهو مايعرف بالعلم الكلى .

وبصرف النظر عن عدم ملاءمة رأى فلاسفة الاسلام في هذه المسألة لمعطيات الاسلام الصريحة .

الا أن هذا الرأى من زاوية التجديد الفكرى البحت يحسب حقا لفلاسفة الاسلام .

وغير هذه المسألة كثير في باب التجديد في مجال الالهيات والانسانيات على حد سواء .

وهكذا فلم يكن فلاسفة الاسلام مجرد مرددين لنتاج عبقرية اليونان وانما كان موقفهم منها موقفا نقديا مبنيا على الفهم الواعى والاختيار الجيد من هذا التراث اليونانى . فهم كانوا يأخذون ويرفضون وكان استقبالهم لهذا التراث استقبالا واعيا مبنيا على منهج سليم في النقد .

ومن المناسب هنا أن نسوق أقوالا لبعضهم تبين موقفهم من هذا التراث .

يقول الكندى :

« فحسن بنا اذا كنا حراصا على تتميم نوعنا اذ الحق أن نلزم في كتابنا هذا عاداتنا في جميع موضوعاتنا . من احضار ماقال القدماء في ذلك قولا تاما على أقصد سبله وأسهلها سلوكا على ابناء هذا السبيل وتتميم مالم يقولوا فيه قولا تاما على مجرى عادة اللسان وسنة الزمان وبقدر طاقاتنا »(١) .

التتميم لما لم يقل فيه هؤلاء القدماء قولا تاما . هو مايشير اليه الكندى الا يعنى ذلك وجهة نظر نقدية يمكنها ادراك التام من غير التام وتتميم مالم يتم . وهو الإكمال أو التكميل .

وابن رشد كذلك يقول كلاما واضح الدلالة على التلقى الواعى والنقد المتبصر .

قال ابن رشد في كتابه فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ص ٧٨ « فقد يجب علينا ... أن ننظر في الذى قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم فما كان منه موافقا للحق قبلناه منهم وشكرناهم عليه وماكان غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم » .

---

(١) كتاب الكندى الى المعتصم بالله فى الفلسفة الأولى ص ٨٩ .

وكلام ابن رشد هنا اغنى مايكون عن التعليق في دلالته على التلقى بوعى وعلم ونقد وتبصر .

ويقول في ذلك ايضا ابوبكر الرازى في رسائله الفلسفية :

« اعلم ان كل متاخر من الفلاسفة اذا صرف همه الى النظر في الفلسفة وواظب على ذلك واجتهد فيه وبحث عن الذى اختلفوا فيه لدقته وصعوبته عَلِمَ عِلْمَ من تقدمه منهم وحفظه واستدرك عليه بفطنته وكثرة بحثه اشياء أُخر لانه مهر بعلم من تقدمه وفطن لفوائد اخرى واستفضلها اذ كان البحث والنظر والاجتهاد يوجب الزيادة والفضل »

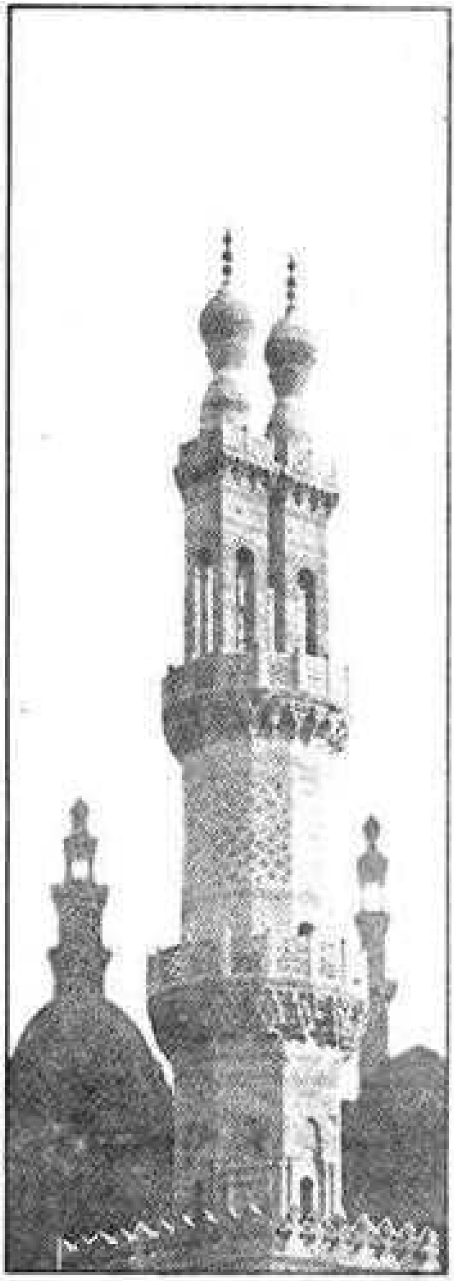
هذا مايقوله الرازى .

وهو يلقى الضوء على سنة فكرية وهى استفادة اللاحق من السابق واستدراكه . الناتج عن البحث والنظر والاجتهاد ولاشك ان فلاسفة الاسلام خضعوا لهذه السنة . شانهم في ذلك شان فلاسفة الارض قاطبة .

ونعنى بهذه السنة « التاثير والتاثر » وهو العنصر التالى ـ في مقالنا القادم ـ بمشيئة الله ـ هذا العنصر الذى تجاهله المتهمون للفكر الاسلامى من المستشرقين .

تابع البقية في العدد القادم

د / محمود عبد المعطى بركات
الباحث بلجنة العقيدة والفلسفة
بمجمع البحوث الاسلامية



■ مجلة الأزهـــر
من خمسين عاماً

مع التراث

■ من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهـــر

كِبَرُ الهِمَّة في العِلْم

للشيخ محمد الخضر حسين

عرض وتقديم : الأستاذ أحمد حسن جابر رجب

إعلم أن العلم أشرف مارغب فيه الراغب، وأفضل ماطلب وجد فيه الطالب، وأنفع ماكسبه واقتناه الكاسب.

وأعلم أن للمتعلم في زمان تعلمه ملقا وتذللا أن استعملهما غنم، وان تركهما حرم، لأن التملق للعالم لم يظهر مكنون علمه، والتذلل له سبب لادامة صبره. وباظهار مكنونه تكون الفائدة، وباستدامة صبره يكون الاكثار.

وقد روي البيهقي في شعب الايمان عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

«ليس من أخلاق المؤمن الملق ولا الحسد الا في طلب العلم».

ومن لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا.

واذا قرب منك العلم فلا تطلب مابعُد، واذا سهل من وجه فلا تطلب ماصعب، واذا حمدت من خبرته فلا تطلب من لم تخبره، فان العدول عن القريب الي البعيد عناء، وترك الأسهل بالأصعب بلاء – والانتقال من المخبور الي غيره خطر، والقصد أسهل من التعسف، والكف أودع من التكلف وربما يتبع الانسان من بَعُد عنه استهانة بمن قرب منه، وطلب ماصعب احتقارا لما سهل عليه، وانتقل الي من لم يخبره مللا خبره فلا يدرك محبوبا ولايظفر بطائل وفي الامثال العربية، العالم كالكعبة يأتيها البعداء، ويزهد فيها القرباء.

وانما يري العلماء علي أبواب الاغنياء، ولايكاد يري الأغنياء علي أبواب العلماء.

كبر الهمة في العلم

لأن منفعة المال لاتخفي ، ولجهل الأغنياء بفضل العلم .

ويلزم العلماء من الأخلاق التواضع ومجانبة العجب ، لأن التواضع عطوف والعجب منفر ، وهو بكل أحد قبيح وبالعلماء أقبح ، لأن الناس بهم يقتدون . وكثيرا مايداخلهم الاعجاب ، لتوحدهم بفضيلة العلم ، ولكون العجب نقص ينافي الفضل فلا يفي ما ادركوه من فضيلة العلم بما لحقهم من نقص العجب . وعلة اعجاب العلماء ، انصراف نظرهم الي كثرة كلّ ـ دونهم من الجهال . وانصراف نظرهم عمن فوقهم من العلماء . فانه ليس متناه في العلم الا وسيجد من هو أعلم منه . اذا العلم أكثر من أن يحيط به بشر .

قال الله تعالى :

« نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ »

من الاية رقم ٧٦ من سورة يوسف .

قال أهل التأويل ، يعني فوق كل ذي علم من هو أعلم منه حتي ينتهي ذلك الي الله تعالي .

وقلما تجد بالعلم معجبا ، وبما أدركه منه مفتخرا الا من كان فيه مقلا ومقصرا . وقد قسم الخليل بن أحمد أحوال الناس فيما علموه أو جهلوه أربعة أقسام لايخلو حال الانسان منها فقال : الرجال أربعة : رجل يدري ويدري أنه يدري . فذلك عالم فاسألوه . ورجل يدري ولا يدري أنه يدري . فذلك ناس فذكروه.ورجل لايدري ويدري أنه لايدري . فذلك مسترشد فعلموه . ورجل لايدري ولايدري أنه لايدري فذلك جاهل فارفضوه .

ومنشا التحاسد بين العلماء ، حب الدنيا فان علماء الاخرة يتوادون ولا يتحاسدون والفارق بينهما ، أن علماء الدنيا ينظرون الي الرياسة فيها ويحبون كثرة الجمع والثناء . وعلماء الآخرة بمعزل من ايثار ذلك وقد كانوا يتخوفونه ويرحمون من يلجأ به وبقدر صعود الانسان في الدنيا تنزل رتبته في الاخرة ، لأن الزمان أشرف من أن يضيع في طلب الدنيا .

وأما الصعود الذي سببه مخالطة السلاطين فبعيد أن يسلم معه الدين ، فان وقعت سلامته ظاهرا فالعاقبة خطرة ، لأنهم طلبوا الراحة فأخطأوا طريقها .

واذا تم علم الانسان لم ير لنفسه عملا ، وانما يري انعام الله الموفق لذلك العمل ويجب علي العاقل ألا يري لنفسه عملا أو يعجب به وذلك بأشياء منها :

أنه وفق لذلك العمل . « حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم » . الحجرات من الاية رقم ٠٧ . ومنها أنه اذا قيس بالنعم لم يف بمعشار عشرها .

ومنها أنه اذا لوحظت عظمة المخدوم احتقر كل عمل وتعبد .

وأكمل الناس أجزرهم عرفانا للحق ، وأقدرهم علي العمل بما يوافق الحق .

وأرذل الناس أنزرهم(١)معرفة بالحق ، وأعجزهم عن العمل بما يوافق الحق .

وأنفع الأشياء للانسان في الأبقاء علي نفسه ، أن يعلم أنه متي ارتكب المساويء لم

١ ـ من النزر اليسير

نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ صدق الله العظيم

يمكنه سد أفواه الناس عن ذكرها فلا يلتمس اسكاتهم بالغلظة علي من يعيبه بها بل يلتمسه باصلاح أخلاقه .

ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه ، لأن من أهمل صيانة نفسه ثقة بما منحه العلم من فضيلته . وتوكلا علي مايلزم من صيانته ، سلبوه فضيلة علمه ووسموه تصبيح تبذله فلم يف ما أعطاه العلم بما سلبه التبذل ، لأن القبيح أنم من الجميل والرذيلة أشهر من الفضيلة .

والناس لما في طبائعهم من البغضة والحسد ونزاع المنافسة . تنصرف عيونهم عن المحاسن الي المساويء ، فلا ينصفون محسنا ولايحابون مسيئا لاسيما من كان بالعلم موسوما منسوبا ، فان زلته لاتقال ، وهفوته لاتعذر .

اما لقبح أثرها ، واغترار كثير من الناس بها ، واما لان الجهال بذمة اغرى وعلى تنقيصه اجرا ، ليسلبوه فضيلة التقدم ويمنعوه مباينة التخصص عنادا لما جهلوه ومقتا لما باينوه ، لأن الجاهل يري العلم تكلفا ولوما ، كما أن العالم يري الجهل تخلفا وذما .

والعالم اذا زل كالسفينة تغرق ويغرق معها خلق كثير .

واذا صان ذو العلم نفسه حق صيانتها ولازم فعل مايلزمها من الفضائل أمن تعيير الموالي[1] وتنقيص المعادي ، وجمع الي فضيلة العلم جميل الصيانة ، وعزة النزاهة فصار بالمنزلة التي يستحقها بفضائله . ومن لم يعمل بما علم فقد استكثر من حجة الله عليه . ومن رزق همة عالية يعذب بمقدار علوها . كما قيل :

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الأجسام

وقيل :

ولكل جسم فى النحول بلية
وبلاء جسمي من تفاوت همتي

ومن علت وكبرت همته طلب العلوم كلها ولم تقتصر همته علي بعضها ، وطلب كل علم نهايته وهذا لايحتمله البدن . ثم يري أن المراد العمل فيجتهد في قيام الليل ، وصيام النهار والجمع بين ذلك وبين العلم صعب . ثم يري ترك الدنيا ويحتاج الي مالابد منه .

ويحب الايثار ولايقدر علي البخل ويتقاضاه الكرم البذل ، وتمنعه عزة النفس من الكسب من وجوه التبذل . فان هو جري علي طبعه من الكرم احتاج وافتقر وتأثر بدنه وعائلته . وان أمسك فطبعه يأبي ذلك .

وفي الجملة كبير الهمة في العلم يحتاج الي معاناة وجمع بين أضداد فهو أبدا في نصب لاينقضي وتعب لايفرغ .

ثم اذا حقق الأخلاص في الأعمال زاد تعبه وقوي وصبه فأين هو من دنت همته ؟

ان كان فقيها فسئل عن حديث قال : ما أعرفه . وان كان محدثا فسئل عن مسئلة

---

[1] ـ المناصرين المحبين

كبر الهمة في العلم

فقيهة قال : ما أدري ولايبالي أن قيل عنه مقصر .

أما العالي الهمة وكبيرها فانه يرى التقصير في بعض العلوم فضيحة قد كشفت عيبه وقد رأت الناس عورته .

والقصير الهمة لايبالي بحض الناس ولايستقبح سؤالهم ، ولا يأنف من رد .

والعالي الهمة لايحمل ذلك . لكن تعب العالي الهمة راحة في المعنى ، وراحة القصير الهمة تعب وشين ان كان ثمة فهم .

والدنيا دار سباق الى أعالي المعالي فينبغي لذي الهمة ألا يقصر في شوطه فان سبق فهو المقصود وان كبا جواره لم يلم . وهذا جمال ماعناه الشيخ في كلمته بعنوانها المتقدم قالي رحمة الله تعالي :

الحديث عن فضل العلم ، ومايناله طالبه من مجد وكرامة حديث لايكشف عن غامض ولا يطرق السمع بجديد . فأقصد الي شيء غير هذا . هو لفت أنظار نشئنا الي ناحية تجعل المعارف لدينا غزيرة والمباحث محررة . والاراء مبتكرة . وهي الوسيلة التي صعدت بعلمائنا الذين خدموا الدين والعلم والمدنية فكانت لهم المكانة التي يصفها التاريخ باجلال واعجاب ، وتعني بهذه الوسيلة كبر الهمة في العلم .

لكبر الهمة في العلم مظاهر هي :

أن تقضي الوقت في درس او مطالعة أو تحرير .

وأن تقتحم في سبيل الله ذلك المصاعب وتدافع مايعترضك من العوائق .

وأن تبسط النظر في كل مسألة تصديت لبحثها حتى تنفذ الي لبابها .

وأن تضع يدك في كل علم استطعت اليه طريقا .

ثم تحط رحلك في علم تكون فيه النجم الذي يهتدي به المدلجون ، والغيث الذي ينتجعه الظامئون . وكبر همتك في العلم يأبى ألا يكون للعلم مظهر هو العمل به والسير على مايرسمه من الخطط الصالحة في هذه الحياة .

اما صرف الوقت في ابتغاء العلم فان للعمر اجلا اذا جاء لا يستاخر ، وللعلم بحرا طافحا ليس له من اخر فكل ساعة قابلة لان تضع فيها حجرا يزداد به صرح مجدك ارتفاعا ويتقطع به قومك في السعادة باعا او ذراعا فان كنت حريصا على ان يكون لك المجد الاسمى ، ولقومك السعادة العظمى فدع الراحة جانبا ، واجعل بينك وبين اللهو حاجبا . واذا رجعنا البصر في تاريخ النوابغ الذين رفعوا للحكمة لواء ، وجدناهم يبخلون باوقاتهم ان يصرفوا شيئا منها في غير درس او بحث او تحرير .

قدم الحافظ ابن ابي حاتم صاحب كتاب « علل الحديث » الي القاهرة ليتلقى عن شيوخها مالم يكن يعلم فقضى في مصر سبعة اشهر لم يجد هو وأصحابه من الوقت مايهيئون فيه لطعامهم مرقا . وكانوا بالنهار يطوفون على الشيوخ . وبالليل ينسخون ويقابلون . ونقرا في حياة الفيلسوف ابي علي بن سينا انه لم ينم مدة اشتغاله بالعلم ليلة كاملة او لم يشتغل في النهار بسوي المطالعة . ونجد في التاريخ ان الفيلسوف ابن رشد لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الي ليلة وفاة ابيه وليلة بنائه على اهله .

لم يقض حق العلم ، بل لم يدر ماشرف العلم ذلك الذي يطلبه لينال به رزقاً او يناقش فيه قريناً حتى اذا ادرك وظيفة او انس من نفسه الفوز على القرين أمسك عنانه ثانيا ، وتنحى عن الطلب جانبا . وانما ترفع الاوطان رأسها ، وتبرز في مظاهر عزتها بهمم أولئك الذين يقبلون على العلم بجد وثبات ، ولاينقطعون عنه الا أن ينقطعوا عن الحياة .

وأما اقتحام المصاعب في الطلب فان معالي الامور وعزة المسالك محفوفة بالمكاره والعلم أرفع مقام تطمح اليه الهمم ، واشرف غاية تتسابق اليها الأمم ، فلا يخلص اليه الطالب دون أن يقاسي شدائد ويحتمل متاعب ، ولايستهين بالشدائد الا كبير الهمة ماضي العزيمة .

كان سعيدبن المسيب يسير الليالي في طلب الحديث الواحد ، ورحل أبو أيوب الانصاري من المدينة الى عقبة بن نافع وهو في مصر ليروي عنه حديثا فقدم مصر ونزل عن راحلته ولم يحل رحلها فسمع منه الحديث وركب راحلته وقفل الى المدينة راجعا ، ولم ينتشر العلم في بلاد المغرب أو الاندلس الا برجال رحلوا الى الشرق ولاقوا في رحلاتهم عناء ونصبا ، مثل أسد بن الفرات وأبى الوليد الباجي وأبى بكر ابن العربي .

يتجرع كبير الهمة مرارة حين تقف بينه وبين جانب من العلم عقبة ، فاذا وجد مرعى العلم خصبا فعناؤه فيما يدعونه راحة ، وانقباضه فيما يسمونه لهوا ، وألمه في ساعة ينقطع فيها عن العلم يساوي ألم مستهتر في الشهوات حين يقضي يومه في غير شهوة وقد يحسب من لم تصف بصيرته حتى يرى الحكمة في أسنى مظاهرها أن الذى يقول :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي
من وصل غانية وطيب عناق

انما هو شاعر لايبالي أن يفضل الشيء على ماهو أكمل في وجه الشبه وأقوى ويبعد في نظره ان يبلغ ابتهاج النفس عند تحقيق بحث علمي مبلغ ابتهاجها بلقاء الغانيات ولكن الذي يقدر الحكمة يرى أن ناظم البيت لم يجد شيئا يحاكي به اللذة التي يجدها عند مايطلق فكره وراء مشوار العلوم فيظفر بها ، فجاء الى هذا الذي اشتهر بين الناس انه لذيذ بالغ ، ووصف لذة الحكمة بأنها موق لذته ، فصاحب البيت لم يتجاوز في تصوير ارتياحه لتنقيح العلوم حد الحقيقة ..

وأما نفوذ النظر في لباب المسائل فلأن وقوف طالب العلم عند ظهورها واكتفائه بالمقدار الذي يقصر به عن حسن بيانها واجادة العمل بها ، لايبعدان به عن منزلة خالي الذهن منها ، فانما وضعت العلوم لتهدي الى العمل النافع ولاشرف لها في نفسها وانما شرفها بما يترتب عليها من عمل صالح أو كلم طيب ، فمن يقضي زمنا في طلب علم ثم ينفصل عنه وهو لايستطيع أن يدفع عن أصوله شبها ، أو يضرب له من العمل مثلا ، ذهب وقته ضائعا وبقي اسم الجهل عليه واقعا .

فالفقيه بحق من تعرض لواقعة لم يفصل لها الشارع حكما ولم يتناولها السلف باجتهاد ، فيرجع الى الأصول الثابتة والقواعد المقررة ويقتبس لها حكما موافقا ولا نكتفي ممن يدرس البلاغة أن يتصور

كبر الهمة في العلم

قوانينها، ويعرف أمثلتها الا أن يبصر بها كيف تسري في كتاب الله سريان الماء في الأزهار الناضرة، وحتى يستطيع أن يخطب أو يكتب على وفق مادرس من مناهجها الواضحة وأساليبها الساحرة ولايحق لنا أن نفتخر بفتيان درسوا الطبيعة والكيمياء، الا أن يعودوا وفي قدرتهم أن يستقلوا بادارة مصانع للدفاع، ومعامل لمرافق الحياة. فانا نريد أن نعود كما كنا أساتذة في العلوم نقلية أو عقلية، نظرية أو مادية.

ومما رمى الأفكار في خمول ووقف بها حقبة عن الخوض في عباب العلوم الى أمد بعيد، هذه المختصرات التي يقضي الطالب فتح مغلقها وحل عقدها قطعة من حياته جديرة بأن تصرف في اكتساب مسائل هي من صميم العلم. والملكات تقوى بالبحث في لباب العلم أكثر مما تقوى بالمناقشة في ألفاظ المؤلفين. وممن نبه على أن الاختصار عائق عن التحقيق في العلم احد علماء القرن الثامن العلامة محمد المعروف بالابلي(١) اذ قال: «كل اهل هذه المائة على حال من قبلهم من حفظ المختصرات، فاقتصروا على حفظ ماقل لفظه ونزر حظه وافنوا أعمارهم في حل لغوزه وفهم رموزه، ولم يصلوا الى رد مافيه الى أصوله بالتصحيح فضلا عن معرفة الضعيف والصحيح».

فمن اسباب الرسوخ في العلم وطموح الهمم الى التوسع في البحث وعدم الرضا بما دون الذروة، قراءة الكتب التي تنسخ على طريقة الاستدلال والغوص على أسرار المسائل وهي طريقة المتقدمين من علمائنا.

واما بسط النظر في علوم متعددة فلارتباط العلوم بعضها ببعض، وكلما كان الاطلاع على العلوم اوسع، كان البحث في المسائل أجود، والخطأ في تقريرها أقل، والاحتجاج عليها أسلم فلا يجيد دراسة التفسير أو الحديث من لم يكن ضليعاً في العربية، ولايحكم الاستدلال على العقائد ويدفع مايحوم عليها من شبه الا من كان عارفا بالتفسير والحديث والقوانين المنطقية والمذاهب والاراء الفلسفية ولايقوم على دراسة الفقه او اصوله من لم يملأ يده من الحديث والتفسير والعلوم العربية».

واطلاع الرجل على علوم كثيرة يعرف موضوع بحثها ويقف على جانب عظيم من مبادئها لايمنعه من الاقبال على علم يجعل له من الدرس والمطالعة مايرفعه الى مرتبة ألمة الذين يكتبون فيه فيحققون، ويسألون عن أخفى مسائله فيجيبون والذي يضع يده في علوم شتى يمكنه أن يجاري طوائف العلماء في المباحث المختلفة، وعلى قدر مايكون للرجل خبرة بالعلوم يبعد عن مواقع خبرة الذلة ويزداد في اعين الناس تجلة.

عكف ابو صالح ايوب بن سليمان على كتاب العروض حتى حفظه فسأله بعضهم عن اقباله على هذا العلم بعد الكبر فقال: حضرت قوما يتكلمون فيه فأخذني ذل في نفسي أن يكون باب من العلم لا أتكلم فيه.

تقضي الحياة الراقية ان يقوم بكل علم طائفة يكونون السند الذي يرجع اليه، وكذلك كان علماؤنا فيما سلف يقبل كل

---

١ ـ من أساتذة ابن خلدون

طائفة منهم على علم يقومون عليه درايته، ويقتلونه بحثا. وبهذا اتسعت دائرة المعارف وظهرت المؤلفات الفائقة. وتراهم قد عرفوا من قبل أن نجاح قصر الطالب على الرسوخ في علم يرجع الى ترك الطالب وماتميل اليه نفسه من العلوم. ومما تقرأ في ترجمة ابي عبد الله محمد الشريف التلمساني وكان راسخا في المنقول والمعقول - أنه كان لايترك كل أحد من الطلبة ومايميل اليه من العلوم، ويري أن كل ذلك من أبواب السعادة.

ومن لطف مبدع الكون أن جعل النفوس، تختلف في استعدادها للعلوم والفنون والصنائع ليتنظم شأن الحياة وتتوافر وسائل السعادة. وربما نشأ أفراد في مهد واحد واختلف ميلهم الى العلوم فيبرز كل في العلم الذي وافق رغبته ووجه اليه همته، كابناء الأثير الثلاثة:علي(١) الملقب معز الدين امام في التاريخ ومحمد(٢) الملقب بمجد الدين تحرير في الحديث والادب. ونصر الله(٣) الملقب بضياء الدين بارع في الادب وتحرير الرسائل. وكثير من علمائنا كانوا يدرسون علوما مختلفة يبلغون في بعضها الذروة ويكتفون في بعضها بالمقدرة على تدريسها أو تحقيق مباحثها عند الحاجة فهذا أبو اسحق الشاطبي تقرأ له كتاب الموافقات أنك تتلقي الشريعة من امام احكم اصولها خبرة. وأشرب مقاصدها دراية، ثم تقرأ شرحه على

الخلاصة في النحو فتشعر بانك بين يدي رجل هو من أعز النحاة علما وأوسعهم نظرا واقواهم في الاستدلال حجة والقاضي اسماعيل من فقهاء المالكيين البالغين ودرجة الاجتهاد في الفقة قد سمت منزلته في العربية حتى تحاكم علمان من أعلامها في مسألة هما المبرد وثعلب.

وكبير الهمه في العلم يريد أن يكون النفع بعلمه أشمل، ومما يدرك به هذا الغرض احترامه لاراء أهل العلم. ولانعني باحترامها أخذها بالقبول والتسليم علي أي حال، وانما نريد نقدها بتثبت. وعرضها علي قانون البحث. ثم الفصل فيها من غير تطاول عليها ولا انحراف عن سبيل الادب في تنفيذها والفطر السليمة والنفوس الزاكية لاتحيد من الاقبال على حديث من يستحقه الغرور بما عنده مثل ماتجد من الاقبال علي حديث من أحسن الدرس أدبه وهذب الأدب منطقه.

١ - صاحب كتاب الكامل المعروف بتاريخ ابن الأثير

٢ - صاحب كتاب النهاية في غريب الحديث وجامع الاصول في أحاديث الرسول

٣ - صاحب كتاب المثل السائر

كبر الهمة في العلم

واذا كان الاستاذ كمدرسة يتخرج في مجالس درسه خلق كثير فحقيق عليه أن يكون المثال الذي يشهد فيه الطلاب كيف تناقش اراء العلماء مع صيانة اللسان من هجر القول الذي هو اثار الاعجاب بالنفس .. والاعجاب بالنفس أثر ضعف لم تتناوله التربية بتهذيب .

كبير الهمة يستبين خطا في رأي عالم او عبارة كاتب فيكتفي بعرض ما استبان من خطا علي طلاب العلم ليفقهوه . ويابى له ادبه ان ينزل الي مسقط الكلام او يخف الي التبجح بما عنده . وقد حدثنا التاريخ عن رجال كانوا اذكياء ولكنهم ابتلوا بشيء من هذا الخلق المكروه فكانوا عوجا في سيرهم ولطخا في صحفهم . ولو تحاموه لكان ذكرهم اعلي ومكانهم في النفوس اسمي ومنزلتهم عند الله ارقي ..

وخلاصة المقال : تذكير النبهاء من نشئنا بان يقبلوا علي العلم بهمة كبيرة .

صيانة الوقت من غير أن ينفق في غير فائدة .

وعزم يبلي الجديدان وهو صارم صقيل .

وحرص لايشفي غليله الا أن يغترق من موارد العلوم بأكواب طافحة .

وغوص في البحث لاتحول بينه وبين نفائس العلوم وعورة المسلك ولاطول مسافة الطريق . والسنة مهذبة لاتقع في لغو ومهاترة .

ذلك عنوان كبر الهمة في العلم . وذلك مايجعل وطننا منبت عبقرية فائقة ومطلع حياة علمية رائعة . ومانبتت العبقرية في وطن نباتا حسنا . الا كانت أرضه كرامة وسماؤه عزة . وجوانبه حصانة ومنعة .

محمد الخضر حسين

نور الاسلام (مجلة الأزهر)

الجزء الثامن شعبان ١٣٤٩ هـ



كتاب
فتح العزيز على كتاب الوجيز
لأبي القاسم القزويني

من أئمة علماء المسلمين الامام الغزالى له مكانته العلمية ليس بين علماء المسلمين فحسب، ولكن بين العلماء فى سائر الأقطار. وللامام الغزالى أسلوبه الخاص فى عرض قواعد العلوم وبسط قضاياه، فهو لا يقنع بسرد المعلومات جافة جامدة، بل يلتزم فى أكثر الأحيان أن يتبع القواعد بالأمثلة ليستأنس المتعلم وينشط فى تحصيل العلوم وقد نهج هذا المنهج فى أكثر ما صنف من كتب فى مختلف الفنون..

وللغزالى مؤلفات كثيرة فى فنون مختلفة أكثرها فى علم الكلام والتصوف والأصول والفقه ومن مصنفاته فى الفقه كتاب «الوجيز» على مذهب الامام الشافعى وقد وصفه بقوله «انى متحفك أيها السائل المتلطف والحريص المتشوف بهذا الوجيز الذى اشتدت اليه ضرورتك وافتقارك. وطال فى نيله انتظارك بعد ان ماخضت لك فيه جملة الفقه فاستخرجت زبدته وتصفحت تفاصيل الشريعة فانتقيت صفوته وعمدته واوجزت لك المذهب البسيط الطويل.. الخ».

ومن العلماء الذين شرحوا «وجيز» العلامة ابى القاسم عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم، الرافعى القزوينى، ولد سنة ٥٥٧ هـ (سنة ١١٦٢م) وتوفى سنة ٦٢٣ هـ (سنة ١٢٠٦م) فقيه من كبار الشافعية، كان له مجلس بقزوين للتفسير والحديث، وتوفى فيها. نسبته الى رافع بن [illegible]يج الصحابى. له «التدوين فى ذكر اخبار قزوين» و«الايجاز فى اخطار الحجاز» وهو ماعرض [illegible] من الخواطر فى سفره الى الحج و«المحرر فى الفقه» و«فتح العزيز فى شرح الوجيز»

---

(١) الكتاب رقم خاص ٣٦٧ رقم عام ٥٧٢٩ فى الفقه الشافعى بمكتبة الأزهر

فتح العزيز على كتاب الوجيز

للغزالي » في الفقه الشافعي (١) وهو موضوع البحث ..

قال عنه صاحب كشف الظنون (٢) أن الامام أبو القاسم القزويني الرافعي الشافعي شرحه شرحا كبيرا سماه (فتح العزيز على كتاب الوجيز) وقد تورع بعضهم عن اطلاق لفظ العزيز مجردا على غير كتاب الله تعالى فقال (فتح العزيز) وهو الذى لم يصنف في المذاهب مثله . وقد اختصر الشيخ الامام ابراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني المتوفى سنة ٦٥٥ هـ شرح فتح العزيز وسماه (نقاوة فتح العزيز) وفرغ منه في شعبان سنة ٦٢٥ هـ وقال فيه بعد مدح الرافعي وشرحه : لكنه قد بسط فيه الكلام وكاد يفضى بالناظر الى الملال فأردت اختصاره مع جواب ما أورده من السؤالات والاشارة الى حل اشكاله انتهى .

وقال السلفاني وقفت للوجيز على سبعين شرحا وقد قيل لو كان الغزالي نبيا لكان معجزته الوجيزة ..

وفى الطالع السعيد أن ابن دقيق العيد لما وصل اليه الشرح الكبير (فتح العزيز للرافعي اشتغل بمطالعته وصار يقتصر من الصلوات على الفرائض فقط ..

قال فيه الشيخ تاج الدين بن تقي الدين السبكى - في طبقات الشافعية الكبرى (٣) - كفاه بالفتح العزيز شرفا . فلقد علا به عنان السماء مقدارا وما اكتفى . فانه الذى لم يصنف مثله فى مذهب من المذاهب . ولم يشرق على الامة كضيائه فى ظلام الغياهب .

كان الامام الرافعي متضلعا فى علوم الشريعة . تفسيرا وحديثا وأصولا مترفعا على أبناء جنسه فى زمانه . وأما الفقه فهو فيه عمدة المحققين . كأنما كان الفقه ميتا فأحياه وأنشره بعد ما أماته الجهل فأقبره كان فيه بدرا يتوارى عنده البدر اذا دارت بى دائرته . وجوادا لا يلحقه الجواد اذا سلك طرقا ينقل فيها أقوالا ويخرج أوجها فكأنما عناه البحترى بقوله :

واذا دجت أقلامه ثم انتحت
برقت مصابيح الدجا فى كتبه
فاللفظ يقرب فهمه فى بعده
فينا ويبعد نيله فى قربه
حكم سحابتها حلال بيانه
هطالة وقليبها فى قلبه
فالروض مختلف بحمرة نوره
وبياض زهرته وخضرة عشبه
وكأنها والسمع معقود بها
شخص الحبيب بدا لعين محبه

قال ابن الصلاح أظن أنى لم أر فى بلاد العجم مثله

قال المصنف رحمه الله حجة الاسلام أبى القاسم الرافعي القزويني فى مقدمة مؤلفه :

أحمد الله الحق ذا الجلال والاكرام وأصلى على رسوله محمد خير الانام وأسلم عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والسلام .

وأقول : ان المبتدئين لحفظ المذهب من أبناء الزمان قد تولعوا بكتاب الوجيز للامام الغزالي رحمه الله . وهو كتاب غزير الفوائد جم العوايد . وله القدح المعلى والحظ

---

(١) الاعلام للزركلي جـ ٤ ص ١٧٩

(٢) المجلد الثانى ص ٢٠٠٢

(٣) جـ ٥ ص ١١٩

الأوفى . من استيفاء أقسام الحسن والكمال ، واستحقاق صرف الهمة اليه ، والاعتناء بالاكباب عليه والاقبال ، والاختصاص بصعوبة اللفظ ، ودقة المعنى لما فيه من حسن النظم وصغر الحجم وأنه من هذا الوجه محوج الى أحد أمرين ، أما مراجعة غيره من الكتب وأما شرح يذلل صعابه ..

ومعلوم أن المراجعة لا تتأتى لكل أحد وفى كل وقت وأنها لا تقوم مقام الشرح المغنى عن الايضاح للكتاب ، فدعانى ذلك الى عمل شرح يوضح فقه مسائله وتوجهها ويكشف عما انغلقت من الألفاظ ودقت من المعانى ليغتنمه الشارعون فى ذلك الكتاب المخصوصون بالطبع السليم ويعينهم على بغيتهم ويكتبه الذين رأوا غيره أولى بهم لما ذهب عليهم من فقه الكتاب ودقائقه واستصعابه عليهم فينكشف لهم أنهم حرموا أشياء كثيرة ولقبته بالعزيز فى شرح (الوجيز)

وهو عزيز على المختلفين بمعنى وعند المبرزين المصنفين بمعنى وربما يلتبس على المبتدئين والمتبدئين أمور من الكتاب فيطمعون فى اشتمال هذا الشرح على ما يشفيهم ولا يظفرون به ، فليعلموا أن السبب فيه أن تلك المواضيع لا تستحق شرحا يودع بطون الأوراق والقصور فى أفهامهم فدأبهم الرجوع الى من يوقفهم على ما يطلبون والله ولى التيسير ، وهذا حين افتتح القول فيه مستعينا بالله ومستوجبا للاختصار ما استطعت والله حسبى ونعم الوكيل ..

وقد بدأ الشرح بكتاب الطهارة وفيه ثمانية أبواب ونذكر على سبيل المثال الباب الأول فى المياه الطاهرة والمطهر للحدث والخبث هو الماء من بين سائر المائعات أراد بالطهارة بعض أنواع الطهارة وهو الطهارة بالماء والا فمن شرطه ادراج التيمم فى أبواب هذا الكتاب لأنه احدى الطهارات ، ألا ترى أن قول الشافعى رحمه الله طهارتان فكيف يفترقان .. الخ .

الباب الثانى فى المياه النجسة وقسمه الى فصول أربعة ، الفصل الأول فى النجاسات والجمادات كلها على الطهارة الا الخمر وكل نبيذ مسكر والحيوانات كلها على الطهارة الا الكلب والخنزير وفرعهما .. الخ .

الباب الثالث فى الاجتهاد قال ، مهما اشتبه اناء تيقن نجاسته بمشاهدة أو استماع من عدل باناء طاهر لم يجز أخذ أحد الاناءين الا باجتهاد وطلب علامة تغلب على الظن الطهارة ، واذا اشتبه عليه اناء طاهر باناء نجس واحتاج الى الطهارة فماذا تعمل فيه ثلاثة أوجه :

احدها ، يستعمل ما شاء من غير اجتهاد ونظر لأن الذى يقصده بالاستعمال غير معلوم النجاسة والأصل فيه الطهارة والثانى ، انما يأخذ احدهما اذا ظن طهارة المأخوذ ولكن لا يشترط استناده الى اجتهاد وامارة بل له أن يأخذ بما سبق وهمه اليه وكفى ذلك من حجة لأصل الطهارة .

والثالث ، وهو المذهب ولم يذكر فى الكتاب سواه أنه لا يجوز أخذ أحدهما الا بالاجتهاد وطلب علامة تغلب على الظن طهارة المأخوذ ونجاسة المتروك لأن أصل الطهارة عارضة يقين النجاسة .. الخ ..

الباب الرابع فى الأوانى وهى ثلاثة أقسام

الأول المتخذ من الجلود واستعماله جائز بشرط أن يكون الجلد طاهرا وطهارته بالزكاة فيما يؤكل لحمه أو بالدباغ فى الجميع الا الكلب والخنزير . وجعل الأوانى على ثلاثة أقسام لأنها اما أن تتخذ من الجلود أو العظام أو من غيرهما وعلى الأحوال فالأعيان المتخذ منها اما أن تكون نجسة فلا يجوز استعمالها فى الشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال أو طاهرة فيجوز .

ويستثنى الذهب والفضة على ما سيأتى شرحه فى موضعه .. الخ .. وختم المصنف شرحه بكتاب أمهات الأولاد وقال فيه من استولد جاريته فأتت بولد ظهر عليه خلقه الأدمى اما حيا أو ميتا عتقت عليه إن مات ولا يجوز بيعها قبل الموت على التحديد ولذا لا يبيع ولدها من زنا اذا حصل بعد الاستيلاد ويعتقون أيضا بموته وله استخدامها ووطئها وتزويجها بغير رضاها . وقيل لا يجوز الا برضاها وقيل لا يجوز برضاها أيضا الا بمراجعة القاضى وله ارش الجناية عليها وعلى أولادها .. الخ .

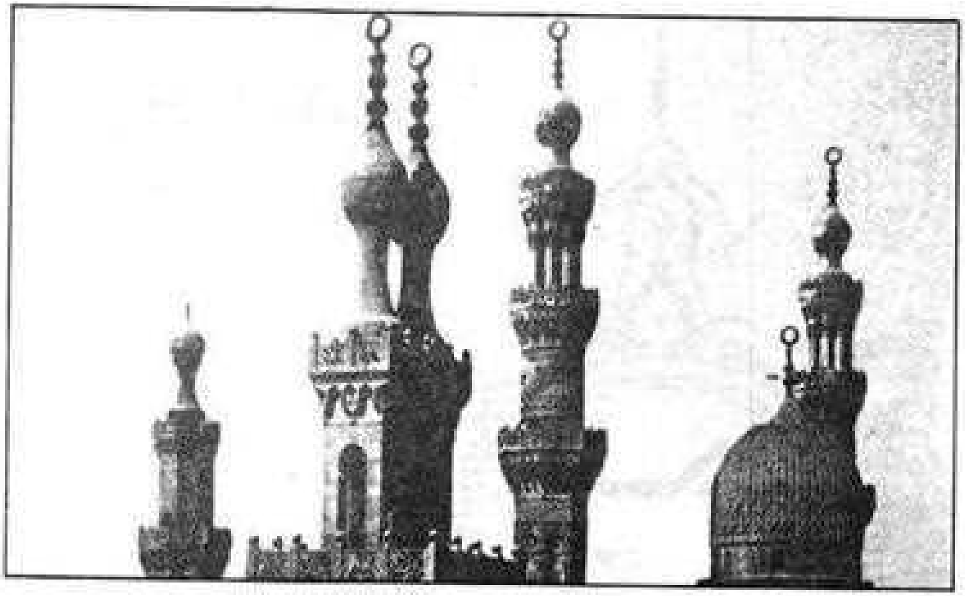
وقد ختم كتابه بالحمد لله ذى الجلال والاكرام وولى الطول والانعام ويقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا انك رءوف رحيم ..

وذيل الناسخ آخر الكتاب بقوله : وكان الفراغ من كتابته يوم السبت الحادى والعشرين من شهر رجب الفرد سنة ثمان وستين وستماية كتبه العبد الفقير المعروف بالتقصير الراجى عفو ربه ورضوانه محمد بن عبدالله بن أبى عمرو الأنصارى ..

وكتاب فتح العزيز على كتاب الوجيز الذى نقدمه تراثا نادرا من حيث القيمة العلمية والأثرية والتاريخية والذى تحويه مكتبة الأزهر الشريف ويعتبر فريدا فى نوعه اذ أنه كتب بعد وفاة المؤلف بخمسة وأربعين عاما فى القرن السابع الهجرى ..

وتقع النسخة فى ثمانية عشر مجلدا بقلم معتاد بخطوط وسطور مختلفة اخرها بخط محمد بن عبدالله بن أبى عمرو الأنصارى سنة ٦٦٨ هـ ، بها نقص فى غالب أجزائها تستكمل نواقصها بنسخ أخرى موجودة بمكتبة الأزهر ، وعدد سطورها مختلفة .

وينتهى الجزء الأول من هذا الكتاب بباب الأذان وعدد أوراقه مائة وثمانون ورقة . ويبتدىء الثانى منه وينتهى بكتاب صلاة الخوف وعدد اوراقه ٢٥٠ ورقة ويبتدىء الثالث منه وينتهى بكتاب الاعتكاف وعدد أوراقه ٢٠٣ ورقة ويبتدىء الرابع أثناء الحج وينتهى بكتاب القرض وعدد أوراقه ٢٨٨ ورقة ويبتدىء الخامس بكتاب الرهن وينتهى بكتاب الوكالة وعدد أوراقه ٢٢٤ ورقة . ويبتدىء السادس بكتاب الاقرار وينتهى بكتاب الغصب وعدد أوراقه ١١٦ ورقة . ويبتدىء السابع بكتاب الشفعة وينتهى بكتاب اللقطة وعدد أوراقه ٢٤٩ ورقة . ويبتدىء الثامن بكتاب اللقيط وينتهى بكتاب الفرائض وعدد اوراقه ١٠٨



ورقة . ويبتدىء التاسع بكتاب الوصايا والصدقات وعدد أوراقه ٢٢٤ ورقة . ويبتدىء العاشر بكتاب النكاح وينتهى بنهايته وعدد أوراقه ١٩٠ ورقة . ويبتدىء الحادى عشر بكتاب القسم والنشوز وينتهى بكتاب الطلاق وعدد أوراقه ٢٣١ ورقة . ويبتدىء الثانى عشر بكتاب الرجعة وينتهى بأركان الرضاعة وعدد أوراقه ٢٢٧ ورقة ويبتدىء الثالث عشر بكتاب الباب الثانى فيمن يحرم بالرضاعة وينتهى بكتاب الجراح وعدد أوراقه ١٩٣ ورقة ويبتدىء الرابع عشر بكتاب الديات وينتهى بالركن الثانى فى السرقة وعدد أوراقه ٢٥١ ورقة . ويبتدىء الخامس عشر بفروع ومسائل من باب العدة وينتهى بالتفاوت فى الصفات وعدد أوراقه ٢٢٥ ورقة . ويبتدىء السادس عشر بالحجة الثالثة فى السرقة وينتهى بكتاب الضحايا وعدد أوراقه ٢٢٨ ورقة . ويبتدىء السابع عشر بكتاب الأطعمة وينتهى أثناء كتاب الشهادات وعدد أوراقه ٢٥٦ ورقة . ويبتدىء الثامن عشر بقوله ولا يجوز تحمل الشهادات وينتهى الى اخر الكتاب وعدد أوراقه ٢٦٧ ورقة .

هذه عجالة قصيرة للتعريف بهذا الكتاب أنموذجا صافيا لذهن صاف وقلب مؤمن مطمئن عرفانا بفضله وتقديرا لجهده رحمه الله رحمة الصديقين والشهداء جزاء ما قدم للاسلام والمسلمين ..

في اللغة والأدب والنقد

- بين التهذيب واللسان
- العَدَد
- مدرسة الديوان
- إبن هَرْمة والإحتجاج بالشعر

بين التهذيب واللسان

للدكتور محمد عبد الحفيظ العريان

(٥) دور التهذيب في بناء اللسان

من خلال المواد الثلاثة (جعب ـ عرب ـ نوأ) التى أمكن لنا درسها تبين لنا أن ابن منظور قد أخذ كل ما أورده الأزهرى فى تهذيبه من مادة بعد تشويشها ووضعها فى مواضع مختلفة ولعله حسب رأى الدكتور نصار «قد اعتمد المحكم لابن سيده أساسا فى بناء معجمه ثم يأخذ بعد ذلك مادة الأزهرى فيكون التهذيب اذن المصدر الثانى بعد المحكم»(١).

وقد حاولت المقارنة بين التهذيب واللسان من خلال المواد الثلاثة فوجدت :

(١) أن ابن منظور فى مادة (جعب)(٢) قد نقل مادة الأزهرى مشوشة ولم يضف اليها سوى فعلين وهما «جَعَبَهُ جَعْبًا، اذا ضرب به الارض وجَعْبَاهُ، إذا صرعه» والملاحظ أنه لم يصرح باسم الأزهرى.

(٢) أنه ـ فى مادة عرب ـ قد أخذ أيضا جميع المادة مشوشة باستثناء مادتين تقريبا وقد صرح فى هذه المادة باسم الأزهرى نحو عشر مرات.

(٣) أنه فى مادة (نوأ) قد أخذ أيضا جميع المادة فيقول حينا ـ قال الأزهرى وحينا اخر قال أبو منصور ـ وحينا ثالثا ـ فى التهذيب ـ وقد صرح بذلك ثمانى مرات.

وبعد : فما الذى نستنتجه من المقارنة ؟!

---

(١) المعجم العربى (نشأته وتطوره) جـ ٢ ص ٦٧٧ بتصرف - د. حسين نصار، ط. دار الكتاب العربى بمصر ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م. المعاجم اللغوية (فى ضوء علم اللغة الحديث) ص ١٥ ـ ١٨ بتصرف د. محمد أحمد أبو الفرج، بيروت دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م.

(٢) لسان العرب (١) ٢٦٠.

بين التهذيب واللسان

ان ابن منظور قد اعتمد كثيرا على التهذيب فى بناء معجمه . وكان أمينا فى نقله فلم يحوّر النص بل كان ينقل نقلا حرفيا الا ما هنا لك من تصرف جزئى . والملاحظ هنا أن ابن منظور كان يحذف أحيانا سلسلة الرواة ويستعمل عوضها عبارة (حكى الأزهرى) او روى الأزهرى أو (عن التهذيب) أما اذا أراد نقل راى شخصى للأزهرى فانه يستعمل عبارة « قال الأزهرى » .

والذى يلفت النظر حقا ان ابن منظور بعد نقله لرأى الأزهرى الشخصى لا يعقب عليه بقبول أو رفض . والغريب أنه لا يناقش الأزهرى مباشرة حتى فى شرحه لمعانى الأبيات أو فى تفسيره للآيات وانما يعمد الى طريقة أخرى وهى نقل[1] كلام الأزهرى ثم يرد فى ذلك بكلام غيره مثال ذلك ما ورد فى مادة (عرب) فقد ذكر بيت الكميت :

وجدنا لكم فى آل حم آية
تأولها منا تقيٌّ مُعَرِّبُ

ثم علق على هذا البيت بقوله : « هكذا أنشده سيبويه كَمُكَلِّم وأورد الأزهرى هذا البيت « تَقِيٌّ ومُعْرِبُ » وقال تقى يتوقى اظهاره حذر أن يناله مكروه من أعدائكم . ومعرب اى مفصح بالحق لا يتوقاهم . وقال الجوهرى معرب مفصح بالتفصيل وتقى ساكت عنه بالتقيّة (١) والذى نستنتجه من المثال :

(١) أن ابن منظور قد روى مُعَرِّب على وزن مُفَعِّل بينما روى الأزهرى اسم الفاعل على وزن مُفْعِل . فهل معنى هذا أن ابن منظور يرجح رواية سيبويه على رواية الأزهرى . أم أنه أراد اثبات الروايتين تاركا للعلماء حرية الترجيح ولكنه ألم يرجح رواية سيبويه باثباته لها أولا ؟ .

(٢) أنه بعد نقله لشرح الأزهرى لمعنى (تقى ومعرب) قد أورد شرح الجوهرى الذى يتفق فى مضمونه مع شرح الأزهرى . فأين موقف ابن منظور . فهل يمكن ألا يكون لعالم أديب كابن منظور (رأى صريح) فى كل ما رواه من اراء الأزهرى من شروح وتفاسير .

من المستبعد ألا يكون لابن منظور رأى خاصة فى تفسير الآيات القرانية أو فى توضيح الاحاديث النبوية أو فى شروح الابيات الشعرية . أى فيما له اتصال بفهم النص وتدقيق معناه لأن عالما كابن منظور لا يمكن ألا يكون له على الاقل موقف جزئى . واذا كان الأمر كذلك فبما ذا نفسر احجامه عن ابداء رأيه ؟ هل يكون سبب ذلك ميل أهل العصر ـ كما أسلفنا ـ الى الجمع والتدوين وتقليد القدماء ؟!

من المسلم به أن عصر ابن منظور قَلَّ فيه الابتكار والاختراع كما لاحظنا ذلك . ولكن الفيروز ابادى (ت ٨١٧ هـ) فى قاموسه المحيط كان معاصرا (٢) لابن

---

(١) لسان العرب ، ج ١ ، ص ٥٨٦ .

(٢) واعنى بالمعاصرة هنا وجود الفيروز ابادى فى العصر العلمى الذى ترعرع فيه ابن منظور .

منظور وكان مع هذا يبدى رأيه فى منقولاته وفى أصحاب المعاجم الذين اعتمدهم حتى أنه يقول « ليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثانه يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كُلٌّ ما يستحق . واختصصت كتاب الجوهرى من بين الكتب اللغوية مع ما فى غالبها من الأوهام الواضحة والأغلاط الفاضحة لتداوله واشتهاره بخصوصه (١) فالفيروز ابادى يحاول الاجتهاد كما نلاحظ من هذه الجملة ويقرر قاعدة حضارية عميقة وهى أن المعرفة انسانية لا يختص بها جيل دون جيل ، وأن القدماء ليسوا دائما مصيبين أو مخطئين كذلك المحدثون .

واذا كان معاصر ابن منظور على نحو ما رأينا من ميله الى المناقشة والاجتهاد فهل يكون ابن منظور قاصرا عن هذه المنزلة ؟ لا أظن ذلك فان للرجل معرفة دقيقة واطلاعا واسعالاشك فيهما . واذا ثبت ذلك فان له موقفا يجب البحث عنه من خلال مواد اللسان . وهنا ان لنا أن نلقى هذا السؤال العريض : هل من وظيفة المعجمى أن يجتهد أم أن دوره هو مجرد اقرار ما وقع الاتفاق عليه عن طريق المجامع أو الهيئات العلمية المختصة ؟!

يبدو أن الازهرى لا يفرق بين الناقد اللغوى وبين العالم المعجمى ، لذلك سمح لنفسه بالنقد وابداء الرأى وسجل ذلك فى معجمه .

أما ابن منظور فانه ــ حسبما يبدو لى ــ يميل الى المنهج الموضوعى فى التزام رواية ما هو صحيح لغة كما نقله الثقات من العلماء عن العرب قصد حماية العربية من تسرب الدخيل وتسلله ولعل تفضيله ابن سيده على الأزهرى لا يرجع الى الطعن فى ثقته كعالم معجمى بقدر ما يرجع ذلك الى الطعن فى اجتهاده ، اى فى خروجه عن اطار وظيفته كمعجمى الى اطار الناقد المتفلسف فى اللغة والدليل على توخى ابن منظور منهجا موضوعيا صرفا هو ايمانه فى بعض الأحايين برأى ولكنه لم يطبقه فى معجمه ومثال ذلك دفاعه عن أبى نواس فى مادة (يأيأ)(٢) بما يفهم أنه وان لم يستشهد بشعره لدى اللغويين لكونه مولّدا ، فإنه جدير بأن يعتمد وبأن يستشهد بكلامه نظرا لمعرفته بلغات العرب وأيامهم ووقائعهم .

فابن منظور حسب موقفه من أبى نواس يرى أنه يمكن الاستشهاد بكلام المولدين اذا كانوا فى مكانة أبى نواس اللغوية ولكنه لم يطبق رأيه هذا فى معجمه لسان العرب اذا اقتصر على نقل ما صح لدى أرباب المعاجم السابقة من ألفاظ .

وموجز القول فان لابن منظور منهجا علميا عماده نقل النصوص الثابتة كما وردت عن أصحابها وما ذِكْرُهُ لروايات متناقضة فى شرح كلمة واحدة الا دليل على أنه يريد أن يمد المطالع بما أمكن له جمعه تاركا له حرية الترجيح بين تلك الروايات أو رفض بعضها ، حَسْبُهُ أنه قدم له مادة صحيحة موثوقا بها عنده وهذا هو ما توخاه فى بيت الكميت المتقدم ذكره عندما نقل رواية سيبويه (مُعَرّب) ورواية الازهرى (مُعْرِب) كما نقل شرح تقىٍّ ومعرب عند كل من

(١) القاموس المحيط : ١ : ٥ للفيروز ابادى ، الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر .

(٢) لسان العرب : ٦ : ٤٩٤٦ .

بين التهذيب واللســـان

الأزهرى والجوهرى .

فما الذى يمكن أن نستخلصه من هذه المقارنة بين التهذيب واللسان ؟

الواقع أن المعجمين يتفقان فى وجوه شبه كثيرة منها :

(١) الجانب الموسوعى وجمعهما مادة جامعة للغة والأدب والتفسير والتاريخ .

(٢) فى شروحهما للكلمات غموض فى بعض الأحيان . وخلط فى ترتيب الألفاظ فى كثير من الأحيان حتى أصبح الانتفاع بهما عسيرا ففى الرجوع اليهما تعب ومشقة .

(٣) فى عرضهما للمادة استطراد وحشو .

(٤) أنهما التزما موقفا محافظا وهو رواية اللغة . وفقا لحدود زمانية ومكانية معينة . أعنى بذلك اقتصارهما على نقل لغة العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام اى الفترة الزمانية التى حددها النحاة لصحة الاستشهاد على الصحيح من اللغة وبذلك يكونان قد أهملا كثيرا من الألفاظ الحضارية الجديدة التى تولدت من احتكاك الحضارات القديمة بلغة القرآن . وهى اللغة العلمية والفنية المستحدثة فى العصر العباسى وفى العصر الذى عاشه ابن منظور .

هذه تقريبا أهم السمات المشتركة بين اللسان والتهذيب . فما هى وجوه الاختلاف :

(١) يختلفان من حيث المنهج العام فقد التزم الأزهرى منهج الخليل بينما التزم ابن منظور منهج الصحاح حسبما يشيع بين جمهور العلماء المشتغلين باللغة .

(٢) ان شخصية الأزهرى بارزة فى معجمه الى درجة أن رماه بعضهم بالتعصب لرأيه وباحتقار معاصريه والمتقدمين من اللغويين على حد سواء بينما تتسم شخصية ابن منظور بالتواضع واختفاء شخصيته وراء منهجه الموضوعى .

(٣) مادة اللسان أوسع من مادة التهذيب والسبب فى ذلك أن مَرَاجِعَهُ اتسعت أكثر من مراجع التهذيب .

(٤) ان اللسان أكثر احتفالا بالجانب النحوى والصرفى فهو يعنى بتصريف الكلمة وذكر المصدر والفعل بالتنصيص على عين الفعل . وهل هى مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة فهو من هذه الجهة أكثر دقة من التهذيب .

(٥) أمانة ابن منظور والأزهرى فى النقل :

وبعد . فهل كان الازهرى وابن منظور أمينين فى نقلهما عن مصادرهما ؟ من الصعب الاجابة عن هذا السؤال بسهولة لأن ذلك يتطلب المقارنة الدقيقة بين الأصل والفرع وهذا جهد تنوء به الجماعة فضلا عن الفرد اذ لابد من الانطلاق من المقارنات الجزئية بين المواد مادة مادة حتى يمكن بعد ذلك استخلاص الاحكام العامة غير أن الدكتور نصار[1] قد توصل من خلال بعض المواد الى اثبات « أن ابن سيده والجوهرى كانا أكثر أمانة من الأزهرى فى نقل النصوص فلم يبيحا لنفسيهما حق التصرف فيها .

ولا أعتقد أن هذا الاستنتاج مقنع بدليل أن ابن منظور وهو أعرف بمراجعة قد حكم

(١) المعجم العربى ٢ : ٥٢٢ د . نصار .

على الجوهرى بانه « قد صحّف وحرّف وجَزّف فيما صرّف » مع انه قد حكم على التهذيب والمحكم بانهما « من امهات كتب اللغة على التحقيق » فابن منظور اذن ـ كان يثق بالازهرى ثقته بابن سيده ولايشك فى امانة الرجلين غير انه كان يعتبر المحكم « اكمل » من حيث اعتنائه بجانب النحو والصرف وهذا ما يُفَسّر لنا اعتماد ابن منظور عليه فى التنظيم الداخلى للمواد ولهذا كان التهذيب المرجع الثانى بعد المحكم . والذى ثبت لدينا من خلال المواد المدروسة ـ ان ابن منظور كان ينقل نصوص الازهرى نقلا حرفيا اذا كان الامر يتعلق بنقل الشرح اللغوى المروى عن السابقين . ولكنه كان يشك فى بعض اجتهادات الازهرى الشخصية فينقل بجانبها اراء لغويين اخرين . بعبارة أخرى فابن منظور لايشك فى أمانة الازهرى اللغوية بل يشك فى اجتهاده الشخصى وفى ميله الى التفلسف.

وبعد . فهل كان ابن منظور نفسه امينا ؟.

لقد أكد ابن منظور فى مقدمة اللسان انه ادى الامانة فى نقل الاصول فقال « أديت الامانة فى نقل الاصول بِالنّصّ وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها من النّصّ »(١).

فحسب كلام ابن منظور هنا أنه قد توخى الصدق والامانة العلمية فى نقل النصوص كما وردت عن أصحابها.

ولكن الدكتور نصار قد اثبت ان ابن منظور كان أحيانا يأخذ مفهوم عبارة التهذيب(٢) ويصوغها من عنده للاختصار الا انه لم يدعم استنتاجه هنا بأمثلة مدققة

(١) لسان العرب ١ : ١٢ .
(٢) المعجم العربى ٢ : ٣٢٧ د . نصار .

جزئية لذا يظل حكمه عاما يحتاج الى دليل مقنع .

والخلاصة انه من العسير جدا أن نصدر حكما على امانة الازهرى وابن منظور من خلال بعض المواد الجزئية أو عدم الامانة الا بعد دراسة واسعة عميقة . تتطلب من الوقت والجهد الشىء الكثير بيد أنه بإمكاننا التيقن ان العالمين لم تكن لهما نِيّة التحريف والتزييف لأغراض دعائية وأن ما يسود عملها من روح دينية ومن ايمان عميق لخدمة القران . ومن التصدى لمقاومة تيار العجمة كل ذلك يجعلنا نتأكد من حسن نيتهما وامانتهما العلمية . ومما يؤكد لنا نزاهة ابن منظور والتزامه الموضوعية انه لم يثبت فعل « ساهم » فى معجمه بسبب عدم معجميته بالرغم من استعماله له فى كلامه فقد قال فى مقدمة اللسان « فاستخرت الله سبحانه وتعالى فى جمع هذا الكتاب المبارك الذى لا يساهم فى سعة فضله ولا يشارك »(٣).

ولا اعتقد « ان عدم اثباته لفعل « ساهم » فى معجمه مع استعماله له فى كلامه يعتبر عيبا بل هو فى نظرى دليل على الامانة العلمية والوفاء لوظيفته كعالم معجمى »(٤).

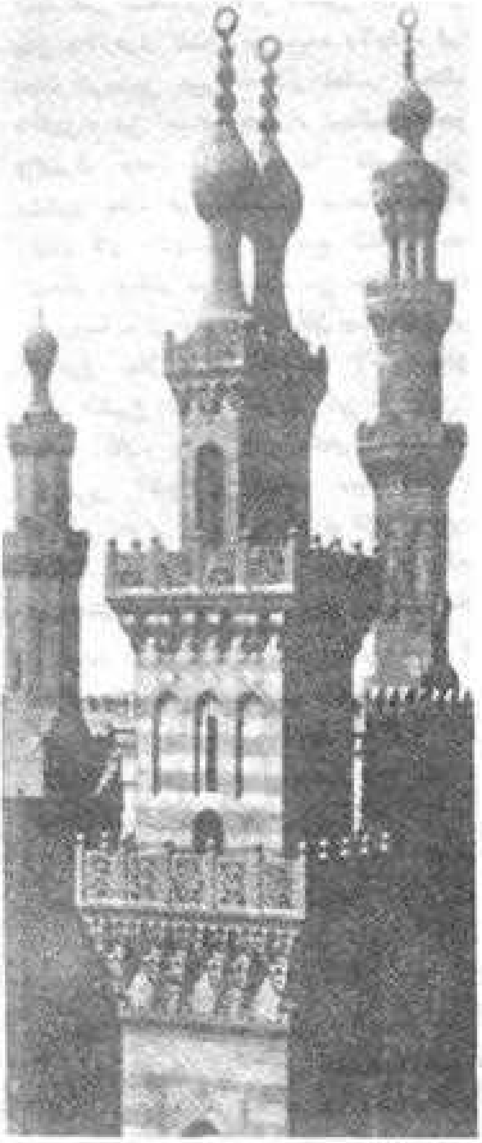
وفى النهاية فإن هذه الدراسة كما قلت فى صدر هذا البحث ـ ليست سوى محاولة ـ تمهيدية لدراسة شاملة تتناول اللسان ومادته من وجوه عدة سوف أعكف عليها فى نطاق وسائل البحث المتوفرة لدينا .. على أنه فى اطار النظرة العامة لتراثنا يتعين ألا نقف إزاءه مواقف التمجيد والتقديس ولا مواقف

(٣) لسان العرب ١ : ١٢ .
(٤) المعجم العربى ، ١٨٩ د . عدنان الخطيب . ط . دار النهضة بمصر ١٩٦٦ م . بين الماضى والحاضر

بين التهذيب

واللسان

التهديم والتزييف ، بل علينا أن نقف موقفا وسطا ، معتدلا ، رصينا ، موقفا علميا ، موقف الذين يرون ـ كما قال الأستاذ رشاد الحمزاوى فى دراسته عن ابن سيده المنشورة بمجلة « لغة العرب » أنه من الممكن أن نوفق بين الحاجيات العصرية الملحة وبعض الالتزامات الثقافية التى تفرض علينا ألا نفصم العروة التى تربط الثقافة العربية الكلاسيكية الموجودة بالفعل ، بالثقافة العربية المعاصرة الموجودة بالقوة (١).



وفقنا الله لخدمة لغة القرآن ، كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

انتهى

دكتور / محمد عبد الحفيظ العريان
مدرس أصول اللغة بكلية
اللغة العربية بالقاهرة جامعة
الأزهر

---

(١) مجلة لغة العرب ، العدد التاسع ، س ٢ ١٩٧٩ م ، ص ٧ .

مدرسة الديوان

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

مدرسة الديوان مدرسة، دعت الى التجديد في الشعر المعاصر، بكل ماوسعها الجهد والوقت والطاقة. وكانت أولى المدارس التي فتحت النوافذ كلها على الشعر الغربي، وعلى مذاهب الغرب في الأدب والنقد، بل على الثقافة الغربية عامة، وروادها ثلاثة هم: عبد الرحمن شكري، وعباس محمود العقاد، وابراهيم عبد القادر المازني.

وقد اصدرت هذه المجموعة، او على الاصح اثنان منهما، وهما: العقاد والمازني عام ١٩٢١ كتابا نقديا باسم «الديوان» اصدرا منه جزءين في نقد شعراء وادباء مدرسة البعث، وفي مقدمتهم شوقي وحافظ والمنفلوطي.

وفي نقد زميلهم الثالث عبد الرحمن شكري، الذي كانت الخلافات الشخصية قد باعدت بينه وبين العقاد والمازني، وانتصرا في الديوان للمذهب الرومانسي، ودعوا لاصول هذا المذهب الفنية في الشعر كالوحدة العضوية، والتجربة الشعرية، وما الى ذلك.

وكانما كان الديوان بيانا بالدعوة للمذهب الرومانسي وتحطيم الكلاسيكية والكلاسيكيين او العمودية والعموديين في الشعر المعاصر، ولم يكن الرواد الثلاثة يعرفون ان مدرستهم الشعرية الجديدة سيطلق عليها فيما بعد اسم مدرسة «الديوان» وان الديوان بدعوته الجديدة الى اصول الرومانسية سوف يصير علما على جماعتهم الثائرة، الداعية الى الجديد كل الجديد، وان آثارهم سيمتد الى كل مكان حتى لتقلدهم مدرسة شعراء المهجر الشمالي - الرابطة التعليمية - وتحتذى حذوهم وتسير على ضوئهم..

جاءت مدرسة الديوان بعد مدرسة «البعث» وروادها البارودي وشوقي وحافظ

مدرسة الديوان

ومطران . وترعمت حركة التجديد في الشعر ، وألحت في الدعوة اليه .

ولقد قام العقاد وشكري والمازني بدور كبير في خدمة النهضة الشعرية وفي نشر حركة التجديد في الشعر العربي الحديث .

لقد أحدث هذا الكتاب الصغير ضجة كبيرة في الجو الأدبي والشعر في مصر والعالم العربي ، بل كان له تأثيره على شوقي والمنفلوطي ، وَغَيَّرَ من نظرية عمود الشعر القديمة ، وأخرج ميخائيل نعيمة من أدباء الرابطة التعليمية على ضوء كتابه « الغربال » الذي كتب مقدمته العقاد وشكري يعد رائد هذه المدرسة الأول ، وامامها الذي أقتدت به ، وكانت ثقافة هؤلاء الثلاثة انجليزية وَوِجْهَتُهم هي الأدب الانجليزي . .

وقد كرر العقاد في كتبه ومقالاته في حياته أن مدرسة « الديوان » هي أول حركة تجديدية في الشعر الحديث ، ولم يعترف بأثر لمطران في حركة التجديد هذه ، وذكر أن شوقيا وحافظا تأثرا بمدرسة الديوان .

ولقد جمعت الزمالة في « المعلمين العليا » بين المازني وعبد الرحمن شكري عام ١٩١٠ ، وربطت بينهما بصلات وثيقة ، ثم ألفت الثقافة ، وقاربت الأيام بينهما وبين العقاد عام ١٩١٤ ، وكتب الثلاثة يبشرون بمذهب جديد في الشعر ، مهد للدعوة اليه قبلهم مطران ، وآزرهم في الكفاح من أجله الدكتور أحمد زكي أبو شادي .

وأقبل العقاد وشكري والمازني على الأدب الانجليزي ، وقرأوا للشعراء الانجليز وبخاصة مجموعة « الكنز الذهبي » التي اختارها فرانسيس بالجريف ، أستاذ الشعر في اكسفورد والمنتدب للمعارف المصرية .

وبدأ الثلاثة يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعاني والصور الجديدة ويكتبون في وحدة القصيدة ، ويدعون الى الأصالة وصدق المشاعر في العاطفة والاحساس والأداء ، والى ظهور شخصية الشاعر الفنية ، واستلهام الطبيعة ، وتناول شتى الموضوعات الانسانية ، وَلَحُّوا في محاربة التقليد والافتعال والزيف والتكلف ، وشعر المناسبات الطارئة .

وحدث عن المعارك التي دارت بين شعراء مدرسة البعث وبين شعراء مدرسة الديوان ولا حرج .. وظهر عام ١٩١٥ كتاب للمازني في نقد شعر حافظ بعنوان « شعر حافظ » .

كما صدر الديوان يشن هجوما قاسيا على شوقي وحافظ ، واحتدم الخلاف بين المازني وشكري ، وأخذ كل منهما ينقد زميله ، فكتب المازني في « الديوان » يهاجم شكري وسماه « صنم الألاعيب » وكتب شكري يهاجم المازني في مقدمة الجزء الخامس من ديوانه ..

وأخذ شكري يعيب على المازني انتحاله لبعض الأشعار الانجليزية ، مما دون في مجموعة « الكنز الذهبي » للشعراء الانجليز الرومانتيكيين ، وتبادلا النقد على صفحات جريدة « النظام » ونقد شكري المازني والعقاد على صفحات « عكاظ » عام ١٩١٩ و١٩٢٠ ونقد المازني شكري في كتاب « الديوان » .. ولم يعد الصفاء بين الشاعرين الا عام ١٩٣٤ .

وان كان شكري في الحقيقة هو الذي ألهب

احساس المازني الفني ، ودله على مناحي التجديد . ولاينكر المازني ذلك . حتى ليقول من مقالة له نشرت في عدد ٥ ابريل عام ١٩٣٠ في جريدة « السياسة » بعنوان « التجديد في الادب عَبْرَ زمن كان فيه شكري محور النزاع بين القديم والجديد » . ذلك انه كان في طليعة المجددين . اذا هو لم يكن الطليعة والسابق الى هذا الفضل فقد ظهر الجزء الأول من ديوانه .

وكنا يومئذ طالبين في المعلمين العليا وكانت صلتي به وثيقة . وكل منا يخلط صاحبه بنفسه . ولم أكن يومئذ الا مبتدئا على حين كان هو قد انتهى الى مذهب معين في الادب . وراي حاسم فيما ينبغي ان يكون عليه ومن اللؤم الذي اتجافى . بنفسي عنه ان انكر انه اول من اخذ بيدي . وسدد خطاي . ودلني على المحجة الواضحة .

ويقول المازني كذلك كان الجزء الأول من ديوان شكري . ويوميات العقاد . بداية اقتحام المذهب الجديد في الادب . وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم . مذهب شوقي وحافظ واضرابهما .

وكتب العقاد عام ١٩٥٩ بعد وفاة شكري يقول : " عرفت عبد الرحمن شكري قبل خمس واربعين عاما . فلم اعرف قبله ولا بعده . احدا من شعرائنا وكتابنا اوسع منه اطلاعا على ادب اللغة العربية . وادب اللغة الانجليزية . ومايترجم اليها من اللغات الاخرى .

ـ ٢ ـ

ومن حيث كانت مدرسة البعث تدعو الى الاصالة والى العمودية . والى القوالب الفنية الموروثة . وكان مطران ينادي بالشعر الموضوعي . وبالجانب الوجداني في الوصف . كان العقاد وزميلاه يدعون الى الجانب الذاتي او الغنائي منه . وخرجوا بنظرية جديدة اسموها الوجدان . واتخذ شكري شعارا له على الجزء الاول من ديوانه الصادر عام ١٩٠٩ . والذي سماه « ضوء الفجر » هذا البيت من الشعر

الا ياطائر الفردو ... س ان الشعر وجدان

ومن نظرية الشعر الوجداني عند هؤلاء الثلاثة . انبثقت الدعوة الى أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر . وأن يبعد عن المناسبات .

وان يغلب عليه طابع الألم والأنين . وحب الطبيعة وتصويرها واستلهامها . وان تسوده وحدة عضوية . وان يعبر عن تجربة شعرية . عميقـــة وأدخـــل (المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال . واتجه العقاد الى شعر الفكرة . واخذ المازني على شوقي ومدرسته تفكك الوحدة الموضوعية في قصائدهم واغراقهم في شعر المناسبات .

وفي التقليد للقدماء . ودعا المازني كذلك الى الرومانسية في كتابه « الشعر غاياته ووسائطه » الذي صدر عام ١٩١٥ .

وصار المضمون الشعري عند هؤلاء الثلاثة لابد من أن يتخذ في الشعر الغنائي الطابع الوجداني سواء استمده الشاعر من الطبيعة ام من ذات نفسه .

ويرجع هؤلاء الثلاثة في النقد الى هازليت وماكولي وارنولد وشاستري . واغلب اراء العقاد في النقد تعود الى اراء وليام

مدرسة الديوان

هازليت ومحاضراته عن الشعراء الانجليز، ويشبهه العقاد كثيرا في عنفه النقدي.

ويذكر العقاد في كتابه «شعراء وبيئاتهم..» أن ثقافة مدرسة شعراء الديوان تتناول كل الثقافات العالمية، عن طريق الأدب الانجليزي، وانها استفادت من التقدم الانجليزي. واتخذت هازلت رائدا لها في النقد، ومرجعها الأول كتاب «الكنز الذهبي» وهو مختارات من الشعر الانجليزي من شكسبير الي نهاية القرن العشرين».

وفي رأي هؤلاء الشعراء الثلاثة أصحاب مدرسة الديوان أن شخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر، وأن الشعر اذا كان يشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذي يجب أن تحتفي به.

وكان وردزورث الشاعر الانجليزي يقول، وقد سئل عن شعر بعض الشعراء الانجليز، فقال عنه، انه ليس الحتم في شيء، يريد أن منزلة الشاعر مستمدة من شعره، فاذا أصبح شعره علي ألسنة الناس ولاغني لهم عنه، ويتمثلون به في مختلف جوانب حياتهم، فهو شاعر قد فرض نفسه علي الشعر، وعلي النقاد والناس».

ويتمثل المذهب الجديد عند شكري في ديوانه، الذي طبع الجزء الاول منه عام ١٩٠٩ واعيد طبعه عام ١٩١٤، وعنوانه «ضوء الفجر». وصدر الجزء الثاني منه عام ١٩١٣ بعنوان «لآليء الافكار» وصدر الجزء الثالث منه عام ١٩١٥ بعنوان «اناشيد الصبا».

وكذلك الجزء الرابع الذي صدر عام ١٩١٥ بعنوان «زهر الربيع». والخامس الذي صدر عام ١٩١٦ وصدر هذا الجزء الخامس بعنوان «خطرات» والسادس «الافنان» عام ١٩١٨ والسابع «ازهار الخريف» عام ١٩١٩. وبعد وفاة شكري طبع الديوان طبعة جديدة وأضيف اليه شعره منذ عام ١٩١٩ حتي وفاة العقاد وطبع عام ١٩٥٩.

وكان شكري هو استاذ هذه المدرسة بحق، ولكن لما انفصل عن زميليه من عام ١٩١٦ حتي عام ١٩٣٤ تصدرها العقاد، واصبحت ترمز اليه اولا فيما ترمز اليه من دلالات ومعان».

وكان شكري كما يقول العقاد من اوائل الدعاة الي وحدة القصيدة، والي تعديد صور

وسع ربي كل شيء علما

صدق الله العظيم

القافية ، والتجديد في بحور الشعر والف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية . ولم يحفل بشعر المناسبات ، ومن اوائل من مَهّدَ لمذاهب النقد الحديثة في الادب العربي .

وقد سخط العقاد على الشعر الحر وحاربه ، وثار على الابتذال والسوقية والعامية ، ورأي الشعر فنا يجب أن ترتفع الاذواق الى مستواه .

وقد خلّفت مدرسة الديوان وراءها ذِكْرًا طويلا وصيتا بعيدا ، وشهرة مابعدها من شهرة لطول خصامها مع مدرسة شعراء البعث ، ولدعوتها الى شعر الوجدان ، أو قل الى الرومانسية ، ولاحتفائها بالاصالة قبل كل شيء .

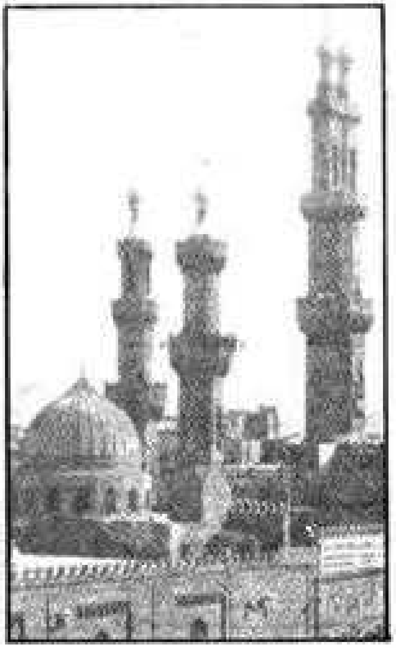
وفي العاشر من اغسطس ١٩٤٩ توفي المازني .

وفي الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٨ توفي شكري .

وفي الحادي عشر من مارس ١٩٦٤ توفي العقاد .

وقد ولد المازني في التاسع عشر من اغسطس عام ١٨٩٠ م ، وولد شكري في الثاني عشر من اكتوبر عام ١٨٨٦ ، وولد العقاد في الثامن والعشرين من يونيو عام ١٨٨٩ وتفاوتت حظوظهم في الحياة ، والحياة دائما تحمل الى الناس ارادة القدر الذي لامفر منه .

وقد مَثّل هؤلاء الرواد الثلاثة صورة الشعر المعاصرة _ نهضته وتجدده ، وعاصروا



شوقيا وحافظا ومطران ، وادركوا عصر البارودي ، وعاشوا في حياة شعرية صاخبة لم يرها أحد من قبل ، وكانت حملتهم على شوقي وحافظ والمنفلوطي حملة فيها الكثير من الحيْف والقسوة .

واليوم نذكرهم ، ونذكر جهادهم الادبي ، ونذكر أثرهم في نهضة الشعر العربي وتطوره وتجدُّده ، فلا نملك الا الدعاء بالرحمة ، والا ان نردد :

لقد كانوا عظماء ، لأنهم كانوا موهوبين .

د . محمد عبد المنعم خفاجي

العدد

معنى العدد

هو ماساوى نصف مجموع حاشيتيه السفلى والعليا القريبتين او البعيدتين على السواء كالاثنين فان حاشيته السفلى واحد والعليا ثلاثة . وجوموع الواحد والثلاثة اربعة . ونصف الاربعة اثنان . وكالعشرة فحاشيته السفلى تسعة والعليا احد عشر ومجموع التسعة والاحد عشر عشرون . ونصف العشرين عشرة . ونحـــو ثمانية فحاشيته السفلى القريبة سبعة . والعليا القريبة تسعة ومجموع السبعة والتسعة ستة عشر . وثمانية نصف الستة عشر . وهذه الامثلة للحاشيتين القريبتين . واما الحاشيتين البعيدتين فيمكن توضيحهما بالمثال الاتى : فالعشرة حاشيته السفلى البعيدة ستة مثلا فتكون حاشيته العليا البعيدة اربعـــة عشر ومجموع ستة واربعة عشر . وعشرون والعشرة نصف العشرين . وهكذا .

ويقصد بالحاشية السفلى العدد الادنى من العدد المقصود . وبالعليا العدد الاعلى من ذلك العدد كما يتضح ذلك من الامثلة وبالحاشية القريبة المباشرة التى يفرق بينها وبين العدد المذكور رقم واحد اعلى او ادنى . وبالبعيدة التى يفرق بينها وبينه عدد من الارقام قل او كثر . وعلى هذا فالواحد ليس بعدد لانه ليست له حاشية سفلى . فالحاشية لابد ان تكون رقما صحيحا . فالنصف ليس بحاشية ولا تكون الحاشية حقيقية صادقة الا اذا كان العدد الذى تنقصه من السفلى هو نفسه العدد الذى يزاد فى العليا حتى يكون مجموع الحاشيتين ضعف العدد المطلوب . او يكون هذا العدد نصف مجموع الحاشيتين كما اوضحناه فيما سلف .

العدد اربعة اقسام

١ ــ مفرد مع الاضافة . وهو عشرة الفاظ . ثلاثة .وعشرة وما بينهما . ومائة والف .

٢ ــ مفرد دون اضافة . وهو العدد واحد واثنان . .وعشرون . وتسعون . وما بينهما وهى المعروفة بالفاظ العقود .

٣ ــ مركب : وهو ما تكون من كلمتين : صدر وعجز . وهو . احد عشر . وتسعة عشر وما بينهما .

٤ ــ معطوف : وهو ما تكون من جزاين يربطهما حرف العطف هما المعطوف عليه والمعطوف . وهو واحد وعشرون . وتسعة وتسعون وما بينهما . ما يخالف فيه واحد واثنان الثلاثة والعشرة وما بينهما * .

يخالف الواحد والاثنان . وكذلك الواحدة والاثنتان . الثلاثة والعشرة وما بينهما فى

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالي

حكمين : الأول . انهما يذكران مع المذكر فتقول واحد . وصفا لأي اسم من اسماء الجنس المفرد المذكر . واثنان للمثنى المذكر . وواحدة واثنتان او ثنتان للمفرد والمثنى المؤنثين كذلك .

ويشاركهما في هذا الحكم ما صيغ من العدد على وزن فاعل كما سيأتي . والعشرة اذا ركبت مع احد وتسعة وما بينهما : فتقول : الجزء الثالث ، والجزء الثالث عشر والصفحة الثالثة او الرابعة . والثالثة عشرة او الرابعة عشرة ويبقى هذا الحكم للواحد والاثنين . والواحدة والاثنتين اذا ركبت مع العشرة فيوافق هذا المركب صدرا وعجزا المعدود تذكيرا وتأنيثا غير انه يؤتى باحد واحدى في التركيب مكان واحد وواحدة في الافراد خوف الالتباس بالصفة ، اى التباس ان تكون عشرة صفة لواحد وواحدة اذا ركبت معهما فقلت : واحد عشر . او واحدة عشرة اذا لم تستبدل بهما احد واحدى . ولذا فان الاستبدال حينئذ ضرورى لا مندوحة عنه .

اما الثلاثة واخواتها فتأتي على عكس ذلك . فتؤنث مع المذكر وتذكر مع المؤنث فتقول : اسر ثلاثة جنود بالتاء في ثلاثة وهربت ثلاث اماء بتركها . ومنه قوله تعالى : سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما وانما حذفت التاء من عدد المؤنث . واثبتت مع المذكر في هذا القسم لان العدد ثلاثة واخواتها الى عشرة اسماء جماعات كزمرة وعصبة وامة وطائفة وكتيبة فالاصل فيها ان تكون بالتاء لتوافق نظائرها . فبقى الاصل وهو ثبوت التاء مع المذكر لتقدمه رتبة على المؤنث وحذفت مع المؤنث فرقا بينه وبين المذكر لتأخر رتبته .

الثاني : انه لا يجمع بينها وبين المعدود . فلا تقول واحد ضيف ولا اثنا حصانين لان قولك : ضيف يفيد الجنسية والوحدة وقولك . حصانان في الحلبة يفيد الجنسية وثنائية الواحد . فلا داعى للجمع بينهما لا على طريق الاضافة كالامثلة السابقة ولا على طريق الوصفية نحو : ضيف واحد وحصانان اثنان الا اذا قصد بالوصف بيان ان المراد باسم الجنس المعدود لا الجنسية ذلك انهم انما جمعوا بين العدد والمعدود وصفا وموصوفا في الثلاثة واخواتها فقالوا : عندى ضيوف ثلاثة . وافراس اربعة . لان المعدود في هذه الصورة وهو ضيوف وافراس خال من الدلالة على العدد المقصود .

واما رجل . ورجلان . وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد والجنس فلا حاجة الى ذكر الوصف : واحد واثنين معهما .

العـدد

تمييز العدد

ألفاظ العدد كلها كلمات مبهمة غير واضحة الحقيقة والمقدار. ولذا فهى محتاجة الى ما يبين حقيقتها، ويوضح مقدارها، ويظهر المقصود بها، وانما يتحقق ذلك بالتمييز. ولهذا فهى تحتاج الى التمييز. وهو ضرورى لها، الا اذا أضيف العدد الى مستحق المعدود فانها حينئذ تستغنى عن التمييز كما سيأتى، لأن مستحق المعدود يعرف حقيقة ومقدار ما يستحقه فلا حاجة الى التمييز بالنسبة له. فهو غنى عنه.

ويختلف التمييز باختلاف نوع العدد، وذلك على النحو التالى:

١ ـ العدد: واحد واثنان وواحدة واثنتان ـ غير مركبة مع العشرة ـ لا تمييز لها، لأن التمييز هو المعدود، ولا يجمع بينها وبين المعدود كما مر. فلا يقال: واحد رجل، ولا واحدة امرأة، ولا اثنا عبدين، ولا ثنتا أمتين لان معدودها اذا ذكر اغنى عن ذكرها، فهو يفيد الجنسية والوحدة اذا كان لمفرد نحو رجل، ويفيد الجنسية وثنائية الواحد اذا كان لمثنى نحو عبدان.

٢ ـ ألفاظ العقود: وهى: عشرون وتسعون، وما بينهما، وتمييزها مفرد نكرة منصوب نحو أسرت قواتنا تسعين جنديا وقال تعالى: «ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا» وانما كان مفردا نكرة لانه يذكر لبيان حقيقة المعدود، وهو يحصل بالمفرد النكرة، ومنصوبا لتعذر الاضافة مع النون التى تشبه نون جمع التصحيح المذكر. واجاز الفراء أن يكون تمييز عشرين وبابه جمعا مع تنكيره ونصبه نحو: الفى الى الكتيبة اربعون جنودا. ومثل: شاهد مراكب الشمس اليوم تسعون طلابا. واجاز الناظم فى التسهيل أن تقول: عندى عشرون دراهم لعشرين رجلا، اذا قصدت أن لكل واحد منهم عشرين درهما.

٣ ـ العدد المركب: ما تكوّن من كلمتين: صدر وعجز، وهو احد عشر، وتسعة عشر، وما بينهما. وتمييزه ايضا مفرد نكرة منصوب نحو قول الله تعالى: «ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا» وقوله سبحانه: «فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا» وهو مفرد نكرة لانه لبيان حقيقة المعدود وهو يحصل بالمفرد المنكر كما سلف، ومنصوب لتعذر تركيب ثلاثة اشياء وجعلها كالشىء الواحد. لو قلت مثلا: عندى سبعةَ عشرَ حصانٌ...

وقد يميز المركب بجمع منصوب اذا صدق على كل واحد من العدد مثل قوله تعالى: «وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا امما» لان المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط واحد فوضع اسباط موضع قبيلة وهذا احد الاوجه فى الآية.

٤ ـ العدد المعطوف: ما تكون من جزأين يربطهما حرف العطف، المعطوف عليه والمعطوف. وهو واحد وعشرون وتسعة وتسعون، وما بينهما وتمييزه ايضا مفرد نكرة منصوب تماما كتمييز الفاظ العقود.

اذ ان العقد نفسه هو المعطوف زائدا النيف المعطوف عليه . نحو : ان طلاب هذا الفصل خمسة واربعون طالبا بلغ عدد المفرج عنهم ستة وسبعين معتقلا ، زرعتان فى البستان سبعا وثمانين نخلة ، وقال تعالى : « ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة » ويعطف العقد على النيف بالواو . نحو قبضت من التاجر خمسة وعشرين دينارا اذ قصدت أن القبض وقع دفعة واحدة والا فلا مانع من ان تقول : قبضت خمسة فعشرين ، او خمسة ثم عشرين اذا قصد وقوع القبض مرتبا على الفور او التراخى .

د ـ المائة والالف : وتمييزها مفرد مجرور بالاضافة نحو « فى كل سنبلة مائة حبة » ، « فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما » . والف قنطار . وحضر المؤتمر ثلاثمائة عالم . واتجه الى المعسكر أربعة الاف اسير وانما كان تمييزها مفردا مجرورا بالاضافة لان مائة تجمع فيها ما تفرق فى عشرة وعشرين لانها تشملهما فأخذت من عشرة خفض المميز ، ومن العشرين افراد مميزها واما الالف عوض من عشر مائة . وهى تميز بمفرد مجرور . فعوملت الالف معاملة ما عوضت منه ..

وقد تميز المائة بجمع مجرور بالاضافة ايضا . كقراءة حمزة والكسائى : « ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين » بحذف التنوين للاضافة . وسوغ ذلك عندهم تشبيه المائة بالعشرة اذ انها تعشير للعشرات كما ان العشرة تعشير للاحاد . وقيل : هو من وضع الجمع موضع المفرد .

وقراءة غيرهما بتنوين مائة على تقدير أن التمييز محذوف وان سنين عطف بيان او بدل من ثلاثمائة لا تمييز . والقول بالبدلية مردود لان البدل على نية حذف المبدل منه ، وعلى نية الحذف يكون المعنى : ولبثوا فى كهفهم سنين فيفوت النص على عدد السنين التى لبثوها مع المقصد الاول والغرض الأهم من الاية الكريمة المراد توجيه الانظار والعقول اليه حيث انه مسوق فى مقام البرهان المدرك بصرا وبصيرة على قدرة الله جل شأنه وعلى أن الساعة آتية لا ريب فيها .

اذ أنهم قد مكثوا نياما فى الكهف كل هذه المدة الطويلة دون أن تتغير أوصافهم أو تبلى اجسادهم . ثم بعثوا بالحالة التى ناموا عليها لدرجة أنهم لم يعرفوا كم من الزمن لبثوا نائمين فى الكهف « قال بعضهم بعضا : كم لبثتم ؟ وكان الجواب : يوما أو بعض يوم » . فسبحان الحكيم القادر . الحى الذى لا يموت ومن بيده الملك ولا يجوز أن يكون سنين تمييزا ، لانه حينئذ يفيد ان اقل ما لبثوه فى الكهف تسعمائة وتسع سنين .

وقد تميز المائة بمفرد منصوب كقول الربيع بن ضبيع الفزارى : اذا عاش الفتى مائتين عاما .. فقد ذهب المسرة والفتاء وقد اعتمد ابن مالك على البيت فى تأييد رأى ابن كيسان الذى اجاز نحو : انفقت أكثر من مائة دينارا وعندى ما يناهز الألف درهما بالنصب . والحقيقة ان البيت ضرورة . وأن رأى ابن كيسان فى هذه الامثلة وأشباهها شاذ . وقد اختص الالف بأن يكون تمييزا مطلقا . ولا يميز بالمائة الا ثلاث واخواتها واحدى عشرة واخواتها . تقول :

نقل احد عشر الف قنطار . وانفق مائة الف دينار . وعشرون الف درهم . خرج للقاء العدو واحد وعشرون ألف مقاتل . وتخلف ثلاثمائة ضابط وخمسمائة جندى . وهؤلاء احدى عشرة مائة عامل ، وخمس عشرة مائة عامل .

وفى هذه الامثلة جاءت مائة تمييزا لثلاث وخمس . واحد عشرة وخمس

العـــدد

عشرة ، وضابط وجندى وعامل وعاملة تمييزا لمائة كما هو واضح .

٦ ـ العدد ، ثلاثة وعشرة ، مفردة وما بينهما ، تمييزه اما مفرد او جمع ، مجرور اما بمن او بالاضافة فاذا كان اسم جنس ، وهو ما يفرق بينه وبين مفرده بالتاء فى المفرد نحو نبق ونبقة ، وتمر وتمرة ، وعنب وعنبة ، ونخل ونخلة او يكون التاء فى اسم الجنس وخلو المفرد منها نحو كماة ، وكمء ، وقد يفرق بينه وبين واحدة بالياء نحو ترك وتركى وروم وروحى او كان اسم جمع ، وهو ما يدل على الجمع وليس له واحد من لفظه او له مفرد ولكنه ليس على صيغة من صيغ التكسير المشهورة نحو قوم ورهط ، ونفر ، وصحب .

اذا كان التمييز احد هذين النوعين فانه يكون مفردا ويجر بمن غالبا ، كذلك اذا كان لفظ مائة لكن يجر بالاضافة تقول : اربع من العنب ألقيتها ، وخمس من التمر أكلتها ، وعشرة منّ القوم جادلتهم ، وتسعة من الرهط شدوا ازرى ومنه قوله تعالى : (فخذ اربعة من الطير) .

وعلة امتناع الاضافة الى اسم الجنس واسم الجمع ان اسم الجنس قد يفيد الواحد ، ولا تضاف مجموعات هذه الاعداد الى الواحد فكذلك ما اشبهه ، واسم الجمع كذلك بالنسبة لصيغته فهى كصيغة الفرد ، وان كان لا يراد به الواحد .

والدليل على معاملته لفظا معاملة المفرد ، انه قد يعود عليه ضمير المفرد نحو : الركب وصل ، ويخبر عنه بالمفرد نحو : الركب قدم وقد يجر التمييز من نوعى اسم الجنس واسم الجمع باضافة العدد اليه ، فاسم الجمع نحو قوله تعالى : (وكان فى المدينة تسعة رهط) وقوله عليه السلام : (ليس فيما دون خمس ذود صدقة) وقول الشاعر :

ثلاث أنفس وثلاث ذود .
لقد جار الزمان على عيالى .

والذود من الابل من الثلاثة الى العشرة ، وهى مؤنثة ولا واحد لها من لفظها ، والانفس جمع نفس ، وهى مؤنثة ايضا وانما انث عددها فى البيت لان النفس كثر استعمالها مرادا بها الانسان .

واسم الجنس نحو قول جندل بن المثنى :

« كان خصييه من التدلدل ..
ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل

فحنظل اسم جنس مجرور باضافة ثنتا اليه على حد (تسعة رهط) ، وفيه شذوذ بالجمع بين العدد والمعدود وقد مر انه لا يجمع بينهما فى مثل تلك الحالة .

والجر بمن موضع اتفاق .

وقد اختلفوا فى الجر بالاضافة : فريق يرى انه جائز على قلة ، وهو مذهب الموضح موافقا فيه ابن عصفور .

وجماعة ترى الاقتصار على ما سمع .

وطائفة ثالثة تفصل فى اسم الجمع : فان كان مما يستعمل فى القليل فقط نحو : رهط ونفر وذود جاز فيه الجر بالاضافة ، وان كان مما يستعمل للقليل والكثير نحو : قوم ونسوة ونساء لم يجز فيه ذلك .

وان كان التمييز جمعا خفض باضافة العدد اليه نحو : اجبت عن ثلاثة اسئلة ، من اربعة اقرع من المادة ، وحضرت اربع جوار وابقت خمس امة ، خلق الله سبع سموات ، انى ارى سبع بقرات .

وحق التمييز حينئذ ان يكون جمعا مكسرا يطابق العدد المعدود لفظا، ومن اوزان القلة، وهي اربعة - ليتطابقا معنى مثل: عندي اربعة اعبد، فقدت خمسة افلس، وقوله تعالى:

(والبحر يمده من بعده سبعة ابحر) ونحو نقلنا ثلاثة احدل، وهرب من الاصلاحية تسعة صبية، واكل الضيوف عشرة ارغفة.

ووجه جر تمييز الثلاثة والعشرة واخواتهما جمعا مكسرا، انه لما كثر استعماله آثروا جره بالاضافة للتخفيف لانها تمنع التنوين المؤدي للثقل، وكون هذا التمييز جمعا للمطابقة بين العدد والمعدود لفظا، وكونه وزن قلة للمطابقة في المعنى لقلة المعدود، واما جمعا التصحيح للمذكر والمؤنث فحكمهما حكم جمع القلة الا في هذا الموضع ولذا فلا يميز بهما العدد الا اذا لم يكن للفظ جمع تكسير من ابنية القلة فحينئذ يميز العدد بجمع التصحيح المؤنث او المذكر او بموصوفه.

وقد يتخلف بعض هذه الامور الثلاثة التي يلزم ان يجتمع فيما يضاف اليه العدد، وهي الجمع والتكسير والقلة، وقد تختلف كلها فيضاف العدد للمفرد في حالتين:

الاولى ان يكون اسم جمع نحو: تسعة رهط كما مر، وهو قليل.

والثانية لفظ مائة نحو: يعمل في حقل البترول ثلاثمائة مهندس وتسعمائة عامل، لان مائة وان كانت مفردة لفظا لكنها في معنى الجمع لانها عشر عشرات واما قول الفرزدق:

ثلاث مئين للملوك وفى بها
ردائي، وجلت عن وجوه الاهاتم

فهو شاذ وعلة شذوذه ان مائة اذا جمعت كان اقل ما يفهم منها ثلاثمائة وهو ما يفيد الكثرة، وحق العدد ان يضاف الى مايفيد القلة ويضاف الى جمع التصحيح في بعض الحالات، ان يهمل تكسير الكلمة نحو سبع سموات، وخمس صلوات، وسبع بقرات، فان سماء وصلاة وبقرة لم يسمع لها جمع تكسير اصلا، فضلا عن ان يكون جمع قلة فاضيف اليها العدد وهي جمع تصحيح فانه يفيد القلة.

ثانيتهما: ان يجاور اللفظ ما اهمل تكسيره وان سمع له تكسير نحو: سبع سنبلات خضر فان سنبلة سمع تكسيره على سنابل لكنه جاورتي التنزيل ما اهمل تكسيره، وهو سبع بقرات فلذلك حسن تصحيحه.

الثالثة: ان يكون تكسير الكلمة غير مقيس نحو: ثلاث سعادات فان جمع سعاد على سعائد مخالف للقياس، لان وزن فعائل انما يطرد فيما يطرد فيها كان تانيثه بالعلامة نحو: رسالة ورسائل وحمالة وحمائل وكنانة وكنائن وفصيلة وفصائل، وقبيلة وقبائل، واما عجوز وعجائز فشاذ لايقاس عليه.

الرابعة: ان يكون تكسير الكلمة نادر الاستعمال، نحو: في تسع ايات الى فرعون وقومه فان تكسير اية على اي: وزن افعل جائز، لكنه نادر وقليل الاستعمال، وابن مالك يعتبرها من نوع ما اهمل تكسيره مثل: سموات وصلوات وبقرات.

ويضاف لجمع الكثرة في صورتين:

الاولى: الا يكون له بناء قلة نحو: شاهدت ثلاث جوار بصحبة اربعة رجال بايديهن

العـدد

خمسة دراهم ذلك ان هذه الالفاظ وهي جارية ، وهي جارية ، ورجل ودرهم لم يستعمل لها جمع قلة . واما ارجل وزن ا أفعل فهو جمع رجل بكسر الراء وسكون الجيم .

الثانية : ان يكون له صيغة قلة ولكنه شاذ قياسا او سماعا ، فيعتبر في حكم المعدوم ويعدل عنه الى جمع الكثرة فمثال الشاذ قياسا نحو ا ثلاثة قروء فان جمع قرء بفتح القاف على اقراء وزن ا افعال صيغة القلة شاذ . لكن له بناء قلة ليس بشاذ ، وهو ا أقرؤ وزن ا أفعل لان هذا الوزن يطرد في كل اسم على وزن ا فعل بفتح الفاء وسكون العين اذا كانت عينه صحيحة نحو كلب وأكلب ونهر وأنهر ، وسقف وأسقف ، وعبد وأعبد ، والشاذ سماعا نحو ا عشرت على ثلاثة شسوع جمع شسع بمعجمة فمهملة ، فان جمعه على ا أشساع وزن ا أفعال وان كان جمعا قياسيا ، لان مفرده شسع بكسر فسكون ، ووزن أفعال قياسي فيه ، كطفل واطفال وحمل وأحمال وسفر واسفار الا انه قليل الاستعمال ..

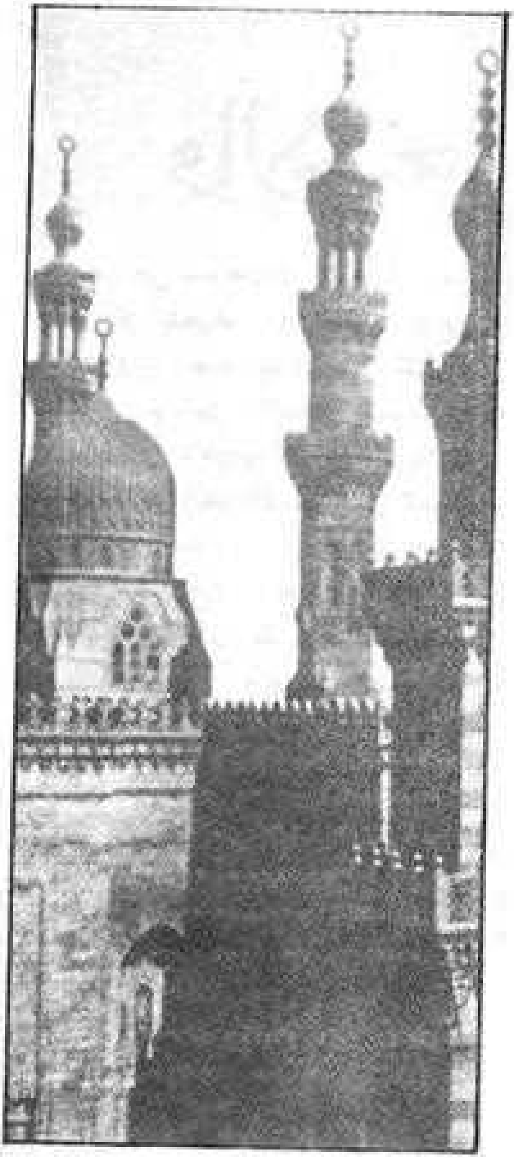
نعت تمييز العدد ، وحكمه

تمييز العدد المركب ، والعقود : عشرين وبابه اذا وصف ، يجوز في نعته مراعاة اللفظ . فتقول : عندي احد عشر دينارا عباسيا ، وخمسون دينارا عباسية ، وخمسون درهما فاطمية ، ونحو قتل اليهود في احدى جرائمهم اربعين مواطنا عربيا على اللفظ وأربعين مواطنا عربا مراعيا المعنى . واسر العراقيون سبعة عشر ضابطا وثمانين جنديا ايرانيا على مراعاة اللفظ . او سبعة عشر ضابطا وثمانين جنديا ايرانيين على المعنى وانضم الى صفوف المجاهدين الافغان ستة عشر ضابطا وتسعون جنديا افغانيا مراعيا اللفظ او ستة عشر ضابطا وتسعون جنديا افغانيون على مراعاة المعنى .

اما تمييز غير المركب والعقود ، من المفرد المضاف ، المائة والألف ، والثلاثة والتسعة واخواتهما والمعطوف واحد وعشرين وتسعة وتسعين ومابينهما فلايجوز في نعت الا مراعاة اللفظ فقط ، ويمتنع مراعاة المعنى . فتقول : حضر الموقعة مائة فارس صنديد ، والف جندي شجاع ، ويمتنع ان تقول مائة فارس صناديد ، والف جندي شجعان ..

وبقليل من التامل والتدبر يتبين انه ليس ثم فرق ظاهر بين العدد المعطوف وألفاظ العقود بالنسبة لنعت تمييز كل منهما ، فان تمييزهما واحد في نوعه ، فهو مع كليهما مفرد نكرة منصوب ثم ان العدد المعطوف مكون من العقد نفسه معطوف والنيف معطوفا عليه ، وذكر النيف مع العقد معطوفا عليه ومعطوفا لايمنع مشاركة المعطوف العقد المفرد في حكمه من حيث نعت تمييزه .

ولهذا فانه لامانع البتة من مراعاة المعنى ، ومراعاة اللفظ في نعت تمييز العدد المعطوف تماما كما يجوز مراعاة ذلك مع تمييز العقود المفردة ، فتقول : هبط من الطائرة خمسة وسبعون راكبا سعوديا مراعاة للفظ ، أو خمسة وسبعون راكبا سعوديون مراعيا المعنى ، ونحو رحل على الباخرة أربعة وثمانون سائحا سينيا على اللفظ ، او أربعة وثمانون سائحا سينيون على المعنى ومثل : يعمل في المصحة سبع وثلاثون ممرضة ماهرة .



أو سبع وثلاثون مترجمة ماهرات مراعيا المعنى ومثل يسبح في البحيرة تسع وستون بطة سمينة أو تسع وستون بطة سمينات على المعنى ومن ذلك قول عنترة العبسي :

فيها اثنتان وأربعون حلوبة
سودا كخافية الغراب الأسحم

فاثنتان وأربعون في البيت عدد معطوف كما ترى .

وحلوبة تمييز له ، وهو مفرد نكرة منصوب ، وسودا نعت ، وهو جمع سوداء مراعاة للمعنى ، ولو راعى اللفظ لقال : فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداء وأيضا قول أحد العلماء في تحديد نصاب زكاة الحب :

إن الأوسق الخمسة التي هي نصاب زكاة الثمار الزرع ألف وستمائة رطل بغدادية يكون بغدادية فيه مرفوعا نعتا لألف وستمائة على المعنى .

وهل بقية التوابع مثل النعت في ذلك ؟

وعلى أنها مثله يجوز أن يكون (أسباطا) في الآية الكريمة (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما) بدلا من التمييز المحذوف ، وهو (فرقة) على المعنى .

أحمد حسن عواض هلالي

ابن هَرْمة والاحتجاج بالشعر

سمعنا من شيوخنا في الأزهر أن آخر من يحتج بشعرهم من الشعراء «ابن هَرْمة» ومن جاء بعده من الشعراء يسمون «المولدين» لايحتج بشعرهم في اللغة ومسائل الاعراب، وعلى ذلك يكون ابن هرمة هو الحد الفاصل بين شعراء العرب الفصحاء والمحدثين أو المولدين. ولكن الجاحظ يقول: «والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي والسيد الحميدى وأبو العتاهية وابن عيينة».

ويقول في موضع اخر: «ولم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة».

وهذا الكلام يوهم بأن بشارا وابن هرمة لايحتج بشعرهما لانهما من المولدين، ولا أعتقد أن الجاحظ أراد ذلك، لأنه كان بصدد الحديث عن البديع أى التعبير المبتكر.

وشارح ديوان الحماسة لأبى تمام «التبريزى» يقرر أن اخر من يحتج بقولهم من الشعراء ابن هرمة.

قال الأصمعى: ساقة الشعراء: ابن ميّادة وابن هرمة ورؤبة. وكان ابن هرمة من مخضرمى الدولتين ـ يعنى الأموية والعباسية ـ مدح الوليدين يزيد الأموى، ثم ابا جعفر المنصور. وساقة (١) الشعراء اخر من يحتج بشعرهم.

الرأى المختار

وأنا أميل الى الأخذ بهذا الرأى الذى جاء بشرح ديوان الحماسة. والذى سمعناه من شيوخنا في الأزهر وهو ان ابن هرمة اخر من يحتج بقولهم وشعرهم من الشعراء، ويجىء في المرتبة الأولى ابن هرمة بالنسبة لمن عاصروه من المخضرمين، ويفضل على بشار، لانه عربى قح، ولأنه كان ملتزما في قوافيه بالمعجم العربى، ولأنه ولد في المدينة مركز العلم والأدب في ذلك الزمان ونشأ بها ودفن في البقيع، ولان بشارا كان يتصرف في الفاظ اللغة وقد يضع في قوافيه لفظا لم تعرفه العرب، فاذا سئل عن ذلك اللفظ قال هو شىء عندى لاتعرفونه.

لهذا كله كان من مقاصدى في هذا المقال الكشف عن ابن هرمة وعن شعره وطابع العمود الشعرى في قصائده..

فمن ابن هرمة؟ وماموضع شعره من الاحتجاج؟

سأحاول الاجابة عن هذين السؤالين

(١) ساقة الجيش مؤخرة وساقة الشعراء من جاءوا مؤخرا

للأستاذ السيد حسن قرون

بالحديث عنه :

الشاعر والنسب

ابن هرمة هو ابراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة ينتهي نسبه الى (قيس بن الحارث بن فهر) والى فهر ينتهي نسب قريش .

وقيل:انهم ينتهون الى النضر بن كنانة ..

وأبناء قيس بن الحارث يقال لهم (الخلج) لم يسكنوا مكة كسائر بطون قريش وجماهيرها . وانما كانوا في قبيلة (عَدْوان) ثم انتقلوا عنهم الى بني نصر من هوازن ، ومعنى هذا أن عِدادهم في قبائل قيس عيلان بن مضر لا في عداد قريش . ولكنهم مع ذلك يحتفظون بنسبهم القرشي . فلما أفضت الخلافة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتوه ليفرض لهم في ديوان قريش . فأنكر نسبهم . فلما استخلف عثمان رضي الله عنه أتوه فأثبتهم في بني الحارث بن فهر . وجعل لهم ديوانا وصاروا من قريش ..

وانما سموا الخلج لأنهم اختلجوا أي مالوا ممن كان معهم من عدوان وبني نصر من هوازن الى منازلهم بالمدينة .

واهل المدينة يقولون : انما سموا الخلج لانهم نزلوا بالمدينة على خلج (١) فسموا بذلك

ولامشاحة في ان الراى الاول ابين . لانهم فارقوا قبائل قيس ونزلوا المدينة فكأنهم الخليج من البحر أو النهر .

وبنو الحارث بن فهر لهم مكانتهم في مكة قبل الاسلام وبعده . فيهم سهيل بن البيضاء صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذو الهجرتين الى الحبشة ثم الى المدينة ومنهم أبو عبيدة بن الجراح أمير الشام على عهد عمر وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، والحارث بن فهر جدهم وقف في وجه تبع حين غزا مكة وأسره وأبقاه عنده ثلاث سنوات . والحارث أخو غالب بن فهر جد النبي صلى الله عليه وسلم .

موقفهم من ابن هرمة

ومن العجيب في أمر الخلج أنهم بعد أن الحقوا بقريش نفوا نسب ابن هرمة فيهم وهم الذين ركبوا الصعب من الأمور حتى بلغوا النسب المنشود . فقال ابن هرمة يخاطبهم :

أحار بن فهر كيف تطرحونني
وجاء العدا من غيركم تبتغي نصري !
وحار مرغم منادي حارث أبو القبيلة .

وبهذا صار من ولد فهر من ساعته كما يقول أبو الفرج الأصفهاني في كتابه « الأغاني » ..

(١) الخلج جمع خليج والخليج من البحر شرم منه أو النهر .

ابن هرمة والاحتجاج بالشعر

قريش في قبائل أخرى :

وأبو بكر الصديق رضى الله عنه أعلن في خطبته يوم السقيفة أن قريشا « هم أوسط العرب نسبا ودارا » ومع ذلك فقد أصابها ما أصاب غيرها من قبائل العرب ، فدخل بعض بنيها في فصائل من غيرها ، ولذلك كان لقصى جهده المحمود في جمع قريش من القبائل ، جمعهم وأسكنهم مكة وقسمها لهم أرباعا وأعاد اليهم ولاية البيت ، فسمى مجمعا ، فبقى بعضهم في قبائل قيس أو ربيعة أو غيرهما .

وانظر معى الى أبناء لؤى بن فهر وهم أربعة على رأى فنراهم : كعب بن لؤى ، وعامر بن لؤى ، وسامة بن لؤى ، وعوف بن لؤى . ونجد في كتب السيرة الحديث المعتاد عن كعب وعامر ولانجد ذكرا لسامة ولا لعوف ، فأين ذهبا ؟

قال ابن اسحاق : فأما سامة بن لؤى فخرج الى عمان ولم يعد ـ كما نقول اليوم ـ ويزعمون أن عامر بن لؤى أخرجه ؟

وذلك انه كان بينهما شيء ، ففقأ سامة عين عامر فنزل عمان ومات من نهشة حية وله عقب ، وقد وفد بعض ولده على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب الى سامة بن لؤى فقال رسول الله : « الشاعر » ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يارسول الله أردت قوله :

رب كأس هرقت (١) يابن لؤى
حذر الموت لم تكن مهراقة

والبيت من قصيدة يرثى بها نفسه حين نهشته الحية ومنها قوله :

ان تكن في عمان داري فاني
غالبي خرجت من غير فاقة (٢)

فهو من غالب ابن فهر .

ولكنهم لم يعلنوا نسبهم كما فعل بنو قيس بن الحارث (الخلج) الذين الحوا على عمر وعثمان حتى نالوا ما أملوا . فاذا تركنا سامة وماجرى له ، فاننا نجد ابنا آخر للؤى فارق قومه وهو (عوف بن لؤى فأبناؤه في ذبيان وغطفان بوجه عام في أعلى نسب قيس بن عيلان ..

وكيف ذلك ؟

قال الرواة : ان عوف بن لؤى خرج في ركب من قريش حتى اذا كان بأرض غطفان ابطىء به ، فانطلق من كان معه من قومه وتركوه ، فأتاه (ثعلبة بن سعد بن ذبيان) فأظهر له الود وأخاه وأخذه معه وزوجه وألحقه بنسبه فأنجب ولدا هو (مُرّة) فهو في نسب غطفان (مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان) لا مرة بن عوف بن لؤى ، ويفضلون النسب الذبيانى على النسب القرشى ، ولوضوح نسبهم عند قريش يروون أن عمر ابن الخطاب قال : لو كنت مدعيا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادعيت بنى (مرة بن عوف) انا لنعرف منهم الأشباه مع مانعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعنى عوف بن لؤى . وقد عظم بنوه في ذبيان وغطفان وصاروا من سادتهم وذوى الرأى فيها ، والذين درسوا الحروب بين عبس وذبيان يذكرون موقف هرم بن سنان والحارث بن عوف منها ، وانهما تحملا ديات

(١) هرقت : صببت .

(٢) فاقة : فقد

القتلى واصلحا بين القبيلتين، فمدحهما الشاعر زهير بن أبي سلمى:
من ذلك قوله:

يميناً لنعم السيدان وجدتما
على كل حال من سحيل ومبرم (١)
تداركتما عبساً وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم (٢)

والممدوحان من أبناء مرة بن عوف، والحارث بن عوف عاش وكان أحد قواد جيش الأحزاب أو غزوة الخندق.

ومن أشراف بني مرة بن عوف خارجة ابن سنان. والحصين بن الحمام الفارس الشاعر. وهاشم بن حرملة الذي قال فيه الشاعر:

ترى الملوك عنده مغربلة (٣)
يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له

وقد اجزل العطاء للشاعر على قوله: «يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له» لأنه وصفه بالعزة والمنعة.

قال ابن اسحاق عنهم: قوم لهم صيت وذكر في غطفان وقيس كلها فأقاموا على نسبهم وفيهم كان «البَسْلُ»..

وَالْبَسْلُ نسبهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب، أي أنه لايحاربهم أحد في الأشهر الثمانية وغيرهم لهم اربعة حرم، قد عرفت ذلك لهم العرب لاينكرونه ولايدفعونه يسيرون به الى اى بلاد العرب شاءوا، فالبسل يعني أن قتالهم حرام. ومع هذا فهم في أنفسهم قرشيون. يقول الحصين ابن الحمام:

أبونا كناني بمكة قبره
بمعتلج (٤) البطحاء بين الأخاشب (٥)
لنا الربع من بيت الحرام وراثة
وربع البطاح عند دار ابن حاطب

والشعر يفيد أن بني لؤي أربعة ذكرناهم نفا. والشاعر يمثل الربع في الميراث. وهو كلام شاعر لا يثبت ميراثاً ولايعطي حقا ولولا قصي لكانت بطون قريش موزعة شأنها شأن سامة بن لؤي وعوف بن لؤي.

قصي لعمري كان يدعى مجمعا
به جمع الله القبائل من فهر

متاعب القبيلة

فالخلج رهط ابن هرمة ليسوا بدعا فيما حدث قبل الاسلام لبعض ولد فهر من الدخول في انساب غيرهم. على أنهم بعد أن حصلوا على النسب القرشي كانت العرب تعاملهم معاملة أدعياء قريش وقد لقي ابن هرمة نصبا، قومه أدعياء وهو دعي فيهم.

ويحكي صاحب الاغاني حكاية تؤيد متاعب القبيلة وشاعرها. يقول:

حكى عبد الله بن عبيدة (من ولد عمار ابن ياسر) قال: زرت عبد الله بن حسن (العلوي) بباديته وزاره ابن هرمة، فجاء رجل من أسلم. فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن ـ أصلحك الله ـ اسأل الأسلمي أن يأذن لي أن أخبرك خبري وخبره فقال عبد الله ابن حسن للأسلمي: ايذن له. فأذن له الاسلمي. فقال ابن هرمة:

---

١ السحيل والمبرم: الضعيف الفتل والقوي المحكم
٢ منشم: عطارة يتشاءم بها ٣: المراد محطمة بفتكه

٤ معتلج البطحاء: مكان اندفاع السيول.
الاخاشب: جبال مكة والمفرد اخشب
٥ بيت الحرام: الكعبة

ابن هرمة
والاحتجاج بالشعر

أني خرجت ـ أصلحك الله ـ أطلبُ ذَوْداً لى (الذَّوْدُ من الابل من الثلاث الى التسع) فاوحشت (جعت ونفد زادى) وضفت هذا الأسلمى فذبح لى شاه وخبز لى خبزا وأكرمنى ، ثم غدوت من عنده فأقمت ماشاء الله ، ثم خرجت في طلب ذود لى فاوحشت وقلت لوضفت الأسلمى ، فملت اليه فجاءنى بتمر ولبن ، ثم خرجت بعد ذلك فقلت : لوضفت (١) الأسلمى فاللبن والتمر خير من الطوى فضفته فجاءنى بلبن حامض ، فلما انتهى من كلامه قال الأسلمى : قد أجبته ـ أصلحك الله ـ الى ماسأل فسله ان يأذن لى أن أخبرك لم فعلته ؟ فقال لابن هرمة : ايذن له فأذن له ، فقال الأسلمى :

ضافنى فسألته من هو ؟ فقال رجل من قريش ، فذبحت له الشاة التى ذكرها ، والله لو كان لى غيرها لذبحتها له حين ذكر أنه من قريش ، ثم غدا من عندى وغدا على الحى وقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ فقلت رجل من قريش ، فقالوا : ليس هذا من قريش ولكنه دعى فيها ، ثم ضافنى الثانية على أنه دعى قريش فجئته بلبن وتمر وقلت دعى قريش خير من غيره ثم غدا من عندى وغدا الحى على فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ فقلت الرجل الذى زعمتم أنه دعى قريش ، فقالوا : لا والله ماهو دعى في قريش ، ولكنه دعى أدعياء قريش ، ثم جاء في الثالثة فقريته لبنا حامضا والله لو كان شر منه عندى لقريته اياه ، فانخزل ابن هرمة وخجل وضحك عبد الله وضحكنا معه .

وهذه الحكاية تبين عن أمرين : مكانة قريش في ذلك الزمان ، زمان بنى أمية والأمر الاخر جفاء الأعراب الذين يتمسكون بالأنساب ، ويجعلون قرى الضيف على مقدار النسب والحسب .

ومامن شك في أن ابن هرمة وقومه من قريش ولكن الظروف عبثت بهم فلم يكونوا مع قومهم حين احتلوا مكة وأخرجوا خزاعة منها وقد يكونون قد وجدوا في القبائل الأخرى مرتعا سائغا ومكانا خصيبا ، وأن ثراء قريش يعد طارئا على يد هاشم بن عبد مناف ، ثم عظمت قريش بالاسلام فلاغرو أن يصحو النائم عن نسبه فيعود اليه ملحفا وقد فعلتها الخلج وأجيب طلبها .

وأغلب الظن أن الخلافة لو لم تبلغ عثمان ابن عفان رضى الله عنه مانسب الخلج الى قريش ، ذلك أن عثمان وبنى أمية عامة يرون في الكثرة العزة وفي القلة الذلة ويتسامحون في هذا الأمر ، وأكبر دليل على ذلك الحاق معاوية زيادا بنسب أبى سفيان وفي الجاهلية ألحق أمية عسرا به ، هكذا تقول الرواية .

ويرى بعض المؤرخين أن قريشا في الجاهلية كانت قبيلة منقرضة ، وقد أكثروا من الحلف بمن يقدم عليهم ، وانظر الى حلف بنى عدى وبنى عبد مناف ، وقصة سورة « التكاثر » وقد تجد في بطونها تحديد النسل دون قصد ، ففهر له ولدان : الحارث وغالب ، وكعب بن لؤى له ابناء ثلاثة : مرة ، وعدى ، وهصيص ، وكلاب له ولدان : زهرة وقصى ، ولا أريد أن أستقصى ، فيكفى ماذكرت ومن ثَمّ شاع منهم التبنى .

---

(١) ضفت الأسلمى : نزلت عليه ضيفا .

ونرجع الى ابن هرمة..

فقد استقرت قبيلته حين حصلت على نسب قريش في المدينة وليست مهاجرة. وولد ابراهيم بن هرمة فيها. وقد أفادته ولادته في مدينة النور فتعلم وتثقف وكانت له موهبة في الشعر فاتخذه وسائله في طلب الرزق وقد ورث الشعراء هذه العادة منذ نهضة الشعر الجاهلي على يد فحوله مثل زهير والنابغة والأعشى كمن اتخذوا الشعر وسائلهم للتكسب به فنهجوا نهجا أزرى بالشعر وحط من مكانته. ولكنه صار ديوان العرب تعرف به حياتهم وعاداتهم ونظرتهم نحو الجمال والقبح والكرم والدناءة والسجادة والوضاعة والشجاعة والجبن والسخاء والبخل الى اخر الشمائل والسجايا كما تعرف منه أساطيرهم وأكاذيبهم.

صناعة ابن هرمة

ولا اعرف لابن هرمة صناعة غير الشعر، وفي زمن بني أمية كان الثراء كبيرا وعشاق الشعر كثيرين يطلبونه ليخلد ذكراهم ويسجل مآثرهم ويتحدث عن مفاخرهم وقد استجاب ابن هرمة لهواياتهم، ويكاد ابن هرمة أن يقصر شعره على القرشيين من الموظفين او أرباب الأموال الطائلة، اما غيرهم فلا اعرف له الا مدح بعض الأمراء، وان كان نسبه غير واضح عند غيره فعنده هو أوضح من الشمس في رابعة النهار..

مدح من القرشيين ابراهيم بن عبد الله ابن مطيع العدوى، وابراهيم بن طلحة التيمي وابن معمر الجمحي ولم يكونوا ولاة ولاقوادا ومدح من الامراء عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك حين كان والي المدينة، ومدح الخليفة المقتول الوليدبن يزيد بن عبد الملك ولم يكن يقرض الشعر للشعر الا نادرا وقد روى له أبو تمام في الحماسة أربعة أبيات بيتين بيتين منهما بيتان ينصح بالحفاظ على مجاري الدمع، والاخران يصف نفسه بالكرم وفيهما حكمة وهما:

اغشى الطريق بقبتي ورواقها
وأحل في نشز الربا فاقيم(١)

ان امرا جعل الطريق لبيته
طُنُبًا وأنكر حقه للئيم(٢)

ومعناهما: انه يضرب قبته على الطريق ويقيم في الأمكنة العالية، وأن من يتخذ الطريق موضعا يضرب به خيمته ولايؤدي حق ذلك الطريق من القرى وبشر الوجه يوصم باللؤم.

وكان سريع الهجاء اذا لم ينل مايريده من ممدوحه، وعرف عن ذلك فكان الرجل المنظور اليه لماله وجاهه اذا علم منه حديثا عنه أسرع الى سوق الاحمال اليه، وممن نال هجاؤه: معاوية بن عبد الله بن جعفر؛ لأنه قصر عن مطالبه ويوم قصر معاوية معه كان في فاقة وإملاق الى درجة الاقتراض. وصادف يوم قدوم ابن هرمة عليه أنه اقترض خمسين دينارا، وإذا بابن هرمة يرسل مع جارية معاوية رقعة يطلب فيها مالا، وقرأ معاوية الرسالة فكان رده الاعتذار ورجعت الرقعة وفيها الاعتذار فما كان من ابن هرمة الا أن كتب على الرقعة شعرا وناوله الجارية، فدفعتها الى معاوية واذا بها:

---

(١) الرواق ما يكون حول القبة والنشز المكان المرتفع وكذلك الربوة والجمع الربا

(٢) طنبا على حذف مضاف اى موضع طنب والطنب حبل البيت

ابن هرمة والاحتجاج بالشعر

فإني ومدحك غير المصيب
كالكلب ينبح ضوء القمر
مدحتك أرجو لديك الثواب
فكنت كعاصر جنب الحجر

فلما قرأها معاوية قال للجارية : خذي هذه الدنانير فادفعيها اليه . فلما قدمت اليه الدنانير . قال : كلا أليس زعم أنه لايدفع لي شيئا ؟

وهذا الخبر يدل على قوة الشاعر وبعده عن معرفة أخبار معاوية بن عبد الله ، فكرم أبيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لم يترك له مالا . ولئن أساء الى معاوية فقد كان مع ابنه عبد الله أرق شعورا وألطف طلبا . زاره فوجد غرماء عبد الله قد ملأوا داره يطالبون بديون عليه . فولى ابن هرمة وجهه نحو الباب ليرجع ولمحه عبد الله فناداه وأدخله وأبى الا أن ينشده شعرا ، وبدل أن يسدد الديون اقترض من جديد ليجزل العطاء للشاعر وقد فعل فقال ابن هرمة قصيدة جيدة منها :

حللت محل القلب من آل هاشم
فعشك مأوى بيضها المتفلق
ترى الخير يجرى في أسرة وجهه
كما لألأت في السيف جرية رونق
كريم اذا ماشاء عدّله أبا
له نسب فوق السماك (١) المحلق
وأما لها فضل على كل حرة
حتى ماتسابق بابنها اليوم تسبق
وأم عبد الله هذا أم عون بنت العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فقد ولده عبد المطلب مرتين : مرة من جهة أبيه ومرة من جهة أمه . وهكذا كان يفخر بنو عبد المطلب بن هاشم ، والشاعر عبر عن ذلك بشعره ، فذكر الأب والأم ونجابة الابن . وهذا الممدوح ثار على بني أمية وامتلك أقاليم من الدولة ، ثم دارت عليه الدائرة فهرب الى خراسان وقد ظهر أبو مسلم الخراساني صاحب دعوة بني العباس فقبض عليه ثم سمه وهو في سجنه خوفا من لسانه أن يفسد عليه جنده ، وكان عبد الله شاعرا له شعر يروى ويحفظ . ولو أتاه وهو في سلطانه لنال منه خيرا كثيرا .

عهد الشاعر وشيء من طبعه

وحين ولي المدينة عبد الواحد بن سليمان أكثر من مديحه ، فأخذ عبد الواحد عليه العهد ألا يمدح غيره . ولكن الدهر قلب عزل عبد الواحد ورحل الى دمشق ، وحل محله وال جديد من بني الحارث بن كعب فطمع ابن هرمة في نواله فمدحه .

ثم قدم عبد الواحد الى المدينة من الشام فعرف صنيعه ، فاختفى ابن هرمة أياما ، ثم رام الدخول عليه فمنع فاستشفع بكل وجيه في المدينة أن يعيده الى عبد الواحد فينال رضاه فلم يجبه أحد .

يقول ابن هرمة : فلما أعوزتني الحيلة أتيت عبد الله بن حسن (العلوي) فقلت يابن رسول الله ان هذا الرجل قد أكرمني وأخذ علي ألا أمدح أحدا غيره ، ثم دعاني الشره والنكد الى أن مدحت الوالي الجديد ، وقصصت عليه قصتي وسألته أن يشفع لي ، فركب معي . فأخبرني الواقف على رأس عبد الأحد أن عبد الله حين دخل قام

(١) السماك : نجم يضرب به المثل في العلو

عبد الواحد فعانقه وأجلسه الى جنبه ثم قال : أحاجة غدت بك ـ أصلحك الله ؟ ـ قال : نعم . قال : كل حاجة مقضية الا ابن هرمة . قال : ان رأيت الا تستثنى في حاجتى فافعل . قال : قد فعلت . قال : فحاجتى ابن هرمة قال : قد رضيت عنه وأعدته الى منزلته . قال : فتأذن له في الانشاد . قال : فتعفينى من هذه . قال : أسألك ان تفعل . قال : ائتوا به . فدخلت وأنشدت قولى فيه :

وجدنا غالبــا كانــت جنــاحا
وكان أبوك قادمة الــجــناح

فما ان سمع عبد الله بن حسن هذا البيت حتى استشاط غضبا . وترك المجلس وخرج محنقا . يقول ابن هرمة وأوجزت فى الانشاد . ثم لحقته فقلت : جزاك الله خيرا يابن رسول الله . قال : لا جزاك الله خيرا ياكذا (كلمة شتم) اتقول لابن مروان : « وكان أبوك قادمة الجناح » بحضرتى وأنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن على بن أبى طالب ؟

فقلت : جعلنى الله فداءك . ألم تسمعنى قد قلت : « وبعض القول يذهب بالرياح » فضحك عبد الله وقال : قاتلك الله أظرفك !

غضب عبد الله بن حسن أن يكون أبو عبد الواحد قادمة الجناح . ولم يفطن الشاعر الى ما بين أمية وهاشم من المنافسة على الشرف . ويرى عبد الله ونحن معه أنه أشرف نسبا من مروان وأبنائه . ولم ينظر الى منطق الشاعر . فقد سوى بينه وبين عبد الله وعبد الواحد معا فهما من غالب ابن فهر . والشاعر صير غالبا جناحا . والطائر له جناحان فأين الجناح الاخر ؟

والمعنى هنا ليس فى بطن الشاعر بل فى لسانه . الجناح الاخر « الحارث بن فهر » وهو الجد الأعلى للشاعر بعد أن ألحقت قبيلته به وصارت من قريش . ولا أظن أن هذا المعنى غاب عن عبد الله بن حسن . ولكن همه اتجه الى نظيره من بنى أمية . وعبد الواحد أمير ابن خليفة وهو سليمان وسليمان بن عبد الملك خليفة ابن خليفة والجد مروان خليفة فهو من الرياسة الدنيوية بمكان عظيم . ولهذه القصيدة عقابيل سأذكرها فيما بعد .

وانتهى حكم بنى أمية وسقطت دولتهم وقامت دولة بنى العباس . وكانت الشعوب الاسلامية شرقا وغربا تنتظر سقوط نجمهم ومن العرب من ساندوا بنى العباس فى الوصول الى الحكم : اليمن وربيعة . ولكن المثقفين فى هذا العهد كانت ميولهم أن يحل محل بنى أمية العلويون . ومن المثقفين ابن هرمة . وكانت حوله العيون ترصد تحركاته . والشاعر لا قدرة له على حبس لسانه فقال :

ومهما ألام على حبهم
فانى أحب بنى فاطمة
بنى بنت من جاء بالمحكما
ت والدين والسنة القائمة

وسئل عن قائلهما . فقال : قائلهما من « كذا أمه » فقال له ابنه : ياأبت ألست قائلهما ؟ قال : بلى . قال : فلم شتمت نفسك ؟ فقال : أليس أن يشتم المرء نفسه خيرا من أن يأخذه ابن قحطبة ؟ وابن قحطبة صاحب الشرطة يومئذ .

ابن هرمة والشراب :

واذا كان ابن هرمة قد نجا من مهالك السياسة فانه لم ينج من مزالق نفسه الأمارة

ابن هرمة والاحتجاج بالشعر

بسوء فقد كان مولعا بالشراب الى حد التخبط فى الطرقات . وحكى عنه أنه مرّ على جيرانه وهو مترنح من السكر فدخل منزله فلما كان من الغد دخلوا عليه يعاتبونه على الحال التى كان عليها حين مر عليهم فقال لهم : أنا فى طلب مثلها منذ دهر . أما سمعتم قولى :

أسأل الله سكرة قبل موتى
وصياح الصبيان ياسكران ؟

فنفضوا ايديهم منه وخرجوا .

لم يعاتبه أحد من بنى أمية على السكر . فقد كان بعضهم مثله . ومنهم الوليد بن يزيد الخليفة . نجا من العقاب واقامة الحد عليه . ولكن جاء العباسيون وهم لا يرضون أن يعطل حد من حدود الله . فكان أن وقع وهو سكران فى يد شرطة زياد بن عبد الله الحارثى والى المدينة من قبل أبى العباس السفاح الخليفة الأول لبنى العباس . فما كان من الوالى الا أن أقام عليه الحد وجلده .

وقام أبو جعفر المنصور بأمر الخلافة بعد أخيه السفاح . ورحل الشاعر اليه يمدحه . ومدحه بشعر بليغ فوصله بعشرة آلاف درهم . فاستقلها . فقال له المنصور : ويحك . انها كثيرة . وكان أبو جعفر بخيلا بمال الدولة فقال له الشاعر : ان أردت أن تهنئنى فأبح لى الشراب فانى مغرم به . فقال : ويحك . هذا حد من حدود الله . فقال ابن هرمة : احتل لى . قال : نعم . فكتب الى والى المدينة : من أتاك يابن هرمة سكران فاضربه مائة سوط واضرب ابن هرمة ثمانين فجعل الجلواذ (الشرطى) اذا مر بابن هرمة وهو سكران يقول : من يشترى الثمانين بالمائة ؟ فلا يعرض له أحد .

ولكن الامر لم يدم له فقد ولى المدينة للمنصور (الحسن بن زيد العلوى) فاستدعاه وقال له : انى لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك . فقد أفادنى الله بولادة نبيه الممادح وجنبنى المقابح . وان من حقه على الا أغضى على تقصير فى حقه . وأنا أقسم بالله لئن أتيتُ بك سكران لأضربتك حدين : حدا للخمر وحدا للسكر . ولأزيدن لموضع حرمتك بى . فليكن تركك لها لله تُعَنْ عليه ولا تدعها للناس فتوكل اليهم . فنهض ابن هرمة وهو يقول :

نهانى ابن الرسول عن المدام
وأدبنى بآداب الكرام
وقال لى اصطبر عنها ودعها
لخوف الله لا خوف الأنام
وكيف تصبرى عنها وحبى
لها حب تمكن فى عظامى
أرى طيب الحلال على خبثا
وطيب العيش فى خبث الحرام

واغلب الظن انه كف عنها وتاب خوفا من ابن زيد والمرء قد يتاب رغم أنفه . ولا أدرى ما الذى دفعه ليقع فى هذا الاثم ؟ يظهر من حاله أنه لم يكن ذا ثراء . ولم تذكر كتب التراث شيئا عن بيئته وموقف والده من الحلال والحرام . وبيئة المدينة لم تكن صالحة للفساد . وقد يكون لاتصاله بالوليد بن يزيد أثر فيما وصل اليه . وقد يكون لضعف الوازع الدينى عند ولاة المدينة على العهد الأموى ما شجعه على غشيان مباءة السوء فى -

الحواضر التي ذهب اليها .

أهله وولده :

ومن مجريات حياته نعرف أن له ابنا يسمى اسحاق كان يكنى به وظنى فيه أنه الذى سأله عن شتم نفسه حين سئل عن شعره الشيعى . وله بنت عرفناها وعرفنا اسمها حين عيب عليه أن يمدح غلاما حديث السن هو أبو الحكم المطلب بن عبد الله فقال :

كانت « عيينة » فينا وهى عاطلة
بين الجوارى فحلاها أبو الحكم
فمن لحانا(١) على حسن المقال له
كان المليم وكنا نحن لم نلم

اسمها عيينة ، وأبو الحكم جلاها فهو يستحق الثناء ومن لامه على ذلك كان الذى فعل مايلام عليه ، والمليم كلمة قرآنية أحسن وضعها فى مكانها ، ففى القرآن الكريم فى الحديث عن يونس عليه السلام : « فالتقمه الحوت وهو مليم » ١٤٢ ـ الصافات .

أما زوجه وأم أولاده فهى ابنة عمه ، عرفناها حين ضاقت عليها الحياة ومسها لاذع الفقر فأغرته بالذهاب الى دمشق حيث الأمير عبد الواحد بن سليمان ليجد عنده المال ، واستجاب لها فأغدق عليه عبد الواحد المال والثياب .

تنكره لبعض ماضيه :

وقد قصّ قصة رحيله الى عبد الواحد حين سأله عبد الله بن ابراهيم الجمحى : أتمدح عبد الواحد بن سليمان بشعر ما مدحت به احدا غيره فتقول فيه :

وجدنا غالـــيا كانـــت جـــناحا
وكان أبوك قادمة الـــجـــناح

(١) لحانا : لامنا .

أعـــبد الواحد المـــحـــمود انى
أغص حذار سخطك بالقراح «١»

وهذه القصيدة من فاخر الكلام ـ كما يقول صاحب الأغانى ـ وقد جعل المنصور وكده أن يعاقب عليها الشاعر ان أنشدها وقد مرت عليها سنون . يقول أبو الفرج :

وجه المنصور رسولا قاصدا الى ابن هرمة ودفع اليه ألف دينار وخلعة ووصفه له وقال له : امض اليه فانك تراه فى مجلس كذا ـ بمسجد الرسول بالمدينة ـ فانتسب له الى بنى أمية ومواليهم واسأله أن ينشدك قصيدته الحائية التى يمدح بها عبد الواحد ابن سليمان :

وجدنا غانـــيا كانـــت جـــناحا
وكان أبوك قادمة الـــجـــناح

فان أنشدكها فاخرجه من المسجد واضرب عنقه ، وجئنى برأسه ، وان أنشدك قصيدتى اللامية التى يمدحنى فيها فادفع اليه ألف الدينار والخلعة ، وما أراه ينشدك غيرها ، ولا يعترف بالحائية . وأتاه الرجل فوجده كما وصف المنصور ، فجلس ، فاستنشده قصيدته فى عبد الواحد . فقال : ما قلت هذه القصيدة ولا أعرفها وانما نحلها اياى من يعادينى ، ولكن ان شئت أنشدتك أحسن منها ، قال : قد شئت فهات ، فانشده : « سرى ثوبة عنك الصبا المتخايل » حتى أتى على آخرها . ثم قال : هات ما أمرك به أمير المؤمنين أن تدفعه الى . فقال : أى شىء هو ياهذا ؟ فقال : دع عنك فو الله ما بعث بك الا ومعك مال وكسوة . فضحك الرسول وقال : صدقت لعمرى ودفع اليه الدنانير والخلعة قال راوى القصة محمد بن سليمان

(١) القراح : الماء الصافى الذى لم يشبه شىء .

ابن هرمة والاحتجاج بالشعر

ابن المنصور « ماسمعنا أعجب من حديثهما » .

منزلته فى الشعر وشىء من ملامحه :

ونخلص من هذا الى ان ابن هرمة كانت منزلته فى الشعر عظيمة . وأن لشعره وقعا على النفوس يرجوها ويخشاها الأمراء والخلفاء . وأنه يذكر وان غاب عن مجالسهم أو بعدت داره عن دورهم . ويروى العقد الفريد قصة مماثلة تتصل بالتشيع فيها وصف له بأنه طويل القامة أسمر اللون كثير التلفت . نكتفى برواية الأغانى التى سقناها سابقا .

والذين ارخوا لابن هرمة عنوا بطرائفه وملحه أكثر من العناية بالحديث عن ملامح شعره كما أنهم قصروا فى الكشف عن حياة أسرته الصغيرة . على أنهم عنوا بنسبه وما قيل فيه . ولكننا بتلك الطرائف التى جمعوها نستطيع أن نكون صورة لهذا الشاعر المجدود والمحدود معا . بل نستطيع أن نعرف مذهبه فى السلوك الانسانى . هاهوذا يمدح السرى بن عبد الله الهاشمى . والسرى هذا من نسل العباس بن عبد المطلب . ولكن تعود المؤرخون أن ينسبوا كل من كان من غير ولد (محمد بن على بن عبد الله بن عباس) الى كلمة « الهاشمى » تمييزا لأبى الخلفاء عن غيره من فصيلته . وكان السرى رضى الخلق سمح الطبع ميالا الى العدل ولى للمنصور مكة وكان عند مدح ابن هرمة له والى اليمامة . وقصده ابن هرمة لدين لزمه فكان من مدحه :

نفى الظلم عن أهل اليمامة عدله
فعاشوا وزاح (١) الظلم عنهم وباطله
وناموا بأمــــن بــعــد خوف وشدة
بسيرة عدل ما تخاف غوائله (٢)
وأنت ترجى للذى أنت أهله
وتنفع ذا القربى لديك وسائله

نرى فى هذا الشعر حب الشاعر للعدالة وتنويهه بها وحمده به على المحكومين الذى لاقوا من السرى ما يملأ قلوبهم أمنا وحياتهم طمأنينة . فأميرهم عدل وساهر على شئون الرعية . يعطى القريب لقرابته والغريب لحاجته . وهو رجل (٣) له وفاؤه وأريحته القرشية يعرف حق الطريق وواجب الضيافة . ويعتذر ان أخطأ . وفيه ذكاء محسوب عليه وفيه جبن دهمه به عصره عصر التغيرات العظيمة وما يلاحقها من الفاشية التى لا تفرق بين الأولياء والاعداء . وكان المنصور رجلا مخيفا عنيفا يحرص على الملك أكثر من حرصه على حياته . فلا ضير على الشاعر ان هجا نفسه لينجو من سيف الخليفة ومع ذلك يعد من حزب الشيعة عند المؤرخين .

وفاته :

عاش ابن هرمة على هذا المنهاج الذى فرضته عليه الحياة يمدح ويهجو ويغرق نفسه فى أم الكبائر الى قرب أجله فلما تاب على يد الحسن بن زيد واتته منيته .

ويروى أبو الفرج الأصفهانى وهو قرشى عن الزبير بن بكار وهو قرشى : قال أنشدنى عمى لابن هرمة :

---

(١) زاح : ذهب
(٢) غوائله : مصائبه
(٣) ابن هرمة

ما اظن الزمان يا ام عمرو
تاركا ان هلكت من يبكيني

فكان والله كذلك ، لقد مات فاخبرني من رأى جنازته ما يحملها الا اربعة نفر حتى دفن في البقيع بالمدينة سنة ١٥٠ هـ في خلافة أبي جعفر المنصور .

ملامح شعره :

وشعر ابن هرمة الذي يحتج به كثير ، وملامح هذا الشعر واضحة فهو واضح التعبير قريب الخيال فيه نوع من الابتكار الذي لا يبعده عن نهج فحول الشعراء . وهو يميل الى التسلسل القصصي في الاداء . وترى مخايل الصحراء والبادية في قوافيه كما ترى ذلك في هجاء معاوية بن عبد الله « في ضوء القمر » و « عصر الحجر » وفي جناح غالب وقاومته ومما يدل على تفوقه في الشعر النادرة الاتية :

قال الربيع حاجب المنصور للمنصور : ان الشعراء ببابك وهم كثيرون ، طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم . فقال : اخرج اليهم فاقرأ عليهم السلام وقل لهم : من مدحني منكم فلا يصفني بالأسد فانما هو كلب من الكلاب ، ولابالحية فانما هي دويبة منتنة تأكل التراب . ولابالجبل فانما هو حجر أصم ولا بالبحر فانما هو غطامط لجب (١) . ومن ليس في شعره هذا فليدخل . ومن كان في شعره فلينصرف . فانصرفوا كلهم الا ابراهيم ابن هرمة . فانه قال له : أنا له ياربيع فادخلني . فأدخله . فلما مثل بين يديه . قال المنصور : ياربيع . قد علمت أنه لا يجيبك أحد غيره . هات ياابن هرمة فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

له لحظات عن حفافي سريره
اذا كرها فيها عذاب ونائل (٢)

لهم طينة بيضاء من ال هاشم
اذا اسود من كوم التراب القبائل

اذا ما أتى شيئا مضى كالذي أتى
وان قال : اني فاعل فهو فاعل

فقال المنصور : حسبك. ههنا بلغت . هذا عين الشعر . قد امرت لك بخمسة الاف درهم . يقول ابن هرمة فقمت اليه وقبلت رأسه واطرافه ثم خرجت فلما كدت أن أخفى على عينيه سمعته يقول ياابراهيم . فأقبلت اليه فزعا . فقلت : لبيك فداك أبي وأمي . قال : احتفظ بها فليس لك عندنا غيرها . فقلت : بابي وأمي أنت . أحفظها حتى اوافيك بها على الصراط بخاتم الجهبذ (٣) .

وانت تراه قد ارتجل الشعر أو هيأه لساعته . شاعر له قدراته . فما ان يتراءى له الموقف حتى يتفجر الشعر من لسانه . كما رأينا هنا . وكما رأيناه مع الحسن بن زيد العلوي حين نهاه عن المدام وكما رأيناه في هجاء معاوية بن عبد الله .

اقرأ معي هذا الرثاء له في انسان كريم ويقول :

---

(١) غطامط لجب : كثير الماء مصطخب .

(٢) النائل : عطاء .

(٣) الجهبذ : الصراف .

ابن هرمة
والاحتجاج بالشعر

لله درك من فتى فجعت به
يوم البقيع حوادث الأيام
هش اذا نزل الوفود ببابه
سهل الحجاب مؤدب الخدام
واذا رأيت صديقه وشقيقه
لم تدر أيهما أخو الأرحام

والبيت الأخير هو موضع الاعجاب من الدارسين والنقاد . وهكذا مدح وهجا ورثى ووصف وتظرف وامتع النفوس وهدى العقول ببعض حكمه . وما أجمل قوله فيمن يضع الشيء في غير محله :

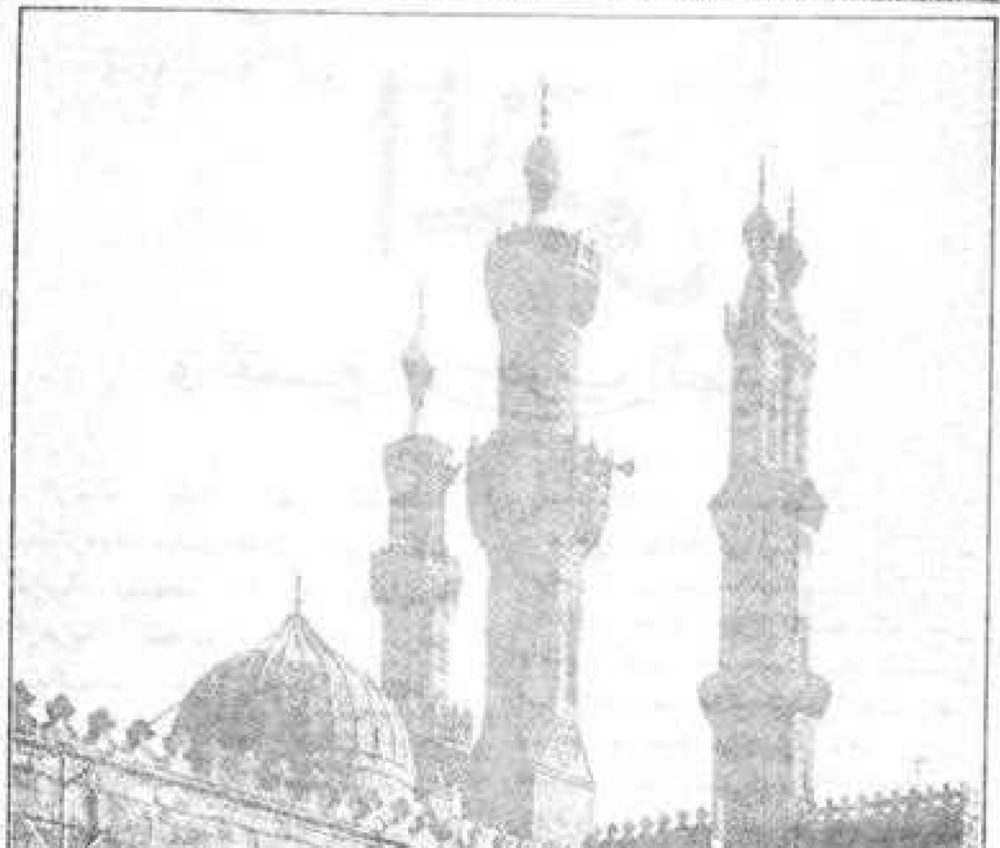
كتاركة بيضها بالعراء
وملحفة بيض أخرى جناحا

وفى النظر الى ما قدمنا من نماذج شعره نرى روح الشعر العربى الأصيل الذى عرفناه فى الشعر الجاهلى والشعر الاسلامى ، وكفا ذكرا أنه آخر من يحتج بشعره من الشعراء .

السيد حسن قرون

(١) المراجع
(١) البيان والتبيين للجاحظ
(٢) السيرة النبوية لابن هشام
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه
(٤) ديوان الحماسة لأبي تمام
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير
(٦) الكامل للمبرد
(٧) اعجام الأعلام للأستاذ محمود مصطفى





مع رسالة جامعية

النحو في تفسير ابن جرير الطبري

الرسالة تقدم بها الباحث عبد الرءوف محمد عثمان الموجه للغة العربية بمنطقة القاهرة التعليمية الأزهرية للحصول على درجة « العالمية - من درجة أستاذ - الدكتوراه » من كلية اللغة العربية بالقاهرة نوقشت الرسالة صبيحة السبت ١٧ من ربيع الأول سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ١ من يناير سنة ١٩٨٣ م وكان أعضاء

لجنة المناقشة :

الأستاذ الدكتور ابراهيم عبد الرازق البسيوني

الأستاذ الدكتور مصطفى أحمد خليل النماس

الأستاذ الدكتور محمد يسرى زعير .

وبعد انتهاء المناقشة قررت اللجنة منح الطالب درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى .

منهج الباحث في رسالته :

واءم الطالب بين المنهج التاريخي والمنهج الفني ، فاستخدم المنهج التاريخي في الكشف عن حياة الامام الطبري وقام بدراسة تاريخية وتحليلية لاهم جوانب شخصيته واهم ما تميزت به وكان موفقا كل التوفيق في تحليله وفي تعليقه ، واستخدم المنهج الفني في عرضه وتصنيفه وشرحه للمسائل والقضايا النحوية والصرفية وما يتعلق بهما من فن القراءات في محاولة جادة لاستكشاف النحو التطبيقي عن طريق البحث الميداني لأكثر التفاسير واعظمها ألا وهو تفسير الطبري المعروف بـ « جامع البيان في تفسير القرآن » ذي الثلاثين جزءا . ولقد بين الباحث ان نحو الطبري او النحو التطبيقي المستقى من تفسيره يختلف كثيرا عن النحو القاعدي المستقى من كتاب سيبويه ومن نحا نحوه من النحاة التقليديين ثم لفت الانظار الى العناية التي اوليناها لنحو سيبويه ونظرياته واهمالنا لنحو القرآن وتطبيقاته معللا لذلك ان النحو

بحث لنيل درجة « الدكتوراه » فى اللغويات

للطالب / عبد الرءوف محمد عثمان

عرض وتقديم الأستاذ الدكتور مصطفى محمد خليل النماس

يوم أن وجد ما وجد الا ليكون خادما للقرآن الكريم، كتاب الله الذى يعتبر بحق ذروة النص اللغوى فى الاستشهاد والاستدلال لماله من خصيصتين :

تواتره تواترا فاق الحدود وتعدى القيود فهو « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »..

٢ ـ التَّعَبُّدُ به، ويعنينا هنا فى المقام الاول ان التعبد يكون بلفظه لا بمعناه مما يجعل لألفاظه قدسية وقيمة تُجلَى من حيث البنية والبناء والاعراب، ثم احتاط الباحث حتى لا يُرمى بالتعصب لصاحبه الامام الطبرى فقال « ومع هذا وذاك فنحن لا نستطيع أن ننكر أو أن نتجاهل ما لسيبويه امام النحاة من فضل لتبريزه ولسبقه فى هذا الميدان ».

ولقد اقتضى منهج البحث وخطته ان يكون فى ثلاثة اقسام :

١ ـ القسم الأول : المقدمة

٢ ـ القسم الثانى : المدوّنة

٣ ـ القسم الثالث : الخاتمة، ثم تذييلها .

أما المقدمة فتشتمل على تسعة فصول هى :

(أ) « بيئة وعصر » وهذا فصل تحدث فيه الباحث عن عاملين هامين فى حياة الطبرى هما : التجاوب الزمانى والتفاعل المكانى : وقد عنى بالعامل الاول معاصرة الطبرى لأحد عشر خليفة من خلفاء العصر العباسى فى بغداد ومعاصرته للدولة الطولونية التى قامت بمصروالشام، ولكل من الدولة السامانية والحمدانية، فقد عاش الطبرى من سنة ٢٢٤ هـ الى سنة ٣١٠ هـ، وفى هذه الفترة من الزمان اخذت العلوم الدينية والعربية حظها من النضج والكمال، وعلى الرغم مما اعترى الدولة العباسية من الوهن السياسي فقد حظى العلماء بتقدير خاص من الحكام. اما العامل الثانى وهو التفاعل المكانى ، فقد ولد الطبرى بآمل عاصمة طبرستان. وآمل هذه هى التى خرجت الكثير من أساطين الفكر وينسبون الى هذا الاقليم فيقال لكل منهم الطبرى، وهم بالطبع غير الامام المفسر ابن جرير،

ومختلفون عنه وان كان ابن جرير الطبرى أشهرهم ومع أن اقليم طبرستان اقليم جبلى فهو كثير المياه متنوع الفاكهة متهدل الأشجار مما أثر فى صفاء قريحة ابن جرير وفى اذكاء عبقريته .

(ب) « عوامل التفوق العقلى والنبوغ عند الطبرى » وقد أرجع الباحث فى هذا الفصل هذا النبوغ وتلك العبقرية الى أربعة عوامل هى « ١ » ثراء أبيه مما جعله يتفرغ للعلم

مع رسالة جامعية

ولمدارسته « ٢ » رحلاته الكثيرة لملاقاة العلماء والاستفادة بما عندهم من علم وفكر وادب « ٣ » مضاء عزيمته مما ساعده على تخطى الصعاب والوصول الى ماربه والى ما يبتغيه من امال واهداف « ٤ » عزوفه عن النساء ، فلقد صعّد طاقته الجنسية الى طاقة فكرية جعلت منه انسانا ذا عقلية خلاقة تمتاز بالتركيز والتعمق .

وفى الفصل الثالث ، وهو بعنوان « الطبرى النحوى » يرجع الباحث عبقرية الطبرى النحوية الى ثلاثة مظاهر هى :

عنايته بالاعراب ـ اهتمامه بالقراءات ـ استشهاده بالشعر واهم ما يميز الطبرى عن غيره من المفسرين انه يتعرض لاراء كل من البصريين والكوفيين فيعرضها فى امانة وثقة ، ويستعرضها فى روية وحكمة ثم بعد ذلك يصدر حكمه بحسب ما يرتئيه ليوفق بين كلا الفريقين . ولهذا عُدَّ الطبرى من رواد مدرسة التوفيق او المدرسة البغدادية ..

الفصل الرابع : يطالعنا هذا الفصل بعنوان هو « مذهبه النحوى ومدرسته » ويعنينا هنا تلك المدرسة التى سارت على ما ذهب اليه الامام الطبرى من إعمال للعقل فى الحكم . والتحكيم بين فريقى علماء البصرة والكوفة ، تلك المدرسة التى ظهرت فى أواخر القرن الثالث الهجرى وبلغت ما بلغت فى اوائل القرن الرابع واستحكم شانها فى تلك الفترة التى التاء فيها الفريقان ببغداد الى ان تضعضع شان الخلافة العباسية بغلبة البويهين عليها ..

ولقد اطلق الطالب ولاول مرة على ابن جرير « سفير النحاة » وبرهن على هذه السفارة ١ ـ بانه كان كثير التنقل بين مجالس العلماء لينقل اراء النحاة في حذر وصدق ٢ ـ وهو كذلك متعفف كل التعفف عما في ايدى الناس ولو كانوا امراء بل الخلفاء أنفسهم ٣ ـ وايضا فقد كان كثير الاسفار والترحال وهذه الصفات الثلاث هى اهم صفات الرجل « الدبلوماسى » في هذا العصر ، فلا غرو ان يكون الطبرى قمينا بهذا اللقب « سفير النحاة » وهو به جد خليق .

الفصل الخامس : « أعزاز من الشرق واعجاب من الغرب » تحدث فيه الباحث عما حظى به الطبرى من تكريم واعزاز فى الشرق ، فتجد أمهات الكتب قد أوردت اسم الطبرى بماله من مكان ومكانة ، مكان فى القلوب ومكانة بين العلماء . هذا وقد أطلق اسمه على بعض المدارس النموذجية والأماكن الهامة فى مصر تخليدا لذكراه . أما فى الغرب فقد ترجم كتابه فى التاريخ الى الفارسية ثم الى الفرنسية ولقد عنيت دائرة المعارف البريطانية

Encyclopaedia Brutannica

وكذلك دائرة المعارف الاسلامية Encyclopaedia of islam

عنيت كلتا الدائرتين الشهيرتين فى الأوساط العلمية والأدبية بذكره والاشادة به وان كانتا فى رأيي لم تعطياه حقه من التجلة والتبجيل اللازمين ..

الفصل السادس : « مع نتاج وثمار عبقرية الطبرى » تكلم الباحث فى هذا الفصل عن النظريات الأربع فى تفسير العبقرية :

النظرية المرضية ـ نظرية التحليل النفسى ـ النظرية الوصفية ـ ثم النظرية

الكمية. ولقد أرجع الطالب عبقرية الطبرى الى النظرية الأخيرة لأنها تعتمد على المثابرة والكفاح الشاق فى الدرجة الاولى ثم الى الذكاء فى الدرجة الثانية . ولقد كان سفير النحاة كذلك . عرق وصبر وذكاء ومثابرة وكان خير برهان على تلك العبقرية الناجية الغزير ، فمن اراء سديدة فى الفقه والطب وغيرهما من العلوم ، الى مؤلفات عديدة أربت على الثلاثين مؤلفا جُلّها من أمهات الكتب ».

الفصل السابع : « الطبرى علم وطرف وخلق » ثلاث خصال قلما تتوفر أو تتوافر لغيره . فلقد كان الطبرى عالما تلقى العلم من معلمين أجلاء ثم ورّث هذا العلم لمن بعده من تلاميذه المخلصين ومع هذا العلم الغزير الذى قد يطغى صاحبه او يلهيه ، فلقد كان الطبرى على خلق كريم حيث كان ورعا أبيا جريئا فى الحق متواضعا . ولم يكن هذا العلم الوافر وهذا الخلق الكريم ليصرفا الامام الطبرى عن الدُّعابة ووجاهة السمت . فلقد كان الطبرى فى ظاهره ظريفا ، وفى باطنه نظيفا حسن العشرة لمجالسيه مهذّبا فى جميع أحواله .

الفصل الثامن : « النهاية الحزينة » حيث تحرش به الحنابلة بعد أن سألوه سؤالين أولهما عن شخصية الامام أحمد وثانيهما عن الجلوس على العرش . فأنكر الطبرى على الامام أحمد أن يكون قد روى عنه . وقال باستحالة الجلوس على العرش . فلما سمعوا ذلك منه هاجوا وماجوا واتهموه بأنه رافضى ورموه بمحابرهم .

خلا الطبرى بعد ذلك فى داره ولزمها حفاظا على نفسه . وقيل انه أشاد بأحمد بن حنبل فى أخريات أيامه . ولم يزل يذكر ابن حنبل الى أن مات ودفن ببغداد فبكاه الناس يوم ذاك بكاء العارفين بفضله وتشريفا لقدره ».

الفصل التاسع : « الطبرى فى الميزان » ذكر فيه الباحث ما للطبرى وما عليه . وقد بين أنه على الرغم مما يؤخذ على الطبرى من مآخذ فهى اذا قيست بأمجاده واستطلاعاته فى العلم والمعرفة لا تنقص من قدره ولا تغض من شأنه . وانما هى هنات هينات فالطبرى له وزنه وشأنه بين العلماء فهو علم شامخ من أعلام الحياة العلمية والاسلامية ».

هذا هو القسم الاول بفصوله التسعة أما القسم الثانى فهو المدوّنة . تلك التى جمعت جميع المسائل النحوية والصرفية المستخرجة من التفسير وتعتبر هذه المدونة هى لب هذا البحث ولبابه وقد قسمت الى أربعة مباحث :

المبحث الأول فى علم النحو ـ المبحث الثانى فى علم الصرف ـ المبحث الثالث فى صلة النحو بالقراءات ـ المبحث الرابع فى البداية والنهاية بداية السور ونهاية الآى .

أما المبحث الأول فى علم النحو فيضم سبعة وأربعين بابا هى :

١ ـ الابتداء

٢ ـ كان وأخواتها

مع رسالة جامعية

٣ ـ ان وأخواتها
٤ ـ الفاعل
٥ ـ ما لم يسمّ فاعله
٦ ـ المذكر والمؤنث
٧ ـ التعريف والتنكير
٨ ـ الاشارة
٩ ـ الموصول
١٠ ـ الضمير
١١ ـ الاضافة
١٢ ـ حروف المعانى
١٣ ـ الاجراء وعدمه
١٤ ـ المفعول به
١٥ ـ المفعول المطلق
١٦ ـ المفعول لأجله
١٧ ـ الاستثناء
١٨ ـ التمييز
١٩ ـ الحال
٢٠ ـ النداء
٢١ ـ الظروف
٢٢ ـ العدد
٢٣ ـ النعت
٢٤ ـ التوكيد
٢٥ ـ العطف
٢٦ ـ البدل وعطف البيان
٢٧ ـ جوازم الفعل
٢٨ ـ نواصب الفعل
٢٩ ـ أزمنة الفعل
٣٠ ـ اسم الفعل
٣١ ـ المدح والذم
٣٢ ـ الاستفهام
٣٣ ـ النفى
٣٤ ـ الشرط
٣٥ ـ اجتماع الشرط والقسم
٣٦ ـ التثنية
٣٧ ـ الشمولية فى نظرية العامل
٣٨ ـ التضمين
٣٩ ـ التضعيف ودلالته .
٤٠ ـ الزيادة والصلة
٤١ ـ الاضمار والحذف
٤٢ ـ الحركة وعدم تأثر الصيغة بها
٤٣ ـ التعميم والتخصيص
٤٤ ـ التقديم والتأخير
٤٥ ـ الحكاية بالمعنى العام
٤٦ ـ التركيب والتحليل
٤٧ ـ التشابه الصورى فى الحروف

وأما المبحث الثانى فى علم الصرف فيشتمل على أربعة وعشرين بابا هى :

١ ـ مصادر الثلاثى
٢ ـ مصادر غير الثلاثى
٣ ـ المصدر المؤول
٤ ـ اسم المصدر
٥ ـ الجموع
٦ ـ المقصور والممدود
٧ ـ المجرد والمزيد
٨ ـ المتعدى واللازم

٩ ـ التصغير
١٠ ـ النسب
١١ ـ الصحيح والمعتل
١٢ ـ الاشتقاق والجمود
١٣ ـ اسم الفاعل ولواحقه
١٤ ـ اسما الزمان والمكان
١٥ ـ اسما المرة والهيئة
١٦ ـ اسم الآلة
١٧ ـ همزتا الوصل والقطع
١٨ ـ أفعل التفضيل
١٩ ـ التعجب
٢٠ ـ القلب
٢١ ـ الاعلال والابدال والادغام
٢٢ ـ الوقف
٢٣ ـ الصيغ الأصلية
٢٤ ـ الصيغ المحولة .

هذا واذا كانت المدونة هى لب هذا البحث فان هذين البحثين فى فنى النحو والصرف هما حقيقة هذه المدونة حيث قد غطيا جميع المسائل النحوية والصرفية فى ابواب مجموعها معا واحد وسبعون ومما هو جدير بالانتباه ان الباحث قام بتقسيمين مفيدين لهذه الابواب المذكورة انفا :

١ ـ تقسيم من حيث المنهج : فمن تقليدى الى مجدد ثم الى جديد .

٢ ـ تقسيم اخر من حيث المضمون والمحتوى للباب الواحد .

التقسيم الاول : قام الباحث بتقسيم الابواب الى « تقليدى » وقد عنى به ما هو متوارث من السابقين الى الخالفين ورمز له بالحرف (ت) فى اول الباب من امثال الموصول والاشارة والحال والاستثناء وما الى ذلك من الأبواب العديدة ثم الى « مجدّد » ورمز لها بالحرف (م) خالف فيه النحويين القدامى فيما ذهبوا اليه من جهة التبويب والتصنيف فكان مما اصطنعه قاصدا بذلك التيسير والتسهيل وعموم النفع :

اولا : ضم المبتدأ والخبر والمضارع المرفوع بالعامل المعنوى والاسم المرفوع بعد واو الاستئناف تحت باب الابتداء .

ثانيا : الفعل المبنى للمجهول واسم المفعول تحت باب ما لم يُسمّ فاعله .

ثالثا : القَسَم ونون التوكيد والتوكيد بالحرف تحت باب أساليب التأكيد .

رابعا : جعل الباحث الانتقال من ضمير الى ضمير والمعاقبة بين ضمير واخر والحكاية بمعنى المحكىّ . والحكاية باللفظ كلها تحت لواء واحد هو الحكاية بالمعنى العام .

خامسا : أفرد الطالب بابا للعامل وجعل له تأثيرات ثلاثة : تأثيرا فى اختلاف الاعراب . وتأثيرا فى توجيه الاعراب ثم أخيرا تأثيرا فى تعدد الاعراب :

سادسا : جعل الطالب اسم الفاعل والصفة المشبهة وصيغ المبالغة فى عُقد واحد أطلق عليه اسم الفاعل ولواحقه .

سابعا : جمع الاعلال والابدال والادغام فى باب واحد لتشابههما فى التغيير الحرفى والشكلى .

ثامنا : ألّف بين المثنى بالمعنى الاصطلاحى والتثنية بالمعنى العام وجعلهما بابا واحدا .

تاسعا : جعل النسب نوعين : نسبا يائيا ونسبا غير يائى . ثم أخيرا قسم هذه

مع رسالة جامعية

الأبواب ـ من غير التقليدى والمجدد ـ الى الجديد منها وقد رمز لها بالحرف (ج) وقد عنى الباحث بتلك الأبواب تلك التى اصطنعها هو ولم يسبق بها من أمثال التعميم والتخصيص . ودلالة التضعيف والحركة وعدم تأثر الصيغة بها . والتركيب والتحليل . والتشام الصورى فى الحروف . والصيغ الأصلية والصيغ المحولة .

هذا هو التقسيم الأول من حيث المنهج أما التقسيم الثانى من حيث المضمون للباب الواحد فقد قام الباحث بتقسيم بعض الأبواب ما يحتاج منها الى تفصيل الى فصول حتى تكون متناسبة ومتمشية فى جزئياتها وأجزائها . وليكون كل قرين مع قرينه بل وهناك من الفصول ما قام بتقسيمه الى فروع كما فعل بـ « أو » حيث قسم هذا الفصل من باب العطف الى سبعة فروع هى :

بين الواو وأو ـ كون « أو » ـ للمغايرة ـ « أو » التى بمعنى بل ـ « أو » التى بمعنى الا « أو » التفصيلية ـ « أو » التى لمعان عدة ـ وأخيرا الأصل فى « أو » التمييز وقد تأتى للتعقيب « هذان هما المبحثان الأول والثانى فى فنى النحو والصرف بتقسيمهما وتقاسيمهما اما المبحث الثالث فكان فى عقد الصلة بين النحو والقراءات وقد أولاه الباحث جل اهتمامه اذ هى « القراءات » فى رأيه خير معين على فهم النحو . وربط بين النحو والقراءات وجعلهما يسيران فى فلك واحد . وقد قسم هذا المبحث الثالث الى بابين . الباب الأول : فى « دور النحو فى فهم المعانى المختلفة فى ظل القراءات المؤتلفة » . وهذا الباب يؤكد ارتباط النحو بالمعنى ويعزز الاتجاه الجديد عند العلماء المحدثين فى ربط النحو بالمعنى .

اما الباب الثانى فيتحدث عن توقيفية القراءات وكونها أحكم وأمتع بل أعلى وأرفع من التقعيد والقواعد . ويرد على بعض المستشرقين من أمثال جولد تسيهر وتوبدكة وكازانوفا ممن يرون أن قراءات القران انما كانت عن هوى من القراء وارضاء لأذواقهم وأفهامهم .

اما المبحث الرابع ، فهو فى البداية والنهاية : بداية السور ونهاية الآى ويضم هذا المبحث بابين الباب الأول فى حروف الهجاء ودلالتها فى مستهل السور وكان الباب الثانى فى رءوس الآى وما فيها من اعجاز لفظى ومعنوى .

وبعد أن انتهى الباحث من المدوّنة بمباحثها الاربعة أتى الى القسم الثالث وهو الخاتمة التى تحتوى على النتائج والتوصيات . وكانت النتائج فى الفرائد التى تفرد بها الطبرى فى النحو واللغة . وفى الأبيات النادرة التى أتى لنا بها الطبرى ثم فى تعبيرات الطبرى وعباراته الخاصة التى تعتبر وكأنها لازمات له فى فن القول ثم أخيرا فى مصطلحات الطبرى النحوية مع الموازنة بينها وبين المصطلحات التى نستعملها اليوم فى دراساتنا .

أما التوصيات فكانت سبعا .

أولا : الاعتداد والاعتناء بقراءتى عبد الله مسعود وأبى بن كعب كما فعل الطبرى فى تفسيره .

ثانيا : شدة الحاجة وميسها فى

الاحتجاج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في النحو واللغة واعتبار أحاديثه شواهد نحوية .

ثالثا : التيسير والتسهيل في النحو ما أمكن بالوسائل التي ذكرها الباحث في البحث .

رابعا : وصل علم النحو بالقراءات اذ هما صنوان وفرسا رهان.

خامسا : الاهتمام بدراسة المصادر والجموع حيث انهما أهم ما يميز لغتنا الخالدة عن غيرها من اللغات وقد دلل على ذلك بمراجع من اللغة الانجليزية والفرنسية .

سادسا : العمل على وصل ما كتبه غير العرب في النحو بما كتبه العرب وذلك لما للنحو من سحر أخاذ وجاذبيه خاصه يستهويان العرب وغير العرب على السواء .

سابعا : ربط المعنى بالاعراب وجعل المعنى فرعا للاعراب لا العكس .

ثم بعد الانتهاء من الخاتمة كان تذييلها وفي التذييل كانت الشواهد من الاشعار والأرجاز

وأبوابها وقوافيها ثم كانت الشواهد من الحديث الشريف وكذلك الشواهد من الأمثال والحكم والمأثور من كلام العرب هذا غير الرسم الهندسي للكم النحوى وخريطة لاقليم طبرستان وبها مدينة امل مسقط راس الامام الطبرى ثم ذكر الباحث بعد ذلك المصادر والمراجع في تصنيف بديع ثم تلا ذلك بالفهرس وبترجمة موجزة للبحث باللغة الانجليزية .

وبعد : فهذا البحث الذى يقع في ٢٠٢٠ صفحة في أربعة مجلدات مشفوعا بمراجع انجليزية وفرنسية ومخطوطات خارجية وداخلية من خارج مصر وداخلها .

أقول هذا البحث يعتبر بحق نهجا جديدا في بناء هذا الصرح من النحو التطبيقي الذى ان الاوان وحان الحين لان نعطيه حقه من الاهتمام بعد أن أولينا كل اهتمامنا للنحو الوصفي في العصور الغابرة والحاضرة .

اسال الله ان يوفقنا الى خدمة لغة كتاب الله وان يهدينا جميعا الى سبل الرشاد والسداد ،انه نعم المولى ونعم النصير .

أ . د مصطفى أحمد خليل الشامي
كلية اللغة العربية
القاهرة

المدخل لدراسة الاعلام الاسلامى

وبعد ..

اذا كانت الدراسات الاعلامية، دراسات وليدة .. حديثه، اذا قورنت بغيرها من العلوم والدراسات الأخرى مثل القانون والاقتصاد وغيرهما من العلوم التى تحوى المكتبات آلاف الدراسات فى مجالها .. اذا كان الأمر كذلك فان دراسات الاعلام الاسلامى ـ على وجه الخصوص ـ ماتزال فى طور البداية، بل ما كتب فى هذا المجال الا القليل، والنذر اليسير، رغم قدم الاعلام الاسلامى وعمره الطويل على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان .. ورغم شدة حاجتنا الى مثل هذا النوع من البحوث والدراسات ونحن أمة اسلامية.

والكتاب ـ الذى بين أيدينا الآن ـ اضافة جديدة للمكتبة العربية والاسلامية، فى مجال الاعلام الاسلامى، وعلامة مضيئة يهتدى بها السائر فى هذا الميدان. فقد تناول قضايا خطيرة وعديدة فى مجالاتها، بل منها ما يزال قيد البحث، ومحل جدل وخلاف، وأخذ ورد! وقد كان المؤلف صريحا واضحا فى عرض مايراه، وكان يقدم لنا الرأى من أقرب طريق ..

والكتاب يقع فى ثلاثة أبواب، وخاتمة:

● فى الباب الاول، يتناول المؤلف موضوعات شتى فهو يعرض نبذة تاريخية عن الاعلام واستقراره كعلم ثم فن الاعلام وعلم الاعلام ـ وتطور فن الاعلام ـ وعلم الاعلام فى عرف الاسلام، النظريات الاعلامية، وفلسفة كل نظرية وصلتها بالمبادىء الصهيونية، ثم الاسلام ومذهبه فى الاعلام ..

● وفى الباب الثانى، يتناول العملية الاعلامية ـ أركانها ـ شروطها، ويتناول كل ركن من الناحية الاسلامية.

● وفى الباب الثالث، يتناول وظائف الاعلام على وجه العموم، وتقييم فنون الاعلام المختلفة ووظائف كل فن، وظائف الأخبار فى نظر الشرع الاسلامى ثم يتناول التحقيق الصحفى والحديث الصحفى، والمقال الاسلامى، مفهوم الثقافة الاسلامية، والأمثال فى القرآن، ثم القصص القرآنى ..

أما الباب الاول، فان المؤلف يستهله

للدكتور عمارة نجيب

أستاذ الدعوة والاتجاهات الفكرية بجامعة الأزهر

عرض وتعليق حسن على محمد العنيبسى

بمقارنة بين علم الاعلام ، وفن الاعلام ويرى أن الثانى مارسه الانسان بالفطرة ، وطوره حسب حاجته ، أما الأول فهو العلم ذو القواعد والأسس التى تعرف عليها الباحثون واصطلحوا عليها (١) .

ثم ينتقل بنا المؤلف الى الحديث عن تاريخ فن الاعلام فى ضوء الاسلام ، والشكل البدائى له ، ثم يتحدث عن تطور فن الاعلام ، الا أن المؤلف وهو يحدثنا عن تاريخ فن الاعلام فى ضوء الاسلام لم يقدم لنا شيئا يذكر فمن العنوان كنا نتوقع أن يتحدث عن الاعلام فى صدر الاسلام ثم فى الدولة الأموية والعباسية .. الخ العصور التاريخية الاسلامية ، ولو لمحات سريعة كما فعل فى موضوعات كثيرة فى هذا الباب .

ويرى المؤلف أن الاعلام لا ينفصل عن الدعوة والبلاغ فى نظام الاسلام ، ولن ينفصل عنهما الا فى حالة فصل الدين عن الدولة (٢) .

وينتقل بعد هذا الى الحديث عن نظريات الاعلام الغربية ، وقد عنى المؤلف بشرح كل نظرية على حدة ، وهى أربع نظريات اعلامية ، نظرية السلطة ، نظرية الحرية ، نظرية المسئولية الاجتماعية ، النظرية السوفيتية .. غير أن المؤلف اعتمد فى عرضه لهذه النظريات على كتاب واحد بصفة أساسية وهو « الأسس العلمية لنظريات الاعلام » للدكتورة « جيهان رشتى » وكتاب اخر « الاتصال والدعاية الدولية » للدكتور أحمد بدر .

ولقد برع المؤلف تماما فى كشف الدور الصهيونى وراء هذه النظريات وفند الأصول الفلسفية لكل نظرية ، كما أنه كشف ـ فى صراحة تامة ـ ما تهدف اليه هذه النظريات ، وأوضح لنا الى أى مدى ثبتت عدم فاعلية هذه النظريات فى المجتمع الاسلامى ... وقام المؤلف بكشف الرابطة بين الأصول الفلسفية لهذه النظريات وبروتوكولات حكماء صهيون .. ويقدم الدليل تلو الدليل فى مهارة رائعة (٣) .

ثم انتقل المؤلف الى الحديث عن الاسلام ومذهبه فى الاعلام ، ويرى أن كلمة « نظرية » و « تنظير » لا تنطبق على الاسلام ، اذا عنيت وجهة النظر الانسانية ،

(١) راجع الكتاب ص ٩

(٢) الكتاب ، ص ٥

(٣) الكتاب ص ١٩

المدخل
لدراسة الإعلام الإسلامي

أو اذا قصد منها وجود فلسفة البشر لها، او اجتهادهم فذ سنعفا (١).

ولكن المؤلف يتدارك الموقف ويعود ليكون اكثر تحديدا حين يقول لنا: « ولكن اذا قصد بها - أى بالنظرية - مجرد التصنيف الذى هو الاجتهاد فى القياس والمقارنة والتسمية - مثلا - أمكن ذلك بتجوز .. !!

واذا ما عدنا الى الحديث عن الموضوع الذى طرحه المؤلف وهو الاسلام ومذهبه فى الاعلام نجد أن المؤلف على مدى أكثر من عشر صفحات من ص ٧٠ الى ص ٨٠ لم يقدم لنا شيئا يذكر عن وجهة نظر الاسلام فى الاعلام - وان كان المؤلف قد بث هذا فى ثنايا كل صفحات الكتاب - ولكنه لم يقدم لنا أسسا واضحة، أو محاولة للتقنين!

والملاحظ أن المؤلف رفض كل النظريات الاعلامية غربية أو شرقية. وكان من الطبيعى أن يقدم البديل .. وهو مذهب الاسلام فى الاعلام، غير أنه لم يقرر بالتحديد ما هو هذا المذهب الذى يريده؟ وكيف نطبقه؟ والى أى مدى؟

وينتقل المؤلف الى الحديث عن نتائج غياب الاسلام عن أبحاث الاعلام (٢) وهو موضوع خطير، له جانب سياسى، وجوانب كثيرة ثقافية .. وكان المؤلف على حق فى كل ما ذهب اليه فى هذا الجانب. ولكننا نقول: ان الاسلام لم يغب لحظة عن الساحة ولن يغيب .. انما الذى غاب وغفل نحن المسلمين!

ويعترض المؤلف بعد ذلك لموضوع آخر وهو موقف الاسلام من الدراسات والبحوث الاعلامية ويبنى هذا الموقف على جانبين:

الجانب الأول: جانب مادى فى تطور الوسائل والأجهزة وهو جانب يحث عليه الاسلام.

الجانب الثانى: ونقسمه الى جزئين:

(أ) جانب معنوى مفيد وهو ما يجب أن نبحث فيه.

(ب) جانب معنوى: غير مفيد وهو ما يجب ألا نبحث فيه مثل: الحديث عن كلب أهل الكهف، ومتى ولد آدم .. الخ.

ويرى المؤلف أن « الاسلام حض على العلم والبحث العلمى عموما، وكان رائدا فى الدعوة الى العلم » (٣) .. واستعاذ من العلم الذى لا ينفع!

ويفاجئنا المؤلف بعنوان عريض .. تحت عنوان: المرفوضات (٣) كتب يقول: « .. وكالظن بأن الوسائل المحرمة تخدم الدعوة الى الله، وكالقول بأن من حق المتلقى اشباع رغباته المشتاقة الى الغناء والموسيقى .. ».

ولكن لماذا يقصر المؤلف عمل أجهزة الاعلام على الدعوة فقط؟ أليس الاسلام حياة؟ وأنه اذا قامت الوسائل الاعلامية بالتبصير والتوجيه والارشاد - فى أى مجال - أليس هذا عمل نافع ومفيد؟ ثم ما هى الوسائل المحرمة؟ اننا نرى أنه لا توجد وسيلة محرمة! انما الذى يجعلها حراما هو « المضمون » الذى تقدمه وهل

---

(١) الكتاب ص ٧٠

(٢) الكتاب ص ٩٥

(٣) الكتاب ص ١١١

يتعارض مع مبادىء الاسلام أم لا ؟ وتبقى قضية أخرى وهى الى أى مدى نحقق رغبات المتلقى ؟ وكيف نوازن بين ما يريده المتلقى وما يحتاجه بالفعل ؟!

ويرفض المؤلف أن تكون الغرائز البشرية مدخلا اعلاميا، ضمن المداخل التى يتوسل بها القائم بالاتصال فى الوصول الى جماهيره .. فيقول :

« .. ونقول بعضهم ان الغرائز تعد مدخلا اعلاميا اسلاميا (١) » .

ونحن نقول : ان الثابت علميا - فى دراسات علم النفس - أن الانسان تحركه غرائز معينة مثل الجوع، العطش، الجنس، وغرائز أخرى مكتسبة مثل حب السلطة، حب المال .

نقول : ما العيب فى اللجوء الى هذه المداخل فى اطار اسلامى ؟

● ألم يقدم القرآن دليلا فى سورة « قريش » بقوله تعالى : «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ» والم يستهل سيدنا يوسف على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام حديثه مع صاحبيه فى السجن بقوله «لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ» ثم بدا يدعوهما الى الله سبحانه وتعالى قبل أن يجيبهما عن سؤالهما فى الرؤية !!

● الم يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى سفيان فخرا .. « ومن دخل دار أبى سفيان فهو امن » ..

ويرفض المؤلف القول بأن الرأى العام مادام قد خدع فصدق بشىء يستحيل تحويله الى الاتجاه المضاد .. الى غير ذلك من مسائل يرى الاسلام - وتصدقه الوقائع - أن البحث البشرى فيها لغو لاطائل من ورائه » ص ١٠٣ ..

وكنت أحب ألا يقول المؤلف هنا « يرى الاسلام » وانما كان الأجدر أن يقول « أرى » . ذلك لأن الأمر واضح من حيث أن الرأى العام - فعلا - لو خدع بشىء فانه يصعب تحويله الى الرأى المضاد واليك الامثلة :

● **قديما** : قضية ادعاء النبوة .. أليس فيها خدعة للرأى العام ؟ كم كلفت المسلمين من وقت وجهد حتى تم وضع الأمور فى نصابها ؟

● **وحديثا** : الدعاية الدولية الاسرائيلية والحمل الوديع بين الذئاب العرب .. كم دفعنا من ثمن باهظ لتوضيح الحق فى هذه الصورة ؟

ويتناول المؤلف فى الباب الثانى أركان العملية الاعلامية وشروطها . والحق فان المؤلف اجاد واحسن فى عرض هذه الاركان والشروط التى يجب ان تتوافر فى ضوء الاسلام لهذه الأركان ..

ويرى ان المشرع الوضعى قسم المتلقى - احد أركان العملية الاعلامية - الى قسمين :

١ - المتلقى الذى يشاركه وطنه أو هدفه أو عقيدته أو مذهبه .

٢ - المتلقى الذى قد يعاديه

---

(١) الكتاب ص ١٠١ وهو هنا يعارض ما جاء فى الكتاب الاعلام الاسلامى والعلاقات الانسانية الذى اصدرته الندوة العالمية للشباب الاسلامى فى ص ١٩٢ من الكتاب نفسه . وقد طالعت هذا الكتاب، ووجدت فيه نظرة واقعية .. وليس فيه مايشين .. وهل نستطيع نكران هذه الغرائز البشرية .. وهل ينكر ان للانسان الحاجات البيولوجية فيه ؟! كل مافى الأمر أن يكون ذلك فى طابع اسلامى .

المدخل لدراسة الإعلام الإسلامي

ولا يشاركه وطنه ولا هدفه أو عقيدته.

وهنا فإن القائم بالاتصال ـ وهو ركن في العملية الاتصالية ـ يصمم رسالته لبناء الأول، وهدم الثاني ـ ولو تم هذا يتحقق للقائم بالاتصال صحة الرسالة..

ويرى الأستاذ الدكتور المؤلف ان دليل صحة الرسالة ـ من وجهة نظر الاسلام ـ وهو بناء الانسان بناء كاملا متكاملا وهدمه وتحلله دليل فساد الرسالة وهى مقياس المشرع الوضعى ...!!

ويمكن القول أن المسألة هنا تقاس فيها الرسالة بمدى «التأثير» الذى تحدثه، ولاتوجد رسالة فاسدة وأخرى صحيحة في ميكانيكية العملية الاعلامية، وانما التأثير هو الذى يقول لنا أنها رسالة جيدة أو رديئة، وقد تكون هناك رسالة صحيحة وجيدة ولكنها لاتصل الى المتلقى أو لاتحدث ـ تأثيرا ـ رغم وصولها اليه وذلك يرجع الى خلل في العملية الاتصالية سواء في صياغة المضمون، أو في صفات القائم بالاتصال، أو ظروف الاتصال أو عدم مناسبة وسيلة الاتصال للمتلقى .. الخ..

وقد قدم المؤلف على مدى أربعين صفحة (١) عرضا شيقا لقضية المضمون الاعلامى فقد تعرض لعناصر الرسالة، وأسلوب تقديمها، وأسس اختيارها، وتعرض لقضية اللغة لدى الداعى، ومدى تأثير هذه الوسائل في ضوء الاسلام (٢).

والمؤلف لم يحالفه الصواب عندما رفض التليفزيون نهائيا تأسيسا على تحريم الصورة تحريما قاطعا أو قياسا عليها..

يقول: «أقول أن الأولى أن نترك البث المصور ـ أى التليفزيون ـ للكفار لأن الفرق بين أن يكون معلوم المصدر وهو بلاد الكفار، وبين أن يكون المصدر بلاد المسلمين كالفرق بين رؤية رجل كافر يشرب الخمر، وبين رؤيتك لرجل مسلم يستبيح الخمر ويشربه» (٣).

ولكننا نقول أن هذا في حد ذاته ليس علاجا .. ولامسكنا. ولماذا أدع سلاحا مؤثرا كالتليفزيون في يد غيرى .. عدوى .. لماذا ؟

ثم في عصر الاتصالات والأقمار الصناعية والقرية الدولية هل يمكن أن نلغى التليفزيون من حياتنا ؟!

ان المشكلة ليست في التليفزيون كوسيلة اتصال استطيع من خلالها الاتصال بجماهير غفيرة .. الأمى منها والمتعلم .. انما المشكلة في «المضمون» الذى نقدمه .. وبدلا من رفض هذه الوسيلة نفكر في كيفية الاستفادة منها ؟ فلنفكر في طريقة أمثل لاستغلال هذا الجهاز لصالح المسلمين ؟!

وينتقل بنا المؤلف بعد هذا الى الحديث عن موقف الاسلام من الموسيقى والغناء، والرقص، والتشخيص، والتمثيل المختلط، ويرفض استخدام هذه الوسائل لأنها وسائل اعلامية محرمة .. ورغم رفضه لها الا أنه عاد يقول «ان التمثيل (٤) يجوز بشروط

---

(١) من ص ١٦٤ الى ص ٢٠٠

(٢) الكتاب ص ٢٠٦

(٣) الكتاب ص ٢١١

(٤) ويعنى به التمثيل غير المختلط ونحن نتفق مع المؤلف فيما ذهب اليه.

منها :

١ ـ ألا يعلن الممثل عن اسمه .. ولكن لماذا ؟

٢ ـ ألا يأخذ أكثر مما يستحق من أموال المسلمين .

٣ ـ أن تكون فضائل الاسلام هى المقصودة بالنشر .

وعلى مدى صفحات الباب الثانى يفجر المؤلف قضايا خطيرة وجديرة بالبحث والمناقشة ولولا ماذهب فيه الى المبالغة بتحريمه . لقدم المؤلف صورة واضحة للاعلام الاسلامى

ثم نأتى الى الباب الثالث والأخير :

ويتحدث فيه عن وظائف الاعلام ويحددها فى ثلاث : وظيفة الاعلام ـ وظيفة الاخبار ـ وظيفة التثقيف ..

وقد اجاد المؤلف فى حديثه عن وظائف الاخبار فى نظر الشرع الاسلامى (١) فيرى انه يجب ان تعبر عن الواقع وعن مشكلات الناس ، وحذر من خطورة الكذب فى وصف الحادث وضرب مثالا بحديث الافك واضراره فى هذا الوقت ويرى ان الخبر يلعب دورا خطيرا فى حياة الشعوب ولهذا يجب ان يعتمد على عدة امور اساسية اهمها :

١ ـ التعبير عن الاهتمامات الراقية .

٢ ـ تحرى الصدق واتباع منهج الاسلام فى التأكد من صحة الخبر .

٣ ـ التدقيق فى صفات المخبر الصحفى فلا يكون كذابا ولافاسقا ولامختل العقل .

٤ ـ مراعاة النتائج والحرص على المفيد للناس ..

ثم يتعرض بعد ذلك للتعليق والتحقيق الصحفى والحديث الصحفى والمقال الاسلامى ومفهوم القصة فى القرآن والمراد منها ، ثم الامثال فى القرآن .. ودورها فى توصيل الحقائق الى المتلقى ثم يعرج الى الحديث عن الاسرائيليات ثم ينتهى الى الخاتمة .

وبعد : فقد قدمت خلاصة موجزة لموضوعات الكتاب التى ناقشها المؤلف والكتاب يحفل بالعديد من القضايا ، غنى بحواره العلمى المركز ، كما يحفل بالمواجهات الصريحة للاراء الغربية عن الاسلام ، وهو محاولة مخلصة بناءة فى ميدان جديد .. وحديث .. ميدان الاعلام الاسلامى ، وقد كان المؤلف حريصا حين قال فى عنوان الكتاب ان هذا « مدخلا لدراسة الاعلام الاسلامى » فمرحبا به ونحمد له هذا الجهد .. وشكر الله له ..

« حسن على محمد العنيبسى »

---

(١) الكتاب ص ٢٤٩ ، ص ٢٥٠

المسلمون في سيرلانكا

حوار مع مدير الجامعة النظامية الإسلامية

فكرة عن سيرلانكا

« جزيرة سيلان أو سرنديب أو زيلان » كما كانت تسمى قديما وأصبحت تعرف الآن بيننا بدولة « سيرلانكا » تقع على أقصى رأس شبه الجزيرة الهندية وهى كما يفيد المؤرخون كانت تحت حكم الهند ولاسيما في زمن الاستعمار الانجليزى ثم استقلت وأصبحت الان دولة تعرف بـ « سيرلانكا » ذات سيادة مستقلة عن الهند تحكمها الأكثرية البوذية اذ هم في الجزيرة منذ زمن « أشوكا » بالهند حتى الان

وسيرلانكا معروفة لدينا بتصديرها لنوع من الشاى يسمى (شاى سيلان) حيث أنه السلعة الوحيدة التى تقوم بتصديرها ولها شهرتها العالمية في تصديرها .

ويقى ان تعرف ان الاسلام قد دخلها منذ القرون الاولى . ويوجد بها اعلى جبال العالم حيث يصل ارتفاعه الى « سبعة الاف قدم » ويروى ان به اثر قدم سيدنا ادم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام حين سار عليه .

كما ان ابن بطوطة قد زارها في القرن الثامن الميلادى وهذا دليل على علاقتها بالمسلمين في الاقطار الاخرى ولكن رغم دخول الاسلام اليها منذ القرون الاولى الا ان نسبة المسلمين فيها لاتمثل سوى ١٠٪ من تعداد السكان العام الذى يصل الى ١٤ مليون نسمة والسبب في ذلك يرجع الى الاستعمار الذى كان يحاول جاهدا الايقاع بين البوذيين والمسلمين ثم محاولة اضعافهم ايضا ..

ولقلة المسلمين فيها كان علينا ان نطلع على مشاكلهم ؟ والمطلوب من الازهر الشريف ان يقدمه لهم ؟ ومعرفة مدى انتشار التعليم الاسلامى بينهم ، ثم دور الازهر هناك .... الخ

أجرى الحوار
عبدالعزيز أحمد جبيرة



دور الأزهر في سيرلانكا

وكان لنا هذا اللقاء السريع مع الأستاذ الدكتور محمد شكرى مدير الجامعة الناظمية الاسلامية بسيرلانكا والذى حضر الى القاهرة للمشاركة في الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر الشريف .

● سألناه ما الدور الذى يقوم به الأزهر في سيرلانكا ..؟

اجاب الدكتور محمد شكرى :

ـ باعتبارى مديرا للجامعة الناظمية الاسلامية بسيرلانكا احب ان اقول اننا على علاقة طيبة وقوية بالازهر الشريف حيث ان هناك اربعة طلاب من بلادنا يدرسون بالازهر بمنح دراسية كذلككان يوجد للازهر مبعوثان بالجامعة ، احدهما قد انتهى عقده في العام الماضى وحضر الى القاهرة والثانى سينتهى عقده هذا العام ايضا ١٩٨٣ وبذلك لايصبح لدينا اى عالم من الازهر الشريف في سيرلانكا كلها . ولتعلم ان هذين العالمين كانا يقومان بدور كبير ومهم جدا بالجامعة في تدريس القرآن الكريم والعلوم الاسلامية واللغة العربية وعلى هذا فان للازهر دور عظيم بالنسبة للمسلمين بسيرلانكا ..

علاقة طيبة بالحكومة رغم أنهم أقلية

● وسألت الدكتور شكرى عن الاسلام والمسلمين بسيرلانكا ؟ ومدى علاقتهم بالحكومة ؟ فأجاب :

المسلمون في سيرلانكا اقلية جدا حيث انهم لايمثلون اكثر من ١٠٪ من تعداد الدولة العام الذى يصل الى ١٤ مليون نسمة اكثرهم بوذيون يليهم الهندوس و ا البوذية وبرغم اننا اقلية الا انه لاتوجد لدينا مشاكل فان علاقتنا طيبة جدا بالحكومة والدليل على ذلك انه يوجد لنا ثلاثة وزراء في الحكومة القائمة هم : وزير الخارجية واسمه شاه عبد الحميد .. ثم وزير المواصلات ووزير الشئون الدينية ويقوم بهما محمد حنيفة محمد وهو عضو برابطة العالم الاسلامى ايضا . ثم المتحدث الرسمى في البرلمان السيرلانكى مسلم ايـــــضا .

وتقوم الحكومة بتعطيل المصالح والادارات والمدارس يوم الجمعة لمدة ساعة

المســــلمون في ســـيرلانكــا



كاملة ليتمكن المسلمون من أداء صلاة الجمعة ، وتخصص ساعة ونصف في الاذاعة للمسلمين يقومون من خلالها ببث الوعى الدينى والثقافة الاسلامية بين المسلمين وتزيد مدة البث الاذاعى هذه الى أربع وعشرين ساعة في المناسبات والأعياد الاسلامية ..

وفي شهر رمضان تزيد المدة أيضا عن ساعة ونصف الساعة . ولايفوتنى أن نذكر أن الصحافة والتليفزيون تهتم أيضا بشئون المسلمين وتغطى احتياجاتهم في كل بقاع الدولة حيث ينتشر المسلمون ولايوجد لهم تمركز في منطقة معينة ..

الكتاتيب موجودة بسيرلانكا

وتطرق بنا الحديث عن مشكلة التعليم بالنسبة لأبناء المسلمين ؟ ومدى انتشار التعليم بينهم ؟ ثم مدى انتشار اللغة العربية لغة القرآن الكريم ؟ فقال :

بالنسبة للتعليم ومدى انتشاره بين أبناء المسلمين فهو فعلا واسع الانتشار فانه يوجد لدينا نحو ستمائة كتاب في شتى أنحاء سيرلانكا نقوم فيها بتعليم الأبناء قراءة القرآن الكريم يصل عددهم الى ثلاثة آلاف طالب وان كان هناك بعض الكتاتيب لايقتصر دورها على قراءة القرآن الكريم فقط بل تقوم بالتحفيظ للطلاب أيضا ثم يوجد لدينا مايقرب من خمسين مدرسة ينتقل اليها الطلاب بعد مرحلة الكتاب وهى مقسمة الى مراحل ابتدائية واعدادية وثانوية ويوجد بها الآن أكثر من خمسمائة طالب وفي هذه المدارس تدرس اللغة العربية التى تعتبر المشكلة بالنسبة لنا حيث أن الطلاب يعرفون قراءة القرآن الكريم ولايفهمون معناه ..

الجامعة الاسلامية الوحيدة

ثم بعد ذلك توجد لدينا هذه الجامعة التى أتشرف برئاستها وقد أنشئت عام ١٩٧٢ والدراسة فيها تنقسم الى مرحلتين :

الأولى : تمهيدية يقبل فيها الطلاب بعد انتهاء المرحلة الثانوية فيتعلمون فيها اللغة العربية من نحو وصرف وأدب وبلاغة وغيرها من علوم العربية حتى يمكن تأهيلهم لغويا للمرحلة الثانية وهى الجامعية ، ومدة التمهيدية هذه ثلاث سنوات ..

* الثانية : المرحلة الجامعية ومدتها أربع سنوات ويدرس الطلبة فيها العلوم الاسلامية من فقه وشريعة وحديث وتفسير وسيرة نبوية وتاريخ اسلامى الى غير ذلك من العلوم الاسلامية والعربية والدراسة بالجامعة عامة أى لاتوجد هناك كليات متخصصة في دراسة فرع بعينه للشريعة أو للغة مثلا ولكن ثمة خطة للمستقبل أن تكون هناك هذه الكليات المتخصصة ونحن نقبل كل عام

ثلاثين طالبا على مستوى الجامعة كلها بمرحلتيها تؤهلهم بعد ذلك لنشر الوعى والثقافة الاسلامية بين سائر المسلمين بالمساجد والمدارس .. فلدينا مايقرب من ١٦٠٠ مسجد بسيرلانكا تحتاج الى من يقوم على شئونها وشئون الدعوة فيها ..

ترجمة للقرآن بلغة البوذية

ونظرا لضيق الوقت وارتباطه بحضور باقى جلسات المؤتمر الخاص بالاحتفال بالعيد الألفى للأزهر طرحت عليه هذا السؤال الأخير وهو ماذا ننتظر من الأزهر في المستقبل بالنسبة لدولتكم خاصة والعالم الاسلامى على وجه العموم ؟

الأزهر بالنسبة لنا هام ومهم جدا ونحن ننتظر منه باعتباره حصن الاسلام الحصين وقلعة العلم ومنارة الهداية . وبما له من المكانة العظيمة في حياة المسلمين ــ زيادة المنح الدراسية لابناء سيرلانكا اذ ان اربع منح دراسية لاتكفى لتعداد قارب على المليون مسلم كذلك كان يوجد لدينا مبعوثان من الازهر نفسه بالجامعة وهما المبعوثان الوحيدان من الازهر لسيرلانكا كلها وانتهى عقد احدهما في العام المنصرم ورجع الى القاهرة والثانى سينتهى عقده هذا العام ويعود الى القاهرة ايضا مثل زميله . ونرجو المسئولين بالازهر مراعاة المسلمين بسيرلانكا ونامل ان يرسلوا لنا بديلا عن هذين العالمين ليس اثنين فقط وانما عددا اكثر يسد الاحتياج الشديد لاننا ولعلها تواجه مشكلة هامة جدا في مجال الدعوة الاسلامية حيث لايوجد لدينا العلماء الاكفاء الذين يستطيعون ان يقوموا بهذا الدور الهام في حياة المسلمين ولابد ان تكون هناك نشرات تتحدث عن الاسلام وسماحته ومميزاته وذلك باللغة البوذية لنشرها بين البوذيين انفسهم لانهم يمثلون الاكثرية بالنسبة للتعداد العام وايضا هم لا يعرفون الاسلام ولا يفهمون عنه شيئا واظن انهم عندما يتفهمون الاسلام سيكون له انتشار بينهم ويبقى ان نقول اننا نريد المزيد من البعثات الدراسية حتى نتمكن من تعليم اللغة العربية . فيفهم المسلم مايعرف قراءته من القرآن الكريم .

وقبل ان اختم حديثى والكلام على لسان الدكتور شكرى نود ان توجد ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة البوذية ايضا للبوذيين انفسهم لان لهم لغة خاصة بهم تسمى « السنغالية » اما المسلمون والهندوس فلغتهم التاملية .

اما بالنسبة للعالم الاسلامى فاننا ننتظر من الازهر ان يقدم الحل لكل المشاكل التى تواجه العالم الاسلامى والتيارات الفكرية المعادية له والتصدى لكل حركة تريد النيل منه حتى تتسع دائرة انتشاره ويعم العالم كله والله اسأل التوفيق للمسئولين بالازهر والمسلمين في جميع انحاء العالم ..

الفتاوى

فى الأذان والصلاة

س : من السيد / على أحمد .

١ ـ في قريتنا كان يؤذن في رمضان الأذان الأول للامساك جهرا وعلانية ، ويكتفى بالأذان لصلاة الفجر ، داخل المسجد .. وعندما بدأنا في هذا العام نؤذن لصلاة الفجر علانية قالوا : هذا شرع جديد . فما الحكم ؟

٢ ـ يؤدون سجدتين بعد كل صلاة ويقولون هذا ورد عن الشيخ ، فاذا سئلوا عن السبب قالوا : للشكر . فما الحكم ؟

ج : اما عن الاول ، فنفيد انه في الحديث قوله : صلى الله عليه وسلم : « ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا اذان ابن أم مكتوم » .

فاذا رفع المؤذن صوته بالاذان الثانى للاعلام بالوقت ـ كما هو الاصل في مشروعية الاذان ـ فانه يكون قد أتى بالسنة ، ولاينبغى أن يعارض في ذلك ..

وعن الثانى بان سجدة الشكر تسن عند هجوم نعمة او اندفاع نقمة ، وهى سجدة واحدة فقط .

اما في النعم المستمرة فليست من المواضع التى يطلب فيها السجود .

وعلى ذلك فالاتيان بالسجود من غير موجب استدراك على الشرع وهو غير مقبول شرعا .

فى الميراث

س : من السيد / س . ع . عبد المقصود .

توفيت زوجتى وتركت منقولات قد اشتريناها معا مناصفة ولها زوج ، وبنت فقط فمن يرث ومانصيبه ؟

ج : نصف المنقولات ملك خالص للزوج ، اما النصف الباقى الخاص بالزوجة فيكون للزوج الثمن لوجود الفرع الوارث ، والباقى للبنت فرضا وردا لعدم من يعصبها .

إعداد عبد الحميد السيد شاهين

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالازهر

الميـــراث والوصية

س : من السيد / ر . م راشد

توفيت سنة ١٩٨٣ م عن ابن ، وأولاد بنت فمن يرث ومانصيبه ؟

ج : في تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لاولاد البنت المتوفاة قبل امها بمقدار ماكانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة في حدود الثلث - طبقا لقانون الوصية المعمول به من اول اغسطس سنة ١٩٤٦ - فتقسم التركة ثلاثة اجزاء ، جزء منها وصية واجبة لاولاد البنت المتوفاة يقسم بينهم للذكر ضعف الانثى ، والباقي وهو جزءان هو الميراث للابن الموجود تعصيبا ..

استثمار الأرض

س : من السيد / ع . نصر

ماحكم الدين في رجل يعطى أرضا لمن يغرسها شجرا على أن يكون له نصف الثمر أو ثلثه . وبعد عدة سنوات ترجع الأرض بشجرها لصاحبها حسب الاتفاق ..

ج : تسليم الارض لاخر ليغرس فيها نخلا على ان يكون الثمر والنخل بينهما مدة معلومة غير جائز .

اما تسليم الارض المغروسة شجرا فعلا لاخر ليستثمرها مدة معلومة على ان يكون الثمر بينهما فذلك جائز شرعا .

المذيـــاع فى المسجد

س : من السيد / ع . أ البكرى .

هل يجوز ايداع المذياع « الراديو » بالمسجد بغرض الأذان وقراءة القرآن يوم الجمعة ؟

ج : يجوز ايداع المذياع بالمسجد واستعماله للاذان عند تحقق اوقات الصلاة كما يجوز استعماله لنقل بعض الدروس الدينية وقراءة القرآن بحيث لايؤدي الى التشويش على المصلين بداخل المسجد .

والله تعالى أعلم ..

عبد الحميد السيد شاهين

أنباء وآراء

رؤيـــة
فى إجتماع اللجنة العليا لشئون الدعوة الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

مع اطلالة رمضان المبارك تم عقد أول اجتماع للجنة العليا لشئون الدعوة الاسلامية برئاسة فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر . ولقد ربطت الأقدار بين المسلمين وهذا الشهر بوشائج نبيلة تناسب نبل دعوتهم ورسالتهم فى هذا الكون .

فأول شعاع لضوء الدعوة الاسلامية هبط الى أرض الله ـ سبحانه ـ من السموات العلا كان فى رمضان وتمثل ـ بعد ـ فى تلاوة جبريل ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ على نبينا المصطفى صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

وفى سبيل الهداية والحق كان اول تحد والانتصار على قوى الجهل فى غزوة بدر الكبرى فى رمضان وتمضى حقب وترسخ راية الحق فى الارض . وتعتنق الاسلام شعوب شتى تستضىء بنوره كتاب الله الكريم . ولئن مر بالمسلمين ما يمر بكل كائن . فلقد شد من عزمهم ذكريات الجهاد . وزكى عزمهم هلال كريم فى العاشر من رمضان فقهروا الهزيمة . وهوروا جدار اليأس . ووقع الفداء الخالد : الله اكبر فكان اروع نصر سجل فى العصر الحديث . ولد رست لمعاهد العسكرية فى العالم لدراسته وانبهروا بعظمته .

وبمشيئة الله تبارك وتعالى ... اجتمعت اللجنة العليا للدعوة الاسلامية يوم الاحد ٩ من رمضان المعظم سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ١٩ من يونيه سنة ١٩٨٣ م فى تمام الساعة ١٢ ظهرا فى قاعة الاجتماعات بادارة الازهر الشريف .. وبرياسة فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر .. وحضور السادة الاعضاء :

(١) السيد الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى

نائب رئيس مجلس الوزراء للخدمات ووزير الدولة للتعليم والبحث العلمى

(٢) السيد الاستاذ صفوت الشريف

وزير الدولة للاعلام



اعداد :
الطاهر محمد الطاهر
أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
محمد زكى حسن

(٣) فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الدسوقى
وزير الدولة للاوقاف

(٤) فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى
الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين

(٥) فضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف حمزة
مفتى جمهورية مصر العربية

(٦) فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود
وكيل الأزهر الشريف

(٧) فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الأحد جمال الدين
رئيس المجلس الاعلى للشباب والرياضة

(٨) فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر

(٩) فضيلة الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم
أمين عام مجمع البحوث الاسلامية

(١٠) فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحكيم نعناع
رئيس الادارة المركزية لشئون المعاهد الازهرية

(١١) فضيلة الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

(١٢) فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الشكور
وكيل وزارة الاوقاف لشئون الدعوة

(١٣) فضيلة الأستاذ الدكتور المستشار جمال الدين محمود
أمين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

(١٤) فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الواحد
مدير عام المساجد بوزارة الاوقاف

(١٥) فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنصف محمود
مدير عام الوعظ والارشاد بالازهر



(١٦) **فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الودود شلبى**

الامين العام للجنة العليا للدعوة الاسلامية .

كلمة الافتتاح :

وبدات اللجنة عملها فافتتح فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر اللجنة بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد رحب باعضاء اللجنة فى اول اجتماع لها فى هذا الشهر المبارك متمنيا لها التوفيق فى المهمة التى وكلت اليها سواء بالداخل او بالخارج سائلا الله سبحانه وتعالى لهم التوفيق فى رسالتهم .

فقال فضيلته : عليكم ان تقوموا بهذه المهمة حسبة لله تعالى ونصرة لدينه ولعل الدولة وقد دعت هذه اللجنة بهذه الصفة الرسمية انما تبتغى ان يكون التوجيه للمسلمين نابعا من اصول الاسلام واصول الاسلام كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض) .

ان من واجب هذه اللجنة ان تدرس وتخطط وتوجه الدعاة وتنظم امور الدعوة فى مصر وخارج مصر - لاسيما فى البلاد التى فيها الاقليات الاسلامية التى تكاد تذوب فى مجتمعاتها ولعله من واجبنا ان نحفظ لهذه الاقليات دينها لتكون اساسا للكثرة الاسلامية فى هذه البلاد ان شاء الله . وليس الامر امر تخطيط وتنظيم فقط وانما يجب ان يكون الامر عملا مثمرا متعاونا بين كافة الجهات المنوط بها امر الدعوة وبين وسائل الاعلام ويجب ان يكون معلنا ليواجه كل انحراف عن الدين سواء داخل مصر او خارجها باعتبار ان مصر هى بلد الازهر الذى قام بهذه الرسالة منذ اكثر من الف عام . وقد احتفل المسلمون بعيده الالفى ودلت حفاوتهم على مدى تعلقهم بالازهر ومصر . ومن ثم كان على مصر ان تحتفظ بهذه الريادة - فالازهر وقد تعلقت به امال المسلمين فى شتى بقاع الارض يقوم بواجبه خير قيام حيث ينتشر الان ما يزيد عن خمسة الاف عالم يؤدون الرسالة ويبلغون الامانة ونرجو ان يكون لهذه اللجنة الأثر الفعال فى توجيه الدعوة فى الداخل والخارج .

ايها الاخوة ارحب بكم فى هذا الشهر المبارك - واسأل الله لكم التوفيق -

ثم تحدث فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الدولة للأوقاف فقال :

بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ان هذه اللجنة لها مهام جسيمة على الصعيد المحلى والعالمى

وان الموضوعات التى تبحثها هذه اللجنة هى مسطورة ومدونة فى قرار تشكيلها .

ولعل هذه المهام التى جاءت فى هذا القرار توضح الاعباء الملقاة على عاتقها . والامر متروك للسادة الاعضاء كل فى عمله يستطيع ان يقدم ما يمكن الاستفادة منه فى مجالات الدعوة على الصعيدين المحلى والخارجى . خدمة لجماهير المسلمين فى مصر وخارجها .

تعقيب فضيلة الامام الأكبر :

تفضل فضيلته فذكر انه فى هذا العام قد تم الاتفاق بين الازهر ووزارة الداخلية على ايفاد ثلاثين عالما من الازهر والاوقاف يرافقون حجاج بيت الله الحرام . لتعريفهم بمناسك الحج وطلب من السادة الاعضاء ان يعرضوا تصوراتهم واقتراحاتهم . لكى تبدأ اللجنة مهمتها .

ثم تحدث فضيلة الدكتور الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية فقال :

من اجل ان ننطلق يجب ان يعرض كل مسئول تقريرا عن العمل الموجود فيه حتى تكون اللجنة على بينة ومعرفة باسلوب العمل . فى جميع الاجهزة المعنية بالدعوة .

ثم تحدث السيد الدكتور مصطفى كمال حلمى فقال :

تفضل السيد وزير الاوقاف وشرح لنا خطط وسياسات هذه اللجنة . والحمد لله نحن لا نبدأ من فراغ فالدعوة موجودة من قديم الزمان . منذ ان دخل نور الاسلام هذه الارض فالازهر الشريف الراسخ الشامخ الباقى باذن الله يقوم بعمله خير قيام . تعاونه فى رسالته وزارة الاوقاف . ومجمع البحوث الاسلامية . وجامعة الازهر . والمعاهد الدينية . والطرق الصوفية . والمجلس الاعلى للشئون الاسلامية . وكافة الاجهزة المعنية بالدعوة ويجب ان تجمع الاجتهادات والاقتراحات . التى ترد من السادة الاعضاء وتتلقاها الامانة العامة للجنة وتقوم بمهمة التنسيق والتخطيط بين الاجهزة المختلفة للدعوة .

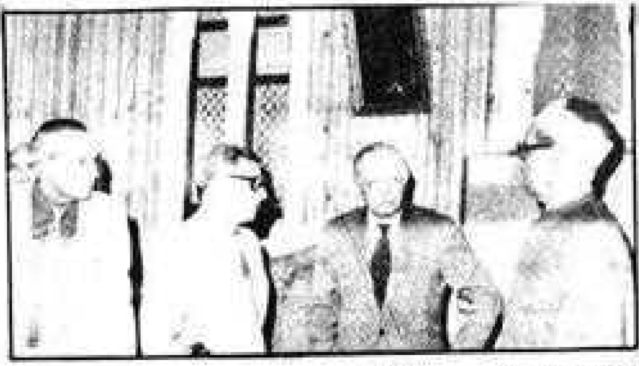
ثم تحدث بعد ذلك السيد صفوت الشريف وزير الدولة للاعلام :

فذكر سيادته ان اجهزة الاعلام سعيدة بهذه اللجنة كى تسهم معنا فى التخطيط وابداء الراى .. فما احوجنا الى مثل هذه اللجنة . التى تجمع قمم الفكر . وقمم الاعلام والدين والفتوى .. وارجو ان يكون لها فضل كبير فى خدمة المجتمع ان شاء الله . وطلب ان تعمل اللجنة بعيدا عن الروتين حتى تؤدى دورها بدون معوقات .

واقترح ان توضع خطط وسياسات اللجنة فى يسر وبدون الدخول فى دهاليز الروتين فمن عمل اللجنة مشاركة اجهزة الاعلام وتوجيهها بل من حقها ان تطلب منها التركيز على قيم معينة ولو لمدة عام .. ثم ذكر سيادته انه يوجد لدى الاعلام ما يزيد على الخمسين مركزا فى الداخل مجهزة ومعدة تستطيع ان تؤدى دورها ..

اما فى الخارج فلدينا ما يزيد على الاربعين مركزا ايضا ولدينا افراد متخصصون يستطيعون ان يؤدوا دورا كبيرا فى الاتصال بالجاليات الاسلامية وقد تنقصهم امكانات . وعلى اللجنة ان توفر هذه الامكانات فضلا عن وجود استوديو معد ومجهز نستطيع عن طريقه التسجيل بعيدا

أنبـاء وآراء



عن الحجز فى الاذاعة والتليفزيون وترسل التسجيلات الى الخارج ..

أقول مرة أخرى ان الاعلام سعيد كل السعادة بتشكيل هذه اللجنة وتتمنى ان يكون لها دور كبير فى خدمة الدعوة ان شاء الله .

فضيلة الشيخ / أحمد حسن الباقورى :

ثم تحدث فضيلة الشيخ الباقورى فقال « كلمتان لا ازيد عليهما لان كثير الكلام ينسى بعضه » وذكر ان الازهر الشريف مستقى الدعوة لانه يقوم على دعامتين :

أولاهما :

انتسابه الى مصر لان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اوصى باهل مصر خيرا كما ورد فى الحديث « اذا فتح الله عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لنا نسبا وصهرا » ..

ثانيتهما :

انه حجة الاسلام بحق . ذلك ان فيه علماءه . وفيهم الحنفى . والمالكى . والشافعى . والحنبلى . والسلفى . والصوفى . وقد جمع له الله فى هذا خيرا كثيرا ..

الامر الثانى يدور حول الحديث الصحيح « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما » ..

فالافكار تختلف كثيرا .. فهل من سبيل الى التقريب بين وجهات النظر هذه ؟

وختم فضيلته حديثه متمنيا للجنة ان تسير على هدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التيسير على المسلمين فى امور دينهم ودنياهم .

الشيخ / ابراهيم الدسوقى :

ثم تحدث فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى فاشار الى ان وزارة الاوقاف فى مجال تحقيق الدعوة الاسلامية انتهت من تشكيل مجلس ادارة فى كل مسجد حكومى تابع لها يضم افضل العناصر من سكان الحى الواقع به المسجد وتكون مهمته نقل مشاكل المواطن . والبيئة الى المسجد . ليقدم الدعاة والائمة تقريرا الى اللجنة العليا للدعوة بالمحافظة ثم يقدموا الحلول عن طريق الكلمة ..

ثم تحدث عن عملية التنسيق بين الاجهزة المعنية بالدعوة الاسلامية فاشار الى وجوب توحيد الراى وحل مشاكل المسلمين . خاصة ما يمس مشاكلهم فى العصر الحديث كشهادات الاستثمار والتامين .. الخ .. لان هناك مؤسسات ينتظر المسلمون منها حلا لهذه المشاكل حتى لا نرمى بالتخلف والجمود .

واذا كان من عمل هذه اللجنة حل مشاكل

المسلمين فهل يتعارض فى عملها مع مجمع البحوث الاسلامية او المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ؟ ام سيقتصر عملها على تقديم المقترحات والتوصيات ثم ذكر ان الوزارة تقوم بارسال القراء فى جميع انحاء العالم ، وخاصة فى شهر رمضان المعظم ..

فيوجد الان ١٧٠ قارئا خارج الجمهورية وحوالى ٧٠ واعظا يقومون بهذا الهدف الجليل ايمانا من الوزارة بوجوب القيام برسالتها فى خدمة الاسلام .. اما فى الداخل فذكر ان هناك حوالى ٣٥٠ قارئا من مشاهير القراء منتشرون فى ربوع البلاد خاصة فى المناطق النائية من سيناء الشمالية والجنوبية والوادى الجديد والبحر الاحمر .

ثم تحدث فضيلة الدكتور / الحسينى هاشم مرة أخرى :

فذكر ان مجمع البحوث الاسلامية قام ولايزال يقوم بواجبه نحو المسلمين فيما يعن لهم من مشاكل فى أمور دينهم ودنياهم .

ولكن هناك خلافا فى الراى فعلماء المجمع قالوا رأيهم فيما عرض عليهم من امور فلجنة الفقه برئاسة فضيلة الامام الاكبر قامت ببحث العديد من المسائل ولكن الاراء مختلفة فهناك النصيون المتمسكون برأيهم ، وهناك المجتهدون الذين يميلون لاستخراج الراى وكل فريق متمسك برايه ولعل فى هذا خيرا كثيرا وللباحث ان ياخذ بالراى الذى يرتضيه .

ثم تحدث فضيلة الدكتور / محمد السعدى فرهود .. فقال :

لا اعتقد انى سوف اقول جديدا فالاراء التى قيلت والاقتراحات التى قدمت ذات روح فى كل الاجهزة لذلك فان اللجنة الموقرة محتاجة الى معرفة راى كل جهة فيما يخصها ، وكل جهة تؤدى ما عليها من واجب فالازهر بمعاهده ، ووعاظه وجميع هيئاته يؤدى ما عليه من واجب ، ووزارة التربيه والتعليم تؤدى كذلك ما عليها من واجب فكل جهة تقوم برسالتها على خير وجه .

ولكن اريد ان اركز على أن اللجنة لن تفعل شيئا اذا لم يكن امامها حصيلة من التقارير والملاحظات والاراء ولابد من دعمها دعما فنيا بالافراد المتخصصين وكذلك لابد من الدعم المادى فالازهر لا يستطيع ان يمدها بالاعتمادات المالية فالاقليات المسلمة محتاجة الى مال والى دعاة ولابد فى الداعية ان يهيا تهيئة خاصة وهذا من صميم عمل اللجنة .

وفى ختام الكلمة تمنى للجنة التوفيق فى اداء رسالتها فى خدمة الاسلام والمسلمين .

ثم تحدث الدكتور / جمال الدين محمود

فذكر ان الكلمة التى تحدث بها الدكتور مصطفى كمال حلمى يجب الاخذ بها واشار الى ان هذه اللجنة لجنة تنفيذية بالمادة د ، ٦ تنص على ذلك فعلى كل عضو من السادة الاعضاء ان يقدم للجنة تصوره فى مجال عمله ، ومن الافضل ان يطبع ذلك ويوزع على جميع الاعضاء لمعرفة العقبات ووضع الحلول المناسبة لها .

ثم تحدث الدكتور التفتازانى :

فاشار الى انه من مهام هذه اللجنة التنسيق والتخطيط بين الأجهزة المعنية بالدعوة بقيادة الأزهر الشريف حتى تقوم

أنباء وآراء

بالمهمة الكبيرة المنوطة بها خدمة منها للاسلام وللمسلمين فى داخل البلاد وخارجها .

ثم تحدث فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الله عبد الشكور :

فاشار الى انه يلزم وجود شخصية مسئولة عن الجمعيات الاسلامية .. وتساءل .. هل تم تعيين خمس من الشخصيات الاسلامية المهتمة بامور الدعوة حتى يستطيعوا حضور اجتماعات اللجنة ؟

اما فيما يختص بهذه اللجنة فلابد من دعمها فى الداخل والخارج حتى يمكن ان تنهض برسالتها وكذلك لابد من وجود ادوات مختلفة داخل اللجنة ومعرفة نشاط كل دارة واختصاصها .

ثم تحدث الأستاذ الدكتور عبد الاحد جمال الدين ..

فذكر ان اهم شىء هو التخطيط والتنسيق بين الاجهزة المعنية بالدعوة بالازهر الشريف برجاله ووزارة الاوقاف ورجالها يؤدون رسالتهم على اكمل وجه . وشباب مصر وهم رجال المستقبل على أتم الاستعداد للقيام بمجهود كبير فى سبيل نشر الدعوة والمجلس الاعلى للشباب والرياضة بجميع هيئاته واجهزته وخبرائه على استعداد تام لمعاونة اللجنة فى تادية مهامها على أكمل وجه .

ثم تحدث الدكتور / مصطفى كمال حلمى مرة ثانية معقبا على كلمة فضيلة الشيخ / أحمد حسن الباقورى :

بان الأزهر ينتسب الى مصر فقال : هل يسمح لى فضيلة الامام الاكبر ان اقول ان الازهر هو ازهر المسلمين جميعا ، فمصر تنتسب الى الازهر وجميع المسلمين كذلك ينتسبون الى الازهر .

وقد شكره فضيلة الامام الاكبر على ذلك .

وبعد البحث والمناقشة اوصت اللجنة بان يتقدم كل عضو من الاعضاء بمقترحاته وتصوراته على ان يوافى بها الامانة العامة للجنة تمهيدا لاعدادها وعرضها فى جلسة مقبلة على السادة الاعضاء لبحثها واتخاذ ما يلزم .

الدراسات الاسلامية فى الأندلس

ينظم المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد فى اوائل العام القادم مؤتمرا عن الحضارة الاندلسية وانتقال العلوم العربية الى الغرب عبر الاندلس ويشترك فى المؤتمر جامعات القاهرة ومدن غرناطة واشبيليه وقرطبة .. ويتم الان الاتصال بالكثير من المؤسسات العلمية والثقافية العربية ، والشخصيات المهتمة بالدراسات الاسلامية وذلك للمشاركة فى المؤتمر ..

المسلمون فى فرنسا

نظم المسلمون فى فرنسا مؤتمرا لدراسة أوضاعهم داخل المجتمع الفرنسى .. واعلن المؤتمرون عزمهم على تشكيل حزب اسلامى فى فرنسا ..

ترجمة تفسير الطبرى الى الفرنسية

اصدرت دار النشر الفرنسية « ليزوكلير بيتزا » مؤخرا الجزء الاول من الاجزاء الخمسة للطبعة الاولى باللغة الفرنسية لتفسير القرآن الكريم لابى جعفر الطبرى الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى .

ويشكل نشر هذا العمل حدثا فريدا فى مجال ما ينشره المستشرقون من مؤلفات وهذه هى المرة الاولى التى يترجم فيها تفسير الطبرى الى لغة اخرى غير العربية . ويعد تفسير الطبرى احد المراجع الاساسية التى لا غنى عنها للمفسرين ..

مركز اسلامى بولاية أنديانا

تم افتتاح المرحلة الاولى من المركز الاسلامى بمدينة بليتفد بولاية انديانا بالولايات المتحدة الامريكية يتكون من مسجد يتسع لحوالى الفى مصل .. وروعى فيه ان يكون للنساء مكان متميز ، بمدخل خاص به ايضا صالتان للاطفال ومكتبة . ويشرف على المركز الاتحاد الاسلامى لامريكا الشمالية . وقد تبرع بكامل نفقات انشاء المركز صاحب السمو امير دولة قطر .

مجمع اسلامى فى قبرص التركية

بدات جمعية الصداقة القبرصية التركية المصرية اول مشروعاتها التنفيذية فى بناء « مجمع الرحمن » بالقرب من ميناء « فاما غوستا » الرئيسى فى قبرص التركية بعد ان خصصت الحكومة القبرصية التركية للجمعية قطعة ارض تبلغ مساحتها اربعة الاف متر مربع وتبلغ تكاليف هذا المجمع خمسة وعشرون مليون دولار .

انشاء محاكم شرعية بباكستان

صدرت فى باكستان توجيهات بانشاء محاكم شرعية على مستوى المديريات فى الولايات الباكستانية الاربع على ان يتم تعيين قاضيين على الاقل لكل محكمة من هذه المحاكم ..

○ كتب كل من السيدين :

مصطفى محمد مطاوع ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر ـ المنصورة وعبد الفتاح محمد خضر ـ كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر ـ المنصورة ..

مقترحين : بان تقوم مجلة الازهر بنشر نتائج جامعة الازهر اسوة باخواننا طلاب التربية والتعليم ..

● نرجو ان يلاحظ الكاتبان الفاضلان ان مجلة الازهر مجلة بحوث علمية ، ثم هى شهرية ، لا تتسع صفحاتها لنشر ذلك .. وشكرا ..

○ ـ **كتب السيد / جمال عبد المعبود على عجور ـ الدقهلية ـ أويش الحجر**

مقترحا : ان تخصص المجلة صفحة لمسابقة دينية ثقافية ، بحيث تكون جوائز هذه المسابقة عبارة عن مصاحف او كتب دينية ـ او هدايا مالية .

● المجلة : لا يسعها الا ان تشكر لك هذا الاهتمام . ونسال الله ان يوفقنا ويوفقكم الى ما فيه الخير للاسلام والمسلمين ..

○ **كتب السيد / محمد الحبيب ـ نيجيريا .**

طالبا بعض الكتب الدينية من تفاسير وحديث .

● المجلة .. تستطيع سيادتكم الاتصال بفضيلة الدكتور امين عام مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ليمدكم بما تريدون والعنوان : القاهرة ـ الازهر ـ فضيلة الدكتور امين عام مجمع البحوث الاسلامية .

فهرس العدد

ذى القعدة ١٤٠٢ هـ — أغسطس ١٩٨٢ م

طبع بمطابع روزاليوسف

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

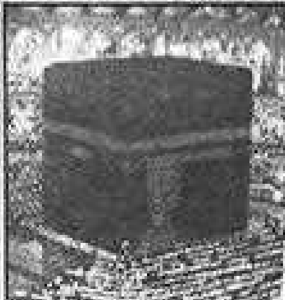
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

الكعبة المشرفة



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب مظلة مصر ووقايتها

للدكتور علي الخطيب

من بعد القرون الاسلامية الأولى أوى الكتاب العزيز الى مصر ـ وحدها ـ من بين بلاد العالم ـ هبة المولى ـ عز وجل ـ لهذا البلد ، وأمانته التى ناطها بمصر ، وأدت مصر الأمانة :

فحفظ أبناؤها كلمات الله ،
ورتلوها أجود ترتيل مسند الى رب العزة
ودرسوا علوم القرآن ورسمه وقراءاته
وأنشأوا المعاهد المختصة بعلومه
وكتبوا المصاحف بأجمل الخطوط وأروعها
ونشروا كلمة الله فى العالم أجمع
ولن تستطيع أمة فى الأرض ، ولو مكابرة وعناداً ،
أن تدعى أنها تقدمت مصر فى هذا الميدان .

هـــذا الكتاب ...

مصر - وحدها فقط - البلد الذى فتح قلبه لأبناء العالم ، وبسط لهم ذراعيه ليعلمهم قراءة القرآن ، وحفظه وتلاوته وتجويده .

ومصر هى البلد الذى دفع بمشاهير قرائه الى أطناب الأرض فأسمعوا المسلمين وَحْىَ الله غضًّا بكل جماله وروعته .

والى مصر تدافعت « الاذاعات » العالمية لتتخطف « تسجيلات » قرائها ، فما حمل الأثير آية من كتاب الله العزيز تليت حق تلاوتها ، وطاف بها الأرض الا من أفواه مصرية .

وليس ينشأ - فى يومنا هذا - حافظ يتلو كتاب الله خير تلاوة الا كان أستاذه مصريا .

ولقد تجد من يحاجج فى أوليات الأمور .. حتى اذا تشعب القول الى كتاب الله لم تختلف الأقوال ، بل تهجع الأهواء لِتُقِرّ لمصر بفضل السبق ، وجميل الرعاية ، وأداء الأمانة لهذا الكتاب العزيز .

هذا القرآن العظيم نعمة الله على مصر ، ويمينه التى حفظت أرضها ، والمظلة التى حمت سماءها

وعزيز على مصر ، هبة القرآن ، وعزيز على أوليائها ، وعزيز على شعبها أن ينأى عنه القرآن ، لهذا أَلِفَ القرآنُ مصرَ وألفه أهلوها ، وتسابقوا اليه حتى كبار السن ذوى الأعمال المختلفة ، والتخصصات المتنوعة ، وافتنوا - فى العمل - لحفظه :

ففى مذكرة مرفوعة لفضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، كتب المدير العام لشئون القرآن الكريم (١) :

• على ضوء الواقع بالفعل فى أنحاء جمهورية مصر العربية يتضح مدى اهتمام الحكومة والهيئات والمؤسسات بتحفيظ القرآن الكريم ، وتوزيع المكافآت والمنح على المتفوقين فى امتحان مسابقات حفظه ، واذكر بعضها على سبيل المثال :

(أ) تعقد بعض الشركات والمصانع والمصارف مسابقات فى حفظ القرآن الكريم بين العاملين فيها ، وتمنح المتفوقين جوائز تتفاوت بحسب القدر المحفوظ للمتسابق ، ومن هذه المكافآت :

السفر الى بيت الله الحرام لأداء العمرة أو الحج كما هو الحال فى بنك الاسكندرية ، وتوزع بعض الشركات والمصانع فى شبرا الخيمة المصاحف والتفسير للحافظ لشىء من القرآن الكريم .

(ب) تقوم وزارة التربية والتعليم باجراء امتحان مسابقة بين طلابها سنويا في حفظ القرآن الكريم بوساطة المناطق أولا ، ثم تجرى امتحان التصفية الثانية في القاهرة وتمنح المتفوقين جوائز مالية ومكافآت أدبية في صورة شهادة تقدير كذلك تقوم وزارة الأوقاف باجراء مسابقة خاصة بين طلاب المعاهد القرآنية وحلقات التحفيظ بالمساجد الى جانب

---

(١) بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٨٩م

مسابقة عامة على مستوى الجمهورية تشمل صغار السن وطلاب المدارس الاعدادية والثانوية والجامعات وماقي مستوى كل .

ووزارة الشئون الاجتماعية تجرى كل عام مسابقات بين طلاب جمعيات تحفيظ القرآن الكريم ..

(جـ) ومن المعلوم أن وزارة الدفاع تجرى مسابقات في حفظ القرآن الكريم كله لمعاملة المجند الحافظ معاملة الحاصل على مؤهل عال في مدة الخدمة الاجبارية بالقوات المسلحة بالاضافة الى ايفادها بعض المتفوقين لاداء العمرة .

(د) تسهم ادارة المخابرات العامة في هذا الميدان باجراء امتحان مسابقة قرآنية ودينية وثقافية تحريريا .

(هـ) يجرى الاتحاد العام للعمال على مستوى الجمهورية مسابقات في حفظ القرآن الكريم كله أو بعضه بالاضافة الى امتحان مسابقة في المواد الشرعية ـ الفقه والحديث ـ ويمنح جوائز مغرية للفائزين منها السفر الى بيت الله الحرام لأداء العمرة .

(و) يقوم المجلس الأعلى للشباب والرياضة باجراء مسابقات دينية منها مسابقة حفظ القرآن الكريم كذلك وتقوم هيئة السكك الحديدية المصرية باجراء مسابقة قرآنية بين رجال الشرطة فيها .

(ز) يسهم العاملون بالادارة العامة لشئون القرآن بجهد في امتحان كثير من المسابقات التى تجرى بين المتسابقين في هذه المواقع .

(ح) يوجد في الوطن هيئات وجمعيات اسلامية كثيرة تقوم بتحفيظ كتاب الله ـ تعالى لايتسع المقام لذكرها والتعرض لها هذا بالاضافة الى ماتقوم به الادارة العامة للمعاهد الأزهرية من تبنى المكاتب الأهلية واعانتها والاشراف عليها كما تعنى باستمرار حفظ الطلاب للقرآن الكريم في جميع المراحل التعليمية المختلفة .

وتعقد مسابقات لهم عن طريق رعاية الشباب بالأزهر وتوزع الجوائز على الفائزين ».

هذا شأن كتاب الله وشأن الترحاب به والحماس له في ميادين الكبار ـ جزاهم الله خير الجزاء .

وقد يختلف الأمر في حفظ « النشء » له . وتبدو آثار تخلف في ميدانهم .. دفعت المسئولين الى الدراسة والفحص والعلاج . ولهذا يقدم هذا العدد من مجلة الأزهر دراسة شاملة مستوعبة لهذا الموضوع قد تجد فيها سلبيات كثيرة في ميدان تحفيظ الناشئة للكتاب العزيز . وقد يسوءك بعضها كثيرا أو يستخطك ولكن العبرة أن تتابع الدراسة فتجد :

أ ـ أننى . وأنت . وغيرنا من المواطنين . قد وضعنا بأيدينا بذور المشاكل . وتركناها تنمو بوسائلنا حتى صلبت جذورها بالأرض وأثمرت هذا العقم في حفظ الناشئة للكتاب العزيز .

ب ـ وأن رحمة الله ـ وحدها ـ أتت في وقت مناسب . وانتشرت في أكثر من هيئة ـ في

هذا الكتاب مظلة مصر ووقايتها ...

الأزهر ـ وغير الأزهر ـ فتبصر المسئولون بها أسباب القصور ، واستقصوها ، وحصروها ، روافد ونتائج .

جـ ـ وأن ممارسة للعلاج بدأت فعلا .

د ـ وأن في ميزانية هذا العام استجابة قد تضيف شيئا من الحلول تأخذ سبيلها الى العمل فتخفف من حدة الأزمة شيئا ما .

هـ ـ وأن وزارة الأوقاف قد أنشأت فعلا « المعاهد القرآنية » لتحفيظ الناشئة وأن بعض مجالس الادارة بالمساجد قد عمدت الى تحفيظ الناشئة ببعض الأحياء ـ شيئا من كتاب الله ـ عز وجل .

و ـ وأن بعض أعضاء مجلس الشعب يتقدمهم ، الدكتور معتز المرزوقى ، والأستاذ محمود نافع قد اهتموا بالأمر وأعدوا له عدة ؛

فدرس الأستاذ نافع موضوع :

« تحفيظ القرآن الكريم وتجويده وتفهم معانيه » .

وأعد مشروع قانون له .

ودرس الدكتور معتز المرزوقى موضوع « محفظى القرآن الكريم » .

وأعد مشروع قانون له .

وهذا تحقيق يضع بين يديك ؛

أسباب القصور التى شاء الله أن يبسطها أمام المسئولين والخُطَا التى عولجت أو في سبيلها الى العلاج .

وجهد المتقدمين في هذه المسألة وأعمالهم في مختلف مراكزهم ممن تناولتهم المشكلة أو كانوا طرفا فيها .

ولقد تمر بك أفكار متسقة تلتقى في رافد طبيعى ، أو أكثر وأفكار أخرى قد تتناقض ، ومن السهل معرفة المتناقض منها والحكم له أو عليه ، وقد رأت مجلة الأزهر أن تترك للمسئولين كلمتهم تعبر عن خالص فكرهم دون أن تعرج بهذا الفكر معراجا واحدا ، أو تتدخل فيه ، اذ في تلقى هذا الفكر ـ على ماهو عليه ـ اثارة لها استجاباتها في نفوس المؤمنين ، ودوافعها في اللقاء على ماهو خير وفضل للكتاب العزيز .

هذا الكتاب الذى رفع من شأن العرب ، وسلكهم في الذروة من البشر ،

« وانه لَذِكْرٌ لك ولقومك »

وعلى مستوى هذه الرفعة كانت المسئولية ؛

« وسوف تُسْأَلُون »

وليظل القرآن الكريم بأرض الكنانة نورًا على نور يهدى العالِمَ والعالَمَ سواء السبيل ..

د . على الخطيب

مقدمة لا بد منها..!

للأستاذ أحمد سعود
مدير الامتحانات بالأزهر

حين طلب منى أخى الفاضل الدكتور على الخطيب أن أسهم برأيى المتواضع فى مشكلة (تحفيظ القرآن الكريم) والقصور الذى صار اليه. وتناقص عدد الحافظين لكتاب الله من الناشئة والمحفظين له. رأيت أنه من الأنفع قبل أن نخوض فى التفصيلات أن أسهم برأيى عن طريق هذه المقدمة وهى ـ وان لم تكن تتعرض للموضوع نفسه ـ الا أنها قطعا المدخل الصحيح اليه.

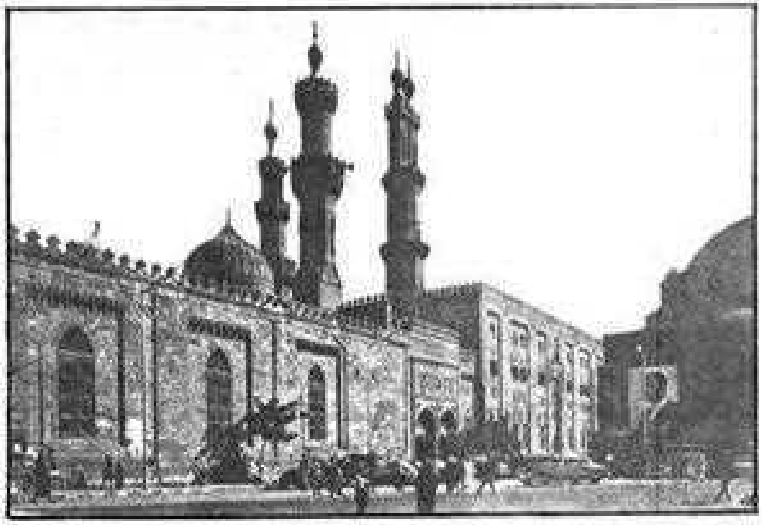
والحديث الذى أريد أن أتعرض له انما يستعرض، بايجاز، هذا التقدم العلمى الرائع الذى حققته الدولة الاسلامية فى عصر العباسيين والنبوغ الفكرى فى مجالات العلوم والفنون مما ساعد على اتساع تلك الدولة الاسلامية العظيمة فامتدت آفاقها الى مشارق الأرض ومغاربها حتى اذا جاء التتار واكتسحوا بجيوشهم الدولة الاسلامية واحتلوا بغداد وحرقوا المكتبات وما فيها من مؤلفات كانت أسس التراث العلمى للعالم أجمع، وشردوا العلماء، فتوافدوا على مصر واستقبلتهم مصر خير استقبال ووجدوا فيها الأمن والأمان. فأقبلوا عليها وغرسوا من علومهم وأفكارهم فى رحاب مساجدها ومدارسها وزهت القاهرة بما كانت تزهو به بغداد من قبل وكان لرجال الدين المكانة المرموقة والكلمة المسموعة والرأى والمشورة لدى كل طوائف الشعب واستطاع هؤلاء العلماء أن يقودوا شعب مصر العظيم الى المسيرة القيمة والهدف النبيل حتى كانت الحملة الفرنسية على مصر وتلفت الناس الى المنقذ ولم يكن غير هؤلاء العلماء ليقودوا مسيرته ويرفعوا رايته فقادوهم ليحطموا بهم الأغلال وليزيحوا هذا الكابوس البغيض، فاستمرت مقاومة الشعب الباسل بقيادة علمائه حتى ضج جنود الفرنسيين من شراسة المقاومة وجسارة هؤلاء المحاربين وقدرتهم على مواصلة الكفاح وثارت بالمحتل ثائرته فجمع جنده واحتل عسكره الأزهر الشريف. وكان هذا التصرف الأحمق تعبيرا عن غضبه وتنفيسا عن سخطه

واظهارا للضيق والكره الذى يحمله هؤلاء المستعمرون لعلماء مصر وأزهرها الشريف .

ولم ينس الاستعمار ـ أبدا ـ هذا الدور البارز لعلماء الأزهر فى محاربته بل تأكد هذا الدور وظهر بوضوح حين استطاع العالم المجاهد الشيخ عمر مكرم ـ أن يخلع الوالى التركى ويولى مكانه « محمد على » مؤسس الأسرة العلوية . ولم يكن الشيخ عمر مكرم ليقدم على ما أقدم عليه الا اذا كان وراءه شعب يستمع له وجموع تستجيب لندائه . ولذلك فان الاستعمار وأعوانه ما كانوا أبدا يتركون هذا الحدث يمر دون دراسة فباتوا يسهرون ويدرسون ويخططون ليطيحوا بمنزلة العلماء ويشككوا فيهم ويشوهوا من سمعتهم فأذاعوا بين الناس أحاديث كاذبة وروايات مزورة وحكايات ملفقة يريدون بها أن يفقد الشعب ثقته فيهم واحترامه لهم . ثم عمدوا بعد ذلك الى الحد من كثرتهم فضيقوا عليهم فى أرزاقهم حتى كان العالم يفنى عمره فى تحصيل العلم حتى يصل الى أرذل العمر وهو لا يحصل من الدولة الا على فتات الرزق . ولقد أدركنا مشايخنا الذين كانوا يدرسون لنا ويحملون أعلى الدرجات العلمية (الأستاذية ـ الدكتوراه) وراتب أحدهم ثلاثة جنيهات شهريا . وكان ذلك تخطيطا مقصودا . وطريقة بارعة خطط لها الاستعمار ونفذها أعوانه بكل دقة بل استمر هؤلاء الأعوان يعملون جاهدين لابعاد العلماء عن مكان الصدارة والقيادة وليشغلوهم بأرزاقهم عن التفكير فى أمر هذه الأمة واصلاح شأنها .

ولم يصرف هذا الوضع الأليم علماءنا عن واجبهم . بل لم يفت فى عضدهم أن يروا من فلذات أكبادهم من تصدر المكانة والوزارة . وهم على حالهم داخل اطار من فكر أثيم تعمد فاعلوه أن يقتروا على القوم رغبة فى الخلاص منهم .

تلك الحال السيئة التى وصل اليها العلماء فى هذا العصر جعلت الأجيال التى جاءت بعد ذلك ـ ورأت هذا التخلف المادى والأدبى



الرحمن علم الانسان علمه البيان

الذى آل اليه الاباء ـ تنصرف الى نوع آخر من المعرفة يكون للحاصلين على مؤهلاته شيء من الحظ ونوع من الترف . وبرغم تلك الظروف السيئة التى أحاطت بعلماء الأزهر فى تلك الفترة الحرجة من تاريخنا كانوا ملاذ الأمة اذا اشتد الكرب وادلهم الخطب وتكالب الأعداء . لا ترى الأمة لها منقذا بعد الله الا الأزهر تأوى اليه ، والا علماءه تركن اليهم .

وبعد ،

فقد كانت تلك المقدمة واجبة قبل الدخول فى موضوع سيتناوله الزملاء بالبحث والتحليل لمعرفة الأسباب المباشرة والبعيدة التى أدت الى انصراف كثير من الناشئة عن حفظ القرآن الكريم .

وهنا أريد أن أشير الى ما كان يتمتع به حافظ القرآن من امتيازات كانت حافزا للاقبال على حفظه :

فقد كان حفظ القرآن فى ذاته يعد ـ بعد النظرة الدينية ـ واجبا وطنيا كالتجنيد ويعفى منه . وكانت تصرف للحافظ مكافآت مالية كانت ـ على قلتها يومئذ ـ مشجعة تسرع بهم الى الحفظ .

وفى عام ١٩٤٨ م صدر قانون التجنيد الاجبارى ثم أعقبه الغاء هذه المكافآت فأخذت نسبة الحافظين والمحفظين ـ معا ـ فى الهبوط الى أن وصل الحال الى ما نحن عليه . لكن اذا صح العزم . وصدقت النية فقد توجهنا الى عمل نافع يأتى بثمره ان شاء الله

ولا يفوتنى أن أذكر فى هذا المقام الجهد الصادق الذى سعى اليه أستاذنا فضيلة الشيخ / عبد العزيز عيسى . حين أحس أن النية متجهة الى تعديل فى بعض مواد « قانون التجنيد » فاتصل بالسيد الفريق وزير الدفاع واستطاع أن يحقق بعض المكاسب للحافظين لكتاب الله الكريم . وقد سعى سعيه وبذل جهده وهو بعيد كل البعد عن السلطة .

أقول هذا ليكون باعثا لكل مخلص . وحافزا لكل ذى همة أن يعمل ويجاهد والله عنده حسن الثواب .

أحمد سعود
مدير الامتحانات بالأزهر

معالم القصور

تأوى الناشئة المصرية الراغبة فى حفظ الكتاب العزيز الى موارد خمسة تحقق بغيتها . وهذه الموارد ـ وحدها ـ هى التى تيسر لهم قراءة القرآن ، وحفظه ، ومتابعة المحفوظ وتثبيته ، وهى :

١ ـ المكاتب الأهلية .

٢ ـ المعاهد الابتدائية الأزهرية

٣ ـ معاهد القراءات بالأزهر

٤ ـ مكاتب جمعيات تحفيظ القرآن الكريم بالجمهورية

٥ ـ المعاهد القرآنية لوزارة الأوقاف

ومن الناشئة

... الى العاملين بهذه الموارد

... الى المواطنين

تبرز معالم القصور جلية .

معالم القصور فى المكاتب الأهلية :

١ ـ تكفلت كلمة صاحب الفضيلة مدير الامتحانات بالأزهر ببيان أكثر من سبب مباشر أدى الى القصور في الاهتمام بتحفيظ كتاب اللهالكريم للناشئة من قبل عام ١٩٤٨ م ..

منها تفضيل بعض المواطنين دفع أبنائهم الى لون من التعليم يبسط ـ فى نظرهم ـ مجال رزق أوفر ، أو مستقبل أزهر ، أو وضع اجتماعى خير مما عليه حفظة الكتاب العزيز.

٢ ـ كذلك وجدنا قصورا كان نتيجة مباشرة لاندفاع ـ عن رغبة طيبة ، ونية حسنة ـ نحو انشاء مكاتب أهلية لتحفيظ القرآن الكريم ، لم يخطط لها على ضوء دراسة أوسع وعمق أوفر فأدت الى :

أ ـ وجود أكثر من مكتب بجهة واحدة ، وخلو كثير منها فى وجهات أخرى ، وتبع هذا الوضع ـ فى بعض جوانبه ـ ظهور الحاجة الأشد فى بعض الجهات التى تخلو من مكتب مع خفة الكثافة لدى الجهة ذات المكاتب الأوفر .

ب ـ تفقد هذه المكاتب جميعا ما ينبغى ـ وجوبا ـ توافره من « الرعاية الصحية » الموفرة لتلاميذ المدارس .

ج ـ يفقد كثير من هذه المكاتب « المرافق الصحية » الواجب وجودها لحاجة التلميذ ، لاسيما صغير السن ، حتى يستقر بها مستريح النفس طيب الفؤاد مما يجعلها غير صالحة لأداء الرسالة وذلك يقتضى وضع خطة تستجيب لرغبة المواطنين وتستجيب كذلك لمستوى الصالح العام الواجب توافره فى هذه المنشآت ، فيتم انشاء معهد لكل تجمع سكانى يبلغ عدده نسبة معينة من المواطنين مع مراعاة العدالة فى التوزيع الجغرافي والاحتياجات الفعلية لهذا التجمع

مع توفير ما يحتاجه المعهد وما يحتاجه طلبته من ضروريات معينة فى أداء الرسالة .

د ـ نجد بعض المكاتب مثل الجسم الغريب قد أقحم نفسه فى هذا الميدان دون نتيجة ظاهرة ، أو عمل متواصل فى أداء هذه الرسالة . فبينما المكاتب متقدمة الذكر تؤدى عملها على ما فيها من قصور . وما فى هذا القصور من أثر يترك بصماته على انتاجها ، فان هذه المكاتب الأخيرة ، « د » قد لا تنتج الا ما يذر الرماد فى العيون ..

وهذه « سلبيات » تعود مباشرة الى بعض المواطنين يضاف اليها ـ فى جانبهم ـ رغبة بعض المواطنين عن هذا اللون من التعليم لمن يتولون أمرهم مثلما تقدم .. ثم نجد قصورا أو أكثر يطرحه طابع هذه المكاتب ويتمثل فى :

٣ ـ عدم وجود « الدافع » الذى يرغب التلميذ فى حفظ الكتاب العزيز من حوافز وأدوات مدرسية فى مقدمتها المصحف الشريف ، ووجبة غذائية .. الخ

٤ ـ ينضم الى غياب الدافع عدم وجود « الزام » يقر الطالب بالدراسة فى المكتب والمواظبة عليها ..

ولو أن المكتب توفر له :

أن يكون مرحلة تعليمية ابتدائية تعد الطالب بعد النجاح فيها للالتحاق بالصف الأول الاعدادى بالأزهر ..

وعومل طالب المكتب معاملة التلميذ من حيث الالزام ـ وذلك أمر ممكن بالتعاون بين الأزهر ووزارة التربية والتعليم لوضع وسائل هذا الالزام وتطبيقه ، وتوزيع نسبة عادلة من هؤلاء التلاميذ بين الأزهر وغيره ـ اذا تم ذلك ، فان التلميذ لن يهرب عند بلوغه سن الالزام ، فيجد المكتب من يعمره من سن الرابعة الى الثانية عشرة ..

وما يطبق على طالب المكتب هنا يطبق أيضا على طالب مكاتب جمعيات تحفيظ القرآن الكريم .

٥ ـ كذلك تفقد هذه المكاتب ما يجب تعليمه للناشئة ضرورة من مبادىء اللغة والخط والاملاء ، ثم مبادىء الرياضة

٦ ـ وقد نجد القائم بالمكتب ـ فى بعضها ـ غير متفرغ لرسالته ، واذا ذهبت لاستقصاء الأسباب قد تنتهى الى التماس أكثر من عذر له ، وقد لا يكون له عذر على الاطلاق ..

٧ ـ يضاف الى ذلك ندرة الدورات التفتيشية لهذه المكاتب ، وقصورها التام ـ فى أغلب الأحوال ـ عن القيام بواجبها ، فان للازهر تسع عشرة منطقة تعليمية بالجمهورية ، ومفروض أن يكون بكل منطقة مدير مساعد لشئون القرآن الكريم ، أسوة بباقى المراحل التعليمية يليه مفتشون أوائل فمفتشون .

أ ـ لكن هذا الجهاز غير مطرد التكوين ، فبعض المناطق لا يوجد بها مدير مساعد لشئون القرآن الكريم ويضاف عمله الى أى مدير مساعد آخر،ثم قد يوجد مفتش أول،وقد لا يوجد ، كذلك فى أكثر من حال لا يوجد من المفتشين العدد الذى يفى بالحاجة .

ويتطلب الأداء السليم لصيانة « عملية تحفيظ القرآن الكريم » أن يوجد مفتش لكل عشرين أو ثلاثة وعشرين مكتبا على الأكثر حتى تتم متابعة سليمة لشئون كل مكتب : تلاميذ ومحفظين ، كذلك يكون لكل ثلاثة مفتشين مفتش أول ..

على أن يتم سريعا وضع لائحة تخص ادارة شئون القران واذا كانت ادارة شئون القران الكريم لم توضع لها لائحة حتى الآن رغم توصية بذلك من أكثر من عام ، فان هذه المكاتب أيضا تفقد جهازا اداريا يتابع شأنها كله ، وتمتد فروعه الى كل محافظة . ويحيط علما بهذه المكاتب ؛ محفظين وطلبة فى سجلات مصممة تصميما دقيقا يؤدى الواجب على خير الوجوه .

القصور فى المعاهد الابتدائية الأزهرية : ـ

وعن دراسة مباشرة وجدنا عقبات تعترض حفظ الكتاب العزيز حفظا جيدا بهذه المعاهد وتتمثل فى أن :

١ ـ بعض العجز ـ ليس فى هيئة التدريس عامة ، فهذه ذات وفر ـ وانما العجز فى المحفظين للكتاب العزيز . وقد أدى هذا العجز الى ما يستتبعه ضرورة من ألوان القصور :

أ ـ فقد يستعان ـ فى قراءته ـ بعنصر مهما بذل من جهد فانه يعطى بقدر ما عنده ولا يستطيع أن يزيد . وجهده ـ مع الشكر له ـ ليس فى المستوى المطلوب ..

ب ـ وقد يحدث هذا الوضع فى بعض الأحيان غبنا ينافي مستوى القراءة للقران . فالحفظ . فمراجعة المحفوظ ..

٢ ـ تكدس البرنامج التعليمي بهذه المعاهد صار فى ذاته معوقا ملحوظا ترك آثاره على حفظ الكتاب العزيز :

أ ـ فبعد أن كان مطلوبا حفظ القرآن الكريم على مدى السنوات الست لهذه المرحلة . رفع بعضه الى المرحلة الاعدادية . ويكاد يكون مستحيلا أن يحفظ الطالب شيئا من القران في هذه المرحلة .

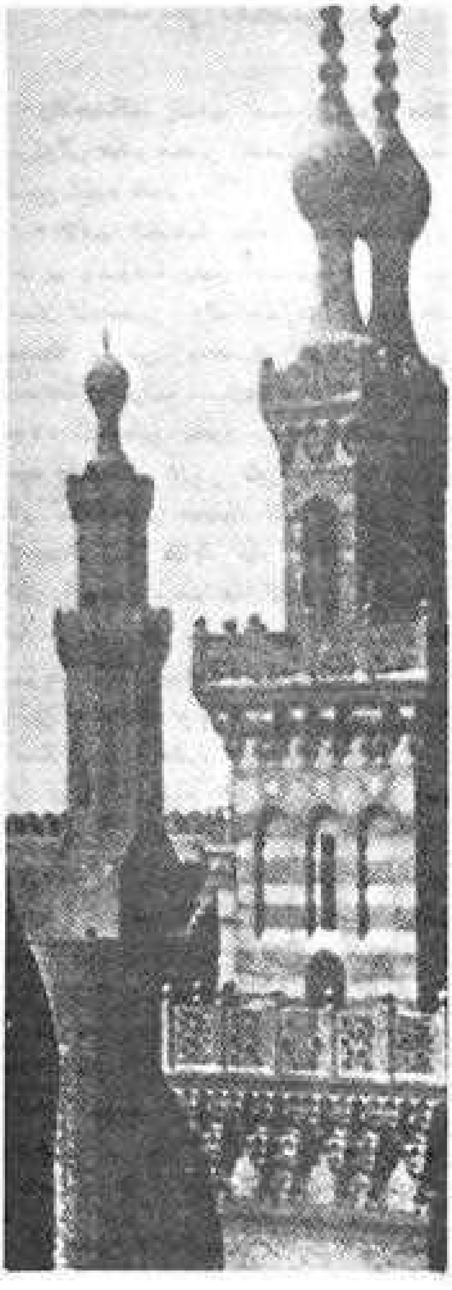
ب ـ قضى هذا الوضع ـ أو كاد ـ على نشاط التلميذ ولايمكن لمرب أن يتجاوز عملية النشاط وقيمتها التربوية . فالنشاط لازم بغير وجوده للعملية التعليمية والتربوية والنهوض بالبيئة . واكتساب التجاوب الوجدانى اللازم بين التلميذ ومجتمعه .

جـ ـ كثافة العدد داخل الفصول يهضم العملية التحفيظية للكتاب العزيز حقها . فاذا افترضنا ان بالفصل ثلاثين طالبا ـ وهو عدد كبير جدا ـ وتصورنا ازاء العملية التعليمية المطلوبة من المحفظ للكتاب العزيز أدركنا أن وقت الحصة لايتكفل بأداء حسن لمراجعة المحفوظ أو القراءة « الجديد » أو لسبر العملية التعليمية ـ في ذاتها ـ لأفراد الفصل .

مما يطرح موضوعاها مايؤدى بنا الى اعتبار (حفظ القرآن) لونا خاصا من التعليم ، له برامجه الخاص ، ومستقبله الخاص ، ومتطلباته من الدراسات التى تعنى في ذاته ، وتؤهل صاحبه لمستقبل مرموق .

القصور فى معاهد القراءات :

وأول معالمه أنها موجودة بقلة شحيحة لاتفى بالحاجة ، بينما هى المختصة ـ في الميدان ـ بتخريج القارىء الحافظ المتقن الذى يمكن أن يؤمن على كتاب الله العزيز ، لكنها محدودة وقاصرة على بعض المحافظات ،



ثم هي في مجموعها لاتفي بحاجة مصر فضلا عن البلاد العربية وبقية البلاد الاسلامية .

وبها ـ أيضا عجز كبير في هيئة تدريس مواد علوم القرآن الكريم الى شحة الجوائز والحوافز .

والحاجة هنا ضرورية للتوسع في انشاء هذه المعاهد .

وكذلك في امدادها بهيئة التدريس الصالحة والأمر ممكن وميسور . فلا زال في الميدان من أساتذتنا من يمكن أن يعمر المكان ويقوم بالتدريس من الفئات المحالة على المعاش . وتوفير المعاملة الكريمة الطيبة لها .

ثم نحن اذا جاوزنا خريجى هذه المعاهد نستطيع أن نقول مطمئنين :

انه ينبغى تدريب جميع المحفظين ـ عدا هذه الفئة ـ على عملهم فنيا .

فعدم التدريب يعتبر من القصور العام في اتقان أداء العملية التعليمية في هذا السبيل ، وهنا ينبغى أن نتحدث عن :

مستويات المحفظين :

وهل هي أيضا تمثل مشكلة ؟

في المحفظين متقنون ، وهم طبقة ، أعطت مصر خير مايعطيها انسان ، ثم هم ـ والحزن يعصر قلوبنا والاستسلام لأمر الله ـ جل وعز ـ يملأ نفوسنا ـ هم طبقة تنقرض شيئا بعد شيء ، خطاهم سريعة الى « الندور » وبين أيدينا احصائية تكشف عن هذا الوضع ، قد تكون أليمة .. نعم .. وليس مايخفف من أمرها ـ شيئا ما ـ الا علمنا بأن هذه الحال تختلف من محافظة الى أخرى .. وان كان طابع الندرة قائما في الجميع .

معالم القصور

والاحصائية يقدمها السيد الدكتور معتز المرزوقى عضو مجلس الشعب عن دائرة بندر شبين الكوم تقول :

« قامت الجمعية العامة لتحفيظ القرآن الكريم بالمنوفية بعمل احصائية لدراسة سن اعمار المحفظين . وقد اختارت الجمعية ٤٥٠ محفظا يقومون بتحفيظ القرآن بكتاتيب المحافظة وبدراسة أعمارهم وجد أن ٢٩٢ من هؤلاء المحفظين بلغوا سن ٦٠ سنة . بينما عدد المحفظين الذين تقل أعمارهم عن ٤٠ كان سبعة عشر محفظا فقط . وكانت هذه الاحصائية في نهاية عام ١٩٧٩ ومن هذا التاريخ حتى يومنا هذا انتقل الى رحمة الله ٤٨ محفظا أى بمعدل ستة عشر محفظا سنويا فاذا تجاوزنا ذوات « المتقنين » الذين يذكروننا بالحفظة في حرب الردة في السنة الحادية عشرة من الهجرة وماتلاها ـ اذا تجاوزنا القوم الى من دونهم . فاننا نستطيع أن نضعهم ـ حسب امكانياتهم ـ ودرجات .. الى أن لانجد شيئا .. وحين لانجد شيئا نجد العلاج المسكن الذى لايعنى بدوره شيئا يذكر كما تقدم .

وفي هذا الوضع أكثر من أمر يتداخل الى حد التعقيد . وقد يكون من بين أطرافه ، ندرة المحفظ . ومن طرف اخر قيمة الراتب وعسى أن نجد فيما قدم من حلول أخيرة دافعا ذا بال الى وضع أمثل .

ويطرح هذا الوضع . ونعنى به « اضطراب الكفاءة » بين المحفظين الى تساؤل اخر :

كيف يتم اختيار هؤلاء المحفظين ؟

هل يتم اختيار يتوافر فيه المناخ الصحى كاملا ؟

اختبار لايشكل فحواه عدة أوضاع تطالبنا بسد الفراغ أكثر من اختيارنا المحفظين نتيجة اختبار صحيح سليم .

ان من الأوضاع ماترى أنفسنا فيه أمام محفظ علينا أن نرضى به كما هو الحال في كثير من مواقع العمل بالمكاتب الأهلية .

لكن في الحق أيضا أننا في حاجة الى اجراء اختبار دورى لكافة العاملين بهذا الميدان يقوم به علماء مشهود لهم بالدقة والعدالة وحفظ كتاب الله العزيز ـ سبحانه ـ دون أن نجعل للحاجة .. أو قلة الحوافز .. أو غيرهما طريقا يعوقنا عن ارساء الأسس الصالحة التى تقيم البنيان الصحيح .

وهذا الاختبار بهذا المستوى الأمين مطلوب أيضا لكل تلميذ بالأزهر . وبالمكاتب الأهلية . او مكاتب جمعيات المحافظة على القرآن الكريم . أو طلبة المعاهد الابتدائية الأزهرية والثانوية . أو طلبة معهد القراءات . أو الجامعة فان الخلل الذى لا عذر فيه قد وجد طريقه الى كافة هذه الدروب حتى طفح منها الغثاء .

ولقد يرى بعض المسئولين فى هذا الأمر ما يحرم السكوت عليه . أو يتجاوز كبيرة لا يدرى ما يقوله لله ـ عز وجل ـ فيها .

ينبغى أن يعلم كل طالب بالأزهر ـ في أى مكان فيه ـ أن القرآن الكريم لايستوى وضعه

كتب ربكم على نفسه الرحمة

صدق الله العظيم

في الاختبار مع أى مادة أخرى .. ومثل هذه التسوية ضلال في ضلال ان للقران العظيم منزلته الخاصة . وعلى الطالب أن يعد نفسه للاختبار فيه اعدادا يبرأ فيه الى المولى ـ عز وجل ـ من كل نقيصة لاتليق بالكتاب العزيز . ويصون الكتاب الكريم . ويصون دينه . ويصون نفسه عما لايليق بكلمة الله .

وجمعيات تحفيظ القران الكريم :

وهى الجندى المجهول والمعلوم في هذا الميدان تعمل في صمت وتنتج مانعم من ناشئة حفظوا الكتاب العزيز بمكاتبها وهى في حاجة الى :

أ ـ توفير الامكانات لما هو قائم منها ، مسبوق ذلك بدراسة سابرة مستوعبة لمشاكلها منتجة لحلولها .

ب ـ تخصيص جزء من المعونات لهذه الجمعيات قابل للزيادة غير قابل للخفض تحت حد مقرر ليستقيم دخل المحفظ وجائزته وحافز الحافظ . واعانة المكتب على وجه كريم .

جـ ـ الاستجابة الى حاجتها من مفتشين ومحفظين .

د ـ التشجيع اللازم للاكثار منها في الجهات التي تخلو من مثلها .

وبعد فلنات الى اخر مايقال في هذا المقال . وتردد بين سطوره . ووضح مدى اهميته . ونعنى به جانب حوافز المحفظين ، وجوائز الحافظين . ولا حاجة بنا الى بيان اهميتها في كل مسالك هذا الموضوع والمطلوب هنا :

وضع نظام يحدد وجهة قبول التبرعات والهبات والمعونات والأموال المتحصلة لتحفيظ القران الكريم الى جانب مالها من ميزانية راجين توحيد هذه الجهة . ووضع قواعد التصرف في مواردها وصرفها في الغرض الذى خصصت له . وحبذا لو تم لأمر القران الكريم كله « مجلس أعلى » يرعاه .

وعلى الله قصد السبيل

د . على الخطيب

دراسة

المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا

الواقع الحالي للمعاهد الابتدائية الأزهرية

مقدمة :

لمرحلة التعليم الابتدائي الأزهري أهمية قصوى ، باعتبار أنها القاعدة في الهيكل الهرمي للتعليم في الأزهر ، فهي الأساس الذي تبنى عليه بقية المراحل ، سواء من ناحية الكم أم الكيف .

القسم الأول

أما من حيث الكم فان التخطيط السليم لسياسة القبول في هذه المرحلة ، وللأعداد التي تقبل بها هو الذي يكفل من احتياجات التعليم الأزهري في جميع مراحله ونوعياته وأما من حيث الكيف فانه في أثناء الدراسة بهذه المرحلة يتم وضع اللبنة الأولى لهذه النوعية المتميزة من التعليم التي انفرد بها الأزهر خلال العصور ، والتي تعتمد أساسا على كتاب الله حفظا وفهما وتجويدا .

ومن أجل هذا حرصت شعبة التعليم الأزهري على أن تولي هذه المرحلة من التعليم الأزهري عناية خاصة ، فقدمت في الدورات السابقة عدة دراسات من قاعدة التعليم الأزهري تناولت بعض مسائله ، وقد رأت الشعبة أن تقوم بدراسة بهدف تقويم التعليم الابتدائي الأزهري بصفة عامة ، ايمانا منها بأن كل جهد يبذل في النهوض بهذه المرحلة والتخطيط لها على أساس سليم وتحسين مستوى الاداء فيها ـ سوف ينعكس حتما على بقية المراحل كما وكيفا ـ .

تطور التعليم الابتدائي الأزهري :

كان التعليم الأزهري قبل الجامعي ـ فيما مضى ـ يقوم على مرحلتين :

الأولى : المرحلة الابتدائية ، وهي التي تقابل المرحلة الاعدادية في التعليم الحالي ومدتها ٤ سنوات .

والأخرى : المرحلة الثانوية ومدتها خمس سنوات ـ ويؤخذ من هذا :

ان المرحلة الابتدائية في النظام القديم لم تكن ابتدائية بالمعنى المتعارف عليه ، وانما كان لابد أن يسبقها كان لابد أن يسبقها قدر من التعليم يتزود به كل من يرغب في الالتحاق بها ، سواء أكان هذا التزود في الكتاتيب أم في مدارس تحفيظ القرآن الكريم أم في المدارس الأولية أم غيرها .. ومن أجل هذا كان التحاق الطالب بالمرحلة الابتدائية الأزهرية مشروطا باجتياز امتحان في حفظ القرآن الكريم بالاضافة الى النجاح في اختبار تحريري في قواعد الحساب في الاملاء والخط .

تقويم

التعليم الابتدائي الأزهري

شعبة التعليم الأزهري - أبريل ١٩٨٣

وقد حافظ الازهر علي تنفيذ هذا النظام حتي أواسط الأربعينيات اذ أحس بنضوب لموارد التي يرد منها حفظة القران الكريم ، وأحس بالعجز الواضح في اعداد هذا النوع ، عندئذ اضطر الي قبول اعداد يمكن أن يقال أن قبولهم لم يكن الا علي تسامح واغضاء .. واستمر الأمر كذلك حتي صدر القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، وكان واضح هذا القانون أراد أن يعالج هذه الحال فجاءت المادة ٨٤ منه تقول :

« تقوم مدارس تحفيظ القران مقام مدارس المرحلة الأولي بالنسبة للطلاب المتقدمين الي المعاهد الاعدادية للأزهر ، وتحدد اللائحة التنفيذية نظام القبول وشروطه بالنسبة للمتقدمين من تلاميذ هذه المدارس ومن غيرها » .

وهكذا انشئت مرحلة ابتدائية في ظل هذا القانون لتعد الطلاب للمرحلة الاعداية التي استحدثها القانون .

وكان أساسها سبعين مدرسة لتحفيظ القران الكريم تابعة لوزارة المعارف وحولت تبعيتها في الخمسينيات الى الأزهر ، ثم حولت ٧٠ مدرسة أخري مماثلة ، عدا بضع مدارس كانت تابعة لوزارة الأوقاف .

وكان عددها حين صدر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ لايتجاوز ١٤٦ مدرسة تضم ٨٤٣ فصلا ، بها ٢٩٤٣٦ تلميذا ، وقد ألحقها هذا القانون بالمعاهد الأزهرية وأطلق عليها اسم « المعاهد الابتدائية الأزهرية » ، وقد قفز عدد هذه المعاهد منذ صدور قانون التطوير وحتي بداية العام الدراسي الحالي ١٩٨٢ - نتيجة للتوسع في التعليم الأزهري - الي ٥٨٨ معهدا تضم ١٤٥٫٣٢٠ تلميذا وتلميذه - وقد أنشيء معظم هذه المعاهد بالجهود الذاتية - (انظر الملحق رقم ١ ورقم ٢) .

نظام القبول بالمعاهد الابتدائية الأزهرية :

مدة الدراسة بالمرحلة الابتدائية ست سنوات يلتحق بها البنون والبنات ، وتتلخص سياسة القبول بالصف الأول فيما يلي :

أولا التلاميذ المصريون المقيمون علي أرض الجمهورية وهؤلاء يلحقون بالصف الأول في سن تتراوح بين الخامسة والتاسعة .

تقويم التعليم الابتدائى الأزهرى

ثانيا : التلاميذ غير المصريين :

ويلحق هؤلاء - عن طريق ادارة الوافدين بالأزهر - بالصف الذي يتناسب مع سنهم وتحصيلهم في حفظ القرآن الكريم ومواد اللغة العربية والحساب والتربية الدينية - بناء على امتحان مستوي خاص يعقد لهم ويمنح الطلاب الذين يجتازون الامتحان الذي يعقد بعد نهاية الصف السادس الابتدائي - وهو على مستوي الجمهورية - الشهادة الابتدائية الأزهرية . وهي تعادل شهادة اتمام الدراسة الابتدائية العامة التي ألغيت مؤخرا . والشهادة الابتدائية الأزهرية تتيح لحاملها الالتحاق بالمعاهد الاعدادية الأزهرية . كما تتيح له الالتحاق بالمدارس الاعدادية العامة دون قيد او شرط فيما يتعلق بسن التلميذ .

خطة الدراسة والمناهج :

تنص المادة ٥٨ من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ على أن « الغرض من المعاهد الأزهرية تزويد تلاميذها بالقدر الكافي من الثقافة الاسلامية والى جانبها المعارف والخبرات التي يتزود بها نظراؤهم في المدارس الأخري المماثلة ليخرجوا الى الحياة مزودين بوسائلها » .

وتطبيقا لهذا النص وضعت خطة الدراسة ومناهجها بالتعليم الابتدائي الأزهري مطابقة للخطة والمناهج التي يجري العمل عليها في المدرسة الابتدائية العامة واستحدثت فيها نفس الكتب المقررة على المرحلة الابتدائية بوزارة التربية والتعليم بالنسبة لمواد التربية الدينية واللغة العربية والحساب والهندسة والعلوم والصحة والمواد الاجتماعية فيما عدا القرآن الكريم فقد كان حفظ القرآن جميعه مقررا على تلاميذ الابتدائي حتى عهد قريب ، ثم رؤي أن يكون المقرر حفظه عشرين جزءا ، على أن ينقل حفظ الأجزاء العشرة الباقية الى المرحلة الاعدادية ، ووزع حفظ الأجزاء العشرين على سنوات الدراسة الست ، منها جزء واحد في الصف الأول ، وجزءان في الصف الثاني وثلاثة أجزاء في الصف الثالث ، وأربعة أجزاء في الصف الرابع ، وخمسة في كل من الصفين الخامس والسادس .

هيئات التدريس :

يقوم بالتدريس في المعاهد الابتدائية الأزهرية نوعيات مختلفة منهم :

١ - المحفظون .

٢ - خريجو معاهد المعلمين العامة والأزهرية .

٣ - خريجو المدارس الثانوية الفنية (تجارية وزراعية وصناعية) سواء أكانوا موجهين عن طريق القوي العاملة ، أم معينين بأجر نظير عمل بالمعاهد الجديدة المنظمة .

٤ - هذا بالاضافة الى أعداد من حملة الثانوية الأزهرية والثانوية العامة وذوي الصلاحية والخبرة .

القسم الثاني
مشكلات المعاهد الابتدائية الأزهرية

(١) مشكلة التخطيط :

اشير من قبل الى أن نواة المعاهد الابتدائية الأزهرية كانت مدارس لتحفيظ القرآن التي نص القانون على ان تقوم مقام مدارس

المرحلة الاولي بالنسبة للطلاب المتقدمين الي المعاهد الاعدادية والأزهرية.وهكذاتم تباعا ضم مدارس التحفيظ الي الازهر حيث تم بذلك تكوين المرحلة الابتدائية . وتوالي انشاء هذا النوع من المعاهد . ولكن معظم ما أنشئت منها كان بالجهود الذاتية .

ويتبين من هذا ان الأمور كانت تتم في انشاء هذه المعاهد دون تخطيط يراعي الاحتياجات الفعلية والمواقع الجغرافية ، والامكانات المتاحة بشرية أو مادية .

وقد تبينت الادارة العامة للمعاهد الأزهرية في وقت ما مافي هذا الوضع من قصور . فأعدت تقريرا قدمته الي المجلس الاعلي للأزهر في عام ١٩٧٠ جاء فيه مايلي :

« ومن الحقائق التي لابد من الاشارة اليها أن المعاهد الأزهرية ـ وان كثرت في السنوات الأخيرة كثرة تسترعي الانتباه ، وطفرت طفرة عددية ظاهرة ـ فانها مازال من حيث الانشاء أو الاشراف أو الضم تجري علي طريقة مرتجلة غير خاضعة لقواعد مقررة ولا لتخطيط نابع من الرغبة في توزيعها توزيعا عادلا هدفه تأدية الأزهر لرسالته الكبري » .

وبعد أن عرض التقرير خريطة المعاهد التي ورثها من الماضي ، وكان هذا الميراث سببا في تفاوت المحافظات في انشاء هذه المعاهد وجودا وعدما ، وقلة وكثرة ، وفصل القول فيما يشوبها من خلل ـ دعا الي أن تأخذ المعاهد حظها من التخطيط والتنظيم فيما يتصل بانشائها أو ضمها أو جعلها تحت الاشراف الفنى ، وطلب من المجلس الأعلى للأزهر رسم الخريطة السليمة للمعاهد الأزهرية على النحو الذى يراه محققا لخير الاسلام وقدم مقترحات مفصلة فى هذا الصدد .

ومع أن هذه المقترحات قدمت في عام ١٩٧٠ ـ فان الأسلوب المتبع في انشاء المعاهد لم يتغير كثيرا ، وصحيح أنه كانت هناك امال في التوسع ، وكانت هناك أرقام تحدد لما يستهدف انشاؤه ، ولكن هذه الامال وهذه الأرقام لم تكن ثمرة خطط علمية مدروسة تقوم علي الاحتياجات الفعلية والتوزيع الجغرافي والامكانات البشرية والمادية كما ذكرنا ـ ومن ذلك ـ مثلا ـ ما أذيع منذ سنوات عن خطة طويلة المدي تستهدف انشاء ٥٠٠٠ خمسة الاف معهد ابتدائي و ٣٠٠٠ ثلاثة الاف معهد اعدادي و ٢٠٠٠ الي معهد ثانوي .

ومع ان نحو ست سنوات قد انقضت منذ أعلنت هذه الرغبة فانها لم تر النور حتي اليوم ..

(٢) الاعتماد علي الجهود الذاتية :

ويبدو أن العلة الأساسية التي تقف وراء غيبة خطة علمية مدروسة وهو الاعتماد في انشاء المعاهد على الجهود الذاتية اعتمادا يكاد يكون كليا .

ومع أن الجهود الذاتية في المنشات التعليمية ، أمر مستحب بل ضروري في مثل الظروف الاقتصادية التي نمر بها ـ فان الفائدة المرجوة من هذه الجهود لاتتحقق الا اذا كانت في نطاق الخطة الشاملة التي روعيت في وضعها المعايير والأسس التي أشير اليها انفا ، اما أن تستجيب لكل رغبة في الانشاء دون تخطيط ـ ومهما تكن نوايا المتقدمين بها طيبة ـ فان الضرر قد يكون

تقويم التعليم الابتدائي الأزهري

اكثر من النفع .

وقد عبر تقرير الادارة العامة للمعاهد الأزهرية الذي أشرنا اليه من قبل عن هذه المشكلة في مقدمته خير تعبير حين قال :

« ان بعض الأفراد أو الجماعات يتقدمون بين الحين والحين الي الادارة العامة للمعاهد الأزهرية راغبين في انشاء معاهد بمناطق سكنهم أو مبلغين أنهم أنشئوا معاهد وألحقوا بها كذا وكذا من الطلاب . ثم يطلبون امداد هذه المعاهد بما تحتاج اليه من الأثاث والأدوات ، وبمن يقومون بالتدريس فيها وادارة شئونها من المدرسين والموظفين ، ويلحون في ضمها الي معاهد لأزهر أو جعلها خاضعة للاشراف . وكثيرا مايكون اقدامهم علي انشاء ماينشئون دون الرجوع الي الجهات المسئولة عن المعاهد ودون تعرف علي الشروط التي لابد من توافرها في المعهد مبني ومعني . ومن ثم نري بعض هذه المعاهد خالية من المقومات الأساسية ومشغولة بطلاب علي مستوي من المعرفة لاينهض بهم ولا يعنيهم علي تحمل عبء الدراسة بالمعاهد الأزهرية ، وبطلاب اخرين ضعاف لم تؤهلهم مجموعاتهم للالتحاق بمدارس وزارة التربية والتعليم وهؤلاء وأولئك غير حافظين للقران الكريم الذي هو أول شرط في قبول الطالب بالمعاهد الدينية والذي لاصلاح لعالم أزهري يتصدي لتعليم الناس أمر دينهم ودنياهم الا بحفظه والانتفاع به . وأمثال هؤلاء خطر علي مستقبل المعاهد وعلي رسالة الأزهر ، وعلي عقيدة العالم الاسلامي فيه ، وعبء تنوء به ميزانية الدولة ومصالحها ، دون فائدة تذكر » .

وأشار التقرير الي الضغوط التي يقوم بها أصحاب هذه الجهود الذاتية ، وأنهم يظفرون في خاتمة المطاف بما يريدون ولم يقتصر الأمر علي ما أشار اليه التقرير الذي أذيع عام ١٩٧٠ من قصور في المعاهد التي تنشأ بالجهود الذاتية في المبني والمعني ولكنه تجاوز ذلك الي مايقترن بهذه الظاهرة من خلل في التوزيع الجغرافي للمعاهد المنشأة بهذا الأسلوب . حيث يحدث كثيرا أن تزداد كثافتها في مواقع قد يكون بعضها في غني عنها . علي حين تخلو مواقع أخري منها مع أنها قد تكون في أمس الحاجة الي قاعدة للتعليم الأزهري .

وفي السنوات الأخيرة تكاد تكون جهود أهل الخير من أبناء مصر هي الأصل في انشاء المعاهد الابتدائية الأزهرية . أما ما تنشئه ادارة المعاهد فقليل . ولابد لنا أن نلتمس العذر لهذه الادارة حينما ترحب بهذه الجهود الذاتية . وذلك نظرا لغيبة خطة طويلة المدي ، تتوفر فيها الأسس والمعايير السابقة . ويكون لها مكانها في خطط الدولة ، وترصد لها الاعتمادات المالية المناسبة .

---

(٢) سياسة القبول في المعاهد الابتدائية الأزهرية :

أشير من قبل الي أن من أهم المعايير

التي ينبغي أن تراعي عند وضع الخطة ـ الى جانب التوزيع الجغرافي ـ احتياجات الأزهر من الطلاب .

والمرحلة الابتدائية هي القاعدة الاساسية التي تمد جميع المراحل الأخري بالطلاب ، بما في ذلك كليات جامعة الأزهر .

فهل كانت سياسة للقبول في المعاهد الابتدائية الأزهرية بحيث تلبي هذه الاحتياجات ؟

الجواب بالسلب وليس أدل علي ذلك من دأب سياسات القبول في الأعوام الماضية علي قبول ألوف مؤلفة من الطلاب بالمرحلة الاعدادية من الحاصلين علي الشهادة الابتدائية بالتعليم العام ، والذين لم يقبلوا بالمدارس الاعدادية العامة لضعف مجموع درجاتهم ، أو من لم يحصلوا علي أي مؤهل دراسي علي الاطلاق وانما يقبلون بامتحان مسابقة .

ويوضح الجدول الآتي اعداد طلاب الصف الأول الاعدادي في السنوات الثلاث الأخيرة والمصادر التى جاءوا منها :

السنة	ابتدائية أزهرية	ابتدائية عامة	مسابقة قبول	الجملة
٨٠ / ٨١	٦٢٦٣	٢٨٦٤	١٠٧٢٩	١٩٨٥٦
٨١ / ٨٢	٦٣٦٨	٣٢٧٣	١٣٥٢٤	٢١١٩٣
٨٢ / ٨٣	٨٨٩٤	٢٦١٦	١١٥٩٣	٢٢١٠٣

ويتبين منه أن جملة المقبولين في العام الدراسى ٨٠ / ١٩٨١ بالصف الأول الاعدادى الأزهرى كانت ١٩٨٥٦طالبا منهم ٦٢٦٢ من الحاصلين على الابتدائية الازهرية بنسبة ٣١٪ وأن جملة المقبولين في الصف الأول الاعدادى في عام ٨١ / ١٩٨٢ كانت ٢١١٩٣ طالبا منهم ٦٣٨٦ من الحاصلين على الابتدائية الأزهرية بنسبة ٣٠٪ ، أما جملة المقبولين في عام ٨٢ / ١٩٨٣ فقد كانت ٢٢١٠٣ طلاب منهم ٨٨٩٤ من الحاصلين من الابتدائية الأزهرية بنسبة ٣٩٪ ومعنى هذا أن الهرم التعليمى منبعج حيث تبلغ جملة المقبولين بالصف الأول الاعدادى أكثر من ثلاثة أمثال المقيدين بالصف السادس الابتدائى ، ومعناه أيضا أن المعاهد الابتدائية الازهرية لاتفى الابما لايتجاوز الثلثمن تقبلهم المرحلة الاعدادية الازهرية ، اما الثلثان الآخران فجزء قليل يقبل من الحاصلين على الابتدائية العامة ـ التى ألغيت فعلا ولم تعد مصدرا يعتمد عليه ، وأما الجزء الأكبر منهما فانه يقبل ممن لايحملون أى مؤهل ، وانما يدخلون امتحان مسابقة ، وهؤلاء وأولئك لايرقون الى المستوى المطلوب للمرحلة الاعدادية ، ولايحفظون القرآن الكريم الذى كان ينبغى أن يعتبر أهم شرط في قبول الطالب بالمعاهد الدينية كما جاء في تقرير الادارة العامة للمعاهد الذى أشرنا اليه من قبل ، فاذا أضفنا الى ذلك أن جملة المقبولين بالصف الأول الاعدادى من هذه المصادر الثلاثة لاتفى بحاجة الأزهر وبدليل ان هناك أعدادا غير قليلة من حملة الاعدادية العامة يقبلون بالصف الأول الثانوى ـ الأزهرى ـ وهم قطعا دون المستوى المطلوب ـ أدركنا مدى الحاجة الى توسيع قاعدة التعليم الابتدائى الأزهرى .

تقويم التعليم الابتدائى الأزهرى

أولا للوفاء بحاجة المرحلة الاعدادية والثانوية وكليات الأزهر الجامعية .

وثانيا : لمشاركة وزارة التربية والتعليم في استيعاب الملزمين بالصف الأول الابتدائى في خطة يتم فيها التنسيق بين الجهتين . وهو هدف تسعى الدولة الى تحقيقه .

ثالثا : لاعداد نوعية من الطلاب مزودين بالقدر الكافى من الثقافة الاسلامية ، والى جانبها المعارف والخبرات التى يتزود بها نظرائهم في المدارس الاخرى المماثلة ، كما تنص المادة ٨٥ من القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ .

وقد سبق للمجلس ان اتخذ في دورته لثالثة في أثناء مناقشته لموضوع القبول في كليات جامعة الأزهر ومستقبل السنة التأهيلية توصية بوضع خطة للتوسع في التعليم الأزهرى بدءا من المرحلة الابتدائية وبالتنسيق مع خطة وزارة التربية والتعليم بحيث يبلغ القبول في الصف الأول الابتدائى الأزهرى في نهاية سنوات الخطة نسبة مئوية يتفق عليها في هذا الصدد ، كما قدمت الشعبة الى المجلس في - دورته الخامسة ٩ / ٥ / ١٩٧٨ خطة مفصلة للتوسع في القاعدة ، على أساس أن تحقق في فترة زمنية معقولة الهدف المنشود منها وهو الاكتفاء الذاتى للازهر من أبنائه المؤهلين للدراسة الأزهرية الجادة والتخصصين الدين يسدون حاجة الدراسة في مراحلها المختلفة بما فى ذلك كليات جامعة الأزهر الاصلية والمستحدثة ، وبما يسد حاجة المجتمع في الداخل والخارج من خريجى الأزهر بنوعياتهم المتعددة والمتميزة .

وقد أقر المجلس الخطة المقترحة في جملتها

٤ ـ الخطة الدراسية والمناهج :

أشير من قبل الى أن خطة الدراسة بالمرحلة الابتدائية ومناهجها الأزهرية تطابق الخطة والمناهج التى يجرى عليها العمل في المدارس الابتدائية العامة وتستخدم فيها نفس الكتب المقررة على هذه المدارس في مواد الثقافة العامة ، ويزاد عليها القرآن الكريم الذى كان مقررا حفظه كله في هذه المرحلة ثم رؤى في عام ١٩٧٧ أن يقتصر على حفظ عشرين جزءا في المرحلة الابتدائية على أن ينقل حفظ الاجزاء العشرة الباقية الى المرحلة الاعدادية .

ومعنى هذا أن خطة الدراسة ومناهجها بالابتدائى الأزهرى - كما هى في الاعدادى والثانوى الأزهرى - مزدوجة ، تشمل المواد الحديثة التى يسمونها ثقافية ، وأساسيات المواد الدينية والعربية التى تحفظ للأزهر طابعه الاصيل ولقد ارتفع عدد الحصص المقررة في الخطة الى ٢٨ ، و ٢٩ حصة في الصفين الأول والثانى و ٤٠ حصة في الصف الثالث و ٤٢ حصة فى كل من الصفوف الثلاثة العليا .

وقد برزت من خلال تطبيق هذه الخطة والمناهج المزدوجة في السنوات الأخيرة عدة مشكلات أهمها :

١ : ان العبء ثقيل على طفل هذه المرحلة ، فهو مكلف مالايطيق ، وكان لهذا أثره في اضعاف قدرته على استعاب المقررين*

كليهما . مما جعل الدراسة تأخذ طابع التلقين . وجعل التحصيل يأخذ طابع الحفظ والاستظهار . كما ترتب على ذلك حرمان التلميذ من الأنشطة المدرسية والرياضية والاجتماعية التى كان من المفروض أن تسهم في بناء شخصيته .

٢ - ان دراسة نفس مقررات المدرسة الابتدائية العامة ونفس كتبها تشغل جزءا كبيرا من خطة الدراسة بما لايدع للتلميذ الوقت الكافى لحفظ القران الكريم وتجويد تلاوته . وتشير نتائج الامتحانات في السنوات السابقة الى قصور واضح في حفظ تلاميذ المعاهد الابتدائية الأزهرية للقرآن كما وكيفا . وهذا أمر بالغ الخطورة ولابد أن تبذل الجهود لتداركه .

٣ - هناك مايقرب من الاجماع - في ضوء التجربة الحالية - على ضرورة حفظ القران الكريم كله في المرحلة الابتدائية الأزهرية . وعلى أن ارجاء حفظ عشرة اجزاء منه الى المرحلة الاعدادية أمر غير عملى . وانه اذا لم يحفظ القران كله فى المرحلة الابتدائية فمن العسير أن يتأتى ذلك في مراحل لاحقة وخاصة اذا كانت هذه المراحل متخمة بخططها ومناهجها ومشكلاتها الخاصة .

وفي سبيل علاج هذه السلبيات وماترتب عليها من مشكلات لابد أن يعاد النظر في خطط المعاهد الابتدائية الأزهرية ومناهجها . وان تعدل هذه الخطة والمناهج بحيث تنال المقرارات الدينية والعربية - وعلى رأسها حفظ القران الكريم - حظها الكافى .

علما بان نصوص القانون ومذكرته التوضيحية لاتلزم واضعى السياسة التعليمية بالأزهر التزاما بالمطابقة بين الخطط والمناهج المتبعة في مدارس وزارة التربية والتعليم . وانما تستهدف - أساسا تزويد طلابه بقدر مشترك من المعرفه والخبره . لتتحقق لخريجيه وحدة فكرية ونفسية بينهم وبين أبناء الوطن وفي ضوء هذه الغاية يمكن أن تضمن المناهج في المرحلة الابتدائية الأزهرية قدرا مناسبا من الخبرات الاساسية التى تلائم مداركهم . وتربطهم ببيئتهم ومجتمعهم وتهيئتهم لدراسة المقررات الثقافية وفيما يلى ذلك من مراحل . كما تتضمن بعض الانشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية التى تشبع حاجات الاطفال في هذا السن . وبحيث لايطغى ذلك كله على المقررات الدينية والعربية والقرآن الكريم بل انه من الممكن ومن المستحب أن يكون هناك ارتباط - من خلال العملية التعليمية - بين علوم الدين وعلوم الدنيا .

هذا وقد سبق أن اتخذ المجلس توصيته في دورته الخامسة حينما ناقش موضوع تطوير السلم التعليمى في الأزهر تنص على :

« اعادة النظر في مناهج المواد الثقافية التى أدخلت على التعليم الأزهرى بغرض التخفيف عن الطلاب وضغط هذه المواد دون المساس بالجوهر » .

د : هيئات التدريس :

تبلغ جمله الفصول الدراسية بالمعاهد الابتدائية الأزهرية ٢٥٩٧ فصلا . يقوم

تقويم التعليم الابتدائى الأزهرى

بالتدريس فيها ٥٤٠٤ مدرساً من المعلمين ذوى المؤهلات المختلفة بالاضافة الى ٢٧٢٦ محفظا للقرآن الكريم . اى أن نصاب كل فصل دراسى من المعلمين هو ١ر١ ، وهو معدل فوق الكفاية اذ يفوق المعدل الذى بلغته المدارس الابتدائية من التعليم العام ٢ر١ . هذا بالاضافة الى محفظى القرآن الكريم الذين يبلغ معدلهم ثلاثة محفظين لكل أربعة فصول تقريبا .

أى أن هناك عجزا في المحفظين يبلغ ٨٧١ محفظا على أساس محفظ لكل فصل . هذا على مستوى الجمهورية . أما على مستوى كل محافظة على حدة فثمة تفاوت ملحوظ في انصبة الفصول من المعلمين . فبينما يبلغ عدد فصول محافظة القاهرة - مثلا - ٢٥٠ فصلا نجد أن عدد المعلمين فيها ٢٤٠ معلما ، اى أن النصاب أقل من الواحد الصحيح ، وكذلك يبلغ عدد المحفظين فيها ٨٧ أى أن هناك محفظا واحدا لكل ثلاثة فصول . على حين ان محافظة أسوان - مثلا - يبلغ عدد فصولها ٤٣ فصلا . ويبلغ عدد معلميها ١٣٢ معلما ، اى أن نصاب الفصل الواحد ثلاثة معلمين اما عدد محفظيها فاقل من النصاب اذ يبلغ المعدل اثنين من المحفظين لكل خمسة فصول . وهذا أمر يحتاج الى علاج .

نوعية المعلمين :

هذا من حيث الكم . أما من حيث نوعية المعلمين فهاهنا تبرز المشكلة . ذلك انهم خليط من المؤهلات تضم الحاصلين على المعلمين الأزهرية والعامة . والمدارس الثانوية الفنية (تجارية وصناعية وزراعية والثانوية والعامة وعددا من ذوى الصلاحية والخبرة والمحفظين انظر الملحق رقم ٤ ثم أن أغلبية المعلمين - وان كانت مؤهلة علميا - غير مؤهلة تربويا اذ أن المؤهلين تربويا فيهم - وهم خريجو المعلمين الأزهرية والمعلمين العامة يبلغ عددهم ١٧٥٥ معلما بنسبة ٣٢٪ . ومعنى هذا أن هناك ضرورة ملحة الى وضع خطة ذات شقين :

احداهما : عاجلة تقضى بعقد دورات تدريبية مكثفة لتدريب غير المؤهلين تربويا وعددهم ٣٦٥٠ معلما .

والأخرى على مدى سنوات وتقضى بالتوسع التدريجى في اعداد معلمى المرحلة الاولى المؤهلين علميا وتربويا اذ أن التدريس في هذه المرحلة بالذات يتطلب الماما متعمقا بطرق التدريس . وعلم نفس الطفولة وخصائص نمو الاطفال واساليب التعامل معهم .

مشاكل المحفظين :

أما المحفظون فان الشعبة كانت قد أعدت دراسة تعرضها على المجلس في الدورة الرابعة حول العناية بتحفيظ القرآن الكريم في معاهد الأزهر . وذكرت فيها :

حال المحفظين في المرحلة الابتدائية .

وضعف اقبالهم على هذه المهنة لاهمال شئونهم وضآلة مرتباتهم وانعدام للحوافز التى تشجعهم وتغريهم بالبقاء فى المعاهد والحرص عليها .

ثم أوصت برفع مرتبات الحفاظ الى المستوى اللائق الذى يكفل لهم حياة كريمة

ويشجع على الاقبال على هذه المهنة . كما أوصت بمراعاة حسن اختيارهم من أصحاب القدرة والكفاية .

٦) المباني :

ذكرنا من قبل أن عدد المعاهد الابتدائية الأزهرية يبلغ الآن نحو ستمائة معهد موزعة على معظم المحافظات . (انظر الملحق رقم ٥) . وأن معظمها كانت مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ضمت الى الأزهر وسميت (معاهد) وأن ما أنشىء بعد عملية ضم هذه المدارس كان يقوم أساسا على الجهود الذاتية . واذ كان الأمر كذلك فانه لا غرابة في أن تكون مبانيها مفتقرة الى المقومات الأساسية للمعاهد الدينية بما يليق بالغاية النبيلة التى يرجى أن تحققها .

وقد اعدت ادارة المعاهد تقريرا عن مباني المعاهد الابتدائية الأزهرية . وحالة كل مبنى منها . ويؤخذ من تحليل هذا التقرير :

ان هناك عشرة معاهد ليس لها مبنى .
و ١٣ معهدا تحتاج مبانيها الى استكمال .
و٩٢ معهدا تحتاج الى اصلاح .
و٢٩ معهدا غير صالحة وتحتاج الى احلال .

ويؤخذ من التقرير كذلك أن هناك ٣١ معهدا دورات المياه فيها غير صالحة .

وهناك دراسة أخرى تشير الى أن عددا كبيرا من مباني المعاهد غير صالح للغرض وأن كثيرا منها لم تمتد اليه يد الاصلاح منذ أكثر من عشرين عاما . وأن بعضها أماكن أثرية يحتاج اصلاحها الى اجراءات تطول اذا ووفق على اصلاحها والابقيت بعيوبها وسوء حالها .

ومجمل القول أنه ينبغى أن تجرى مسحا ميدانيا فاحصا لمباني هذه المعاهد في جميع المحافظات وتحديد مدى صلاحيتها ، ثم وضع خطة زمنية للاصلاح او الاحلال وهذا بالاضافة الى خطة لمباني المعاهد المستحدثة التى تحددها خطة التوسع المقترحة والتى يتم وضعها بالتنسيق مع وزارة التربية والتعليم .

٧) مركزية الادارة :

كانت وزارة التربية والتعليم في طليعة الوزارات التى أخذت بنظام اللامركزية وكان الهدف من انشاء هذه التقسيمات أن يتخفف ديوان الوزارة من أعبائه ومسئولياته التنفيذية حتى تتفرغ الوزارة بدورها للتخطيط ورسم السياسة العامة والمتابعة . وقد دعم نظام اللامركزية فى التعليم العام بعد ذلك استجابة للقوانين المنظمة للادارة المحلية والحكم المحلي والتى كان أخرها القرار الجمهورى رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٩ .
اما بالنسبة للمعاهد الأزهرية فقد ظلت أوضاع التعليم فيها تخضع للادارة المركزية .

وقد ظل الأمر كذلك حتى عام ١٩٧٥ حيث صدرت اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، وبناء عليها صدر القرار ١٦٨ لسنة ١٩٧٥ الذى نص على الادارات والأجهزة التى تشكل منها الادارة العامة للمعاهد الأزهرية ، وتلا ذلك انشاء مراقبات تعليمية (مناطق) في بعض المحافظات بلغت ثمان مناطق حتى عام ١٩٧٨ ، وزادت الى تسع عشرة اليوم .

تقويم التعليم الابتدائى الأزهرى

وتتولى كل منها الاشراف على المعاهد في محافظة أو أكثر، بهدف تغطية جميع المحافظات.

وكان الهدف المنشود من انشاء هذه المناطق طبقا لما جاء في تقرير اذاعته ادارة المعاهد في عام ١٩٧٨ هو القضاء على المركزية التى تعوق سير العمل، وازكاء التنافس بين القيادات المتعددة، وافساح مجال الترقية الادبية للعاملين، ومعالجة مشكلة تخلف المفتشين عن الحضور، وتلافى المعوقات التى تحول دون انطلاق ادارة المعاهد الأزهرية وقيامها بتبعاتها ومواجهة النمو السريع ومتطلباته.

ولكن بالرغم من قيام هذه المناطق التعليمية والازهرية فى المحافظات منذ سنوات فالواضح أنها لم تدعم بالامكانات البشرية والمادية الكافية، ولم تنقل اليها السلطات الكافية وآية ذلك أنه ـ حتى اليوم لا تزال الادارة المركزية بالقاهرة تتولى شئون الامتحانات العامة بمستوياتها المختلفة وكذلك التعيينات والترقيات والتنقلات، وانشاء المعاهد واقتصر الأمر ـ فى الأغلب الأعم على قيام أجهزة التفتيش بهذه المناطق والشئون المالية والادارية على المستوى المحلى.

وعلى هذا فان مشكلة مركزية الادارة لاتزال قائمة ولاتزال المعوقات التى استهدف التنظيم المقترح القضاء عليها قائمة، وقد سبق للمجلس القومى للتعليم حين ناقش موضوع (التعليم العام والازهرى فى ظل اللامركزية والحكم المحلى) فى دورته السادسة، أن اتخذ توصيته تنص على «المبادرة الى انشاء ادارة تعليمية ازهرية فى كل محافظة تباشر شئون التعليم فى المعاهد الأزهرية مع تزويد هذه الادارات بالكفاية الفنية والادارية المناسبة لحجم المعاهد الأزهرية فى كل محافظة».

كما أوصى باعداد دليل تفصيلى يوضح نظم التعليم لكل مرحلة تعليمية وكيفية أدائها ليكون مرجعا للجهات التنفيذية بالادارات المحلية، وضمانا لسلامة تنفيذ قوانين التعليم الأزهرية ونظمها.

والحق أنه اذا كانت لا مركزية تنفيذ الخطط لازمة بالنسبة للمعاهد عامة، فانها ألزم بالنسبة للمعاهد الابتدائية خاصة ولكنه لكى تؤدى الادارة المحلية دورها كاملا، فلابد أن تكون هناك خطة مركزية شاملة تتحرك فى نطاقها المحليات. والمرحلة الابتدائية فى أمس الحاجة الى مثل هذا التخطيط، وبخاصة أن الاجماع منعقد على ضرورة التوسع فيها، كما ذكرنا من قبل.

القسم الثالث

التوصيات:

فى ضوء المشكلات التى سقناها، والمناقشات التى أثيرت حولها ـ يمكن أن نقدم بعض المقترحات والتوصيات. علما بأن المجلس سبق أن اتخذ ـ فى أثناء مناقشته للتقارير التى عرضتها الشعبة فى الدورات السابقة توصيات تمس موضوع التعليم

الابتدائى الأزهرى . وتعالج بعض المشكلات التى أثيرت فى هذه الدراسة . وقد رأينا من الأوفق أن نؤكد على هذه التوصيات بعد مراجعتها . وبخاصة أنه قد مضى على صدور بعضها سنوات طويلة . ولاتزال الحاجة قائمة الى أن تجد حظها من التنفيذ .

أولا ـ فيما يتعلق بالتخطيط للمعاهد الابتدائية :

يؤكد المجلس على التوصيات السابقة الآتية :

١ ـ أن توضع خطة للتوسع فى التعليم الأزهرى بدءا من المرحلة الابتدائية وبالتنسيق مع خطة وزارة التربية والتعليم ، بحيث يبلغ القبول فى الصف الأول الابتدائى الأزهرى فى نهاية سنوات الخطة نسبة تسد الحاجة من خريجى الأزهر فى معاهده وكلياته .

٢ ـ أن تراعى عدالة التوزيع بالنسبة للتجمعات السكانية والتوزيع الجغرافى . وتكون الاولوية فى الأماكن المحرومة من الخدمة التعليمية ومدارس الفصل الواحد ، ومن التعليم الأزهرى .

٣ ـ دعم موازنة التعليم الأزهرى بما يمكنه من توفير الامكانات البشرية والمادية للخطة من حيث المبانى والتجهيزات واعداد المعلمين .

وتوصى الشعبة بما يلى :

١ ـ أن يكون التنسيق المشار اليه مع خطة وزارة التربية والتعليم على أساس انشاء معهد ابتدائى لكل تجمع سكانى يبلغ تعداده ١٥ ألف نسمة ، وقد سبق أن اتخذ توصية مشابهة فى دورته الخامسة .

٢ ـ الاستئناس برأى المحليات فى لتخطيط لقاعدة التعليم الأزهرى وفقا لاحتياجاتها ، ثم تقوم ادارة المعاهد الأزهرية المحلية بوضع الخطة العامة بما يلبى الاحتياجات المحلية ، وبما يساعد على تحقيق الاستيعاب فى المرحلة الأولى ، وبما يعنى نهائيا عن قبول طلاب فى المعاهد الاعدادية الأزهرية من غير معاهد الأزهر الابتدائيه .

٣ ـ الترحيب بالجهود الذاتية التى تقدم لانشاء المعاهد الابتدائية وتشجيعها ، على أن تقوم المناطق المحلية بدراستها والتأكد من انها تسد حاجة حقيقية .

٤ ـ تشجيع قيام مدرسة الفصل الواحد أو الفصلين الأزهرية ، لاستيعاب من فاتهم قطار التعليم ويرغبون فى التعليم الدينى بمحو أميتهم الدينية ، ويفقههم فى دينهم ، وهو نمط من التعليم فيه مرونة ، أو هو الكتاب القديم فى صورة معدلة ، اذ تجمع مناهجه بين الثقافة الدينية والقرآن الكريم والثقافة العامة ، دون ما قيد على السن فى الالتحاق به .

تقويم التعليم الابتدائى الأزهرى

ثانيا ـ فيما يتعلق بخطة الدراسة ومناهجها :

يؤكد المجلس على التوصيات السابقة الآتية :

١ ـ اعادة النظر فى المواد الثقافية التى أدخلت على التعليم الأزهرى (ويهمنا هنا مناهج المرحلة الابتدائية) بغرض التخفيف عن الطلاب ، وضغط هذه المواد ، دون المساس بالجوهر » (الدورة الخامسة) .

وقد تكرر نفس المعنى فى توصية أخرى للمجلس تنص على :

« اعادة النظر فى مناهج المواد الثقافية التى تدرس بالمعاهد الأزهرية وتشكل ازدواجا فى المناهج العلمية بها ، اذ لا يشترط تطبيقها تماما بالقدر الذى تدرس به بمدارس التعليم العام ، وانما يؤخذ فيها بالقدر المناسب بما لا يؤثر سلبيا على المواد الأزهرية ..... الخ » (الدورة التاسعة) .

٢ ـ اباحة قبول الطلاب بالمعاهد الابتدائية الأزهرية من سن الخامسة ، وبذلك تتوفر للتلاميذ فسحة من الوقت لحفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة (الدورة الخامسة) .

وتوصى الشعبة بما يلى :

١ ـ ضرورة حفظ القرآن الكريم كله فى المرحلة الابتدائية الأزهرية وعقد امتحان فيه فى نهاية المرحلة ، بحيث لا يقبل فى المرحلة الاعدادية الا من اجتازه بنجاح .

وقد يكون من عوامل تيسير تنفيذ هذه التوصية الأخذ بما سبق أن أوصى به المجلس فى دورته الخامسة من أن تكون مدة العام الدراسى فى المعاهد الابتدائية الأزهرية أربعين أسبوعا ، لكى يتسع الوقت لتجويد القرآن الكريم ومتابعة استظهاره .

٢ ـ أن تضمن مناهج المرحلة الابتدائية الأزهرية بالاضافة الى محتواها الأساسى من القرآن الكريم والمقررات الدينية ـ قدرا مناسبا من الخبرات الأساسية التى تلائم مدارك تلاميذها ، وتربطهم ببيئتهم ومجتمعهم ، وتهيئتهم لدراسة المقررات الثقافية فيما يلى ذلك من مراحل كما تتضمن بعض الأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية التى تشبع حاجات الأطفال فى هذه السن .

٣ ـ أن يكون هناك ارتباط ـ من خلال العملية التعليمية بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، وأن تستخدم فى تدريس المقررين كليهما الأساليب التربوية الحديثة وأن تكون التطبيقات العملية مكملة ومعززة للجوانب النظرية .

ويؤيد هذه الاتجاهات ما سبق أن أوصى به المجلس فى دورته التاسعة من أن يكون مدخل التعليم وأسلوبه فى المعاهد الأزهرية منبثقا من البيئة التى يعيش فيها الطالب بحيث تنمو مناهج هذه الدراسة وموادها وكتبها من علاقتها العضوية بالبيئة ومشكلات الحياة ـ وأن يتدرج فى الأخذ بالوسائل العملية المعمول بها فى التعليم الأساسى .

ثالثا ـ فيما يتعلق بهيئات التدريس : توصى الشعبة بما يلى :

١ ـ العمل على تحقيق الاكتفاء الذاتى فى كل منطقة بمن تعدهم من المعلمين والمحفظين بالمعاهد الابتدائية الأزهرية بما يقضى على التفاوت القائم حاليا فى نصاب كل فصل من عدد المدرسين . والى أن يتحقق هذا الاكتفاء الذاتى يوصى بما يلى :

(أ) أن تراعى عند توزيع المعينين الجدد من المعلمين والمحفظين الاحتياجات الفعلية لكل منطقة كما ونوعا .

(ب) الاستعانة بخريجى دور المعلمين بوزارة التربية والتعليم بما يسد حاجة المناطق المحتاجة .

٢ ـ نظرا لتعدد نوعيات المعلمين الذين يقومون بالتدريس فى هذه المعاهد ، والكثرة الكاثرة منهم من غير المؤهلين تربويا ، ونظرا الى أن التدريس فى هذه المرحلة بالذات يتطلب الماما متعمقا بطرق التدريس وعلم نفس الطفولة وأساليب العمل مع الاطفال ـ يوصى بوضع خطتين .

الاولى ـ عاجلة ، بعقد دورات تدريبية مكثفة للتأهيل العلمى والمهنى ، بالاضافة الى دورات تجديدية للمؤهلين منهم ، تربطهم بأساليب التربية الحديثة .

والاخرى على مدى سنوات وتستهدف التوسع التدريجى فى اعداد معلمى المرحلة الاولى المؤهلين علميا وتربويا ، مع مراعاة متطلبات خطة التوسع فى المعاهد الابتدائية الازهرية التى سبق اقتراحها .

٣ ـ العناية بمحفظى القرآن الكريم من حيث طريقة اختيارهم ومرتباتهم وحوافزهم ، ويوصى باعداد المحفظين فى المستقبل عن طريق دراسات خاصة تبصرهم بالاساليب المجدية فى تحفيظ القرآن الكريم ، وأساليب التعامل مع الأطفال وترغيبهم فى الحفظ والمتابعة .

رابعا ـ فيما يتعلق بالمبانى :

١ ـ نظرا للحالة السيئة لمعظم مبانى المعاهد الابتدائية الأزهرية ، وهى مبان ورثها الازهر بعلاتها ، وأضيفت اليها مبان بالجهود الذاتية معظمها لا يرقى الى المستوى اللائق ـ فان الشعبة توصى بـ :

١ ـ قيام لجنة من المتخصصين بمعاينة مبانى جميع المعاهد الابتدائية ـ وعددها نحو ستمائة معهد ـ ودراسة حالة كل مبنى على حدة ، ثم وضع خطة لاصلاح وترميم الصالح منها ، وأخرى للاحلال فى حالة المبانى غير الصالحة وتقدير التكلفة اللازمة وتوزيعها على سنوات الخطة .

٢ ـ وضع خطة للمنشآت الجديدة طبقا لخطة التوسع المقترحة فيما سبق ، والتى تتم بالتنسيق مع وزارة التربية والتعليم ، والتى لن تكلف الدولة أعباء مالية جديدة باعتبار انها فى نطاق خطة استيعاب الملزمين التى تتضمنها خطط التنمية الشاملة .

تقويم التعليم الابتدائى الأزهرى

خامسا ـ فيما يتعلق بلا مركزية الادارة :

توصى الشعبة بما يلى :

١ ـ استكمال الادارات التعليمية بحيث تغطى جميع مناطق الجمهورية مع تزويدها ـ كما أوصى المجلس من قبل ـ بالكفايات الفنية والادارية المناسبة لحجم المعاهد الأزهرية فى المحافظة ، ودعم هيئات التفتيش فى كل ادارة .

٢ ـ نقل المسئوليات اللازمة الى الادارات التعليمية المحلية فيما يتعلق بتعيين معلمى ومحفظى المعاهد الابتدائية ونقلهم داخل المحافظة وترقيتهم حتى مستوى معين ، وكذلك فيما يتعلق بامتحان نهاية المرحلة الابتدائية ، وانشاء المعاهد فى نطاق الخطة المركزية .

٣ ـ انشاء أقسام للتدريب فى هذه الادارات ، وتزويدها بالكفايات القادرة على تدريب العاملين بالمعاهد الابتدائية للتأهيل والتجديد ، على أن يتم تدريب هذه القيادات مركزيا تحت اشراف الادارة العامة للتدريب .

٤ ـ التأكيد على ما سبق أن أوصى به المجلس فى دورته السادسة باعداد دليل تفصيلى يوضح نظم التعليم لكل مرحلة تعليمية ، وأساليب الأداء فيها ، لتكون مرجعا للجهات التنفيذية بالادارات المحلية ، وضمانا لسلامة تنفيذ قوانين التعليم ونظمه بالأزهر .



سادسا ـ توصية أخيرة :

المسارعة بتنفيذ ما سبق أن اقترحته ادارة المعاهد فى عام ١٩٧٠ بشأن سيناء ، ونشر التعليم الدينى الأزهرى ودعمه فى ربوعها ، ويوصى بالبدء بانشاء معهد ابتدائى فى كل من سيناء الشمالية والجنوبية ووضع خطة لامتداد التعليم الأزهرى فيها .

شعبة التعليم الأزهرى

التخطيط المعمارى للمعاهد الأزهرية

للمهندس / ابراهيم حسن الصادى
مدير عام الشئون الهندسية بالأزهر

لما كانت الادارة الهندسية بالأزهر الشريف طرفا فى الموضوع ، وأبدى البعض تذمرا واضحا حيال عملها ، ورآها ـ من وجهة نظره ـ معوقا يضاف الى المعوقات الأخرى كان لابد من فسح المجال أمام الادارة الهندسية لتبدى أمرها الذى يقدمه هنا السيد مديرها العام .

ولسنا الا محايدين أمام وجهة نظره ، وأمام الرأى الآخر الذى يعتبره عامل قصور . يقول السيد المدير العام للشئون الهندسية بالأزهر :

لما كانت المدرسة (المعهد الدينى) تعتبر مؤسسة للارشاد والتعليم وخدمة البيئة فكان على المهندس المعمارى المصمم أن يتعاون مع الهيئات المختلفة فى البحوث والدراسات اللازمة من الوجهة التربوية والصحية ، ولذلك تم عمل البحوث اللازمة مع الجهات المختلفة مثل معهد بحوث مواد البناء ، وادارة البحوث بوزارة الاسكان ، وقسم البحوث بوزارة التربية والتعليم ، وبحوث مؤسسة الأبنية التعليمية (المكتب العربى) .

وقد كان لنا شرف الاشتراك فى هذه البحوث فى عدة جهات مثل ادارة البحوث بوزارة الاسكان ، وبحوث وزارة التربية والتعليم ، وبحوث مؤسسة الأبنية التعليمية .

وتأسيسا على ذلك فقد تم عمل تصميماتنا بالادارة الهندسية بالأزهر على أساس البحوث المختلفة والنظريات المعمارية السليمة وذلك عند انشاء الادارة الهندسية بالازهر ..

ولما كانت هذه البحوث تعتبر أن الوحدة

الأساسية للمدرسة هى الفصل فقد حددت له شروطا يجب توافرها فيه ومن هذه الشروط :

١ ـ أن تكون الاضاءة الطبيعية على يسار الطالب ..

٢ ـ أن يكون ارتفاع جلسات الشبابيك أعلى من منسوب نظر التلاميذ وهم جلوس ، أى فى حدود ارتفاع ١,١٠ م .

٣ ـ أن تكون التهوية مستمرة ..

٤ ـ أن يكون ارتفاع الفصل نصف عرضه ولا يقل عن ٣,٢٠ م ..

٥ ـ يخص الطالب الواحد فى الفصل ١,٢ متر مسطح ..

٦ ـ أن تكون نسبة أبعاد الفصل مستطيلة ويميل الى المربع ولا يزيد عرضه عن ٦ م .

٧ ـ أن يكون باب الفصل من الأمام بجانب المدرس فضلا عن عمل اللازم لتقابل الفتحات فى الفصل لوضوح الصورة ودرجة الابصار مع منع دخول الشمس الى الفصل حتى لا تنعكس على بصر الطالب الدارس به .

ونتيجة ذلك واقتصادا فى النفقات اتفق على توجيه الفصول من وجه الشبابيك الرئيسية على الجهة البحرية خالصة اذ أنها (الجهة الأكثر كمية فى الضوء الطبيعى) فضلا عن عدم دخول الشمس وانعكاسها على نظر الدارس ، مع توفير عمل شمسية للشبابيك أو كاسرا لأشعة الشمس من الخشب أو الخرسانة أو خلافه ..

لذلك أخذ فى الحسبان أن تكون ـ فى الجهة المقابلة للجهة البحرية ـ الطرقة التى توزع على هذه الفصول وهى فى حدود عرض ٢ متر ولوجودها فى هذه الجهة منفعة أخرى هى كسر أشعة الشمس بعيدا عن الفصول وتعتبر جميع مرافق المدرسة عبارة عن خدمات لهذه الفصول مثل حجرات الادارة ، وحجرة شيخ المعهد والمخازن والمصلى والسلالم وهى تأتى فى المرحلة الثانية .

الا أن أهم مبانى هذه المرحلة هى دورة المياه وقد أعطتها الأبحاث دراسات خاصة بحيث يتم تنفيذ مكوناتها كالآتى :

المائة الأولى من التلاميذ :

مراحيض		مباول	
بنين	بنات	بنين	بنات
٦	٨		٦

حنفيات شرب		أحواض غسيل	
بنين	بنات	بنين	بنات
٦	٦	٦	٦

على أن تزاد فى المائة الثانية نصف العدد والمائة الثالثة ربع العدد وهكذا حتى نصل الى الفئة الخامسة . مما تقدم تم عمل حسابات ومساحات الفصول والطرقات كما خصص لكل طالب حوالى ٢ متر فى الفناء ..

ولذلك عملت نماذج نمطية مدروسة بالأزهر وتبين منها :

١ ـ أن المعهد الابتدائى ينبغى ألا تقل مساحة الأرض التى يقع بها عن ٥٠ × ٣٠ م على ثلاثة أدوار ويتكون من ١٨ فصلا ويمكن أن يتطور الابتدائى الى الاعدادى ..

وأما فى المرحلة الثانوية فلا تقل المساحة على ٥٠ × ٦٠ م ويمكن أن يحتوى

وقد روعى فى تصميم هذه النماذج أن تكون على شكل حرف ( ) حتى تشكل بينها مساحة الفناء اللازم لنشاط الطلبة .

ومن الطبيعى أن يحاط المبنى بأسوار لا تقل بعدها عن الفتحات بأقل من ٢ م لاثبات الملكية وحماية المبنى من التعدى وتيسيرا لنظام العمل ، وخاصة ، بالجهود الذاتية فقد اتبعت الادارة أسلوبا أعلن لجميع المتعاملين مع الأزهر وهو أن يقدم المواطنون الطلب بتخصيص الأرض الفضاء التى لا تقل عن المساحات السابق الاشارة اليها على أن يتبرع بها وتخصص للأزهر تخصيصا قانونيا ثم يسلم مقدم الطلب الرسومات المعمارية والانشائية الى المسئولين بالأزهر بعد اقرار صحة الموقع ومناسبته بعد المعاينة من قبل الادارة الهندسية بالأزهر على أن يبدأ هذا الأمر بالجهود الذاتية ويعاون الأزهر فيه معاونة رمزية أو طبقا لطاقة ميزانيته ويتم متابعته فنيا بمعرفة مهندسيه حتى يسلم المعهد للأزهر ويصدر قرار بضمه .

وهذه نبذة موجزة جدا لما تتبعه الادارة نعلنها للجهات المختلفة .

هذا وبالله التوفيق ....

مهندس / ابراهيم حسن الصادى
مدير عام الشئون الهندسية بالأزهر



على ١٨ فصلا بخلاف الادارة والمعامل ودورات المياه وما شابه ذلك .

خطوات تم تنفيذها

فى مقابلة مع فضيلة الشيخ موسى شريف المدير العام لادارة شئون القرآن الكريم بالأزهر علمنا منه أن خطا تم تنفيذها فعلا :

● فقد أمر فضيلة الامام الاكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر باتخاذ اجراءات صرف اعانة المكاتب والمحفظين على وجه السرعة مع المستحقات السابقة . كذلك أمر فضيلته بصرف اعانة التلاميذ وجوائزهم وحوافز المحفظين ..

بلغ مجموع المبالغ التى خصصت لهذا الباب مليون ومائة وعشرين ألف جنيه تم ارسالها بتاريخ ٢٥ من جمادى الاخرة ١٤٠٣ هـ الموافق ٩ / ٤ / ١٩٨٣ م .

● كانت اعانة المحفظين والمكاتب ، وجوائز الطلاب ، وحوافز المحفظين تحرر فى القاهرة وتعتمد بها وترسل الى المناطق . فتصرف اعانة المحفظين كل ستة أشهر ، وتصرف جوائز الطلاب وحوافز المحفظين واعانة المكتب كل سنة . وترتب على ذلك عيوب ومشقات فاستطاعت ادارة شئون القرآن الكريم ، بفضل من الله، أن تحظى بقرارات من الامام الأكبر بتوزيع الميزانية على بنودها .

وبقرار من فضيلة الدكتور وكيل الأزهر بصرفها شهريا من المناطق التعليمية الأزهرية ..

وبقرار من فضيلة رئيس الادارة المركزية للمعاهد الأزهرية بالقواعد والضوابط التى يتم على ضوئها ـ صرف الاعتمادات على بنودها المخصصة لها ..

● تم ـ فعلا بعونه تعالى ـ رفع الحوافز من جنيه واحد للمحفظ عن تحفيظه جزء ا من القرآن العزيز للطالب ـ الى ثلاثة جنيهات ومائة وخمسين مليما ، تصرف للمحفظ مكررة بعدد الطلاب الذين حفظوا الجزء ..

● تم اعتبار « المكتب صالحا » اذا كان عدد تلاميذه المستمرين به المنتظمين له خمسة عشر طالبا فأكثر .. وعشرة فأكثر بالنسبة للبلاد النائية مثل محافظات أسوان ـ البحر الأحمر ـ قنا .. الخ ..

● تمت حركة ترقيات الى مفتشين أوائل .. ومفتشين بادارة شئون القرآن ، وهذه الترقيات تخفف المعاناة شيئا ما الى أن يتم سد العجز كاملا ..

● يجرى العمل ـ لايجاد جهاز ادارى ـ لمتابعة المكاتب الأهلية العاملة فعلا وسيناط به :

حصر الطلاب والمحفظين بالمحافظة ، وحصر المكاتب العاملة فعلا . والنظر فى أمر الجديد منها ؛

اعداد سجلات دقيقة لتقديم المعلومات عن كل مكتب ومحفظيه وطلبته .

مع مجلس الشعب

المشاكل التي تتعلق بتحفيظ القرآن الكريم بجمهورية مصر العربية

للدكتور معتز المرزوقى عضو مجلس الشعب

المشكلة الأولى .. وهى مشكلة نقص المحفظين واحتمال أنقراضهم فى سنوات قليلة . لقد كانت مصر أغنى الدول العربية بمحفظى القرآن الكريم بل انها كانت تحتل مكان الصدارة والزيادة وكان المسلمون يأتون الينا من كل فج عميق ليحفظوا القرآن ويدرسوا علوم القرآن وينهلوا من مناهل الأزهر الشريف . وكانت هناك دوافع أهمها الحالة الاجتماعية والاقتصادية ومن قبل ذلك ومن بعده الايمان الذى كان عميقا فى النفوس من أجل ذلك كله . كان هناك الاف مؤلفة من حفظة القرآن الكريم الذين كانوا يجدون وسائل العيش والسعى للرزق دون الحاجة الى السؤال . وكان العلم الدينى وحفظ القرآن هو العلم الأساسى فى مصر .

ومن أهم أسباب نقص المحفظين ما يأتى :-

١ ـ لا توجد اى خطة أو حتى شبه خطة لتخريج محفظين للقرآن الكريم لا فى الأزهر ولا فى التربية والتعليم ولا فى الأوقاف . وأنما كل المحفظين الموجودين حاليا حفظوا القرآن فى « الكتاتيب » الامر الذى يقتضى وضع خطة واضحة لتخريج محفظين يحفظون القرآن ويجودونه ويفهمون معانيه من خلال معاهد قرآنية رسمية

٢ ـ تغيير نظام التعليم فى مصر .. هذا النظام الذى أدى الى أن توجه كل الأبناء الى التعليم العام الالزامى أملا فى الحصول على الشهادات المطلوبة للسعى وراء لقمة العيش .. فنضبت الكتاتيب وأصبحت لا تجد لها الآن موردا من الأبناء الا فى سن مبكرة قبل الالزام . وبعض الحالات القليلة التى ترغب فيها الأبناء فى القرآن فى الاجازات المدرسية فقط . والنتيجة أن الطفل يحفظ

المشاكل التى تتعلق بتحفيظ القرآن

جزءا أو .. جزءين أو أكثر أو أقل فى هذه الكتاتيب ونادرا ما يستمر الأطفال فى حفظ القرآن الكريم كله . حيث ينتظمون فى دراسة التاريخ والجغرافيا واللغات الأجنبية والعلوم العامة التى تؤدى فى النهاية الى الشهادات التى هى مصدر لقمة العيش ..

ولذلك يجب أن يدخل القرآن الكريم كمنهج أساسى فى التعليم العام ملزما بطريقة أو بأخرى من حفظه ورعايته .

٣ ـ كانت هناك حوافز واغراءات قوية تدفع الأبناء لحفظ القرآن الكريم . وأهم هذه الاغراءات هى الأعفاء من الخدمة العسكرية وشروط القبول بمعاهد المعلمين والمعاهد الأزهرية التى كانت توجب حفظ القرآن الكريم كله كشرط للقبول بها .

وكل هذا تغير تغيرا كبيرا وانتهى الالزام بتحفيظ القرآن بهذه المعانى

٤ ـ كان بعض المواطنين كرام النفوس يحترمون محفظى القرآن الكريم وكنا نرى كل الدور تستقبل المحفظين كل صباح . وكان بعض المواطنين يقيمون أمسيات رمضان فى تلاوة القرآن الكريم . وكان هناك قوم كرام يهبون أبناءهم للقرآن الكريم

المشكلة الثانية : هى مشكلة تنظيم التعليم الأزهرى فى مصر الذى صار هرما مقلوبا لا تستقيم له روافد حاليا ..

والعلاج لهذا كله يجب أن يكون على النحو التالى ..

١ ـ فتح مكاتب أزهرية قرآنية فى كل القرى والأحياء تلحق بالمساجد أو بأى مكان يصلح للتدريس دون الالتزام بالأصنام الهندسية التى تصر عليها الادارة الهندسية فى الأزهر الشريف وترفض اعتمادها فى الوقت الذى تفتح فيه وزارة التعليم المدارس الخاصة والمدارس ذات الفصل الواحد حلا لازمتها . فأنه يوجد آلاف المكاتب والكتاتيب الخاصة فى « أحواش » البيوت وفى « الدواوير » وفى المساجد تقوم برسالتها خير قيام .

٢ ـ تكون مدة الدراسة فى هذه الفصول ست سنوات لتحل محل التعليم الابتدائى ويعطى فيها الأولاد علاوة على تحفيظ القرآن الكريم كله المبادىء الأساسية للحساب واللغة العربية والعلوم الدينية .

٣ ـ يعفى الأولاد من شرط السن فى القبول ويقبلون من سن أربع سنوات . وهذا أول حافز خصوصا أن الثانوية الأزهرية أربع سنوات وليست ثلاث سنوات فقط .. وانى لا أرى داعيا لتأجيل هذه السن على الاطلاق فان العلم الحديث أثبت أن الطفل يستطيع أن يحفظ حفظا تاما كاملا من سن أربع سنوات وأن ذاكرته وحشية تمتص كل ما يلقى اليها من ألفاظ كما أنه يستطيع فى

قال تعالى

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون

سن السادسة أن ينتظم فى العلوم التى تحتاج الى تفكير مثل علوم الحساب انتظاما معتادا ذلك اذا كان تكو ‚ هذا الطفل وصحته سليمة .

٤ ـ وثمة حافز آخر ينبغى أن يتقدم حافز السن هو وضع مكافأة شهرية لا تقل عن خمسة جنيهات للتلميذ ذلك بخلاف المبرات والمكافآت المتواصلة عند الامتياز وتزداد هذه المكافأة ازديادا مطردا بانتقال الطفل الى سنة أعلى وحفظ أشمل كما يسمح

للأطفال أن يلتحقوا بسنوات أعلى اذا هم نجحوا في حفظ المناهج المطلوبة لهذه السنوات .. وبعد أن يمتحنوا امتحانات تثبت حقهم فى هذا الترقى دون التقيد بالسن .

٥ ـ يعطى محفظو القرآن الكريم فى هذه الفصول وفى غيرها أنى كانوا مكافآت تليق بما يقومون به من عمل جليل وتتناسب مع

مستوى المعيشة فى ظل الظروف الراهنة وخصوصا أن هناك ملايين الجنيهات موقوفة

على القرآن دون أن تصرف فى وجهها الصحيح ..

عند نهاية هذه المرحلة من التعليم يوجه الأطفال الى المعاهد الاعدادية الأزهرية أو يستمرون فى تجويد القرآن الكريم ليعملوا محفظين للقرآن فى اى مكان أو يلتحقوا بمعاهد القراءات ليصيروا أساتذة فى مادتهم .

٦ ـ تنظيم المناطق الأزهرية تنظيما اداريا سليما لا يترك فجوة بين القرارات المركزية والادارية بالمحافظات . وفى ذلك علاج حاسم يليق بمكانة الأزهر وسمعة الأزهر الشريف .

د. معتز المرزوقى

إقتراح بمشروع قانون

بتحفيظ القرآن وتجويده وتفهم معانيه

باسم الشعب ..

رئيس الجمهورية

قرر مجلس الشعب القانون الآتى نصه وقد أصدرناه :ـ

« المادة الأولى »

تشكل لجنة عليا لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده وتفهم معانيه من السادة :ـ

(١) فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر رئيسا

(٢) وزير الأوقاف مقرر اللجنة

(٣) وزير التربية والتعليم

(٤) وزير الحكم المحلى

(٥) وزير الشباب

(٦) وزيرة الشئون الاجتماعية

أعضاء

ويكون المقرر مسئولا أمام الأجهزة الشعبية عن نشاط اللجنة وللجنة حق الاستعانة بمن تراه صالحا لتنفيذ المشروع وتحقيق أهدافه ..

« المادة الثانية »

تلتزم اللجنة بأحكام اللائحة التنفيذية المرفقة بهذا القانون ..

« المادة الثالثة »

يشكل لكل محافظة لجنة فرعية لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده يرأسها محافظ الاقليم ، ويكون مدير الأوقاف مقررا لها ، ويكون مديرو المناطق الأزهرية والتربية والتعليم والشباب والشئون الاجتماعية أعضاء لهذه اللجنة ، وللجنة حق الاستعانة بمن تراه صالحا لاستكمال نشاطها .

« المادة الرابعة »

تنشىء اللجنة العليا دورا لتحفيظ القرآن الكريم ، ومعاهد تربوية قرآنية بالمراكز الاسلامية والمراكز الثقافية في الخارج ، ويلحق بها أبناء المبعوثين والجاليات الاسلامية ، ومن يرغب في حفظ القرآن الكريم .

« المادة الخامسة »

تلتزم اللجان الفرعية بالمحافظات بانشاء دور لتحفيظ القرآن الكريم والتعليم الدينى بعواصم المحافظات والمراكز الادارية ، وعواصم المجالس القروية وصولا الى القرى والنجوع ، وتسير الدراسة فيها طبقا لبرنامج تعليمى خاص تحدده اللائحة التنفيذية لهذا

للأستاذ محمود نافع عضو مجلس الشعب

القانون ويكون العمل فيها على النحو التالى .

١ - يمكن انشاء هذه الدور في الحجرات الملحقة بالمساجد ومكاتب تحفيظ القرآن الأهلية . والحجرات المخصصة لذلك . وكل مكان يمكن أن يكون صالحا للدراسة فيه .

٢ - تكون مدة الدراسة في هذه الدور ست سنوات . ومن يستطيع أن يحفظ مقرر صف أكبر فله الحق في أن يلحق بالصف الأعلى بعد اجتيازه للامتحان الذي يعقد لذلك .

٣ - يمكن ضم المكاتب الأهلية لهذا المشروع اذا التزم أصحابها بالخطة والمنهج وكان في استطاعتهم تنفيذ الخطة الدراسية وفي هذه الحالة يسرى عليهم ما يسرى على الدور التي تنشئها اللجنة

- يقبل التلاميذ بهذه الدور من سن أربع سنوات الى عشر . ويمكن التجاوز عن ثلاثة شهور بموافقة رئيس اللجنة .

٥ - من كان سنه اكبر من اربع سنوات ويرغب في الالتحاق بصف أعلى من الصف الأول . يجرى اختبار له فاذا نجح ألحق بالصف المناسب لمستواه العلمى .

٦ - ينتقل الناجحون في نهاية السنة السادسة الى السنة الأولى الاعدادية الازهرية دون امتحان آخر للقبول . ولهم أن يستمروا في تجويد القرآن الكريم ليكونوا محفظين للقرآن الكريم بعد نجاحهم في مسابقة المحفظين أو يلحقوا بمعاهد القراءات .

٧ - تضع اللجنة العليا حوافز شهرية لجميع التلاميذ علاوة على حوافز أخرى للممتازين . وتزداد الحوافز في السنوات الاعلى . كما تقدم اللجنة اعانات اجتماعية لمن تراه من التلاميذ علاوة على حوافز أخرى للمحفظين حسب ما تراه اللجنة لتنشيط الاقبال على هذه الدور .

« المادة السادسة »

للجنة العليا حق ادخال الاقتراحات المناسبة اذا اقتضت مصلحة العمل ذلك ..

« المادة السابعة »

تكون موارد اللجنة على النحو التالى :-

١ - ما يخصصه الأزهر الشريف لهذا الغرض من ميزانيته.

٢ - أموال الواقفين المخصصة لهذا الغرض .

٣ - التبرعات والهبات التلقائية .

٤ - ١٠٪ من مجموع ايرادات لجان الزكاة ببنك ناصر الاجتماعى .

٥ - ١٠٪ مما تخصصه البنوك الاسلامية لأموال الزكاة يحصلها البنك المركزى لحساب اللجنة العليا دون أرباح تحصيل .

٦ - ١٥٪ من ايراد صندوق الخدمات للمحافظة للجان المحلية .

٧ - ١٥٪ من مجموع التبرعات التى تحصل بتصريح من وزارة الشئون الاجتماعية على كل المستويات من الجمعيات الخيرية .

٨ - ٥٪ من حصيلة صندوق النذور .

« المادة الثامنة »

ينشر هذا القانون بالجريدة الرسمية ويعمل به من اليوم التالى لتاريخ نشره ...

اقتراح بمشروع قانون

مقدم من السيد العضو الدكتور معتز المرزوقي

لمحفظي القرآن الكريم

باسم الشعب

رئيس الجمهورية

قرر مجلس الشعب القانون الآتي وقد أصدرناه :

المادة الأولى

يعتبر محفظا للقرآن الكريم كل من يحفظ القرآن الكريم كله ويجوده تجويدا سليما صحيحا باحدى الروايات المعتمدة ، ويقوم بمسئوليته بتحفيظ القرآن الكريم بالحكومة أو بأية هيئة أو جمعية رسمية أو يقوم بنشاط فردى خاص للتحفيظ بصفة منتظمة .

المادة الثانية

تقوم مديريات الأوقاف بكل محافظة بعمل سجلات خاصة للمحفظين بطريقة منتظمة يدون بها بيان أنشطتهم وما يثبت هذه الأنشطة ، وعمل تفتيش دورى على هؤلاء المحفظين فى أنشطتهم الخاصة ضمانا لاستمرارهم فى أداء واجبهم المقدس ورعاية لحقوقهم .

المادة الثالثة

يعفى محفظو القرآن الكريم من شرط السن والكشف الطبى سواء لدخول الخدمة أو لنهايتها مادامت لديهم القدرة على مواصلة العمل دون تقيدهم بسن الاحالة الى المعاش .

المادة الرابعة

تلتزم مديريات الأوقاف بالمحافظات بعمل امتحانات دورية كل سنة يعلن عن مواعيدها المحددة لمن يتقدم لوظيفة محفظ للقرآن الكريم سواء بالحكومة أو القطاع الخاص ومن ينجح منهم يعطى شهادة معتمدة من الأزهر الشريف ، وتعتبر هذه الشهادة مؤهلا رسميا من المؤهلات المتوسطة ويعين فى الحكومة فى الدرجة المالية المناسبة لهذا المؤهل ، ويعطى مكافأة وعلاوات دورية فى القطاع الخاص مساوية لزملائه فى الحكومة ، وتلتزم الدولة بتعيين من يرغب من الناجحين فى هذه الامتحانات فورا فى دور التعليم المختلفة ..

المادة الخامسة

يجب تعيين محفظى القرآن الكريم في محافظاتهم وفي أقرب مكان لمحل اقامتهم .

المادة السادسة

يمنح كل من يقوم بتحفيظ القرآن الكريم في أى موقع من المواقع سواء بالحكومة أو بالهيئات أو الجمعيات الرسمية أو بصفة شخصية (مكتبه) مكافأة شهرية مقدارها خمسون جنيها مصريا من ربع

الأوقاف . علاوة على رواتبهم أو مكافآتهم الأصلية . وتصرف هذه المكافآت فورا حسب النظم المالية المتبعة .

المادة السابعة

يمنح محفظو القرآن الكريم (بطاقات اثبات شخصية) معتمدة من مديريات الأوقاف . وبموجب هذه البطاقات يعفى جميع أجور المواصلات العامة الحكومية أو شركات القطاع العام .

المادة الثامنة

يعفى محفظو القرآن الكريم من الخدمة العسكرية اعفاء مؤقتا ما داموا يقومون بأداء هذه الواجب فى تحفيظ القرآن الكريم . ويمكن تكليفهم كمحفظين للقرآن الكريم بالقوات المسلحة . مع مراعاة حقوقهم المالية المنصوص عليها فى هذا القانون ..

المادة التاسعة

يحق لأى موظف بالدولة أو بالقطاع العام أثناء الخدمة أو بعد احالته للتقاعد ان يجمع بين المرتب أو المعاش الحكومى ومكافأة التحفيظ المنصوص عليها في المادة السادسة اذا استوفى شروط التحفيظ الواردة فى المادة الأولى .

المادة العاشرة

ينشر هذا القانون بالجريدة الرسمية ويعمل به من اليوم التالى لتاريخ نشره .

المذكرة الايضاحية

لا شك أننا نتحمل المسئولية جميعا حكومة وشعبا . ونحن نتحمل مسئولية خاصة كممثلين للشعب . بل هى مسئولية كل مسلم ان يراعى تحفيظ القرآن الكريم الرعاية الواجبة ونحن بذلك لاندعى اننا نحافظ على القرآن الكريم . فالقرآن كتاب الله الذى تكفل صاحبه بحفظه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

ولكننا نخشى أن نطرد من رحمة الله جميعا اذا نحن قصرنا أو أهملنا فى حق كتاب الله علينا ونحن أحوج مانكون لرحمة الله بنا .

ولقد كانت مصر ولازالت حتى عهد قريب قائدة رائدة وزعيمة للعالم الاسلامى والعالم العربى . ولم تكن هذه القيادة والزعامة خوفا من مصر ولا من جيش مصر ولا من قوة مصر وانما كانت دائما تقديرا لعلماء مصر الأفاضل الذين رفعوا راية حفظ القرآن وتحفيظه وبفضل أزهر مصر انتشر النور والعلم الاسلامى الصحيح السليم في مشارق الأرض ومغاربها .

ولقد وصلت حالة محفظى القرآن الكريم من ناحية العدد والندرة حتى أنه يوجد قرى كثيرة تخلو تماما من محفظى القرآن الكريم بعد أن رحل معظم المحفظين الى رحمة الله . ولا يخفى علينا جميعا أنه لا يوجد بديل بعد هذا الانقراض الخطير لمحفظى القرآن الكريم بعد أن أصبح الناس لايجدون ما كان يفعل الاباء وبعد أن توجه الاطفال للتعليم الخاص .

ولا يوجد معهد واحد ولامدرسة واحدة في جمهورية مصر العربية الاسلامية كلها يقوم بتخريج محفظين للقرآن الكريم . لافى الأزهر ولافي التعليم ولاحتى معهدا تابعا لوزارة الأوقاف .

أمر خطير يدفعنا جميعا أن نعمل لرعاية القرآن الكريم لذا أقدم هذا المشروع بقانون وهو أقل ما يجب فى شأن محفظى القرآن الكريم . والله يوفقنا جميعا لما فيه الخير

دراسات في القرآن والسنة

- الذبيح وفداؤه والأضحية وحكمها

- مؤشرات الخصوصية في ذي الحجة

- مفتاح باب الحج والهجرة

الذبيح وفداؤه
والأضحية وحكمها

للأستاذ
مصطفى محمد الحديدي الطير

قال الله تعالى :

« رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ »

الآيات الى قوله « وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ » من سورة الصافات

البيان

يمضي عيد الأضحى كل عام بالمسلمين ، ولا يذكر معظمهم من أمره الا انه عيد اسلامي يبتهجون فيه ويضحون ، ويأكلون ويشربون ، دون أن يفكروا في منشئه ، والأغراض الجليلة التي شرع من أجلها وشرعت أضحيته ، حتى تكون منهم موضع العبرة والاذكار ، والاخلاص في العقيدة والعمل لله رب العالمين ، والعطف على البائسين والمعوزين .

فلهذا رأينا أن نتحدث الى المسلمين في شهر الأضحية عن منشئها ، وعن الغلام الحليم الذي هم بذبحه ابراهيم ، ثم افتداه ربه بذبح عظيم . وعن الحكمة في هذا كله

حتى يكونوا منه على بينة، وليكون فى وعيهم وذكراهم كلما مر بهم هذا العيد السعيد.

ابراهيم والغلام الحليم

أرسل الله ابراهيم عليه السلام الي قوم من الصابئة يؤلهون الكواكب، ويتخذون الأصنام والأنصاب أربابا، زاعمين أنها ترمز الي الكواكب التي يؤلهونها، وكان موطنه الأصلي (بابل) حيث يعيش قومه من الصابئة فأرسله الله اليهم فدعاهم الى نبذ عبادة الكواكب والتماثيل، واخلاص العبادة لله رب العالمين، فلما لم ينفعهم نصح ولا ارشاد، حطم أوثانهم بمعوله ليلا، ليظهرهم على فساد ربوبيتها، بعجزها عن حماية نفسها، وفي ذلك يقول الله تعالي:

«فراغ عليهم ضربا باليمين» فلما اتضح لهم أنه هو الذي حطمها، أقبلوا اليه يزفون ـ أي يسرعون ـ ولما ناقشوه فيما صنع بها قال:

«أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ. وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ. قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ. فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ» الصافات ٩٥

حيث أعلي شأنه عليهم، فنجاه من مكرهم، اذ جعل النار عليه بردا وسلاما، وانتصر بذلك حقه على باطلهم.

«فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ» .

ولكن تعصبهم لآلهتهم افقدهم الاعتبار بتلك المعجزة الكبري، وأصروا علي ماهم فيه من عبادة الهتهم، مع ثبوت عجزها عن مساعدتهم في اهلاك ابراهيم، بما أوقدوه من نار الهشيم، فلما يئس من ايمانهم، قرر الهجرة الي أرض أخري يتمكن فيها من عبادة ربه، والنصح الي أهلها، فهاجر الي بيت المقدس قائلا:

«إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي» .

ثم دعا ربه أن يرزقه ولدا يأنس به في غربته فقال:

«رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ» .

فاستجاب ربه دعاءه وبشره بتحقيق مطلبه، وفي ذلك يقول الله تعالي:

«فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» .

وقد اشتملت هذه البشري علي ثلاث بشريات (١) أنه سيرزق غلاما (٢) وأنه سيكون حليما (٣) وأنه سيعيش لأن الصغير لا يوصف بالحلم.

رؤياه الخطيرة بشأن ولده

حقق الله لابراهيم مابشره به، فرزقه ولدا صالحا «فلما بلغ معه السعي» أي كبر وبلغ أن يسعي مع أبيه في دنياه، معينا له علي أعماله، ورأي في منامه عن ولده رؤيا أفزعته ـ لما حدث ذلك ـ قال:

«يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ» .

وهذا السؤال يشعر بان الغلام كان راجح العقل يحس وزن الأمور، ولا يتزعزع لكوارثها، بل يعطي رأيه فيها عن صواب وحكمة، ولو كان هلاكه فيه.

لقد كان ابراهيم مترددا في تنفيذ منامه الخطير، لأن فيه هلاك ولده الوحيد وقتئذ، وقد رزقه في شيخوخته الواهنة، قال مقاتل: رأي ابراهيم هذه الرؤيا ثلاث ليال متواليات، ويروي أن الليلة الأولي كانت

ليلة الثامن من ذي الحجة . فقد رأي فيها من يقول له : ان الله يأمرك أن تذبح ولدك ، فلما أصبح روي في نفسه ، أي فكر ، أهذا الذي رأيته رؤيا من الله ، أم حلم من الشيطان ، فسمي هذا اليوم يوم التروية ، فلما كانت الليلة الثانية رأي رؤياه هذه مرة أخري . فلما أصبح عرف أنها رؤية من الله ، فسمي هذا اليوم يوم عرفة . ثم رأي مثلها في الليلة الثالثة فهم بنحره في اليوم التالي لها ، فسمي يوم النحر .

موقف الغلام من رؤيا أبيه

اعتبر الغلام رؤيا أبيه وحيا وأمرا من الله تعالى لابد من تنفيذه . فلهذا قال لأبيه :

« يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ »

فلما رأي استجابة ولده الوحيد لأمر ربه ، شرع في تنفيذه ، مع أن هذا التنفيذ سيكلفه فقد ولده الوحيد .

قال محمد بن كعب : كانت الرسل يأتيهم الوحي أيقاظا ورقودا . فان الأنبياء لاتنام قلوبهم . وقال ابن عباس : رؤيا الأنبياء وحي ، واستدل بهذه الاية . وفي حديث مرفوع قال صلي الله عليه وسلم : « نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولاتنام قلوبنا »

محنة الوالد في تكليفه بقتل ولده

لايبتلي أحد من البشر بأشد وأقسي من أن يؤمر بذبح ولده الوحيد أمرا واجب التنفيذ ، ولانعلم أحدا من الأنبياء قبل ابراهيم عليه السلام أو بعده امتحن بمثل ما امتحن به ومع أن هذا يتجاوز طاقة البشر فقد احتمله ابراهيم وغلامه بصبر يتجاوز طاقة البشر ويفوق حد الاحتمال . وجاءت ذروة المحنة عند التنفيذ : « فلما سلما وتله للجبين » أي فلما انقادا واستسلما لأمر الله ، وصرعه أبوه ابراهيم علي شقه ، فصار جبينه الي الأرض كما يفعل بالشاه . والجبين أحد شقي الجبهة .

وقيل معناه أنه كبه علي وجهه بأن أمره أن يكون وجهه الي الأرض ، حتي لايري منه مايوجب رقة تحول بينه وبين تنفيذ أمر الله تعالي . جاء في الخبر أن الذبيح قال لوالده ابراهيم :

« يا أبت اشدد رباطي حتي لا أضطرب ، واكفف ثيابك لئلا يصيبها شيء من دمي فتراه أمي فتحزن ، وأسرع مر السكين علي حلقي ، ليكون الموت أهون علي ، واقذفني للوجه لئلا تنظر الي وجهي فترحمني ، ولئلا أنظر الي الشفرة فأجزع ، واذا أتيت الي أمي فأقرئها مني السلام فلما جر ابراهيم السكين ، ضرب الله عليه صفيحة من نحاس ، فلم تعمل السكين شيئا ، ثم قلبه علي جبينه وحز في قفاه ، فلم تعمل السكين شيئا ، فذلك قوله تعالي « وتله للجبين » .

فنودي ياابراهيم قد صدقت الرؤيا ، فالتفت فاذا بكبش ـ الخ ـ ذكره المهدوي ولم يبين درجته وهذا الكبش هو ماذكره الله تعالي بقوله « وفديناه بذبح عظيم » والمراد بعظمته أنه كبير الجسم ،أو أنه سمين ، أو

الذبيح وفـــداؤه

لكونه فدي به نبي فكان ذلك عظيما لذلك .

وحينئذ تقدم ابراهيم عليه السلام فذبح هذا الكبش فداء لولده . واختلف في المكان الذي أراد ابراهيم ذبح ولده فيه ، فقيل لمقام بمكة . وقيل موضوع النحر بمنى عند الجمار التي رمى بها ابليس حين وسوس له قال ابن عباس وابن عمر وغيرهما .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما امر الله ابراهيم أن يذبح ابنه . عرض له ابليس عند جمرة العقبة . فرماه بسبع حصيات حتى ذهب . ثم مضي ابراهيم لأمر ربه .

من هو الذبيح ؟

ولد لابراهيم عليه السلام ولدان.(أولهما) اسماعيل من هاجر الجارية المصرية ، (وثانيهما) اسحاق من سارة . واختلف العلماء في أيهما الذبيح . فأكثر العلماء يرون نه اسحق ـ كما ذكره القرطبي ـ وغيره وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب ، وابنه عبد الله ، وعلي بن أبي طالب . وابن مسعود وغيرهم من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ..

وقال بذلك من التابعين مجاهد والشعبي وعلقمة وابن جبير وغيرهم ، وعلي هذا الرأي أهل الكتاب . وقال سعيد بن جبير : أري إبراهيم ذبح اسحاق في الشام ، فسار به مسيرة شهر في غدوة واحدة . حتى اتي به المنحر من منى . فلما صرف الله عنه الذبح وأمره أن يذبح الكبش فذبحه . سار به مسيرة شهر في روحة طويت له فيها الأرض والجبال . كذا قيل .

الرأي الحق أنه اسماعيل

ومع أن الجمهور يقولون انه اسحق ، فان غيرهم يرون أنه اسماعيل ـ وهو الرأي الحق ـ وممن قال بذلك أبو هريرة وأبو الطفيل ، وروي عن ابن عمر وكذا ابن عباس في رواية أخري عنه . وقال به سعيد بن المسيب وغيره من التابعين ..

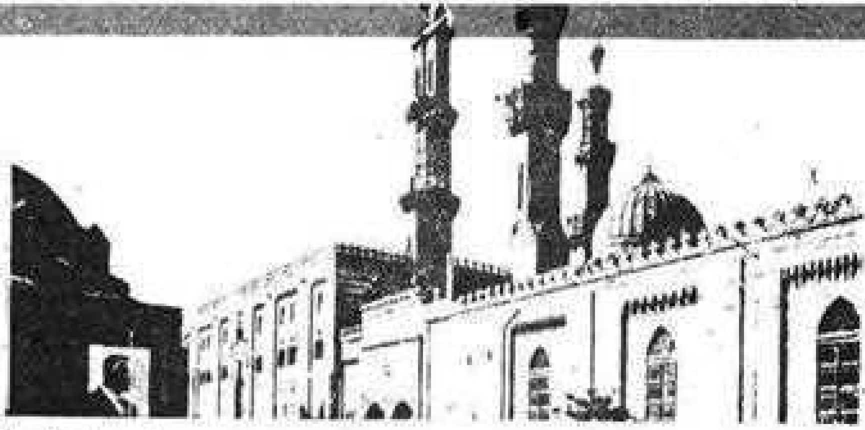
وعن الاصمعي قال : سالت أباعمرو ابن العلاء عن الذبيح فقال : يا أصمعي ، اين عزب عنك عقلك ؟ ومتي كان اسحاق بمكة ؟ وانما كان اسماعيل بمكة . وهو الذي بني البيت مع أبيه . والمنحر بمكة: ونحن نقول : لو كان الذبيح اسحق لكانت محاولة الذبح ببيت المقدس لابمكة أو منى . وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم روايتان احداهما تفيد أنه اسماعيل ـ وهي التي نرجحها ـ والأخري تفيد أنه اسحاق . ونري أنها مرجوحة .

والصواب أن الذبيح هو اسماعيل ـ عليه السلام ـ لما تقدم في اجابة أبي عمرو بن العلاء للاصمعي . ولأن الله وصف اسماعيل بالصبر دون اسحاق . وذلك في قوله سبحانه « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » وهو صبره علي الذبح . ووصفه بصدق الوعد في قوله :

« وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ »

لأنه وعد أباه أن يصبر علي الذبح فوفى .

ومن أقوي مايستدل به علي أن الذبيح اسماعيل أنه تعالي عقب قصة الذبيح في



سورة الصافات بقوله :

« وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ »

أي بشرناه مكافأة له من أجل صبره علي ذبح وحيده اسماعيل باسحاق يولد له بعد هذه القصة ، ويكون نبيا من الصالحين ، فلو كان الذبيح اسحق ، لما استقام لامر بذبحه مع الوعد بأنه يعيش ويكون نبيا ، كما أنه تعالي يقول « فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب » فكيف يستقيم الأمر بذبح اسحاق قبل أن يلد يعقوب .

رأي وسط ومناقشة لأهل الكتاب

يري الزجاج رأيا وسطا ، اذ يقول : الله اعلم من هو الذبيح ، فهو بذلك يخلص نفسه من تعارض الأدلة في نظره ، ويحتاط لعدم ذكر اسم الذبيح صراحة في القرآن الكريم وسواء أكان الذبيح هذا أم ذاك فان فضل الله علي ابراهيم وآل بيته لفدائه لايقادر قدره ، فقد خص الله به دم هذا الغلام الحليم ، فيبقى قرة عين لوالديه كما أنه أذهب الضيق والحرج والأسى عن ابراهيم عليه السلام وأدخل السرور في قلب هذه الأسرة الكريمة التي امتحنت بأشد ما يمتحن به البشر ،

ولهذا قال الله تعالي تعظيما لهذه المنة

« إنا كذلك نجزي المحسنين »

يعني أن هذه سنة الله تعالى مع المحسنين الصابرين .

« اذ يخلصهم من الشدائد ، ويبدلهم من الضيق فرجا ، ومن شدائدهم مخرجا »

ونحن نصر علي أن الذبيح اسماعيل للأدلة التي قدمناها ولا وجه لتعصب أهل الكتاب واصرارهم علي أن الذبيح هو اسحاق دون اسماعيل ، فقد جاء في كتبهم أنه تعالي أمر ابراهيم أن يذبح وحيده اسحق ، فكيف يكون اسحق وحيده ، مع أنه جاء بعده اسماعيل ، وكان اسماعيل حيا وقت الأمر المزعوم بذبح اسحاق ، فالحق أن ابنه الوحيد لاينطبق الا علي اسماعيل قبل أن يرزق باسحق ، والذي نراه أن اقحام اسم اسحق في قصة الذبيح عندهم هي من وضع أهل الكتاب وتزييفهم لنصوصهم تعصبا منهم

لجدهم. لهذا نري ان الاصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين. تبدو فيه رائحة التزييف واضحة. فقد وضع فيه اسم اسحق موضع اسم اسماعيل الذي لايصدق وصف الابن الوحيد الا عليه دون اسحاق.

فالرأي الأمثل أنه هو اسماعيل لما قدمناه من الادلة وهذا مانعتقده. أو ترك البحث عن شخصه واحالة العلم به الي علام الغيوب ـ كما جنح اليه الزجاج طلبا للاحتياط ـ

الحكمة في الأمر بذبحه

لاشك في أنه تعالي لايأمر بشيء يخلو من الحكمة. فكل مايأمر به مشتمل علي حكم قد تظهر لنا وقد تخفي علينا. وكذلك كان الشأن فيما كلف به ابراهيم عليه السلام من ذبح ولده. فانه أبو الأنبياء وامام للناس. قال تعالي:

« إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا »

ولهذا تري أصحاب الملل في أرض النبوات. يشرفون بالانتساب اليه حتي المشركين. فانهم يزعمون أنهم علي ملته.

والغرض الأساسي من تكليفه بذبح ولده فيما نري والله أعلم ـ تذكير من جاء بعده من أصحاب الملل. بأن امامهم ابراهيم لم يبخل علي ربه بولده الوحيد. الذي من الله عليه به بعد أن بلغ من الكبر عتيا. بل هم بذبحه طاعة لأمر ربه. ولولا أن فداه الله بالكبش الذي من به عليه. لنفذ فيه أمره. وأن عليهم أن يقتدوا به فيمتثلوا ما امرهم الله به. ويجتنبوا مانهاهم عنه. وكل ماشرعه الله لهم فهو في مقدورهم. ولايمكن أن يصل في صعوبته وشدته الي مثل هذا الذي كلف به ابراهيم فشرع في تنفيذه. ومن المسلمات أن قصة الذبيح هذه معلومة لجميع أصحاب الملل في أرض النبوات.

عيد الفداء وأضحيته

جعل الله اليوم الذي فدي فيه الذبيح يوم عيد للمسلمين. كما كان يوم عيد وفرحة لجدهم ابراهيم. فينبغي أن يتذكروا فيه نعمته علي هذا البيت الكريم.

وكما جعله الله يوم سن فيه الأضحية والذبيح اقتداء بخليله ابراهيم الذي جعله للناس اماما. وتعبيرا عن الفرح بنجاة ولده. وشكرا له تعالي علي نعمة الفداء. وبرا بالمساكين. الي جانب اطعام الأسرة. فلم تشرع الأضحية ليستأثر بها المضحون وحدهم. ولم يشرع العيد ليكون مرحا عابثا وفرحا خاويا من البر والاعتبار.

فينبغي للمسلم. أن يقصد بأضحيته وجه الله تعالي ـ دون مباهاة وفخر وتعالي علي الفقـــراء الذين لا يقـــدرون علي مثلها وأن يطعم منهـــا الفقـــراء والمعوزين. وأن يقدم منهـــا هديـــة لبعض الاقارب او الجيران أو الاصحاب. وان يرجو بها أن يجعلها الله سببا لحفظه وأسرته من النوائب. كما حفظ بها الذبيح ووقاه من كارثة الموت ذبحا بيد أبيه. ولذا كان النبي صلي الله عليه وسلم يحرص علي الاضحية



ويحض عليها. بل كان يذبح عن غير القادرين من أمته.

كما ينبغي أن يبعد نفسه وأسرته خلال راحة العيد وفرحته عن الموبقات. وأن يصل أرحامه. ويمد يد المعونة للبائسين.

حكم الأضحية

الأضحية واجبة عند الحنفية علي القادرين المقيمين من أهل الامصار. وسنة مؤكدة عند غيرهم من أصحاب المذاهب الاخري. ولاتسن للحاج بمنى الا عند الشافعية.

وممن قال بأنها سنة عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال عكرمة: كان ابن عباس يبعثني يوم الاضحى بدرهمين اشتري له لحما ويقول: من لقيت فقل: هذه اضحية ابن عباس. وكان بعض الصحابة يري رأيه هذا ويفعلون فعله ـ اي لايضحون احيانا ـ ليبينوا للامة انها ليست بواجبة. دفعا للحرج عن الناس فهم ألمتهم وعليهم ان يعلموهم ويرشدوهم بالقول والعمل.

واختلف القائلون بسنيتها: هل الاضحية افضل ام التصدق بثمنها، فعلى الاول مالك واصحابه واحمد ابن حنبل وغيرهم. وبه قالت عائشة رضي الله عنها. وعلى الثاني بلال والشعبي وابو ثور وغيرهم. وروي عن بلال أنه قال: أنا لا أضحي الا بديك. ولان أضعه في يتيم قد ترب ـ أي افتقر ـ أحب الي من أن أضحي به.

وحسبنا ماذكرناه والله تعالي أعلم.

مصطفى محمد الحديدي الطير

مؤشرات الخصوصية في ذى الحجة

في الاسلام أشهرٌ معلومات تتميز عن غيرها من شهور السنة العربية بخصائص وملابسات تجعلها في الصدارة منها، بما تحمله في ثناياها من مؤثرات بالغة الخطر والأثر في حياة الأمة الاسلامية كجماعة .. وفي مصائر أهلها كأفراد .. فهي تمثل في حاشرهم مراكز هامة للتجمع الجسدى، والتوحد الروحى تحت راية القيم الاسلامية الخالدة .. ومن ثم كانت وستظل نقطا بارزة للتحول الفكرى والحضارى في كيان الاسلام، وشارة للانطلاق والتوثب الى الأفضل في الحال وفيما يأتى من الزمان .. ومن هذه الأشهر رمضان بما فيه من طاقات معنوية خلاقة يذكيها نظام بديع في صيام بالنهار، وقيام بالليل، وتغيير عملى في رتابة الحياة اليومية الجامدة، للأمة الاسلامية جمعاء .. على اختلاف مشاربها، وتنوع مواطنها، واختلاف ألسنتها وألوانها .. فيجعل منها كائنا متميزا كالجسد الواحد .. يصوم حين يصدع فجره بالدعوة الى الصلاة، ويفطر حين تغيب شمسه وراء الافق مؤذنة بقيام بعد الصيام.

وقد تميز شهر ذى الحجة بمؤشرات نوعية، وفاعليات دينية متناسقة .. حتى لكأنه منارة باذخة الذرا، فياضة النور، تشع بروحانية دافقة، وعطاء حيوى متجدد ويتبدى ذلك مما يأتى:

١ ـ حرمة شهر ذى الحجة باعتباره واحدا من ثلاثة أشهر متوالية تحمل اسم (الأشهر الحرم) هى: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم .. وبعدها واحد فرد هو رجب الذى بين جمادى وشعبان، حسبما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ التوبة / ٣٦.

وكما تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبته الجامعة في حجة الوداع من السنة العاشرة الهجرية قائلا: «الا أن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السماوات والأرض .. السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم .. ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر» وذلك يعد أن

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

ستقرت الأشهر العربية في مواطنها الحقيقية التى برأها الله عليها يوم بدء الخليقة .. واحتل كل منها مكانه الثابت طبقا لما جرت به الأقدار، وتحركت عليه الأفلاك .. وليس كما تلاعب به الجاهليون بالنسيء المضلل الذى زاد في كفرهم، ومد في طغيانهم ..

والمهم أن شهر ذى الحجة بين الأشهر الثلاثة المحيطة به يشكل محور الدائرة، ونقطة الارتكاز .. فقد كان الهدف الأساسى من تشريع الأشهر الحرم المتوالية هو تأمين طريق الحجيج، وحياطته بأسوار منيعة من سلام وراحة وطمأنينة .. وسط دوامة الحروب الطاحنة، والمعارك الشرسة التى تثور لأتفه الأسباب، وتشتعل لأحط الغرائز ..

ومن لازم ذلك أن يمتد رواق الأمان شهرا قبل شهر الحج وهو ذو القعدة، ليتيسر سبل الوصول اليه، وشهرا بعده هو المحرم، لتمهيد طريق العودة منه، فكان لابد من تواصل هذه الأشهر الثلاثة، وتتابعها بلافواصل أو عوائق حتى يستتب الأمن ويستقر النظام في موسم الحج الأكبر .. ولذا كان الرجل يلقى في الحرم قاتل أبيه أو أخيه فلايهيجه في الأشهر الحرم ..

٢ ـ شهر ذى الحجة موعد للعشر الأوائل منه .. وهى موسم اسلامى حاشد، حافل بالبركات .. زاخر بالمكرمات .. العمل الصالح فيه أحب الى الله منه في غيرها .. وأرجى للثواب وأبلغ في العبادة وقد نوه القرآن الكريم بهذه العشر الأوائل من ذى الحجة في غير موضع .. ففى سورة (الأعراف / ١٤٢) يقول الله تعالى: (وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ..

وفي تفسير الجلالين، أن هذه الثلاثين ليلة هى شهر ذى القعدة .. وأن العشر المتممة لها هى الأوائل من ذى الحجة، وفي سورة الفجر / ٢ (والفجر وليال عشر) فعندها كلم الله موسى تكليما، وقربه نجيا، وكتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء .. وفيها تضج طرقات الدنيا بالتلبية من الحجاج (لبيك اللهم .. لبيك .. لبيك لاشريك لك لبيك .. ان الحمد لك والنعمة لك .. والملك لاشريك لك) وهم يزحفون زحفهم السنوى المقدس نحو الكعبة البيت الحرام .. في أكبر تجمع بشرى عرفته الانسانية، وفي ظروف بيئية ومعاشية بالغة القسوة .. بواد غير ذى زرع، ووسط أمواج من رمال الصحراء الشاسعة الأطراف، الممتدة الأكناف .. يرفعهم نجد، ويحطهم وهد .. لايشغلهم في كل ذلك الا هدف واحد هو عبادة الواحد الأحد المنزه عن الشريك والولد والصاحبة .. ليس كمثله شيء ..

مؤشرات الخصوصية في ذي الحجة

لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .. وقد ملك عليهم هذا الهدف كل منافذ الحس والحركة .. والفكر فلم يعودوا يفكرون في مال تركوه، ولا ولد ودعوه، ولا موطن هجروه ..

فالأيام العشرة الأوائل هي الوعاء المكثف لهذا المظهر الاسلامي الرائع الذي هو امتداد لحركة تاريخية سابقة .. فيها يشتد الزحام وتتزاحم الأقدام، ويتلاقى الأقوام .. في أكرم مقام، وأشرف التحام، ولذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاكثار من الذكر والتكبير لغير الحجاج .. بعد أن شغل ألسنة الحجاج وقلوبهم بالتلبية، وقال: (أكثروا في هذه الأيام من التكبير والتحميد والتهليل) .. وفي حديث آخر: (مامن أيام أحب الى الله وأفضل من أيام العشر .. .. قيل: ولامثلهن في سبيل الله؟ قال: ولامثلهن في سبيل الله .. الا رجل عقر جواده، وعفر وجهه) وكان ابن عمر رضي الله عنهما يكبر في جميع أيام العشر على فراشه ومجلسه، كما كان عطاء بن أبي رباح يكبر فيها في الطريق وفي الأسواق، وكان سعيد بن جبير يجتهد فيهن في العبادة فوق طاقته ..

٢ ـ في شهر ذي الحجة، يكمن يوم عرفة في التاسع منه، وهو يوم معدود، ومحفل اسلامي مشهود .. فيه تصاغ الأمة الاسلامية على بكرة أبيها ممثلة في حجاجها في اطار واحد ممثلا في ثوب الاحرام الأبيض، ولحن التلبية الصداح .. وفيه تضيق وديان عرفة بما رحبت بالحشود الحاشدة .. والجموع الكاثرة، يعلوهم شعث في الرءوس، وغبرة على الوجوه .. تحت شواظ من قيظ لافح .. أو زمهرير من برد قارس وهم عن هذا وذاك في شغل داعين ملبين، ضارعين متوسلين ..

يسألون ربهم الجنة، ويستعيذون به من عذاب الحريق .. ومن ثم كانوا موطن الاعزاز من ربهم، والمباهاة لملائكته .. كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (اذا كان يوم عرفة فان الله تعالى يباهي بالحجيج الملائكة .. فيقول: انظروا الى عبادي .. جاءوا شعثا غبرا .. ضاحين من كل فج عميق .. أشهدكم أني قد غفرت لهم .. فتقول الملائكة: ان فيهم فلانا مرهقا .. وفلانا .. فيقول: قد غفرت لهم)

وفي حديث آخر: (مامن يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة) ولذا سن صيام عرفة لغير الحاج لما فيه من الأجر المضاعف ..

وفي الحديث: (صوم يوم عرفة بسنتين، وصوم عاشوراء بسنة) .. وفي يوم عرفة نزل قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فكانت هذه الآية الكريمة ايذانا ـ لمن وعى ـ بقرب رحيل النبي صلى الله عليه

وسلم عن الدنيا .. بعد أن أدى أمانته كاملة، وأتم رسالته غير منقوصة ..

وقد فهمها عمر رضى الله عنه فبكى ولما سئل عن سبب بكائه قال: ليس بعد الكمال الا النقصان .. وقد صدقت فراسته .. فقد خطب النبى صلى الله عليه وسلم الناس خطبته الجامعة المشهورة .. المسماة خطبة الوداع .. وذكر فيها أهم مابقي الرسالة من أهداف، وأخطر مابها من مسائل وشدد الوصية فيها وقال في تأكيد ذلك: «اللهم هل بلغت؟ فرد المسلمون: نعم .. فقال: اللهم فاشهد .. ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب».. وكانت خطبته وداعا حقا .. اذ لم يعش بعدها الا نيفا وثمانين يوما ثم لحق بالرفيق الأعلى ..

٤ ـ الحج في شهر ذى الحجة وهو من فرائض الاسلام الخمسة، وأركانه الأساسية، ومناسكه المقدسة .. لاينعقد الا في خصوص هذا الشهر حيث يفرض الزمان والمكان حرمته وأمنه على كل كائن حوله أو فيه من انسان أو حيوان أو نبات (لايختلى خلاها ولاينفر صيدها ولاتلتقط لقطتها الالمعرف)

وقد ركز الاسلام على معنى الأمن والسلام في هذا الزمان والمكان لكل من تفيأ ظله ..

وألزم المسلمين فيه بنظم خاصة وتعاليم ثابتة تؤكد معنى السلام الشامل والأمن المحيط .. فهم لايستشعرون في ظل البيت العتيق الا الأخوة الاسلامية والانسانية في نسق متكامل .. وهم لايحسون في جنباتهم مشعرا لنزوة بهيمية، أو نزعة لشيطان رجيم، وانما يتزودون بخير الزاد وهو التقوى .. ويتزينون بأحسن الزينة وهى التجرد المطلق من كل ماسوى الخالق .. .. زاهد في متاع الدنيا الزائل، وعرضها الحائل .. فالحج بهذا المنهاج تربية قومية وانسانية .. تستهدف قوة الروح، ومتانة الخلق، وسلامة المنهج، وطهارة السلوك وعمق العقيدة ..

ولو أنصفت مراكز رعاية الشباب، ومؤسسات التربية والثقافة لأرسلت بأفواج الشباب الى هذا المعسكر الحاشد ليعيشوا تجربتهم الحية وسط هذه الأمواج الهادرة من أفواج الحجيج بين دعوة الحق، وصيحة التلبية، وايحاءات الأمن والطمأنينة والايمان ..

د . محمد محمد الشرقاوى

من نفحات السنة المباركة

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، ان تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك ، متفق عليه .

كلمة جليلة في معناها ، جميلة في مبناها ، لاشتمالها على الاقرار بالوحدانية لله عز وجل ، والاعتراف بنعم الربوبية ، والامتثال والطاعة لأوامر ملك الملوك .

ينطق بها ملايين المسلمين بلسان واحد ولفظ واحد في مكان واحد وزمان واحد أمام بيت الله تعالى وفي أرض عرفات المباركة ، في خضوع وخشوع معترفين بوحدانية الله تعالى وصدق رسوله الكريم وهم حاسرو الرءوس، وقد جردوا أجسادهم عن المخيط والمحيط وتركوا الدنيا وزينتها وراء ظهورهم واستوى الكل ، الملوك والسوقة في هذا الميدان المبارك وفي هذا المؤتمر الالهى الكبير حيث تتنزل عليهم السكينة والرحمة والتجلى بالمغفرة والرضوان من الله تبارك وتعالى على عباده الذين استجابوا لربهم وآمنوا بنبيهم وقصدوا بيت الله الحرام .

هذه الكلمة الطيبة هى التى نطق بها الرسول الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما نوى الحج والعمرة في ذى القعدة إيذانا بالدخول في أعمال الحج كما روى ابن عمر رضى الله عنهما قال ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا استوت به راحلته قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهل فقال ، لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك ،

قالوا ، وكان ابن عمر يقول ، هذه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وهى اجابة لنداء خليل الرحمن سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بعد أن رفع القواعد من البيت وفرغ من بنائه قال الله تعالى له ، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ، الاية ،

قال ، رب ، ومايبلغ صوتى ؟ قال أذن وعلىّ البلاغ ، فنادى ابراهيم عليه السلام ، أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فسمعه من بين السماء والأرض ، أفلا ترون الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون ، رواه ابن أبى حاتم ، ولفظ التلبية مثناة للتكثير والمبالغة ومعناها ، اجابة بعد اجابة ولزوم لطاعتك يارب ،

وليست التثنية حقيقية بل هى بمنزلة قوله تعالى ، بل يداه مبسوطتان ، أى نعمتاه على تأويل اليد بالنعمة هنا ، ونعم الله تعالى لاتحصى ، وأصل لبيك ، لببتك فاستثقلوا الجمع بين ثلاث باءات فابدلوا من الثالثة ياء ومعناها على هذا ،

مفتاح باب الحج والعمرة

لبيك اللهم لبيك

للدكتور محمد محمود شعبان

اتجاهى وقصدى اليك . مأخوذ من قولهم
دارى تلب دارك أى تواجهها . أو معناها .
محبتى لك . مأخوذة من قولهم امرأة لبة اذا
كانت محبة لولدها عاطفة عليه .

أو اخلاصى لك . مأخوذ من قولهم . حب
لباب . اذا كان خالصا محضا ومن ذلك لب
الطعام ولبابه

أو : أنا مقيم على طاعتك واجابتك .
مأخوذ من قولهم . لب الرجل بالمكان وألب
اذا أقام فيه .

أو قربا منك وطاعة والألباب القرب .

أو أنا ملب بين يديك أى خاضع لك .

« اللهم » أصلها يا الله ، فحذف حرف
النداء وعوض عنه الميم المشددة في اخره .

أو معناها : يا الله أمنا بخير ، فحذف
متعلقات الفعل وكذلك الهمزة وياء النداء
فصارت : اللهم .

وقد قالوا انه اسم الله الأعظم الذى اذا
دعى به أجاب ، لأنه جامع لجميع أسماء الله
تبارك وتعالى ، قال تعالى : قل اللهم مالك
الملك :

وقال تعالى : قل اللهم فاطر السموات
والأرض .

ان الحمد والنعمة لك والملك : بكسر همزة
ان للاستئناف . كأنه لما قال : لبيك، استأنف
كلاما اخر فقال : ان الحمد لك .

وقيل بفتح همزة أن على التعليل كأنه
قال : أجبتك لأن الحمد لك . والحمد هو
النعت بالجميل على الجميل اختياريا كان
أو مدحاله على وجه يشعر بذلك بتوجهه الى

من نفحات السنة المباركة

المنعوت .

والحمد والمدح قيل هما بمعنى واحد . واما الشكر فهو على النعمة خاصة ويكون الشكر بالقلب واللسان والجوارح .

وأما الحمد فهو باللسان وحده وهو احدى شعب الشكر وفي الحديث الحمد رأس الشكر ماشكر الله عبد لم يحمده وجعله رأس الشكر . لأن ذكر النعمة باللسان أشيع لها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب ومافي عمل الجوارح من الاحتمال .

وقالت طائفة من العلماء : المدح ثناء على ماهو له من أوصاف الكمال ككونه باقيا قادرا عالما أبديا أزليا .

والشكر ثناء على ماهو منه من أوصاف الأفضال .

والحمد يشمل المدح والشكر ، والألف واللام فيه للاستغراق . والنعمة لك : بكسر نون النعمة : وهي الاحسان والمنة مطلقا . وهي منصوبة عطفا على الحمد . ويجوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره : ان الحمد لك والنعمة مستقرة لك .

والملك : بضم الميم . وهو عبارة عن السلطان والقهر والغلبة .

قال تعالى : لمن الملك اليوم

وقال تعالى : قل اللهم مالك الملك :

هذه الكلمة الطيبة هي مفتاح باب الاحرام بالحج والعمرة فمن أراد الدخول في واحد منهما ، فعليه أن يخلص النية لله تعالى ويؤدى الحقوق لأصحابها . ويكون ماله طيبا . ولايجعل عمله رياء ولاسمعة . ثم يتطهر ويتطيب ويصلى ركعتين . ثم يركب راحلته ثم ينوى الحج أو العمرة أو هما معا . ثم يرفع صوته بالتلبية ان كان رجلا . لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك .

روى انس بن مالك رضى الله عنه قال : صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن معه بالمدينة الظهر أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين ثم بات بها حتى اصبح ثم ركب حتى استوت به على البيداء حمد الله وسبح وكبر ثم أهل بحج وعمرة وأهل الناس بهما .

والاهلال هو رفع الصوت بالتلبية .

قال صلى الله عليه وسلم : أفضل الحج العج والثج : فالعج رفع الصوت بالتلبية . والثج إراقة دم الهدى .

والتلبية شرط عند الاحناف أول مرة والزيادة سنة . واذا نوى ولم يلب لاينعقد إحرامه .

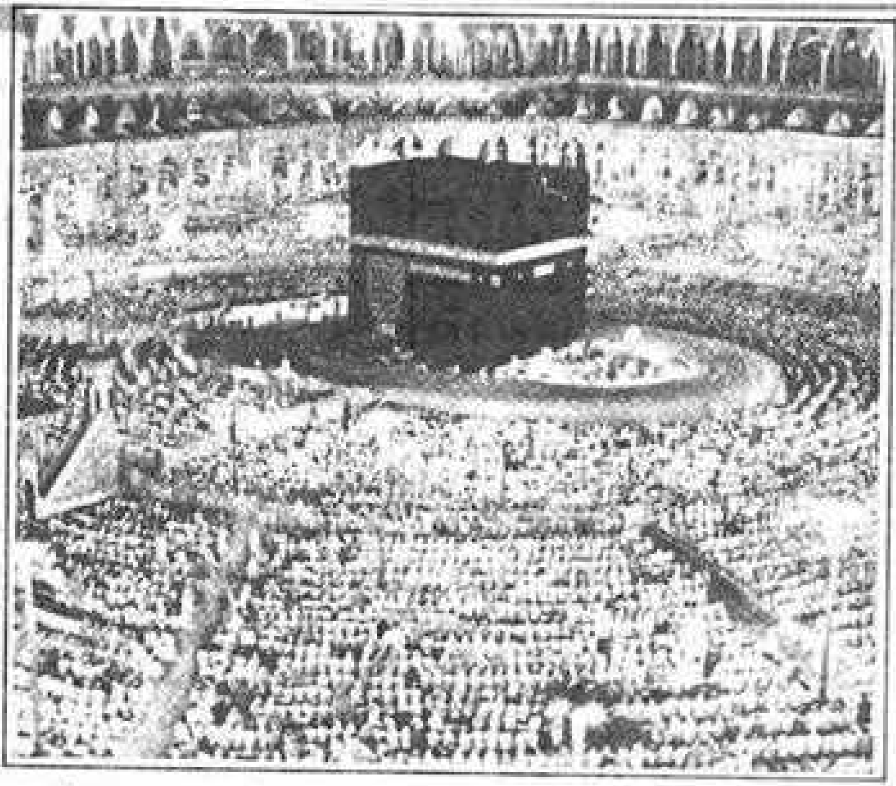
وقال بعض الشافعية : التلبية واجبة فاذا تركها جبرت بالدم

وقال المالكية لاينعقد الانية مقرونة بقول أو فعل كالتلبية والتوجه الى الطريق .

فاذا نوى ولبى فقد أحرم فليتق الرفث والفسوق والجدال قال الله تعالى : الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج»

وقال صلى الله عليه وسلم : من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

وعليه أن لايلبس المخيط ولاالمحيط ولاالسراويل والقلنسوة ولا الخفين ولا يحلق



شعره ولايقص ظفره ولايتطيب ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحاج أشعث أغبر :

وينبغى على من أحرم أن يكون كالميت بين يدى الغاسل ، فلا يؤذى انسانا ولا حيوانا ولا طيرا ، الا ماورد الحديث بقتله في الحل والحرم ولاينوى ظلم أهل الحرم لأن الله تعالى توعد من أراد الظلم بأهل الحرم بقوله : ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم .

وينبغى أن يلبى عقب الصلوات الخمس وكلما علا شرفا أو هبط واديا أو لقى ركبا وفي وقت السحر .

ولا يقطع التلبية الا اذا بدأ بالطواف للعمرة ان كان معتمرا ، وعند رمى جمرة العقبة يوم النحر ان كان حاجا .

ويستحب ان يقول التلبية ثلاث مرات على التوالى ولايقطعها بالكلام فان سلم عليه أحد رد عليه السلام باللفظ وقيل بالتلبية ولايسلم على الملبى .

فان انتهى من التلبية صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأل الله تعالى ماشاء لنفسه ولمن أحبه من المسلمين .

وأفضل السؤال سؤال الرضوان والجنة والاستعاذة من النار .

ويجوز للمحرم أن يلبى دائما سواء كان طاهرا أو محدثا أو كانت المرأة حائضا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى

من نفحات السنة المباركة

الله عنها ـ عندما حاضت : اصنعي مايصنع الحاج غير ألا تطوفي ؛

وهل يجوز للحاج ان يزيد على التلبية الواردة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

أباح بعض العلماء ذلك واستدل بما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في تلبيته : لبيك لبيك ان الخير خير الاخرة .

وورد أنه قال : لبيك حجا حقا تعبدا ورقا .

وورد في صحيح مسلم أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يزيد : لبيك لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغباء اليك والعمل وأن عمر رضى الله عنه كان يقول بعد أن يلبى تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبيك مرغوبا ومرهوبا اليك والنعماء والفضل الحسن : ولكن الأفضل أن يلبى تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يفصل بسكتة ويقول ماروى عن غيره من الصحابة على انفراد .

وهذه التلبية دليل على خضوع العباد لربهم وسرعة استجابتهم لمولاهم وقد لبى جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام عند حجهم لأنه ورد مامن نبى الاوقد حج البيت . فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما موسى كأنى أنظر اليه اذا انحدر في الوادى يلبى .

وعند الأزرقى في تاريخ مكة . أنه صلى الله عليه وسلم قال : مر بفج الروحاء سبعون نبيا تلبيتهم شتى . منهم يونس بن متى عليه السلام وكان يقول في تلبيته لبيك فراج الكرب لبيك وكان موسى عليه السلام يقول : لبيك أنا عبدك لديك لبيك ، وكان عيسى عليه السلام يقول : أنا عبدك وابن أمتك بنت عبديك ؛

فعلى المسلمين جميعا أن يفهموا معناها ويعملوا بمقتضاها ويلتزموا الأدب فى حجهم وعمرتهم حتى ينالوا الرضوان الأكبر من الله تعالى فان رجعوا رجعوا مغفورا لهم وان ماتوا فتحت لهم أبواب الجنة وبعثوا يوم القيامة ملبين ..

فاللهم أدبنا بآدابها وخلقنا بأخلاقها واجعلنا من الناطقين بها ولا تحرمنا من حج بيتك الحرام وزيارة نبيك عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

كتبه

د . محمد محمود شعبان

المدير العام للتعليم الثانوى

النقد الحديث في

صحيح البخارى

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

قال الامام مالك : « لا يؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك ، لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ، ولا من سفيه يعلن با لسفه وان كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب فى أحاديث الناس ، وان كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة ، اذا كان لا يعرف ما يُحَدِّث بِهِ »

وهذا هو نهج المحدثين والبخارى ، وكان نهجا عمليا تطبيقيا ، فما يزوا بين الصالحين للرواية وغير الصالحين ، كما يتضح ذلك فى كتاب التاريخ الكبير ، وكتاب الضعفاء للبخارى ، ووضح الامر وأشرق اليقين ، على أنهم وضعوا قواعد للمتن على خلاف ما زعم (جولد تسيهر ما ردده بعده المستشرق « غاستون ويت كاتب مقال « الحديث فى التاريخ العام للديانات » .

وقد قال : « لقد درس رجال الحديث السنة باتقان ، الا أن تلك الدراسة كانت موجهة الى السند ، ومعرفة الرجال ، والتقائهم وسماع بعضهم من بعض ، الا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن ، ورتب النتيجة الخبيثة لهذه الفكرة الخطيرة بقوله ، لذلك فلسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله ، من وغير أن يضيف اليه الرواه شيئا عن حسن نية فى أثناء روايتهم الحديث ، ومن الطبيعى أن يكونوا قد زادوا شيئا فى أثناء روايتهم مشافهة ، ومهما كان هذا الراى صحيحا ، فان المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح ١ ـ هـ ـ وهكذا يرمون القضايا جزافا غير مشيرين الى ما هناك من مصادر للصحيح معلومة ، وأخرى جمع فيها كلام الوضاعين ، وأصبح الأمر معلوما ، والحق ان المسلمين يتقبلون الحديث الصحيح على أنه صحيح لأنهم أعلم بمقاييسهم وأفهم بمصطلحاتهم وأصدق جهدا بالعناية بتراثهم ، لا كما فهم المستشرق ، وهذه الدعوى بهرت بعض الباحثين الاسلاميين من أتباع المستشرقين فقد ردها الأستاذ أحمد أمين فقال (١) :

وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ولكنهم والحق يقال عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن ، فقل أن يظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب الى النبى (صلى الله عليه وسلم) لا يتفق والظروف التى قيلت فيه ، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه ، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفي يخالف المألوف فى تعبير النبي أو أن الحديث أشبه فى شروطه وقيوده لتون الفقه ، وهكذا لم نظفر منهم فى هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم » أ ـ هـ

١ ـ فجر الاسلام ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

النقد الحديث في صحيح البخاري

ويشربونه كئوسا مترعة . ينظرون الى الحياة بمنظار غير شفاف ، ولايبيح للضوء أن يجتازه لتراه العيون ومن ثم تكثر في شعرهم التأوهات والأنات والزفرات والتنهدات والعبرات . والأمثلة التي قدمناها في شعر المجموعة الأولى شاهدة على ذلك .

فالشاعر متهالك في عواطفه ، متذلل في مشاعره . يكاد يسقط من الضعف والخور بل قد سقط فعلا حين صور نفسه ترابا وحطاما واكفانا ، وحين أحال جسده الى أعواد ذابلة ، وأوراق جافة ، وأسمال بالية .

ومن ثم فالمبالغة التي تصل الى حد الاحالة أبرز مايميز المعاني التي ضمنها الشاعر قوالب شعره . ولسنا نختار مثلا ، فالكل مثل صالح لتأكيد هذه الحقيقة ، واظهارها للعيان .

فاذا تركنا شعر المجموعة الأولى فاننا نجد الشاعر على طبيعته في شعر المجموعة الثانية . وسر ذلك واضح . فالشاعر في هذه المجموعة ينقل عن خارجه لاعن ذاته ، ومن ثم يلتزم بالواقع في التصوير ولايجنح نحو الاحالة والافراط والاسراف في المعنى ، وبذلك يكون الشاعر هنا مثل غيره من الشعراء الذين يصوغون الشعر في مناسبات عارضة وليس معنى ذلك أن الشاعر هنا أقوى في شعره من شعر المجموعة الأولى . اذ ليس من المحتم أن يخلو الشعر من القوة للمبالغة المفرطة في معانيه ذلك لاننا لو أقمنا فاصلا بين حد المقبول والمرفوض في المعنى الواحد . ليقي لنا الأصل والأساس الذي يمكن أن يحوز الاعجاب ويوسم بالقوة والبلاغة ، وحينئذ يبقى العيب فقط في هذا الامر الزائد عن الحد المقبول ، وفي تحديده تتفاوت الأذواق ، ويقع الاختلاف بين الناقدين والدارسين .

والمجموعة الثالثة هي كذلك معلم من معالم مدرسة الوجدان . فشعراء هذه المدرسة يهربون بمشاعرهم الى الريف مقلدين في ذلك شعراء الغرب الرومانسيين الذين أكثروا من الحديث عن الغاب ، وأوغلوا في تطوافهم بين أحضان الطبيعة . وهو تقليد محمود وليس فيه مايعيب . فهو يفتح للشعر صفحة كانت مطوية ، ويفتح امام الشاعر نافذة كانت موصدة وفيه الدلالة كل الدلالة على قدرة الشاعر حين يقترب من موضوعات تبدو في ظاهرها هينة يسيرة فاذا به يحيلها تحت قيثارة شعره الى معزوفة كاملة الألحان والأنغام . وقصيدتا الشاعر عن الثور والغراب فيهما أكبر دليل على الكفاءة الشاعرية في تناول الموضوعات العادية .

أما عن لغة الشاعر في هذا الديوان ، فهي لغة قوية ، فيها دلالة على امتلاك هذه اللغة والقدرة على تصريفها وتطويعها للمعاني الشعرية والصور البيانية . فالشاعر على وعي كامل بلغته ، وله منها رصيد يدل على الغنى والثراء . فهو لايعيش على هامش اللغة ، ولايأخذ منها أطرافها ، وانما هو يغوص في أعماقها ، وهو في غوصه لايأتي بالموغل في الغرابة ولا بالثقيل على اللسان ، ولا بالذي تزور منه الاذان وانما يأتي بالواضح البليغ الرقيق ، الذي يشيع نغما عذبا شجيا يذكرنا أنغام البحتري في الفاظه الحسان .

والصور البيانية تحتل ميدانا فسيحا في

رقعة هذا الشعر ، بل تكاد تشمل كل بيت في المجموعتين الاولي والثانية . وابرز شيء يميز الصورة البيانية هو تنويع الصور عن الشيء الواحد . فالمشبه يكون واحدا ، ومع ذلك فان الشاعر لايكتف بصورة واحدة للمشبه به وانما ياتي بعدة صور ، كأنه يري أن الصورة الواحدة لا تؤدي المراد ، أو أنها في حقيقة الأمر لاتكافيء عاطفة الشاعر الكامنة وراء كل تعبير . وفي قصيدته « أنت دير الهوي » (٧٢) مثل واضح علي صور التشبيه المتعددة ومثلها قصيدة « أنا » (٤٥) الي هذا جانب ماتقدم من نماذج في (٢) .

والصور البيانية واضحة ، في أغلبها ، ولاتفقد هذا الوضوح الا حين يلجأ الشاعر الي الرمز الموغل في الايهام ، حينئذ تتلبد سماء الصورة ، ويعسر علي من يتأملها ادراك أبعادها والتجاوب معها ، وتبقي حينئذ سرا من أسرار الشاعر ، لكن ذلك قليل بل نادر .

ومن صور البيان ماياتي ضعيفا اذا قيست صورة المشبه به بالمشبه أو اذا نظر معها الي الجو العاطفي الذي ثبتت فيه ومن هذه الصور قال الشاعر حين سئلت الربا عن بلبلها :

فأطرقت الأغصان حزنا وأصبحت
كمرتبك من حيرة الفكر واجم

فإطراق الأغصان حزنا لايوازيه ولا يمثله حالة المرتبك حتى لو كان متحيرا واجما ، فقد يكون كذلك دون ان يكون عنده الحزن الذي يعتصر الفؤاد ان ماينجد للشاعر انه استطاع ان يوائم بين هذا التيار الوجداني



بماله من سمات تتصل بالعاطفة وبين اوزان الشعر العمودي وقوافية ، اذ أن ذلك مما يؤكد قدرة قوالب هذه الاوزان علي استيعاب هذه العاطفة مهما أوغلت في مسارب النفس .

وكذلك مهما طال القصيد ، او تنوعت الرؤي . وتلك شهادة عملية لها وزنها وقيمتها ، يستطيع أن ينتفع بها أولئك الذين يريدون أن يجنحوا بعيدا عن الطريق السوي الي طريق اخر لايأنفون منه الا ... المنطلقات والسنحيات !!

د . طه مصطفي أبو كريشة

فضل المدينة المنورة

قال (صلى الله عليه وسلم) : ان ابراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإنى حرمت المدينة ، كما حرم ابراهيم مكة ، وانى دعوت في صاعها ومدها ، بمثل مادعا به ابراهيم لأهل مكة » رواه مسلم عن عبد الله بن زيد بن عاصم » ..

المفردات اللغوية :

١ ـ حرم مكة : أى دعا لها ، فحرمها الله بسبب دعوته .

٢ ـ وإنى حرمت المدينة : أى حرمت صيدها ، وقطع شجرها .

٣ ـ دعوت في صاعها : أى قال (اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم) .

مايشتمل عليه الحديث :

١ ـ هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة وفرح أهلها به .

٢ ـ المدينة أحب البلاد الى الله بعد مكة بلد الله الحرام .

٣ ـ يحرم صيد المدينة وقطع شجرها .

٤ ـ المدينة بلد مبارك في خيراته وطعامه .

٥ ـ أهل المدينة أصحاب فضل وبالمهاجرين والأنصار تكونت في المدينة دولة الاسلام ..

٦ ـ على المسلمين أن يستفيدوا من المدينة بما فيها من خير وبزيارة مقام الرسول عليه الصلاة والسلام ..

البيـــان

١ ـ هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة وفرح أهلها به :

ضاقت قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم ذرعا ، والقوة الغاشمة تضيق دائماً بكلمة الحق ، لاتطيق عليها صبرا ـ فائتمرت به ، وقررت أن تتخلص منه ، فأطلعه الله على مادبرت قريش ، وأوحى اليه بالخروج من مكة ، والهجرة الى المدينة (يثرب) فخرج (صلى الله عليه وسلم) وحيدا الا من صاحبه أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) لاجيش ولا عدة ، وقريش تتعقبه وتبحث عنه في كل مكان ، يقتفون أثره ، ويتعقبون سيره حتى وصل بعضهم الى الغار الذى اختفى فيه ، وأبو بكر يجزع لا على نفسه ولكن على محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة التى جاء بها من عند ربه فيقول : (لو أن أحدهم نظر الى قدميه لرآنا ،

للأستاذ محمد صابر البرديسى

فيهدئه الرسول صلى الله عليه وسلم من روعه، وقد أنزل الله السكينة على قلبه ويقول له: « يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما ؟ ».. قال تعالى:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ، وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١) ..

واصل الرسول (صلى الله عليه وسلم) رحلته الى المدينة بعد أن حفظه الله من كيد الأعداء، وكان أهل المدينة يترقبون قدومه، يخروجون كل يوم لاستقباله، ويصعدون شرفات المنازل ويتسلقون الأشجار والمرتفعات ليمتعوا أنظارهم برؤيته فما أن أشرف (صلى الله عليه وسلم) على المدينة حتى أخذوا يترنمون بأناشيد الفرح والسرور، ويرددون « طلع البدر علينا .. من ثنيات الوداع ».

٢ ـ المدينة أحب البلاد الى الله بعد مكة بلد الله الحرام:

ومنذ وطئت قدما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة، وأشرق نور الاسلام على يثرب، وانطلق في ارجائها عبير الاسلام، ونفحات الايمان تغير الحال فيها الى أحسن حال، وشمل التغيير الشكل والموضوع فأصبحت تسمى (المدينة المنورة)، و (دار الهجرة) بدلا من (يثرب). والمدينة أحب البلاد الى الله بعد مكة بلد الله الحرام ..

روى الحاكم في المستدرك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (اللهم انهم أخروجونى من أحب البلاد الى فأسكنى أحب البلاد اليك).

فالمدينة أصبحت غير (يثرب) وشرعت لها أحكام وأصبحت حرما ..

روى الشيخان عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ان ابراهيم حرم مكة ودعا لها. وانى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة).

وقد منح الله المدينة فضلا فأصبحت الصلاة في مسجد الرسول أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام. روى ابن حبان في صحيحه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام. وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدى بمائة صلاة ».

فالمصلى في الحرمين مكرم من الله سبحانه، ويحظى بربح وفير من الحسنات ..

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن

(١) التوبة آية ٤٠

فضل المدينة المنورة

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ان الايمان ليأرز (١) الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها) رواه البخارى وروى الطبرانى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (المدينة قبة الاسلام ودار الايمان وأرض الهجرة ومثوى الحلال والحرام)..

وروى البخارى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) ومسجده (صلى الله عليه وسلم) كان أصغر مما هو اليوم وكذلك المسجد الحرام زاد فيهما الخلفاء الراشدون، ومن بعدهم وحكم الزيادة حكم المزيد في جميع الأحكام، جزى الله من قام ويقوم بالتوسعة في بيوت الله خير الجزاء..

(٣) يحرم صيد المدينة وقطع شجرها:

يحرم صيد المدينة ويحرم قطع شجرها، ولاضمان في صيد المدينة وقطع شجرها، بل هو حرام بلاضمان، وهذا هو المشهور من مذهب الامام مالك والشافعى والجمهور، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم انى أحرم مابين لابتى المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها) وقال (المدينة خير لو كانوا يعلمون، لايدعها أحد رغبة عنها الا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولايثبت أحد على لأوائها وجهدها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة)، رواه مسلم.. واللابة هى الأرض التى بها حجارة سوداء، وللمدينة لابتان شرقية وغربية وهى بينهما، والمراد هنا تحريم المدينة نفسها، فيحرم قطع شجرها وعضاهها (وهو كل شجر فيه شوك)..

والمدينة خير مكان يقيم فيه الناس، ولايدعها أحد رغبة عنها الا عوضها الله خيرا منه، وهذا خاص بأهل المدينة والمقيمين فيها أبدا..

أما الزوار والحجاج، والقادمون عليها للعمل، وليسوا من أهلها، فلا حرج عليهم فى مغادرتها، كما أنه من صبر على لأوائها وشدتها ومشقتها كان ذلك شفيعا له وشهيدا، شفيعا للعاصين، وشهيدا للمطيعين، وانما خص أهل المدينة بهذه الشفاعة مع ما جاء فى عمومها وادخارها لجميع الأمة لأن هذه شفاعة أخرى غير الشفاعة العامة التى هى لاخراج أمته من النار، ومعافاة بعضهم فيها لشفاعته (صلى الله عليه وسلم) فى يوم القيامة، وتكون الشفاعة الخاصة بأهل المدينة بزيادة الدرجات أو تخفيف الحساب، أو باكرامهم يوم القيامة بأنواع من الكرامات كايوائهم الى ظل العرش يوم لا ظل الا ظله أو الاسراع بهم الى الجنة.

٤ ـ المدينة بلد مبارك فى خيراته وطعامه

ولقد دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأهل مكة أن يبارك لهم فى مكيالهم وصاعهم ومدهم، والبركة قد تكون دينية، وهى ما تتعلق بهذه المقادير من حقوق الله تعالى فى الزكاة، والصدقات والكفارات فتكون هذه المقادير دائمة وباقية وثابتة

---

(١) يأرز ـ أى ينضم ويجتمع، فالحية تنتشر من جحرها ثم تعود اليه كذلك الايمان خرج من المدينة، وكل مسلم يحن الى المدينة لمحبته فى النبى صلى الله عليه وسلم

٥ ـ أهل المدينة أهل فضل ، وبالمهاجرين والأنصار تكونت دولة الاسلام

وكما بارك الله فى خير المدينة وكيلها بارك فى أهلها وسكانها فهم مجموعة من أهل الايمان تميزت بصفات بلغت الآفاق ، وتفردت بخصال ليس لها مثال ، هم الذين آزروا النبى (صلى الله عليه وسلم) ونصروه ووقفوا معه فى الدفاع عن الدعوة حينما اتفق أعداء الاسلام من مشركى مكة ومن القبائل العربية المجاورة التى كانت تعاون أهل مكة على محاربة الرسول ومن معه ، فحارب أهل المدينة ، ووقفوا بجانبه حتى أعز الله الاسلام بجهاد المهاجرين والأنصار ، وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا .

وهم الذين تبوءوا الايمان فكان الايمان دارهم الذى تعيش فيه قلوبهم ، وتسكن اليه أرواحهم يطمئنون له كما يطمئن المرء ويستريح الى داره .

ولقد أحب الأنصار اخوانهم المهاجرين حبا منقطع النظير ، ولم تعرف البشرية كلها حبا كريما كهذا الحب ولا بذلا سخيا كهذا البذل ولا مشاركة رضية كهذه المشاركة ولا حادثا جماعيا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين ، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر فى دار أنصارى الا بقرعة ، لأن عدد الراغبين فى الايواء المتزاحمين عليه ، أكثر من عدد المهاجرين ، وكان الأنصار يؤثرون المهاجرين على أنفسهم مع الحاجة ، والايثار على النفس مع الحاجة قمة عليا ، وقد بلغ اليها الأنصار فى تلك الأزمان ولايزال أثر ذلك باقيا الى اليوم .



تسير فيها الزكاة ما بقيت الشريعة الاسلامية ، فهى ثابتة كثبوتها ، ويحتمل أن تكون البركة دنيوية فيكثر الكيل ويبارك الله فيه ، فتكفى منه فى حاجات الناس ، ما لا يكفى من غيره فى غير أهل المدينة وقد تكثر الأرباح ، وتكثر الغلات والثمار .

وقد ظهرت اجابة دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد فتح الله عليهم ، ووسع من فضله لهم حين ملكهم بلاد الخصب من الشام ومصر والعراق وغيرها حتى كثر الخير فى المدينة ، واتسع عيش أهلها حتى صارت هذه البركة فى الكيل نفسه ، فزاد مدهم ، وصار هاشميا مثل مد النبى (صلى الله عليه وسلم) مرتين تقريبا .

فضل المدينة المنورة

قال تعالى : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١)

لقد سارت الدولة الاسلامية الجديدة فى المدينة بفلسفة جديدة فى الحياة ، وبنظام جديد يخالف جميع الأنظمة التى كانت سائدة فى بلاد العرب، بل وفى العالم كله انذاك ، فقد أقام الاسلام الحكم على نظام غير مألوف ، أقامه على أساس من الايمان والعدل والشورى ، والعمل لخير الانسانية كلها .

وكانت المدينة نقطة تحول من الشرك الى التوحيد ، ومن الضعف الى القوة ، ومن اليأس الى الرجاء ، ومن الفرقة الى الحب والاخاء ، وأصبح أهل المدينة طرازا آخر غير الطراز المألوف ، نهضوا بتكاليف العقيدة ، وأدوا واجب الايمان ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وصاروا كأنهم ملائكة أولئك لهم الخيرات فى الدنيا والآخرة ، فى الدنيا ، لهم العزة والكرامة ، والكلمة العالية ، والعيش الكريم ، وفى الآخرة لهم الجزاء الأوفى ، ورضوان الله والفلاح بالأجر العظيم قال تعالى :

(لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ، وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٢)

٦ - على المسلمين أن يستفيدوا من فضل المدينة .

على المسلمين والحجاج والزائرين والمقيمين والعاملين بالمدينة المنورة أن يستفيدوا من هذا الفضل ، وأن يقتدوا بما كان عليه أهل المدينة زمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأن يلتزموا الاداب فى بلد رسول الله ومثواه ، وأن يشكروا الله على أن مَنَّ عليهم بالزيارة أو الاقامة فى رحاب المسجد النبوى المبارك الذى فيه روضة من رياض الجنة عليهم أن يزوروا قبر النبى (صلى الله عليه وسلم) ويكثروا من الصلاة فى الروضة الشريفة ، وأن يسلموا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحية لزيارته فقد روى أبو داود وغيره أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال :

ما من مسلم يسلم على الا رَدَّ الله عَلَىَّ رُوحى حَتَّى أَرُدَّ عليه السلام

وانا لندعو بدعاء رسولك الذى رواه البخارى .

اللهم حبب الينا المدينة كحُبِّنَا مَكَّةَ أو أَشَدّ

والله الموفق

الشيخ / محمد صابر البرديسى

(١) سورة الحشر : ٩

(٢) سورة التوبة آية ٨٨ ، ٨٩

قادة النبي صلى الله عليه وسلم

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

٣٤ ـ بشير بن سعد الأنصارى رضى الله عنه

هو بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى ، كان من أوائل الناس اسلاما ، شهد العقبة الثانية ، وهو بدرى حضر المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله في الاسلام قدم صدق .

ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثين رجلا الى بنى مرة ـ من غطفان بفدك ـ ١ ـ ، ولكن بنى مرة أصابت هذه السرية ونقل بشير رضى الله عنه الى المدينة جريحا ، وبعد أن شفيت جراحه واصل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان بشير رضى الله عنه أول من بايع ابا بكر يوم الثقيفة واجتمع امر المسلمين على أبى بكر .

ويستمر بشير بن سعد رضى الله عنه في جهاده ايام الصديق ، ويمضى الى ربه شهيدا في معركة عين التمر والمسلمون بقيادة خالد بن الوليد يدقون ابواب العراق ليخرجوه من الظلمات الى النور .

وذلك سنة اثنتى عشرة ـ رضى الله تعالى عنه .

٣٥ ـ شجاع بن وهب الأسدى رضى الله عنه

هو شجاع بن أبى وهب ، ويقال ابن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب الأسدى ، كان حليفا لبنى عبد شمس ، وهو من أوائل الناس اسلاما في مكة ، هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية ، وهاجر الى المدينة ، وهو بدرى وشهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم في سرية الى بنى عامر ـ بنجد ـ وكان في أربعة وعشرين رجلا ، واستطاعت هذه العصبة

---

١ ـ فدك شمال المدينة قرب خيبر

المؤمنة أن تصيب القوم وتعود الى المدينة بمغانم طيبة .

وكان أيضا رسول الرسول صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن أبى شمر الغسانى والى جبلة بن الأيهم الغسانى يدعوهما الى الاسلام .

ومات - رضى الله عنه - مجاهدا يوم اليمامة زمن الخليفة الصديق رضى الله عنهما .

٣٦ - كعب بن عمير الغفارى رضى الله عنه

كعب بن عمير الغفارى من كبار الصحابة . وكان الرسول صلى الله عنه وسلم يرسله فى كثير من السرايا . فهو من أهل النجدة .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى خمسة وعشرين رجلا الى « ذات أطلاح (١) » الى قبيلة قضاعة .

ودار قتال شرس بين هذه القلة المؤمنة وبين الكثرة الكافرة . وقاتل الصحابة اشد القتال . وقتل معظم الصحابة . وحمل كعب جريحا الى المدينة . ولكنه ما ان شفى حتى واصل الجهاد واشترك مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى الغزوات .

٣٧ - عُيَيْنَه بن حِصْن الفَزَارى

هو عيينه بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى من غطفان كان شديد العداوة للاسلام والمسلمين ، هاجم المدينة اكثر من مرة . واشترك مع الاحزاب فى حصار المدينة فى غزوة الخندق . ولكنه أسلم بعد الفتح (١) على الأرجح وحضر مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين . ولما وزع الرسول صلى الله عليه وسلم غنائم حنين الهائلة أعطى عيينه كثيرا منها . أعطاه مائة بعير . وكان حينئذ من الذين تألف الرسول صلى الله عليه وسلم قلوبهم .

ذهب عيينه بن حصن فى سرية قوامها خمسون فارسا الى بنى تميم بالسقيا (٢) . فانتصروا وأسروا عددا عظيما من بنى تميم . فقدم عشرة من رؤسائهم الى النبى - صلى الله عليه وسلم - ليرد عليهم الأسارى .

وهو أحد القواد « الجرارين » . والجرار عندهم من يقود عشرة الاف مقاتل .

انحاز بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى طليحة الأسدى وشاء الله سبحانه أن يسلم الرجلان - رضى الله عنهما (٤) .

وتزوج عثمان بن عفان - من ابنة عيينة - رضى الله عنهما .

٣٨ - عُكَّاشَة بن مِحْصَن رضى الله عنه

هو عُكَّاشَة بن محصن بن حرثان بن قيس الأسدى كان حليفا لبنى عبد شمس .

وهو من أوائل الناس اسلاما . أسلم فى مكة . وهاجر الى المدينة مع العصبة الأولى من مهاجرة المدينة . بدرى أبلى فى بدر حسن البلاء . قاتل حتى انكسر السيف فى

---

١ - شمال المدينة - وراء وادى القرى - وراء خيبر

٢ - فتح مكة

٣ - شرق الجزيرة قرب الخليج

٤ - راجع أسد الغابة لابن الأثير ٤ / ٩٨ مطبعة الشعب

يده . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه الرسول عليه وسلم جذلا (١) من حطب ، قائلا صلى الله عليه وسلم (قاتل بهذا يا عكاشة) . فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزة في يده فعاد سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة سمى ـ بعد ـ بالعون ـ . فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وبقى هذا السيف معه يلازمه في معارك الاسلام .

شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال الرسول : ـ (يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتى على صورة القمر ليلة البدر) فقال عكاشة رضى الله عنه : ـ « يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى منهم » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ (انك منهم) أو (اللهم اجعله منهم) . فقال رجل من الأنصار : ـ « يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم » . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم عنه (مناخير فارس في العرب أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى الجناب (٢) الى قبيلتى عذرة وبلى فعاد غانما .

وشهد عكاشة رضى الله عنه المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم واستمر يجاهد في عهد الصديق رضى الله عنه ، حتى قتله طليحة الأسدى في حروب الردة ، فمضى الى ربه شهيدا قد سبقته دعوة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدخوله الجنة

١ ـ عودا من حطب أصل الشجرة

٢ ـ موضع بالحجاز

٣٦ ـ أبو عامر الاشعرى رضى الله عنه

اختلف في اسمه (٣) فقيل : هانى بن قيس ، وقيل : عبد الرحمن بن قيس ، وقيل ، انه أخو أبى موسى الاشعرى (٤) رضى الله عنه وقيل انه ابن عمه .

أسلم مع الأشعريين ، وقدموا المدينه ـ على الأرجح ـ مع جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه حيث نزلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في خيبر .

وحدث ـ بعد حنين ـ أن انهزمت (٥) قبيلة هوازن . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الأشعرى رضى الله عنه في آثار من توجه منهم قبل أوطاس (٦) ، فحمل أبو عامر رضى الله عنه على القوم حملة صادقة حتى انه بارز وحده عشرة اخوة ، كان يبارزهم الواحد تلو الأخر ، يدعوهم الى الاسلام أولا . ثم يقول في كل مرة وهو يهاجم الواحد منهم « اللهم اشهد عليه » . ثم يتمكن منه فيقتله . حتى قتل ـ رضى الله عنه ـ تسعة منهم ولما حمل ابو عامر رضى الله عنه على العاشر بعد أن دعاه الى الاسلام قال : ـ « اللهم اشهد عليه » . فقال الرجل « اللهم لا تشهد على » . فتركه أبو عامر رضى الله عنه . فأسلم الرجل وحسن اسلامه . فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول اذا رآه : ـ (هذا شريد أبى عامر) .

٣ ـ اسد الغابة وابن هشام

٤ ـ عبد الله بن قيس رضى الله عنه .

٥ ـ فرت وهربت

٦ ـ واد من أودية حنين قرب الطائف .

قادة النبى

صلى الله عليه وسلم

وأصيب أبو عامر ـ رضى الله عنه ـ بسهم ، رماه به أحد رجال ثلاثة : سلمة بن دريد بن الصمة ، أو أوفى ـ أو ـ العلاء ابنا الحارث ، وكلهم من جشم ، ويذكر أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادى في « المحبر » ص « ١٢٤ » أن قاتله هو سلمة بن سمادير .

ولقى أبو عامر ربه شهيدا ، وتولى القيادة ـ عقبة ـ في هذه السرية أبو موسى الأشعري ـ رضى الله عنه .

٤٠ ـ أسامة بن زيد رضى الله عنه

هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحبيل الكلبى ، وهو الحب بن الحب ، ربيب الاسلام ، أبوه زيد بن حارثة رضى الله عنه الذى قيل له « زيد بن محمد » بعض الوقت ، وأمه « أم ايمن ـ بركة » حاضنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحبه كثيرا ، حتى أنه مسح دمه ومجه عندما جرح زيد ـ وهو صغير .

ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم آخر السرايا ، وهو دون التاسعة عشر ـ ثمانية عاما تقريبا ـ وكان في جيشه كبار الصحابة أمثال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وجهه الرسول صلى الله عليه وسلم الى شمال الجزيرة ، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، ويؤدب القبائل العربية التى ساعدت الروم ضد المسلمين في غزوة مؤتة (سرية) تلك السرية التى قتل فيها ابوه زيد بن حارثه .

واستعد الجيش ، وأوعب المسلمون في الاستعداد ، وأثناء ذلك مرض الرسول صلى الله عليه وسلم فتأخر بعث أسامة رضى الله عنه .

ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه ، أنفذ أبو بكر رضى الله عنه بعث أسامة قائلا : ـ « والله لا أحل لواء عقده رسول الله » ولم يوافق الصحابة الذين طلبوا من الخليفة عدم ارسال اسامة رضى الله عنه ، لأن الردة أطلت برأسها ولأن المدينة في حاجة الى هذا الجيش .

وسار أسامة رضى الله عنه بهذا الجيش ، ونفذ أمر الرسول اليه وانتصر نصرا فريدا ، أدخل الخوف قلوب القبائل التى كانت تزمع الردة ، وأشعر الروم بقوة دولة الاسلام الفتية ، وأثبت فراسة الرسول صلى الله عليه وسلم فيه : ـ (انه لخليق بالامارة) .

وعمر أسامة ومات في آخر خلافة معاوية رضى الله عنهما

تم البحث

المجتمع الاسلامى في تصوير القرآن الكريم

للأستاذ مصطفى شاهين

قليل من الدارسين من يعرف شيئا عن حديث القرآن الكريم عن المجتمع الاسلامى ، مع أن هذا المجتمع قد شغل جانبا كبيرا من آيات الكتاب الكريم : ابتداء من سورة البقرة ، وانتهاء بسورة الناس .

ونحن اذ نعرض لهذه الآيات تفصيلا ، يهمنا أن نشير الى أن ما يبدو لنا من الملاحظات التى تعطينا فكرة كاملة عن اسلوب القرآن الكريم في تصوير حقيقة هذا المجتمع .

وأول هذه الملاحظات : أن القرآن الكريم عندما اشار الى المجتمع الاسلامى أشار اليه على انه مجتمع المؤمنين . ولذلك : فكثيرا ما بدئت اياته التى تشير الى نظم هذا المجتمع بالنداء العذب الذى يجذب نحوه الأسماع والأفئدة . وهو : « يأيها الذين امنوا » .

وتبعا لذلك : جاءت أول قاعدة أساسية يرتكز عليها بناء هذا المجتمع موضحة اتجاهه ونمط حياته ، وأسلوب هذه الحياة ، محددة مشربه ومنزعه . وأنه باديء ذى بدء مجتمع ايمانى ، يدين افراده بعقيدة الاسلام ، ويتعاملون فيما بينهم وفق شريعة هذا الدين .

وهذا ما حددته ايات سورة : البقرة ، وسورة : النساء ، وسورة : الاسراء . اذ أن كلا منها قد تضمن كثيرا من خصائص المجتمع الاسلامى وسماته وأهم الأركان الواجب توافرها فيه .

اسس المجتمع الاسلامى :

قال الله تعالى : « لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ

المجتمع الإسلامي في تصوير القرآن الكريم

وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » البقرة اية ١٧٧ .

نلاحظ أن الاية قد اشتملت على عناصر كثيرة جمعت معظم الأسس التى يجب توافرها في المجتمع الاسلامى ، مجتمع البر ، كما هو صريح الاية .. ولذلك فاننا لانكون بعيدين عن الصواب اذا أطلقنا على المجتمع الاسلامى وصف مجتمع البر ، خاصة وأن هذا الوصف فوق أنه قد تضمن هنا كثيرا من الأسس التى وجه القرآن الكريم عنايتنا اليها على سبيل النصح والتوجيه المشار اليهما لفظا ومعنى في قوله تعالى : « ليس البر » كذا .. « ولكن البر » كذا ..

الا أنه مع ذلك مطلب أساسى من مطالب القرآن الكريم لأتباعه المؤمنين وأشياعه المسلمين ، أخذا من قوله تعالى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » : المائدة اية ٢ .

شىء آخر نلاحظه على ايتنا هذه ، اية سورة البقرة ، وهى أنها استهلت عناصر البر بعنصر الايمان بالله والملائكة والكتاب والنبيين ، مشيرة الى أن أول ركن أساسى من أركان المجتمع الاسلامى هو ركن العقيدة ، وهى هنا : تعنى الايمان بالله وتوحيده ، وهذا يعنى مرة أخرى ، أن الأساس النظرى للمجتمع الاسلامى يقوم على مبدأ يصح أن نطلق عليه لفظا محدثا هو : « ايديولوجى » .. أعنى أنه مبدأ يتضمن فى محتواه ملخصا نظريا لما سيأتى ويطالب به عمليا

وهذا الأساس هنا : هو الايمان بالله ، ومايستتبعه هذا الايمان من مثل عليا ، أهمها : وجوب العمل المخلص الدائب في خدمة الجماعة ، لا طلبا لثواب مخلوق ، بل طلبا لمرضاة الله سبحانه .. ومن ثم ، فان هذا المبدأ الأساسى يعطينا أن المجتمع الاسلامى مجتمع يموج بالواجبات والمسئوليات ومن ثم ، فان العطاء فيه أكثر من الأخذ .

وبناء على ذلك فهو ليس مجتمعا منعزلا في قمم الجبال ، لأنه لايعترف بالرهبانية ، أو العزلة عن الجماعة .. والنتيجة هنا ، أن الاسلام الذى هو عقيدة المجتمع الاسلامى دين اجتماعى ، أى ، جاء لخدمة المجتمع وحل مشاكله .

نأخذ ذلك ، من قوله تعالى : « وآتى المال على حبه ذوى القربى .. » الى آخر الاية فان هذه الألفاظ تشير في قوة الى وجوب الانفاق للمال — مع أنه محبوب لصاحبه — والتضحية به لصالح طوائف من الناس ذكرتهم الاية ، وأنهم ، الاقارب واليتامى والمساكين والغرباء المسافرون الذين ليس معهم مال لمواصلة السفر ، ويعبر عنهم التنزيل بـ : « ابن السبيل » والسائلين ، وعتق الأرقاء ، و « في الرقاب » .

فذكر هذه الطوائف كلها هنا مقصود به توجيه عنايتنا الى وجوب توفير الطمأنينة لهؤلاء الناس من ناحية ، والى أن من صفات وسمات المجتمع الاسلامى ، أنه مجتمع الوفاء بالعهد .. كما قال الكتاب في اية أخرى : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » الاسراء ٣٤ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » ١ المائدة والى أنه أيضا مجتمع قد تربى أفراده

على عون بعضهم البعض في الشدائد فلا يقوم بها من ناءت به وحده لانهم قد تأدبوا بادب الله الذي رسمه لهم في قوله : ... « إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ، لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » سورة المعارج الآيات ١٩ ـ ٢٥ .

ولعل من المفيد هنا : ملاحظة كيف أن الواجبات الدينية ، والأسس العقائدية تنساب مع الواجبات الاجتماعية ، لأن الايمان بالله ذكر معه وجوب اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وايتاء ذوى القربى ومن ذكر معهم .. مما يدل دلالة قاطعة : على أن الخدمات الاجتماعية ترقى الى درجة التكاليف الدينية في الاسلام .

لبنة المجتمع الاسلامي وصرحه :

على أن (الايمان بالله) مسالة تشكل أول لبنة في صرح المجتمع الاسلامي ـ ولذلك شأن اخر علاوة على ماسبق ، وهو : أنها تشير الى هوية هذا المجتمع ، وأن الجماعة الداخلة فيه مرتبطة معا عقائديا وعمليا وفق نظام الاسلام نظريا وعمليا ، أو عقيدة وسلوكا .

وتلك لعمرى : سنة جرى عليها واضعو الدساتير الحديثة حين يستهلونها بذكر شكل الدولة ونظام الحكم فيها بادىء ذى بدء .. عند أول مادة في الدستور ، حيث يقولون : ان دولة كذا التي وضع لها هذا الدستور دولة ملكية أو جمهورية .. الى غير ذلك .

فالقران بنصه من أول الأمر على الايمان بالله ، يريد : أن ينبه الناس الى أن المجتمع الذي يشرع له مايشرع هو : مجتمع يدين بالله على مقتضى قانون الاسلام . وهذا يستتبع نتيجتين كلاهما في منتهى الخطورة . وهما الحرية والمساواة لأن الايمان بالله معناه ألا وجود في هذا المجتمع لعبادة الفرد ، ولا لأية عبودية للمخلوق من أى نوع كان .

فهم مربوبون لله ، ومن ثم فهم متساوون في هذه المربوبية لله ، كما أنهم في نفس الوقت أحرار .. فلاينبغى والحال هكذا أن يستعبد بعضهم البعض الاخر من حيث كونهم جميعا عبيدا لله .

وهذا يستتبع مبدأ اخر ، وهو : أن هذا المجتمع بحكم معبوده الواحد الأحد وبحكم شريعته وعقيدته وواجباته ، تكون أمته أمة واحدة ، لذلك ، لم يكن عجبا أن يصرح الكتاب بذلك في قوله : « وأن هذه أمتكم أمة واحدة » ، (وانما المؤمنون اخوة) .

تشريع جديد جرىء :

شيء اخر يلفت نظرنا في هذه الاية ، وهى : أن القران الكريم قد ذكر أنواعا من الناس لم يسبق لتشريع غير سماوى أن عنى بهم هذه العناية الكبيرة كما رأينا منهجه في الغرباء والأرقاء فكون الكتاب الكريم ينص على وجوب رعاية الغرباء المسافرين ، ومساعدتهم في الوصول الى هدفهم ، وكونه أيضا يحث بشدة على وجوب مساعدة الأرقاء على الخروج من الرق الى الحرية ، يعتبر شيئا جديدا جديرا بالتسجيل على أنه يمثل قضية أساسية في المجتمع الاسلامى .

لأن الدعوة الى تحرير العبيد في عصر

نزول القرآن تعتبر عملا جديدا وجريئا معا ، لأن الرقيق كان يعتبر عنصرا هاما من عناصر الحياة الاقتصادية ، لا عند العرب وحدهم ، بل عند اليونان والرومان كذلك .

فاذا ما جاء القرآن ، كتاب الدين الجديد ، يدعو الى حرية العبيد ، ويعتبر ذلك احدى وسائل القربى من الله : هو أمر ملفت للانظار بشدة حقا واقرأ في ذلك قوله تعالى عن الانسان : لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ الى أن قال سبحانه : فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ .. » سورة البلد : الآيات ٤ ــ ١٣ .

قلنا ان المجتمع الاسلامي مجتمع العطاء والواجبات ومن ثم ، فهو مجتمع التكاليف والواجبات لا الكسل والاسترخاء ، هو مجتمع العطاء : العطاء المالي .

كما هو صريح هذه الآية ، والعطاء عن طريق المساعدة بالبدن للمحتاجين الى ذلك والمساعدة بالرأي والمشورة لطالبي ذلك من القادرين عليه أيضا .

وهذا ما اوضحته السنة .. في الحديث المشهور .. « على كل مسلم صدقة . قالوا : فاذا لم يجد عنده ما يتصدق به يا رسول الله ؟ قال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق . قالوا : فان لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف .. قالوا : فاذا لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فانه له صدقة .. !!

هذا هو شأن المجتمع الاسلامي ، كما تشير اليه اية البر من سورة البقرة .. فهو : مجتمع أساسه وقاعدته الاولى الايمان بالله وفق قانون الاسلام . لما في ذلك من تحديد لهوية هذا المجتمع من اول الامر .. وهذا ما اكدته سورة النساء في اية « وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

العناية بالأسس :

غير ان هنا اموراً جديرة بالملاحظة والعناية ، واول هذه الامور ، هو ان القرآن الكريم عندما امر بعبادة الله وحده في هذه الاية ، وكذلك في ايتي الاسراء ولقمان حرص على اتباع ذلك بالامر بالاحسان الى الوالدين .. لماذا ؟ لان الوالدين هما أساس الاسرة المكونة منهما ومن الابناء .. وانما ذكر الوالدين فقط لانها كلمة اضافية تستتبع بالتالي وجود ابناء في اسرة ..

وكأني بالقرآن الكريم يريد أن يقول :

ان المجتمع الاسلامي أساسه الايمان بالله .. على مقتضى قانون الاسلام .. يلي ذلك : وجوب العناية بالاسرة .. اذ هي مركز الثقل في هذا المجتمع لانها تشكل اللبنة الاولى فيه .. واخص : افراد الاسرة ، واولاها بالرعاية : هما الوالدان اذا كبرا ، لما لهما من الفضائل التي ذكرها القرآن تفصيلا في سورة لقمان : « وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ .. » اية ١٤ ، وفي اية الاحقاف مثل ذلك .. : الاية ١٥ ..

وبذلك : يكون الاسلام قد سبق الدراسات الاجتماعية الحديثة التي تشيد بالاسرة على انها اول لبنة في المجتمع ..

واكثر من ذلك : تعطينا اية النساء هذه من عناصر المجتمع الاسلامي عنصر

« الجيرة » .. وجوب رعاية الجار .. وهذه اضافة قرآنية جديدة ولا شك .. اذ أن الدراسات الاجتماعية الحديثة لا تتضمن اعتبار الجار عنصرا من عناصر المجتمع .. لكن القرآن الكريم يعتبره كذلك هنا . بل وكلام النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد أن مبدأ رعاية الجار من المبادىء المهمة فى الاسلام ، لانه فى درجة قريبة جدا من القريب الوارث .. وهذا ما يؤكده قول النبي صلى الله عليه وسلم .. « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه » ..

الى هذا المدى وصلت رعاية الاسلام لعناصر المجتمع : الاسرة ، وذوى القربى ، والجيران ـ القريب منهم والبعيد على حد سواء ـ والاصحاب ، والغرباء : او « أبناء السبيل » ، والارقاء !! و«ماملكت ايمانكم».. هذا فضلا عن اليتامى والمساكين والسابق الاشارة اليهم فى اية سورة البقرة .. مع التاكيد على اليتامى بالذات كما فى ايات سورة الانعام .. التى تبدأ بقوله تعالى : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .. » الى قوله تعالى :

« وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » الايات ١٥١ ـ ١٥٢ ..

تحصين المجتمع من التفكك :

اقول : ان شأن هذه الايات هو أنها تكفلت بمنع ـ ما يمكن أن نسميه الشرور الاجتماعية ، التى يجب أن يتنزه عنها المجتمع الاسلامى . فما هى هذه الشرور ؟ هى ـ أخذا من نصوص الايات السابق ذكرها :

الشرك بالله
عدم الاحسان الى الوالدين
قتل الاولاد
وقربان الفواحش ما ظهر منها وما بطن
قتل النفس
أكل مال اليتيم
نقصان الكيل والميزان
والكذب : عدم قول الحق ، ولو على النفس والاقارب : « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ »
(الانعام ١٥٢)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ... (المائدة اية ٨) واقرأ الاية (١٣٥) من سورة النساء ..

هذه الشرور الاجتماعية التى يصرح الكتاب الكريم بوجوب أن يتنزه عنها المجتمع الاسلامى هى أمر تأكد وجوبه أكثر من مرة بأكثر من أسلوب فهو هنا فى سورة الانعام مذكور فى أمور عدة محرمة صراحة :

قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم » فهى أمور محرمة فى المجتمع الاسلامى ، وقد عبر عنها مرة أخرى بأسلوب النهى القاطع كما فى سورة الاسراء ..

« ولا تقتلوا أولادكم
ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة
ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ..
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن .. ثم ها نحن نرى تكرار الأمر بالوفاء

بالكيل والميزان يظهر هنا مرة أخرى .. على نسق ما سبق ان رأيناه فى سورة الانعام ..

هى اذن : أوامر بفعل ما فيه مصلحة المجتمع ، ونواه عن أمور يجب أن يتنزه عنها المجتمع الاسلامى ..

والاكثر من هذا حسا ، ان ينأى الكتاب الكريم بالمجتمع الاسلامى عن أن يتضمن أى عنصر من عناصر الضعف والتفكك حسا ومعنى .

حسا كما فى عدم البر بالوالدين والأقربين والمساكين وابن السبيل ، بل يعتبر البر بهم حقا واجبا لا تبرعا او منحة ، ألم يقل : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل .. وتأمل قوله (وآت .. حقه ..) وقد تقدم قبل هذا بقليل قوله : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) فحسن معاملة الوالدين .. أمر مقضى به فى الاسلام .. أى : محتم وجوده ، مثل توحيد الله تماما ، لا مجرد ممارسة أدب من الآداب ..

ما يتنزه عن المجتمع الاسلامى

أما الأمور المعنوية التى يجب أن يتنزه عنها المجتمع الاسلامى ، فنجد منها فى سورة الاسراء قوله تعالى : « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ، وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا » الايات ٣٦ / ٣٧ .

وفى سورة (المؤمنون) : قوله تعالى : « وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ » .. ضمن ذكره لعناصر فلاح المؤمنين .. إليهم « الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ... وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ .. » الايات ١ ـ ١٠

فالأمر الجدير بالملاحظة هنا حقا أن نجد صفات المؤمنين مبدوءة بالخشوع فى الصلاة .. ثم بعدها يدخل القرآن الكريم مباشرة على المشاكل الاجتماعية التى يلزم المسلم بالمساهمة فى حلها او يتجنبها لما فيها من ضرر ..

الأولى مثل : أداء الزكاة ، والثانية مثل : البعد عن اللغو ..

وحتى تنظيم العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة تظهر عناية القرآن به حيث حصر أوجه هذه العلاقة فى شيئين لا ثالث لهما ، هما : الزواج وملك اليمين .. هذان هما السبيلان الوحيدان لممارسة الطاقة الجنسية .. فمن ابتغى وراء ذلك سبيلا آخر كان اعتداء أو عدوانا على النفس أو على الغير ..

شىء آخر نلاحظه فى اجتماعيات القرآن الكريم ، هو حرصه على ضرورة أن يلتزم الفرد المسلم بجملة من الاخلاق والصفات التى تؤهله لأن يكون عضوا حقيقيا فى مجتمع المؤمنين .. مجتمع الاسلام .. هذه الصفات الشخصية تضاف الى العناصر الأخرى التى يجب عليه أن يتفاعل بها على

انها أركان أساسية في قيام المجتمع وهي : السابق الاشارة اليها في سورة البقرة وسورة النساء وسورة الأنعام ..

أما الاخلاق التي تخص الفرد فهي المذكورة في سورة الاسراء في قوله تعالى :

« وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا »

والمشار اليها أيضا في سورة لقمان :

« وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » . « لقمان الآيات ١٩/١٨ »

فغض الصوت امر حث عليه القرآن الكريم في أكثر من موضع ، وأحيانا يكون ذلك مطلوبا واجبا كما هو الحال في مخاطبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ » . الحجرات آية ٢ ، ٣ .

ويجب من خفض الصوت بالنسبة للنبي كما هو الحال هنا قل مثله بالنسبة للوالد والمعلم . الاول من جملة ما يشير اليه قوله تعالى : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » والثاني : بحكم عظم وقدسية الرسالة التي يؤديها في المجتمع . (كاد المعلم أن يكون رسولا) .

آداب اجتماعية لازمة :

كذلك من الآداب الاجتماعية التي يتحتم على المسلم مراعاتها طالما أنه مؤمن ويعيش داخل مجتمع مؤمن بالاسلام كذلك : عدم السخرية من أحد فردا أو جماعة ، وعدم اللمز وعدم التنابز بالألقاب ، واجتناب الظن والتجسس والنميمة ..

ان تجنب هذه الرذائل يدعو الى تقوية الروابط بين الافراد والجماعات فيغدو المجتمع متماسكا متحابا ، لاموضع فيه للتمزق والتفسخ ، اقرأ ذلك وغيره في سورة الحجرات التي تعلمنا كذلك طريقة الاصلاح بين المتخاصمين في مجتمع الايمان هذا الذي هو مجتمع الأخوة كما سبق القول وكما هو صريح الكتاب هنا : (انما المؤمنون اخوة) .

ومن هنا : نخلص الى السمات التي تميز المجتمع الاسلامي :

فهو أولا : مجتمع يقوم على قاعـــــدة أساسية تلخص دستوره وهي : الايمان بالله .. وما يتتبعه هذا الايمان من الحرية للأفراد والمساواة ، كما سبق توضيحه .

وثانيا : هو مجتمع واجبي . أي على الافراد فيه واجبات أي أنه بلغة الفقه : مجتمع التكاليف .

وثالثا : هو مجتمع الأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة

المجتمع الإسلامي في تصوير القرآن الكريم

ورابعا : هو مجتمع الوحدة والتوحيد، لأنه موحد في الأساس وفي الغاية والأهداف .

في الأساس ، لأنه مرتبط كله بعقيدة واحدة تنظم سلوكه كله في الأسلوب واحد من الاعتقاد ، بالله الحق وحده . والصلاة له جماعة الى قبلة واحدة . والصيام له في ميعاد واحد هو شهر رمضان . بأسلوب واحد هو الامتناع عن المطعومات والمشروبات والشهوات .. من طلوع الفجر الى غروب الشمس . كما أن هدفه واحد . وهو القيام لله رب العالمين ابتغاء مرضاته .. وحبا فيه .

الغاية والجزاء :

ومن ثم فغاية المجتمع الاسلامي تحقيق القرب من الله عن طريق امتثال أوامره المهقود بها نفع الناس . وترقية وتزكية الفرد . وهذا هو منتهى السعادة الدنيوية .

اما في الاخـــــرة : فالجزاء والمثوبة الحسنى بلا حدود .. واقرأ في ذلك قوله تعالى بيانا للجزاءين الدنيوي والاخروي :

« إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ .. »

الى قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ »

المعارج : الآيات ١٩ ـ ٣٥

ولعلك تلاحظ معي أن الجزاء الدنيوي هنا هو عصمة للانسان المسلم الحق من الهلع والجزع والشح . وهي شرور تعرض للانسان عامة اذا مسه الشر او الخير . تعرض له بأصل الخلقة طبيعة تكوينه النفسي .

لكن المسلم المؤدي لواجباته الدينية والاجتماعية حاشاه ذلك . فان هذا العمل الاسلامي سيعصمه من التردي في مهاوي الهلع والجزع والشح . ويجعله انسانا اخر . قوي المقاومة لهذه الشرور . صلبا امام الشدائد وهذه تحقق له النجاح تلو النجاح في الدنيا حيث لاينهار عند أول صدمة ولاتطير بعقله النكسات . واقرأ في هذا ايضا قوله الله تعالى :

« ان الانسان لفي خسر »

اما في الاخرة : فهذا الطراز من الناس اعني ناس المجتمع الاسلامي لهم الجزاء الاوفى . « اولئك في جنات مكرمون » .

واقرأ قوله تعالى :

« إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا » الايات ٥ ـ ٢٢ من سورة الانسان ..

ففيها بيان لسبب هذا الجزاء . وأنه اداء الواجبات الدينية والاجتماعية من : الوفاء بالنذور واحكام الطعام للمساكين واليتامى والاسرى . علاوة على الخوف من عذاب يوم القيامة . وهي كلها تدخل ضمن مصلحة الاسلام اعني : العمل الصالح . والبر . العمل الصالح ايا كان موقعه .. شريطة ان يكون مقترنا بالايمان بالله اذ هو اساس كل الفضائل ..

ان كثيرا من الايات .. يعطينا جزاء

ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه

صدق الله العظيم

اصحاب العمل الصالح والنافع في الدين والدنيا ، لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الاخرة ..

واقرأ في ذلك الايات ١٥ ـ ١٩ من سورة الذاريات ، ١٧ ، ١٨ من سورة الطور .. ٥٤ ، ٥٥ من سورة القمر ، ٤٦ ـ ٦٠ من سورة الرحمن ، والأيات ٤١ ـ ٤٤ من سورة المرسلات ، الى غير هذه ..

تعددت الايات المبينة للمجتمع الاسلامي على النحو الذي قدمنا ، واخر مانلاحظه عليها من حيث أسلوب دعوتها الى اقامة هذا المجتمع الموصوف في ايات الكتاب بالبر في سورة البقرة ، وبالعدل في سورة النحل ، وبالمساواة في سورة الحجرات ، وبالتعاون والمحبة في سورة المائدة ، وبالصدق في سورة الاحزاب ، وبالرحمة في سورة الفتح .

أنها ـ اي الايات ـ قد وجهت نظر المسلم الى نواحي البر في أسلوب رقيق هو دعوة لممارسة هذه الفضائل ونصيحة مصحوبة بالحث على الالتزام باقامة هذا المجتمع ، وذلك نأخذه من منطوق الاية حيث تقول : ليس البر كذا .. ولكن البر كذا وكذا .. كما في سورة البقرة .

أما في اية سورة النساء ، فان لفظها يشير الى : ان اقامة المجتمع الاسلامي أمر واجب وجوبا أصليا يدل عليه قوله تعالى : (واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا) .. حيث ان توحيد الله ركن أساسي في الاسلام ، والمعطوف عليه وهو : بالوالدين احسانا .. الخ يكون حكمة كذلك من ضرورة الالتزام

أما في أيات سورة الاسراء ، فهي تبدأ بتقرير حقيقة منتهية قضي فيها الأمر وانتهى ولذلك فهي تقول : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ..) الخ الاسراء ٢٣ .

فافراد الله بالعبادة أمر كان متعينا .. والمعطوفون عليه كذلك .. ومفهوم المخالفة لمنطوق هذه الايات المتقدم ذكرها في سورة البقرة والنساء والاسراء أن اهمال اقامة هذه الاسس سواء في مجال العقيدة أو العبادات أو

المجتمع الإسلامي في تصوير القرآن الكريم

الخدمات الاجتماعية .. كل ذلك يتعارض مع أهداف الاسلام وأسسه ..

وتأكيدا لذلك وافصاحا عنه وجدنا القرآن الكريم يعطينا الصورة الأخري المضادة، حتي لتتميز صورة المجتمع الاسلامي أدق تمييز .. وذلك في أسلوبه البياني المعجز.

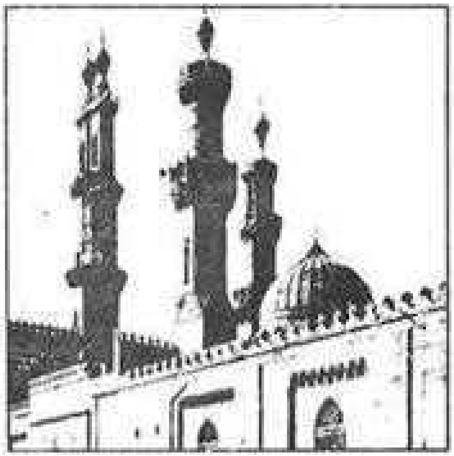
وذلك حيث يقول في مقام المساءلة يوم القيامة لمن اهملوا أو أغفلوا اقامة أسس هذا المجتمع .. زيادة في تبكيتهم : «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ» .. الآيات ٤٢ ـ ٤٨ من سورة المدثر.

ولاحظ جيدا، ماتقوله هذه الآيات عن أسباب دخول هذا الفريق من الناس في سقر. وانها أسباب ترجع الي تقصيرهم دينيا واجتماعيا.

دينيا : حيث لم يكونوا من المصلين وكانوا يكذبون بيوم الدين. واجتماعيا : حيث لم يطعموا المسكين. وكانوا في اللغو خائضين ..

اما في سورتي لقمان والحجرات فالاسلوب فيهما جد مختلف: لقد سلك التنزيل فيها مسلك القصص الصادر عن حق حدث، وواقع مضى لايعلمه الا الله سبحانه

«فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ»
الأعراف ٧



استمالة للنفوس وتشويقها لممارسة الهدف المنشود

وبعد :

فهذا هو المجتمع الاسلامي في حدود ما القرآني ـ عز وجل ـ على بيان حدوده، وطابع وجوده. والحمد لله رب العالمين

مصطفى شاهين

من

أعلام الأزهر

الشيخ الصاوي شعلان

الشيخ الصاوى شعلان

شهد تاريخ الأدب في العالم ، منذ أقدم العصور ، وحتى يومنا هذا ، كوكبة من الشعراء الأعلام ، ممن كفت أبصارهم ، ورغم ذلك مالانوا ولا وهنوا ، بل أصروا ، بصدق عزائمهم ، على أن يمضوا قدما نحو غاياتهم وأهدافهم ، حتى استطاعوا أن يتركوا بصماتهم العميقة على صفحاته .. لتضىء للانسانية دروب الخير والحق والجمال ، عبر القرون والأجيال .

ويطالعنا بادىء ذى بدء ، اسم « هوميروس » ، أمير شعراء الاغريق ، كأول شاعر تعرفه كفيف البصر ، تمكن من ابداع عمل فنى باذخ ، هو « الالياذة » أخلد الملاحم الشعرية في تاريخ البشرية .

وقد قام الأديب « سليمان البستانى » في عام ١٩٠٤ بانجاز ترجمة الالياذة - شعرا - عن اليونانية لنقل هذا السفر ثمانية عشر عاما ، باقتراح من الدكتور « يعقوب صروف » عام ١٨٨٧ وتشجيع من الداعية الاسلامى الكبير « جمال الدين الأفغانى » .. الذى قال للبستانى : « انه ليسرنا أن نفعل اليوم ، ما كان يجب على العرب أن يفعلوه قبل نيف وألف عام .. وحبذا لو أن الأدباء الذين جمعهم « المأمون » بادروا ، بادىء ذى بدء ، الى نقل الالياذة ، ولو ألجأهم ذلك الى اهمال نقل الفلسفة اليونانية برمتها ! » .

كذلك يبرز الى مخيلتنا اسم « جون ملتون » الشاعر الثانى الذى يلى ، أو يضارع ، شكسبير في الأهمية والمنزلة ، في الأدب الانجليزى (١٦٠٨ - ١٦٧٤) ، والذى فقد بصره عام ١٦٥٢ ، وبرغم ذلك استمر يتدفق كالنهر .

بل مالنا نذهب بعيدا ، وفي تاريخ أدبنا العربى أمثلة فذة فريدة ، لهذا الطراز من الشعراء ، من أمثال « بشار بن برد » و « أبو العلاء المعرى » وللاول بيت مشهور في وصف احدى المعارك .

يقول فيه :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا
وأسيافنا .. ليل تهاوى كواكبه

لا يفرغ النقاد من ابداء اعجابهم بدقة الوصف فيه ، اذ يصور الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة ، متناسبة المقدار ، متفرقة .. فى جوانب شىء مظلم .. فمثار النقع والرءوس والأسياف والليل

بقلم أحمد مصطفى حافظ



والكواكب ، هى مواد حللها الشاعر من الطبيعة وركبها صورة ، بشكل جديد ، ووظيفة حديثة ومعنى طريف ، فخرجت مبتكرة رائعة » (١) .

أما أبو العلاء ، فقد عاش مأساة فقد بصره طوال حياته ، ولله أديب العربية الكبير « مصطفى صادق الرافعى » حين يقول عن دور (العين اللاقطة) : « الشاعر في رأينا هو ذاك الذى يرى الطبيعة كلها بعينين لها عشق خاص ، وفيهما غزل على حدة ، وقد خلقتا مهيأتين بمجموعة النفس العصبية لرؤية السحر ، الذى لايرى الابهما ، بل لاوجود له في الطبيعة الحية ، لولا عينا الشاعر » (٢) ولكن ، فماهو الشأن اذن بالنسبة للشاعر الكفيف البصر ؟ كيف ينسجم هذا القول عليه ، وقد حرم نعمة الابصار ؟ يجيب الرافعى عن ذلك التساؤل ، الذى يبدو أنه قد حسب حسابه ، حين يستتلى قائلا : « فاذا كان الشاعر العظيم أعمى كهوميروس وملتون وبشار والمعرى وأضرابهم ، انبعث البصر الشعرى من وراء كل حاسة فيه ، وأبصر من خواطره المنبثة في كل معنى ، فأدى بالنفس في الوجود المظلم ، أكثر ماكان يؤديه بهذه النفس في الوجود المضىء ، وقصر عن المبصرين في معان ، وأربى عليهم في معان أخرى .. فيجتمع للشعر من هؤلاء وأولئك من النفس الملهمة ، مما بين أطراف النور ، الى أغوار الظلمة » (٣)

واذا انتقلنا الى العصر الحديث ، بهرتنا قصة الكفاح الرائعة لكل من الشاعر العالم الراوية (أحمد الزين) والشاعر الباحث الدكتور (محمد العلائى) (٤) وغيرهما من أفذاذ الشعراء الذين لم يكن فقد البصر عائقا يحول دون امتيازهم وتفوقهم .

ونخلص بعد ذلك الى شاعرنا الفذ « الصاوى على شعلان » الذى غادر دنيانا منذ

---

(١) انظر لنجيب العقيقى ـ الأدب المقارن ص ٣٧ ط ١٩٧٧

(٢ ، ٣) وحى القلم ج ٣ ص ٢٧٢ و ٢٧٤ ص سنة ١٩٤١

(٤) استوفينا الحديث عنه بكتابنا (شعراء معاصرون) بسلسلة « كتب ثقافية » ص ١٩٨٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب

الشيخ الصاوى شعلان

شهور (١) ولم نقرأ عنه بعد، مايوفيه حقه من البحث والدراسة، بعدما قدمه من عطاء وابداع وامتاع.

ولد الشاعر عام ١٩٠١ في ريف مصر بقرية (سبك الأحد) مركز أشمون بمحافظة المنوفية، ونشأ في أسرة يرجع نسبها الى قبيلة عربية، قدمت الى مصر في عهد السلطان (قايتباى).

وقد أصيب بحادث أفقده البصر في طفولته، وأتم حفظ القرآن الكريم في العاشرة، والتحق بالأزهر، وحين انتقل الى القسم الثانوى به، استبطأ مرور الزمن، لأنه كان يطمح الى القفز الى المرحلة النهائية من التعليم الثانوى، ومابعدها، خاصة بعد أن فجع بفقد والده..

فشمر عن ساعد الجد، وواصل ليله بنهاره في الاستذكار الشديد فتحقق له، بجهد خارق، اختصار السنوات التى للقسم الثانوى، الى.. عام واحد فقط حصل فيه على الشهادة الثانوية.. ثم حصل بعد ذلك، بنفس الدأب، علىالشهادة العالمية، وكان ترتيبه (الأول) على دفعته.

ثم التحق بمعهد اللغات الشرقية بالجامعة، وبعد حصوله على (الدبلوم) منه، عكف على تعلم (الخطالبارز)، وأمكنه بذلك اتقان عدة لغات، بطريقة «بريل» هى: الانجليزية والفرنسية والألمانية والتركية والأوردية والفارسية.. وبعد أن علم نفسه بنفسه هذه اللغات انكب بشغف على استيعاب ذخائرها، من عيون الشعر بصفة خاصة، وترجم منها، شعرا، الكثيرمن القصائد لشكسبير، وسعدى الشيرازى، ومحمد اقبال، وجلال الدين الرومى وغيرهم.

وقد عمل الصاوى شعلان بمصلحة السجون واعظا ومدرسا بعد تخرجه، كما قام بتدريس اللغة العربية في المعهد العالى للموسيقى المسرحية، وتدريس المواد التاريخية بالمركز النموذجى للمكفوفين بالزيتون، وتولى رئاسة تحرير مجلة (المصباح) التى يصدرها المركز النموذجى بالخط البارز، واشترك في عدد من الجمعيات الخيرية، كجمعية مكارم الأخلاق، التى عمل رئيسا لتحرير مجلتها ولجنتها الدينية، وفي أثناء ذلك كله، كان خطيبا مفوها، له وزنه وشهرته، منذ اشتراكه في ثورة ١٩١٩ بحنجرته القوية الهدارة.. وعرفه الكثير من الأدباء والمستمعين عن طريق محطات الاذاعة الاهلية، فقد كان اول متحدث بها يعرف الناس سماحة الدين الاسلامى الحنيف الى أن دوى صوته مجلجلا في شتى الأنحاء عند انشاء محطةالاذاعةالمصرية الرسمية، وكان ـ أيضا ـ أول متحدث فيها، عن الأمور الدينية.

وقد سعى الى تأليف لجنة لكتابة (القرآن الكريم) بطريقة بريل للمكفوفين، ورأس اللجنة ـ التى تكونت بالفعل وكان أكبر انجاز لها طبع المصحف الشريف بالطريقة المذكورة، التى أفاد منها الالاف.

وقد تجاوب ـ متأسيا ـ بقصة حياة وكفاح الكاتبة الأمريكية المشهورة (هيلين

---

(١) انتقل الى رحمة الله فى الحادى عشر من اكتوبر سنة ١٩٨٩.



كيلر : الصماء البكماء العمياء .. التى تقول بكتابها الرائع : الباب المفتوح :

(١) When one door of happiness closes, another opens; but often we look so long at the closed door that we do not see the one which has beenopened for us.

وترجمتها :

« حينما يغلق باب للسعادة ، يفتح اخر . ولكننا غالبا ننظر طويلا الى الباب المغلق لدرجة أننا لانرى .. ذلك الذى .. فتح لنا »

وقال شاعرنا يحييها ، أثناء زيارتها لجمعية النور لرعاية المكفوفين بالقاهرة ، ضمن جولتها في الأقطار ، للدلالة على قدرة الانسان ، المستمدة من قدرة الله تعالى :

رب عين لم تُبصر النور يوما
أرسلي الكون من هداها الشعاعا
رب أذني لم تسمع القول لكن
حيَّرت من بيانها الأسماعا
هل رأيتم « هيلين » تقتحم السبعين سنا ،
ولاتمل الصراعا ؟!
وتجوب الأقطار كالنجم في النو
ر .. وكالعطر في الربيع مذاعا

ويطالعنا الشاعر في اسلامياته بصفة خاصة بنهج جديد مغاير في أسلوب العرض والتناول ، لغيره من الشعراء .. يشي بعمق فهمه وحدة ذكائه ، وينم عن القدرة على التعليل والتحليل بسلاسة وعذوبة ، وقوة عقيدة . ومن ذلك قوله بقصيدته : (في رحاب الرسول (٢)) بصيغة السؤال والجواب :

س : لماذا كان أميا
فلاصحفا ولاقلما ؟
ج : لتظهر اية الاعجا
ز .. حين يعلم الأمما
س : لماذا خص (مكة) ربه .. بشروق اسعاده ؟!
ج : لأن جوار بيت الله .. يؤنس بيت ميلاده
س : لماذا اختص الحجازيه الـ
إلـه الواحد القهار ؟
ج : لأن فضاءها حر
وليس بأرضها استعمار
س : لماذا كان من مهد الـ
عروبة وجهه الأنور
ج : ليجمع شعبها لله .. لا كسرى . ولاقيصر
الى أن يقول :
تذكر أيها المسلم
عسى أن تنفع الذكرى
فانك وارث الأمجا
د .. من اياته الكبرى

يقول ، وليتنا نعي جيدا مايقول :

أجبني ما الذى حصلـ
ـت من ميراثك الغالى
من الهادى البشير ومن
تراث الصحب والآل
أفيك شجاعة بن رباح
أفيك تقى أبى بكر ؟

---

(١) The Open Door طبعة عام ١٩٢٩ بالولايات المتحدة الامريكية ص ١١ بمستهل الكتاب

(٢) العدد الثامن من السنة الثامنة من مجلة (السجون) المطبوع عام ١٩٦٨

الشيخ الصاوى شعلان

أفـيـك أمانة الـجراح
وزهد مـن أبى ذر ؟
أعـنـدك مـن على عر
بـه .. والـصدق والايـمان ؟
ومـن عـمر عدالـتـه
وفـيض الـبر مـن عـثمان ؟

ويختتم هذه القصيدة الرائعة ، ناصحا :

تذكر أن فـيـك قوى
تدير جـهاز هذا الـكون
لأجـلـك أنزل الـقرا
ن يـقول : « وأنـتم الأعـلون »
(مـحـمد لـم يرث مـلـكا
ولـم تـمـلـكه دنـياه
لـيـعـلـم كـل مـن في الأر
ض ، ان مـلـيـكه ، الله

ثم ينطلق عبر قصائد أخرى ، عامرة الأبيات ، بعمق احساسه ورقة مشاعره ، ليخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله متهدجا :

ماتت (خديجة والكفيل .. ولم تمت
عزماتـك الـمرفوعة الـبـنـيان
قد أقسموا أن يسلموك الى الأذى
فرددتـهـم ، بالـصـفـح والـغـفران
أيـجوع مـن بـيـمـيـنـه قوت الـقـلو
ب ، وفي حماه موائد الرحمن ؟

وما أروع أبياته التى يصف فيها قصة (الخليل ابراهيم حينما هم بذبح ابنه (اسماعيل) - عليه السلام - بعد تصديقه الرؤيا بالحق - بقوله :

طلع الصباح مبارك يمحو الدجى
ويذيـع فـيض الـنور في الأكوان
والشمس تنظر من أشعة ضوئها
ذهـبـا على الربوات والوديان
قال النبى - الوالد - العالى السنا
لوحيده - النجل - النبى الثانى
هتفت بى الرؤيا لأذبح مهجتى
هل أنت الا مهجتى وجنانى ؟
قال : اسـتـجـب للأمر انى قابـل
حـكـم الـقـضاء وحـكـمة الديان

الى ان يقول :

حتى اذا اقترب المصير .. وأسلما
جاء الـفداء لـه .. مـن الرحـمن
فتبدل الصمت المخيم .. فرحة
وإذا الـعزاء بـشائر وتـهانى
ذكرى يضىء بها الزمان على المدى
وتدوم آيـتـها .. مـع الـقرآن
وتـجدد الأجـيال مـن أمـجادها
عزم الـفداء وقوة الايـمان

●●●

ولو مضينا في الوقوف امام مايروق ويشوق من شعره ، لوقفنا امام العديد من روائعه ، في شتى الأغراض مما يضيق به المجال اليوم ..

وصفوة القول ، هذا هو الشاعر الكاتب المترجم الصاوى على شعلان ، وهذه لمحة عن فنه ..

وانه لقمين بأن يجمع ماتناثر من شعره وكتاباته في بطون الصحف والمجلات ، بين دفتى ديوان .. استنقاذا له من يد التشتت والضياع فماطبع من أعماله الشعرية لايتجاوز ديوانين صغيرين ..

أولهما بعنوان : (الرسالة الأولى) .
والثانى بعنوان : (الشعراء الخمسة) .
اماما لم يطبع في ديوان بعد ، فيفوق حصيلة هذين الديوانين باضعاف مضاعفة ..

أحمد مصطفى حافظ

الأزهر في القرن الثامن عشر الميلادى

للأستاذ السيد حسن قزون

حين سقطت مصر فى يد سليم الأول سلطان بنى عثمان سنة ٩٢٣ هـ الموافق ١٥١٧ م لم يجعل الحكم لوال من قبله ، ولكنه تركها لخايربك الذى خان مصر والسلطان الغورى فساعد على هزيمة جيش الغورى فى مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ ، ومن ثم ، جعل له ، الحكم فى مصر على مدى حياته ، وحياته لم تطل عن خمسة أعوام قضاها ثائرا على نفسه ، شاعرا بذنب عظيم يؤرق ليله ويظلم نهاره ، ولم يكن للخلافة العثمانية عليه ولاية الا بالمال المفروض على مصر كل عام .

وقد كان خاير بك يلقب بأمير الأمراء أو ملك الأمراء حتى قضى غير مأسوف عليه ، فضمت مصر رسميا الى الخلافة العثمانية وصار لها وال من قبل الآستانة أو من الباب العالى كما كان يقال فى عهدها .

وخاير بك لا يعده (ابن اياس) مملوكا كسائر المماليك ، فالمملوك هو الذى يشترى ثم يعد للأعمال الحربية والادارية ثم يقفز الى السلطة العليا فيصير سلطانا ، ويفوض اليه الخليفة العباسى فى مصر حكم الرعية ، ولكنه كان أحد أربعة اخوة قدم بهم أبوهم الى مصر وألحقهم بحاشية السلطان قايتباى ليكون منهم السلطان فى المستقبل ولهذا عده ابن اياس دخيلا على المماليك ، وقد استعجل السلطنة فخان ولم يعد

سلطانا ولم يهنأ بما اقترفت يداه ..

وأخلص من هذا الى أن المماليك الذين سقطت دولتهم لم يشعروا بالضعف أو شل اليد، فقد استخدمهم خاير بك في حكم البلاد (صناجق) وسار العثمانيون على نهجه فاستعانوا بهم كذلك، وفي بادىء الأمر كانوا على حذر من السلطة الجديدة، وشيئا فشيئا أصبحوا هم الأمراء وسادة البلاد والمتصرفين في شئونها وليس للوالي التركي الا الاسم فقط، وتراخت حامية الخلافة، وصار همها جمع المال ومشاركة الشعب في مرافقه.

والخلافة وضعت نظاما اداريا مكونا من الوالي والديوان والحامية، وأنشأت نظام الالتزام، وهذا النظام لو أحكمت قوانينه وقويت الرقابة عليه لسارت الأمور على مايرام، ولكن أمراء المماليك أفسدوا كل شيء وعبثوا بكل أمر الا الأزهر لماذا ؟

لقد ورثوا على نسبتهم الى المماليك المستقلين رعاية شأن الأزهر واحترام علمائه، فلقد كان الأزهر منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس من المماليك البحرية الى آخر أيام دولة الجراكسة هو موئل العلم والعلماء من جميع الأقطار الاسلامية التي حلت بها كوارث التتار في المشرق وكوارث الأندلس في المغرب، فأمه التركي والمغربي واليماني والزنجي والهندي والأفغاني فجعلوا همهم العلم وطاب لهم المقام والسلاطين لايضنون عليهم بالمال والاحترام، وقد انتفع الفاتحون العثمانيون بأمثال هؤلاء العلماء فنقلوهم الى حاضرة الخلافة، وتأثر الأزهر بما جرى فلم يكن علمه كما كان على عهد المماليك الذين سقطت دولتهم، لكنهم لم ينسوا ماقيدوا له، فبقيت لهم دراستهم في علوم الدين وقليل من علوم الدنيا.

فلما وصل الأزهر الى القرن الثامن عشر الميلادي والثاني عشر الهجري رأى علماؤه أن البلاد صارت في حال من الفوضى يعجز القلم عن وصفها، فالقتال دائر في الليل والنهار، والدماء تسيل في كل صقع من أرض الكنانة، فوصف وحوش الغابة ضئيل بجانب ما كان يحدث في البلاد شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، فهم يتقاتلون في الاسكندرية والمنيا وجرجا والشرقية كما يتقاتلون في القاهرة وليس السيف هو الحكم أبدا، بل يستعملون السم لتصفية العدو، وليست المواجهة هي السائدة بل الاغتيال من وسائل الانتقام، فاذا قرأت يوميات «الجبرتي» في هذا العصر عجبت كيف عاش الشعب ولم ينقرض ؟ وكيف واجه الفوضى الدامية ولم ييئس ؟ وكيف سكت الباب العالي على الحرمات التي تنتهك ولم يغضب ؟

لم يعزل الباب العالي واليا أرسله، بل كان أمراء المماليك يرضون عن الوالي ماوافقهم على النهب والسلب والتقاتل فان دام الاصلاح ثار عليه وأنزلوه من القلعة بل كان أمراء المماليك يرضون عن الوالي ماوافقهم على النهب والسلب والتقاتل فان دام الاصلاح ثار عليه وأنزلوه من القلعة ووضعوه في دار أمير منهم وكتبوا الى

الخليفة بعزله ، فينفذ مشيئتهم ويرسل واليا جديدا ، ويستقبل استقبالا يليق بمكانة الوالى وهو لايملك من أمرهم شيئا . بل زادت الامور استفحالا على الولاة ، فقد طرد الوالى على بك الكبير واستقل بمصر وضم اليها الحجاز والشام .

ولا أعرف اصلاحا للأزهر جرى بين أحد الولاة الا مزولة لأحمد باشاكور نصبها بالجامع الأزهر فى ركن الصحن على يسار الداخل ـ كما يقول الجبرتى ـ وسيأتى الحديث عنها .

وأهم الاصلاحات التى قام بها المماليك هو ماصنعه الأمير (عبد الرحمن كتخدا) فقد زاد الجامع بمقدار النصف تقريبا وهى المقصورة الجديدة به وتتكون من خمسين عمودا من الرخام خلف المحراب القديم ، وبنى بها محرابا جديدا ومنبرا مما جعله يتسع للدراسة ولآلاف المصلين . هذا الأمير العظيم وصفه الجبرتى بقبول الرشوة ومصادرة أموال الأغنياء بالحيلة . قام بهذا العمل سنة (١١٦٧ هـ ـ ١٧٥٤ م) ومات الرجل سنة ١٧٧٧ عقب رجوعه من المنفى بأحد عشر يوما .

وقد أفرز لنا القرن الثامن عشر رجالا من المماليك حظوا بالكتابة عنهم ، منهم على بك الكبير وتلميذه محمد بك أبو الذهب وقد أرادا لأنفسهما الرفعة فأوقعا مصر فى الحضيض ، وترك أبو الذهب لنا شيطانين عبثا بالكنانة وأوقعا نبوها وهما ابراهيم بك ومراد بك ، وعلى أيديهما ذاقت مصر الويلات ، سواء على حسن باشا قبطان الذى جاء الى مصر لتأديب المماليك لضعف الباشا الوالى ، فقد فعل الأفاعيل ليجمع المال للباب العالى فى تركيا ، أو الحملة الفرنسية ، فقد هزم مراد ، وفر ابراهيم الى الشام ؛ وتركا الشعب المصرى يواجه الغزاة بلا قائد قدير أو سياسى مستنير سنة ١٧٩٨ م فى هذا المعترك الدائم ، والبلاء الهائل وقعقعة السلاح وصهيل الخيل ، وصراخ الأطفال والنساء والمنهزمين ماذا يكون علم الأزهر ؟

فى سنة ١١٦٢ هـ ـ ١٧٤٨ م وصل والى الى مصر هو (أحمد كور باشا) وكان من أرباب الفضل وله ولع بالرياضيات ، فخف اليه كبار العلماء شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشبراوى ، والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ سليمان المنصورى فزاروه ، فتكلم معهم فى الرياضيات فأحجموا وقالوا : لانعرف هذه العلوم .

وذات يوم دخل عليه الشيخ عبد الله الشبراوى بالقلعة يحادثه ، فقال له الباشا : المسموع عندنا بالديار الرومية (القسطنطينية) أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت فى غاية الشوق الى المجىء اليها ، فلما جئتها وجدتها كما قيل : « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » فقال الشيخ : هى يامولانا كما سمعتم معدن العلوم والمعارف .

فقال الباشا : وأين هى وأنتم أعظم علمائها وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئا ، وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل ، ونبذتم المقاصد ولكن الشيخ لم يسكت فقال له : لسنا أعظم علمائها ، وانما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة والحكام .

واستمر الحوار الى أن قال الشيخ : معرفة ذلك ـ يقصد علوم الرياضيات ونحوها ـ من فروض الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقية .. وهذه العلوم تحتاج الى لوازم

الأزهـر في القرن الثامن عشر الميلادي

وشروط والات وصناعات وأمور ذوقية كرقة الطبيعة وحسن الوضع والخط والرسم والتشكيل والأمور العطاردية . وأهل الأزهر بخلاف ذلك غالبهم فقراء واخلاط مجتمعة من القرى والافاق فيندر فيهم القابلية لذلك ، وسأل الباشا عمن يحسن ما يريد قوله الشيخ الشبراوى على الشيخ (حسن الجبرتى) والد المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى وكان ، واتصل الأمر بين الباشا والشيخ حسن .

والذى يعنيني من هذا الحوار أن الأزهر لم يكن فى ذلك الوقت يعنى بالدراسات الطبيعية والكونية والرياضيات وما الى ذلك من الفلسفة والمنطق والذى لم يحسن الشيخ قوله أن مرجع ضعف المحصول من العلوم فى مصر راجع الى العثمانيين الاتراك ، فهم الذين جردوها من علمائها حين ملكوها ، وجعلوا همهم أن تكون بقرة حلوبا تشبع بطونهم التى لا تشبع ، وفى سبيل ذلك أوجد سليم الأول الفرقة بين المماليك فجعلهم طائفتين ، فقارية وقاسمية ، ومن ثم صاروا فى الشقاق والقتال ولم يلتفتوا للاصلاح وضاع ما قدمه الأيوبيون والمماليك المستقلون . اما الفقر فسببه الاحتلال العثمانى فليس الفقر خاصا بالأزهر بل للأزهر أوقاف انما هو عام بمصر وسائر بلاد الخلافة الا بعض من خصوهم بالالتزام أو أدخلوهم فى وظائف الدولة ، والفقراء فى العالم كله هم من قدموا العلم وتطبيقاته فما قاله شيخنا مرفوض ، فالأزهريون لو وجدوا فى ذلك الحين هدوءا وانتظاما فى الدراسة ولا اقول تحديد جدول الحصص حسب كل علم ، وتعيين المدرسين كل حسب تخصصه لأتوا بالعجب العجاب ، ويكفى أنهم كانوا الصلة المضيئة بين تخلفنا وتقدمنا بعد الحملة الفرنسية ..

ومن غريب قصة هذا الوالى العالم أنه احتاج فى علمه الى علم الشيخ حسن الجبرتى ـ وهو من علماء الأزهر ـ فاتفق له عدم المطابقة فى مسألة من المسائل فاشتغل ذهنه وتحير فكره الى أن حضر اليه الأستاذ (الشيخ حسن) فى الصياد فأطلعه على ذلك وعلى السبب فى عدم المطابقة ، فكشف له علة ذلك بديها ، فلما انجلى وجهها على مرآة عقله كاد يطير فرحا ، وخلف أن يقبل يده ، ثم أحضر له فروة سمور باعها الشيخ حسن بثمانمائة دينار .. ثم قاما معا بعمل المزاول التى حدثتك عن احداها انفا .. وهذا الكلام من يوميات الجبرتى ..وكيف ينفى الشيخ الشبراوى الامور الذوقية عن طلبة الأزهر وقد كان هو على الرغم من جهله فى الرياضيات عظيم التذوق عنده نفائس الكتب ويقرض الشعر ويتدرع بالوفاء ..

لقد تعب الأزهر ورجاله فى هذا القرن الذى نتحدث عنه وحاولوا أن يصلحوا من شأن المماليك ويجعلوا منهم أناسا يحسنون الرياسة ويعرفون حقوق الشعب تارة بالنصيحة ـ والدين النصيحة .. وتارة بالثورة عليهم كما حدث من أهالى الحسينية وانضم الى قيادتهم الشيخ أحمد الدردير ، وكما ثار الشيخ أحمد الدردير عليهم فى طنطا وبالغوا فى الاعتذار اليه » ..

وقد ذكر المؤرخون أن أتباع محمد بك

الألفي من أمراء المماليك ظلموا أهل قرية بالشرقية فجاء أهلها صارخين مستغيثين بعلماء الأزهر فقام هؤلاء وعلى رأسهم شيخ الأزهر ، وذهبوا الى ابراهيم بك حاكم مصر وزميل مراد بك وطلبوا منه رفع الظلم عن أهل هذه القرية ، فأسرع الى اجابة طلبهم ، وكف أيدى الأمراء واتباعهم عن أموال الناس ، وكتب القاضى حجة بذلك ، ومفكرو مصر يعتزون بهذا الموقف ويرونه أول وثيقة بين الحاكم والمحكوم .

وما من شك فى أن الشيخ الشبراوى أصاب كبد الحقيقة حين قال : نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة ، فهم اذن زعماء الشعب المصرى ، وقد ظهرت زعامتهم جلية حين دخل نابليون بونابرت مصر ، فكانوا لسانها الناطق وسدها المانع ، صانوا مخدرات القصور حين لم يصنها أهلها من المماليك ، وحفظوا ودعائهم حين أرادها الغاصب منهم ، ولم يصيخوا الى أكاذيبهم من أنهم جاءوا لتطهير البلاد من الظلم والفساد ، واسداء المناصب العالية للمصريين ، كما أنهم لم يقبلوا ما فعله من قبل حسن باشا القبطان التركى ، وكانوا على وعى عظيم حين لم يصدقوا قوله : « لا تخشوا من شىء فان أول ما اوصانى به مولانا السلطان اوصانى بالرعية وقال : « ان الرعية وديعة الله عندى وانا استودعتك ما أودعنيه الله تعالى » وماذا فعل حين وصل الى القاهرة ، روع المماليك فهربوا الى أطراف البلاد ولا سيما الصعيد ، فكان أن كسر بيوتهم وأخرج ما فيها من ودائع وقبض على زوجات المماليك ليدفعن ما يقدره والا بقين فى السجن ، قبض على زوجة ابراهيم بك ، وزوجة مراد بك ثم أحضروا الجوارى بين يديه فأمر ببيعهن ، وكذلك أمر ببيع أولاد ابراهيم بك مرزوق وعديله ، وفعل ذلك بطوائف أخرى .. وركب العلماء ، الدردير وأحمد العروسى ومحمد الحريرى الى الباشا الوالى فى القلعة عساه أن يكون معهم فى رد حسن باشا قبطان عما فعله ويفعله .

فقال الوالى : ليس لى قدرة على منعه ، وكرروا عليه مقالهم فقال : (اسبقونى وأنا اكون فى أثركم ، فحين كلموه ومعهم الوالى قال : أكتب أسماء هؤلاء حتى أرسل الى السلطان وأخبروه بمعارضتهم لأوامره ..

هذا الذى جاء ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا محا العدل من أساسه ، وبنى للظلم صرحا مشيدا ، هل خاف العلماء ؟ انهم قالوا له : انما نحن شافعون والواجب علينا قول الحق ، يقول الجبرتى ، قاموا من عنده وقد تغير خاطره علىالشيخ السادات ، حدث هذا سنة ١٧٨٦ م ..

وهكذا عاش الأزهر فى هذا القرن الثامن عشر الميلادى يعطى العلم ويدفع الظلم على مدى العهود فيه ، عهد الولاة وعهد على بك الكبير وعهد محمد أبو الذهب وتلميذيه : ابراهيم ومراد ، وعهد نابليون ، فكانوا تقول الحق لا يخشون طاغية ولا تميلهم زهرة الحياة الدنيا ، ويكفينا قدوة أن الشيخ الشرقاوى رمى بعلامة الثورة الفرنسية المثلثة الألوان حين علقها نابليون على كتفه ، لقد هاموا ببطولة ما بعدها بطولة حين أدلهمت المدلهمات ، وحين زلزلت الأرض زلزالها ..

السيد حسن قرون

تأثير الأزهر في الخارج

الدعامة الثانية

مبعوثو الأزهر للدعوة بالخارج

فمع استقبال الأزهر لأبناء العالم الاسلامى وتعليمهم أرسل الأزهر الى شتى أنحاء العالم بعض ابنائه من العلماء المتخرجين في رحابه سواء على نفقة الأزهر أو على نفقة البلد المبعوث اليها . وسواء كانت هذه البلاد عربية واسلامية أو غيراسلامية وفيها أقلية اسلامية حيث يقوم هؤلاء المبعوثون بنشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية وتعليم مبادىء الاسلام والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وقد باشر الأزهر هذه المهمة منذ أمد طويل من عمره المديد وعن طريق علماء الأزهر انتشر الاسلام ومبادئه الى بقاع كثيرة وغمر نور الاسلام ربوع افريقيا وآسيا وغيرهما من قارات العالم .

واننا عندما نلقى نظرة على مراحل التعليم المختلفة في البلاد العربية من ابتدائى الى اعدادى وثانوى سنجد كثيرا من خريجى الأزهر قد قاموا منذ فترة طويلة بالتدريس فيها ومازالوا يضطلعون بهذه المهمة حيث يعملون على تثقيف وتعليم أبناء هذه البلاد .

بل اننا اذا ألقينا نظرة على كل الجامعات الاسلامية التى قامت في العالم العربى والاسلامى سنجد أنها قامت على غرار الأزهر واقتبست من مناهجه وقام الاساتذة من الازهر ومن المتخرجين فيه بالمشاركة في وضع المناهج لها وتأليف بعض الكتب التى تدرس فيها ومازال الكثير من أبناء الأزهر يقوم بالتدريس في تلك الجامعات المنتشرة في انحاء العالم العربى والاسلامى حتى استوت على سوقها واشتد ساعدها .

وفي مطلع كل عام جامعى يأتى الى الأزهر بعض القائمين على هذه الجامعات ليستعيروا لجامعاتهم بعض العلماء من الأزهر في شتى التخصصات حيث يمدهم الأزهر بما يحتاجون اليه وهو سعيد قرير العين .

بين الماضي والحاضر

للدكتور محمد شتا زيتون

بل يقدمهم احيانا على نفسه شاعرا بان هذه الجامعات تعتبر امتدادا له وفي حاجة الى رعايته لها واهتمامه بها وحدبه عليها وليس عجيبا أن أقول ان بعض شيوخ الأزهر وبعض شيوخ الجامعة وغيرهم ممن يتولون قيادات كبيرة في الازهر وفي هيئات التدريس فيه في شتى مراحله من الابتدائى حتى الجامعة قد اضطلع بهذه المهمة في كثير من البلاد العربية والاسلامية وغير الاسلامية . وكان كل مبعوث لسانا فصيحا معبرا عن رسالة الأزهر ومبينا لتعاليم الاسلام التى يقوم الأزهر على حراستها ونشرها على وجهها الصحيح في أنحاء العالم الفسيح .

وحسبنا أن نكتفى بايراد جانب من الاحصائيات الخاصة بمبعوثى الأزهر الى الخارج وهى تغنينا عن افاضة الحديث عن تأثير الأزهر في الخارج عن طريق علمائه المبعوثين الى الخارج فهى الواقع العملى الذى لايحتاج الى بيان .

احصائية عن مبعوثى الأزهر الى البلاد العربية والاسلامية وغير الاسلامية من عام ١٩٥٣ الى ١٩٦٤ م (١) وهذه البلاد هى :

سوريا وغزة والكويت ولبنان وقطر والسعودية والعراق والبحرين وأفغانستان والهند والملايو واندونيسيا والفلبين والسودان والصومال والمغرب والجزائر وليبيا لندن وأمريكا وكندا ونيجيريا واليمن وهى كالتالى :

سنة ١٩٥٣	١٠٣ مبعوثين
سنة ١٩٥٤	١٣٣ مبعوثا
سنة ١٩٥٥	١٦٥ مبعوثا
سنة ١٩٥٦	١٧٣ مبعوثا
سنة ١٩٥٧	١٩٨ مبعوثا
١٩٥٨	٢٠٣ مبعوثا
١٩٥٩	٢٢٤
سنة ١٩٦٠	٤١٨ مبعوثا ومتعاقدا
سنة ١٩٦١	٥٥٠ مبعوثا ومتعاقدا
سنة ١٩٦٢	٦٣٥ مبعوثا ومتعاقدا
سنة ١٩٦٣	٦٩٩ مبعوثا ومتعاقدا
سنة ١٩٦٤	٧١٦ مبعوثا ومتعاقدا

والاحصائية الأخيرة في سنة ٨١ / ١٩٨٢ تعبر خير تعبير عن مدى التطور والزيادة التى حدثت بالنسبة لمبعوثى الأزهر الى البلاد العربية والاسلامية وغير الاسلامية منذ الاحصائية السابقة ٦٣ / ٦٤ الى احصائية ٨١ / ١٩٨٢ وهى تبين بوضوح زيادة انتشار وشيوع تأثير الأزهر في الخارج ومدى اهتمامه بتبليغ رسالة الله الى كافة أرجاء الأرض ومحاولة توضيح دعوة الله للناس جميعا وازالة الخرافات التى قد يلصقها بها بعض الجاهلين .

وصدق الله اذ يقول : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ

(١) الأزهر تاريخه وتطوره صفحة ٦٠٤ ، ٦٠٥

تأثير الأزهر في الخارج

أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » سورة البقرة آية ١٤٣ ».

وهناك آخر احصائيه عن مبعوثى الأزهر الى البلاد العربية والاسلامية وغير الاسلامية عام ٨١ / ١٩٨٢ من غير أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر (١) .

(أ) المبعوثون الى دول آسيا : السعودية والكويت والامارات العربية وسلطنة عمان وقطر ولبنان والأردن وأفغانستان واندونيسيا وباكستان وماليزيا والهند وسرى لانكا وتايلاند والفلبين واليمن الشمالية والعراق ٢٩٨٨ معارا ومتعاقدا ومبعوثا على نفقة الأزهر .

(ب) المبعوثون الى دول افريقيا : الصومال ونيجيريا ـ وسيراليون والسنغال والسودان والجزائر وتنزانيا ومالى وغانا وزنزبار وجامبيا وكينيا وفولتا العليا وليبيريا وجزر القمر وزائير وجيبوتى وتوجوداهومى وغينيا كونا كرى وغينيا بيساو وافريقيا الوسطى وساحل العاج والنيجر واريتريا وليبيا والمغرب ٤٨٤ معارا ومتعاقدا ومبعوثا على نفقة الأزهر .

(جـ) المبعوثون الى دول اوروبا وامريكا : بريطانيا وايطاليا وكندا والبرازيل وأمريكا وألمانيا الغربية ٩ متعاقدين ومبعوثين على نفقة الأزهر .

وبذلك يكون المجموع الكلى للمبعوثين لجميع أنحاء العالم ٣٤٨١ مبعوثا

(١) احصائية مأخوذة عن ادارة البعوث الاسلامية بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر

أما احصائية المعارين من اعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر الى مختلف الدول في عام ٨١ / ١٩٨٢ فهى الى الدول الآتية :

السعودية والكويت وقطر والامارات العربية والعراق واليمن الشمالية والسودان ولبنان ومالطة والمغرب والجامعة العربية واليونسكو وسوريا ونيجيريا وجمهورية الدومينكان ومجموعهم ٣١٢ معارا

وبجانب هؤلاء المبعوثين الى مختلف الدول يبعث الأزهر ببعض علمائه الى عدد من المراكز الاسلامية في الخارج وعدد المبعوثين الى هذه المراكز كالتالى :

المراكز الاسلامية	عدد المبعوثين اليها
١ ـ لندن	٣
٢ ـ واشنطن	٢
٣ ـ نيويورك	١
٤ ـ تنزانيا	٨
٥ ـ المركز الثقافى العربى * بكانو في نيجيريا	٤
المجموع	١٨

الدعامة الثالثة :

التأثير عن طريق الكلمة المطبوعة :

لاشك أن الطالب والعالم الذى يتخرج من الأزهر ويذهب الى المجتمعات الاسلامية في شتى أنحاء الأرض يوضح التأثير الكبير للازهر في الخارج كما ذكرنا ، ولكن بجانب ذلك اهتم الأزهر بأن يرسل شعاعه العلمى الى البلاد الخارجية عن طريق الكتاب الذى يزود به

الجامعات والجمعيات والمدارس ومراكز الثقافة في الخارج . وقد انشأ الأزهر مراقبة البحوث سنة ١٩٤٥ م في عهد الشيخ المراغى الاتصال بالعالم الاسلامى وارسال الكتب الاسلامية باللغات الأجنبية الى شتى البلاد . والاطلاع على مايكتب باللغات الأجنبية ضد الاسلام والرد عليه وقد أنشأت مراقبة البحوث مكتبة اسلامية كبيرة في بكين بالصين في عهد الشيخ مصطفى عبد الرازق (١) .

كما أنشىء في مجمع البحوث الاسلامية في الأزهر قسم لفحص المصاحف والكتب العربية وغير العربية وتوزيع وارسال الكتب الى الخارج .

ويهتم هذا القسم بفحص المصاحف الواردة من الخارج وكنموذج على نشاطه نجد أنه قد قام في عام ١٩٦٣ بفحص بعض بروفات المصاحف منها ٤٩ بروفة بالخط المصرى ، ١١ بروفة بالخط المغربى الأفريقى ، ٢٠ منها مكتوب بالخط البارز بطريقة (بريل) للمكفوفين . ووافق القسم على طبع البروفات الصحيحة ، وأصدر تسعة قرارات بمصادرة مصاحف معظمها وارد من الخارج .

وبهذا يعمل الأزهر على ان يكون تأثير تلك المصاحف التى تنتشر في الخارج ناشئا عن مصاحف صحيحة بعيدة عن أى خطأ ولذلك يقوم بمنح تصدير المصاحف الموثوق بها والتى تمت مراجعتها تحت اشراف القسم الى الخارج بالتعاون مع مديرى الجمارك . وقد تم في عام ١٩٦٣ تصدير ٢٧٦٫٦٢٣ مصحفا وجزءا الى ٢٨ دولة أجنبية هى ، كينيا ـ السودان ـ الجزائر ـ غانا ـ تنجانيقا ـ مالى ـ المغرب ـ النيجر ـ ليبيا ـ سيراليون ـ ساحل العاج ـ فولتا العليا ـ موريتانيا ـ السنغال ـ الكنغو ـ اليمن ـ لبنان ـ البحرين ـ الأردن ـ المملكة السعودية ـ قطر باكستان ـ أندونيسيا ـ الهند ـ الفلبين ـ أمريكا ـ ألمانيا الغربية ـ كندا ..

ومع الاهتمام بالقرآن وطبعه ومنع تداول النسخ التى يكون فيها بعض الأخطاء وطلب مصادرتها . يقوم الأزهر بفحص الكتب الدينية الصادرة باللغة العربية وغير العربية فحصا دقيقا بلجان مكونة من علماء متخصصين في البحوث العلمية الدينية باللغات المختلفة قد تم حتى عام ١٩٦٣ م فحص أكثر من مائتى كتاب ومايقرب من خمسين مجلة باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية والأسبانية والتشيكوسلوفاكية والباكستانية . وقد قام هذا القسم باتخاذ اللازم نحو ايقاف توزيع ونشر ترجمة القرآن المحرفة في الخارج حتى لا يساء فهم الاسلام وكذا الكتب التى تتحدث عن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام أو التى يكون الغرض منها تشويه حقائق التاريخ الاسلامى (١) ..

كما يقوم الأزهر بتوزيع المصحف الشريف وترجمة لمعانيه في الخارج نشرا للثقافة الاسلامية كما يوزع أمهات الكتب الاسلامية ويعمل على طبع كثير من الكتب الاسلامية ونشرها مجانا في جميع أنحاء العالم وترجمة مايصلح منها الى بعض اللغات الحية .

---

(١) بيوت الله مساجد ومعاهد كتاب عدد ٧٥ ص ٨٢ .

٢ ـ انظر قائمة عن الكتب المصرح بتداولها التى لم يصرح بتداولها بعد فحصها في كتاب الأزهر تاريخه وتطوره ص ٦١٠ ، ٦١١

نشاط الأزهر في الخارج

ويقوم الأزهر بامداد المعاهد الدينية في الخارج بالكتب الدراسية والمعامل والخرائط وكل ما يساعدها في القيام برسالة نشر الثقافة الاسلامية كمعاهد مقديشيو وبرعو وليبيا ولبنان والجزائر وغيرها .

ومن الكليات والمعاهد الاسلامية التى يراسلها الأزهر في الخارج ويمدها بمجموعات من الكتب الاسلامية في سنة ١٩٦٢ م :

١ ـ الصومال : معهد الدراسات الاسلامية ـ معهد برعو الدينى .

٢ ـ السودان : جامعة القاهرة فرع الخرطوم ـ معهد أم درمان الدينى ـ المعهد الدينى في حلفا . المعهد الدينى في شجرة غردون . المعهد الدينى في الملكال ـ المعهد الدينى في جوبا ـ مدرسة الأحفاد بأم درمان .

٣ ـ لبنان : كلية المقاصد الاسلامية في صيدا ـ كلية التربية والتعليم بطرابلس ـ كلية المقاصد الاسلامية ببيروت ـ الكلية الشرعية ببيروت ـ كلية البر والاحسان ببيروت .

٤ ـ سوريا : كلية الشريعة بدمشق ـ المعهد العربى الاسلامى بدمشق ـ معهد لأنصار الثانوى بدمشق ـ المعهد العربى الاسلامى بحمص ـ مدارس الجمعية المحسنية بدمشق ـ مدرسة ابن الخطاب بالقامشلى ـ مدرسة عمر بهاء الدين الأمير بحلب .

٥ ـ السعودية : كلية الشريعة بمكة ـ كلية المعلمين بمكة ـ دار التوحيد بالطائف ـ المعهد العلمى السعودى بالمدينة ـ كلية الشريعة بالرياض ـ كلية اللغة العربية بالرياض .

٦ ـ الملايو : الكلية الاسلامية العليا ـ الكلية الاسلامية في كوالا لمبور .

٧ ـ الهند : كلية دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ المدرسة الاسلامية العالية .

٨ ـ الباكستان : دار العلوم بكراتشى ـ دار العلوم مسجد نيوتان كراتشى ـ جامع اشرافية بلاهور ـ جامعة بنجاب بلاهور باكستان الغربية ـ جامعة بيتشاور بباكستان الغربية ـ جامعة كراتشى بباكستان الغربية ـ جامعة راجى شاهين ـ باكستان الشرقية ـ جامعة دكا .

٩ ـ ليبيا : معهد البيضاء الدينى ـ القسم العالى ـ معهد القويرى ـ جامعة السنوسى .

١٠ ـ الكويت : مدرسة الشويخ الثانوية ـ المعهد الدينى .

١١ ـ قطر : مدرسة الدوحة الثانوية ـ المعهد الدينى .

١٢ ـ سيلان : كلية الزهراء .

١٣ ـ الفلبين : جمعية مسلمى الفلبين ـ جامعة كامل الاسلام .

١٤ ـ ارتيريا : معهد أسمرة الدينى .

١٥ ـ واشنطن : المركز الاسلامى .

١٦ ـ لندن : المركز الاسلامى .

١٧ ـ أندونيسيا : جامعة شكرمنيتو بصولو ـ جامعة نهضة العلماء بصولو ـ كلية القضاء ـ الجامعة الحكومية الاسلامية ـ المركز الثقافى بجاكرتا ـ جامعة جد ماذا .

١٨ ـ أفغانستان : فاكولتى شرعيات ـ فاكولتى الحقوق ـ أدبيات كابل ـ اقتصاد كابل ـ صلاح الدين بدار الأمان كابل ـ فاكولتى دار العلوم العربية في كابل فخر المدارس في هبراء .

١٩ – العراق : الشريعة بجامعة بغداد – معهد الدراسات الاسلامية ببغداد – الثانوية الدينية ببغداد – مكتبة المعارف ببغداد – الحقوق بجامعة بغداد – الآداب ببغداد – التجارة ببغداد – مديرية الأوقاف العامة – كلية أصول الفقه بالنجف منتدى الفتر بالنجف – المدرسة العلمية الدينية بسامراء – مدرسة الامام الخالص بالكاظمية .

وبجانب هذه الكليات والمعاهد التى أرسل اليها الأزهر مجموعات من الكتب أرسل مجموعات أخرى الى بعض الهيئات في الخارج نذكر فيها على سبيل المثال : مجموعات الكتب لغينيا ومالى والسنغال . مصاحف وكتب دينية للمؤتمر الاسلامى بغانا مجموعة من الكتب الدينية لقنصل الجمهورية في واشنطن . مصاحف بالفرنسية لوزارة الخارجية بالسنغال – مجموعة دينية باللغة الانجليزية لسفارة الجمهورية في لاجوس . ١٢ مجموعة دينية لسفارة تونس . مجموعة دينية لجامعة ميونخ . مجموعة دينية ومجلة الأزهر لسفارة الجمهورية في هونج كونج . ١٦ مجموعة من المصاحف والكتب الدينية للمسلمين في تايلاند – مجموعة كتب دينية بالانجليزية والعربية لجامعة بروكلين بنيويورك – مجموعة من الكتب الدينية والثقافية لرئيس اتحاد العلماء بالجمهورية الصومالية (١) .

كما تذكر لنا احصائية عن مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر سنة ١٩٨١ م

بانه طبع ١٦٠ كتابا وبعضها ذو اجزاء تصل الى ثلاثة وأربعة أجزاء وقام بارسالها الى دول : السنغال – غانا – نيجيريا – أوغندا – ساحل العاج – جسونى – زنزبار – مالى – ليبيريا – بورندى – سيراليون – السودان – الجزائر – المغرب – الفلبين – الهند – باكستان – اسرائيل – سنغافورة – أندونيسيا – كوريا – ماليزيا – الأردن – ألمانيا الغربية – ايرلندا – اليونان – تركيا – انجلترا – السويد – الولايات المتحدة الأمريكية – البرازيل (٢) ..

وكما يؤثر الأزهر في الخارج عن طريق ارسال الكتب والبحوث الدينية فانه يؤثر أيضا عن طريق مجلة الأزهر الشهرية التى أنشئت في ١٣٤٩ هـ-١٩٣٠ م .. حيث بينت الأسس التى تسير عليها والتى أنشئت من أجلها . بألا تهاجم دينا بالطعن ولاتتعرض لرجال الأديان ولاتمس السياسة في شأن وقصارى هدفها أن تعمل على نشر آداب الاسلام واظهار حقائقه نقية من كل لبس مع كشف مايلصق بالدين من بدع أو أمور محدثة وأن تنبه المسلمين للأحاديث الموضوعة وترد على الشبه التى توجه الى الشريعة وكان اسم المجلة أولا نور الاسلام ثم غير اسمها الى مجلة الأزهر لاظهار أنها صوت الأزهر المدوى في أرجاء الأرض الحامل لأراله المبين لمبادئه (٣) ..

كما يؤثر الأزهر في الخارج عن طريق لجنة الفتوى التى أنشأها سنة ١٣٥٤ هـ . ١٩٣٥ م مكونة من رئيس وأحد عشر عضوا لتسد حاجة المسلمين في الداخل والخارج الذين يرسلون الى الأزهر بأسئلتهم لمعرفة رأى الاسلام فيها . فتقوم اللجنة بالاجابة

– انظر الازهر تاريخه وتطوره ص ٦١٤ ، ٦١٥

٢ – انظر احصائية عن مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية والدول التى أمدها بالكتب سنة ١٩٨١ م مأخوذة عن مراقبة الثقافة بمجمع البحوث الاسلامية .

٣ – الأزهر تاريخه وتطوره ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ . بيوت الله مساجد ومعاهد ص ٥٨ دائرة المعارف الاسلامية ص ٢٦٩

عليها مبينة رأى الشرع فيها وفقا لمذهب معين اذا طلب السائل ذلك أو وفق القواعد المستمدة من الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح اذا لم يقيدها السائل بمذهب خاص مع مراعاة ماهو أوفق بحال السائل (١) .

الدعامة الرابعة :

التأثير عن طريق مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر :

حيث يدعو الأزهر مختلف العلماء من أنحاء العالم الاسلامى لحضور مؤتمر المجمع حيث تلقى فيه البحوث في الموضوعات التى تهم العالم الاسلامى ويتناقش علماء المسلمين فيها ثم بعد ذلك يعود هؤلاء العلماء الى بلادهم ولديهم حصيلة طيبة عما استقر عليه الرأى بالنسبة للمشكلات المعروضة حيث يقوم هؤلاء العلماء بتبليغ ما انتهى اليه المؤتمر الى أهالى البلاد القادمين منها مما يؤدى الى أن يصل تأثير الأزهر بأقصى سرعة الى المسلمين الموجودين في تلك البلاد وبما استقر عليه رأى مجموع علماء المسلمين واحيانا يدرس المؤتمر مشكلات المسلمين وقضاياهم ويحاول أن يجد لها الحل الأمثل أو يقدم الاقتراحات التى تحل مشكلات المسلمين في كافة أرجاء العالم .. ويتكون أعضاء المجمع الثابتين من عشرين عضوا من جمهورية مصر العربية وثمانية أعضاء من تونس والسودان - والعراق - ولبنان - وفلسطين - وماليزيا - والمغرب ..

أما مؤتمر المجمع فيدعى اليه وفود من خمسين دولة هى : اتحاد الامارات العربية - الأردن - أفغانستان - انجلترا - أندونيسيا - أوغندا - ايران - الباكستان - البحرين - بلجيكا - بنجلاديش - تركيا - تشاد - تنزانيا - توجو - تونس - الجزائر - جزر القمر - جزر المالاديف - روسيا - السعودية - السنغال - السودان - سوريا - سيراليون - سيريلانكا - الصومال - العراق - عمان - فرنسا - الفلبين - فلسطين - قبرص - قطر - الكويت - كينيا - لبنان - ليبيا - مالى - ماليزيا - المغرب - موريتانيا - النمسا - النيجر - نيجيريا - الهند - اليابان - اليمن - يوغسلافيا - اليونان بالاضافة الى المنظما الاسلامية الأوربية ومنظمة المؤتمر الاسلامى بجدة ويبلغ عدد هذه الوفود ثمانين عضوا (٢) .

وقد عقد مؤتمر مجمع البحوث العديد من المؤتمرات ونوقشت في هذه المؤتمرات بحوث قيمة تهم العالم الاسلامى وتبين حقيقة الاسلام وقد طبعت هذه البحوث وترجمت الى اللغة الانجليزية وأرسلت الى كافة أنحاء العالم الاسلامى وكان لها تأثير كبير في توضيح حقيقة الاسلام .

وسيظل الأزهر ان شاء الله برعاية الله وحفظه مرفوع الأعلام شاهق المنارات يرسل شعاعه الوهاج ونوره الوضاء الى جميع أنحاء العالم بدعاماته الأربع .

١ - الوفود القادمة اليه ٢ - البعوث المتوجهة منه . ٣ - كلمته المطبوعة .. وفتاواه .

٤ - مؤتمراته العالمية التى تعقد فيه ..

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د . محمد محمد شتا زيتون

---

١ - الأزهر تاريخه وتطوره ص ٣٥٤ . بيوت الله مساجد ومعاهد ص ٨٥ ، ٨٦ دائرة المعارف الاسلامية ص ٢١٩

٢ - انظر احصائية عن السكرتارية الفنية لمجمع البحوث الاسلامية .

الشعر

● في ظلال الحرم

في ظلال الحرم

للدكتور حسن جاد

ياحمى الكعبة والبيت الحرامْ
لك يا أمّ القُرى منا السلامْ

قد دعانا الشوق يامهد الهدى
فأجبناه ولبينا الهيامْ

أوردينا الكوثر العذب الذى
ينقع الغلة فينا والأوام

كم وردنا زمزما فى ظمأٍ
فشفتنا من تباريح السقام

واستلمنا الركن فانجابت لنا
كُرَبٌ كنّا نعانيها عظام

لك يارب سعينا خشّعا
وإلى بيتك جئنا فى الزحام

وإلى الأرض التى باركتها
نفزع اليوم بآمالٍ جسامْ

شبّ فيها الدين موهوب الخطا
عبقرى النور يجتاح الظلام

وسرى فى كل أرض رافعا
راية المجد عزيزا لا يضام

رب رحماك فهل من صحوةٍ
فى صداها البعث للقوم النيام ؟

أرجع العزة يارب له
واحمه واكتب لنا حسن الختام

مع الفكر الغربي

■ تصويب وتعقيب
على مزاعم المستشرقين
حول الفكر الإسلامي

تصويب وتعقيب على:

(٢)

خامساً:

وهو أمر مهم جدا يجب أن يعيه دارس الفكر الانسانى وهو أن التأثير والتأثر لايناقضان الأصالة مطلقا لأن التأثير والتأثر بين الثقافات هو بمثابة الضرورة الثقافية ان صح التعبير..

وبالتالى فانه لايقدح فى فلسفية فلاسفة الاسلام تأثرهم بهذا المذهب أو ذاك من مذاهب فلاسفة اليونان، بل ولايمنع من اعجابهم ببعضها أحيانا. بل أكثر من ذلك لايمنع من اتباعهم لهم فى أحيان أخرى وقد كانت أوجه التشابه بين أفكار بعض فلاسفة اليونان وبين بعض أفكار فلاسفة الاسلام تكأة اعتمد عليها المفكرون لأصالة الفكر الاسلامى فى هذا الانكار.

وهذا يجرنا تلقائيا الى بحث مسألة فى غاية الأهمية بالنسبة لأصالة الفكر والحكم بها على فكر أو اخر. وهذه المسألة تتمثل فى سؤال والاجابة عنه اجابة واقعية مستندة الى الحقائق التاريخية والفلسفية التى لايتأتى الشك فيها..

هذا السؤال هو فى الواقع مركب من عدة استفهامات مؤداها:

هل يمكن أن يتعايش التأثير والتأثر مع الحكم بالأصالة - لفكر ما؟

وما معيار الأصالة الفكرية فى أى فكر فلسفى؟

هل تتمثل أصالة الفكر فى جدة اللبنات أو العناصر فى البناء الفكرى. تماما بحيث تكون كلها جديدة ليس فيها ما هو مستفاد من فكر أخر؟

أم أن محل الأصالة هو فى طريقة استعمال هذه اللبنات واستخدامها فى تشكيل بناء فلسفى جديد بصرف النظر عن جدة اللبنات فى نفسها؟

ان بعض الاراء القيمة فى معيار الأصالة *. الفكر لاتتردد فى أن تحكم بأن العناصر أو اللبنات فى حد ذاتها لم تكن ولن تكون يوما ما معقد الأصالة فى أى بناء فكرى فلسفى..

واختيار هذا الرأى فى تفسير الأصالة ليس من قبيل التحكم. وذلك لأنه ضرورة كى يتسنى لنا العثور على فكر أصيل هنا أو هناك..

ويرى بعض أنصار هذا الراى أن مذهب ديكارت وهو من سمى بأبى الفلسفة الحديثة يخضع لذات القاعدة وأن المنهاج العام وطريقة تكييف العناصر هما محل الأصالة فى فلسفة ديكارت (١)..

وهذا التصور لقضية «صالة الفكر» - فى رأيى - هو المدخل الصحيح لتقويم أى فكر تقويما موضوعيا..

فحقيقة أن بعض العناصر أو اللبنات فى

(١) أنظر كتاب «الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت» د/ نظمى لوقا ص ١١.

مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

للدكتور محمود عبد المعطي بركات

بناء فكرى معين قد يكون بعضها قديما أو معروفا أو سبق اليه .

ولكن البراعة العقلية في تنسيقها وحسن استخدامها وترتيبها ترتيبا معينا قد يعطى شكلا فكريا جديدا وبناء فلسفيا دقيقا متميزا ماكان يمكن لهذه العناصر ذاتها أن تؤديه لو ظلت في أوضاعها المنفصلة أو استخدمت بطريقة أخرى ..

ونحن ـ فيما أرى ـ مضطرون اضطرارا لا اختيار معه الى اعتبار هذا المعيار في قياس أصالة الفكر الانسانى عموما لا الاسلامى الفلسفى التقليدى خاصة . والا فاننا لو اعتبرنا أن معيار الأصالة الفكرية مداره على جدة اللبنات أو العناصر جدة كاملة بحيث تنشأ منعزلة ومقطوعة الصلة عما قبلها لعز علينا في طول تاريخ الفكر وعرضه أن نعثر على انسان يمكن أن نخلع عليه وصف الفيلسوف أو المفكر الأصيل ..

وهذا المقياس الهام في تقويم الفكر الفلسفى الاسلامى غفل أو تغافل عنه كثيرون ممن تناولوا الفكر الفلسفى الاسلامى بالدراسة والنقد فاتهموه زورا وبهتانا بأنه ترديد محض لفكر اليونان أو هو فكر يونانى .. خالص مكتوب بلغة عربية سواء كان هؤلاء مستشرقين أو مستغربين يرددون دعاوى المستشرقين بلاوعى ولافهم لسنة هامة من سنن الفكر الانسانى وهى ضرورة التأثير والتأثر. أو حتمية التلاحم بين الثقافات ..

وأنا بالطبع لا أرمى من تقرير مثل هذه القاعدة في قياس أصالة الفكر أو ترجيحها الى تقرير أن الفلسفة الاسلامية عند فلاسفة الاسلام ليست الا عبارة عن يد بناء حاذق تناولت لبنات اليونان بالتنسيق والتنظيم حتى تمخض جهدها في هذا السبيل عن هذا المزيج الذى يسمى فلسفة اسلامية ..

وانما الذى أرمى اليه هو التنبيه على هذه القاعدة باعتبارها مقياسا جيدا لها لاعتبار أصالة الفكر تدعو اليه الضرورة الفكرية والتاريخية واذا اتجهنا الى تحديد أصالة الفكر الفلسفى اليونانى الذى سارت بذكره ركبان المستشرقين والمستغربين لم نجد الا هذه القاعدة والخروجنا به عن دائرة

مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامى

الفكر الأصيل وذلك أن الفكر اليونانى لم يخرج عن السنة العامة للفكر الانسانى وهى التأثر والاقتباس سواء كان ذلك تفاعلا للفكر اليونانى مع نفسه فى عصوره المتلاحقة أو تفاعلا لهذا الفكر ذاته مع فكر يونانى مصرى أو شرقى ..

واذا كان قد قيل عن الفلسفة الاسلامية مثلا انها كانت بعثا لتراث اليونان الفلسفى لا ابتكار فيها - وهى دعوى مرفوضة بالدليل وقد تقدم لنا بعض نماذج الأصالة فيها ..

أقول اذا كان قد قيل فى الفلسفة الاسلامية مثل ذلك فلنستمع الى نظيره فى الفلسفة اليونانية ..

يقول جورج سارتون :

« ان من السذاجة أن نفترض أن العلم بدأ فى بلاد الاغريق لأن الفكر الاغريقى سبقته جهود علمية عديدة فى مصر وفى بلاد النهرين وكان العلم اليونانى احياء أكثر منه اختراعا » (١) ..

ثم يتعى الرجل على الغربيين جحودهم ذلك الدور الذى قامت به الأصول الشرقية فى الفكر الاغريقى فيقول :

« وكفى الغربيين سوءا أنهم أخفوا الأصول الشرقية المصرية والبابلية تلك التى لم يكن التقدم الهلينى مستطاعا بدونها » (٢) ..

وهذا الكلام ليس مجرد كلام مرسل وانما يؤيده الواقع التاريخى فالفيلسوف اليونانى « طاليس » الذى قيل عنه انه اول من تفلسف سافر الى مصر واستفاد من علمائها وقاس ارتفاع أهراماتها بل ان بعض المؤلفين الغربيين ينسب العناصر الأربعة عن طاليس الى المصريين - وأن طاليس ذهب الى ضفاف النيل للبحث عنها ثم فيثاغورث (٣) .

واذا كان هذا التأثر والتأثير بالنسبة لفلاسفة اليونان الأولين فان أمر كبار فلاسفتهم كافلاطون وأرسطو لايخرجان عن القاعدة التى ارتضيناها فى تقويم الفكر . فأفلاطون فيلسوف اليونان الشهير تحدث كثيرون عن مصادر فلسفته كما يقول أحد المفكرين (١) .. وعن العناصر التى استمدها من سابقيه ومعاصريه كما تحدثوا عن مهارته الفائقة وعن ذوقه السامى فى الانتقاء والتأليف واحكام المزج وعن القدرة العظيمة على بناء مذهب متماسك امتد تأثيره ردحا طويلا من الزمن ..

ولكن معظمهم يكادون يجمعون على أن أصالة أفلاطون انما ترجع فى الحقيقة الى نظرية المثل ولذلك يقرن اسمه بها دائما (٢) هكذا تنحصر أصالة أفلاطون فى المثل كما يقول أو كما يحكى مفكرنا ولكن حتى نظرية المثل هذه التى ذاع بسببها صيت

---

(١) الفلسفة اليونانية أصولها وتطورها تأليف ألبير ريفو استاذ الفلسفة بجامعة باريس ترجمة د / عبد الحليم محمود ، د / أبو بكر ذكرى ص ٤١ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٢ .

(٣) الفلسفة فى الشرق تأليف بول ماسون أورسيل ترجمة د / محمد يوسف موسى ص ٥٥ .

١ ـ د . محمد كمال جعفر - فى الفلسفة والاخلاق ص ٩٢

٢ ـ نفس المصدر ص ٩٢

ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه

أفلاطون - لها أصولها الشرقية ولها سوابقها في الشرق القديم .

ورد نظرية المثل الأفلاطونية الى أصول غير أفلاطونية ليس وليد نظرة حديثة في البحث مثلا - وانما هو قديم جدا .

فأرسطو نفسه وقد جاء بعد أفلاطون يتناول معقد الأصالة والابتكار المزعوم عند أستاذه أعنى نظرية « المثل » يتناولها بالتحليل على صورة يبدو معها أفلاطون وكأنه مجرد يد بارعة لبناء حاذق ينتقى اللبنة تلو الأخرى من هنا أو هناك حتى تتشكل عن ذلك نظرية المثل .

فارسطو يرد نظرية المثل الأفلاطونية هذه الى مصادر ثلاثة فأفلاطون كما يرى أرسطو - قد أخذ من الايليين فكرة الوجود المطلق وطبقها على المثل . وأخذ من هيرقليطس فكرة التغير المطلق وطبقها على الأشياء المحسة . ثم أخذ من سقراط نظرية المدركات العقلية » (١)

وقد كثر الحديث عن الأصل الشرقى لنظرية المثل . ولا نطيل الحديث بذكره دائما نحيل اليه فى مواضعة (٢)

واذا كان أمر هؤلاء على هذا النحو فاننا أيضا اذا اعتبرنا ان العناصر اللبنات هى مدار الأصالة ومعقد الابتكار أمكننا أن نزحزح المعلم الأول « أرسطو » عن عرش المنطق اليونانى فبالرغم من أن هذا المنطق قد ارتبط باسمه - حتى قيل : المنطق الأرسطى . الا أن يد أرسطو كانت فعالة فى مفاهيم سقراط العامة وتعريفاته كذلك . ومن هنا فان أدق تعبير عن صلة أرسطو بالمنطق هو القول بأنه هذب قواعده لأنه ابتكره ابتكارا كليا فبعض مباحثه كانت موجودة بشكل أو بآخر فى الشرق القديم (١)

وهذه كلها مجرد نماذج أعطيناها على سبيل المثال لا الحصر .

واذا غادرنا ساحة الفكر اليونانى القديم الى ساحة الفكر الغربى الحديث وهو الذى خرجت من سقوفه دعاوى الاتهام وتجريديه الفكر الاسلامى الفلسفى من أصالته بدعوى التأثير أو التأثر . وجدناه لا يشذ عن قاعدة

---

١ - راجع فى ذلك قصة الفلسفة اليونانية د . زكى نجيب محمود ود . أحمد أمين ص ٩٠

٢ - راجع على سبيل المثال الفلسفة لاورسيل ص ٩٠ وراجع كذلك الفلسفة الشرقية ومحمد غلاب ص ١٧٨

٣ - راجع الفلسفة الشرقية ود . محمد غلاب

مزاعم المستشرقين

حول الفكر الإسلامى

الفكر الانسانى . وقد مضى لنا حديث عن لبنات ديكارت . وأحب أن مقارنة منهج ديكارت فيما يتعلق بشكة المنهجى بمنهج الغزالى أبى حامد تعطى أنه استخدم مذهب الشك الغزالى فى أكثر من خطوة وأكثر من اتجاه حتى أنه ليبدو فى الدرجات الأولى متسلقا على درجات تسلم أحكمتها يد الامام الغزالى .

ولنغادر ديكارت الى « كانت » فيلسوف ألمانيا فنجد فلسفته النقدية تأليفا بين مذهب الحس ومذهب العقل من المذاهب التى تحدثت عن نظرية المعرفة هناك .

علاوة على المشابهة بينه وبين الغزالى فى نقده للميتافيزيقا العقلية بوجه عام .

وقيل كلام كثير عن تأثر سبينوزا بابن عربى . وكذلك « دانتى » فى كوميدياه الالهية بقصة الاسراء والمعراج وكذلك رسالة الغفران للمعرى .

هذه هى سنة الفكر الانسانى من قديمه الى متوسطه الى حديثه . نلفت اليها نظر كل من يريد طعن الفكر الاسلامى بحجة التأثير والتأثر وحقيقة ان المرأ ليتساءل بحق :

اذا كان هذا هو حال فلاسفة الدنيا وفلسفتها قديما وحديثا فما بال المتعصبين ضد الفكر الاسلامى الفلسفى ينكرون أصالته بل وجوده الحقيقى بناء على ما بدأ فيه من بعض نواحى التأثير والتأثر أو حتى الاقتباس ؟

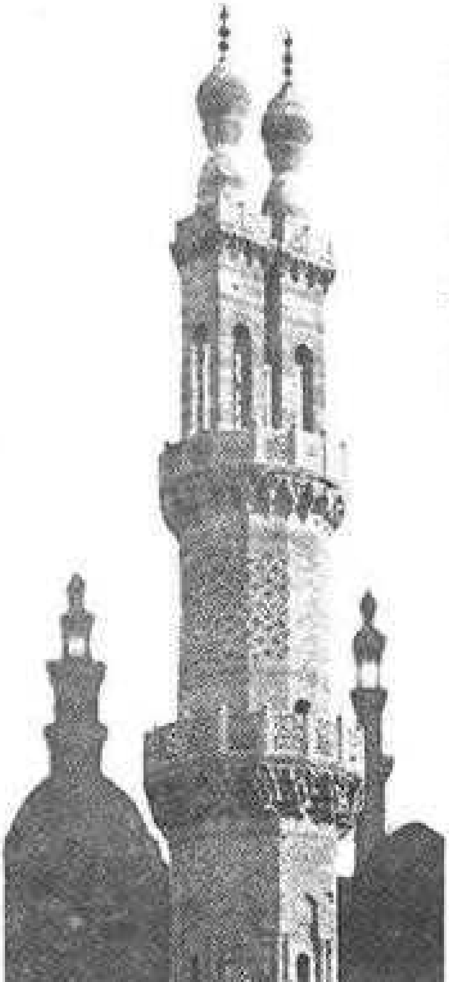
انها المغالطة . ومحاولة طمس الحقائق العلمية والتاريخية من منطلق التعصب ليس الا أنه بعد هذا التحليل يجب أن نقرر فى اطمئنان أنه من منطلق العدل يجب نفى صفة الفيلسوف الحقيقى أو الأصيل عن كل فلاسفة الدنيا تقريبا اذا كانت الأصالة تتمثل فى الجدة الكاملة والاختراع التام لكل عناصر بناء المذهب الفلسفى .

واذا اراد هؤلاء المتعصبون من المستشرقين أن يخرجوا الفكر الفلسفى الاسلامى عن أن يكون فكرا أصيلا . وفلاسفة الاسلام عن أن يكونوا فلاسفة حقيقيين لمجرد التأثير والتأثر .

فعليهم أن يخرجوا الفلسفة اليونانية بل وغيرها ايضا عن أن تكون فلسفة حقيقية لذات السبب .

وعليهم أن يخرجوا أفلاطون وأرسطو وفلاسفة أوربا الحديثة من ميدان الفلاسفة ومن مفهوم الفيلسوف قبل أن يخرجوا مثل الفارابى وابن سينا وابن رشد وغيرهم .

والذين يتطلبون فى الفلسفة الاسلامية مذاهب فلسفية جديدة فى لبناتها وفى هيئتها كل الجدة بحيث لا يكون فيها



عنصر التأليف أو التأثير يطلبون مالا يجدون لأنهم واهمون وهم فى واقع الامر متعسفون . ولو حملوا مفهومهم الذى ارتضوه للاصالة على أكفهم وطافوا به فى أنحاء الأرض وفى جوف التاريخ يبحثون عن أفراد لهذا المفهوم وحالات يتحقق فيها ولو طافوا به على فلاسفة الدنيا قدماء ومحدثين ليطبقوه عليهم لرجعوا بخفى حنين خالبى الرجاء يهتفون من الأعماق . اللهم لا فلسفة ولا فلاسفة . وهو أمر غير معقول .

اذن لا مناص لنا من الالتجاء الى ما اخترناه فى مقياس معيار الاصالة على ما سبق واعتباره المدخل الصحيح لتقويم الفكر الانسانى
والله أعلم بالصواب

الدكتور
محمود عبد المعطى بركات

طرائف

من أسماء مكة

بكة موضع البيت وما سوى ذلك مكة . وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة : مكة ، بكة ، البيت العتيق ، البيت الحرام ، البلد الأمين ، والمأمون ، وأم رحم وأم القرى .

أول من بنى الكعبة

قيل : الملائكة .. روى عن أبي جعفر الباقر .. رضى الله عنه ـ ذكره القرطبي وفيه غرابة .

قيل ادم : على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وسعيد بن المسيب .. غريب ايضا .

قيل شيث : على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .. عن ابن عباس وكعب الاحبار وقتادة وعن وهب بن منبه .

قال ابن كثير : وغالب من يذكر هذا انما يأخذه من كتب أهل الكتاب وهى مما لا يصدق ولا يكذب ، ولايعتمد عليها بمجردها . وأما اذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين .

إتخذوا من مقام ابراهيم مصلى

المراد بالمقام انما هو الحجر الذى كان ابراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار اتاه اسماعيل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام به ليقوم فوقه . وكلما كَمَّلَ ناحية انتقل الى الناحية الاخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه حتى أتم بناء جدران الكعبة .

وكان المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما الى جانب الباب مما يلي الحجر وكان الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت وضعه الى جدار الكعبة . أو انه انتهى عنده البناء فتركه هناك .

ولهذا ـ والله أعلم ـ أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف وناسب أن يكون عند مقام ابراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه .

وانما أخره عن جدار الكعبة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ، أحد الأئمة المهديين ، والخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم ، وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا باللذين من بعدى : أبى بكر وعمر » وهو الذى نزل القران بوفاقه في الصلاة عنده . ولهذا لم ينكر أحد من الصحابة ـ رضى الله عنهم أجمعين .

عن ابن كثير بتصرف

ومواقف

للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

الحجر الأسود

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « نزل الحجر الأسود من الجنة ، وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم »

قال الترمذى ، حديث ابن عباس حديث حسن صحيح وقال – أيضا – صلى الله عليه وسلم – فى الحجر « والله ليبعثنه الله يوم القيامة ، له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق » .

قال الترمذى : هذا حديث حسن

حج الأنبياء

عن داود بن أبى هند عن أبى العالية عن ابن عباس قال ، كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين مكة والمدينة ، فمررنا بواد . فقال ، أى وادٍ هذا ؟ قالوا وادى الأزرق . قال ، كأنى أنظر الى موسى – صلى الله عليه وسلم – (فذكر من طول شعره شيئا لا يحفظه داود) واضعا إصبعيه فى أذنيه له جُؤَارٌ إلى الله بالتلبية مارا بهذ الوادى .

قال : ثم سرنا حتى أتينا على ثنية (١) ، فقال : أى ثنية هذه ؟ قالوا : ثنية هَرْشَى أو لفت (٢) قال : كأنى انظر الى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف وخطام ناقته خلبة (٣) مارا بهذا الوادى ملبيا

سنن ابن ماجه .

(١) ثنية هَرْشَى : جبل على طريق الشام والمدينة قريب من جحفة .

(٢) لفت : ثنية جبل قديد بين الحرمين .

(٣) خلبة : الليف والحبل الصلب الرقيق .

هل تعلم

أن أول ما يرفع من آثار الجنة من وجه الأرض الركن لأنه خرج من الجنة .

- وأن أول من بنى القباب حول حرم المسجد الحرام السلطان مردخان العثمانى .
- وأن أول من عمل الرخام على زمزم وفرش أرضها بالمرمر أبو جعفر المنصور

دعاء

(ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد

مجلة الأزهر
من خمسين عاما

من التراث

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

الدهاء والاستقامة

للشيخ محمد الخضر حسين

عرض وتقديم الأستاذ أحمد حسن جابر رجب

أس الفضائل ، وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلا وللدنيا عمادا فأوجب التكليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه وألف به بين خلقه مع اختلاف همتهم ومآربهم ، وتباين أغراضهم ومقاصدهم ، وجعل ماتعبدهم به قسمين : قسما وجب بالعقل فوكده الشرع ، وقسما جاز في العقل فأوجبه الشرع فكان له عمادا .

وبالعقل تُعرَفُ حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسيئات ومن مظاهر العقل فرط الذكاء ، وحسن الفطنة وينتج عنهما جودة الحدس وصدقه .

وأفضل الناس أعقلهم ، ومن أطاع هواه أعطى عدوه مناه ، لأن من عدوك من يعمل في هلاكك ، ومنهم من يعمل في مصالحتك ومن يعمل في البعد منك فاعرفهم على منازلهم واعلم أنه أعظم لخطرك أن يرى عدوك أنك لاتتخذه عدوا ، فإن ذلك يجرّه له

الدهـــام والاستقامة

وسبيل لك الي القدرة عليه فان قدرت واستطعت اغتفار العداوة ، عن أن تكافيء بها فهنالك استكملت عظيم الخطر . وان كنت مكافئا بالعداوة والضرر ، فإياك أن تكافيء عداوة السر بعداوة العلانية وعدواة الخاصة بعدواة العامة فان ذلك هو الظلم والاعتداء . وذلك ليس من الدهاء المستقيم . ولتعلم مع ذلك أنه ليس كل العداوة والضرر يكافأ بمثله فالخيانة لاتكافأ بالخيانة . والسرقة لاتكافأ بالسرقة وفضل الفعل علي القول زينة وفضل القول علي الفعل هجنة وان احكام هذه الخلة من غرائب الخلال . وعلي العاقل أن يتعلم حسن الاستماع كما يتعلم حسن الكلام . ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتي ينقضي حديثه . وقلة التلفت الي الجواب . والاقبال بالوجه والنظر الي المتكلم . والوعي لما يقول . قال تعالي

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » ق ٣٧ .

وصيانة القول خير من سوء وصفه . فأحزن عقلك وكلامك الا عند اصابة الموضع فانه ليس في كل حين يحسن كل صواب . وتمام اصابة الرأي في القول باصابة موضعه فان أخطأك ذلك أ دخلت المحنة علي عقلك ولسانك . ووطن نفسك علي أن يعرف العلماء حين تجالسهم أنك علي أن تسمع أحرص منك علي أن تقول ولاتخلطن بالجد هزلا . ولا بالهزل جدا . فانك ان خلطت بالجد هزلا سخفته وان خلطت بالهزل جدا كدرته .

وهذا مجمل ما أشار اليه الشيخ في كلمته بعنوانها المقدم فقال :

خصـلتان يبلغ بهما الرجل أن يـكون عـظيـما . وحـق لـمـن استولى عـلى الأمد الأقـصى مـنـهـمـا أن يكون زعيما : هما بعد النظر في استكشاف غوامض الأمور وذلك مانسميه الدهاء أو الكياسة . والسير في سبيل الرشد بقلب سليم وذلك ما نسميه الاستقامة أو التقوي . ولانقصد في هذا المقام الي الحديث عن بعد النظر في ادراك العويص من مباحث العلوم . وانما نقصد الي الحديث عن الدهاء من ناحية تقدير وسائل النفع والضرر . أو من حيث شعور صاحبه بما يحمل من ضغن أو ينصب له من كيد .

يقارن الدهاء الاستقامة فيصرف في تدبير الوسائل التي تكفي شرا مقبلا أو تجلب خيرا متعسرا . ويقارن زيغ العقيدة أو لؤم الطبيعة فيندفع بصاحبه في شعاب الباطل . ويكون نصيبه من الافساد في الأرض فوق نصيب الغباوة اذ يزيد عليها أن يبتكر للشر فنونا غير معروفة . ويلبس الباطل ثوب الحق . ويخرج المفسدة في لون المصلحة . فاذا لم تجد الحقائق أو المصالح دهاء يمحق دهاء المبطلين أو المفسدين عمى على العامة أمرها وظهرت الضلالة والسفاهة مكانها .

ولكثرة ما يصاحب الدهاء من المكر والنزوع الى الشر توهم بعض العامة أنه لا يجتمع مع سلامة الضمير والحرص على فعل الخير . فتراهم يعدون غفلة الرجل عما ينطوى عليه الحديث من مغامز . وما يراد به من مكايد ـ أثر سلاحة وطيب سريرته . وكاد بعض الكاتبين على حديث

« لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » تحوم حول هذا الوهم اذ حمل الحديث على عدم الانخداع فى الدين بأن يصدق الكاذب الذى ظهر له كذبه مرة ثانية ثم قال : « وأما الانخداع فى أمور الدنيا بناء على قلة التفاته اليها وعدم اهتمامه بها فهو ممدوح مطلوب » والحق أن الغفلة من نواحى الشر دينية أو دنيوية لا تدخل فى سلك الكمال ، ولا تستدعى مدحا . وانما الكمال فى اليقظة والكياسة . والقصد من الحديث الشريف تحذير المؤمن من أن يكون مغفلا وارشاده الى استعمال الفطنة فى شئونه دينية أو دنيوية . واذا كان الحديث مسوقا للأخبار عن حال المؤمن فانما يريد المؤمن الكامل وهو الذى يستنير بالحكمه ويعتبر بالحوادث فتصفو بصيرته ويهدى الى غوامض الأمور ، حتى يكون حذرا مما سيقع . واذا أخذته الغفلة مرة فنكب من ناحية كانت نكبته من هذه الناحية هى الأولى وهى الأخرة ويوافق هذا قول عمر بن الخطاب : « لست بخب والخب لا يخدعنى » . وأما المؤمن الذى يكون حظه من الحكمة والاعتبار نجسا فقد يلدغ من الجحر الواحد مرتين أو مرارا .

ولا يعارض هذا الحديث « المؤمن غِرٌّ كريم والفاجر خب لئيم » فقد تكلم الحفاظ فى مسنده حتى ذهب بعضهم الى أنه موضوع وهو بقطع النظر عن سنده قد وقع لفظ الغر فيه مقابلا للفظ الخب الذى هو الجريز أى الخداع . فيكون المراد من الغرارة غفلته عن الشر ، فان كريم الأخلاق طيب السريرة لا يبحث عن الشر بحث من يريد التوغل فى طرقه والخوض فى غماره . وهو مع كونه لا يبحث عن هذه الطرق بحث المولع بها يأخذ بسنة الاحتراس فلا ينخدع لخب يزخرف له القول مداهنة أو ينصب فى طريقه حباله . فغفلة الرجل عن وسائل الشر لانصرافه الى الخير بشراشره لا تنقص من كياسته فى تدبير وسائل الخير أو الاحتراز عما يهيأ له أو لقومه من الشر . فلا يصح أن يكون الايمان الذى هو أساس استنارة الفكر سبب الانخداع لتمويه مبطل أو مخاتلة ذى مأرب ..

نجد فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ما يرشدنا الى أن السياسة الاسلامية لا ينهض بها المستقيم الا أن يكون أريبا ولا الأريب الا أن يكون مستقيما ..

فرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان محفوفا به من رعاية الله وتأييده لم يترك أمر السياسة الحربية أو المدنية دون أن يجريه على سنة التدبير والاحتراس من أمور يتبعها فى العادة عواقب سيئة ، فمما تقرؤه فى سيرته الزاهرة أنه اذا قصد السفر لحرب قوم أخذ يسأل عن ناحية قوم آخرين حتى يظن السامع أنه ينوى السفر الى الناحية التى يسأل عنها . ونقرأ فيها أنه كتب لأمير سرية كتابا وقال له : « لا تقرأه » حتى تبلغ مكان كذا وكذا فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وفيه ذكر الناحية التى أمرهم بالتوجه اليها . ومن مثل هذا أخذ يحيى بن أكثم قوله فى حديث مع المأمون « لا يستقيم كتمان شيء باذاعة غيره » .

ـ ومن بديع سياسته صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية . فقد خفي على بعض كبار الصحابة حكمته فلم يرتح له . ولكنه أتى بخير كثير اذ كان توطئة لفتح مكة دون أن تراق فيه دماء طاهرة أو تنقصم فيه ظهور

الدهاء والاستقامة

انحنت بعد الفتح راكعة لله ، وخرج منها رجال جاهدوا في الحق بحماسة واخلاص ، وكان صلوات الله عليه مع ما يجده فى الناس من حسن الطاعة والتسليم ، قد يستحسن الأمر ويدعه حذرا من أن يلاقيه بعضهم بانكار . فانظروا الى ما جاء فى الصحيح من أنه عليه الصلاة والسلام استحسن نقض البيت وبناءه على أساس ابراهيم . وانما تركه مخافة أن تنكره قلوب من كانوا حديثي عهد با لجاهلية من قريش ، وانما يراعى عليه الصلاة والسلام انكار الناس فيما لم ينزل به وحى ولم تقتض حاله أن يكون شرعا نافذا ..

واذا قال ابن خلدون فى الحديث عن العرب « أنهم أبعد الأمم عن السياسة » فانما يريد العرب قبل أن يستضيئوا بحكمة الاسلام أما بعد أن نزل القران وشاهدوا سيرة أحكم الخليقة صلوات الله وسلامه عليه فقد كان نصيبهم من البراعة فى السياسة فوق كل نصيب ..

تقرأ فى تاريخ فتح الفرس أن سعد بن أبى وقاص أرسل المغيرة بن شعبة الى رستم القائد الفارسى ، فأقبل حتى جلس معه على سريره فوثب اليه أتباع رستم وأنزلوه من السرير فقال المغيرة : « انا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضا فظننت أنكم تتواسون كما نتواسى وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض ، اليوم علمت أنكم مغلوبون وان ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول » ، قصد المغيرة بما صنع وما قال تعليم القوم المساواة التى جاء بها الاسلام ليألفوه واشعارهم بأنهم يعيشون تحت راية تلك الدولة عيش المستعبدين ليجنى من وراء هذا سقوط مكانتها من أنفسهم فلا يدافعوا عنها من صميم أفئدتهم ..

لا يستغنى رؤساء الشعوب عن الدهاء فى السياسة وأشدهم حاجة الى تدابيره الغامضة رئيس قبض على زمام طوائف اختلفت أهواؤهم سبلا ، وتفرقت أراؤهم مذاهب . فاذا رأينا السياسة فى عهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما تسير على مناهج من العدل واضحة فلأن الرئيس عادل ومعظم الأمة على سبيل من الهداية لا تختلف ، وما استقام الأمر لمعاوية مع ما خالط الأمة يومئذ من التفرق فى الاراء الا لأنه كان يسلك فى السياسة مسالك خفية ، ويركب لها من الطرق الوعرة ما لم يركبه الخلفاء من قبله ، ومعاوية هو الذى يقول : « لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال كنت إذا مدوها أرخيتها واذا أرخوها مددتها .. ومن أساليب الدهاة فى اضعاف الجماعة التى تناوىء سلطانهم أن يغروا بين كبرائها العداوة فتنقصم رابطتهم وتشتد الخصومة فيما بينهم وهو مسلك قد يضطر اليه المصلحون فى تفريق الجماعة التى تتحالف على ما لا خير فيه ، ومن هذا القبيل ما فعله نعيم بن مسعود رضي الله عنه حين تحالفت قريش وغطفان وبنو قريظة على حرب النبي صلى الله عليه وسلم فى واقعة الأحزاب ، اذ ألقى بينهم ما تقطع به حبل اجتماعهم على الباطل فانصرفوا خائبين .

وقد يعمل الطامع فى الأمة الغافلة على

هذا المسلك حذرا من ان يتشتت شعورها، فتجمع أمرها وتوجه اليه قوتها. فمن واجب الامة التى يربطها دين أو مصالح وطنية أن تؤكد اواصر الاخاء بينها، وتجعل المصلحة العامة نصب اعينها وتوجه ما تستطيع من قوة الى من يريد القضاء على دينها. أو الاستئثار بمنافع بلادها. لما تحفز الملك « الاذفونش » للهجوم على بلاد الأندلس عقد كبراؤها مؤتمرا للنظر فى دفاعه وقرروا الاستنجاد بسلطان مراكش « يوسف ابن تاشفين» ولما أبدى بعضهم التخوف من أن ينقذ هذا السلطان البلاد من الاذفونش ثم يضع عليها يده قال له المعتمد بن عباد : لأن يرعى أبناؤنا الجمال خير من أن يرعو الخنازير .

ومن أساليب الدهاة فى القديم أن يسوموا الجماعة الناشزة بايدى رجال منهم قال عباد ابن زياد يصف زيادا لعبد الملك ابن مروان: « قدم العراق وهى جمرة تشتعل فسل احقادهم وداوى ادواءهم «ضبط أهل العراق بأهل العراق » وهو أسلوب بعيد الشأو ظاهر الامر قد يأخذ به ذو السياسة الرشيدة لزيادة تأليف القوم وتأكيد الاخلاص فى نفوسهم .

دلت السيرة النبوية على هذا الضرب من السياسة . ومن شواهده ترتيبه عليه الصلاة والسلام الجيش يوم فتح مكة اذ نظمه على حسب القبائل وجعل على رأس كل قبيلة واحدا من سراتها . وعلامة كون السياسة رشيدة أن يوضع أمر القوم فى يد من ينصح لهم . ويرعى مصالحهم ويعمل لسعادتهم ومما يتخذه الدهاة فى وسائل أخذ القوم الى جانبهم بذل شىء من المال الى ذوى النفوذ من رجالهم وهذا احد الوسائل التى استطاع بها معاوية رضى الله عنه أن يقف تجاه على كرم الله وجهه . ويأخذ منه شطر الخلافة على ما كان لعلى من المكانة الراجحة فى العلم والبيان والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذل النفس فى الجهاد وبلوغه فى تقوى القلب أبعد غاية .

وهذه الوسيلة قررها الاسلام فى سياسة الدعوة اليه فأذن فى صرف جانب من الزكاة لأناس قالوا : أسلمنا . تأليفا لقلوبهم ، واستدعاء لاطمئنان عقيدتهم كما قال تعالى فى اية مصارف الزكاة : والمؤلفة قلوبهم / .

لا يعتمد رئيس القوم على القوة يستطيع ان يخمد بها كل فتنة ويرى أنه فى غير حاجة الى ان ينظر فى منابت الفتن بدهاء ، فللدهاء مواضع يظهر فيها فضله على القوة :

منها دفع الخطر الذى يتراءى شبحه من بعيد بحيث لا يشعر به الا البصير بما وراء الخير من شرور فقد يكون استعمال القوة فى الشر المتوارى موضع انكار او مثار فتنة . اما الدهاء فيرده والنفوس مطمئنة والفتن نائمة .

ويحتاج الحاكم الى الدهاء فى استبانة الحقوق حيث ترفع اليه الدعاوى مجردة من كل بينة . وفى مثل هذه الدعاوى يظهر مبلغ ذكاء القاضى كما يظهر فضله فى نقد البينات وتمييز زائفها من صحيحها . ومن دهاء المنصور بن أبى عامر : أن أحد التجار قدم قرطبة ومعه كيس فيه ياقوت نفيس فتجرد ليسبح فى البحر وترك الكيس على ثيابه وكان أحمر فخطفته حدأة فى مخالبها وتغلغلت به فى البساتين . فأبلغ أمره الى ابن أبى عامر فجعل يستدعى أصحاب البساتين ويسأل العاملين فيها عمن ظهر عليه تغيير حال من بؤس الى سعة

الدهـــاء والاستقامة

حتى ذكر له شخص ظهر عليه من اليسر ما لم يعرف به من قبل، فاستدعاه وفاجأه يقول أحضر الكيس الأحمر فتملكه الرعب وجاء به وقد نقص منه ما عفا له عنه.

يحتاج الولاة الى الدهاء فى سياسة الجماعات واستتباب الحقوق، ويحتاج اليه العلماء فى الدعوة الى الخير، فقد تكون مواجهة الرجل بالأمر بالمعروف أو النهى عن المنكر لا تأتى بفائدة، فيعدل الداعى الى طريق يكون له الأثر المقصود من الدعوة وهو السمع والامتثال..

عزم المعتصم على قتل محمد بن الجهم البرمكى لجولان يده فى مال الدولة فرأى القاضى احمد بن دواد هذا التصميم وعرف أن الموعظة أو الشفاعة لا تحول دون هذا القتل فسلك لانقاذ محمد بن الجهم طريقا اخر هو أن قال للمعتصم: وكيف تأخذ ماله اذا قتلته؟ قال: ومن يحول بينى وبينه؟ قال: يأبى الله تعالى ذلك ويأباه رسوله صلى الله عليه وسلم، ويأباه عدل أمير المؤمنين. فان المال للوارث اذا قتلته حتى تقيم البينة على ما فعله وأمره باستخراج ما اختانه وهو حى أقرب عليك فرجع المعتصم عن عزمه وخلص محمد بن الجهم من القتل.

وينتفع الرجل من دهائه عند لقاء الطبقات المختلفة، يزن عقول من يلاقونه، ويحس ما تكن صدورهم وتنزع اليه نفوسهم، فيصاحب الناس ويشهد مجالسهم وهو على بصيرة مما وراء ألسنتهم من عقول، وسرائر وعواطف، فتيسر له أن يسايرهم الا أن ينحرفوا عن الرشد ويتحامى ما يؤلمهم الا أن يتألموا من صوت الحق، ومراعاة عقول الناس وطباعهم، ونزعاتهم فيما لا يقعد حقا ولا يقيم باطلا مظهر من مظاهر الانسانية المهذبة، ومتى كان الدهاء ـ أعنى جودة النظر فى سياسة الأمور وتقدير وسائل الخير ـ عائدا الى الالمعية وهى فى أصلها موهبة الهية، فان التدبر فى سير أعاظم الرجال والنظر فى مجارى الحوادث باعتبار مما تقوى بهما خصلة الدهاء، فمن حق الملقى اليهم بتربية النشء من أوليائهم ومعلميهم أن يصرفوا العناية الى تغذيتهم بالحديث عن دهاة الرجال وتنبيههم لما دبروه من وسائل يبتغون بها اصلاحا أو شرفا.

ومن حقهم أن يلاحظوا الحوادث التى تظهر من ناحية عرفت بالدهاء فيكشفوا غطاءها ويقفوهم على بطائنها، ذلك لأننا نريد أن نعد للمستقبل ناشئة تستقيم على هدى الله، وتخوض لجج الحياة بكياسة تبصر بها مواقع الشر والخير فتسعى الى أن يكون الشر بعيدا منها والخير طوع أيديها.

وعلى قدر ما يكون فى دعاة الشعب وقادته من دهاء وتقوى، يبعد فى سبيل الشرف شأوه، وتثبت فى مواقف الجهاد قدمه، ويرقى فى السماء ذكره، والذكر الذى تحوطه التقوى ويحرسه الدهاء لا يخفت صوته ان شاء الله.

نور الاسلام | مجلة الازهر الجزء التاسع رمضان سنة ١٣٤٩ هـ.

تاريخ مدينة دمشق

لابن عساكر(١)

تقديم الأستاذ محمد عميره على
مدير مكتبة الأزهر ـ

من تواريخ دمشق ـ أعظمها تاريخ الامام الحافظ أبى الحسن على بن هبة الله أبو القاسم، ثقة الدين بن عساكر الدمشقى المؤرخ الرحالة. كان محدث الديار الشامية. ورفيق السرجانى (صاحب الانساب) فى رحلاته. ولد فى دمشق سنة ٤٩٩ هـ (سنة ١١٠٥ م) وتوفى بها سنة ٥٧١ هـ (سنة ١١٧٦ م) له «تاريخ دمشق الكبير» يعرف بتاريخ ابن عساكر. اختصره الشيخ عبد القادر بدران بحذف الأسانيد والمكررات وسمى المختصر «تهذيب تاريخ ابن عساكر» سبعة أجزاء منه. ولا تزال بقية التهذيب مخطوطة وباشر المجمع العلمى العربى بدمشق نشر الأصل فطبع منه المجلد الأول ونصف الثانى. ولابن عساكر كتب أخرى كثيرة منها «الاشراف على معرفة الأطراف» فى الحديث ثلاثة مجلدات. و «تبين كذب المفترى فى ما نسب الى أبى الحسن الأشعرى» «كشف المغطى فى فضل الموطأ» «تبيين الامتنان فى الأمر بالاختتان» و «أربعون حديثا من أربعين شيخا من أربعين مدينة» و «تاريخ المزة» و «معجم الصحابة»(٢) الخ.

١ ـ الكتاب رقم خاص ٧١٩ عام ١٠٦٧٠ مكتبة الأزهر علم التاريخ

٢ ـ الاعلام للزركلى جـ ٥ ص ٨٢

تاريخ مدينة دمشق

قال صاحب كشف الظنون (١) أن كتاب تاريخ دمشق للمؤلف فى نحو ثمانين مجلدا ذكر تراجم الأعيان والرواة ومروياتهم على نسق تاريخ بغداد للخطيب لكنه أعظم منه حجما . قال ابن خلكان قال لى شيخنا الحافظ زكى الدين عبد العظيم وقد جرى ذكر هذا التاريخ وطال الحديث فى أمره ما أظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع فى الجمع من ذلك الوقت والا فالعمر يقصر عن أن يجمع الانسان مثل هذا الكتاب . ولهذا التاريخ أذيال منها ذيل ولد المصنف القاسم ولم يكمله . وذيل صدر الدين البكرى وذيل عمر بن الحاجب . وله مختصرات أيضا منها ما اختصره الامام أبو شامه عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقى وهو نسختان كبرى من خمسة عشر مجلدا وصغرى . قال ابن شهبة فى ذيله بسط الكلام فى وصف علم التاريخ وذم من شأنه وجمع بين الحوادث والوفيات فى الذيل عليه ووصل الى سنة وفاته . وممن اختصر تاريخ ابن عساكر القاضى جمال الدين محمد بن مكر الأنصارى صاحب لسان العرب . وانتقى منه جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى وسماه « تحفة المذاكر المنتقى من تاريخ ابن عساكر » (٢) وسمع من ابن عساكر جماعة من الحفاظ كأبى العلاء الهمزانى وأبى سعد السمعانى . وروى عنه الجم الغفير والعدد الكثير . ورويت عنه مصنفاته وهو حى بالاجازة فى مدن خراسان وغيرها وانتشر اسمه فى الأرض ذات الطول والعرض . وكان قد تفقه فى حداثته بدمشق على الفقية أبى الحسن السلمى .

ولما دخل بغداد لزم بها التفقه وسماع الدروس بالمدرسة النظامية . وقرأ الخلاف والنحو ولم يزل طول عمره مواظبا على صلاة الجماعة ملازما لقراءة القرآن مكثرا من النوافل والأذكار والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار وله فى العشر من شهر رمضان فى كل يوم ختمة غير ما يقرؤه فى الصلاة وكان يختم كل جمعة . ولم ير الا فى اشتغال يحاسب نفسه على ساعة تذهب فى غير طاعة . ولما دخل بغداد أعجب به العراقيون وقالوا ما رأينا مثله وكذلك قال مشايخه الخراسانيون وقال شيخه أبو الفتح المختار ابن عبد الحميد . قدم علينا أبو على بن الوزير فقلنا مارأينا مثله . ثم قدم علينا أبو سعد بن السمعانى فقلنا ما رأينا مثله حتى قدم علينا هذا فلم نر مثله . وقال الحافظ أبو العلاء الهمزانى لبعض تلامذته وقد استأذنه أن يسافر إن عرفت أستاذا أعلم منى أو يكون فى الفضل مثلى فحينئذ آذن لك أن تسافر اليه . اللهم الا أن تسافر الى الشيخ الحافظ ابن عساكر فانه حافظ كما يجب .

ونسخة تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر وهى موضوع بحثنا الموجودة بمكتبة الأزهر تقع فى واحد وعشرين مجلدا بخطوط وسطور مختلفة تجزئة .. ٨ أجزاء ومن خلال التواريخ الموجودة بأجزاء الكتاب توضح لنا أنها كتبت ونسخت فى حياة المؤلف .

وضمن المؤلف كلامه على مدينة دمشق

---

١ ـ جـ ١ ص ٢٩٤

٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى جـ ٤ ص ٢٧٣

وفضلها وفضل اهلها وذكر من حل فيها أو اجتاز بها من الاماثل وذوى الفضل والمزية من الأنبياء. والخلفاء والولاة والهداة والفقهاء والقضاة والعلماء والقراء والشعراء والرواة وذكر ما لهم من فضل وما صدر عنهم من مدح وثناء وقدح وهجاء وما ذكروه من جرح وتعديل. وغير ذلك رتب تراجمه على الحروف الهجائية وابتداء بذكر من اسمه «أحمد» تيمنا بمن وافق اسمه اسم المصطفى «أحمد» صلى الله عليه وسلم واتبع ذلك فى ترتيب أسماء ابائهم وأجدادهم ايضا ثم أردفهم بذكر من عرف بكنيته. ثم من عرف بنسبته ثم ختمه بذكر المشهورات من شواعر النسوة والاماء.

ويجدر بنا فى هذا المقام التعريف ببعض أجزاء الكتاب على سبيل المثال لا الحصر المجلد الاول يحتوى على خمسة أجزاء من الأول الى الخامس وباخره سماعات على المؤلف اخرها سنة ٥٧١ هـ. فى ١٠٣ ورقات قال المؤلف فى مقدمته: الحمد لله خالق الأرواح وبارىء الاجسام وفالق الاصباح. ورازق الانس والطيور والوحوش والأنعام وفالق السماء والارض عن قطر الغمام والحب ذى العصف والنخل ذات الأكمام تبصرة لذوى العقول وتذكرة لأولى الأفهام. احمده على تواتر انعامه العظام واستزيده من مزيد بنعمته الجسام. واشهد أن لا اله الا هو محيى العظام ذو الطول والعزة والنفاذ. وأشهد أن محمدا عبده الصادق الكلام الداعي باذنه الى اتباع شريعة الاسلام الماحى بنبوته عبادة الأوثان والأصنام الماحق برسالته معالم الأنصاب والازلام صلى الله عليه صلاة مقرونة بالمزيد والدوام وعلى أله وأصحابه وانصاره البررة الكرام.

والمجلد الثانى يحتوى على الأجزاء من الحادى والتسعين الى التاسع والتسعين وبأخر سماعات أخرها سنة ٦١٤ هـ في ١٨٠ ورقة.

والمجلد الثالث يشتمل الأجزاء من السابع والعشرين بعد المائة الى اخر الجزء الثانى والخمسين بعد المائة ويقع في ٤٢٣ ورقة؛ وبأوله نقص وبه خروم. ويبتدىء بترجمة الحسن بن عطية الله وينتهى بترجمة داود بن إيشا بن عويد..

والمجلد الرابع يتضمن لأجزاء من الثانى والسبعين بعد المائة الى اخر الثمانين بعد المائة. ويبتدىء بترجمة زياد ابن عثمان وينتهى بترجمة السر السقطى وباخره سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٧٤ هـ وعدد أوراقه ١٦٠ ورقة..

والمجلد الخامس يحتوى الأجزاء من السادس والثمانين بعد المائة الى أخر التسعين بعد المائة . وبأوله واخره سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٦٢ هـ. ويبتدىء بترجمة سعيد بن زيد الكلبى وينتهى بترجمة سفيان بن وهب وعدد أوراقه ٩٩ ورقة..

والمجلد السادس يتضمن الأجزاء من الحادى والثلاثين بعد المائتين الى اخر الأربعين بعد المائتين وباخره سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٦٢ هـ. ويبتدىء بترجمة من اسمه عامر. وينتهى بترجمة

تاريخ مدينة دمشق

من اسمه عبد الله بن أحمد، وعدد أوراقه ٢٠٠ ورقة ..

والمجلد السابع يتضمن الأجزاء من أثناء الجزء الثاني والأربعين بعد المائتين وينتهي بالجزء السابع والخمسين بعد المائتين، ويبتدىء بترجمة عبد الله بن بشر، وينتهي بترجمة عبد الله بن عباس، وبأوله نقص وبه خروم، وبآخره سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٦٢ هـ وعدد أوراقه ١٩١ ورقة.

والمجلد الثامن ويشتمل الأجزاء من الحادي والستين بعد المائتين وينتهي بآخر السبعين بعد المائتين. وفيه ترجمة سيدنا أبو بكر الصديق وبعض من اسمه عبد الله وبآخر أجزائه سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٧٢ هـ وعدد أوراقه ٢٠٠ ورقة ..

والمجلد التاسع فيه الأجزاء الحادي والثمانين بعد المائتين وإلى آخر الجزء التسعين بعد المائتين، ويبتدىء بترجمة عبد الله بن محمد علي المنصور، وينتهي بترجمة عبد الجبار بن محمد المقدسي، وبآخره سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٦٢ هـ وعدد أوراقه ٢٠٠ ورقة ..

والمجلد العاشر يبتدىء بترجمة عبد العزيز بن عمر وينتهي بترجمة عبيد الله بن محمد العكبري، وبأوله مطالعة تاريخها سنة ٨٤٧ هـ، وعدد أوراقه ٢٤٧ ورقة.

والمجلد الحادي عشر يتضمن قطعا متفرقة من الأجزاء التاسع عشر والعشرين والحادي والعشرين، والخامس والأربعين والسادس والاربعين، والسابع والأربعين بعد الثلاثمائة، ويبتدىء بترجمة من اسمه عبد الله بن علي، وينتهي بترجمة علي بن الحسين وبأوله سماعات تاريخها ٦١٩ هـ وبه خروم وعدد أوراقه ١٠٦ ورقات ..

والمجلد الثاني عشر ويتضمن الأجزاء من الثاني والثمانين بعد الأربعمائة وينتهي بآخر الجزء الخمسمائة به خروم وبآخره سماعات تاريخها ٥٦٠ هـ، ويبتدىء بترجمة علي بن الأقمر وينتهي بترجمة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعدد أوراقه ١٩٨ ورقة ..

والمجلد الثالث عشر يتضمن الأجزاء من السادس والخمسين بعد الثلاثمائة الى السابع والسبعين بعد الثلاثمائة ويبتدىء بترجمة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وينتهي بترجمة عمرو بن بحر الجاحظ، وبه خروم وبآخره نقص، وعدد أوراقه ٢٣٥ ورقة ..

والمجلد الرابع عشر، وفيه من أول الجزء الثاني والسبعين بعد الثلاثمائة الى آخر الثمانين بعد الثلاثمائة، ويبتدىء بترجمة عمر بن ذر، وينتهي بترجمة عمرو ابن العاص، وبآخره سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٦٣ هـ، وعدد أوراقه ١٨١ ورقة.

والمجلد الخامس عشر يبتدىء ببقية ترجمة عمرو بن العاص وينتهي بترجمة عياض بن غنم، وعدد أوراقه ٢٢٢ ورقة ..

والمجلد السادس عشر فيه أربعة أجزاء، من الأول الى الرابع بعد الاربعمائة ويبتدىء بترجمة من اسمه فيض، وينتهي بترجمة



قحطب بن شديد، وبأوله وآخره سماعات أقدمها سنة ٦١٥ هـ، وعدد أوراقه ٨٠ ورقة.

والمجلد السابع عشر وبه ستة أجزاء من الخامس الى العاشر بعد الأربعمائة وورقتان من الحادى عشر بعد الأربعمائة وبآخره سماعات سنة ٥٦٤ هـ وبه خروم ويبتدىء بترجمة قدامة بن حماطه وينتهى بترجمة كيلان وعدد أوراقه ١٢٢ ورقة..

والمجلد الثامن عشر وفيه من أواخر الجزء التاسع عشر بعد الأربعمائة الى نهاية الجزء الرابع والثلاثين بعد الأربعمائة، بأوله نقص وبه خروم يبتدىء ببقية ترجمة الامام الشافعى، وينتهى بترجمة محمد بن عبد الله ابن محمد المهدى وعدد أوراقه ٢٤٥ ورقة.

والمجلد التاسع عشر وفيه من اول الجزء الثالث والستين بعد الأربعمائة الى اخر الثانى والسبعين بعد الأربعمائة وبه خروم يبتدىء بترجمة من اسمه محفوظ وينتهى بترجمة من اسمه معبد بن وهب وبآخره سماعات تاريخها سنة ٥٦٤ هـ، وعدد أوراقه ٤٠٢ ورقات..

والمجلد العشرون ويشتمل على الاجزاء من الخامس والتسعين بعد الأربعمائة الى اخر العاشر بعد الخمسمائة، ويبتدىء بترجمة من اسمه ميمون بن اسماعيل، وينتهى بترجمة من اسمه هارون بن عمر باوله نقص وبه خروم وعدد أوراقه ٢٢٩ ورقة..

والمجلد الحادى والعشرون فيه من الجزء الحادى والعشرين بعد الخمسمائة الى أخر الجزء الثلاثين بعد الخمسمائة ويبتدىء بترجمة يحيى بن راشد، وينتهى بترجمة يزيد بن معاوية وبه خروم وبآخره سماعات تاريخها سنة ٥٦٥ هـ، وعدد أوراقه ٢٠٠ ورقة وبجميع الأجزاء التى ذكرت سالفا بها آثار رطوبة وتآكل وترميم..

ومكتبة الأزهر تقدم لقراء المسلمين والعرب بعض مخطوطاتها النادرة والتعريف بها إحياء لتراثها الخالد وذكر أصحاب الفضل من العلماء الذين قرأوا وبحثوا واستقرأوا ودونوا وأوقفوا حياتهم على طلب العلم والاستزادة منه وقدموه ميراثا يتداول بين الأجيال حتى يقف القارىء على مدى اعجاز ماكتبه السلف الصالح، وستوالى مكتبة الأزهر ان شاء الله التعريف بمخطوطاتها تسهيلا لطلاب العلم والمعرفة..

مدير مكتبة الأزهر
محمد عميرة على

مدارسنا الأدبية
مدرسة أبوللو

الأدب والنقد

هكذا أغني
ديوان شعر
محمود حسن اسماعيل

مدرسة أبوللو ١

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

في عام ١٩٣٢ اعلن الدكتور أحمد زكي أبو شادي ميلاد مدرسة أدبية جديدة ، أطلق عليها اسم جماعة (أبوللو) وقال عنها فى مجلته التى أصدرها باسم مجلة (أبوللو) أنها «مدرسة جديدة من مدارسنا الأدبية» .

وبينما لم يطلق العقاد وشكري والمازني اسما علي مدرستهم الأدبية، وانما أطلق عليها النقاد اسم «مدرسة شعراء الديوان» باسم الكتاب النقدي الذي أصدروه .. نجد أن أبا شادي قد سمي المدرسة التي كونها باسم مميز لها ، عرفت به من أول قيامها ، وصار علما عليها ، وتردد علي ألسنة كل الناس هذا الاسم .

وكان أبو شادى يقصد من انشاء هذه الجماعة أن تكون خاصة بالشعر وللشعر، ويقصد من وراء قيامها النهوض بهذا الفن الأدبى الرفيع ، ورعاية الشعراء ماديا وأدبيا . وكانت أغراض الجماعة كما أعلنت منذ ميلادها هى :

١ ـ السمو بالشعر العربى ،وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفا .

٢ ـ مناصرة النهضات الفنية فى عالم الشعر .

٣ ـ ترقية مستوى الشعراء ماديا وأدبيا واجتماعيا ، والدفاع عن كرامتهم .

ومركز الجماعة القاهرة ، وعضويتها مفتوحة فى مصر والعالم العربى للشعراء خاصة ، وللأدباء ومحبى الأدب عامة ، ممن

مدرسة أبوللو

يهمهم تقدم أغراض الجمعية .

وجمعت هذه الجماعة طائفة من اعلام الأدباء والشعراء والنقاد . وجماعات من شعراء الشباب وأدبائهم . ومن بين أعضائها الكبار :

- أحمد زكي أبو شادي (١٨٩٢ ـ ١٩٥٥)
- أحمد محرم (١٨٧٧ ـ ١٩٤٥)
- ابراهيم ناجي (١٨٩٨ ـ ١٩٥٣)
- علي محمود طه (١٩٤٩)
- كامل كيلاني (ـ ١٩٥٩)
- د . أحمد ضيف (ـ ١٩٤٢)
- د . علي العناني
- د . أحمد الشايب
- د . محمود أبو الوفا
- حسن كامل الصيرفي

ثم انضم اليهم مصطفى عبد اللطيف السحرتي (١٩٠٢ ـ ١٩٨٣) . وصالح جودت (١٩٧٦)ود عبد العزيز عتيق . د . مختار الوكيل . محمود حسن اسماعيل .. وغيرهم .

وتولى أبو شادي أمانة سر هذه الجماعة الأدبية بصفة دائمة . واختير أمير الشعراء أحمد شوقي (١٨٦٨ ـ ١٩٣٢) رئيسا لها . وكان حافظ قد توفى قبل ذلك بعدة شهور .

وفي يوم الاثنين العاشر من أكتوبر . ١٩٣٢ عقدت الجلسة الأولى لها برئاسة شوقي في داره « كرمة ابن هانيء » بالجيزة لوضع الأسس العامة لنظامها الاداري والأدبي . ولم يعش شوقي بعد ذلك الا أياما معدودة . اذ توفى فجر يوم الجمعة الرابع عشر من أكتوبر ١٩٣٢ .

وبعد أسبوع كامل من الحزن . اجتمع الاعضاء في يوم السبت الثاني والعشرين من أكتوبر ١٩٣٢ في مقر رابطة الأدب الجديد بالقاهرة . واختاروا الشاعر خليل مطران (١٨٧٢ ـ ١٩٤٩) رئيسا لها .

ومنذ ميلاد هذه الجماعة وهي تصدر مجلة تحمل اسمها . وتنشر أدبها . وهي مجلة « أبوللو » . وهي أول مجلة خصصت للشعر ونقده في العالم العربي .

وفي افتتاحية العدد الأول من أعداد المجلة كتب أبو شادي يقول : ان الشعر من اجل مظاهر الفن . ولم تتردد في أن تخصه بهذه المجلة . التي هي الأولى من نوعها في العالم العربي . كما لم تتوان في تأسيس هيئة مستقلة لخدمته هي « جمعية أبوللو » . حبا في إحلاله مكانته السامقة الرفيعة وتحقيقا للتآخي والتعاون بين الشعراء .

وفي صدر العدد شوقية في تحية ميلاد الجماعة والمجلة . ومطلعها :

أبوللو . مرحبا بك يا أبوللو
فانك من شعاع الشمس ظل

ـ ٢ ـ

ويختلف الأدباء هل أبوللو جماعة أو مدرسة . وفي صدر عدد أبريل ١٩٣٢ من المجلة كتب أبو شادي يقول :ان مدرسة أبوللو مدرسة تعاون وانصاف واصلاح وتجديد .

● وفى عدد فبراير ١٩٣٣ يعلل ابو شادى للصيرفي اختيار اسم اغريقى لهذه الجماعة . بانه الرغبة فى ان تحمل اسما عالميا فنيا يلائم صبغتها .. ان ابوللو مدرسة ادبية

حقيقية ذات اهداف واضحة، ومضمون متميز .

ولقد كانت هذه المدرسة في تعاون مع (مدرسة البعث) . وفي شبه خصام مع (مدرسة الديوان) . وكان اتجاهها رومانسيا خالصا ، مع التعاون مع المذاهب الأدبية الاخري بقدر الإمكان .

وأبو شادى مؤسسها ذو ثقافة عالمية واسعة ، ويجيد فهم الشعر ومقاييسه فهما جيدا . وهو أديب وشاعر وناقد . وقد درس الطب في انجلترا عشر سنين (١٩١٢ ـ ١٩٢٢) .

ومات ابو شادى عن نحو ٩٠ كتابا ، منها ستة وعشرون ديوانا شعريا وعشر مسرحيات شعرية .

ومن أشهر د واوينه المطبوعة :

- الشفق الباكي (١٩٢٤)
- الشعلة (١٩٣١)
- أشعة وظلال (١٩٣١)
- الينبوع ـ أطياف الربيع (١٩٣٣)
- عودة الراعي (١٩٤٢)

وله أربعة دواوين مخطوطة هي : الانسان الجديد ـ النيروز الحر ـ الناشئ ، ـ ايزيس ، وله كذلك أربعة دواوين مطبوعة بالانجليزية ، وهي :

- أغاني العدم
- أغاني السرور والحزن
- أغاني الحب
- كيفما نتفق

ومنذ عام ١٩٤٥ حتي عام ١٩٥٥ هاجر الشاعر الي أمريكا ، وأقام في نيويورك حينا ، ثم في واشنطون حينا اخر ، حتي توفي في الثاني عشر من ابريل عام ١٩٥٥ ودفن في مقابر المسلمين في واشنطن .

ـ ٢ ـ

دعا ابو شادي وجماعة (ابوللو) في الشعر لصدق العاطفة ، ووحدة القصيدة ، ولذاتية تجربة الشاعر وعمقها .

دعت (أبوللو) الي البساطة والصدق وترك التكلف ، والي الاخاء في الأدب والي أن يكون الادب تعبيرا عن الذات ، والي احترام المذاهب والمدارس الادبية وتعاونها ، مع جنوح الي الرومانسية وميل اليها ، وقد كررت الدعوة الي الطلاقة والأصالة والموهبة ، والي أن يكون الأسلوب ممثلا لخصائص صاحبه كما دعت الي ظهور الشخصية الادبية والي الحرية الفنية .

وجاء ادب (الابوللين) ممثلا لمذهبهم الادبي تمثيلا تاما .

فوجدنا عند ابراهيم ناجى شعر العاطفة الحادة المتقدة .

وعند على محمود طه شعر الخيال والصور الشعرية الأنيقة .

وعند صالح جودت شعر الروح المصرية بكل تراثها ومقومات فنها واصالتها .

ووجدنا عند الناقد مصطفى عبد اللطيف

مدرسة أبوللـو

السحرتي سعة الثقافة وعمقها، ووضوح الرؤية الشعرية، وتمثل المذهب الأدبي تمثلا صحيحا.

ووجدنا عند حسن كامل الصيرفي روح الحزن والألم، وعندما يقول الفريد دي موسيه: الحزن السامي يجعلنا نقدر اللذة، أو عندما يقول اديب فرنسي اخر: ان الدموع ضرورة للعبقرية، يقول الشاعر حسن كامل الصيرفي:

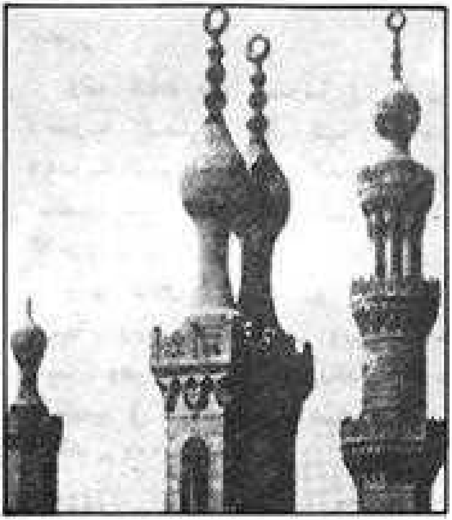
دموعـــي كُنْت أمالا
تَمُدُّ القلـب بالــبشر
وكـــانت هذه الأما
ل كالأنـــغام في الـــفجر

ويتمثل التيار العاطفي في شعر ناجي وصالح جودت والشابي والتيجاني بشير وسواهم.

ويغالى الشعراء الأبولليون في حب الطبيعة، حتى لتصبح عندهم الملاذ الذى يجدون السكينة فى جواره، بعيدين عن زيف المدينة وصخبها، وهم لا يقبلون عليها واصفين، ولا يصفونها مادحين، انما يندمجون فى روحها، ويعانقونها عناق الأحباب.

وهذا أبو شادى يفر من عالم الناس الى دنيا الطبيعة فيقول من ديوانه «عودة الراعى»:

ورجعت للماء المغرد مستزيدا ما حكاه
ورجعت للزهر المبادل من يضاحكه أساه



وتركت كون الناس في يأس الى كون سواه
ويقول محمود غنيم:

نبهوني لدي السحر ... نبهوني
وضعوني على النهر ... ودعوني
أنا والماء والشجر ... في سكون
أملأ السمع والنظر .. بالفتون
ثم أفضي الى القمر ... بشجوني

وقد تأثر شعراء كثيرون في الشعوب العربية بنزعة ابولوالرومانسية وفي مقدمتهم، الشابي، والتيجاني يوسف بشير، نقرا العودة للشاعر ناجي، فنجد روحا عذبة عذوبة «صلوات في هيكل الحب» للشابى .. وهكذا عرف الابولليون الشعر.

د. محمد عبد المنعم خفاجي

إزدهار

الأدب الأردى فى الدكن

فى عصر الدولة القطب شاهية

٩٢٤ هـ. — ١٠٨٩ هـ.

١٥١٨ م. — ١٦٨٦ م.

بقلم دكتور سمير عبد الحميد ابراهيم

ـ ١ ـ

ظهرت علي خريطة شبه القارة الهندية عدة دويلات ثم أختفت . الا ان مابقي منها علي صفحة التاريخ كان تلك التي شاركت بنصيب في رقي العلوم والأداب . ولم تكن الدولة القطب شاهية بالدولة العظمي أو السلطنة الكبري التي لايمكن لدولة أخري أن تواجهها . لكنها كانت دولة أضاءت مصباح العلم والادب والحضارة والثقافة . فخلدت اسمها منيرا مضيئا في التاريخ حتي يومنا هذا .

اسس هذه الدولة[1] السلطان قلي قطب شاه (٩٢٤ هـ ـ ٩٥٠ هـ / ١٥١٨ م ـ ١٥٤٣ م) ، الذي قضي حياته باكملها في معارك هدف منها ترسيخ دعائم سلطنته . قتل علي يد ابنه جمشيد الا أن أخاه الأصغر ابراهيم قطب شاه سلبه العرش . وكان عهد ابراهيم (٩٥٧ هـ ـ ٩٨٨ ه / ١٥٥٠ م ـ ١٥٨٠ م) الذي اتسم بالامن والاستقرار كان خيرا علي العلوم والآداب ، فالسلطان عالم له قدرة فائقة علي التحدث بعدة لغات منها العربية والفارسية والدكنية . امتلا بلاطه بالعلماء والأدباء من كل ناحية ويري المؤرخون أنه لولا اعتلاء ابراهيم عرش الدولة القطب شاهية لانتهت علي يد جمشيد قلي . فقد شارك السلطان ابراهيم نفسه في رقي العلوم والاداب .

تتمثل الخصائص المشتركة لسلاطين الدولة القطب شاهية في أنهم جميعا نالوا حظا وافرا من التعليم علي أعلي مستوي ، وبالاضافة علي سماتهم الهندية عملوا علي نهضة العلوم الاسلامية فاوجدوا بذلك « ثقافة ثالثة » هي مزيج من العناصر الصحيحة للعلوم الاسلامية وثقافة وحضارة بلادهم ، ومن شعراء الفارسية في زمانهم ، قاسم طبسي ، حاجي ابرقوهي ، وخورشاه بن قاد الحسيني ومن شعراء الاردية فيروز ، ومحمود وملا خيالى ..

عتلي محمد قلي العرش في سنة

---

[1] ـ يطلق عليها أيضا سلطنة

إزدهار الأدب الأردي

٩٨٨هـ / ١٥٨٠م وكان عهد سلام ورخاء اجتماعي مما جعل ورود الثقافة تتفتح ويصل عبيرها الى كل مكان . وقد خلدت الأعمال الأدبية للسلطان محمد قلي اسمه في التاريخ فأطلق على عهده « العهد الذهبي للدولة القطب شاهية » وهو عهد يفخر به شعراء الاردية وهو عهد عمرت فيه مدينة حيدر أباد بالعمائر الجديدة ، وانتشرت فيها الحدائق المتنوعة وشقت بداخلها القنوات تجري فيها المياه التي كانت تنبعث من نافورات على جوانبها ، وبنيت المتنزهات ، وأنشئت دور العبادة والمكتبات العامة والمدارس ، وارتقى فن التصوير والموسيقى ونال العلماء والشعراء والأدباء مكانة عالية في المجتمع . وبعد وفاته سنة ١٠٢٠هـ ١٦١١م خلفه ابن أخيه محمد قطب شاه ، فسار على ذات الدرب وكان رجلا متدينا شريفا طيبا ، فاعاد اخراج « كليات »[١] عمه وقدم لها بمنظومة طويلة . فقد كان شاعرا تخلص بظل الله ، وهكذا كان ابنه عبد الله قطب شاه ١٠٣٥هـ ـ ١٠٨٣هـ / ١٦٢٥م ـ ١٦٧٣م الذي سار على نهج أبيه وجده ، وقد نشرت كلياته الأردية الفارسية ، كما ظهر في عهده شعراء وكتاب مشهورون مثل غواصي وابن نشاطي وجنيدي وطبعي وميران جي حسن خدانما ، وميران يعقوب وغيرهم .

ظلت اللغة الفارسيه هي اللغة الرسمية لسلطنة كولكندا ، وارتبطت ارتباطا وثيقا بايران نتيجة للانتماء العقائدي المتمثل في المذهب الشيعي والفقه الجعفري ، كان

١ ـ كلياته اي ما نظمه السلطان محمد قلي قطب شاه

العلماء الايرانيون يفدون عليها فينالون المناصب العالية»[٢] «وهكذا وجه سلاطين هذه الدولة اهتماما كبيرا للثقافة الايرانية واللغة والأدب الفارسي حتى أنهم جعلوا الأساليب الفارسية واللهجة الفارسية والانماط الشعرية الفارسية وما الى ذلك يطغى على اللغة المشتركة (الأردية) في سلطنتهم ، وكما خطا[٣]» الأدب في بيجابور الى تأثير الأسلوب الكجري ثم الهندوي فيما بعد ، فان أسلوب الأدب في كوكندا قد خضع لتأثير الأسلوب الفارسي فاقترب منه كثيرا وتلون بلونه . وبينما يطلق جانم (بيجابور) على لغته اسم « كوجري » ويستخدم الأوزان الهندية فان فيروز ومحمود وخيالي « كولكندا » يقلدون الأسلوب الفارسي والبحور والأنماط الشعرية الفارسية[٤]»

وتبقى كلمة هامة تجب الاشارة اليها وهي الأسباب التي جعلت الأدباء يكتبون بالاردية ويهملون الفارسية وأهمها جميعا ان الفارسية لم تعد هي وسيلة الاتصال بالأكثرية داخل المجتمع فقد كانت الاردية هي اللغة الفريدة التي تروج في كل ناحية والتي يمكن أن يتحادث بها العامة والخاصة والسلطان والشحاذ . ومن الناحية اللغوية فان لغة كولكنده ، تحمل نفس خصائص لغة بيجابور التي سبق الحديث عنها قبلا والفرق هنا هو تزايد استعمال الألفاظ العربية والفارسية في لغة كولكندا فاعطى ذلك روحا جديدا للغة

٢ ـ شمس الله قادري ، قديم اردو ص ٥٦ / ٥٨

٣ ـ انظر المقالات السابقة بمجلة الأزهر جمادى الآخرة / رجب / شعبان ١٤٠٩ هـ

٤ ـ جميل جالبي ، تاريخ ادب اردو جـ اول ص ٢٨٥ / ٢٩٢ ـ مقالات حافظ شيراني جـ اول ص ٢٠٠

ويتضح هذا باستعراض كتابات أهم أدباء وشعراء تلك الفترة .

— ٢ —

فيروز بيدري .. شاعر قدم الى كولكندا بعد زوال الدولة البهمنية ، له منظومة بعنوان « برت نامه » (١٢١ بيتا) يمدح فيها عبد القادر الجيلاني ، ثم يمدح شيخه ومرشده شيخ ابراهيم مخدوم جي (متوفى ٦٧٣هـ / ١٥٦٥ م) ولم يكن هدف الشاعر مدح عبد القادر الجيلاني بقدر مدحه لشيخه ومريده ـ يقول الشاعر : (ذات ليلة وفي وقــــــــت السحر حين يستجاب الدعاء ، رايت في المنام بيتا مضيئا ، فسألت فعرفت أن هذه هي عتبات محيي الدين ، فتمنيت الدخول حتى أشرف برؤية الغوث الأعظم ، وبينما أنا هكذا اذا بالحجاب يرفع ، فادخل واشاهد الغوث الأعظم ، فوضعت رأسي عند قدميه ثم وقفت عاقدا يدي على صدري فاشار الغوث الأعظم بالجلوس فجلست ، وبشرني بان أكون مريدا له .. لقد جاءني محيي الدين (الغوث الأعظم) في منامي ، الا أنني في يقظتي وجدت « مخدوم جي » :

محيي الدين هم سوني مين ائيا
سومين حاك مخدوم جي بائيا

وأسلوب الشاعر في هذه المنظومة يقترب تماما من الاسلوب الفارسي السهل الذي لم نشهده في اشعار سابقيه :

وهي بهول جس بهول كي باس تون
وهي جيو جس جيوكي باس تون
كريمان كي مجلس كرامت تجهي
امينان كي صف مين تجهي
توسلنطان جك كا وجك مين فقير
كه سب بادشاهان كون تون دستكير
محبت كي دريا مين غواض تون
كه سب موتيان مين رتن خاص تون
جسي بير مخدوم جي باك هي
اسي دين ودنيا مين كيا بك هي

« انت الورد ان كان لدي أحد ورد وأنت الروح لكل من هو حي ـ أنت الكرامة في مجلس الكرماء وأنت الامام في صفوف الامناء ـ انت سلطان الدنيا وانت الفقير فيها .. وجميع الملوك تحت أمرك ـ أنت غواص في بحر المحبة وأنت الدر الصافي بين جميع الدرر ـ ان من يتطهر ويخلص لشيخه « مخدوم جي » لايثقل عليه الدين ولاترهبه الدنيا » .

وبهذا الأسلوب الجديد أوجد فيروز قوة ابداعية مبتكرة في اللغة الاردية ومهد الطريق لمن تبعه من الشعراء ، وهذا الأسلوب الجديد نشاهده جليا في غزليات فيروز أيضا .

وشاعر اخر يدعى « محمود » شبيه بفيروز ، قدم الى كولكندا من الشمال أيضا ، وهو شاعر مجيد نظم شعرا بالفارسية والبنجابية بالاضافة الى الاردية ، الا أن شهرته ترجع أساسا الى مانظمه بالاردية ومعظمه في الغزل وأشعاره تدل على صلته العميقة بالفارسية فقد استعمل الأساليب الفارسية مما يجعلنا نشعر أننا أمام منعطف أو أمام نقطة تحول في أسلوب البيان الأردي ـ يقول في احدى غزلياته :

« القلب الحائر لايسأل عن الكفر ولا عن الايمان ، ولا يدري شيئا عن الشمال أو الجنوب استرح أيها العشق من اضطراب العشاق ، فحزن الفلك ليس مصدره زلزلة الأرض ، انا خائف في النهاية من هذا السكير

إزدهار الأدب الأردى

صاحب العيون السوداء ، انا خائف أن يسلب محمود صاحب السجادة دينه وايمانه .

وتتنوع الموضوعات في غزل محمود فالمرأة ليست موضوعه الوحيد بل يتحدث في غزله عن الحياة وتجاربه المختلفة وهذا النوع لم يسبقه فيه أحد من الشعراء بالاضافة الي فصاحته اللغوية ومعانيه المبتكرة .

« جيو شراب هي دل شراب هي سر شراب هي ياشراب » . « اسودة أي عشق بي تابي عشاق » « الحياة خمر ، القلب خمر ، الرأس خمر ، القدم خمر » . « استرح ايها العشق من العشاق الخاملين

ويقول الشاعر أيضا :

يرون حالي فيقول الواحد منهم للاخر :

يا اعزائي انه يعاني من فراق صعب »

فهذا أسلوب لم نعهده من قبل في الغزل الاردي بل هي صوت لم يسمع قبلا وهو يماثل الصوت المنبعث من الفارسية . ولغة محمود هي بالتأكيد لغة قديمة ، بها جميع خصائص اللغة الدكنية .(١) الا أنها من حيث المجموع تحمل لون الأسلوب الفارسي .

كان صدي أشعار محمود وفيروز يرن في أرجاء الدكن بينما كانت اللغة الفارسية هي لغة كولكندا الرسمية وكان شعراء الفارسية لاينالون القدر والمنزلة فقط بل يفوزون ايضا بأعلي المناصب في الدولة . بدأت الاردية تنتشر بين الناس ، وتروج بين أهل التصوف وعلي لسان الشعراء حتي أصبحت الثقافة الدكنية هي ثقافة خلفاء سلطان قلي حاكم كولكندا ، فانتشرت الاردية في القصور وتراجعت الفارسية لتصبح لغة المخاطبات الرسمية فقط ، وفي مثل هذه الظروف فتح محمد قلي قطب شاه (٩٧٣ هـ / ١٠٢٠ هـ) (١٥٦٥ م ـ ١٦١١ م) عينيه فنال نصيبا وافرا من التعليم ، رافق العلماء وجالس الحسان ، وكان أول حاكم في الدكن يرتدي لباس شبه القارة الهندية ، اتسم عهده بالأمان والازدهار ولاتزال المئذنة المعروفة باسم « قطب مينار » شامخة في سماء دلهي حتي اليوم تشهد علي علو مكانته في تاريخ شبه القارة الهندية الباكستانية،أسس مدينة حيدر اباد واهتم بالأعياد الاخري التي كانت أسس مدينة حيدر اباد واهتم بالاعياد الاسلامية والأعياد الأخري التي كان الجميع يحتفل بها في ظل سلطنته .

ويعد محمد قلي أول شاعر له ديوان بالأردية ، فلايوجد قبله من رتب ديوانا على الطريقة الفارسية [٢] يضم ديوانه خمسين ألف بيت من الشعر عبر فيها عن تجاربه الشخصية وأفكاره وعواطفه واستعمل في ديوانه ستة عشر تخلصا منها : محمد ، محمد شاه ، محمد قلي ، قطب زمان ، قطب شاه .. الخ (٣) . ولم يقصر محمد قلي قطب شاه شعره على دائرة الموضوعات الخاصة بالأدب بل عبر بأشعاره عن الحياة بأكملها وجعل من الأمور الهامة والأمور العادية موضوعات لشعره فكلياته تضم من ناحية الأنماط الشعرية قصائد ومثنويات ومراثي وغزليات وقطعا وكذا منظومات ورباعيات . كما تضم

---

١ ـ جميل جالبي : تاريخ ادب اردو جـ أول ص ٤٠٧

٢ ـ اي بترتيب الحروف الابجدية

٣ ـ كليات سلطان محمد قلي قطب شاه ترتيب د محيي الدين زور حيدر اباد المقدمة

من ناحية المضمون : الدين . حياة البلاط . وصف القصور . المناظر الطبيعية . أحوال حياة الفقراء . تقاليد وعادات المسلمين والهنادكة . حياة التجار أحوال العشق وما الى ذلك .

ويرتكز شعر محمد قلى على دعامتين أساسيتين الأولى الدين والثانية العشق - الدين لانه به ينال شرف الحياة والسلطة والثروة والرقى . والعشق لانه ينال به اللذة والنشوة في الحياة . ولهذا يمضى العشق في أشعاره جنبا الى جنب حتى في أشعاره التى يتحدث فيها عن الطبيعة ترانا وقد مزجت بالحديث عن محاسن المرأة وجمالها . وهذا نتيجة لعمق الشعر الهندى عنده . فصل المطر (برسات) هو المفضل عنده لانه يثير الغرائز . وهو لا يجعل من وصف المحبوب موضوعا لأشعاره بل يحكى أيضا قصص لهوه ولعبه . ولانشاهد في أشعاره عواطف الهجر أو الحزن أو الفشل في الوصول الى المحبوب انما الاضطراب وألوله ان اصابه فانما يكون نتيجة لحظه في الوصل ١٢ ..

وغزله يختلف عن غزل الشعراء الاخرين فهو يشبه العاشق بالفراشة تحط على كل زهرة ترتشف الرحيق وتحلق فالعاشق هنا ليس بفراشة تكتوى وتحترق بنيران العشق ، بل العشق لها مزاج . تنتشى بالعشق .

نظم الشاعر في جميع الانماط الشعرية واختار لها البحور والعروض الفارسية . وكان هذا بمثابة ثورة في مستقبل اللغة الاردية (٢) ومن الجدير بالذكر أن الشاعر قد نقل الكثير من غزليات حافظ الى اللغة الاردية الا أنه افتقد الاحساس الفنى الذى نراه لدى سعدى وحافظ وعرفى وأنورى وخاقانى أو مولانا رومى ..

حين غزا أكبر الكجرات قبل اعتلاء محمد قلى قطب شاه العرش بثمان سنوات هجرها العديد من الأدباء والعلماء وقدموا الى كولكندا ومن أبرزهم شيخ أحمد كجراتى الذى قدم الى بلاط السلطان محمد قلى ونظم مثنوى ليلى مجنون (٥٤٠٠ بيتا) ومثنوى يوسف وزليخا (٣٧٥٠٠٠ بيتا) وكان أحمد كجراتى قد سافر الى الدكن بعد أن سمع عن رعاية السلطان للأدباء والشعراء فوجد مصداق ماسمع وأكثر ..

تتضح من مطالعتنا ليوسف وزليخا معرفة الشاعر الطيبة بالعربية والفارسية والسنكريتية وتبحره في علوم النحو والصرف وعلم البيان والمعانى والكلام والالهيات والحكمة والفقه والطب . ومن خصائص شعره في يوسف وزليخا انه قلما مزج العربية والفارسية بلغته (الهندوية) :

عرب ألفاظ اس قصة مين كم لياون
نه عربى فارسى بهويتك ميلاون

وهذه هى السمة الواضحة للاردية الكجرية الا وهى استخدام الألفاظ الاقليمية بكثرة ولا أدل على هذا من لغة وأسلوب جميع شعراء الكجرية القدامى . ومن هنا فأسلوب هذا المثنوى يعتبر خطوة في سبيل رقى الأردية الكجرية وأسلوبه يختلف عن أسلوب قطب شاه الذى خضع للتأثيرات الفارسية منذ البداية (٣) ..

وأسلوب أحمد كجراتي يقترب في الأصل من أسلوب بيجابور الأدبي حيث يظهر بوضوح تأثير

---

١ ـ انظر امثلة من المرجع السابق
٢ ـ مقالات محمود شيرانى جـ أول ص ٢٠٠ لاهور ١٩٦٦ م .

٣ ـ جميل جالبى تاريخ اردوئ جـ أول ص ٤٢٢

إزدهار الأدب الأردى

اللغة الكجرية وأسلوبها البياني على اللغة والأنماط الشعرية والاوزان ، وهو الأسلوب الذى تمثله أشعار كل من ميران جى شمس العشاق وبرهان الدين جانم ، وشيخ داول وابراهيم عادل شاه ثانى ..

ونتيجة لاقلال الشاعر في استخدامه للكلمات العربية والفارسية فلم ينل مثنوى يوسف وزليخا قبولا أو شهرة كتلك التى نالتها الاشعار الاخرى التى خضعت للتأثيرات الفارسية رغم ما فيه من روعة أدبية ، ولهذا لم يصل مثنوى ليلى ومجنون ويوسف وزليخا الى آذان الجيل التالى لأحمد كجراتى وهكذا خرج الشاعر من قائمة الشعراء المجيدين مع انتشار الروائح العطرة لأسلوب الشعر الجديد . ولم يذكره أحد من الشعراء التاليين له سوى ابن نشاطى في مثنوى « بهولبن » (١٠٦٦ هـ / ١٦٥٥ م) بل عارضه الشعراء فها هو صنعتى (من بيجابور) يقول في قصة بى نظير (١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م) ..

أقلت من السنسكريتية في هذه الأشعار (ركهيا كم سنسكرت كى اس مين بول

ثم نصرتى في على نامه (١٠٧٦ هـ / ١٦٦٥ م / قائلا :

كيا شعر دكهنى كون جيون فارسى ..

وباختصار تمثل « يوسف وزليخا » الاسلوب القديم في عصر قطب شاه . وقد وضع الشاعر أمامه مثنوى يوسف زليخا لجامى وخسرو . والخطوط العريضة لقصته هى نفسها عند جامى وخسرو بل لقد ترجم أكثر أشعارهما وخاصة فيما يتعلق بالحديقة والقصر والحلم والسجن . ويقال ان أحمد كجراتى هو مؤسس هذا النمط الشعرى (المثنوى في الاردية)[١] .

وتتضح في مثنوى ليلى ومجنون كيفية كتابة الشاعر للالفاظ العربية والفارسية بطريقة الاملاء الهندية[٢] ..

قائدا : فائدة ـ زوق : ذوق ـ افتار : افطار ـ مونجم : منجم ـ كهير : خير ـ حيا : حيا وغيرها ..

أما الجمع فقد أطلق الجمع الفارسى بالألف والنون على جميع الألفاظ : جنس : جنسان ـ ميوه : ميوبان ـ نعمت : نعمتيان ـ سوال : سوالان ..

وفيما يتعلق بالفعل الماضى فقد أضاف الشاعر ياء مجهولة قبل الألف مثل :

كهيا : كها أى قال ـ لكهيا : لكها أى كتب ـ ركهيا : ركها اى وضع

ومن الجدير بالذكر أن عدد الالفاظ العربية يزيد بالمقارنة بالمثنوى السابق . والشاعر يبدأ المثنوى بمناجاته لله :

« يالهى أنت الغنى وأنا الفقير ، رحيم ترحم العباد ،كريم تحيطهم بكرمك »

وهو يهدى المثنوى لمحمد قطب شاه :

محمد قلى قطب شاه هى شاهان
جسى جرن سيوك شاهان جهان

ويقول ان السلطان هو الذى امره بكتابة هذا المثنوى :

ديتى أمر على كى يه باغ لا ون
جو بالون اسى سثه امريت ثانون

---

١ ـ المرجع السابق ٦٢٨
٢ ـ مقالات حافظ شيرانى جـ أول ص ٢٠٥ وما بعدها

جومين شاه كما أمر سر به ليتا
ترت باغ لانى شتابى كيتا

أمرنى السلطان أن أقيم هذه الروضة التى تزدهر برعاية السلطان فاطعت أمره وأسرعت باقامة الروضة ..

وقد عرض الاستاذ حافظ شيرانى لأمثلة من المثنوى (١) .. يثبت فيها أن الشاعر استفاد من بوستان سعد ى، وقد وضع الشاعر عناوين فارسية للمثنوى مثل :

نزد درويش يردند مجنون را بدر او، مجنون فقير شده به خانه ليلى رفتند، بدر مجنون بخانه ليلى رفتن .. الخ .

وعلى كل حال فأشعار أحمد كجراتى تمثل مفترق الطرق بين الاسلوب الهندوى والاسلوب الفارسى . وبتعبير أدق تمثل سماء تغرب فيها شمس مدرسة الأدب الهندى وتشرق منها شمس مدرسة الأدب الفارسى في أن واحد ..

ـ ٢ ـ

تفوق الاتجاه الفارسى في الأدب الأردى

اذا كان شيخ أحمد يمثل جزيرة في أدب كولكندا فان ملا وجهى ظل يتطور ويشرب من ثقافة البيئة المحيطة به في الدولة القطب شاهية . وأخذ صوت ملا أسد الله وجهى (متوفى ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م) يجلجل في فضاء كولكندا وكان ملا وجهى أمير الشعراء بلاط قطب شاه وكان كالسلطان شاعرا قديرا وشقيا . نظم بالفارسية وبالأردية وكتب نثرا بالأردية يوضح مقدرته الفذة على اللغة ..

يطلق وجهى على لغته في كتابه النثري (سب رس) أسم زبان هندوستان ذلك لأنه كان تابعا لمدرسة شمال الهند اللغوية ، اما مثنوى قطب مشترى فيعد واحدا من أقدم المثنويات الأردية (١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م) ويحكى فيه الشاعر الأديب قصة عشق محمد قلى قطب شاه و « مشترى » ولهذا أسماه « قطب مشترى » ويفهم أن مشترى هذه كانت راقصة وموسيقية شهيرة عرفت باسم (بهاك متى) عشقها السلطان في صباه وخشى أن يعلن عن حبه لانها كانت مجرد راقصة فكتم حبه الا ان الحب لايمكن أن يخفى عبيره :

ان الحب ان ظهر في الدنيا
لايمكن اخفاؤه أبدا
في هذه الدنيا يمتلك الحب من يقع فيه
لافرق في هذا بين سلطان وفقير (٢)

وقد أكمل وجهى هذا المثنوى في اثنى عشر يوما فقط (١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م) ..

تمام اس كيا ديس بارا منى
سنه يك هزار هور اتهارا منى

والقصة التى يسوقها الشاعر هنا شبيهة بقصص العشق فى العصور الوسطى فالأمير يرى فى منامه حسناء جميلة وحين يستيقظ يظل يبكى ، ويعرف الملك الحكاية فيضطرب ويحاول مساعدته ويفشل فينطلق الأمير مع أحد التجار بحثا عن الحسناء التى عشقها فى منامه ويواجه مصائب السفر المتعددة والمتنوعة ويلتقي بأصناف عديدة من الناس .. ويبدأ الشاعر فى سرد تفاصيل دقيقة . وتنتهى القصة بلقاء الأمير بمشترى واصطحابها الى الدكن وزواجه منها فى حفل

١ ـ المرجع السابق ص ٢١٢ / ٢١٣

٢ ـ جميل جالبى، تاريخ ادب اردو جد أول ص ٢٤٧، ٢٤٦

إزدهار الأدب الأردى

مهيب. ولا يحمل اليوم مثنوى قطب مشترى سوى أهميته التاريخية. فهو يوضح ما كانت عليه اللغة فى زمانه ويشرح حضارة تلك الفترة وما كان عليه أهل البلاد من عادات وتقاليد..

وما يهمنا هنا هو «سب رس» الذى يمثل أول نماذج النثر الأدبي فى اللغة الأردية (١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥ م) فنماذج النثر السابقة تتسم كلها بطابع ديني وتفتقر الى القيمة الأدبية. وسب رس مأخوذ عن «قصة حسن ودل» وهو الملخص النثرى لدستور العشاق (٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م) لمحمد يحي بن سيبك فتاحى النيشابورى وقد ذاع صيت قصة فتاحى النثرية التى تضم ٤٥٠ سطرا من النثر المسجع المقفي..

وقد نشر مولانا عبد الحق عميد الأدب الأردى هذا الكتاب الرائع سنة ١٩٣٢ م بمقدمة (٥٢ صفحة) ومعجم (١٦ / صفحة) أما أصل الكتاب فيصل الى ٣٠٠ صفحة. ويهمنا أن نوضح أن أسلوب «سب رس» المقفى المسجع يشبه كثيرا ما نجده فى اللغة العربية والفارسية من كتب كثيرة من مثل مقامات الحريري ومقامات بديعى ومقامات حميدى وتاريخ وصاف ودره نادرة..

والحقيقة ان وجهى قد عبد طريقا جديدا أمام قافلة اللغة الأردية. وشعر هو نفسه بثقل المهمة وما يواجه من صعوبات فعبر عن ذلك بأسلوب جذاب قائلا:

«فرهاد هوكر، دونون جهان تى ازاد هوكر دانش كى تيسى بهاران التايا تويون شيرين بايا تو يو نوى بات بيدا هوئى تواميس بات ايا»[1] (ص ١٣)

«صرت فرهادا فتحررت من الدارين وقلبت الجبال بفاس العلم فاندفع منها الشهد وهكذا ظهر أمر جديد وكان هذا العمل».

ورغم التزام الأديب بالسجع والزخارف اللفظية الا أن السلاسة والوضوح كانتا طابعه لمميز، ومع أن الكتاب باللغة الدكنية، والدكنية كانت تروج زمان جهانكير وشاهجهان، الا انه ينال اعجاب قراء الأردية:

جكوئى اجايا بنياد، أول آخر وهى استاذ يو عجائب نظم هور نثر هى جانو بهشت مين كاقصر هى سطر بر سطر برستا هى نور. هر يك بول هى يك حور. اس سى برهكر جنى خط بايا جانو بهشت مين ايا» (ص ١٤)

هو الأستاذ فى البداية والنهاية فهو يأتى بعجائب النظم والنثر وكأنها فى الجنة قصر. النور يتلألأ بين السطور وكل جملة كأنها الحور من قرأ نصيبا منه كأنه دخل الجنة..

ويوضح الكتاب معرفة المؤلف الواسعة بقضايا الحياة الأخلاقية والاجتماعية وقد استفاد من ذخيرة معلوماته وضمن كتابه ايات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال رجال الدين والشعراء، فضاعف ذلك من روعة أسلوبه وقيمة كتابه. ولم يقتصر تأثير الفارسية هنا على الألفاظ والأمثال بل تعداها الى الأسلوب البيانى.

---

١ ـ نقلا عن مقالات شيرانى جـ أول ص ٢٢٠

والكتاب مليء بالأقوال العربية التى استخدمها الأديب بطريقة رائعة وعلى سبيل المثال :

ـ جس مين سلوك وهى سالك نهين تومة بذ بين بين ذاك (ص ٣٢)

(السالك الذى لا يتبع السلوك .. فهو د ..

ـ دانايان مين يونجل هى بات العقل نصف الكرامات (ص ٥٨)

جرى هذا القول بين الحكماء ان ....

ـ كهولي هين أسباب كى كره كهى هين الدنيا مزرعة الآخرة (ص ١٧٢)

حل عقدة الأسباب فقال ...

ـ مصحف مين يونديى هين خبر اذا جاء القضاء عمى البصر (ص ٢٠١)

جاء هذا التحذير فى القرآن الكريم ....

ـ مصحف كى ايت اتى هى يهان رهنمون كل حزب بما لديهم فرحون (ص ٢٠٨)

جاء هذا أيضا فى آيات القرآن الكريم موضحا ان ...

وقد حلل الأستاذ شيرانى الكتاب تحليلا لغويا فيلولوجيا رائعا لا مجال لعرضه هنا فقد أوضح طريقة الجمع فى اللغة فى ذلك الوقت أو استخدام الأداة (نى) واستخدام الفعل (كر) فى العطف و (سى) للدلالة على المستقبل واسم الفاعل الهندى والتذكير والتأنيث واستعمال المصدر ثم اوضح التأثير الفارسى بالتفصيل .(٢)

وما يهمنا هنا هو أن نذكر ان الشاعر قد تصرف فى الألفاظ العربية والفارسية وهذا أمر راج فى ذلك الوقت ، فهناك ابدال الهاء والعين بالألف :

خاصا (خاصة) ـ وضا (وضع) ـ نفا (نفع) قصا (قصة) حيلا (حيلة) وسيللا (. وسيله) طما (طمع) الا (أعلى) .

كما تصرف أيضا في معنى الألفاظ فاختلفت دلالة اللفظ فى الأردية عما هى عليه فى العربية فكلمة تقوى جعل معناها الاطمئنان وكلمة فتوا (فتوى) جعل معناها فتنة وهكذا .(٣)

ولا شك أن سب رس يعد من الناحية الأدبية واللغوية منعطفا هاما فى تاريخ الأدب الاردى فقد أضاف هذا العمل الأدبي الاردى أساليب جديدة واستخدامات للألفاظ والعبارات لم يسبقه اليها أى عمل . وليس من شك انه يحتل فى الأردية مكانة توازى مكانة مقامات بديعى فى العربية وحميدى فى الفارسية والعجيب ان هذا الكتاب لم ينل من الشهرة ما يستحقه كعمل أدبي شامخ .

تزايد الاتجاه الفارسى

كتب ملا وجهى « سب رس » بناء على أمر عبدالله قطب شاه الذى ولد بعد وفاة جده محمد قلى شاه (متوفى ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م)

---

١ ـ انظر صفحات ٢٢٢ حتى ٢٢٦

٢ ـ ص ٢٤٠ ـ ٢٦٠

٣ ـ مقالات شيرانى ص ٢٦٠

إزدهار الأدب الأردى

بثلاث سنوات وتولى العرش وعمره لا يتجاوز الاثنتا عشرة سنة (١٠٣٥هـ - ١٦٢٥ م) وهو يشبه جده في كثير من الأمور، التربية والتعليم اللهو واللعب، صلته بالنساء والخمر، والاهتمام برعاية الفنون والآداب والبراعة في قرض الشعر، وكانت كل هذه الأمور قد توقفت في زمان والده سلطان محمد قطب شاه (١٠٢٠ هـ - ١٠٣٥ هـ / ١٦١١ م - ١٦٢٥ م) الا أن عبدالله بدا يتابع سيرة جده فأعاد الى سلطنته (كولكندا) الجو الذى كان يسودها قبل وفاة والده، ويعبر غواصي عن هذا فى مثنوى « طوطي نامه » بقوله ان محمد قلى قد عاد الى الحياة مرة ثانية :

كهين يون يه حق على ولى
كه بهر حلك مين ايا محمد قلى

وتميزت أشعار عبدالله وخاصة غزلياته بالميل الى اللهو، فهو يرى ان الدنيا يومان ونحن فيها ضيوف لن نخلد فيها فلا ينبغى أن نرتبط بها ولنلهو ونسعد ولا نحزن :

يو دنيا دو دن كى هى مهمان، اسى كج تهير نين
دل نه باند ها اس سات تون خوش حال ره يان غم نه كها

والشاعر على منهج بابر (أبو القاسم مرزا بابر عم ظهير الدين بابر) الذى قال : (بابر بعيش كوش كه عالم دو باره نيست) أى لتسعد يا بابر فهذا العالم لا يتكرر

وعلى نهج عم الخيام فهو يقول بنظريته فى اقتناص السعادة الحالية فالأيام لن تتكرر ثانية :

« دنيا مين كوئى نئين ايا دوبارا »

وتعكس اشعار عبدالله قطب حياته بصورة كاملة، وكما تخلو حياته من عمق التجربة فكذلك اشعاره تعرض أمامنا العواطف بطريقة مباشرة وبساطة وبألفاظ سهلة واضحة وتتلخص موضوعاته الشعرية فيما يلى : الخمر، الدن، رضاب المحبة الوصل وما الى ذلك .. وهو يذكرنا بشعراء المعلقات فى وصفهم لقائهم بالمحبوب :

« أيها الحبيب .. ملأت رياح الصباح العطرة الليل بأكمله، وخلت الدنيا من كل شىء ولم يعد بينى وبينك حجاب .. حينئذ التقي ذلك الجسد بي .. ولم تستطع النطق بكلمة فقد كان السكون يخيم والجميع نيام .. التقينا وذبت فى فكرك . فلم أنطق بكلمة ولم يصدر عن أى همس .. وذاب العود » و « الرباب » سكرا ونشوة، وعلت الأنغام اللانهائية لذة وطربا »

ويعلن عبدالله ان هدف المحبوب ان « يعطى » اللذة :

جوانى وهى هى جو عاشق كون كام ائى
كه عاشق هى جان يه عاشق بجارا
تو محبوب مطلوب هى خط دينى هارى
تو معشوق عاشق هى خط لينى هارا

ولابد أن نذكر هنا ان عبدالله لم يتقدم بالشعر خطوة الى الامام كما فعل سابقوه

الا أن لغته أوضح كما أن تأثير الفارسية على لغته وبيانه وطريقة تعبيره أبين مما هو لدى سابقيه الا أن أهميته فى التاريخ تكمن فى اهتمامه بالأدب والأدباء مما جمع حوله الأدباء والشعراء من أهل ايران وتركيا وروما والشام . فلولاه لما كتب ملا وجهى سب رس ولما برع غواصى كشاعر ممتاز ، ولما كتب المعجم الفارسى الشهير « برهان قاطع » وقد ارتبط بلاط السلطان كل من علامة بن خاتون ، ملا جمال الدين ، ملا على بن طيفور ومولانا حين املى وملا فتح الله سمنانى ـ كما كتبت « حديقة السلطان » لملا نظام الدين أحمد ويعد هذا المولف من مراجع التاريخ الموثوق بها لتلك الفترة ، كما برع ابن نشاطى وجنيدى وشاه راجو وسيد بلاقي وميران جى خدا نما والكثير من الأدباء والشعراء وهنا تكمن أهمية عبدالله (متوفي ١٦٧٢ م) وهى أهمية تجعل من الصعب على أحد أن يغفل مكانته فى تاريخ الا دب الاردى . (١)

كان غواصى أمير الشعراء فى بلاط عبدالله ، وقد ذاعت شهرته فى كولكندا لدرجة ان وجهى صاحب قطب مشترى وهو من الشعراء المتغطرسين المعتدين بأنفسهم بما ينظر اليه كند له وهو يقول متحدثاً عن نفسه وعن عظمته الشعرية فى قطب مشترى :

اكر غوطه لك برس غواصى كهائى
تويك كوهر اس دهات امولك نه بائى

يو موتى نهين وو جو غواصى يا نــــهــــيــــن
يو موتى نهين وو جس كس هات ا ئين

« لو عاص غواصي لسنة فلن يجد جوهرة من هذه الجواهر النادرة ، ان ما وجده غواصى ليس بلؤلؤ ، ليس هذا بلولو ما وصلت اليه يداه »

وحين كتب غواصى مثنوى « سيف الملوك بديع الجمال » تحدث عن عظمته الشعرية ورد على وجهى قائلا :

أنا غواص البحار اكشف عن اللآليء النادرة ، لدى جميع جواهر الحياة ، من ذا الذى يستطيع أن يحصل على ما لدى من لآليء نادرة

ومن المعروف أن عبد الله قطب شاه قد عين غواصى سفيرا له فى بيجابور ، ونال غواصى شهرة واسعة زمان عبد الله وقد نشرت له بالاضافة الى كلياته ثلاثة مثنويات ، مينا ستونتى ، سيف الملوك بديع الجمال وطوطى نامه .

وهذه الأسباب تدل على قدرته وتمكنه من قرض الشعر ، أما أهمية شعره فتكمن فى تأثيره على الشعراء الاخرين ، فمثنوى سيف الملوك بديع الجمال هو المثنوى الذى اذاع كتابة هذا النمط الشعرى فى بيجابور بل كان بمثابة نموذج يحتذيه جميع الشعراء فكتب مقيمى مثنوى : چندر بدن ومهيار مقلدا غواصى واعترف بذلك(٢) أما نصرتى فقد أشاد فى كلشن عشق « بمثنوى غواصى كما ذكره كل من غوثى بيجابورى وعشرتى وكذلك

١ ـ جميل جالبى : تاريخ ادب اردو جد أول ٤٧٠

٢ ـ جميل جالبى : تاريخ ادب اردو ص ٤٧٣

حسين فى مثنوى « طوطى نامه » (١)

وهكذا ظل اسم غواصى يتردد فى طول الدكن وعرضها لأكثر من مائتى وخمسين سنة .

وهكذا ظل اسم غواصى يتردد فى طول الدكن وعرضها لأكثر من مائتى وخمسين سنة .

ومثنويات غواصى مترجمة أو مأخوذة عن الفارسية ـ يقول غواصى عن مينا ستونتى : « كانت هذه رسالة بالفارسية فنظمتها بالدكنية » والحقيقة أن مينا ستونتى قصة هندية الأصل (٢) ، انتشرت وذاعت كحكاية شعبية فى القرن السابع الهجرى كتبها بالهندية القديمة داوود فى زمان فيروز شاه تغلق (٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) ثم كتبها ميان سادهن باسم « ميناست » ثم نظمها دولت قاضى بالبنغالية أو القرن السابع عشر بينما كتب هذه القصة حميدى بالفارسية وبطريقته الخاصة سنة (١٠١٦ هـ ١٦٠٧ م) بعنوان « عصمت نامه » . وقد وضع غواصى القصة الفارسية أمامه ، فأخذ عنها وترجم منها وألبسها لباس الدكنية بكل ألوانه ورغم هذا فالاحساس بالفارسية باق كما أن الشخصيات رغم كونها هندوكية الا اننا نشعر أنها من الناحية الفكرية شخصيات مسلمة .

اما مثنوى سيف الملوك بديع الجمال فقد كتبه الشاعر فى عهد سلطان محمد قلى قطب شاه الا أنه لم يتمكن من تقديمه اليه لأنه ما كان ليعجب السلطان ، وبعد وفاته قام غواصى بحذف بعض اشعاره وأضاف البعض الاخر وأهداه الى عبد الله قطب شاه ، وقد اوضح غواصى أنه كتب هذا المثنوى سنة ١٠٣٥ هـ :

برس يك هزار هور پنج تيس مين
گيا ختم يو نظم دن تيس مين

أما مثنوى سيف الملوك هذا فليس بترجمة عن أى مثنوى فارسى بل هو مأخوذ عن حكاية « ألف ليلة » وفيها قصة سيف الملوك بديع الجمال » ضمن حكاية « بادشاه محتبين سبالك والتاجر حسن (٣) وهى تبدأ من الليلة ٧٥٧ وتنتهى بالليلة ٧٧٨ ، وقصة غواصى وشخصياته هى نفسها القصة والشخصيات التى وردت فى ألف ليلة (٤) .

ومن أهم خصائص هذا المثنوى البساطة ، فقد عرض غواصى أفكاره بلغة سهلة مفهومة دونما تعقيد أو مبالغة ، ودونما اثارة ، وكانت له قدرة فائقة على التعبير عن مناظر الطبيعة ورسم صور الأحداث بطريقة مختصرة جذابة ، فبينما اتسمت اشعار وجهى بقوة البيان الشعرى اتسمت اشعار غواصى بالقدرة القصصية .

ولما كان موضوع « سيف الملوك بديع الجمال » هو العشق ، فقد قل التأثير البيانى فى الأشعار التى عرض فيها الشاعر مناظر الحرب والقتال ، ورغم هذا فقد تميزت أشعاره بالترابط والجدة فى الخيال والموضوع والابتكار فى التشبيه والـلازمة

---

١ ـ المرجع السابق ص ٤٧٦ / ٤٧٥

٢ ـ مينا ستونتى ترتيب غلام عمر خان ؛ قديم اردو مجلد اول ص ٩٦

٣ ـ ترجمة الف ليلة ابو الحسن منصور احمد مجلد ٢ ص ٤٢٨ / ٤٣٩ دهلى ١٩٤٥ م

٤ ـ سيف الملوك بديع الجمال ترتيب سعادت على رضوى حيدر اباد الدكن

والرقة والتأثير، ومن هنا صار مثنوى غواصى مثلا يحتذيه الجيل من بعده.

واذا كان سيف الملوك بديع الجمال مأخوذ عن القصة النثرية ألف ليلة وليلة فان طوطى نامه مأخوذ عن القصة النثرية لضياء الدين نخشبى «طوطى نامه» (٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) والمصدر الأساسى لطوطى نامه هو كتاب (شكاسب تتى) باللغة السنسكريتية، وفيها سبع عشرة حكاية على لسان ببغاء (طوطى) أما (طوطى نامه) بخشى فيحتوى على اثنتى عشرة حكاية. وحكى غواصى فى المثنوى خمس وثلاثين حكاية ومن هنا صار المثنوى روضة (بوستانا) وليس حكاية واحدة:

نهيں داستاں هی يو هی بوستان
عجب کيا جو خوش اوس تی هووں جهان

أى أن المثنوى لا يضم قصة واحدة مسلسلة بل يضم حكايات مختلفة، وهذا المثنوى من مؤلفات آخريات حياته حين عضته الكهولة، وأصبح يعيش حياته فارغ البال لا يشغله شاغل. ويتضح من هذا المثنوى زيادة تأثير الأسلوب الفارسى على أشعاره واختفاء اللغة الدكنية التى سيطرت أحيانا كثيرة على مثنوى «سيف الملوك» و «طوطى نامه».

وهذا يؤكد على تحول الأسلوب الدكنى الى الأسلوب الفارسى أو ما أطلق عليه «اصطلاحا» (ريخته)، والشاعر فى طوطى نامه يوضح ما يجب أن يكون عليه الانسان من قناعة فى الدنيا ورضا، والتخلص من علائق الدنيا الفانية والاتجاه الى الحياة الأبدية الأزلية. فطابع المثنوى طابع صوفى أخلاقى.

وقد كتب غواصى قصائد وغزليات ورباعيات ومراثى. وهو فى قصائده باعترافه يقلد ظهير فاريابى، وكمال خجندى كما كتب غواصى عدة منظومات عن على رضى الله عنه والغوث الأعظم وعيد الأضحى وموسم المطر والدنيا الفانية وغير ذلك من موضوعات مختلفة.(١)

فى تلك الفترة قام شيخ محمد مظهر الدين شيخ فخر الدين ابن نشاطى بكتابه مثنوى «پهولبن» عن قصة فارسية تدعى بساتين الأنس لأحمد دبير عيدروسى ونظمها سنة ١٠٦٦ هـ / ١٦٥٥ م.

والقصة التى يعرضها هى احدى قصص العصور الوسطى. قصة عشق بپهولبن ابن ملك بتن ويعرض حكايته على طريقة ألف ليلة فى حوالى ١٧٤٤ بيتا من الشعر منها ٣٨ فى مدح السلطان عبد الله قطب شاه، وبرع ابن نشاطى فى تصويره للطبيعة، الليالى المقمرة، شروق الشمس وغروبها، الحدائق الغناء.. الخ والمثنوى مليىء بالشخصيات التى رسمها ابن نشاطى وحدد لكل منها دوره بوضوح فالملك يرى فى منامه «درويشا»:

«رأى الملك درويشا فى منامه، يلم بعواقب الدنيا والآخرة، ارتدى قميصا فوق جسده النحيل وربط خصره بازار جميل، وضع عمامة ضخمة على رأسه وأمسك بعصا يتوكأ عليها، تجلت على وجهه العبادة، وحمل فى يده مصلاه..»(٢)

هذه الصورة وغيرها نجدها فى بپهولبن

---

١ ـ لمزيد من التفصيل انظر جالبى: تاريخ ادب اردو جـ أول ص ٤٨٣ وما بعدها

٢ ـ المرجع السابق ص ٤٨٦

إزدهار الأدب الأردى

تضفى عليه روعة وواقعية وتجعل منه نموذجا أدبيا رائعا ولا جدال فى أن أداء الشاعر هنا كان أداء أدبيا . والشاعر فى الأصل كاتب نثرى رأى ما للشعراء من منزلة ومكانة فاتجه الى قول الشعر . كتب هذا المثنوى فى شبابه وكان أول وآخر ما كتب يقول :

اهى انشا بو ميرا ميل دايم
طبيعت كون ميرى حظ ملايم

ولما كان ابن نشاطى كاتبا نثريا فقد أفاده هذا كثيرا فعلى العكس من بقية الشعراء جاءت أشعاره خالية من الأخطاء الاملائية ، وجاءت الألفاظ العربية والفارسية صحيحة فى أشعاره وحاول الا يضحى بذلك على حساب الضرورات الشعرية ـ الا قليلا ـ .

ولم يكتب ابن نشاطى غزلا ورأى أن هذا ليس بعيب وحجته فى ذلك أن فردوسى ونظامى لم يكتبا غزلا :

غزل كا مرتبه كر جه اول هى
ولى هر بيت ميرا ايك غزل هى
غزل كر نهين كهى تو نهين هى خامى
جو كجه بو لى سو ظاهر هى نظامى
غزل نهين طوس كى استاذ كون ايك (٥)
هنر از ماكو شهنامه منى ايك

ـ ٤ ـ

النثر الاردى فى تلك الفترة

سبق أن تحدثنا عن « سب رس » لوجهى (١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥ م) وقلنا أن وجهى حاول أن يجعل النثر الاردى ـ لأول مرة ـ يقف جنبا الى جنب مع النثر الفارسى ثم أنه أعطى بعمله هذا للنثر الاردى أسلوبا أدبيا لم يتوفر له قبلا . وأن سب رس هو أول كتاب لم يتخذ موضوعه الدين وينتمى أسلوبه الى الأسلوب الأدبى . أما الرسائل التى كتبت قبل وجهى وبعده واتخذت من تبليغ الدين موضوعا لها . فلا أهمية لها من الناحية الأدبية ولا تحمل من الصفات الأدبية شيئا .

ويعد هذا العصر فى الأساس عصر الترجمة عن الفارسية . فبالاضافة الى تعديد الأنماط الشعرية والبحور والأساليب فجميع الأعمال الأدبية ـ نظما ونثرا ـ الشهيرة اما مترجمة عن الفارسية أو مقتبسة منها . ولم يقف تأثير الترجمة عن الفارسية عند حد نقل الثقافة والحضارة الفارسية الى شبه القارة بل تجاوز ذلك الى صبغ حضارة شبه القارة وأدبها بلون جديد .

بالأضافة الى عدة رسائل متفرقة تتناول موضوعات دينية فى تلك الفترة فهناك رسالتان هامتان : أحداهما لمير انجى خدا نما والثانية لميران يعقوب . فقد قام هذا الشيخان بنقل المؤلفات الفارسية الى الأردية بأسلوب متميز أعطى للنثر الدينى شكلا متفردا من ناحية الأسلوب القرآنى وطريقة تركيب العبارات .

عاش ميران جى حسين خدا نما (١٠٠٤ هـ / ١٠٧٤ هـ ـ ١٥٩٥ م / ١٦٦٣ م) فى رعاية عبد الله قطب شاه وكان ورعا تقيا نال ثقة السلطان . الا أنه يعتزل الخدمة ويغلب عليه التصوف ويعتنق عقيدة وحدة الوجود . وينصرف بكله الى الله . ويظل

٥ ـ المرجع السابق ص ٤٩٢

الأوقاف . علاوة على رواتبهم أو مكافآتهم الأصلية . وتصرف هذه المكافآت فورا حسب النظم المالية المتبعة .

المادة السابعة

يمنح محفظو القرآن الكريم (بطاقات اثبات شخصية) معتمدة من مديريات الأوقاف . وبموجب هذه البطاقات يعفى جميع أجور المواصلات العامة الحكومية أو شركات القطاع العام .

المادة الثامنة

يعفى محفظو القرآن الكريم من الخدمة العسكرية اعفاء مؤقتا ما داموا يقومون بأداء هذه الواجب فى تحفيظ القرآن الكريم . ويمكن تكليفهم كمحفظين للقرآن الكريم بالقوات المسلحة . مع مراعاة حقوقهم المالية المنصوص عليها فى هذا القانون .

المادة التاسعة

يحق لأى موظف بالدولة أو بالقطاع العام أثناء الخدمة أو بعد احالته للتقاعد ان يجمع بين المرتب أو المعاش الحكومى ومكافأة التحفيظ المنصوص عليها في المادة السادسة اذا استوفى شروط التحفيظ الواردة فى المادة الأولى .

المادة العاشرة

ينشر هذا القانون بالجريدة الرسمية ويعمل به من اليوم التالى لتاريخ نشره .

المذكرة الايضاحية

لا شك أننا نتحمل المسئولية جميعا حكومة وشعبا . ونحن نتحمل مسئولية خاصة كممثلين للشعب . بل هى مسئولية كل مسلم ان يراعى تحفيظ القرآن الكريم الرعاية الواجبة ونحن بذلك لاندعى أننا نحافظ على القرآن الكريم . فالقرآن كتاب الله الذى تكفل صاحبه بحفظه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

ولكننا نخشى أن نطرد من رحمة الله جميعا اذا نحن قصرنا أو أهملنا فى حق كتاب الله علينا ونحن أحوج مانكون لرحمة الله بنا .

ولقد كانت مصر ولازالت حتى عهد قريب قائدة رائدة وزعيمة للعالم الاسلامى والعالم العربى . ولم تكن هذه القيادة والزعامة خوفا من مصر ولا من جيش مصر ولا من قوة مصر وانما كانت دائما تقديرا لعلماء مصر الأفاضل الذين رفعوا راية حفظ القرآن وتحفيظه وبفضل أزهر مصر انتشر النور والعلم الاسلامى الصحيح السليم في مشارق الأرض ومغاربها .

ولقد وصلت حالة محفظى القرآن الكريم من ناحية العدد والندرة حتى أنه يوجد قرى كثيرة تخلو تماما من محفظى القرآن الكريم بعد أن رحل معظم المحفظين الى رحمة الله . ولا يخفى علينا جميعا أنه لا يوجد بديل بعد هذا الانقراض الخطير لمحفظى القرآن الكريم بعد أن أصبح الناس لايجدون ما كان يفعل الاباء وبعد أن توجه الاطفال للتعليم الخاص .

ولا يوجد معهد واحد ولامدرسة واحدة في جمهورية مصر العربية الاسلامية كلها يقوم بتخريج محفظين للقرآن الكريم . لافى الأزهر ولافي التعليم ولاحتى معهدا تابعا لوزارة الأوقاف .

أمر خطير يدفعنا جميعا أن نعمل لرعاية القرآن الكريم لذا أقدم هذا المشروع بقانون وهو أقل ما يجب فى شأن محفظى القرآن الكريم . والله يوفقنا جميعا لما فيه الخير

ركهسكي كا جسى كولى اس تهى بيكانه ... » (١)

أما ميران يعقوب فقد تربى على يد خدائما ونال منه رعاية خاصة كما عبر هو عن نفسه عن ذلك في مقدمة « شمائل الاتقياء » :

« لقد وجدت الرعاية دوما بنظر عنايته واستمر هذا الحال يوما بعد يوم حتى بلغت عمرا نلت فيه نعمة البيعة وذقت لذة لارشاد والتلقين وذقت طعم فاكهة الشريعة والطريقة من كل نوع وشاهدت ألوان الحقيقة والمعرفة

وشمائل الاتقياء ترجمة حرفية لشمائل الاتقياء لركن عماد الدين وهو أحد مريدى شاه برهان الدين غريب (متوفى ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م) وتضم الترجمة الدكنية لشمائل الاتقياء ٩١ بيانا (اى موضوعا) وأربعة أقسام (اى أبواب) فى ١٢٩٩ صفحة . يقول المؤلف :

(بهلا قسم طريقت كى لوكان كى خوب أفعال كى بيان مين هور سالكان كى مقامان هور مريدان كى مرادان ـ أس قسم مين دو اكلى بچاس بيان هين .. دوسوا قسم بيغمبران هو رخاص الخاص وليان أحوال كى بيان مين دوا كلى تيس بيان سوف هى » .

اى ان الباب الأول يضم بيان الأعمال الطيبة لرجال الطريقة ومقامات السالكين ومراد المريدين وفى هذا الباب خمسون موضوعا وفى الباب الثانى ذكر أحوال الأنبياء وأحوال خاصة الخاصة من الأولياء وفيه ثلاثون موضوعا » .

ورغم ان الترجمة حرفية الا ان الكاتب يترك الترجمة احيانا ليضيف بعض الجمل من عنده مثل :

جهوت ثيون هى جـ ون جودرين رات كا جاند ـ جون جون دن جاتى تيون تيون كم هوتا هور سچ جون بهلا جاند هى روز روز روشن هوتا هى » (٢)

لم الكذب . الكذب مثل قمر ليلة الرابع عشر ينقرض وينقص يوما بعد يوم أما الصدق فهو مثل هلال أول الشهر يتزايد نوره يوما بعد يوم » .

والحقيقة ان الأسلوب النثرى لشمائل الأتقياء أسلوب بسيط يودى المهمة التى لا يمكن للشاعر ان يوديها يقترب من لغة الحوار اليومية وهو شبيه بالنثر الذى عالج الموضوعات الدينية فى القرن التاسع عشر وطريقة ترجمة ميران يعقوب للآيات القرآنية هى نفسها طريقة شاه عبد الله الذى ترجم على سبيل المثال القرآن الكريم فميران يعقوب يترجم على سبيل المثال قوله تعالى :

يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر هكذا : يعنى بخشيا خدائى تعالى تيرى كناه أول هور اخر كى واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا هكذا : يعنى رضا دى لو كان كون حج جو اوين تيرى پاس وهناك تنوع فى الأسلوب فى شمائل الأتقياء ويرجع السبب الى أن الكتاب الأصلى

---

١ ـ شرح تمهيدات همدانى نقلا عن تاريخ ادب اردو جميل جالبى ص ٥٠٠

٢ ـ جميل جالبى : تاريخ ادب اردو ص ٥٠٢

بالفارسية قد اخذ عن عدد كبير من الكتب والرسائل مثل كشف المحجوب وروح الأرواح ورسالة الامام الغزالى واللوائح وغيرها - ومن هنا جاءت الترجمة الأردية الحرفية مطابقة للأصل حتى فى تنوع الاسلوب ذاته . ونلاحظ العبارة التالية فى شمائل الاتقياء ومصدرها القشيرى :

« مهتر ابراهيم اپنى فرزند اسماعيل كون كهيى كه مين سونا ديكهيا جو تجى ذبح اتاهى اسماعيل كهى اگر تمين ناسوتى توايسا نه ديكهتى »

« قال ابراهيم لابنه اسماعيل انى رأيت فى منامى انى أذبحك قال اسماعيل اذا كنت ناسوتيا لما رأيت هذا » ومن الجدير بالذكر ان ميران جى فى شمائل الاتقياء لم يترجم عن الفارسية الأشعار فقط بل ترجم المصطلحات ايضا فيما يتعلق بالتصوف والشريعة فاستخدم : ايك بنا للوحدة ودوبنا للثنائية وبهوت بنا للكثرة ونهين بنا للعدم وادمى بنا للانسانية ومين بنل للذاتية وهكذا

وكانت طريقة كتابة العدد فى اللغة الاردية فى ذلك الوقت هكذا :

بدلا من انتجاس (٤) يكتب ايك كم بچاس اى خمسون الا واحدا

بدلا من اكياون (٥١) يكتب ايك اكلا بچاس اى خمسون وأمامها واحدا

وبدلا من باون (٥٢) يكتب دو اكلى بچاس اى خمسون و امامها اثنان .

وتدل رسالتا كلمة الحقائق وشمائل الاتقياء على ان لغة الحوار كانت عامره بالعديدمن الكلمات العربية والفارسية التى كانت تعطى قوة البيان فى التعبير بين الناس .

ونصل بهذا الى فترة تشهد وفاة السلطان عبد الله قطب شاه فى محرم ١٠٨٣ هـ / ١٦٧٢ م ليحتلى العرش من بعده زوج ابنته أبو الحسن تانا شاه .

ويبسط المغول سلطانهم على جميع سلاطين الدكن وتلغى الحدود وتذوب وتنتهى سلطنة بيجابور ١٠٧٩ هـ وكولكندا ١٠٩٨ هـ وترك هذا أثره على الأدب فقد أخذت مدرسة الدكن الأدبية تلفظ أنفاسها الأخيرة وتختلط الدكنية الجديدة بلغة شمال الهند (ريختة) الا أن لغة الشمال (ريختة) تجد الطريق ممهدا لها فى قلب الدكنية الجديدة التى رحبت ترحيبا شديدا بهذه المدرسة الأدبية الجديدة أو الاسلوب الأدبى الجديد الذى لم يكن غريبا عليها بل كانت ممهدة له منذ فترة طويلة .

وهكذا يصل بنا المطاف الى ولى الدكنى الذى يمثل انتصار مدرسة الأدب الجديدة أو ما يعرف فى تاريخ الأدب الاردى بالريختة مما جعل بعض مؤرخى الأدب يطلقون عليه لقب رائد الشعر الاردى وهو يمثل فى الواقع ظاهرة فريدة فى الأدب الاردى سنناقشها فى مقالنا القادم ان شاء الله .

دكتور سمير عبد الحميد ابراهيم

مع رسالة جامعية

محمد مصطفى الماحى

حياته وشعره

للباحث: محمد محمد على عبد المجيد

تقديم: عاطف زهران

●● توطئة:

الشاعر محمد مصطفى الماحى من مواليد دمياط فى سبتمبر سنة ١٨٩٥ م. والتحق بالكتاب حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ جزءا كبيرا من القرآن الكريم. ثم التحق بمدرسة الحمزاوى فدرس فيها اللغة العربية والدين الاسلامى والمواد التجارية على مدى عامين. ثم أصيب والده برمد فى عينيه لم يلبث أن ذهب بنورهما. مما أضطر الابن للانقطاع عن الدراسة حينا من الزمن لمصاحبة والده..

ولقد كان أول ما صافح أذن الطفل من الشعر بيت كان يتردد على شفتى والده يقول:

ان كان للناس عيد يفرحون به
يا نور عينى فعيدى يوم لقياكا

وبعد فترة التحق الفتى بمدرسة دمياط الأميرية فحصل منها على الشهادة الابتدائية سنة ١٩١١ م.

ولقد عمل الوالد على وصل ابنه بنور العلم والأدب. فكان يطلب منه أن يقرأ عليه ما تيسر من كتب الأدب العربى.. قديمة وحديثة.. نذكر منها.. العقد الفريد لابن عبد ربه. والمقامات للحريرى. وأدب الدنيا والدين للماوردى. والكشكول للأبشيهى.. الى غير ذلك.

وبعد حصوله على الابتدائية عين موظفا بوزارة الأوقاف فى نفس العام: لقى الشاعر ربه فى الثامن من نوفمبر سنة ١٩٧٦..

محمد مصطفى الماحى.. حياته وشعره. هذا هو عنوان رسالة الماجستير التى تقدم



● الباحث ينصت لتعليمـــات لجنة مناقشة الرسالة

بها الطالب محمد محمد على عبد المجيد .. المعيد بكلية اللغة جامعة الأزهر فرع الزقازيق . ونوقشت يوم ٢ من يونيه سنة ١٩٨٢ . تحت اشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى . وعضوية كل من :

الدكتور مصطفى يونس والدكتور عبد الرحمن عبد الحميد على وبعد المناقشة منح الطالب درجة الماجستير بتقدير جيد

●● منهج الدراسة :

ولقد نهج الباحث فى دراسته هذه للشاعر نهج الاتصال بشعر الشاعر مطبوعا فى الصحافة والدواوين والاتصال بمن كانت لهم بالشاعر صلات والاتصال بأصدقاء الشاعر بغية الحصول على مزيد من المعلومات والحقائق عن حياة الشاعر وشعره . كما رأى أن يتصل ببعض أساتذة الأدب والنقد لمعرفة آرائهم حول بعض القضايا الأدبية والنقدية التى تعرض لها الباحث فى رسالته .

مضافا الى ذلك ما قام به الباحث من قراءة دواوين الشاعر الثلاثة التى أصدرها وقراءة شعره ونثره فى الصحف والدوريات التى كانت تصور فى عصره وكان له فيها اسهامات .

مع رسالة جامعية

●● خطة البحث :

قسم الباحث دراسته للشاعر الى بابين عدا مقدمة وخاتمة . وحاول فى المقدمة ان يلقى الضوء على موضوع البحث ومدى اهميته . وأسباب اختيار الباحث له . والمنهج العلمى الذى سار عليه والمصادر الأساسية التى أعتمد عليها .

وكل باب يحوى عدة فصول .

الباب الأول : عصر الشاعر وحياته وشخصيته . ويضم ثلاثة فصول .

ـ الأول : عصر الشاعر وصداه فى شعره . حاول فيه الباحث ربط أحداث العصر السياسية والاجتماعية والثقافية بشعر الأستاذ الماحى .

ـ الثانى : ميلاد الشاعر وبيئته تحدث فيه عن مراحل حياته المختلفة . وذكر نماذج من شعر الماحى فى مسيرة هذه الحياة .

الثالث : شخصية الشاعر وثقافته وتحدث الباحث فى هذا الفصل عن السمات البارزة فى شخصية الشاعر من صدق ووفاء . واعتدال وغير ذلك من الصفات التى كان لها أثرها الكبير فى شعره . كما ذكر لنا أن ثقافته واسعة ومتنوعة اذ شملت عديدا من الثقافات .. الأدبية واللغوية والدينية والاجتماعية . وذكر الروافد التى استمد الشاعر منها ثقافته . كما ذكر أراء الشاعر ومعتقداته وآثاره

الباب الثانى :
شعر الشاعر ويضم أربعة فصول :

ـ الأول : تحدث فيه عن بواعث الشاعرية والالهام فى نفس الشاعر وحصر مصادر الالهام أو بواعثه فى ثلاثة أمور هى :
مشاعر الشاعر ـ الطبيعة ـ الأحداث الاجتماعية والتجارب البشرية .

ـ الثانى : تحدث فيه عن موضوعات الشاعر وفنونه . فدرسها وحللها .

وأشار الى مدى اتساع أغراضه وتنوعها لتشمل القديم والجديد من الأغراض . ثم تحدث عن جهود الشاعر فى الدعوة الى الاسلام والعربية . وعن تجاوب الشاعر مع مطالب الحياة العامة والخاصة . وبخاصة بعد انطلاق الشاعر من قيود وظيفته الحكومية ..

الثالث : تحدث فيه عن الخصائص والسمات التى تميز بها شعر الماحى وقسمها قسمين : الأول يتعلق بالمضمون والثانى يتعلق بالشكل .

وفيما يتعلق بالمضمون ذكر الباحث أن معانى الشاعر وأفكاره متفاوتة بتفاوت مراحل عمره .. فهى فى بادىء الأمر تعبير عن عواطفه وانفعالاته الشخصية بينما هى فى مرحلة متأخرة من حياته غزيرة ومتنوعة . وتحدث أيضا عن الظواهر البارزة فى معانى الشاعر مثل الوضوح . ومطابقتها للواقع وموافقتها للحال والبعد بها عن المبالغة والغلو . وشيوع النزعة الخلقية فيها . وجمعها بين القديم والجديد من المعانى .

وبين في هذا الفصل أيضا أن الصور الشعرية في شعر الباحى ملتصقة بالمظاهر المادية التى تقع عليها حواس الشاعر فهو يرصد العالم الخارجى دون اغراب في الخيال .

أما فيما يتعلق بالشكل . فقد ذكر الباحث أن الألفاظ والتراكيب وبناء الاسلوب التقى ذلك كله مع عاطفة الشاعر . حيث اختار الألفاظ القوية المعبرة والسهلة العذبة لماينناسبها مع جزالتها في كل الأحوال وسموها عن الابتذال .

ثم ذكر الباحث ماتميز به شعر الباحى من ظواهر أسلوبية ممثلة في الايجاز واعتماده أحيانا على أسلوب الحوار ، وعدم ولوعه بالمحسنات البديعية ، وشيوع بعض ألفاظ العصر في شعره ..

وذكر ماوقع عليه من هنات في شعر مصطفى الباحى ..

وفيما يتعلق بالشكل أيضا تحدث الباحث عن الموسيقى . وذكر أن شعر الباحى يتميز بموسيقى عذبة أسرة . تستمد عناصرها من الوزن والقافية والتعديل في الألفاظ والتأليف بينها بما يوحى بتجربته ويكشف عن رؤيته الأمر الذى أقام ألفة ومودة بين ألفاظه ومعانيه ..

الرابع : وتحدث فيه الباحث عن مكانة الباحى الفنية من خلال أمور عدة :

١ ـ بيان مذهب الشاعر حيث لم يتقيد بالأسوار المدرسية رغم اتصاله للكلاسيكية المحافظة ..

٢ ـ عقد الباحث موازنة بين ما أتفق فيه الشاعر مع غيره من الشعراء . وأوضح ماتفوق فيه الشاعر على غيره من الشعراء وماقصر فيه دونهم .

٣ ـ عرض لاراء النقاد في شعر الباحى ..

٤ ـ ثم ختم الفصل بذكر الرأى الذى انتهى اليه . والفكرة التى كونها عنه وقرر أن الشاعر عظيم المنزلة بين شعراء طبقته وأنه صاحب نفس شاعرة ولكنه لم يتح له أن يوجهها توجيها كاملا يصل بها الى قمتها ..

ثم ختم الباحث دراسته بخاتمة ضمنها ملخصا وبيانا للجديد فيها ..

●●● أهمية هذه الدراسة :

حين يعرض الباحث ـ أى باحث ـ لموضوع يجعله مناط بحث علمى تدور في ذهنه عدة تساؤلات . لماذا ؟ وما الهدف ؟ وما الأهمية لهذا الموضوع ؟ فلابد للبحث العلمىّ من أن يكون ذا أهمية تضيف الجديد للبحث العلمى . ولايمكن لبحث ان يكون عديم الجدوى ويمكث الباحث السنوات الطوال ليصل الى هدفه من البحث . ويبرز ما لبحثه من أهمية وضرورة ..

ان الباحث يسعى لتقديم الجديد والمفيد . أو الكشف عن غامض وهكذا ..

وتنبع أهمية هذا البحث من عدة نقاط هى :

مع رسالة جامعية

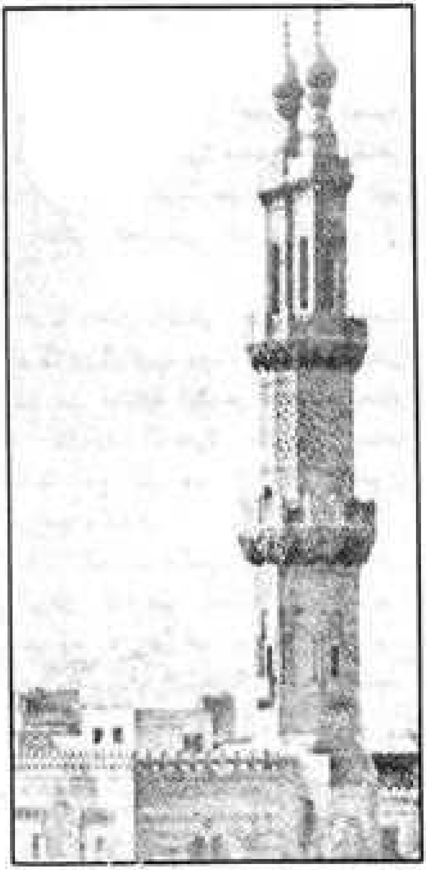
أ ـ كشف القناع عن شاعر معاصر يمثل ظاهرة أدبية رائعة ، وموهبة مبدعة وخلاقة .

ب ـ أبرز العوامل والأحداث التى وجهت حياة الشاعر وجهة خاصة دون بعضها كـــــ فقد والده البصر ـ بلون فيه من الجد اكثر مايكون عادة في حياه الصبية .. مما كان له أثره في صبغ بعض شعره بصبغة حزينة .. وعزا الى بعض هذه الأحداث عتزال الشاعر في اول حياته الحياة العامة فضعفت في شعره نغمة التعبير عن الواقع الاجتماعى كما سلبت منه غزارة الأفكار ..

جـ ـ اقتران فن الشاعر بعصره وحياته وبيئته وشخصيته منهج أخذ به الباحث نفسه على مافيه من مشقة تصاحب البحث الدقيق عن الروابط الخفية التى قد تصل الأعمال الخفية بأصحابها ..

د ـ دراسة الباحث لأغراض الشاعر وفنونه على هذا المستوى المتجدد من الفهم والوعى الكامل وكشفه عن جوانب لم يتناولها أحد قبله كالشعر التأملى والشعر السياسى وقضايا الأدب والفكر في شعره . كل ذلك يدل على فهم دقيق لجوانب الموضوع ..

هـ ـ أتبع الباحث في ذكر السمات والخصائص الفنية مايمكن تسميته بالاستقراء حيث استنتج السمات والخصائص على ضوء لقراءة الواعية المتأنية مستشهدا على ما انتهى اليه بنماذج تؤيد رأيه ..



وبعد فلعل المطالع لفصول الدراسة يشعر بمدى معاناة الباحث للوصول ببحثه الى هذه الدرجة . وتلك هى طبيعة البحث العلمى عادة ولكنه أفلح في أن يقدم لنا أحد اعلام أدبنا الحديث بجهد علمى موفق ومبارك ان شاء الله .

عاطف زهران

ديوان شعر

هكذا أغني

للشاعر محمود حسن اسماعيل

عرض ونقد د . طه مصطفى أبو كريشة

ـ ١ ـ

« هكذا أغنى » عنوان الديوان الذى نشرته دار المعارف بالقاهرة لشاعر محمود حسن اسماعيل !

أما الشاعر فهو غنى عن التعريف اذ هو واحد من الشعراء الذين أثروا حياتنا الشعرية فى الفترة التى تلت أحمد شوقى وحافظ ابراهيم، ويعد من الصفوة الذين يمثلون جماعة أبوللو الأدبية .

تلك الجماعة التى ضمت اليها كثيرا من الشعراء الذين لا يجمعهم مذهب شعرى واحد، وان كان التيار الوجدانى يغلب على كثير من شعرائها فى المنزع النفسى والعاطفى .

وأما الديوان فهو يضم أربعا وأربعين قصيدة ومقطوعة، يجوز فيها بعض القصائد المائة من الأبيات، وتقصر بعض المقطوعات الى بيتين، وقد صنف الشاعر شعر ديوانه ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى وضعها تحت عنوان « أغان للحب » وتشمل تسع عشرة قصيدة ومقطوعة .

والمجموعة الثانية بعنوان « من نار المعترك » وفيها سبع عشرة قصيدة ومقطوعة .

أما المجموعة الثالثة فهى بعنوان « وطن الفأس » وتشمل الثمانية الباقية من القصائد وقد ألحقت بالديوان دراسة موجزة للدكتور

هكذا أغنى

شفيع السيد ، فيها أضواء على الشعر من وجهة نظر نقدية .

وعنوان الديوان هو عنوان القصيدة الأخيرة منه ، ومع شيء من التجوز نستطيع أن نعدها مقدمة الشاعر لديوانه ، ففيها يبين كيف يتغنى بشعره أو كيف صدر هذا الشعر عنه . فالغناء هنا لا يعنى أكثر من تعبير الشاعر عن ذاته بالشعر . والى جانب هذا ففى العنوان رمزية دالة ، كامنة فى اسم الاشارة « هكذا » وكامنة فى الفعل وضمير المتكلم المستتر « أغنى » فالشاعر لا يعنيه الا أن يكون شعره بالصورة التى خرج عليها ، لأنه راض عنها وكذلك فان الغناء غناؤه هو لا يقلد فيه أحدا . هذا الى جانب أن الضمير المستتر « أنا » فيه دلالة الاعتزاز والتمسك بكل من هذا وذاك . وأبيات القصيدة ذاتها توضح ما كمن فى العنوان .

ففى معرض بيان رضائه عما صدر منه من شعر يقول لمن سأله عن مذهبه فى الشعر (٣٦٣) :

ان تسل فى الشعر عنى
هكذا كنـــــت أغـــــنى
لا أبالى أشجا سمعك أم لم يشج لحنى
هو من روحى لروحى صلوات وتـغـنى

أما منبع هذا الشعر ومصدره فهو :

وهو من قلبى ينابيع بها يهدر قلبى
وهو احساسى الذى ينساب كالجدول منى

وفى هذا الشعر مختلف المشاعر والعواطف التى تعتور النفس البشرية :

واثب كالطير فى الأظلال من غصن لغصن
ذاهل كالوتر المهجور فى عود المغنى
ساهم الأنفاس حيران أيبكى أم يغنى

وهو صدى لانفعالات شاعر مهضوم من دهره ، قام يدافع عن نفسه بكلمات باكية حزينة ، انه :

لم يصب من دهره غير جحود وتجنى
فانبرى يعصف فى دنياه بالشدو المرن
زاجلا تذكى صداه نار أيامى وحزنى

أما مذهبه فى الشعر فهو نابع من ذاته لا يقلد فيه أحدا هنا أو هناك :

مذهبى لا مذهب اليوم سوى أصداء لحنى
ولها الخلد ولى فى ظلها سحر التغنى

ولا غرابة فى ذلك . فالشاعر يتلقى وحى الهامه فيترجم عنه :

هكذا يخفق نايى بين الهامى وبينى
يلهم الله فيمضى وتر الروح يغنى

واذا كان الشاعر يصوغ شعره مخلصا فيه فانه من أجل ذلك لا يتملق قارئه ولا يحرص على ثناء يستجديه . وهو كذلك لا يخاف من لوم يوجه اليه :

فسواء رحت تغضى لائما أو رحت تثنى
مزهرى نشوان لا توقظه ضجة كونى
فليلم من شاء انى راسخ كالطود جنى
ان تشأ فاسمع نشيدى أو تشأ فارحل ودعنى

واذا أشجاك همس من صداه لا تلمني
ماأنا الا كظل لشعورى فاعف عنى

وهنا لا يخفى الشاعر مشاعره نحو شعره ، فهو معجب فخور به ، معجب به فى رقته الهادئة ، ومعجب به كذلك فى ثورته العارمة :

فاذا رق فقل يا قبلة الأسحار غنى
واذا هاج فهول ساقه موكب جن

قلت ان القصيدة بمثابة مقدمة للديوان ، ولذلك فان وضعها فى القسم الثالث من الديوان وضع ليس له ما يسوغه ، لأن مجموعة هذا القسم تدور حول موضوعات يجمعها طابع الريف ، ولذلك كنت أفضل أن توضع القصيدة فى صدر الديوان اللهم الا اذا جعل الشاعر ذلك تعقيبا منه ، بعد أن قدم ما قدمه من شعر بين يدى القارىء ، وسواء علينا أراد التقديم أم أراد التعقيب ، فالمضمون واحد لا يتغير بين البدء والختام .

ـ ٢ ـ

فاذا جئنا الى المجموعة الأولى من الديوان ، وهى المجموعة التى جاءت تحت عنوان « أغان للحب » فاننا نرى أن العاطفة التى تتبدى لنا من خلالها هى العاطفة التى يلفها الحزن والأسى ، فى غشاء رقيق مثير لتلك العاطفة ، وربما كانت موضوعات هذه المجموعة تحكى شيئا من سيرة الشاعر الذاتية ـ وهى كذلك ـ كما قدم لبعض القصائد ، ومن ثم غلب عليها هذا الطابع الوجدانى الأسيف ، أما لماذا كان هذا الجانب من جوانب الوجدان ، فذلك لأن الشاعر قد أخفق فى حب ، أو حيل بينه وبين استدامة هذا الحب ، فأخذ يعزف هذا اللحن الحزين على قيثارة شعره ، وغلب على خياله هذا اللون فحسب .

والشاعر يعلن فى أكثر من موضع عن ملازمة عاطفة الحزن له ، من ذلك قوله من قصيدة « دنيا أدمع ومآتم » (٢٢)

حزين ؟ أجل والحزن أضحى منادمى
فدنياى دنيا أدمع ومآتم

واذا لامه أحد على مافى شعره من ظلام الحزن وقتامه قائلا :

خيالك أضحى ظلمة سرمدية
ترامت على ليل من البؤس فاحم

أجابهم مبينا أسباب هذا الأسى والشجن :

فقلت لهم لا تكثروا اللوم اننى
تحيرت فى كون عجيب المظالم
شقيت بحبى وهو عف مطهر
وغيرى سعيد فى الهوى بالمآثم
تعلقتها عذراء يندى حديثها
صفاء تجلى من عفيف المباسم

هكذا أغنى

ولما تلاقـينا وكاد صـفاؤنا
يرفه من وجد القلوب الهوائم
تصاوحت العيدان فى جنة الهوى
وجافى رفيق اللحن عش الحمائم
وبدلـت الأنـام بـين أراكـها
فحيح أعاصير ولفح سمائم

واذا كان قد شقى بحبه، وجفت عيدان جنة هواه، فالى أين ذهبت هذه التى هام وتعلق بها ؟ يجيب الشاعر عن ذلك فى رمزية موحية :

وغيـانة الأفياء وهنانة الصبا
مشردة الأطـياب ريا النـسائم
سألت رباها أين بلبلك الذى
تغنى طويلا فى المروج النواسم
فأطرقت الأغصان حزنا وأصبحت
كمرتبك من حيرة الفكر واجم
وقالت بعيد عن ظلالى مكانه
هناك على صم الصخور الصلادم
بفيفاء ما. الصمت فيها مقامه
تسيل الخوافى مستهاض القوادم

فهل يملك بعد ذلك غير الذكرى يتردد صداها فى جوانحه بين الحين والحين ؟؟ لم يبق له الا هذا الماضى ينبعث فى نفسه، فتعود الى مثل هذه الترنيمات الدامعة المشجية .

لقد تذكر لحن صوتها وأنغام حديثها الذى كان يسعده ويعطيه راحة العمر ولذة الحياة، فكانت من وراء هذا التذكر قصيدته « صوتها فى ضميرى » التى أودعها خواطره ومشاعره . «فى هذا الصوت يقول : (٢٨)

لحن يغمغم فى صدرى فيشجينى
ويسكب النغمة الحيرى فيبكينى
وافى من الغيب علوى الصدى فسمت
طيوفه البيض عن عزفى وتلحينى
شق الأثير من الماضى وناغمنى
بـمزهر كاسـف الرنان مـحزون

ويبعث مع الصوت الهاتف رسالة الى صاحبته :

ياصوتها فى ضميرى طف بساحتها
وقل لأية أذن رحت تلقينى
هذى المسـامـع أثام مـغـلـقة
وخدعة ذهبت بالصمت تغوينى
أقصيتنى عن ملاك كان يعبدنى
ولذت بى بين أسماع الشياطين
وكنت فى فمه الصداح غنوته
فمن على البعد ياويلى يغنينى

ويوحش الشاعر موطن الذكرى فيسعى اليه فى لوعة المشتاق، وحنين الغائب الوامق . وتكون منه هذه الخاطرات : (١٨)

يازهرتى طلع الصباح وفى فمى
نغم ينوح فهل سمعت نواحه
مازال يصرخ فى الفضاء فلم يجد
شفة تناغم لحنه وصداحه
حجبوك هل حجبوا سناك مفجرا
كالنبع يسكب فى الحشا تلماحه

حجبوك هل حجبوا عبيرك عن دمى
ريان يذكى فى الفؤاد تفاحه
حجبوك هل حجبوا نشيدك فى فمى
لهفان خلد فى الهوى تصداحه
حجبوك هل حجبوا نفاثة عاشق
أضرى الغرام جلاده وكفاحه

وهذا التعلق على هذه الصورة أضنى الشاعر، وأنهك جهده، واحاله حطاما لا روح فيه، من يراه يرى أنه: (٤٢)

جاثم فى التراب كالأمل الخا
لب فى خاطر ذبيح الشكاة
كورود الخريف ماتت على الأيك ومات الشذا على الورقات
كرفات الأحلام فى عالم النسيان ضاعت بظله أمنياتى
كأنين الغريب فى وحشة الليل كلطم النوادب الثاكلات
كدخان الأكواخ تنفخه الريح فيفنى فى ظلمة الأمسيات
هكذا أصرت بعدما غبت عنى
فى الأسى والنحوس ضاعت حياتى

واذا تحول الشاعر الى مثل هذه الحال، فانه لابد أن يؤثر العزلة بعيدا عن العيون، فمن يكون سميره ومناجيه فى مثل هذه العزلة؟ ليس الا الليل الذى يتسع لكل هائم شريد: (٨٥)

فزعت للظلام روحى كما يفزع أعشى لومضة من ضياء

فحجبت الخيال حتى اذا ما
ضج فى خاطرى من البرحاء
هربت أدمعى الى ساحة الليل تهاوى فى الدجية الظلماء
ساقها فى الظلام حاد من الهم بلا ريثة ولا ابطاء

ومن ثم ليس بغريب أن يطلب الشاعر من الليل ما يطلبه من الصديق الأثير:

إيه ياليل قُدَّ لى من حواشيك حجابا وناجنى فى خفاء
لا تذع شجوى الكئيب ولا تكشف دموعى لأعين الرقباء
ودع النسمة العليلة تحنو من فم الزهر بلسما للشفاء
ودع الكون هاجعا ودع الناس نشاوى فى غمرة النعماء
خلنى للدموع وحدى أناجيها وحيدا فى العزلة السوداء
هى أشهى الى عيونى من النور وأبهى من لمحة الأنداء

وفى العزلة تستبد بالشاعر شدة الشوق الى الماضى ويود لو أنه عاد فتدب فيه الحياة، ومن ثم نراه يستنجد ويستغيث، لعل فى النجدة انقاذا من موات، وفى الغوث شفاء من أتراح (٩٣)

جريح أضل الطب سر جراحه
فيارحمتا يارب أين دواؤه

هكذا أغنى

تعالى اليه وانظرى جثة الهوى
يسير بها والليل داج رداؤه

تكفنها الأطراس مما نفشته
مواثيق حب هاجهن جفاؤه

يسير بها حيران لهفان جازعا
يحطمه كرب الردى وعناؤه

تعالى اليه واتركى الخون ساخرا
فقد عز فى دنيا البرايا وفاؤه

تعالى اليه قبل أن يغرب السنا
ويصبح وادى الحب قفرا فضاؤه

●●●

ومثل هذه الروح الأسية التى أضناها الهجر وعذبها صرف النوى، "لا ترى فى مناسبات الفرح والبهجة ما يبهج ويفرح، فهذا هو العيد قد أقبل بأفراحه ومباهجه فأين روح الشاعر من مواكب السرور والانشراح؟ انها نفس الروح الشاكية الباكية (١٤) ..

يا فرحة العيد مالى لا يساروني
لديك الا أسى فى القلب موار

مسكينة أنت يا روحى فما أتأدت
عنك الليالى ولا أعفاك مقدار

تزاحمت حولك الأحزان عاصفة
اذا ونى كدر هدتك أكدار

لا تسأل الشعر عنها فهى ملحمة
من الأسى غلفت معناه أسرار

صوفية شردت فى الصمت حكمتها
فما تفيد أناشيد وأشعار

رأيتها فى ظلال العيد قد خنقت
صفاءها من كثيف الهم أستار

تسير فى ضجة الأفراح واجمة
يلهو بها من حفيف الدمع أسرار

واذا وصل الشاعر الى مثل هذا الوجوم الذى لا تحركه ضجة الأفراح، فانه يغدو بائسا متشائما، لا يرى نفسه الا أشقى الأشقياء وأبأس البؤساء (١٧)

ضاق عيشي وضاقت الأرض حولى
وانحنت من شقاء عمرى الأهلة

ونشدت المنى فولت هباء
رب ما هذه الحياة المملة

فهل مثل هذا الشقي يعثر له على صديق من بنى الانسان يبثه نجواه وشكواه؟
لا، فالصديق فى نظره أسطورة من الأساطير (١٦)

سألت عنه فقال الوهم مرتبكا
رفات أسطورة كانت تسليني

دفنتها فى خيالى يوم أن عصفت
بى الهواجس فى أحلام مجنون

ذلك حظ الشاعر من وراء حبه، وتلك أغانيه لهذا الحب !!

– ٣ –

والمجموعة الثانية فى هذا الديوان هى مجموعة «من نار المعترك» وواضح من

العنوان أن شعر هذه المجموعة صدى للمعارك التى احتدم بها عصر الشاعر، وقت أن صاغه فى مناسباته المختلفة. لكن اذا نظرنا فى القصائد فاننا نجد بعضها يتصل بالسياسة، وبعضها الاخر فيه رثاء، فربما كان الذى جمع بين هذا وذاك، ما يخلفه الرثاء من جوى فى الجوانح، ونيران فى الأفئدة والقلوب، حتى وان بعدت المناسبة.

لقد عاصر الشاعر الاحتلال، ورأى مآسيه ومصائبه، وعاصر كذلك كفاح الشعب ضد هذا المستعمر، ورأى كيف يسقط الشهداء فى سبيل نصرة بلادهم والعمل على استقلالها وتحررها من الاستعمار البغيض، والشاعر لم يحبس شعره عن المشاركة فى هذا الجهاد، وما جهاد الشعراء؟ انه الهاب العزائم، وايقاظ الضمائر، وبعث الحمية، وتحريض النفوس ومباهجه وكان للشاعر من ذلك نصيب وافر.

ففى قصيدة من قصائده ينادى بالثورة ضد المستعمر، ثورة عملية، تتخذ من الجهاد والموت شعارا، وتطرح عنها شعار الكلمات (١٠٥)

هى مصـــر الـــتى أثار شـــجاها
أن تطيق القلوب عنها اصطبارا
كـبـلوها بـكـل قـيد أثـيـم
عاقها أن تجوس تلك الديارا
فابعثوها تصم سمع الليالى
ثورة تـضرم الـمـساكين نارا
مات عهد الكلام فلنجعل الثو
رة والـموت لـلـجهاد شـعارا

ولقد ثار الشعب فعلا على المستعمرين، وتعرض ابناؤه لنيرانهم، فسقط منه شهداء فى ميدان المعركة، وكان حظ الشعر أن يحيى هذا الاستشهاد وأن يثنى عليه، وأن يردد ما قام به من جهاد واستبسال فى قصائد تلقى على مسمع الاشهاد، ومن قصائد الشاعر قصيدته «على مذبح الحرية» التى يقول فيها عن الشهيد (١٠٧

يا وادى الموت بشطك راقد
خفقت له الأرواح بالصلوات
ما ضمه حدث هناك وانما
حضنته دنيا النور فى الهالات
سهرت عليه من السماء ملائك
تضفى عليه سوابغ الرحمات
سموه فى الورق الشهيد وما اسمه
الا الخلود بصفحة المهجات
من مثل هذا الحى كُرِّم موته
مـــن سائر الأحـــياء والأموات

●●●

وكما كان لمصر مكان فى شعر الشاعر، فان فلسطين لها مكان فى هذا الشعر لقد أذكت المعارك الدائرة فى فلسطين مشاعره، وأضرمت فى قلبه نارا ضد هؤلاء الذين استباحوا حماها، فكان من وراء ذلك تلك الرسالة التى وجهها الى ضمير الانسانية بعنوان «زفرة على فلسطين الدامية» وفيها يقول (١٩٦ ..

هكذا أغنى

صوت، بأرض القدس مشتعل الصدى
كادت له الأكباد أن تتوقدا
مهد الشرائع من قديم ماله
أضحى لأحرار البرية موقدا
فى كل مرتبع به وحنية
تلقى صريعا فى التراب ممددا
هانت على البطل المجاهد نفسه
فسعى لحوض الموت يطلب موردا
يا يوم «بلفور» وشؤمك خالد
ما ضر لو أخلفت هذا الموعدا

واذا كان لمعارك الحاضر صداها فى شعر الشاعر، فان من معارك الماضى ما كان له مثل هذا الصدى، ونجد ذلك فى قصيدته عن غزوة بدر الكبرى بعنوان «ثورة الاسلام فى بدر» وفيها يسجل بعض مراحل المعركة فى بدر، ومن ذلك ما سجله عن حشود قريش (١٩٨) ..

من فجاج الغيوب هاجت صباحا
ثورة فى الرمال هبت تزمجر
قبل بدر فزلزلت هدأة الناس وكاد النشيد بالدم يقطر
أقبلت كالعجاج فى هبوة الحرب قريش على الحياض تنفر
حشدوا موكب المنايا وخفوا
لضياء الاله غاوين فجر

وعن مكان النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقود المعركة يقول:

وعلى التل خاشع فى عريش
قدسى الظلال زاك منور
كاد من طيبه الجريد المحنى
من ذبول البلى يميس ويزهر
باسط كفه الى الله يدعو
رب حُمَّ القضاء لدينك فانصر

وعن مشاركة الملائكة فى المعركة يقول:

واذا الوحى بارق مستهل
من سماء الغيوب هنّا وبشّر
فانتضى سيفه وهب على الغا
رة بالسرمد القوى مؤزر
ينفح القوم بالحصا فتدوى
أسلات الاسلام فى كل منحر

وعن عواقب النصر المؤزر يقول:

فاذا النصر صيحة هزت الدنيا وراعت بروج كسرى وقيصر
واذا بدر خفقة فى لسان الشرق يزهى على صداها ويفخر

●●●

أما الرثاء الذى جاء فى هذه المجموعة فمنه رثاء قيل فى شاعر أو أديب ومنه رثاء قيل فى سياسى أو زعيم.

فمن رثاء الشعراء قوله عن حافظ ابراهيم من قصيدة جاوزت الثمانين بيتا (١٣٦):

ياقبر لى تحت الصفائح شاعر
تاريخه من نحته متفجر
عبر الحياة فما صغت لنشيده
أذن ولا واساه عين تبصر

فكأنما ألحانه تأويهة
في الليل رددها شج متحير
ياقبر هدّ بناك عن جنباته
من قال نل العبقرية يقبر
فاهتز مرتاعا وغمغم جاثيا
ومضى يهلل نحوها ويكبر
لاتجزعي فهنا الخلود وسره
خافٍ على كل العقول مستر

ومن رثاء الأدباء قوله عن مصطفى صادق الرافعي مخاطبا مصر (١٦٧):

من روابيك خف للخلد روح
قد نعاه لعصرك الاسلام
لبست بعده العروبة ثوبا
صبغ أستاره أسى وقتام
لم تفق من شجونها فيه بغداد ولا صابرت أساها الشام
وعلى بلدة المعز دموع
خلّدت ذكره بها الأهرام
صاحب المعجزات أعيت حِجا الدنيا وعيّت عن كشفها الأفهام
يخبأ الحكمة الخفية في الوحي كما تخبأ الشذا الأنسام
ويزف البيان كالسلسل المكسوب تهفو بشعله الأحلام

وعن الساسة والزعماء يقول في رثاء مصطفى كامل موضحا ماقام به ضد الاستعمار والمستعمرين. فهذا المستعمر (١٧٦):

كم سقى النيل من ضرواته
الهون وعيشا من المذلة أنكد
وتمادى فكنت يامصطفى الهول
على هوله تثور وترعد
في غباء السنين والنيل مغف
وبنوه من سكرة الضيم هجد
قمت كالعاصف المجلجل تجتاح
فلا تنثني ولا تتردد
تلبس القيد من جنانك قيما
حزه في الحديد نقش مخلد
هتفات بحب مصر وموت
في هواها ونشوة وتعبد
ودفاع عن الحي كنت فيه
مالغير الحمى تروم وتقصد
فارس في قتامة النيل تمضي
بشهاب من السماء مؤيد

....

ووطنية هذا الشاعر في هذه المجموعة تبرز في ندائه الذي وجهه داعيا الى نبذ الخلاف وترك التطاحن الحزبي الذي يهدر قوى البلاد (٢٠٤):

مزقت قلب الحمى أطماعه
فارجموه ياشباب الوطن
ولأحزاب الحمى شقوا اللحود
السياسات كلام وصدي
وزعامات وخلف وخصام

والـكراسـي اذا أبـصرتـهـا
مورد أقلق شـطـيـه الزحام
فهي تنعي من اساها وتميد
فانهضوا فالعصر وثاب الخطا
ولكم من أمسكم أعلي مثل
وطـن يـطـمـح لونال الـسـها
وتـخـطـاها وأسري بالأمـل
وعلا بالنيل في هام الوجود

ـ ٤ ـ

وتأتي المجموعة الثالثة «وطن الفأس» تحمل عنوان القصيدة الأولى فيها . الشاعر يشير بذلك الي القرية المصرية ، التي جعل لها نصيبا من شعره . تمثله هذه المجموعة الأخيرة من الديوان . وفي هذه القصيدة يستعرض الشاعر الطبيعة في الريف مفتونا بجوها وأطيارها وأشجارها وأزهارها كما يشيد بالفلاح وصبره وجلده . ومما قاله (٢١٨) :

والـفراش الوديـع يـسـبـح في
الأيك ويحسو العبير من زهراته
ومن الطير سجعة ورنـين
ومـن الـنـخـل زفة في رباه
والعصافير شاديات علي الدوح
تـنـاغـي بـشـدوها شـجراتـه
جنة نضرة الخمائل في الريف
نـمـاها مـعـذب في حـياتـه
ناسـك في الـحـقـول هـيـمان
بالأرض يجلّي بتربها دعواته

حملت فأسه من الغيب سرا
حير العقل كامن من صفاته

ويعلي الشاعر من شان الحياة في الريف ، ويجعل القصور تحسد الأكواخ علي هذه الحياة :

ايه ياكوخي الحبيب ألا تسمع شدوا
ســكـرت مــن صدحاتـه
غزل في المروج عف الأماني
عـبـقري فـتـنـيـت في نـغـماتـه
ودت الغـيـد لو تـكـلـلـن مـنـه
ورشـفـن الـغـرام مـن سـحـباتـه
حـسـد القـصـر لحنه وتمنى
خـفـقـة لـلـبروج مـن أبـياتـه
قد غنمت السري الي الخلد منه
ووُهـبـت الـعـزاة مـن أغـنـيـاتـه

وعلي هذا النحو يمضي الشاعر في قصائده عن عاهل الريف «الثور» وراهب النخيل «الغراب» وعن «الشادوف» وعن «الأكواخ والسنابل» وكل هذه الموضوعات من المعالم البارزة في الريف فالثور (٢٢٦) :

ثاو هنالك كبلته يد الأسي
وثنته عن عبث المراح قيودها
شـيـخ أصـم تـكـنـفـت أطرافـه
سوداء من صلب الزمان حديدها
أحكام ذل لحسن فوق جبينه
سودا تـكـتـم بالـسـياط وعيدها
سجنته في رحب الفضاء وخلدت
أذانـه رهـن الـحـبال جدودها
عـكـازه سوط تـلـهـب قوتـه
نارا يشب علي حشاه وقودها

ومع ذلك فانه يغير وجه الحياة في الريف بجهاده الموصول :

هو أنت من جعل المروج خمائلا
عيدانه يسبي النفوس شهودها
في كل حقل من جهادك آية
يضفو على الريف الشقي خلودها

وهذا التعاطف الذي نلمسه هنا مع الثور نلمسه كذلك مع الغراب راهب النخيل، الذي تشاءم منه الناس وتطيروا وهو ساخر بهم حذر منهم، واذا كان الناس قد نفروا منه فان الشاعر متيم به، مستعد لأن يتلقى العلم منه (٢٢٩) :

فطر في البراري كيف شئت وغادني
اذا عدت بالغيب الذي أنت ناظر
فمالك غيري في البرايا متيم
وان كنت تجفو عزلتي وتهاجر
ولي فيك دنيا من خيال يظللها
زوارق للشط الخفي سوائر
عبرت بها الأجيال أنشد شاطيء
ودون مداه أتعبتني الأداهر
فياراهب الأزمان كشف ستورها
وأفصح فان العقل حيران سادر

والقصيدة طويلة بلغت مائة وثلاثة وثلاثين بيتا جال الشاعر من خلالها في التاريخ وفي المجتمع، وبين الحس والحين يستنطق الحكمة من هذا الغراب الذي صاحب البشرية منذ كانت، وكان لابني ادم معلما :

عبرت فضاء الله من عهد آدم
ومن قبله ملت خطاك المعابر
وجئت بأمر الله من الارض هاديا
تداري وتأسو ماجناه التناحر

أما «الشادوف» فان الشاعر يطرب لأنغامه، ويراه في هويه نحو الماء عابدا ناكسا، ويتمنى لو أنه سمع لأنات الشاعر البائس (٢٥٢) :

دع لحنك الشادي بلا تعازف
طرب الخيال لأنه الشادوف
عريان جرده الضحى من ستره
فغدا يضج بدمعه المذروف
لم يرضه ثوب السنا سدلاله
يختال في بهيج ولمح شفوف
فبكى ونكس رأسه متذللا
متحسرا كالعاشق الملهوف
ياصامتا والريح تخفق حوله
والنبت يطربه بجمع حفيف
هلا شجتك نفاثة من بائس
لهفان في كنف الطوي ملفوف
روي الزروع بصيب من دمعه
وثوي بقلب في الظلام لهيف

.....

— ٥ —

وبعد فقد وضح من خلال العرض للديوان أن الشاعر يمثل في عاطفته مدرسة الوجدان أصدق تمثيل خاصة في مجموعته الأولى «أغان للحب» فشعراء هذا الاتجاه يجترون الألم، ويقتاتون عليه، ويطوون جوانحهم على الهموم والأحزان، يذرفون الدمع

هكذا أغنى

ويشربونه كئوسا مترعة ، ينظرون الى الحياة بمنظار غير شفاف ، ولا مبيح للضوء أن يجتازه لتراه العيون ومن ثم تكثر في شعرهم التأوهات والآنات والزفرات والتنهدات والعبرات . والامثلة التي قدمناها في شعر المجموعة الأولى شاهدة على ذلك .

فالشاعر متهالك في عواطفه ، متذلل في مشاعره ، يكاد يسقط من الضعف والخور بل قد سقط فعلا حين صور نفسه ترابا وحطاما واكفانا ، وحين أحال جسده الى أعواد ذابلة ، وأوراق جافة ، وأسمال بالية .

ومن ثم فالمبالغة التي تصل الى حد الاحالة أبرز مايميز المعاني التي ضمنها الشاعر قوالب شعره ، ولسنا نختار مثلا ، فالكل مثل صالح لتأكيد هذه الحقيقة ، واظهارها للعيان .

فاذا تركنا شعر المجموعة الأولى فاننا نجد الشاعر على طبيعته في شعر المجموعة الثانية ، وسر ذلك واضح ، فالشاعر في هذه المجموعة ينقل عن خارجه لاعن ذاته ، ومن ثم يلتزم بالواقع في التصوير ولايجنح نحو الاحالة والافراط والاسراف في المعنى ، وبذلك يكون الشاعر هنا مثل غيره من الشعراء الذين يصوغون الشعر في مناسبات عارضة وليس معنى ذلك ان الشاعر هنا أقوى في شعره من شعر المجموعة الأولى ، اذ ليس من المحتم أن يخلو الشعر من القوة لمبالغة المفرطة في معانيه ذلك لاننا لو اقمنا فاصلا بين حد المقبول والمرفوض في المعنى الواحد ، لبقي لنا الاصل والاساس الذي يمكن ان يحوز الاعجاب ويوسم بالقوة والبلاغة ، وحينئذ يبقى العيب فقط في هذا الأمر الزائد عن الحد المقبول ، وفي تحديده تتفاوت الأذواق ، ويقع الاختلاف بين الناقدين والدارسين .

والمجموعة الثالثة هي كذلك معلم من معالم مدرسة الوجدان ، فشعراء هذه المدرسة يهربون بمشاعرهم الى الريف مقلدين في ذلك شعراء الغرب الرومانسيين الذين أكثروا من الحديث عن الغاب ، وأوغلوا في تطوافهم بين أحضان الطبيعة ، وهو تقليد محمود وليس فيه مايعيب ، فهو يفتح للشعر صفحة كانت مطوية ، ويفتح أمام الشاعر نافذة كانت موصدة وفيه الدلالة كل الدلالة على قدرة الشاعر حين يقترب من موضوعات تبدو في ظاهرها هينة يسيرة فاذا به يحيلها تحت قيثارة شعره الى معزوفة كاملة الألحان والأنغام ، وقصيدتا الشاعر عن الثور والغراب فيهما أكبر دليل على الكفاءة الشاعرية في تناول الموضوعات العادية .

أما عن لغة الشاعر في هذا الديوان ، فهي لغة قوية ، فيها دلالة على امتلاك هذه اللغة والقدرة على تصريفها وتطويعها للمعاني الشعرية والصور البيانية ، فالشاعر على وعي كامل بلغته ، وله منها رصيد يدل على الغنى والثراء ، فهو لايعيش على هامش اللغة ، ولا يأخذ منها أطرافها ، وانما هو يغوص في أعماقها ، وهو في غوصه لايأتي بالموغل في الغرابة ولا بالثقيل على اللسان ، ولا بالذي تزور منه الآذان وانما يأتي بالواضح البليغ الرقيق ، الذي يشيع نغما عذبا شجيا يذكرنا أنغام البحتري في ألفاظه الحسان .

والصور البيانية تحتل ميدانا فسيحا في

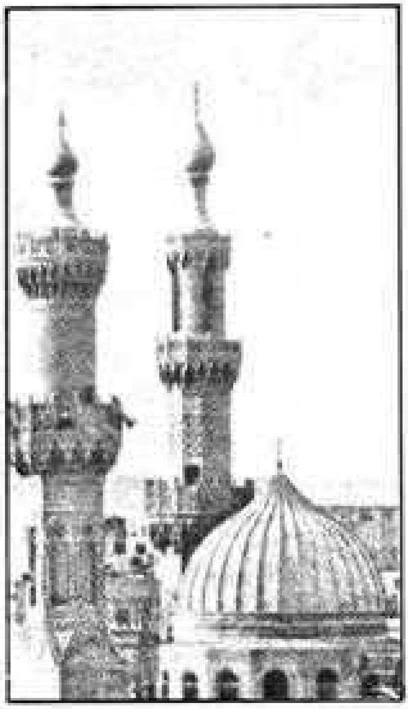
رقعة هذا الشعر، بل تكاد تشمل كل بيت في المجموعتين الأولي والثانية، وأبرز شيء يميز الصورة البيانية هو تنويع الصور عن الشيء الواحد. فالمشبه يكون واحدا، ومع ذلك فإن الشاعر لايكتف بصورة واحدة للمشبه به وانما يأتي بعدة صور، كأنه يري أن الصورة الواحدة لا تؤدي المراد، أو أنها في حقيقة الأمر لاتكافيء عاطفة الشاعر الكامنة وراء كل تعبير. وفي قصيدته «أنت دير الهوي» (٧٢) مثل واضح علي صور التشبيه المتعددة ومثلها القصيدة «أنا» (٥٤) الي هنا جانب ماتقدم من نماذج في (٢).

والصور البيانية واضحة، في أغلبها، ولاتفقد هذا الوضوح الا حين يلجأ الشاعر الي الرمز الموغل في الايهام، حينئذ تتلبد سماء الصورة، ويعسر علي من يتأملها ادراك أبعادها والتجاوب معها، وتبقي حينئذ سرا من أسرار الشاعر، لكن ذلك قليل بل نادر.

ومن صور البيان مايأتي ضعيفا اذا قيست صورة المشبه به بالمشبه أو اذا نظر معها الي الجو العاطفي الذي ثبتت فيه ومن هذه الصور قال الشاعر حين سئلت الربا عن بلبلها:

فأطرقت الأغصان حزنا وأصبحت
كمرتبك من حيرة الفكر واجم

فإطراق الاغصان حزنا لا يوازيه ولا يمثله حالة المرتبك حتي لو كان متحيرا واجما، فقد يكون كذلك دون ان يكون عنده الحزن الذي يعتصر الفؤاد ان ممايحمد للشاعر انه استطاع أن يوائم بين هذا التيار الوجداني



بماله من سمات تتصل بالعاطفة وبين أوزان الشعر العمودي وقوافيه، اذ أن ذلك مما يؤكد قدرة جوانب هذه الأوزان علي استيعاب هذه العاطفة مهما أوغلت في مسارب النفس.

وكذلك مهما طال القصيد، او تنوعت الرؤي. وتلك شهادة عملية لها وزنها وقيمتها، يستطيع أن ينتفع بها أولئك الذين يريدون أن يجنحوا بعيدا عن الطريق السوي الي طريق اخر لايأنفون سنه الا[illegible]طفلات والمتخيلات !!

د. طه مصطفي أبو كريشة

الفتاوى

بر الوالدين

س : من السيد / ا ٠ ع ٠ م

علمت ابنتى وزوجتها وهى موظفة بوظيفة مرموقة ، وليس لى دخل غير معاش الضئيل ، فهل لها أن تساعدنى ولو لم يرض زوجها بذلك ؟

ج : بر الأبناء بالآباء واجب شرعا ، سواء فى ذلك الذكر والأنثى ، وللزوجة أن تساعد والدها بمالها حتى ولو لم يرض زوجها ، لأن للمسلم أن يتصرف فى ماله كيفما شاء فى حدود ما أمر الله ، ومن بين ذلك بر الوالدين ، وليس للزوج أن يمنع زوجته من ذلك ولا أن يتألم ، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

فى الأموال

س : من السيد / م ٠ م بردانة

١ ـ هل يصح لانسان أن يقترض من مال المسجد للحج أو غيره ؟

٢ ـ هل يصح الحج لانسان عليه ديون ؟

ج : أما عن الأول ، فان مال المسجد مال وقف لا يصح القرض منه ، ولا صرفه فى غير وجهه .

وعن الثانى : بأن الحج لا يجب الا على المستطيع ، أما غير المستطيع فلا يجب عليه الحج ، فاذا اقترض للحج صح حجه .

اسقاط الحمل

س : امرأة عندها خمسة أولاد أصغرهم عنده خمسة أشهر فقط ، وهى تشك الآن أنها حامل فى حوالى أربعين يوما .

فهل يجوز لها أن تقوم بعملية اسقاط لهذا الحمل ؟ علما بأن زوجها موافق .

ج : اذا قرر الأطباء المختصون أن استمرار الحمل يخشى منه على صحة الأم أو حياتها جاز الاسقاط بشرط أن يكون ذلك قبل ثلاثة أشهر ونصف الشهر .

إعــداد عبد الحميد السيد شاهين

● ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

فى الصوم

س : من السيد / مختار أحمد محمد

امرأة تعاطت حبوب منع الحمل أثناء النهار فى شهر رمضان اعتقادا منها أنه تعاطى الحبوب بدون ماء لا يفطر . فما الحكم ؟

ج : على هذه المرأة التى تعاطت الحبوب أثناء النهار فى رمضان القضاء فقط . وذلك بصيام يوم آخر بدل اليوم الذى أفطرت فيه .

أرض المسجد

س : من السيد / ع . ل ـ الأحمدى

تبرع بعض الأهالى بقطعة أرض لعمل خيرى ثم توفى . وهى أرض فضاء محبوسة للعمل الخيرى . ثم قام الأهالى ببناء مسجد عليها وأقيمت فيه الصلوات فعلا .

وأخيرا تقدم بعض الأهالى بوثيقة عرفية يدعى بها أنه قد اشترى هذه القطعة من أحد ورثة المتبرع ويريد بناء قبر عليها . فما الحكم ؟

ج : بتبرع المتبرع بهذه القطعة ووفاته على ذلك أصبحت محبوسة على عمل الخير . ثم ببناء المسجد على تلك القطعة تأكد الحبس . ولا يصح لأحد من الورثة أن يتصرف فيها . لأنه تصرف فى غير ملكه . ومادام قد بنى المسجد فلا يصح اقامة قبر فيه مهما كان صاحبه .

فى الميراث

س : من السيد / ع . أ . سالم الشرقية

توفى رجل عن زوجة ، ٣ أولاد ذكور ، ٤ بنات أولاد بنت متوفاة فى حياة الأب . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة بمقدار ما كانت تستحقه لوكانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ ، والمسألة من (٨٨) ثمانية وثمانين جزءا :

منها سبعة أجزاء وصية واجبة لأولاد البنت يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ، والباقى (٨١) واحد وثمانون جزءا هو الميراث :

للزوجة منه الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى للأولاد الأحياء تعصيبا للذكر ضعف الأنثى .

أنباء وآراء



● افتتح السيد الرئيس محمد حسني مبارك مشروع اعادة ترميم وتجديد قلعة محمد على وقد حضر حفل الافتتاح السيد رئيس الوزراء وفضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى مدير الأوقاف والسادة الوزراء وكان السيد محمد عبد الحميد رضوان وزير الثقافة قد وجه الدعوة لسيادة الرئيس وكبار رجال الدولة لحضور الافتتاح وقد أبدى الرئيس اعجابه بمهارة المهندسين والعمال المصريين.

● ● ●

بعثة الأزهر للحج هذا العام . برئاسة الدكتور حامد جامع

● وافق فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر على تشكيل بعثة الأزهر للحج هذا العام برئاسة الدكتور حامد جامع الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ عبد المنعم حجاب وكيل الادارة العامة للمعاهد الأزهرية وكيلا للبعثة وتتكون البعثة من أربعين عضوا وذلك للمشاركة في مناسك الحج هذا العام.

الامام الأكبر يلتقي ببعثة علماء الدين للحج

● التقى فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ببعثة علماء الدين الذين يسافرون للحج هذا العام لتوعية الحجاج والرد على استفساراتهم . وحضر الاجتماع فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الدولة للاوقاف .

الدكتور الحسيني هاشم يتفقد أحوال المسلمين فى السودان

سافر فضيلة الدكتور الحسيني هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية خلال الشهر الماضى فى زيارة الى السودان استغرقت اسبوعا تفقد خلالها أحوال المسلمين هناك .

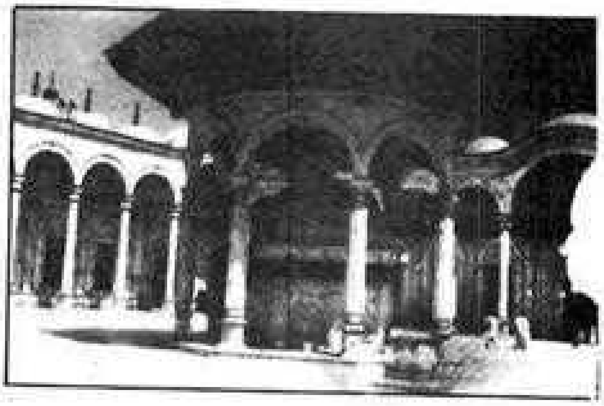
كما زار فضيلته الجامعة الاسلامية بام درمان ، والتقى بعدد كبير من العلماء . كما ناقش فضيلته رسالتى الدكتوراه المقدمتين

إعداد :

● أحمد السايح

● عبد الفتاح عبد السلام

● محمد زكى



من الطالب : عبد الله عبد القادر الغادنى والطالب قريب محمد راجع بقسم السنة وعلوم الحديث .

اعارة ١٠٠٠ مدرس بالأزهر للدول العربية والاسلامية

اعتمد فضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود حركة اعارات المدرسين الجدد الى الدول العربية والاسلامية شملت لاعارة هذا العدد ١٠٠٠ مدرس بالاضافة الى ١٥٤ عالما سبقت اعارتهم للدول الاسيوية والافريقية وقد اضمت هذه الحركة ٤٩١ مدرسا الى السعودية من بينهم ٣٠٤ لوزارة المعارف و ٦٦ لجامعة محمد بن سعود و ٦ لجامعة المدينة المنورة وواحد لجامعة الملك عبد العزيز و ٤٠ سيدة لرئاسة تعليم البنات .

كما تضمنت الحركة كذلك ايفاد ٣٦٤ مدرسا ومدرسة الى اليمن و ٢ مدرسين الى سلطنة عمان .



آثار اسلامية في مصر

● توصلت بعثة الآثار الاسلامية التى تجرى حفرياتها في موقع اطلال قلعة العريش الى كشف أسرار هذه القلعة التى يعود تاريخها الى عام ١٥٦٠ميلادية . والتى انشأها السلطان العثمانى ، سليمان القانونى لتكون حصنا دفاعيا عن طريق سيناء عند المدخل الشرقى لمصر . كما تم الكشف عن تكنات عسكرية للجنود في العصر المملوكى المتأخر ، وبداية العصر العثمانى القرن السادس عشر الميلادى . وتتكون هذه التكنات من مجموعة معمارية ذات طابع متميز ، مشيدة من الحجر المنحوت . .

(أكاديمية) اللغة العربية في أندونسيا

● صرح الدكتور فؤاد محمد فخر الدين مدير (أكاديمية اللغة العربية) في أندونسيا . بأنه تم انشاء هذه (الأكاديمية) بجهود المسلمين الذاتية ، لنشر اللغة العربية والنحو والصرف والبلاغة .. وأضاف المدير قائلا : أن هناك جمعيات اسلامية مهمتها الأساسية نشر اللغة العربية في أنحاء أندونسيا ..

المركز الاسلامي الهندي

● يعد المركز الاسلامي للبحوث والدعوة في شبه القارة الهندية ، أول موسوعة للسيرة النبوية تتكون من خمسة مجلدات كبيرة .. تقدم صورة كاملة لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وآثار دعوته على تاريخ العالم ، يشرف على الموسوعة المفكر الاسلامي الكبير وحيد الدين خان العالم الهندي المشهور ، يعاونه في ذلك ستة من الخبراء في العلوم الاسلامية واللغة العربية والانجليزية والعلوم الحديثة . وحفظ الوثائق والكتب ..

معهد عال للدعوة الاسلامية

● تقرر انشاء معهد عال للدعوة الاسلامية بالمغرب وذلك ضمن مشروع اسلامي كبير يضم مركزا اسلاميا ودار الطباعة المصحف الشريف . واعداد الترجمات اللازمة لمعاني القرآن الكريم باللغات المحلية المنتشرة في افريقيا ويضم المعهد اقساما للتخصص في مختلف العلوم الاسلامية وتاريخ الاديان .. وسوف يقبل المعهد الطلاب الافارقة لتخريج رجال الدعوة الاسلامية ممن يجيدون اللغات الأجنبية والمحلية وذلك لنشر الدعوة الاسلامية في القارة الافريقية . والتصدي لما يوجه للاسلام من كيد أعدائه .

مكتبة الحرم المكي

● بلغ عدد الكتب والمعاجم العلمية والأدبية بمكتبة الحرم المكي الشريف بمكة المكرمة مائة الف كتاب من انفس الكتب ذات القيمة الدينية والعلمية الكبيرة .. والجدير بالذكر أن مكتبة الحرم المكي الشريف تبلغ من العمر مائة وخمسة وسبعين عاما .. وقد انشئت في عهد السلطان عبد الحميد . تضم المكتبة عددا من المخطوطات النادرة ذات القيمة العلمية الكبيرة وهي مخطوطات اصلية . كما يوجد بالمكتبة ثلاثة آلاف دورية ويراجع مكتبة الحرم الشريف العديد من طلاب العلم والجامعات الذين ينهلون من المعرفة والثقافة ولاتزال ادارة المكتبة مستمرة في تدعيمها بالكتب العلمية الحديثة .

الاقتصاد الاسلامي

● ثمانية عشر كتابا وبحثا تتعلق بالفكر الاقتصادي والاسلامي المعاصر . والمشكلات الاقتصادية وطرق حلها اسلاميا .. صدرت عن المركز العالمي لابحاث الاقتصاد الاسلامي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة وهذه الكتب والابحاث قام بتاليفها وكتابتها علماء وباحثون مسلمون .. وتأتي اصدارات هذه الكتب والأبحاث في اطار الاهداف التي يسعى اليها المركز ويهدف الى تنظيم البحوث والدراسات النظرية والتطبيقية في

مجالات الاقتصاد الاسلامى ، وتأليف الكتب الدراسية لسد حاجة الجامعات الاسلامية في مجالات الاقتصاد والتخطيط ».

مقر قيادة الحلفاء

● تم اكتشاف مقر قيادة الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية في بدروم أحد المبانى بمصر الجديدة .

وقد اكتشف المقر أحد المواطنين عندما استاجر البدروم من ورثة أحد الفرنسيين لاستخدامه كمخزن للملابس » وذكرت المصادر ، أن البدروم كان مقرا للقاء الرئيس الفرنسى الأسبق شارل ديجول مع كل من تشرشل وروزفلت ويضم متحفا حربيا به مجموعة من مدافع الهاون والرشاشات الخفيفة والقذائف ، وبعض الصور والخرائط الحربية والمخطوطات والصحف . كما غطت حوائط المتحف صور زيتية للزعماء الثلاثة .

الاتحاد الاسلامى بشمال أمريكا

● عقد الاتحاد الاسلامى لشمال أمريكا مؤتمره الصيفى الأول في جامعة « روتكرز » بولاية « نيوجرسى » الامريكية مؤخرا تحت عنوان « تنمية الشخصية الاسلامية » وقد حضر المؤتمر ما لا يقل عن ألفى شخص ، وألقيت البحوث الخاصة بموضوعه .

مجمع دولى للفلسفة

● أعلن في باريس في بيان مشترك أصدرته وزارة الصناعة والبحث ووزارة التربية الوطنية ووزارة الثقافة عن انشاء مجمع دولى للفلسفة في باريس .

واوضح البيان ، أن مهمة هذا المجمع هى : « تطوير التفكير والبحث الفلسفى مع الاهتمام بشكل خاص بالمعالجة الدولية ، بحيث تستند الى شتى فروع العلم والمعرفة ، وأن يركز المجمع نشاطه في مجالات لم يحرز البحث فيها تقدما كبيرا بعد ».

بريطانى يبنى مسجدا

● أشهر المطرب الانجليزى (سيتجر كات ستفنس) المقيم فى الولايات المتحدة اسلامه بعد أن قرا عن الرسول صلى الله عليه وسلم واعجب به ، واقتنع بأن الدين الاسلامى هو الدين الذى يجب أن يعتنقه الناس لحل جميع مشكلاتهم ، واطلع على شىء من « السنة » وقد أطلق على نفسه اسم داود الهاشمى ، وقام بالتبرع بمبلغ ثلاثين ألف دولار وقطعة ارض لبناء مسجد فى مدينة ناشفيل بولاية تنسى الامريكية .

أنباء وآراء

الأزهر يتقصى أحوال المسلمين في استراليا .

وافق فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر على سفر كل من :

١ ــ فضيلة الدكتور عبد الحسن عبده شلبي الامين العام لمجمع البحوث ــ ..

٢ ــ فضيلة الدكتور عبد الودود ابراهيم شلبي الأمين العام للجنة العليا للدعوة الاسلامية . الى استراليا وجزر الباسفيكي الفيجي وبروني ، وذلك لتقصى أحوال المسلمين في هذه البلاد .

كتب السيد / رجب السيد أحمد ــ كلية الاداب ــ القاهرة

مقترحا : بأن تعمل المجلة ندوة للرأى فى كل شهر تناقش موضوعا من موضوعات الساعة التى تشغل بال كثير من المسلمين ونرى رأيا واضحا فيه على صفحات المجلة .

المجلة : نشكر لك هذا الاهتمام بالمجلة واقتراحك موضع تقدير وترجو المجلة ان توفر لها الامكانيات التى تعينها على تطبيق هذا فتعمل به ان شاء الله ونسأل الله ان يوفقنا ويوفقكم لما فيه الخير للاسلام والمسلمين .



الأخ / محمد أحمد على ــ الجيزة

يشير الى الاخطاء المطبعية بالمجلة اسفا لهذا الامر .

نشكر لك هذا الاهتمام ــ ونسأل الله التوفيق ليؤدى المختصون بالتصحيح واجبهم .

فهرس الأزهر

فهرس أبجدي لموضوعات المجلة للعام الهجري ١٤٠٣

إعداد : عبد الفتاح حسن الزيات

فهرس الأزهر

تصويبات

بسم الله الرحمن الرحيم

تصويب الأخطاء الواردة بمقال (العدد)

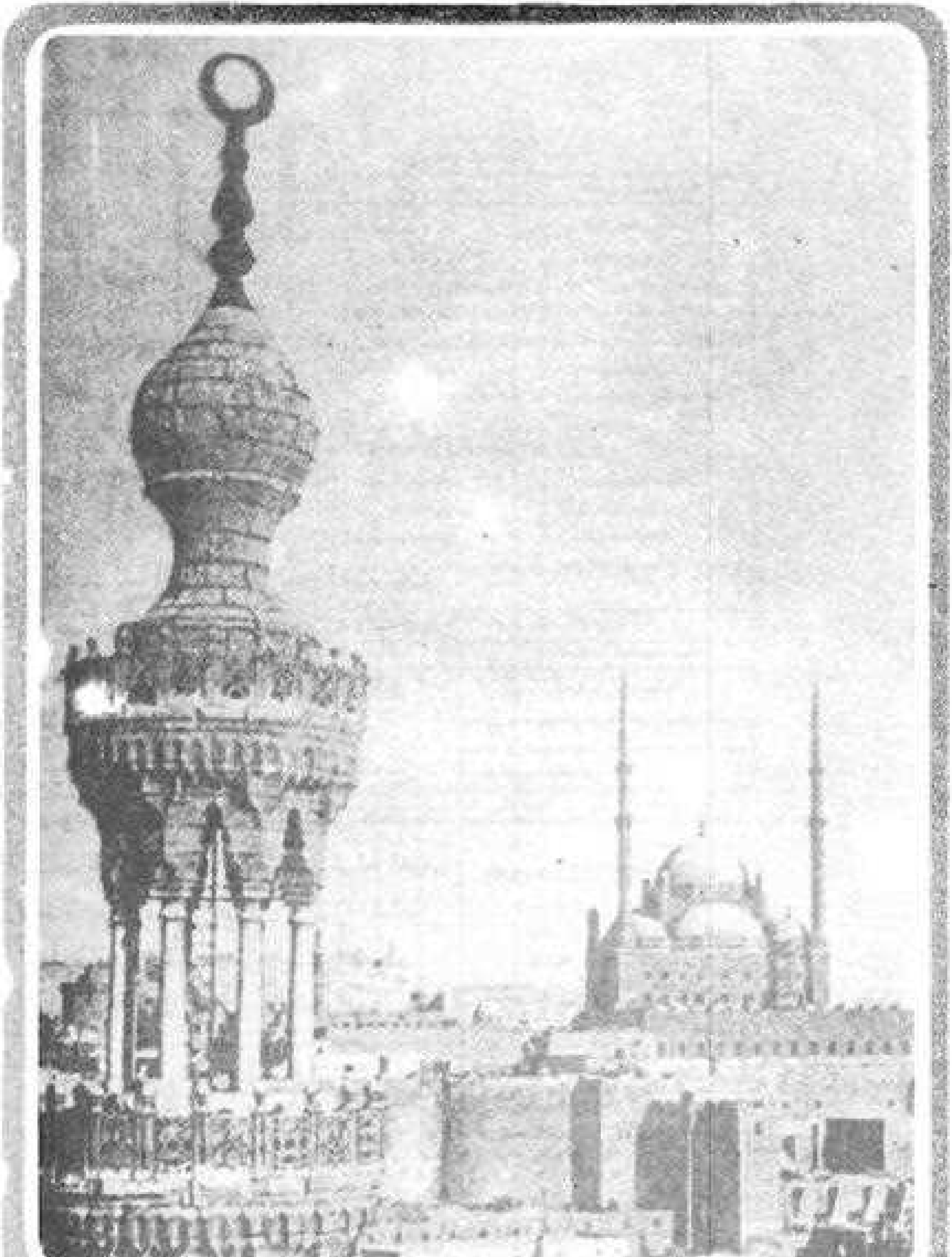
رقم مسلسل	رقم الصفحة	العمود	السطر	الخطأ أو الساقط	الصواب ، أو ما ينبغي إثباته
١	١٩٦٦	٢	٩	عنوان تقسيم العدد	أقسام العدد
٢	١٩٦٧	١	٤	أو يشتان للشرء	أو يشتان للشرء
٣	١٩٦٩	١	٣٣	وأما الألف ، عوض من عشر مائة	وأما الألف فهي عوض من عشر مائة
٤	١٩٦٩	٢	٢	مع القصد الأول والغرض الأهم من الآية	مع أنه القصد الأول والغرض الأهم من الآية
٥	١٩٧٠	١	٩	يكون الفاء في اسم الجنس وطائر الفرد منها	يكون الفاء في اسم الجنس وطائر الفرد منها
٦	١٩٧٠	٢	٥	ثلاث أنفس ، وثلاث ذود	ثلاثة أنفس وثلاث ذود
٧	١٩٨١	١	٣٣	يلزم أن يجتمع فيما يضاف إليه العدد	يلزم أن تجتمع فيما يضاف إليه العدد
٨	١٩٨١	١	٣٤	وقد تخالف كلها	وقد تخالف كلها
٩	١٩٩٢	١	١و٢	وهي جارية [وهي جارية] زائدة	وهي جارية
١٠	١٩٩٢	١	٣٦	وخمسون درهما فاطمية	وخمسون درهما فاطمية ،
١١	١٩٩٢	١	٣٧	عندي أحد عشر دينارا عباسية	عندي أحد عشر دينارا عباسية
١٢	١٩٩٢	١	٣٨	وخمسون درهما فاطمية	وخمسون درهما فاطمية
١٣	١٩٨١	١	٣٣	تعالى] إنما يطرد فيها [يطرد فيها] كشأن بابه بالمسألة	(تعالى) إنما يطرد فيها كان بابته بالعلاقة

هذه تمييز العدد صفحة ١٩٩٢ عمود (١) سطر ٣٦ و ٣٧ و ٣٨

العبارات التي وقع الخطأ والترك فيها	الصواب في هذه العبارات وتكملتها
فتقول : عندي أحد عشر دينارا عباسية وخمسون دينارا عباسية وخمسون درهما فاطمية	فتقول : عندي أحد عشر دينارا عباسية وخمسون درهما فاطمية ، وبمراعاة المعنى ، أي معنى العدد نفسه ودلالته على الجمع ــ فتقول : عندي أحد عشر دينارا عباسية وخمسون درهما فاطمية

مسلسل	العدد	الصفحة	العمود	السطر	الخطأ	الصواب
١	ربيع الآخر/يناير	٥٢٧	١	١٢	يكيدهم	يكيلهم
٢		٥١٨	٢	٣١	Schweigger	Schweigger
٣		٥١٩	١	١	Cillmann	Ullmann
٤		٥١٩	١	٣١	E. Ross	A Ross
٥		٥٢٠	٢	١٢	Rolve	Palmer
٦		٥٢١	١	٣٠	وقالوا تعالوا إلى اتفاق بيننا وبينكم	تعالوا إلى اتفاق بيننا وبينكم
٧		٥٢١	٢	١١	مطـروه	مطمورة
٨	جمادى/أبريل	٩٨٧	١	٩	Picthall	Picehall
٩		٩٩٠	٢	٢٢	يحبه	ليبه
١٠		٩٩٢	١	١١	Warn	man
١١	شوال/يوليو	١٤٨٨	٢	١٧	ثقل المصحف في سورة	ثقل سورة في المصحف
١٢		١٤٨٩	١	٦	مقـول	يقول
١٣		١٤٨٩	٢	٣	Piethall	Picthall

وجاء في ص ١٦٢٧ جزء ١١ من تاريخ [illegible] ٨/٦/١٩٩٩ وصحته ٨/٦/١٩٩٨ .
وجاء في ص (١٥٥) عدد [illegible] الخطيب والصحيح
[illegible] للأستاذ علي بن [illegible] .



بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس العدد

عدد ذي الحجة ١٤٠٣ هـ

الموضوع — الصفحة

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
من تاريخ الأزهر	
• الأزهر في القرن الثامن عشر الميلادى للأستاذ السيد حسن قرون	١٨٢١
• تأثير الأزهر في الخارج بين الماضي والحاضر الدكتور محمد محمد الشا زيتون	١٨٢٦
الشعر	
• في ظلال الحرم الدكتور حسن جاد	١٨٣٤
مع الفكر الغربي	
• تصويب وتعقيب على مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي للدكتور محمود عبد المعطي بركات	١٨٣٦
طرائف الأستاذ عبد اللطيف محمد عبد الحليم	١٨٤٢
من التراث	
• الدعاء والإستقامة للشيخ محمد الخضر حسين عرض وتقديم الأستاذ احمد حسن جابر رجب	١٨٤٥
• من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر تقديم الأستاذ محمد عميره علي	١٨٥١
الأدب والنقد	
• مدارسنا الأدبية ـ مدرسة ابوللو الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي	١٨٥٧
• ازدهار الأدب الأردني للدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم	١٨٦١
• مع رسالة جامعية (محمد مصطفى الماحي) حياته وشعره تقديم عاطف زهران	١٨٧٨
❋ **ديوان شعر** هكذا الفتي للشاعر محمود حسن اسماعيل	١٨٨٣
❋ **الفتاوى** اعداد عبد الحميد السيد شاهين	١٨٩٦
انباء وآراء للأساتذة احمد السايح ـ عبدالفتاح عبد السلام ـ محمد زكي	١٨٩٨
• فهرس ابجدى لموضوعات المجلة للعام الهجرى ١٤٠٢ اعداد عبد الفتاح حسين الزيات	١٩٠٣

طبع بمطابع روز اليوسف